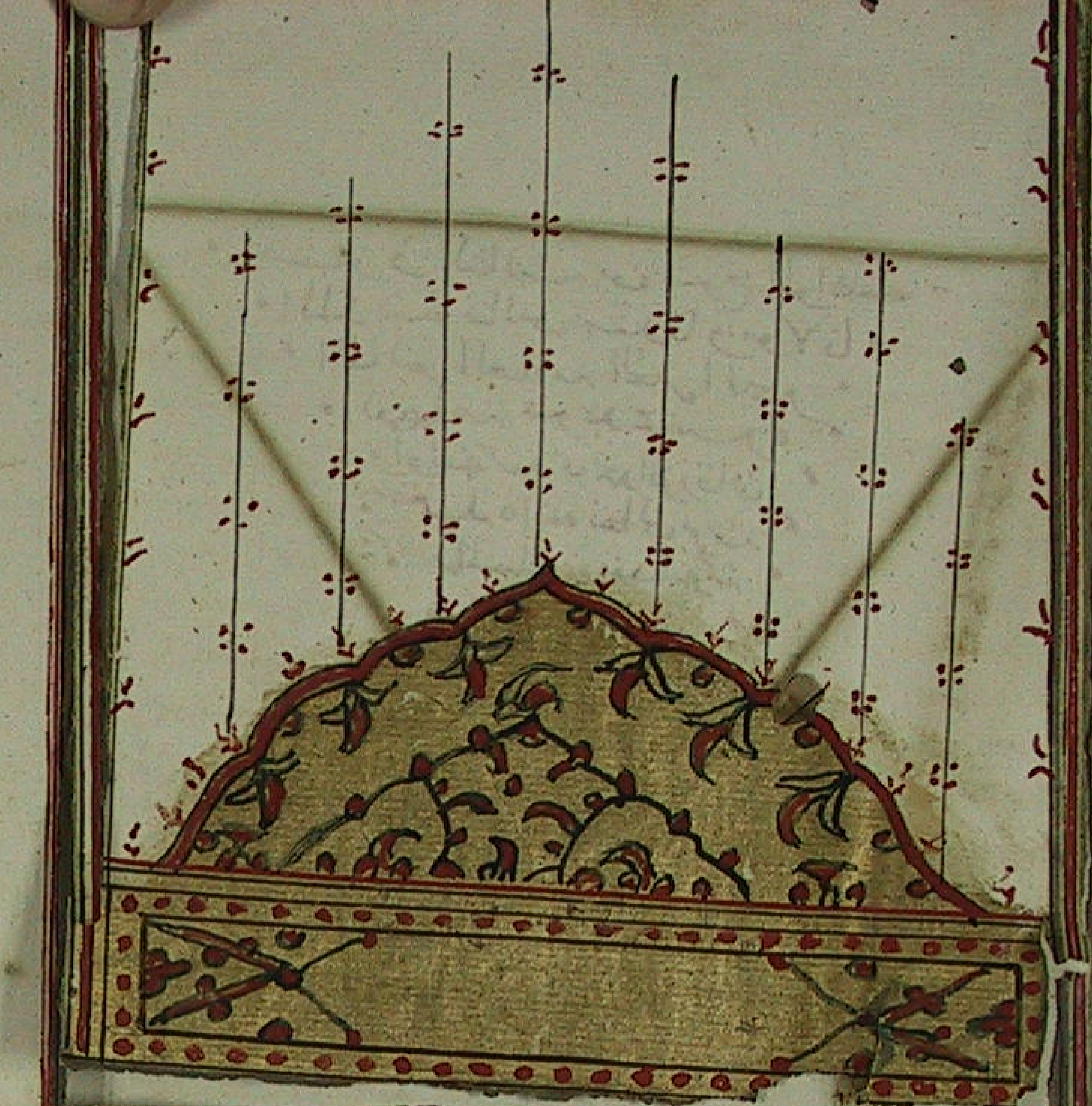
الجزء الثالث من شرح المواهب
اللدنية تأليف سيدنا ومولانا
العالم العلامة الحبر البحر
الفهامة فريد عصره
وأوانه سيدي محمد الزرقاني
تغمده الله تعالى برحمته
والمسلمين ونفعنا بركته
آمين آمين
آمين
م
تمت



قد وقف هذه القطعة اللطيفة حضرة سلطاننا الأعظم الأكرم سلطان البرين وخاقان البحرين
هادم أساس الجور والعدوان باني مباني العدل والإحسان السلطان ابن السلطان السلطان
الغازي محمود خان لا زالت السلطنة العلية مستمرة من صاحبها حماية
ووجه الخيرات مستمرة بمدرار عنايته وقفا صحيحا شرعيا لمن ...
واننا العبد الفقير الى ربه الغني ... الكونين ومفتش الاوقاف ... من تحت من
نعمة الله بن ... المفتش ...
عفي عنهما





بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

النوع الثاني في لباسه بالكسر ما يلبسه صلى الله عليه وسلم وفراشه أي بيانهما وصفتهما والفراش ما يفرش فهو بمعنى مفروش ككتاب بمعنى مكتوب قال البخاري أثنا كتاب اللباس من صحيحه باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوز بالجيم من التجوز من اللباس والبسط يعني يتوسع تفسير ليتجوز فلا يضيق بالاقتصار على صنف بعينه وللكشميهني يتخرى بحاء مهملة بعدها زاي كذا في الفرع وقال في الفتح وتبعه العيني بالجيم والزاي أي المفتوحة المشددة بعدها ألف قال العيني وما أظنه صحيحا إلا بالحاء والراء قاله المصنف أو معنى يتجوز لا يضيق بطلب النفيس الغالي كذا في نسخ كالفتح بأو إشارة إلى تفسير يتجوز بأحد أمرين وفي بعض نسخ المصنف بالواو وعلى أنه تفسير للتوسع بمجموعهما بل يستعمل ما تيسر بلا كلفة ولذا أورد البخاري في الباب حديث عمر في جلوس النبي صلى الله عليه وسلم في المشربة لما حلف لا يدخل على نسائه شهرا وفيه فدخلت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم على حصير قد أثر في جنبه وتحت رأسه مرفقة من أدم حشوها ليف وإذا أهب معلقة وقرظ وحديث أم سلمة استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لا إله إلا الله ماذا أنزل الليلة من الفتنة ماذا أنزل من الخزائن من يوقظ صواحبات الحجرات كم من كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة ففيه التحذير من لبس رقيق الثياب الواصفة للجسد وهو وجه دخاله

في هذه الترجمة وروى أبو نعيم وابن عدي عن عبادة بن الصامت صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في شملة إذا ذان يتوشح بها فضاقت فعقدها في عنقه هكذا أوأشار وسفيان تالي فقاه ليس له غيرها وقال القاضي عياض في الشفا كان عليه الصلاة والسلام قد اقتصر منه على ما تدعو ضرورته إليه وزهد ما مضى معطوف على اقتصر فيما سواه أي ما سوى مقدار الضرورة وفي نسخة من الشفا وزهده مصدر مضاف للضمير مرفوع عطفا على ضرورته أو مجرور عطفا على مجرور إلى بدون إعادة جار والنسخ الأولى أوضح فكان يلبس ما وجده حاضرا عنده بلا تكلف فيلبس في غالب أحواله الشملة بفتح المعجمة وسكون الميم ما يشتمل به من الأكسية التي يلتحف بها كما في الفتح وقيل يختص بما له هدب وقال ابن دريد كساء يتزر به أي يؤتزر به وهي البردة وتسمية العوام ما يلف على الرأس شملة اصطلاح حادث والكساء غريب من البرد الخشن بفتح فكسر ضد اللين والرقيق والأردية جمع رداء والأزر جمع إزار ولفظ الشفا بدل هذين والبرد الغليظ وهي بضم أوله ثوب فيه خطوط ومطلق الثوب وليس هذا عجزا عن فاخر اللباس بل لعدم ميله لها كما أفاده بقوله ويقسم على من حضره أي حضر عنده كما هو لفظ الشفا أقبية جمع قباء وهو المخيط من اللباس الديباج نوع معروف من الحرير المخوصة بضم الميم وفتح المعجمة وشد الواو وصاد مهملة وهي المزينة بالذهب أي المنسوجة بأعلام من ذهب كالخوص وقيل المكفوف أو المطوق أو المزرر بالذهب ويرفع أي يدخر لمن لم يحضر القسمة الذي يحضر فيعطيها له إشارة لقصة مخرمة التي رواها البخاري وغيره عن مسور بن مخرمة قال قال لي أبي بلغني أنه صلى الله عليه وسلم جاءته أقبية فاذهب بنا إليه فذهبنا فوجدناه في منزله فقال ادعه لي فأعظمت ذلك فقال يا بني إنه ليس بجبار فدعوته صلى الله عليه وسلم فخرج ومعه قباء من ديباج مزرر بالذهب فقال يا مخرمة خبأت لك هذا وجعل صلى الله عليه وسلم يريه محاسنه ثم أعطاه له فنظر إليه فقال رضي مخرمة فأعطاه إياه وجزم الداودي أن قوله رضي مخرمة من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ورجح الحافظ أنه من كلام مخرمة إذ المباهاة تعليل لاقتصاره على ما تدعو ضرورته إليه أي لأن إظهار الفخر في الملابس جمع ملبس بفتح الميم والباء وهو اللباس بمعنى وأصل المباهاة المفاخرة فنزل إظهارها والعجب بها والتزين بها أي إظهار الزينة في الملابس منزلة ذلك ليست من خصال الشرف والجلالة العظمة وإنما هي من سمات النساء ومن في حكمهن كالأطفال وأكثر من يتباهى بذلك يحدث النعمة ومن لا قدر له والمحمود عند الله وعند الناس نقاوة بفتح النون وضمها أي نظافة الثوب أي كونه نقيا من الوسخ والنجاسة والتوسط في جنسه فلا يكون عاليا جدا ولا خسيسا وكونه لبس بضم فسكون مثله أي ما يلبسه أمثاله غير مسقط لمروة جنسه أي لا يعد مسقطا لمروة أمثاله ينبغي

ان يوافق امثاله في لباسهم ولا يخالفهم فيوقع الناس في الفتنة وبقية
كلام عياض من لا يودي الي الشهرة في الطرفين انتهي اي غاية التعظيم
وغاية الخسة فيكون بين بين وخير الامور اوساطها قال النووي كانوا
يكرهون الشهرتين الثياب الجياد والثياب الرذلة اذ الابصار تمتد اليهما
جميعا وبهذا ورد الحديث وقد روي ابو نعيم في الحلية والطبراني في
في الكبير عن ابن عمر بن الخطاب مرفوعا ان من كرامة المومن علي الله
اي نفاسته وعزته اي من حسن حاله الذي يثيبه عليه ويصير به مقربا
عنده نقا ثوبه نظافته وتنزاهته عن الادناس ورضاه بالقصر
باليسير من ملبس وماكل ومشرب اومن الدنيا ودخل زاير علي ابي
الحسن العروضي فوجده عريانا فقال نحن اذا اغسلنا ثيابنا نكون كما قال
القاضي ابو الطيب

قوم اذا غسلوا ثياب جمالهم • لبسوا البيوت وزرروا الابوابا

وله ايضا من حديث جابر ان النبي صلي الله عليه وسلم راي رجلا
وسخة ثيابه فقال اما وجد وفي نسخة اما راي هذا شيا ينقي
به ثيابه استفهام توبيخي علي وسخ ثوبه ولم يخاطبه لئلا يكسر خاطره
واشارة الي ان الحكم لا يختص به فقد كانت سيرته في ملبسه صلي
الله عليه وسلم انفع اسم تفضيل وكذا وانفع للبدن واخفه عليه
والمفضل عليه محذوف اي مما جرت العادة بلبسه فانه لم تكن عمامته
بالكبيرة التي يوذي حملها وحاملها وتضعفه وتجعله عرضة
للافات كصداع ومرض عين وزكام كما يشاهد من حال اصحابها
ولا بالصغيرة التي تقصر عن وقاية بكسر الواو وفتحها لغة حفظ
الراس من الحر والبرد بل كانت وسطا بين ذلك المذكور من الكبر
والصغر قال الحافظ في فتاويه لا يحضرني في طول عمامة النبي صلي
الله عليه وسلم قدر محدود وقد سيل الحافظ عبد الغني فلم يذكر
شيا وقال السيوطي لم يثبت في مقدارها حديث ومن خبر ما يدل علي
انها عدة اذرع والظاهر انها كانت نحو العشرة او فوقها بيسير وقال
السخاوي في فتاويه رايت من نسب لعايشة ان عمامته في السفر بيضا
وفي الحضر سودا وكل منهما سبعة اذرع وهذا شي ما علمته وقال المكي
لم يتحرر كما قال بعض الحفاظ في طولها وعرضها شي وما للطبراني ان
طولها سبعة اذرع ولغيره عن عايشة انها سبعة اذرع في عرض ذراع
وانها كانت في السفر بيضا وفي الحضر سودا من صوف وان عذبتها في
السفر من غيرها وفي الحضر منها لا اصل له وفي تصحيح المصابيح لابن
الجزري تتبعت الكتب وتطلبت من السير والتواريخ لاقف علي قدر
عمامته صلي الله عليه وسلم فلم اقف علي شي حتي اخبرني من اثق به انه
وقف علي شي من كلام النووي ذكر فيه انه كان له عمامة قصيرة ستة اذرع

وعمامة

وعمامة طويلة اثنا عشر ذراعا وكان يدخلها اي بعضها تحت حنكه
فانها اي الهيئة المذكورة او العمامة بهذه الهيئة وفي نسخة فانه
اي هذا الفعل باعتبار اثره التي تترتب منه وهو كون العمامة تحت
الحنك تقي العنق الوصلة بين الراس والجسد الحر والبرد وفي هذا
الفعل نفع له حتي لا يكون عرما دونها وهو اثبت لها عند ركوب
الخيل والابل والكر والفر وكذلك الاردية والازر اخف
علي البدن من غيرها كالجوخ والفرا والمضربات وقد اطنب ابن
الحاج في المدخل في الاستدلال في استحباب التحنيك ثم
قال واذا كانت العمامة اي لبسها من باب المباح فلا بد فيها
من فعل سنن تتعلق بها من تناولها باليمين لانه صلي الله
عليه وسلم كان يحب التيمن في شانه كله والتسمية اذ هي ثوب والتسمية
عند لبسه مستحبة والذكر الوارد اذا كانت مما لبس جديدا روي
داود واحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابي سعيد الخدري
قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه
او قميصا او رداء ثم يقول اللهم لك الحمد كما كسوتنيه اسالك من خيره
وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له وروي احمد وابو يعلي
عن علي سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول اذا لبس ثوبا
جديدا الحمد لله الذي رزقني من الرياش اي الجمال ما اتجمل به في الناس
واواري به عورتي وللطبراني عن جابر كان صلي الله عليه وسلم اذا
لبس ثوبا جديدا قال الحمد لله الذي واري عورتي وجملني في عباده
والمراد العورة اللغوية اي النقص كانه قال رزقني ما ازيل به النقص
عني واحصل به الكمال واشتمال السنة في صفة التعمم من فعل
التحنيك والعذبة وتصغير العمامة يعني كونها سبعة اذرع
ونحوها يخرجون منها التحنيك والعذبة فان زاد في العمامة
قليلا لاجل حر او برد فيسامح فيه واما كثيرا لا لذلك فبدعة
مكروهة مخالفة للسنة وسرف وتضييع للمال قاله ابن الحاج لكن
قال ابن عبد السلام اذا كان ذلك شعار العلما فيستحب ليعرفوا
فيسالوا ويطاعوا وتبعه السبكي واستنبطه من قوله تعالي يدنين
عليهن من جلابيبهن ذلك ادني ان يعرفن فلا يوذين ثم قال بعد
ان ذكر قوله تعالي وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا فعليك بان تتسرول قاعدا وتتعمم قايما انتهي
كلام ابن الحاج وقضيته ان المصطفي كان يفعل ذلك وعهدته عليه وذكر
البرهان الناجي بالنون ان التعمم قاعدا والتسرول قايما يورثان
الفقر والنسيان ولم يكن صلي الله عليه وسلم يطول العمامة
ويوسعها بل كل كم قميصه صلي الله عليه وسلم الي الرسغ بزنة

تقل بصاد وسين لغتان صحيحتان وبالصاد رواه الترمذي
وابو داود وبالسين غيرهما وهو منتهى الكف عند المفصل
لا يجاوز اليد فيشق على لابسه ويمنعه سرعة الحركة
والبطش ولا يقصره عن هذا فيتبرز للحر والبرد فجعله
الى الرسغ وسط وخير الامور اوساطها ولا يعارضه رواية اسفل
من الرسغ لاحتمال تعدد القميص او المراد التقريب لا التحديد والاختلاف
بحسب احوال الكم فحال جدته وعقب غسله يكون اطول لعدم تثنيه وتجعده
واذا بعد عن ذلك تثنى وقصر ولا يعارضه ايضا ما رواه الحاكم وصححه
وابو الشيخ عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس قميصا
وكان فوق الكعبين وكان كمه الى الاصابع لان الرسغ مخصوص بقميص
السفر اما في الحضر فكان يلبس قميصا من قطن فوق الكعبين وكمه
مع الاصابع كما جمع بينهما بذلك بعضهم نقله السيوطي قايلا ويؤيده ما
اخرجه سعيد بن منصور عن علي انه كان يلبس القميص ثم يمد الكم حتى اذا
بلغ الاصابع قطع ما فضل ويقول لا فضل للكمين على الاصابع انتهى
وقد روى عن اسما بفتح الهمزة ممدودا بنت يزيد بن السكن
الانصارية تكنى ام سلمة ويقال ام عامر صحابية لها احاديث روى لها
الاربعة وهي بنت عمة معاذ وقتلت يوم اليرموك تسعة بعمود خبايها
قالت كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرسغ
رواه الترمذي في الشمايل مقيدا بالقميص ورواه في الجامع كان
كم يد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزين العراقي فيحتمل حمله
عليه ويحتمل العموم انتهى وقد قال الترمذي انه حسن غريب مع ان
فيه شهر بن حوشب مختلف فيه ورواه ابو داود ايضا والبيهقي في الشعب
وله شاهد عنده من حديث انس وابن عباس فانجبرت رواية شهر ولذا
حسنها الترمذي وكان ذيل قميصه ورداية الى انصاف
الساقين كما رواه الترمذي عن سلمة كان عثمان يأتزر الى انصاف
ساقيه وقال كانت ازره صاحبي يعني النبي صلى الله عليه وسلم والمراد
بالجمع فوق الواحد بدليل اضافته الى المثنى وقيل وجمع انصاف اشارة
الى التوسعة لم يتجاوز الكعبين فيؤذي الماشي ويجعله كالمقيد
ولم يقصر عن عضلة ساقيه بعين مهملة وضاد معجمة قال في القاموس
محركة وكسفينه كل عصبة معها لحم غليظ قال الحافظ العراقي وهي هنا
اللحمة المجتمعة اسفل من الركبة من موخر الساق فيتاذى بالحر والبرد
اشار اليه ابن القيم في زاد المعاد في هدى خير العباد واخرج الترمذي
والنسائي عن الاشعث بشين معجمة ومثلثة ابن سليم المحاربي
الكوفي ثقة روى له الستة مات سنة خمس وعشرين ومائة قال سمعت
عمتي اسمها رهم بضم الرا وسكون الها بنت الاسود بن حنظلة لا تعرف من

الثالثة روى لها النسائي والترمذي في الشمايل كما في التقريب
تحدث عن عمها عبيد بن خالد ويقال ابن خلف المحاربي ويقال عبيدة
بفتح اوله ويقال عبيدة بفتح العين وزيادة ها وذكره ابن عبد البر
بضم اوله وبالها صحابي يعد في الكوفيين له حديث في اسبال الازار
والترمذي في الشمايل والنسائي ولم يسم في رواية الترمذي ووقع في
التجريد انه عم ابي الاشعث المحاربي ذكره الاصابة قال بعض والاصح ما في
نسخ من الشمايل عن عم ابيها اذ عمها ابن حنظلة لا ابن خالد ولذا قال
المصنف على الشمايل وقع في تهذيب الكمال عن عم ابيه وحينئذ يرجع
الضمير المجرور الى اشعث وعم عمة الشخص عم ابيه قال بينا انا امشي
في المدينة اذا انسان خلفي اي من ورائي فان مشي وجود انسان
فبيناظرف بهذا الفعل المقدر وهذا مفعول له بمعنى الوقت فلا يلزم تقدير
معمول المضاف اليه على المضاف واذا للمفاجاة وكثيرا ما يذكر في جواب
بينا خلافا لقول ابن الاثير الافصح في جواب بينا وبينما ان لا يكون
فيه اذ واذا فانه يوزع بوقوعه كثيرا في الاحاديث الصحيحة وتقديم
المسند اليه للتخصيص او للتقوي يقول خبر الانسان المخصص بالوصف
ارفع ازارك على عادته في نصح اصحابه فعن النعمان بن بشير سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انذرتكم النار حتى ان رجله لو كان
بالسوق لسمعه من مقامي هذا حتى وقعت خميصة له كانت على عاتقه
رواه البخاري فانه اي الرفع انقى بنوقية اي اقرب لسلوك التقوى
لبعده عن الكبر والخيلا والتنزه عن القاذورات ويؤيده رواية انقى
بالنون من النقا اي انظف فان جر الازار على الارض ربما تعلق به نجاسة
فتلوثه كذا فسره جمع وتوقف فيه بعضهم بانه لا يعرف له اصلا وانما هو
اسناد مجازي لانه سبب لكون فاعله اتقى وابقى بموحدة اكثر بقاء ودواما
وفيه ارشاد اللابس الى الرفق بما يلبسه وحفظه وتعهده لان اهماله تضييع
واهمال واسراف فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله انما هي اي الازار تؤنث وتذكر فلا حاجة الى انه انثه باعتبار
الخبر وهو بردة بضم فسكون كسا صغير مربع ويقال كسا اسود صغير واسقط
من الرواية لفظ ملحا قال المصنف بفتح الميم والمهملة بينهما لام ساكنة ممدود
وهي في الاصل البياض يخالطه سواد والمراد بردة سود فيها خطوط بيض
تلبسها الاعراب وقيل ما فيه بياض اغلب والظاهر ان هذا جواب لقوله
ابقى بموحدة اي انما بردة مبذلة لا يؤبه بها ليراعي ما ينفيها فلبست من
الثياب الفاخرة وقيل فهم من الامر برفعها انه امره بتقصيرها فقال هي ملحا
اي مليحة نفيسة لا تقطع ويمكن ان يتكلف ويجعل جوابا بالرواية انقى بالنون
بانه فهم انه من النظافة من الدنس لا النجاسة فقال هذا ثوب لا اعتبار له
ولا يلبس في المحافل انما هي ثوب مهنة واما مطابقته لا تقى بفوقيته فلا يخفى

لا كلفة فيه انتهي وقال غيره اراد ان مثل هذا الاحيلا منه اذ ليس من لباس
الزينة فاجابه بطلب الاقتداية وان لم تكن خيله سد للذريعة حيث قال
اما لك في بشذالبا اي في افعالي واقوالي اسوة بضم اوله افصح من
كسره اقتدا واتباع كانه صلي الله عليه وسلم علم انه لم يفهم مراده فغير الاسلوب
فنظرت تاملت لبسته فاذا ازاره ينتهي الي نصف ساقيه صلي الله
عليه وسلم واخرج الطبراني من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل
ابن ابي طالب الهاشمي ابو محمد المدني صدوق في حديثه لين ويقال تغير
باخره وامه زينب بنت علي مات بعد الاربعين ومائة روي له ابو داود
والترمذي وابن ماجة عن ابن عمر قال راني النبي صلي الله عليه
وسلم اسبلت ازاري ارخيته فقال يا ابن عمر كل شي لمس الارض
من الثياب في النار عقابا للابسه وفي البخاري في اللباس من حديث
ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم ما اسفل من الكعبين
من الرجل من الازار في النار ما موصولة وبعض صلته محذوف وهو كان
واسفل خبره فهو منصوب ويجوز الرفع اي ما هو اسفل افعل تفضيل ويحتمل
انه فعل ماض ويجوز ان ما نكرة موصوفة باسفل ذكره الحافظ وقال
المصنف وما موصولة في محل رفع مبتدا وفي النار الخبر واسفل خبر مبتدا
محذوف وهو العايد علي الموصول اي ما هو اسفل وحذف العايد لطول الصلة
او المحذوف كان واسفل نصب خبرها ومن الاولي لابتدا الغاية والثانية
لبيان الجنس ثم في فرع اليونينية الاصل المعتمد من البخاري ففي النار
بزيادة الفا وفي الهامش في بلا فا مرقوما عليه علامة ابي ذر كذا
ساقه المصنف متعقبا قول الحافظ قوله في النار للنسائي من طريق اخر ففي
النار بزيادة فا وكانها دخلت بتضمين ما معني الشرط اي ما دون الكعبين
من قدم صاحب الازار المسبل فهو في النار عقوبة له قال الخطابي يريد ان
الموضع الذي يناله الازار من اسفل الكعبين في النار فكني بالثوب
عن بدن لابسه ومعناه ان الذي دون الكعبين من القدم يعذب
بالنار عقوبة له وحاصله انه باسم تسمية الشي باسم ما جاوزه
او حل فيه وتكون من في قوله من الكعبين بيانية زاد الحافظ ويحتمل
ان تكون سببية والمراد الشخص نفسه او المعني ما اسفل من الكعبين
من الذي سامت الازار في النار او التقدير لابس ما اسفل الخ او يقدر
ان فعل ذلك محسوب في افعال النار او فيه تقديم وتاخير اي ما اسفل من
الازار من الكعبين في النار وكل هذا استبعاد ممن قاله لوقوع الازار
حقيقة في النار واصله ما اخرجه عبد الرزاق عن عبد العزيز بن ابي رواد
ان نافعا سيل عن ذلك فقال وما ذنب الثياب بل هو من القدمين لكن في
حديث ابن عمر كل شي يلمس الارض من الثياب في النار واخرج الطبراني
بسند حسن عن ابن مسعود انه راي اعرابيا يصلي قد اسبل فقال المسبل في

الصلاة ليس من الله في حل ولا حرام ومثل هذا الايقال من قبل الراي فعلي
فعلي هذا لا مانع من حمل الحديث علي ظاهره فيكون انكم من وادي انكم وما
تعبدون من دون الله حصب جهنم او يكون من الوعيد لما وقعت به المعصية
اشارة الي ان الذي يتعاطي المعصية احق بذلك انتهي وللطبراني من حديث
عبد الله بن مغفل بمعجمة وفا ثقيلة المزني صحابي بايع تحت الشجرة ونزل البصرة
مات سنة سبع وخمسين وقيل بعد ذلك رفعه ازرة المومن اي الحالة التي ترضي
منه في الايتزار وتحسن شرعا ان يكون الازار الي انصاف ساقيه فقط قال
الطيبي وجمعها اشارة الي التوسعة في الامر ولا حرج عليه فيما بينه وبين
الكعبين فيجوز ارخاوه لهما وان كان الافضل لنصف الساق وما اسفل من
ذلك ففي النار منه ما تقدم وقد ابعد المصنف النجعة بالعزو للطبراني فقد
رواه النسايي من حديث ابي هريرة وابي سعيد وابن عمر والضيا من حديث
انس وابو داود وابن ماجة والنسايي ايضا عن ابي سعيد قال صلي الله
عليه وسلم ازرة المسلم الي نصف الساق ولا حرج او ولا جناح فيما بينه
وبين الكعبين وما كان اسفل الكعبين فهو في النار والازرة بالكسر الحالة
وهيية الايتزار مثل الركبة والجلسة وهذا اصوب من ضبط الحديث وان
ضمها الاكثر واعلم طهر الله ثوبي وثوبك الحسي والمعنوي وتره سري
وسرك ان هذا الاطلاق محمول علي ما ورد من قيد تكبر فتح ابجمة
الخيلا وفي نسخة من قيد بالدال اي من التقييد بها فهو الذي ورد فيه
الوعيد بالاتفاق ونص الشافعي علي ان التحريم مخصوص بالخيلا فان لم يكن
لها كره وقد اخرج اصحاب السنن ابو داود والنسايي وابن ماجة ولما
دخل فيهم الترمذي ولم يخرجه استثناه فقال الا الترمذي ولا ينافيه
قوله واستغربه اي قال انه غريب لانه لا يلزم منه ان يخرجه وزعم بعضهم
ان الا للعطف كما يقول الكوفيون فانه لم يخرجه من طريق عبد العزيز
غير الاسلوب ولست بوايق من ذا الكلام فان جمعا من الحفاظ كالسيوطي نسبوه
للثلاثة ولم ينسبوه للترمذي وابن ابي شيبة من طريق عبد العزيز
ابن ابي رواد بفتح الرا وتشديد الواو صدوق عابد ربما وهم ورمي بالارجا
سنة ٥٩ ومائة عن سالم بن عبد الله بن عمر احد الفقها اشبه ولد ابيه به
عن ابيه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال الاسبال المذموم او
الذي فيه الكلام بالجواز وعدمه كاين في هذه الثلاثة القميص
الازار والقميص والعمامة من جر منها شيا خيلا بضم المعجمة وفتح التحتية
ممدود الحديث تتمته عندهم لم ينظر الله اليه يوم القيامة اي نظر
رحمة ورضي اذ لم يحجبه شي فيعن من هذه الرواية ان الحكم ليس
خاصا بالازار وجا في اكثر طرق الحديث بلفظ الازار قال الطبري
محمد بن جرير انما ورد الخبر بلفظ الازار لان اكثر الناس في عهده صلي
الله عليه وسلم كانوا يلبسون الازر والاردية فلما لبس الناس القميص

وفي نسخة القمص وهي انسب بالجمع في قوله والدراريع جمع دراعة كان
حكمها حكم الازار في النهي قال ابن بطال تعقبا علي ابن جرير هذا قياس
صحيح لو لم يات النص بالثوب فانه يشمل جميع ذلك فلا داعية للقياس
مع وجود النص وفي تصوير جر العامة نظر اذ لا يتاتي جرها علي الارض
كالثوب والازار الا ان يكون المراد ماجرت به عادة العرب من ارخا العذبات
لان جر كل شي بحسبه فمهما زاد علي العادة في ذلك كان من الاسبال وهل
يدخل في الزجر عن الثوب تطويل اكمام القميص ونحوه ام لا يدخل محل نظر
لعدم النص عليه والذي يظهر ان من اطالها حتي خرج عن العادة كما
يفعله بعض الحجازيين وغيرهم كغلاة مصر دخل في ذلك وقال الزين العراقي
ما مس الارض منها لا شك في تحريمه بل لو قيل بتحريم ما زاد علي المعتاد لم يبعد
قال ابن القيم واما هذه الاكمام الواسعة الطوال بكسر الطاء وخفة الواو
التي هي كالاخراج وعمائم كالابراج جمع برج ويجمع ايضا علي بروج فلم
يلبسها عليه الصلاة والسلام هو ولا احد من اصحابه وهي مخالفة لسنته
وفي جوازها نظر فانها من جنس الخيلا وهي ممنوعة انتهي وقال
صاحب المدخل ابن الحاج ولا يخفي علي ذي بصيرة ان كم بعض من ينسب
الي العلم اليوم فيه اضاعة المال المنهي عنها لانه قد يفصل من ذلك الكم
ثوب لغيره انتهي وهو حسن لكن حدث للناس اصطلاح بتطويلها
وصار لكل نوع من الناس شعار يعرفون به فيجوز لمن صارت شعاره بل
قد يطالب لان مخالفته تخل بمروة صاحبه ومهما كان من ذلك علي سبيل الخيلا
فلا شك في تحريمه ولو كان شعارا وما كان علي طريق العادة فلا تحريم
فيه بل يجوز ما لم يصل الي جر الذيل الممنوع منه ونقل القاضي عياض
عن العلما كراهة ما زاد علي العادة للناس وعلي المعتاد في اللباس
لمثل لابسه في الطول والسعة فينبغي تجنب ذلك وفي حديث ابي هريرة
عند البخاري ومسلم كلاهما في اللباس مرفوعا بلفظ قال النبي صلي الله
عليه وسلم او قال ابو القاسم صلي الله عليه وسلم قال الحافظ الشك من
ادم شيخ البخاري بينما بالميم رجل هو قارون كما جزم به الكلاباذي
في معاني الاخبار وكذا الجوهري في صحاحه وكذا السهيلي في مبهمات القران
عن الطبري ان الرجل المذكور اسمه الهيزن من اعراب فارس وفي تاريخ
الطبري عن قتادة ذكر لنا انه يخسف به قارون كل يوم قامة وانه يتجلجل فيها
لا يبلغ قعرها الي يوم القيامة زاد مسلم كالبخاري في ذكر بني اسرايل
ممن كان قبلكم يمشي في حلة هي ثوبان احدهما فوق الاخر وقيل ازار
ورداء وهو الاشهر تعجبه نفسه هذا لفظ الحديث وشرحه الحافظ بقول
القرطبي اعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة
الله فان احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم مرجل بكسر
الجيم المشددة جمته بضم الجيم وشد الميم مجتمع الشعر اذا تدلي من الراس

الي

الي المنكبين والي اكثر من ذلك واما الذي يتجاوز الاذنين فهو الوفرة
وترجيل الشعر تسريحه ودهنه اذ خسف الله به الارض ولفظ الجلالة
ثابت لابي ذر عن البخاري فخسف مبني للفاعل وان سقط في غالب نسخ المواهب
فهو يتجلجل بجيمين مفتوحتين ولامين اولاهما ساكنة اي يتحرك وقال
ابن فارس التجلجل ان يسوخ في الارض مع اضطراب شديد ويندفع من
شق الي شق فالمعني يتزلزل في الارض مضطربا مندفعا الي يوم القيمة
وفي رواية لمسلم فهو يتجلجل في الارض حتي تقوم الساعة وما حكي ان
في بعض الروايات يتخلخل بخائين معجمتين قال الحافظ تصحيف وحكي عياض
انه يتجلل بجيم واحدة ولام ثقيلة بمعني يتغطي اي تغطيه الارض وحكي ومقتضي
الحديث ان الارض لا تاكل جسده بعد الموت وعند الحارث بن ابي اسامة بسند
ضعيف جدا عن ابن عباس وابي هريرة مرفوعا من لبس ثوبا جديدا فاختال فيه
فخسف به الارض فهو يتجلجل فيها الي يوم القيامة وحاصل الاحاديث انه حكاية
عن وقوعه في الامم السابقة وبه جزم النووي ولابي يعلي عن العباس بينما
انا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم اذ اقبل رجل يتبختر بين ثوبين الحديث
وظاهره وقوعه في زمنه عليه الصلاة والسلام لكن سنده ضعيف جدا فان
ثبت حمل علي التعدد فيجمع بان المراد قيل المخاطبين بذلك لابي هريرة انتهي
ملخصا وفي الطبراني وابي داود من حديث ابي جري بجيم وراء مصغرا
واسمه جابر بن سليم رفعه ان رجلا هو الهيزن او قارون ممن كان
قبلكم لبس بردة فتبختر فيها فنظر الله اليه نظر غضب فمقته فامر
الارض فاخذته فصرح في هذه الرواية بانه من الامم الماضية فيرد قول
الكرماني يحتمل انه من هذه الامة وسيقع بعد بل ابدا هذا الاحتمال من حديث
البخاري عجيب فانه صرح في ذكر بني اسرايل من قوله ممن كان قبلكم وكذا رواه
مسلم كما مر فكيف يتكلم الشخص علي كتاب لا يحيط بما فيه وهذا الوعيد المذكور
يتناول الرجال والنسا علي هذا الفعل المخصوص اذ النسا شقايق الرجال
وقد فهمت ذلك ام سلمة رضي الله عنها فاخرج النساي والترمذي
وصححه من طريق ايوب السختياني عن نافع مولي ابن عمر عن ابن عمر بن
الخطاب ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لا ينظر الله الي من جر ثوبه خيلا
فقالت ام سلمة فكيف تصنع النسا بذيولهن فقال صلي الله عليه
وسلم يرخين شبرا فيخص به عموم الوعيد فقال اذا تنكشف بالرفع
لا بتقدير النصب وهو قصد الجزا بعد اذا اقدامهن قال فيرخينه
ذراعا لا يزدن عليه اذ به يحصل امن انكشاف الاقدام وحاصل ما ذكر
في ذلك من الاحاديث ان للرجال حالين حال استحباب وهو ان
يقتصر بالازار ونحوه علي نصف الساق وحال جواز وهو الي الكعبين
وكذلك للنسا حالان حال استحباب وهو ما يزيد علي ما هو جايز
للرجال بقدر الشبر وحال جواز بقدر ذراع وان الاسبال يكون

يكون في القميص والازار والعمامة وانه لا يجوز اي يحرم اسباله ارخاؤه
تحت الكعبين ان كان للخيلا وان كان لغيرها فهو مكروه للتنزيه قال
النووي وظواهر الاحاديث في تقييدها بالخيلا يدل على ان التحريم
مخصوص بالخيلا لا مطلقا قال وهذا نص الشافعي على الفرق كما ذكرنا
انتهى وسبقه الى ذكره ابن عبد البر فقال مفهوم خيلاء ان الجار لغيرها لا يلحقه
الوعيد الا ان جر القميص او غيره من الثياب مذموم على كل حال تنبيه قال
العراقي الحافظ زين الدين عبد الرحيم المشهور في شرح الترمذي الذراع
الذي رخص فيه للنساء هل ابتداوه من الحد الممنوع منه الرجال وهو
ما اسفل من الكعبين او من الحد المستحب للرجال وهو انصاف الساقين
او حد دا ان اول ما يمس الارض الظاهر ان المراد الثالث بدليل حديث
ام سلمة هند بنت ابي امية ام المومنين الذي رواه ابو داود والنسائي
واللفظ له وابن ماجة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم
تجر المراة من ذيلها قال شبرا قالت اذا ينكشف عنها قال فذراع لا
تزيد عليه فظاهره ان لها ان تجر على الارض منه ذراعا اذ الجر السحب
وانما يكون على الارض قال والظاهر ان المراد بالذراع اليد وهو شبران
لا ذراع البنيان لما في ابن ماجة عن ابن عمر قال رخص رسول الله صلى
الله عليه وسلم لامهات المومنين خصهن لان السوال عن ذلك جاء منهن والا
فالحكم عام شبرا ثم استزدنه فزادهن شبرا فدل على ان الذراع
الماذون فيه شبران لان الروايات يفسر بعضها بعضا وهو الذراع الذي
يقاس به الحصر اليوم انتهى كلام العراقي وانما جاز ذلك للنساء لاجل
النساء لاجل الستر لان المراة كلها عورة الاما استثني من وجهها وكفيها
وقد كان له عليه الصلاة والسلام عمامة بكسر العين كما في القاموس وغيره
وحكي منها المغفر والبيضة وما يلف على الراس تسمى السحاب وهبها لعلي
كما قال ابن سيد الناس وعمائم غيرها اخر كما بينه الشامي ويلبس تحتها
القلانس اللاطية اللاحقة قال المصباح لطي بالارض يلطا مهموز مثل
لصق وزنا ومعنى والقلانس جمع قلنسوة بفتح القاف واللام
وسكون النون وضم المهملة وفتح الواو وقد تبدل ياء تحتانية فيقال
قلنسية وقد تبدل الفا وتفتح السين حين ابدالها الفا فيقال قلساه
وقد تحذف النون من هذه بعدها ها تانيث غشاء مبطن يستر
به الراس ابيضا واسودا وغيرهما من قماش او جلد على ظاهره لكن قيد
بالقماش قاله الفرا ابو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله الاسدي مولاهم
الكوفي نزيل بغداد النحوي المشهور صدوق في الحديث علق له البخاري
وكان ورعا متدينا مات بطريق مكة سنة سبع ومائتين وله سبع وستون قال
في نزهة الالباب لقب الفرا لانه كان يفري الكلام فريا في شرح كتاب
الفصيح لثعلب وقال هشام هي التي تقول لها العامة الشاشية وفي

المحكم لابن سيدة هي ملابس جمع ملبس الروس معروفة وقال ابو هلال
العسكري هي التي تغطي بها العمايم وتستر من الشمس والمطر كانها عند
راس البرنس انتهى قول ابن هشام وروى الترمذي وبقية اصحاب السنن
ومسلم كلهم عن جابر رضي الله عنه قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم
مكة يوم الفتح وعليه عمامة سودا بغير احرام قال الحافظ العراقي اختلفت
الفاظ الحديث جابر هذا في المكان والزمان الذي لبس فيه العمامة السودا فالمشهور
انه يوم الفتح وفي رواية البيهقي يوم ثنية الحنظل وذكر يوم الحديبية ويجاب
بان هذا ليس اضطرابا بل لبسها في الحديبية وفي الفتح معا اذ لا مانع من ذلك
الا ان الاسناد واحد انتهى وزعم بعضهم ان سواد ها لم يكن اصليا بل لحكاية ما
تحتها من المغفر وهو اسودا وكانت متسخة متلوثة ويويده ما في بعض طرق
الحديث الاتي خطب وعليه عصابة دسما ورد بانه خلاف الظاهر بلا دليل ولا
معنى يعضده بل هو منابذ لما ابدوه من حكمة لبسه السواد في ذلك اليوم
وفي رواية عن انس عند البخاري ومسلم وساير الستة كلهم من طريق مالك
عن ابن شهاب الزهري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة عام
وفي رواية يوم الفتح وعلى راسه المغفر وفي رواية عن مالك خارج
الموطا مغفر من حديد وهو بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفا
زرد ينسج من زرد الدروع المتصل بها جمع درع وهو ما يلبس من
الحديد كالثوب على قدر الراس ويجعل عليه كما في المحكم وجمع بينهما اي
العمامة السودا كانت فوق المغفر او تحته وقاية من صدا الحديد فاراد
انس بذكر المغفر كونه متاهبا للقتال واراد جابر بذكر العمامة كونه دخل غير محرم
هكذا تمم المصنف هذا الجمع في فتح مكة نقلا عن بعضهم ونحوه قول مغلطاي لا منافاة
لان المغفر يكون تحت العمامة فاعتبر بعض الرواة والاحرما يظن وجمع بينهما
القاضي عياض بان اول دخوله كان على راسه المغفر ثم بعد ذلك كان
على راسه العمامة بعد ازالة المغفر بدليل قوله في حديث عمرو
بفتح العين ابن حريث بضم المهملة ومثلثة ابن عمرو بن عثمان بن عبد الله
ابن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي صحابي صغير مات سنة خمس وثمانين
عن ابيه كذا في النسخ وهو خطا فان راوي ذا الحديث انما هو عمرو كما في
مسلم واصحاب السنن والترمذي في الشمايل ايضا عن جعفر بن عمرو بن
حريث عن ابيه فاسقط المصنف جعفر بن عمرو واتى بلفظ عن ابيه فوهم
واوهم خطب الناس اي وعظهم وعليه عمامة سودا زاد مسلم قد ارخى
طرفها بين كتفيه لان الخطبة كانت عند باب الكعبة بعد تمام فتح مكة
قال الولي ابن العراقي العلامة احمد ولي الدين بن عبد الرحيم الحافظ ابن الحافظ
وهو ولي واظهر في الجمع من الاول لما يلزم على الاول من كونه لبسهما معا في
ان واحد ولم تات به رواية لكن تعقبه بعضهم بان الصواب الجمع الاول لرواية
دخل مكة وعليه عمامة سودا مفادها ان العمامة كانت على راسه حين الدخول

لان زمان الحال يجب اتحاده مع زمن عامل ذي الحال كما اشار اليه ابن الطلاع ورد
بان الصواب والوجه صحته نظرا الى اتساع زمان دخول مكة فلا يقدح فيه ما ذكر
فالحكم عليه بانه خطا مجازفة وقد تقدم نحو ذلك في غزوة مكة فتح مكة وعن
ابن عمر كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعتم اي لف العمامة على راسه سدل
عمامته اي ارخى طرفها وهل من الجانب الايمن او الايسر قال الحافظ العراقي المشهور
من الايسر ولم نر في الايمن الا في حديث ابي امامة بسند ضعيف عند الطبراني في
الكبير وهل المراد بالسدل سدل الطرف الاسفل حتى يكون عذبة او الاعلى فيغرزها
ويرسل منها شيا خلفه يحتمل الامرين قال ولم ار التصريح بكون المرخى من العمامة عذبة
الا في حديث عبد الاعلى بن عدي عند ابي نعيم في معرفة الصحابة انه صلى الله
عليه وسلم دعى عليا يوم غدير خم فعممه وارخى عذبة العمامة من خلفه ثم قال
هكذا فاعتموا فانما العمائم سيما الاسلام وهي حاجز بين المسلمين والمشركين
والعذبة الطرف كعذبة السوط واللسان اي طرفيهما فالطرف الاعلى يسمى عذبة
لغة وان خالف العرف الان انتهى رواه الترمذي في الشمائل وعن الجامع ايضا
وقال حسن غريب الا ان لفظه فيما كان اذا اعتم سدل عمامته بين كتفيه قال
نافع وكان ابن عمر يفعل ذلك قال عبيد الله ورايت القاسم بن محمد وسالما يفعلان
ذلك قال الحافظ فاما مالك فقال انه لم ير احدا يفعله الا عامر بن عبد الله بن الزبير
زاد مسلم وقد ارخى طرفها بين كتفيه لا محل لذكر ذلك ههنا هذا هنا فانه
حديث اخر اخرجه مسلم وغيره عن عمرو بن حريث فهذا موخر من تقديم محله
عقب قوله خطب الناس وعليه عمامة سوداء فكان يقول زاد الى اخره كما اشرت
اليه ولمسلم ايضا عن عمرو بن حريث كاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفها بين كتفيه وروى ابو محمد بن حبان بفتح المهملة
والتحتية هو الحافظ الملقب بابي الشيخ قال في اتمام الدراية من انواع الكنى
من يلقب بكنيته كابي الشيخ بن حبان اسمه عبد الله وكنيته ابو محمد وابو الشيخ
لقب له انتهى ومر بعض ترجمته في كتاب اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم
من حديث ابن عمر جوابا للقول سائله ابي عبد السلام بن ابي حازم قال قلت
لابن عمر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتم قال يدير
كور العمامة على راسه بضم الكاف كما قاله الزمخشري والازهري وصاحب
المغرب قال بعض وشذ طائفة فقالوا بالفتح لكن جزم المصباح والقاموس
والمختار بالفتح ويغرسها من ورائه ويرخي لها ذابة بذال معجمة مضمومة
فواو والف فموحدة مهموزة ضفيرة الشعر المرسلة فان لويت فعقيصة
ويطلق ايضا على طرف العمامة وهو المراد هنا قال الحافظ العراقي وهذا
الحديث يقتضي كان يرسلها بين كتفيه من الطرف الاعلى وروى مسلم من
حديث عمرو بن حريث قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم على
المنبر في غير يوم الفتح اذ خطبة يومه كانت عند باب الكعبة ولم ينقل ان
هناك منبرا وعليه عمامة سوداء قد ارخى طرفها قال عياض بالافراد

لا التثنية كما وقع في بعض النسخ وقال القرطبي شارحا لهذه النسخة يعني بهما
الاعلى والاسفل بين كتفيه ورواه الاربعة اصحاب السنن بدون قوله قد
ارخى الى اخره كما مر وعنده اي مسلم ايضا عن جابر دخل مكة وعليه عمامة
سوداء ولم يذكر قد ارخى طرفها بين كتفيه وعنده ايضا دخل مكة وعليه
عمامة سوداء ولم يذكر فيه ذوابة فدل على انه لم يكن يرخيها دائما بين
كتفيه بل تارة وتارة جمعا بين مختلف الاحاديث لكن قد يقال ان دخول مكة
كان وعليه اهبة القتال والمغفر على راسه فلبس في كل موطن ما يناسبه
فلا تعارض ايضا كذا قاله ابن القيم وتعقبه الشامي بانه لم يستحضر ان النسائي رواه
وزاد قد ارخى طرف العذبة بين كتفيه وذكر صاحب القاموس في شرح البخاري
كان له صلى الله عليه وسلم عذبة طويلة نازلة بين كتفيه وتارة على كتفيه وانه
ما فارق العذبة قط وقال خالفوا اليهود ولا تصموا فان تصميم العمايم من زي اهل
الكتاب وانه قال اعوذ بالله من عمامة صما قال الحافظ السيوطي في فتاويه لم
ار قوله طويلة لكن يمكن اخذه من احاديث ارخائها بين الكتفين وقوله وتارة على
كتفه لم اقف عليه من لبسه لكن من الباسه واما حديث خالفوا اليهود الخ وحديث
اعوذ بالله الخ فلا اصل لهما ثم مفاد الاحاديث ان العذبة من السنة لان سندا ارسالها
اذا اخذت من فعله فاولى سندا اصلها وكونها بين الكتفين لان حديثه صحيح افضل
منه على الايمن لضعف حديثه قال السيوطي من علم ان العذبة سنة وتركها استنكافا
اثم وغير مستنكف فلا قال ابن القيم في الهدي النبوي وكان شيخ الاسلام
احمد ابو العباس يذكر في سبب الرواية شيا بديعا وهو ان النبي صلى
الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام الذي راه بالمدينة لما حين
راى رب العزة كما قال صلى الله عليه وسلم اتاني الليلة ربي تبارك وتعالى
في احسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى قال ابن الاثير
اي فيم يتقاول الملائكة المقربون سوالا وجوابا فيما بينهم قال التوربشتي فشبه
تقاولهم في الكفارات والدرجات وما يجري بينهم من سوال وجواب بما يجري بين
المتخاصمين انتهى اي واستعير له اسمه ثم اشتق منه تختصم فهو استعارة
تصريحية تبعية وقال البيضاوي هو اما عبارة عن تبادرهم الى كتب تلك
الاعمال والصعود بها الى السما واما عن تقاولهم في فضلها وشرفها وانافتها
على غيرها واما عن اغتباطهم الناس بتلك الفضائل لاختصاصهم بها وتفضيلهم
على الملائكة بسببها مع تهافتهم في الشهوات وتماديهم في الجنايات قلت لا
ادري فوضع يده وفي رواية كفه بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي
فعلمت ما بين السما والارض وفي رواية فعلمت ما في السموات وما في الارض
وفي اخرى وتجلى لي علم كل شي فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملا الاعلى قلت
نعم في الكفارات والدرجات والكفارات المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على
الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في المكاره قال صدقت يا محمد ومن فعل ذلك عاش
بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم

رب إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمني
وتتوب علي وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون والدرجات إفشا
السلام وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وهو أي الحديث بتمامه كما
سقته في الترمذي من حديث ابن عباس ومعاذ وسئل الترمذي عنه
شيخه البخاري فقال صحيح قال ابن تيمية فمن تلك الغداة أرخى الذؤابة
بين كتفيه قال ومثل هذا من العلم تنكره ألسنة الجهال وقلوبهم لأنهم لا
يفهمون معناه قال ابن القيم ولم أر هذه الفائدة في شأن الذؤابة
لغيره انتهى وعبارة غير الهدي وذكر ابن تيمية أنه صلى الله عليه وسلم
لما رأى ربه واضعا يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعذبة انتهى
والعبارتان بمعنى لكن قال العراقي بعد أن ذكره لم نجد لذلك أصلا انتهى
وقال ولده الحافظ ولي الدين إن ثبت ذلك فهو وحلة ولا يلزم منه تجسيم لأن
اليد لكن يقال فيها ما قاله أهل الحق فهم بين مأول وساكت عن التأويل مع نفي
الظاهر وكيف ما كان فهو نعمة عظيمة ومنة جسيمة حلت بين كتفيه فقابلها
بإكرام ذلك المحل التي حصلت فيه تلك النعمة انتهى لكن قال المكي على الشمائل بل
هذا من ضلال ابن القيم وشيخه ابن تيمية إذ هو مبني على مذهبهما من إثبات
الجهة والجسمية قال المناوي أما كونهما من المبتدعة فمسلم وأما كون هذا بخصوصه
بناه على التجسيم فلا لأنهما إنما قالا الرؤية المذكورة منام كما في الحديث ونحن
نؤمن بأن له يدا لا كيد المخلوق فلا مانع من وضعها وضعا لا يشبه وضع المخلوق
بل وضعا يليق بجلاله وعجب من الشيخ كيف حمله التحامل على إنكار مثل هذا مع
وجود خبر الترمذي انتهى وقد سألت شيخنا ما وجه رد ابن حجر وجزمه بأنه
ضلال مع أن ما ذكره المناوي واضح وأجروه في أحاديث التشبيه كلها
والمذهبان شهيران فأجابني بأنه إنما يحتاج للتأويل من لا يقول بظاهره
أما من يقول به ويعتقده فلا معنى لذكر شيء من التأويل يجزم ابتداء بأنه من ضلاله
انتهى فلله دره لكن نازع بعض أصحابنا الحنابلة في كون ابن تيمية
وتلميذه من المجسمة قائلا إنه لم يقع في كلام غير هذين وأطلعني على
خطوط علماء كالحافظ ابن حجر وجمع معاصرين له وقبله ناصة على أنهما
من أهل السنة وروى ابن أبي شيبة وأبو داود والطيالسي والبيهقي
عن علي قال عممني النبي صلى الله عليه وسلم بعمامة سدل
طرفها على منكبي بين أهو الأيمن أو الأيسر وروى الطبراني
بسند ضعيف عن أبي أمامة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يولي واليا
حتى يعممه ويرخي لها من جانبه الأيمن نحو الأذن فقد يؤخذ من عمومه أن المطلب
هنا الأيمن لكن قال الحافظ العراقي وإذا وقع إرخاء العذبة من بين اليدين كما
يفعله الصوفية وبعض أهل العلم فهل المشروع فيه إرخاؤها من الجانب الأيسر
كما هو المعتاد أو الأيمن لشرفه قال ولم أر ما يدل على تعيين الأيمن إلا في حديث
عند الطبراني وبتقدير ثبوته فلعله كان يرخيها من الجانب الأيمن ثم يردها إلى

الجانب الأيسر كما يفعله بعضهم إلا أنه صار شعار الإمامية فينبغي تجنبه لترك
التشبه بهم انتهى وقال إن الله أمدني يوم بدر ويوم حنين بملائكة
معممين هذه العمة بالكسر فاستحب فعل ما اقترن به مع من أولئك وأعممه
العمامة حاجز أي مميز بين المسلمين لأنهم لا يتعممون والمشركين وقال لأنهم
لا عمائم لهم قال العلامة الحافظ الفقيه عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد
الله بن الحسين بن سعد الأزدي أبو محمد الإشبيلي بكسر أوله والموحدة
وسكون الشين المعجمة والتحتية قبل اللام نسبة إلى إشبيلية من أمهات
بلاد الأندلس كان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله عارفا بالرجال صالحا
خيرا زاهدا ورعا ملازما للسنة متقللا من الدنيا مشاركا في الأدب والشعر
له تصانيف كثيرة مات سنة إحدى وثمانين وخمسمائة وله إحدى وسبعون
سنة وسنة العمائم بعد فعلها أن يرخي طرفها ويتحنك به فإن كانت
بغير طرف ولا تحنيك فذلك يكره عند العلماء أي يكون خلاف الأولى
وليس المراد أنه يكره بنهي مخصوص كذا قال شيخنا واختلف في وجه
الكراهة فقيل لمخالفة السنة فيها وقيل لأنها كذلك بلا عذبة ولا تحنيك
كانت عمائم الشياطين فكرهت للتشبه بهم وجاءت الأحاديث في إرسال
طرفها على أنواع منها ما تقدم أنه أرسل طرفها على منكب علي رضي الله
عنه فتحصل به سنة العذبة ومنها أن عبد الرحمن بن عوف قال عممني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسدلها بين يدي ومن خلفي قال
الحافظ العراقي يحتمل أن المراد إرخاء طرفها الواحد لابن عوف من خلفه وطرفها
الآخر من بين يديه ثم رده من خلفه فصار الطرف الواحد بعضه بين يديه
وبعضه من خلفه كما يفعله كثير وصار اليوم شعار الفقهاء الإمامية فينبغي تجنبه
لترك التشبه بهم ويحتمل أن المراد بذلك على مرتين وأنه عممه مرة فسدلها
بين يديه وعممه أخرى فسدل لها من خلفه ذكره أبو داود أي رواه بسند
ضعيف وفيه راو لم يسم عن عبد الرحمن ودل مجموع الأحاديث على حصول
السنة لكل من فعله مع علي ومع عبد الرحمن ومن فعله لنفسه بين كتفيه
قيل وهو الأفضل لأنه الذي فعله صلى الله عليه وسلم لنفسه كما تقدم
وروى الطبراني وابن عساكر عن ابن عباس قال رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم معتما بعمامة سوداء قد أرخى طرفها بين كتفيه ومثله في
مسلم من حديثي جابر وابن حريث لكن روى الطبراني عن ثوبان كان
صلى الله عليه وسلم إذا اعتم أرخى عمامته بين يديه ومن خلفه وعن ابن عباس
أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس أي في مرضه الذي توفي
فيه وأوصاهم بالأنصار ولم يصعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر بعد ذلك
وعليه عمامة دسما بمهملتين ضد النظيفة وقد يكون ذلك لونها في
الأصل ويؤيده أن في رواية أخرى عصابة سوداء قاله الحافظ ولذا قال
المصنف أي سوداء وقال غيره أي ملطخة بعرقه بدسومة شعره لكونه

كان يكثر دهنه قال الحافظ العراقي هكذا في رواية الترمذي عمامة وفي
رواية عصابة وهكذا رواه البخاري اطول منه بلفظ صعد النبي صلى الله عليه
وسلم المنبر قد عصب راسه بعصابة دسما فقال اما بعد فهذا الحي من الانصار
الحديث قال ولا مخالفة فالعصابة هي العمامة رواه الترمذي في جامعه
وشمايله مختصرا والبخاري مطولا كما علم وفي حديث ركانة بضم الرا وتخفيف
الكاف بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي صحابي من
مسلمة الفتح ثم نزل المدينة ومات في اول خلافة معاوية له حديث في
سنن ابي داود والترمذي هو انه صلى الله عليه وسلم قال ان الرواية
بدون ان كما في الفتح والجامع وقوله فرق بالرفع ما بيننا وبين المشركين
العمايم على القلانس قال الطيبي اي الفارق بيننا انا نعتم على القلانس
وهم يكتفون بالعمايم وقال ابن العربي ان المسلمين يلبسون القلنسوة وفوقها
العمامة اما لبس القلنسوة وحدها فزي المشركين قال والعمامة سنة
المرسلين وقد صح حديث لا يلبس المحرم القميص ولا العمامة فدل على انها
عادة امر بتركها في الاحرام قال ابن تيمية فهذا يبين ان مفارقة المسلم
في اللباس مطلوبة للشارع اذ الفرق فيه بالاعتقاد مع العمل بلا عمامة حاصل
فلولا انه مطلوب ايضا لم يكن فيه فايدة رواه الترمذي ايضا وقال
غريب وليس اسناده بالقايم ومن ثم قال السخاوي هو واه وعن ابي المليح بن
اسامة رفعه عتموا تزدادوا حلما اخرجه الطبراني والترمذي في العلل
وضعفه عن البخاري وصححه الحاكم فلم يصب وله شاهد عند البزار عن ابن عباس
بسند ضعيف ايضا كما في الفتح وعن ابي كبشة الانماري بالفتح وسكون
النون بعدها ميم نسبة الى انمار بطن من العرب قال في الاصابة الانماري
المذحجي مختلف في اسمه فقال ابن حبان سعيد بن عمرو وقال غيره نزل الشام واسمه
عمرو بن سعيد وقيل عمر بضم العين وقال عامر وقيل سليم وجزم الترمذي
وابو احمد الحاكم بانه عمر له حديث ابن سعد له حديث وروى عن ابي بكر ايضا
قال كانت كمام بكسر الكاف وميمين بينهما الف اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم بطحا بضم الموحدة وسكون الطا وبالحا رواه الترمذي ايضا
وفي رواية اكمة اصحاب النبي الخ وهم جمع قلة وكثرة لكمه
بضم الكاف وشد الميم القلنسوة بالجر بدل بمعنى انها كانت منبطحة
غير منتصبة وفي المصباح الكمه بالضم القلنسوة المدورة لانها تغطي الراس
ونحوه في القاموس وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كانت له كمه بالضم بيضا رواه الدمياطي ففيه ان اصحابه اقتدوا به
في اتخاذها وكان احب الثياب اليه من جهة اللبس صلى الله عليه وسلم
القميص اي كان يميل الى لبسه اكثر من غيره لانه استر للبدن من الازار
والردا لاحتياجهما الى الحل والعقد بخلاف الثوب ولخفة مونته وخفته
على البدن ولابسه اقل تكبرا من لابس غيره فهو احبها اليه لبسا والحبرة

احبها اليه ردا فلا يعارض حديث انس الاتي احب الثياب الى رسول الله يلبسه
الحبرة او الثوب احب المخيط والحبرة احب غيره كما في الشمايل لهيره للترمذي
وجامعه ايضا وابي داود في اللباس والنساي في الزينة كلهم من حديث ام
سلمة قالت بين به انه ساقه بلفظه او لا دفعا لتوهم انه اتى بمعناه كان
احب الثياب اليه من جهة اللبس القميص روي بالنصب خبر واسم كان
احب كما هو المشهور وروي برفعه ونصب احب على انه الخبر والاسم القميص
ورجحا بانه وصف فهو اولى بكونه حكما ولا يرد عليه ان المبتدا والخبر اذا كانا
معرفتين منع تقديم الخبر لان محله حيث لا ناسخ كما في قوله فما زالت تلك
دعواهم فما كان قولهم الا ان قالوا وعن معوية بن قرة بضم القاف وفتح الرا
الثقيلة ابي اياس المزني البصري ثقة ثبت عالم عابد من رجال الجميع مات
سنة ثلاث عشرة ومائة وهو ابن ست وسبعين سنة عن ابيه قرة بن
اياس بن هلال المزني صحابي نزل البصرة ومات سنة اربع وستين روى
له الاربعة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في اي مع رهط
بسكون الها وقد تفتح اسم جمع لا واحد له من لفظه وهم من ثلاثة الى عشرة
او ما دون عشرة ليس فيهم امراة والى اربعين ولا ينافي ذلك رواية انهم
اربعمائة لاحتمال تفرقهم رهطا رهطا وقرة مع احدهم من مزينة مصغر
قبيلة واصله اسم امراة سميت به القبيلة لانها جماعة تنسب الى اصل واحد
فيسمون باسمه ذكرا كان او انثى لنبايعه على الاسلام وان قميصه مطلق
مطلق الازرار بدل وان قميصه لمطلق قالت قرة فادخلت يدي في
جيب قميصه بفتح الجيم وسكون التحتية وموحدة يطلق على فتحة القميص
المحيطة بالعنق وعلى ما يجعل في صدره ليجعل فيه الشي وبه فسره
ابو عبيد واليه اشار البخاري وقال ابن بطال كان جيب السلف عند الصدر
قال الحافظ ومقتضى حديث قرة هذا انه كان في صدره لقوله اولا
انه راه مطلق اي غير مزرر انتهى فقول المصنف على الشمايل المراد به هنا
بالمعنى الاول خلافه لكنه المناسب لقوله فمسست بكسر السين الاولى وفتح
من فتحها الخاتم اي خاتم النبوة بيدي بلا حايل والظاهر ان قرة كان
لعلم الخاتم وانما قصدا لتبرك او علم قدر حجمه وصفته فلذا اغتفر له صلى
الله عليه وسلم هذا الفعل المنافي لرعاية الادب لا سيما بحضرة الناس رواه
الترمذي وصححه وابو داود وابن ماجة وابن حبان وصححه ايضا وعن
انس قال كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم احد الذي
اعده للبسه قطنا فلا ينافي ما ياتي انه لبس مرطا من شعر اسود وجبة
صوف وغير ذلك قصير الطول والكمين وفي ذا الحديث اشتمال على نوع
الملبوس فلا يرد انه علم مما مر فلا حاجة لاعادته رواه الدمياطي الحافظ
ابو محمد عبد المومن ورواه البيهقي في الشعب عن انس كان له قميص من قطن قصير
الطول قصير الكم وروى البخاري عن ابن سيرين قال حدثني من لا اتهم

ان رسول الله صلي الله عليه وسلم كان يلبس القطن والكتان واليمنية
زاد ابو الشيخ وسنة نبينا احق ان تتبع وعن انس بن مالك قال كان
احب الثياب الي رسول الله صلي الله عليه وسلم يلبسه الضمير
لاحب الثياب وفي رواية يلبسها فالضمير للثياب او التانيث باعتبار المضاف
اليه وهو حال من قوله الثياب الحبرة خبر كان كما جزم به المصنف وروي
برفعها اسما كما قاله غيره وانما احبها للينها وحسن انسجام نسجها واحكام
صنعتها وموافقتها لجسده الشريف فانه علي غاية من النعومة واللين
ونحو الخشن يؤذيه او لانها خضر او ثياب اهل الجنة خضر ورد بان حديث
ابي جحيفة يدل علي انها حمرا او لانها اشرف الثياب عندهم فاحبها اظهارا
للنعمة عليه ودفعا لتوهم قلوب الوافدين عليه الذين لم يتمكن الاسلام
من قلوبهم فيكون حبها لامر اخروي ولا دنيوي والاشرف انما يذم اظهاره
اذا كان لغرض دنيوي كالفخر والعجب علي اقرانه رواه الترمذي والبخاري
ومسلم وابو داود مختصر المصنف تشديدا والحبرة بزنة عنبة ضرب
من البرود القطن اليمانية وفيه حمرة سميت حبرة لانها تحبر اي تحسن
والتحبير التحسين والتزيين قاله القرطبي وقال الداودي لونها اخضر
لانها لباس اهل الجنة كذا قال وقال ابن بطال هي من برود اليمن تصنع من
قطن وكانت اشرف الثياب عندهم ذكره في الفتح ومن الجمع ايضا بان حبه
للقميص يكون عند نسائه وللحبرة حين يكون صحبه لان عادة العرب الايتزار
والارتدا وبانه كان يتخذ القميص من الحبرة قال الزين العراقي وان رجعنا
الي الترجيح عند التعارض فحديث انس هذا اصح لاتفاق الشيخين
عليه وحديث ام سلمة انما يعرف من ذلك الوجه فقط وعن ابي رمثة
بكسر الرا وسكون الميم بعدها مثلثة البلوي ويقال التيمي ويقال التميمي
وقيل هما اثنان قيل اسمه رفاعة ابن يثربي ويقال عكسه ويقال عمارة بن
يثربي ويقال حيان بن وهيب وقيل جندب وقيل خشخاش صحابي قال
ابن سعد مات بافريقية ذكره التقريب قال رايت رسول الله صلي
الله عليه وسلم وعليه بردان تثنية برد وهو ثوب مخطط اخضران
اي ذو خطوط خضر كذا قاله بعضهم واعترض بانه خروج عن الظاهر
بلا دليل ورد بان البرد لغة ثوب مخطط كما علم فوصفه بالخضرة يدل علي
انه مخطط بها ولو كان اخضر خالصا لم يكن بردا رواه الترمذي وعن
عطا بن ابي يعلي عن ابيه كذا في نسخ وفي اخري عن عطا عن ابن يعلي
عن ابيه وكلتاهما لا يصح فالحديث في ابي داود والترمذي والنساي عن
ابن يعلي عن يعلي لا ذكر فيه لعطا اصلا وابن يعلي كما جزم به الولي العراقي في
شرح ابي داود هو صفوان بن يعلي بن امية ثقة روي له الستة وابوه يعلي
ابن امية التميمي الحنظلي وهو الذي يقال له يعلي بن منية بضم الميم وسكون
النون وهي امه ويقال ام ابيه صحابي شهد حنينا والطايف وتبوك وله احاديث

قال رايت النبي صلي الله عليه وسلم يطوف بالبيت مضطبعا
ببرد اخضر بان جعل وسطه تحت ابطه الايمن والقي طرفيه علي كتفه الايسر
من جهة صدره وظهره سمي مضطبعا لابدا الضبعين وهما العضدان
ويقال للابط ضبع للمجاورة وقيل الضبع وسط العضد وقيل ما بين الابط
الي نصف العضد وقيل هو ما تحت الابط رواه الترمذي في الحج حدثنا محمود
ابن غيلان ثنا قبيصة عن سفين عن ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير بن شيبة
عن ابن يعلي عن ابيه ان النبي صلي الله عليه وسلم طاف بالبيت مضطبعا
وعليه برد وقال هذا حديث حسن صحيح وفي نسخة ورواه ابو داود
وهي صحيحة ايضا فقد رواه في الحج حدثنا محمد بن كثير انا سفين عن
ابن جريج عن ابن يعلي عن يعلي قال طاف النبي صلي الله عليه وسلم
مضطبعا ببرد اخضر واخرجه النساي عن محمد بن يحيي عن محمد بن يوسف
وقبيصة كلاهما عن سفين عن عبد الحميد عن ابن يعلي عن ابيه ان النبي
صلي الله عليه وسلم طاف مضطبعا قال قبيصة وعليه برد قال الولي العراقي
فظهر بهذا انه اختلف فيه علي سفين الثوري والظاهر ان رواية ادخال
عبد الحميد ارجح لان فيها زيادة علم فهي اولي بالتقديم وانضم الي ذلك كون
ابن جريج مدلسا ولم يصرح بالسماع من صفوان بن امية فعنعنته غير
مقبولة وعن عروة بن المغيرة بن شعبة الثقفي الكوفي ثقة روي
له الستة عن ابيه ان النبي صلي الله عليه وسلم لبس جبة رومية
بتشديد اليا وتخفف قال الحافظ واكثر الروايات شامية ولا تناقض لان
الشام كانت يوميذ مساكن الروم او الشام لكونها من عمل اهله او ملابسهم
ضيقة الكمين فتوضا فلم يستطع ان يخرج ذراعيه كما في الحديث رواه
الترمذي فيه بهذا اللفظ مختصرا والاصل في الصحيحين وغيرهما مطولا وعن
ابي ذر قال اتيت النبي صلي الله عليه وسلم وعليه ثوب ابيض
وهو نايم ثم اتيته وقد استيقظ فقال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات
علي ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنا وان سرق قال وان زنا وان سرق
قلت وان زنا وان سرق فقال وان زنا وان سرق علي رغم انف ابي ذر
رواه البخاري هكذا في اللباس ومسلم في الايمان فاقتصر المصنف منه علي
حاجته وعن عايشة قالت خرج النبي صلي الله عليه وسلم ذات غداة
بزيادة لفظ ذات للتاكيد بكرة والعرب تستعمل ذات يوم وذات ليلة
ويريدون حقيقة المضاف نفسه وعليه مرط بكسر فسكون ومهملة كسا
شعر بالاضافة وفي رواية من شعر واستعمال المرط في الشعر مجاز
ففي القاموس انه ما نسج من صوف او خز وهما غير الشعر اسود صفة
مرطا وشعر فعلي الاول فقيدت به لان المرط اذا اطلق انما يكون اخضر وعلي
الثاني فقيدت به لان الشعر يكون اسود وغير اسود وزعم ان ظاهر قولها
وعليه مرط انه جعله علي راسه مشتملا عليه لا انه اتزر به رد بانه لبس فيه

ما يويد ذلك ويويده اطباقهم علي تفسير المرط بانه كسا من خز او صوف يوتزر به رواه الترمذي ومسلم ايضا وعن انس قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يلبس الصوف من مزيد تواضعه ولبسه من سنن الانبيا قال ابن مسعود كانت الانبيا يركبون ويلبسون الصوف ويحتلبون الشاة رواه الطيالسي وعنه صلي الله عليه وسلم قال كان علي موسي يوم كلمه ربه كسا صوف وكمه صوف وجبة صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت رواه الترمذي وقال حديث غريب والحاكم وصححه علي شرط البخاري كلاهما عن حميد الاعرج عن هذا هو حميد بن قيس المكي وانما هو حميد بن علي وقيل عمار احد المتروكين والكمة بضم الكاف وشد الميم القلنسوة الصغيرة وكان له كسا مليدا اي مرقع او ما تخن وسطه حتي صار يشبه اللبد كما ياتي قريبا عن المصنف ويقول انما انا عبد البس كما يلبس العبد رواه الشيخان ولم اره فيهما ولا في احدهما بهذا اللفظ في مظانه فليراجع فان قلت قد علم من هذا المنقول عن المصطفي في لباسه ومن سيرة السلف جمع سالف وهو المتقدم ويجمع ايضا علي سلاف كخدم وخدام وجمع سلف علي اسلاف كسبب واسباب فقوله الصالح راعي فيه لفظ سلف ولو راعي معناه لقال الصالحين بذاذة الهيئة بوحدة ومعجمتين بينهما الف ثم تا تانيث اي سوها ورثاثة الملابس اي عدم حسنها فهو بمعني البذاذة كما في القاموس فما بال الشاذلية بالدال مهملة ومعجمة نسبة الي شاذلة بلدة بالمغرب من الصوفية صفة مفيدة يجملون هياتهم اي يحسنون صورهم واحوالهم الظاهرة وملابسهم فيلبسون الثياب الفاخرة وطريقهم الاقتدا بالسنة الشريفة والسلف الصالح جملة حالية قلت اجاب العارف الرباني اي العابد العارف بالله تعالي سيدي علي بن العارف الكبير سيدي محمد الوفاي اليقظ الحاد الذهن العديم النظير المالكي الشاذلي انسان عين الاوليا العلم الشهير اذاقنا الله حلاوة مشربه اي ماكان عليه من المعاني والتجليات والمعارف مصدر بمعني الشرب نفسه كما في القاموس لكنه هنا من اطلاق المصدر بمعني اسم المفعول والمعني رزقنا الله حالة نستلذ بما يجيء عنه من العلوم والمعارف كلذة شارب الحلوية ومن خطه الكريم نقلت بما لفظه متعلق باجاب ذلك اي تجميلهم الهيئة والملابس لانهم نظروا الي المعاني والحكم جمع حكمة وهي تحقيق العلم واتقان العمل وفيها اقوال كثيرة توجد والسلف الصالح لما وجد واهل الغفلة عن حقوق الله تعالي والشغل بحظوظ انفسهم بدنياهم منهمكين مقبلين علي الزينة الظاهرة جادين في طلبها تفاخرا بدنياهم واطمينانا اليها واشعارا بانهم من اهلها وجواب لما خالفوهم اظهارا الحقارة لحقارة ما حقره الحق من

الشهوات

الشهوات الفانية بما فيه حظ للنفس من مال ونسا وغيرها وتنويها اظهارا ورفعة شان بالغني عما اطمان ركن اليه الغافلون وكان اطمارهم جمع طمر بكسر فسكون ثيابهم الخلقة يوميء تقول الحمد لله الذي اغنانا به اي الله من الشغل بما هو سبب للسعادة الابدية دون التفات لما في ايدي الناس بما اعطوه وقدموه علي ما هو سبب لذلك عما افقر احوج نفسه اليه من فاعل افقر همه اهتمامه دنياه اي تحصيلها فالراغب فيها يجعلها نصب عينه ويشتغل بها فتلهيه عن الطاعات فلما طال الامد الزمن وقست القلوب لم تلن لذكر الله بنسيان ذلك المعني واتخذ الغافلون رثاثة الاطمار وبذاذة الهيئة حيلة علي جلب دنياهم انعكس الامر اي ان رثاثة الهيئة كانت سببا للوصول الي الحق بالاعراض عن الدنيا فصارت سببا للهلاك بالوقوع في المعاصي بالتحيل علي اكل المال بالباطل فصارت مخالفة هولا في ذلك هو قول السلف وطريقتهم كما تقدم قال سيدي علي وقد ارشد الاستاذ ابو الحسن الشاذلي بذال معجمة ومهملة نسبة الي شاذلة قرية بافريقية الشريف تقي الدين علي بن عبد الله بن عبد الجبار شيخ الطايفة من ذرية محمد بن الحنفية قال ابن دقيق العيد ما رايت اعرف بالله من الشاذلي وقال ابن عطا الله نشا بالغرب الاقصي ومبدا ظهوره بشاذلة ولم يدخل في طريق الله حتي كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة ذو علوم جمة وجا في الطريق بالعجب العجاب وكان العز بن عبد السلام يحضر مجلسه مات في ذي القعدة سنة ست وخمسين وستماية بصحرا عيذاب متوجها الي مكة ودفن هناك قدس الله سره العزيز الي ذلك بقوله لبعض من انكر عليه جمال هيئته من اصحاب الرثاثة مثبتا بانها سيرة السلف يا هذا هيئتي هذه تقول الحمد لله الذي اغناني عن الناس والالتفات لما في ايديهم وهيئتك هذه تقول اعطوني شيا من دنياكم اصلح بها رثاثتي والقوم افعالهم دايرة مع الحكمة الربانية يدورون مع مرادهم رضي ربهم اذ الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما انتهي ما قاله سيدي علي وفا رحمه الله وهو كلام نفيس لا غرو في صدوره ممن جمع بين العلم والولاية وقد ورد في الحديث الصحيح الذي اخرجه مسلم والترمذي عنه صلي الله عليه وسلم من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا فقال ان الله جميل ذاتا وافعالا فقال رجل اي والعرب تصف الشي بفعل ما هو من سببه قاله الزمخشري ولله تعالي الجمال المطلق ومن احق بالجمال من كل جمال في الوجود من اثار صنعته فله جمال الذات وجمال الصفات ولولا حجاب النور لاحرقت سبحات وجهه ما انتهي اليه من خلقه يحب الجمال اي التجمل منكم في الهيئة او في قلة اظهار الحاجة لغيره وسر ذلك انه كامل في اسمايه وصفاته ويحب ظهور اثارها في خلقه فانه

من لوازم كماله وهو وتر يحب الوتر جميل يحب الجمال عليم يحب العلما جواد م
يحب الجود قوي يحب القوي فالمومن القوي احب اليه من الضعيف حيي يحب اهل
الحيا والوفا شكور يحب الشاكرين صدوق يحب الصادقين محسن يحب المحسنين
الي غير ذلك وعبر بالجمال دون الحسن لان الحسن انما يوصف به المفرد نحو خط
حسن فاذا اجتمع من ذلك جمل وصف صاحبها بالجمال فالحسن متعلق بالمفردات
والجمال بالمركبات ذكره السهيلي وغيره وبقية الحديث عند مسلم والترمذي
معا عقب قوله الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس بفتح الغين المعجمة واسكان
الميم وبالطا المهملة رواية مسلم ولفظ الترمذي غمص بالصاد المهملة بدل
الطا رواية مسلم ولفظ الترمذي غمص بالصاد المهملة بدل الطا كما بينه عياض
ومعناهما واحد اي احتقارهم قال الحافظ واخرج الطبري من حديث علي ان
الرجل يعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل في قوله
تعالي تلك الدار الاخرة الاية وقد جمع الطبري بينه وبين حديث ابن مسعود
بان حديث علي محمول علي من فعل ذلك ليتعاظم علي صاحبه لا من احب ذلك ابتهاجا
بنعمة الله ثم الرجل المبهم في حديث ابن مسعود هو سواد بن عمرو الانصاري
اخرجه الطبري من طريقه ووقع ذلك لجماعة غيره وللبيهقي من حديث ابي
سعيد ان الله جميل يحب الجمال ويحب ان يري اثر نعمته علي عبده ويبغض البوس
والتباوس **وفي الحديث الاخر** المروي عند ابن عدي عن ابن عمر رفعه
ان الله جميل يحب الجمال سخي يحب السخا **نظيف يحب النظافة** لان من تخلق
بشي من صفاته ومعاني اسمايه محبوب له مقرب عنده ونظافة الثوب والبدن
مطلوبة عقلا وشرعا وعرفا وتزيد في العين مهابة وفي القلب جلالة
وفي السنن الثلاثة لابي داود والترمذي والنساي وصححه الحاكم
وابن حبان **عن ابي الاحوص** بالحا والصاد المهملتين عوف بن مالك
الجشمي بضم الجيم وفتح المعجمة الكوفي مشهور بكنيته ثقة من اوسط التابعين
روي له مسلم والاربعة قتل في ولاية الحجاج علي العراق **عن ابيه** مالك بن
نضلة بفتح النون وسكون المعجمة ويقال بن عوف بن نضلة صحابي قليل الحديث
قال البغوي سكن الكوفة وروي حديثين **قال راني النبي صلي الله
عليه وسلم وعلي اطمار** كاحمال جمع طمر بزنة حمل **وفي رواية النساي
وعلي ثوب دون** اي حقير بدل اطمار **فقال هل لك من مال فقلت
نعم قال من اي المال** اي من اي نوع من انواعه **قلت من كل مال قد** بالمد
اعطي الله من الابل **قال فلتر نعمة وكرامته** اي اظهر اثرها **عليك**
بحسن الملابس والهيبة **وفي رواية النساي** وابي داود والترمذي
ايضا والحاكم كما في الجامع **قال** صلي الله عليه وسلم **اذا اتاك الله** بالمد **مالا**
اي شيا له قيمة يباع بها سمي مالا لانه يميل القلوب او لسرعة ميله اي زواله
قاله سفين الثوري قال النووي وهذه مناسبة معنوية والا فليس
مشتقا من ذلك فان عين المال واو والامالة من الميل يا ليا ومن شرط الاشتقاق

الاتفاق

الاتفاق في الحروف الاصلية **فلير** بالبنا للمجهول اي فلير الناس **اثر**
بالتحريك **نعمة الله عليك** اي سمة افضاله فان من شكر النعمة افشاها
كما في خبر **وكرامته** قال البغوي هذا في تحسين ثيابه بالتنظيف والتجديد
عند الامكان من غير مبالغة في النعومة والترفه ومظاهرة الملبس علي الملبس
علي عادة العجم والمترفهين **وفي حديث جابر بن عبد الله انه قال رأي**
رسول الله صلي الله عليه وسلم **رجلا شعثا** اي لم يتعهد نفسه بما يصلحه **قد
تفرق** انتشر **شعره فقال ما كان** اي اما كان كما هو الرواية فلعل الهمزة سقطت
من قلم المصنف **يجد هذا** الرجل الشعث **ما يسكن** بضم اوله وشد الكاف
به راسه اي شعر راسه اي يضمه ويلبده من نحو زيت فعبر بالسكون عن
ذلك والاستفهام فيه وفيما بعده للتوبيخ والغرض منه التشريع والحث علي النظافة
والاحتراز عن الرثاثة **وراي رجلا** اخر كما هو الرواية **عليه ثياب وسخة
فقال ما كان** بسقوط همزة الاستفهام سهوا والا فهي ثابتة في الرواية ايضا
يجد هذا الرجل الوسخ الثياب **ما يغسل به ثيابه** من نحو غاسول او صابون
كذا قاله بعضهم فالعنصر يعني شيا وضبطه بعضهم ما بالمد مثون قايلا
وفيه الامر بغسل الثوب اذا كثر وسخه ولو بالما فقط اذ به يزال الوسخ
والنجاسة ان كان فيه والاستفهام انكاري توبيخي اي كيف لا ينظف ويحسن
هيبته مع تيسر تحصيل الدهن والصابون وما يقوم مقامه مع انعدام الوجود
سهل التحصيل خفيف المونة والمنة قال الطيبي انكر عليه بذاذته لما يودي الي
ذلك واما خبر البذاذة من الايمان فاثبات للتواضع للمومن كما ورد المومن من
تواضع وليس بذليل وله العزة دون الكبر ومنه حديث ابي بكر انك لست
ممن يفعله خيلا فيستحب التنظف مؤكدا من الاوساخ الظاهرة علي الثوب
والبدن قال الشافعي من نظف ثوبه قل همه **رواه احمد** وابو داود وصححه
ابن حبان والحاكم قايلا علي شرطهما واقره الذهبي **وفي السنن** للترمذي
وقال حسن وصححه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاصي **مرفوعا ان
الله يحب ان يري اثر نعمته** اي انعامه **علي عبده** وله شاهد من
حديث ابي سعيد عند ابي يعلي اي بان يلبس ثيابا تليق بحاله من النفاسة
والنظافة ليعرفه المحتاجون للطلب منه مع مراعاة القصد وترك الاسراف جمعا
بين الادلة قاله في الفتح **فهو سبحانه يحب ظهور اثر نعمته علي عبده**
بمعني بسببه علي ذلك **فانه من الجمال الذي يحبه وذلك من شكره
علي نعمه وهو** اي الشكر **جمال باطن فيحب ان يري علي عبده
الجمال الظاهر بالنعمة والجمال الباطن بالشكر عليها ولاجل
محبته تعالي للجمال انزل علي عباده** اي خلق لهم **لباسا وزينة تجمل
به ظواهرهم وتقوي تجمل بواطنهم فقال تعالي يا بني ادم قد
انزلنا عليكم لباسا** اي خلقناه لكم باسباب من السما كالمطر لان به
تتكون الاشيا التي منها يحصل اللباس فصار كانه تعالي انزل اللباس اي

انزلنا اسبابه فعبر بالسبب عن المسبب يواري يستر سواتكم وريشا
وهو ما يتجمل به من الثياب لان الريش زينة للطاير كما ان الوريش زينة
للادميين ولذا قال الزجاج والوريش لباس الزينة استعير من ريش
الطير لانه لباسه وزينته ويحتمل انه عطف اي انزلنا لباسين لباسا
موصوفا بالموارة ولباسا موصوفا بالزينة وهذا اختيار الزمخشري
قال الطيبي انما عطف ريشا على لباسا ليوذن بان الزينة ايضا
غرض صحيح كقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وكما
ان ستر العورة مامور به كذلك اخذ الزينة مامور به قال تعالى خذوا
زينتكم عند كل مسجد ولباس التقوى العمل الصالح والسمت الحسن
بالنصب عطفا على لباسا والرفع مبتدا خبره ذلك خير ذلك من ايات
الله اي دلايل قدرته لعلهم يذكرون فيومنون وعبر التفات عن
الخطاب الى الغيبة وقال في اهل الجنة ولقاهم اعطاهم نضرة
حسنا واضاءة في وجوههم وسرورا وجزاهم بما صبروا اي بصبرهم
عن المعصية جنة ادخلوها وحريرا البسوه تجمل وجوههم
بالنضرة الحسن وبواطنهم بالسرور الفرح وابدانهم بالحرير
فهو سبحانه كما يحب الجمال من الاقوال والافعال واللباس والهيئة
يبغض بضم اليا وكسر الغين من ابغض على اللغة الفصحى وضم الغين
من بغض لغة رديئة كما في القاموس ووقع لبعضهم فيه وهم فاحذره ومر
التنبيه عليه القبيح من الاقوال والافعال كالسب والضرب والهيئة
فيبغض القبيح واهله ويحب الجمال واهله ولكن ضل لم يهتد
الى الصواب في هذا الموضع فريقان الفريق الاول فرقة قالوا
كل ما خلقه الله تعالى جميل فهو يحبه كما خلقه ويزعمون انه لو لم يحبه ما
خلقه ونحن نحب جميع ما خلقه فلا نبغض منه شيا قالوا ومن راى
الكاينات منه سبحانه راها كلها جميلة واحتجوا بقوله تعالى
الذي احسن كل شي خلقه بفتح اللام فعلا ماضيا صفة وبسكونها بدل
اشتمال ولا حجة لهم فيها لان المراد احسنه من حيث الايجاد فهو لا قد
عدموا الغيرة لله من قلوبهم متعلق بعدموا وعدموا البغض في الله
لانهم يحبون ابليس والكفار ونحوهم والله يبغضهم وانكار المنكر لحبهم
له فلا ننكر ونده والله تعالى ولتكن منكم امة يامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
واقامة الحدود فلزمهم تعطيل الشرع والفريق الثاني قالوا قد ذم
الله تعالى جمال الصورة وتمام القامة والخلقة اي سلامتها من
الافات فقال عن المنافقين واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لجمالها
وفي صحيح مسلم وسنن ابن ماجة من حديث ابي هريرة مرفوعا
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم لا يجازيكم

علي

على ظاهرها وفي رواية لمسلم ايضا الى اجسادكم ولا الى صوركم ولا الى
اموالكم الخالية عن الخيرات اي لا يثيبكم عليها ولا يقربكم منه وانما ينظر الى
قلوبكم التي هي محل التقوى واوعية الجواهر وكنوز المعرفة واعمالكم
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ومعنى النظر هنا الاختيار
بالرحمة والعطف ومعنى نفيه نفي ذلك فعبر عن الكاين عند النظر بالنظر
مجازا قالوا وقد حرم علينا لباس الحرير ولباس الذهب والفضة
بل واستعمال انية الذهب والفضة في نحو اكل وشرب وذلك
من اعظم جمال الدنيا وقال تعالى فلا تمدن عينيك اي لا تنظر الى ما
متعنا به ازواجا اصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا زينتها وبهجتها
باسكان الها وفتحها يعقوب وهما لغتان لنفتنهم فيه بان يطغوا اذ
بزيادة النعمة يزداد الطغيان ان الانسان ليطغى ان راه استغنى
فيحمل ذلك فتنة ونهي احب خلقه اليه عن النظر له وفي الحديث
الذي رواه احمد وابو داود وابن ماجة والحاكم عن ابي امامة قال
ذكر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عنده الدنيا فقال الا
تسمعون الا تسمعون ثم قال البذاذة بفتح الموحدة وذالين معجمتين
اي رثاثة الهيئة وترك الترفه وادامة التزين والتنعم في البدن والملابس
ايثار الخمول بين الناس من الايمان اي من اخلاق اهله ان قصد به تواضعا
وزهدا وكف نفس عن فخر وتكبر لا اظهارا فقر وصيانة مال فتعريض للنعمة
للكفران وتعريض بحق شكر واعراض عن شكر المنعم المنان ففهم هولا الفريق
الحديث على الاطلاق فضلوا وقد ذم الله تعالى المسرفين في غير ما اية
والسرف كما يكون في الطعام والشراب يكون في اللباس بقياس
المساواة وفصل النزاع بيننا وبين هولا الفريقين ان يقال
الجمال في الصورة بتحسينها بازالة الشعث واللباس بكونه ليس
حسنا لابسه والهيئة ثلاثة انواع منه ما يحمد ومنه ما يذم
ومنه ما لا يتعلق به مدح ولا ذم فهو جايز والمحمود منه ما كان لله
واعان على طاعة الله وتنفيذ اوامره والاستجابة له الاجابة
له كما كان صلى الله عليه وسلم يتجمل للوفود لملاقاتهم استمالة
على تنفيذ اوامر الله لما جرت به عادة البشر من انقيادهم لصاحب الهيئة
وقبول كلامه وهو نظير لباس الة الحرب للقتال لاعلا كلمة الله
وتخويف اعدايه ولباس الحرير في الحرب على قول من اجازه والخيلا
التبختر فيه واظهار العجب فان ذلك محمود اذ تضمن اعلا كلمة الله
الشهادة له بالوحدانية ولنبيه بالرسالة ونصر دينه وغيظ عدوه
والمذموم منه وهو النوع الثاني ما كان للدنيا والرياسة والفخر
والخيلا وان يكون هو غايته واقصى مطلبه فان كثيرا من الناس
ليس له همة فهو سوى ذلك المذكور وبسبب الهمة كما قال الشاعر هموا

اني رايت من المكارم حسبكم ان تلبسوا اخر الثياب وتشبعوا
واما ما لا يحمد ولا يذم وهو النوع الثالث فهو ما خلا عن هذين
الوصفين وتجرد عن هذين الوصفين فلا يحمد ولا يذم فهو
جايز والمقصود من هذا الحديث ان الله تعالى يحب من عباده
ان يجمل لسانه بالصدق بان لا يكذب لمجانبته للايمان وقلبه
بالاخلاص والمحبة والانابة الرجوع وجوارحه بالطاعة
فرضا ونفلا وبدنه باظهار نعمته عليه في لباسه بلبس الوسط
اللايق بمثله لا الفايق حدا ولا الدون وتطهيره له من الانجاس
والاحداث كما قال تعالى وثيابك فطهر وبازالة الشعور المكروهة
كالعانة والابط والختان للرجال والخفاض للنسا وتقليم الاظفار
وغير ذلك مما وردت به السنة الشريفة وعن جابر بن سمرة
ابن جنادة بضم الجيم بعدها نون السوائي بضم المهملة والمد صحابي ابن صحابي
نزل الكوفة ومات بها بعد سنة سبعين قال رايت النبي صلى الله عليه
وسلم في ليلة اضحيان بكسر الهمزة وسكون المعجمة وكسر المهملة
اي مقمرة منيرة لا ظلمة فيها او لا غيم من اولها الى اخرها قال الزمخشري
وافعلان في كلامهم قليل جدا وتنوينه منونة صفة لليلة وان كانت الفه
ونونه زايدتين كما في النهاية والقياس اضحيانة وكانه لنا ويل ليلة
بليل ومنع بعض اضافته لانه صفة للقمر اي ليلة قمر ضاح وتعقب
بانه لا يمنع من الاضافة لجواز ان ليلة مضافة الى اضحيان بعد حذف
موصوفه والاصل ليلة قمر اضحيان فحذف الموصوف واقيمت الصفة
مقامه فجعلت انظر اليه صلى الله عليه وسلم مرة والى القمر اخرى
لا نظر ايهما احسن في عيني وعليه حلة حمرا بيان لما اوجب التامل فيه
لمزيد حسنه حينيذ فاذا هو احسن عندي من القمر قيد بالعندية
نظرا باعتنايه بهذه القصة لا لتخصيصه واخراج غيره فانه
عند كل احد واجهه كذلك وفي رواية عند ابن الجوزي وغيره عن
جابر في عيني بدل عندي رواه الدارمي عبد الله بن عبد الله بن
الفضل بن بهرام السمرقندي ابو محمد الحافظ صاحب المسند ثقة متقن
روى عنه مسلم وابو داود والترمذي مات سنة خمس وخمسين
ومايتين وله اربع وسبعون والترمذي كلاهما من حديث ابن سمرة
وزعم النسايي ان اسناده الى جابر خطا انما هو مسند عن البرا
فقط وتعقب بان البرا الحديث صحيح عنه وعن البرا معا كما قاله
البخاري وقدم المصنف هذا الحديث في اول هذا المقصد قاصدا منه
مزيد جماله صلى الله عليه وسلم واعاده هنا لقوله وعليه حلة حمرا فلا
تكرار وعن عون بمهملة مفتوحة فواو ساكنة فنون بن ابي جحيفة
السوائي الكوفي روى عن ابيه وجماعة وعنه شعبة وسفين وغيرهما

ثقة

ثقة روى له الستة مات سنة بضع عشرة ومائة عن ابيه ابي جحيفة
وهب بن عبد الله السوائي بضم المهملة والمد ويقال اسم ابيه وهب
ايضا مشهور بكنيته ويقال له وهب الخير صحابي معروف وصحب عليا
ومات سنة اربع وسبعين قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم
في بطحا مكة في حجة الوداع كما صرح به عند البخاري وعليه حلة حمرا
هذا هو المقصود من سوق الحديث هنا كاني انظر الى بريق لمعان
مصدر لا بمعنى البروق والا لقال بريقي ساقيه وفيه جواز نظر ساق
الرجل وهو اجماع حيث لا فتنة قال سفين راوي هذا الحديث عن
عون قيل هو الثوري وقيل هو ابن عيينة اراه بالضم اظنه اي الثوب
حبرة وفي نسخة اراها على الاصل اي اظنها مخططة لا حمرا فيه
قاله لان مذهبه حرمة الاحمر الخالص لكن لم يجد لذلك مستندا يصلحه
للاستدلال به وتاويله فيه الصرف عن الظاهر والظن ليس بكاف
فيه وقول الشارح وذكره لما ياتي انه لم يكن احمر خالصا بل فيه خطوط
حمر فيه ان الاتي انما هو كلام ابن القيم لا دليل ويانى انه غلط واما
قوله عقب ذلك فلم يتامله سفين حق التامل لمهابة النبي صلى الله
عليه وسلم فظنه احمر فاحدى الكبر اذ يوهم ان سفين صحابي مع انه تابع
تابعي وعن البرا بن عازب بن الحرث بن عدي الانصاري الاوسي
صحابي بن صحابي نزل الكوفة وكان لدة بن عمر واستصغر يوم بدر
ومات سنة اثنين وسبعين قال ما رايت احدا من الناس احسن في
حلة حمرا قيد لبيان الواقع لا للتقييد من رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل هو الاحسن كما هو مفاد التفضيل عرفا وان صدق عرفا
بالتساوي لندرته بين شيين والغالب التفاضل فاذا نفي افضلية
احدهما تثبت افضلية الاخر نبه لا لته العرف مجازا او استعمالا للاخص
في الاعم رواهما اي حديثي ابي جحيفة والبرا الترمذي في الجامع
والشمايل وفي رواية البخاري ومسلم عن البرا قال كان صلى الله
عليه وسلم رجلا مربوعا رايته في حلة حمرا لم ار شيا اي احدا عبر
عنه بشيا منكرا مبالغة في التعميم والتاكيد فيشمل غير البشر ايضا
كالشمس والقمر قط بضم الطا ثقيلة على اشهر اللغات احسن منه
واتى بقط اشارة الى انه كان كذلك من المهد الى اللحد وفي رواية
لابي داود والترمذي ايضا كلاهما عن البرا قال ما رايت من زايدة
لتاكيد النفي والنص على استغراق جميع الافراد وبيانية اي احدا من
ذي صاحب لمة في حلة حمرا احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا مثله فهو احسن صورة قيل او سيرة او هما واستعد بقوله في
بقية الحديث له شعر يضرب منكبيه بعيد ما بين المنكبين لم يكن
بالقصير ولا بالطويل وقوله من ذي لمة بكسر اللام وشد الكاف

الميم اي شعر الراس دون ايما فل من الكلي الجمة بضم الجيم وتثقيل
الميم سميت بذلك لانها الممت بالمنكبين ولم تصل اليهما فاذا زادت
بان وصلت المنكبين فالجمة قال الحافظ الزين العراقي وردفي شعره
صلي الله عليه وسلم ثلاثة اوصاف جمة ووفرة ولمة فالوفرة مابلغ
شحمة الاذن واللمة ما نزل عن شحمة الاذن والجمة ما نزل عن ذلك الي
المنكبين هذا قول جمهور اهل اللغة وهو الذي ذكره صاحب المحكم والنهاية
والمشارق وغيرهم واختلف فيه كلام الجوهري فذكره علي الصواب في
مادة لمم فقال واللمة بالكسر الشعر المتجاوز شحمة الاذن فاذا
بلغت المنكبين فهي جمة وخالف ذلك في مادة وفر فقال والوفرة الي شحمة
الاذن ثم الجمة ثم اللمة وهي التي المت بالمنكبين وما قاله في باب الميم
هو الصواب الموافق لقول غيره من اهل اللغة انتهي وفي رواية النسائي
عن البرا ما رايت رجلا احسن في حلة حمرا من رسول الله صلي الله عليه
وسلم فاتفقت الروايتان عن البرا مع تعدد طرقهما علي وصف الحلة بانها
حمرا والمتبادر الحمرة الخالصة فدعوي عدمها بلا دليل غير مسموعة
قال في القاموس الحلة بالضم ازار ورد ا مثلا بردا وغيره
والاقمي وجدتو بان علي البدن كا ناحلة علي ما يفيده قوله ولا
يكون اي يوجد حلة الامن ثوبين او ثوب له بطانة وفي المصباح
الحلة لاتكون الاثوبين من جنس واحد والجمع حلل كغرفة وغرف وفي
الفتح قال ابو عبيد الحلل برود اليمن والحلة ازار ورد ا ونقله ابن الاثير
وزاد اذا كانا من جنس واحد وقال ابن سيدة في المحكم الحلة برد اوغيره
وحكي عياض ان اصل تسمية الثوبين حلة انهما يكونان جديدين كما
حل طيهما وقيل لايكون الثوب حلة حتي يلبس احدهما فوق الاخر
فاذا كان فوقه فقد حل عليه والاول اشهر انتهي وقال ابن القيم
وغلط من ظن انها كانت حمرا بحتا بفتح الموحدة وسكون المهملة
وفوقية خالصة لا يخالطها غيرها اي الحمرة وانما الحلة الحمرا اي
المراد بها هنا بردان يمانيان منسوجان وجملة بخطوط حمر مع
الاحمر الاسود حال من ضمير منسوجان كساير البرود اليمانية
وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط الحمر
فغلبت علي غيرها والا فالاحمر البحت الخالص ينهي عنه اشد
النهي فهو حرام ولكن يحتمل ان المبالغة في النهي لانه شعار المتكبرين
لا لحرمة ذاته وفي صحيح البخاري بمثلثة جمع ميثرة بكسر الميم وسكون
التحتية وفتح المثلثة ما حلل به الثياب وتطلق ايضا علي الاوطية
الحرير في حديث طويل عن البرا انه صلي الله عليه وسلم نهي
عن المياثر الحمر بمثلثة جمع ميثرة بكسر الميم وسكون التحتية وفتح
المثلثة ما حلل به الثياب وتطلق ايضا علي الاوطية الحرير كما في القاموس

وغيره فيحتمل انها من حرير فنهي عنها لاجله ويحتمل لحمرتها فلا حجة فيه
وفي صحيح مسلم عن ابن عمر قال راي النبي صلي الله عليه وسلم
علي ثوبين معصفرين مصبوغين بالمعصفر فقال ان هذا لباس الكفار
اي مما يلبسه فلا تلبسها حذرا من التشبه بهم فيما هو مخصوص بهم ومعلوم
ان ذلك المعصفر انما يصبغ صباغا احمر فالنهي عن لبسه نهي عن الاحمر
فيفيد حرمته والجواب انه انما نهي عنه لانه من لباس الكفار وكانوا كثيرا
فمحط النهي التشبه بهم وقد ارتفع ذلك فصار داخلا في عموم المباح قال
ابن القيم وفي جواز لبس الاحمر من الثياب والجوخ وغيرهما نظر
واما كراهته فشديدة فكيف يظن به صلي الله عليه وسلم انه لبس
الاحمر القاني بالقاف والنون اي الخالص وهذه من الكلمات التي انما تستعمل
تابعة كاصفر فاقع وابيض يقق واسود حالك كلا لقد اعاذه الله منه
وانما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمرا والله اعلم انتهي كلام ابن القيم
قال الشهاب ابن حجر المكي وما قاله هو الغلط لان حمل الحلة علي ما ذكره لا يشهد
له لغة ولا شرع فان زعم انه عرف ذلك الزمن قلنا له اين دليلك علي ذلك
وليس النهي عن المعصفر لمجرد الحمرة بل لما فيه من التشبه بالنسا فانه من
زينتهن وجدهن وليس في لبسه صلي الله عليه وسلم الاحمر القاني محذور
لانه لبيان الجواز فهو واجب عليه وان نهي عنه انتهي وقال النووي اختلف
العلما في الثياب المعصفرة وهي المصبوغة بعصفر فاباحها
جميع العلما من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وبه قال الامام الشافعي
وابو حنيفة ومالك لكنه قال غيرها افضل منها فهي خلاف الاولي
وزعم بعض ان الرواية عن مالك انما هي في المزعفر لا المعصفر فانسبه
علي النووي خطا صراحا لانه عنه روايتين احداهما الاباحة المستوية الطرفين
نقلها ابن العربي في كتابه الجامع واما الاحمر ومنه المعصفر والمزعفر فاجازه
مالك والشافعي وابو حنيفة وكره بعض العراقيين المزعفر للرجال
انتهي والثانية الكراهة وهي المشهورة في المذهب ففي المدونة تكره
مالك الثوب المعصفر المفدم للرجال في غير الاحرام انتهي والمفدم بضم وسكون
الفا وفتح الدال المهملة اللغوي الصبغ المشبع الذي رد في العصفر مرة بعد
اخري قال في التوضيح واما المعصفر غير المفدم والمزعفر فيجوز لبسهما
في غير الاحرام نص علي الاول في المدونة وعلي المزعفر في غيرها قال
مالك لا باس بالمزعفر لغير الاحرام وكنت البسه وفي رواية عنه انه اجاز
لباسها في البيوت وافنية الدور وكرهه في المحافل والاسواق
وغيرها كالمساجد وقال جماعة من العلما هو مكروه كراهة
تنزيه ومنهم مالك والشافعي في المعتمد من مذهبهما وحملوا النهي
الوارد في الصحيح عن انس نهي النبي صلي الله عليه وسلم ان يتزعفر
الرجل علي هذا المذكور من كراهة التنزيه لانه ثبت انه عليه

الصلاة والسلام لبس حلة حمرا فلبسه لبيان الجواز لا ينافي نهيه وابن القيم هو الغالط كما مر وروى ابو الشيخ وابن سعد من طريق علي بن زيد عن اسحق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن ابيه قال اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم حلة بسبع وعشرين ناقة فلبسها ولفظ ابن سعد اوقية ورجاله ثقات لكن علي واسحق فيهما كلام وفي الصحيحين من حديث ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم صبغ بالصفرة اي الورس كما في رواية ابي داود الآتية ولابن سعد عن بكر المزني كانت له ملحفة مورسة فاذا دار على نسائه رشها فالما وله عن قيس بن سعد اتانا صلى الله عليه وسلم فوضعنا له غسلا فاغتسل ثم اتيناه بملحفة ورسية فاشتمل بها فكاني انظر الى اثر الورس على عكنه بضم ففتح اي طيات بطنه وحمل بعضهم النهي على المحرم بالحج او العمرة لان الصبغ بنحو الورس من الطيب وقد نهي المحرم عنه وقد اتقن البيهقي المسئلة في كتاب معرفة السنن فقال نهى الشافعي الرجل عن المزعفر نهي كراهة واباح له المعصفر قال الامام الشافعي وانما رخصت في المعصفر لاني لم اجد احدا يحكي عنه صلى الله عليه وسلم النهي عنه الا ما قال علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نهاني ولا اقول نهاكم عن المعصفر اي فالنهي خاص به لمعنى اقتضاه في وقت النهي قال البيهقي وقد جاءت احاديث تدل على ان النهي على العموم الشامل للمعصفر ثم ذكر حديث مسلم السابق ثوبان هذه من لباس الكفار ومر الجواب عنه واحاديث غيرها ثم قال ولو بلغت هذه الاحاديث الشافعي لقال بها ان شاء الله تعالى اذ لا نسعه مخالفتها لكنه علق ذكر لاحتمال انها بلغته وابدا فيها قادحا ثم ذكر باسناده ما صح عن الشافعي انه قال اذا صح الحديث بخلاف قولي فاعملوا بالحديث ودعوا قولي وفي رواية مذهبي ومراده من سوقه ان يكون مذهبه النهي عن المعصفر ايضا قال البيهقي قال الشافعي وانهى الرجل الحلال بكل حال خاليا ومع الناس ان يتزعفر وخص الحلال لانه الذي يظن به لبس المزعفر ونحوه اما المحرم فلا يظن ذلك لانه طيب قال وامره اذا تزعفر ان يغسله ولا ينافيه ان المصطفى كان يصبغ ثيابه بالزعفران كما يأتي لانه لبيان الجواز كما مر او لانه لم يصبغ الثوب كله والنهي على كله قال البيهقي فتبع الشافعي السنة في المزعفر فمتابعتها في المعصفر اولى به لكثرة احاديثه الثابتة عند البيهقي على احاديث المزعفر انتهى كلامه ورايت في فتاوى شيخنا العلامة قاسم احد ائمة الحنفية في زمانه ومحققها كراهته للتحريم مع صحة الصلاة فيه واستدل له بما ذكرته من الاحاديث التي فيها النهي عند ابقائها على ظاهرها وبما في حديث

طاوس بن كيسان اليماني عند الحاكم وقال على شرطهما عن ابن عمرو ابن العاصي قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وعلي ثوب معصفر وصبغه احمر كما مر قال من اين لك هذا قال صبغته لي اهلي حليلتي قال احرقه بكسر الهمزة وفتحها مقطوعة قال القاموس حرقه بالنار واحرقه وحرقه بمعنى فاحرقته فاحترق والغرض منه الزجر فقط لا الامر بحرقه حقيقة لانه اضاعة مال انتهى كلام قاسم وعن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس برده الاحمر في العيدين والجمعة ليبين حل لبس ذلك فيهما ففيه رد على محرم لبس الاحمر القاني وزعم بان المراد بالاحمر هنا ما هو ذو خطوط تحكم بلا دليل كما مر فكان الشارح لم ير كلام المكي وقال على ذا الحديث لعله فعل ذلك في الجمعة في بعض الاحيان لبيان الجواز فيها وان لبس البياض فيها افضل لا واجب وعن يحيى بن عبد الله بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ مثلث الباء ثيابه بالزعفران قميصه بالنصب بدل من ثيابه ورداءه وعمامته رواها الدمياطي وفي الاول تقصير فقد رواه البيهقي في السنن عن ابن عمر بلفظه وهو اي الثاني عند ابي داود بلفظ يصبغ بالورس بفتح الواو وسكون الراء آخره سين مهملة نبت يصبغ به والزعفران ثيابه حتى عمامته فصرح في الحديثين بان الصبغ للثياب ولذا رجح عياض في حديث ابن عمر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة يعني ثيابه وقيل شعره لما في السنن ايضا كان يصفر بها لحيته واجيب باحتمال انه مما يتطيب به لا انه كان يصبغ بها لحيته وكذا رواه من حديث زيد بن اسلم العدوي وام سلمة وابن عمر بن الخطاب لكن يعارضه ما في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم نهى عن التزعفر وهل النهي لرائحته او للونه تردد ولفظ الصحيح نهى ان يتزعفر الرجل وما ساقه هنا لفظ النسائي وهو مطلق فيحمل على المقيد بالرجل ومر قريبا جوابه بان نهيه لا يخالف فعله لانه للكراهة والفعل لبيان الجواز واما حديث عمران عند الطبراني اياكم والحمرة فانها احب الزينة الى الشيطان ففي اسناده ضعف وحديث رافع بن خديج انه صلى الله عليه وسلم راى الحمرة قد ظهرت فكرهها رواه احمد لا يدل على التحريم لحمل الكراهة على التنزيه والله اعلم بالحق واما صفة ازاره صلى الله عليه وسلم فعن ابي بردة بضم الموحدة وراء ودال مهملة الحارث او عامر ابن ابي موسى الاشعري قاضي الكوفة وهو ثقة نبيل ومن ذريته ابو الحسن الاشعري مات سنة اربع ومائة وقيل غير ذلك وقد جاوز الثمانين انه قال اخرجت الينا عائشة كساء من صوف ملبدا كما ياتي وازارا غليظا صفة ازارا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه

وسلم في هذين وكان لبسه‌ما تواضعا او اتفاقا لا عن قصد اذ كان يلبس
ما وجد رواه البخاري في فرض الخمس والللباس ومسلم وابو داود والترمذي
وابن ماجة في اللباس وفي رواية عند مسلم موصولة والبخاري تعليقا
عن ابي بردة قال اخرجت الينا عايشة ازارا غليظا مما يصنع باليمن
وكسا من هذه التي تدعونها بتحتية وفوقية وفي مسلم يسمونها
الملبدة بضم الميم وفتح اللام والموحدة المشددة وفي رواية للبخاري
في الخمس اخرجت لنا عايشة كسا ملبدا قال ابن الاثير في النهاية اي
مرقعا بضم الميم وفتح الرا وشد القاف يقال لبدت القميص البده
ولبدته بالتخفيف ويقال للخرقة التي يرقع بها صدر القميص
اللبدة بالكسر وقيل الملبد الذي ثخن وسطه وصفق
بضم القاف صفاقة فهو صفيق خلاف سخيف حتى صار يشبه اللبد
بالكسر وزان حمل ما يتلبد من شعر او صوف واللبدة اخص منه كما في المصباح
وروى مسلم من حديث عايشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذات غداة او ضحوة وذات مقحمة للتاكيد اي خرج في ساعة
من ضحوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود وقدم المصنف هذا الحديث
ناسبا للترمذي الا ان في هذا زيادة مرحل فلذا اعاده والمرط بكسر الميم
واسكان الرا كسا من صوف او خز يؤتزر به والخز اسم دابة ثم اطلق
على الثوب المتخذ من وبرها كذا في المصباح اي وبر تلك الدابة وصرح تفسير
المصنف كالقاموس والمصباح ان استعماله في الشعر مجاز اذ الصوف والخز خلاف
الشعر والمرحل بتشديد الحا المهملة المفتوحة المعظم هو الذي فيه
صور الرحال جمع رحل قال في القاموس في مادة رحل وكمعظم برد
فيه تصاوير رحل بمهملة قال وتفسير الجوهري اياه بازار خز
فيه علم غير جيد انما ذكر تفسير المرحل بالجيم فالتبس عليه قال في مادة
رجل ثعبتي بالجيم وبرد مرجل كمعظم فيه صور الرجال بالجيم انتهى
وقال النووي الذي رواه الجمهور وضبطه المتقنون من اتقن
بالحا المهملة اي عليه صور رحال الابل ولا يرد كيف لبس ما فيه صورة
وقد نهى عن التصوير لانه لا باس بهذه الصور وانما يحرم تصوير
الحيوان التام الخلق وقال الخطابي المرحل بمهملة الذي فيه خطوط
والله اعلم بحقيقته وعن عروة بن الزبير احد الفقها فهو مرسل ان
طول ردا النبي صلى الله عليه وسلم اربعة اذرع وعرضه ذراعان
وشبر وبابن لم يعزوه لتخريج الدمياطي وقد رواه ابو الشيخ في الاخلاق
النبوية عن عروة بلفظ وعرضه ذراعان وشبر قال الحافظ العراقي
وفيه ابن لهيعة وعن عروة ايضا ان ثوب رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي كان يخرج فيه الى الوفد القادمين عليه ردا
اخضر في طول اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر وعن معن

ابن

ابن عيسى بن يحيى الاشجعي مولاهم المدني القزاز ثقة ثبت قال ابو
حاتم هو اثبت اصحاب مالك مات سنة ثمان وتسعين ومائة قال احدثنا محمد
ابن هلال المدني صدوق توفي سنة اثنتين وستين ومائة قال رايت على
هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي احد ملوك بني امية برد النبي صلى
الله عليه وسلم من حبرة بزنة عنبة له حاشيتان وعن عمر بن الخطاب
قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ازار يتقعقع
اي يصوت عبدرة بعضه على بعض لجدته وعن يزيد بتحتية فزاي ابن
ابي حبيب الازدي مولاهم المصري بالميم عالمها تابعي ثقة فقيه وكان
يرسل واسم ابيه سويد وكان يزيد حبشيا من العلما الحكما مات سنة ثمان
وعشرين ومائة انه صلى الله عليه وسلم كان يرخي الازار اي ازاره
من بين يديه ويرفعه من ورايه حال المشي لئلا يصيبه قذر او شوك
وهذه الصفة ابتزاره وقد رواه ابن سعد عن يزيد بلفظه وعن ابن عباس
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتزر تحت سرته وتبدو
تظهر سرته ورايت عمر بن الخطاب يأتزر فوق سرته رواها كلها
الدمياطي الحافظ ابو محمد عبد المومن بن خلف الشهير فصل ترجم
به لانه ليس من صفة الازار وعن اسما بنت ابي بكر الصديق مما رواه
عنها مولاها قالت انها اخرجت لنا جبة طيالسة نوع من الثياب
لها علم وفي رواية كسروانية وفي لفظ كسروانية لها لبنة ديباج
وفرجاها مكفوفان وفي رواية وفرجيها مكفوفة بالديباج اي عمل
على جيبها وكميها وفرجيها كفاف من حرير وكفة كل شي بالضم طرفه وحاشيته
قالت وهذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عند عايشة
فلما قبضت ماتت رضي الله عنها قبضتها اي اخذت الجبة وكان النبي
صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى وفي رواية للمريض
منا اذا اشتكى نستشفي نطلب الشفا بها لمخالطتها لعرقه وبدنه بسبب
لبدنه رواه مسلم وقوله جبة طيالسة باضافة جبة الى
طيالسة لا بالتنوين وكسروانية بكسر الكاف وفتحها والسين
ساكنة والرا مفتوحة نسبة الى كسرى ملك الفرس بكسر الكاف
وفتحها فيهما في كسروانية على اللغتين في المنسوب اليه ولبنة بكسر
اللام واسكان البا الموحدة رقعة اي قطعة حرير في جيب القميص
ولو جيد برا ولبس المزاد انها جعلت فيه لا صلاح خلله وفيه من الفقه جواز
لبس ما له فرجان وانه لا كراهة فيه وان المراد بالنهي عن الحرير
المتمحض الخالص منه وانه لبس المراد تحريم كل جزء منه بخلاف
الخمر والذهب فانه يحرم كل جزء منهما على الرجال في الذهب قاله
النووي في شرح مسلم لطيفة قيل لما كان صلى الله عليه وسلم لا
يبدو ويظهر منه الاطيب كان اية علامة ذلك في بدنه جسده الشريف

انه لا ينفسخ له ثوب فما انسخ له ثوب قط ولم يقمل بفتح الميم ثوبه قط
اي لم يوجد فيه شي من قمل وان كانت المادة لتكثير وقال ابو الربيع سليمان
ابن سبع باسكان الموحدة وقد نظم في كتاب الشفا والسبتي بفتح السين
وسكون الموحدة ففوقية نسبة الي سبتة مدينة بالمغرب وجزم الرشاطي
بان سبته بالفتح والذي ينسب اليها السبتي بالكسر قاله في التبصير في اعذب
الموارد واطيب الموالد لم يكن القمل يوذيه لعدم وجوده في ثيابه تعظيما
وتكريما له صلي الله عليه وسلم علي نحو علي لاحب لا يهتدي لمناره ويرشد
الي هذا ان لفظ ابن سبع لم يكن فيه قمل لانه نور ولان اصله من العفونة ولا
عفونة فيه واكثره من العرق وعرقه طيب لكن يشكل عليه ما رواه احمد
والترمذي في الشمايل عن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلي
الله عليه وسلم يفلي ثوبه بفتح التحتية وسكون الفا ثم لام من فلي يفلي
كرمي يرمي يفتشه ويحلب شاته زاد في رواية ابي نعيم ويخدم نفسه
وفي رواية لاحمد وابن حبان يخيط ثوبه ويخصف نعله ولابن سعد ويرقع
ثوبه ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم وفي رواية له يعمل عمل البيت واكثر
ما يعمله الخياطة ومن لازم التفلي وجود شي يوذيه في الجملة اما
قملا او برغوثا او نحو ذلك فدعوي انه لم يكن القمل يوذيه مدفوعة ويمكن
ان يجاب بان التفلي لاستقذار ما علق بثوبه الشريف من غيره ولو لم
يحصل منه اذي في حقه صلي الله عليه وسلم وهذا فيه بحث لان اذي
القمل هو غذاوه من البدن علي ما اجري الله العادة واذا امتنع الغذا
لا يعيش الحيوان عادة واجاب شيخنا بانه لم يجعل التفلية لازالة
القمل الحاصل من غيره بل لازالة القذر الحاصل في ثوبه ولا يلزم ان يكون
حيوانا وبتقديره فيجوز انه فلي ثوبه قبل مضي مدة لا يصبر الحيوان فيها
علي عدم التغذي ونقل الفخر الرازي ان الذباب لا يقع علي ثيابه قط
وانه لا يمص دمه البعوض وهذا ايضا من جملة اللطيفة ونقب
ذلك كله بعضهم بعدم ثبوته واما الطيلسان وهو بفتح الطا واللام
علي الاشهر الافصح بزنة فيعلان وحكي عياض والنووي والمجد كسر اللام
وضمها وفيه لغة طالسان بالالف حكاها ابن الاعرابي واحدة الطيالسة
والهاء في الجمع للعجمة اي انهم جمعوه علي لغة العجم لانه فارسي معرب
قال المجد اصله تالشان ويجمع ايضا علي طيالس بلا ها كما قال البطليوسي
قال ابن قرقول شبه الاردية يوضع علي الراس والكتفين والظهر وهو الساج
ايضا بسين مهملة فالف فجيم وجمعه سيجان وقال ابن خالويه في
شرح الفصيح يقال الطيلسان الاخضر الساج وقال هشام ابن عمار
هو الطيلسان الاسود وسوي بينهما القاموس فقال الساج الطيلسان
الاخضر والاسود وفي النهاية الساج الطيلسان المدور وفي المغرب
للمطرزي هو من لباس العجم مدور اسود وقولهم في الشتم يا ابن الطيلسان

يعني

يعني انك اعجمي وفي المجمل لابن فارس الطاق بمهملة فالف فقاف الطيلسان
وفي القاموس الطاق ما عطف من الابنية جمعه طاقات وطيقان وضرب من
الثياب والطيلسان او الاخضر انتهي فاخطاس قال صوابه اطلاق الطيلسان
فقال ابن القيم لم ينقل عنه صلي الله عليه وسلم انه لبسه ولا احد من اصحابه
بل ثبت في صحيح مسلم من حديث النواس بفتح النون والواو الثقيلة
فالف فمهملة بن سمعان ابن خالد الكلابي او الانصاري الصحابي المشهور
سكن الشام له في مسلم والاربعة عن النبي صلي الله عليه وسلم انه ذكر
الدجال فقال يخرج ومعه سبعون الفا من يهود اصبهان عليهم الطيالسة
جمع طيلسان كما مر وراي انس جماعة عليهم الطيالسة بمسجد البصرة فقال
ما اشبههم بيهود خيبر اخرجه البخاري عن ابي عمران قال نظر انس الي
الناس يوم الجمعة فراي طيالسة فقال كانهم الساعة يهود خيبر قال في
الفتح وعند ابن خزيمة وابي نعيم ان انسا قال ما شبهت الناس اليوم في
المسجد وكثرة الطيالسة الا بيهود خيبر والذي يظهر ان يهود خيبر كانوا
يكثرون من لبس الطيالسة وكان غيرهم من الناس الذين شاهدهم انس
لا يكثرون منها فشبههم بيهود خيبر ولا يلزم منه لبس الطيالسة وقيل
انكر الوانها لانها كانت صفرا انتهي وتعقبه العيني فقال اذا لم يفهم منه
الكراهة فما فايدة تشبيهه اياهم باليهود في استعمال الطيالسة ومن
قال من العلما انه كره الوانها حتي يعتمد عليه ومن قال ان يهود ذلك الزمان
كانوا يستعملون الصفر من الطيالسة وكيف سلمنا ذلك فلم يكن تشبيه انس
لاجل اللون وقد روي الطبراني عن ام سلمة ربما صبغ صلي الله عليه وسلم
رداه وازاره بزعفران او ورس ثم يخرج انتهي وهذا علي عادته في التحامل
علي الحافظ فمطلق التشبيه لا يستلزم الكراهة لاحتمال الذي استظهره
انه تشبيه في مطلق المخالفة للناس واما انكاره القول الذي حكاه بانه
لالوانها فمن قصوره او مكابرة فمن حفظ حجة واما حديث ام سلمة
فهو لبيان ان نهيه عن التزعفر للكراهة لا التحريم قال ابن القيم ومن
هنا كرهه جماعة من السلف والخلف لما روي ابو داود والحاكم
في المستدرك باسناد فيه مقال لكن قال في الفتح سنده حسن عن ابن
عمر عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال من تشبه بقوم اي تزيا
في ظاهره بزيهم وفي تعرفه بفعلهم وفي تخلقه بخلقهم وسار بسيرتهم
وهديهم في ملبسهم وبعض افعالهم اي والتشبه حق طابق فيه الباطن
الظاهر فهو منهم وقيل معناه من تشبه بالصالحين وهو من اتباعهم
اكرم كما يكرمون ومن تشبه بالفساق يهان ويخذل قال القرطبي لو خص
اهل الفسق والمجون بلباس منع لبسه لغيرهم فقد يظن به من لا يعرفه
انه منهم فيظن به ظن السوء فيأثم الظان والمظنون فيه بسبب العون
عليه وعلي التفسير الاول فالقصد منه الزجر والتنفير لا حقيقة ذلك اذ

للكنيسة الزنار بنحو يذهب لم ان
التزيي بزي الكفار حرام لارده
وفي الترمذي وضعفه عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رفعه ليس
منا اي من العاملين بهدينا والجارين على منهاج سنتنا من تشبه بغيرنا
في نحو ملبس وهيئة وماكل ومشرب وكلام وترهب وتبتل ونحو ذلك
واما ما جا في حديث الهجرة في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم
جا الى ابي بكر متقنعا قال الحافظ اي مطيلسا راسه وهو اصل في لبس
الطيلسان بالهاجرة اي في الهاجرة فانما فعله فعله صلى الله عليه
وسلم تلك الساعة ليختفي بذلك للحاجة ولم يكن عادته التقنع
اي تغطية الراس واكثر الوجه بردا او غيره وقد ذكر انس فيما رواه
الترمذي في الشمايل والبيهقي عن انس عنه صلى الله عليه وسلم انه كان
يكثر القناع اي استعماله اذ هو بكسر القاف اوسع من المقنعة والمراد
تغطية واكثر الوجه بردا او غيره وهذا انما كان يفعله للحاجة
من حر ونحوه كالبرد وفي هذا الحصر نظر فقد قيل سبب اكثاره
انه قد علاه من الحيا من ربه ما لم يحصل لبشر قبله ولا بعده وما ازداد
عبد بالله الا ازداد حيا فحيا كل عبد بقدر علمه بربه فالحيا ذكره اليعمري منبع
الحيا ومحله وهو العين والفم وهما من الراس والحيا من عمل الروح وسلطانه
في الراس ثم هو ينتشر في جميع البدن فاهل اليقين قد ابصروا بقلوبهم
ان الله يراهم فصارت جميع الامور لهم معاينة فهم يعبدون ربهم كانهم يرونه
وكلما شاهدوا عظمته ومنته زادوا حيا فاطرقوا رؤسهم اجلالا فقنعوها
حيا ومن زعم ان المراد بالقناع خرقة تلقى على الراس تقي العمامة
من نحو دنس لم يحم حول الحمى بل خاض في البحر وهو في غاية الظما قال
شيخ الاسلام الولي ابن العراقي في شرح تقريب الاسانيد
التقنع معروف وهو تغطية الراس بطرف العمامة او بردا
او نحو ذلك انتهى وقال السيوطي هو الطيلس وقال ابن الحاج في
المدخل واما قناع الرجل اي تقنعه او استعماله فهو ان يغطي
راسه بردايه ويرد طرفه على احد كتفيه انتهى واحترز به عن
قناع المراة فانه خرقة لطيفة تجعلها على راسها واما قول ابن
القيم انه عليه الصلاة والسلام فعل ذلك للحاجة فيرد عليه
حديث ابن سعد انه عليه الصلاة والسلام كان يكثر القناع
رواه البيهقي في الشعب والترمذي ولكن له شاهد فللبيهقي
في الشعب ايضا وابن سعد في طبقاته من حديث انس بلفظ
يكثر التقنع ويكثر دهن راسه ويسرح لحيته بالما فهذا وما اشبهه
يرد قول ابن القيم انه لم ينقل عنه عليه الصلاة والسلام انه
لبسه ومما يشابهه قول ابن مسعود كان اذا انزل عليه الوحي اشتد ذلك
عليه وعرفنا ذلك منه فتنحى خلفنا وجعل يغطي راسه بثوبه فاتانا

فاخبرنا

20

فاخبرنا انه قد انزل الله عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا وقول ابن عباس
خرج صلى الله عليه وسلم مسقفا متقنعا بثوبه فقال يا ايها الناس ان
الناس يكثرون والانصار يقلون فمن ولي منكم امرا ينتفع منه احدا
فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم رواهما احمد وغيره وروى ابو
عبيد في الغريب انه صلى الله عليه وسلم مر على ابل سمان فتقنع بثوبه
ثم قرا لا تمدن عينيك الاية وفي طبقات ابن سعد مرسلا ذكر الطيلسان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثوب لا يؤدى شكره وفيه احاديث
كثيرة واما قوله ولا احد من الصحابة غيره ما اخرجه الترمذي
وصححه والحاكم في المستدرك بسند على شرط الشيخين عن مرة
ابن كعب او كعب بن مرة كما هو الرواية ولبس شكا بل ايما الى انه
يقال له الامران وكعب بن مرة قول الاكثر البهزي السلمي بضم السين
المهملة سكن البصرة ثم الاردن ومات سنة بضع وخمسين وحاصله انه
صحابي واحد اختلف في ان اسمه كعب واسم ابيه مرة او اسمه مرة وابوه
كعب ويقال هما اثنان احدهما الذي سكن البصرة وروى عنه اهلها والثاني
سكن الشام كما بينه في الاصابة بما يطول قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر فتنة فقربها اي اشار الى قرب وقوعها فمر رجل
مقنع في ثوب وفي لفظ بردايه فقال هذا يومئذ اي يوم وقوع
الفتنة على الهدى فقمت فاذا هو عثمان بن عفان رضي الله تعالى
عنه فهذا صحابي من اجلا الصحابة تقنع وراه المصطفى كذلك واقره
ورواه ابو يعلى وابن عساكر صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر واصحابه
تحت المنبر وابو بكر متقنع في القوم فهذا خبر الصحابة تقنع بحضرة المصطفى
واقره وروى ابن عساكر ان عمر تقنع في خلا منه يوم عيد واخرج ابن
سعيد بن منصور في سننه عن ابي العلا قال رايت الحسن بن علي
يلبس الطيالسة بكسر اللام واخرج ابن سعد ايضا عن عمارة بضم
العين والتخفيف ابن زاذان بزاي وذال المنقوطتين الصيدلاني البصري
صدوق كثير الخطا قال رايت على الحسن طيلسانا اندقيا بفتح الهمزة
واهمال الدال نسبة الى اندق قرية بسمرقند وقرية بمرو كما في القاموس
وغيره فهؤلا اربع من الصحابة تطيلسوا واما التابعون فنبيت عن طاووس
وعمر بن عبد العزيز والحسن البصري اخرجه ابن سعد عنهم ومسروق وابراهيم
النخعي وسعيد بن المسيب عند ابن ابي شيبة ومحمد بن واسع عند ابن عساكر
وميمون بن مهران عند احمد في زوايد الزهد وروى البيهقي عن خالد بن خراش
قال جيت مالك بن انس فرايت عليه طيلسان فقلت يا ابا عبد الله هذا شي
احدثته ام رايت الناس عليه قال لا بل رايت الناس عليه والاثار عن السلف
في ذلك كثيرة واما ما ذكر ابن القيم من قصة اليهود الخارجين مع
الدجال ويهود خيبر فقال الحافظ ابن حجر انما يصلح الاستدلال به في

الوقت الذي تكون الطيالسة من شعارهم خاصة وقد ارتفع
ذلك في هذه الازمنة فصار داخلا في عموم المباح قل من حرم زينة
الله التي اخرج لعباده وقد ذكره العز بن عبد السلام في امثلة البدع
المباحة فاصاب وكفي به حجة وقد يصير من شعار قوم فيصير تركه من
الاخلال بالمروة فيرتقي عن الاباحة الي الطلب وقيل انما انكر انس
الوان الطيالسة لانها كانت صفرا وقد صح النهي عن الصفرة ولا ينافيه
لبسه صلي الله عليه وسلم الورس لانه لبيان ان النهي للكراهة فقط والله اعلم
علي ان الحافظ السيوطي قال في الاحاديث الحسان بعد كلام فتبين من هذا ان كل
من وقع في كلامه من العلما كراهة الطيلسان وكونه شعار اليهود انما اراد المقور
الذي علي شكل الطرحة يرسل من ورا الظهر والجانبين من غير ادارة تحت
الحنك ويغطي الراس ولا القا لطرفيه علي الكتفين واما المربع الذي يدار من
تحت الحنك ويغطي الراس واكثر الوجه ويجعل طرفاه علي الكتفين فلا خلاف انه سنة
انتهي ومن خط نقلت واما الخاتم ففي الصحيحين في اللباس عن ابن عمر
ابن الخطاب ان رسول الله صلي الله عليه وسلم اتخذ خاتما من ورق بكسر
الرا وفي رواية من فضة وكان اتخاذه سنة سبع كما جزم به ابن سيد الناس وجزم
غيره بانه في السادسة وجمع الحافظ بانه كان في اواخر السادسة واوايل السابعة
لانه انما اتخذه لما اراد المكاتبة للملوك في مدة الهدنة من قريش وكانت في ذي
القعدة سنة ست ورجع الي المدينة في الحجة ووجه رسله للملوك في المحرم فاتخذه
قبل توجيه الرسل وكان صانع الخاتم يعلي بن منية بضم الميم وسكون النون وفتح
التحتية وهو اسم امه واسم ابيه امية روي الدارقطني وغيره عن يعلي بن منية
قال انا صنعت للنبي صلي الله عليه وسلم خاتما لم يشركني فيه احد نقش فيه
محمد رسول الله فكان في يده ثم في يد ابي بكر الصديق ثم في يد عمر مدة
خلافتهما ثم كان في يد عثمان ست سنين من خلافته حتي وقع من عثمان
كما في البخاري في بير اريس بهمزة مفتوحة فرا مكسورة فتحتية ساكنة فسين
مهملة حديقة بالقرب من مسجد قبا قال المصنف لا ينصرف علي الاصح وقال
الكرماني الاصح الصرف فامر عثمان بنزح البير فلم يوجد ومعني كونه في يده انهم
كانوا يلبسونه فيه كما قاله النووي التبرك باثار الصالحين ولبس ملابستهم
ويويده رواية البخاري عن ابن عمر فلبس الخاتم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان حتي وقع
من عثمان في بير اريس ومعني في يده في تصرف فلا يلزم منه لبسه فانه كان عند
معيقيب جعله ابو بكر امينا عليه كما رواه ابو داود وغيره وجمع بانهم كانوا
يلبسونه احيانا للتبرك ومقره عند معيقيب في بير اريس قال الحافظ
وهذا يدل علي ان نسبة سقوطه الي عثمان نسبة مجازية او بالعكس
وان عثمان طلبه من معيقيب فختم به شيا واستمر في يده وهو مفكر في شي يعبث
به فسقط في البير او رده اليه فسقط منه والاول هو الموافق لحديث انس وللنساي
عن ابن عمر وفي يد عثمان ست سنين فلما كثرت عليه الكتب دفعه الي رجل من الانصار

فكان

فكان يختم به فخرج الانصاري الي قليب لعثمان فسقط منه فالتمس فلم يوجد انتهي
فان كان المراد بالانصاري معيقيب فالمعني الاعم اذ هو مهاجري والا خالف رواية
مسلم وزاد في رواية ابي داود والنساي فاتخذ عثمان خاتما ونقش فيه محمد رسول
الله فكان يختم به وله شاهد من مرسل علي بن الحسين عند ابن سعد في الطبقات
وفي الصحيح عن انس كان خاتم النبي صلي الله عليه وسلم في يده وفي يد ابي
بكر بعده وفي يد عمر بعد ابي بكر فلما كان عثمان جلس في بير اريس فاخرج
الخاتم فجعل يعبث به فسقط فاختلفنا ثلاثة ايام مع عثمان فنزح البير فلم يجده
قال الحافظ وغيره كان ذلك في السنة السابعة من خلافته ومن يومئذ انتقض
امر عثمان وخرج عليه الخوارج وكان ذلك مبدا الفتنة التي افضت الي قتله
واتصلت الي اخر الزمان قال بعض العلما فكان في هذا الخاتم النبوي من السر
شي مما كان في خاتم سليمان لانه لما فقد خاتمه ذهب ملكه قال ابن بطال يوخذ
منه ان قليل المال يجب البحث في طلبه والاجتهاد في تفتيشه وقد فعل صلي الله
عليه وسلم لما ضاع عقد عايشة وحبس الجيش علي طلبه حتي وجد قال الحافظ
وفيه نظر فاما عقد عايشة فقد ظهر اثر ذلك بالفايدة العظيمة التي نشات عنه
وهي رخصة التيمم فكيف يقاس عليه غيره واما فعل عثمان فلا حجة فيه اصلا
لان الظاهر انه انما بالغ في التفتيش عليه لكونه اثر النبي صلي الله عليه وسلم
قد لبسه واستعمله وختم به ومثل ذلك يساوي عادة قدرا عظيما من المال ولو
كان خاتم غيره صلي الله عليه وسلم لاكتفي في طلبه بدون ذلك وبالضرورة
يعلم ان المونة التي حصلت في الايام الثلاثة تزيد علي قيمة الخاتم لكن اقتضت
صنعته عظم قدره فلا يقاس عليه ما ضاع من المال اليسير انتهي والثاني
واضح واما الاول فاقامة النبي صلي الله عليه وسلم علي الناس العقد لم تكن
لترقب الثمرة فيه الحجة قال ابن بطال وفيه ان من فعل الصالحين العبث
بخواتيمهم وما يكون بايديهم وليس ذلك بعايب لهم قال الحافظ وانما كان كذلك
لان ذلك من مثلهم انما ينشا عن فكر وفكرتهم انما هي في الخير قال الكرماني معني
يعبث به يحركه او يخرجه من اصبعه ثم يدخله فيها وذلك صورة العبث وفيهما
اي الصحيحين ايضا عن انس بن مالك ان النبي صلي الله عليه لبس خاتم
فضة فيه فص حبشي اي حجر من الحبشة جزع او عقيق وكان يجعل فصه
مما يلي كفه لانه ابعد عن الزهو والاعجاب ليقتدي به لكن لما لم يامر به جاز
جعله في ظاهر الكف وقد عمل السلف بالوجهين والكف مونثة سميت بذلك لانها
تكف اي تدفع عن البدن وقد تسمح المصنف في العزو للصحيحين فالذي في
البخاري عن انس كان خاتمه من فضة فصه منه وفي مسلم كان فصه حبشيا وبانه
للمصنف الايضاح بذلك واما ما كان يجعل فصه الي اخره فاتفقا عليه من حديث ابن
عمر في خاتم الذهب لا انس في الفضة واخرج احمد والنساي والترمذي
وابو داود والبزار في مسنده عن بريدة بن الحصيب بمهملتين مصغر
كبريدة ان النبي صلي الله عليه وسلم راي في يد رجل خاتما من حديد

فقال مالي اجد اي اشم منكرا او منك بمعني عندك ريح الاصنام كذا في
النسخ وفيها سقط فالمروي عند الجماعة المذكورين انه راي رجلا وعليه خاتم
من حديد فقال مالي اري عليك حلية اهل النار فطرحه الحديث واشبه بفتح
الهمزة والموحدة ضرب من النحاس قال الخطابي انما قال ذلك لان الاصنام كانت
تتخذ منه وقوله حلية اهل النار اي زي الكفار فكرهه لذلك اولرائحته ثم قال له
بعدما جاءه وعليه خاتم من ذهب فقال مالي اري عليك حلية اهل الجنة فطرحه
وقال يا رسول الله من اي شي اتخذه قال اتخذه من فضة وفي رواية من
ورق ولا تزده علي مثقال وفي رواية ولا تتمه مثقالا بكسر فسكون درهم
وثلاثة اسباع درهم قال ابن الاثير وهو في الاصل مقدار من الوزن اي شي
كان قل او كثر فمعني مثقال ذرة وزنها وقد اختلف العلما في جوازه لبسه
اي الخاتم في الجملة فاباحه كثير من اهل العلم من غير كراهة ولو مع
قصد زينة علي ظاهره لان قصده لا يمنع اتباع السنة في اصل لبسه ومنهم
من كرهه اذا قصد به الزينة لانه قصد شي ومنهم من كرهه الا لذي
سلطان سلطنة عظمي فما دونها لحديث ابي داود والنسائي عن ابي
ريحانة شمعون بفتح المعجمة وعين مهملة ويقال معجمة ابن زيد الازدي حليف
الانصار ويقال مولي النبي صلي الله عليه وسلم صحابي شهد فتح دمشق
وقدم مصر وسكن بيت المقدس ان النبي صلي الله عليه وسلم نهي عن
لبس الخاتم الا لذي سلطان اي من له سلطنة علي شي ما بحيث يحتاج الي
الختم به لا السلطان الاكبر خاصة ولا حجة فيه لانه ضعيف كما ياتي ولانه عليه
الصلاة والسلام انما اتخذه لحاجة ختم الكتب التي يبعثها الي
الملوك كما في حديث انس في الصحيحين انه صلي الله عليه وسلم كتب
الي كسري ملك الفرس وقيصر ملك الروم والنجاشي ملك الحبشة فقيل
له وعند ابن سعد فقالت قريش انهم لا يقبلون كتابا الا بخاتم عليه
صونا لاسرارهم ان تنتشر وصيانة للتدبير ان لا ينخرم فصاغ خاتما
اي امر بصياغته اذ الصايغ يعلي بن امية كما مر ونقش فيه محمد رسول الله
ثلاثة اسطر كما ياتي وانما لبسه ابو بكر لاجل ولاية الخلافة فانه
كان يحتاج اليه لختم الامثلة والاحكام والرسايل الي امرا الامصار
وغير ذلك كما كان صلي الله عليه وسلم يحتاج اليه وكذلك عمر وعثمان
كانا يحتاجان اليه وحكي ابن عبد البر عن طايفة من العلما كراهة
لبسه مطلقا ولو لذي سلطان احتجاجا بحديث انس انه صلي الله
عليه وسلم نبذه ولم يلبسه وفي الشمايل للترمذي عن ابن عمر
انه صلي الله عليه وسلم اتخذ اي اقتني خاتما من فضة فكان يختم به
الكتب التي يرسلها للملوك ولا يلبسه وياتي الجواب عن هذا المصنف
بانه لعله الذي كان من حديد ملوي عليه فضة واجيب ايضا بان
المراد بنفي اللبس علي الدوام اي لا يلبسه دايما بل غبا فلا ينافي خبر كان

يلبسه

يلبسه في يمينه ولا خبر كان اذا دخل الخلا نزع خاتمه ونحو ذلك وبان
له خاتمين للختم وهو الذي كان لا يلبسه والثاني كان يلبسه او المراد
لم يلبسه اولا حين اتخذه للختم ثم لبسه اشارة الي انه اتخذه الة
تستعمل وبان معناه لم يلبسه حين الختم كما يفعله الاعاجم يختمون وهم لابسون
للخاتم واستبعد وفي الصحيحين من حديث ابن شهاب قال حدثني
انس بن مالك انه راي في يده صلي الله عليه وسلم خاتما من
ورق اي فضة يوما واحدا وللنسائي عن ابن عمر اتخذ النبي صلي الله
عليه وسلم خاتما من ذهب فلبسه ثلاثة ايام فان قلنا ان قوله من ورق
سهو وصوابه من ذهب فيجمع بان قول انس يوما واحدا ظرف لرواية انس
لا لمدة اللبس وقول ابن عمر ثلاثة ايام ظرف لمدة اللبس وان قلنا لا
وهم فيها جمعنا بان مدة لبس خاتم الذهب ثلاثة ايام ومدة خاتم الفضة
يوم واحد كما قال انس ولا ينافيه رواية البخاري ايضا سيل انس هل
اتخذ النبي صلي الله عليه وسلم خاتما كما قال اخر ليلة صلاة العشا الي
ان قال فكاني انظر الي وبيص خاتمه لحمله علي انه راه في تلك الليلة
كذلك واستمر في يده بقية يومها ثم طرحه في اخر ذلك اليوم ذكره
الحافظ ثم ان الناس اصطنعوا الخواتيم من ورق ولبسوها
فطرح رسول الله صلي الله عليه وسلم خاتمه حين راهم اتخذوا خواتيم
للزينة او لكونهم شاركوه فطرح الناس خواتيمهم التي نقشوها علي
نقشه وحينيذ عاد صلي الله عليه وسلم فلبسه حتي مات والصواب
القول الاول وهو الاباحة لذي سلطان وغيره فان لبس النبي صلي
الله عليه وسلم الخاتم انما كان في الاصل لاجل المصلحة لختم
الكتب التي يرسلها الي الملوك ثم استدام لبسه وذلك ظاهر
في الجواز المطلق ولبسه اصحابه معه ولم يكونوا اصحاب سلطنة ولم
ينكره عليهم بل اقرهم فدل ذلك علي الاباحة المجردة عن الحاجة
للختم به واما حديث النهي عن الخاتم الا لذي سلطان فقال ابن
رجب الحافظ عبد الرحمن الشهير الحنبلي ذكر بعض اصحابنا ان احمد
ضعفه وهو من ايمة الحديث فلا حجة فيه وفي فتح الباري وقد
سيل مالك عن حديث ابي ريحانة فضعفه وقال سال صدقة بن يسار
سعيد بن المسيب فقال البس الخاتم واخبر الناس اني قد افتيتك الخ
واما ما جا في حديث الزهري عن انس المذكور عن الصحيحين قريبا
انه صلي الله عليه وسلم لبسه يوما واحدا ثم القاه فقد اجيب
عنه بثلاثة اجوبة احدها انه وهم غلط من الزهري علي جلالته
واتقانه وسهو جري علي لسانه لفظ الورق فعبر به وانما
الذي لبسه يوما واحدا ثم القاه كان من ذهب كما ثبت ذلك
من غير وجه اي ازيد من طريق في حديث ابن عمر وانس ايضا

الذي رواه هو عنه وهذا الجواب نقله القاضي عياض عن جميع اهل الحديث
وتبعه النووي وقال الكرماني لا يجوز توهيم الراوي اذا امكن الجمع وليس في
الحديث ان الخاتم المطروح كان من ورق بل هو مطلق فيحمل على خاتم الذهب او
على ما نقش عليه نقش خاتمه اي الذي اتخذه ليختم به الى الملوك لئلا تفوت
مصلحة نقش اسمه بوقوع الاشتراك ويحصل الخلل فيكون طرحه له غضبا
ممن تشبه به في ذلك النقش وطرح الناس خواتمهم التي نقشوها على نقشه
ثم عاد فلبسه حتى مات انتهى والثاني محتمل واما الاول فبعيد جدا اذ قوله
فطرح خاتمه بعد قوله من ورق ظاهر في انه المراد لا الذهب على انه مسبوق
بقول الحافظ وحاصله انه جعل الموصوف في قوله فطرح خاتمه فطرحوا
خواتيمهم خاتم الذهب وان لم يجر له ذكر قال عياض وهذا يسوغ لو جاءت
الرواية مجملة ورواية ابن شهاب لا تحتمل هذا التاويل واما النووي
فارتضاه وقال هذا هو التاويل الصحيح وليس في الحديث ما يمنعه الثاني
ان الخاتم الذي رمى به رمى به عليه الصلاة والسلام لم يكن كله
فضة وانما كان حديدا عليه فضة ويدل على ذلك انه قد روى
ابو داود عن معيقيب بضم الميم وفتح العين المهملة ثم اسكان
التحتية ثم قاف مكسورة ثم مثناة تحت اخرى ساكنة ثم موحدة
الصحابي ابن ابي فاطمة الدوسي حليف بني عبد شمس من السابقين
الاولين هاجر الهجرتين وشهد المشاهد وولي بيت المال لابي بكر وعمر
وتوفي في اخر خلافة عثمان وقيل في خلافة علي سنة اربعين وله
عقب كان به جذام وكان على خاتم النبي صلى الله عليه وسلم قال
كان خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من حديد ملوي عليه فضة
واسناد هذا الحديث جيد كما بان فلعل هذا هو الذي لبسه يوما
واحدا ثم طرحه واطلق عليه انه من ورق لكون بعضه منه فلا وهم ولعله
هو الذي كان يختم به ولا يلبسه واستبعد باقتضائه تعدد الخاتم
واجيب بانه ضروري حتى لا تتخالف الروايات الثالث انما كان طرحه
لئلا يظن انه سنة مسنونة فانهم اتخذوا الخواتيم لما راوه قد
لبسه فبين بطرحه انه ليس بمشروع اي واجب ولا سنة بل مباح مخير
ان الخاتم من حيث هو لا بالنظر لخصوص ما لبسه المصطفى يكون تارة
من فضة وتارة من ذهب وتارة من حديد وتارة من صفر
بضم فسكون صنف من جيد النحاس ورصاص ولم يفصح به فيما يأتي
او نحوها كالمتخذ من ياقوت وتارة من عقيق فاما الذهب اي حكمه
من جوازه وعدمه ففي الصحيحين من جملة حديث طويل عن البراء بن
عازب قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خاتم الذهب
اي عن لبسه وانية الفضة ذكر هذا لا قصدا بل لاشتمال الحديث
عليه وفيهما ايضا في كتاب اللباس والنسائي في الزينة عن ابي هريرة

عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى الرجال نهي تحريم عن لبس خاتم
الذهب وفيهما ايضا في اللباس عن ابن عمر عبد الله انه صلى الله
عليه وسلم اتخذ خاتما من ذهب اي امر بصياغته فصيغ له او وجده
مصوغا فاتخذه ولبسه فجعله في يمينه وجعل فصه مما يلي
باطن كفه لانه ابعد من الزينة والاعجاب واصون للفص لكن لما لم يامر
بذلك جاز جعله في ظاهر الكف وقد عمل السلف بالوجهين فاتخذ
الناس خواتيم الذهب اي صاغوها مثل خاتمه قال البراء فصعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم المنبر فالقاه فعل ذلك زيادة في
اظهار تجنبه ونهى عن التختم بالذهب ولم يقتصر على الالقاء لانه
بمجرده لا يدل على الحرمة ولم يقل نهى عنه لئلا يتوهم عود الضمير على
خصوص الخاتم الذي القاه وهو اي التحريم المستفاد من النهي مذهب
الايمة الاربعة مالك والشافعي وابي حنيفة واحمد ذكرهم بعد قوله
الاربعة تبركا واكثر العلماء رضي الله عنهم ورخصت سهلت فيه
طائفة من بين انواع ما يتخذ من ذهب منهم اسحاق بن راهويه وقال
ان خمسة من اصحابه عليه الصلاة والسلام خواتيمهم من ذهب
وفصلهم بقوله قال مصعب بن سعد بن ابي وقاص الزهري المدني
ثقة من رجال الجميع مات سنة ثلاث ومائة رايت على طلحة بن عبيد الله
وسعد بن ابي وقاص مالك الزهري وصهيب بن سنان احد السابقين
خواتيم الذهب وعن حمزة بن ابي اسيد بضم الهمزة وفتح السين
المهملة الانصاري الساعدي المدني صدوق روى له البخاري وابو
داود وابن ماجة والزبير بن المنذر بن ابي اسيد وقد ينسب الى
جده صدوق روى له البخاري انهما نزعا من يد ابي اسيد مالك بن
ربيعة شهد بدرا وغيرها ومات سنة ثلاثين وقيل بعد ذلك حتى قال
المدايني مات سنة ستين قال وهو اخر من مات من البدريين خاتما
من ذهب حين مات وكان بدريا والظاهر انهم لم يبلغهم النهي
او حملوه على التنزيه البخاري في تاريخه وروى النسائي عن
سعيد بن المسيب قال قال عثمان لصهيب مالي ارى عليك
خاتم الذهب فقال قد رآه من هو خير منك فلم يعبه قال من هو
ليستفهم لاحتمال انه اراد العمرين او احدهما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والظاهر انه راه قبل النهي ثم يحتمل انه بلغه او حمله على
التنزيه فهو لا اربعة ولم يذكر المصنف الخامس وذكره الحافظ وقال
واغرب ما ورد من ذلك ما جاء عن البراء الذي روى النهي فاخرج ابن ابي
شيبة بسند صحيح عن ابي السفر قال رايت على البراء خاتما من ذهب
وعن شعبة عن ابي اسحق نحوه اخرجه البغوي في الجعديات واخرج احمد
من طريق محمد بن مالك قال رايت على البراء خاتما من ذهب فقال قسم رسول

الله صلى الله عليه وسلم فتنما فالبسنيه فقال البس ما كساك الله ورسوله
قال الحازمي اسناده ليس بذاك ولو صح فهو منسوخ قلت لو ثبت النسخ
عند البراء ما لبسه بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى حديث النهي المتفق
على صحته عنه فالجمع بين روايته وفعله اما بان يكون حمل النهي على التنزيه
او فهم الخصوصية له من قوله البس ما كساك الله ورسوله وهذا اولى من قول
الحازمي لعل البراء لم يبلغه النهي ويؤيد الاحتمال الثاني ان في رواية احمد كان
الناس يقولون للبراء لم تختم بالذهب وقد نهى عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيذكر لهم هذا الحديث ثم يقول كيف تامروني ان اضع ما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم البس ما كساك الله ورسوله انتهى واما خاتم الفضة
فاباحه كثير من العلما اباحة مستوية الطرفين فلا ينافيه حكاية غيره
بالاجماع على الجواز لانه يصدق بالكراهة التي قال بها بعضهم ولبسه النبي
صلى الله عليه وسلم وجماعة من الصحابة قال الرافعي يجوز للرجل
التختم بالفضة وكذا قال النووي في الروضة وغيرها
بجوازه وكتب اصحابنا طافحة مملوة بجوازه من طفح الاناء اذا امتلا
حتى فاض والمراد كثر القول في كتبهم بالجواز المستوي وروى ابو داود
وصححه ابن حبان من حديث بريدة بضم الموحدة بن الحصيب بضم
الحا وفتح الصاد المهملتين واسكان التحتية وموحدة قال الغساني
وصحفه بعضهم فقال بفتح الخا المعجمة وتقدم ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال للابس خاتم الحديد مالي ارى عليك حلية اهل النار
اي ما يتزين به اهلها فطرحه وقال يا رسول الله من اي شي اتخذه
قال اتخذه من ورق فضة ولا تتمه مثقالا بكسر مسكون درهم
وثلاثة اسباع درهم واخرجه ايضا النساي والترمذي وقال
غريب واخرجه احمد وابو يعلى في مسنديهما والبزار في مسنده
والضيا في الاحاديث المختارة مما ليس في الصحيحين وصرح ابن
تيمية والزركشي وغيرهما بتصحيح الضيا اعلى من تصحيح الحاكم ورجاله
رجال الصحيحين الا عبد الله بن مسلم السلمي المروزي قاضيها
المعروف بابي طيبة بفتح الطا المهملة فتحتية ساكنة فموحدة وهو محدث
مشهور قال في التقريب صدوق يهم من الثامنة وتصحيح ابن حبان
لحديثه دال على قبوله وكذا الضيا فاقل احواله ان يكون من
درجة الحسن فتقوم به الحجة والاصل في النهي كونه للتحريم
ولان الاصل في استعمال الفضة للرجال التحريم الا ما رخص
فيه فاذا احد فيه حدا وجب الوقوف عنده فيجب نقصه عن
مثقال وان قل النقص ليخرج عن النهي ونفي ما عداه على الاصل
فلو نقص في ميزان وتم في اخر لم يجز على هذا القول قاله شيخنا وقد
قال ابن الرفعة في باب ما يكره لبسه من كتاب الكفاية ويشبه

ان

ان ننقص وزنه عن مثقال لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم راى رجلا وساق الحديث المذكور وقوله ينبغي يصلح
للوجوب وغيره لاستعمالها في الامرين وحمله عليه اي الوجوب اولى
ساق الحديث مساق اي سوق الاحتجاج لهذا الحكم فلا يصرف
النهي عن حقيقته الا بصارف وظاهر صنيع ابن الملقن في
شرح منهاج النووي يقتضيه فانه قال في زكاة النقد روى
في ابي داود وصحيح ابن حبان من حديث بريدة انه عليه الصلاة
والسلام قال لذلك الرجل وذكر الحديث اي حديث بريدة فساقه
سوق الفروع التي لا خلاف فيها بين الاصحاب حيث لم يقيده لمعنى
وظاهر ذلك تحريم المثقال وفي القوت للاذرعي بفتح الهمزة والرا
وسكون الذال المعجمة نسبة الى اذرعات بكسر الرا ناحية بارض الشام
لم يتعرض اصحابنا الشافعية لمقدار الخاتم ولعلهم اكتفوا بالعرف
فما خرج عنه كان اسرافا كما قالوا في الخلخال بفتح الخا للمراة
ونحوه وهذا هو الذي اعتمده متاخروا الشافعية رمليهم والهيتمي
والصواب الضبط بما نص عليه في الحديث وليس في كلامهم
ما يخالفه هذا الضبط وهو يشير الى هذا الحديث اي حديث
بريدة اتخذه الخ وكذا مشى عليه ابن العماد في التعقبات
وعبارته واذا جاز لبس الخاتم فشرطه ان لا يبلغ به مثقالا
للحديث انتهى وحاصل تطويله ان النهي للتحريم عند ابن الرفعة
وابن الملقن وابن العماد لكن قال الحافظ العراقي في شرح الترمذي
ان النهي في قوله ولا تتمه مثقالا محمول على التنزيه
فيكره ان يبلغ به وزن مثقال والصارف له عن التحريم لم يذكره
قال وفي رواية ابي داود في رواية صاحب المعالم هو الخطابي
حمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب البستي الحافظ المشهور والمعالم شرحه
لابي داود وسماه معالم السنن عنه اي عن ابي داود بواسطة لانه
رواها عن ابي سعيد بن الاعرابي وابي بكر بن داسة عن ابي داود
ولا تتمه مثقالا ولا قيمة مثقال وليست هذه الزيادة في
رواية ابي علي محمد بن احمد اللؤلؤي لسنن ابي داود ونسبة الى بيع
اللؤلؤ ومعنى هذه الزيادة انه ربما وصل الخاتم بالنفاسة
في صنعته الى ان يكون قيمة مثقال وان لم يبلغ وزنه فهو داخل في
النهي ايضا على هذه الزيادة وقد افتى السراج العبادي بانه
يجوز ان يبلغ به مثقالا وان ما زاد عليه حرام ففي فتواه حمل
النهي على التنزيه والمعتمد من مذهب مالك ندب الخاتم الفضة ان قصد
اتباع السنة في لبسه لا لمباهاة او زينة وانه يجوز كونه درهمين لا
ازيد واما خاتم الحديد فاخرج ابو داود في سننه وفي نسخة

في الخاتم من سننه والبيهقي في شعب الايمان والادب وغيرهما من
طريقه اي ابي داود والنسائي في كتاب الزينة من سننه وابن حبان
في صحيحه المسمي بالانوار والتقاسيم كلهم من حديث بريدة بن الحصيب ان
رجلا جا الي النبي صلي الله عليه وسلم وعليه خاتم من شبه وهو بفتح
المعجمة والموحدة واسكانها وكسر المعجمة التي هي الشين فهما لغتان نوع
من النحاس كانت الاصنام تتخذ منه وسمي بذلك لشبهه بالذهب
لونا فقال مالي اجد منك ريح الاصنام فضمن اجد معني اشم
واطلق علي الاثر الذي يدركه منه ريحا مجازا فطرحه ثم جا وعليه خاتم
من حديد فقال مالي اري عليك حلية اهل النار اي زي الكفار فطرحه
وقال من اي شي اتخذه قال اتخذه من ورق ولا تتمه مثقالا وهذا الحديث
ذكره المصنف ثلاث مرات لاختلاف غرضه منه فذكره مبدا بحث الخاتم مختصرا
اسنده لالا علي كون كراهة كونه من حديد او نحاس فهو حديث
واحد والرجل الجائي واحد بلا شك ويجوز انه غيره خطا وتصرف فيه المصنف
بلا اختصارا ولا فلا يصح دعوي ان الراوي لم يذكر خاتم النحاس لعدم سماعه
من المصطفي لانها من عدم الوقوف علي الحديث واخرجه الترمذي لكن قال
من صفر بضم الصاد المهملة واسكان الفاء وبالرا بدل من شبه وهما بمعني
وهو نوع من جيد النحاس وروي عند ابن عدي عن ابن عباس اراد صلي الله
عليه وسلم ان يكتب الي الاعاجم يدعوهم الي الله فقال رجل انهم لا يقرءون
كتابا الا مختوما فامر ان يعمل له خاتم من حديد فقال له جبريل انبذه من
اصبعك فنبذه وامر بخاتم من نحاس فقال له جبريل انبذه فنبذه وامر بخاتم
يصاغ له من ورق فجعله في اصبعه فاقره جبريل قال النووي في
شرح المهذب قال صاحب الابانة هو الفوراني يكره الخاتم من
حديد او شبه وتابعه صاحب البيان فقال يكره الخاتم من حديد
او رصاص او نحاس لحديث بريدة المذكور وقال صاحب التتمة
هو المتولي لا يكره الخاتم من حديد او رصاص لحديث الصحيحين
عن سهل بن سعد ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال للذي يخطب
لم يسم الواهبة من نفسها للنبي صلي الله عليه وسلم وهي خولة بنت حكيم
او ام شريك او غيرها علي ما تقدم في الزوجات حيث قالت جيت لاهب
لك نفسي فنظر صلي الله عليه وسلم اليها وصوب اي خفض راسه فلما طال
مقامها قال رجل زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة قال عندك شي تصدقها
قال لا شي قال انظر شيا فذهب ثم رجع فقال والله ان وجدت شيا قال
اطلب وفي رواية التمس ولو كان المطلوب او الملتمس خاتما من حديد
فاصدقها اياه او فانه حسن او جائز فكان واسما وجوب لو قال
ولو كان فيه كراهة لم ياذن فيه فدل علي جواز التختم به بلا كراهة وتعقب
بانه لا يلزم منه جواز اللبس فيحتمل انه اراد وجوده لتنتفع المراة بقيمته

وفي

وفي سنن ابي داود باسناد جيد اي مقبول عن معيقيب بضم
الميم وعين وقاف بعد كل تحتية موحدة وقيل بحذف اليا الثانية تقدم
قريبا وبعيد اي الكاتب الصحابي كان خاتمه عليه الصلاة والسلام
من حديد ملوي عليه فضة وفي كتاب الاحجار للتيفاشي خاتم الفولاد
مطردة للشيطان اذا لوي عليه فضة والمختار انه لا يكره لهذين
الحديثين وقال النووي في شرح مسلم في الكلام علي حديث المراة
الواهبة نفسها وفي هذا الحديث جواز اتخاذ خاتم الحديد وفيه خلاف
للسلف بالجواز والكراهة حكاه القاضي عياض في شرح مسلم ولاصحابنا
الشافعية في كراهته وجهان اصحهما لا يكره لان الحديث في النهي عنه
ضعيف انتهي كلام النووي واعترض تضعيفه للحديث بتصحيح ابن
حبان والضيا وغيرهما له فاعتذر عنه المصنف بانه تضعيف حقيقي لا نسبي
فقال ولعل تضعيف النووي للحديث انما هو بالنسبة الي مقاومة
حديث سهل بن سعد في الصحيحين وغيرهما في قصة الواهبة
نفسها لا مطلقا فمعني التضعيف تقديم حديثهما عليه علي القاعدة في تقديم
مرويهما عند التعارض علي غيره وان كان صحيحا او حسنا كيف يتوهم انه ضعفه
مطلقا اي حقيقة وله في ذلك شواهد عدة ان لم ترفعه الي درجة
الصحة لم تدعه ينزل عن درجة الحسن قال بعض فضلا الشافعية
وهذا الاعتذار جري فيه علي عادة اهل القرن العاشر من الانتصار لكلام
النووي كيف ما كان والانصاف ان خبر النهي صالح للكراهة التنزيه
وحديث الصحيحين بيان للجواز منها فلا معارضة ولذا رجح المالكية كراهة
الحديد ونحوه وانما يقدم خبر الشيخين عند تحقق المعارضة واما خاتم
العقيق كالمرجز واحمر يكون باليمن وبسواحل بحر رومية جنس كدر
كما يجري من اللحم المملح وفيه خطوط بيض خفية من تختم به سكنت روعته
عند الخصام وانقطع عنه الدم من اي موضع ونحاتة جميع اصنافه تذهب
حفر الاسنان ومحروقه يثبت متحركها الواحدة بها والجمع عقايق قال القاموس
فعن انس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال تختموا بالعقيق
واليمين احق بالزينة وهذا رواه ابن عساكر وفي سنده مجهول
بل قال في اللسان هو موضوع بلا ريب لكن لا ادري من وضعه وقال في الميزان
فيه حسين بن ابراهيم البابي راويه عن حميد عن انس وحسين لا يدري
من هو فلعله من وضعه وروي عند ابن عدي من طريق حسين المذكور عن
حميد عن انس بلفظ فانه ينفي الفقر قيل اراد به اتخاذ خاتم فصه
من عقيق وقال ابن الاثير يريد انه اذا ذهب ماله باع خاتمه فوجد به غني
انتهي وورد بزيادة الديلمي عقب ينفي الفقر واليمين احق بالزينة وبحديث
علي تختموا بالخواتيم العقيق فانه لا يصيب احدكم غم ما دام عليه رواه
الديلمي وفيه داود بن سليمان كذبه ابن معين فدل السياق علي ان المراد

حقيقة التختم وهو جعله في الاصبع ولذا قال بعضهم الاشبه اذ صح الحديث
ان يكون لخاصية فيه كما ان النار لا تؤثر فيه ولا تغيره وان من تختم به امن
الطاعون ويتيسر له امور المعاش ويقوي قلبه ويهابه الناس ويسهل
عليه قضاء الحوائج قال السخاوي وكل هذا ممكن في العقيق لو صح وقد قال
ابن عدي راويه حديث باطل والحسين مجهول ومن ثم حكم ابن الجوزي بوضعه
واقره السيوطي في مختصره وروي ليعقوب بن ابراهيم بن عبد الله
الازدي نزيل بغداد له في الترمذي وابن ماجة يعني عن هشام عن عروة
عن ابيه عن عايشة كما رواه ابن عدي والبيهقي في الشعب من طريق
قال السخاوي وطريقه وتسمية ابيه ابراهيم تحريف على بعض رواته وانما
هو الوليد كما اخرجه ابن عدي ايضا مرفوعا تختموا بالعقيق فانه
مبارك اي كثير الخير والضير للتختم او نفس العقيق او المكان والاول
هو المتبادر لان البركة تتبع الفعل اذ هو المحصل لها ويكفي في البركة نفي
الفقر اللازم معه نفي الهم اللازم معه الصحة ويعقوب متروك بل كذبه
احمد وابو حاتم وغيرهما قال الزركشي وروي تختموا بتحتية اي اسكنوا
العقيق واقيموا به وقال حمزة بن حسن الاصبهاني الرواه يروونه
تختموا وانما هو تخيموا وهو اسم واد بظاهر المدينة قال ابن الجوزي وهذا
بعيد وقايله احق ان ينسب اليه التصحيف لما ذكرنا من طرق الحديث انتهى
لكن قال الحافظ حمزة معذور وقاذ اقرب طرق هذا الحديث كما تقتضيه
كلام ابن عدي رواية يعقوب المذكورة وهذا الوصف بعينه قد ثبت لوادي
العقيق في حديث عمر عند البخاري في الحج سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
بوادي العقيق اتاني الليلة ات من ربي فقال صل في هذا الوادي المبارك
انتهى وقال في زهر الفردوس يؤيد قول الاصبهاني ما اخرجه البخاري بلفظ
اتاني جبريل فقال صل في هذا الوادي المبارك يعني العقيق وقال عمدة
في حجة وفي الفتح روى احمد عن عايشة تخيموا بالعقيق فانه واد مبارك
وهو بمعجمة وتحتية امر بالتخييم اي النزول به وروى ابو بكر بن شعيب
عن مالك عن الزهري عن عمرو بن الشريد عن فاطمة رضي الله تعالى عنها
مرفوعا من تختم بالعقيق لم يزل يرى خيرا اخرجه ابن حبان في الضعفا
وقال ابن شعيب يروي عن مالك ما ليس من حديثه لا يحل الاحتجاج به
ولذا قال وهذا ايضا لا يثبت قال السخاوي وهو عند الطبراني وابي
نعيم وغيرهما من طرق سواه ومع ذلك فهو باطل وكذا اورد فيه احاديث
غير هذه كحديث عمر تختموا بالعقيق فان جبريل اتاني به من الجنة وقال
تختم به ومر امتك ان تختم به رواه الديلمي وهو موضوع وحديث علي
من تختم بالعقيق ونقش فيه وما توفيقي الا بالله وفقه الله لكل خير واحبه
الملكان الموكلان به وهذا كذب قاله السخاوي وكلها كما قال الحافظ
ابن رجب لا تثبت وان كثرت طرقها وقال العقيلي لا يصح في التختم

بالعقيق عن النبي صلى الله عليه وسلم شي وما رواه المطرزي في اليواقيت
ان ابراهيم الحربي سيل عنه فقال انه صحيح وقال يروى ايضا بالتحتية اي اسكنوا
العقيق واقيموا به فغير معتمد بل المعتمد بطلانه قاله السخاوي قال السيوطي
في مختصر الموضوعات وامثل ما ورد في هذا الباب حديث البخاري في تاريخه
من تختم بالعقيق لم يقض له الا بالتي هي احسن انتهى فهذا اصل اصيل فيه روى
ابو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله بن فنجويه بفتح الفا وسكون النون
وضم الجيم وسكون الواو وفتح التحتية اخره فوقية روى السني عن ابن
السني هكذا يعبره المحدثون كنظائره لانهم لا يحبون ويه واهل الادب يفتحون
الجيم والواو ويسكنون اليا في كتاب الخواتيم له باسناد ضعيف عن
علي مرفوعا من تختم بالياقوت الاصفر منع الطاعون واسناده ضعيف
تكرار بلا فايدة وحديث تختموا بالزبرجد فانه يسر لا عسر فيه موضوع
قاله الحافظ وحديث تختموا بالزمرد فانه ينفي الفقر رواه الديلمي ولا يصح
ويروى في الخاتم الذي فصه من ياقوت انه ينفي الفقر ولا يصح ايضا قاله
السخاوي واما فص بتثليث الفا ووهم الجوهري في جعله الكسر لحنا كما في
القاموس نعم قال ابن السكيت والفارابي انه ردي خاتمه صلى الله عليه
وسلم فاختلف هل كان منه ام من غيره واذا اردت معرفة ذلك فروى انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم اتخذ خاتما من فضة زاد ابو داود او دله
كله فحديث معيقيب كان خاتمه من حديد ملوي عليه فضة يحمل على التعدد
جمعا بين الروايتين قاله المصنف تبعا للحافظ فصه منه اخرجه البخاري
وغيره كابي داود من رواية حميد عن انس قال العراقي لم ينقل كيف كانت صفة
الخاتم امربعا ام مثلثا او مدورا الا ان التربيع اقرب الى النقش فيه وحميد
الراوي سيل عن ذلك فلم يدر كيف كان انتهى وقال ابن بطال ليس كون نقش
الخاتم ثلاثة اسطرا وسطرين افضل من كونه سطرا واحدا قال الحافظ قد
يظهر اثر الخلاف في انه اذا كان سطرا واحدا يكون الفص مستطيلا للضرورة
كثرة الاحرف فاذا تعددت الاسطر امكن كونه مربعا او مستديرا وكل منهما اولى
من المستطيل وفي صحيح مسلم والسنن من طريق ابن شهاب عن انس ان
خاتمه صلى الله عليه وسلم كان من ورق وكان فصه حبشيا قال النووي
قال العلما يعني حجرا حبشيا اي فصا من جزع بسكون الزاي حجر يماني
فيه بياض وسواد يشبه به الاعين او عقيق فان معدنهما بالحبشة واليمن
انتهى وهذا اقرب مما قيل ان معدنهما من اليمن وهي من الحبشة او لونه
حبشي اي احمر يميل الى السواد او صانعه حبشي او مصنوع على صنع الحبشة
هذا خلاصة ما في الزبر المتداولة والوجه الذي لا محيد عنه ما قاله الجلال
السيوطي وغيره اعتمادا ما في مفردات ابن البيطار ان الحبشي نوع من
الزبرجد يكون ببلاد الحبش لونه يميل الى الخضرة من خواصه انه ينفي
ويجلو ظلمة البصر فانه صح انهم كانوا يعنون بالحبشي العقيق او نحوه

فيكون له خاتمان احدهما فصه عقيق ونحوه والاخر فصه
من الحجارة
فضة فلا تعارض بين روايتي مسلم والبخاري وبهذا جمع البيهقي فقال في
الشعب حديث كان فصه حبشيا فيه دلالة على انه كان له خاتمان احدهما
فصه حبشي والاخر فصه منه ان كان الزهري حفظ حديث من ورق والاشبه
بسائر الروايات ان الذي كان فصه حبشي هو الذي اتخذه من ذهب ثم طرحه
والذي فصه منه هو الفضة وفي حديث معيقيب كان خاتمه من حديد ملوي
عليه فضة فربما كان في يده ولبس في شيء من الاحاديث انه ظاهر بينهما انتهى
اي لبسهما معا ووافقه على هذا الجمع ابن العربي والنووي قال الحافظ وهو اظهر
وفي شرح مسلم للنووي حكاية عن بعضهم فانه قال قال عبد البر رواية
فصه منه اصح وقال غيره كلاهما صحيح وانه صلى الله عليه وسلم كان
له في وقت خاتم فضة منه قال وفي حديث اخر فصه من عقيق
انتهى كلام النووي وتعقبه ابن جماعة بانه يحتاج الى اثبات ذلك اذ لم ينقل
احد انه كان له خواتيم ولا انه اتخذ ولا لبس غير واحد وبان العقيق بعيد ان
ينقش عليه ورد تعقبه بانه معارض بالروايات الكثيرة الظاهرة في التعدد
والا تعارضت وبان الاستبعاد لا يمنع الوقوع لكن لم ير وعنه عليه الصلاة
والسلام انه لبس خاتما كله تاكيد لخاتما عقيقا نعت له وهو استدراك
لدفع توهم انه لما امر بالعقيق وان لم يثبت ان خاتمه كله عقيق وان اقتصاره
على النص لانه في مقابلة رواية فصه منه ومعناه كنافه واما نقش خاتمه
عليه الصلاة والسلام ففي صحيح مسلم والبخاري كلاهما عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم صنع خاتما اي امر بصنعه بعلي بن منبه كما مر من
رواية الدارقطني وغيره وما روي ان معاذا بعث اليه بخاتم من ورق فصه
حبشي كتب عليه محمد رسول الله لم يثبت ومع ذكره هو اقرب للصواب مما روي
انه قدم به على النبي صلى الله عليه وسلم فقال امن كل شيء من معاذ حتى خاتمه
وهو غلط لان معاذا لم يقدم من اليمن الا بعد وفاة المصطفى ومثله لا يعادل
ما في الصحيحين فلا يقال انه معارض لرواية ان معاذا بعث به او قدم به عليه
من ورق وفي رواية للبخاري اتخذ خاتما من ورق ونقش فيه محمد رسول الله
وقال للناس اني اتخذت خاتما من فضة ولفظ البخاري من ورق ونقشت
فيه محمد رسول الله فلا ينقش بالجزم على النهي وفي رواية تنقشن بنون
التوكيد الثقيلة احد على نقشه حال من الفاعل لانه نكرة في سياق النفي
او صفة مصدر محذوف اي نقشا كائنا على نقشه وما ثله له قاله الطيبي
وقال الزين العراقي هل قصد به اسمه فقط ورسول الله صفة لمحمد لا خبر له
ويكون كما كتب محمد بن عبد الله كما نقش ابن عمر على خاتمه عبد الله بن عمر فيكون
المبتدا محذوف اي مالكه او صاحبه محمد رسول الله وكانه رمز بذلك الى صاحبه
كما مر في الحديث الى صاحب تلك الرواية بكتابة اسمه عليها واراد به الاتيان
باحدى كلمتي الشهادة على انه مبتدا وخبر وعليه فهل اريد بعض القران

فيكون

فيكون فيه حجة على جواز ذلك ويدل على انه اريد احدى كلمتي الشهادة
الحديث الوارد في نقش كلمتي الشهادة على الخاتم قال الترمذي معنى قوله
لا تنقشوا عليه نهي ان ينقش احد على خاتمه محمد رسول الله لانه كان يختم
به للملوك فلو نقش غيره مثله لادى الى الالباس والفساد وما روي ان
ان معاذا نقش على خاتمه محمد رسول الله لم يثبت وعلى فرض الثبوت فهو قبل النهي
او خصوصية لمعاذ وفي رواية للنسائي عن انس اتخذ خاتما من ورق
فصه حبشي ونقش فيه محمد رسول الله وهذه الرواية صحيحة ترد رواية
ان معاذا بعثه من اليمن وفي رواية البخاري والترمذي كلاهما في اللباس
عن انس ان ابا بكر لما استخلف كتب له مقادير الزكاة وكان نقش الخاتم ثلاثة
اسطر محمد سطر ورسول سطر بالتنوين وعدمه على الحكاية سطر والله
برفعه وجره حكاية سطر قال في فتح الباري ظاهره انه لم يكن فيه
زيادة على ذلك وروى ابن سعد هذا الحديث من مرسل ابن سيرين
وقال فيه بسم الله محمد رسول الله قال الحافظ ولم يتابع على هذه الزيادة
قال واما ما اخرجه عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن محمد بن عقيل انه
اخرج له خاتما وزعم انه صلى الله عليه وسلم كان يلبسه فيه تمثال اسد
قال معمر فغسله بعض اصحابنا فشربه ففيه مع ارساله ضعف لان ابن
عقيل مختلف في الاحتجاج به اذا انفرد وبفرض ثبوته لعله لبسه مرة قبل
النهي واخرج ابو الشيخ في الاخلاق النبوية من رواية عرعرة بن البرند
بكسر الموحدة والراء بعدها نون عن عزرة بفتح المهملة وسكون الزاي
بعدها راء ابن ثابت عن ثمامة عن انس قال كان فص خاتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم حبشيا مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله وعرعرة
ضعفه ابن المديني وزيادته هذه شاذة انتهى وظاهره انه كان على
هذا الترتيب لكن لم تكن كتابته على الترتيب العادي فان ضرورة
الاحتياج الى ان يختم به يقتضي ان تكون الاحرف المنقوشة مقلوبة
مقلوبة ليخرج الختم مستويا قال بعضهم قد يقال هذا تعويل على العادة
واحواله صلى الله عليه وسلم خارجة عن طورها بل في تاريخ ابن كثير عن
بعضهم ان كتابته كانت مستقيمة وكانت تطبع كتابته مستقيمة واما قول
بعض الشيوخ يعني الاسنوي ان كتابته كانت من اسفل الى فوق
يعني الجلالة اعلا الاسطر الثلاثة ومحمد اسفلها وانه يقرا من
اسفلها فلم ار التصريح بذلك في شيء من الاحاديث بل رواية
الاسماعيلي يخالف ظاهرها ذلك فانه قال محمد سطر والسطر
الثاني رسول والسطر الثالث الله فلا يقبل دعوى الاسنوي
خصوصا مع قوله في حفظي فلم ينقله فضلا عن كونه رواية وان
تبعه ابن رجب حيث قال ما لفظه وردان اول الاسطر كان الله
ثم الثاني رسول ثم الثالث محمد انتهى فعليه بيان قوله وردوا بيد

ابن جماعة لذلك بانه اليق بكمال ادبه ورد بان الاليق اتباع التنزيل وهو
فيه محمد رسول الله والتقديم اللفظي اقوى من الخطي وعن ابن عمر انه
صلى الله عليه وسلم كان يلبس خاتمه في يمينه فلما قبض صار في
يد ابي بكر في يمينه فلما قبض صار في يد عمر في يمينه ثم صار في
يد عثمان في يمينه ثم ذهب يوم الدار اي يوم قتل عثمان في داره
عليه لا اله الا الله رواه بركة بن محمد الحلبي كما ذكره ابن رجب في
كتاب الخواتيم ثم قال وهي رواية ساقطة جدا فان بركة مذكور
اي مرمي بالكذب في الحديث ومن لفظه نعنا ما يدل على بطلانه
وهو قوله ذهب يوم الدار عليه لا اله الا الله فانه انما سقط في
بئر اريس قبل الدار وقد عاش عثمان بعده مدة واتخذ له خاتما
عوضه وانما كان نقشه اي الخاتم الذي اتخذه محمد رسول الله
لا كلمة الاخلاص كما اخرجه ابو داود والنسائي من حديث ابن عمر
بلفظ فاتخذ عثمان خاتما ونقش فيه محمد رسول الله فكان يختم به وله
شاهد من طبقات ابن سعد من مرسل علي بن الحسين وكذا كان نقش الخاتم
النبوي كما في الصحيحين وغيرهما فلا عبرة بهذه الرواية كرواية انه
كان فيه كلمتا الشهادة معا ورواية ابن سعد عن ابي العالية ان نقشه صدق
الله ثم الحق الحق الغنا الخلفا محمد رسول الله وفي نوادر الاصول ان نقش خاتم
موسى لكل اجل كتاب وفي الطبراني مرفوعا كان فص خاتم سليمان
سماويا القي اليه فاخذه فوضعه في خاتمه فكان نقشه انا الله لا اله الا
انا محمد عبدي ورسولي تنبيه قال شيخ الاسلام قاضي القضاة بعم
الشرف ابي شرف الدين يحيى بن محمد المناوي بضم الميم ولد سنة ثمان
وتسعين وسبعماية ولازم الولي العراقي وتخرج به في الفقه والاصول
وسمع الحديث عليه وعلى الشرف بن كوكب وتصدى للاقرا والافتا وتخرج
به الاعيان وولي تدريس الشافعي وله تصانيف وتوفي ليلة الاثنين
ثاني عشر جمادى الاخرة سنة احدى وسبعين وثمانماية ورثاه تلميذه
الحافظ السيوطي بعد ما قال انه اخر علما الشافعية ومحققيهم بقوله قلت
لما مات شيخ العصر حقا باتفاق حين صار الامر ما بين جهول وفساق ابها
الدين فك العويل الى يوم التلاق ويحصل السنة بلبس الخاتم
مطلقا وبينه بقوله ولو مستعارا او مستاجرا اذ المدار على اللبس
فلا فرق بين تلك الذات او المنفعة ويحتمل ان معنى الاطلاق سوا
كان من ملك اليمين او اليسرى وقواه شيخنا في التقرير بان التاسيس
خير من التاكيد لكن الا وفق في السنة المؤكدة الادامة على ذلك
اي والاستدامة على ذلك لانه ظاهر الحديث الاحاديث
ويجوز تعداد الخواتيم اتخاذا واما الاستعمال فمفهوم كلام
الرافعي عدم الجواز لانه لم يات في رواية انه صلى الله عليه وسلم

لبس

كلبس خاتمين معا كما مر عن البيهقي وبه صرح المحب الطبري فقال المنهج
انه لا يجوز للرجل ان يلبس خاتمين من فضة في يديه او في
احدهما لان الاستعمال الفضة حرام الا ما وردت به الرخصة ولم
ترد الا في خاتم واحد لكن ذكر الخوارزمي بضم الخا المعجمة وكسر الرا
وسكون الزاي في الكافي انه يجوز له ان يلبس زوجا اي خاتمين
في يد وفرادى في الاخرى فان لبس في كل واحدة زوجا فقال
الصيدلاني في الفتاوى لا يجوز وقال الدارمي في الاستذكار
يكره للرجل لبس فوق خاتمين فاقتصاره على الكراهة يدل على
عدم الحرمة فاذا تقرر ذلك فالمسئلة ذات خلاف والذي يظهر
كلام المحب الطبري وهو مذهب مالك ولو كان وزن المتعدد درهمين
فان تسامحنا اعتمدنا على ما افتى به الصيدلاني والمعتمد عند الشافعية
جواز التعدد اتخاذا ولبسا بشرط ان لا يعد سرفا ويجوز التختم في اليمين
واليسار وتحصل السنة بكل منهما واختلف الناس في افضلهما
فقيل اليسار وهو نص الامام احمد في رواية صالح قال التختم
في اليسار احب الي وهو مذهب الامام مالك ويروى انه كان
يلبسه في يساره وكذلك الامام الشافعي وفي صحيح مسلم عن
انس كان خاتم النبي صلى الله عليه في هذه واشار الى الخنصر
من يده اليسرى فهذا حجة الايمة الثلاثة ومن وافقهم لصحته قال
النووي اجمعوا على ان السنة للرجل جعله في خنصره وحكمته انه ابعد عن
الامتهان فيما يتعاطى باليد وانه لا يشغل اليد عما تتناوله بخلاف غير الخنصر
انتهى وفي سنن ابي داود عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم كان
يتختم في يساره فهذا من ادلتهم ايضا وروى اسمعيل بن
مسلم عن السليطي بفتح السين المهملة وكسر اللام وسكون التحتية
وطا نسبة الى جده الاعلى اذ هو محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم
ابن عبده بن قطن بن سليط التميمي السليطي النيسابوري كان
شيخا صالحا كذا في اللباب فشرح به الشارح ما هنا ولا يصح اذ هذا
الشيخ لم يرو عنه اسمعيل بن مسلم ولا هو بصحابي فحمله عليه بناء قوله
قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة قمرا ذات قمر
وكاني انظر الى عكن بضم ففتح جمع عكنة طيات بطنه من السمن
وكانها القباطي بضم القاف جمع قبطي وقبطية بضمها ثوب
من كتان رقيق يعمل بمصر نسبة الى القبط بالكسر على غير قياس فرقا
بين الثوب والانسان والى وبيص بفتح الواو وكسر الموحدة وسكون
التحتية ومهملة بريق ولمعان خاتمه في يساره واسمعيل هذا
قال البخاري تركه ابن المبارك عبد الله وربما قليلا روى عنه
وضعفه ينجبر بشواهده وقد ذكر بعض الحفاظ كما افاده الحافظ

ابن رجب ان التختم في اليسار مروي عن عامة الصحابة
والتابعين فهو القوي وعورض هذا بقول الحافظ تبعا لشيخه العراقي
ورد تختمه في اليمين من رواية تسعة من الصحابة وفي اليسار من رواية
ثلاثة وورد بان العراقي نفسه نقل التختم في اليسار عن الخلفا الاربعة
وابن عمر وعمرو بن حريث فهو لا سنة على ان اصل المعارضة ساقط لان
معنى كونه مرويا عن عامتهم انهم قايلون بافضليته على اليمين لانهم نقلوه
عن النبي صلى الله عليه وسلم ورجحت طايفة التختم في اليمين وهو
قول ابن عباس وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وروى حماد بن سلمة
ابن دينار البصري الثقة العابد روى له مسلم والاربعة وما يقع في نسخ من
زيادة ابي قبل سلمة خطا فليس لهم من يسمى بذلك قال رايت ابن ابي رافع
بالرا قال في التقريب عبد الرحمن بن ابي رافع شيخ لحماد بن سلمة مقبول من
الرابعة روى له الاربعة انتهى وقال البخاري في حديثه مناكير يتختم في
يمينه فسالته عن ذلك فقال رايت عبد الله بن جعفر بن ابي طالب
يتختم في يمينه زاد في رواية لابي الشيخ وقبض والخاتم في يمينه
وقال عبد الله بن جعفر كان النبي صلى الله عليه وسلم يتختم في
يمينه رواه احمد والنسائي وابن ماجة والترمذي كذا في نسخة
صحيحة كالمروي عند الجماعة المذكورين وما يقع في غالب النسخ من
اسقاط قوله فسالته الى قوله وقال كان كذلك سقط من النساخ ويلزم
منه ان الحديث مرسل اذ عبد الرحمن تابعي صغير وبهذا ظهر ان الواقع
فانه حدث به عن ابن جعفر موصولا كما رايت زاد في رواية ويقول
اليمين احق بالزينة من الشمال الزينة احق باليمين من الشمال وقال
الترمذي قال محمد يعني البخاري هذا اصح شي روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم في هذا الباب اي باب تختمه باليمين ولا يلزم
منه الصحة الحقيقية فلا ينافي قوله في ابن ابي رافع له مناكير وفي
الشمايل للترمذي حدثنا زياد بن يحيى عن عبد الله بن ميمون عن جعفر
ابن محمد عن ابيه عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه وهذا
فيه ضعف لحال عبد الله بن ميمون بن داود القداح المخزومي المكي قال
البخاري ذاهب الحديث وقال ابو حاتم متروك وقال ابو زرعة واه
وابن حبان لا يجوز الاحتجاج به ويروى من حديث عباد بفتح المهملة
والموحدة الثقيلة من حديث صهيب عن جعفر الصادق بن محمد الباقر
عن ابيه محمد بن علي بن الحسين عن جابر بن عبد الله قال قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم والخاتم في يمينه وعباد بن
صهيب متروك قاله البخاري وابن ابي حاتم والنسائي وقال
ابن المديني ذهب حديثه وقال ابن حبان يروي المناكير عن
المشاهير حتى يشهد المبتدي في الصناعة انها موضوعة وقال

الامام احمد ما كان بصاحب كذب وقال ابو داود وهو صدوق فيما قد
روي وجمع الحافظ في اماليه بانه كان لا يتعمد الكذب بل يقع ذلك في
رواياته من غلطه وغفلته ولذا اتركوه وروى البزار في مسنده
من حديث عبيد بن القاسم الاسدي الكوفي يقال هو ابن اخت
سفين الثوري عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه وعبيد هذا كذاب
كذبه ابن معين واتهمه ابو داود بالوضع ثم عجب من المصنف رحمه الله تعالى
في سوقه هذه الاحاديث الضعيفة جدا والتي لا تخلو من مقال احتجاجا
للقول بان التختم في اليمين افضل الموهم انه ليس في الصحيحين وقد روى
البخاري والترمذي عن ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم يتختم في يمينه ورواه
مسلم والنسائي عن انس فهذا هو الذي يقاوم حديث مسلم كان خاتمه في هذه
واشار الى الخنصر من يده اليسرى كما مر ولذا اختلف الايمة في ايهما افضل قال
الحافظ ابن رجب وقد جا التصريح بان تختمه عليه الصلاة والسلام
في يساره كان اخر الامرين في حديث رواه سليمان بن محمد بن
يحيى بن عروة بن الزبير الاسدي او هو الانصاري الحارثي المدني
وكلاهما مقبول ومن طبقة واحدة عن عبد الله بن عطا الطايفي الكوفي
صدوق يخطي ويدلس عن نافع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يتختم في يمينه ثم انه حوله الى يساره اخرجه ابن عدي وابو
الشيخ واعتمد ذلك البغوي في شرح السنة وجمع بها بين الاخبار وتعقبه
الطبري بان ظاهره النسخ وليس بمراد وقال الحافظ لو صح هذا لكان
قاطعا للنزاع لكن سنده ضعيف انتهى وله شاهد عند ابن عساكر عن عايشة
باسناد ضعيف ايضا وجمع البيهقي بين احاديث تختمه في يمينه واحاديث
تختمه في يساره بان الذي لبسه في يمينه خاتم الذهب ثم نبذه
كما في حديث ابن عمر والذي في يساره خاتم الفضة قال واما رواية
الزهري عن انس ان الذي في يمينه خاتم الفضة فكانها خطا فقد تقدم
ان الزهري وهم في الخاتم الذي طرحه النبي صلى الله عليه وسلم فانه فضة
وان الذي في روايات غيره انه ذهب وعلى هذا فالذي كان لبسه
في يمينه هو الذهب انتهى ملخصا وقال وكيع التختم في اليمين
ليس بسنة وانما فعله لبيان الجواز فلا يرد عليه الاحاديث وقال ابن
ابي حاتم سالت ابا زرعة عن اختلاف الاحاديث فقال لا يثبت هذا ولا
هذا ولكن في يمينه اكثر قال الحافظ ويظهر لي ان ذلك يختلف باختلاف
القصد فان قصد للتزين به فاليمين افضل وان كان للتختم فاليسار
اولى لانه يكون كالمودع فيها ويحصل تناوله منها باليمين وكذا وضعه
فيها ويترجح اليمين مطلقا بان اليسار الة الاستنجا فيصان
الخاتم اذا كان في اليمين عن ان تصيبه النجاسة ويترجح التختم في اليسار

بالتناول وجنحت طايفة الي استوا الامرين وجمعوا بذلك بين مختلف الاحاديث ونص الامام احمد انه يكره التختم في السبابة والوسطي لمخالفة السنة وروي في التعبير بها شي لانها للضعيف وهذا صحيح رواه مسلم وابو داود والترمذي عن علي قال نهاني رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا تختم في هذه واومي الي السبابة والوسطي وقال ابن جماعة في الصحيحين تعيين الخنصر بل في مسلم وابي داود النهي عن لبسه في السبابة والوسطي ولم يثبت في الابهام والبنصر منها شي عن النبي صلي الله عليه وسلم ولا عن صحبه فثبت ندبه في الخنصر قطعا انتهي والله اعلم بالحق من ذلك وفي اللباب وكان عليه الصلاة والسلام يتختم كما دلت عليه الاحاديث الكثيرة صراحة وما في بعضها مما يدل علي عدم لبسه فقال البيهقي انها مخالفة للاثبات وللاحاديث الصحيحة وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يستذكر به الشي كما رواه الدارقطني وضعفه عن رافع بن خديج رايت في يد النبي صلي الله عليه وسلم خيطا قلت ما هذا قال استذكر به ورواه ابن عدي بسند ضعيف من حديث واثلة بن الاسقع بمثلثة بلفظ كان صلي الله عليه وسلم اذا اراد حاجة اوثق في خاتمه خيطا ليذكرها به وروي ابو يعلي وابن سعد وغيرهما عن ابن عمر كان اذا اشفق من الحاجة ان ينساها ربط في اصبعه خيطا ليذكرها وفي رواية ابن سعد ربط في خنصره او في خاتمه الخيط والذكر والنسيان من الله لكن ربط الخيط سبب من الاسباب لانه نصب العين فاذا ذكره ما نسي فهذا سبب موضوع من الله لعباده كساير الاسباب كصون الاشيا بالابواب والاقفال ونحوها واهل اليقين وهم الانبيا لا تضرهم الاسباب بل يتعين فعلها عليهم للتشريع والنسيان كما قال بعض العارفين من كمال العرفان لان الله نزه نفسه عنه وجعله من حقيقة العبد وكذا هو في رافع الخلعيات بكسر الخا وفتح اللام وهي عشرون جزءا خرجها احمد بن الحسن الشيرازي وسماها الخلعيات خرجها عن ابي الحسن علي بن الحسين الموصلي الخلعي نسبة الي بيع الخلع لانه كان يبيعها للملوك بمصر وبها ولد سنة خمس واربعماية وكان فقيها شافعيا صالحا له كرامات وتصانيف وروايات متسعة وكان اعلي اهل مصر اسنادا وولي القضا بها يوما واحدا ثم استعفي واختفي بالقرافة ومات بمصر سنة اثنتين وتسعين واربعماية لكن فيه سالم بن عبد الاعلي ابو الفيض روايته عن نافع عن ابن عمر ورماه ابن حبان بالوضع بل اتهمه ابو حاتم بهذا الحديث فقال ابنه سالت ابي عنه فقال انه باطل وسالم ضعيف وهذا منه وقد قال الدارقطني انه تفرد به وروي ابن شاهين في الناسخ له النهي عنه وكذا فعله ثم قال وجميع اسانيده يعني من الطرفين منكرة ولا اعلم شيا منها صحيحا واما السراويل قال ابن سيدة

فارسي معرب يذكر ويونث ولم يعرف ابو حاتم السجستاني التذكير والاشهر عدم صرفه قاله الحافظ والتانيث اكثر وفي القاموس فارسية معربة وقد تذكر جمع سراويلات او جمع سروال وسروالة او سرويل بكسرهن وليس في الكلام فعويل غيرها والسراوين بالنون لغة في السراويل والشروال بالشين لغة بعين المعجمة وفي المصباح الجمهور ان السراويل اعجمية وقيل عربية جمع سروالة تقديرا والجمع سراويلات فاختلف هل لبسها النبي صلي الله عليه وسلم ام لا فجزم بعض العلما بانه عليه الصلاة والسلام لم يلبسه ويستانس له اي تقربه لنا فان نظن انه كذلك بما جزم به النووي في ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه من كتاب تهذيب الاسما واللغات انه رضي الله عنه لم يلبس السراويل في جاهلية ولا اسلام الا يوم قتله مخافة ان تظهر عورته بعده لتيقنه وثوقه باخباره صلي الله عليه وسلم وعلل الاستيناس بقوله فانهم كانوا احرص شي علي اتباعه صلي الله عليه وسلم ولم يقل يدل له لجواز ان عثمان تركه لمانع قام به لا لان المصطفي لم يلبسه لكن قد ورد في حديث عند ابي يعلي الموصلي بسند ضعيف جدا عن ابي هريرة قال دخلت السوق يوما مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فجلس الي بمعني عند البزازين او نحو وضمنها في جلوسه اليهم نسبة الي البز الثياب او متاع البيت من ثياب ونحوها وبايعه البزاز كما في القاموس وقول المصباح لا يقال بزاز ابيه قياسا لانه اذا زيد علي المنسوب اليه يا النسب فقياسه بزي لا بزاز لكنه سماعي فاشتري سراويل باربعة دراهم ووقع في الاحيا بثلاثة دراهم قال الحافظ اولي وكان لاهل السوق وزان يزن فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم اتزن وارجح اي زن الثمن وارجحه يقال وزن المعطي واتزن الاخذ فقال الوزان ان هذه الكلمة ما سمعتها من احد لما فيها من مساهلة المشتري ولينه مع البايع علي عادة الناس لا من جهة الصنعة قال ابو هريرة فقلت له كفي بك من الوهن الضعف والجفا بالمد ضد البر في دينك ان لا تعرف نبيك اذ لو عرفته ما استغربت مساهلته اذ عادته الرفق والاحسان كيف وقد قال احب الله عبدا سمحا اذا باع سمحا اذا اشتري فالمراد لومه بان عدم معرفته نبيه دليل علي عدم اعتنايه بدينه وتساهله في امره حيث لم يحرص علي سماع الاحكام والمواعظ منه فطرح الميزان ووثب الي يد رسول الله صلي الله عليه وسلم يريد ان يقبلها فجذب يده رسول الله منه وقال يا هذا انما تفعل هذه الاعاجم بملوكها جمع اعجم لحرصهم علي الكبر والعظمة فالمراد نفس العجم وان كان لغة من لا يفصح ولا يبين كلامه وان عربيا ففيه مجاز لان الكثرة لما غلبت في العجم دون العرب اطلق ذلك هنا ولست بملك انما انا رجل منكم فوزن وارجح المناسب لغة اتزن لانه اخذ للثمن فلعله عبر بوزن لانه وزنه ليدفعه للبايع واخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم السراويل قال ابو هريرة فذهبت

فذهبت لاحمله عنه فقال صاحب الشي احق بشيه اصله بالهمزة
قلبت ياوادغمت فيها اليا ان يحمله الا ان يكون ضعيفا يعجز عنه
فيعينه اخوه المسلم قال ابو هريرة قلت يا رسول الله فانك
لتلبس السراويل قال اجل في السفر وفي الحضر وبالليل والنهار
فاني امرت بالستر فلم اجد شيا استر منه وكذا اخرجه ابن حبان
في الضعفا عن ابي يعلي رواه الطبراني في الاوسط والدارقطني
في الافراد بفتح الهمزة والعقيلي في الضعفا ومداره مرجعه وان
تعددت طرقه علي يوسف بن زياد الواسطي اي انه تفرد به وهو
واه لا يحتمل تفرده بل بالغ ابن الجوزي فذكر الحديث هذا في الموضوعات
وتعقبه السيوطي واقتصر الحافظ وغيره علي انه ضعيف فقط لكن قد صح
شرا النبي صلي الله عليه وسلم له للسراويل من غير هذه الطريق فقد روي
احمد واصحاب السنن الاربعة وصححه ابن حبان عن سويد بن قيس قال
جلبت انا ومخرفة العبدي بزا من هجر فاتينا مكة فجانا رسول الله صلي الله صلي
الله عليه وسلم ونحن بمني فساومنا سراويل فبعناه منه فوزن ثمنه وقال
للوزان زن وارجح وروي النسايي واحمد عن ابي مروان صفوان مالك بن عميرة
الاسدي انه باع من النبي صلي الله عليه وسلم قبل ان يهاجر رجل سراويل فلما
وزن له ارجح له وهذه القصة غير التي ساقها المصنف لانها بعد الهجرة اذ ابو
هريرة انما جا في خيبر قال في الاصابة مالك بن عميرة بفتح العين وقيل
عمير مصغر بلا ها حديثه يشبه حديث سويد بن قيس فقيل انهما واحد
اختلف في اسمه وفي الهدي وفي الظاهر انه صلي الله عليه وسلم
انما اشتراه ليلبسه قال الحافظ وما كان ليشتريه عبثا وان كان
غالب لبسه الازار ويحتمل انه اشتراه لغيره وفيه بعد وقد روي انه
لبس السراويل في الحديث الضعيف السابق للمصنف قريبا ولذا مرضه
وكانوا يلبسونه في زمانه وباذنه انتهي بهذا انا بيده لا سنظها ره
وقال ابو عبد الله الحجازي احمد بن محمد بن علي بن حسن بن ابراهيم
الانصاري الخزرجي الفاضل الاديب الشاعر البارع المصنف اجاز له العراقي
والهيثمي ومات سنة خمس وسبعين وثمانماية في حاشيته علي الشفا
وما قاله في الهدي في من انه صلي الله عليه وسلم لبس السراويل
قال واسبق فلم نترامنه لانه لم يجزم بذلك وانما قال الظاهر من شرايه
ذلك وهذا صحيح قاله الحلبي بل قال الشامي يويد ابن القيم ان البيهقي في
الشعب وابن الجوزي في الوفا وغيرهما من العلما اوردوا الحديث في باب
ما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يلبسه وقد اورد ابو سعيد
النيسابوري بفتح النون نسبة الي نيسابور اشهر مدن خراسان ذكر
الحديث في تجارته صلي الله عليه وسلم من كتابه شرف المصطفي
ولا دلالة فيه علي لبسه وقد ترجم البخاري في كتاب اللباس من صحيحه

باب

باب السراويل واورد فيه حديث المحرم وهو قال رجل يا رسول الله
ما تامرنا ان نلبس اذا احرمنا قال لا تلبسوا القمص ولا السراويل والعمايم
والبرانس والخفاف الا ان يكون رجل ليس له نعلان فليلبس الخفين اسفل من
الكعبين لكنه لم يرد فيه شي علي شرطه فاكتفي بما دل عليه الحديث ان
الحلال يجوز له لبس السراويل وروي ابو نعيم عن ابي هريرة مرفوعا اول
من لبس السراويل ابراهيم الخليل قيل ولذا كان اول من يكسي يوم القيامة كما في
الصحيحين وروي الترمذي وقال غريب عن ابن مسعود رفعه كان علي موسي
يوم كلمه ربه كسا صوف وكمة صوف وجبة صوف وسراويل صوف وكانت نعلاه
من جلد حمار ميت والكمة بالضم القلنسوة الصغيرة صححه الحاكم ورده
المنذري واما الخف فروي الترمذي عن بريدة بن الخصيب ان
النجاشي بفتح النون علي المشهور كما في الاصابة اهدي للنبي صلي
الله عليه وسلم خفين اسودين ساذجين بفتح الذال المعجمة وكسرها
اي غير منقوشين اي لا شعر عليهما او علي لون واحد لم يخالط سوادهما
لون اخر قال الولي العراقي وهذه اللفظة تستعمل في العرف كذلك ولم اجدها
في كتب اللغة بهذا المعني ولا رايت المصنفين في غريب الحديث ذكروها
وقال المصنف الساذج معرب شاذه فلبسهما بغا التربيع والتعقيب
فقيه ان المهدي اليه ينبغي له التصرف في الهدية عقب وصولها اليه اهديت لاجل
اظهار القبول لها ووقوعها الموقع ووصولها وقت الحاجة اليها واشارة الي
تواصل المحبة بينه وبين المهدي حتي ان هديته لها مزية علي ما عنده وان
اعلا واعلا ولا ينحصر ذلك في التالف ونحوه بل مثله من يعتقد صلاحه او
علمه او يقصد جبر خاطره او دفع شره او نفوذ شفاعته عنده في مهمات
الناس واشباه ذلك ثم توضا ومسح عليهما ففيه جواز المسح علي
الخفين وهو اجماع من يعتد به وقد روي المسح ثمانون صحابيا وهو متواتر
وقبول الهدية حتي من اهل الكتاب فانه اهدي له قبل اسلامه كما قاله
ابن العربي واقره الزين ابن العراقي وعن المغيرة بن شعبة قال
اهدي دحية الصحابي للنبي صلي الله عليه وسلم خفين فلبسهما
وهذا الحديث رواه الترمذي عن شيخه قتيبة عن يحيي بن زكريا عن الحسن
ابن عياش عن ابي اسحق الشيباني عن الشعبي عن المغيرة فذكره وعقبه
بقوله وقال اسرايل فيحتمل التعليق والوصل بان يكون من مروي قتيبة
عن يحيي عن الحسن عن اسرايل وهو ابن يونس بن ابي اسحق السبيعي الهمداني
ابو يوسف الكوفي ثقة تكلم فيه بلا حجة لروي له الستة مات سنة ستين
وماية وقيل بعدها عن جابر بن يزيد الجعفي شيعي تركه الحفاظ ووثقه
شعبة فشذ عن عامر الشعبي التابعي المشهور الثقة قال الحافظ العراقي
ولم يبين الترمذي هل هذه الزيادة من رواية عامر عن المغيرة كالرواية
الاولي او من رواية الشعبي مرسلة او من رواية الشعبي عن دحية قال

ولا اراها الا من رواية الشعبي عن دحية من غير طريق اسرائيل وجبة
بضم الجيم عطف على خفين اي اهدى له خفين وجبة فلبسهما اي
الخفين كما يشعر به اذكيان ويصح عوده للخفين والجبة وزعم ان
الخرق انما يقال للخفين لا الجبة عجب حتى تخرقا لا يدري النبي
صلى الله عليه وسلم اذكيان بفتح الهمزة والذال المعجمة وكسر
الكاف وشد التحتية والواو ونون خبر قوله هما وفي نسخة اذكياهما
بذال معجمة من الذكاة بمعنى الذبح اي اهما ما ذكيا ذكاة شرعية ام لا
نظير اقائم الزيدان ومعنى الثلاثة واحد اذ المراد لا يدري هل الخفان
من حيوان مذكى ام غير مذكى ونفي الصحابي دراية المصطفى لذكره ذلك
له او لما فهم من قرينة كونه لم يسال عنهما ففيه طهارة مجهول الاصل ولو
الاصل ولو حوشي هل ذبح اصله ام لا وفيه استعمال الثياب الخلقة وهي
العتيقة جدا وانه من التواضع فانه صلى الله عليه وسلم لم تزل يلبس
الخفين حتى تخرقا وقد روى الترمذي عن عائشة مرفوعا لا تستخلقي
ثوبا حتى ترقعيه رواه الطبراني والترمذي ايضا في شمايله وجامعه
واما نعل صلى الله عليه وسلم والنعل قال صاحب المحكم ما وقيت
به والنعل مؤنثة ذكرها باعتبار الملبوس لان تانيثها غير حقيقي فيجوز
الوجهان القدم القدم عن الارض فلا يشمل الخف عرفا ومن ثم افرد كلا
بترجمة كغيره ففي البخاري وابي داود والترمذي وابن ماجة في اللباس
والنسائي في الزينة عن قتادة بن دعامة عن انس ان نعل
النبي صلى الله عليه وسلم كان لها قبالان بكسر القاف وموحدة ولام
وللمستملي والحموي ان نعلي النبي كان لهما بالتثنية فيهما والقبالان
تثنية قبال وهو زمام النعل وهو السير الذي يعقد فيه
الشسع الذي يكون بين الاصبعين الوسطى والتي تليها والمراد ان
لكل فردة قبالين بدليل رواية التثنية في البخاري وقال الكرماني ان
لكل واحد من نعل كل رجل قبال واحد ورده الحافظ بما للطبراني والبزار
برجال ثقات والترمذي في الشمايل عن ابي هريرة قال كان لنعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبالان ولنعل ابي بكر قبالان ولنعل عمر قبالان واول
من عقد عقدا واحدا عثمان انتهى اي اتخذ قبالا واحدا ووجه بانه اراد
ان يبين ان اتخاذ القبالين ليس لكراهة قبال واحد ولا المخالفة الاولى
بل لكونه عادة وعن ابن عباس قال كان لنعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبالان مثنى بضم الميم وفتح المثلثة او فتح الميم
واسكان المثلثة وبنون باخره مع تشديد روايتان والاخر المشدد
وهو النون على الرواية الاولى والياء على الثانية من التثنية وهو جعل
الشيء اثنين ولا يليق جعله من الثني وهو رد شيء الى شيء شراكهما
تثنية شراك بالكسر وخفة الراء وكاف وهو احد سيور النعل يكون على

وجهها

وجهها ويقال هو السير الرقيق الذي يكون في النعل على ظهر القدم
رواه الترمذي في الشمايل قال العراقي باسناد صحيح وابن ماجة
بسند قوي وفيها اي الشمايل ايضا باسناد صحيح عن ابي هريرة
قال كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالان فوافق
ابو هريرة انسا على ذلك قبيل وكانت نعله صفرا ولابي الشيخ عن ابي
ذر انها كانت من جلود البقر وروى البخاري والترمذي عن عيسى
ابن طهمان بفتح الطاء المهملة وسكون الهاء البصري نزيل الكوفة
صدوق افرط فيه ابن حبان والذي فيها استنكره من حديثه لغيره قال
اخرج الينا انس نعلين جردا وين بالجيم لا شعر عليهما استعير
من ارض لا نبات فيها وفي رواية جردا وين بالتثنية لهما قبالان
قال الحافظ العراقي هكذا رواه البخاري والترمذي بالاثبات ولابي
ذر الشيخ من هذا الوجه ليس لهما قبالان على النفي فلعله تصحيف من
الناسخ او من بعض الرواة وانما هو يحق لسين بضم اللام وسكون السين
وتنون اخره جمع السن وهو النعل الطويل وهذا هو الظاهر فليثبت في
رواية البخاري والترمذي قال ابن طهمان فحدثني ثابت البناني
بضم الموحدة بعد اي بعد هذا المجلس فبعد بالضم مقطوع عن الاضافة ومن
قال بعد اخراج انس النعلين الينا فغير سديد لصدقه بما اذا كان التحديث
بعد الاخراج وهما بالمجلس وذلك لا يناسب قوله عن انس اذ لو كان بالمجلس
لكان المتبادر ان انسا هو الذي يحدث بلا واسطة فدل على اختلاف المجلس
انهما كانتا نعلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحافظ في رواية
عيسى عن انس اخراج النعلين فقط واضافتهما الى النبي صلى الله عليه
وسلم رواية عيسى عن ثابت انتهى واخرج البخاري ومسلم وغيرهما في
حديث طويل والترمذي في الشمايل مختصرا واللفظ له كلهم من طريق الامام
مالك عن سعيد المقبري عن عبيد بضم العين بن جريج بضم الجيم
التيمي مولاهم المدني ثقة انه قال لابن عمر رايتك تلبس النعال
السبتية بكسر المهملة وسكون الموحدة وكسر الفوقية وشد التحتية
المدبوغة بالقرظ او التي سبت عنها الشعر اي حلق وقطع قاله الكرماني
والمعنى والثاني ظاهر جواب ابن عمر وفي المنح منسوبة الى السبت
قال ابو عبيد هي المدبوغة بالقرظ قال وزعم بعض الناس انها التي
حلق عنها الشعر يشير الى مالك نقله عنه ابن وهب ووافقه وكانه ماخوذ
من لفظ السبت لان معناه القطع فالحلق بمعناه وايد ذلك جواب ابن عمر
المذكور وفي التصير السبتية بالكسر يقال نعل سبتية وهو الذي يكون من
طاق واحدة قال اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس
النعال التي ليس فيها شعر ويتوضا فيها فانا احب ان البسها
اعتدا به قال ابن الاثير وغيره وجه السؤال كونها نعال اهل النعمة والسعة

ولم يفعلها الصحابة ففي صدر الحديث عند الشيخين عن عبيد انه قال
لابن عمر رايتك تصنع اربعا لم ار احدا من اصحابك يصنعها وعد منها هذه فاجاب
بانه لبسها اقتداء بالمصطفى ولعل ترك الصحابة للبسها ان فرض صحة
الاستغراق وان ما نفاه عنهم السايل هو الواقع اذ يحتمل ان نفيه باعتبار
علمه انهم لم يبلغهم فيه شيء وامتاز ابن عمر عنهم بحفظ ذلك عن المصطفى فالحجة
في اراه وفعله لا في ما تركهم وفي الشمايل ايضا عن عمرو بفتح العين ابن
حريث بضم الحاء ومثلثة القرشي المخزومي صحابي صغير روى له الجماعة
قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين
مخصوفتين اي مخروزتين من الخصف وهو ضم شيء الى شيء والمراد
نعله وضع فيه طاق على طاق ففيه رد زعم انها كانت من طاق واحدة
وان العرب كانت تتمدح به وتجعله من لباس الملوك لكن جمع بانه كانت له
نعل من طاق ونعل من اكثر كما دلت عليه عدة اخبار وهو حسن ثم هذا
الحديث وان كان فيهم راو مبهم لان الترمذي رواه من طريق اسمعيل السدي
قال حدثني من سمع عمرو بن حريث فذكره لكن صح من غير ما طريق انه كان
يخصف نعله قال المصنف ولم ار التصريح باسم من حدثه عنه في رواية
واظنه عطا بن السايب فانه اختلط اخرا والسدي سمع منه بعد الاختلاط
فابهمه قال الحافظ العراقي روى ابو الشيخ بسنده عن يزيد بن ابي
زياد قال رايت نعله صلى الله عليه وسلم مخصرة ملسنة ليس لها
عقب خارج وروى ابن سعد عن هشام بن عروة رايت نعل النبي صلى
الله عليه وسلم مخصرة معقبة ملسنة لها قبالان والمخصرة التي لها
خصر رقيق او التي قطع خصراها حتى صارا مستدقين والنعل الملسن
ما فيه طول ولطافة على هيئة اللسان وقيل التي جعل لها لسان ولسانها
الهيئة الثابتة في مقدمها كما في النهاية قال العراقي والجمع بين قول
يزيد ليس لها عقب وقول هشام معقبة ممكن بان يزيد لم يطلق العقب
وانما قال ليس لها عقب خارج وبحاله هشام اثبت كونها معقبة اي لها عقب
من سيور تنضم به الرجل كما يفعل في كثير من النعال او يكون لها عقب غير
خارج انتهى وعن عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحب التيمن اي الاخذ باليمين فيما هو من باب التكريم قيل لانه
كان يحب الفال الحسن واصحاب اليمين هم اهل الجنة ما استطاع مدة
استطاعته له بخلاف ما لو عجز عنه فيتعين غيره فنبه على ان المحافظة
على التيمن ما لم يمنع مانع لا بد منه قال الحافظ ويحتمل انه احتراز عما
لا يستطاع فيه التيمن شرعا كفعل الاشيا المستقذرة باليمين كالاستنجا
والتمخط في ترجله بجيم تسريح شعره وتنعله لبس النعل وطهوره
بضم الطا اي تطهره وفي رواية بفتحها وهو ما يتطهر به كالما رواه
الترمذي بهذا اللفظ في الشمايل وفي قصر العزو تقصير شديد

فقد

فقد رواه الشيخان والاربعة والامام احمد عن عايشة كان يحب التيمن
ما استطاع في طهوره وتنعله وترجله وشانه كله وتقديم بعض
الالفاظ على بعض لا اثر له لانه من تصرف الرواة قال ابن دقيق العيد
هذا عام مخصوص لان دخول الخلا والخروج من المسجد ونحوها يبدا
فيه باليسار وتاكيد شانه بكله يدل على التعميم لان التاكيد يرفع المجاز
وقد يقال حقيقة الشان ما كان فعلا مقصودا وما يندب فيه التياسر
ليس من الافعال المقصودة بل هي اما تروك او غير مقصودة هذا كله
على رواية اثبات الواو اما على حذفها فقوله في شانه متعلق بيحب
لا بالتيمن اي يحب في شانه كله التيمن في طهوره الى اخره اي لا يترك
ذلك حضرا ولا سفرا ولا حالة فراغه ولا شغله انتهى وعن ابي
هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم اذا انتعل احدكم اي
لبس نعله فليبدا باليمنى اي بالجانب اليمنى وفي لفظ البخاري بالرجل
اليمنى وللحموي والمستملي باليمين اي بالنعل اليمنى واذا نزع وفي
رواية انتزع فليبدا بالشمال لتكن الرجل اليمنى لفظ البخاري
ولفظ الترمذي فلتكن اليمنى اولهما تنعل واخرهما تنزع بمثناه
كتنعل للمفعول واولهما واخرهما نصب خبر لتكن او على الحال
والخبر تنعل وتنزع بفوقانيتين وتحتانيتين مذكرا باعتبار النعل
والخلع وزعم ابن وضاح ان قوله لتكن الخ مدرج قال الحافظ والاصل
الرفع وليس هذا تاكيدا للاستغنا عنه بالاول كما زعم بل له فايدة
هي ان الامر بتقديم اليمنى لا يقتضي تاخيرها لاحتمال نزعهما
معا فهذا الحديث رواه البخاري وابو داود والترمذي في اللباس
وفي الشمايل قال ابن عبد البر من بدا في الانتعال باليسرى اسا لمخالفة
السنة ولكن لا يحرم عليه لبس نعله وقال غيره ينبغي ان ينزع النعل
من اليسرى ثم يبدا باليمنى قال الحافظ ويمكن ان مراد ابن عبد البر
ما اذا لبسهما معا فبدا باليسرى فلا يشرع له نزعهما ثم لبسهما على الترتيب
المشروع لفوات محله قال المصنف وفيه تامل لان من فعل ذلك فعليه
نزعهما معا ويستانف لبسهما على ما امر به فكانه الغى ما وقع منه اولا
ونقل عياض وغيره الاجماع على ان الامر فيه للاستحباب وكان
عليه الصلاة والسلام ينهى ان ينتعل الرجل يلبس نعله
قايما وفي رواية وهو قايم لان لبسها قاعدا اسهل وامكن فهو
نهي تنزيه وارشاد ولذا اخذ منه الطيبي وغيره تخصيص النهي بما
في لبسه قايما تعب كالتاسومة والخف لا قبقاب او سرموجة
رواه ابو داود والترمذي عن جابر برجال ثقات قاله
الحافظ العراقي وقال النووي اسناده حسن والترمذي عن
جابر وقال غريب ثم رواه عن انس وقال الحديثين لا يصح عند اهل

الحديث انتهى ونفيه الصحة لا ينافي انه حسن كما علم وقد ذكر ابو
اليمن بضم اليا وسكان الميم ابن عساكر تمثال اي صفة تمثال
نعله الكريم عليه افضل الصلاة والتسليم اي ما يوخذ منه
صفة تصويره والا فهو لم يذكر تمثالا له في جز مفرد نحو ثمان ورقات
في وصف رويته قراة وسماعا وكذا افرده بالتاليف ابو
اسحق ابراهيم بن محمد بن خلف السلمي المشهور بابن الحاج
من اهل المرية كقفية موضع بالاندلس كذا في القاموس وفي التبصير
المريي بياين القبليتين مع فتح اوله وكسر الرا نسبة الى المرية مدينة
بالاندلس وكذا غيرهما ولم اثبتها هنا اتكالا على شهرتها
ومعروفية ضبط نسطيرها الا على حاذق وقد ذكر في الغنية
السيرة صفتنا نظما في ابيات ومن بعض ما ذكر ابو اليمن في جزيه
المذكور من فضلها وجرب من نفعها وبركتها ما ذكره ابو
جعفر احمد بن عبد المجيد وكان شيخا صالحا ورعا قال حذوت
هذا المثال لبعض الطلبة فجاءني يوما فقال رايت البارحة
من بركة هذا النعل عجبا اصاب زوجي امراتي بلاها على اللغة
الفصحى وجع شديد كاد يهلكها فجعلت النعل على موضع الوجع
وقلت اللهم اشف بعركة هذا النعل زوجي وفي نسخة وهي
ما في جز ابي اليمن اللهم ارني بركة صاحب هذا النعل فشفاها
الله للحين اي سريعا وقال ابو اسحق ابراهيم بن محمد السابق
قريبا في مولفه قال ابو القاسم بن محمد ومما جرب من بركته ان
من امسكه عنده متبركا به كان امانا له من بغي البغاة وغلبة
العداة بضم العين فقط لثبوت الها فهو كقضاة قاله ابن القاصح
وغيره وحرزا من كل شيطان مارد عات خارج عن الطاعة وعين
كل حاسد واه امسكته الحامل بيمينها وقد اشتد عليها الطلق
تيسر امرها بحول الله تعالى وقوته ولله در ابي اليمن
ابن عساكر حيث قال يا منشدا الشعر فالمفعول محذوف
في رسم اثر ربع منزل خال من اهله اسم فاعل ومناشدا مخاطبا
لدوارس الاطلال اي الاطلال الدارسة جمع طلل وهو الشاخص
من الاثار ودروسها ذهاب اثارها ونزل الاطلال منزلة العقلا
الناطقين واثبت لهم المناشدة تخييلا فهو استعارة بالكناية
او المناشدة بلسان الحال فلا تجوز ولا تشبيه دع ندب اترك
ذكر محاسن اثار تيقال ندبت المراة الميت اقبلت على تعداد محاسنه
كانه يسمعها فهو كالدعاء اترك ذكر ماثر جمع ماثرة بفتح الثا وضمها
المكرمة كما في المصباح وفي المختار وفي المصباح هي كالاثرة بالضم المكرمة
المتوارثة لاحية بانوا انفصلوا اي ذهبوا وانقضوا وعصر دهر

خال

خال ماض والثم بكسر المثلثة من باب ضرب قبل ثرى تراب ندي الاثر الكريم
اي الثم التراب الذي حصل له النداوة من اثر النعل الكريمة ان امكن ذكرها
تقبل مثالها فحبذا اللثم ان فزت ظفرت منه بلثم ذا التمثال سعدت
باعظم المطالب فجواب ان محذوف كما علم حب اثر خبر محذوف اي وهذا
التمثال اثر من اثار المصطفى له تعلق بنا اثر تاثير بمعنى ضرورة مع
منتقشة فيها لها اي لاجل الصورة فلذا انث الضمير العايد على الاثر
شغل بالبنا للمجهول الخلي نايب الفاعل بحب ذات الخال صاحبة
الشامة في الخد بخالف لونه فتزيد حسنا والمعنى انه يتذكر بحسن صورة
ما انتقش في قلبه من ذكر الاثر حسن الشامة بخد محبوبته ويحتمل ان
قوله لها متعلق بمحذوف وشغل مصدر اي من انتقش في قلبه تلك
الصورة وتعلق بها شغل شغلا كشغل الفارغ بصاحبة الشامة فقبل
كرا لا قال جملة دعائية او خبرية معترضة بين الفعل ومفعوله
وهو نعلي اخمص بزنة احمر قدم مرتفع عن الارض حل الهلال اسم له
ثلاث ليال وبعدها قمر بها محل قبال اي قبل النعلين اللتين سرقتا
بلا صفة قدم طهر فيه محل قبالها صورة الهلال بتاثير القبالين اثرا
اشبه الهلال نورا وبها الصق بفتح الهمزة وكسر الصاد الزق بها قلبا
تعلقه الهوى بالقصر الحب والتعلق ثم اطلق على ميل النفس وانحرافها نحو
الشي حال كونه وجلا بكسر الجيم خايفا على الاوصاب جمع وصب الاوجاع
والاوجال جمع وجل كسبب واسباب الخوف اي اجعل قلبك مشغوفا بتلك النعل
حالة كونه خايفا لما اصابه من الاوجاع وانواع الخوف لتقصيره في محبتها
واثارها صافح بها الصق باثر نعله خدا اي جنسه فشمل الخدين فاستعمل
المصافحة في الالصاق مجازا اذ حقيقتها وضع يده في يد غيره وعفر وجه
مثلث الواو والفتح اشهر في تربها بضم فسكون لغة في تراب وجدا
حزنا وفرط بسكون الرا تعال بفتح الفوقية والمعجمة اي زيادة تعلق
في محبتها وهذا ظاهر وهو الذي رايته بخط ابن عساكر وفي نسخة فعال بفا
بدل الفوقية من اضافة الصفة للموصوف اي فعال مفرطة وعطفه على وجدا
عطف سبب على مسبب اي الصق وعفر في تراب مسها لما اصابك من حزن
لا فعالك المذمومة لعلك تنالك بركة صاحبها فيكشف عنك اثامها وتقصيرك
في الطاعة سبيل ما ذكر من المصافحة والتعفير حر جوى حرقة وشدة
وجد ثوى اقام بجوانح ضلوع تحت الترايب ما يلي الصدر في الحب
اي لاجله ففي للتعليل ما جنحت مالت الى الابلال بكسر الهمزة وسكون
الموحدة الاذهاب يا اشبه نعل المصطفى روحي الفدا ان ذهابه بتنزيله
بذلك تنزيله لها منزلة العقلا لشرفها لمحلك اي الذي مسسته الا
سمى المرتفع الشريف البالغ في العلو العالي على غيره من الموجودات وفي
نسخة الاسم الشريف اي المرتفع على غيره من الاسما هملت جرت لمراك

اي المحل المرسة منه قال القاموس وهو مبني بمراي ومسمع اي بحيث اراه
واسمعه والاقرب انه مصدر ميمي اي لرويتك العيون وقد ناي بعد مرمي
العيون بميم وراء بعدها قاف كما في نسخ وهو الذي من جزاين عساكر مصدر
ميمي اي بعد انقطاع دمع العيون السايل والفه منقلبة عن همزة تسهيلا
لالتقا الساكنين وفي نسخة مرمي بميم بدل القاف العيان اي المكان الذي
تصل اليه روية العين بغير ما زايدة اهمال لتطلب روياك وتذكرت
عهد صلي الله عليه وسلم بوادي العقيق موضع قرب المدينة فنا ثرت
نثرت شوقا مبل نفسي بعقيق المدمع الدمع المشبه للعقيق في الحمرة
الهطال كثير السيلان وصبت مالت مواصلت الحنين الشوق
وشدة البكا والطرب الي الذي ما زال مالي تملي منه في بلبال
بفتح الموحدة هم ووسوسة صدر اذكرتني ابينها الصورة المشبهة
نعل المصطفي قدما بفتحتين لها قدم بفتح فكسر فتح العلا الشرف
من اضافة الصفة للموصوف اي العلا القديم لاصالته فيه وفي ابايه وشرف
القدم لشرف صاحبها افضل العالمين صلي الله عليه وسلم والجود والمعروف
والافضال بجر الثلاثة علي العلا اذكرتني اي زادتني ذكرا فلا يعارض
قوله من لم يزل ذكريه له يعتاد يصير لي عادة وهي تكرار الشي علي نهج
واحد في الابكار جمع بكرة ما بين الصبح وطلوع الشمس والاصال وهو
ما بعد العصر الي الغروب والمراد اذكرتني ايتها الصورة بمحبوب لم يزل ذكري
له متكررا علي ممر الاوقات فان المراد بالابكار وما قابل الاصال وذلك شامل
لجميع اجزا الليل والنهار ولها المفاخر جمع مفخرة المنقبة من حسب ونسب
وغيرهما اما فيه او في ابايه والماثر الاثار الحميدة الذي يتفاخر بها ويتباهي
في الدنيا جمع دينا بالتي تقبض الاخرة وكانه جعل كل جزء من اجزا الزمان
دينا فجمعها وان اثاره ما تختص بنوع دون غيره بل هي عامة في جميع
المزايا وفي الاقوال والافعال لوان خدي يحتذي ينطع نعلالها
لبلغت من نيل المني امالي كل ما املته من عز وشرف او ان اجفاني
لوطي نعالها ارض تمشي عليها سمت ارتفعت عزا ابدا بسبب
هذا الاذلال الصوري وهو في نفس الامر غاية العز والشرف وما
احسن قول ابي الحكم ابن المرحل بالفتح مالك بن المرحل واسم ابيه
عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن احد فضلا المغاربة له نظم حسن قاله
الحافظ في تبصيره في قصيدة ذكرها ابو اسحق بن الحاج في تاليفه
المذكور اولا بوصف حبيبي متعلق بقوله طرز الشعر حسنه ناظمه
فاشبه ذكره وصفه في شعره جعل الطراز الذهب او غيره في الثوب
ففيه استعارة مكنية وتخييلية شبه الشعر بثوب مطرز واثبت له
التطريز تخييلا او هو مجاز مرسل اطلق الملزوم واراد لازمه ونمنم
بنونين وميمين زخرف ونقش خد الطرس بالكسر الصحيفة او التي

بحيث ثم كتبت كما في القاموس واقتصر المصباح علي الثاني والمراد هنا
الورق الابيض فالنقش راقمه كاتبه وفيه استعارة بالكناية وتخييلية
شبه الورق البياض بعد كتبه بحسنا زينت بنقش وغيره فذلك التشبيه استعارة
بالكناية واثبات الخد له تخييل والنمنمة ترشيح لانها بمعني النقش م
تناسب المشبه به والنقش تجريد لانه مناسب بالكتابة وهو يطلق عليها وعلي
الوشي هو رؤوف فهو خبر محذوف وبالخفض بدل من حبيبي لا صفة له اذ
رؤوف من اسمايه والعلم ينعت ولا ينعت به عطوف اوسع اكثر الناس
رحمة شبه الرحمة التي هي رقة القلب بالمكان الواسع ثم وصفها بانها
اوسع الرحمات ففيه مجاز من اطلاق اللازم وارادة الملزوم وجادت
عليهم بالنبال بالفتح العطا غمايم جمع غمامة وهي السحاب شبه يديه
بالغمام في كثرة الخير الواصل للناس منها فكانه تعالي هو اكثر الناس رحمة
ولذا افاض عليهم من عطاياه الحسية والمعنوية ما عمهم حتي انه لكثرة نعمه
عليهم عمهم بذلك كل جزء منهم له الحسن والاحسان في كل مذهب طريق
حسي ومعنوي فاثاره محبوبة ومعالمه جمع معلم مظنة الشي وما
يستدل به عليه يعني ان افعاله واقواله كلها رحمة للعالمين واثاره الحميدة
مستمرة علي ممر الايام والدهور محبوبة للعامة والخاصة لعظم ما يحصل لهم
من التاسي بها والاقتدا ودفع المضار عنهم ومعجزاته الدالة علي نبوته وتقدمه
علي غيره لا تنكر به ختم الله النبيين كلهم كما قال وخاتم النبيين وكل
فعال بفتح الفا الوصف الحسن والقبيح وبكسرها جمع فعل والاظهر فتحها لوصفه
بالمفرد في صالح دون صالحة ولكن يوجه وصف المكسورة بصالح بانها
باعتبار لفظ كل او نعت سببي اي صالح كل فعل منها او يؤول باسم مفرد شي
الصادق باجزا كثيرة فمو خاتمه او انه طبع علي كل وصف حسن علي فتح الفا
وعلي كسرها فالمعني انه طبع علي الافعال الحميدة فكانها جمعت فيه وختم عليها
بحيث لا تتعداه الي غيره احب رسول الله صلي الله عليه وسلم لوانه
بدرج الهمزة تقاسمه قومي عشيرتي او جميع المسلمين جعلهم قومه لمشاركتهم
له في الاسلام كغنايم فنايمه جمع غنيمة وهي النصيب كان فوادي كلما
مر ذكره من الورق بضم فسكون جمع ورقا الحمام حال من خفاق شديد
الخفقان وهو الاضطراب خبر كان اصيبت قوادمه اربع او عشر ريشات
في مقدم جناحه جمع قادمة اهيم احرج فلا ادري ابن انوجه واسال
طريقا لادريه اي مكانا استقر فيه اذا هبت نواسم رياح ارض ومن
يضمن لفوادي ان تهب نواسمه جمع ناسمة فالبغي اليه في تحصيله
ما تنشق بالرفع عطفا علي اهيم مسكا طيب معروف ووصفه بقوله طيبا
اشارة الي اشد رايحته وحسنه وكانما نوافجه بالجيم جمع نافجة وهو
المناسب هنا اذ المعني اذا هبت نواسم ارض الحبيب شم منها رايحة كالمسك
الجيد اذا قرب منه وسبعها ان نوافجه عند هبوب الرياح جاءت مشتملة

وعا المسك جادت به وكواطمه جمع لطيمة وعا المسك اوشربه او عير تحمله وهو
المناسب هنا اذ المعنى اذا هبت نواسم ارض الحبيب شم منها رايحة المسك
الجيد اذا قرب منه وسببها ان نوافجه عند هبوب الرياح جادت مشتملة
على المسك محمولة على عير فكثرة الرايحة وروتعها نشا من كثرة ما حضر من
نوافج المسك المشتملة عليه وبما دعاني ناداني وضميره لما والدعاوي
بفتح الواو وكسرها كثيرة جملة معترضة الى الشوق متعلق بدعاني
وتعويل النفس الى الشي وعبتها فيه مع ان الشوق مما اكابده اكتمه ولا
اظهره وبما دعاني خبر مبتدا اه مثال لنعلي من احب هو حديته بالها
وفي نسخة حوبته بالحا وكلاهما حسن مناسب لقوله فها انا فيه نومي
وليلي الاثمه مقبله وفيه التضمين وهو افتقار البيت الى ما بعده اجر
اسحب على راسي ووجهي اديمه جلده والمراد الرقعة المصور فيها
جلدا او ورقا او غيرها والثمه اقبله طورا تارة وضميره للمثال او
الاديم المشتمل عليه وطورا الازمه نضمه الى صدري مثلا وادوم ذلك
بحيث لا افارقه امثله اصوره وافرض اني اشاهده في رجل اكرم من
مشى عليه الصلاة والسلام فتبصره عيني اي لشدة استحضاري له
في ذهني كان عيني تبصره وما انا حالمه بلام قبل الميم للتاكيد لقوله
فتبصره وفي نسخة حاكمه بالكاف اي لا اتمكن من حقيقته وانما احكم بمثاله
فقط وفي اخرى حامله بالميم قبل اللام اي لست بحامل له كما هو معلوم احرك
خدي عند مروره المثل عليه كاني اريد اخذ شي منه ثم احسب اظن وقعد
على وجنتي ما ارتفع من لحم خدي خطوا بفتح فسكون اي مشيا منه صلى الله
عليه وسلم هناك على وجهه لشدة تعلقي به وامه بدوامه اي ذلك المثل
اي بناتي فيه او بطلب دوامه وبتكمل لي بوقع النعل النبوي في حر
وجنتي حال كونه لماش علت فوق النجوم براجمه بفتح الموحدة رؤوس
السلاميات من ظهر الكف اذا قبض الشخص كفه نشزت وارتفعت والجملة في
محل جر نعت لماش ساجعله فوق الترايب عظام الصدر او ما ولي الترقوتين
منه او ما بين الثديين عوذة رقية لقلبي متعلق بها لعل القلب يبرد
حاجمه بحا مهملة قال تحيم حرارته الشديدة واربطه بضم البا وكسرها
فوق الشوون موصل قبايل الراس وهي القطع المشعوب بعضها الى
بعض كما في القاموس تميمة حرزا لجفني لعل الجفن يرقا بالهمز ساجم
دمعه السايل الا اداة استفتاح افدي بابي مثال نعل محمد لطاب اللام
في جواب قسم مقدر اي والله لقد طاب ذلك المثال لحاذيه صانعه وقدس
طهر خادمه من الادناس المعنوية ببركة خدمته لذلك المثال يودي
بفتح الواو بحب هلال الافق بسكون الفا الناحية من السما لو انه هوى
سقط الينا يزاحمنا يدافعنا في لثمه وتزاحمه لاجل لثمه ففي بمعنى اللام
ويا ذا أي الود المفهوم من يود الا ان حب بينا يقوم باجسام الخليقة

لازمه

لازمه حرارة الحب وتزايده او ان سبب محبة الهلال النزول ان حب المصطفى
يقوم بالاجساد فيثير حرارة بحركه الى التبرك باثاره صلى الله عليه وسلم فاذا وجد
من قامت به المثال لم يمكنه التخلف عنه سلام عليه لا ينقطع بل يتكرر كلما هبت
الصبا بالقصر ريح وغنت صوتت باغصان شجر الاراك حمايمه المقيمة به ولابي
بكر احمد بن الامام ابي محمد عبد الله بن الحسين الانصاري المدعو بحميد القرطبي
شهرة ونعوسا لعين رحمه الله تعالى كان مقريا مجودا فقيها محدثا ضابطا نحويا
ماهرا اديبا كاتبا بارعا متين الدين صادق الورع سريع العبرة كثير البكا لا يضحك
الا تبسما نادرا دايم يعقبه بالبكا والاستغفار متقشفا في مطعمه وملبسه معا فا
على ذلك مويدا من الله معرضا عن الدنيا حتى بلغ من الورع رتبة لم يزاحم عليها اقرا
ببلده مالقة القران ودرس الفقه واسمع الحديث وادب بالعربية ثم رحل قاصد
الحج فلما وصل مصر عظم صيته بها فمرض وتعذر عليه الحج فطلب السلطان زيارته
فابى فالح عليه حتى اذن له فعرض عليه جايزة سنية فلم يقبلها وتوفي فحضر
جنازته السلطان ومن لا يحصى سنة ثنتين وخمسين وستماية ومولده سنة سبع
وستماية رحمه الله تعالى ونعل بالرفع او الجر على ما قبله ان كان قبله شي او
خبر مبتدا محذوف اي وهذه نعل خضعنا ذللنا هيبة اجلالا لبهاء بها
حسنها حين ابصرناها وانا متى نخضع لها ابدا في كل زمان نعلو ترتفع
فضمها اي النعل ايها الظا فربها على اعلا المفارق الراس انها حقيقتها
اي ثبتها تاج تزين الراس كالتاج وهو الاكليل وصورتها نعل اي كصورته
واخمص خير الخلق حازت ضمت مزية فضيلة على التاج الذي تتزين به
الملوك حتى باهت المفرق بزنة مسجد حيث يفرق الشعر الرجل طريق الهدي
الموصلة له عنها استنارت اي نارت لمبصر والسين للتاكيد وان بحار الجود
من فيضها حلوا بضم الحا واللام صارت شديدة الحلاوة بما فاض عليها من بركة
النعل من حلا الشي يحلبه اذا صيره حلوا واصله حلوا حذفت اليا لثقلها وضمت
اللام لمناسبة الواو ولم يقل حليت تنزيلا للبحار منزلة العقلا فانى بالواو
سلونا عما نشيتم فلنا به علم واحاطة ولكن عن سواها غيرها فلا نسلو لانا عنها
فانا لا يمكننا معرفة حقيقتها لما اكتسبته من المهابة ولذلك انما نهيم بمغناها
بمعنى منزلها محلها الذي اقامت به الغريب البعيد في الصعد عن الاماكن المعروفة
للناس لانها اذا احلت محلا استنار واشرق وما نسلوا نصبر عنها بل تزيد شوقنا
وتحيرنا فما شاقنا حرك نفوسنا الى ما نهواه مذ رافقنا اصابنا رسم اثر
عزها حميم قريب مشفق ولا ما ذكرتم تغيب ولا نسل اولاد شفنا في
سقم بضم فسكون مرض رجا بالمد اي مرجوه لبايس من اصابه الضر اسم
فاعل من ييس اما لذي يرجوه كذا احسب بعد الفضل من قولهم حسبت
المال بفتح السين احصيته عددا واما فراشه قدرا او صفة قال المصباح بالكسر
فعال بمعنى مفعول ويطلق عليه فرش تسمية بالمصدر فقد كان صلى الله
عليه وسلم اخذ من ذلك بما تدعو ضرورته اليه فكان يقتصر منه قدر الحاجة

خذ او صفة على قدر الحاجة وترك ما سوى ذلك فلم يتخذه ومن صحيح
مسلم في اللباس وسنن ابي داود والنسائي وابن ماجة ومسند احمد عن جابر
قوله صلى الله عليه وسلم فراش واحد كائن لامراته اي جنسها فيشمل
ما لو تعددت او كانت سرية قال ويدل على المحذوف قوله والثالث للضيف
اي جنسه وجنس الفراش فيصدق بتعدده عند الاحتياج اليه لكثرة ضيفانه
عادة والمراد من يبيت عنده فلا يختص بقادم من سفر ولا غيره والرابع
للشيطان فلا يندب اتخاذه قال القرطبي بين به الحد غاية ما يجوز للانسان
ان يتوسع فيه ويترفه به من الفرش لان الافضل ان يكون له فراش يختص به
ولامراته فراش فقد كان صلى الله عليه وسلم ليس له الا فراش واحد واما
فراش الضيف فيتعين للمضيف اعداده لانه من اكرامه والقيام بحقه ولانه
لا يتأتى له شرعا الاضطجاع ولا النوم معه واهله على فراش واحد والرابع لا يحتاج
اليه فهو سرف ونسبته للشيطان ذم له لكنه لا يدل على تحريم اتخاذه وانما هو من
قبيل خبر ان الشيطان ليستحل الطعام الذي لا يذكر اسم الله عليه ولا بد لذلك في
التحريم انتهى قال العلماء كما نقله النووي في شرح مسلم معناه ما زاد على
الحاجة يعلم منه انما احتيج له ولو كثر ينبغي اتخاذه لا خصوص الرابع فاتخاذه
انما هو للمباهاة والاختيال التكبر والالتهاء بزينة الدنيا ولا يرد ان
هذا يقتضي تحريمه لمنع ذلك بان مجرد اتخاذ الثياب الفاخرة والفرش
النفيسة لمساواته لغيره من اهل الدنيا او الزيادة عليهم فيما يقتنونه ليس
حراما لم يتأت زينة فقصد تحقير غيره مثلا وما كان بهذه الصفة فهو
مذموم وكل مذموم يضاف ينسب للشيطان ابليس او غيره لانه يرتضيه
ويوسوس به ويحسنه فاضافته اليه مجاز بهذا الاعتبار وقيل انه على
ظاهره وانه اذا كان لغير حاجة كان للشيطان عليه مبيت ومقيل
فكانه اتخذ له وقد امرنا بما يؤدي الى بعده عن امتعتنا والمراد انه يستعمله اي
وقت اراد وخصهما لانهما وقت الراحة واما تعداد الفراش للزوج
والزوجة فلا باس به اي يجوز لانه يحتاج كل واحد منهما الى فراش
عند المرض ونحوه ولا يرد ان السنة بيات الرجل مع زوجته بفراش
واحد فاللائق عدم اتخاذه لعدم الحاجة له وتتمة كلام النووي واستدل
بعضهم بهذا انه لا يلزم النوم مع امراته وله الانفراد عنها بفراش وهو استدلال
ضعيف لان المراد بهذا وقت الحاجة بالمرض وغيره كما ذكرنا وان كان النوم
مع الزوجة ليس واجبا لكنه بدليل اخر والصواب انه اذا لم يكن لواحد منهما
عذر في الانفراد فاجتماعهما في فراش واحد افضل وهو ظاهر فعله صلى
الله عليه وسلم الذي واظب عليه مع مواظبته على قيام الليل فاذا اراد القيام
لوظيفته قام وتركها فيجمع بين وظيفته وقضاء حقها المندوب وعشرتها
بالمعروف لا سيما ان عرف من حالها حرصها على هذا ثم انه لا يلزم من النوم معها
الجماع انتهى وعن عائشة رضي الله تعالى عنها انما كان فراش رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم الذي ينام فيه قيدت به لان الفراش قد يكون للحاجة
والمراد عندها في غالب احواله فلا يرد انه نام عندها على قطيفة كما في الحديث
التالي ولا ما رواه الترمذي عن حفصة كان فراشه مسحا بكسر فسكون فراش
خشن من صوف او شعر ولابي الشيخ عنها كان فراشه قطيفة ادما بفتحتين
جمع ادمة او اديم جلد مدبوغ او احمر او مطلق الجلد حشوه بالفتح اي الادم باعتبار
لفظه وان كان معناه جمعا فالجملة صفة لادم او حالية من فراش ليف بالكسر للنخل
واحده اي القطعة منه ليفة كما في الصحاح فما كان من غيره لا يسمى ليفا فتعليل كونه
من النخل بانه الكثير بل المعروف عندهم يعرف اطلاقه فيهم اطلاقه على غيره وهو
خلاف مقتضى الجوهري قال بعض المحققين الظاهر ان قولها انما الخ قصد
تعيين ما كان ينام عليه والظاهر وقوعه جواب سائل او قائل بل رواه الشيخان
وغيرهما كالترمذي وفيه ان النوم على الفراش المحشو واتخاذه لا ينافي الزهد
ذهبه من ادم او غيره حشوه ليف او غيره لان عين الادم والليف ليست شرطا بل
لانها المالوفة عندهم فيلحق بها كل مالوف مباح نعم الاولى لمن غلب عليه الكسل
وميل نفسه الى الراحة والترفه ان لا يبالغ في حشو الفراش لانه سبب ظاهر
في كثرة النوم والغفلة والشطي عن الخيرات والمهمات بدليل حديث حفصة
عند الترمذي كان فراشه مسحا نثنيه ثنتين فينام عليه فلما كان ذات ليلة
قلت لو ثنيته اربع ثنيات لكان اوطا فثنيناه باربع ثنيات فلما اصبح قال
ما فرشتموه قلنا هو فراشك الا انا ثنيناه باربع قلنا هو اوطا لك قال ردوه
لحالته الاولى فانه منعتني وطاته صلاتي الليلة وروى البيهقي وابو الشيخ
في كتاب الاخلاق النبوية وابن سعد من حديثها اي عائشة قالت دخلت
علي امراة من الانصار فرات فراش رسول الله صلى الله عليه
وسلم قطيفة وفي رواية عباءة مثنية فبعثت الي بفراش
حشوه الصوف فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما
هذا يا عائشة قلت يا رسول الله فلانة الانصارية مفاده انها سمتها
له فنسي الراوي اسمها او ابهمها لغرض فعبر عنها بفلانة دخلت فرات
فراشك فبعثت الي بهذا فقال رديه يا عائشة فوالله لو شئت
لاجرى الله معي جبال الذهب والفضة فاتخاذي لهذا الفراش ليس عجزا
عن غيره بل اختيارا لعدم الترفه المشعر بالمباهاة وحظ النفس واتباعا لقوله
تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم وفي رواية ابن سعد
وابي الشيخ والحسن بن عرفة فلم ارده واعجبني ان يكون في بيتي حتى قال
ذلك ثلاث مرات فقال رديه يا عائشة فوالله الى اخره فردته وفيه انها لم
ترده بمجرد امره لانها لم تفهم حتمه بل فهمت انه اراد ان شئت ولذا لما صرح
بحتمه ردته وعن عبد الله بن مسعود نام رسول الله صلى الله
عليه وسلم على حصير قال ابن بطال هي ما صنع من سعف النخل وشبهه قدر
طول الرجل فاكثر قاله في الفتح وكتبها ولعل المراد بها الحقيقة الاتية في حديث

بمر مقام وقد اثر في جنبه لانه لم يكن عليه غير ازاره الحديث تتمته
فبكيت فقال ما يبكيك قلت كسرى وقيصر على الديباج والخز وانت نايم على
هذا الحصير يا رسول الله بابي وامي لو كنت اذنتنا فافترشنا لك شيا تقيك منه
فقال مالي وللدنيا ما انا في الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها
رواه بتمامه احمد وابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح وكذا
صححه الحاكم والضيا ورواه الطبراني ولفظه اي الطبراني عن ابن مسعود
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في غرفة كانها بيت حمام
لشدة حرها وهو نايم على حصير قد اثر بجنبه فبكيت شفقة عليه فقال
ما يبكيك يا عبد الله قلت يا رسول الله كسرى ملك الفرس وقيصر ملك الروم
يطؤن يمشون على الخز بحا وزاي معجمتين والديباج واراد بالجمع ما فوق
الواحد او اراد وقومهما وانت نايم على هذا الحصير قد اثر بجنبك وانت
رسول الله وافضل خلقه وهما كافران فقال فلا تبك يا عبد الله فان لهم
الدنيا وهي فانية كانها لم تكن ولنا الاخرة وهي باقية وهي الحيوان ولنا
في الجنة ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقوله كانها
بيت حمام بتشديد الميم اي ان فيها من الحر والكرب بفتح فسكون
الحزن ياخذ بالنفس عطف مسبب على سبب كما في بيت الحمام من ذلك وعن
ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب قال دخلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو على حصير قال فجلست فاذا عليه ازاره وليس
عليه غيره واذا الحصير قد اثر في جنبه واذا انا بقبضة من شعير
بفتح الشين وتكسر نحو الصاع واذا اهاب جلد لم يدبغ او مطلقا دبغ
او لم يدبغ والمراد جنس اهاب فلا ينافي رواية الصحيحين اهب معلق
فابتدرت عيناي بادرت بارسال الدمع مسرعة فقال ما يبكيك يا ابن
الخطاب فقلت يا نبي الله وما لي لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في
جنبك وهذه خزاينك اي الاماكن المعدة للادخار لا ارى فيها الا ما ارى
من شعير نحو صاع وذاك كسرى وقيصر في الثمار والانهار وانت نبي
الله وصفوته مختاره وهذه خزاينك لا ارى فيها الا ما ارى
كرره مبالغة في اظهار التاسف قال يا ابن الخطاب وفي رواية البخاري
ومسلم فوالله ما رايت في بيته شيا يرد البصر غير اهبة ثلاثة فقلت
ادع الله فليوسع على امتك فان فارسا والروم قد وسع عليهم واعطوا
الدنيا وهم لا يعبدون الله فجلس صلى الله عليه وسلم وكان متكيا فقال او في
هذا انت يا ابن الخطاب بهمزة استفهام واو عطف على مقدر بعدها قال
الكرماني اي انت في مقام استعظام التجملات الدنيوية واستعجالها
وفي رواية للشيخين ايضا او في شك انت يا ابن الخطاب اي انت في شك
ان التوسع في الدنيا مرغوب عنه فقلت يا رسول الله استغفر لي اي من
اعتقادي ان تجمل الدنيا مرغوب فيه قال اما ترضى ان تكون لهم الدنيا

لنا الاخرة الباقية ولهم الدنيا الفانية وجمع ضمير لهم على ارادتهما ومن
تبعهما او كان على مثل حالهما بدليل رواية الشيخين رواه ابن ماجه
باسناد صحيح بهذا اللفظ ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط
مسلم ولا معنى لاستدراكه فانه بعض حديث المشربة الذي اخرجه الشيخان
غايته ان فيه بعض المغايرة في الفاظ والمعنى واحد ولفظه اي الحاكم
قال عمر رضي الله عنه استاذنت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت لغلام له اسود اي رباح براء مفتوحة وموحدة خفيفة النوبي استاذن
لعمر فاذن لي بعد ثلاث فدخلت عليه في مشربة بفتح الميم وسكون المعجمة
وضم الراو وفتحها غرفة يرقى عليها بعجلة كما في الصحيح بفتح المهملة والجيم
اي درجة جلس فيها صلى الله عليه وسلم لما حلف لا يدخل على نسايه شهرا
وانه لمضطجع على خصفة بفتحات وعا من خوص للتمر وفي رواية
الشيخين وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شي وفي اخرى لهما فاذا هو مضطجع
على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش قد اثر في جنبه اي قد اثر الرمال
في جنبه وان بعضه لعلى التراب وتحت راسه وسادة بكسر الواو
مخدة زاد في الصحيح من ادم حشوه ليف وان فوق راسه لاهاب
عطين بالنصب اسم ان وكتب بحذف الالف على لغة ربيعة وجرى عليها
كثير من المحدثين يكتبون المنصوب بصورة المرفوع اكتفا بالنطق بها منصوبا
وعطين اي متغيرا منتنا قال القاموس عطن الجلد كفرح وانعطن وضع في
الدباغ وترك فافسد وانتن او نضح عليه الما وفي رواية الصحيحين وعند
راسه اهب معلقة بفتح الهمزة والها وضمها جمع اهاب وفي رواية لهما غير
اهبة ثلاثة بفتحتين جمع وفي ناحية المشربة قرظ بفتح القاف والرا
والظا المعجمة ورق السلم الذي يدبغ به وفي رواية الشيخين وان
عند رجليه قرظا مصبوبا فسلمت عليه وجلست فقلت انت نبي الله
وصفوته وكسرى وقيصر على سرر بضمتين جمع سرير الذهب
وفرش الديباج والحرير فقال اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم
في الدنيا وهي وشيكة بمعجمة وكاف قريبة الانقطاع اي الزوال
وفي نسخة وسيلة بمهملة ولام اي طريق الانقطاع عن الاخرة وانا
قوم اخرت لنا طيباتنا في اخرتنا اصالة فالاخرة لهم لانهم المنتفعون
بها حتى كانها منسوبة لهم لا لغيرهم وفي رواية للشيخين اولئك قوم
عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله قال
النواوي في شرح مسلم وهذا يحتج به من يفضل الفقير على الغني
لما في مفهومه ان بقدر ما يتعجل من طيبات الدنيا يفوته من ادخار
الاجر له في الاخرة وقد يتاوله الاخرون بان المراد ان حظ هولاء من
النعيم ما نالوه في الدنيا ولا حظ لهم في الاخرة لكفرهم وعن عايشة
رضي الله عنها كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سرير

مرمل بضم الميم وفتح الراء وشد الميم بالبردي بفتح فسكون نبات
يعمل منه الحصر على لفظ المنسوب الى البرد كما في المصباح فالمعنى ان
قوائم السرير موصولة مغطاة بما نسج من ذلك النبات وفي حديث
عمر في الصحيح فاذا هو مضطجع على رمال حصير قال المصنف بكسر الرا
وبضم اي سرير موصول بما يرمل به الحصير اي ينسج ورمال الحصير ضلوعه
المتداخلة فيه كالخيوط في الثوب وعليه اي السرير كساء اسود وقد
حشوناه بالبردي فدخل ابو بكر وعمر عليه واذا النبي صلى الله
عليه وسلم نائم عليه فلما راهما استوى جالسا اكراما لهما فنظر
فاذا اثر السرير في جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا
يا رسول الله ما يؤذيك بحذف همزة الاستفهام تخفيفا اي اما يؤذيك
خشونة ما نرى من فراشك وسريرك وهذا كسرى وقيصر
اتى بالاشارة لتحقق كونهما على فرش الديباج والحرير حتى
كانهما مشاهدان يشار اليهما فقال عليه الصلاة والسلام لا تقولا
هذا فان فراش كسرى وقيصر في النار كناية عن عذابهما
وحقارتهما بجعل النار ظرفا لفراشهما محيطة به وان فراشي
وسريري هذا عاقبته الى الجنة لم يقل في الجنة على نمط ما
قبله اشارة الى تصرفه فيها كيف شاء وذلك ابلغ في تعظيمه من
مجرد كون فراشه وسريره بها رواه ابن حبان في صحيحه
المسمى بالانواع والتقاسيم ويروى انه عليه الصلاة والسلام
ما عاب مضجعا قط اي مكانا يضطجع فيه ان فرش له اضطجع
على ما فرش له والا يفرش له شيء يضطجع على الارض وتغطى صلى
الله عليه وسلم باللحاف بزنة كتاب ما يتغطى به والجمع لحف كما في المصباح
قال عليه الصلاة والسلام كما رواه البخاري عن عائشة اجتمع صواحبي
الى ام سلمة فقلن والله ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وانا
نريد الخير كما تريد عائشة فمري رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يامر الناس
ان يهدوا اليه حيث ما كان او حيث ما دار فذكرت ذلك ام سلمة له قالت
فاعرض عني فلما عاد الي ذكرته له ذلك فاعرض عني فلما كان في الثالثة
ذكرت له فقال يا ام سلمة لا تؤذيني في عائشة فوالله ما اتاني جبريل
وفي رواية ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة منكن غير عائشة
لمبالغتها في تنظيف ثيابها او لمكان والدها وانه لم يفارق النبي صلى
الله عليه وسلم في اغلب احواله فسرى سره الى ابنته مع مزيد حب
المصطفى لها وفيه فضلها على جميع نسائه ويحتمل ان المراد غير خديجة لانها
ماتت قبل ذلك فلم تدخل في الخطاب بقوله منكن قاله الحافظ وجزم
به السيوطي بما ابداه احتمالا ثم المصنف ذكر هذا الحديث دليلا لقوله
تغطى باللحاف لان الاستثناء من النفي اثبات فكانه قيل اتاني وانا متغط

بلحاف

بلحاف عائشة والمتبادر انها معه فيه النوع الثالث في بيان
سيرته طريقته التي كان يفعلها صلى الله عليه وسلم في نكاحه
حال من سيرته او صفة لها فلا يرد منع تعلق حرفي جر بمتحد في اللفظ
والمعنى بعامل واحد ثم المراد الوطء وان اطلق على العقد ايضا لقوله ثم
صلى الله عليه وسلم ياخذ من الجماع بالاكمل من بيانية للاكمل كانه
قال ياخذ بالاكمل من النكاح وهو ما اي قدر تحفظ به الصحة وتتم
به اللذة الحاصلة بالجماع عادة فلا يقال اللذة ليست محصورة في شيء بحيث
لا يمكن زيادة عليه ويحصل بها سرور النفس فهو عطف مسبب على
سبب ويحصل به مقاصده جمع مقصد وهو ما يراد من الشيء ويطلب
التي وضع لاجلها اي وضعها الشارع حيث اباحه وهذا عطف على تحفظ
اعم مما قبله اذ لم يذكر فيه دوام نوع الانسان فان الجماع في الاصل
وضع لثلاثة اشياء هي مقاصده الاصلية احدها حفظ النفس
بمنع الآفات عنها التي قد تفضي الى الهلاك ودوام النوع الانساني
الى ان تتكامل العدة التي قدر الله تعالى بروزها في هذا
العالم بتكونه ووجوده بعد ان لم يكن فيشمل السقط ومن مات ببطن امه
الثاني قضاء الوطر صوابه كما في زاد المعاد الثاني اخراج الماء الذي
يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن الثالث قضاء الوطر اي الحاجة
اي فعل المطلوب ونيل اللذة والتمتع بالنعمة وهذه هي
الفائدة التي في الجنة اذ لا تناسل هناك ولا احتقان اجتماع
مني في الصلب يستفرغ بالانزال المضر بقاؤه بجملة البدن وفضلاء
الاطباء يرون ان الجماع من احد اسباب الصحة كذا في النسخ
كزاد المعاد بمن زائدة في الاثبات على قول الاخفش اذ الجماع نفسه
احد اسباب الصحة لا بعض سبب منها اللهم الا ان يقال اسباب الصحة كثيرة
واحدها يحصل به اخراج الفضلات المضرة بالبدن والجماع بعض ذلك
السبب لكن لا ينبغي لا يندب ندبا موكدا اخراج المني الا في امرين
طلب النسل لتكثير الامة المحمدية ومن اخراج ما احتقن منه لانه
من التداوي وقد امرنا به لا بمجرد قضاء الشهوة واللذة وقوله المصباح
معنى ينبغي كذا يندب ندبا موكدا لا يحسن تركه اي يذم تاركه والا فالمطلوب
من حيث هو لا يحسن تركه اذ لو حسن لطلب الترك كالفعل فانه اذا دام
احتقانه احدث امراضا ردية منها الوسواس والصرع
والجنون وغير ذلك هذا كله علة لطلب اخراج المحتقن من المني وقد
يبرئ استعماله من هذه الامراض كثيرا اي يمنع من وقوعها بدليل
التعليل بقوله فانه اذا طال احتباسه فسد واستحال الى كيفية
سمية توجب امراضا ردية بعيدة وتقلبا اذا هو بعد استحالته
الى السمية لا يخرج بصفته كونه منيا هكذا قرره شيخنا وهو وجيه

وقال في الشرح يعني ان الجماع كما يحفظ الصحة قد يزيد الامراض الناشئة
من احتقان المني ويمكن ان يكون وجيس ان يكون قوله اذا طال الي اخره
علة لقوله واخراج المحتقن فالاولي تقديمه علي قوله وقد يبري
وقد زاد ابن القيم بعد قوله ردية وذلك تدفعه الطبيعة اذا كثر عندها
من غير جماع وقال بعض السلف ينبغي للرجل ان يتعاهد من نفسه ثلاثا
ان لا يدع المشي فان احتاج اليه يوما قدر عليه وان لا يدع الاكل فان
امعاه تضيق وان لا يدع الجماع فان البير اذا لم تنزح ذهب ماوها قال
محمد بن زكريا احد علما الطب من ترك الجماع مدة طويلة ضعفت
قوى اعصابه واستدت مجاريها وتقلص ذكره انضم وانزوى
كما في القاموس قال ورايت جماعة تركوه لنوع من التقشف
فبردت بضم الراء وفتحها ابدانهم اي سكنت حرارتها وعسرت
حركاتهم ووقعت عليهم كابة غم وسوء حال بفتح الكاف واسكان
الهمزة بوزن تمرة كما في المصباح وزاد القاموس كاابة بالمد بلا
سبب وقلت شهواتهم وهضمهم للطعام اشار اليه يعني ذكره
العلامة ابن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد قال ايضا
ومن منافعه وان لم يكن من مقاصده الاصلية غض البصر عن الحرام
وكف النفس عن الزنا ومقدماته والقدرة علي العفة عن الحرام
هذا كالتفسير لما قبله ومن منافعه تحصيل ذلك المذكور للمراة فهو
ينفع نفسه في دنياه بنيل اللذة ودفع الامراض واخرته بعدم
استحقاق العذاب ان لم يعف عن الحرام وبنيل الثواب بقصده الحسن
وينفع المراة الي هنا تم الكلام المهدي فكان الاولي تاخير قوله اشار
اليه في زاد المعاد الي هنا ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة
بين الناس لا تنكر والتمادح به سيرة طريقة ماضية قديمة او
نافذة مقررة من مضي الامر اذا قضي وتقرر ولذلك كان صلي الله
عليه وسلم يتعاهده اي يتردد اليه ويكرره ويقول كما في حديث
انس عند الطبراني في الاوسط والنسائي في سننه والحاكم
في مستدركه وقال علي شرط مسلم والبيهقي في السنن قال الحافظ
واسناده حسن والامام احمد في كتاب الزهد وهم من عزاه لمسنده
كلهم عن انس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال حبب بالبنا للمفعول
اليّ من دنياكم النسا لتنقل ما بطن من الشريعة مما يستحيي من ذكره
بين الرجال والطيب لانه حظ الملايكة ولا غرض لهم في شي من الدنيا
سواه فكانه يقول حبي لهاتين انما هو لاجل غيري قال الطيبي جي
بالفعل مجهولا دلالة علي ان ذلك لم يكن من جبلته وطبعه وانه مجبور
علي هذا الحب رحمة للعباد ورفقا بهم بخلاف الصلاة فمحبوبة له
بذاتها ملذا قال وجعلت قرة عيني في الصلاة ذات الركوع

والسجود

والسجود لانها محل المناجاة ومعدن المصافاة وقيل المراد صلاة الله
وملايكته عليه ومنع بان السياق يأباه وقدم النسا للاهتمام بنشر
الاحكام وتكثير سواد الاسلام واردفه بالطيب لانه من اعظم
الدواعي لجماعهن مع حسنه بالذات وكونه كالقوت للملايكة وافرد الصلاة
عنهما لانها غيرهما بحسب المعني اذ ليس فيها تقاضي شهوة نفسانية كما
فيهما وقرة عينيه اي لمناجاته فيها ربه تعالي ولذا خصه دون
بقية اركان الدين وزاد الامام احمد في الزهد بعد قوله والطيب واصبر
عن الطعام والشراب ولا اصبر عنهن كذا نسب ابن القيم والزركشي
هذه الزيادة لكتاب الزهد وتعقبه السيوطي بانه مر علي الزهد
مرارا فلم يجدها فيه لكن في زوايده لابنه عبد الله بن احمد عن انس مرفوعا
قرة عيني في الصلاة وحبب الي النسا والطيب الجايع يشبع والظمان
يروي وانا لا اشبع من النسا فلعله اراد هذه الطريق قال عن بعضهم
في معني هذا الحديث قولان احدهما انه زيادة في الابتلا والتكليف حتي
لا يلهو بما حبب اليه من النسا عما كلف به من ادا الرسالة فيكون ذلك اعظم
لاجره واكثر لمشاقه والثاني لتكون خلواته مع من يشاهدها من نسايه
فيزول عنه ما يرميه به المشركون من انه ساحر شاعر فيكون تحبيبهن اليه
لطفا به وعلي القولين فهو له فضيلة وقال بعضهم من بعضهم في لان هذه من
الدين لا من الدنيا وان كانت محبة النسا والنكاح من كمال الانسان
لدلالته علي قوة الجسم واعتداله وهو من اخلاق الانبيا وهذا خليل الله
ابراهيم امام الحنفا افضل الخلق بعد المصطفي علي الراجح كانت عنده
سارة بالتشديد والتخفيف من النسوة المختلف في نبوتهن اجمل نسا
العالمين واحب هاجر بالها والالف والجيم ويقال لها اجر وتسري بها
فولدت له اسماعيل وروي سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري
ولي قضا المدينة وكان ثقة فاضلا عابدا مات سنة خمس وعشرين ومائة وقيل
بعدها وهو ابن اثنين وسبعين سنة روي له الجميع عن عامر بن سعد بن ابي
وقاص الزهري المدني ثقة مات سنة اربع ومائة عن ابيه سعد بن ابي
وقاص مالك احد العشرة قال كان الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام
يزور هاجر في كل يوم من الشام علي البراق بضم الموحدة شغفا بها
زيادة حب وقلة صبر عنها وهذا موقوف صحابي وهذا داود عليه
الصلاة والسلام جعله ومن قبله وبعده لشهرتهم وشهرته ايضا فهم
بما ذكر بمنزلة المحسوس المشاهد فاشار اليهم كان عنده تسعة وتسعون
امراة علي زهده واكله من عمل يده مع ما اوتي من الملك فاحب تلك المراة
التي كانت زوج رجل من بني اسرايل لانه راها فاعجبته فساله تطليقها فطلقها
بطيب خاطره وتزوج بها فكمل المائة بها فولدت سليمان وهذا
سليمان ابنه كان يطوف في الليلة علي تسعين امراة كما في

رواية رتي اخري سبعين واخري ستين واخري ماية وياتي بسطه قريبا

تنبيه علم ما تقدم اجمالا انه لم يرو لفظ ثلاث ووقع في الاحيا للغزالي في موضعين وتفسير ال عمران من الكشاف عند قوله تعالى فيه ايات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان امنا وتبعه البيضاوي وكثير من كتب الفقها والراغب وابن عربي في الفصوص حبب الي من دنياكم ثلاث وقالوا انه عليه الصلاة والسلام قال ثلاث ولم يذكر الا اثنين الطيب والنسا لتذهب النفس كل مذهب ممكن في تعيين ما يصلح جعله مثالا للمتروك وفي حديث ما يفيد انه صلي الله عليه وسلم الطعام روي احمد عن عايشة كان يعجب رسول الله صلي الله عليه وسلم من الدنيا ثلاثة اشيا النسا والطيب والطعام فاصاب اثنين ولم يصب واحدة اصاب النسا والطيب ولم يصب الطعام واسناده صحيح لكن فيه رجل لم يسم ومنه قول الشاعر ان الاحامرة بالحا المهملة جمع احمر لا بمعجمة لانه ليس جمعا لخمار الثلاثة الخمر وهو احمر والما الغراح اهلكن مالي وكنت بهن قدما بكسر فسكون مولعا بضم فسكون ففتح الخمر وهو احمر والما الغراح سماه احمر مجازا اذ لا لون له واطلي بالزعفران واطلا به ليس من الثلاثة فهو مثل الاية والحديث ولم يفهم من قال لا شاهد فيه لانه علي منهجه اذ المراد التنظير علي الطي وانه مستعمل في القران وشعر العرب فلا ازال مولعا بفتح الواو واللام الثقيلة وفي صحاح الجوهري واهلك الرجال الاحمران اللحم والخمر فاذا قلت الاحامرة دخل فيه الخلوق وانشد الاصمعي

ان الاحامرة الثلاثة اهلكت ۞ مالي وكنت بهن قدما مولعا

الراح واللحم السمينة والطلا ۞ بالزعفران فلن ازال مولعا

انتهي فلم يذكر الما وذكرها ابو لغظة ثلاث الامام ابو بكر محمد بن الحسن بضم الفا واسكان الواو الاصبهاني الاصولي النحوي المتكلم الواعظ صاحب التصانيف القريبة من ماية مات مسموما سنة ست واربع ماية ودفن بنيسابور وقبره بظاهرها يستسقي به ويجاب الدعا عنده في جز مفرد ووجهها واطنب في ذلك فقال الصلاة طاعة المطيع من الدنيا لربه تعالى فهي منها وقتا ومحلا لا حكما واسما والطيب والنسا من الدنيا وقتا وحكما ومحلا ووصفا ولذا افرد الصلاة ليدل علي انها مخصوصة بانها في الدنيا وهي وصلة الي الاخرة وبها تفرغ عنه ومن يجعل مثله علي التحقيق لانها اتصال بالله ومناجاة له ووقوف بين يديه وخشوع له وتقرب اليه ولهيبتها يرجو العبد التقريب والتقديم والنجاة والايناس والرحمة والمنزلة وانما ذكر العبادة وهو من يريد المعبود كما يقال الحجر من البيت لانه متصل به والداخل فيه كالداخل في البيت ولان العبادة تذكر بالمعبود وتقرب اليه والشي يضاف الي الشي اذا كان له به تعلق وسبب

لحديث

لحديث سبقت رحمتي غضبي قالوا معناه سبق المرحوم المغضوب عليه لان السبق في الرحمة والغضب لا يتجه لانهما وصفان راجعان الي الارادة من صفات الذات وكل ما وقع في التوسط مما يراد به الاخرة فليس من الدنيا وما كان منها مما يراد به الدنيا فهو من الدنيا ولذا قال صلي الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما اريد به وجه الله نقله عنه السخاوي وهذا يسمي عندهم طيا وهو ان يذكر جمع ثم يوتي ببعضه ويسكت عن ذكر باقيه لغرض للمتكلم كايهامه علي السامع لعدم ارادة المتكلم وقوف السامع عليه لنكتة فانه الطعام هنا كما عند احمد كما مر فطواه لخسته وانشد الزمخشري شاهدا عليه من قول جرير

كانت حليفة اثلاثا فقلتم ۞ من العبيد وثلث من مواليها

مضرح بشيئين وطوي ذكر الثالث كانه قيل والثالث من الاحرار الذين ليسوا موالي ولا عبيد ويحكي ان بعض بني حنيفة سيل من اي الاثلاث هو من بيت جرير فقال من الثالث الملغي ذكره الدماميني وزعم بعض انه لا شاهد في البيت لانه ذكرها وجعلها اثلاثا عبيد وموالي حلفا فتمم نفس القبيلة وضميمها وهي مذكورة اولا وفايدة الطي عندهم تكثير ذلك الشي لتذهب النفس كل مذهب ممن قال بعض بقي ان في لفظ ثلاث تغليب المونث علي المذكر عكس القاعدة لنكتة وغير الاسلوب في الثالث فعبر عنه بالفعل اشارة لمغايرته لما قبله وفيه عطف الفعل علي الاسم الجامد والمعروف عطفه علي المشتق كما قال ابن مالك

واعطف علي اسم شبه فعل فعلا ۞ وعكسا استعمل تجده سهلا

لكن هذا التكليف انما يجي لورود لفظ ثلاث ولم يرد فقد قال ابن القيم وغيره من رواه حبب الي من دنياكم ثلاث فقد وهم ولم يقل صلي الله عليه وسلم ثلاث كما قضي به سير كتب الحديث المشهورة والصلاة ليست من امور الدنيا حتي يضاف اليها انتهي فهم تضاف اليها لكونها ظرفا لوقوعها فقط في عبادة محضة فلو ثبتت صحت اضافتها لذلك وقال شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في تخاريج احاديث الكشاف ان لفظ ثلاث لم يقع في شي من طرقه وزيادته تفسد المعني لان الصلاة ليست من امور الدنيا وكذا قال شيخ الاسلام الولي ابن العراقي الحافظ ابن الحافظ في اماليه وعبارته ليست هذه اللفظة وهي ثلاث في كتب الحديث فليست مدرجة ايضا كما زعمه من الالمام له بالفن فالمدرج في الحق بحديث من قول راو ظهر رعضل وهي مفسدة للمعني فان الصلاة ليست من امور الدنيا وكذا صرح به الزركشي في الاحاديث المشتهرة له فقال لم يرد فيه لفظ ثلاث وزيادته محيلة للمعني فان الصلاة ليست من الدنيا وغيره وكانهم لم يعتبروا توجيه ابن فورك ومن وافقه بانها منها وقتا ومحلا ولا توجيه الزمخشري وغيره بانه من الطي لانه انما

بها دالبه لو وجدت اما حيث لم توجد فلا داعية للمتوجه بل ذكره والاعتنا
به يوهم قاصر الباع في الحديث وروودها كما حكاه ابي جميع مانقله عن
الحافظ والولي والزركشي شيخنا السخاوي في المقاصد الحسنة واقره
قايلا ما رايتها في شي من طرق الحديث بعد مزيد التفتيش وقال في جزء
الله في هذا الحديث يمكن ان تكون الصلاة من امور الدنيا بالنظر الي اللذة
الحاصلة المديمها كما قال في جعل الصلاة من ملاذ الدنيا لان كلما يدخل في
الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من الدنيا والتلذذ بتحريك
الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذا اضافها اليها انتهي
وقال ابن الحاج في المدخل انظر نظرتا مل وتد بر الي حكمة قوله
عليه الصلاة والسلام حبب ولم يقل احبب وقال من دنياكم
فاضافها اليهم دونه عليه الصلاة والسلام فلم يقل من دنياي ولا
من الدنيا فدل علي ان حبه كان خاصا بمولاه تبارك وتعالي وغاير
فقال وجعلت قرة عيني فرحها وسرورها في الصلاة فكان
عليه السلام بشري الظاهر ملكوتي الباطن وكان عليه الصلاة
والسلام لاياتي الي شي من الاحوال البشرية الاتانيسا لامته
وتشريعا لها ليقتدي به لا انه محتاج الي شي من ذلك بحيث لو تركه
لاضربه ولذا كان يواصل الصوم ويقول اني اطعم واسقي الاتري الي قوله
تعالي قل لا اقول لكم عندي خزاين الله التي يرزق منها ولا اني اعلم الغيب
ما غاب عني ولم يوح الي ولا اقول لكم اني ملك من الملايكة فقال لكم ولم
يقل اني ملك فلم ينف الملكية عنه الا بالنسبة اليهم اعني بكونه ملكا
في معانيه عليه الصلاة والسلام لا في ذاته الكريمة اذ انه عليه الصلاة
والسلام يلحق ببشريته ما يلحق البشر ولهذا قال سيدي الشيخ ابو
الحسن علي الشاذلي بمعجمة ومهملة هو بشر ليس كالابشار جمع بشر قال
المصباح يطلق علي الانسان واحده وجمعه لكن العرب ثنوه ولم يجمعوه انتهي
لكن في القاموس قد يثني ويجمع ابشارا كالا البا قوت من الجواهر
معرب واجوده الاحمر الرماني نافع للوسواس والخفقان وضعف القلب شربا
ولجمود الدم تعليقا قاله القاموس حجر ليس كالاحجار وليس هذا منه اي
الشاذلي رحمه الله علي سبيل التقريب للمفهوم جمع فهم كفلس وفلوس
فدل علي انه صلي الله عليه وسلم كان ملكي الباطن ومن كان ملكي الباطن
ملك نفسه فلا تغلب عليه محبة شي من الدنيا انتهي كلام المدخل وهنا
لطيفة روي مما لا يصح انه عليه الصلاة والسلام لما قال حبب الي
من دنياكم ثلاث النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال
ابو بكر الصديق وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا لم تقل من دنيا ثم
نادى بان لانها تضح اضافتها اليهم لانهم ليسوا مثله في انه ملكي الباطن النظر
الي وجهك ويروي القعود بين يديك وجمع المال للانفاق عليك حقيقة

او حكما كصرف علي نحو جيش فانه انفاق عليه حكما والتوسل بقرابتك
اليك مصدر مضاف لمفعوله اي بقرابتي اليك الموجود في كعلي والعباس
وفاطمة وجزم شيخنا بالاول مع انه قال في تقديره الثاني اظهر ثم ذكر انه قال
بدل هذا او الصلاة عليك وقال عمر الفاروق وانا يا رسول الله حبب
الي من الدنيا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بامر الله
ويروي واقامة حدود الله وقال عثمان وانا يا رسول الله حبب الي
من الدنيا ثلاث اشباع الجايع واروا الظمان وكسوة العاري
ويروي اطعام الطعام وافشا السلام والصلاة بالليل والناس نيام
وقال علي بن ابي طالب وانا يا رسول الله حبب الي من الدنيا
ثلاث الصوم في الصيف واقرا الضيف لم يذكر القاموس ولا المصباح
اقرا المزيد لطعام الضيف بل قرا فان ثبت فهو لغة لكن نقله ابو محمد
البيسابوري بلفظ قرا بالكسر والقصر والضرب بين يديك بالسيف
قال الطبري محب الدين المكي رواه الجندي بفتحتين كذا قاله والعهدة
عليه وزاد بعضهم فيه فنزل جبريل فقال وانا حبب الي من الدنيا ثلاث
النزول علي النبيين وتبليغ الرسالة للمرسلين والحمد لله رب العالمين اي
الثنا علي الله ثم عرج ثم رجع فقال يقول الله وهو حبب اليه من عباده
ثلاث لسان ذاكر وقلب شاكر وجسم علي بلايه صابر وفي لفظ واذا
الندا من قبل الله ان الله يحب من دنياكم ثلاثا فذكرها ويحتمل ان الخطاب
للخلفا الاربعة او لجميع الناس او الامة وعن انس ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال فضلت علي الناس باربع حصرها باعتبار ما فيها من
النهاية التي لا ينتهي اليها احد غيره لا باعتبار مجرد الوصف بالسماحة
وفي رواية بالسخا اي الجود لانه كان اجود من الريح المرسلة والشجاعة
خلق غضبي بين افراط يسمي تهورا وتفريط يسمي جبنا وكثرة الجماع
لكمال قوته وصحة ذكورته وشدة البطش فيما ينبغي علي ما ينبغي
وقدم السخا لعموم منافعه وثني بالشجاعة لانه نبي الجهاد يا ايها النبي
جاهد الكفار فكلفه وهو فرد جهاد الكل ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وثلث
بالجماع لان قوته معجزة في حقه وربع بشدة البطش لانه من لوازم القوة
وساغ له مدح نفسه لانه مامون الخطا ولذا جاز له الحكم لنفسه رواه
الطبراني في الاوسط برجال ثقات قاله الحافظان العراقي والهيثمي
وتعقبا بان ابن الجوزي والذهبي والحافظ ضعفوه لان فيه سعيد
ابن بشير راويه عن قتادة عن انس وسعيد ضعيف وقال انس كان
صلي الله عليه وسلم يدور علي نسايه في الساعة الواحدة
من الليل والنهار اي في قدر من الزمان لا ما اصطلح عليه الفلكيون
الواو بمعني او وجزم به الكرماني ويحتمل انها علي بابها بان تكون تلك
الساعة جزا من اخر اجزايها احدهما وجزا من اول الاخر قاله الحافظ

قال بعضهم ثم يحتمل ذكه لكنه تكلف بعيد جدا وهن احدي عشرة
تسع زوجات ومارية وريحانة قال قتادة قلت لانس مستفهما
او بفتح الواو وكان يطيقه اي مباشرة المذكورات في الساعة الواحدة
قال كنا معشر الصحابة نتحدث انه اعطي بضم الهمزة وكسر الطاء
وفتح البا قوة ثلاثين رجلا رواه البخاري من طريق هشام
عن قتادة بن دعامة قال ابن خزيمة محمد بن اسحق بن خزيمة بن
المغيرة بن صالح السلمي النيسابوري الحافظ الكبير المعروف عند
المحدثين بامام الايمة قال ابن حبان ما رايت من يحسن صناعة السنن
ويحفظ الفاظها الصحاح وزيادتها حتي كان السنن كلها نصب
عينيه الا ابن خزيمة وقال الدارقطني كان اماما ثبتا معدوم النظير
ومصنفاته تزيد علي ماية واربعين سوي المسايل والرسايل اكثر
من ماية جزمات في ذي القعدة سنة احدي عشر وثلثماية عن نحو
تسعين سنة تفرد بذلك معاذ بن هشام الدستوايي بفتح الدال
وسكون السين المهملتين وفتح الفوقانية كما في الكواكب والترغيب
وفي اللب بضمها ثم مد نسبة الي دستوا بلد بالاهواز البصري
وقد سكن اليمن صدوق ربما وهم مات سنة ماتين عن ابيه هشام
ابن ابي عبد الله سنبر بمهملة ثم نون ثم موحدة وزن جعفر ابي بكر البصري
ثبت رمي بالقدر مات سنة اربع وخمسين وماية وله ثمان وسبعون
سنة روي له الجميع ورواه سعيد بن ابي عروبة مهران اليشكري
البصري ثقة حافظ له تصانيف كثير التدليس واختلط وكان من
اثبت الناس في قتادة مات سنة ست وقيل سنة سبع وخمسين
وماية روي له الستة وغيره كشعبة عند احمد عن قتادة
قتادة فقال لو تسع نسوة انتهي وكذا رواه البخاري من
طريق سعيد بن ابي عروبة ايضا بلفظ كان يطوف علي نسايه
في الليلة الواحدة وله يوميذ تسع نسوة كل واحدة منهن تسمع
مرات فيطلق كذا ذكر البقاعي في تفسيره وجمع بينهما ابن حبان في
صحيحه بان حمل ذلك علي حالتين لكنه وهم في قوله ان
الحالة الاولي كانت في اول قدومه المدينة حين كان عنده
تسع نسوة ويجعل الاولي صفة للحالة سقط قول شيخنا لعل ابن حبان
قدم رواية التسع علي رواية احدي عشرة والا فالموافق اذ يقول
بدل الاولي الثانية لانه تشا من فهم ان الاولي صفة للرواية وانما هو
صفة للحالة بدليل التصريح بقوله والحالة الثانية في اخر الامر
حيث اجتمع عندي عشرة امراة وموضع الوهم منه انه
صلي الله عليه وسلم لما قدم المدينة لم يكن تحته سوي
سودة بنت زمعة ثم دخل علي عايشة بالمدينة قال العلامة

قال

حسين

حسين الكعوي في شرح البخاري ويمكن توجيه كلام ابن حبان بان
يحمل الاولي في قوله اول قدومه عبارة عن الزمان الممتد الي اخر
امره عليه الصلاة والسلام لانه اجتمع عنده تسع نسوة حين قدم
المدينة هذا غاية ما يمكن اصلاح كلامه انتهي ثم تزوج ام سلمة
وحفصة وزينب بنت خزيمة المعروفة بام المساكين لحبها لهم
وفي السنة الرابعة ومكثت بنت خزيمة عنده شهرين او ثلاثة
وماتت قاله ابن عبد البر وغيره فلم تجتمع مع بقية التسع فالمراد من
ذكرها مجرد الرد علي ابن حبان بتعداد من دخل بهن فلا ينافي موتها
قبل تمام التسع ثم زينب بنت جحش في الخامسة ثم جويرية
في السادسة ثم صفية وام حبيبة وميمونة في السابعة
فهؤلا جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة وخديجة
ماتت قبلها ولم تجتمع مع غيرها اي ولم يجمع معها غيرها علي المشهور
زاد الحافظ واختلف في ريحانة وكانت من سبي بني قريظة
فجزم ابن اسحق بانه عرض عليها ان يتزوجها ويضرب عليها الحجاب
فاختارت البقا في ملكه والاكثر علي انها ماتت قبله في سنة عشر
وكذا ماتت زينب بنت خزيمة بعد دخولها عليه بشهرين او ثلاثة
قاله ابن عبد البر فعلي هذا لم يجتمع عنده من الزوجات اكثر من
تسع مع ان سودة كانت وهبت يومها لعايشة فرجحت رواية سعيد
لكن تحمل رواية هشام التي تفرد بها ابنه معاذ عنه علي انه
ضم مارية وريحانة اليهن واطلق عليهن لفظ نسايه
تغليبا لكثرة النسا ولذا ضعف استدلال ابن التين لقول مالك
بلزوم الظهار من الاما باطلاقه علي الجميع لفظ نسايه فانه للتغليب فلا
حجة فيه وعن طاوس ومجاهد مرسلا اعطي صلي الله عليه وسلم
قوة اربعين رجلا في الجماع رواه ابن سعد ولا ينافيه رواية
الصحيح السابقة قوة ثلاثين لجواز انهم تحدثوا بذلك قبل ملو فهمهم
الزيادة ووقع عند الاسماعيلي من رواية ابي موسي عن معاذ بن هشام
ثلاثين بدل اربعين بدل ثلاثين قال الحافظ وهي شاذة من هذا
الوجه وعند احمد والنساي وصححه الحاكم من حديث زيد بن
ارقم رفعه اي قال قال صلي الله عليه وسلم ان الرجل من اهل
الجنة اعطي قوة ماية في رواية الطبراني ماية رجل في الاكل
والشرب والجماع والشهوة عطف سبب علي مسبب لان الجماع
يتسبب عن الشهوة وخصها لان ما عداها راجع اليها اذ الملبس والمسكن
من الشهوة ولا يرد ان كثرة الاكل والشرب في الدنيا يجمع علي ذمها لانه
لما ينشا عنه من فتور وتوان وتثاقل عن العبادة ومن امراض التخمة
وغوايلها واهل الجنة مامونون من ذلك كله اذ كل ما فيه لا يشبه شيا مما

في الدنيا الا في مجرد الاسم الا ترى الى انه زاد في رواية الطبراني
في الكبير برجال ثقات حاجة احدهم عرق يفيض من جلده فاذا ابطن
تدضمر فان قلت وطي المراة في يوم الاخرى ممنوع حرام
والقسم وان لم يكن واجبا عليه على القول المرجوح عند
الشافعية وكثيرين وهو الراجح عند المالكية وطائفة لكنه عليه
الصلاة والسلام التزمه تطييبا لنفوسهن اجيب باحتمال
اذن صاحبة اليوم اي النوبة كما عبر به الفتح فعبر به المصنف لانه
يطلق على مطلق الزمن كيوم حنين لم كما استاذنهن ان يمرض في
بيت عائشة او باحتمال انه في يوم لم يثبت فيه قسم بعد كيوم
قدومه من سفر لانه كان اذا سافر اقرع بينهن فسافر من يخرج سهمها
فاذا انصرف استانف او باحتمال ان دورانه في اليوم الذي بعد
كمال الدورة لانه يستانف القسم فيما بعد قال الحافظ وهذا
الاحتمال الاول اليق بحديث عائشة والاحتمال الثاني اخص من الثالث
ويحتمل ان ذلك كان يقع قبل وجوب القسمة ثم ترك بعدها او انه
اي الدوران في ساعة من خصايصه صلى الله عليه وسلم
مع وجوب القسم عليه كلها تكلفات ظاهرة والحديث بينه للقايلين
بان من خصايصه عدم وجوب القسم واليه اشار البخاري في كتاب النكاح
وقد اختص في باب النسا باشيا كما سياتي ان شا الله تعالى
في المقصد الرابع فلا مانع ان تلك الساعة من جملة ما اختص به وغيب
بابهن مع وجوب القسم عليه وقد علمت ان الخصايص لا تثبت بالاحتمال
قال الحافظ ابن العراقي بل بدليل صحيح وقد قال في فتح الباري واعرب
ابن العربي فقال خص الله نبيه بساعة في كل يوم لا يكون لازواجه فيها
حق يدخل فيها على جميعهن فيفعل ما يريد ثم يستقر عند من لها النوبة
وتلك الساعة بعد العصر فان اشتغل عنها كانت بعد المغرب ويحتاج الى ثبوت
ما ذكر مفصلا انتهى وعن صفوان بن سليم بضم السين المدني ابي
عبد الله الزهري مولاهم تابعي صغير ثقة مفتي عابد قيل لم يضع جنبه
الارض اربعين سنة حتى نقبت جبهته من السجود رمي بالقدر روى له
الستة مات سنة اثنين وثلاثين ومائة مرفوعا مرسلا اتاني
جبريل بقدر بكسر فسكون اناء يطبخ فيه مؤنثة فاكلت منها
باذن اذ وضع الطعام اذن فظاهره انه من الجنة ولا مانع ان طعامها
يخرج الى الدنيا لكنه يسلب الخصوصية في حق غير نبينا فاعطيت قوة
اي قوة اربعين رجلا من رجال اهل الجنة في الجماع فقيد به
ليدل ان القوة في غيره اولى اذ هو محل العجز غالبا لا سيما عند
الكبر رواه ابن سعد برجال الصحيح فقال حدثنا عبيد الله بن
موسى عن اسامة عن زيد عن صفوان بن سليم فذكره وهذا مرسل

وقد

وقد وصله ابو نعيم والديلمي عن صفوان عن عطا بن يسار عن ابي
هريرة رفعه لكن فيه سفيان بن وكيع جدا فلذا اقتصر المصنف على رواية
ارساله لصحة سندها وقول الشارح قوله وعن صفوان الخ تقدم ان
هذا موضوع غلط وسهو فاحش فالمتقدم قريبا في الفصل الثالث من
ذا المقصد انه موضوع انما هو حديث اطعمني جبريل الهريسة اشد بها
ظهري واتقوى بها على الصلاة فيه محمد بن الحجاج اللخمي هو الذي وضع
هذا الحديث واما حديث ابن سعد فذكره المصنف في الفصل الاول من
هذا المقصد باسناده الذي ذكرته ليبين انه صحيح فالحاصل ان حديث
القدر صحيح مرسلا ووصله ضعيف ولم يعلم ما في القدر وزعم انه هريسة
لا يصح لان احاديث الهريسة كلها واهية ولما كان عليه الصلاة
والسلام من اقدر على القوة في الجماع واعطي الكثير
منه ابيح له من عدد الحراير ما لم يبح لغيره وهو الزيادة على
اربع قال ابن عباس تزوجوا فان افضل هذه الامة اكثرها
نسا رواه البخاري عن سعيد بن جبير قال قال لي ابن عباس هل
تزوجت قلت لا قال فتزوج فان خير هذه الامة اكثرها نسا يشير
بقوله افضل وخير الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيد بهذه
الامة ليخرج مثل سليمان عليه الصلاة والسلام اي مثله
ممن اكثر من النسا كابيه داود فانه كان اكثر نسا من المصطفى
ووقع عند الطبراني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
تزوجوا فان خيرنا اكثرنا نسا ولاجل هذه الرواية قيل
المعنى في الرواية التي قبلها خير امة محمد صلى الله عليه وسلم
من كان اكثر نسا من غيره ممن يتساوى معه فيما عدا ذلك
من الفضايل لا الاشارة الى المصطفى قال الحافظ ابو الفضل
العسقلاني والذي يظهر خلاف هذا القيل وان مراد ابن عباس
بالخير النبي صلى الله عليه وسلم وبالامة اخصا اصحابه وكانه
اشار الى ان التزوج مرجوح اذ لو كان راجحا ما اثر النبي
صلى الله عليه وسلم غيره وكان مع كونه اخشى الناس لله
تعالى واعلمهم به كما صح في الحديث يكثر التزوج لمصلحة تبليغ
الاحكام التي لا يطلع عليها الرجال وقد جا عن عائشة من ذلك
الكثير الطيب ولاظهار المعجزة الباهرة البالغة في خرق
العادة لكونه كان لا يجد ما يتمتع به من القوت غالبا وان وجد
فكان يوثر بالكثرة ويصوم كثيرا ويواصل والصوم يضعف النكاح
بل هو له وجا ومع ذلك فكان يدور على نسايه في الليلة
اي الساعة الواحدة ولم يرد خصوص الليلة لما تقدم في حديث
البخاري من الليل والنهار ولا يطاق ذلك الا مع قوة البدن

وقوة البدن قائمة بما يقوم به مع استعمال المقويات من
ماكول ومشروب وهي عنده عليه الصلاة والسلام نادرة
قليلة جدا او معدومة اصلا وقال بعض العلما في حكمة زيادته
علي اربع لما كان الحر لفضله علي العبد يستبيح من النسا اكثر
مما يستبيح العبد وجب ان يكون النبي صلي الله عليه وسلم
لفضله علي جميع الامة يستبيح من النسا اكثر مما تستبيحه الامة
ولزيادة فضله علي جميع الخلق لم يتقيد ما ابيح له بعدد ولم ينقص ما
يباح عن ضعف ما يباح للحر فقط وان نقص ما يباح للحر علي ضعف ما
يباح للعبد عند جمع والاصح مذهب مالك يكون للعبد الاربع فالوان
فوائد ذكر زيادة التكليف في القيام بهن مع تحمل اعبا
بالفتح اثقال الرسالة فيكون ذلك اعظم لمشاقه واكثر لاجره
لان حب النسا يقتضي عادة الاشتغال بهن بحيث تمنع من الاعتنا
بالاعبا فكونه يقوم بها علي ابلغ وجه واتمه غاية المشقة فلذا اكثر
اجره لانه علي قدر المشقة ومنها ان النكاح في حقه عبادة
مطلقا كما قاله السبكي وهو في حق غيره ليس عبادة عندنا بل مباح
من المباحات والعبادة عارضة له قاله المصنف في الخصائص فنقله
عن غيره عجب ومنها نقل محاسنه الباطنة فقد تزوج عليه
الصلاة والسلام ام حبيبة بنت ابي سفيان صخر بن حرب
وكان ابوها في ذلك الوقت عدوه ومحاربه وصفية بنت حيي
وقد قتل اباها وعمها وزوجها في غزوة خيبر فلو لم يطلعن علي
بواطن احواله علي انه اكمل خلق الله لكانت الطباع البشرية
تقتضي نفرتهن منه وميلهن الي ابايهن وقرابتهن فكان في
كثرة النسا عنده بيان لمعجزه انه اي لمعرفتهن يخبرن بها فلا يفوت
شي منها علي الناس ظاهره وباطنه ولمعرفة باطنا كما عرف منه
الرجال لكاله ظاهرا وهذه حكم ونكات لا تتزاحم بل كل من ظهر له شي منها
ابداه وقد رغب بالتثقيل عليه الصلاة والسلام في النكاح فروي
ابو داود والنسائي كلاهما في النكاح من حديث معقل بفتح الميم وسكون
العين المهملة وكسر القاف ولام ابن يسار المزني ممن بايع تحت الشجرة
وكنيته ابو علي علي المشهور وهو الذي ينسب اليه نهر معقل بالبصرة
مات بعد الستين مرفوعا قال معقل جا رجل الي النبي صلي الله عليه وسلم
فقال اصبت امراة ذات حسب ومنصب ومال الا انها لا تلد افاتزوجها
فنهاه وقال تزوجوا الودود الولود الودود المتحببة الي زوجها بنحو تلطف في
الخطاب وبشاشة وادب وكثرة خدمة الولود كثيرة الولادة
ويعرف في البكر باقاربها وفي الثيب بزوجها الاول فلا تعارض بينه
وبين ندب نكاح البكر لاحاديث قال الولي العراقي والحق انه ليس المراد

بالولود كثرة الاولاد بل من هي في مظنة الولادة وهي الشابة دون
العجوز التي انقطع نسلها فالصفتان من واد واحد فاني مكاثر
بكم الامم السابقة في الكثرة وتعليل للامرين وجمعا معا لب
لان الولود اذا لم تكن ودودا لم يرغب الرجل فيها والودود غير الولود
لا تحصل المقصود وفيه استحباب النكاح وفضل كثرة الاولاد بها يحصل
بما قصده من المكاثرة وفي ابن ماجة عن ابي هريرة رفعه
انكحوا فاني مكاثر بكم الامم السابقة وهو معني ما اشتهر علي الالسنة
تناكحوا تناسلوا فاني مباه مغالب بكم الامم ولم اقف عليه بهذا
اللفظ نحوه لشيخه في المقاصد فانه ترجم بما اشتهر علي الالسنة وقال
معناه عن جماعة من الصحابة وذكر حديثي معقل وابي هريرة وحديث
انس كان صلي الله عليه وسلم يامر بالباءة وينهي عن التبتل ويقول
تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة صححه الحاكم
وابن حبان انتهي وذا عجب فقد اورده عياض بلفظ تناكحوا تناسلوا
فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة فتخريجه اخرجه ابن مردويه في
تفسيره عن ابن عمر مرفوعا بسند ضعيف انتهي ولكن له شواهد
كما رايت وارشد عليه الصلاة والسلام من لم يستطع الباءة بالموحدة
والهمزة المفتوحتين وتا التانيث ممدودا وقد لا يهمز ولا يمد وقد يهمز ويمد
من غيرها قاله المصنف وفي التوشيح بالهمز والمد وقد يتركان وقيل
الاول مؤن النكاح والثاني الوطي وفي المراد هنا القولان اصحهما الثاني
والذي يظهر ترجيح الاول وسياق الحديث يدل عليه ولقوله في الحديث
الاخر من كان ذا طول اخرجه الطبراني الي الصوم فانه له وجا
بكسر الواو وجيم ممدود وقيل بفتح الواو مقصور واستبعد اي قاطع لشهوته
واصله رض الانثيين فاطلاقه علي الصوم من مجاز المشابهة لان
الوجا قطع وقطع الشهوة اعدام له ايضا ثم انه استشكل بان الصوم يزيد
الحرارة واجاب العلما بانه يثيرها في ابتدايه فاذا دام سكنت والي ذا اشار
بقوله لان كثرته تقلل مادة النكاح وتضعف ما يجده المرء من
الحرارة القوية التي تبعثه علي النكاح وذلك مشاهد في اخر رمضان
غالبا وحض الشاب في قوله صلي الله عليه وسلم كما رواه احمد والشيخان
والاربعة من حديث ابن مسعود يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة
فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم
فانه له وجا لان للشباب من شهوة النكاح ما ليس لغيرهم كالشيوخ
وان كان المعني معتبرا اذا وجد السبب في الكهول والشيوخ ايضا وقد ظهر
لك ان النكاح اعظم في الاجر والثواب من الصيام فانه صلي الله
عليه وسلم لم يامر اولا بالصيام انما امر به عند عدم الطول الي
النكاح والامر للاباحة وان كان ظاهره الوجوب لوروده في الكتاب

والسنة كثير للاباحة اذا حللتم فاصطادوا واذا قضيت الصلاة فانتشروا
وان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه وقوله صلي الله عليه وسلم سافروا
تصحوا وانما تعتري النكاح الوجوب وباقي الاحكام لعارض كما بين في
الفروع وغيرها واذا كان النكاح يتوي به التناسل لتكثير هذه
الامة المحمدية فهو بلا شك افضل لسعيه فيما احبه المصطفي قال
لعمر بن الخطاب اني لاطا النسا ومالي اليهن حاجة رجا ان يخرج
الله من ظهري من يكاثر به محمد صلي الله عليه وسلم الامم يوم
القيمة ذكره ابن ابي جمرة بجيم وزا وادطر كون نبينا صلي الله
عليه وسلم بالاجماع اعبد الناس مع ما طبعت عليه بشريته
من حب الجماع تجده غاية في المعجزة كيف ولم يخل بعبادته شيا
لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن باتيها الا علي مشر وعيتها
نرضا وكمالا وهذا هو غاية الكمال في البشرية لانه يرجع ما طبع
عليه تابعا لما امر به كما قالت عايشة وتقوم ثلثه ثم يضطجع فان
كانت له حاجة الم باهله فجعل القيام تابعا لقيامه وقدمه عليه وقد
روي عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لا رهبانية في الاسلام
كما تفعل النصارى وهي ترك النسا والانعزال في الدبور ونحوها ولو
كان تركهن افضل لشرع ذلك في ديننا اذ هو خير الاديان
نصا واجماعا وقد قال سليمان عليه الصلاة والسلام لاطوفن
الليلة علي ماية امراة وللحموي والمستملي لاطيفن من طاف بالشي واطاف
به لغتان اي دار حوله وهو هنا كناية عن الجماع ففيه استعمال الكناية في
لفظ يستقبح ذكره واللام جواب قسم محذوف اي والله لاطوفن ويؤيده
قوله في اخره لم يحنث لانه لا يكون الا عن قسم والقسم لابد له من مقسم
فان قال بذلك احد فالحديث حجة له علي ان شرع من قبلنا شرع لنا اذا
ورد تقريره علي لسان الشارع وان اتفق علي عدم الجواز او لكان
يقال التلفظ باسم الله وقع في الاصل وان لم يقع في الحكاية وذكره لبس
بممتنع فان من قال والله لاطوفن يصدق انه قال لاطوفن لان
اللافظ بالمركب لافظ بالمفرد كذا في فتح الباري والحديث رواه البخاري
في مواضع عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال سليمان بن
داود لاطوفن الليلة بماية امراة تلد كل امراة غلاما يقاتل في سبيل
الله فقال له الملك قل ان شا الله فلم يقل ونسي فاطاف بهن ولم تلد
منهن الا امراة نصف انسان قال النبي صلي الله عليه وسلم لو قال ان
شا الله لم يحنث وكان ارجي لحاجته هكذا رواه البخاري في كتاب
النكاح وله في الجهاد علي ماية امراة او تسعة وتسعين بالشك وله في
الايمان والنذور علي تسعين امراة بفوقية قبل السين وله في احاديث
الانبيا علي سبعين امراة بسين بعدها موحدة وقال ان رواية تسعين

اصح

اصح اي بفوقية قبل السين وله في التوحيد علي ستين امراة وجمع الحافظ
بان الستين كن حراير وما زاد عليها كن سراري او بالعكس والسبعون
للمبالغة واما التسعون والماية فكن دون الماية وفوق التسعين فمن قال
تسعون الغي الكسر ومن قال ماية جبره ولذا وقع التردد في رواية الجهاد
وقول بعض الشراح ليس في ذكر القليل نفي للتكثير وهو من مفهوم العدد
وليس حجة عند الجمهور فليس بكاف في ذكر المقام وذلك ان مفهوم العدد
معتبر عند كثيرين وفي رواية للبخاري فقال صلي الله عليه وسلم لو
قالها لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون ثم المراد انه نسي ان يقولها
بلسانه لا فلم يغفل عن التفويض الي الله بقلبه كما تقتضيه كمال النبوة
وروي ابن عساكر بسند ضعيف ان سليمان كان له اربع ماية امراة وستماية
سرية فقال يوما لاطوفن الليلة علي الف فتحمل كل واحدة منهن بفارس
يجاهد في سبيل الله ولم يستثن فلم تحمل منهن واحدة منهن الا امراة
واحدة جات بشق انسان فقال النبي صلي الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لو استثني فقال ان شا الله لولدت له ما قال فرسان ولجاهدوا في
سبيل الله ولا يلزم من اخباره صلي الله عليه وسلم بذلك في حق سليمان في
هذه القصة ان يقع ذلك لكل من استثني بل هو رجي الوقوع وتركه يخشي
عدم الوقوع وبهذا يجاب عن قول موسي ستجدني ان شا الله صابرا مع قول
الخضر له اخر ذلك تاويل ما لم تستطع عليه صبرا وحكي النقاش ان الشق المذكور
هو الجسد الذي القي علي كرسيه والمعتمد انه شيطان كما قاله غير واحد
من المفسرين والنقاش صاحب مناكير انتهي وهذا فيه معجزة لسليمان
عليه الصلاة والسلام اذ البشر عاجز عن الطواف علي ماية امراة في
ليلة واحدة فاظهر الله تعالي قوته اي قوة سليمان وفي نسخة
قدرته اي قدرة الله بان اعطي سليمان القوة علي ذلك فكان فيها
معجزة واظهار قدرة لله تعالي وابدا احكمه ردا علي من ربط الاشيا
بالعوايد فيقول لا يكون كذا الا من كذا ولا يتولد كذا الا من كذا
فاعطي الله تعالي في صلب سليمان ماية رجل واورد ابن الجوزي
من اين لسليمان ان يخلق من ماية هذا العدد في ليلة لا جايز انه بوحي
لانه ما وقع ولا جايز ان يكون الامر في ذلك اليه لان الارادة لله واجاب
بانه من جنس التمني علي الله والسوال له ان يفعل والقسم عليه كقول انس بن
النضر والله لا يكسر ثنيتها ويحتمل ان يكون لما اجاب الله دعوته ان
يهب له ملكا لا ينبغي لاحد من بعده كان هذا عنده من جملة ذلك فجزم
به قال الحافظ والاقرب الاول ويحتمل انه اوحي اليه ذلك مقيدا بشرط
الاستثنا فنسي فلم يقع لفقد الشرط ومن ثم ساغ له الحلف اولا وقال
القرطبي لا يظن بسليمان انه قطع بذلك علي ربه الا من جهل حال الانبيا
وادابهم مع الله وفي الفتح ايضا قيل هذا قوله تلد كل امراة منهن غلاما

دنيا تكن في سبيل الله هذا قاله على سبيل التمني للخير وانما جزم به لانه غلب
الرجا لكونه قصد به الخير وامر الاخرة لا لغرض الدنيا قال بعض السلف نبه
صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على افة التمني والاعراض عن التفويض
قال ولذلك نسي ان يستثني ليمضي فيه القدر وكان له ثلثماية زوجة
والف سرية الله اعلم بصحة هذا فغاية ماروي الف واخرج الحاكم في
المستدرك من طريق ابي معشر عن محمد بن كعب قال بلغنا انه كان لسليمان
الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاث ماية حرة وسبعماية سرية وكذا
حكاه وهب في المبتدا كما في الفتح فان ورود ما ذكره المصنف امكن ان
الروايات في عدد من اراد الطواف عليه ولا ينافي ان تحته هذا العدد لكنه لم
يرد الطواف الا على بعضه وهذا لا يعطي تفضيل سليمان على نبينا
صلى الله عليه وسلم اذ سيدنا محمد لم يعط الا اربعين رجلا ولم
يكن له غير عشر نسوة لان مرتبة نبينا عليه الصلاة والسلام
في الافضلية لا يساويه فيها احد بالنص والاجماع وسليمان عليه
السلام تمنى ان يكون ملكا بقوله وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
فاعطي ذلك واعطي هذه القوة في الجماع لكي يتم له الملك على
خرق العادة من كل الجهات ليمتاز بذلك فيكون نساؤه من جنس
ملكه الذي لا ينبغي ان يكون لاحد من بعده كما طلب ونبينا محمد صلى
الله عليه وسلم لما خير بين ان يكون نبيا عبدا او نبيا ملكا ابى ذلك
ابى الملك واختار ان يكون نبيا عبدا فاختار فاعطي من الخصوصية
ذلك القدر لكونه اختار الفقر والعبودية فاعطي الزايد وانخرقت
له العادة في النوع الذي اختاره وهو الفقر والعبودية فكان
عليه الصلاة والسلام يربط على بطنه الاحجار من شدة الجوع
والمجاهدة وهو على حاله في الجماع لم ينقصه شيا شيا والناس
ابدا اذا اخذهم الجوع والمجاهدة لا يستطيعون ذلك فهو
ابلغ في المعجزة قاله ابن ابي جمرة في بهجة النفوس وتحليها بمعرفة
مالها وعليها وهو اسم شرحه على الاحاديث التي انتخبها من البخاري
وهو تكلف لا حاجة اليه لان نبينا اعطي قوة اربعين رجلا من اهل الجنة
كما سبق في حديث طاوس ومر في حديث زيد بن ارقم ان الرجل من اهل
الجنة ليعطي قوة ماية على ان هذا التعسف في مقام المنع لانه صرح انه لم يعط
الا قوة اربعين من اهل الدنيا والحديث مصرح بخلافه وقد قال المصنف
في الفصل الاول من ذا المقصد والسيوطي بعدما ذكرا ترجيحا هذا اعطي صلى
الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا كل رجل من اهل الجنة وحديث يعطي الرجل
قوة ماية في الجنة قالا فيكون اعطي قوة اربعة الاف وبهذا يندفع ما استشكله
بعضهم فقال كيف يعطى قوة اربعين رجل فقط وقد اعطي سليمان
قوة ماية او الف على ما ورد واحتاج تكلف الجواب الذي فات مستار الاستكال

حلها

حلها على رجال الدنيا وليس كذلك بل ما ورد في سليمان محمول على رجال
الدنيا وفي نبينا على رجال الجنة كما ورد وذلك اربعة الاف فقد زاد على سليمان
بكثير والله اعلم

النوع الرابع

في نشانه ونعلق نومه عليه الصلاة والسلام فيشمل قدره ووقته
وصفته من كونه على اليمين او غيره وما يرقد عليه وما كان يفعله قبل
النوم وبعده وغير ذلك كان صلى الله عليه وسلم ينام اول الليل
بعد صلاة العشا وما يتصل بها فالاولية نسبية وفي الصحيح عن ابي
برزة كان صلى الله عليه وسلم يكره النوم قبل العشا والحديث بعدها وروى
الشيخان وابن ماجة عن عايشة كان ينام اول الليل ويحيي اخره وروى
احمد والترمذي وصححه الحاكم عنها كان لا ينام حتى يقرا بني اسرايل
والزمر وعن جابر كان لا ينام حتى يقرا الم تنزيل السجدة وتبارك الذي
بيده الملك اخرجه احمد والترمذي والنسايي والحاكم وعن العرباض بن سارية
كان صلى الله عليه وسلم يقرا المسبحات قبل ان يرقد وقال ان فيهن اية افضل
من الف اية رواه احمد وابو داود والترمذي وحسنه والنسايي ورواه
ابن الضريس عن يحيى بن ابي كثير مرسلا وزاد قال يحيى فنراها الاية التي
في اخر الحشر وقال ابن كثير الاية هي قوله تعالى هو الاول والاخر والظاهر
والباطن وهو بكل شيء عليم والمسبحات ست الحديد والحشر والصف والجمعة
والتغابن وسبح اسم ربك الاعلى ويستيقظ في اول النصف الثاني
غالبا وفي الصحيحين وغيرهما عن عايشة كان يقوم اذا سمع الصارخ قال
الحافظ اي الديك ووقع في مسند الطيالسي في هذا الحديث والصارخ
الديك والصرخة الصيحة الشديدة وجرت العادة ان الديك يصيح عند
نصف الليل غالبا قاله محمد بن نصر قال ابن التين هو موافق لقول ابن عباس
نصف الليل او قبله بقليل او بعده وقال ابن بطال الصارخ يصرخ عند ثلث
الليل فكان يتحرى الوقت الذي ينادي فيه هل من سايل كذا قال والمراد
بالدوام قيامه كل ليلة في ذلك الوقت لا الدوام المطلق وفي البخاري عن
انس كان لا تشا ان تراه من الليل مصليا الا رايته ولا نايما الا رايته قال الحافظ
اي ان صلاته ونومه كان يختلف بالليل ولا يرتب وقتا معينا بل بحسب ما
تيسر له القيام ولا يعارضه حديث عايشة لانها اخبرت عما اطلعت عليه
فان صلاة الليل كانت تقع منه غالبا في البيت وخبر انس محمول على ما وراء
ذلك انتهى وحاصله ان كلا من عايشة وانس اخبر بما اطلع عليه ويقوم فيستاك
كما روى احمد عن ابن عمر كان لا ينام الا والسواك عند راسه فاذا استيقظ بدا
بالسواك ولابن عساكر عن ابي هريرة كان لا ينام حتى يستن ويتوضا
كما صح في حديث ابن عباس وغيره ولم يكن ياخذ من النوم فوق
القدر المحتاج اليه منه ولا يمنع من القدر المحتاج اليه منه فيتنازع فيه
الامران وكان ينام على جنبه وفي نسخة جانبه وهما بمعنى على مفاد

والجنبة محركة شق الانسان وغيره او الجانب
قول المجد الجنب والجانب
بمعنى الجنب مجازا على مقتضى قول المصباح الجانب الناحية ويكون بمعنى الجنب
ايضا لانه ناحية من الشخص ذاكرا لله تعالى حتى تغلبه عيناه بان ياخذه
النوم غير ممتلي البطن من الطعام والشراب لضرره بالبدن وتثقيله
النوم وعلل نومه على الايمن بقوله لانه عليه الصلاة والسلام كان يحب
التيامن في شانه كله ومن جملته النوم وليرشد امته تعليل ثان
ارشادي لنفع البدن لا لانه عبادة لان في الاضطجاع على الشق الايمن
سرا وهو ان القلب معلق في الجانب الايسر فاذا نام الرجل
الانسان رجلا كان او امراة على الجانب الايسر استثقل نوما اي
طال نومه لعدم مشقة تقتضي استيقاظه فالسين للتاكيد لا الطلب وربما
تميز لانه يكون في دعة اي راحة فالعطف في واستراحة تفسيري
والسين للتاكيد فيستثقل نومه فاذا نام على الشق الايمن فانه يقلق
بفتح اللام يضطرب ولا يستغرق في النوم عطف مسبب على سبب لتعلق
القلب اضطرابه وطلبه مستقره وميله اليه قالوا وكثرة النوم على
الجانب الايسر وان كان اهنا مضر بالقلب بسبب ميل الاعضا اليه
فتنصب المواد فيه او اليه وهو اولى ليصدق بانصبابها بمجاوره فتوذيه
قال الولي العراقي اعتدت النوم على الايمن فصرت اذا فعلت ذلك كنت في دعة
وراحة واستغراق واذا نمت على الايسر حصل عندي قلق لذلك وعدم
استغراق في النوم فالاولى تعليل الاضطجاع على الايمن بتشريفه وتكريمه
وايثاره على الايسر انتهى وكونه اولى في التعليل لا يمنع الاول فان هذا امر
نادر وسببه اعتياده واما قول القاضي عياض في الشفا وكان نومه
صلى الله عليه وسلم على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم
لانه على الايسر اهنا لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضا الباطنة الى
اخره ففيه شي لانه عليه الصلاة والسلام لا ينام قلبه فسوا
بقا التوزيع كان نومه على الجانب الايمن او الايسر فهذا الحكم
ثابت له وما علله به انما يستقيم في حق من ينام قلبه هذا مبني
على ان معنى قوله استظهارا استدلالا على قلة النوم بكونه فيوهم لكثرته
لو نام على الايسر نفيا في ان قلبه لا ينام والجواب ان معنى استظهارا
طلبا لقلة النوم بسبب كونه على الايمن فعلى بمعنى اللام فلا يرد عليه تعليل
المصنف لان غايته لو نام على اليسار علم بقلبه طول زمن النوم لكن لا يسهل
الانتباه عليه لاسترخا اعضائه بسبب النوم على اليسار المقتضي لراحة
القلب وقد قال شارح الشفا استظهارا اي استعانة استفعال من الظهر
بمعنى التقوية والاستعانة لان قوة البدن واستمساكه بظهره فكانت
عادته النوم على الايمن وزعم انه حالة امتهان لا اتكا به على الجانب الذي ينام
عليه لا وجه له فالنوم راحة بمعنى عليه لعبادة كالاتكا على اعضا السجود

وحينئذ

وحينئذ فالاحسن تعليله بحب التيامن او بقصد التعليم كما مر اذ
هو لا يحتاج للاستظهار لقوة روحه ويقظة قلبه فيغلب ذلك نومه ورد
بان القوي اذا تقوى كان اشد قوة في النوم طبيعي في الخلق واردى النوم
النوم على الظهر ولا يضر الاستلقا عليه على الظهر للراحة من غير نوم
وقد فعله النبي صلى الله عليه وسلم روى الشيخان وغيرهما عن عبد الله بن زيد
المازني انه ابصر رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا في المسجد واضعا
احدى رجليه على الاخرى ولا يعارضه ما في مسلم عن جابر نهى صلى الله عليه وسلم
ان يضع الرجل احدى رجليه على الاخرى وهو مستلق على ظهره لان محله اذا ظهرت
عورته بذلك بضيق ازار ونحوه فان امن ذلك جاز فلا حاجة لدعوى نسخ النهي
بفعله وزعم انه مخصوص به رد بان عمر وعثمان كانا مستلقيان رواه البخاري
والحميدي والاسماعيلي وزاد ابا بكر الصديق رضي الله عنهم واردى منه ان
ينام منبطحا على وجهه فيكره للرجل والمراة كالاستلقا للمراة وفي سنن
ابن ماجة والبخاري في الادب المفرد عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم
مر برجل في المسجد منبطح حال سوغ مجيه من النكرة وصفها بقوله
في المسجد وفي نسخة منبطح بالجر صفة لرجل على وجهه وفي الادب
لوجهه فضربه برجله هذا هو الثابت في ابن ماجة والبخاري في الادب
فما في نسخ على وجهه بدل برجله لا عبرة بها كيف وفي الحديث اجتنبوا الوجوه
لا تضربوها وقال قم او اقعد تخيير لا شك فانها نومة جهنمية اي تشبه
حال اهل جهنم كما قال تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم فكره ذلك لما
فيه من التشبه بهم كخاتم الحديد وكان عليه الصلاة والسلام كما علم من
مجموع الاحاديث ينام على الفراش تارة وعلى النطع تارة بفتح النون
وكسرها مع فتح الطاء وسكونها ما اتخذ من جلد والجمع انطاع ونطوع وعلى الحصير
تارة كما في حديث عمر وعلى الارض تارة اخرى وكان فراشه كما في
الصحيحين والترمذي عن عائشة قالت انما كان فراش رسول الله صلى الله عليه
وسلم الذي ينام عليه ادما بفتحتين جلدا مدبوغا او احمر او مطلق الجلد جمع
اديم وصف به المفرد لانه اجزا من الجلد مجتمعة فهو نظير قوله تعالى من نطفة
امشاج فوصف المفرد بالجمع اذ امشاج اخلاط جمع مشيج حشوه ليف من النخل
وكان كما رواه الترمذي عن حفصة له مسح بكسر فسكون فراش خشن غليظ
ينام عليه من شعر او صوف وتقدم هذا في فراشه وكان كما رواه احمد والترمذي
عن البرا واللفظ له واحمد وابو داود عن حفصة واحمد وابن ماجة عن ابن مسعود
كان صلى الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه بفتح الميم والجيم وحكى كسرها
اي استقر فيه لينام ولفظ ابن مسعود وحفصة اذا اوى الى فراشه وضع
كفه اليمنى كما في حديث البرا وابن مسعود وسقط من قلم المصنف تحت خده
الايمن اي وضع راحته تحت شق وجهه الايمن قال الازهري الكف الراحة
مع الاصابع سميت به لكفها الاذى عن البدن وقال رب اي مالكي قني

عذابك يوم تبعث اي تحيي عبادك يوم القيامة فلا تبعثني كريه المنظر
علي وجهي غبرة ترهقها قترة او ترسل من بعث بمعني ارسل اي لا ترسلني
مع من ترسله الي النار زاد في رواية حفصة ثلاث مرات وذكر هذا مع
عصمته تواضعا لله واجلالا له وتعليما لامته ان يقولوا ذلك عند النوم
لاحتمال انه اخر العمر فيكون خاتمة عمله ذكر الله مع الاعتراف بالتقصير الموجب
للفوز والرضى وفي رواية للترمذي من طريق اخري عن البرا مثله وقال
يوم تجمع بدل تبعث عبادك وفي رواية ابن مسعود يوم تبعث او قال
تجمع بالشك وقال ابو قتادة الحارث او النعمان الخزرجي فارس المصطفى
كان عليه الصلاة والسلام اذا عرس بشد الراء وعين وسين مهملات
اي نزل وهو مسافر للاستراحة بليل اي في زمن ممتد منه لقوله بعد
قبيل الصبح قال ابو زيد عرس تعريسا نزل اي وقت كان من ليل او
نهار فقوله بليل ليس تصريحا بما علم ضمنا من عرس الا علي قول الاكثر التعريس
نزول المسافر بالليل للنوم والاستراحة اضطجع نام علي شقه
بالكسر جانبه الايمن لاعتياده علي الانتباه وعدم فوات الصبح لبعده
واذا عرس قبيل الصبح اي قبل دخوله وقته نصب ذراعه اليمني
ووضع راسه علي كفه وفي رواية احمد وغيره وضع راسه علي
كفه اليمني واقام ساعده وذلك لانه اعون علي الانتباه لئلا ينام طويلا
فيفوته الصبح فهو تشريع وتعليم لامته لئلا يثقل نومهم فيفوتهم اول
الوقت وفيه ان من قارب وقت الصلاة ينبغي ان يتجنب الاستغراق
في النوم فينام علي صفة تقتضي سرعة يقظته محافظة علي الصلاة
لاول وقتها وقال ابن عباس كان عليه الصلاة والسلام اذا نام
نفخ من النفخ وهو ارسال الهواء من الفم بقوة والمراد هنا ما يخرج من
النائم حين استغراقه في نومه وبين به ان النفخ يعتري بعض النائمين
دون بعض وانه ليس بمذموم ولا مستهجن ولفظ الترمذي عن ابن
عباس انه صلي الله عليه وسلم نام حتي نفخ وكان اذا نام نفخ فاتاه
بلال فاذنه بالصلاة فقام وصلي ولم يتوضا اي لان نومه لا ينقض وضوءه
مطلقا ليقظة قلبه فلو خرج منه حدث لاحس به واما رواية انه توضا
فاما للتجديد او وجود ناقض وفي البخاري عن ابن عباس نام صلي
الله عليه وسلم حتي نفخ وكنا نعرفه اذا نام بنفخه وعن عائشة نام
صلي الله عليه وسلم حتي استثقل ورايته ينفخ ولاحمد عنها ما نام قبل
العشا ولا سمر بعد وعن حذيفة بن اليمان فيما رواه احمد والبخاري
والترمذي وابو داود قال عليه الصلاة والسلام اذا اوي بهمزة
ومدا ومقصورا حيث مقصور علي الافصح الي فراشه اي دخل فيه قال
بعد وضع يده اليمني تحت خده الايمن باسمك اللهم اي علي ذكري
لاسمك مع اعتقادي لعظمة مدلوله وتفرده بالملك والالوهية اموت

واحيي اي بمميتي ومحييني والاسم بمعني المسمي ويعود انه تعالي فالمعني
اموت واحيي متبركا باسمك ومتمسكا به او باسمك المميت والمحيي او
اراد بالموت النوم تشبيها بجامع زوال العقل والحركة وبالحياة اليقظة
وبقية حديث حذيفة هذا عند الجماعة واذا استيقظ قال الحمد لله بعد
ما اماتنا الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور وقالت عائشة
فيما رواه مالك واحمد والشيخان وابو داود والترمذي كان صلي الله عليه
وسلم اذا اوي الي فراشه كل ليلة جمع لفظها جمع بالماضي كفيه اي
ضم احداهما للاخري فينفث الرواية في الترمذي فنفث ماضيا ولغيره
ثم نفث فيهما اي ينفخ نفخا لطيفا بلا ريق علي ما يلوح من ظواهر الاحاديث
وان اختلف اهل اللغة في ان النفث بريق او بدونه وذلك مخالفة
لليهود لانهم يتفلون ولا ينفثون ويقرا قل اعوذ برب الفلق وقل
اعوذ برب الناس اي السور الثلاث بكمالها والرواية وقرا بالماضي
وفي رواية عقيل بالفا بمعني الواو لا للترتيب فتقديم النفث علي
القراة وعكسه سيان حيث كان بعد جمع الكفين وزعم بعض ان الاولي
تقديم القراة علي النفث وان معني الفا فاراد النفث فيهما قرا ونفث
خلاف ظاهر الحديث بل تقديم النفث علي القراة لمخالفة السحرة لانهم
ينفثون بعد القراة كما جزم به بعضهم ثم يمسح الرواية مسح بهما
ما استطاع مسحه فالعائد محذوف من جسده اي ما تصل اليه
يده من بدنه وظاهره ان المسح فوق الثوب يبدا بهما علي راسه
وفصله لانه بيان لجملة مسح او بدل منه او استئنافي ووجهه وما
اقبل من جسده يصنع ذلك الجمع والنفث والقراة ثلاث مرات
لانه اكمل وان حصل اصل السنة بمرة واحدة كما تفيده رواية اخري
وعبرت بيصنع دون يفعل او يعمل ونحوها لبيان ان فعله ذلك في غاية
الجودة لكثرة فوائده اذ الصنع اجادة الفعل علي ان في رواية يفعل
وقال انس عند مسلم وابي داود والترمذي والنسائي كان عليه
الصلاة والسلام اذا اوي الي فراشه اي دخل فيه قال البيضاوي
اوي جا لازما ومتعديا والاكثر في المتعدي المد قال الحمد لله الذي
اطعمنا وسقانا ذكرهما لان الحياة لا تتم بدونهما كالنوم فالثلاثة
من واد واحد فذكره يستدعي ذكرهما ولان النوم فرع الشبع والري وفراغ
الخاطر من المهمات وكفانا دفع عنا شر خلقه واوانا في كن نسكن
فيه يقينا الحر والبرد ونحرس فيه متاعنا ونجمع فيه عيالنا وهو بالمد
لقوله مووي وتكون القصر وعلل الحمد مبينا لسببه الحامل عليه
اذ لا يعرف قدر النعمة الا بضدها لقوله فكم ممن لا كافي له ولا مووي
اسم فاعل من اوي بالمد وفي نسخة ولا ماوي اي وليس له مكان
ياوي اليه من اوي بالقصر لكن الرواية بالاول وكثير لا راحم له ولا عاطف

عليه او لا يعرف كافيه ولا موويه او لا كافي ولا مووي علي الوجه الاكمل فلا
ينافي انه تعالي كاف لجميع خلقه ومو ولهم علي تخوواف الكافرين لا مولي
لهم روي ذلك المذكور من الاحاديث التي اولها وكان فراشه كله التراب
ورواها ايضا غيره ايضا وبعضها في الصحيح كما رايت وروي البخاري
وغيره عن حذيفة ومسلم عن البراء ان صلي الله عليه وسلم اذا استيقظ
قال الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا واليه النشور وابو داود عن
عايشة كان اذا استيقظ من الليل قال لا اله الا انت سبحانك اللهم
وبحمدك استغفرك لذنبي واسالك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي
بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب وروي احمد
وابن ماجة عن ربيعة بن كعب انه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا قام
من الليل يصلي يقول الحمد لله رب العالمين الهوي ثم يقول سبحان الله
وبحمده الهوي واما ما كان يقوله اذا اصبح واذا امسي فكثير الف فيه
تاليف كثيرة ساق منه الشامي جملة صالحة وقد كان عليه الصلاة
والسلام تنام عيناه بالتثنية وفي نسخة بالافراد علي انه مفرد مضاف
يعم وهما روايتان في البخاري ولا ينام قلبه لتلقي الوحي الذي ياتيه بل
هو دايم اليقظة لا يعتريه غفلة ولا يتطرق اليه شايبة نوم لمنعه من
اشراق الانوار الالهية الموجبة لفيض المطالب السنية ولذا كانت
روياه وحيا ولا تنتقض طهارته بالنوم وكذا الانبيا لقوله صلي
الله عليه وسلم انا معشر الانبيا تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا رواه ابن
سعد عن عطاء مرسلا رواه البخاري بمعناه من حديث عايشة قالت
لما عليه الصلاة والسلام لما قالت له اتنام قبل ان توتر بهمزة
الاستفهام الاستخباري لتسال عن حكمه لامره ابا هريرة بالوتر قبل
النوم فكانها قالت ما سبب نومك قبله وقد امرت به قبل النوم فاجابها
بما حاصله ان ذلك لمن يخاف فواته بالنوم وانا من ذلك ولفظ عايشة
ما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره علي
احدي عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي
اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا قالت عايشة قلت يا
رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام
قلبي رواه الشيخان وابو داود والترمذي والنسائي واخرجه الحاكم عن
انس قال كانت تنام عيناه ولا ينام قلبه وانما كان عليه الصلاة والسلام
لا ينام قلبه لان القلب اذا قويت فيه الحياة لا ينام لا تحصل له
الغشية التي تغطيه عن المعرفة اذا نام البدن اذ النوم غشية ثقيلة
تهجم علي القلب تغطيه عن المعرفة بالاشيا ولذا قيل هو آفة لان النوم اخو
الموت وقيل النوم مزيل للقوة والعقل كما في المصباح فنوم البدن والعين
لانه انما يرد علي القلب الضعيف لا القوي شبه ما يحصل للعين والبدن مما

يمنعها

يمنعها من الاحساس بالغشية المانعة للقلب عن المعرفة واطلق عليه اسمه واشتق
منه الفعل وكمال هذه الحالة وهي تعطيه وعدم قيام الغشية به كانت
لنبينا صلي الله عليه وسلم ولباقي الانبيا عليهم الصلاة والسلام فهو من
خصايصه علي الامم لا الانبيا بنص حديث والفرق بيننا وبينهم ان النوم
يتضمن امرين راحة البدن وهو الذي يشاركونا فيه والثاني غفلة القلب
وقلوبهم مستيقظة اذا ناموا سليمة من اضغاث الاحلام مشتغلة في تلقي
الوحي والتفكر في المصالح علي مثل حال غيرهم اذا كانوا ايقاظا ولذا كانت روياهم
وحيا ولا ينتقض النوم وضوءهم ولمن الواو للاستيناف فهو من عطف الجمل واللام
متعلقة بمحذوف اي يحصل لمن احيي الله قلبه يحبيه منها اي يحبيه عليه
الصلاة والسلام مستيقظ القلب بان لم تقم به تلك الحالة التي تمنع من
الادراك وغافله اي غاب عنه ولم يتذكره كمستيقظ البدن غاير لمستيقظ
القلب ونايمه لغافله لكن ولو شاركوا الانبيا في جزء ما من ذلك ليسوا كهم م
لا انتقاض وضوءهم ورؤياهم ليست وحيا باجماع ولهذا الذي ذكرته اشار
صاحب المعارف العلية والحقايق السنية الشريفة سيدي علي بن محمد وفا
بقوله عيني تنام لكن قلبي والله ما ينام وكيف ينام استفهام انكاري
بتقدير ان شخصا انكر عليه عاشقا محبه مفرط في الحب مصبي ماخوذ من
نفسه مستول عليه محبوبه حتي كانه معه لا حركة له ولا شعور فهو كالاسير
مع اسره في الحب بضم الحا المحبة وكسرها المحبوب مستهام هايم اي متحير بسبب
الحب كالهايم الذي لا يدري اين يتوجه ناظرا الي وجه الحب وفي نسخة
المحبوب شاخص علي الدوام اي فاتح عينيه ينظر الي وجه حبيبه لا
يفتر عن ذلك اصلا اتاه في المعني مرسوم مكتوب من محبوبه ان
تعفي يجي الرسوم الاثار المتعلقة بالغير اشارة الي مقام الجمع عندهم
وهو ان لا ينظر الي غير الله في امر ما والمراد اتاه الهام وتوفيق الهي منه
تعالي بان تقطع التعلق بالخلق وتقبل علي الله سرا وعلانية فقام بالحي
القيوم القايم بتدبير الخلق وحفظه يا سعد من يقوم بامره وقد
جمع العلما بين هذا الحديث وبين حديث نومه صلي الله عليه وسلم
في الوادي حيث كانوا قافلين من سفر اختلف في تعيينه ففي مسلم
عن ابن مسعود اقبل صلي الله عليه وسلم من الحديبية ليلا فنزل فقال
من يكلونا فقال بلال انا الحديث وفي الموطا عن زيد بن اسلم مرسلا عرس
صلي الله عليه وسلم ليلة بطريق مكة ووكل بلالا ولعبد الرزاق عن عطا بن
يسار ان ذلك كان بطريق تبوك وللبيهقي نحوه عن عقبة بن عامر ولابي داود
كان ذلك في غزوة جيش الامرا وتعقبه ابن عبد البر بانها موتة ولم
يشهدها النبي صلي الله عليه وسلم وهو كما قال لكن يحتمل ان المراد غيرها
ذكره الحافظ عن صلاة الصبح وسبب الجمع اشكال احد الحديثين بالاخر
اذ مقتضي عدم نوم القلب ادراكه كل ما يحتاج اليه فلا يغيب عن علمه وقت

الصبح فكيف نام حتى طلعت الشمس وحميت حتى ايقظه عمر رضي الله
عنه بالتكبير كما اخرجه البخاري ومسلم عن عمران بن حصين قال كنا في
سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم وانا سرينا حتى اذا كنا في اخر الليل وقعنا
وقعة عند المسافر احلى منها فما ايقظنا الا حر الشمس وكان اول من
استيقظ فلان يعني ابا بكر كما عند البخاري في علامات النبوة ثم فلان
ثم عمر بن الخطاب الرابع وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نام لم يوقظ
حتى يكون هو يستيقظ لانا لا ندري ما يحدث له في نومه فلما استيقظ عمر
وراى ما اصاب الناس وكان رجلا جليدا فكبر ورفع صوته بالتكبير حتى
استيقظ بصوته النبي صلى الله عليه وسلم فشكوا اليه الذي اصابهم
فقال لا ضير او لا يضير ارتحلوا فارتحل فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء
فتوضا ونودي بالصلاة فصلى بالناس الحديث وزاد الطبراني فقلنا
يا رسول الله انعيدها من الغد لوقتها قال نهانا الله عن الربا ويقبله منا
وفي رواية ابن عبد البر لا ينهاكم الله عن الربا ويقبله منكم قال الحافظ اختلف
هل كان نومهم عن صلاة الصبح مرة او اكثر فجزم الاصيلي ان القصة واحدة
وتعقبه عياض بان قصة ابي قتادة مغايرة لقصة عمران وهو كما قال ففي
قصة ابي قتادة ان ابا بكر وعمر لم يكونا مع النبي وانه اول من استيقظ صلى
الله عليه وسلم وفي قصة عمران انهما كانا معه واول من استيقظ ابو بكر ولم
يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم حتى ايقظه عمر بالتكبير وفي القصتين
غير ذلك من وجوه المغايرات ومع ذلك فالجمع ممكن ولا سيما مع ما في مسلم وغيره
ان عبد الله بن رباح راوي الحديث عن ابي قتادة ذكر ان عمران سمعه وهو يحدث
فقال انظر كيف تحدث فاني كنت شاهد القصة فما انكر عليه من الحديث شيئا
لكن لمدعي التعدد ان يقول يحتمل ان عمران حضر القصتين فحدث باحداها وصدق
عبد الله بن رباح لما حدث عن ابي قتادة بالاخرى ويدل على التعدد اختلاف
المواطن كما قدمنا وحاول ابن عبد البر الجمع بان زمان رجوعهم من خيبر قريب
من زمان رجوعهم من الحديبية واسم طريق مكة يصدق عليهما ولا يخفى تكلفه
ورواية عبد الرزاق بتعيين غزوة تبوك ترد عليه ولابي داود والطبراني
من حديث عمرو بن امية شبيها بقصة عمران وفيه ان الذي كلا لهم الفجر ذو
مخبر بكسر الميم وسكون الخا المعجمة وفتح الموحدة وفي مسلم عن ابي هريرة
ان بلالا كلا لهم الفجر وان النبي صلى الله عليه وسلم كان اولهم استيقاظا
كما في قصة ابي قتادة ولابن حبان عن ابن مسعود انه كلا لهم الفجر وهذا
ايضا يدل على تعدد القصة انتهى وقال النووي اختلف هل كان النوم مرة
او مرتين ورجحه القاضي عياض انتهى وقال النووي اختلف وقدمت هذه
في خيبر مع زوايد نفيسة فقال النووي له جوابان احدهما ان القلب
انما يدرك الحسيات اراد بها ما يشمل القوى الباطنة المتعلقة به كالحدث
والالم ونحوهما ولا يدرك ما يتعلق بالعين لانها نائمة والقلب يقظان

بسكون

بسكون القاف الثاني انه كان له حالان حال كان قلبه لا ينام وهو الاغلب
وحال ينام فيه قلبه وهو نادر فصادف هذا اي النادر هذا مفعول اي
قصة النوم عن الصلاة قال النووي والصحيح المعتمد هو الاول
والثاني ضعيف بل شاذ لمخالفته لصريح ولا ينام قلبي الشامل لساير
الاحوال اذ الفعل المنفي يفيد العموم قاله المكي قال في فتح الباري وهو
كما قال ولا يقال القلب وان كان لا يدرك ما يتعلق بالعين من روية
الفجر مثلا لكنه يدرك اذا كان يقظانا بمرور الوقت الطويل فان
فان من ابتدا طلوع الفجر الى ان حميت الشمس مدة طويلة لا تخفى
على من لم يكن مستغرقا لانا نقول يحتمل ان يقال كان قلبه صلى الله
عليه وسلم اذ ذاك مستغرقا بالوحي ولا يلزم من ذلك وصفه بالنوم
كما كان يستغرق صلى الله عليه وسلم حالة القا اي تبليغ الوحي بمعنى
الوحي اليه وكان يستغرق بحيث يوخذ عن الناس اذا نزل عليه في اليقظة
وتكون الحكمة في ذلك الاستغراق بيان التشريع بالفعل لانه اوقع في النفس
كما في قصة سهوه في الصلاة حين سلم من ركعتين وغير ذلك وقريب
من هذا جواب ابن ابن المنير ان القلب قد يحصل له السهو في اليقظة
لمصلحة التشريع ففي النوم بطريق الاولى او على السوا حيث فرضنا ان
نومه ويقظته سيان وقال ابن العربي في القبس على موطا مالك بن انس
النبي صلى الله عليه وسلم كيف ما اختلف حاله من نوم او يقظة في
حق اي اشتغال بمعرفة وتحقيق اي اثباته بادلته ومع الملايكة في كل
طريق ان نسي فيتاكد من المشي استقل وان نام فبقلبه ونفسه
على الله اقبل ولهذا قالت الصحابة كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا نام لا نوقظه حتى لا يستيقظ لانا لا ندري ما هو فيه من لفظ
الصحيحين ما يحدث له قال الحافظ بضم الدال بعدها مثلثة اي من الوحي
كانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحي فلا يوقظونه لاحتمال ذلك قال ابن بطال
يوخذ منه التمسك بالامر الاعم احتياطا ولذا استعمل عمر التكبير سلوكا لطريق
الادب والجمع بين المصلحتين وخص التكبير لانه اصل الدعا الى الصلاة فنومه
عن الصلاة او نسيانه شيئا منها لم يكن عن افة وانما كان بالتعرف من
حالة الى حالة مثلها ليكون لنا سنة انتهى لما قال صلى الله عليه وسلم
لو ان الله اراد ان لا تناموا عنها لم تناموا ولكن اراد ان تكون لمن بعدكم فهكذا
لمن نام او نسي رواه احمد وقد اجيب عن اصل الاشكال باجوبة اخرى
ضعيفة منها ان معنى قوله لا ينام قلبه اي لا يخفى عليه حالة انتقاض
وضوءه ومنها ان معناه لا يستغرقه النوم حتى يوجد منه الحدث
وهذا اقرب من الذي قبله او هو عينه قال ابن دقيق العيد كان قايل
هذا اراد تخصيص يقظة القلب بادراك حالة الانتقاض فلا يرد
قصة النوم وذلك بعيد لان قوله صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان

انتام قبل ان توتر

ولا ينام قلبي خرج جوابا عن قول عايشة اتنام قبل ان توتر
وهذا كلام لا تعلق له بانتقاض الطهارة التي تكلموا فيه اي هو لا
المجيبون وانما هو جواب يتعلق بامر الوتر فيحتمل يقظته على تعلق
القلب باليقظة للوتر وفرق بين من شرع في النوم مطمئن القلب
وبين من شرع فيه متعلقا باليقظة قال ابن دقيق العيد وعلى هذا
الفرق فلا تعارض ولا اشكال في حديث النوم حتى طلعت الشمس
لانه يحتمل انه اطمان في نومه لما اوجبه تعب السير معتمدا على من وكله
بشد الكاف اعتمد عليه بكلاءه الفجر بكسر الفاء وتمد وتخفف حفظه انتهى
كلام ابن دقيق العيد ومحصله اي جوابه الذي فك به التعارض تخصيص
اليقظة المفهومة من قوله ولا ينام قلبي بادراكه وقت الوتر ادراكا
معنويا لتعلقه به وان نومه في حديث الباب كان نوما مستغرقا
لتعب السير واعتماده على من وكله بالفجر ويؤيده قول بلال حين قال
له النبي صلى الله عليه وسلم ماذا صنعت بنا يا بلال فقال اخذ بنفسي الذي
اخذ بنفسك اي غلبني النوم كما غلبك او استولى الله بقدرته علي كما استولى
عليك مع منزلتك كما في حديث ابي هريرة عند مسلم ولم ينكر عليه بل قال
صدقت كما في رواية ابن اسحق ومعلوم ان نوم بلال كان مستغرقا وقد
اعترض عليه بان ما قاله يقتضي اعتبار خصوص السبب مع انه لا عبرة
به بل بعموم اللفظ واجاب هو عنه بانه يعتبر اذا قامت عليه قرينة وارشد
اليها السياق وهو هنا كذلك ومن الاجوبة الضعيفة ايضا قول
من قال كان قلبه يقظانا بسكون القاف وعلم بخروج الوقت لكن
ترك اعلامهم لمصلحة التشريع وجه ضعفه انه صلى الله عليه وسلم لا
يقر عمدا على محرم بحيث يترك الاعلام به للتشريع فانه ممكن بالقول والله
تعالى اعلم انتهى كلام فتح الباري من اول قوله جمع العلماء الى هنا الا ما نقله
عن القبس فليس فيه وزاد ومن الاجوبة الضعيفة ايضا قول من قال المراد
بنفي النوم عن قلبه انه لا يطرا عليه اضغاث احلام كما لا يطرا على غيره بل كل
ما يراه في نومه حق ووحي فهذه عدة اجوبة اقربها للصواب الاول على
الوجه الذي قررناه فايدة قال القرطبي اخذ بهذا بعض العلماء فقال
من انتبه من نوم عن صلاة فاتته في حضر فليتحول عن موضعه وان كان واديا
فليخرج عنه وقيل انما يلزم ذلك الوادي بعينه وقيل هو خاص بالنبي صلى
الله عليه وسلم لانه لا يعلم من حال الوادي ولا غيره ذلك الا هو وقال غيره
يوخذ منه ان من حصلت له غفلة في مكان عن عبادة استحب له التحول منه
ومنه امر الناعس في سماع الخطبة يوم الجمعة بالتحول من مكان الى مكان اخر
وقد بين مسلم في حديث ابي هريرة سبب الارتحال من ذلك الموضع
من قوله فان هذا موضع حضرنا فيه الشيطان انتهى ولله الحمد كثيرا
مباركا فيه بسم الله الرحمن الرحيم كتاب في المعجزات والخصايص

المقصد الرابع

في معجزاته صلى الله عليه وسلم الدالة على ثبوت نبوته صفة
لازمة لا مخصصة اذ كلها دال على ذلك وصدق رسالته شدتها وقوتها
الدلالة معجزاته على تحقق رسالته تحققا لا مرية فيه وذكر مستلزم لشدتها
وفي القاموس الصدق بالكسر الشدة والرسالة بالكسر والفتح اسم مصدر
من ارسل رسولا بعثه برسالة يوديها فيجوز حملها على ما بعث به من الاحكام
ليوديها وعلى بعثه بما جاء من الوحي لكن وصفها بالصدق على هذين مجاز
بناء على ما شاع من استعمال الصدق في الاقوال خاصة فالاول اولى وما خص
به اي ثبت له من الامور الفاضلة دون غيره اما من الانبيا او الامم وهو
عطف على معجزاته عام على خاص او من عطف ما بينه وبين المعطوف عموم
وخصوص وجهي من خصايص اياته من اضافة الصفة للموصوف اي اياته
الخاصة اي الفاضلة في الشرف على غيرها وبهذا لا يرد انه يغني قوله وما خص
به وشرط المبين بالكسر زيادته على المبين بالفتح وبدايع كراماته جمع كرامة
امر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها تظهر على
يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح
الاعتقاد والعمل الصالح علم بها او لم يعلم فدخل في امر خارق جنس الخوارق وخرج
بغير مقرون بدعوى النبوة المعجزة وبنفي مقدمتها الارهاص وبظهور
الصلاح ما يسمى معونة مما يظهر على يد بعض العوام وبالتزام متابعة نبي ما
يسمى اهانة كالخوارق المؤكدة لكذب الكذابين كبصق مسيلمة في البير وبالمصحوب
بصحيح الاعتقاد الاستدراج كما خرج السحر من جهات عدة كما قال السبكي قال
ابن ابي شريف والذي يتلخص من كلام من تكلم في الخوارق انها ستة انواع ارهاص
وهو ما اكرم به النبي قبل النبوة ومعجزة وهو ما ظهر بعد النبوة وكرامة للولي
ومعونة واستدراج واهانة وفيه فصلان الاول في معجزاته اي بعضها اذ
هو لم يستوفها اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم والرسول العظيم
سلك ذهب الله في وبك قال في المختار المسلك بالفتح مصدر سلك
الشيء في الشيء فانسلك اي ادخله فيه فدخل وبابه نصر قال تعالى كذلك سلكناه
في قلوب المجرمين واسلكه فيه لغة ولم يذكر في الاصل يعني الجوهري سلك الطريق
اذا ذهب وبابه دخل واظنه سهى عن ذكره لانه مما لا يترك قصدا مناهج سنته
اي الطرق الموصلة الى سيرته الحميدة جمع منهج لمذهب ونجمع ايضا على مناهج
واماتنا على محبته المراد سوال الاخلاص من في حبه ودوام ذلك للموت
فلا يزول عنه ما دام حيا لا سوال الموت ولا انه مع المحبة وان سبقه انتفاوها
بمنه انعامه لا تعداد النعم بقرينة ان المطلوب اصل النعم ورحمته انعامه
وارادته فعطفها على منه مرادف على الاول ومن عطف السبب على المسبب على
الثاني اي ارادة الرحمة اذ الارادة سبب للمن ان المعجزة هي الامر الخارق
للعادة وجوديا كنبع الماء من الاصابع او عدميا كنجاة ابراهيم من النار

المقرون بالتحدي الدال علي صدق الانبيا صفة لازمة اذكر الخارق
مقرون بدعوي الرسالة دال علي صدقهم عليهم الصلاة والسلام وسميت
معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها اذ لا ينسب شي منها لكسبهم لخرقها
للعادة فعلم من هذا التعريف ان لها شروطا اركانا اربعة لا بد منها لاما كان
خارج الماهية اذ الخارق للعادة المقرون بالتحدي مفهوم المعجزة لا خارج عنها
وما كان كذلك ركن لا شرط احدها ان تكون خارقة للعادة بان تنقطع اثر علي
سبب جرت العادة الالهية بترتبه عليه كانقطاع الاحراق عن نار ابراهيم في حق
ابراهيم بان يترتب اثر علي سبب لم تجر العادة الالهية بترتبه عليه كانشقاق
القمر للمصطفي وانفجار الماء من بين اصابعه صلي الله عليه وسلم وقلب العصي
حية لموسي عليه الصلاة والسلام روي عن ابن عباس والسدي انه لما القي عصاه
صارت حية عظيمة صفراء شعرا فاغرا فاها بين لحييها ثمانون
ذراعا وارتفع عن الارض بقدر ميل وقام علي ذنبها ووضعت لحييها الاسفل
علي الارض والاخر علي سور القصر ثم توجهت نحو فرعون وروي انها اخذت قبته
بين نابيها فهرب واحدث قيل اخذه البطن في ذلك اليوم اربعماية مرة وانهزم
الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا وصاح فرعون يا
موسي انشدك بالذي ارسلك خذها وانا اومن بك وارسل معك بني اسرايل
فاخذها فعادت عصي ذكره البغوي وفي التنزيل فاذا هي ثعبان مبين وفيه
فاذا هي حية تسعي قال البغوي الثعبان الذكر العظيم من الحيات ولا تنافيه
قوله كانها جان والجان الحية الصغيرة لانها كانت كالجان في الخفة والحركة
وهي في جثتها حية عظيمة واخراج ناقة من صخرة لصالح عليه السلام كما ذكر
ابن اسحق وغيره ان عادا لما هلكت عمرت ثمود بعدها وكثروا وعمروا اعمارا
طوالا حتي جعل احدهم يبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فنحتوا البيوت
من الجبال وكانوا في سعة فعتوا وافسدوا وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا
من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا وموضعا وهو شاب فدعاهم الي الله حتي
شمط وكبر لا يتبعه الا قليل مستضعفون فالح عليهم بالدعا واكثر لهم التخويف
فسالوه اية تصدقه فقال لهم اي اية تريدون قالوا تخرج معنا غدا الي عيدنا
وكان لهم عيد يخرجون فيه باصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعوا
الهك وندعوا الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا
فقال لهم صالح نعم فخرج معهم وخرجوا باوثانهم الي عيدهم فسالوها ان لا يستجاب
لصالح في شي من دعا به فلم يجبهم فقال سيدهم جندع بن عمرو يا صالح اخرج
لنا من هذه الصخرة منفردة في ناحية من الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة
جوفا وبرا عشرا والمخترجة ما شاكل البخت من الابل فان فعلت صدقناك
وامنا بك فاخذ صالح مواثيقهم بذلك فقالوا نعم فصلي ركعتين ودعا ربه
فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت
عن ناقة كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عظما وهم ينظرون ثم نتجت

سقبا

سقبا بمهملة مفتوحة وقاف ساكنة وموحدة اي ولدا وهم ينظرون مثلها
في العظم فامن به جندع ورهط من قومه واراد اشرافهم الايمان فنهاهم
ذواب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحبا اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم
فقال صالح هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة
وسقبها ترعي الشجر وتشرب الماء غبا فما ترفع راسها حتي تشرب كل ما في البير
فلا تدع قطرة حتي ترفع راسها فتتفحج فيحلبون ما شاوا فيشربون ويدخرون
حتي يملاوا اوانيهم كلها ثم تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا تقدر ان
تصدر من حيث ترد لضيقه عنها حتي اذا كان الغد يومهم فيشربون ما شاوا
من الماء ويدخرون ليوم الناقة فهم من ذلك في سعة ودعة وكانت تصيف
بظهر الوادي فتهرب منها اغنامهم وبقرهم وابلهم الي بطنه في حره وجدبه
وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الي ظهره فاضر ذلك مواشيهم للبلاء والاختبار
وكبر ذلك عليهم فاجمعوا علي عقرها وكانت عنيزة ام غنم لها بنات حسان وابل
وبقر وغنم وصدوق بنت المحيا وكانت جميلة غنية وكانتا من اشد الناس
عداوة لصالح ورغبتا في عقرها لما اضرت بمواشيهما فدعت صدوق ابن عمها
مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها علي عقر الناقة فاجابها ودعت عنيزة
قدار بن سالف رجلا احمر ازرق قصيرا عزيزا منيعا في قومه فقالت اعطيك
اي بناتي شيت علي ان تعقر الناقة فانطلق هو ومصدع فاستغويا غواة
ثمود فاتبعهم سبعة فانطلقوا فرصدوها حين صدرت عن الماء وكمن لها
قدار في اصل صخرة علي طريقها وكمن مصدع في اخري فمرت عليه فرماها بسهم
فانتظم به عضلة ساقها فشد قدار عليها بالسيف فكشف عرقوبها
فخرت ورغت ثم نحرها في لبتها فخرج اهل البلد فاقتسموا لحمها وطبخوه
فانطلق سقبها حتي اتي جبلا منيعا يقال له صنو وقيل قارة واتي صالح
فقيل له عقرت الناقة فاقبل وخرجوا يعتذرون انما عقرها فلان ولا ذنب
لنا فقال صالح ادركوا الفصيل فعسي ان يرفع عنكم العذاب فلما راوه علي
الجبل ذهبوا لياخذوه فاوحي الله الي الجبل فتطاول حتي ما تناله الطير
وجا صالح فلما راه الفصيل بكي حتي سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت
الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة اجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة
ايام ذلك وعد غير مكذوب وقيل اتبع السقب اربعة من التسعة الذين
عقروا الناقة منهم مصدع فرماه بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فانزله
فالقوا لحمه مع لحم امه فقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذابه
ونقمته تصبحون غدا وكان يوم الخميس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون
يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون ووجوهكم مسودة
ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا قتله فانجاه الله
فلما كان ليلة الاحد خرج هو ومن اسلم معه الي الشام فنزل رملة فلسطين
فلما كانت ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا والقوا انفسهم الي الارض

يتقلبون ابصارهم الي السماء مرة والي الارض مرة فلما اشتد الضحي اتتهم صيحة من السما فتقطعت قلوبهم فهلكوا كبيرهم وصغيرهم وقدار بضم القاف وفتح الدال المهملة الخفيفة عاقر فراق اعدام جبل فمرج غير الخارق للعادة كطلوع الشمس كل يوم والقمر كل ليلة الثاني ان تكون مقرونة بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة قال الجوهري يقال تحديت فلانا اذا باريته اي عارضته في فعل ونازعته عطف تفسير للغلبة اي لاجل ان يغلبه وفي القاموس نحوه وفي الاساس للزمخشري حدا يحدو فهو حادي وهو حادي الابل واحتدي حدا بضم المهملة والمشدد اذا غني للابل يحثها علي السير ومن المجاز تحدي اقرانه اذا باراهم ونازعهم تفسيري للغلبة فيقول الجوهري يقال اي مجازا واصله اي اصل التحدي الغنا يتباري فيه الحاديان ويتعارضان فيتحدي كل واحد منهما صاحبه اي يطلب حداه كما يقال توفاه بمعني استوفاه وفي بعض الحواشي الموثوق بها كانوا عند الحدو بفتح فسكون وبضمتين وشد الواو وفي المختار حدي الابل من باب عدا وحدا ايضا بالضم والمد انتهي فله مصدران يقوم حاد عن يمين القطار بالكسر عدد من الابل علي نسق واحد وحاد عن يساره يتحدي كل واحد منهما صاحبه بمعني يستحديه اي يطلب منه حداه ثم اتسع فيه حتي استعمل في كل مباراة مغالبة انتهي من حاشية العلامة شرف الدين الحسن بن محمد بن عبد الله الطيبي بكسر الطا وتلون اليا نسبة الي الطيب بلد بين واسط وكور الاهواز علي الكشاف تفسير الزمخشري قال السيوطي وهو اجل حواشيه في ست مجلدات ضخمات قال وله المام بالحديث لكنه لم يبلغ فيه درجة الحفاظ وسعة نظره الكتب الستة ومسند احمد ومسند الدارمي لا يخرج من غيرها وكثيرا ما يورد صاحب الكشاف الحديث المعروف فلا يحسن الطيبي تخريجه ويعدل الي ذكر من هو في معناه مما في هذه الكتب وهو قصور في التخريج انتهي وقال المحققون التحدي الدعوي للرسالة فما جاء به بعدها من الخوارق فهو معجزة وان لم يطلب الاتيان بالمثل الذي هو المعني الحقيقي للتحدي والشرط الثالث من شروط المعجزة ان لا ياتي احد بمثل ما اتي به المتحدي الطالب للمعارضة وهو مدعي الرسالة علي وجه المعارضة له وعبر عنه بعضهم بقوله دعوي الرسالة تنبع من المعارضة وهو احسن من التعبير بعدم المعارضة لانه لا يلزم من عدم المعارضة امتناعها والشرط انما هو عدم امكانها لا عدمها وقد خرج بقيد التحدي الخارق من غير تحد وهو الكرامة للولي وهي وان لم تكن معجزة اه لكنها كرامة

لنبيه

لنبيه كذا قيل ونظر فيه ابن ابي شريف بان المعروف ان المعجزة هي الخارق الذي يظهر علي مدعي النبوة بعد دعواها وما عدا الارهاصات والكرامات معجزات فسبيله التغليب والتشبيه وليست معجزات حقيقية قال التفتازاني والولي هو العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن المواظب علي الطاعات المتجنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات قال شارح الهمزية فيتجه ان هذا ضابط الولي الكامل وان اصل الولاية يحصل لمن وجدت فيه العدالة الباطنة بالشروط المذكورة عند الفقها وبالمقارنة الخارق المتقدم علي التحدي كاظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا صلي الله عليه وسلم قبل دعوي الرسالة فانها ليست معجزات انما هي كرامات ظهورها علي الاوليا ظاهر وجايز والانبيا قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الاوليا فيجوز ظهورها تاسيسا لنبوتهم التي ستحصل وكلام عيسي في المهد وما شابه ذلك مما وقع من الخوارق قبل دعوي الرسالة عليهم ايضا وحينئذ يسمي ارهاصا اي تاسيسا للنبوة كما صرح به العلامة السيد الشريف علي الجرجاني في شرح المواقف وصرح به غيره وهو مذهب جمهور ايمة الاصول وغيرهم خلافا للرازي في تسميتها معجزة وخرج ايضا بقيد المقارنة الامر المتاخر عن التحدي بما يخرجه عن المقارنة العرفية نحو ما روي بعد وفاته صلي الله عليه وسلم من نطق بعض الموتي بالشهادتين وشبهه مما تواترت به الاخبار المفيدة للعلم وخرج ايضا من المعارضة السحر المقرون بالتحدي فانه يمكن معارضته بنا علي دخول السحر في الخارق للعادة وهو ممنوع قال السنوسي ومن المعتاد السحر ونحوه وان كان سببه العادي نادرا خلافا لمن جعل السحر خارقا وقال ابن ابي شريف في الحق ان السحر ليس من الخوارق وان اطبق القوم علي عده منها لانه يترتب علي اسباب كلما باشرها احد خلقه الله تعالي بعد ذلك فهو ترتيب مسبب علي سبب جرت العادة الالهية بترتبه عليه كترتيب الاسهال علي شرب السقمونيا وشفا المريض علي تناول الادوية الطبية فان كلا منها غير خارق واختلف هل السحر قلب الاعيان واحالة الطبايع كجعل الطبيعة السوداوية صفراوية ام لا فقال بالاول قايلون حتي جوزوا للساحر ان يقلب الانسان حمارا وحجرا وذهب اخرون الي احدا لا يقدر علي قلب عين ولا احالة تغيير طبيعة الا الله صفة لا احد اي غير الله تعالي لا سبابه وان الساحر والصالح لا يقلبان عينا قالوا ولو جوزنا للساحر ما جاز للنبي فاي فرق عندكم بينهما فان لجاتم اعتصمتم اي تمسكم وذهبتم

الى ما ذكره القاضي العلامة ابو بكر الباقلاني من الفرق بين النبي وبين الساحر بالتحدي فقط قيل لكم بهذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط التحدي قول لا دليل عليه لا من كتاب ولا من سنة ولا من قول صاحب للنبي صلى الله عليه وسلم ولا اجماع وما نعري اي خلا من البرهان الدليل فهو باطل فيبطل ما بني عليه الثاني ان اكثر اياته صلى الله عليه وسلم واعمها وابلغها كانت بلا تحد كنطق الحصى ونبع الما ونطق الجذع واطعامه المئين من صاع وتفله في العين وتكليم الذراع المسمومة له اذ اخبرته بذلك وشكوى البعير له ان صاحبه يجيعه وياتي تفاصيل هذا كله وكذا سائر باقي معجزاته العظام وقعت بلا تحد وياتي الجواب قريبا ومرت الاشارة اليه ولعله صلى الله عليه وسلم لم يتحد بغير القران في نحو فاتوا بسورة من مثله وتمني الموت تحدى به اليهود بقوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فلم يفعلوا كما قال تعالى ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم وفي البيضاوي من موجبات النار كالكفر بمحمد والقران وتحريف التوراة اخرج البخاري والترمذي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لشرق احدهم بريقه ولابن جرير من وجه اخر عن ابن عباس مرفوعا لو تمنوه يوما قال لهم ذلك ما بقي على وجه الارض يهودي الا مات وللبيهقي عنه رفعه لا يقولها الا رجل منهم الا غص بريقه واورده البيضاوي مرفوعا بلفظ لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض واشار محشيه الى انه لم يرد بهذا اللفظ قالوا فان بفتح الكاف وكسرها منونا وغير منون بمعنى بينا وفيها لغة لا يسمى من الايات ما يسمى معجزة الا هذين الشيئين ويلحق بالقاف يطرح معجزاته كالبحر المتقاذف بالامواج ومن قال ان هذه ليست معجزات ولا ايات فهو الى الكفر اقرب منه الى البدعة لكن لم يقل بذلك احد وانما سرى له ذلك من حمل التحدي على المعنى الحقيقي له قالوا وقد كان عليه الصلاة والسلام يقول عند ورود اية من هذه الايات اشهد اني رسول الله كما عند البخاري عن سلمة حين خفت ازواد القوم فذكر الحديث في دعائه ثم قال صلى الله عليه وسلم ثم قال اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله وله شاهد في مسلم عن ابي هريرة وللبيهقي لما قدم وفد ثقيف قالوا يا امرنا نشهد انه رسول الله ولا يشهد به في خطبة فلما بلغه قولهم قال فاني اول من يشهد باني رسول الله ووقع للبخاري منه قضية تكثير جذاذ نخل جابر واستيفا غرمائه بل وفضل

له تمر فقال صلى الله عليه وسلم لما بشره جابر بذلك اشهد اني رسول الله كما قاله عند تحقق مصداق اي صدق قوله في الاخبار عن الذي انكا في المشركين قتلا في المعركة يوم خيبر كما في البخاري او يوم احد كما لابي يعلى باسناد فيه مقال وهو قزمان بضم القاف وسكون الزاي كما قاله جماعة وتوقف فيه الحافظ بان الواقدي ذكر بانه قتل باحد قال لكن الواقدي لا يحتج به اذا انفرد فكيف اذا خالف انه من اهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل اشد القتال حتى كثرت به الجراح فكان بعض الناس يرتاب رواه البخاري عن ابي هريرة وفي حديثه عن سهل فقالوا اينا من اهل الجنة ان كان هذا من اهل النار وللطبراني عن اكثم قلنا يا رسول الله اذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النار فاين نحن قال ذلك اخبات النفاق فكنا نتحفظ عليه في القتال وفي البخاري عن سهل فقال رجل من القوم انا صاحبه فخرج معه كلما وقف وقف معه فقتل نفسه بمحضر ذلك الرجل الذي اتبعه من المسلمين قال الحافظ هو اكثم الخزاعي كما في الطبراني فقول الشارح اي الجمع الذي اتبعه من المسلمين خلافه ومرت القصة في غزاة خيبر قالوا والوجه الثالث وهو الدامغ بغين معجمة المبطل لهذا القول بحيث لا يبقى للمتمسك به شبهة قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه قال البيضاوي اي فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة الرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاوه الذي يؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله ومبالغة فيه قوله تعالى واقسموا اي كفار مكة بالله جهد ايمانهم اي غاية اجتهادهم فيها لئن جاءتهم اية مما اقترحوا ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله ينزلها كما يشا وما يشعركم يدريكم بايمانهم اي انتم لا تدرون انها اذا جاءت لا يؤمنون لما سبق في علمي وفي قراءة بالتا خطابا للكفار وفي اخرى بفتح ان بمعنى لعل او معمولة لما قبلها وقال تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات التي اقترحها اهل مكة الا ان كذب بها الاولون لما ارسلناها فاهلكناهم ولو ارسلناها الى هولا لكذبوا بها واستحقوا الاهلاك وقد حكمنا بامهالهم لاتمام امر محمد صلى الله عليه وسلم والمنع هنا مجاز عن الترك اي وما سبب تركنا الارسال الا تكذيب الاولين والا فالله تعالى لا يمنعه عن مراده مانع فسمى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبة من الانبيا ايات ولم يشترط تحديا من غير فصح ان اشتراط التحدي باطل محض خالص انتهى ملخصا من تفسير الشيخ ابي امامة بن النقاش واجيب بانه ليس الشرط الاقتران بالتحدي بمعنى طلب الاتيان بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي اللغوي للتحدي حتى يرد عليه ما ذكروه بل يكفي للتحدي دعوى الرسالة فكل ما وقع بعدها من الخوارق ايات سوا كانت بطلب المثل ام لا فلا يرد على هذا الشرط شيء مما ذكروه والله اعلم

اي الوصف الخارق
بانه شرط في نفس الامر لا الرابع من شروط المعجزة
المسمي معجزة ان تقع علي وفق دعوي المتحدي بها فليس فيه سلب
شي عن نفسه اذ تقدير كلامه لو لم تقع المعجزة علي وفق دعواه لم تكن معجزة
فيلزم سلب الاعجاز عنها بعد ثبوته لها وهو باطل وبعبارة لا يخفي ان
وقوعها علي وفق دعوي المتحدي يفيد مفهومه لو لم تقع علي وفقه لم
يكن معجزة وهذا تناقض بحسب الظاهر والجواب ان فيه تجريدا كانه
قيل من شرط المعجزة بمعني مطلق الخارق لا ما يسمي معجزة بخصوصه
فلو قال مدعي الرسالة اية نبوتي ان تنطق يدي او هذه
الدابة بما يوافق دعوي بد ليل ان مقسم الشرط لذلك ولا ينافي قوله
فنطقت يده او الدابة يكذبه فقالت كذب وليس هو نبي بان
لكذب فان الكلام الذي خلقه الله تعالي دال علي كذب ذلك
المدعي لان ما فعله الله تعالي من خلق نطقها بتكذيبه لم يقع علي
وفق دعواه بل وقع مخالفا لها فلو نطقت بما لا تكذيب فيه لو كان
بقول الله واحد فمعجزة علي ما يفهمه قوله يكذبه مع انها لم تنطق
بموافقة دعواه الا ان يراد بالموافق ما لا ينافيها ومفاد قوله او
الدابة انه لا يعتبر في المكذب كونه ممن يعتبر تكذيبه ووقع لبعض
من حشي العقايد انه لا بد من كونه ممن يعتبر كما يروي ان مسيلمة
بكسر اللام واخطا من فتحها الكذاب لعنه الله تعالي تفل في بير
ليكثر ماوها فغار ذهب ماؤها من الماء فمن اختل شرط
من هذه الحالة التي اريد تسميتها معجزة لم تكن معجزة بل تارة كرامة
وتارة اهانة وغير ذلك ولا يقال قضية ما قلتم ان ما تر فوت
فيه الشروط الاربعة من المعجزات لا تظهر الا علي ايدي الصادقين
وهم النبيون وليس كذلك لان المسيح بفتح الميم وكسر المهملة الخفيفة
اخره حا مهملة يطلق علي الدجال وعلي عيسي عليه السلام لكن اذا
اريد الدجال قيد كما قال الدجال وقيل هو بالتخفيف عيسي وبالتشديد
الدجال وقيل هو بالتشديد لهما وعلي الاول سمي به الدجال لمسحه
الارض او لانه ممسوح العين او لان احد شقي وجهه خلق ممسوحا لا عين
فيه ولا حاجب وسمي به عيسي لمسحه الارض بالسياحة او لان رجله كانت
لا اخمص لها او لانه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن او لانه كان لا يمسح
ذا عاهة الا بري او هو بالعبرانية الصديق مبسوطة في شروح
البخاري وغيره يظهر علي يديه من الايات العظام ما هو مشهور
كما وردت به الاخبار الصحاح كما قال صلي الله عليه وسلم ان من
فتنته ان معه جنة ونارا فناره جنة وجنته نار فمن ابتلي بناره
فليستغث بالله وليقرا فواتح الكهف فتكون بردا وسلاما كما كانت
علي ابراهيم وان من فتنته ان يقول للاعرابي ارايت ان بعثت لك ابوك

وامك فتشهد اني ربك فيقول نعم فيتمثل له شيطان في صورة ابيه وامه
فيقولان يا بني اتبعه فانه ربك وان من فتنته ان يسلط علي نفس واحدة
فيقتلها ينشرها بالمنشار حتي تلقي شقين ثم يقول انظروا الي عبدي هذا
فاني ابعثه ثم يزعم ان له ربا غيري فيبعثه الله ويقول له الخبيث من
ربك فيقول ربي الله وانت عدو الله انت الدجال والله ما كنت قط اشد
بصيرة بك مني اليوم وان من فتنته ان يامر السما فتمطر ويامر الارض ان
تنبت فتنبت وان من فتنته ان يمر بالحي فيكذبونه فلا يبقي لهم سايمة الا
هلكت وان من فتنته ان يمر بالحي فيصدقونه فيامر السما ان تمطر ويامر
الارض ان تنبت فتنبت حتي تروح مواشيهم من يومهم ذلك اسمن ما كانت
واعظمه وامده خواصر وادره ضروعا رواه ابن ماجة وابن خزيمة والحاكم
في حديث طويل لان ما ذكر فيمن يدعي الرسالة وهذا الدجال يدعي
الربوبية وقد قام الدليل العقلي علي ان بعثة بعض الخلق غير
مستحيلة كما قام علي استحالة اله غير الله فلم يبعد ان يقيم الله
الادلة علي صدق مخلوق اي عنه بالشرع والملة ودلت القواطع
علي كذب المسيح الدجال فيما يدعيه للتغير من حال الي حال وغير
ذلك من الاوصاف التي تلحق بالمحدثات ويتعالي الله عنه رب
الربوبيات وقد قال صلي الله عليه وسلم اني اصف لكم صفة لم يصفها اياه
نبي قبلي انه يبدا فيقول انا نبي ولا نبي بعدي ثم يثني فيقول انا ربكم
ولا ترون ربكم حتي تموتوا وانه اعور وان ربكم ليس باعور وانه مكتوب
بين عينيه كافر يقراه كل مومن كاتب او غير كاتب ليس كمثله شي
الكاف زايدة لانه تعالي لا مثل له وهو السميع لما يقال البصير بما
يفعل فان قلت اي الاسمين احق واولي عطف علة علي معلول اي احق
لاولويته او تفسيري بما اتت به الانبيا عليهم الصلاة والسلام هل
لفظ المعجزة او لفظ الاية او الدليل بدل مفصل او مجمل فالسوال عن
امرين فقط معجزة ومقابلها من الاية او الدليل بدليل ذكره لفظ مرة ثانية
فقط فالثاني احد دايرين اثنين وبدليل ان الجواب باختيار الشق
الثاني يتبرد به فلا يرد عليه ان تعبيره بالاسمين لا يصح لان المذكور
ثلاثة فالجواب ان كبار الايمة يسمون معجزات الانبيا دلايل النبوة
وايات النبوة ولم يرد ايضا في القران ولفظ المعجزة بل ولا
في السنة ايضا وانما فيهما لفظ الاية والبينة والبرهان
فالتعبير بمعجزة خلاف القران الاولي لعدم وروده والاولي الاية والدليل
ونحوهما لموافقة الوارد في الشامي لفظ المعجزة وضعه المتكلمون علي ما
اشتمل علي الشروط الاربعة السابقة من ايات الانبيا ولا ضير في ذلك
خلافا لمن زعمه والتعبير بالاية والبرهان والبينة لا ينافي ذلك وكل
معجزة اية وبرهان وبينة ولا عكس كما يظهر بتامل حد المعجزة بل ذكر

اولوية الاية والدليل عليها وتم يدع ضيرا ولا مشاحاة كما ترى كما في قصة
موسى عليه السلام فذانك بالتشديد والتخفيف برهانان مرسلان
من ربك الى فرعون وملايه اي العصى واليد وهما مونثان ذكر المشار
اليهما المبتدا التذكير خبره برهانان وفي حق نبينا عليه الصلاة والسلام
قد جاكم برهان من ربكم كما فسره به سفين بن عيينة عند ابن ابي حاتم
وجزم به ابن عطية والنسفي ولم يحكيا غيره وهو لغة الحجة والنيرة الواضحة
تعطي اليقين التام وهو صلى الله عليه وسلم برهان بالمعنيين لانه حجة الله
على خلقه وحجة نيرة واضحة لما معه من الايات الدالة على صدقه وهذا مما
سماه الله به من اسمايه تعالى فانه منها كما في ابن ماجة واما لفظ الايات
فكثير بل هو كثير من ان نسرده لو سردناه من الكتاب والسنة كقوله
تعالى واذا جاتهم اية وان في ذلك لايات واما لفظ المعجزة اذا اطلق
فانه لا يدل على كون ذلك اية الا اذا فسر المراد به وذكرت شرايطه
الاربعة المتقدمة وهذا ايضا يفيدا ولوية غيرها عليها كقوله وقد كان
كثيرا من اهل الكلام لا يسمي الخارق معجزا الا ما كان للانبيا عليهم
السلام ومن اثبت للاوليا خوارق عادات وهو الجمهور سماها كرامات
والسلف كانوا يسمون هذا ما وقع للانبيا وهذا ما وقع للاوليا معجزا
كالامام احمد وغيره بخلاف ما اذا كان اية وبرهانا على نبوة النبي
فان هذا يجب اختصاصه به فيبدا ذا الكلام في الخارق الواقع لولي هل يسمى
معجزة كما يسمى كرامة ام لا وكذا ما وقع لنبي هل يسمى كرامة كما تسمى معجزه
ام لا في ثبوت الصفة نفسها فلو قال بخلاف الاية والدليل فانهما مختصان بما
ثبت للانبيا لاستقام ويدل له قوله وقد يسمون الكرامات ايات لكونها
تدل على نبوة من اتبعه ذلك الولي فان الدليل مستلزم للمدلول يمتنع
ثبوته بدون ثبوت المدلول فكذلك ما كان اية وبرهانا انتهى واذا
علمت هذا فاعلم ان دلايل جمع دلالة قياسا ودليل على غير قياس والمراد
الثاني اذ الاول صفة الدليل ويصح ارادة الاول ايضا لان وصف الدلالة
بالوضوح يستلزم وضوح الدليل او اطلق الدلالة واراد الدليل مجازا من باب
تسمية الموصوف باسم صفته ثم جمعت قياسا لان الجمع يتعلق باللفظ سوا استعملت
الكلمة في حقيقتها ومجازها نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة
عبر بنبوة دون رسالة لانهم كانوا ينكرون نبوته من اصلها لا رسالته فقط
ولان الدلايل اذا كانت للنبوة فللرسالة اولى لانه من اثبات الشي بدليله
اي اثبات الرسالة باثبات النبوة لان النبي لا يكذب والاخبار بظهور
معجزاته شهيرة لكنها كما قال في الشفا ثلاثة اقسام الاول ما علم
قطعا ونقل الينا متواترا كالقران فلا مرية ولا خلاف في مجي النبي صلى
الله عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله به على ثبوت نبوته وكونه
رسولا الى الناس كافة ونحو ذلك وان انكر مجيه به وظهوره من قبله احد

فهو معاند جاحد وانكاره كانكار وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا
الثاني ما اشتهر وانتشر ورواه العدد الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين
والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع الما من بين اصابعه وتكثير الطعام الثالث
ما لم يشتهر ولا انتشر واختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم
يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى المقصود به الاعجاز
واتفقا على الاتيان بالمعجز كما قدمنا انه لا مرية في جريان معانيها على يديه
واذا انضم بعضها الى بعض افادت القطع انتهى ملخصا فمن ذلك ما وجد في
التوراة والانجيل وساير باقي كتب الله تعالى المنزلة من ذكره ونعته
ووصفه بالصفات المميزة له حتى كانهم شاهدوه وانه الذي ذكر اسمه وخروجه
بارض العرب وما خرج بين يدي امام مولده اي امامه بقربه ومبعثه من
الامور الغريبة العجيبة القادحة في سلطان الكفر حججه وبراهينه اي
الشبه الباطلة التي يقيمها اهله على صحته زاعمين حقيقتها عبر عنها بالحجج
نظرا لزعمهم الموهنة لكلمتهم اي كلمة اهل الكفر ايقاعا وبلهم الباطلة التي
رفعوها عبر عنها بكلمة لانهم لما اتفقوا كانت كانها كلمة واحدة المؤيدة لشان
العرب المنوهة بذكرهم كقصة الفيل وما احل الله باصحابه من العقوبة
والنكال كما مر بسطه وخمود نار فارس التي كانوا يعبدونها وكان لها الف
عام لم تخمد وسقوط اربعة عشرة شرفة من شرافات بضم الشين
واسكان الرا وفتحها وضمها جمع شرفة بتحتية الفا ولان جمع القلة قد يقع
موضع جمع الكثرة ايوان كديوان ويقال فيه اوان بوزن كتاب بنا ازج غير
مسدود الوجه كسرى بكسر الكاف وفتحها ملك الفرس وكانت شرفات ايوانه
اثنتي وعشرين وغيض ما بحيرة تصغير بحرة لا بحر لان تصغيره بحير ساوة
بمهملة فالف فواو مفتوحة فها ساكنة مدينة بين الري وهمدان وبحيرتها
متسعة جدا كانت اكثر من ستة فراسخ يركب فيها السفن ويسافر فيها
الى ما حولها من البلاد والمدن فاصبحت ليلة المولد ناشفة كان لم يكن بها
شي من الما ورويا الموبذان بضم الميم وسكون الواو وضم الموحدة كما قاله
ابن الاثير وغيره وحكى ابن ناصر كسرها ايضا وبذال معجمة اسم لحاكم
المجوس كقاضي القضاة للمسلمين رايي ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ابلا
صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها فقال
له كسرى اي شي يكون هذا يا موبذان قال حدث يكون من ناحية العرب وما سمع
من الهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالي مطلقا ثم خص بصوت
يسمع ممن لا يرى شخصه ولذا خص عند العرب بالجن الصارخة بنعوته
واوصافه عطف تفسير وكثر ذلك عند مبعثه صلى الله عليه وسلم وللخرايطي
كتاب الهواتف جمع فيه ذلك وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها
سقوطها لوجهها من غير دافع لها من امكنتها الى ساير ما في ما روي
ونقل في الاخبار المشهورة من ظهور العجايب في ولادته وايام

حضانته بما تقدم بعضه وبعدها الى ان بعثه الله نبيا وبسط ذلك بقوله
والحال انه لم يكن له صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال بيان
لما استطيع فيه ولا قوة فيقهر بها الرجال ولا اعوان على الراي الذي اظهره
والدين الذي دعا اليه بل دعاهم وحده الى ذلك وكانوا يجتمعون على عبادة
الاصنام وتعظيم الازلام الاقداح التي كانوا يعملون بما يخرجه مقيمين على
عادة الجاهلية في العصبة والحمية والتعادي والتباغي وسفك
الدما وشن الغارات اي تفريقها والمراد الخيل المغيرة لا يجمعهم الفه بضم
اوله التيام واجتماع دين بحيث لا يقع بينهم اختلاف ولا حروب ولا يمنعهم من سو
افعالهم نظر في عاقبة ولا خوف عقوبة ولا لايمة بالمد والهمز ملامة اي حالة
يلامون بها فالف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى
اتفقت الارا وتناصرت القلوب تعاون بعضها بعضا وقواه والمراد اصحابها
ونسبه اليها لانه سببه لمعاونته صاحبه وترادفت الايدي تتعاقبت في التعاون
والتناصر على اظهار الحق فصاروا البا بكسر الهمزة وفتحها لغة وموحدة جمعا واحدا
في نصرته وعنقا بضمة وبضمتين جمعا واحدا فهو كالرديف لما قبله والمعنى
انهم صاروا ناظرين ملتفتين الى طلعته ليذبوا عنه ما يكره ويعاونوه على ما
يريد وهجروا بلادهم واوطانهم وجفوا اقوامهم وعشايرهم في محبته
وبذلوا مهجهم جمع مهجة الدم او دم القلب والروح كما في القاموس فقوله وارواحهم
تفسيري على الثالث في نصرته ونصبوا وجوههم جعلوها كالهدف الذي
ينصب لوقع السيوف والسهام والرماح حيث نصحوا في محاربة اعدايه ووطنوا
انفسهم على اصابة ذلك لوجوههم وصدورهم في لاجل اعزاز كلمته اعلا دينه
واظهاره بلا دنيا بسطها لهم ولا اموال افاضها عليهم ولا عرض في
العاجل اي امر في الزمن الحاضر اطمعهم في نيلة تحووه فيرغبون بسببه
او ملك او شرف في الدنيا يحوزونه بل ليس ثم ما يحملهم على الجهاد معه
وانما محض غرضهم اظهار الحق واخماد الباطل وخص العاجل لانه ادعى للرغبة
في معالجة النفس لحصوله بل كان من شانه صلى الله عليه وسلم ان
يجعل الغني فقيرا بحمله على صرف امواله في الجهاد ونحوه من انواع القرب
كابي بكر وبان بصيره كالفقرا في تعذيب النفس وعدم التجمل والاعراض
عن الاسباب المشعرة بنحو الكبر والشريف اسوة الوضيع فهل يلتيم مثل
هذه الامور ويتفق مجموعها لاحد هذا سبيله من قبيل الاختيار
العقلي والتدبير الفكري لا والذي بعثه بالحق جواب الاستفهام وسخر
له هذه الامور ما يرتاب يشك عاقل في شي من ذلك وانما هو امر الهي
وشي غالب سماوي ناقض للعادات يعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر
عليه الا من له الخلق جميعا والامر كله تبارك تعاظم الله رب العالمين
وبهذه الاية استدل سفيان بن عيينة على ان القران غير مخلوق اخرجه
ابن ابي حاتم لان الامر هو الكلام وقد عطفه على الخلق فاقتضى ان يكون غيره

لان العطف يقتضي المغايرة وسبقه الى هذا الاستنباط محمد بن كعب القرظي
ذكره في الاكليل وقال في فتح الباري في قوله تعالى الا له الخلق والامر فصل
بقوله تعالى الله خالق كل شي ولذا اعقبه البخاري بقوله قال ابن عيينة بين
الله الخلق من الامر بقوله الا له الخلق والامر وهذا الاثر وصله ابن ابي حاتم
في كتاب الرد على الجهمية فقال الخلق هو المخلوق والامر هو الكلام وسيل
مرة عن القران اهو مخلوق فقرا الاية وقال الا ترى كيف فرق بين الامر والخلق
فالامر كلامه فلو كان مخلوقا لم يفرق وسبق ابن عيينة الى ذلك محمد بن كعب
القرظي واحمد بن حنبل وعبد السلام بن عاصم وطايفة اخرجه ابن ابي حاتم
انتهى ومن دلايل نبوته المستلزمة لرسالته لاستحالة الكذب على النبي وقد
قال يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا عليه الصلاة والسلام انه كان
اميا لا يخط كتابا بيده صفة لازمة فالامي من لا يكتب نسبة الى الام
لبقايه على الحالة التي ولد عليها اذ الكتابة مكتسبة او الى امة العرب لان اكثرهم
اميون وقد قال صلى الله عليه وسلم انا امة امية لا نكتب ولا نحسب رواه
الشيخان وغيرهما عن ابن عمر ولا يقراوه لان عادة من لا يحسن الكتابة
لا يحسن القراة ولد في قوم اميين ونشا بين اظهرهم اي بينهم واظهر
زايد في بلد ليس بها عالم يعرف اخبار الماضين ولم يخرج في سفر
ضاربا بموحدة قاصدا الى عالم فيعكف بكسر الكاف وضمها عليه
ليتعلم منه فجاءهم باخبار التوراة والانجيل والامم الماضية اي ذكر لهم
ذلك وعبر عنه بجاء اي اتى كانه لانه هو الذي جاهم الى منازلهم حرصا على
تبليغ الرسالة ما امكنه وقد كان ذهبت معالم اي اثار تلك الكتب التي
تخبر عادلت عليه واستغال معالم جمع معلم وهو الاثر يستدل به على الطريق
في اثار الكتب بجازو ودرست وحرفت اي بدلت عن مواضعها التي
وضعها الله عليها ولم يبق من المتمسكين بها واهل المعرفة بصحيحها
الا القليل ولعلهم لم يجتمع صلى الله عليه وسلم باحد منهم حتى يظن انه
اخذ عنهم ثم حاج جادل كل فريق من اهل الملل المخالفة له بما اي
شي اي براهين لو احتشد بهمزة وصل وسكون المهملة وفوقية ومعجمة
مفتوحتين ومهملة اجتمع له اي لرده حذاق المتكلمين جمع حاذق وهو العارف
بغوامض صناعته ودقايقها وجهابذة النقاد اي خبراوهم جمع جهبذ
بالكسر النقاد اذ لا يضاف اسم لما به اتحد معنى المتفننين المتنوعين
في المعارف ليقال رجل متفنن اي ذو فنون اي انواع لم يتهيا يتيسر
له نقض ابطال ذلك ولم يقل لهم مطابقة للجمع نظرا الى تنزيلهم منزلة
الشخص الواحد فافرد فان قيل ما السر في نسبة المحاجة الى النبي صلى الله
عليه وسلم ونسبة الله تعالى المحاجة لقوم ابراهيم في قوله وحاجه قومه
فالجواب ان ابراهيم لما كسر اصنامهم نصبوا انفسهم لمحاجته والمصطفى اتاهم
بالحجج فهو المحاجج لهم وكل منهما حاج المخالفين له وهذا ادل شي على انه

امرجا من عند الله تعالي لا صنع لاحد فيه ومن ذلك اي دلايل نبوته القران
العظيم او من ذلك الذي حاجهم به وعجزوا عنه وهو اظهر لقوله فقد تحدي
بحذف المفعول اي تحداهم به والباقي بما فيه من الاعجاز سببية لا صلة تحدي
لانه ما تحداهم بالاعجاز بل ما طلب منهم المعارضة فقط بدليل تفسيره التحدي
بقوله ودعاهم الي معارضة اي طلبها منهم والاتيان بسورة وحمل
الباصلة يوهم انه قال ايتوا بالاعجاز الذي فيه مع انه لم نقله انما قال فاتوا
بسورة من مثله من للبيان اي هي مثله في البلاغة وحسن النظم والاخبار
عن الغيب والسورة قطعة لها اول واخر اقلها ثلاث ايات فنكلوا عنه اي
امتنعوا عن الاتيان بمثله بمعني لم يجاولوا ان يانوا بشي يماثله لعلمهم انهم لا
يقدرون وعجزوا عن الاتيان بشي منه عطف علة علي معلول قال
بعض العلماء الذي اورده عليه الصلاة والسلام علي العرب
من الكلام الذي اعجزهم عن الاتيان بمثله اعجب في الاية العلامة
واوضح في الدلالة علي ما افاده من الرسالة من احيا الموتي لعيسي
وابرا الاكمه الذي ولد ممسوح العين والابرص من به بياض في ظاهر
البدن بفساد مزاج كما في القاموس فقول من قال هو الذي بيده بياض
شاذ لا قيد وخصا لانهما داعيا وكان بعث عيسي في زمن الطب فابرا في كل
يوم خمسين الفا بالدعا بشرط الايمان روي ابن عساكر عن وهب كان دعا
عيسي الذي يدعو به للمرضي والزمني والعميان والمجانين وغيرهم اللهم انت
اله من في السما واله من في الارض لا اله فيهما غيرك وانت جبار من في السما وجبار
من في الارض لا جبار فيهما غيرك وانت ملك من في السما وملك من في الارض لا ملك
فيهما غيرك قدرتك في الارض كقدرتك في السما وسلطانك في الارض كسلطانك
في السما اسالك باسمك الكريم ووجهك المنير وملكك القديم انك علي كل شي قدير
قال وهب هذا للفزع والمجنون يكتب ويسقي ماوه ببرا ان شا الله تعالي لانه
اي اهل البلاغة وهي ملكة يبلغ بها المتكلم في تادية المعاني حدا يوذن
بتوفية خاصة كل تركيب حقها وبقية علوم العرب الشعر وهو كلام موزون
مقفي مراد به الوزن والخبر وهو معرفة الاسما والانساب والايام اذ لا كانوا
بمكان من ذلك والكهانة وهي معاناة الجن وادعا معرفة الاسرار فانزل الله
القران الخارق لهذه الاربعة فصول من اجل الفصاحة والايجاز والبلاغة
الخارجة عن نوعه وارباب الفصاحة ورؤسا جمع رئيس كشريف
وشرفا وزنا ومعني البيان الافصاح مع ذكا والمتقدمين في اللسن
بفتح اللام والمهملة ونون الفصاحة بكلام متعلق بقوله اي مفهم
المعني عندهم وكان عجزهم عنه اعجب من عجز من شاهد المسيح
عند احيا الموتي لانهم لم يكونوا يطمعون فيه هذا واضح واما قوله
ولا في ابرا الاكمه والابرص ولا يتعاطون علمه ففيه نظر فقد
ذكر اهل التفسير ان عيسي بعث في زمن الطب ومن جملته تعاطي

علم

علم ابرا الاكمه والابرص وقريش كانت تتعاطي الكلام الفصيح والبلاغة
والخطابة بفتح الخا المعجمة انشا الكلام في المحافل فجعل الله ذلك طبعا
وخلقة فيانون منه علي البديهة والعجب ويدلون به الي كل سبب فيخطبون
بها في المقامات الي اخرما طول في الشفا من صفة بلاغتهم وفصاحتهم فدل
علي ان العجز عنه انما كان ليصير علما علي رسالته وصحة نبوته
وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح وهو باق دون غيره من المعجزات
ومنه تستنبط الاحكام الشرعية والعلوم العقلية ولم يستنبط من معجزة سواه
ولذا قيل معجزات الانبيا انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها الا من
حضرها ومعجزة القران باقية الي يوم القيامة وقال ابو سليمان الخطابي
نسبة الي جده اذ هو حمد بفتح المهملة واسكان الميم ومهملة ابن محمد بن ابراهيم
ابن الخطاب الحافظ الفقيه المشهور رح وقد كان صلي الله عليه وسلم من
عقلا الرجال عند اهل زمانه بل هو اعقل خلق الله علي الاطلاق
تعليل مقدم لقوله وقد قطع القول اي انه لكمال عقله لم يرتب فيما
اخبر به عن ربه تعالي بانهم لا ياتون بمثل ما تحداهم به فقال
فان لم تفعلوا ما ذكر لعجزكم ولن تفعلوا ذلك ابدا لظهور اعجازه ولم
يقل ولن تاتوا بسورة من مثله لما فيه من الكناية والايجاز فلولا علمه
بان ذلك من عند الله علام الغيوب وانه لا يقع فيما اخبر عنه خلف
والا صوابه اسقاطه اذ جواب لولا قوله لم ياذن له عقله ان يقطع القول
في شي بانه لا يكون وهو يكون يوجد ولا يصح ان جواب ذلك
محذوف اي لم يقطع القول لانه يناكده ما بعده والا انتهي وهذا من
احسن ما يكون في هذا المجال بالجيم وابدعه واكمله وابينه فانه
نادي عليهم بالعجز قبل المعارضة حيث قال ولن تفعلوا فنفي قدرتهم
في المستقبل فلو قدروا لحملتهم فعلوا وبالتقصير منهم عن بلوغ الغرض
لهم في المناقضة هي لغة التكلم بما يناقض معناه والمعني انه اخبر
بعجزهم قبل ظهور المناقضة منهم في اقوالهم الدالة علي ذلك فصار ذلك
ضابطا عليهم بعجزهم عن ذلك علي رؤس الاشهاد فلم يستطع احد
منهم الالمام به اي القرب منه مع توفر الدواعي وتظاهر
الاجتهاد وهو مع كل هذا ناكصون عن معارضته محجوبون عما تلقته
يجادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب والافترا يقولون ان هذا الا
سحر يوثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمبا بفيه
والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي
اذاننا وقر اي صمم ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعا مع العجز لو نشا لقلنا مثل هذا وهذه
وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة فلو استطاعوه ما منعهم ان يشاوا وقد
تحداهم وقرعهم بالعجز بضعا وعشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا

مع استكمالهم ان يغلبوا خصوصا في الفصاحة فقال اي ايضا ما مثله الى
ما مثله فاتوا بسورة من مثله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا وكان بما الغي
عليهم خبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا
بمثل هذا القران من الفصاحة والبلاغة لا ياتون بمثله جواب
لقسم ولهذا لم يجزم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا معينا نزل ردا لقولهم
لو نشا لقلنا مثل هذا قال بعضهم التحدي انما وقع للانس دون الجن لانهم ليسوا
من اهل اللسان العربي الذي جا القران على اساليبه وانما ذكروا في هذه
الاية تعظيما لاعجازه لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد واذا
فرض اجتماع الثقلين فيه فظاهر بعضهم بعضا وعجزوا عن المعارضة كان
الفريق الواحد اعجز وقال غيره بل وقع للجن ايضا والملايكة منويون
في الاية لا يقدرون ايضا على الاتيان بمثله وقال الكرماني في عرايب
التفسير انما اقتصر على الانس والجن لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى
الثقلين دون الملايكة ذكره في الاتقان فرضيت هممهم السرية
الشريفة وانفسهم الشريفة الابية الممتنعة سفك الدما وهتك
الحريم عجزا عن الاتيان بمثله وعنادا بعدم الايمان وقد ورد من الاخبار
في قراة النبي صلى الله عليه وسلم بعض ما نزل على المشركين
الذين كانوا من اهل الفصاحة والبلاغة واقرارهم بالعجز عطف
على قوله الاخبار باعجازه جملة كثيرة فاعل ورد فمن ذلك ما ورد
عن محمد بن كعب بن سليم بن اسد القرظي المدني ثقة عالم روى له الستة
قال الحافظ ولد سنة اربعين على الصحيح ووهم من قال ولد في عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقد قال البخاري ان اباه كان ممن لم ينبت
من سبي بني قريظة مات محمد سنة عشرين ومائة وقيل قبلها قال حدثت
بالبنا للمجهول قال في النور لا اعرف من حدثه ان عتبة بن ربيعة الكافر
المقتول ببدر قال ذات يوم وهو جالس في نادي مجلس قريش
الذين يجلسون فيه يتحدثون ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس وحده في المسجد يا معشر قريش الا اقوم الى هذا وفي
رواية الى محمد فاعرض عليه امورا لعله ان يقبل منها بعضها فنعطيه
ايها شا ويكف عنا قالوا بلى يا ابا الوليد فقام عتبة حتى جلس
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث فيما قاله عتبة
وفيما عرض عليه من المال وغير ذلك ولفظه فقال اي عتبة يا ابن
اخي انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب
وانك قد اتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به احلامهم
وعبت به الهتهم ودينهم وكفرت ما مضى من ابايهم فاسمع مني اعرض
عليك امورا انظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا
ابا الوليد اسمع قال يا ابن اخي ان كنت انما جيت بهذا تطلب ما لا جمعنا لك

من

من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك
علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان
هذا الامر الذي ياتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا اموالنا في طلب الطب حتى
نبريك او نعذر فلما فرغ من كلامه هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم
تنزيل من الرحمن الرحيم مبتدا خبره كتاب فصلت اياته بينت بالاحكام
والقصص والمواعظ والامثال واساليب البلاغة فمضى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقراها عليه اي يقرا بقية السورة فلما سمعها عتبة
انصت لها والقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع منه حتى انتهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة فسجد فيها ثم قال سمعت
يا ابا الوليد قال سمعت قال فانت وذاك مرفوعا وجوبا عند الجمهور
نحو قولهم انت ورايك والنصب على انه مفعول معه او على ان ما قبل الواو
جملة حذف ثاني جزءيها فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض
نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به لشدة تغيره
بما سمع فلما جلس قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني والله قد
سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر وكان بعضهم قال هو
شعر لحسن نظمه وفصاحته ولا بالسحر وكان قال بعضهم قال هو سحر
للطافته ولا الكهانة وكان بعضهم قال ذلك فيه لتحيرهم فيه كل ذلك من
التحير والانقطاع يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها بي خلوا بين هذا
الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه
نبا فان تصبه العرب فقد كفيتموه وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم
وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رايي
فيه فاصنعوا لكم ما بدا لكم هذا بقية حديث محمد بن كعب عند ابن اسحق وزاد
في رواية غيره قال عتبة معللا لقوله ليكونن لقوله نبا فاجابني بشي
والله ما هو سحر ولا شعر ولا كهانة كما تزعمون قرا بسم الله الرحمن الرحيم
لا دلالة فيه على انها من السورة للاجماع على ندب استفتاح القراة في غير
الصلاة بالبسملة حم تنزيل من الرحمن الرحيم حتى بلغ فقل انذرتكم
صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي خوفتكم عذابا يهلككم مثل الذي اهلكهم
فامسكت فمه وناشدته الرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيا
لم يكذب فكيف يكذب على الله فخفت ان ينزل بكم العذاب رواه البيهقي
وغيره كابن اسحق حدثني زيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي فذكره وفي
رواية ان عتبة لم يرجع اليهم وظنوا اسلامه فذهبوا اليه فغضب وحلف لا
يكلم محمدا ابدا ثم قال قد علمتم انه لا يكذب الخ فان صحا امكن الجمع بينهما
وفي حديث اسلام ابي ذر الغفاري ووصف اخاه انيسا بالتصغير

ابن جنادة بن سفين بن عبيد بن حرام بن حرام الكعب بن غفار الغفاري اسن
من ابي ذر واسلم علي يده وهاجرا معا فقال انه ما سمعت باشعر من اخي
انيس قد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم اي عارضهم
في قصايدهم فاتي بمثلها وهذا يدل علي فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته
عليه قال الجوهري النقيضة في الشعر ما ينقض به وقال المجد ان يقول
شاعر شعرا فينقض عليه شاعر اخر بغير ما قال وانه انطلق الي مكة
لحاجة له وجا الي ابي ذر بخبر النبي صلي الله عليه وسلم فقال رايت
رجلا بمكة يزعم ان الله ارسله قلت فما يقول الناس فيه قال النبي
يقولون شاعر كاهن ساحر اي بعضهم يقول هذا وبعض هذا
وابطله فقال لقد سمعت قول الكهنة فما هو اي النبي او كلامه ملتبس
بقولهم ولقد وضعته اي قوله كما هو لفظه في مسلم علي اقرا بفتح
الهمزة والمد الشعر اي انواعه وانحايه اي مقاصده كما في القاموس
فهو جمع قرء بالضم وقيل جمع قرا بالفتح اي طرقه وانواعه وقال الزمخشري
اقراؤه قوافيه التي يختم بها كاقرا الطهر التي ينقطع الدم عندها و
واحدها قرء مثلث القاف فلم يلتيم بالهمز من الملايمة اي لم اره
مناسبا ولا موافقا لها لفظا ولا معني واين الثريا من الثري ولا يلتيم
لا يتفق علي لسان احد بعدي انه بفتح الهمزة شعر اي ليس
احد اعلم به ولا اقدر عليه مني ولو امكن فعلت فحيث لم يتفق لي لا يتفق
لغيري والمراد ابطال كونه شعرا بعد ما ابطل كونه سحرا وكهانة ولذا
عقبه بقوله وانه اي النبي صلي الله عليه وسلم لصادق في خبر انه من
عند الله وانهم اي الكفار لكاذبون في جميع ما قالوه رواه مسلم
في الفضايل مطولا جدا والبيهقي في الدلايل كذلك وعن عكرمة
مولي ابن عباس فيما رواه البيهقي مرسلا في قصة الوليد بن المغيرة
بضم الميم وكسر المعجمة ابن عبد الله المخزومي مات كافرا وكان زعيم
سيد قريش في الفصاحة انه قال للنبي صلي الله عليه وسلم
اقرا علي شيا من القران لينظر فيه فقرا عليه ان الله يامر بالعدل
التوحيد او الانصاف والاحسان اداء الفرايض او ان تعبد الله كانك تراه
كما في الحديث وايتا اعطا ذي القربي القرابة خصه بالذكر اهتماما
به الي اخر الاية وخص هذه الاية لمناسبتها للطالب لانه من اقاربه
وفيها عظة له وتنبيه وهو من روسا عقلايهم فرجا صلي الله عليه وسلم
بذلك لكمال رافته ورحمته ان يهدي للاسلام قال الوليد اعد قراتك
فاعاد صلي الله عليه وسلم الاية فقال والله ان له لحلاوة اي
عذوبة وفصاحة استعارة لما يستلذه السمع وان عليه لطلاوة مثلث
الطا حسن وبهجة وقبول واكدها بالقسم وان والجملة الاسمية وقدم الخبر
للحصر اشارة الي انه لا يشبه غيره من الكلام وان اعلاه لمثمر اي له ثمر طيب

كثير

استعارة تخييلية والمراد ان اصله ثوب ليس من جنس كلام البشر ومعانيه
مفيده مرشدة لسعادة الدارين وحسن العاقبة وان اسفله لمغدق
بلام التوكيد وضم الميم وسكون المعجمة وكسر المهملة من الغدق وهو كثرة الما
واراد باسفله ما تضمنه من المعاني فهو تمثيلية ايضا شبهه بغصن اخضر [illegible]
بشجرة شربت عروقها ماء غزيرا فاهتزت وربت واينعت ثمرتها وكثرت
ويجوز كونها مكنية وتخييلية وفي رواية ابن اسحق وان اصله لغدق وان
فرعه لجناه بفتح المهملة وسكون المعجمة النخلة التي اصلها ثابت ورواه
ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر المهملة قال في الروض رواية ابن اسحق
افصح لانها استعارة تامة اخر الكلام فيها يشبه اوله وجناه بفتح الجيم
والنون الثمرة وما يقول هذا بشر لانه لا يشبه كلامهم بوجه من الوجوه
لحلاوة نظمه وبدايع اسلوبه وبلاغة معانيه وجزالة مبانيه يعني انه ليس
مفترى مختلقا وخص البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والا فهو معجز للجن ايضا
علي انه صرح بذلك في قوله ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل اعلم بالاشعار
مني ولا اعلم برجزه نوع من الشعر معروف فهو خاص بعد عام ففيه حجة
لقول الجمهور الرجز شعر ولا باشعار الجن مني والله ما يشبه الذي
يقول شيا من هذا المذكور والله ان لقوله الذي يقوله لحلاوة وان
عليه لطلاوة وانه لمثمر اعلاه مغدق اسفله واعاد ذلك للتاكيد
ولشدة اللذة الحاصلة له بسماعه وانه ليعلو اي يرتفع علي ما سواه ولا
يعلي عليه وبقية هذا عند البيهقي وانه ليحطم ما تحته وفي خبره اي الوليد
الاخر انه جمع قريشا يعني اشرافهم وروساهم عند حضور الموسم
الحج وقال ان وفود العرب سترد اي تقدم عليكم وقد سمعوا بامر صاحبكم
فاجمعوا بقطع الهمزة واسكان الجيم وكسر الميم فيه رايا اي اعزموا وصمموا عليه
من اجمع المختص بالمعاني دون الاعيان لا من جمع لانه مشترك بينهما قال تعالي فجمع
كيده ثم اتي الذي جمع مالا وعدده واما قوله تعالي فاجمعوا امركم وشركاكم
فمعه في الفعل علي وشركاكم بطريق العطف ويغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع
او تقديره كما قيل واحضروا شركاكم لا يكذب بضم اليا وسكون الكاف وكسر
الذال وبفتح الكاف وشد الذال المكسورة من الكذب والتكذيب بعضكم بعضا
اذا اختلفتم قالوا فانت فقل لنا رايا نقول به فيه قال بل انتم فقولوا اسمع فقالوا
نقول كاهن يخبر عن المغيبات ويدعي معرفة الاسرار وكانوا في العرب كثيرا
كشق وسطيح وكان لهم كلام مسجع فمنهم من له جني يخبره بالاخبار ومنهم
من يدعي معرفة ذلك باسبابه وامور ياخذها من كلام سايله وفعله وحاله
ويقال له عراف قال والله ما هو بكاهن لقد راينا الكهان فما هو بزمزمة
اي صوته الذي لا يفهم كصوت الرعد ومن ذلك اصوات الكهنة ولا سجعه الذي
يسجعه وقت كهانته قالوا مجنون اختل عقله فاختل كلامه وفعله قال
والله ما هو بمجنون لقد راينا المجنون وعرفناه ولا هو بخنقه بفتح النون

وكسرها واسكانها ثلاث لغات ذكره المصنف ولا بوسوسته بفتح الواو
مصدر وشي يلقى في القلب وفي السمت بصوت خفي يحدث به المرء نفسه ولذا
سمي حديث النفس اي لا يشبه حاله قالوا فنقول شاعر قالوا وما هو
بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه بفتح الهاء والزاي والجيم احد
بحور الشعر لكن المنقولات اسماها مستعولات للخليل بن احمد فهي منقولة من
الهزج نوع مضطرب من الاغانيه ولو قيل انه اسم لضرب من الشعر كانت العرب
تتغنى به كان انسب واقرب بقوله وقريضه لانه ليس اسم من يحوز
العروض وهو لغة الشعر مطلقا من قرض بمعنى قطع بمعنى فعيل بمعنى
مفعول لان الشاعر يقتطع نوعا من الكلام لغرض له ومبسوطه اي
مطولات قصايده المقابلة لما قبله فيتناول الطويل والبسيط وغيرهما
ومقبوضه مختصراته المسمى في العروض بالمنهوك والمجزور وتكلف من
فسر مبسوطه بنحو البسيط وان زيادة الميم لزيادة مقبوضه ما هو بشاعر
اعاده تاكيدا قالوا فنقول ساحر قال وما هو بساحر لقد راينا السحار
وسحرهم فما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده بفتح فسكون او بضم ففتح
جمع عقده الذي يعقدها في الخيط الذي ينفخ فيها بشي يقوله بلا ريق
او معه قالوا فما نقول بالنون نحن او الفوقية اي قال والله ان لقوله
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اصله لغدق وان فرعه لجناه فما انتم
قايلون من هذه الاشيا الا وانا اعرف انه باطل ليس بمقبول عندي
ولا عند احد من العقلا الذي يعرفونه وقدم الضمير لتقويه الحكم لانه يتقدم لذلك
او للحصر في نفسه بادعا ان غيره يجهل ذكره وفيه بعد وبقية خبره وان اقرب
القول فيه ان تقولوا ساحرا بقوله هو سحر يفرق بين المرء وزوجه وابيه
وبين المرو اخيه وبين المرء وزوجه وبين المرو عشيرته فتفرقوا عنه
بذلك فجعلوا يجلسون لسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم احد الا
حذروه اياه وذكروا لهم امره فصدرت العرب من ذلك الموسم بامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها رواه بتمامه هذا
ابن اسحق والبيهقي باسناد جيد عن ابن عباس واخرج ابو نعيم من
طريق محمد بن اسحق بن يسار امام المغازي صدوق مدلس قال
حدثني ابي اسحق بن يسار المدني ثقة من التابعين عن رجل من بني
سلمة بكسر اللام بطن من الانصار قال لما اسلم فتيان بني سلمة قال
عمرو بفتح العين ابن الجموح بفتح الجيم وخفة الميم بن زيد بن كعب الانصاري
السلمي من سادات الانصار استشهد باحد لابنه معاذ شهد العقبة
وبدرا وشارك في قتل ابي جهل اخبرني ما سمعت من كلام هذا
الرجل وكان اسلم قبل ابيه فقرا عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله
الصراط المستقيم فقال عمرو لابنه ما احسن هذا واجمله وكل كلامه
مثل هذا قال يا ابت واحسن من هذا قال ابن اسحق كان عمرو بن الجموح

سيدا من سادات بني سلمة وشريفا من اشرافهم وكان قد اتخذ في داره صنما
من خشب يعظمه فلما اسلم فتيان بني سلمة منهم ابنه معاذ ومعاذ بن جبل
كانوا يدخلون على صنمه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة فيغدو
عمرو فيجده منكبا لوجهه في العذرة فياخذه ويغسله ويطيبه ويقول
لو اعلم من صنع بك هذا لاخزينه ففعلوا ذلك مرارا ثم جا بسيفه فعلقه عليه
وقال ان كان فيك خير فامتنع فلما امسى اخذوا كلبا ميتا فربطوه
في عنقه واخذوا السيف فاصبح فوجده كذلك فابصر رشده واسلم وقال
ابن الكلبي كان اخر الانصار اسلاما وقال بعضهم وفي نسخة بعض العلما
ان هذا القران لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الارض ولم
يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند
الله وان البشر واولي الجن لا قدرة لهم على تاليف ذلك فكيف اذا جا
على يد اصدق الخلق وابرهم واتقاهم وقد قال انه كلام الله وتحدى
الخلق كلهم ان ياتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا
اشكال انتهى كلام البعض واعلم ان وجوه اي انواع اعجاز القران التي
يعلم بها اعجازه وانه لا يقدر عليه بشر لا تنحصر بعد وان افردها خلايق
بالتصنيف وقد قال في الشفا بعد ما قال وان تحصيلها من جهة ضبط انواعها اربعة
وبسطها ثم زاد عليها جملة قال واذا عرفت ما ذكر من وجوه الاعجاز القران
عرفت انه لا يحصى عدد معجزاته بالمين بالالف ولا الفين ولا اكثر لانه صلى الله
عليه وسلم قد تحدى بسورة منه فعجزوا عنها قال اهل العلم واقصر السور انا
اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات منه بعددها منه معجزة ثم فيها نفسها معجزات
على ما سبق لكن قال بعضهم انه اختلف العلما في وجه اعجازه على ستة
اوجه اي انها جملة الوجوه التي حصل بها الاعجاز وليس المراد ان من قال بواحد
نفى غيره عاجزا عن معارضته والاتيان بمثله هو الايجاز قلة اللفظ وكثرة
المعاني والبلاغة الخارقة عادة العرب بان يكون في الحد الاعلى او ما يقرب
منه اختلف هل فيه الحد الاسفل قال الخطابي ذكر الاكثرون من علما النظر الى
ان وجه الاعجاز فيه من جهة البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها وضعفوا فيه الى
حكم الذوق قال والتحقيق ان اجناس الكلام مختلفة ومراتبها في درجات
البيان متفاوتة فمنها البليغ الرصيف الجزل ومنها الفصيح القريب السهل
ومنها الجايز الطلق الرسل وهي اقسام الكلام الفاضل فالاول اعلاها والثاني
اوسطها والثالث ادناها واقربها فحازت بلاغة القران من كل قسم من هذه الثلاثة
فانتظم لها بذلك نمط يجمع صفة الفخامة والعذوبة واطال في بيان ذلك نقله
في الاتقان ثم قال اختلف في تفاوت القران في مراتب الفصاحة بعد اتفاقهم
على انه في اعلا مراتب البلاغة بحيث لا يوجد في التراكيب ما هو اشد تناسبا
ولا اعتدالا في افادة المعنى منه فاختار القاضي المنع وان كل كلمة فيه موصوفة
بالذروة العليا وان كان بعض الناس احسن احساسا له من بعض واختار

ابو نصر القشيري وغيره التفاوت وان فيه الافصح والفصيح واليه نحى العز
ابن عبد السلام واورد لم لم يات القران جميعه بالافصح واجاب غيره بانه
لو جاء على ذلك لكان على غير النمط المعتاد في كلام العرب من الجمع بين الافصح
والفصيح فلا تتم الحجة في الاعجاز فجاء على نمطهم المعتاد ليتم ظهور العجز عن
المعارضة ولا يقولوا مثلا اتيتنا بما لا قدرة لنا على جنسه كما لا يصح للبصير
ان يقول للاعمى غلبتك بنظري لانه يقول له انما تتم لك الغلبة لو كنت قادرا على
النظر وكان نظرك اقوى من نظري فاما اذا فقد اصل النظر فكيف يصح مني
المعارضة والرصف بكسر بفتح الراء وكسر المهملة وبالفاء الشديد المضموم
والجزل بفتح الجيم وسكون الزاي فلام القوي الشديد الرونق مثل
قوله ولكم في القصاص حياة اي بناء عظيم فجمع في كلمتين هنا المبتدا
والخبر لانهم لا يعتبرون جزء الكلمة وأما قوله ولكم فخبر آخر لحياة او احدها
خبر والاخر صلة له عدد حروفها عشرة احرف بحذف ال والياء التي
في قوله فيه لانهم انما يعدون ما ينطقون له مما يكتب والعرب لم تكن تعرف
[illegible]
الكتابة معاني كلام كثير

بياض بالاصل

وحكى ابو عبيد القاسم بن سلام البغدادي احد الاعلام مر بعض ترجمته
ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر اجهر به من صدع بالحجة
اذا تكلم جهارا او افرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية
او موصولة والعائد محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع كما في البيضاوي
فسجد الاعرابي لما ادهشه من بلاغته وقال سجدت لفصاحة هذا
الكلام اذ ليست اية سجدة وانما هذه التعجب لفصاحته حتى ذل ومرغ وجهه
في التراب وكان هذا معروفا في مثله حتى قال بعضهم للشعر سجدات وليس
المعنى سجدت لله لاجل فصاحته كما وهم وسمع اعرابي آخر رجلا يقرأ فلما
استيأسوا منه يئسوا من يوسف وزيدت السين والتاء للمبالغة في
الياس خلصوا اعتزلوا نجيا مصدر يصلح للواحد وغيره اي يناجي بعضهم
بعضا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام لاعجازه بلاغته
وخروجها عن طوق البشر فانك لو وزنت قولك لما لم يعطهم يوسف لم يجيبهم
ذهبوا وفتشوا وزوايا بينهم فيما يقولون بعد هذا وكيف يرجعون لابيهم
عرفت بالذوق ان لا مناسبة بينهما وحكى الاصمعي بفتح الهمزة والميم بينهما
مهملة ساكنة ثم مهملة نسبة الى جد فانه عبد الملك بن علي بن اصمع ابو
سعيد الباهلي البصري صدوق سني روى له ابو داود والترمذي
مات سنة ست عشرة وقيل سنة عشر ومائتين وقد قارب تسعين انه رأى
جارية اي صغيرة السن خماسية او سداسية بلغت خمسا او ستا
وهي تقول استغفر الله من ذنوبي كلها قال الاصمعي فقلت لها مم
تستغفرين ولم يجر عليك قلم اذ لم تبلغي الحلم فقالت استغفر الله
لذنبي كله قتلت انسانا بغير حله بالكسر اي بلا سبب يبيح قتله مثل

غزال

غزال صفة انسانا ناعم في دله اي تدلله وتكسره في مشيته انتصف
الليل ولم اصله اخبار عن ذنب اخر اي لم اتهجد فيه يحتمل ان المراد بانسانا
نفسها اي قتلت نفسي بعدم فعل الطاعات لانتصاف الليل وما صليت ويحتمل
غيرها والقتل له حقيقي او مجازي عن هجرها له ونحوه اي لدت اقتله وهذا
اظهر اذ قتلها الحقيقي او بالعشق بعيد لصغرها جدا فقلت لها قاتلك
الله ما افصحك تعجب من فصاحتها مبالغا في تعجبه فانها تقال لمن اتى بامر
بديع غريب وليس المراد حقيقته الدعاء بل شدة الاستحسان كانه ممن
يستحق ان يحسد ويدعى عليه فقالت او تعد بالفوقية للمعلوم والتحتية
للمجهول وفتح همزة الاستفهام والواو العاطفة والهمزة مقدمة من تأخير
او داخلة على مقدر معطوف عليه على الخلاف الشهير اي اتعجب وتعد هذا
الكلام فصاحة اي فصيحا بعد قوله تعالى اي مع فصاحة القران لا يعد
غيره فصيحا لسامعه فانه ازرى بكل فصاحة فصيرها كالعدم واوحينا
وحي الهام او منام الى ام موسى ولم يشعر بولادته غير اخته ان ارضعيه
فاذا خفت عليه فالقيه في اليم البحر اي النيل ولا تخافي غرقه ولا
تحزني لفراقه انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فارضعته
ثلاثة اشهر لا يبكي وخافت عليه فوضعته في تابوت مطلي بالقار من
داخل ممهد له واغلقته والقته في بحر النيل ليلا فجمع في اية واحدة بين
امرين ارضعيه والقيه ونهيين ولا تخافي ولا تحزني وخبرين واوحينا
الى ام موسى ان ارضعيه وانا رادوه اليك وبشارتين انا رادوه اليك
وجاعلوه من المرسلين وهذا اولى من جعل الخبرين اوحينا وخفت لان
اوحينا وحده هو المقصود بالاخبارية وخفت وان كان خبرا في الاصل
لكنه باقترانه باداة الشرط خرج عن كونه خبرا ولا يضر كون انا رادوه اليك
خبرا وبشارة لاختلاف الجهة فيهما ثم المراد بالفصاحة هنا البلاغة لانها
تطلق عليها كما قال عبد القاهر قال في الشفا فهذا اي الجمع بين ما ذكر في
اية واحدة نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف لغيره على التحقيق
والصحيح وحكي عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد
النبوي فاذا بقائم برجل باء الملابسة على راسه اي منتصب القامة براسه
بجانب راس عمر وهو حقيقة عرفية في مثله يتشهد شهادة الحق اي ينطق
بالشهادتين فاستخبره فاعلمه كما في الشفا فسقط من الناسخ لفظ فاستخبره
وفي نسخة فاخبره انه من بطارقة الروم جمع بطريق كبريت القائد من
قواد الروم تحت يده عشرة الاف رجل كما في القاموس وقال الجواليقي ما سمعت
العرب ان البطارقة اهل رياسة وصفوا الرئيس به يريدون المدح قال
ابو ذويب * ثم رجعوا بالمرح والقوم شهدوا * هوازن يحدوها حماة بطارق *
ممن يحسن كلام العرب وغيرها من عبرانية وسريانية ورومية وهذا
توطية لانه يفهم القران والانجيل ويقدر على النظر في معانيها ولذا قال

وانه سمع رجلا من اسري المسلمين يقرا اية من كتابكم ايها المسلمون
يعني القران فتاملتها نظرت بفكري في معناها فاذا هي قد جمع فيها ما
انزل الله علي عيسى بن مريم من احوال الدنيا والاخرة بيان لما اي من
الاحوال التي تلزم العبد في الدنيا التي هي سبب النجاة والفوز في الاخرة
وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فيما امرانه او في الفرايض والسنن
ويخشى الله يخافه فيما صدر عنه من الذنوب ويتقه بتجنب مايوجب عقوبته
فيما بقي من عمره الاية اي فاولئك هم الفايزون بالنعيم المقيم او بسعادة الدارين
وذلك لانها امرة بجميع الطاعات وباجتناب جميع المعاصي والمبادرة الي التوبة
والفوز بالمطلوب وقد رام قوم من اهل الزيغ الميل عن الحق الي الباطل
والالحاد الطعن في الدين او تواطوا من البلاغة وحظا نصيبا من
البيان ان يضعوا شيا يلبسون بفتح اوله وسكون اللام وفتح البا وكسرها
وبضم اوله وفتح اللام وشد البا مكسورة من التلبيس شدد مبالغة يخلطون
به فلما وجدوه مكان النجم من يد المتناول اي بعيدا لا يتخيل الوصول
اليه كما لا يتخيل احد ان يتناول نجما بيده من محله مالوا الي الصور القصار
كسورة الكوثر والعصر واشباههما لوقوع اي دخول الشبهة علي
الجهال القاصرة عقولهم عن تمييز الحسن من القبيح ولو قال لايقاع كان
اولي لان الغرض منه فعله وترويجه ما يقول فيما قل عدد حروفه لان
العجز انما يقع في التاليف والاتصال ومن رام ذلك من العرب
بالتشبث التعلق بالسور القصار مسيلمة بضم الميم وكسر اللام تصغير
مسلمة فقتح كامه خطا من بني حنيفة الكذاب فقال يا ضفدع نقي كم
تنقين اي تصوتين اعلاك في الما واسفلك في الطين لا الما تكدرين
ولا الشراب تمنعين فلما سمع ابو بكر الصديق رضي الله عنه هذا
الكلام قال انه لكلام لم يخرج من ال بكسر الهمزة وتثقيل اللام قال ابن
الاثير في النهاية اي من ربوبيه وال بالكسر هو الله تعالى وقيل الال
هو الاصل الجيد اي لم يجي من الاصل الذي جا منه القران ولما سمع
مسيلمة الكذاب لعنه الله والنازعات غرقا قال والزارعات وفي
نسخة والمبذرات لكن انما يقال بذر لا ابذر زرعا والحاصدات حصدا
والذاريات بذال المعجمة من ذروت الشي طيرته واذهبته قمحا والطاحنات
طحنا والخافزات خبزا والثاردات ثردا بمثلثة والله فات لقما
لقد فضلتم علي اهل الوبر فيختبي صوف الابل والارانب ونحوها جمعه
اوبار وما سبقكم اهل المدر فيختبي قطع الطين اليابس او العلك
الذي لا رمل فيه والمدن والحضر كما في القاموس الي غير ذلك من الهذيان
التكلم بغير معقول معقول مما ذكرت في الوفود من المقصد الثاني
بعضه والله اعلم وقال اخزاه الله في تركيب فعل ربك بالحبلي اخرج من
بطنها نسمة تسعي من بين شراسيف بشين معجمة ورا ومهملة جمع

شرسوف

شرسوف كعصفور غضروف معلق بكل ضلع او مقط الضلع وهو الطرف المشرف
علي البطن والحشي جمع حشا وقال اخزاه الله الفيل ما الفيل وما ادراك ما
الفيل له ذنب وبيل بمثلثة طويل يشبه الحبل في امتداده ومشفر بكسر
الميم وسكون المعجمة وفتح الفا طويل وان ذلك من خلق ربنا لقليل ففي
هذا الكلام مع قلة وفي نسخة قلت بالفا حروفه من السخافة قلة العقل ما لا
خفا فيه علي من لا يعلم فضلا عن من يعلم اذ كل من سمعه يمجه ويعلم ضرورة
هجنته وركاكته والوجه الثاني ان اعجازه هو الوصف بالغ في القلة حتي
جعلها محمولة علي المبتدا كزيد عدل فلا يرد ان الوصف علة للاعجاز الذي
هو تصيير الغير عاجزا لاجل الوصف الذي صار به خارجا عن كلام
العرب من حسن تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه من قصر
وحذف جزء كلمة جملة مضاف او موصوف او صفة في نحو واسال القرية
اي اهلها ومنادون ذلك اي رجاله وياخذ كل سفينة غصبا اي سفينة
صالحة وغير ذلك مما استدل عليه من وجوه الاعجاز وبلاغته الخارقة عادة
العرب في عجايب تراكيبهم وغرايب اساليبهم وبدايع انشايهم وروايع
اشعارهم الذين هم فرسان الكلام ومن صورة نظمه العجيب واسلوبه
الغريب المخالف لاساليب العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جا به القران
ووقفت عليه تقاطع اياته اي اواخرها وقوفها كالتام والكافي وانتهت اليه
فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له انتهي ملخصا من الشفا من
النظم بيان لكلام العرب والنثر بمعني المنظوم والمنثور والخطب والشعر
والرجز عطف اخص من اعم اذ الراجح انه شعر والسجع بمهملة كلام له
فواصل بمعني المسجوع قال المجد السجع الكلام المقفى او موالات الكلام علي
روي جمعه اسجاع وسجوع وسجع كمنع نطق بكلام له فواصل وسجعت
الحمامة رددت صوتها وفي المصباح ان تسمية مثل هذا سجعا للتشبيه
بهدير الحمامة والفرق بينه وبين الشعر ان يعتبر فيه الوزن فقصد بخلاف
السجع فلا يعتبر فيه الوزن هذا ومغايرة الثاني للاول من حيث انه لوحظ
فيه جانب اللفظ المتعلق بكيفية التاليف من الحذف لبعض الاجزا وغيره
بدليل قوله من النظر الي اخره وبه يصرح كلام القاضي المتقدم فلا يد خل في
شي منها حتي تتصف بشي من الاوصاف التي بني عليها كلام العرب بل هو
اعلا منها واغلا وان شاركها في انه مولف من كلماتهم ونزل علي اساليب
كلامهم نظرا للاصل اشتماله علي تراكيب من نوع تراكيبهم لكن تراكيب القران
في اعلا طبقات الفصاحة فلم يجد شي منه داخل في جنس كلامهم
ولا يختلط اي يشتبه بها بحيث لو جمع شي منه مع كلامهم تميز عنه
تمييزا لا يخفي علي احد ومثل ذلك لا يكون من الخلط في شي مع كون
الفاظه وحروفه من جنس كلامهم ومستعملة بالنصب عطفا عليه
محلا ما قبله لانه خبر كون في نثرهم ونظمهم ولذلك تحيرت عقولهم

وقعت في الحيرة فالعناد يمنعهم من الاعتراف انه من عند الله وظهور اعجازه
يلجئهم في قولهم مفتريه سحر ونحو ذلك وقد لهجت بفتح اوله والهملة
واللام الثقيلة دهشت وتحيرت في شانه احلامهم عقولهم فهو قريب
مما قبله وفي نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة ايضا قال
بعض والاحسن تفسير التدله بذهاب العقل من الهوي فيكون ترقيا من
حيرته الي ذهابه ولم يقدروا الي مثله اي لم تقدروا علي الاتيان بما
يماثله او يقرب منه ولا سمعوه من فصحائهم في حسن كلامهم الذي يقدرون
عليه وتفي به قواهم البشرية من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر فلا
ريب لاشك فيه انه في فصاحته قد قرع القلوب اثر فيها اذ ورد
عليها اثرا كثيرا من قرع الباب ببديع نظمه اي بسبب تاليفه البديع
فهو من اضافة الصفة للموصوف ولا ريب انه في بلاغته قد اصاب
المعاني ادركها بحيث اخذ منها اوفرها واعذبها بصايب سهمه من
اضافة الصفة للموصوف ايضا فان قيل البا سببية او البا وذلك يقتضي
مغايرة السبب والالة للمسبب والمجعول له الالة والقران واحد فالجواب
انه يجعل صايب السهم وصفا زايدا علي بلاغته ولفظه فانه حجة الله
برهانه اللايحة الظاهرة برهانه الواضحة ومحجته بفتح الميم
طريقه اللايحة الظاهرة ودليله القاهر الغالب فان الدليل اذا قوي
وظهر قهر الخصم وقطعه وبرهانه الباهر الغالب الظاهر ما رام
قصد معارضته سخف الانفافت تساقط وذل وانخفض عن نوع
العقلاحتي كانه رمي نفسه في المهالك كما افاده بقوله تهافت
الفراش بالفتح جمع فراشة طاير معروف ينسا قط في الشهاب كالشهاب
شعلة من نار ساطعة وذل النقد بفتح النون والقاف والدال المهملة
نوع من الغنم قبيح الشكل حول الليوث جمع ليث الاسود الغضاب
جمع غضبان كعطاش وعطشان وقد حكي عن غير واحد ممن عارضه
اي قصد معارضته بكلام يماثله انه اعترته حدثت له واصابته روعه
بفتح الراء وسكون الواو الفازعة وهيبة اي مخافة كفته منعته عن ذلك
الذي اراده من المعارضة كما حكي عن يحيي بن حكم بن نزطيب قال
في التبصير شاعر اندلسي بديع القول مات سنة خمس وخمسين ومايتين
في عشر المائة الثالثة وسمي والده في السفاق لده الحكم بفتحتين الغزال
بتخفيف الزاي كما ذهب به الذهبي في المسنه والحافظ في تبصيره
علم منقول من اسم الحيوان لقب به هشام بن الحكم الجياني في صغره
لحسنه وقد تشدد فهو وصف منسوب لصفة الغزال وكان بليغ
الاندلس بفتح الهمزة والدال وفتحها وضم اللام فقط في زمانه اي
معروف بالبلاغة وفصاحة النظم والنثر في عصره وهو بكري قرطبي
الدار وله شعر في غاية الحسن وارتحل الي مصر ثم عاد للاندلس ويقال

انه

انه يبلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وارسل رسولا لبلاد الفرنج فاعجب
ملكها ونادمه وسالته زوجته عن سنه قال عشرين فقالت فما هذا الشيب
فقال اما رايت مهرا ولد اشهب فضحكت انه قد رام فقصد شيا من هذا
اي معارضة القران فنظر في سورة الاخلاص ليحذوا علي مثالها
من حذوته بمهملة ومعجمة اذا قمت بحذايه اي مقابله فالمعني ليقول مثلها
بزعمه وينسج بكسر السين علي منوالها بكسر الميم خشبة ينسج عليها الثياب
وهو بمعني ما قبله فاعترته اي عرض له في حال النظر خشية خوف وتعظيم
ورقة في قلبه خشوع او ضعف ولين حملته علي التوبة مما كان رامه والندم
عليه والانابة اي الرجوع عنه لعلمه انه امر لا يقدر عليه البشر ويحكي
ان ابن المقفع بضم الميم وفتح القاف والفا المشددة قبل العين المهملة
كما ضبطه في المقتفي وفي القاموس رجل مقفع اليدين متشنجها ومروان
ابن المقفع تابعي وابو محمد عبد الله بن المقفع فصيح بليغ كان اسمه روزبه
اوداديه بن داود قبل اسلامه وكنيته ابو عمرو ولقب ابوه بالمقفع لان
الحجاج ضربه فتقفعت يداه وتقفع تقبض انتهي وقال ابن مكي في تثقيف
اللسان الصواب فيه المقفع بكسر الفا لانه كان يعمل القفاع جمع قفعة وهي
شي يشبه الزنبيل بلا عروة من خوص ويقال انه كاتب المنصور فقتله
سفين المهلبي لما ولي البصرة وحضره اهلها وفيهم ابن المقفع فذكر عنده
الوطيس فلم يعرفه وسال الحاضرين عنه فضحك ابن المقفع فلما انصرفوا امر
ابن المقفع بالجلوس حتي خلا المجلس فامر بتنور عظيم فاسجر وامر بطرحه فيه
فاحترق وكان من جملة قوم زنادقة يجتمعون علي الطعن في القران وصياغة
هذيان يعارضونه بها وكان افصح اهل وقته زمانه وعصره الموجود
فيه طلب ذلك ورامه ونظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز
بصبي يقرا في مكتب فوله تعالي وقيل يا ارض ابلعي ماءك الذي
نبع منك فشربته دون ما نزل من السما فصار انهارا وبحارا ويا سما اقلعي
امسكي عن المطر فامسكت وغيض نقص الماء وقضي الامر تم هلاك
قوم نوح الاية واستوت علي الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين الجودي
جبل بالجزيرة بقرب الموصل فرجع ومحي جميع ما عمله اي غسله وابطل ما
في صحفه لما راها لا مناسبة بينها وبين شي من الكتاب العزيز وقال
اشهد ان هذا لا يعارض ابدا وما هو من كلام البشر لظهور اعجازه
وفي هذه الاية من البلاغة المعجزة من الايجاز انه ناداها كما ينادي العقلا
وامرها بما يامرون تمثيلا لباهر قدرته وعظمته لانقيادها لما اراد
كالمامور المطيع المبادر للامتثال حذرا من سطوة امره والبلع استعارة
للجفاف والاقلاع للامساك وفيها لطايف اخر مبينة في علوم البلاغة
ولله در العارف سيدي محمد وفا حيث قال في النبي يريد بما قاله
النبي صلي الله عليه وسلم والقران المعظم له اية القران باضافة

يطلق الجم
البيان اي ايات هي القران وفي نسخة الفرقان في عين جمعه
عنهم علي معان منها الاشتغال بشهود الله عما سواه بحيث يجتمع الهم ويتفرغ
الخاطر الي حضرة قدسه تعالي وعلي شهود ماسوي الله قايما بالله وعلي غير
ذلك مما هو معلوم لاهله جوامع ايات خبر محذوف من اضافة الصفة للموصوف
اي هو ايات جوامع بها انتصح الرشد هو حديث اي محدث الالفاظ كقوله
ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث قديم منزه عن حدوث اذ المعاني القايمة بالذات
قديمة فاشار الي ان القران يطلق بالاشتراك علي المعنيين منزه عن كل ما لا
كمال فيه يعني ان القران مع كونه الفاظا مولفة متصفة بغاية الكمال منزه عن
ساير صفات النقص قديم خبر ثان للمبتدا المقدر ووصفه بالقدم لان كلامه
تعالي النفسي القايم بذاته تعالي صفات اي وهو من صفات الذات ليس
له ضد امر وجودي يضاده لان بين الضدين تناسبا ما وصفاته تعالي
وكمالاته ليس لها ليس لها في الوجود ما يناسبها حتي يحكم بالتضاد بينها
بلايع كسحايب اي فيه الكفاية عن جميع الكتب السابقة لجمعه معانيها وزيادة
اي هو اسم من الابلاغ اي الايصال اي انه واصل لنا بالتواتر قال الجوهري
الابلاغ الايصال وكذلك التبليغ والاسم منه البلاغ والبلاغ ايضا الكفاية ومنه
قول الراجز • تزجي دنياك بالبلاغ • بليغ في اعلا الطبقات للبلاغة قال
الجوهري البلاغة الفصاحة معجز اصحاب البلاغة له معجزات لا يعد لها عدد
لعدم امكان عدها اذ لا تحصر تخلت بحا مهملة بروح الوحي حلة نسجه فاعل
تخلت ومفعوله عقود اعتقاد لا يحل لها عقد لعدم امكانه اذ هو تنزيل
من حكيم حميد وغاية ارباب البلاغة عجزهم لديه عنده وان كانوا هم
الالسن اللد الفرقة البالغة في الفصاحة جمع الد من لدمن باب تعب اشتدت
خصومته فافكهم كذبهم بالافك اسوا الكذب اعياه عيه ضلاله حيث
تصدي تعرض لمعارضته قال في القاموس والتصدد التعرض وتبدل الدال
يا فيقال التصدي والتصدية والاسماع عن عيه صد اعراض لفرط تفاهتها
منه قلي البغض الله اقول الا يهاجر يترك هجرها بالضم فحشها وفتحها المشتملة
عليه تقوانا بها الوزها الحمقا والبهم بفتحتين جمع بهمة اولاد الضان
والبقر والمعز البلد جمع بليد تلاها قتل بفوقية الفي الغش المشتملة
عليه تلك الهذيانات في الفتح متعلق بقوله وجمها ما ظهر منها مفعول الغش
وعن ربها كذبها اذ هو احد معانيه في القاموس الالباب العقول
نزهها الزهد عدم الرغبة فيها عند سماعها واحتقارها لخروجها عن
باب الفصاحة مطلقا فضلا عن فصاحة القران لقد فرق الفرقان
الفرقان لفرقه بين الحق والباطل شمل فريقه اي اصحاب هاتيك
الاقوال الموصوفة بما ذكر ويحتمل ان فرق بمعني ميز وضمير فريقه للقران
اي ميز شمل فريقه القايمين به عن غيرهم بجمع رسول الله واستعلى
الرشد اتضح وضوحا لا يخفي علي احد وفيه تلميح بمقام الجمع والفرق عندهم

اني

اني بالهدي المبين فلا يضرنا انتحال المبطلين صلي عليه الله وكم
بلله بالاهوا اذ جاء الجد بالكسر ضد الهزل كما قال انه لقول فصل وما هو
بالهزل ويطلق الجد ايضا علي الاجتهاد وتصح ارادته هنا والثالث ان
وجه اعجازه فيما قاله جماعة من الايمة كما في الشفا هو ان قاريه لا يمله لا
يضجر ولا يسام منه ولو اعاده مرارا مع ان الطبايع جبلت علي معادات وسامعه
لا يمجه بضم الميم لا يعرض عنه ولا يكره تكراره علي سمعه فحقيقة المج طرح المايع من
الفم فان كان تغير ما يع قبيل لفظ وعبر في الاول بالملل تشبيها للقاري بصانع
يتعاطي الصناعة والغالب حصول الملل وفي الثاني بالمج تشبيها للسامع بواضع
المايع في فمه وتشبيه المسموعات بالمذوقات استعارة لطيفة اذ اقام الاذن
مقام الفم واللفظ مقام المايع لرقته كما قيل
• وتغير المعتاد يحسن بعضه • للورد خد بالانوف يقبل •
فما سغير لتركه فكانه كالنفس لا يمل منه مع تكرره لانه مادة الحياة كما قيل
• وروي حديثك ما ملكت مستمعا • ومن يمل من الانفاس ترديدا •
بل الاكباب الملازمة علي تلاوته يزيده حلاوة ترقي من عدم الملل
الي زيادة الحلاوة واصاب المجز لان ما يمج مرا وما لم يكره طبعا والحلاوة في
المذوقات وهي اجسام وحلاوة الكلام مجاز ومعناه تميل القلوب اليه وتقلب
فيصير يذكر كالحلو المستلذ من المذوقات وترديده اعادته وتكريره مرة
بعد اخري يوجب له محبة لزيادة حلاوته وحسنه وطلاوة حسن وبهجة
وقبول مثلث الطا كما مر قريبا ولا يزال كلما كرر غضا بمعجمتين اي جديدا بحا
من غض الصوت والطرف طريا اي رطبا ناعما فلا تتغير بهجته ونضارته فكانه
في كل مرة قريب العهد بالنزول وقال التلمساني هما بمعني ولا يبعد ان معني
غضا وطريا ناعما فكانه قال لا يزال طريا ناعما غير يابس وكلا كناية اي وذلك
كناية عن حلاوة ما يجده الانسان من النشاط عند تلاوته فاشبه النبت
الذي تميل النفس اليه وتلتذ به وغيره من الكلام ولو فرض انه بلغ في
الحسن والبلاغة مبلغه اي غايته في حسنه يمل بالبنا للمجهول اي يمله
قاريه وسامعه مع الترديد اي التكرير مرارا ويعادي اذا اعيد اي يكره
ويثقل وتنفر منه النفس كنفرتها من يعاديها وهذا علي فرض المحال لما مر
انه لا يوجد مثله ولا ما يقرب منه كذا قال شارح بنا علي عود ضمير مبلغه للقران
فلو اعيد للكلام لم يحتج لذلك وكتابنا معاشر الامة المحمدية النازل الينا
بواسطة نبينا صلي الله عليه وسلم يستلذ به في الخلوات اي يجد قاريه لذة
اذا اختلي بقراته وخص الخلوة لانها اجتماع الحواس واطمينان القلوب بذكر
الله فهو فيها اعظم لذة وان كان له لذة ايضا بقراته بين الناس ويونس
بضم اليا واسكان الهمزة وفتح النون مبني للمجهول اي يوجد به تلاوته
انس بدفع الوحشة في الازمات بفتح الهمزة وسكون الزا اي جمع ازمة
وهي الشدة وقياس ما كان من الصفات علي فعلة بفتح فسكون اي يجمع علي فعلات

بسكون العين كخضمات وتفتح في الاسم كسجدات وركعات هذا ان كانت
سالمة فان اعتلت عينها بالواو والياء فالسكون على الاشهر كما في المصباح كغيره
ذا تغلب على من قال تسكن في الاسما وتحرك في الصفات **دسواه** بضم السين
وكسرها مقصور على الرواية اي غيره وتفتح فعبرا او لا بغير وهنا بسوى
بمعناها **من الكتب** المنزلة قبله كذا استظهر بعض **لا يوجد منها ذكر** المذكور
من اللذة والانس **حتى احدث** اخترع والف اصحابها من يقرؤها **انها للكتب لحونا**
جمع لحن واحد الحان الاغاني والنغمات التي تزين بها الاصوات وتوزن بضروب
الموسيقي والمراد هنا في جميع الاصوات للتطريب تحسينا للقراءة والشعر **وطرقا**
جمع طريق وهي ما يجري على طريق قانون الموسيقي وضروبها الموزونة كذا في
النسيم وقال شيخنا وطرقا عطف تفسير والمراد ان غير القراء يخترعون له اسبابا
تحمل الناس على الرغبة فيه والاقبال عليه والمصنفون للكتب يذكرون منها اصطلاحات
واشياء غيرها عن غيرها مما هو مولف في فنها ليحملوا الناس على قراءتها **يستجلون**
تنشيطا اي يطلبون وجودها ويجلبون لهم ولمن يسمعهم **بتلك اللحون** والنغمات
اي وجود نشاطهم وطربهم **على قراءتها** اي على تطويل قراءتها وزيادة نشاطه او
على ان يقراها غيرهم كقراءتهم ان اريد باللحون تغني القارئ به نفسه ويحتمل ان
يريد بالحدثوه ما يكون مع القارئ من الات الطرب كالمزامير كذا قال شارح
ولهذا اي ما اختص به القران من عدم ملل قارئه ومايعده **وصف صلى**
الله عليه وسلم القران في حديث رواه الترمذي عن علي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال انها ستكون فتنة قيل فما المخرج قال كتاب الله فيه نبا
من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار
قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو
الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الاهوا ولا تشبع منه العلما
ولا تلتبس به الالسن ولا يخلو عن الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم ينته الجن
اذ سمعته ان قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد من قال به صدق ومن
حكم به عدل ومن عمل به اجر ومن دعي اليه هدي الى صراط مستقيم هذا لفظه
في الترمذي فاقتصر المصنف على حاجته منه وقدم فيه واخر فقال **بانه لا يخلق**
بفتح اليا وضم اللام وبفتحها اي لا يبلى ويتغير حاله وبضم اوله وكسر اللام من
اخلق بمعنى خلق لانه جا متعديا ولازما فلازمه مثله بمعنى واحد **على** بمعنى مع
كثرة الرد بمعنى الترديد اي كثرة تكرار قراءته والاعادة انها توثر
وتفني ما كرر كالثوب اذا كرر لبسه ففيه استعارة مكنية وتخلس وتخييلية
للتشبيه بثوب رقيق يلبس ليتجمل به والمراد اما الملل منه فهو دليل ما قدمه
ان قارئه لا يمله واما التصرف فيه بنحو تحريف **ولا تنقضي** عبره بكسر المهملة
وفتح الموحدة جمع عبرة بسكونها اي مواعظه التي يعتبر بها الحاملة على كمال
الايمان الصارفة عن العصيان عبارة عن كثرتها وبقائها **ولا تفنى عجائبه**
اي لكثرتها لا تنفد وتنتهي جمع عجيبة وهي كل ما يتعجب منه فكلما اعيد النظر فيها ظهر

ما

ما هو اغرب واعجب من الاول **هو الفصل** اي الحد الفاصل بين الحق والباطل
او المفصول المتميز عن غيره فعل بمعنى فاعل ومفعول **ليس بالهزل** اللعب اي
لا لعب فيه ولا كلام سخيف وهو في الاصل من الهزال ضد السمن فهو كله سمين لا
غث فيه لما فيه من الاوامر والنواهي التي يجابها سامعها **لا تشبع منه العلما** اي لا
تستغني عنه ولا تزال تستنبط منه معاني وفوايد في كل حين وفي الحديث منهومان
لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا فشبهه بماكول به قوام الحياة الا ان كل ماكول يشبع اكله
اذا امتلا جوفه منه وهذا بخلاف ذلك فان فوايده غير محدودة ولذا ابدا غير مقطوعة
ولا ممنوعة **ولا تزيغ** بفتح الفوقية وكسر الزاي وتحتية ومعجمة **به الاهوا**
بالمد جمع هوى وهو ما تهواه وتشتهيه الانفس من الضلال اي لا يضل من اتبعه ويميل
الى هوى نفسه الامارة **ولا تلتبس به الالسنة** جمع لسان وهو الجارحة شاع في
واللغات مجازا فالمعنى لا تشتبه غيره من الكلام فلا يمكن اختلاطه به وادخاله فيه لان
اسلوبه ونظمه لا يشبه غيره فالمراد انه لا يمكن ان يدس فيه دسيسة **هو الذي**
لم تنته لم تنكف وتترك **الجن حين سمعته ان قالوا** بفتح الهمزة ومحله
نصب او جر بتقدير عن **انا سمعنا قرانا عجبا** في بلاغته وعلو رتبته وبركته
وعزته **يهدي الى الرشد** يدل على الصواب من الايمان والتوحيد وهو
تبكيت لقريش اذ مكثوا سنين مع فصاحتهم لم يهتدوا والجن بمجرد سماعه
امنوا بلا توقف وتقدمت قصتهم في المقصد الاول **اشار اليه** بمعنى ذكره بلفظه
القاضي عياض في الشفا من اول قوله هو ان قارئه الى هنا **والرابع ان وجه**
مجازه هو ما فيه من الاخبار بما كان وجد كاخبار القرون الماضية والامم
الهالكة والشرايع الداثرة **بما علموه** وفي الشفا مما كان لا يعلم القصة الواحدة
منه الا الفذ من الاحبار الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه
وسلم على وجهه فيعترف العالم بذلك بصدقه وان مثله لم ينله بتعليم **وما لم**
يعلموه فاذا سالوا ابا لبنا للفاعل عنه عما لم يعلموه **فيبينه لهم عرفوا صحته**
لموافقته لما يعلمونه اجمالا **وتحققوا صدقه** وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه
صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه ما يتلو عليهم منه ذكرا **كالذي حكاه**
من قصة اهل الكهف الغار الواسع في الجبل واختلف في انه بطرسوس
في بلاد الروم كما تظافرت به الاخبار او قرب ايلة او طرسوس او غرناطة او
قرب زبرا او بين ايلة وفلسطين سالته اليهود عنها لما قدم المدينة كما في
الصحيح عن ابن مسعود وفي الترمذي وغيره عن ابن عباس قالت قريش لليهود
اعطونا شيا نسال عنه هذا الرجل وملخصها انهم كانوا في مملكة جبار يعبد الاوثان
فخرجوا فجمعهم الله على غير ميعاد فاخذ بعضهم على بعض العهود ففقدهم اهلهم
فاخبروا الملك فامر بكتابة اسمايهم في لوح رصاص وجعله في خزانته ودخل
الفتية الكهف فضرب الله على اذانهم فناموا فارسل الله من يقلبهم وتحول الشمس
عنهم فلو طلعت عليهم لاحرقتهم ولولا انهم يقلبون لاكلتهم الارض ثم ذهب ذلك
الملك وجا اخر فكسر الاوثان وعبد الله وعدل فبعث الله اصحاب الكهف فبعثوا

فدخل المدينة مستخفيا فدفع درهما لخباز فاستنكر
احدهم بايتهم بما ياكلون فدخل المدينة مستخفيا فدفع درهما لخباز فاستنكر ابو كذا قال
ضربه وهم برفعه للملك فقال اتخوفني بالملك وابي دهقانه وقال من ابوك قال
فلان فلم يعرفه فرفعوه الي الملك فسالة فقال علي باللوح وكان قد سمع به
فسمي اصحابه فعرفهم من اللوح فكبرا الناس وانطلقوا الي الكهف وسبق الفتي
لئلا يخافوا من الجيش فلما دخل عليهم عمي الله علي الملك ومن معه المكان فلم يدر
اين ذهب الفتي فاتفقوا علي ان يبنوا عليهم مسجدا فجعلوا يستغفرون لهم
ويدعون **وشان موسي** بن عمران كليم الله لا موسي غيره كما زعم اهل
الكتاب وبعض من تلقي عنهم وفي البخاري عن ابن عباس تكذيب قايل
ذلك **والخضر عليهما السلام** بفتح الخا وكسر الضاد المعجمتين ويسكون
ثانيه مع فتح اوله وكسره لقب واسمه بليا بن ملكان علي اصح الاقوال وهو
بفتح الموحدة وسكون اللام وتحتية فالف وابوه بفتح الميم وسكون اللام
وفي الصحيح مرفوعا انما سمي الخضر لانه جلس علي فروة بيضا فاذا هي
تهتز من تحته خضرا والفروة الارض اليابسة وقال الخطابي الفروة
وجه الارض انبتت واخضرت بعدان كانت جردا وهو نبي عند الجمهور
قال القرطبي والاية تشهد بذلك لان النبي لا يتعلم ممن هو دونه ولان الحكم
بالباطن انما يطلع عليه الانبيا ثم اختلفوا هل هو رسول ام لا وقيل انه ولي
قال الثعلبي وهو معمر علي جميع الاقوال محجوب عن الابصار وقيل لا يموت الا في
اخر الزمان حين يرفع القران وقال ابن الصلاح هو حي عند جمهور العلما
والعامة معهم وشذ بانكاره بعض المحدثين قال النووي وذلك متفق عليه
بين الصوفية واهل الصلاح وحكا يتهم في روتيه والاجتماع به اكثر من
تحصر وجزم به البخاري وابراهيم الحربي وابن العربي وطايفة بموته
وانه غير موجود الان للحديث المشهور وانه صلي الله عليه وسلم قال في
اخر حياته لا يبقي علي الارض بعد ماية سنة ممن هو عليها اليوم احد قال ابن
عمر اراد بذلك انخرام قرنه واجاب من اثبت حياته بانه كان حينيذ علي
وجه البحر او هو مخصوص من الحديث كما خص منه ابليس باتفاق وجا في
اجتماعه بالنبي صلي الله عليه وسلم حديث ضعيف رواه ابن عدي وبسط
الكلام عليه في الاصابة والفتح وغيرهما **وحال ذي القرنين** الاكبر
الحميري المختلف في نبوته والاكثر وصحح انه كان من الملوك الصالحين
وذكر الازرقي وغيره انه حج وطاف مع ابراهيم وامن به واتبعه وكان
الخضر وزيره وعن علي لا نبيا كان ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا وحكي
الثعلبي انه كان من الملايكة وقيل امه من بنات ادم وابوه من الملايكة
لقب بذي القرنين واسمه الصعب علي الراجح كما في الفتح او المنذر
او هرمس او هرديس او عبد الله وفي اسم ابيه ايضا خلف لطوافه قرني
قرني الدنيا شرقها وغربها او لانقراض قرنين من الناس في ايامه
او لانه كان له ضفيرتان من شعر والعرب تسمي الخصلة من الشعر قرنا

اولان

اولان لتناجه قرنين او علي راسه ما يشبه القرنين او للكرم طرفيه
اما وابا ولغير ذلك اقوال وفي مراة الزمان ان ذا القرنين مات ببابل
وجعل في تابوت وطلي بالصبر والكافور وحمل الي الاسكندرية فخرجت
امه في نسا الاسكندرية بتحفي وفتحت تابوته وامرت به فدفن قيل عاش الف
سنة وقيل الفا وستماية وقيل ثلاثة الاف سنة انتهي واما ذو القرنين
الاصغر فهو الاسكندر اليوناني قتل دارا وسلبه ملكه وتزوج ابنته واجتمع
له الروم وفارس فلقب بذي القرنين قال السهيلي ويحتمل انه لقب به تشبيها
بالاول لملكه ما بين المشرق والمغرب فيما قيل ايضا واستظهره الحافظ
وضعف قول من زعم ان الثاني هو المذكور في القران كما اشار اليه الشافعي
البخاري بذكره قبل ابراهيم لان الاسكندر كان قريبا من زمن عيسي وبينه
وبين ابراهيم اكثر من الفي سنة والحق ان الذي في القران هو المتقدم لانه
امن بابراهيم وصافحه وسلم عليه وساله ان يدعو اليه وتحاكم اليه ابراهيم
في بير فحكم له واستفهمه عن بنا الكعبة حين كان يبنيها هو واسمعيل فقالا
نحن عبدان مامور ان فقال من يشهد لكما فشهدت خمسة اكبش فقال
صدقتما كما ورد في اثار يشد بعضها بعضا ولان الرازي جزم انه ذا القرنين
نبي والاسكندر كافر ولانه من اليونان وذو القرنين من العرب وقد قدمت
ذكر بابسط من هذا في المقصد الاول **وقصص** بالفتح مصدر وبالكسر
جمع قصة اي سير **الانبيا وممها** مفصلا بابلغ عبارة والطف اشارة
والقرون الماضية في دهرها وسبب ذلك من بدا الخلق وما في التوراة
والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسي مما صدقه فيه العلما بها ولم
يقدروا علي تكذيبه بل اذعنوا له فمن وفق امن ومن شقي معاند حاسد
ومع هذا فلم يقدر واحد من النصاري واليهود مع شدة عداوتهم
للنبي صلي الله عليه وسلم علي تكذيبه في شي مما في كتبهم كما بسطه
في الشفا **والخامس ان وجه اعجازه هو ما فيه من علم الغيب**
وهو شامل لما سبق مما لم يدركه هو ولا اهل عصره وما يقع بعد ذلك
مما لا يعلمه الا الله كما قال **والاخبار بما يكون فيوجد** اي يقع بعد ذلك
دالا علي **صدقه** لمطابقته بما اخبر به **وصحته** كقوله لتدخلن المسجد
الحرام ان شا الله امنين ليظهره علي الدين كله وعد الله الذين امنوا
منكم الاية اذا جا نصر الله الي اخرها فوجد جميع ذلك كما قال وهي ايات
كثيرة بينها عياض **مثل قوله تعالي لليهود** لما ادعوا دعاوي باطلة
كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصاري فكذبهم والزمهم
الحجة فقال مخاطبا لرسوله صلي الله عليه وسلم **قل** لهم **ان كانت
لكم الدار الاخرة** الجنة **خالصة** خاصة **من دون الناس**
كما زعمتم اي من بابهم من المومنين غيرهم **فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين** في زعمكم ان الجنة مخصوصة بكم لان من تيقن دخولها اشتاق

لها واحب التخلص من الدنيا واكدارها وتعلق بتمني الموت الشرطان
على ان الاول قيد في الثاني اي ان صدقتم في زعمكم انها لكم ومن كانت
له يؤثرها والموصل اليها الموت فتمنوه ثم قال تلو الاية والاولى اسقاطه
ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم
وتحريفهم التوراة فنفى عنهم التمني في جميع الازمنة المستقبلة بقوله
لن وابدا فما تمناه احد منهم فهو اعظم حجة واظهر دلالة على صحة
الرسالة وقد قال تعالي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها
رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه ليظهر
صدق رسوله وصحة ما اوحي اليه عياض وفي الكشاف فان قلت التمني
من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين علم انهم لن يتمنوه قلت
ليس التمني من اعمال القلوب وانما هو قول الانسان بلسانه ليت لي كذا
وليت كلمة تمن ومحال ان يقع التحدي بما في الضماير والقلوب ولو كانت
بالقلوب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا ولم ينقل انهم قالوه قال القطب في حواشيه
استدل على ان التمني ليس من افعال القلوب لان التحدي انما يكون بامر ظاهر
وفيه ان التحدي انما يكون باظهار المعجزة لالزام من لم يقبل الدعوى والتمني
ليس بمعجز فهو كقول الخصم احلف لي ان كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدي
هنا طلب دفع المعجزة فان اخباره بانهم لن يتمنوه ابدا معجزة طلب دفعها
بتمنيهم والدفع انما يكون بامر ظاهر ومثله قوله للعرب وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله ان كنتم
صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار فقطع بانهم
لا يفعلون باثبات النون على الصواب لان المراد الاخبار لا النهي وفي
نسخة بحذفها على الحكاية فلم يفعلوا وهذه الاية ابلغ في الاعجاز
من التي قبلها لانه امر معجز في نفسه في ساير الازمنة وان كان
الخطاب للعرب بخلاف التي قبلها فاعجازه انما هو بمجرد الاخبار عن
عدم وقوعه منهم وان كان قول الانسان ليتني اموت ونحوه ممكنا لهم
ولغيرهم ولذا فرق بينهما عياض وان ساوى بينهما المصنف تبعا للكشاف
ونقض عد الخامس عدا للاعجاز بان الغيوب الذي اجمع علمها
اشتمل عليها القران بعضها وقع في زمنه صلى الله عليه
وسلم كقوله انا فتحنا لك فتحا مبينا هو فتح مكة ونزلت
مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها واتى به ماضيا لتحقق وقوعه
وفيه من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر به ما لا يخفى وقال
جماعة المراد فتح الحديبية ووقوع الصلح فان الفتح لغة فتح المغلق
والصلح كان مغلقا حتى فتحه الله وعلى هذا القول ليست الاية
من الاخبار بالغيب المستقبل وبعضها بعده كقوله الم غلبت
الروم على قراءة غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم اي ان الروم غلبت

على

على الشام وسيغلبهم المسلمون عليها وينزعونها منهم فكان ذلك بعده صلى الله
عليه وسلم عاما على القراءة المشهورة بضم الغين وسيغلبون بفتحها فوقع
ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم كما هو مبين في التفاسير والاخبار وما
في جلبه طول فلو كان كما قالوا اي الذين عدوا وجه اعجازه الاخبار بما
يكون لما زعموا اي الكفار لخاصموه او طلبوا وقوع المتوقع اي حصول الامور
المتاخر حصولها عند زمن المصطفى مع انهم لم يطلبوا ذلك وبان الاخبار
عن الغيب جاء في بعض سور القران لا في كلها فلو كان معجزا لطلب
منهم ان ياتوا بما يشتمل على الاخبار ليصح معارضته والحال انه لم يطلب
ذلك بل اكتفى منهم بمعارضة سورة غير معينة بل اي سورة فلو
كان كذلك لعارضوه بقدر اقصر سورة غير معينة بل اي سورة
فلو كان كذلك لعارضوه بقدر اقصر سورة لا غيب فيها ولم
يقع ذلك فلا يصلح جعل اخباره بالغيوب وجه اعجازه والسادس
ان وجه اعجازه هو كونه جامعا لعلوم كثيرة كبيان علوم الشرائع
والتنبيه على الحجج العقليات والرد على الفرق الضالة ببراهين قوية
بينة سهلة الالفاظ موجزة كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض
الاية قل يحييها الذي انشاها اول مرة لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
الى ما حواه من علوم السير والحكم واخبار الاخرة ومحاسن الاداب
قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء ومنها علم النجوم كقوله تعالى
لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر والطب وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
والمعارف الجزئية كقصة يوسف اذ لا يعرفها الا من شاهدها وغير
ذلك لم يتعاط العرب الكلام فيها عامتهم ولا الخاصي ولا محمد صلى الله
عليه وسلم قبل نبوته ولا يحيط بها من علماء الامم السالفة كالحكماء
والاحبار واحد منهم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم اي لم يدون
قبله حتى يقال اخذ علمه منها بين الله فيه اي القران خبر الاولين
والاخرين وحكم المتخلفين عن امره ونهيه او الذين تخلفوا عن
الجماعة مع نبيه او عن الايمان وتعللوا بعلل باطل فبين لهم بطلان
عللهم وفضحهم باظهاره وثواب المطيعين وعقاب العاصين
فهذه ستة اوجه يصح ان يكون كل واحد منها اعجازا الا ان
الاعجاز انما حصل بجملتها بل كل واحد حصل به اعجازهم عن معارضته
فاذا بحيث جمعها القران فليس اختصاص احدها بان يكون
معجزا اولى من غيره فيكون الاعجاز بجميعها وان بعضها اقوى
من غيره في الاعجاز وقد قال تعالى دليل سمعي على عجزهم عن
معارضته قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل
هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا
فلم يقدر احد ان ياتي بمثل القران في زمن رسول الله صلى الله

عليه وسلم ولا بعده الي يومنا هذا بل الي يوم الدين مع انه لا يكاد يعد
من سعي في تغييره من الملحدة والمعطلة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم
فما قدروا علي اطفا شي من نوره ولا تغيير كلمة منه ولا تشكيك المسلمين
في حرف من حروفه ولله الحمد علي نظمه اي نظامه البديع المعجز وتاليفه
كما يولف البنا شيا بعد شي حتي يتم ويكمل في غاية الاحكام وعذوبة
منطقه وصحة معانيه وما فيه من الامثال الكثيرة المقررة للامثال له
لتنزيل المعقول منزلة المحسوس قال البيضاوي ولامر ما اكثر الله تعالي
والانبيا والحكما في كلامهم من الامثال ولكثرة اشتماله علي الامثال
جعله صلي الله عليه وسلم عين المثل مبالغة فقال ان الله انزل القران
امرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نباكم وخبر ما كان
قبلكم ونبا ما بعدكم الحديث رواه الترمذي والاشيا التي دلت علي
البعث وايامه والانبا الاخبار بما كان ويكون وما فيه من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدما وما
فيه من وصلة الارحام الي غير ذلك فكيف يقدر علي ذلك
احد وقد عجزت عنه العرب الفصحا فعجز غيرهم اولي اذ عجز امرا
الكلام مع توفر الاسباب فيهم ان من انتفت عنه تلك الاسباب اولي
والخطبا والبلغا هو ايتم مما قبله اذ قد يكون بليغا عارفا بمواقع
الكلام لكنه ليس معتنيا بتاليف الخطب والمراسلات ونحوها والشعرا
والفهما هو قريب مما قبله في قريشه وغيرها من المتصفين بذلك
وهو صلي الله عليه وسلم في مدة ما عرفوه قبل نبوته واداء
رسالته اربعين سنة لا يحسن نظم كتاب اي تاليفه متناسب
الكلمات لفظا ومعني ولا عقد حساب اي ولا اصلاحا تستعمله الناس
في معرفة الامور التي يديرونها فيه انفسهم ويعرفون بها اصول ما يرد
عليهم من الوقايع كذا قال شيخنا ولا تعلم سحرا ولا ينشد نثرا
شعرا لغيره فضلا عن انشائه ولا حفظ خبرا ولا يروي اثرا
حتي اكرمه الله بالوحي المنزل والكتاب المفصل المبين ما فيه
من الفوايد الجليلة كالعقايد الحقة والاحكام الشرعية والمواعظ
والامثال والاخبار الصادقة والمجعول سورا والمنزل نجما نجما والمفرق
بين الحق والباطل فدعاهم اليه وحاجهم به قال الله تعالي قل
لو شا الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اعلمكم به ولا نافية عطف علي
ما قبله وفي قراءة بلام جواب لو اي لاعلمكم به علي لسان غيري فقد لبثت
فيكم عمرا سنين اربعين من قبله لا احدثكم بشي افلا تعقلون
انه ليس من قبلي وشهد له في كتابه بذلك فقال تعالي وما
كنت تتلو من قبله اي القران من قبله لا احدثكم بشي افلا
تعقلون انه ليس من قبلي وشهد له في كتابه بذلك فقال تعالي

وما كنت تتلوا من قبله اي القران من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا
اي لو كنت قاريا كاتبا لارتاب المبطلون اي اليهود فيك وقالوا
الذي في التوراة انه امي لا يقرا ولا يكتب ثم ذكر تتميم ما مر ان القران
معجز بلا شك فقال واما عدا القران بالنصب لانه تقدمه ما من
معجزاته عليه السلام بيان لما كنبع الما من بين اصابعه وتكثير
الطعام ببركته وانشقاق القمر ونطق الجماد وياتي تفصيلها
ففيه تفصيل فمنه ما وقع التحدي به ومنه ما وقع دالا علي صدقه
من غير سبق تحدي بناء علي ان المراد بالتحدي طلب المعارضة اما اذا اريد
مجرد الاقتران بدعوي النبوة فكلها مسبوقة بالتحدي واما ما قبل
البعثة فهو ارهاص لا معجزة علي المعتمد كما مر ومجموع اي جملة ذلك
المذكور مما وقع التحدي به وما لم يقع يفيد القطع اي الجزم اي العلم
الضروري بانه ظهر علي يديه صلي الله عليه وسلم من خوارق
العادات شي كثير ويسمي ذلك التواتر المعنوي كما يقطع بوجود
جود حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي المشهور اخباره في الجود اسلم
ابنه عدي سنة تسع وقيل سنة عشر وكان جوادا كابيه وسال النبي صلي
الله عليه وسلم عن امور تتعلق بالصيد كما في الصحيحين واخرج احمد عن
عدي بن حاتم قال قلت يا رسول الله ان ابي كان يصل الرحم ويفعل كذا
وكذا فقال ان اباك اراد امرا فادركه يعني الذكر وروي وكيع في الغرر
عن محرز مولي ابي هريرة قال مر نفر بقبر حاتم فركض بعضهم قبره
برجله اقرنا وجنهم الليل فناموا فقام صاحب القول فزعا فقال ان حاتما
اتاني في النوم وانشدني شعرا حفظته يقول فيه

اتيت بصحبك تبغي القري • لدي حفرة لحب هامها
تبغي لي الذم عند المبيت • وحولك طي وانعامها
فانا سنشبع اضيافنا • وتاتي المطي فنعتامها

فقاموا فاذا ناقة صاحب القول عقيرا فنحروها وباتوا ياكلون وقالوا
قرانا حاتم حيا وميتا واردفوا صاحبهم فلما نبع النهار اذا رجل راكب بعيرا
يقود اخر فقال انا عدي بن حاتم ان حاتما اتاني في النوم فزعم انه قرا لكم
ناقة احدكم وامرني ان احمله فشانكم البعير فدفعه اليهم وانصرف وشجاعة
علي امير المومنين وزهد الحسن البصري وحلم الاحنف لاتفاق الاخبار
الواردة عنهم علي كرم هذا وشجاعة هذا وزهد هذا وحلم هذا وان
كان افراد ذلك ظنية اي كل واحد منها ظني لا يوجب العلم ولا يقطع
بصحته لكونها وردت موارد الاحاد لكنها تفيد التواتر المعنوي
الحاصل من مجموعها كالكرم والشجاعة لاتفاقها علي معني واحد مع كثرتها
وان كان كل واحد يصف جزئيته مع ان كثيرا من المعجزات النبوية
قد اشتهر بحيث صار يفيد القطع بانفراده ويسميه المحدثون مشهورا

ومستفيضا ورواه العدد الكثير والجم الغفير وافاد الكثير منه
القطع عند اهل العلم بالآثار الاحاديث والعناية الاهتمام
بالسير جمع سيرة وهي اخبار المغازي والاخبار كنبع الماء من بين
الاصابع وتكثير الطعام وان لم يحصل عند غيرهم الي هذه المرتبة
لعدم عنايتهم اهتمامهم بذلك فبالنسبة لهم لا يفيد القطع بخلاف
اوليك قال عياض ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند
غيره فان اكثر الناس يعلمون بالخبر وجود بغداد وانها مدينة عظيمة
دار الامامة والخلافة واحاد لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا
يعلم الفقها من اصحاب مالك بالضرورة ان مذهبه ايجاب الفاتحة في الصلاة
للمنفرد والامام واجزا النية اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي
يري تجديدها كل ليلة والاقتصار على مسح بعض الراس وان مذهبهما
القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضو واشتراط الولي
في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسايل وغيرهم ممن لا يشتغل
بمذاهبهم لا يعرف هذا فضلا عما سواه فلو ادعي مدع ان غالب هذه
الوقايع مفيد للقطع النظري المحصل للعلم الضروري لما كان مستبعد
تفريع على قوله وافاد الكثير منه الي اخره وذلك اي وجه عدم الاستبعاد
لانه بالفتح اي لانه لا مرية ان رواة الاخبار في كل طبقة قد حدثوا
بهذه الاخبار في الجملة ولا يحفظ عن احد من اصحابه مخالفة
الراوي فيما حكاه من ذلك من الايات ولا الانكار عليه فيما هنالك
فيكون الساكت منهم كالناطق لان السكوت في محل اقرار لان مجمو
عهم محفوظ عن الاغضا بغين وضاد معجمتين التغافل عن وفي
نسخة على بمعنى عن اذ انما يعدي بعن الباطل سمعوه ولم ينكروه اذ
ليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم من الانكار وعلي تقدير ان يوجد
من بعضهم انكار او طعن على بعض من روي شيا من ذلك فانما
هو من جهة توقف في صدق الراوي لا في المروي نفسه او تهمته
بكذب او توقف في ضبطه او نسبته الي سو الحفظ او جواز
الغلط عليه لعدم اتقانه ولا يلزم من ضعف السند ضعف المتن ولذا
قال ولا يوجد احد منهم طعن في المروي نفسه كما وجد منهم في
غير هذا الفن من الاحكام كما وقع بين عمر وابن عباس من انكاره
عليه المتعة نكاح المتعة وحروف القران اي قراآته المتعددة اذ كل وجه
من القراة يطلق عليه حرف كما صح ان عمر انكر على هشام بن حكيم قراة قراها
في سورة الفرقان لم يسمعها فجا به الي النبي صلى الله عليه وسلم وقال سمعته
يقرا بغير ما اقراتنيه فقال اقرا يا هشام فقرا فقال هكذا انزلت ثم
قال اقرا يا عمر فقرا فقال هكذا انزلت ان هذا القران انزل على سبعة احرف
فاقروا ما تيسر منه وامثال هذا كثير ونحو ذلك مما يتوقف على النقل

ولا ينال بالراي والله اعلم وانت اذا تاملت معجزاته وباهر [illegible]
اياته من اضافة الصفة للموصوف وكراماته عليه السلام وجدتها شاملة
للعلوي والسافل والصامت والناطق والساكن والمتحرك والمايع والجامد
والسابق علي وجوده اكراما له ويسمي ارهاصا واللاحق والغايب والحاضر
والباطن والظاهر والعاجل والاجل الي غير ذلك مما لو اعيد كذا في
النسخ والاولي مما لو عد لطال اذ الاعادة ذكر الشي مرة بعد اخري وليس
ذلك المراد هنا بل المراد لو شرع في عدها لعجز عن استيعاب افرادها
وضبطها كالرمي بالشهب جمع شهاب كالكواكب الثواقب التي تثقب مسترق
السمع او تخرقه او تخبله ومنع الشياطين من استراق السمع في الغياهب
جمع غيهب وهو الظلمة وتسليم الحجر والشجر عليه وشهادتها بالرسالة
بين يديه ومخاطبتها له بالشهادة وحنين الجذع لفراقه ونبع
الما من كفه في الميضاة بكسر الميم والقصر وقد يمد المطهرة وزنها
مفعلة ومفعال وميمها زايدة لبيس منها والنور بفوقية مجرور
بالعطف انا معروف والمزادة بفتح الميم شطر الراوية والعباس كسرها
لانها التي يستقي بها الما وجمعها مزايد وربما قيل مزاد بغير ها كما في المصباح
وانشقاق القمر ورد العين من العور بل وبعد السقوط ونطق
البعير والذيب والجمل ويأتي بيان ذلك كله والنور المتوارث من
ادم الي جبهة ابيه عبد الله في الازل وما سوي ذلك من المعجزات
التي تداولتها الحملة للاخبار ونقلتها عن السنة الاول اي المتقدمين
النقلة المتاخرون في نقضا بنقلهم مما لو علمنا انفسنا في حصرها لفني
المد اي الغاية في ذكرها اي لانتهي العمر وفرغ في عدها ولم نحط بها
ولو بالغ الاولون والاخرون في احصا اي عد مناقبه لعجزوا عن
استقصا ما حباه بموحدة اعطاه بلا عوض الكريم سبحانه به من
مواهبه ولكان الملم النازل بساحة كرمها مقصرا اي عاجزا عن
حصر بعض مجزها مباهاتها ولقد صح لمحبيه امكنهم ان يقولوا قولا
يقبل منهم ولا يكذبون فيه كان ينشدوا فيه قول ابن الفارض وعلي تفنن
تنوع واصفيه اي اتيانهم بانواع كثيرة لنعته يفني بتقضي الزمان
وفيه ما لم يوصف اصاف كثيرة ما عبروا علي شي منها حتي يذكروه
وانه لخليق جدير وحقيق بمن ينشد فيه قول الخنسا التي شهد لها
النابغة الذبياني بانها اشعر الناس وانها سمعت وصحبت فما بلغت
كف امري متناولا من المجد الا والذي نال اطول اجل واعظم ولا بلغ المهدون
في القول مدحه ولو حذفوا بفتح الذال وكسرها من بابي ضرب وتعب
مهروا وعلموا غوامض المدح ودقايقه الا الوصف الذي هو فيه افضل
اتم واكمل من اوصافهم التي ذكروها ذكر عبد العظيم بن ابي الاصبع في كتابه
الاشعار الرايقة ان الاخطل وفد علي معاوية يمتدحه فقال له ان كنت

شبهتني بالحية والاسد والصقر فلا حاجة لي به وان قلت كما قالت الخنسا فهات
قال وما قالت فانشده هذين البيتين فقال الاخطل والله لقد احسنت ولقد
قلت فيك بيتين ماهما بدون ما سمعت وانشد

اذا مت مات الجود وانقطع الغنا ... فلم يبق الا من قليل مصرد
وردت اكف الراغبين وامسكوا ... عن الدين والدنيا بخلق مجرد

فقال لحاك الله زدت على ان نعيت الي نفسي ولم يتعلق للمراة بغبار
ولله در امام العارفين سيدي محمد وفا ملغزكي وشفي بقوله بما
شئت من الصفات المتناهية في الكمال قل ها فيه صفة بها ولا تخش
من ذكرها فانت مصدق في كل ما تقوله فيه فالحب الذي اودعه الله في
قلوب العارفين يقضي يحكم بذلك والمحاسن الظاهرة التي لا تخفي على احد
تشهد بحقيقة ما وصفته به ولقد ابدع اتي بامر بديع لم يسبق اليه الامام
الاديب شرف الدين الابوصيري صوابه البوصيري لانه منسوب الي
بوصير كما مر كثيرا حيث قال دع اترك ما ادعته النصارى جمع نصران
كسكارى جمع سكران او نسبة الي قرية تسمى ناصرة وقيل انها قرية المسيح
والياء في نصراني للمبالغة سموا نصارى لنصرهم عيسى في نبيهم كقولهم
ابن الله وثالث ثلاثة لنهي نبينا صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك بقوله
لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله
وبعد ذلك واحكم اقصد بما شئت مدحا ثناحسنا واحتكم احتكم اي
خاصم في اثبات فضايله من شئت من الخصما وانسب اعز الي ذاته
حقيقة بما شئت من شرف عز وانسب الي قدره مبلغه ما شئت
من عظم تعظيم ورفعة قدر وحدق للقول سعة فان فضل رسول الله
ليس له حد غاية يوقف عندها فيعرب يبين منصوب بان مضمرة وجوبا
بعد فا السببية في جواب النفي عنه متعلق بيعرب ناطق فاعل بفم
متعلق بناطق على تقدير مضاف اي بلسان فم اذ اوصافه لا تحصى وفضايله
لا تستقصي يعني ان المداح وان انتهوا الي اقصى الغايات والنهايات
لا يصلون الي شاوه بفتح الشين المعجمة وسكون الهمزة وبالواو
والهاء غايته وامده اذ لا حد له حتى يصلوا اليه وحكي ان راي
الشيخ شرف الدين ابو القاسم عمر بن علي الفارض كان يكتب فروض
النسا بن مرشد السعدي نسبة الي بني سعد قبيلة حليمة الحموي الاصل
المصري ولد بها بالقاهرة وتوفي القعدة سنة ست وسبعين وخمسماية
وترجمه الرشيد العطار في معجمه فقال الشيخ الفاضل الاديب حسن
النظم متوقد الخاطر كان يسلك طريق التصوف وينتحل مذهب الشافعي
واقام بمكة مدة وصحب جماعة من المشايخ وترجمه ايضا المنذري وغيره
مات في ثالث جمادى الاولى سنة اثنين وثلاثين وستماية في النوم
فقيل له لم لا مدحت النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الصراحة

والا فباطن كلامه مدح له كذا قال بعض وقال اخر يعتقد بعض العوام
ان باطن كلامه مدح للنبي صلى الله عليه وسلم وغالب كلامه لا يصح ان
يراد به ذلك فقال اي كلا مدح اي مادح في النبي او هو باق على
مصدريته ويجوز في اسناده مقصر اليه وان بالغ المثني عليه
واكثر بالغ الاطلاق في المبالغة في الثنا عليه اذ الله اثني بالذي
هو اهله عليه بنحو قوله وانك لعلى خلق عظيم فما مقدار ما يمدح
الورى الخلق قال الشيخ بدر الدين الزركشي وقد رام كم
يتعاطى فحول الشعرا المتقدمين نعت للشعرا كابي تمام حبيب
ابن اوس الطائي المشهور صاحب الحماسة قال ابن خلكان اصله من قرية
جاسم قرب طبرية وكان بجامع دمشق يسقي الما ثم جالس الادبا واخذ عنهم
حتى قال الشعر فجاد وشاع ذكره وسار وبلغ المعتصم خبره فحمله اليه
تقدم ببغداد فجالس الادبا وجالس العلما وتقدم على شعرا وقته مات
بالموصل سنة ثمان وعشرين ومايتين وقيل بعد ذلك والبحتري بضم
الموحدة وسكون الموحدة الحا المهملة وضم الفوقية ابو عبادة الوليد
ابن عبيد الشاعر المشهور نسبة الي بحتر بن عتود الطائي كما في التبصير
وابو العباس علي بن الرومي مدحه صلى الله عليه وسلم
وكان مدحه عندكم من اصعب ما يحاولونه فاني المعاني
التي يتصورونها مادحه له دون مرتبته اي حقيقة صفاته
الحميدة فان وصفوه بها قصروا عن حقه والاوصاف دون وصفه
وكل غلو اي كل وصف تجاوز قايله فيه الحد المتعارف بين الناس او
بمهملة اي ارتفاع في الوصف زائد على العادة في حقه تقصير
قليل بالنسبة لمقامه فيضيق على البليغ مجال النظم بجيم
وجيم اي المحل الذي يجول فكره فيه لياخذ المعاني التي يستحسنها
وتليق عنده وعند التحقيق اذا اعتبرت جميع الامداح التي
فيها غلو بمعجمة ومهملة بالنسبة الي من فرضت له وجدتها
صادق في حق النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الشعرا
اذا حاولوا الثنا على احد بالكمال الصفات وصفوه ببعض اوصاف وصفات
المصطفى المكين نعوتها للممدوح وكانهم على صفاته يعتمد وان
لا نهاية طاقتهم والي مدحه كانوا يقصدون وقد اشار
الابوصيري بقوله دع ما ادعته النصارى في نبيهم
ومنه اخذ الحلي قوله في بديعيته

دع ما تقول النصارى في نبيهم ... من التغالي وقل ما شئت واحتكم

الي ما اطرت النصارى به عيسى بن مريم من اتخاذه الها
كما قال تعالى أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال
سبحانك قال النيسابوري انهم صحفوا في الانجيل عيسى نبيي

بنون قبلها موحدة وانا ولدته بالتثقيل خففت ولادته من مريم بلا
اب وخففوا اللام في الثاني فلعنة الله على الكافرين
المحرفون للكلم عن مواضعه فان قلت هل ادعى احد في نبينا
عليه السلام ما ادعي في عيسى اجيب بانعم قد كادوا
قاربوا ان يفعلوا نحو ذلك وما فعلوا حين قالوا له عليه السلام
في قصة سجود الاشجار له والجمل والغنم اوله الهمزة داخلة على محذوف
اي نترك تعظيمك فلا نسجد لك ام نعظمك فنسجد فنحن احق بالسجود
من الغنم وغيرها فقال لو كنت امرا احدا ان يسجد لبشر
لامرت المراة ان تسجد لزوجها لما له عليها من الحق فنهاهم عما
اي امر عساه يبلغ بهم من العادة التي يتجاوزبها الحد
على تصيير والغرة او فسقة معتقدين انه حق وهو باطل على نحو
قوله الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا نعم روى ابن ماجة وابن حبان عن ابن ابي اوفى قال لما قدم
معاذ بن جبل من الشام سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا
قال يا رسول الله قدمت الشام فرايتهم يسجدون لبطارقتهم واساقفتهم
فاردت ان افعل ذلك بك قال لا تفعل فاني لو امرت شيئا ان يسجد لشيء
لامرت المراة ان تسجد لزوجها والذي نفسي بيده لا تؤدي المراة حق
ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سالها نفسها وهي على قتب لم تمنعه
وجا في صفته صلى الله عليه وسلم في حديث هند بن ابي هالة
وصافه ولا يقبل الثنا الا من مكافئ بالهمز اي من متقارب في
مدحه غير مفرط فيه وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الدينوري معناه الا ان يكون ممن له عليه الصلاة والسلام
منة سبقت له فيكافيه الاخر فيقبله لسبق منته عليه وغلطه
ابن الانباري بالفتح نسبة الى الانبار بالعراق بانه لا ينفك احد
من انعام رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله بعثه رحمة
للعالمين فما من احد الا وله عليه منة فالثنا عليه فرض عليهم
لا يتم الاسلام الا به لوجوب شكر المنعم قال وانما المعنى لانه
يقبل الثنا الا من رجل وصف طردي والمراد حقيقة انسان
عرف حقيقة اسلامه واجيب عن هذا التغليط بان القرينة قائمة
على ان المراد نعمة خاصة وقد صرح في بعض الروايات بقوله
الا عن يد ثم للترتيب في الذكر او للتراخي حاصل معجزاته وحاصل
ما هو غالب اياته من اضافة الصفة للموصوف وحاصل كراماته
فيهما بالجر عطف على معجزاته كما نبه عليه القطب قطب الدين
ابو بكر محمد بن احمد بن علي القسطلاني المصري المولود بها سنة اربع
عشرة وستمائة وجمع بين العلم والعمل والتي في الحديث والتصوف وتاريخ

مصر

مصر ومات في محرم سنة ست وثمانين وستمائة نسبة الى قسطلينة
من اقليم افريقية كما قاله هو رحمه الله في تاريخ مصر ولم يضبطه وقال
القطب الحلبي كان منسوب الى قسطلينة بضم القاف من اعمال
افريقية بالمغرب وقال غيره بفتح القاف وشد اللام يرجع الى
ثلاثة اقسام ماض وجد قبل كونه اي وجوده فقضى
بجلاله حكم بشرفه وسيادته وعزه بمعنى انهم اعتقدوا ذلك حتى
سمى جماعة ابناءهم محمدا رجاء ان يكون هو والله اعلم حيث يجعل
رسالاته ومستقبل وقع بعد موته وحال في مدته اي بعد موته
وكائن معه من حين حمله ووضعه الى ان نقله الله الى محل
فضله وموطن جمعه المكان الذي يجمع فيه الخلايق لكن عده ما تقدم
وجوده من المعجزات وكذا ما قارن حمله الى نبوته مبني على ان
المعجزة لا يشترط اقترانها بالتحدي والراجح كما مر بانه خلافه ولا
ان ذلك لا يرد عليه لانه جعل مجموع الايات والمعجزات والكرامات منقسما
الى ثلاثة اقسام ولا يلزم من انقسام المجموع وجود كل فرد منه في الاقسام
الثلاثة فاما القسم الماضي وهو ما كان قبل ظهوره الى هذا
الوجود فقد ذكرت منه جملة في المقصد الاول كقصة الفيل
وغير ذلك مما هو تاسيس اي اتخاذ اصل لنبوته يدل عليها
اذا ادعاها وارهاص لرسالته من ارهصت الحائط جعلت له اصلا
فهما متحدان والمراد ان الخوارق التي ظهرت قبل وجوده او في زمنه
قبل بعثته مقدمات لتصديقه في دعوى النبوة لانها حققت عنده
شرفه وامانته قال الامام فخر الدين الرازي ومذهبنا معاشر
اهل السنة انه يجوز تقديم المعجزة تاسيسا وارهاصا قال
ولذلك قالوا اي رواته كانت الغمامة السحابة تظله يعني
في سفره قبل النبوة كما وردت في اخبار صحاح وزعم انها لم تصح
عند المحدثين باطل كما قاله الزركشي خلافا للمعتزلة القائلين
بانه لا يجوز ان تكون المعجزة قبل الارسال وقد تقدم اول
هذا المقصد ونقله عن المقصد الاول ان الذي عليه جمهور ائمة الاصول
وغيرهم ان هذا ونحوه مما هو متقدم على الدعوى للنبوة
لا يسمى معجزة لفقد شرط التحدي الذي هو دعوى الرسالة بل
تاسيسا للرسالة وكرامة للرسول عليه الصلاة والسلام
والانبيا قبل النبوة لا يقصرون عن درجة الولاية واما القسم
الثاني وهو ما وقع بعده فانه صلى الله عليه وسلم فكثير
جدا اذ في كل حين يقع للخواص امته من خوارق العادات
بسببه مما يدل على تعظيم قدره الكريم ما لا يحصى كالاستغاثة
به في الملمات وغير ذلك كالتوسل به في نيل المرامات والاقسام

به علي رب البريات مما ياتي في المقصد الاخير في اثنا الكلام
علي زيارة قبره المنير فكرامات الاوليا كما نقل البا فهي من تتمة
معجزة النبي صلي الله عليه وسلم لانها تشهد للولي بالصدق المستلزم
لكمال دينه المستلزم لحقيقته المستلزم لصدق نبيه فيما اخبر به من
الرسالة فكانت الكرامة من جملة المعجزة بهذا الاعتبار واما القسم
الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته او وفاته فكالنور
اي مثل النور وقولهم مثل كذا كناية عن كذا ومثله وكانه قال فهو النور
وما اشبهه من الخوارق الذي خرج معه حتي استضا اي اضا
له قصور الشام واسواقها من اضاة ذلك النور وانتشاره حتي
رئيت له اعناق الابل ببصري بضم الموحدة وسكون المهملة وآخره الف
مقصور مدينة بين المدينة ودمشق وهي حوران وروي ابن سعد
مرفوعا رات امي حين وضعتني سطع منها نورا اضاله قصور بصري
وحكمة الاشارة الي ما يجي به من النور الذي اهتدي به الخلق
وتخصيص الشام اشارة الي ما خصه من نوره لانه اسري به اليها
وخصت بصري لانها اول ما دخله ذلك النور المحمدي اذ كانت اول ما
فتح من الشام او اشارة الي انه ينور البصاير ويحيي القلوب الميتة
علي ان ابن سعد قد روي عن ابن عباس وغيره ان آمنة قالت لما فصل
مني تعني النبي صلي الله عليه وسلم خرج معه نورا اضا له ما بين المشرق
والمغرب ومسح الطاير علي فوادامه حتي لم تجد الما وجعا
لولادته وعده من هذا القسم مع انه قبل الولادة لانه اراد بعينها
ما يعم منها نفسها او ما قاربها فدخل ما وجد زمن الحمل به والطواف
به في الافاق مشارق الارض ومغاربها وبحارها ليعرفوه باسمه
ونعته وصورته في جميع الارض كما في حديث رواه الخطيب الي غير
ذلك مما مر بعضه في المقصد الاول وكانشقاق القمر عند اقتراحه
اي طلبهم منه تعنتا عليه وتحكما واختبارا وانضمام الشجرتين
لما دعاهما اليه ليستتر بهما حين قضي حاجته وكاطعام الجيش
الكثير من النزر بنون وزاي اليسير صفة كاشفة اذ النزر
القليل العجايب اي الشدايد جمع عجيبة حتي كانها احاطت بجميع اجساد
الصحابة رضي الله عنهم وغير ذلك مما امده الله به من المعجزات
واكرمه به من خوارق العادات تاييدا بوحدة نبوية
لاقامة حجته وبمقصد الهداية بحجته طريقة الواضحة وتاييد
بموحدة لسياد تدعي كرامة جماعة من الناس سوا كانت من اتباعه
ام لا لان غير اتباعه وان انكروا رسالته عنادا واستكبارا لان
براهين رسالته قطعية لا تنكر فهم وان انكروها بالسنتهم فقلوبهم
تعترف لها قهرا عليهم كما قال تعالي فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين

بايات الله يجحدون وتشديدا بسين مهملة فقوية وتنبيها لمن ادكر
بعد امة جماعة من الزمان اي مدة طويلة اي لمن تذكر بعد غفلة عن
اتباع الحق مدة طويلة لاستغراقه في شهوات نفسه بما تستعمر بخرج
هذا الكتاب عن مقصود الاختصار اذ هو باب فسيح واسع
المجاز بجيم منيع ممتنع المنازل بالنون اي ما يراد حصوله
منه علي الوجه التام ممنوع لا يمكن الوصول اليه لكني انبه من ذلك علي
نبذه بضم النون يسيرة وافوه اعظم في اثنايها بجملة خطيرة
بمعجمة مهملة مرتفعة القدر والمنزلة فاقول وما توفيقي الا بالله
قدر بني علي ذلك وغيره من الطاعات الا بالله عليه توكلت واليه
انيب ارجع اقتباس لطيف اما معجزة انشقاق القمر اي اما
الدليل علي ثبوت المعجزة التي هي انشقاق القمر فقد قال الله تعالي
في كتابه العزيز اقتربت الساعة قربت ودنت القيامة وانشق
القمر بالفعل اية للمصطفي وقدم اقترابه الساعة عليها تخويفا
لمنكريه ذلك واثباتا له وتقريرا في نفوس المومنين لها اذ تنشق
السموات فالقاد علي ذلك القعال لما يريد كيف لا يقدر علي شق القمر
وقد روي ابن مردويه عن ابن مسعود قال الله تعالي اقتربت
الساعة وانشق القمر يقول كما انشقت القمر كذلك اقيم الساعة وقيل اقتربت
اخص من قرب فيدل علي المبالغة في القرب لان افتعل يدل علي اعمال
ومشقة في تحصيل الفعل مما يدل علي القرب بلا قيد والمعني صارت قريبة من
بعثته صلي الله عليه وسلم كما في حديث بعثت انا والساعة كهاتين واشار
باصبعيه الوسطي والسبابة لان التفاوت بينهما مقدار سبع وبعثته صلي
الله عليه وسلم في الالف السابعة علي المشهور عند المحدثين وغيرهم وانما
كانت الساعة قريبة لان عمر الدنيا سبعة الاف سنة وكسور علي المشهور
وقيل اكثر من ذلك وروي البيهقي في شعبه والديلمي عن ابن عباس رفعه
قال اقتربت تدعي في التوراة المبيضة تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه
والمراد وقوع انشقاقه بالفعل عند الجمهور فلقتين في زمن النبي
صلي الله عليه وسلم كما ياتي في الاحاديث لا الوعد به يوم القيامة كما قال
بعض اهل العلم من القدما وانه من التعبير بالماضي عن المستقبل كما قال
تعالي اتي امر الله اي سياتي ونكتة ذلك ارادة المبالغة في تحقق وقوع
ذلك فنزل منزلة الواقع وما ذهب اليه الجمهور اصح كما قال الحافظ وغيره ويويده
قوله تعالي بعد ذلك يتلوه وان يروا اي كفار قريش اية اي معجزة له
صلي الله عليه وسلم يعرضوا ويقولوا هذا سحر مستمر قوي من المرة
وهي القوة او دايم مطرد فيدل علي انهم راوا قبله ايات اخري مترادفة
ومعجزات متتابعة حتي قالوا ذلك او مستبشع من استمر اذا اشتدت
مرارته او مار ذاهب لا يبقي فان ذلك ظاهر في ان المراد بقوله انشق

وقوع انشقاقه لان الكفار لا يقولون ذلك اي سحر مستمر فيما ظهر على
يد النبي من الايات يوم القيامة لظهور الامر وانضاحه فاذا تبين
ان قولهم ذلك انما هو في الدنيا تبين وقوع الانشقاق بالفعل
وانه المراد بالاية التي زعموا انها سحر وسياتي ذلك صريحا في حديث
ابن مسعود وغيره كحذيفة وجبير بن مطعم وابن عباس وفي الدلايل
لابي نعيم عن ابن عباس انشق القمر ليلة اربعة عشر نصفا على الصفا
ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ويؤيده كما في البيضاوي
انه قرئ وقد انشق القمر اي وقد حصل من ايات اقتراب الساعة انشقاق
القمر وقال الحليمي من الناس من يقول المراد سينشق فان كان كذلك
فقد وقع في عصرنا فشاهدت الهلال ببخارى في الليلة الثالثة منشقا
نصفين عرض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة اربع او خمس ثم اتصلا
فصار في شكل اترجة الى ان غاب واخبرني بعض من اثق به انه
شاهد ذلك ليلة اخرى نقله البيهقي قال الحافظ ولقد عجبت من البيهقي
كيف اقره مع ايراده حديث ابن مسعود المصرح بان المراد بقوله تعالى
وانشق القمر ان ذلك وقع في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانه ساقه
هكذا عن ابن مسعود في هذه الاية قال انشق على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم ساق حديث ابن مسعود لقد مضت اية الدخان والروم
والبطشة وانشقاق القمر انتهى واعلم ان القمر لم ينشق لغير نبينا
صلى الله عليه وسلم لما طلب الكفار اية واخرج عبد بن حميد وابن مردويه
والحاكم وصححه والبيهقي في الدلايل عن ابن مسعود قال رايت القمر
منشقا شقتين مرتين بمكة قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم شقة
على ابي قبيس وشقة على السويدا [illegible] والمراد بمخرجه هجرته الى
المدينة كما في رواية عبد الرزاق لا بعثته وهو من امهات معجزاته
عليه الصلاة والسلام اي معجزاته التي كالامهات لغيرها مما دونها
وقد اجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه لاجله صلى الله عليه
وسلم حكاه القاضي عياض مويدا له بان الله اخبر بوقوعه بلفظ الماضي
واعراض الكفرة عن اياته واعترض بان الحسن البصري قال المراد سينشق نقله
عنه القشيري وابو الليث ولعله لم يصح عنه او شذ به عن السلف فلا يعتد
به في خرق اجماعهم فان كفار قريش لما كذبوه ولم يصدقوه اي استمروا
على تكذيبه فلم يرجعوا عما هم فيه من الغي والضلال بل ازدادوا طغيانا طلبوا
منه اية هي انشقاق القمر كما بين ان الوليد ومن معه قالوا للنبي صلى
الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر والاحاديث تفسر بعضها
وخير ما فسر به بالوارد فليس المراد مطلق اية تدل على صدقه في
دعواه جواب لما فاعطاه الله تعالى هذه الاية العظيمة التي لا قدرة
للبشر على ايجادها دلالة على صدقه عليه الصلاة والتسليم

في

في دعواه الوحدانية لله تعالى وانه منفرد بالربوبية وان هذه الالهة
بزعمهم التي يعبدونها باطلة لا تسمع ولا تنصر نفسها فضلا عن غيرها وان
العبادة انما تكون لله وحده لا شريك له قال الخطابي انشقاق القمر
اية عظيمة لا يكاد يعدلها شي من ايات الانبيا ولذا اختص بها سيدهم
وذلك انه ظهر في ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما في هذا العالم
المركب من الطبايع فليس مما يطمع في الوصول اليه بحيلة فلذلك صار
البرهان الدليل الواضح به اظهر من غيره انتهى وقال ابن عبد البر ابو عمر الذي
ساد اهل الزمان في الحفظ والاتقان قد روى هذا الحديث يعني حديث
انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة وروى ذلك عنهم امثالهم
من التابعين ثم نقله عنهم الجم الغفير المفيد للعلم الى ان انتهى وصل
الينا وتايد بالاية الكريمة فلم يبق لاستبعاد من استبعد وقوعه عذر
انتهى ما اراده من كلام ابن عبد البر وقال العلامة قاضي القضاة ابو نصر
عبد الوهاب بن الامام علي بن عبد الكافي بن تمام الانصاري السبكي ولد بمصر
سنة تسع وعشرين وسبعماية ولازم الاشتغال بالفنون على ابيه وغيره حتى
مهر وهو شاب وصنف كتبا نفيسة اشتهرت في حياته والى وهو في حدود
العشرين ومات سابع الحجة سنة احدى وسبعين وسبعماية في شرحه لمختصر
ابن الحاجب في الاصول والصحيح عندي ان انشقاق القمر متواتر
منصوص عليه في القران مروي في الصحيح وغيرهما من طرق من حديث
شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم الواسطي ثم البصري ثقة حافظ
متقن كان الثوري يقول هو امير المومنين في الحديث وكان عابدا مات
سنة ستين ومائة عن سليمان بن مهران الاسدي الكاهلي الكوفي الاعمش
ثقة حافظ ورع مات سنة سبع او ثمان واربعين ومائة ومولده سنة احدى
وستين هكذا في نسخ وهي صحيحة وفي بعضها عن شعبة بن سليمان فصحف
النساخ عن بابن والحديث في الصحيحين عن شعبة وسفيان ابن
عيينة عن الاعمش وهو سليمان بن مهران بكسر الميم عن ابراهيم بن سويد
النخعي ثقة عن ابي معمر بفتح الميم وسكون العين عبد الله بن سخبرة بفتح
المهملة وسكون المعجمة وفتح الموحدة الازدي الكوفي ثقة من كبار التابعين
مات في امارة عبيد الله بن زياد قال الحافظ هو المحفوظ ووقع عند
ابن مردويه وابي نعيم عن ابراهيم عن علقمة والمحفوظ المشهور عن ابي
معمر عن ابن مسعود واخرجه مسلم من طريق اخرى عن شعبة عن
الاعمش عن مجاهد عن ابي معمر عن ابن مسعود فالله اعلم هل عند مجاهد
فيه اسنادان او قول من قال ابن عمر وهم من ابي معمر ثم قال وله طرق
اخرى شتى من حيث لا يمترى في تواتره انتهى وقد جات احاديث
الانشقاق في روايات صحيحة عن جماعة من الصحابة منهم انس
ابن مالك وابن مسعود عبد الله وابن عمر بن الخطاب وغيرهم فاما

انس وابن عباس فلم يحضر وذلك لانه اي الانشقاق كان بمكة قبل الهجرة
بنحو خمس سنين وكان ابن عباس اذ ذاك لم يولد اذ ولادته قبلها بثلاث
سنين بالشعب على الصحيح المحفوظ واما انس فكان ابن اربع او خمس
سنين بالمدينة فحديثهما مرسل صحابي واما غيرهما فيمكن ان يكون
شاهد ذلك فحدث عما شاهد ويمكن ان يكون حمله عن غيره والاظهر الاول
ففي الصحيحين من حديث انس رضي الله عنه ان اهل مكة اي كفارهم
قريش وتاتي رواية تسميتهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
يريهم اية معجزة تشهد لما ادعاه من نبوته فاراهم انشقاق القمر شقتين
حتى راوا حرا بكسر المهملة وراخفيفة مذكر مصروف على الصحيح وحكي فتح حايه
والقصر وتانيثه على ارادة البقعة فيمنع صرفه جبل بينه وبين مكة ثلاثة
اميال على يسار الذاهب الى منى بينهما اي بين الشقتين وقوله شقتين
بكسر الشين المعجمة اي نصفين كما ضبطه في الفتح والمصابيح واليونينية
والناصرية وضبطه في الفرع بفتح الشين مصححا عليه ذكره المصنف وفي
الصحيحين من حديث ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله
اي في زمنه وايامه فرقتين بكسر الفا وسكون الرا بمعنى قطعتين
والمراد نصفين وانتصابه على المصدرية من معنى انشق كقعد جلوسا
او بتقدير وافترق فرقتين فرقة بالنصب بدل فوق الجبل وفرقة
دونه اي في مقابلته منشقا منفصلا عنه لا تحته كما قيل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وقال الحافظ اي اضبطوا هذا القدر
بالمشاهدة والجبل حرا كما في الحديث قبله لكن روى عبد الرزاق والبيهقي
من طريقه عن ابن مسعود رايت القمر منشقا شقتين شقة على ابي
قبيس وشقة على السويدا والسويدا بالمد والتصغير ناحية خارج
مكة عندها جبل وقوله على ابي قبيس يحتمل انه راه كذلك وهو بمنى كان
يكون على مكان مرتفع بحيث راى طرف جبل ابي قبيس ويحتمل ان القمر
استمر منشقا حتى رجع ابن مسعود من منى الى مكة فراه كذلك وفيه
بعد والذي تقتضيه غالب الروايات ان الانشقاق كان قرب غروبه
ويؤيده اسنادهم الروية الى جهة الجبل ويحتمل ان الانشقاق وقع
اول طلوعه فان في بعض الروايات ان ذلك كان ليلة البدر والتعبير
بابي قبيس من تغيير بعض الرواة لان الغرض ثبوت روية منشقا
احدى الشقتين على جبل والاخرى على جبل اخر ولا يغاير ذلك قول
الراوي الاخر رايت الجبل بينهما اي بين الفرقتين لانه اذا ذهبت فرقة
عن يمين الجبل وفرقة عن يساره مثلا صدق انه بينهما واي جبل اخر
كان من جهة يمينه او يساره صدق انها عليه ايضا انتهى وفي
الترمذي من حديث ابن عمر بن الخطاب في قوله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم اي في زمنه ذكره ردا على من يقول سيكون يوم القيامة
انشق فلقتين باللام فلقة دون الجبل اي في مقابلته وفلقة خلف
الجبل اي فرقة كما في الحديث قبله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشهدوا وعلى نبوتي ومعجزتي ووقوع ما طلبوه لانهم اهل بهتان وجحد
هذا الظاهر السياق ويحتمل اشهدوا على ذلك لتخبروا به لانها ليلة
انت وقت غفلة وعند الامام احمد من حديث جبير بضم الجيم مصغر
ابن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصار فرقتين بالرا اي نصفين وصرح في هذه بنصب فرقتين فرقة على
هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فيه ما سبق قريبا عن الحافظ فقالوا
اي الكفار سحرنا محمد فقالوا وفي بعض طرق ابن مسعود فقال رجل
منهم ويقال انه ابو جهل فلموا فقتهم له غير جبير فقالوا ان كان سحرنا
محمد فانه لا يستطيع ان يسحر الناس وفي رواية مسروق عن ابن
مسعود فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان
كان سحر القمر فانه لا يبلغ سحره ان يسحر كلها فسلوا من ياتيكم من بلد اخر
هل راوه فاتوا فسالوا فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك رواه البيهقي في
الدلايل وعن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن ابي
كبشة بفتح الكاف واسكان الموحدة ومعجمة مفتوحة قيل احد اجداده
لامه قالوه عداوة وتحقيرا بنسبته الى غير نسبه المشهور لان عادة العرب
اذا انتقصت نسبت الى جد غامض وقيل هو ابوه من الرضاعة وقيل غير
ذلك كما مر في جدانه قال ابن مسعود فقالوا اي كفار قريش انظروا
ما ياتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم قال
فجا السفار فاخبروهم بذلك اي روية القمر منشقا رواه ابو داود
سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري الثقة الحافظ مات
سنة اربع ومايتين ورواه البيهقي عن ابن مسعود بلفظ انشق
القمر بمكة فقالوا سحركم ابن ابي كبشة فسلوا السفار فان كانوا
راوا ما رايتم فقد صدق فانه لا يستطيع ان يسحر الناس كلهم
وان لم يكونوا يروا ما رايتم فهو سحر فسالوا السفار وقدموا من
كل وجه فقالوا رايناه زاد في رواية فقال الكفار هذا سحر مستمر
وعند ابي نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني الحافظ في الدلايل النبوة
من وجه اسناده ضعيف عن ابن عباس قال اجتمع المشركون
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة المخزومي الكافر
الميت على كفره الذي انزل الله في ذمه ولا تطع كل حلاف مهين الايات
وذرني ومن خلقت وحيدا الايات وابو جهل فرعون هذه الامة
المقتول ببدر والعاصي بن وايل السهمي بن وايل احد المستهزيين

والاسود بن المطلب احدهم والنضر بن الحارث المقتول عقب بدر
ونظراوهم اشباههم في التقول في الكفر والعناد فقالوا للنبي صلى
الله عليه وسلم ان كنت صادقا في انك رسول الله فشق لنا القمر
فرقتين نصفين فسال ربه فانشق وفي رواية ابن الجوزي في الوفا
فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسال ربه ان يعطيه ما سالوا فانشق
القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا
وعند البخاري مختصرا من حديث ابن عباس بلفظ ان القمر انشق
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه عنه ابو نعيم وزاد
فلقتين قال ابن مسعود لقد رايت جبل حرا من بين فلقتي القمر وهذا يوافق
الرواية الاولى في ذكر حرا وابن عباس وان لم يشاهد القصة فانما
قدمته لانها كانت قبل ولادته ففي بعض طرقه انه حمل الحديث عن
ابن مسعود اي ما يشعر به كما عبر به الحافظ وهي رواية ابي نعيم
المذكورة من قول ابن عباس قال ابن مسعود لقد الخ وعند مسلم من
حديث سعد بفتح المهملة وكسر العين فيا فدال مهملة اخره ابن ابي عروبة
مهران اليشكري مولاهم احد الاعلام وما يوجد في غالب نسخ المصنف شعبة
مخالف للواقع فرواية شعبة لفظها فرقتين لم تختلف عليه رواية فيها
ولما في مسلم قال الذي فيه عن سعيد عن قتادة بن دعامة عن انس بلفظ
ان اهل مكة سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم
انشقاق القمر مرتين بدل قوله في الرواية الاولى شقتين وكذا في
مصنف عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن انس بلفظ مرتين
ايضا وكذا اخرجه الامامان احمد واسحق عن عبد الرزاق وكذا ورد من حديث
شيبان عن قتادة اشار له مسلم في الصحيح واتفق الشيخان ٥
البخاري ومسلم عليه من رواية شعبة عن قتادة عن انس بلفظ
فرقتين قال البيهقي فقد حفظ ثلاثة من اصحاب قتادة عنه مرتين يعني
سعيدا وشيبان ومعمرا قال الحافظ لكن اختلف عن كل منهم في هذه اللفظة
ولم يختلف على شعبة وهو احفظهم ولم يقع في شي من طرق حديث ابن مسعود
بلفظ مرتين انما فيه فرقتين او فلقتين بالرا واللام كما في حديث جبير
ابن مطعم فرقتين بالرا عند احمد وفي حديث ابن عمر فلقتين باللام
كما قدمته من رواية الترمذي وفي لفظ حديث جبير ابن مطعم فانشق
باثنتين اي بصيرورته ثنتين من الشق او البا زايدة وفي رواية
عن ابن عباس عند ابي نعيم في الدلايل فصار قمرين وفي لفظ
شقتين وعند الطبري من حديثه حتى راوا شقتيه ووقع في
نظم السيرة للحافظ ابي الفضل العراقي وانشق مرتين
بالاجماع فظاهره تعلق بالاجماع بقوله مرتين على ظاهر رواية مسلم
وغيره لكن قال الحافظ ابن حجر في الفتح ما ملخصه واظن قوله بالاجماع

يتعلق بانشق لا بمرتين فاني لا اعلم من جزم من علما الحديث بتعدد
الانشقاق في زمنه صلى الله عليه وسلم وعبارة الحافظ في الفتح
ووقع في نظم السيرة لشيخنا الحافظ ابي الفضل وانشق مرتين بالاجماع
ولا اعرف من جزم من علما الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه صلى الله عليه
وسلم ولم يتعرض لذلك احد من شراح الصحيحين وتكلم ابن القيم على هذه
الرواية فقال المرات يراد بها الافعال تارة ويراد بها الاعيان اخرى والاول
اكثر ومن الثاني انشق القمر مرتين وقد خفي هذا على بعض الناس فادعى
ان انشقاق القمر وقع مرتين وهذا مما يعلم اهل الحديث والسير انه غلط فانه
لم يقع الا مرة واحدة وقد وقع للعماد بن كثير في الرواية التي فيها مرتين
نظر ولعل قايلها اراد فرقتين قلت وهذا الذي لا يتجه غيره جمعا بين
الروايات ثم راجعت نظم شيخنا فوجدته يحتمل التاويل المذكور ولفظه

٥ فصار فرقتين فرقة علت ٥ وفرقة للطود منه نزلت ٥
٥ وذاك مرتين بالاجماع ٥ والنص والتواتر السماعي ٥

فجمع بين فرقتين ومرتين فيمكن ان يتعلق قوله بالاجماع باصل الانشقاق
لا بالتعدد مع ان في نقل الاجماع في نفس الانشقاق نظرا ياتي بيانه انتهى
ففي النظم جوابان اولهما تاويل مرتين بفرقتين ولا ينافيه الجمع بينهما لانه
اشارة للروايتين اي ان رواية مرتين محمولة على رواية فرقتين كما اشار
اليه ابن كثير ومراده بما ياتي ما حله المصنف بقوله وقد انكر الخ والجواب
انه اراد اجماع من يعتد به اما هولا فلا عبرة بهم بخلافهم وذكر الحافظ برهان
الدين الحلبي في النور انه كاتب شيخنا العراقي بكلام ابن القيم فلم يرد له جوابا
بالكلية ولعل قايل مرتين اراد به فلقتين كما قاله ابن كثير وهذا كما قال
الحافظ الذي لا يتجه غيره جمعا بين الروايات فانها اذا كثرت ودلت
على شي وخالفها رواية اخرى ترد اليها دفعا للتعارض على القاعدة
وقد وقع في رواية البخاري من حديث ابن مسعود انشق القمر
ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى وفي رواية مسلم بينما نحن
مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى اذا انفلق القمر وهذا لا يعارض قول
انس ان ذلك كان بمكة لانه اي انسا لم يصرح بانه عليه الصلاة
والسلام كان ليلتئذ بمكة فالمراد ان الانشقاق كان وهم بمكة
قبل ان يهاجروا الى المدينة والله اعلم زاد الحافظ وعلى تقدير
تصريحه فمنى من جملة مكة فلا تعارض وقد وقع عند ابن مردويه بيان
المراد فاخرج من وجه اخر عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمكة قبل ان نصير الى المدينة فوضح ان
مراده بذكر مكة الاشارة الى ان ذلك وقع قبل الهجرة ويجوز ان يقع ذلك وهم
ليلتئذ بمنى ثم قال والجمع بين قول ابن مسعود تارة بمنى وتارة بمكة
اما باعتبار التعدد ان ثبت واما بالحمل على انه كان بمنى ومن بها انه لا ينافي

من غير عكس ويؤيده ان الرواية التي
انه بمكة لا تنافي من كان بمنى كان بمكة من غير عكس ويؤيده ان الرواية التي
فيها بمنى قال فيها ونحن بمنى والتي فيها بمكة لم يقل فيها ونحن انما قال
انشق بمكة اي انه كان وهم بمكة قبل ان يهاجروا الى المدينة وبهذا يندفع دعوى
الداودي ان بين الخبرين تضاد انتهى وقال بعضهم الذي يتحرر في الجمع بين
روايات منى ومكة وان حرا كان بين الفلقتين وان احداهما كانت فوق الجبل
والاخرى دونه انه يقال انه تباعد ما بين الفلقتين جدا لتكون اظهر في دفع
الانكار فانه لو تقارب لقالوا انه من غلط الحس فلما اشهد هم صلى الله عليه وسلم
على ذلك اشار مرة الى فلقة منه وقال اشهد يا فلان ويا فلان ثم اراهم مرة
اخرى فلقة اخرى وقال اشهدوا وكل هذا كان ليلا بمكة والقمر في وسط السما
بحذا حرا وبحذا غيره من الجبال والاماكن البعيدة فلا تعدد في الشق ولا
تدافع بين الروايات ولا يطعن في شيء منها وهذا ان شا الله مما لا ينبغي العدول
عنه ذان القول بان المرات في الاعيان لا صحة لها لغة ولا استعمالا فلو قطع
انسان بطيخة قطعتين دفعة واحدة وقال قطعتها مرتين كذبه من سمعه
واستهزى به فعليك بالنظر الجديد وان تطرح من جبل فكره على التقليد وقد
انكر هذه المعجزة جماعة من المبتدعة كجمهور الفلاسفة متمسكين
بان الاجرام العلوية لا انتهيا لا يمكن فيها الانخراق والالتيام
وكذا قالوه في فتح ابواب السما ليلة الاسرا الى اي مع غير ذلك
من انكارهم ما يكون يوم القيامة من تكوير الشمس وغير ذلك وجواب
هولا ان كانوا كفارا ان يناظروا ولا على ثبوت دين الاسلام فاذا
تمت المناظرة وثبت عندهم دين الاسلام اشتركوا مع غيرهم ممن انكر ذلك
من المسلمين فيناظروا اثانيا باقامة الحجة على اثبات الانشقاق كما حكي
ان ابا بكر بن الطيب لما ارسله صاحب الدولة لملك الروم بقسطنطينية وانه
اجل علما الاسلام احضر بعض بطارقته فقال له تزعمون ان القمر انشق لنبيكم
فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال وهل بينكم وبين المائدة
اخوة ونسب اذ اراتموها ولم ترها اليهود واليونان والمجوس الذين انكروها
وهم في جواركم فافحم ولم يحرجوا باوالقصة طويلة في الشرح وسيى
سلم المسلم بعض ذلك دون بعض لزم التناقض ولا سبيل له
الى انكار ما ثبت في القران من الانخراق والالتيام في يوم القيامة
لانه كفر واذا ثبت هذا استلزم ايضا وقوع ذلك معجزة لنبي الله
صلى الله عليه وسلم ويرد عليه ان مجرد ثبوت ذلك في القيامة انما يستلزم
جوازه وقوعه والجواز لا يستلزم الوقوع والمناسب ان يقول استلزم جواز
ذلك معجزة كما عبر به الحافظ في الفتح وفي نسخة استلزم الجواز ووقوع ذلك
معجزة فيمكن ان يجاب على ثبوت الواو بان وقوع بالرفع مبتدا خبره
محذوف اي ووقوعه معجزة ثبتت بالقران فيجب قبوله وقد اجاب عن
ذلك القدما من العلما فقال الزجاج بفتح الزاي والتشديد نسبة

الى

الى خرط الزجاج ابو اسحاق ابراهيم بن السري الامام العلامة المتوفى سنة
احدى عشرة وثلثمائة وهو شيخ الزجاجي صاحب الجمل في معاني القران انكر
بعض المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة الكفار انشقاق القمر لاشي الله
بزعمهم الكاذب ولا انكار للعقل فيه لان القمر مخلوق لله ان يفعل فيه
ما يشا كما يكوره بنفخه ويذهب نوره يوم القيمة ويفنيه انتهى
واما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا النقل متواترا واشترك
اهل الارض كلهم في معرفته ولم يختص به اهل مكة لانه امر صدر
عن حسي امر محسوس بحاسة البصر ومشاهدة يشبه عطف التفسير
والناس فيه شركا والدواعي متوفرة على رواية نقل كل غريب
ونقل ما لم يعلم ولو كان لذلك اصل لخلد في كتب التفسير بعوقبة
فسنين مهملة فتحتية في راي المبينة والتنجيم اذ لا يجوز عقلا وعادة
اطباقهم على تركه واغفاله مع جلالة شانه ووضوح امره فاجاب
عنه الخطابي بان هذه القضية خرجت عن بقية الامور التي ذكروها
لانه شي طلبه خاص من الناس فوقع ليلا لان القمر لا سلطان له
بالنهار ومن شان الليل ان يكون الناس فيه نياما ومستكنين
في الابنية لا يرون القمر بل ولا السما والبارز منهم بالصحرا اذا كان يقظانا
يحتمل انه يتفق انه كان مشغولا في ذلك الوقت بما يلهيه من سمر حديث
الليل وغيره ومن المستبعد عقلا وعادة ان يقصدوا الى مراكز القمر
ناظرين اليه لا يغفلون عنه فقد جوز ان يقع ولم يشعر بها اكثر
الناس وانما قصدي لروية من اقترح وقوعه وقد يقع بالمشاهدة
في العادة ان ينكسف القمر وتبدو الكواكب العظام وغير ذلك في الليل ولا يشاهدها
الا الاحاد وكذلك في الانشقاق انه وقع في الليل لقوم سالوا واقترحوا
فلم يتاهب لها غيرهم كما في الفتح سالما بسطه في الشفا ولعل ذلك انما كان
في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر نزد على برهته قول ابن عباس
قدر ما بين العصر الى الليل كما برا لا ان يحمل على ان الانشقاق الواقع في
الابتدا كان بقدر ادراك البصر ثم اخذ في الالتيام فلم يتم وبقي حرا
بين الفلقتين ودام قدر ما بين العصر الى الليل وقد يكون القمر
حينئذ في بعض المنازل التي تظهر لبعض الافاق النوحي دون
بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم فقد يكون ليلة انشقاقه
بمكة دون غيرها فلو قال غيرهم لم تر انشقاقه تلك الليلة لم يكذبوا
وكما يجد الكسوف اهل بلد دون بلد اخرى وفي بعضها كلية
وفي بعضها جزئية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون علمها ذلك تقدير
العزيز العليم وقد ابدى الخطابي حكمة بالغة في كون المعجزات
النبوية لم يبلغ منها شي مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه كالقران
اي كتواتر القران ولفظ الفتح الا القران وكل صحيح بما حاصله

إن معجزة كل نبي إذا وقعت عامة أعقبت هلاك من كذب به من
قومه والنبي صلى الله عليه وسلم بعث رحمة للعالمين ولوكانا را
فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية فاختص به القوم الذين
بعث منهم لما أوتوه من فضل العقول وزيادة الأفهام ولو كان
إدراكها عاما لعوجل من كذب به كما عوجل من قبلهم انتهى زاد الحافظ
وذكر أبو نعيم في الدلائل نحو ما ذكره الخطابي وزاد ولا سيما إذا وقعت الآية
في كل بلدة كان عامة أهلها يومئذ الكفار الذين يعتقدون أنها سحر
ويجتهدون في إطفاء نور الله قلت وهو جيد بالنسبة إلى من سأل
عن الحكمة في قلة من نقل ذلك من الصحابة وأما من سأل عن السبب في
كون أهل التنجيم لم يذكروه فجوابه أنه لم ينقل عن أحد منهم أنه نفاه وهذا
كاف فإن الحجة فيمن أثبت لا فيمن لم يوجد عنه صريح النفي حتى إن كل من
وجد منه صريح النفي تقدم من وجد منه صريح الإثبات انتهى وكذا أجاب
ابن عبد البر بنحوه أي بنحو جواب الخطابي وقال قد يطلع على قوم قبل طلوعه
على آخرين وأيضا فإن زمن الانشقاق لم يطل ولم تتوفر الدواعي على
الاعتناء بالنظر إليه ومع ذلك فقد بعث أهل مكة إلى آفاق مكة يسألون
عن ذلك فجاءت السفار وأخبروا بأنهم عاينوا ذلك وذلك لأن المسافرين
في الليل غالبا يكونون في ضوء القمر ولا يخفى عليهم ذلك وقال القرطبي
إن الموانع من مشاهدة ذلك إذا لم يحصل القصد إليه غير منحصرة
ويحتمل أن الله صرف جميع أهل الأرض غير أهل مكة وما حولها عن الالتفات
إلى القمر في تلك الساعة ليختص بمشاهدته أهل مكة كما اختصوا
بمشاهدة أكثر الآيات ونقلوها إلى غيرهم قال الحافظ وفيه نظر
لأن أحدا لم ينقل أن أحدا من أهل الآفاق غير أهل مكة ذكروا أنهم
رصدوا القمر تلك الليلة المعينة فلم يشاهدوا انشقاق القمر فلو نقل
ذلك لكان الجواب الذي أبداه القرطبي جيدا ولكن لم ينقل عن أحد من
أهل الأرض شيء من ذلك والاقتصار حينئذ على جواب الخطابي ومن
وافقه أوضح تنبيه ما يذكره بعض القصاص أن القمر دخل
في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس
له أصل كما حكاه الشيخ بدر الدين الزركشي عن شيخه العماد
ابن كثير وسبقهما لذلك النووي في الفتاوى فإنه سئل عن رجلين
تنازعا في انشقاق القمر على عهده صلى الله عليه وسلم فقال
أحدهما انشق فرقتين دخلت إحداهما في كمه وخرجت من الكم
الآخر وقال الآخر بل نزل إلى بين يديه فرقتان ولم يدخل في
كمه فأجاب الاثنان مخطئان بل الصواب أنه انشق وهو في موضعه
من السماء وظهرت منه إحدى الشقتين فوق الجبل والأخرى دونه
هكذا ثبت في الصحيحين من رواية ابن مسعود رضي الله عنه انتهى

واما

وأما رد الشمس له صلى الله عليه وسلم قسيم قوله أما معجزة الواخره
تفصيلا لقوله وجدتها شاملة للعلوي ومن جملته القمر والشمس فروي
عن أسماء بنت عميس بمهملتين مصغر الخثعمية تزوجها جعفر بن
أبي طالب ثم أبو بكر ثم علي وولدت لهم وماتت بعد علي وهي أخت ميمونة
بنت الحارث أم المؤمنين لأمها ووزن أسماء فعلاء عند سيبويه وأصله
وسما من الوسامة أي الحسن فأبدلت الواو همزة وقيل أفعال جمع اسم
قال التلمساني والأول أولى أي لأن المسموع منع الصرف وإن جعله كذلك
يفيد أن سبب الأخذ حسنها وأعلى وأعله ابن تيمية حديث أسماء هذا
بأنها كانت مع زوجها بالحبشة قال الشامي وهو وهم بلا شك إذ لا
خلاف أن جعفرا قدم من الحبشة هو وامرأته على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو بخيبر بعد فتحها وقسم لهما ولأصحاب سفينتهما أن النبي صلى الله
عليه وسلم كان يوحى إليه مرة بالصهباء ورأسه في حجر علي رضي الله
عنه جملة حالية وحجر مثلث الحاء بمعنى الحضن والأظهر أن الرأس كان
على ركبته وهو نائم فاستعمل في المفيدة للظرفية وجعل الحضن محلا
للرأس تجوزا من إطلاق اسم الشيء وهو الجنب على ما يقرب منه وهو الفخذ
وبالغ في تمكن رأسه من فخذه فشبه ذلك التمكن بالظرفية واستعمل فيه
ما يستعمل فيها استعارة تبعية فلم يصل على العصر حتى غربت الشمس
وأما المصطفى فكان قد صلاها كما يأتي في الرواية الأخرى فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي استفهام تقريري ليرتب عليه
الدعاء له وإظهار المعجزة أو حقيقي ولا يشكل بأن قلبه لا ينام لاشتغال
قلبه حينئذ بالوحي فاستغرق فيه قال لا لأنهم كانوا لا يوقظونه كما في الصحيح
وقد وضع رأسه في حجره فهو عذر في إخراج الصلاة عن وقتها ولم يصلها
بنحو الإيماء لجواز أنه لم يكن شرع حينئذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك لأنه لم يزعجه من منامه انتظارا
ليقظته وذلك تعظيم لله برعاية نبيه ولرسوله بترك ما يؤذيه فاردد بفك
الإدغام على إحدى اللغتين الفصيحتين ويأتي في رواية الطبراني
فرد بالإدغام وقد قرئ من يرتد بالإدغام والفك عليه الشمس
أي أعدها لمكانها الذي غربت منه ليصليه العصر في وقتها قالت أسماء
بنت عميس فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بدعاء المجتبى بعدما
غربت ووقعت أي نزلت على الجبال والأرض بعد ما رفعتها لها في وقعت
بعين مهملة وقول الدلجي بدلها من الوقوف أي لم تسر وتبين رجوعها
إن ثبتت رواية وإلا فالمعنى أوقف بقولها بعد ما غربت وذلك بالصهباء
بالفتح والمد موضع على مرحلة من خيبر أو على بريدين فقولها في خيبر
فيه مضاف أي في قرب رواه العلامة الإمام الحافظ أحمد بن محمد بن سلامة
ابن سلمة الأزدي أبو جعفر الطحاوي بفتح المهملتين نسبة لطحا قرية

بصعيد مصر علي ما قاله ابن الاثير ورده السيوطي بانه ليس منها بل من
طحطوط بقربها فكره ان يقال الطحطوطي المصري ابن اخت المزني سمع
يونس بن عبد الاعلي وهارون بن سعيد ومنه الطبراني وغيره وكان
ثقة ثبتا فقيها حنفيا لا مالكيا كما زعم بعض انتهت اليه رياسة اصحاب
ابي حنيفة وله مولفات ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين ومات سنة احدي
وعشرين وثلثمائة في مشكل الحديث كتاب جليل اشتهر بالآثار من
طريقين عن اسما كما حكاه القاضي عياض في الشفا وقال
الطحاوي ان احمد بن صالح المصري ابو جعفر بن الطبري ثقة حافظ روي
عنه البخاري وابو داود تكلم فيه النسائي بسبب اوهام له قليلة ونقل عن
ابن معين تكذيبه وجزم ابن حبان بانه انما كذب احمد بن صالح الشمومي
فظن النسائي انه عني ابن الطبري مات سنة ثمان واربعين ومائتين
وله ثمان وسبعون سنة كان يقول لا ينبغي لمن سبيله طريقة السالك
فيه العلم اي طلبه والاشتغال به ومعرفة الحديث فجعل نفس العلم طريقا لانه
يصل به صاحبه الي سعادة الدارين التخلف عن حفظ حديث اسما
بنت عميس هذا الذي روته في رد الشمس لانه من علامات النبوة
اي آياتها الدالة عليها اذ هو معجزة عظيمة وهذا موذن لصحته فان احمد هذا
من كبار ائمة الحديث الثقات وحسبه ان البخاري روي عنه في صحيحه
فلا يلتفت الي من ضعفه وفي الالفية

وربما كان بغير قادح • كالنسائي في احمد بن صالح •

انتهي كلام عياض قال بعضهم تعقبا عليه هذا الحديث ليس بصحيح
وان اوهم تخريج اي نقل القاضي عياض له في الشفا عن الطحاوي
من طريقين صحته فالمفعول محذوف اي لقوله قال وهذان الحديثان
ثابتان رواتهما ثقات فقد ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال
انه موضوع بلا شك وفي سنده احمد بن داود وهو متروك
الحديث كذاب كما قاله الدارقطني وقال ابن حبان كان يضع
الحديث قال ابن الجوزي وقد روي هذا الذي ابن شاهين
فذكره ثم قال ابن الجوزي وهذا حديث باطل وليس فاعل قال ابن
شاهين لان اسناده قال حسن ولهذا قال السيوطي تبعا للحافظ اخطا
ابن الجوزي وقد نص ابن الصلاح وسائر من تبعه علي تساهل ابن
الجوزي في كتاب الموضوعات بحيث خرج عن موضوعه لمطلق الضعف قال
العراقي واكثر الجامع فيه اذ خرج لمطلق الضعف عني ابا الفرج حتي انه
ادرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة قال السيوطي

• ومن غريب ما تراه فاعلم • فيه حديث من صحيح مسلم •

فهذه غفلة شديدة منه يحكم بوضع حديث في احد الصحيحين
قال ابن الجوزي ومن تغفل واضعه انه نظر الي صورة فضيلة

صلاة لعلي رد الشمس حتي صلي علي العصر ولم يلمح عدم الفائدة فيه وان
صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضا ورجوع الشمس لا يعيدها
اداء انتهي وتعقب بانه لا وجه له لانه فاتته لعذر مانع من الاداء وهو
عدم تشويشه علي النبي صلي الله عليه وسلم وهذه فضيلة ودل ثبوت
الحديث علي ان الصلاة وقعت اداء وبذلك صرح القرطبي في التذكرة قال
فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وانه يتجدد الوقت لما ردها عليه ووجهه
ان الشمس لما عادت كانها لم تغب وفي الاسعاد لو غربت الشمس ثم عادت
عاد الوقت ايضا لهذا الحديث ويجوز حمل الغروب في كلام اسما علي الشروع
فيه ومقارنته فيكون عودها قبل غروب الشمس فيحصل به بقا الوقت
فمعني عادت عاد ظهورها كاملة فالوقت باق حقيقة فيه انه لا قرينة هنا
علي هذا الاحتمال الصارف للفظ عن المتبادر منه الذي حمله عليه الحفاظ
المثبتون للحديث والذين زعموا وضعه او ضعفه ولا دلالة في حديث جابر
الاتي امر الشمس فتاخرت ساعة من نهار علي انه قبل الغروب بل الظاهر انه
بعد الغروب بدليل قوله بعده فزيد له في النهار ساعة علي ان حديث جابر
وقصة اخري غير هذه كما نبينه وقد افرد ابن تيمية الحافظ ابو العباس
الشهير تصنيفا مفردا في الرد علي الروافض ذكر فيه هذا الحديث
بطرقه ورجاله وانه موضوع والعجب من القاضي عياض مع جلالة
قدره عظمته وعلو خطره بفتح الخا والطا علو قدره ومنزلته علي ما
في المصباح ففيه تجريد باستعمال الخطر في مجرد القدر او انه قصد المبالغة
وان المعني علو قدره علي ان في القاموس الخطر قدر الرجل في علم الحديث
اذ هو من الحفاظ النقاد كيف سكت عنه موهما صحته ونافلا ثبوته موثقا
رجاله انتهي ولا عجب اصلا لان اسناد حديث اسما حسن وكذا اسناد حديث
ابي هريرة الاتي كما صرح به السيوطي قائلا ومن ثم صححه الطحاوي والقاضي
عياض وذكر ابن الجوزي في الموضوعات فاخطا كما بينته في مختصر الموضوعات
وفي النكت البديعات انتهي يعني لما تقرر في علوم الحديث ان الحسن
اذا اجتمع مع حسن اخر او تعدد طرقه ارتقي للصحة فالعجب العجايب
انما هو من كلام ابن تيمية هذا لا من عياض لانه الجاري علي القواعد المعلومة
حتي الالفية وغيرها الصغار الطلبة ولذا قال الحافظ في فتح الباري اخطا
ابن الجوزي بذكره في الموضوعات وكذا ابن تيمية في كتاب الرد علي الروافض
في زعم وضعه انتهي وقال شيخنا السخاوي في المقاصد قال الامام احمد
لا اصل له وتبعه ابن الجوزي فاورده في الموضوعات وكذا نقل ابن
ابن كثير عن احمد وجماعة من الحفاظ انهم صرحوا بوضعه قال الشامي والظاهر
انه وقع لهم من طريق بعض الكذابين ولم يقع لهم من الطرق السابقة
والا فهي يتعذر معها الحكم عليه بالضعف فضلا عن الوضع ولو عرضت عليهم
اسانيدها لاعترفوا بان للحديث اصلا وليس بموضوع قال وما مهدوه
من القواعد وذكر من جماعة من الحفاظ له في كتبهم المعتمدة وتقويته

ولذا استدرك السخاوي
من قواه برد على من حكم عليه بالوضع انتهى والقاضي عياض وناهيك
زعم وضعه فقال لكن قد صححه الطحاوي
بهما واخرجه ابن مندة وابن شاهين من حديث اسما بنت عميس
باسناد حسن وابن مردويه من حديث ابي هريرة باسناد
حسن ايضا انتهى ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن
كما حكاه شيخ الاسلام قاضي القضاة ابن العراقي الحافظ ولي الدين
في شرح التقريب عن اسما بنت عميس ولفظه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهبا ثم ارسل عليا في حاجة
هي قسم غنايم خيبر كما في رواية للطبراني ايضا فرجع وقد صلى النبي
صلى الله عليه وسلم العصر فوضع صلى الله عليه وسلم راسه
في حجر علي فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فاستيقظ فساله
اصليت قال لا فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك
عليا احتبس بنفسه امتنع من الحركة قاصرا نفسه على حفظ نبيه
وخدمته فرد عليه الشمس كي يصلي العصر ادا قالت اسما فطلعت
عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي
فتوضا وصلى العصر ثم غابت وذلك بالصهبا وعند الطبراني
ايضا عن اسما قالت اشتغل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة
الغنايم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا علي اصليت
العصر قال لا يا رسول الله فتوضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس في
المجلس فتكلم بكلمتين او ثلاثة كانها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس
كهيتها في العصر فقام علي فتوضا وصلى العصر ثم تكلم صلى الله عليه وسلم بمثل
ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في
الخشبة وطلعت الكواكب وفي الحديث اي وبهذا الحديث ايضا بان ان الصلاة
ليست قضا بل يتعين الادا والا لم يكن للدعا فايدة وفي لفظ اخر عند الطبراني
ايضا في الكبير كان عليه الصلاة والسلام اذا انزل عليه الوحي
يغشى عليه ويعرف ذلك حاضروه فانزل عليه يوما وهو في حجر
علي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما سري عنه صليت
العصر قال لا اي لم اصله يا رسول الله فدعى الله بكلمتين او ثلاثة
فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت اسما فرايت الشمس
طلعت بعد ما غربت حتى ردت حتى صلى العصر علي ومن الفوايد انه
بعدد الطرق يفيد ان للحديث اصلا ومن لطايف الاتفاقات الحسنة
ان ابا المظفر الواعظ ذكر يوما قرب الغروب فضايل علي ورد الشمس
له والسما متغيمة غيما مطبقا فظنوا انها غربت وهموا بالانصراف فاصحت
السما ولاحت الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وقال
ارتجالا لا تغربي يا شمس حتى ينتهي • مدحي لال المصطفى ولنجله •
• واثني عنانك اذا اردت ثناهم • انسيت اذ كان الوقوف لاجله •

• • ان كان للمولى وقوفك فليكن • هذا الوقوف لخيله ولرجله •
قال ابن العراقي وروى الطبراني ايضا في معجمه الاوسط باسناد
حسن عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر
الشمس ان لا تغرب حتى تقدم عير قريش التي راها ليلة الاسرا واخبرهم
بانها تقدم يوم كذا وولى النهار ولم تجي فتاخرت ساعة من نهار اليان
قدمت فهذه قصة اخرى كانت وهي مكية قبل الهجرة كما جمله الحافظ ابن
حجر مريدا به الحديث المنقطع المذكور بقوله وروى يونس بن بكير بن واصل
الشيباني ابو بكر الكوفي صدوق يخطي روى له مسلم وابو داود والترمذي وابن
ماجة والبخاري تعليقا مات سنة تسع وتسعين ومائة في زيادات المغازي
عن شيخه محمد ابي اسحق بن يسار امام المغازي مما ذكره القاضي عياض
في الشفا لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة
مثلث الرا الجماعة المترافقين في السفر ولانه يذهب اسم الرفيق الا بالتفرق
والعلامة التي في العير هي ان يتقدمها جمل اورق قالوا متى تجي قال
يوم الاربعا بتثليث البا والكسر اولى كما في المحكم وعبارته ممدود والهمزة
مفتوحة على الثلاث وحكي ابن هشام فتح الهمزة وكسر البا وكسرها وكسر
الهمزة وفتح البا وقال هذه افصح اللغات فلما كان ذلك اليوم بالرفع
والنصب والاولى اولى لانه نعت فاعل كان التامة بمعنى وجد اشرفت
بمعجمة وراء مهملة وفا قريش اي قامت على شرف وهو المكان المرتفع لتنظر
العير قادمة ام لا ينتظرون حالا ومستانف اي يترقبون قدوم عيرهم
في اليوم الموعود وقد ولى النهار قارب ذلك اليوم ان يتم ويدخل الليل
بغروب الشمس ولم يجي العير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
سال ربه ان يمد له ذلك اليوم حتى يجي العير قبل انقضايه فزيد له في النهار
ساعة وذلك انه حبست عليه الشمس امسكها الله بقدرته وعوقها عن
سيرها المعتاد حتى قدمت العير قبل غروبها وعورض هذا بما ورد انه
اقتصر عليه البيضاوي والزمخشري انه صلى الله عليه وسلم قال تقدم منها
جملا اورق عليه غرارتان مخططتان يطلع عليكم عند طلوع الشمس فخرجوا
ينتظرون طلوعها فقال قايل منهم هذه الشمس قد طلعت فقال اخر وهذه
الابل يقدمها البعير الاحرة فقالوا ان هذا الا سحر مبين انتهى وهذا يعارضه
قوله في الحديث الصحيح الذي اخرجه احمد برجال الصحيح لم تحبس الشمس
على احد لفظ احمد عن ابي هريرة قال صلى الله عليه وسلم ان الشمس لا تحبس
لبشر الا ليوشع بالشين معجمة ومهملة بن نون مجرور بالاضافة منصرف
على الافصح وان كان اعجميا لسكون وسطه كنوح ولوط ونون بن افرائيم
ابن يوسف كان يوشع يخدم موسى ويتبعه ولذا سماه الله فتاه وفي رواية
احد ليالي سار الى بيت المقدس واخرجه الخطيب في تاريخه من حديث
ابي هريرة بلفظ ما حبست الشمس على بشر قط الا على يوشع ليالي سار الى

بيت المقدس واخرجه الخطيب في تاريخه من حديث ابي هريرة بلفظ ما حبست
الشمس على بشر قط الا على يوشع ليالي سار الى بيت المقدس يعني حين
قاتل الجبارين يوم الجمعة بعد موت موسى وهارون في التيه وكان رحمة
لهما وعذابا لاولئك وسال موسى ربه ان يدنيه من الارض المقدسة رمية حجر
فادناه كما في الحديث ونبي يوشع عند الاربعين وامر بقتال الجبارين فسار
بمن بقي معه وقاتلهم يوم الجمعة فلما ادبرت الشمس فاريت الغروب خاف
ان تغيب قبل ان يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعى
الله فرد عليه الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم وبذلك كان علم
النجم صحيحا قبل ما وقفت ليوشع بطل اكثره ولما ردت لعلي بطل جميعه
قال الحافظ ابن كثير فيه ان هذا كان من خصائص يوشع
اشتهر حتى قال ابو تمام في قصيدة .
فوالله ما ادري احلام نائم . المت بنا ام كان في الركب يوشع .
فيدل على ضعف الحديث الذي رويناه ان الشمس رجعت حتى
صلى علي بن ابي طالب العصر وقد صححه احمد بن صالح المصري
ولكنه منكر اي ضعيف اذ المنكر من اقسامه ليس في شيء من الصحاح
والحسان ممنوع لوروده من طرق ثلاثة حسان كما مر وتقرر انه يرتقي
بذلك للصحة وهو مما تتوفر الدواعي على نقله لغرابته وتفرد
بنقله امرأة من اهل البيت مجهولة لا يعرف حالها فيه نظر ايضا فقد
رواه جماعة وتفرد ن طرقه كما بينته في النكت وتلخيص الموضوع وسبل الهدى
وغيرهم انتهى كلام ابن كثير ولم يثبت في كل النسخ بل بعضها ويحتمل الجمع بان
المعنى لم تحبس على احد من الانبيا غيري الا ليوشع بن نون
نحوه قول الحافظ الحصر محمول على الماضي للانبيا قبل نبينا وليس فيه انها لا تحبس
بعض الماضي انتهى وهو متعين لدفع التعارض بين الحديثين ومثله كثير في
الاحاديث كقوله لم يتكلم في المهد الا ثلاثة فالحصر اضافي وجمع ايضا بان خبر
يوشع في حبسها قبل الغروب وخبر علي في ردها بعده وبانه قاله قبل قصة خيبر
وكذا روي حبس الشمس لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ايضا
يوم الخندق حين شغل عن صلاة العصر فيكون على هذا حبس
الشمس مخصوصا بنبينا وبيوشع بنا على انها لم تحبس لغيرهما لصحة
خبرهما دون غيرهما مما يأتي كما ذكره اي حبسها يوم الخندق القاضي
عياض في الاكمال شرح مسلم له وعزاه لمشكل الاثار للطحاوي
ونقله النووي في شرح مسلم في باب حل الغنائم عن عياض واقره
وكذا نقله الحافظ ابن حجر في باب الاذان من كتابه تخريج احاديث
الرافعي ومغلطاي في الزهر الباسم من سيرة المصطفى ابي القاسم
واقروه لكنه قال في فتح الباري لم اقف عليه في مشكل الاثار انما فيه حديث
اسما المار فان قلت فهي قصة اخرى ثالثة وتعقب بان الثابت في

الصحيح

الصحيح وغيره انه صلى الله عليه وسلم صلى العصر في وقعة الخندق
بعد ما غربت الشمس كما سبق في غزوتها واجيب بانه كان في يوم اخر
اذ وقعة الخندق كانت اياما وذكر البغوي في تفسيره بلفظ حكي عن علي
ان معنى ردوها علي بقول سليمان بامر الله الملائكة الموكلين بالشمس بردها
فردوها حتى صلى العصر في وقتها وذلك انه كان يعرض عليه الخيل الجياد لغزوة
حتى توارت بالحجاب فاختصره المصنف فقال انها حبست لسليمان عليه
السلام ايضا لقوله ردوها علي ونوزع فيه بعدم ذكر الشمس في
الاية فالمراد الصافنات الخيل الجياد واجيب بانه لو ثبت عاد
الضمير للشمس لعلمها وان لم يجر لها ذكر كقوله حتى توارت قال الحافظ لكنه غير
ثابت وجا ايضا انها حبست عن الطلوع لموسى ففي المبتدا لابن اسحق عن
عروة انه تعالى امر موسى ان يحمل تابوت يوسف فلم يدل عليه حتى كاد الفجر
يطلع وكان وعدهم بالسير عند طلوع الفجر فيستلزم تاخير طلوع الشمس لانه تأخر
عنها فلا يقال الحصر انما وقع في يوشع بطلوع الشمس فلا يمنع حبس الفجر لغيره
قال واخرج الخطيب في كتاب ذم النجوم عن علي قال سال قوم يوشع ان يطلعهم
على بدء الخلق واجالهم فاراهم ذلك في ماء من غمامة امطرها الله عليهم فكان احدهم
يعلم متى يموت فبقوا على ذلك الى ان قاتلهم داود على الكفر فاخرجوا الى داود من لم
يحضر اجله فكان يقتل من اصحاب داود ولا يقتل منهم فشكى الى الله ودعاه فحبست
عليه الشمس فزيد في النهار فاختلطت الزيادة بالليل والنهار فاختلط
عليهم حسابهم واسناده ضعيف جدا انتهى والله اعلم بصحة ذلك كله في نفس
الامر وضعفه قال القاضي عياض واختلف في الشمس المذكورة هنا
فقيل ردت على ادراجها اي احوالها التي كانت تسير عليها نهارا وقيل
وقفت ولم ترد قال البرهان وهو ظاهر قوله فحبست وقيل بطو
حركتها قال ابن بطال وهو اولى الاقوال قال عياض وكل ذلك من
معجزات النبوة انتهى قال بعض شراح مسلم والشمس احد الكواكب
السيارة وحركتها مترتبة على حركة الفلك بها فحبسها على التفاسير
المذكورة انما هو لحبس الفلك لا حبسها في نفسها انتهى واما ما روي
من طاعات اي انقياد الجمادات جمع جماد وهو ما لا روح له كالحجر
والشجر والمراد حبسها لا جميعها وتكليمها خطابها له بالتسبيح والسلام
ونحو ذلك كمجي الشجر له مما وردت به الاخبار فمنها اي مما روي من
الطاعات تسبيح الطعام والحصى لف ونشر غير مرتب وهو اولى وفي
نسخة تقديم الحصى على الطعام في كفه الشريف صلى الله عليه وسلم
اي قول سبحان الله فخرج محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي بضم الذال
المعجمة واسكان الهاء نسبة للامام الذهلي ابو زكريا الحافظ روى عن احمد واسحق
وابن المديني وخلق وعنه البخاري والاربعة قال ابو بكر بن ابي داود
كان امير المومنين في الحديث وقال الخطيب كان احد الايمة العارفين

والحفاظ المتقنين والثقات المأمونين مات سنة ثمان وخمسين ومائتين
في الزهريات بزاي وراء كتاب قال الخطيب جمع فيه حديث الزهري
وجوده وكان ابن حنبل يثني عليه ويشكر فضله قال اخبرنا ابو
اليمان الحكم بفتحتين ابن نافع البهراني بفتح الموحدة الحمصي مشهور
بكنيته ثقة ثبت من رجال الجميع يقال ان اكثر حديثه عن شعيب مناولة
مات سنة اثنين وعشرين ومائتين قال انبانا شعيب بن ابي حمزة
دينار الاموي مولاهم الحمصي ثقة عابد روى له الجماعة قال ابن
معين من اثبت في الزهري مات سنة اثنين وستين ومائة او بعدها
عن الزهري محمد بن شهاب العلم المشهور قال ذكر الوليد بن
سويد ان رجلا من بني سليم بضم السين كبير السن كان
ممن ادرك اباذر بالربذة بفتح الراء والموحدة والذال المعجمة
قرية قرب المدينة كانت عامرة اول الاسلام ذكره عن ابي ذر
الغفاري قال هجرت بفتح الهاء وشد الجيم سرت وقت الهاجرة
وهي اشتداد الحر نصف النهار يوما من الايام فاذا النبي صلى الله
عليه وسلم قد خرج من بيته الذي كنت اعهد جلوسه فيه فلا
بيانا في قوله فسالت عنه الخادم فاخبرني انه ببيت عايشة اذ
بينها بيته وهو لم يعين بيته الاول الذي خرج منه وفي رواية البيهقي
وابن عساكر عن ابي ذر كنت اتتبع خلواته صلى الله عليه وسلم فرايته
يوما خاليا فاغتنمت خلوته فاتيته وهو جالس ليس عنده
احد من الناس وكان بي حينئذ اري بالضم اظن انه في وحي
اي استماعه وفي نسخة انه وحي ومعناها واري انما هو مشغول به
وحي فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال ما جاء بك قال
قلت جاء بي الله ورسوله فاشار بيده ان اجلس بفتح الهمزة
وكسر النون ووصل همزة اجلس وهي ان المفسرة لانها سبقت بجملة
فيها معنى القول دون حروفه وبعدها جملة فجلست الى ربوة هي
بتثليث الراء ما ارتفع من الارض كما في القاموس وغيره مقابل النبي
صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر ففعل مثل ذلك وقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وجلس جنب ابي بكر هكذا و
في رواية البيهقي وابن عساكر وجلس عن يمين ابي بكر ثم جاء عثمان
كذلك وجلس الى جنب عمر اي عن يمينه كما في رواية ثم قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات جمع حصاة سبع او
تسع او ما قرب من ذلك بالشك من الراوي وياتي الجزم بسبع في رواية
البزار ومن بعده فالشك ممن دون ابي ذر فسبحن في يده بان قلن
سبحان الله حتى سمع لهن حنين تصويت كحنين تصويت
النحل بالمهملة وهو تشبيه في علو الصوت فقط فلا يراد دوي النحل

ليس

ليس بالفاظ مفهومة وتسبيح الحصى بالفاظ علم الحاضرون انها تسبيح
ويأتي كل منها متكلم باعتبار خلق الكلام فيها حقيقة خرقا للعادة في كف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضعهن بالارض فخرسن ثم اخذهن
وناولهن ابا بكر كما في رواية البيهقي وغيره والمخرج متحد ففيه هنا اختصار
وجاوزني فسبحن في كف ابي بكر حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل
كما عند البيهقي وغيره ثم اخذهن منه فوضعهن في الارض
فخرسن وصرن حصى لا تسبيح فيه ثم تناولهن اي من الارض
وناولهن عمر فسبحن في كفه كما سبحن في كف ابي بكر وللطبراني
والبيهقي حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم اخذهن منه فوضعهن
في الارض فخرسن وصرن حصى ثم تناولهن اي من الارض وناولهن
عثمان فسبحن في كفه كنحو ما سبحن في كف ابي بكر وعمر
وللطبراني والبيهقي حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم اخذهن
فوضعهن في الارض فخرسن فقال صلى الله عليه وسلم هذه
خلافة النبوة كما في رواية البيهقي والطبراني وغيرهما وبه يعلم وجه
مجاوزته صلى الله عليه وسلم لابي ذر مع انه كان اقرب اليه منهم في المجلس
لانه ليس من الخلفا وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري في شرح حديث
كنا نسمع تسبيح الطعام قد اشتهر على الالسنة تسبيح الحصى ففي
حديث ابي ذر تناول النبي صلى الله عليه وسلم سبع حصيات
بسين قبل الموحدة فسبحن في يده حتى سمعت لهن حنينا ثم وضعهن
في يد ابي بكر بعد وضعهن في الارض فسبحن ثم وضعهن في يد عمر
فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان فسبحن اخرجه البزار والطبراني
في الاوسط والبيهقي في الدلايل وابن عساكر في التاريخ وعنده هن
انه سمع لهن حنينا كحنين النحل وقت كونهن مع الخلفا الثلاثة كالنبي
صلى الله عليه وسلم قال الحافظ اختصره وفي رواية الطبراني فسمع
تسبيحهن من في الحلقة بفتح اللام وسكونها لغة ثم دفعهن
الينا فلم تسبحن مع واحد منا ولم يذكر عليا فان كان تسبيحها مع
غيره صلى الله عليه وسلم مخصوصا بالخلفا فهو خليفة كما بينه الحسن ايضا
فيحتمل انه لم يكن حاضرا او لان خلافته ادركت الفتنة على مثله لا
ينبغي مقامه مع ما له من المناقب كما قاله بعض شراح الشفا واستظهر
بعضهم تعدد الواقعة لان الرواية الاولى تقتضي انه لم يكن ثمة غير ابي
ذر والثانية تقتضي انه حضرها جماعة من الصحابة لقوله في رواية ابن
عساكر من حديث انس بعد عثمان ثم وضعهن في ايدينا رجلا رجلا فما سبحت
حصاة منهن وعلى كليهما لم يحضر علي معهم ففيه اشارة الى عدم امتداد
خلافته استقلالا رضي الله عنه وفيه ان الاصل عدم التعدد لا سيما مع
اتحاد المخرج الذي هو ابو ذر وورده عن انس لا يقتضي تعدد القصة

اذ هي قضية واحدة رواها اثنان وكون مقتضي حديث ابي ذر انه
لم يكن غيره ثمة ومقتضي حديث انس انه حضرها جمع لا يقتضي التعدد
ايضا لانه من اختلاف الرواة بالزيادة والنقص وقد صرح الحافظ
وغيره بان تسبيح الحصي انما له هذه الطريق الواحدة مع ضعفها قال
البيهقي في الدلايل النبوية كذا رواه صالح بن ابي الاخضر
اليمامي مولي هشام بن عبد الملك نزل البصرة ضعيف يعتبر به
مات بعد الاربعين ومائة روي له الاربعة كما في التقريب وسقط في
بعض نسخ المصنف لفظ ابي قبل الاخضر مع انه في الفتح عن البيهقي
بلفظ اداة الكنية وهو الصواب ولم يكن بالحافظ وان روي
عن الزهري ونافع وروي عنه ابن مهدي ومسلم وكان يخدم الزهري
فقد لينه البخاري وضعفه النسائي عن سويد بن يزيد السلمي
عن ابي ذر والمحفوظ ما رواه شعيب بن ابي حمزة بمهملة
وزاي واسمه دينار عن الزهري قال ذكر الوليد بن سليم
ان رجلا من بني سليم كان كبير السن ممن ادرك اباذر بالربذة
ذكر له عن ابي ذر انتهي وكذا ذكره وذكر ابن الحاجب عن بعض الشيعة
ان انشقاق القمر وتسبيح الحصي وحنين الجذع وتسليم الغزالة
مما نقل احادا مع توفر الدواعي علي نقله ومع ذلك لم يكذب رواتها
واجاب بانه استغني عن نقلها تواترا بالقران واجاب غيره بمنع نقلها
احادا وعلي تسليمه فمجموعها يفيد القطع والذي اقوله انها كلها مشتهرة
عند الناس واما من حيث الرواية فليست علي حد سوا فحنين الجذع
وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع
علي طرق ذلك من ائمة الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك
واما تسبيح الحصي فليس له الا هذه الطريق الواحدة مع ضعفها واما
تسليم الغزالة فلم اجد له اسنادا لا من وجه قوي ولا من وجه ضعيف
ذكره الحافظ عقب كلام البيهقي بلفظه بزيادة فاقتصر منه المصنف علي
قوله وليس لتسبيح الحصي لحديث تسبيح الحصي الا هذه
الطريق الواضحة الواحدة وكانه لم يعتبر طريق صالح وطريق شعيب
وان اتحد المخرج لكن يرد عليه ان ابن عساكر اخرجه عن انس فهي طريق
ثان لاختلاف المخرج وان اتحدت القصة مع ضعفها لكنه مشهور عند الناس
وذلك يجبر ضعف الطريق وما احسن قول سيدي محمد وفا السبحه بضم السين
بقا ونور ذاك الوجه النبوي قد سبح الحصي دلالة علي صدقه ومن سح
بفتح السين وشد الحا المهملتين صب وسيلان سحب جمع سحاب الكهف
اي ومن اجل عطاياه المشبهة للما الكثير الذي يصبه السحاب قد سبح الرعد
دلالة علي كاله صلي الله عليه وسلم وقول الاخر يا حبذا الولتمت كفا قد
سبحت وسطه بالسلون الحصا بالمد للضرورة علي احد القولين في جوانب

منه المقصود وفي نسخة الحصاة اي جنسها وفي نسخة الحصبا بزيادة با
وهي تحريف ينزحف به البيت وقد اخرج البخاري في علامات النبوة والترمذي
في المناقب من حديث ابن مسعود قال كنا نعد الايات بركة وانتم
تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في سفر فقل الما
فقال اطلبوا فضلة من ما فجاوا باناء فيه ما قليل فادخل يده في الانا ثم
قال حي علي الطهور المبارك والبركة من الله ثم رايت الما ينبع من بين
اصابعه صلي الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل هذا
لفظ البخاري واما قوله كنا ناكل مع رسول الله صلي الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام فهو لفظ الترمذي فتسامح المصنف
بعزوه للبخاري واتيانه بلفظ الترمذي فلو عزاه لهما سهل ذلك
وقد قال الحافظ وتبعه المصنف قوله كنا نسمع تسبيح الطعام وهو
يوكل اي في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم غالبا ووقع ذلك
عند الاسماعيلي صريحا من الوجه الذي اخرجه منه البخاري بلفظ كنا ناكل
مع النبي صلي الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيح الطعام زاد الحافظ
وله شاهد عند البيهقي كان ابو الدردا وسلمان اذا كتب احدهما الي الاخر
قال له باية الصحفة وذلك انهما ياكلان في صحفة اذ سبحت وما فيها انتهي
ولابي الشيخ عن انس اتي صلي الله عليه وسلم بطعام ثريد فقال ان هذا الطعام
يسبح قالوا وتفقه تسبيحه قال نعم ثم قال لرجل ادن هذه القصعة من هذا
الرجل فادناها فقال نعم يا رسول الله هذا الطعام يسبح قالوا وتفقه تسبيحه
قال نعم ثم قال لرجل الرجل فادناها فردها وظاهر هذين الحديثين
انه كان يسبح بعد وضعه من الفم ولا مانع منه ثم هذا كله مما يستانس به لان
معني قوله تعالي وان من شي الا يسبح بحمده تسبيح حقيقي بلسان المقال لا بلسان
ويشهد له قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم اذ لو كان بلسان الحال لفهمناه وفي
قوله كنا دليل علي تكرره وانه وقع مرارا عديدة وانه للنبي صلي الله عليه
وسلم اعظم من تسبيح الجبال مع داود وفهم نطق الطير لسليمان وعن جعفر
الصادق بن محمد عن ابيه محمد بن الباقر علي بن زين العابدين بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب قال محمد مرض النبي صلي الله عليه وسلم فاتاه
جبريل بطبق اي وعا بجانب وان كان الطبق لغة الغطا لانه علي هيئة
فيه رمان وعنب من الجنة علي الظاهر وذهب وزعم انهما من الدنيا اذ لو
كان من الجنة لم يفن لقوله اكلها دايم لا يسبح لان ذاك في يوم القيمة فاكل
منه النبي صلي الله عليه وسلم فسبح اي فاراد الاكل منه اذ تناوله بيده
لا بعد الاكل كقوله اذا قمتم الي الصلاة فاغسلوا كذا البعض رواه اي ذكره
القاضي عياض في الشفا بلا اسناد تعليقا قال السيوطي لم اجده في كتب
الحديث يعني المشهورة فلا ينافي اطلاع عياض عليه وعن تميم تغلطه عنه
الحافظ ابو الفتح ابو الفضل في فتح الباري في شرح حديث ابن مسعود

واعلم ان التسبيح من قبيل الالفاظ الدال على معنى التنزيه واللفظ
يوجد حقيقة ممن قام به اللفظ وهو الحيوان الناطق فيكون في غير
من قام به مجازا علاقته المشابهة في النطق فالطعام والحصاة والشجر
ونحو ذلك كل منها متكلم باعتبار خلق الكلام اي التلفظ مع حياة حلت
او بدونها يحتمل الامرين اذ لا تلازم بين الحياة والنطق فيها حقيقة
وهذا من قبيل خرق العادة اذ خلق الله فيها النطق بما تنزهه به لانه
عبارة عن احركان يسبح احضر الطعام او الحصيات ونحوها لانه خروج عن
الظاهر بلا دليل وخوارق العادات لا تقاس بالمعهودات وفي قوله
ونحن نسمع تسبيحه تصريح بكرامة الصحابة بسماع هذا التسبيح
وفهمه مع انه ليس بمعهود وذلك ببركته صلى الله عليه وسلم حيث سري
سره اليهم وهي اعظم من معجزة داود عليه السلام في تسبيح الجبال معه لانها
لم تسبح بيده بخلاف نبينا فسبحت بيده وبيد من اراده من امته وتسبيح
الطعام اعظم منها اذ لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع
ومن فهم سليمان منطق الطير لانه ناطق في الجملة بخلاف الطعام والله اعلم
ومن ذلك تسليم الحجر عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن سيد الناس يحتمل
ان يكون هذا التسليم حقيقة ويكون الله انطقه بذلك كما انطق الحنين اي
كما خلق الحنين في الجزع ويحتمل ان يكون مضافا الى ملائكة يسكنون هناك
من باب واسال القرية فيكون من مجاز الحذف وهو علم ظاهر من اعلام نبوته
على كلا التقديرين انتهى وبالاول جزم النووي فقال في شرح مسلم سلامه حقيقة
وقيل في قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده انه حقيقة بتمييز يخلقه
الله تعالى ونقله الابي واقره خرج مسلم من حديث جابر بن سمرة
صحابي بن صحابي نزل الكوفة ومات بها بعد سنة سبعين قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي
اي يقول السلام عليك يا رسول الله ونحوه قبل ان ابعث اني لاعرفه
الان وتنكيره وتاكيده بان استحضار لمشاهدته حتى كانه يسمع سلامه
الان قاله عياض اشارة الى ان له شانا خاصا به وانه حجر ليس كسائر
الحجارة ولذا روي انه الحجر الاسود فلا يقال لا فايدة في ذكر حجر واحد مع انه
كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه وقد اختلف في هذا الحجر فقيل هو الحجر
الاسود كما روي في بعض المسندات قاله في الروض والعيون وقال في
الاكمال وفي غير مسلم كانوا يرونه الحجر الاسود انتهى مصرحا به بانه رواية ولا
ينافيه قوله اني لاعرفه الان اذ الحجر الان يشارك في معرفته جميع الناس لان
المراد اني لا استحضر ذلك ولم انسه حتى كاني لا سمعه اسمع كلامه الان كما ذكره
عياض وقيل هو حجر غيره بزقاق يعرف به اي بزقاق الحجر بمكة وزقاق
والناس يتبركون بلمسه ويقولون انه كان هو الذي يسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به ولكن الاول اصح لانه رواية وقد

ذكر

ذكر الامام ابو عبد الله محمد رشيد بضم الرا مصغر رشد نسبة لجده الاعلى
اذ هو محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن ادريس بن سعيد بن مسعود بن
ابن حسن بن محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ولد بها سنة سبع وخمسين
وستمائة وكان اماما حافظا متضلعا من العلوم بعلو الاسناد صحيح النقل
اخذ عن خلق بالمغرب والشام والحجاز ضمنهم رحلته وعاد الى غرناطة فنشر بها
العلم ومات بفاس سنة احدى وثلاثين وسبعمائة في رحلته التي سماها
ملا العيبة وهي ست مجلدات مما ذكره في شفا الغرام في تاريخ البلد الحرام
للحافظ تقي الدين محمد بن احمد الشريف الفاسي عن علم الدين احمد بن
ابي بكر بن خليل العسقلاني قال اخبرني عمي سليمان قال اخبرني
محمد بن اسماعيل بن عبد الله بن ابي الصيف بصاد مهملة اليمني سمع
بمكة ابا نصر عبد الرحمن اليوسفي والمبارك بن الطباخ وطبقتهما قال الذهبي
كان عارفا بالمذهب وحصل كثيرا من الكتب وله نكت على التنبيه مشتملة
على فوائد وجمع اربعين حديثا عن اربعين شيخا من اربعين مدينة سمع
الكل بمكة وكان على طريقة حسنة وسيرة جميلة ومات بمكة في ذي الحجة
سنة سبع وقيل ست وستمائة قال اخبرني ابو حفص الميانشي نسبة
الى ميانش قال في المقاصد وقال في المراصد بالفتح وتشديد النون
اي التحتانية فالف فنون مكسورة وشين معجمة قرية من قرى المهدية
فيها ما عذب اذا افقد الما بالمهدية استجلب منها قال اخبرني كل من لقيته
بمكة ان هذا الحجر يعني المذكور في كلام ابن رشيد من انه الحجر المبني في
الجدار المقابل لدار ابي بكر المشهورة بسوق الليل هو الذي كلم النبي
صلى الله عليه وسلم لكنه وان اشتهر لا يعادل الاول لانه رواية وروى
الترمذي وقال حسن غريب والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن
ابي طالب قال كنت امشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
فخرجنا في بعض نواحيها وفي الشفا عن علي فخرج الى بعض نواحيها
فما استقبله شجر ولا حجر الا قال له كل منهما السلام عليك يا رسول
الله بان خلق الله فيه نطقا وان لم يكن معه حياة لانه لا تلازم بينهما
كما سبق لكن قال بعض الظاهر انه كان فيه حياة ايضا وهذا كما قال ابن
اسحق كان في بدء النبوة تطمينا لقلبه وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعد ذلك
واجابتهم لدعوته وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل اي نزل علي واتاني
بالرسالة جعلت اي صرت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك
يا رسول الله وامر يقربه الحجر كيف تنكره البشر رواه البزار وابو
نعيم وثبت حديث عائشة هنا في نسخ وسقط في اخرى ويأتي للمصنف
قريبا اعادته مع حديث علي قبله في قوله ومن ذلك كلام الشجر ولا تكرار
لانه ساقهما هنا استدلالا على تسليم الحجر وثم على كلام الشجر وعن جابر

ابن عبد الله رضي الله عنهما قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم في ابتدا
بعثته يمر بحجر ولا شجر الا سجد له اي انخفض حتى مس الارض على هيئة
السجود تواضعا له وتعظيما وتكريما كما سجدت الملايكة لادم والسجود لغير
الله انما يمتنع من البشر رواه بعضهم بعده وقد رواه البيهقي في الدلايل
عن جابر بلفظه ومثله لا يقال رايا فيحتمل انه سمعه من النبي صلى الله عليه
وسلم كحديث عايشة قبله ويحتمل من غيره ممن شاهد ذلك لا انه من باب
الكشوف كما زعم بعض اذ لا دخل له في الاحاديث ولا انه شاهد ذلك لانه في
ابتدا البعثة ولم يكن جابر حينيذ معه ومن ذلك تامين اسكفة بضم الهمزة
والكاف بينهما مهملة ساكنة ثم فا ثقيلة فها عتبة الباب العليا وقد
تستعمل في السفلى والجمع اسكفات وحوايط البيت جمع حايط اي جدرانه
المحيطة بجوانبه ونواحيه على دعايه عليه الصلاة والسلام عن ابي
اسيد بضم الهمزة وفتح المهملة مالك بن ربيعة الساعدي مشهور بكنيته
شهد بدرا وغيرها ومات سنة ثلاثين وقيل بعد ذلك حتى قال المدايني
مات سنة ستين قال وهو اخر من مات من البدريين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب يا ابا الفضل كنيته
باسم اكبر اولاده لا ترم بفتح الفوقية وكسر الرا قال ابن الانباري لا تبرح
يقال رام يريم اذا برح اي زال من مكانه واكثر ما يستعمل في النفي من منزلك
واورده في النهاية لا ترم من منزلك بزيادة من انت وبنوك غدا
وهم عبيد الله وعبد الله والفضل وقثم ومعبد وعبد الرحمن كما نبه عليه
ابن السري في رواية كما ذكره المصنف في المقصد السابع واسقاط
بعضهم عبد الرحمن ومعبد تقصير والاعتذار عنه بانه كذا اقتصر بعضهم ولعله
بيان للحاضرين حينيذ ان ثبت بذلك رواية والا فقد تقدم في الاعمام ان
له ذكورا عشرة وثلاث اناث فالثلاثة المذكورين او لاسماع ولقثم ومعبد
وعبد الرحمن وشقيقتهم ام حبيب وكثير وتمام لهم ولد والحارث وامه من
هذيل وعون وامنة وصفية لكلهم رواية حتى اتيكم فان لي فيكم
حاجة منفعة اوصلها لكم وجعلها له لشدة رافته بهم او اوحي اليه بذلك
فهي له فانتظروه حتى جا بعد ما اضحى فدخل عليهم فقال السلام
عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف
اصبحتم قالوا اصبحنا بخير نحمد الله تعالى فقال لهم تقاربوا
فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى امكنوه من انفسهم حتى
انضموا اليه اشتمل استولى عليهم واحاط بهم وضمهم بملاءته بضم الميم
ولام وهمزة والمد وهي الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار له شقتان
فان كان له شقة واحدة فريطة براو طا مهملتين فقال يا رب هذا
عمي وصنو ابي بكسر المهملة اي قرينه ومثله ومثله في الشقيقة على وهو
اهل بيتي اي منهم فاسترهم من النار استرهم من دخولها وارتكاب

ما يوجب حزنها فهو مجاز عن ذلك اذ الستر ما يمنع المستور ويحجبه وشبه بعد
التجوز قوله كستري اياهم بملاتي هذه قال فامنت بفتح الهمزة والميم
الشديدة اسكفة الباب وحوايط البيت فقالت امين امين امين ثلاثا
في نسخ ومثله في ابن كثير والشامي وفي نسخ مرتين ومثله في الشفا وهو
اما على التوزيع اي قالت الاسكفة امين والحوايط امين واما ان كل واحد منهما
كرر امين تاكيدا وتحقيقا للمقال اذ قد يغفل عن مثله رواه البيهقي في الدلايل
النبوية مطولا وابن ماجة مختصرا ومن ذلك كلامه للجبل بقوله اثبت
اسكن اثبت ونحوها وكلام الجبل بقوله اهبط الخ له صلى الله عليه وسلم
وعد هذا من طاعات الجمادات له من حيث انه صلى الله عليه وسلم لما خاطبه
انقاد له حتى علم ما قال واستقل بامره وبهذا يطابق الترجمة عن انس بن
مالك قال صعد بكسر العين علا النبي صلى الله عليه وسلم احدا بضمتين وقد
يسكن ثانيه وقيل انه ضرورة جبل بالمدينة مر الكلام عليه في المغازي
هكذا عدي صعد بنفسه في رواية البخاري في مناقب ابي بكر وعثمان
وله في فضل عمر صعد النبي الى احد فعداه بالى وكلاهما جايز وتعدي ايضا
بعلى كما في اللغة وابو بكر وفي مناقب عثمان وعمر ومعه ابو بكر وفي مناقب
عثمان ومعه ابو بكر وعمر وعثمان هكذا الرواية في البخاري في المواضع الثلاثة
وفي غيره ايضا بتقديم احد اعلى قوله وابو بكر فما في كثير من نسخ المصنف
من تاخير قوله احد اعن عثمان خلاف الرواية فرجف بفتح الرا والجيم تحرك واضطرب
بهم احد فضربه النبي صلى الله عليه وسلم برجله تسميته ضربة حقيقية
اذ الضرب اساس جسم جسما بعنف وبعضهم قيد المحسوس بكونه حيوانا فيكون
مجازا تنزيلا للجبل منزلة الحيوان لكونه صار يحس ويليهم ما يقوله المصطفى له
وقال اثبت امر من الثبات لفظ البخاري في مناقب الشيخين ولفظه في مناقب
عثمان اسكن احد منادى حذفت اداته اي يا احد ونداوه وخطابه يحتمل المجاز
والحقيقة لكن الظاهر الحقيقة فحمله عليها اولى كقوله احد جبل يحبنا ونحبه
ويويده ضربه برجله قاله الحافظ والمصنف فانما عليك نبي وصديق
ابو بكر وشهيدان عمر وعثمان وللبخاري في مناقب عمر فما عليك الا نبي
صديق او شهيد واو للتنويع وشهيد للجنس ووقع لبعضهم اي رواة البخاري
وهو ابو ذر بلفظ نبي او صديق او شهيد فقيل او بمعنى الواو وقيل تغيير
الاسلوب للاشعار بمغايرة الحال لان صفة النبوة والصديقية كانتا حاصلتين
بخلاف صفة الشهادة فانها لم تكن وقعت حينيذ قاله الحافظ رواه احمد
في المسند والبخاري والترمذي كلاهما في المناقب وكذا النسايي وابو
حاتم وابو داود في السنة قال ابن المنير قيل الحكمة في قوله صلى الله
عليه وسلم ذلك القول انه لما رجف بابيه فتنل اراد الرسول صلى الله
عليه وسلم ان يبين هذه الرجفة ليست من جنس رجفة الجبل
بقوم موسى لما امره الله ان ياتيه بسبعين من بني اسرا فاختار منهم

ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن
قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل
غشيه غمام فدخله موسى بهم وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه
ثم انكشف الغمام فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي
الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اي ماتوا كذا في الاصل
لما حرفوا الكلم وان تلك الواقعة لقوم موسى رجفة الغضب عليهم وهذه
هزة بكسرها وشد الزاي نشاط وارتياح الطرب الفرح والخفة اللاحقة
من السرور ولهذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة
التي توجب السرور اي سرور ما اتصلت به لا رجفانه بفتحتين
اضطرابه الشديد فاقر اي اثبت النبي صلى الله عليه وسلم الجبل بذلك
القول واستقر ثبت انتهى كلام ابن المنير ويرد عليه ان كونه اراد بيان
ذلك لا يظهر مع قوله فانما عليك لانه نهي له عن تلك الحالة فلو كانت فرحا
لاقره وما نهاه بل قد يقتضي ذلك زيادة فرحه فتزداد هزته والجواب
انه اراد تسكينه خشية الضرر لاصحابه باستمرار تحركه وقد تتساقط حجارة
فينهدم بهم فكانه قال كف عن هذا الفرح الزائد اي اظهاره لئلا يتولد منه
ضرر والذي يظهر لي انه اراد لومه على فعله لانه وان كان فرحا لكن فيه ترك
الادب مع من عليه ويدل لذلك التعليل بقوله فانما عليك الخ وقد قيل سبب
تحركه مهابته صلى الله عليه وسلم او خوف الجبل من الله وانه لزلزلة
اتفقت عند صعودهم عليه واحد جبل بالمدينة على اقل من فرسخ منها
لان بين اوله وبين بابها المعروف بباب البقيع ميلان واربعة اسباع ميل
تزيد قليلا كما حرره السمهودي وهو الذي قال فيه احد جبل يوطي لقوله
يحبنا ونحبه حقيقة لان جزا من يحب ان يحب وزاد في رواية احمد وهو
من جبال الجنة رواه البخاري ومسلم عن انس والبخاري ايضا عن سهل
وفي رواية لهما ايضا ان احدا واختلف في المراد بذلك فقيل اراد به
اهل المدينة الانصار لانهم جيران احد فهو من مجاز الحذف كما قال
تعالى واسئل القرية اي اهلها قاله الخطابي قال الشاعر
وما حب الديار شغفن قلبي ٭ ولكن حب من سكن الديارا
وقال البغوي في ما حكاه الحافظ المنذري الاولى اجراوه على
ظاهره من انه حب حقيقي من الجبل ورجحه النووي وغيره ولا ينكر
وصف الجمادات التي هي سبب دعوى المجاز لعدم عقلها بحب الانبيا
والاوليا واهل الطاعة عطف عام على خاص كما حنت الاسطوانة
بضم الهمزة والطا والنون اصلية عند الخليل فوزنها افعوالة وزائدة
عند بعضهم والواو اصل فوزنها افعلانه والمراد بها الجذع الذي حن له
كما ياتي على مفارقته صلى الله عليه وسلم لما تركها وخطب على
المنبر فخار كما يخور الثور حتى سمع الناس حنينها الى ان سكنها

كما

كما ياتي تفصيله وكما اخبران حجرا كان يسلم عليه بمكة قبل الوحي كما مر
قريبا فلا ينكر ان يكون جبل احد وجميع اجزا المدينة تحبه حقيقة وتحن
الى لقائه حال مفارقته اياها انتهى وقال الحافظ المنذري هذا
الذي قاله البغوي جيد لان فيه ابقا اللفظ على حقيقته الذي هو
الاصل ودفع توهم بقائه على حقيقته وقد صححه النووي وغيره ثم
قوضع الله الحب في الجبل حقيقة كما وضع التسبيح في الجبال مع داود
والخشية في الحجارة التي قال وان منها لما يهبط من خشية الله وقدمت
لذلك مزيدا في غزوة احد وعن ثمامة بمثلثة مضمومة وميمين
خفيفتين ابن شراحيل اليماني مقبول من اواسط التابعين روى له ابو
داود والترمذي والنسائي والرواية له عن الكبري كما في التقريب وغيره
ووهم من زعم انه ثمامة بن اثال الصحابي لانه لا حديث له في الكتب
الستة عن عثمان بن عفان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
على ثبير بمثلثة مفتوحة وموحدة مكسورة وتحتية ساكنة وراء مهملة
جبل بالمزدلفة على يسار الذاهب الى منى مكة احترز عن غيره فان
ثبيرا متعدد ومعه ابو بكر وعمر وانا اي عثمان الراوي فتحرك الجبل
تحركا قويا حتى تساقطت حجارته بالحضيض بمهملة وضادين
معجمتين بينهما تحتية ساكنة فركضه ضربه صلى الله عليه وسلم برجله
وقال اسكن ثبير منادى بحذف الاداة فانما عليك نبي وصديق
وشهيدان اخرجه النسائي والترمذي والدارقطني والحضيض
القرار من الارض عند منقطع الجبل كما قيد به الصحاح ومختاره واسقط
القاموس عند منقطع الجبل وهو بفتح التاحيث ينتهي اليه طرفه اسم
معنى اي مصدر ميمي اما بكسر الطا فالشي نفسه اسم عين وركضه
برجله اي ضربه بها يقال ركض البعير اذا ضربه برجله واصل الركض
تحريك الرجل ومنه اركض برجلك كما في الصحاح وعن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حرا جبل على ثلاثة
اميال من مكة هو وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير
فتحركت الصخرة التي هي موضع وقوفهم او سمي الجبل باسم صخرة
فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حرا منادى بحذف الاداة فما
عليك الا نبي او صديق او شهيد وهم من بعد الصديق فان
كلا قتل شهيدا كما مر مفصلا في الكتاب وغيره وتقدير فما عليك
الى فما كل من عليك والاحد الدائر لا يخرج من الثلاثة ولا يقتضي وصف
كل واحد بالثلاثة اذ وصف النبوة قاصر على المصطفى ولعل حكمة
او هنا الاشارة الى ان الامر بالسكون يكفي فيه كل واحد بشرفه بانفراده
لشرف كل وجمع فيما مر بالواو لبيان الواقع وفي رواية وسعد بن
ابي وقاص مالك الزهري وسعد لم يستشهد بل مات بقصره بالعقيق

فلا يبعد انه استشهد بسبب غير القتل ولم يذكر عليا معهم في
هذه الرواية ولئن كان شهيدا فالمتحصل من الروايتين ذكر سعد وعلي
معا خرجهما اي الروايتين عن ابي هريرة مسلم وانفرد بذلك
المذكور منهما علي البخاري وخرجه الترمذي في مناقب عثمان
ولم يذكر سعد ابل عليا فرجحت رواية مسلم الاولي علي الثانية
وقال اهدا حرا بالهمز والجزم بالامر مكان اسكن وهو بمعناه قال
الجوهري هدا اسكن وقال حديث صحيح وخرجه الترمذي ايضا
عن سعيد بن زيد وذكر انه كانت عليه العشرة فعد نفسه فيهم
ولم يقتل فيحمل علي انه استشهد بغير القتل الا ابا عبيدة بن الجراح
وقال اثبت حرا مكان اسكن او اهدا وكذا رواه الخلعي بكسر ففتح
نسبة الي الخلع لانه كان يبيعها لملوك مصر ابو الحسن علي بن الحسين الموصلي
الاصل المصري المولود بها في محرم سنة خمس واربعماية الفقيه الصالح
له كرامات وتصانيف اعلا اهل مصر اسنادا جمع له احمد بن الحسن الشيرازي
عشرين جزءا خرجها عنه وسماها الخلعيات ومات علي سنة اثني وتسعين
واربعماية وتقدم ذلك ايضا عنه عن سعيد بن زيد بنحوه بنحو رواية
الترمذي ولم يذكر ابا عبيدة ابن الجراح ايضا كما لم يذكره الترمذي
ورواه ايضا اسحق ابن ابراهيم بن يونس المنجنيقي ابو يعقوب
الوراق البغدادي نزيل مصر ثقة حافظ مات سنة اربع وثلثماية
وعنه النسائي في كتاب ما رواه الكبار عن الصغار والاصل
فيه رواية النبي صلي الله عليه وسلم عن تميم خبر الجساسة والاباء عن
الابنا وهو نوع مهم من فوايده الامن من انقلاب السند ولله در
القايل وما لحرا تخمة بالمد وفي نسخة وما لحرا من تخمة فخرا بالفخر
وبالصرف عليهما وتقدمت ان لغاته جمعت في بيت حرا •
• حرا وقبا ذكروا انهما معاه ومدا واقصر واصرفن وامنع الصرفا
فرحا به فلولا امتثال اي قول النبي صلي الله عليه وسلم له اسكن
تضعضع انهدم حتي الارض والقضي ذهبت اثاره فلم يبق
منه شي وحرا وثبير جبلان متقابلان اي احدهما مقابل
الاخر في الجملة لا بقيد التحاذي وهو الاستوا في المقابلة فلا
ينافي ان حرا اقرب الي مكة من ثبير معروفان بمكة واختلاف
الروايات تعرف انها قضايا وقايع تكررت قاله الطبري
فيكون وقف علي كل واحد وحدا وثبير وتحرك كلا وخاطبهم بذلك جمعا بين
الروايات لصحة جميعها لكن صحح الحافظ ابن حجر في اول كلامه
ثم رجع عنه في اخره انه احد حيث قال عن قوله صعد احدا ولمسلم
وابي يعلي من وجه اخر حرا والاول اصح ولولا اتحاد المخرج وهو
انس لجوزت تعدد القصة ثم ظهر لي ان الاختلاف فيه من

سعيد بن ابي عروبة راوي الحديث عن قتادة عن انس فاني
وجدته في مسند الحارث بن ابي اسامة عن روح بن عبادة
ابن العلا بن حسان البصري ثقة من رجالهم عن سعيد بن ابي عروبة فقال
فيه احدا وحرا بالشك وقد اخرجه احمد من حديث بريدة
ابن الحصيب الصحابي بلفظ حرا واسناده صحيح واخرجه ابو
يعلي من حديث سهل بن سعد بلفظ احد واسناده صحيح
فقوي احتمال تعدد القصة اذ لا وجه لاهمال بعض الروايات
وطرح بعضها مع صحة جميعها واخرج مسلم من حديث ابي هريرة
ما يؤيد تعدد القصة فذكر انه كان علي حرا ومعه الجماعة
المذكورون هنا في حديث انس وهم العمران وعثمان وزاد معهم
غيرهم وهم علي وطلحة والزبير وقد سبق لفظه قريبا ولما ذكر احاديث
تكليم المصطفي للجبل ذكر حديث تكليم الجبل له فقال ولما طلبته عليه
الصلاة والسلام قريش حين خرج مهاجرا وارسلوا خلفه من يطلبه
وقد صعد ثبيرا قال له ثبير اهبط يا رسول الله انزل من فوقي
واذهب الي مكان اخر تختفي به عنهم اني اخاف ان يقتلوك علي ظهري
فيعذبني الله بالنصب عطفا علي يقتلوك وانما خاف العذاب بسبب
قتله لانه لو لم يذكر له ذلك مع علمه بانه لا مكان فيه يستره كان غشا منه
يستحق به العذاب او لانه لو قتل علي ظهره غضب علي المكان الذي
يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما غضب علي ارض ثمود فلا يرد كيف يعذب
بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر اخري ويوجه بان خوفه بمعني حزنه
وتاسفه عليه ونحو ذلك مما لا وجه له فقال له حرا الي بشد اليا المفتوحة
اي الي انت او هو اسم فعل بمعني اقبل يا رسول الله الهم الله تعالي ان
يقدره علي ان ينشق ويستتر في نحو جوفه ونحو ذلك مما تقع به سلامته
فلم يذهب اليه لسبق تعبيره به فخاف ان يطلبوه فيه رواه اي
ذكره في الشفا بلا اسناد بلفظ وقد روي انه حين طلبته قريش
فذكره وهو حديث مروي في الهجرة من السير بلا اسناد ولم
يخرجه في مناهل الصفا وحرا مقابل مواجه لثبير والوادي
بينهما وهما علي يسار السالك الي مني وحرا قبلي ثبير
مما يلي شمال الشمس وهذه الواقعة غير واقعة ثور
في خبر الهجرة فكانها كانت قبل توجهه الي غار ثور الذي اختفي
فيه هذا هو الظاهر فالله اعلم لكن مقتضي ما عزا له في حديث
الصحيح ان النبي صلي الله عليه وسلم والصديق وعدا الدليل غار
ثور انهما لم يخرجا من مكة قاصدين سواه قال السهيلي في حديث
الهجرة واحسب اظن في الحديث ان ثورا ناداه ايضا الي
يا رسول الله لما قال له ثبير اهبط عني فيكون كل ناداه كل

من نثر وحجر والله اعلم بصحته ومن ذلك كلام الشجر وهو ما قام
على ساق وماعداه نبات وقد يطلق على بعضه شجر كاليقطين
والحنطة وسلمه مما عليه اي الشجر وهو اسم جنس يذكر ضميره
ويونث عطف خاص على عام وطواعيتها انقيادها له بغير الكلام
لان مجيئها شقها للارض ليس بالكلام فهو مباين وان حمل على الطواعية
بالكلام وغيره كان عطف فالاول اولى وشهادتها له بالرسالة
خاص على عام صلى الله عليه وسلم وهذا كتسليم الحجر وحنين الجذع
ونبع الماء من خصائصه على الانبياء والمرسلين كما في الانموذج اخرج
البزار وابو نعيم من حديث عايشة قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اوحي الي وفي رواية لما استقبلني جبريل
بالرسالة جعلت بفتح الجيم مبني للفاعل اي صرت ويحتمل ضمها مبني
للمفعول اي جعلني الله لا امر بشجر ولا حجر الا قال
السلام عليك يا رسول الله ففيه كلامها له وشهادتها له بالرسالة
وروى ابو نعيم في الدلايل عن برة قالت لما اراد الله كرامة نبيه
كان يمضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بشجر ولا حجر الا قال
السلام عليك يا رسول الله وكان يرد عليهم وعليهم السلام قال الدلجي
لعله رد عليها السلام مكافاة لا وجوبا اذ ليست مكلفة انتهى والتوقف
فيه باحتياجه لنقل فقصور وقد علمت روايته ورده بان السلام شرع
تحية موجبة للرد في حق البشر لانه امان ولست من اهله ساقط
فالمكافاة لغير الاهل واخرج الامام احمد عن ابي سفيان طلحة
ابن نافع الواسطي ابو سفيان الاسكاف نزل مكة صدوق من
صغار التابعين عن جابر بن عبد الله قال جاء جبريل الى رسول
صلى الله عليه وسلم ذات يوم اي في ساعة من يوم وهو
جالس حزين مغموم على قومه ان يحل بهم العذاب اذ كذبوه لا لحظ
نفسه لانه كان لا يغضب لها بل اذا انتهكت حرمات الله والى هذا
اشار القاضي عياض بقوله في الشفا وحزنه لتكذيب قومه وطلبه
الاية لهم لا له اي لانه على يقين من امره عالم بقدرة ربه ثم هذا لفظ
جابر عند احمد وفي حديث انس عند الدارمي وغيره ان جبريل قال
للنبي وراه حزينا وهو ما اورده في الشفا وهو جملة حالية وقد راه
حزينا لعدم طاعة قومه له في اول البعثة اذ عرض نفسه على القبايل
قد خضب بالدما لانه ضربه بعض اهل مكة لما صدع بامر الله فاجتمعوا
عليه فاخذوه وقالوا انت جعلت الالهة الها واحدا فما دنا منهم الا ابو بكر
فدفعهم عنه وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد مر في المقصد
الاول فقال ما لك اي شي عرض لك حتى جلست حزينا فقال صلى الله
عليه وسلم فعل بي هولاء الكفار وفعلوا بتكرير الفعل اشارة الى

تكرر

تكرر اذاهم وكثرة انواعه من غير حصر لانه مرتين فقط فهو على حد كرتين
ورب ارجعون ولا ينافي حذف المعمول يوذن بالعموم لانا نقول العموم ولو في
نوع فقط بخلاف تكرار الفعل وفي حديث علي عند البزار اخذته قريش فهذا
يجاه وهذا يتلتله وفي حديث عمرو بن العاصي ما رايت قريشا ارادوا قتل
النبي صلى الله عليه وسلم الا يوم اغروا به وهم في ظل الكعبة وهو يصلي عند
المقام فقال له جبريل اتحب ان اريك اية معجزة تزيل حزنك لان الجاحد
اذا اطلع دعوته دل ذلك على ان الناس تطيعه بعد لكن تاخير ذلك لحكم خفية
او اية تدل من نظر اليها او علمها على صدقك ويزول بها حزنك فقال
نعم احب ذلك ليزول حزني واعلم ان الله سينصرني ويلين قلوب قومي
لاجابة دعوتي فنظر الى شجرة من وراء الوادي الذي كان فيها مع
جبريل فقال جبريل ادع تلك الشجرة اي مرها ان تاتي اليك ولم يامرها
هو اشارة الى ان المعجزة له لا لجبريل فدعاها قال فجاءت تمشي حتى
قامت بين يديه اي بمكان قريب منه صلى الله عليه وسلم فقال جبريل
مرها ان ترجع الى مكانها الذي كانت فيه فامرها فرجعت الى مكانها
كما كانت فقال صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي ذلك دليلا على تصديقهم
لي وان انكروا عنادا فلا احزن وفي حديث عمر عند البيهقي فقال لا ابالي
من كذبني بعدها من قومي ولعله ظهر ذلك لقومه بحيث راوه فلا عذر
لهم في عدم تصديقه لانه بعد روية الايات البينات عناد محض ورواه
الدارمي من حديث انس بنحوه واخرجه البيهقي من حديث عمر بنحوه
ايضا وهي قصة واحدة اختلفت الطرق فيها بنقص التغيير والزيادة
هذا هو الاصل وتجويز التعدد بعيد وعن علي قال كنت امشي مع النبي
صلى الله عليه وسلم بمكة في ابتداء النبوة فخرجنا في بعض نواحيها
فما استقبله اي لم يقع في مقابلته جبل ولا شجر فنسب الاستقبال
لهما اشارة الى ادراكهما حتى كانهما توجها لمقابلته والا فكان الظاهر
فما استقبل جبلا ولا شجرا الا وهو يقول السلام عليك يا
رسول الله لما في المصباح كل شي تلقا وجهك فقد استقبلته واستقبل
الشي واجهته فهو مستقبل بالفتح اسم مفعول رواه الترمذي وقال
حديث حسن غريب من جهة تفرد لراويه فلا ينافي قوله حسن
ورواه ايضا الدارمي والحاكم وصححه كما قدمه المصنف في ترجمة تسليم
الحجر واعاده هنا في ترجمة تسليم الشجر فلا تكرار لاختلاف المراد
من سوقه وكذا ذكر حديث عايشة المذكور اول هذه الترجمة في
المحلين لذلك فلا تكرار واخرج الحاكم في مستدركه على الصحيحين
باسناد جيد اي مقبول عن ابن عمر بن الخطاب قال كنا مع
النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فاقبل اعرابي فلما دنى قرب
منه قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اين تريد اي تقصد

بمسيرك اي مكان قال الي اهلي اي الي المكان الذي فيه اهلي ليطابق
الجواب السوال وحذف مكان للعلم به اذ لا بد لاهله من مكان او لعدم
تعلق غرضه بخصوص المكان اذ غرضه اي اذ مراده الذهاب الي اهله في
اي مكان كانوا او لانهم كانوا نزالة رحالة لا مكان لهم وعداه بالي والارادة
متعدية بنفسها لتضمنه معني التوجه وقدم سواله تانيسا له وازالة لما
في نفسه من مهابته لانه كان مهيبا لمن راه وتوطية لقوله قال هل لك
عرض في الوصول الي خير مما انت فيه اذكر عليه فلك خبر مبتدا محذوف قال
وما هو الخير الذي دعوتني له قال تشهد ان لا اله الا الله وحده حال
لازمة اي متوحدا متنزها عن شريك في ذاته وصفاته وفي كونه معبودا
بحق لا شريك له تاكيد لوحدانيته بعد تاكيد اي تاكيد وان محمدا عبده
ورسوله قدم العبودية تنزيها لنفسه عن الاطراء في مدحه ولم تقل واني
عبده ورسوله لاحتمال ان الاعرابي كان يعرف شهرته بذلك ولا يعرف عينه
قال هل لك من شاهد اية ومعجزة لا احد الشهود علي ما تقول من الرسالة
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه الشجرة شاهدي وفي رواية
قال هذه السمرة بفتح المهملة وضم الميم وراء مفتوحة شجرة عظيمة ذات
شوك من الطلح واشار اليها لقربها منه وجمعها سمر بفتح السين وضم الميم
وسكونها كما في اللغة لا بفتح السين كما وقع لبعض فدعاها رسول الله
صلي الله عليه وسلم وهي علي شاطي بمعجمة والف ومهملة وهمزة جانب
الوادي الارض المتسعة المستوية من وذي بمعني سال لما فيها من المياه
السايلة فاقبلت تخد الارض جملة حالية او مستانفة خدا فقامت
بين يديه محاذية له قريبة منه فاستشهدها ثلاثا اي قال لها ثلاث
مرات وطلب منها ان تشهد له بانه رسول الله والتثليث للتاكيد ليقوي ذلك
في قلب الاعرابي فشهدت له بانه رسول الله ثلاثا وتركه لعلمه من السياق
ثم رجعت الي منبتها بفتح الموحدة قياسا وكسرها سماعا قال المجد المنبت
كمجلس موضع النبات شاذ والقياس كمقعد لان قياس اسم المكان من يفعل
ان يكون علي مفعل بالفتح كمخرج لمدخل ومخرج ومقعد الحديث بقيته
ورجع الاعرابي الي قومه وقال يا رسول الله ان يتبعوني اتيتك بهم والا رجعت
اليك وكنت معك ورواه الدارمي والبزار والبيهقي وابو القاسم البغوي
المتقدم ومن طريقه اخرجه في الشفا ايضا بنحوه وفيه معجزات خلق الله في
الجماد ادراكا ونطقا وحركة ارادية تجي بها وتذهب وقد وقعت علي سبيل
التحدي فهذه المعجزة منطبق علي كل واحدة منها وقوله تخد الارض بضم
الخا المعجمة وتشديد الدال المهملة اي تشق الارض لتسعي بعروقها
التي في جوف الارض ولولا ذلك لم تتحرك وعن بريدة علم منقول من تصغير
بردة قال ابو علي الطرسي اسمه عامر وبريدة لقب ابن الحصيب بمهملتين
مصغر وصحف من قاله بخا معجمة الاسلمي قال ابن السكن اسلم حين مر به صلي الله

عليه وسلم مهاجرا بالغميم واقام بموضعه حتي مضت بدر واحد وقيل اسلم بعد بدر
وسكن البصرة لما فتحت وفي الصحيحين عنه انه غزا مع النبي صلي الله عليه وسلم
ست عشرة غزوة ومناقبه مشهورة واخباره كثيرة وكان غزا خراسان
زمن عثمان ثم تحول الي مرو فسكنها الي ان مات سنة ثلاث وستين كما في
الاصابة وتقدم بعض ترجمته في الهجرة وغيرها سال اعرابي بعد ان
اسلم كما في نفس رواية البزار وابي نعيم النبي صلي الله عليه وسلم اية
علامة ومعجزة تقوي اسلامه فقال له قل لتلك الشجرة مشيرا لسمرة
كانت ثمة يحتمل انها المذكورة في الحديث قبله وانها غيرها رسول الله
صلي الله عليه وسلم يدعوك بكسر الكاف يطلب منك المجي اليه والحركة نحوه
قال بريدة فدعاها قالت فالقا فصيحة ويحتمل انها بمجرد سماعها قول
المصطفي جاءت لتحصيل قصده بدون دعا الاعرابي لها وهذا ابلغ في
المعجزة لكن المتبادر الاول الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها
وخلفها اي مالت ميلا شديدا وتحركت في جهاتها الاربعة لتتخلص عروقها
من الارض وتتمكن من الحركة نحو المصطفي ولعل حكمة ذلك اظهار انه خلق
فيها قوة وادراكا لفعل ذلك وان امكن وصولها اليه متعلق الارادة بذلك
بلا سبب يحال عليه فتقطعت عروقها علي ظاهره او معناه تخلصت
وتعلقت وهذا هو الظاهر لقوله ثم جات تخد الارض تجر عروقها
وقوله فدلت عروقها ولو تقطعت حقيقة فسدت ولم تبق ثابتة بحالها
وقيل هي معجزة لاخري مخالفة للعادة بثباتها بعد تقطع عروقها التي
هي سبب حياتها والجملتان حالان مترادفتان او متداخلتان والثانية
موكدة للاولي ولذا لم يعطف عليه مغيرة بضم الميم وسكون المعجمة وكسر
المعجمة وسكون التحتية اي مسرعة في مشيها قال تعالي فالمغيرات صبحا فهو
اسم فاعل من اغار وروي بموحدة مشددة مكسورة وراء خفيفة اسم
فاعل بالتشديد تكثير بقال غبر اثار الغبار وروي مغبره بضم فسكون
ففتح الموحدة الخفيفة والراء الثقيلة اسم فاعل ايضا لانه لازم اي اشتد غبارها
او علاها الغبار وهو حال اما من ضمير تجر العروق في حال غيره او من العروق
او في حال كون العروق مغبرة حتي وقفت بين يدي رسول الله
صلي الله عليه وسلم قريبة منه مواجهة له فقالت السلام عليك
يا رسول الله فجمعت الطاعة والشهادة بالرسالة والتوقير قال
الاعرابي مرها بضم الميم مخفف امرها فلترجع الي منبتها بكسر
الموحدة كما مر فامرها فرجعت لمحلها فدلت عروقها ادخلتها في
ذلك الموضع الذي هو اصلها فاستقرت فيه وفي الشفا فاستوت اي انتصبت
قايمة من غير ميل فقال الاعرابي ايذن بكسر الهمزة وسكون التحتية
واصله اءذن بهمزتين الاولي وصل والثانية فا الكلمة فلما اجتمع
همزتان ثانيهما ساكنة وجب ابدالها يا علي القاعدة في ذلك كما في

في الالفية وغيرها خلاف نول بعض بكسر الهمزة الاولي وسكون الثانية
ويجوز ابدالها يا لي ان اسجد لك فابي صلي الله عليه وسلم وقال لو امرت
احدا ان يسجد لاحد اي لو جاز امر مخلوق بالسجود لمثله لامرت المراة
ان تسجد لزوجها لوجوب طاعته عليها وحقوقه الموجبة للتعظيم والخضوع
وفي شرعنا يمتنع السجود والركوع لغير الله قيل وكان جايزا في الشرايع
السابقة بقصد التعظيم لا العبادة كما قال تعالي وخروا له سجدا انكان
الضمير ليوسف وسجدت الملايكة لادم وكان ذلك تحية ملوكهم ولذا
طلبه الاعرابي فنهاه وعوضنا عن تلك التحية بالسلام والمصافحة رواه
البزار في مسنده وابو نعيم في الدلايل ونقله في الشفا بلا عزو وبزيادة
وقال ايذن لي اقبل يديك ورجليك فاذن وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال جا اعرابي من بني عامر كما في رواية البيهقي الي النبي صلي
الله عليه وسلم فقال لم اعرف انك رسول الله كانه لما علم بدعاية
الناس للتصديق برسالته ولاحت عليه علامات السعادة قصد استكشاف
امره بعلامة يستدل بها لتيقن صدقه صلي الله عليه وسلم وتكون تلك
العلامة حجة له علي غيره ولعلها تكون سببا لهداية غيره بها قال ان
دعوت امرت وفي رواية ارايت ان دعوت هذه العذق بمهملة مكسورة
فمعجمة ساكنة فقاف العرجون جامع الشماريخ من هذه النخلة لنخلة
كانت عنده واما العذق بفتح العين فالنخلة نفسها وقيل تطلق بكسرها
علي النخلة ايضا لكنه ليس لا يفسر به هنا لقوله من هذه وفي الكلام
حذف فاجابني اتشهد اني رسول الله اي اتومن بي وبما ارسلت به وتقر
بذلك قال نعم كما في الرواية فسقط من قلم المصنف او نساخه فجعل اي شرع
وصار العذق ينزل من النخلة شيا فشيا حتي سقط علي الارض فقعد
النخلة فاقبل وهو يسجد ويرفع حتي انتهي الي النبي صلي الله عليه وسلم
ثم قال له ارجع فعاد الي مكانه الذي كان فيه فاسلم الاعرابي زاد
في رواية وقال والله لا اكذبك بشي تقوله بعدها ابدا اشهد انك
رسول الله وامن رواه الترمذي وصححه فقال هذا حديث صحيح وكذا
رواه البخاري في التاريخ وابو يعلي وابن حبان والبيهقي وفي حديث
يعلي بزنة يرضي علم منقول من المضارع ابن مره بن وهب بن جابر
الثقفي وامه سيابة بكسر السين المهملة كما في التقريب وقال التلمساني
بفتحها فتحتية فالف فموحدة واليها ينسب ايضا شهد الحديبية وما
بعدها قال ابو عمر كان من افاضل الصحابة روي عن النبي صلي الله عليه وسلم
احاديث وعن علي وعنه ابناه عبد الله وعثمان واخرون قال ابن سعد
امره النبي صلي الله عليه وسلم ان يقطع اعناب ثقيف فقطعها وهو غير يعلي
العامري وقيل هما واحد اختلف في نسبه فقيل الثقفي وقيل العامري
قال يعلي كنت مع النبي صلي الله عليه وسلم في مسير فذكر الحديث الي ان قال

يعلي ثم سرنا حتي نزلنا منزلا فنام النبي صلي الله عليه وسلم
فجاءت شجرة في رواية طلحة او سمرة بالشك من الراوي في الشجرة
وهما نوعان من شجر البرية ذات شوك تسمي العضاة تشق الارض
حتي غشيته وفي رواية طافت به اي دارت حوله ثم رجعت الي مكانها
موضعها التي هي نابتة فيه فلما استيقظ انتبه رسول الله صلي الله
عليه وسلم ذكرت له ذلك فقال هي شجرة استاذنت ربها في
ان تسلم علي فاذن لها فيه اشعار بعلمه بمجيها قبل اخبار يعلي له به ولعله
علم ذلك في نومه لانه كان يوحي اليه فيه فتكون الشجرة حين زارته سلمت
عليه وعلم بها فحصلت مقصودها الحديث رواه البغوي الامام الفقيه
الحافظ ابو محمد الحسين بن مسعود بن محمد صاحب المصنفات المبارك له
فيها لقصده الصالح فانه كان من العلما الربانيين ذا تعبد ونسك وقناعة
باليسير مات بمرو سنة ست عشرة وخمسماية عن ثمانين سنة في شرح
السنة احد تصانيفه وهو حديث طويل رواه الامام احمد والطبراني
والبيهقي وفي حديث جابر بن عبد الله الانصاري سرنا مع رسول
الله صلي الله عليه وسلم في غزاة حتي نزلنا واديا افيح بفتح الهمزة
وسكون الفا وفتح التحتية وبالحا المهملة اي واسعا فذهب رسول الله
صلي الله عليه وسلم يقضي حاجته كناية عن التغوط اي لاجل ذلك
فاتبعته باداوة بالكسر مطهرة جمعها اداوي بفتح الواو من ما فنظر
رسول الله صلي الله عليه وسلم فلم ير شيا يستتر به من الناس فاذا
شجرتان فاجاناه بلا ترقب وفي رواية بشجرتين بزيادة البا في شاطي
الوادي بالهمز جانبه فانطلق توجه رسول الله صلي الله عليه وسلم
الي احداهما حتي قرب منها فاخذ بغصن من اغصانها اي امسكه بيده
فقال انقادي طاوعيني او سيلي علي لتكوني ساترة لي باذن الله تعالي
بتيسيره وتسهيله لا بقوة جذبي فانقادت معه طاوعته ومالت حتي
سترته كما اراد وانما امسك غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها كما في الاحاديث قبله
لان ذلك كان لاظهار معجزة حتي يسلم الاعرابي وهنا لم يقصد ذلك كالبعير
المخشوش بمعجمات اسم مفعول اي الذي وضع في انفه خشاش بالكسر اي عود
من خشب لينقاد بسهولة فان كان من وبر ونحوه فزمام او من نحاس فبره
قاله الخطابي وبه علم موقع المخشوش دون المخزوم لان الغصن من جنس العود
وهو تشبيه في السرعة والسهولة الذي يصانع يلاين قايده بسهولة الانقياد
له مستفاد من المصانعة وهي المداراة والاعطا ولذا قيل للرشوة مصانعة
قاله الراغب ثم فعل بالاخري كذلك بان امسك غصنا منها حتي اذا كان
بالمنصف بينهما اي الشجرتين قال التيما بفتح الفوقية وكسر الهمزة اي انضما
واجتمعا علي باذن الله بتيسيره وارادته لا بفعلي فالتامتا اجتمعا
الحديث رواه مسلم في الصحيح والمنصف بفتح الميم واسكان النون

وفتح الصاد المهملة المخففة وبالفا الموضع الوسط بين الموضعين والتلاؤم
بالهمز والالتيام الاجتماع ومنه التيام الجرح وفي اخري عند مسلم فقال
صلي الله عليه وسلم ياجابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله الحقي بصاحبتك
حتي اجلس خلفكما فزحفت حتي لحقت بصاحبتها حتي فجلس خلفهما فرجعت
احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا رسول الله صلي الله عليه وسلم
والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما علي ساق فوقف صلي الله
عليه وسلم وقفة فقال براسه هكذا يمينا وشمالا وهو حديث واحد طوله
بعض الرواة وبعضهم اختصره فكانه لما اخذ بغصن احداهما قال لجابر قل
لهذه الشجرة الحقي اخره فلما جاءت فعل بها مثل ما فعل بالاخري ونحو احاديث
اخر في طاعة الاشجار وانقيادها وردت منها في الشفا جملة ثم قال فهذا
ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلي بن مرة واسامة وانس وعلي
وابن عباس وغيرهم قد اتفقوا علي هذه القصة نفسها ومعناها
ورواها عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث
هي ولله در الابوصيري صوابه البوصيري كما تقدم كثيرا حيث قال
جاءت لدعوته الاشجار ساجدة خاضعة تمشي اليه علي ساق
بلا قدم يعينها علي المشي قال تعالي والنجم والشجر يسجدان والشجر ما له
ساق والنجم ما لا ساق له وبلا قدم متعلق بتمشي او صفة لساق وتاؤه
للمصاحبة كانما حال من فاعل تمشي وما كافة سطرت حطت الاشجار سطر
الما للذي كتبت فروعها اي عروقها مجاز من اطلاق اسم احد الضدين
علي الاخر لتناسب قوله في الحديث المار فتقطعت عروقها وان كان الفرع لغة
من كل شي اعلاه من بديع الخط بيان لما والاضافة بيانية وهي من اضافة
الصفة للموصوف اي الخط المبتدع لانه لم يعهد مثله للاشجار في اللقم بفتح
اللام والقاف وبضم الفا اللام وفتح القاف الطريق او وسطه كما في القاموس
تشبه اثار مشي الشجرة لما جاءت اليه صلي الله عليه وسلم المفيدة
للخيرات بكتابة كاتب اوقعها علي نسبة معلومة في اسطر منظومة
متسعة ووجه التشبيه ان الخط دال علي اللفظ المفيد للمعاني ومشي اثار
فروع الشجرة في الارض مفيد للخيرات فالتشبيه من حيث الفايدة واذا
كانت الاشجار تبادر لامتثال امره صلي الله عليه وسلم حتي تخر ساجدة
بين يديه فنحن اولي واحق بالمبادرة لامتثال ما دعي اليه لانا
عقلا مكلفون وهي جماد غير مكلف زاده الله شرفا وكرما لديه
وتامل قول الاعرابي ايذن لي ان اسجد لك لما بكسر اللام وخفة
الميم اي للامر العظيم الذي راي من سجود الشجرة بيان لما فراي انه احري
اولي بذلك منها حتي اعلمه عليه الصلاة والسلام ان ذلك اي
السجود لا يكون الا لله فحق علي كل مومن ان يلازم السجود للرب
المعبود ويقوم علي ساق العبودية وان لم يكن له قدم يقوم عليه

بان كان كسيحا وقدم معنوي كما قامت الشجرة علي ساقها طاعة للمصطفي
وهي عبودية لله تعالي ومن ذلك حنين الجذع المعهود الذي كان يخطب عليه
شوقا اليه صلي الله عليه وسلم لما فارقه وخطب علي المنبر اعلم ان الحنين
بفتح المهملة ونون بينهما تحتية ساكنة صوت كالانين يكون عند الشوق
من يهواه اذا فارقه ويوصف به الابل كثيرا مصدر مضاف الي الفاعل
اي ان الجذع حن والمراد بحنينه شوقه وانعطافه الي النبي صلي الله
عليه وسلم لان الحنين اشتياق المراة الي ولدها فشبه شوق الجذع بالمراة
علي ما فهم من فضل المصباح الحنين علي ذكر والحنان علي غيرها لكن قال الجوهري
الحنين الشوق وتوقان النفس تقول حن اليه يحن حنينا وفي القاموس الحنين
الشوق وشدة البكا والطرب او هو صوت الطرب عن حزن او فرح وعليه
فهو بيان للمعني المقصود بالحنين هنا من جملة المعاني المذكورة والذي في
الاحاديث المسوقة هنا انه صوت فتفسيره بالشوق لا يعرض له في الاحاديث
ولكن لعل المراد منه اي الصوت الدال علي الشوق للمصطفي اي الصوت الدال
علي شوقه الي رسول الله صلي الله عليه وسلم المتبادر انه بالخفض تفسير
للشوق فيصير المعني ولعل المراد من الصوت الدالة علي الصوت لانه جعل تفسيرا
للشوق وهذا لا معني له اللهم الا ان يقرا الصوت بالرفع خبر مبتدا محذوف اي
فالمراد بالحنين الصوت الدال علي شوقه ويكون بيانا لحاصل المعني والجذع
بكسر الجيم واحد جذوع النخل وهو ساق النخلة كما في القاموس وغيره وهو
بالذال المعجمة وظاهره كان اخضر او يابسا وقيل يختص باليابس ولا دلالة
في وهزي اليك بجذع النخلة علي الاطلاق لان كونه يابسا يدل للتقييد علي
انه لا دلالة فيه لواحد من القولين لانه الواقع انه كان يابسا قال البيضاوي
الجذع ما بين العرق والغصن وكانت نخلة يابسة لا راس لها ولا خضرة وقد
روي حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد
القطع بوجود ذلك فهو متواتر فلا يليق تعبيره بروي ممرضا لانه انما يستعمل
فيما يشك فيه لا في الصحيح فضلا عن المتواتر ولو اسقط عن وجعل جماعة فاعل
روي بينا به للفاعل لم يرد عليه هذا قال العلامة التاج ابن السبكي
في شرح المختصر ابن الحاجب في الاصول والصحيح عندي ان حنين
الجذع متواتر وسبقه الي ذلك عياض وغيره كما في رواه البخاري
في علامات النبوة والترمذي في الصلاة عن نافع عن ابن عمر كان النبي
صلي الله عليه وسلم يخطب الي جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه
فمسح يده عليه قال الاسماعيلي فسكن وقال صلي الله عليه وسلم لو لم افعل
لما سكن ورواه احمد من رواية ابي جناب بجيم ونون خفيفة فالف
فموحدة الكلبي مشهور بكنيته واسمه يحيي بن ابي حية الكلبي ضعفه لكثرة
تدليسه مات سنة خمسين ومائة او قبلها روي له ابو داود والترمذي
وابن ماجه عن ابيه ابي حية بفتح الحا المهملة والتحتية المثقلة واسمه

حي بفتح الحاء وشد التحتية الكلبي الكوفي روى عن سعد وابن عمر وعنه ابنه
قال ابو زرعة محله الصدق وفي التقريب مقبول من الثالثة روى له ابن
ماجة فقط والمراد من سوقه ان ابا حية تابع نافعا في رواية عن ابن عمر
فيعتضد ضعف ابي جناب لان القصد الا المتابعة لا الاحتجاج ورواه ابن
ماجة وابو يعلي الموصلي وغيرهما من رواية حماد بن سلمة بن دينار
البصري ثقة عابد اثبت الناس في ثابت روى له مسلم والاربعة عن ثابت
ابن اسلم البناني عابد ثقة روى له الستة عن انس واسناده على شرط
مسلم فهو من الطبقة السادسة من مراتب الصحيح ورواه الترمذي وصححه
وابو يعلي وابن خزيمة والطبراني والحاكم وصححه وقال على شرط
مسلم يلزمه اخراجه من رواية اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة
الانصاري المدني ثقة حجة من رجال الجميع مات سنة اثنين وثلاثين ومائة وقيل
سنة اربع وثلاثين وكان مالك لا يقدم عليه احدا في الحديث فيما قال الواقدي
عن انس ابن مالك ورواه الطبراني من رواية الحسن البصري فهو لا ثلاثة
رووه عن انس ورواه احمد بن منيع بفتح الميم وكسر النون بن عبد الرحمن
ابو جعفر البغوي نزيل بغداد ثقة حافظ مات سنة اربع واربعين ومائتين وله
اربع وثمانون والطبراني وغيرهما من رواية حماد بن سلمة عن عمار بن
ابي عامر مولى بني هاشم ابو عمر ويقال ابو عبد الله صدوق روى له مسلم
والاربعة مات بعد العشرين ومائة عن ابن عباس عبد الله ورواه احمد
والدارمي وابو يعلي وابن ماجة وغيرهم من رواية الطفيل بن
ابي بن كعب الانصاري الخزرجي ثقة من كبار التابعين يقال ولد في عهد النبي
صلى الله عليه وسلم وكان يقال له ابو بطن لعظم بطنه روى له البخاري
في الادب المفرد عن ابيه ابي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معوية
ابن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري سيد القراء من فضلاء الصحابة يكنى ابا
المنذر ويكنى ابا الطفيل ايضا ورواه الدارمي من رواية ابي حازم
بمهملة وزاي سلمة بن دينار المدني عابد ثقة من رجال الجميع عن سهل
ابن سعد الساعدي ورواه ابو محمد الجوهري من رواية عبد العزيز
ابن ابي رواد بفتح الراء وشد الواو صدوق عابد ربما وهم ورمي بالارجاء
روى له الاربعة وعلق له البخاري مات سنة تسع وخمسين ومائة
عن نافع عن تميم بن اوس بن خارجة الداري الصحابي المشهور مات
سنة اربعين فعدة من الصحابة الذين رووه ثم قال ابن السبكي
ولست ادعي ان التواتر حاصل بما عددت من الطرق بل من طرق
اخرى كثيرة يعدها المحدث ضمن المسانيد والاجزاء وغيرهما
كالمشيخات والمعاجم اي غير المشهور وفي رواية وفي نسخة وغيرها
بالتانيث نظرا للمعنى اي وغير الافراد المذكورة وانما ذكرت بالبنا
للفاعل مسند الى ضمير المتكلم وحذف المفعول اي ما وجدته في المشاهد

منها

منها او في بعضها ورب متواتر عند قوم لكثرة اطلاعهم غير
متواتر عند اخرين لغفلته انتهى كلام ابن السبكي وقال الحافظ
ابن حجر في فتح الباري في حديث تسبيح الطعام وحنين الجذع وانشقاق
القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على
طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة لهم له في ذلك والله
اعلم انتهى وقال هنا قال البيهقي فقصة حنين الجذع من الامور
الظاهرة التي حملها الخلف رووها عن السلف رواية الاخبار
الخاصة كالتكليف هذا بقية كلام البيهقي انتهى وهذه الاية من اكبر
الايات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم
قال الشافعي فيما نقله ابن ابي حاتم عن ابيه عن عمرو بن سواد عنه
اي الشافعي في كتاب مناقبه التي الفها ابن ابي حاتم ما اعطى الله نبيا
مثل ما اعطى نبينا محمدا فقيل له القائل عمرو بن سواد بلفظ قلت
اعطى عيسى احيا الموتى قال اعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع
صوته فهي اكبر من ذلك وقال القاضي عياض في الشفا حديث
حديث الجذع مشهور منتشر اي شائع بين الخلق والخبر به متواتر
لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة له عن جماعة فيستحيل تواطوهم على
الكذب اخرجه اهل الصحيح اي الذين التزموا اخراج الاحاديث
الصحيحة في كتبهم كالبخاري ومسلم وابن خزيمة وابن حبان ورواه
من الصحابة بضعة عشر بكسر البا وفتحها من ثلاثة الى تسعة منهم
ابي بن كعب وجابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن
عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وابو سعيد
سعد بن مالك الخدري بالدال المهملة والمطلب بن ابي وداعة بفتح
الواو وخفة الدال الحارث بن صبيرة بمهملة ثم موحدة ابن سعيد
بالتصغير السهمي ابو عبد الله صحابي اسلم يوم الفتح وامه اروى بنت
الحارث بن عبد المطلب بنت عم النبي صلى الله عليه وسلم نزل المدينة ومات
بها وله احاديث في مسلم والسنن انتهى ما نقله من كلام عياض ومنه
كلهم يحدث بمعنى الحديث اي فرواياتهم متفقة بحسب المعنى وكلامه يشير
الى ان تواتره معنوي لا اصطلاحي كقول ابن الصلاح ان التواتر لا يكاد
يوجد لكن تعقب بانه حقيقي لاجماع من بعدهم على صحتها ثم نسب المصنف
ما ذكره عياض من احاديث هو لا الى مخرجيها الا اخيرها وهو المطلب وقد
اخرجه احمد والزبير ابن بكار فقال فاما حديث ابي بن كعب فرواه
الشافعي في مسنده وابن ماجة والدارمي واحمد وابو يعلي كما سبق
قريبا والبيهقي كلهم من حديث الطفيل بن كعب عن ابيه قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي مستندا الى جذع اذ كان
المسجد عريشا اي مسقفا بالجريد وكانت الجذوع له كالاعمدة

وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال رجل من اصحابه هو
تميم الدارى فيما في ابي داود وغيره باسناد جيد ان تميما قال له صلى
الله عليه وسلم لما كثر لحمه الا نتخذ لك منبرا يحمل عظامك قال بلى
فاتخذ له منبرا الحديث ولا تصريح فيه بان صانع المنبر تميم بل
روى ابن سعد ان تميما لم يعمله واشبه الاقوال بالصواب ان صانعه
ميمون لكونه من رواية سهل بن سعد اخرجه قاسم بن اصبغ وابو سعد
في الشرف وهو مولى امراة من الانصار كما في الصحيح وقيل مولى سعد
ابن عبادة فكانه في الاصل مولى امراته ونسب اليه مجازا واسمها فكيهة
بنت عمه عبيد بن دليم اسلمت وبايعت واما الاقوال الاخر ان صانعه تميم
او باقول بالقاف اخره والميم الرومي او صباح بضم المهملة وخفة الموحدة
او قبيصة او مينا بكسر الميم او صالح مولى العباس او ابراهيم او كلاب
مولى العباس فلا اعتداد بها لوهائها ويبعد جدا الجمع بينها بان النجار
كانت له اسما متعددة واحتمال كون الجميع اشتركوا في عمله فيمنع منه قوله
في كثير من الروايات لم يكن بالمدينة الا نجار واحد يقال له ميمون الا ان
يحمل على المراد واحد في صناعته والبقية اعوانه فيمكن كما بسطه في فتح
الباري وقدمته في المقصد الاول مبسوطا هل لك ان نجعل منبرا
تقوم عليه يوم الجمعة فتستريح من القيام على الجذع ويسمع
الناس خطبتك اقوى من سماعهم وانت على الارض قال نعم
فصنع له ثلاث درجات هي التي على المنبر اي فوقه لانه الذي
كان له ثلاث درجات الى ان زاده مروان بن الحكم في خلافة معوية ست
درجات وسبب ذلك ان معوية كتب اليه ان يحمل المنبر اليه من المدينة
الى الشام فامر به فقلع فاظلمت المدينة وانكسفت الشمس حتى راوا
النجوم فخرج مروان فخطب فقال انما امير المومنين ان ارفعه فدعا نجارا
فزاد فيه ست درجات وقيل انما زادت فيه حين كثر الناس اخرجه الزبير
ابن بكار في اخبار المدينة من طريق قال ابن النجار واستمر على ذلك الى
احترق مسجد المدينة سنة اربع وخمسين وستماية فاحترق قال السيوطي
وكان ذلك اشارة الى زوال دولة البيت النبوي بني العباس فانها
انقرضت بعد ذلك عقب ذلك بقليل في فتنة التتار قال ابن النجار
ثم جدد المظفر صاحب اليمن سنة ست وخمسين وستماية منبرا ثم ارسل
الظاهر بيبرس بعد عشر سنين منبرا فازيل منبر المظفر فلم يزل منبر
بيبرس الى سنة عشرين وثمانماية فارسل المويد شيخ منبرا فلم يزل
الى سنة سبع وستين وثمان ماية فارسل الظاهر خشقدم منبرا
انتهى فلما صنع من اثل الغابة كما في الصحيح وضعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم موضعه الذي هو فيه فكان اذا بدا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطب بجاوز الجذع

الذي

الذي كان يخطب عليه خار بخاء معجمة صوت وهو في الاصل يختص بصياح البقر
ثم توسعوا فيه في اصوات جميع البهايم قاله الراغب فاطلاقه على صوت الجذع
مجاز حتى تصدع وانشق عطف تفسير او حقيقة الصدع شق الاجسام
الصلبة كالزجاج والحديد ثم استعير منه صدع الامر بينه كاصدع بما تومر
وهو مبالغة في شدة صياحه كما يقال حكى صاح حتى انفلق ويجوز بقاوه
على ظاهره لكن يويد الاول قوله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع
صوت الجذع فمسحه بيده فسكت كما في رواية لزوال ما يفزع به منه
ومشيه له ثم رجع الى المنبر الحديث واما حديث جابر فرواه البخاري
من طرق في مواضع وفي لفظ له في علامات النبوة وغيرها عن شيخه ابي
نعيم عن عبد الواحد بن ايمن عن ابيه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقوم يوم الجمعة يخطب الى شجرة او قال الى نخلة بالشك
من الراوي وقد اخرجه الاسماعيلي من طريق وكيع عن عبد الواحد فقال الى
نخلة ولم يشك قاله الحافظ اي فالشك من شيخ البخاري ابو نعيم الفضل
ابن دكين وقوله الى نخلة اي الى جذع نخلة فقالت امراة من الانصار
لم تسم او هي فكيهة بنت عبيد بن دليم زوجة سعد بن عبادة وفي
المستغفري اسمها علاثة بتصحيف وللطبراني اسمها عايشة واسناده ضعيف
او رجل شك من الراوي والمعتمد الاول وقد تقدم بيانه في الجمعة والخلاف
في اسمها قاله في الفتح وقال في مقدمته في رواية البيهقي انه تميم الداري
وقدمنا الخلاف في اسم صانع المنبر ورجحنا ان تميما هو المشير به وان صانعه
الذي قطعه من طرف الغابة هو المختلف في اسمه انتهى ويقع في نسخ المصنف
او رجل من الانصار وليس في البخاري من الانصار ولا يصح لرواية
البيهقي فقال تميم وليس من الانصار الا بالتخفيف نجعل لك منبرا قال
ان شيتم جعلوا فاجعلوه فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة برفع يوم اسم
كان وبنصبه على الظرفية رفع بالرا وفي رواية بالدال بدلها وكسر الفا
اي النبي صلى الله عليه وسلم الى المنبر ليخطب عليه فصاحت النخلة التي
كان يخطب عندها اسقط من لفظ البخاري في العلامات صاح الصبي وزاد
في البيع حتى كادت ان تنشق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمها
اي النخلة وفي رواية فضمه اي الجذع اليه فجعلت تئن انين الصبي
الذي يسكن بضم التحتية اخره نون مبني للمفعول من التسكين قال المصنف
قال عليه الصلاة والسلام كانت تسمع من الذكر عندها اي
ذكر الله او المواعظ او القران او نفس المصطفى لانه اطلق عليه الذكر ايضا
لكن لكون بعده يسمع وهو جواب سوال نشا من الكلام السابق تقديره
لم كانت تسكن وفي لفظ للبخاري ايضا في العلامات والجمعة قال جابر بن
عبد الله كان المسجد النبوي مسقوفا على جذوع نخل اي كالاعمدة
فكان بالفا وفي رواية بالواو النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب

يقوم مستندا الى جذع منها حين يخطب صرح به في رواية الاسماعيلي
فلما صنع بالبنا المعمول له المنبر وخطب عليه مفارقا للجذع مضا
لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وبقية هذا الحديث في
البخاري حتى جا النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت
قال المصنف بالنون وهو بكسر العين المهملة بعدها معجمة خفيفة
النوق الحوامل التي انتهت في حملها الى عشرة اشهر جمع عشر بضم ففتح
وقال الخطابي هي التي قاربت الولادة وفي القاموس العشرا من النوق
التي مضى لحملها عشرة اشهر او ثمانية او هي كالنفسا من النسا وتقدم
في الطريق الاخرى فصاحت صياح الصبي حتى كادت ان تنشق وفي
حديث ابي الزبير محمد بن مسلم المكي صدوق روى له الجميع مات سنة
ست وعشرين ومائة عن جابر عند النساي في السنن الكبرى احدى
تصانيفه والصغرى هي احدى الكتب الستة اضطربت تحركت تلك
السارية وصوتت تصويتا كحنين الناقة الخلوج انتهى والخلوج
بفتح الخا المعجمة وضم اللام واخره جيم التي انتزع منها ولدها زاد
الفتح وفي حديث انس عند ابن خزيمة فحنت الخشبة حنين الوالد وفي
روايته الاخرى عند الدارمي خار ذلك الجذع كخوار الثور وفي حديث ابي
ابن كعب عند احمد والدارمي وابن ماجة فلما جاوزه خار الجذع حتى
تصدع وانشق فاخذ ابي ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده
حتى بلي وصار رفاتا وهذا لا ينافي انه دفن لاحتمال انه ظهر بعد
الهدم عند التنظيف فاخذه ابي بن كعب انتهى والحنين هو صوت
المتالم المشتاق عند الفراق لمن يهواه وانما يشتاق الى
بركة رسول الله ويأسف على مفارقته اعقل العقلا والعقل
والحنين بهذا الاعتبار يستدعي الحياة وهذا يدل على ان
الله عز وجل خلق فيه اي الجذع الحياة والعقل والشوق ولهذا
حن وان والانين صوت المريض وهما متقاربان وقيل في الانين زيادة
امتداد الصوت وعبر به ايما الى انه لحقه الم كالمريض وهو عطف
خاص على عام لان الحنين في الابل اذا فارقت اولادها ثم شاع في مطلق
الشوق ولو بالكلام واما الانين فيما يهم كالتأوه ففيه اشارة الى
انه كان يصوت يفهم منه الحزن بدلالة طبيعية كانين المريض فان قلت
مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري من ذرية ابي موسى الاشعري
الصحابي ان الاصوات لا يستلزم خلقها في المحل خلق الحياة ولا
العقل اذ الاصوات من العرض عند الاكثرين ولم يخالف فيه الا النظام
وجعل الاشعري الاصوات اصطكاك الجواهر بعضها ببعض وذلك لا يستلزم
الحياة ولا الارادة اجيب بانه كذلك ونحن لم نجعل الحياة لازمة
للصوت حتى يلزمنا مخالفة الاشعري الا ان الشوق الى الحق

انما

انما يكون شوقا معنويا فهو خبر محذوف اولى من تخريجه على نصب ان الجزئين
عقليا لا طبيعيا بهيميا ومذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري
ان الذكر المعنوي والكلام النفسي يستلزمان الحياة استلزام
العلم لها وقد بينا ان هذه المعاني وجدت في الجذع واطلق
الحاضرون على صوته انه حنين وفهموا انه شوق الى الذكر
والى مقام الحبيب عنده وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما راوا به
وقد عامله النبي صلى الله عليه وسلم هذه المعاملة معاملة الحي
العاقل فالتزمه اعتنقه وضمه كما يلتزم الغايب اهله واعزته
ليبرد غليل حرارة شوقهم اليه واسفهم حزنهم عليه ففيه دلالة على
ان الجمادات قد يخلق الله لها ادراكا كالحيوان بل كاشرف الحيوان
وفيه تاييد لمن حمل قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده على ظاهره
كما في الفتح ولله در القايل وهو صالح بن الحسين الشاعر في قصيدة
طويلة وحن صوت اليه الجذع شوقا اي لاجل شوقه او هو مفعول
مطلق اي اشتاق اليه شوقا عظيما فالتنوين للتعظيم ورقة ورجع
صوتا كالعشار بكسر العين وخفة الشين مرددا بفتح الدال صفة صوتا
وكسرها حال من فاعل رجع اي ورجع الجذع حال كونه مرددا الترجيع صوتا
كصوت العشار فبادره ضما اعتناقا فقر سكن لوقته لكل امري
من دهره ما تعودا يعني انه امر مطرد في كل من اعتاد امرا وانقطع
عنه فانه يتالم لذلك ويحزن فاذا رجع اليه فرح واطمان وهذا الجذع لما الف
مقامه صلى الله عليه وسلم عنده اعتاد ذلك فصار يتالم لفراقه تالم من
فارقه احبته فلما ضمه سكن وفرح كمقيم ورد عليه احبته المسافرون
سفرا طويلا لا سيما اذا ظن المقيم ان لا يرجع المسافر اليه واما حديث انس
فرواه ابو يعلى الموصلي الحافظ الثقة احمد بن علي بن المثنى التميمي
المتوفى سنة سبع وثلثماية وقد زاد على ماية وعمر وتفرد ورحل الناس
اليه بلفظ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الجمعة
يسند ظهره الى جذع منصوب في المسجد النبوي كالعمود يخطب
الناس فجاءه رومي باقوم بموحدة فالف فقاف مضمومة اخره ميم او لام
او مينا وغيرهما والاصح الاشهر انه ميمون كما مر عن الحافظ ووقع
للمصنف ان الاشهر باقوم وفيه نظر فقال الا اصنع لك شيئا
تقعد عليه كانك قايم فصنع منبرا بكسر الميم من نبره رفعه
ورقاه لان القايم عليه يرتفع من غيره له درجتان وتقعد على
الثالثة فلما قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر
جار بجيم فهمزة مفتوحة والجوار معروف ولذا قال كخوار الثور
وهو مثل الخوار بالخا يقال خار الثور يخور اي صاح وقول بعضهم يحتمل
جسدا له جوار بالجيم حكاه الاخفش كذا في نور النبراس وقال

التلمساني بضم الخا المعجمة يهمز ويسهل وهو اولي وبالجيم وهو رفع صوته
مع تضرع واستغاثة فصدر بالخا وذكر الحجازي علي الشفا ان الرواية
بالجيم وانه لم يرو بالخا فيما علم وارتج بهمزة وصل وراساكنة وفوقية
مفتوحة وجيم ثقيلة تحرك واضطرب اضطرابا شديدا المسجد اي اهله
لجواره لعظيم هذه الاية وكثر فيه الكلام او هو علي ظاهره بان تحركت
حيطانه وجدرانه لشدة صوته اما حقيقة او لظن ذلك ممن هو فيه حزنا
وفي رواية تحزنا اي اظهار حزن وهو خلاف السرور علي رسول الله صلي
الله عليه وسلم فنزل اليه رسول الله صلي الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه
ضمه وهو يخور بصوت فلما التزمه سكت عن ذلك ثم قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم والذي نفس روح محمد بيده قدرته وتصرفه حياته ومماته
مني اراد لو لم التزمه اعتنقه واضمه افتعال من اللزوم وهو عدم الفراق ثم استعير
للعناق كما في الاساس لا زال هكذا اي له صياح وخوار حتي تقوم الساعة
وفي رواية الي يوم القيامة حزنا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم .
فنزل اليه صلي الله عليه وسلم من المنبر فالتزمه ضمه وهو يخور بصوت
فلما التزمه سكت عن تحننه قيل وهذا علي طريق المبالغة كقوله حتي يلج الجمل
في سم الخياط وان لم يقع فلا يشكل بقوله تعالى كل شي هالك كل من عليها
فان ولا حاجة اليه فلا مانع من بقايه علي ظاهره لانه علق بقاه علي عدم التزامه
فاذا التزمه تغير وفني وقد علم الله ذلك فامر به صلي الله عليه وسلم
بعض صحبه باخذه ودفنه فدفن تحت المنبر كما في رواية وفي بعض
الروايات فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف كذا في بعض نسخ الشفا
فيحتمل انه دفن تحت المنبر اولا ثم رفع في السقف ليلا يداس بالارجل تكريما
لاثره صلي الله عليه وسلم فلما هدم المسجد اخذه ابي فكان عنده الي ان
بلي وصار رفاتا قال البرقي وانما دفنه وهو جماد لانه صار حكمه حكم المومن
لحبه وحنينه الي النبي صلي الله عليه وسلم وقال غيره ليلا يشتغل به
الناس وربما افتتن به بعض بعد العصر الاول وفيه اشارة الي انه
سيغيب في الجنة كما ياتي ورواه اي حديث انس المذكور الترمذي م
وقال صحيح غريب لتفرد راويه فيجامع الصحة فلا تنافي ونص علي
صحته لسان حاله لا لنفي صحة غيره وكذا رواه ابن ماجة والامام احمد
من طريق الحسن البصري عن انس ولفظه كان رسول الله صلي الله
عليه وسلم اذا خطب يوم الجمعة يسند ظهره الي خشبة هي جذع نخلة
وفيه تكرر ذلك منه لان خبر كان اذا كان مضارعا يفيد ذلك استمرارا كقولهم
كان حاتم يقري الضيف وفي التنزيل وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة
فلما كثر الناس قال ابنوا لي منبرا اراد ان يسمعهم فارسل لامراة من
الانصار ان مري غلامك النجار كما في حديث سهل ولا ينافي ذلك ان
المشير به تميم وان الرومي قال لا اصنع لك شيا كما في الرواية قبله عن

انس

انس لانه لا شق عليه القيام علي الجذع واراد اسماع الناس اذ كتميم اشار تميم
بذلك وقال له الرومي ما قال فقال ابنوا لي منبرا ثم ارسل الي المراة فبنوا
له عتبتين اي درجتين والثالثة هي التي يجلس عليها كما في الرواية قبله ولا
ينافيه من قوله ابنوا وقوله فبنوا انه من طين لانه لم يثبت كما قدمه المصنف
في المقصد الاول والذي في الصحيحين انه من اثل الغابة وهو بمثلثة شجر
كالطرفا والغابة بمعجمة موضع بالمدينة فتحول من الخشبة اي الجذع الي
المنبر قال الحسن فاخبرني انس بن مالك انه سمع الخشبة تحن كحنين
الوالدة قال فما زالت تحن حتي نزل رسول الله صلي الله عليه وسلم علي
المنبر فمشي اليها فاحتضنها فسكنت تركت صياحها لزوال غمها وحزنها
بمشيه لها واحتضانها ورواه ابو القاسم الحافظ الكبير مسند العالم عبد الله بن محمد
ابن عبد العزيز البغوي الاصل البغدادي الامام الجليل المصنف العارف طال
عمره وتفرد في الدنيا ومات سنة سبع عشرة وثلثماية عن ماية وثلاث سنين
وهو متقدم علي محيي السنة البغوي بزمان وزاد فيه فكان الحسن
البصري اذا حدث بهذا الحديث بكي ثم قال يا عباد الله الخشبة اي الجذع
تحن الي رسول الله صلي الله عليه وسلم شوقا اليه مفعول مطلق لتحن لانه
كجلست قعودا او مفعول له والاول اولي لقوله لمكانه من الله بلام التعليل
اذ لم يكن بدلا من قوله اليه او علة متداخلة فشوقا علة لتحن ولمكانه علة
لشوقا اي ان الخشبة اشتاقت لعلو مقامه وجلالة قدره وهي جماد فانتم
احق من الجماد ان تشتاقوا الي لقايه وذكر ابن عطية عن ابيه سمعت ابا
الفضل الجوهري في جامع مصر يقول علي منبره وعظا سنة تسع وستين
واربعماية من احب اهل الخير نال بركتهم كلب احب اهل الكهف وصحبهم فذكره
الله في محكم تنزيله فالخشبة تحن والكلب يحب ففي هذه عبرة لاولي الالباب
وبسدر النشا بلفظ الحنين حتي من الجماد حبه عليه السلام فكانت لاهل
السلام له بعد اي تدل لذلك بان يخلق الله فيها هداية للسلام عليه وفارق
جذعا كان يخطب عنده فان ابي الام ان يجد الفقدا بالف الاطلاق
وهو اشباع حركة الروي فيتولد منها حرف يجانسها تحن اليه الجذع يا قوم
هكذا اي الحنين الزايد المشبه بحنين الام اما نحن اولي ان نحن اليه
وجدا اذا كان جذع له لم يطق بعدا بضم فسكون ساعة فليس وفا منا
خبر ليس قدم علي اسمها وهو ان نطيق له بعدا وهو معرفة بل اعرف المعارف
لان المصدر المنسبك من ان والفعل في رتبة الضمير كما في المغني واما حديث سهل
ابن سعد ففي الصحيحين في الصلاة وغيرها من طرق عن سهل قال بعث صلي
الله عليه وسلم الي امراة ان مري غلامك النجار يعمل لي اعوادا اجلس عليهن

بياض باصله

واما حديث ابن عباس فعند الامام احمد باسناد على شرط مسلم ولا يلزم انه
كصحة ما رواه نفس مسلم كما نبه عليه ابن الصلاح وغيره ولذا كان من الرتبة
السادسة من مراتب الصحيح ورواه ابن ماجة والطبراني وابن منيع والطبراني
كما مر واما حديث ابن عمر ففي البخاري مختصرا وقد مر لفظه واما حديث ابي
سعيد الخدري فعند عبد بلا اضافة ابن حميد بن نصر الكسي بمهملة ابي محمد
قيل اسمه عبد الحميد وبذلك جزم ابن حبان وغير واحد ثقة حافظ روى عنه مسلم
والترمذي مات سنة تسع واربعين ومائتين وكذا رواه عنه الدارمي واما حديث
عايشة فعند البيهقي في الدلايل ولم يذكرها ولا في من اجله من الصحابة
وفي اخره انه صلى الله عليه وسلم خير الجذع بين الدنيا والاخرة فاختار
الاخرة وفيه نوع اجمال يبينه قوله واما حديث بريدة فعند الدارمي وفيه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له حين حن ان شيت بتا الخطاب لان الله
خلق فيه ادراكا ان اردك الى الحايط اي البستان الذي كنت فيه تنبت لك
عروقك بدل من اردك او مستانف لبيان علة الرد الى مكانه الذي نبت فيه
ويكمل خلقك ويجدد لك خوص بضم الخا ورق النخل وغيره اي يعود لك
خلقتك بتمامها ونضارتها وان شيت غرسك فالمفعول مقدر اغرسك في
الجنة بالجزم جواب الشرط فياكل اوليا الله من ثمرك عطف على الجواب فخيره
بين الحياة الدنيوية والاخروية ثم اصغى بمهملة فمعجمة امال راسه وقربه
له النبي صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول اي ليسمع قوله وجوابه فقال
الجذع بل تغرسني في الجنة اي تصيرني من غراسها فياكل مني اي من
ثمري اوليا الله المومنون واكون في مكان لا ابلى بفتح الهمزة ا فنى
ونضمها حظا فيه وهو الجنة كساير اهلها واشجارها فسمعه اي كلام الجذع
من يليه اي الجذع او النبي اي يقرب منه فسماعه لم يختص به النبي صلى الله
عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت بضم التا للمتكلم
اي جعلتك من غراس الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اختار دار البقا
الجنة على دار الفنا الدنيا بفتح الفا والمد الذهاب والزوال واما حديث ام
سلمة فعند ابي نعيم في الدلايل النبوية والقصة واحدة وما
في الفاظها مما ظاهره التغاير الذي قد ياخذ منه من لا يعلم تعدد
القصة فهو من الرواة وعند التحقيق فالجمع بين المتغاير يرجع الى
معنى واحد فلا نطيل بذكر ذلك لان غرضنا الاختصار والله
اعلم وقد قال بعض علما الحديث من جعل كل رواية غايرت الاخرى
مرة على حدة فقد ابعد واغرب وهرب الى غير مهرب واما كلام
الحيوانات اي جنسها لا جميعها اذ لم يرد كلام جميعها له وان انقادت
له وفرق الكلام اللفظي والانقياد بمعنى علمها به وفي حديث ما بين السما
والارض شي الا ويعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس رواه البيهقي
وغيره وطاعتها له صلى الله عليه وسلم عطفها على الكلام اشارة الى

ان الانقياد يكون بلفظ وبدونه وجعل المصنف القصد هنا نفس الكلام والانقياد
والاحاديث دالة على ذلك وفيما سبق من قوله واما ما روي من طاعات الجمادات
وتكليمها له بيان الاحاديث المروية في ذلك ولعل نكتته زيادة على التفنن
اشارة الى ان القصد واحد يحصل كل من العبارتين فمنها اي هذه المعجزة
المعنى المعبر عنها بمجموع الكلام والطاعة والا فالظاهر منهما بالتثنية لان كلا واحد
معجز بانفراده ولعل وجه العدول للافراد النظر للمعنى وهو ان كلا واحد من
الجزئيات مقصود بالاخبار به وانه معجز سجود الجمل وشكواه اليه صلى الله
عليه وسلم كثرة العمل وقلة العلف عن انس بن مالك رضي الله عنه
انه كان اهل بيت في الانصار لهم جمل يسنون يستقون عليه وانه
استصعب عليهم فمنعهم ظهره اي الانتفاع به كنى عن ذلك بالظهر لان
الانتفاع بالابل الجمل على ظهورها غالبا وان الانصار اصحاب هذا الجمل
جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل يحمل
ان كان للدوام وايضا للانقطاع باعتبار استصحابه وقت الشكية منه
فكان المستقى به منذ انقطعت نسني عليه ظاهر هذا انه يايي وفي
الصحاح وغيره سنت الناقة تسنو اذا سقت الارض والقوم يسنون
لانفسهم اذا استقوا وهذا ظاهر في انه واوي وهو صريح قوله قبل
يسنون عليه وهو محذوف الواو واصله يسنوون بواوين حذفت اولاهما
لثقل الضمة عليها فالتقى ساكنان فحذفت لام الكلمة ويحتمل ان نسني واوي
واصله نسنوي قلبت الواو يا ثم حذفت لالتقا الساكنين وانه استصعب
علينا ومنعنا ظهره عطف علة على معلول وقد عطش النخل
والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا
تاسيا به وضبطا لما يفعله في سيره فيقوى يقينهم بمشاهدة المعجزات
ويخبرون من وراهم بها فقاموا فدخل الحايط البستان والجمل
في ناحية جانب منه فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه
فقالت الانصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب بفتح فسكون
الحيوان المعروف الكلب بفتح فكسر اي العقور الذي اصابه دا كالجنون
من اكل لحم الانسان ونحوه وانا نخاف عليك صولته سطوته وثوبه
فقال صلى الله عليه وسلم ليس علي منه باس شدة وضرر
لمنع الله له ذلك فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقبل نحوه حتى خر ساجدا اي واضعا مشفره بالارض باركا بين
يديه كما في رواية وهي مبينة لسجوده اذ السجود الحقيقي لا ياتي
من الجمل فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته اذل
حال من الضمير المضاف لناصيته ماخوذ من الذل بالكسر الانقياد
لا بضمها الذي هو ضد العز ما كان قط اي حالة كونه منقادا انقيادا
لم يسبق له مثله في زمن من الازمنة الماضية واستعمال قط غير مسبوقة

بنفي اثبتها ابن مالك في الشواهد قال وهي مما خفي على كثير من النحاة
لمجيئها بعد المثبت في مواضع من البخاري منها في الكسوف اطول صلاة
صليتها قط وفي ابي داود توضأنا ثلاثا قط وفي حديث حارثة بن وهب
صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم ونحن اكثر ما كنا قط وفي حديث جابر ما من
صاحب ابل لا يفعل فيها حقها الا جاءت يوم القيامة اكثر ما كانت قط وفي حديث
سمرة في صلاة الكسوف فقام بنا كاطول ما قام بنا في صلاة ثم ركع كاطول
ما ركع بنا في صلاة قط ثم سجد بنا كاطول ما سجد بنا في صلاة قط ففي
هذه الاحاديث استعمال قط غير مسبوقة بنفي **حتى ادخله في الجمل**
فقال له اصحابه يا رسول الله هذه بهيمة انث والجمل مذكر مراعاة
للخبر وهو **بهيمة لا يعقل** صفة كاشفة وفي القاموس البهيمة كل
ذات اربع قوائم ولو في الما او كل حي لا يميز والمراد الثاني **نسجد لك**
ونحن نعقل فنحن احق بالسجود لك منها **فقال رسول الله صلى**
الله عليه وسلم لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر انما يسجد لله **لو صلح**
لبشر ان يسجد لبشر لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم
حقه عليها قال ابن العربي فيه تعليق الشرط بالمحال لان السجود قسمان
سجود عبادة وليس الا لله وحده ولا يجوز لغيره ابدا وسجود تعظيم وهو
جائز فقد سجدت الملائكة لادم واخبر المصطفى انه لا يكون ولو كان لجعل
للمراة في اداء حق الزوج وقال غيره فيه ان السجود لمخلوق لا يجوز وسجود
الملائكة خضوع وتواضع له من اجل علم الاسما الذي علمها الله له وانباهم
بها فسجودهم انما هو ائتمام به لانه خليفة الله لا سجود عبادة ان الله لا
يامر بالفحشا **رواه احمد والنسائي باسناد جيد** رواته ثقات
مشهورون كما قاله المنذري وبقيته عندهما والذي نفسي لو كان من قدمه
الى مفرق راسه ينبجس بالقيح والصديد ثم استقبلته تلحسه
ما ادت حقه وينبجس بفتح التحتية والفوقية والموحدة والجيم الثقيلة
فسين مهملة يتفجر وفيه تاكيد حق الزوج وحث على ما يجب من بره ووفا
عهده والقيام بحقه ولهن على الازواج ما للرجال عليهن فالبعض
والحائط هو البستان اي المراد به ذلك تجوزا واصله اسم فاعل
من حاطه اذا احاط به ودار عليه ثم نقل للبستان نفسه الذي فيه الشجر
والنخل **وقوله نسي بالنون والسين المهملة اي نسي عليه**
بيان للمراد من هذه الصيغة وقضيته ان الفه منقلبة عن يا ومقتضى
الصحاح والنهاية والقاموس انه واوي كما مر فقياسه نسو وهما
لغتان حكاهما ابن مالك **وفي حديث يعلى بن مرة الثقفي** تقدم
التعريف به قريبا **بينما نحن نسير مع النبي صلى الله عليه وسلم**
في سفر اذ **مررنا ببعير نسني** بضم اوله مبني للمجهول يسقى
عليه فلما راه البعير جرجر بجيمين وراءين بلا نقط اي صوت كثيرا

بشدة

بشدة وردد ذلك لكن بالصوت المعتاد للابل على المتبادر ويكون وجه
المعجزة قوله **فوضع جرانه** بالكسر مقدم عنقه كما ياتي عند رونية صلى
الله عليه وسلم فهذا من طاعة الحيوان مع فهمه عليه السلام من جرجرته
شكواه **فوقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم** من مزيد لطفه وشفقته
على خلق الله **فقال اين صاحب البعير فجاءه فقال بعنيه فقال نهبه لك**
يا رسول الله بلا عوض **وانه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال**
اما اذ ذكرت هذا من امره فلا اقبله بشراء ولا هبة فحذف جواب اما
وقوله **فانه** ليس جوابها لعدم ترتبه عليه فهو علة لمقدر اي وطلبت
شراه فانه **شكى** بجرجرته فهم ذلك منها امر خارق اظهره الله له
تعظيما واجلالا قاله شيخنا وقال غيره الظاهر انه شكاية بنطق
فهي معجزة **قلة كثرة العمل وقلة العلف** بفتحتين بمعنى المعلوف
من قوت الدواب من حبوب وغيرها **فاحسنوا اليه** بقلة العمل وكثرة
العلف **رواه البغوي** المتاخر في **شرح السنة** وتقدم بعض ترجمته
وقد روى حديث يعلى احمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح **والجران**
بكسر الجيم بعدها راء فالف فنون **قال ابن فارس مقدم عنق البعير**
من مذبحه اي لو ذبح وهو ما تحت الحنك عن الحلق **الى منحره** اي
لبته وهي اصل العنق **وروى الامام احمد قصة اخرى نحو ما تقدم**
عن يعلى **من حديث جابر ضعيفة السند** ولكن رواها **البيهقي**
في الدلايل **باسناد جيد** لان رجاله ثقات ورواها الدارمي والبزار
واللفظ للبيهقي عن جابر ان رجلا جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما كان قريبا منه خر الجمل ساجدا فقال صلى الله عليه وسلم يا ايها
الناس من صاحب هذا الجمل فقال فتية من الانصار هو لنا قال فما شانه
قالوا سنونا عليه عشرين سنة فلما كبرت سنه اردنا نحره فقال صلى
الله عليه وسلم تبيعونه قالوا هو لك يا رسول الله قال احسنوا اليه حتى
ياتي اجله فقالوا يا رسول الله نحن احق ان نسجد لك من البهائم فقال
لا ينبغي لبشر ان يسجد لبشر ولو كان النسا لازواجهن وقد روى
ذلك احمد في حديث طويل عن يعلى بن مرة قال فيه وكنت معه يعني النبي
صلى الله عليه وسلم جالسا ذات يوم اذ جا جمل حتى ضرب بجرانه بين
يديه ثم ذرفت عيناه فقال ويحك انظر لمن هذا الجمل ان له لشانا
فخرجت التمس صاحبه فوجدته لرجل من الانصار فدعوته اليه
فقال ما شان جملك هذا قال لا ادري والله ما شانه عملنا عليه ونضحنا
عليه حتى عجز عن السقاية فائتمرنا البارحة ان ننحره ونقسم لحمه قال
لا تفعل هبه لي او بعنيه قال بل هو لك يا رسول الله فوسمه بميسم
الصدقة ثم بعث به قال المنذري واسناده جيد قال وفي رواية
لاحمد ايضا نحوه لكنه قال فيه انه قال لصاحب البعير ما لبعيرك يشكوك

زعم انك سنانه حتي كبر تريد ان تنحره قال صدقت والذي بعثك بالحق
لا افعل وكذا روي الطبراني قصة اخري عن عكرمة عن ابن عباس لكن
باسناد ضعيف ان رجلا من الانصار كان له فحلان فاغتلما فادخلهما
حايطا فسد عليهما الباب ثم جا رسول الله صلي الله عليه وسلم فاراد ان
يدعو له والنبي صلي الله عليه وسلم قاعد معه نفر من الانصار فقال يا رسول
الله اني جيت من حاجة وانه كان فحلان لي اغتلما واني ادخلتهما حايطا
وسددت عليهما الباب فاحب ان تدعو لي ان يسخرهما الله عز وجل فقال
صلي الله عليه وسلم لاصحابه قوموا معنا فذهب حتي اتي الباب فقال افتح
فشفق الرجل علي رسول الله فقال افتح ففتح فاذا احد الفحلين قريبا من الباب
فلما راي رسول الله صلي الله عليه وسلم سجد له فقال صلي الله عليه وسلم
ايتني بشي اشد به راسه وامكنك منه فجا بخطام فشد راسه وامكنه
منه ثم مشي الي اقصي الحايط الي الفحل الاخر فلما راه وقع له ساجدا فقال
للرجل ايتني بشي اشد به راسه فشد راسه وامكنه منه وقال اذهب
فانهما لا يعصيانك ورواها الامام احمد من حديث يعلي بن مرة الثقفي
واخرج ابن شاهين في الدلايل ومن قبله الامام احمد عن عبد الله بن جعفر
الصحابي بن الصحابي رضي الله عنهما قال اردفني رسول الله صلي الله عليه
وسلم ذات يوم خلفه فاسر الي حديثا لا احدث به احدا من الناس
لكونه اسره الي فهم نهيه عن افشايه قال وكان احب ما استتر به النبي
صلي الله عليه وسلم لحاجته عند قضايها هدف بفتحتين كل شي عظيم
مرتفع علي الارض من بنا ونحوه او حايش نخل بمهملة وشين معجمة فدخل
حايط رجل من الانصار لحاجته ولا يرد كيف فعل ذلك بغير اذنه وهو ايضا
قد نهي عن البول تحت الشجرة التي من شانها ان تثمر لانه علم من الرجل
السرور بذلك فضلا عن الرضي ومحل النهي ما لم يغلب علي الظن حصول
ما يزيل اثر الحاجة علي ان فضلاته طاهرة وكانت الارض تبتلع ما يخرج
منه كما مر فاذا جمل فلما راي الجمل النبي صلي الله عليه وسلم حن فذرفت
بفتحات من باب ضرب عيناه اي سال دمعهما فاتاه النبي صلي الله
عليه وسلم فمسح ذفراه بالالف مقصور وفي رواية فسكن ما به
ثم قال من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل اعاده بمعناه للتاكيد فجاه فتي
من الانصار فقال هو لي يا رسول الله فقال الا بالفتح والتخفيف
تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها فانه شكي الي انك
بالنطق او بفهمه من فعله المذكور وكل معجزة انك تجيعه وتدئبه
بضم التا وسكون الدال وكسر الهمزة وموحدة تتعبه بكثرة العمل قال
البغوي في المصابيح وهو حديث صحيح قال ورواه ابو داود
عن شيخه موسي بن اسمعيل المنقري بكسر الميم وسكون النون وفتح
القاف التبوذكي بفتح الفوقية وضم الموحدة وسكون الواو وفتح المعجمة

ثقة

ثقة ثبت مات سنة ثلاث وعشرين ومايتين وسبعين ومائة ابن ميمون الازدي
البصري ثقة رويد له الجميع مات سنة اثنين وسبعين ومائة والحايش بالحا المهملة
والشين المعجمة ممدودا هو جماعة النخل اي النخل المجتمع لا واحد له من لفظه
وقوله ذفراه تانيث ذفري بكسر الذال المعجمة مقصور هكذا في نسخ
وهي ظاهرة وفي النهاية الذفري مونثة وذكرها والفها للتانيث او
للالحاق وفي نسخة تثنية ذفري وفيه ان ذفري لا يصح جعلها مفردا او
مثني لاتحاد صورة المثني والمفرد فانما تثنيته ذفريان بالالف رفعا وذفر
يين بالنا نصبا وجرا والحديث بلفظ ذفراه بالالف الا علي لغة من يلزم
المثني الالف في احواله وفي نسخة تثنية ذفر بلا الف ولا يصح مع قوله
مقصور وان رجع لقوله ذفري اشكل بجعل مفرده مذكرا وعلي القاموس
والنهاية انه مونث وهو الموضع الذي يعرق من قفا البعير الذي عند
اذنه وفي القاموس الذفري بالكسر من جميع الحيوانات من لدن المقدم الي نصف
القذال او المعظم الشاخص خلف الاذن جمعه ذفريات وذفاري ومنها سجود
الغنم له صلي الله عليه وسلم عن انس بن مالك قال دخل رسول الله صلي
الله عليه وسلم حايطا بستانا للانصاري لم يسم ويحتمل انه انس ابهم
نفسه لغرض صحيح ومعه ابو بكر وعمر ورجل من الانصار
وفي الحايط غنم فسجدت له تعظيما لما شاهدت
نور نبوته والهمها الله معرفة فقال ابو بكر يا رسول الله نحن احق بالسجو
د لك من الغنم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا ينبغي لا يجوز لاحد
ان يسجد لاحد عبر به المخصوص بالنفي ليشمل الواحد وغيره ويختص بالعقلا
ففيه اشارة الي ان الغنم ونحوها لا يمتنع سجودها تعظيما رواه ابو محمد
عبد الله بن حامد الفقيه في كتاب دلايل النبوة له باسناد ضعيف
وابعد المصرا لنجعة فقد رواه احمد والبزار وذكره القاضي عياض في
الشفا بدون عزو بل قال وعن انس فذكره وذكر ما لبيا للفاعل اي عياض
ايضا بلا اسناد وقد رواه البيهقي عن جابر بن عبد الله عن قصة رجل
وليس المراد انه يرويه عنه وهو اسلم الحبشي كذا سماه ابن عبد البر واعترضه
ابن الاثير بانه ليس في شي من السياقات ان اسمه اسلم قال في الاصابة
وهو اعتراض متجه وقد سماه ابو نعيم يسارا بتحتية وسين مهملة الحبشي
وقال الرشاطي في الانساب اسلم الحبشي اسلم يوم خيبر وقاتل وقتل وما
صلي لله صلاة فقال صلي الله عليه وسلم ان معه الان زوجة من الحور العين
انتهي اتي النبي صلي الله عليه وسلم وامن به وهو اي النبي لا الرجل
كما زعم علي بعض حصون خيبر جمع حصن القلعة التي يتحصن بها
لا القصر كما زعم وكان الرجل في غنم يرعاها لهم اي لاهل خيبر والظرفية
بمعني المعية او مجازية نحو واذا كنت فيهم فقال يا رسول الله كيف لي
بالغنم اي ما افعل بها اذ اسلمت وهي في ملك غيري وانا خير فان رددتها
خشيت علي نفسي لاسلامي وان مكثت معك ضاعت فارشده الي ما

يدفع خوفه اذ قال احصب وجوهها بمهملتين ارمها بالحصبي وهي صغار
الحصبي والصاد مكسورة من بابي ضرب وضمها من باب قتل فان الله سيؤدي
عنك امانتك يوصلها ويردها الي اهلها اصحابها المالكين لها فتخرج انت
عن عهدة ضمانها ففعل ما امره به فسارت كل شاة حتى دخلت الي
اهلها معجزة له صلى الله عليه وسلم فنفذه من طاعة الحيوان له وانما فعل
هذا لانه كان مستامنا فتأبيده امانة لاهل خيبر فلذا ردها صلى الله عليه وسلم
لاصحابه مع ما فيه من تطمين قلبه بخروجه من عهدتها ولذا لم يجعلها فيا مع
علمه انها تكون كذلك بعد الفتح وبقية هذا الحديث عند البيهقي انه شهد
القتال فقتل اصابه حجر او سهم ولم يصل صلاة قط فاخبر صلى الله عليه وسلم
انه رأى عنده حوريتين ومنها قصة كلام الذئب اضافة بيانية اذ
المراد معجزة الكلام لا القصة وعبر بقصة دون سابقه نظرا انفق لهم
قصة الجمل مثلا وال في الذئب جنسية لتعدد القصة بدليل روايتي ابي
هريرة وكلامه وان كان لغيره لكن اقراره به معجزة وشهادته بالحق عطف
علي كلام له صلى الله عليه وسلم بالرسالة اعلم انه قد جاء حديث قصة
كلام الذئب من عدة طرق من حديث ابي هريرة وانس وابن عمر
ابن الخطاب وابي سعيد الخدري المتبادر تعدد الطرق عن كل واحد من الاربعة
وليس بمراد فاما حديث ابي سعيد فرواه الامام احمد باسناد جيد
اي مقبول وكذا رواه الترمذي والحاكم وصححاه ولفظه قال ابو سعيد لما ثبت
ذلك عنده وتحققه وان لم يحضره فكان كالمشاهد له عدا هجم الذئب علي
شاة فاخذها تعبيرا ختيارا صاحبها فشابه الظالم المتجاوز الحد فعبر بعدا
او في لفظ عرض الذئب لشاة فطلبه الراعي سعى خلفه حتى ادركه وفي
القاموس طلبه طلبا محركة حاول وجوده واخذه فكانه استعمل الطلب في
محاولة الوجود ومع ذلك فيه حذف والتقدير حاول وجوده حتى ادركه
فانتزعها منه فاقعى الذئب الصق اليتيه بالارض ونصب ساقيه وتساند
الي ظهره كما في الصحاح وغيره فقوله علي ذنبه ليس صلة اقعى لانه
ليس من مسماه فهو متعلق بمقدر اي واعتمد علي ذنبه اي جعله بين رجليه
كما يفعل الكلب ويفيد هذا ما ياتي في تفسير الاستثفار وقال للراعي
الا تتقي الله حرف استفتاح تتقي الله تخافه وتحذره تنزع مني رزقا
وفي رواية حلت بيني وبين رزق ساقه الله الي سخره لي بان مكنني منه
فقال الراعي يا عجبا ذئب مقع علي ذنبه يكلمني بكلام الانس وفي
رواية البشر وتعجبي تعجب منه اذ ليس شأنه فقال الذئب تعجبا له
زاد في رواية اتعجب مني زاد في رواية اتعجب مني قال كيف لا اعجب من ذئب
مستو مقع علي ذنبه يتكلم فقال الذئب والله لتتركه اعجب هذا الا اخبرك باعجب
من ذلك وفي رواية انا اخبرك باعجب من كلامي قال وما ذا اعجب قال محمد
بيثرب اسم المدينة المنورة قديما وصح النهي عن تسميتها به يخبر الناس بانبا

ما

ما قد سبق من الامم السابقة واحوالهم وعبر عن الامم بما يشمل ما وقع لغير
العقلاء كانفلاق البحر وناقة صالح وانما كان اعجب لان الاخبار معجز فهو اعجب
من نطق حيوان انطقه من انطق كل شيء لكن ليس العجب واقعا علي مجرد اخباره
بذلك بل علي جحدهم وتكذيبهم له مع ظهور الايات البينات علي يديه كما جاء في بعض
طرق الحديث مما ساقه في الشفا وغيره فقال الا اخبرك باعجب من كلامي رسول الله
في النخلات بين الحرتين يحدث الناس عن نبا ما سبق وما يكون بعد ذلك وفي
لفظ يدعو الناس الي الهدى والي الحق وهم يكذبونه قال ابو سعيد فاقبل الراعي
يسوق غنمه المملوكة ففي رواية كان يرعى غنما له حتى دخل المدينة فزواها
بزاي منقوطة الي زاوية من زواياها اي المدينة ثم اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبره وقد اختلف في اسم مكلم الذئب المذكور فقيل اهبان بن اوس
وقيل سلمة بن الاكوع وانه صاحب هذه القصة وكانت سبب اسلامه وقيل اهبان
ابن الاكوع عم سلمة الاسلمي وقيل اهبان ابن الاكوع بن عياد الخزاعي وقيل
رافع بن ربيعة وقيل اهبان بن صيفي وقيل رافع بن عميرة الطائي فان كانت
القصة تعددت فلا خلف قال ابن عبد البر وغيره كلم الذئب ثلاثة من الصحابة
رافع بن عميرة وسلمة بن الاكوع واهبان بن اوس وروى البخاري في تاريخه
وابو نعيم في الدلايل عن اهبان بن اوس قال كنت في غنم لي فشد الذئب علي
شاة منها فصحت عليه فاقعى الذئب علي ذنبه فخاطبني وقال من لها يوم تشتغل
عنها تمنعني رزقا رزقنيه الله تعالى فصفقت بيدي وقلت والله ما رايت شيئا
اعجب من هذا فقال اعجب من هذا رسول الله بين هذه النخلات يدعو الي الله فاتيت
اليه فاخبرته واسلمت قال البخاري اسناده ليس بالقوي قال الحافظ ان فيه عبد الله
ابن عامر الاسلمي وهو ضعيف فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي
بالصلاة جامعة بنصبهما علي الحكاية والاول اغرا والثاني حال ويجوز رفعهما على
الابتدا والخبر ونصب الاول ورفع الثاني وعكسه قاله السيوطي وغيره في قول
البخاري باب النداء بالصلاة جامعة ثم خرج من المحل الذي كان فيه حين اخبره
الراعي فقال للاعرابي اخبرهم بما شاهدته ليسمعوا ويزدادوا ايمانا بهم
فاخبرهم وقضية سياقه ان الامر بذلك كان عقب اخباره وليس بمراد فالفا
للتعقيب للتراخي لكن وجه قوله وفي حديث ابي هريرة عند احمد فقال له
صلى الله عليه وسلم اذا صليت الصبح معنا غدا فاخبر الناس بما رايت فلما
اصبح الرجل وصلى الصبح امر صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم
خرج فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم فقال صلى الله عليه وسلم صدق والذي
نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج الرجل من اهله فيخبره نعله او صوته
او عصاه بما احدث اهله بعده واما حديث ابن عمر فاخرجه ابو سعد بفتح فسكون
الحافظ العالم الزاهد احمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن حفص الانصاري الهروي
الماليني بفتح الميم وكسر اللام وسكون التحتية ونون نسبة الي مالين من اعمال
هراة سمع ابن عدي والاسماعيلي وابن نجيد وابا الشيخ وغيرهم وعنه الخطيب

والبيهقي وخلق وكان ثقة متقنا من كبار الصوفية مات بمصر يوم الثلاثاء
سابع عشر شوال سنة اثنتي عشرة واربعماية والبيهقي في الدلايل بنحوه واما
حديث ابي هريرة فهو مروي على وجهين احدهما موافق لحديث ابي سعيد وهو
ما ذكره المصنف بعد بقوله وروى البغوي الى اخره والثاني قصة اخرى وقعت
للذيب مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما ذكره بقوله فرواه سعيد بن منصور
ابن شعبة ابو عثمان الخراساني نزيل مكة ثقة مصنف حافظ مات سنة سبع وعشرين
ومايتين وقيل بعدها في سننه قال ابو هريرة جا الذيب فاقعى بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه اي يحركه يقال بصبص
الكلب بذنبه اذا حركه كما في القاموس فقال صلى الله عليه وسلم هذا وافد
الذياب جا يسالكم ان تجعلوا له من اموالكم شيا لعله خاطبه بذلك او اوحي اليه
بالمعنى الذي جا له الذيب او اعلمه بانه يريد بتحريك ذنبه ذلك قالوا والله لا نفعل
واخذ رجل من القوم حجرا ورماه به خشية الحاجة فيضجر المصطفى فبادر الى صرفه
عنه او خشي ان يامرهم بشي للذهاب فلا يستطيعون فادبر الذيب وله عواء
والعوا اي صياح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذيب خبر مبتدا محذوف
اي هذا الذيب قد رايتموه وما الذيب استفهام تفخيم لامره واصله وما حاله فوضع
الظاهر موضع المضمر لانه اقوى في التفخيم على نحو الحاقة ما الحاقة وروى
البغوي في شرح السنة واحمد والبزار والبيهقي وابو نعيم بسند صحيح
عن ابي هريرة ايضا قال جا ذيب الى راعي غنم فاخذ منها شاة فطلبه
الراعي حتى انتزعها منه قال فصعد الذيب على تل بفوقية ولام ثقيلة
معروف يجمع على تلال مثل سهم وسهام واستثفر باسكان المهملة والمثلثة
بينهما فوقية مفتوحة ثم فا وقال عمدت قصدت وزنا ومعنى الى رزق رزقنيه
الله مكنني منه اخذته انا انتزعته انت مني فقال الرجل تالله قسم ان
تا فيه اي ما رايت كاليوم الكاف بمعنى مثل اي رايت مثل ما رايت هذا اليوم
ذيب بالرفع جواب سوال مقدر كانه قيل له وما رايت فقال الذي رايت ذيب
وفي نسخ بالنصب اي فقال رايت ذيبا يتكلم بكلام الانس فقال الذيب اعجب
من هذا اي كلامي رجل في النخلات بين الحرتين بفتح المهملة وشد الراء تا
نيث تثنية حرة وهي ثنية مرتفعة ذات حجارة سود كانها احرقت بالنار
يخبركم بما مضى من اخبار الامم وما هو كاين بعدكم ولا تتبعونه قال وكان
الرجل يهوديا فجا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره واسلم فصدقه
النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم مشيرا الى ترك
استغراب مثل ذلك انها امارات بين يدي الساعة قد اوشك الرجل ان
يخرج من اهله فلا يرجع حتى يحدثه نعلاه وسوطه بما احدثنا هله
بعد بالضم اي بعد خروجه قال القاضي عياض في الشفا وفي بعض الطرق
يتضمن جمع طريق مجاز عن الروايات عن ابي هريرة قال الذيب للراعي
انت اي حالك اعجب مني من حالي في حال كونك واقفا على غنمك اي راعيا

وحافظا

وحافظا لها وقد تركت نبيا فالجملة حالية بتقدير قد لم يبعث الله نبيا
قط من انبيايه السابقة اعظم اجل منه عنده قدرا منزلة تمييز نسبة وقد
فتحت بالتخفيف والتشديد له ابواب الجنة جملة حالية ايضا واشرف اهلها
على اصحابه ينظرون قتالهم وهم واقفون فيه صفوف لصفوف الملايكة وفيه
ان الفتح حقيقي لا مجاز عن التهيية والاعداد كما زعم وما بينك وبينه الا هذا
الشعب بكسر المعجمة وسكون المهملة وموحدة وهو ما انفرج بين جبلين يعني
انه قريب منك لا عذر لك في التخلف عنه فيجب عليك الذهاب اليه فتصير
معدودا في جنود الله حزبه المفلحين فتخلفك مع هذا العجب من نطق الذيب
تعجبت منه قال الراعي من يتكفل لي بغنمي يحفظها او من يرعاها لي
فمن استنيبها حتى اذهب اليه واجي قال الذيب انا ارعاها حتى ترجع
من عنده فاسلم الرجل الراعي اليه الى الذيب غنمه ومضى اليه صلى الله عليه
وسلم فذكر له قصته مع الذيب وما كلمه به واسلامه الغنم له ووجوده
النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل كما قال له الذيب فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم بعد ما قص عليه واسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها بفتح الواو
وسكون الفا بتمامها وكمالها لم ينقص منها شي من قولهم ارض وافرة لم يرع
نباتها كذا فسروه وكانه مراد والا فالوفر الاتمام لا التمام والذي بمعناه
الوفور كما في المصباح وغيره فعاد اليها فوجدها كذلك تامة لم ينقص منها
شي وذبح للذيب شاة منها جزاه على صنيعه وارشاده للهدى واستثفر
بالسين المهملة والمثناة الفوقية ثم المثلثة تليها فا واخره را كاستفعل
اي من ثنته اي جعل ذنبه بين رجليه كما يفعل الكلب بيان للمراد باستثفار
الذيب وان اطلق الاستثفار على معان اخر في اللغة ثم قال عياض وقد روى
ابن وهب مثل هذا المذكور من كلام الذيب انه جرى لسفين بن حرب
بدل من مثل هذا وصفوان بن امية قبل اسلامهما مع ذيب وجداه اخذ ظبيا
اي اراد اخذه يجري خلفه من الحل لياخذه بقرينة فدخل الظبي الحرم فانصرف
الذيب عنه لانه في الحرم المحرم صيده او انه انفلت منه بعد اخذه فعجبا
من ذلك اي من كون الذيب عرف حرمة الحرم وكف عن صيد امكنه وليس من
العقلا فقال الذيب لما سمع تعجبهما او علمه من حالهما اعجب من ذلك الفعل
الواقع مني محمد بن عبد الله كاين بالمدينة يدعوكم الى الجنة بدعايه
الى الاسلام المقتضي لدخولها وتدعونه الى النار بقولكم لم لا توافقنا وتعبد
الهتنا مما هو سبب للخلود فيها وكان هذا اعجب لمخالفته لما يقتضيه العقل
ونطق حيوان اعجم بقدرة الله واقداره ليس بعجيب في النظر السديد
والعقل السليم وليس باعجب من عبادة الحجارة فقال ابو سفين واللات
والعزى لين ذكرت بضم التا اي انا وبفتحها اي انت يا صفوان هذا
الذي قاله الذيب في شان محمد بمكة لاهلها لتتركنها خلوفا
بضم الخا المعجمة واللام واسكان الواو وفا اي فاسدة متغيرة

يعني يقع الفساد والتغير في اهلها باسلامهم فتغير دينهم الذين يزعمون
انه حق وهو ضلال باطل من خلف بمعنى تغير كقوله صلى الله عليه وسلم لخلوف
فم الصائم اي تغير ريحه وقيل معناه خالية من اهلها بان يسلموا ويهاجروا
او من سمع ذكرا لا يتردد في صحة رسالته وسعادة متبعه من قولهم اتيت الحي
فوجدته خلوفا اي ليس فيه احد من الرجال بل النسا ويقال لهن الخوالف كما في
التنزيل لانهن يخلفن الرجال وما اقتصر عليه المصنف اظهر لان الفساد الذي
زعموه لا يختص بالرجال بل عندهم كل من اسلم فسد دينه رجلا كان او امراة
ومن ذلك اي كلام الحيوانات وطاعتها حديث الحمار اضافه لادنى ملابسة
اي الخبر المتعلق بشانه اخرج ابن عساكر عن ابي منظور بفتح الميم وسكون
النون وضم الظا المعجمة قال في الاصابة في الكنى غير منسوب جا ذكره في خبر
واهي قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر اصاب حمارا
اسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار لعله علم
بحاله فابتداه بالكلام ليظهر ما اخبره به او اوحي اليه بتكليمه لظهور هذه
المعجزة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك من عطف المفصل على
المجمل بيان لما كلمه به على نحو توضا فغسل وجهه قال يزيد بن شهاب
اسم ابيه دعنية على الظاهر ويحتمل انه جده الذي قال فيه اخرج الله من
نسل جدي ستين حمارا يحتمل انه اقتصر على الستين لوصفهم بقوله كلهم
لا يركبهم الا نبي فلا ينافي ان فيهم اناثا لم يركبها نبي ويؤيده ان في
لفظ كان في ابائي ستون وكانه الهم ذلك فنطق به على حد واوحى ربك الى
النحل وقد زاد في الجواب على المسؤول التذاذا بخطاب الرسول نظير قوله هي
عصاي الاية فانه يطال الكلام مع الاحبة تلذذا او ليرغب فيه خوفا ان يدفعه
لغيره ففيه حضه على اخذه واختصاصه به ولا يجعله غنيمة او في الغنيمة وعبر
بكلهم بميم الجمع الموضوعة للعقلا تنبيها لاصوله بالعقلا لتشرفهم بركوب الانبيا
لهم وقد كنت اتوقعك ان تركبني بدل اشتمال من الكاف في اتوقعك
لانه لم يبق من نسل جدي غيري قد يشعر بانه من جملة الستين
ولا من الانبيا غيرك فلذا كنت اتوقع ركوبك وظاهر قوله لا يركبه الا
نبي الحصر فينافي قوله وقد كنت قبلك اي قبل وجودك بخيبر او قبل اختصاصه
بك وجا منه ان لا ياخذه الا هو فلا يرد انه لم يذكر له انه اختص به حتى
يقول قبلك لرجل يهودي يركبني بنا على انه من الستين الا ان يكون الحصر
بنا على الغالب او المعنى لا يعده لركوبه ويقتصر عليه الا نبي دون غيره او
انه سلب الحكم عن الجملة فهو من سلب العموم لا عموم السلب وكنت
اتعثر به عمدا اي اتكلف العثار كراهة لركوبه علي وكان يجيع
بطني ويضرب ظهري كناية عن اذاه اعم من كونه يضرب ظهره او
بالنخس او بغيرهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فانت
اسمك يعفور مفرع على عثاره لانه يثير الغبار او لانه اسود فشبهه بالتراب

فسماه

فسماه يعفورا كذا انكلف وقد قدمت في داود عليه السلام قول الحافظ
وغيره يعفور بالصرف اسم ولد الظبي كانه سمي بذلك لسرعته وقيل
تشبيها في عدوه باليعفور وهو الخشف اي ولد الظبي وولد البقرة
الوحشية انتهى وفي التلمساني منون مصروف وروي بمنع الصرف للعلمية
ووزن الفعل كيعقوب وتعقب بان زيادة الواو اخرجته عن شبه الفعل
فالظاهر صرفه ويعقوب انما منع للعلمية والعجمة لا الوزن الفعل لا تزيدات
يعفر بضم اليا يصرف لانه قد زال عنه شبه الفعل كما في الصحاح وليس في
اوزان الفعل يفعول فكان صلى الله عليه وسلم يبعثه الى باب
الرجل من اصحابه فياتي الباب فيقرعه فيضربه براسه فاذا خرج
اليه صاحب الدار اومى اليه براسه ان اجب رسول الله وفهم مراد
المصطفى بالهام من الله فهو معجزة اذ سخره له وفهم مراده فلما قبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم جا الى بير كانت لابي الهيثم
ابن التيهان بفتح الفوقية وكسر التحتية المشددة وبها قال وفتون
الصحابي الجليل المشهور فتردى التي نفسه وطرحها فيها جزعا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمات وكانت قبره كما عند ابن حبان في الضعفا
وقال الواقدي مات يعفور منصرف النبي صلى الله عليه وسلم من حجة
الوداع وبه جزم النووي عن ابن الصلاح ورواه ابو نعيم من
حديث معاذ بن جبل لكن الحديث مطعون فيه اخرجه ابن حبان
في الضعفا وقال لا اصل له وليس سنده بشي وابو موسى المديني في الصحابة
وقال هذا حديث منكر جدا اسنادا ومتنا لا يحل لاحد ان يرويه عني الا
مع كلامي عليه وهو في كتاب بركة النبي صلى الله عليه وسلم تخريج
ابي طاهر المخلصي وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وتعقب بانه
شديد الضعف فقط كما قال في الاصابة اسناده واهي لا موضوع وفي
معجزاته عليه السلام ما هو اعظم من كلام الحمار وغيره وليس
ما ينكر شرعا فلا بدع في وقوعه له فنهايته الضعف لا الوضع على
قياس قول المصنف بعد في الضب وقال شيخنا ابي فيتقيد بر كلام الحماد
لا اصل له لا ينقص ذلك من مقامه شيئا لكثرة معجزاته وعظمتها وقيامها
مسلما لا يتوهم تنقصا حتى ينص على نفسه ومن ذلك حديث الضب
بفتح المعجمة وموحدة ثقيلة حيوان بري يشبه الورل قال ابن خالويه
لا يشرب الما ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا ويقال انه يبول في
كل اربعين يوما قطرة ولا يسقط له سن ويقال ان اسنانه قطعة
واحدة ليست مفرقة ويرجع في قيئه كالكلب وياكل رجيعه وهو
طويل الدم بعد الذبح وهشم الراس يمكث ويلقى في النار فيتحرك كما
في حياة الحيوان وهو مشهور على الالسنة ورواه البيهقي
في احاديث كثيرة لكنه حديث غريب ضعيف قال الحافظ

ابو الحجاج جمال الدين يوسف ابن الزكي عبد الرحمن الحلبي الاصل الدمشقي
الدار والمنشا المزي بكسر الميم وتشديد الزاي المكسورة نسبة الي المزة
قرية بدمشق ولد بحلب سنة اربع وخمسين وستماية ونشا بالمزة وتفقه
قليلا ثم اقبل علي الحديث ورحل وسمع الكثير ونظر اللغة ومهر فيها وفي
التصريف وقرا العربية واما معرفة الرجال فهو حامل لوايها والقايم باعبايها
لم تر العيون مثله صنف تهذيب الكمال والاطراف واملي مجالس واوضح
مشكلات ومعضلات ما سبق اليها من علم الحديث ورجاله وولي مشيخة
دار الحديث الاشرفية مات يوم السبت ثاني عشر صفر سنة اثنين واربعين
وسبعماية لا يصح اسنادا لضعف رواته ولا متنا وهو لفظ الحديث وذكره
القاضي عياض في الشفا فقال وقد روي عند الدارقطني والبيهقي
وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدي كلهم من حديث ابن عمر ان النبي صلي الله
عليه وسلم كان في محفل بفتح الميم وسكون المهملة وكسر الفا جمع كثير من
اصحابه اذ جاءه اعرابي اي دخل عليهم نعته رجل من البادية لا يعرف من
بني سليم بضم ففتح قد صاد ضبا جملة حالية جعله في كمه ليذهب
به الي رحله فيشويه وياكله علي عادة الاعراب فلما راي الجماعة
الصحابة قال لهم من هذا لانه ينكره او لم يعرفه قالوا نبي الله ولفظ
الدارقطني ومن بعده فقال علي من هولا الجماعة فقالوا علي هذا الذي
يزعم انه نبي فلقاه فقال يا محمد ما اشتملت النسا علي ذي لهجة اكذب
منك فلولا ان تسميني العرب عجولا لقتلتك ولسررت الناس بقتلك اجمعين
فقال عمر يا رسول الله دعني اقتله فقال صلي الله عليه وسلم اما علمت ان
الحليم كاد ان يكون نبيا ثم اقبل الاعرابي علي رسول الله فاخرج الضب
من كمه وقال واللات والعزي صنمان عبدا في الجاهلية لا امنت
بك اي بانك رسول الله او يومن بالنصب اي الي او الا وفي رواية حتي
يومن هذا الضب فامن بكاثانا ايضا لمشاهدة المعجزة وطرحه بين
يدي رسول الله صلي الله عليه وسلم اي في مقابلته قريبا منه فقال
النبي صلي الله عليه وسلم يا ضب بالضم منادي مفرد فاجابه بلسان
مبين كلاما وبكلام ظاهر مفهوم وفي رواية الدارقطني ومن معه
فكلمه الضب بلسان طلق فصيح عربي مبين يسمعه وفي رواية
يفهمه القوم الذين عنده جميعا لبيك مثني منصوب علي المصدرية
اي اجابة لك بعد اجابة وسعديك اي مساعدة وطاعة لك بعد طاعة
يا زين اي من يزين ويحسن كل من وافي حضر القيامة جعله مزينا
لاهلها ومن بها لانه سيدهم وقايدهم والشفيع منهم وهذه العبارة
شايعة في لسان عامة العرب يقولون يا زين القوم لاشرفهم واحسنهم
قال صلي الله عليه وسلم من تعبد ساله ليخبر بمباركته بعبودية
الله فوصفه بما يعرفه كل احد اذ قال اعبد الذي في السما عرشه المراد

بالسما

بالسما ما فاق بل الارض او جهة العلو فلا ينافي ان العرش فوق السماوات
كما قال وسع كرسيه السموات والارض وفي الارض سلطانه اي نظر عدله
وحكمه وقهره لمن فيها من الثقلين وسلطانه علي كل موجود لكن ظهوره فيما
قد يخالف ظاهر فيها وفي البحر سبيله طريقه التي جعلها مسلوكة لعباده
بتسخير الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره كما قال تعالي وهو الذي يسيركم
في البر والبحر ولذا كان الكفار لا يدعون فيه سواه كما قال فاذا ركبوا في
الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وقال التلمساني معناه واضح قد ربنا اي
ما يدل علي كمال قدرته وباهر اياته / ومعناه سبيل عباده الذين يستدلون
بصنعه عليه سبحانه وفي الجنة رحمته المختصة العظيمة الباقية وان كان
رحيم الدنيا والاخرة وفي النار عقابه وفي رواية عذابه فلا يامنه
بالله وصفه بما هو مختص به دال علي عظمته قال ليكمل ايمانه فمن انا قال
رسول رب العالمين اشارة الي عموم رسالته لكل موجود حتي الحيوانات
والجماد وخاتم النبيين فلا نبي بعدك وقد افلح فاز بسعادة الدارين
من صدقك اقر برسالتك وخاب لم ينجح ولم يظفر بالمامول من كذبك
بانكار رسالتك وعدم اجابة دعوتك فاسلم الاعرابي لما راي المعجزة
البينة وعلم علما ضروريا بتوحيد الله ورسالة رسوله الحديث بطوله تتمته
عند الدارقطني وابن عدي ومن بعدهما فقال الاعرابي اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله حقا ولقد اتيتك وما علي وجه الارض احد هو ابغض الي منك
ووالله لانت الساعة احب الي من نفسي وولدي وبشري فقد امن بك شعري
وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال صلي الله عليه وسلم
الحمد لله الذي هداك لهذا الدين الذي يعلو ولا يعلي عليه ولا يقبله الله
الا بصلاة ولا تقبل الصلاة الا بقران قال فعلمني فعلمه صلي الله عليه
وسلم الفاتحة والاخلاص فقال يا رسول الله ما سمعت في البسيط ولا
في الوجيز احسن من هذا فقال صلي الله عليه وسلم هذا كلام رب العالمين
وليس بشعر اذا قرات قل هو الله احد مرة فكانما قرات ثلث القران وان
قراتها مرتين فكانما قرات ثلثي القران وان قراتها ثلاثا فكانما
قرات القران كله فقال الاعرابي نعم الاله الهنا يقبل اليسير ويعطي الكثير
ثم قال صلي الله عليه وسلم الك مال فقال ما في سليم قاطبة افقر مني فقال
لاصحابه اعطوه فاعطوه حتي اسروه فقال عبد الرحمن بن عوف اني
اعطيه يا رسول الله ناقة عشرا اهديت الي يوم تبوك تلحق ولا
تلحق اتقرب بها الي الله دون البختي وفوق العرابي فقال رسول الله
صلي الله عليه وسلم قد وصفت ما تعطي فاصف لك ما يعطيك الله قال نعم
قال لك ناقة من درة جوفا قوايمها من زبرجد اخضر وعنقها من زبرجد اصفر
عليها هودج وعلي الهودج السندس والاستبرق تمر بك علي الصراط
كالبرق الخاطف فخرج الاعرابي من عند رسول الله فتلقاه الف اعرابي

علي الي دابة بالفرع والقسي فقال لهم اين تريدون فقالوا نريد هذا
الذي يكذب ويزعم انه نبي فقال الاعرابي اني اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله فقالوا صبوت فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم لا اله الا الله محمد رسول
الله ثم اتوا النبي صلي الله عليه وسلم فتلقاهم بلا رداء فنزلوا عن ركابهم
يقبلون ما ولوا منه وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وقالوا يا رسول
الله مرنا بامرك قال كونوا تحت راية خالد بن الوليد قال ابن عمر فلم يؤمن في
ايامه صلي الله عليه وسلم من العرب ولا من غيرهم الف غيرهم وهو مطعون
فيه بالضعف وقيل انه موضوع زعم ذلك ابن دحية وليس كما زعم قال
القطب الخيضري رجال اسانيده وطرقه ليس فيهم من يتهم بالوضع واما
الضعف ففيهم ومثل ذلك لا يتجاسر علي دعوي الوضع لكن معجزاته عليه
الصلاة والسلام منها ما هو ابلغ من هذا فلا بدع في كون هذا
منها وليس فيه ما ينكر شرعا خصوصا وقد رواه الائمة الحفاظ
الكبار كابن عدي وتلميذه الحاكم وتلميذه البيهقي وهو لا يروي موضوعا
والدارقطني وناهيك به فمنها بينه الضعف لا الوضع كما زعم كيف
ولحديث ابن عمر طريق آخر ليس فيه السلمي رواه ابو نعيم وورد مثله من
حديث علي عند ابن عساكر وابن عباس رواه ابن الجوزي ومن حديث
عائشة وابي هريرة عند غيرها والله اعلم بما في نفس الامر ومن ذلك
حديث الغزالة اي كلامها واما تسليمها المشهور علي الالسنة وفي
المدائح فقال السخاوي ليس له كما قال ابن كثير اصل ومن نسبه الي النبي
صلي الله عليه وسلم فقد كذب ولكن ورد الكلام في الجملة وفي منح الباري
واما تسليم الغزالة فلم اجد له اسنادا لا من وجه قوي ولا من وجه ضعيف
روي حديثها البيهقي من طرق من حديث ابي سعيد وضعفه جماعة
من الائمة حفاظ الحديث ونقاده لكن له طرق يقوي بعضها
بعضا لان الطرق اذا تعددت وتباينت مخارجها دل ذلك علي ان للحديث
اصلا فيكون حسنا لغيره لا لذاته وذكره القاضي في الشفا بلا سند
عن ام سلمة بدون تمريض فيدل علي قوته ورواه ابو نعيم في الدلايل
النبوية باسناد فيه مجاهيل عن حبيب بن محصن عن ام سلمة هند
بنت ابي امية ام المؤمنين رضي الله عنها قالت بينما رسول الله
عليه وسلم في صحراء من الارض وفي حديث انس عند ابي نعيم كنا مع
رسول الله صلي الله عليه وسلم في بعض سكك المدينة فمررنا بخباء اذا
ظبية مشدودة الي الخباء وكان السكة التي مر بها كانت واسعة فسماها
صحراء بمجاز او مرورهم بالخباء بعد سماع الهاتف فلا يخالف قوله اذا بهاتف
يهتف صايح يصيح بالنطق يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا
ظبية مشدودة في وثاق واعرابي منجدل مطروح علي الجدالة
الارض في شملة نايم في الشمس فقال ما حاجتك حتي ناديتني

قالت

قالت صادني هذا الاعرابي وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي مر
صلي الله عليه وسلم علي قوم قد صادوا ظبية وشدوها الي عمود فسطاط
فقالت يا رسول الله اني وضعت ولي خشفان فاستاذن لي ان ارضعهما
ثم اعود اليهم ثم قال خلوا عنها حتي تاتي خشفيها فترضعهما وتاتي اليكم
قالوا وما لنا بذلك يا رسول الله قال انا فاطلقوها فذهبت فارضعتهما ثم
عادت اليهم فاوثقوها فان كانت القصة تعددت والا فيحتمل ان صايدها
واحد من القوم له ولهم فنسب اليهم في رواية ابي سعيد بذلك واخبرته
نفس الظبية بخصوص من صادها ولا تنافي بين قوله فاطلقوها وبين
كون المصطفي هو الذي اطلقها في حديث ام سلمة لجواز ان نسبته اليهم مجازية
لكونه عن اذنهم وكلا منهما استاذنهم وضمن لهم عودها طلبوا منه ان يطلقها بنفسه
لتطمئن به قلوبهم وكذا قوله فاوثقوها لا ينافي في حديث ام سلمة فاوثقها النبي
صلي الله عليه وسلم لجواز انه امرهم بايثاقها فنسب اليه ولي خشفان
بكسر الخاء وسكون الشين المعجمتين ظبيان صغيران قريب ولادتهما في ذلك
الجبل تشير لجبل بتلك الصحراء فاطلقني حتي اذهب فارضعهما
وارجع بنصب الافعال الثلاثة قال وتفعلين بتقدير الهمزة اي اوتفعلين
اي اترجعين ان اطلقتك قالت عذبني الله عذاب العشار المكاس
ان لم اعد وفي حديث انس عند ابي نعيم فقالت يا رسول الله احدثت ولي
خشفان في البرية وقد انعقد اللبن في اخلافي فلا هو يذبحني
فاستريح ولا يدعني فارجع الي خشفي في البرية فقال لها ان تركتك ترجعي
قالت نعم والا عذبني الله عذابا اليما فاطلقها فذهبت فارضعتهما
ورجعت عن قرب فاوثقها النبي صلي الله عليه وسلم كما كانت فانتبه
الاعرابي من نومه وقال يا رسول الله الك حاجة قال تطلق هذه
الظبية فاطلقها من وثاقها وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي
في السابق بعد قوله فاوثقوها فمر بهم رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقال اين اصحاب هذه قالوا نحن يا رسول الله فقال اتبيعونها قالوا هي
لك قال خلوا عنها فاطلقوها فخرجت تعدو في الصحراء تجري جريا شديدا
مرحا وهي تضرب برجليها الارض وتقول اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله وقال زيد بن ارقم فانا والله رايتها تسيح في البرية
وهي تقول لا اله الا الله محمد رسول الله وكذا رواه الطبراني بنحوه
من حديث ام سلمة وساق الحافظ المنذري حديثه اي لفظ الطبراني
في الترغيب والترهيب من باب الزكاة ولا يخفي كما في حديثها
وحديث ابي سعيد من التغاير العديد المقتضي لانهما قصتان وقد بينا
لكن بعضها مع تعسف الجمع وروي البيهقي في الدلايل مر النبي صلي الله عليه
وسلم بظبية مربوطة الي خباء فقالت يا رسول الله حلني حتي اذهب الي
خشفي ثم ارجع فتربطني فقال صلي الله عليه وسلم صيد قوم وربيطة قوم

كانت تدخل علينا فحلفت له فحلفها فما مكثت الا قليلا فخرجت وقد نفضت
ما في ضرعها فربطها صلى الله عليه وسلم ثم اتي خبا اصحابها
فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلها ثم قال لو علمت البهائم من الموت ما
تعلمون ما اكلتم منها سمينا ابدا ونقل شيخنا الحافظ ابو الخير محمد بن
عبد الرحمن السخاوي في كتاب المقاصد الحسنة عن ابن كثير انه لا اصل
له وان من نسبه الي النبي صلى الله عليه وسلم فقد كذب لفظ السخاوي
حديث تسليم الغزالة اشتهر على الالسنة وفي المدائح النبوية وليس
له كما قال ابن كثير اصل ومن نسبه الي النبي صلى الله عليه وسلم فقد
كذب ثم قال شيخنا تلو هذا لكنه اي الكلام في الجملة وارد في عدة
احاديث يتقوي بعضها ببعض اوردها شيخنا شيخ الاسلام
ابن حجر الحافظ في المجلس الحادي والستين من تخريج احاديث
المختصر الكبير في الاصول لابن الحاجب والله اعلم انتهي فمما امران
كلامها له وهذا مفرداته ضعيفة فيجبر بعضها بعضا وتسليمها عليه
اي قولها السلام عليك يا رسول الله مثلا وهذا لم يرد كما قال ابن
كثير خلاف ما يعطيه تصرف المصنف انه قال له من الكلام وفي شرح
مختصر ابن الحاجب للعلامة ابن السبكي وتسبيح الحصي رواه
الطبراني وابن ابي عاصم من حديث ابي ذر الغفاري وقد
تقدم وتسليم الغزالة مجاز عن الكلام اذ هو الذي رواه الحافظ ابو
نعيم الاصبهاني وكذا الطبراني عن ام سلمة والبيهقي عن ابي سعيد
الخدري في دلايل النبوة لهما وكذا رواه البيهقي في السنن عن ابي سعيد
ونحن نقول فيهما انهما وان لم يكونا اليوم متواترين فلعلهما
استغني بنقل غيرها عنهما وهو القران متواترا كما قاله ابن الحاجب
جوابا لقول الشيعة كيف ينقل احادا مع توفر الدواعي على نقله ومع ذلك
لم يكذب رواته او لعلهما تواترا اذ ذاك ثم انقطع التواتر بعد انتهي
قال الحافظ والذي اقوله انها كلها مشتهرة عند الناس واما من الرواية
فليست على حد سوا وقد مرت عبارته بتمامها في تسبيح الحصي ومن
ذلك اي طاعات الحيوانات داجن بدال المهملة وجيم البيوت من دجن
اذا اقام بموضع تربي فيه ليسمن ويقال درن بالرا بدل الدال اذا اقام
وهو ما الفها من الحيوان كالطير والشاة وغيرها كالناقة
روي قاسم بن ثابت السرقسطي الاندلسي الفقيه المالكي المحدث
المشاركة لابيه الحافظ ثابت بن حزم في رحلته وشيوخه الورع الناسك
مجاب الدعوة مات سنة ثنتين وثلثماية عن عايشة رضي الله عنها
قالت كانت عندنا بمنزلنا الذي نسكنه داجن فاذا كان عندنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قر بالقاف المفتوحة والرا المثقلة
اي سكن وثبت مكانه اي وقف او ربض فيه لا يتحرك ذاهبا معه فلم يجي

ولم

ولم يذهب فاذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جا وذهب
اي مشي في البيت وتردد فيه لانه ليس ثمة من يهابه وقيل معناه لم يغير
لعدم رويته صلى الله عليه وسلم شوقا له وكلاهما ابة لالف الحيوان الذي
لا يعقل له ومهابته عنده وذكره القاضي بسنده من طريق قاسم واخرجه
احمد والبزار وغيرهما واما نبع الما فتتميم قوله اما معجزة انشقاق القمر بيانا
لتفصيل القسم الثالث وهو ما كان معه حين ولادته الي وفاته الطهور
صفة لازمة وقال شيخنا مخصصة من بين اصابعه اي اصابع يديه
صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر الروايات الاتية واقتصر على بين الاصابع
بالنسبة لاغلب الوقايع او تجوز بالبينية كما تتيمم عما يشمل روس الاصابع
وهو اشرف المياه على الاطلاق كما قاله البلقيني وغيره قال السيوطي

واافضل المياه ما قد نبع … من بين اصابع النبي المتبع

يليه ما زمزم والكوثر … فنيل مصر ثم باقي الانهر

قال القرطبي صاحب المفهم فيه قصة نبع الما اضافة بيانية اي القصة
التي هي نبع الما من بين اصابعه قد تكررت منه صلى الله عليه وسلم في
عدة مواطن جمع موطن المشهد من مشاهد الحرب ومكان الانسان في مشاهد
عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من
التواتر المعنوي وقال عياض هذه القصة رواها الثقات من العدد
الكثير والجم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة وكان ذلك في مواطن اجتماع
الكثير منهم في المحافل ومجامع العساكر ولم يرو عن احد منهم انكار على راوي
ذلك فهذا النوع ملحق بالقطع من معجزاته قال في فتح الباري فاخذ القرطبي
كلام عياض وتصرف فيه وحديث نبع الما جا من رواية انس عند الشيخين واحمد
وغيرهم من خمسة طرق وعن جابر عندهم من اربعة طرق وعن ابن مسعود عند
البخاري والترمذي وعن ابن عباس عند احمد والطبراني من طريقين وعن ابي
ليلي والد عبد الرحمن عن الطبراني فعدد هولا الصحابة ليس كما يفهم من اطلاقه
واما تكثير الما بان لمسه بيده او تفل فيه او امر بوضع شي فيه كسهم من كنانته
فجا من حديث عمران بن حصين في الصحيحين وعن البرا بن عازب عند البخاري
واحمد من طريقين وعن ابي قتادة عند مسلم وعن انس عند البيهقي في الدلايل
وعن زياد بن الحارث الصدائي عنده وعن يزيد بضم الموحدة وتشديد المهملة
الصدائي ايضا فاذا ضم هذا الي هذا بلغ الكثرة المذكورة او قاربها واما من
رواها من اهل القرن الثاني فهم اكثر عددا وان كان شطر طرقه افرادا وفي
الجملة يستفاد منها الرد على ابن بطال حيث قال هذا الحديث شهده جماعة من
الصحابة الا انه لم يرو الا من طريق انس وكذلك لطول عمره وتطلب الناس
العلو في السند انتهي وهذا ينادي عليه بقلة الاطلاع والاستحضار لاحاديث
الكتاب الذي شرحه انتهي ولم يسمع بهذه المعجزة عن غير نبينا صلى
الله عليه وسلم حيث نبع الما من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه

وقد نقل ابن عبد البر عن المزني اسمعيل بن يحيي بن اسمعيل بن عمرو بن
اسحق الامام الجليل صاحب التصانيف الزاهد المتقلل من الدنيا مجاب الدعوة
قال الشافعي لو ناظر الشيطان لغلبه مات لست بقين من رمضان سنة اربع وستين
ومايتين ودفن قريبا من الشافعي وولد سنة خمس وسبعين ومائة انه قال
نبع الما من بين اصابعه صلي الله عليه وسلم ابلغ في المعجزة من نبع الما من
الحجر حيث ضربه موسي بالعصي فتفجر جرت وسالت منه المياه لان خروج
الما من الحجارة معهود كما قال تعالي وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الما بخلاف خروج الما من بين اللحم والدم
ليس بمعهود كما قال الشاعر

ان كان موسي سقي الاسباط من حجر ● فان في الكف معني ليس في الحجر ●

ولله در البوصيري حيث قال في اللامية

ومنبع الماء عذبا من اصابعه ● ودي يا دعليها فذ جري النيل ●

انتهي كلام القرطبي قال الحافظ وظاهر كلامه ان الما نبع من بين اللحم الكاين
في الاصابع ويويده قوله في حديث ابن عباس عند الطبراني فجا وا بشي
فوضع يده صلي الله عليه وسلم فيه ثم فرق اصابعه فنبع الما من بين اصابع
رسول الله صلي الله عليه وسلم مثل عصي موسي فان الما تفجر من نفس
العصي فتمسكه به يقتضي ان الما تفجر من بين اصابعه ويحتمل ان المراد ان
الما نبع من بين اصابعه بالنسبة الي روية الرايي وهو في نفس الامر للبركة
الحاصلة فيه يفور ويكثر وكفه صلي الله عليه وسلم في الما فيراه الرايي
نابعا منه والاول ابلغ في المعجزة وليس في الاخبار ما يرده انتهي وياتي
نحوه في المتن وقد روي حديث نبع الما جماعة من الصحابة خمسة
كما علمت منهم انس وجابر وابن مسعود وابن عباس وابو ليلي فاما
حديث انس ففي الصحيحين البخاري في الوضو وعلامات النبوة ومسلم
في الفضايل ورواه الترمذي في المناقب والنسايي في الطهارة
كلهم من طريق مالك الامام عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن
انس انه قال رايت اي ابصرت رسول الله وفي رواية النبي صلي الله
عليه وسلم والحال انه قد حانت بالمهملة اي قربت صلاة العصر
زاد في رواية للشيخين من حديث سعيد عن قتادة عن انس وهو
بالزورا بفتح الزاي وسكون الواو بعدها را اي موضع بسوق المدينة
وتفسير حانت بقربت هو ما صدر به الكرماني واقتصر عليه المصنف
والحافظ انسب بقوله صلاة العصر وان كان يطلق لغة ايضا علي دخول
الوقت قال الحافظ وزعم الداودي ان الزورا مكان مرتفع كالمنارة وكانه
اخذه من امر عثمان بالنداء علي الزورا وليس بلازم بل الواقع ان المكان
الذي امر بالنداء فيه كان بالزورا الا انه الزورا نفسها وفي رواية همام عن
قتادة عن انس شهدت النبي صلي الله عليه وسلم مع اصحابه عند الزورا

او

او عند بيوت المدينة اخرجه ابو نعيم فالتمس اي طلب الناس الوضو
بفتح الواو الما الذي يتوضا به وفي رواية فالتمس الوضو بالبنا للمفعول
فلم يجدوه وفي رواية بغير الضمير المنصوب اي فلم يصيبوا الما فاتي بضم الهمزة
مبني للمفعول رسول الله صلي الله عليه وسلم بالرفع نايب الفاعل بوضو
بفتح الواو اي باناء فيه ما ليتوضا به وفي رواية فجا رجل بقدح فيه ما يسير
وزاد المهلب انه كان مقدار وضو رجل واحد وعند ابي نعيم والحارث بن ابي
اسامة من رواية شريك بن ابي نمر عن انس انه هو الذي احضر الما ولفظه قال
لي رسول الله صلي الله عليه وسلم انطلق الي بيت ام سلمة فاتيته بقدح
ما اما ثلثه واما نصفه الحديث وفيه انه رده بعد فراغهم اليها وفيه قدر ما
كان فيه اولا فوضع يده في ذلك الانا قال شيخ الاسلام الظاهر انه وضعها
اليد اليمني فامر بالما الناس ان يتوضوا منه اي بالتوضي من ذلك
الانا قال انس فرايت الما ينبع بتثليث الموحدة يخرج من بين
اصابعه فتوضا الناس حتي توضوا من عند اخرهم وفي لفظ البخاري
من رواية حميد عن انس كانوا ثمانين رجلا وفي لفظ للبخاري ايضا من
رواية الحسن عن انس كانوا سبعين او نحوه وفي مسلم سبعين او ثمانين وفي
لفظ له اي البخاري في العلامات وكذا مسلم في الفضايل من طريق سعيد
عن قتادة عن انس اتي النبي صلي الله عليه وسلم باناء وهو بالزورا فوضع
يده في الانا فجعل الما ينبع من بين اصابعه واطراف
اصابعه حتي توضا القوم قال قتادة فقلنا لانس كم كنتم
قال كنا ثلاث مائة لفظه او زهاء ثلاث مائة بالشك قال الحافظ
بضم الزاي والمد اي قدر ثلاث مائة من زهوت الشي اذا حضرته
وللاسمعيلي من طريق خالد بن الحارث عن سعيد ثلاث مائة بالجزم
دون قوله او زهاء انتهي وبه تعلم ما في المولف من المواخذة بالجزم
بثلاث مائة مع العزو للبخاري وقد ظهر من السياق تعدد القصة
اذ كانوا مرة ثمانين او سبعين ومرة ثلاث مائة او ما قاربها فيهما
كما قال النووي قضيتان جرتا في وقتين حضرهما جميعا انس قوله حتي
توضوا من عند اخرهم قال الكرماني حتي للتدريج ومن للبيان
اي توضا الناس حتي توضا الذين هم عند اخرهم وهو كناية
عن جميعهم وعند بمعني في لان عند وان كانت للظرفية الخاصة
لكن المبالغة تقتضي ان تكون لمطلق الظرفية لان السياق
يقتضي العموم والمبالغة فكانه قال الذين هم في اخرهم وقال
التيمي احمد بن محمد بن عمر شارح البخاري شرحا واسعا جدا المعني توضا
القوم حتي وصلت النوبة الي الاخر وقال النووي من هنا بمعني
الي وهي لغة والكوفيون يجوزون مطلقا وضع حروف الجر بعضها
مقام بعض وتعقبه الكرماني بانها شاذة فلا يخرج عليها

قال ثم ان اي لا يجوز ان ندخل علي عند
الفصيح مع امكان غيره ويلزم عليه اي جعل النووي من بمعني الي
نحو اعتراض ثان علي النووي
وعلي ما قاله التيمي من قولهم الي اخرهم فاشار ايضا الي انها بمعني الي
ان لا يدخل الاخير من القوم لان الغاية الي خارج علي المشهور والا فيدخل
علي قول لكن ما قاله الكرماني من ان الي لا يدخل علي عند لا يلزم
مثله في من اذا وقعت بمعني الي لان كون كلمة بمعني اخري لا يلزم ان
يكون مثلها استعمالا فلا مانع من دخول من التي بمعني الي علي عند وامتناع
دخول الي عليها وعلي توجيه النووي يمكن ان يقال عند زايدة
قال في فتح الباري من كتاب الطهارة وقال المصنف اي توضا الناس
ابتدا من اولهم حتي انتهوا الي اخرهم ولم يبق منهم احد والشخص الذي هو
اخرهم داخل في هذا الحكم لان السياق يقتضي العموم والمبالغة لان عند
هنا تجعل لمطلق الظرفية حتي تكون بمعني في كانه قال حتي توضا
الذين هم اخرهم وانس داخل فيهم اذ قلنا يدخل المخاطب بكسر الطا
في عموم خطابه امرا او نهيا او خبرا وهو مذهب الجمهور وقال بعضهم حتي
حرف ابتدا مستانف جملة اسمية وفعلية فعلها ماض نحو حتي عفوا وحتي
توضوا ومضارع نحو حتي يقول الرسول في قراة نافع ومن للغاية لا
للبيان خلافا للكرماني لانها لا تكون للبيان الا اذا كان فيما قبلها
ابهام ولا ابهام هنا وروي هذا الحديث ايضا اي حديث نبع
الما لا بقيد المتقدم عن الصحيحين لانه في سوق المدينة وهذا اي في
تبوك عن انس بن شاهين فاعل روي ولفظه قال انس كنت
مع النبي صلي الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال المسلمون
يا رسول الله عطشت دوابنا وابلنا عطف خاص علي عام فقال هل
من فضلة ما انما طلبها لئلا يظن انه صلي الله عليه وسلم موجد للما
والايجاد انما هو لله لا لغيره فجا رجل في شن بفتح المعجمة ونون
ثقيلة قربة بالية بشي من ما فقال هات بصحفة انا كالقصعة
وقال الزمخشري قصعة مستطيلة فصب الما في الصحفة من الشن
ثم وضع راحته كفه مع اصابعه في الما قال انس فرايتها اي الصحفة
تخلل بفتح التا مضارع بحذف احدي التاين اي تنفذ عيونا تمييز محول
عن الفاعل والاصل تخلل عيونها بين اصابعه قال انس فسقينا
ابلنا ودوابنا وتزودنا حملنا الما معنا فقال صلي الله عليه وسلم
اكتفيتم قلنا نعم يا رسول الله فرفع يده من الصحفة فارتفع الما
برفع يده واخرج البيهقي عن انس ايضا قال خرج النبي صلي الله
عليه وسلم الي قبا موضع معروف بالمدينة كان صلي الله عليه وسلم ياتيه
كل سبت راكبا وماشيا فاتي بالبنا للمفعول من بعض بيوتهم اي بيوت
اهل قبا بقدح صغير فادخل يده فلم يسعه اي ادخال يده والا

فالظاهر

فالظاهر لم تسعها اي اليد القدح لصغره فادخل اصابعه الاربعة
ولم يستطع ان يدخل ابهامه ثم قال للقوم هلموا الي الشراب قال
انس بصر بضم الصاد وكسرها قال المجد ككرم وفرح اي نظر عيني ينبع
الما اي ينبعث من بين اصابعه ويعدي بصر بنفسه لغة والا فصحيح
تعديته بالباء نحو بصرت بما لم يبصروا به فلم يزل القوم يردون القدح
حتي رووا بفتح الراو وضم الواو منه جميعا اي زال ظماوهم واصله رويوا
حذفت اليا لثقل الضمة الضمة عليها وضمت الواو الاولي لمناسبة الثانية
واما حديث جابر في الصحيحين في المغازي والبخاري ايضا في
علامات النبوة واخرجه النسائي في الطهارة والتفسير كلهم من رواية سالم
ابن ابي الجعد عن جابر قال عطش بكسر الطا الناس يوم الحديبية
بالتخفيف والتشديد وكان النبي صلي الله عليه وسلم بين يديه
ركوة مثلث الرا انا صغير من جلد يشرب فيه فتوضا لفظ البخاري في الموضعين
منها قال الحافظ كذا وقع في هذه الرواية ووقع في الاشربة من طريق
الاعمش عن سالم ان ذلك لما حضرت صلاة العصر جهش بفتح الجيم والهاء
بعدها معجمة الناس اي اسرعوا لاخذ الما وللكشميهني فجهش بزيادة فا في
اوله نحوه عليه الصلاة والسلام وقال المصنف بفتح الجيم والها والشين
المعجمة اي اسرعوا الي الما متهيئين لاخذه ولابي ذر بكسر الها وللحموي والمستملي
جهش باسقاط الفا وفتح الها انتهي فما يوجد في كثير من نسخ المتن وجهش
بواو قبل الجيم مخالف للروايتين فقال وفي رواية فقال بالفا ما لكم
اي اي شي عرض لكم حتي جهشتم اليه قالوا يا رسول الله ليس عندنا
ما نتوضا به ولا ما نشربه وما بالهمز في اليونينية وفي بعض النسخ لم
يضبطها الا ما بين يديك ومعلوم انه لا يكفي وجعلوا ما بين يديه عندهم
لعلمهم انه لا يمنعهم منه فالا استثنا متصل فوضع صلي الله عليه وسلم
يده في الركوة فجعل الما يثور بالمثلثة للاكثر وللكشميهني بالفا
وهما بمعني اي ينبع ويرتفع لزيادته من بين اصابعه كامثال
العيون اي ماوها الذي يخرج منها والغرض وصف الما الخارج من اصابعه
بالكثرة وقال بعض اي كان بين كل اصبعين من اصابعه عين ما نابعة
فشربنا وتوضانا قلت هو مقول سالم بن ابي الجعد راويه عن
جابر اي قلت له كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا ذكر الما لا شاهد
نوه انه الدال علي عدم انقطاعه كنا خمس عشرة مائة بمعني الف وخمسمائة قال
الطيبي عدل عن الظاهر لاحتمال التجوز في الكثرة والقلة وهذا يدل علي
انه اجتهد فيه وغلب علي ظنه هذا المقدار لكن يخالفه قول البرا عند البخاري
كنا يوم الحديبية اربع عشرة مائة ورجح البيهقي هذه الرواية علي
الاولي بل قيل انها وهم وجمع بانهم كانوا اكثر من الف واربعمائة فمن قال وخمسمائة
جبر الكسر ومن قال واربعمائة الغاه ويؤيده رواية البخاري من وجه اخر عنه

البر اكنا الفا واربعماية او اكثر منها وبمعنى بل بعيد ذلك واعتمد النووي هذا الجمع
لصحة الروايات كلها كما تقدم بسط ذكر في الحديبية وقوله يثور بالمثلثة او
الفاء لانهما بمعنى كما قاله الحافظ اي يعلو ويظهر متدفقا عطف تفسيري قال
للشيء اذا زاد وارتفع قد غلا كما في المصباح وبه يعلم انه لا يشترط في الغليان
حصول حرارة النار وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت الانصاري
المدني ابي عبادة ثقة من كبار التابعين ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
ومات بعد السبعين روى له الشيخان والترمذي والنسائي عنه اي عن جابر
في حديث مسلم الطويل صفة لحديث في اواخر صحيحه نحو ورقتين في باب
سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر غزوة بواط بضم الفاء وفتحها وخفة
الواو مفتوحة والف ومهملة جبال جهينة على ابراد من المدينة بقرب ينبع
ثاني غزواته صلى الله عليه وسلم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم ناد امر من النداء محذوف الآخر المعتل اي نادي الناس فقل لهم اعطوا
اونا ولو الوضوء بفتح الواو الماء الذي يتوضأ به فنصب بمقدر وذكر الحديث
بطوله وهو فقلت الا وضوء الا وضوء الا وضوء قال فقلت يا رسول الله ما وجدت
في الركب من قطرة وكان رجل من الانصار يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم
الماء في اشجاب له على حمارة من جريد قال فقال لي انطلق الى فلان
الانصاري فانظر هل في اشجابه من شيء فانطلقت اليه فنظرت فيها فلم اجد
الا قطرة في عزلاء شجب منها لو اني افرغه لشربه يابسه الا انا قال اذ ذهب
ما به فاتيته به فاخذه بيده فجعل يتكلم بشيء لا ادري ما هو ويغمز بيده ثم
اعطانيه فقال يا جابر ناد بجفنة فقلت يا جفنة الركب فاتيت بها تحمل فوضعتها
بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم بيده هكذا فبسطها وفرق بين اصابعه
ثم وضعها في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر فصب علي وقل بسم الله فصببت عليه
وقلت بسم الله فرايت الماء يفور من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ثم فارت
الجفنة ودارت حتى امتلات فقال يا جابر ناد من كانت له حاجة بماء قال فاتى
الناس فاستقوا حتى رووا وبقي فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع صلى
الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملاء في الحديث قال الحافظ وهذه
القصة ابلغ القصة ابلغ من جميع ما تقدم لاشتمالها على قلة الماء وعلى كثرة
من استقى منه فذكر المصنف معناه تتميما للشفا بقوله وانه اي جابرا لم
يجد عند الانصاري الا قطرة اي ماء قليلا جدا في عزلاء بفتح المهملة
وسكون الزاي ولام بعدها مدة وهمزة فم القربة الاسفل او مصب الماء
من الراوية مضاف الى شجب بفتح المعجمة وحكي كسرها ولا يصح وسكون
الجيم وموحدة اي فم قربة معلقة بعود او بالية فالشجب عود يعلق عليه
القربة والثياب والاواني بالماء على الصحيح وقيل ما قدم من القرب فاتي بالبناء
للمفعول والفاعل به النبي صلى الله عليه وسلم فغمزه بفتح المعجمة والميم
والزاي عصره وحركه او وضع يده عليه وكبسه بها وتكلم بشيء لا ادري ما هو

كاناء

كانه سر من اسرار الله تكلم به بالسريانية ونحوها ليخفى على غيره كذا قال بعض او
بالعربية واسره فلم يدره جابر وقال ناد بجفنة كقصعة لفظا ومعنى
انا يشبع عشرة فاكثر ودونها الصحفة تشبع خمسة ثم المأكلة تشبع الرجلين
والثلاثة ثم الصحيفة مصغر تشبع الواحد وقيل الجفنة كالصحفة وقيل اعظم
منها الركب بزيادة الباء او بمعنى ناد معنى صح او ايت به لقيل قوله فاتيت
بها فوضعتها بين يديه وقيل مفعول ناد محذوف اي ناد القوم يأتوا بجفنة او
نزلها منزلة العاقل لان الله تعالى يخلق فيها ادراكا حتى تنادى هي ثم ظاهره
ان الركب كان لهم جفنة معينة يستعملونها في حوائجهم ويطبخون فيها الطعام
ويجتمعون عليها عند الاكل مثلا وهذا مقتضى الاضافة ولقد علمت ان لفظ
مسلم ناد بجفنة فقلت يا جفنة الركب ولا منافاة لجواز ان المراد بها
الجفنة المخصوصة فالتنوين عوض عن المضاف اليه او على حقيقته لانه يجوز
ان يكون معهم غيرها فاراد اي جفنة كانت وذكر جابر ان النبي صلى
الله عليه وسلم بسط بالسين والصاد وبها قرئ اي وضع يده في
الجفنة مبسوطة ليكون ابرك وفرق اصابعه وصب عليه جابر وقال
جابر بسم الله كما امره بها وزعم ان فاعل قال النبي صلى الله عليه وسلم
بعيد يخالفه لفظ مسلم المار قال جابر فرايت الماء يفور يزيد
ويرتفع حتى يتدفق من بين اصابعه عليه السلام ثم فارت الجفنة
اي ارتفع ماؤها فالمضاف مقدر او اسناد مجازي للمبالغة في فورانه
واستدارت اي دارت كما هو لفظ مسلم اي دار الماء فيها من تسمية الحال
باسم المحل لان الماء اذا ادير بسرعة يرى كانه يدور وقيل الجفنة نفسها دارت
لعظم الامر وشرف الموضع فاهتزت واضطربت وتتابعت حركاتها حتى
امتلات قال بعض ولا يحصل بهذا التقليل وفيه نظر وامر الناس بالاستقاء
فاستقوا حتى رووا اي اخذ كل منهم ما يكفيه ويكفي دوابه وشربوا حتى
ذهب عطشهم فقلت فقول جابر هل نافية اي ما بقي من زائدة
احد له حاجة كقوله هل ينظرون الا تاويله وهل ترك لنا عقيل من رباع
بدليل زيادة من وقوله فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من
الجفنة ويجوز انها استفهامية ومن زائدة والفا في فرفع فصيحة اي
فقالوا لا فرفع والاول اولى لان الاصل عدم التقدير وهي ملاى اي مملوءة
بالماء لم تنقص شيئا مما اخذوه وروي حديث جابر ايضا الامام احمد
في مسنده بلفظ اشتكى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش فدعا بعس بضم العين وشد السين المهملتين قدح كبير
فصب فيه شيئا من الماء قليلا ووضع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيه يده وقال استقوا فاستقى الناس فكنت ارى العيون
اي عيون الماء تنبع تخرج من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم
وفي لفظ من حديثه اي جابر لدى احمد ايضا قال فوضع رسول

الله صلى الله عليه وسلم كفه في الاناء ثم قال بسم الله اتبرك واطلب
نبع الماء ويحتمل القسم لصحة نيته بذلك واقتصر عليه لانه الماثور في ساير
الافعال لا لبيان جوازه بدون الرحمن الرحيم كما زعم ثم قال اسبغوا
الوضوء قال جابر فوالذي ابتلاه بصري اي بفقده او ذهابه
لانه عمي في اخر عمره لقد رايت العيون عيون الماء يومئذ تخرج من
بين اصابعه صلى الله عليه وسلم فما رفعها اي يده حتى توضؤوا ام
اجمعين ورواه ايضا عنه البيهقي في الدلائل النبوية قال كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر نحو الحديبية فاصابنا
عطش فجهشنا بفتح الجيم والهاء وكسر اسرعنا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال جابر فوضع يده في تور بفتح الفوقية شبه الطست
وقيل هو الطست ووقع في حديث شريك عن انس في المعراج اتي بطست
من ذهب فيه تور وظاهره المغايرة بينهما ويحتمل الترادف فكان الطست
اكبر من التور قاله الحافظ وقوله فكان لا يلايم احتمال الترادف الا ان يكون
مراده الترادف اللغوي وقال المصنف التور اناء من صفر او حجارة وفي
القاموس اناء يشرب فيه مذكر من ما بين يديه قال فجعل الماء ينبع من بين
اصابعه كانه العيون لكثرة نبعه قال خذوا بسم الله فشربنا فوسعنا
عمنا وكفانا حتى روينا ولا يلزم من الوسع الكفاية في الري فلذا جمع
بينهما ولو كنا ماية الف لكفانا لانه مدد غير منقطع قال سالم بن ابي
الجعد قلت لجابر كم كنتم قال كنا الفا وخمسماية واخرجه ابن
شاهين الحافظ ابو حفص عمر بن احمد البغدادي تقدمت ترجمته وان له
المنتهي في التصنيف له ثلثماية وثلاثين تصنيفا منها المسند الف وستماية
جزء والتفسير الف مجلد ضخم وحاسب الحبار على ثمانية عشر قنطارا من
الحبر استخرجها منه وجمع برابة اقلامه واوصى ان يسخن له بها ما يغسله
فكفت تسخينه قال ابن ماكولا وغيره ثقة مامون صنف ما لم يصنفه احد
الا انه لحان ولا يعرف الفقه مات سنة خمس وثمانين وثلاث ماية
من حديث جابر ايضا وقال في سياقه اصابنا عطش بالحديبية
فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث واخرجه
ايضا عن جابر احمد الامام في المسند من طريق نبيح بضم النون ومهملة
مصغر ابن عبد الله العنزي بفتح المهملة والنون ثم زاي ابو عمرو الكوفي
مقبول عنه اي جابر قال سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحضرت الصلاة فقال صلى الله عليه وسلم اما في القوم طهور وفيه تلو هذا
فجاء رجل باداوة فيها شيء قليل من الماء ليس في القوم ماء غيره فصبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قدح ثم توضا فاحسن الوضوء
ثم فرايضه ونوافله ثم انصرف وترك القدح قال جابر فتزاحم
الناس على القدح اسقط من هذه الرواية فقالوا تمسحوا تمسحوا

فسمع

فسمع صلى الله عليه وسلم فقال على رسلكم بكسر الراء هينتكم فوضع كفه في
القدح وفي رواية فضرب يده في القدح في جوف الماء ثم قال اسبغوا الوضوء
اتوه بعرضه ونحوه ولا تمسحوا قال جابر فلقد رايت العيون عيون الماء
تخرج من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم حتى توضؤوا اجمعون قال حسبته
قال كنا مايتين وزيادة بهذا بقية رواية نبيح كما في الفتح واما حديث
ابن مسعود ففي الصحيح اي الحديث الصحيح او صحيح البخاري وهو
من رواية علقمة بن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي التابعي الكبير ثقة
ثبت فقيه عابد مات بعد الستين وقيل بعد السبعين عن عبد الله يعني ابن مسعود
قال كنا بينما بالميم وفي رواية بينا بلا ميم نحن مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي في سفر كما في البخاري وجزم البيهقي في الدلائل بانه
الحديبية لكن لم يخرج ما يصرح به وقد روى ابو نعيم في الدلائل ان ذلك في
غزوة خيبر فهذا اولى كما في الفتح وليس معنا ماء جملة حالية فقال
لنا اطلبوا من معه فضل ماء اي بقية ما كان او زيادة منه على حاجته
فاتي بماء بالبناء للمفعول والفاء فصيحة اي فطلبوا الماء فوجده بعضهم فاتي
به وفي البخاري فجاووا باناء فيه ماء قليل ولابي نعيم عن ابن عباس دعى صلى الله
عليه وسلم بلالا بماء فطلبه فلم يجده فصبه في اناء اخر مكشوف ليدخل
يده فيه ثم وضع كفه فيه اي الاناء الثاني والفطن يفهم لما بينهما من تراخ قليل
فجعل اي صار الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية ابن عباس فبسط كفه فيه فنبعت تحت يده عين فجعل ابن
مسعود يشرب ويكثر وفي رواية عن ابن مسعود فجعلت ابادرهم الى الماء
ادخله في جوفي لقوله البركة من الله ثم ما ذكره المصنف من لفظ الحديث
وعزاه للصحيح مثله في الشفا ولفظ البخاري في علامات النبوة من رواية
علقمة عن عبد الله قال كنا نعد الايات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاووا باناء
فيه ماء قليل فادخل يده في الاناء ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة
من الله فلقد رايت الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد
كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وظاهر هذا ان الماء كان ينبع من
بين اصابعه لا حقيقة بل بالنسبة الى روية الرائي وهو في نفس
الامر للبركة الحاصلة فيه متعلق بقوله يفور ويكثر في نفسه من
غير خروج من بين اصابعه الشريفة وكفه صلى الله عليه وسلم في الاناء
فيراه الرائي نابعا من بين اصابعه وليس بنابع حقيقة وظاهر
كلام القرطبي المتقدم اول هذا البحث انه نبع من نفس اللحم الكاين في
الاصابع لقوله نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه وقدمت ان
الحافظ ابدا فيه احتمالا لكونه بالنسبة للروية وان ظاهره ابلغ وليس في
الاخبار ما يرده وبه صرح النووي في شرح مسلم فقال وفي كيفية هذا

النبع من ذات حكاها عياض وغيره احدها وهو قول اكثر العلما والمزني ان الما كان
يخرج من ذات اصابعه والثاني ان الما كثر في ذاته فصار يفور من بين اصابعه
الثاني ودعوي المصنف ان حديث ابن مسعود ظاهر في الثاني منها نظرا ذهو
يحتمل بل الظاهر منه الاول كبقية الاحاديث ويؤيده قول جابر فرايت الما
يخرج من بين اصابعه وفي رواية فرايت الما ينبع من بين اصابعه فقوله
يخرج وينبع ظاهر في انه من ذاتها وهذا نص الصحيح وكلاهما اي الامرين
كثرته في نفسه ببركته وخروجه من ذات اصابعه معجزة له صلي الله عليه
وسلم وقول الاكثر ابلغ في المعجزة واعترضه بعض نظر اللفظ كلا فيجوز مراعاة
لفظها ومعناها واجتمعا في قوله •

• • كلاهما حين جد الجري بينهما • قد اقلعا وكلا انفيهما رابي •

وانما فعل ذلك ولم يخرجه من غير ملابسة ما ولا وضع اناء تادبا مع الله
تعالي اذ هو المنفرد بابتداع المعدومات ايجادها علي غير مثال سابق
وايجادها من غير اصل تتولد منه وفي فتح الباري الحكمة في طلبه صلي الله
عليه وسلم في هذه المواطن فضلة الما لئلا يظن انه الموجد للما ويحتمل انه اشارة
الي ان الله اجري العادة في الدنيا غالبا بالتوالد وان بعض الاشيا يقع بينها التوالد
وبعضها لا يقع وبالجملة ومن جملة ذلك ما يشاهد من فوران بعض الما بهاتها اذا
حفرت وتركت زمانا ولم تجر العادة في الما الصرف بذلك فكانت المعجزة بذلك
ظاهرة جدا انتهي وروي ابن عباس قال دعا النبي صلي الله عليه
وسلم بلالا كما في الرواية فطلب بلال الما فقال لا والله ما وجدت الما قال
فهل من شن بفتح المعجمة وبالنون اداوة يابسة فاتي بشن فبسط كفه
اليمني علي الظاهر فيه فانبعثت انفجرت تحت يده عين فكان ابن مسعود
يشرب ويكثر كما في الرواية وكان غيره يتوضا رواه الدارمي عبد الله بن
عبد الرحمن وابو نعيم في الدلايل قال الحافظ وهذا يشعر بان ابن عباس
حمل الحديث عن ابن مسعود فان القصة واحدة ويحتمل ان يكون كل من بلال
وابن مسعود احضر الاداوة فان الشن الاداوة اليابسة انتهي وكذا رواه
الطبراني وابو نعيم من حديث ابي ليلي الانصاري والد عبد الرحمن
قيل اسمه بلال وقيل بليل بالتصغير وقيل داود بن بلال وقيل اوس
وقيل يسار وقيل اليسر وقيل اسمه كنيته وقال الكلبي ابو ليلي بن بلال
ابن بليل بن احيحة وتمم نسبه الي مالك بن الاوس وقال غيره شهد احدا
وما بعدها ثم سكن الكوفة وكان مع علي في حروبه وقيل انه قتل بصفين
روي عن النبي صلي الله عليه وسلم وعنه ولده عبد الرحمن وحده وقال
الدولابي روي عنه ايضا عامر بن كدين قاضي دمشق وليس كما قال فشيخ
عامر هو ابو ليلي الاشعري كما في الاصابة وله احاديث في السنن وابو نعيم
من طريق القاسم بن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه عن جده ابي
رافع واسمه اسلم علي اشهر اقوال عشرة تقدمت غير مرة مولي النبي صلي

١١٥

الله عليه وسلم فقد ذكر المصنف ستة صحابة رووا حديث نبع الما فزاد ابا رافع
علي الحافظ ومن ذلك تفجر وفي نسخة تفجير فاطلق المصدر واراد اثره وهو
التفجر بحازا اذ التفجير من فعل الله لا من الما فالمراد منه التفجر او المراد بتفجيره
شق محله الذي يخرج منه او المصدر مضاف لمفعوله بعد حذف الفاعل اي تفجير
الله الما بيمنه اخراجه ببركته اي يمنه ووجوده في كل مكان اخرج منه الما وانبعاثه
افتعال من البعث وهو الاثارة والاخراج للما حتي يجري وفي نسخة انبعاثه
بالنون انفعال وهما بمعني واحد يقال بعثه فانبعث وانبعث بمسه اي بلمسه ودعوته
دعايه الله تعالي واخر هذا عن نبعه من اصابعه لقوة ذلك في المعجزة بخلاف هذا
الاحتمال كونه اتفاقيا روي مسلم في صحيحه في فضايل النبي من طريق مالك
عن ابي الزبير عن عامر بن واثلة عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال انكم ستاتون غدا ان شا الله عين تبوك التي
بها لا تنصرف علي المشهور لوزن الفعل كتقول وقد تصرف علي ارادة الموضع
مكان بين المدينة والشام وانكم لن تاتوها حتي يضحي النهار فمن جاها
اي منكم بدليل قوله فلا يمس من مايها شيا حتي اتي بالمداحي قال معاذ
فجيناها وقد سبق اليها رجلين والعين مثل الشراك بكسر المعجمة وفتح
الرا والكاف سير النعل الذي علي وجهه شبهه به في الصغر وقلة جريه
وليس بمعني احد ودعي الارض كما توهم تبض بفتح التا وكسر الموحدة وتشديد
الضاد المعجمة اي تقطر وتسيل كما رواه ابن مسلمة وابن القاسم في الموطا ورواه
يحيي وطايفة بصاد مهملة اي تبرق قاله الباجي وبها روي ايضا في مسلم
بشي من ما بشير الي تقليله فسالهما رسول الله صلي الله عليه وسلم هل
مسستما لانهما لم يعلما نهيه اوحملاه علي الكراهة اونسياه ان كانا مومنين
وقد روي ابو بشر الدولابي انهما كانا من المنافقين لمخالفتهما امره وتقا فيهما
اوحملهما النهي علي الكراهة ان كانا مومنين فان كانا لم يعلما او نسيا فنسبهما
لكونهما تسببا في فوات ما اراده من اظهار المعجزة كما تسبب الساهي والناسي
ويلا مات اذا كانا سببا في فوات محروص عليه قاله الباجي في شرح الموطا
وقال لهما ما شا الله ان يقول ثم غرفوا من العين بايديهم قليلا قليلا
بالتكرار حتي اجتمع الما الذي غرفوه في شي من الاواني التي كانت معهم ولا
تلبس فيه وان اصله غرفوا في شي حتي اجتمع كما كثير كما توهم ثم غسل عليه
السلام به اي الما والذي في مسلم وفي الموطا فيه بدله وضميره قبل عايد
علي الشي اي الانا وجهه ويديه للبركة والظاهر انه للما ايضا وعبر به
لمشاكلة قوله ثم اعاده فيها فجرت العين بما كثير بالمعنى ولفظ مسلم فجرت
العين بما منهمر او قال غزير شك ابو علي اي رواية عن مالك فاستقي الناس
شربوا وسقوا دوابهم ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك يقرب ويسرع
من غير بطو ان طالت بك حياة اي ان اطال الله عمرك وراييت هذا المكان
ان تري بعينيك فاعل يوشك وان بالفتح مصدرية ما موصول اي الذي

ههنا وهو اشارة للمكان قد ملي بالبنا للمفعول جنانا نصب على
التمييز بكسر الجيم جمع جنة بفتحها اي بساتين وعمرانا اي بكثر ماوه م
ويخصب ارضه فيكون بساتين ذات ثمار وشجر كثيرة وهذا ايضا من
معجزاته عليه السلام لانه اخبار بغيب وقع ورواه بمعنى ذكره القاضي
عياض في الشفا بنحوه من طريق مالك اي ناسبا له الحفظ روي مالك في
الموطا عن معاذ وزاد بعده فقال لعياض قال معدد في حديث ابن اسحق
في السيرة فانفجر انفجارا بشدة من الما ماله حس صوت كحس
الصواعق جمع صاعقة الصيحة فهو تشبيه محسوس بمحسوس قال التلمساني
وهي والصعقة النار تسقط من السما الى الارض عن رعد شديد وصيحة
العذاب وقطعة من النار تسقط الى الارض انتهى وفي البخاري في غزوة
الحديبية من حديث المسور بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الواو وبالرا
ابن مخرمة بفتح الميم وسكون المعجمة ابن نوفل بن اهيب بن عبد مناف بن
زهرة القرشي له ولابيه صحبة مات سنة اربع وستين ومروان بن الحكم
ابن ابي العاصي بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي لم تثبت له
صحبة قال الحافظ وهذا الحديث مرسل فمروان لا صحبة له والمسور لم يحضر القصة
وقد رواها البخاري في اول كتاب الشروط عن المسور ومروان اخبرا عن اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سمعا جميعا صحابة شهدوا هذه القصة
كعمر وعثمان وعلي والمغيرة وام سلمة وسهل بن حنيف انهم اي النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه نزلوا باقصى الحديبية على ثمد بفتحتين قليل الما
يتبرضه بتحتية ففوقية فموحدة ثقيلة فضاد معجمة ياخذه الناس
تبرضا نصب على انه مفعول مطلق من باب التفعل التكليف فلم يلبثه الناس
قال الحافظ بضم اوله وسكون اللام من الالباث وقال ابن التين بفتح اوله وكسر
الموحدة المثقلة اي لم يتركوه يلبث اي يقيم انتهى وقال المصنف بضم اوله
وفتح اللام وشد الموحدة وسكون المثلثة عن الفرع واصله مصححا عليه حتى
نزحوه بنون فزاي فحا مهملة اي لم يبقوا منه شيا قال الحافظ ووقع في شرح
ابن التين بواو بدل الحا ومعناهما واحد وهو اخذ الما شيا بعد شي حتى لا يبقى
منه شي وشكي بالبنا للمفعول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش بالرفع نايب الفاعل فانتزع سهما من كنانته بكسر الكاف جعبته
التي فيها النبل ثم امرهم ان يجعلوه فيه اي الثمد روى ابن سعد من
طريق ابي مروان قال حدثني اربعة عشر رجلا من الصحابة ان الذي نزل البير
ناجية بن الاعجم وقيل هو ناجية بن جندب وقيل البرا بن عازب وقيل عباد
ابن خالد حكاه الواقدي ووقع في الاستيعاب خالد بن عبادة قال في
الفتح ويمكن الجمع بانهم تعاونوا على ذلك بالحفر وغيره فوالله ما زال يجيش
بفتح اوله وكسر الجيم وسكون التحتية ومعجمة لهم بالري بكسر الرا ويجوز
فتحها حتى صدروا عنه اي رجعوا بعد ورودهم زاد ابن سعد حتى اغترفوا

بانيتهم جلوسا على شفير البير وعند ابن اسحق فجاش بالرواء حتى ضرب
الناس عنه بعطن والثمد بالمثلثة المفتوحة والتحريك اي فتح الميم الما
القليل وقال في الفتح اي حفرة فيها ما قليل يقال ما مثمود اي قليل فقوله
قليل الما تاكيد لدفع توهم ان يراد لغة من يقول الثمد الما الكثير وقيل الثمد
ما يظهر من الما في الشتا ويذهب في الصيف انتهى وهذا اولى من تفسير المصنف بالما
القليل لانه يصير قوله قليل الما لكن تعقب بعض كلام الحافظ بانه انما يتم ان
ثبت لغة ان الثمد الما الكثير واعترض الدماميني قوله تاكيد بانه لو اقتصر على
قليل امكن اما مع اضافته الى الما فيشكل كقولنا هذا ما قليل الما ثم قال
الراوي الثمد العين وقال غيره حفرة فيها ما فان صح فلا اشكال وقوله
يتبرضه الناس تبرضا بالضاد المعجمة اي ياخذونه قليلا قليلا
والبرض الشي القليل قال الحافظ البرض بالفتح والسكون اليسير من
العطا وقال صاحب العين هو جمع الما بالكفين وقوله فما زال اي استمر يجيش
بفتح المثناة التحتية وبالجيم اخره شين معجمة اي تفور ماوه
ويرتفع وفي رواية للبخاري عن البرا انه صلى الله عليه وسلم توضا
فتمضمض ودعا ومج في بير الحديبية ما فيها فجاشت بالما كذلك
ولم يذكر القا السهم وفي مغازي ابي الاسود محمد بن عبد الرحمن الاسدي
المدني يتيم عروة من الثقات عن عروة بن الزبير احد الفقها مرسلا
انه صلى الله عليه وسلم توضا في الدلو ومضمض فاه ثم مج فيه في الدلو
وامر ان يصب في البير ونزع سهما من كنانته جعبته والقاه في
البير اي امرهم بالقايه لرواية البخاري قبل ودعا الله تعالى ففارت
بما بين من الفوران ارتفعت حتى جعلوا يغترفون بايديهم منها وهم
جلوس على شفيرها بالمعجمة والفا حافتها فجمع في هذه الرواية
بين الامرين التوضي والمج منه والقا سهم من كنانته ففي رواية البخاري
اختصار وفيه معجزات ظاهرة وبركة سلاحه وما ينسب اليه صلى الله عليه
وسلم وكذا رواه الواقدي محمد بن عمر بن واقد الاسلمي الحافظ المتروك
مع سعة علمه من طريق اوس بن خولي بفتح الخا المعجمة وفتح الواو
ضبطه العسكري في كتاب التصحيف كما في التبصير الانصاري الخزرجي
صحابي شهير قال ابن سعد مات قبل حصر عثمان وهذه القصة
غير القصة السابقة قريبا في ذكر نبع الما من بين اصابعه صلى
الله عليه وسلم مما رواه البخاري ومسلم كلاهما من المغازي من
حديث جابر قال عطش الناس بالحديبية وبين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ركوة فذكر الحديث وفيه فجعل الما يفور من
بين اصابعه الحديث المتقدم قريبا فبين القصتين مغايرة ظاهرة
لانه قال في حديث جابر فجعل الما يفور من بين اصابعه وفي حديث البرا انه
صب ما وضويه في البير وجمع ابن عباس بينهما بان ذلك وقع في

رضي انتهي فالقصة متعددة فحديث جابر في نبع الما كان حين
حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضو له وحديث البرا كان
لارادة ما هو اعم من ذلك كشرب وسقي دواب ويحتمل ان يكون الما
لما تفجر من اصابعه ويده في الركوة وتوضو كلهم وشربوا امر
حينئذ بصب الما الذي بقي في الركوة في البير فكان طرف لصب فتكاثر
الما فيها فتكون قصة واحدة انتهي من فتح الباري وزاد وفي حديث
زيد بن خالد انهم اصابهم مطر بالحديبية فكان ذلك وقع بعد القصتين
المذكورتين والله اعلم وفي حديث البرا ابن عازب وسلمة بن الاكوع مما
رواه البخاري لو زاد ومسلم لا استقام على التوزيع فالبخاري روي حديث
البرا ومسلم ومسلم حديث سلمة في قصة الحديبية وهم اربع عشرة
ماية وبيرها لا ترويها بضم الفوقية خمسين شاة الشاة المروفة
وروي اشاة بكسر الهمزة الاولى وفتح الاخيرة وهي السخلة الصغيرة
فنزحناها اخرجنا جميع مايها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراوني بالبنا للمفعول
بدلو منها اي مما دلونا نزحوه فبصق بالصاد وفي رواية بالسين
وهما لغتان اي القي ريقه فدعا الله سرا بعد بصاقه فجمع بينهما على رواية
البرا وليس هنا اداة شك فلا يصح احتمال انه شك من الراوي هل بصق
او دعا لقوله فقال سلمة فاما دعا واما بصق بكسر الهمزتين
بيان للشك في الرواية لانه لا يلزم من وقوع الشك في رواية سلمة
منه او ممن بعده وقوعه في رواية البرا كما هو ظاهر فيها اي البير الا ولو
كذا قيل فجاشت البير اي فارت وبها وارتفع لفيها فارووا انفسهم
بشربهم وركابهم ابلهم بسقيهم منها وقال في رواية البرا ثم مضمض
ودعا الله سرا ثم صبه الما الذي توضا وتمضمض به فيها اي البير
ثم قال دعوها ساعة مقدارا من الزمان وفي رواية للبرا فتركناها
غير بعيد ثم انها اصدرتنا ولفظ البخاري من طريق اسرايل عن ابي اسحق
عن البرا قال تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد
الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية بير فنزحناها فلم تترك فيها قطرة
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا
باناء من ما فتوضا وتمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد
ثم انها اصدرتنا ما شينا نحن وركابنا ولفظه من طريق زهير حدثنا
ابو اسحق انبانا البرا انهم كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الحديبية الفا واربعماية او اكثر فنزلوا على بير فنزحوها فاتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فاتى البير وقعد على شفيرها ثم قال ايتوني بدلو
من مايها فاتي به فبصق ثم قال دعوها ساعة فارووا انفسهم وركابهم
حتى ارتحلوا ولفظ مسلم عند سلمة قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم ونحن اربع عشرة ماية وعليها خمسون شاة لا ترويها فقعد
صلى الله عليه وسلم على جبا الركية فاما دعا واما بصق فجاشت فسقينا
واستقينا قوله على جباها بفتح الجيم والموحدة والقصر ما حول البير
وبالكسر ما جمعت فيه عبارة غيره ما جمع فيها من الما وركاها شفاها
بمعجمة وهما بمعنى وقوله وركابهم اي الابل التي يسار عليها وفي
الصحيحين البخاري في التيمم وعلامات النبوة ومسلم في الصلاة من
حديث عوف حدثنا ابو رجا عن عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي
اسلم عام خيبر وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم يقول البصرة عنه كان
يري الحفظة وتكلمه حتى الكوي روي له ماية وثمانون حديثا في البخاري
اثنى عشر مات بالبصرة سنة اثنين وخمسين قال كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في سفر اختلف في انه الحديبية ليلا فنزل فقال من يكلانا
فقال بلال انا الحديث او بطريق مكة كما في الموطا عن زيد بن اسلم مرسلا
او بطريق تبوك كما رواه عبد الرزاق عن عطا بن يسار مرسلا والبيهقي
عن عقبة بن عامر او في جيش الامرا كما في ابي داود وتعقبه ابو عمر بانها
موتة ولم يشهدها النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه وسلم وهو كما قال
لكن يحتمل ان المراد بها غيرها ذكره الحافظ وقول المصنف او عند رجوعهم من
خيبر كما في مسلم لا وجه له اذ في قصة عمران قال اول من استيقظ ابو بكر ورواية
مسلم اول من استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم فلا يصح تفسير السفر المبهم
هنا بما في مسلم ولذا لم يذكره الحافظ هنا وانما ذكره استطرادا الا على تعدد الواقعة
اي نومهم عن صلاة الصبح كما مر بيانه في اخر المقصد الثالث فاشتكى حذف
من الحديث ما لم يتعلق به غرضه هنا وهو وانا اسرينا حتى كنا في اخر الليل
وقعنا وقعة ولا وقعة عند المسافر احلى منها فما ايقظنا الا حر الشمس فكان اول
من استيقظ فلان وفي علامات النبوة فكان اول من استيقظ من منامه ابو
بكر ثم فلان ثم فلان يسميهم ابو رجا فنسي عوف ثم عمر بن الخطاب الرابع وكان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا نام لم يوقظ حتى يكون هو يستيقظ لانا لا ندري
ما يحدث له في نومه فلما استيقظ عمر وراي ما اصاب الناس وكان رجلا جليدا
كبر ورفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبي صلى الله عليه وسلم
فلما استيقظ شكوا اليه الذي اصابهم فقال لا ضير او لا يضير ارتحلوا فارتحل
فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضا ونودي بالصلاة فصلى
بالناس فلما انفتل من صلاته اذا هو برجل لم يصل فقال ما منعك ان تصلي قال
اصابتني جنابة ولا ما قال عليك بالصعيد فانه يكفيك ثم سار فاشتكى
اليه الناس من العطش اي ما اصابهم من الشدة الحاصلة بسببه فنزل
عليه السلام فدعا فلانا كان يسميه ابو رجا بفتح الرا وخفة الجيم والمد
عمران بن ملحان بكسر الميم وسكون اللام وبالحا المهملة العطاردي ويقال اسم
ابيه تيم وقيل غير ذلك في اسم ابيه مخضرم ادرك النبي صلى الله عليه وسلم

دلم يره واسلم بعد الفتح وهو ثقة معمر مات سنة خمس ومائة وله مائة وعشرون
سنة روى له الستة ونسيه عوف بالقاف الاعرابي العبدي البصري ثقة رمي
بالقدر وبالتشيع مات سنة ست او سبع واربعين ومائة وله ست وثمانون
قال الحافظ وفلان الذي نسيه هو عمران بن حصين بدليل قوله عند مسلم
ثم عجلني النبي صلى الله عليه وسلم في ركب بين يديه نطلب الماء ودلت هذه الرواية
علي انه كان هو وعلي فقط لانهما خوطبا بلفظ التثنية ويحتمل انه كان معهما
غيرهما علي سبيل التبعية لهما فيتجه اطلاق لفظ ركب وخصا بالخطاب لانهما
المقصودان بالارسال ودعا عليا هو ابن ابي طالب وقال اذهبا فابتغيا
بموحدة ففوقية من الابتغاء للاصيلي فابغيا من الثلاثي وهمزته للوصل ولاحمد
فابغيانا الماء والمراد الطلب يقال ابتغي الشيء تطلبه وابغ الشيء اي اطلبه لي وفيه
الجري علي العادة في طلب الماء وغيره وان التسبب في ذلك لا يقدح في التوكل فانطلقا
فتلقيا امراة وفي علامات النبوة من رواية مسلم بفتح فسكون عن ابي رجا
عن عمران فبينما نحن نسير اذا نحن بامراة سادلة رجليها بين مزادتين بفتح
الميم والزاي قربة كبيرة فيها جلد من غيرها وتسمي ايضا السطيحة او سطيحتين
بفتح السين وكسر الطا المهملتين تثنية سطيحة بمعني المزادة او وعا من جلدين
سطح احدهما علي الاخر قال الحافظ واو هنا شك من عوف لخلو رواية سلم عن
ابي رجاء عنها اي حيث جزم بقوله بين مزادتين قال والمراد بها الرواية زاد
المصنف او القربة الكبيرة سميت بذلك لانه يزاد فيها جلد اخر من غيرها
انتهي وظاهر حديث الصحيحين هذا انهما وجدا المراة اتفاقا ووقع في الشفا
بلا عزو لمخرج عن عمران فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة
بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها قال شارحه
ولم يسم احد هذه المراة الا انها اسلمت ولا المكان من ما علي بعير لها فقالا لها
اين الماء فقالت عهدي بالماء امس هذه الساعة ونفرنا خلوف فقالا لها
انطلقي اذن قالت الي اين قالا الي رسول الله قالت الذي يقال له الصابي
قالا هو الذي تعنين فانطلقي هكذا في الصحيح قبل قوله فجاءا بها الي النبي
صلى الله عليه وسلم وحدثاه الحديث كما في الرواية اي الذي كان بينهما وبينها
فاستنزلوها عن بعيرها اي طلبوا منها النزول عنه وجمع باعتبار من تبع
عليا وعمران ممن يعينهما قال بعض الشراح المتقدمين انما اخذوها واستجازوا
اخذ مائها لانها كانت حربية وعلي فرض ان يكون لها عهد فضرورة العطش
تبيح للمسلم الماء المملوك لغيره علي عوض والا فنفس الشارع تفدي بكل شي
نقله الحافظ ودعا النبي صلى الله عليه وسلم باناء ففرغ من التفريغ وفي
رواية فافرغ من الافراغ فيه من افواه المزادتين او السطيحتين اي
افرغ الماء من افواههما وجمع موضع التثنية علي حد فقد صغت قلوبكما اذ ليس لكل
مزادة سوي فم واحد زاد الطبراني فمضمض في الماء واعاده في افواه المزادتين
قال الحافظ وبهذه الزيادة تتضح الحكمة في ربط الافواه بعد فتحها وان البركة

انما حصلت بمشاركة ريقه الطاهر المبارك للماء وفي الشفا فجعل في انا من مزادتيها
وقال فيه ما شاء الله يقول واوكا اي ربط افواههما واطلق اي فتح العزالي
بفتح المهملة والزاي قال الخليل هي مصب الماء من الراوية ولكل مزادة
عزلاوان من اسفلها قاله الحافظ فالجمع في العزالي علي بابه لانهما مزادتين
لانهما مزادتان فلهما اربع عزالي وقال بعض جمع وليس للقربة الا فم واحد
فقيل لانها كانت تتعدد في قربتهم عزلاوان من اسفل وعزلاوان من فوق
وما كان من اسفل يخص باسم العزلاء والاحسن ان الجمع قد يطلق علي ما فوق
الواحد وليس علي حد فقد صغت قلوبكما لاختصاصه بما اذا كان المضاف مثني
انتهي ونودي في الناس اسقوا بهمزة قطع مفتوحة من اسقي او
بهمزة وصل مكسورة من سقي كما في الفتح وغيره اي اسقوا غيركم كالدواب
واستقوا انتم فسقي من سقي ولابن عساكر فسقي من شاء واستقي
من شاء فرق بينه وبين من سقي انه لنفسه وسقي لغيره من ماشية ودوابه
واستقي قيل بمعني سقي وقيل انما يقال سقيته لنفسه واستقيته لماشيته
ذكره المصنف وكان اخر ذلك ان اعطي الذي اصابته الجنابة انا من ماء قال اذهب
فافرغه عليك هكذا في الصحيح قبل قوله وهي اي والحال ان المراة قائمة
تنظر الي ما يفعل بالبنا للمجهول بمائها وايم الله قال الحافظ بفتح الهمزة
وكسرها والميم مضمومة اصله ايمن الله وهو اسم وضع للقسم هكذا ثم حذفت
منه النون تخفيفا والفه الف وصل مفتوحة ولم يجي كذلك غيرها وهو مرفوع
بالابتدا وخبره محذوف والتقدير وايم الله قسمي وفيها لغات جمع منها النووي
في تهذيبه سبع عشرة وبلغ بها غيره عشرين وسيكون لنا عودة لبيانها في
كتاب الايمان ويستفاد منه جواز التوكيد باليمين وان لم يتعين لقد اقلع
بضم الهمزة اي عنها وانه ليخيل الينا انها اشد ملئة بكسر الميم
وسكون اللام بعدها همزة مفتوحة ثم تا تانيث اي امتلاء وفي رواية
البيهقي انها املا منها حين ابتدا فيها والمراد انهم يظنون ان الباقي فيها
من الماء اكثر مما كان اولا وهذا من عظيم اياته وباهر دلائل نبوته حيث توضؤوا
وشربوا وسقوا واغتسل الجنب بل في علامات النبوة من طريق سلم بفتح
المهملة اوله تليها لام ساكنة فميم ابن زرير بفتح الزاي المنقوطة اوله وراءين
بلا نقط بينها تحتية ساكنة كما ضبطه النووي والحافظ والمصنف وغيرهم
انهم ملؤا كل قربة واداوة كانت معهم بما سقط من العزالي وبقيت المزادتان
مملوتان بل ظن الصحابة انه كان اكثر مما كان اولا فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لاصحابه اجمعوا لها تطييبا لخاطرها في مقابلة حبسها في ذلك الوقت عن
المسير الي قومها وما نالها من خوف اخذ مائها لا انه عوض عما اخذ من الماء
قاله المصنف قال الحافظ وفيه جواز اخذ المحتاج برضي المطلوب منه او بغير
رضاه ان تعين وفيه جواز المعاطاة في مثل هذا من الهبات والاباحات من
غير لفظ من المعطي فجمعوا لها من بين عجوة تمر اجود تمر المدينة وفي رواية

ما ادري تركت هولا اياكم عمدا الماهو ذا لهو فهل لكم رغبة في الاسلام الحديث
بقيته في الصحيحين فاطاعوها فدخلوا في الاسلام وما كان يزيد الكتاب بهذه
البقية وللناس فيما يعشقون والله اعلم وعن ابي قتادة الحارث او عمرو او
النعمان بن ربعي بكسر الرا وسكون الموحدة الانصاري السلمي بفتحتين المدني شهد
احدا وما بعدها ولم يصح شهوده بدرا ومات سنة اربع وخمسين على الاصح الاشهر
قال خطبنا وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر كما دل عليه السياق
وفي حديث ابي هريرة عند مسلم ان ذلك كان حين قفل من غزوة خيبر فقال
في خطبته انكم تسيرون عشيتكم اي بقية يومكم فالعشية كالعشي اخر النهار
كما في القاموس وفي المصباح ما بين الزوال الى الغروب وليلتكم التي تليه وتاتون
الماء غدا ان شاء الله تعالى تبركا وامتثالا للاية فانطلق الناس لا يلوي لا يعطف
احد على احد لاشتغال كل منهم بنفسه فبينا بلا ميم رسول الله صلى الله عليه
وسلم يسير حتى ابهار بالموحدة وتشديد الرا الليل اي ابيض كذا فسره المصنف
والهدي للسيوطي اي انتصف وفي مقدمة الفتح قيل انتصف او ذهب معظمه
ابهرة كل شي اكثره وفي القاموس ابهار الليل انتصف او تراكمت ظلمته او
ذهبت عامته او بقي نحو ثلثيه فلم يذكر وا تفسيره بالبياض كما فعل المصنف بل في
الصحاح والقاموس انما ذكرا الابياض صفة للقمر لا الليل ولفظ القاموس ابهار القمر
لمع غلب ضوؤه ضوء الكواكب ولفظ مسلم فبينا رسول الله يسير حتى ابهار الليل
وانا الى جنبه فنعس فمال عن راحلته فاتيته فدعمته من غير ان اوقظه حتى
اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من اخر السحر مال ميلة هي اشد من الميلتين
الاوليين حتى كاد ينجفل فاتيته فدعمته فرفع راسه فقال من هذا قلت ابو قتادة
قال متى كان هذا مسيرك مني قلت ما زال هذا مسيري منذ الليلة قال حفظك
الله بما حفظت به نبيه ثم قال هل ترانا نخفى على الناس ثم قال هل ترى من احد
قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب اخر حتى اجتمعنا فكنا سبعة ركب قال فمال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عدل عن الطريق محذف المصنف هذا من الحديث
لعدم غرضه فيه اذ غرضه منه انما هو تكثير المالكي صار سياقه يقتضي ان عدوليه
ونومه كان عند انتصاف الليل مع انه انما كان عند السحر فوضع راسه اي نام ثم قال
احفظوا علينا صلاتنا بان تنبهونا قبل خروج وقتها وفي البخاري عن ابي قتادة
ذكر سبب نزوله سوال بعض القوم ذلك فقال صلى الله عليه وسلم اخاف ان تناموا
عن الصلاة فقال بلال انا اوقظكم وفي حديث ابي هريرة عند مسلم وقال لبلال
اكلا لنا الليل وصلى بلال ما قدر له ونام صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فلما
قارب الفجر استند بلال الى راحلته مواجه الفجر فغلبت بلالا عيناه وهو مستند
الى راحلته فلم يستيقظ صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه حتى ضربتهم الشمس فكان
اول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله عن ابي هريرة عند مسلم
ايضا وفي حديث عمران اول من استيقظ ابو بكر ولم يستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم
حتى ايقظه عمر بالتكبير ولذا رجح القاضي عياض ان نومهم عن صلاة الصبح وقع

ما بين كما في المصنف واقتصر الحافظ على من بين فلا معنى لترجي زيادة بين
من المصنف بعد ثبوتها رواية ودقيقه وسويقه بفتح اولهما وفي رواية
كريمة بضمهما مصغرا مثقلة كما قال الحافظ وغيره وعطف سويقه على دقيقه
خاص على عام حتى جمعوا لها طعاما كثيرا كما عند احمد وفيه اطلاق لفظ
الطعام على غير الحنطة والذرة خلافا لمن ابى ذلك ويحتمل ان يكون المعنى
طعاما غير العجوة وما بعدها قاله الحافظ اي ما يعد طعاما عرفا بحيث ينتفع
به ويدخر لو كل في اوقات متفرقة وهو كناية عن كثرة ما جمعوه لها بدليل
زيادة احمد كثيرا فجعلوه اي ما جمعوه ولابي ذر فجعلوها اي الانواع المجموعة
في ثوب من عندهم على ظاهره لكن في الشفا ثم امر فجمع للمراة من الازواد
حتى ملا ثوبها فظاهره ان المراد في ثوبها وحملوها على بعيرها التي كانت
راكبة عليه ووضعوا الثوب بما فيه بين يديها اي قدامها على البعير
قال لها صلى الله عليه وسلم كما في رواية الاسماعيلي وللاصيلي فقالوا لها
اي الصحابة بامره صلى الله عليه وسلم تعلمين قال الحافظ بفتح اوله وثانيه
وتشديد اللام اي اعلمي ما رزئنا بفتح الرا وكسر الزاي ويجوز فتحها وبعدها
همزة ساكنة اي نقصنا من مائك شيئا قال الحافظ ظاهره ان جميع ما اخذوه
مما زاده الله واوجده وانه لم يختلط فيه شي من مائها في الحقيقة وان كان
في الظاهر مختلطا وهذا ابدع واغرب في المعجزة وهو ظاهر قوله ولكن
الله هو الذي اسقانا بالهمز ولابن عساكر سقانا ويحتمل ان المعنى ما نقصنا
من مائها مقدار ما يكون شيئا وفيه اشارة الى ان الذي اعطاها ليس على سبيل العوض
عن مائها بل على سبيل التكرم والتفضل وجواز استعمال اواني المشركين ما لم تتيقن
فيها النجاسة فاتت اهلها وقد احتبست عنهم فقالوا ما حبسك يا فلانة هذا
اسقطه من الحديث قبل قوله فقالت حبسني العجب لقيني رجلان فذهبا بي
الى هذا الرجل الذي يقال له الصابي ففعل كذا وكذا حكت لهم ما فعل فوالله
انه لا سحر الناس كلهم لفظ البخاري وانه لا سحر الناس من بين هذه وهذه
وقالت باصبعها الوسطى والسبابة فرفعتهما الى السما يعني السما والارض او
انه لرسول الله حقا هذا منها ليس بايمان للشك لكنها اخذت في النظر فاعقبها
الحق فامنت بعد ذلك واسقط من الحديث فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون
على من حولها من المشركين ولا يصيبوا الصرم الذي هي منه فقالت المراة يوما لقومها
ما موصول اري بفتح الهمزة بمعنى اعلم اي الذي اعتقد ان بالفتح مثقلا هولا
يدعونكم من الاغارة عمدا لا جهلا ولا نسيانا ولا خوفا منكم بل مراعاة لما سبق
بيني وبينهم وهذه الغاية في مراعاة الصحبة القليلة فكان هذا القول سبب
رغبتهم في الاسلام كذا رواه ابو ذر بلفظ ان المثقلة ورواه الاكثرون ما
ارى هولا القوم يدعونكم عمدا بفتح همزة ارى واسقاط ان ووجهها بما ذكر ابن
مالك ولابن عساكر ما ارى بضم الهمزة اي اظن ان بكسر الهمزة وللاصيلي وابن
عساكر ما ارى بدال بعد الالف ان بالفتح والتشديد في موضع المفعول والمعنى

مرتين لامن الحد بيثين من المغايرات التي يتعسر معها الجمع خلافا للاصيلي في
ان القصة واحدة وايضا في حديث ابي قتادة ان العمرين لم يكونا مع المصطفي
وفي حديث عمران انهما معه وايضا فالذي كلا الفجر في قصة ابي قتادة بلال
واما في قصة عمران فروي الطبراني سنيها بقصته وفيه ان الذي كلا لهم الفجر
ذو مخبر بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الموحدة وفي ابن حبان عن ابن مسعود انه
كلا لهم الفجر وايضا مما يدل على التعدد اختلاف مواطنها كما قدمنا والشمس في
ظهره كناية عن كمال ظهورها واسقط من الحديث عند مسلم قال فقمنا فزعين قال
ابو عمر يحتمل ان يكون تاسفا على ما فاتهم من وقت الصلاة ففيه ان ذلك لم
يكن عادته منذ بعث قال ولا معنى لقول الاصيلي فزعين خوفا ان يكون اتبعهم
عدو فيجدهم بتلك الحال من النوم لانه صلى الله عليه وسلم لم يتبعه عدو وفي انصرافه
من خيبر بل من الشعر انصرف ظافرا غانما ثم قال اركبوا زاد في رواية ابي هريرة
فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان قال عياض وهذا اظهر الاقوال في تعليله
او لاشتغالهم باحوال الصلاة او تحرزا من العدو ليستيقظ النايم وينشط الكسلان
قال ابن رشيق وقد علله صلى الله عليه وسلم بهذا ولا نعلم الا هو اي فهو خاص
به سواء كان في ذلك الوادي او في غيره فركبنا فسرنا غير بعيد حتى اذا ارتفعت
الشمس نزل اي علمت في الارتفاع وزاد ارتفاعها والا فقوله والشمس في ظهره
دليل ارتفاعها اذ لا تكون كذلك حتى ترتفع وفي حديث ابي هريرة حتى ضربتهم
الشمس وذلك لا يكون الا بعد ان يذهب وقت الكراهة ففيه رد على من زعم ان علة
تاخيره كون ذلك كان وقت كراهة كما في الفتح ثم دعا بميضاة بكسر الميم وهمزة
بعد الضاد دانا يتوضا به كالركوة كذا في الديباج وقال غيره بكسر الميم والقصر
وياوها منقلبة عن واو لانها آلة الوضو فوزنها مفعلة وقد تمد فوزنها مفعالة
كانت معي فيها شيء من ما قال فتوضا منها وضوا دون وضو كما هو لفظ الحديث
ومعناه وضوا كامل الفرض دون وضو نظم بالفرايض والسنن كاقتصاره على الوضو
مرة ونحو ذلك قال وبقي شيء من ما وظاهره انه لم يتوضا منها احد غيره وفي
رواية عن انس كان صلى الله عليه وسلم في سفر فقال لابي قتادة امعكم ما قلت
نعم في ميضاة فيها شيء من ما قال ايتني بها فاتيته بها فقال لاصحابه تعالوا انفالوا
مسوا منها فتوضوا وجعل يصب عليهم وبقيت جرعة ثم قال صلى الله عليه وسلم
لابي قتادة احفظ علينا ميضاتك فسيكون لها نبا خبر عظيم في امر ما بقيا وكفايته
القوم وما يظهر بها من المعجزة العظيمة ثم اذن بلال بالصلاة ولاحمد من حديث
ذي مخبر فامر بلالا فاذن واستدل به على مشروعية الاذان للفوايت فصلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين ثم ركعتا الفجر ثم صلى الغداة الصبح
ولاحمد فصلى الركعتين قبل الصبح وهو غير عجل ثم امره فاقام الصلاة فصلى
الصبح زاد الطبراني من حديث عمران فقلنا يا رسول الله انعيدها من الغد
لوقتها قال نهانا الله عن الربا ويقبله منا وفي رواية ابن عبد البر لا ينهاكم الله عن
الربا ويقبله منكم واختصر المصنف سياق ابي قتادة ولفظه في مسلم ثم صلى الغداة

فصنع ما كان يصنع كل يوم قال وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبنا معه
فجعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا ثم قال اما لكم
في اسوة ثم انه قال انه ليس في النوم تفريط انما التفريط على من يصلي الصلاة
حتى يجي وقت الصلاة الاخرى فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها فاذا كان الغد فليصلها
عند وقتها ثم قال ما ترون الناس صنعوا قال ثم اصبح الناس فقدوا نبيهم فقال
ابو بكر وعمر رسول الله بعدكم لم يكن ليخلفكم وقال الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين ايديكم فان تطيعوا ابا بكر وعمر ترشدوا قال فانتهينا الى الناس لانه صلى
الله عليه وسلم لما اعتزل عن الطريق مع طايفة نام وسار بقية الجيش ولم يعلموا بنومه
وفيهم الشيخان كما رايت حين اشتد بمعجمة فتا الفوقية النهار وحمي كل شيء وهم
يقولون يا رسول الله هلكنا عطشنا هكذا في مسلم بلا واو وبيان لهلاكهم
ويقع في نسخ المصنف وعطشنا بالواو فان ثبتت رواية فهي عطف علة على معلول
فقال لا هلك عليكم بضم الها وسكون اللام اسم من هلك وحذف من الحديث ثم
قال اطلقوا لي غمري وهو بضم المعجمة وفتح الميم وبالراء اي قدحي فحللته فاتيته
به قال ودعا بالميضاة فجعل صلى الله عليه وسلم يصب في قدحه وابو قتادة
يسقيهم فلم يعد بفتح اليا واسكان العين ان راى الناس ان لم يتاخروا زمنا
عن رويتهم ما بالتنوين في الميضاة فتكابوا عليها ازدحموا وفي رواية احمد
فازدحم الناس عليها بمجرد رؤية الما لشدة عطشهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احسنوا الملا بفتح الميم وكسرها وسكون اللام والهمز اي لا واتيكم
ولا تزدحموا على الاخذ كلكم سيروى ولاحمد كلكم سيصدر عن ري قال
ففعلوا اي تركوا الازدحام فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب
في قدحه ويسقيهم ولاحمد فشرب القوم وسقوا دوابهم وركابهم وملاوا ما
كان معهم من اداوة وقربة ومزادة حتى ما بقي غيري وغير رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم صب وقال لي اشرب فقلت لا اشرب حتى تشرب
يا رسول الله قال ان ساقي القوم اخرهم قال فشربت وشرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحديث بقيته واتى الناس الما جامين بجيم وجيم
اي بساطا منشرحين رواء قال فقال عبد الله بن رباح اني لاحدث هذا الحديث
في مسجد الجامع اذ قال عمران انظر ايها الفتى كيف تحدث فاني احد الركب
تلك الليلة قال قلت فانت اعلم بالحديث قال ممن انت قلت من الانصار
قال حدث فانت اعلم بحديثكم قال فحدثت القوم فقال عمران لقد شهدت تلك
الليلة وما شعرت ان احدا حفظه كما حفظته رواه مسلم في الصلاة من
حديث ثابت عن عبد الله بن رباح عن ابي قتادة وحذف المصنف منه كثيرا
كما رايت واحتج باخره من قال باتحاده مع قصة عمران لانه صدق عبد الله
في تحديثه واجيب بان عمران حضر القصتين فحدث باحداهما وصدق عبد الله
لما حدث عن ابي قتادة بالاخرى قال في الشفا وذكر الطبري يعني ابن
جرير حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله

عليه وسلم خرج بمد الاهل مونة عندما بلغه فتلك الامر وذكر حديثا طويلا فيه معجزات وايات وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء غدا وذكر وجد الميضاه قال والقوم زهاء ثلاثمائة انتهى وعن انس قال اصابت الناس سنة بفتح السين المهملة اي شدة وجهد من الجدب على عهد اي زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم الجمعة خطبة الجمعة على المنبر قام اعرابي من سكان البادية لا يعرف اسمه قاله المصنف وقال الحافظ لم اقف على تسميته في حديث انس وروى احمد عن كعب بن مرة ما يمكن ان يفسر المبهم بانه كعب وروى البيهقي ما يمكن ان يفسر بانه خارجة بن حصن الفزاري لكن رواه ابن ماجة من طريق شرحبيل بن السمط انه قال لكعب بن مرة يا كعب حدثنا عن رسول الله قال جا رجل فقال يا رسول الله استسق فرفع يديه ففي هذا انه غير كعب فقال يا رسول الله فيه انه كان مسلما فانتفى زعم انه ابو سفيان بن حرب لانه حين سواله لذلك لم يكن اسلم فهي واقعة اخرى كما في الفتح هلك المال الحيوانات لفقد ما ترعاه فليس المراد الصامت وفي رواية هلكت المواشي ولحرى الكراع بضم الكاف يطلق على الخيل وغيرها وجاع العيال لعدم وجود ما يعيشون به من الاقوات المفقودة بحبس المطر فادع الله لنا ان يغيثنا فرفع يديه زاد في رواية حذا وجهه ولابن خزيمة عن انس حتى رايت بياض ابطيه وزاد النسائي ورفع الناس ايديهم مع رسول الله يدعون وما نرى في السما قزعة بفتح القاف والزاي وبالعين المهملة مفتوحات قطعة من سحاب متفرق او رقيقة الذي اذا مرت تحت السحب الكثيرة كانها ظل قال ابن سيدة القزع قطع من السحاب رقاق زاد ابو عبيد واكثر ما يجي في الخريف قال انس فوالذي نفسي بيده ما وضعها اي يديه وللكشميهني ما وضعها اي يديه حتى ثار بمثلثة اي هاج وانتشر السحاب امثال الجبال لكثرته ثم لم ينزل عن منبره حتى رايت المطر يتحادر يتحدر اي ينزل ويقطر على لحيته الشريفة فمطرنا بضم الميم وكسر الطا اي حصل لنا المطر يومنا نصب على الظرفية اي في يومنا ذلك ومن الغد من للتبعيض او بمعنى في ومن بعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الاخرى بالجر في الفرع واصله على ان حتى جارة ويجوز النصب عطفا على سابقه المنصوب والرفع على ان مدخولها مبتدا خبره محذوف قاله المصنف وفي رواية فمطرنا من جمعة الى جمعة وفي اخرى فدامت جمعة وفي اخرى فخرجنا نخوض الماء حتى اتينا منازلنا وفي اخرى فما كدنا ان نصل الى منازلنا اي من كثرة المطر واخرى حتى سالت مثاعب المدينة بمثلثة اخره موحدة جمع مثعب مسيل الماء وفي مسلم فامطرنا حتى رايت الرجل تهمه نفسه ان ياتي اهله ولابن خزيمة حتى اهم الشاب القريب الدار الرجوع الى اهله وقام بالواو ولابي ذر والاصيلي وابن عساكر فقام بالفاء ذلك الاعرابي الذي طلب الدعا او غيره وفي رواية ثم دخل رجل في الجمعة المقبلة

فظاهره

فظاهره انه غير الاول ولان النكرة اذا تكررت دلت على التعدد وقد قال شريك سالت انسا اهو الرجل الاول قال لا ادري وهذا يقتضي انه لم يجزم به بالتغاير فالقاعدة اغلبية لان انسا من اهل اللسان وقد تعدد ومقتضى رواية او غيره انه كان يشك فيه وفي رواية للبخاري فاتى الرجل فقال وفي ابي عوانة فمازلنا نمطر حتى جا ذلك الاعرابي في الجمعة الاخرى وهذا يقتضي الجزم بكونه واحدا قاله الحافظ فقال يا رسول الله تهدم البنا وفي رواية البيوت وغرق المال وفي رواية هلكت الاموال وانقطعت السبل واحتبس الركبان فادع الله لنا وفي رواية فادع الله يمسكها اي الامطار او السحابة او السما والعرب تطلق على المطر سما وفي رواية ان يمسك الماء عنا ولاحمد ان يرفعها عنا وفي رواية البخاري فادع ربك ان يحبسها عنا فضحك وفي رواية فتبسم لسرعة ملال ابن ادم فرفع يديه بالتثنية وفي رواية يده على ارادة الجنس فقال اللهم حوالينا بفتح اللام اي انزله او امطر حوالينا والمراد اصرف المطر عن الابنية والدور ولا تنزله علينا قال الحافظ فيه مراد بقوله بيان للمراد بقوله حوالينا لانها تشمل الطرق التي حولهم فاخرجه بقوله ولا علينا قال الطيبي في ادخال الواو هنا معنى لطيف وذلك انه لو اسقطها لكان مستسقيا للاكام وما معها فقط ودخول الواو تقتضي ان طلب المطر على المذكورات ليس مقصودا لعينه ولكن ليكون وقاية من اذى المطر فليست الواو مخلصة للعطف ولكنها للتعليل وهي كقولهم تجوع الحرة ولا تاكل بثدييها فان الجوع ليس مقصودا لعينه ولكن لكونه مانعا عن الرضاع باجرة اذ كانوا يكرهون ذلك انفا انتهى فما يشير بيده الى ناحية من السحاب الا انفرجت انكشفت او تدورت كما يدور جيب القميص وهذا لفظ البخاري في الجمعة وشرحه المصنف بما ذكرت ورواه في الاستسقا بلفظ الا تفرجت قال المصنف بفتح الفوقية والفا وتشديد الراء وبالجيم اي تقطع السحاب وزال عنها امتثالا لامره وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة بقاف مفتوحة فنون فالف فتا تانيث مرفوع على البدل من الوادي غير منصرف للتانيث والعلمية اذ هو اسم لواد معين من اودية المدينة بناحية احد به مزارع ولعله من تسمية الشي باسم ما جاوره وقرانه بخط الرضي الشاطبي الفقها يقرؤونه بالنصب والتنوين يتوهمونه قناة من القنوات وليس كذلك انتهى وهذا ذكره بعض الشراح وقال هو على التشبيه اي سال مثل القناة قاله الحافظ اي جرى فيه المطر شهرا ولم يجي احد من ناحية الا حدث بالجود وفي رواية للشيخين من وجه اخر عن انس قال صلى الله عليه وسلم اللهم حوالينا ولا علينا وفي بعض الروايات حولينا بلا الف وهما بمعنى وهو في موضع نصب على الظرف ومفعول به والمراد بحوالي المدينة مواضع النبات والزرع لا نفس المدينة وبيوتها ولا ما حواليها من الطرق والا لم يزل شكواهم بذلك ولم يطلب رفع المطر من اصله بل سال رفع ضرره وكشفه عن البيوت والمرافق والطرق بحيث لا يتضرر به

سالكين ولا ابن سبيل بل سال ابقاه في موضع الحاجة لان الجبال والصحاري
مادام المطر فيها كثرت فايدتها في المستقبل من كثرة المرعي والمياه وغير ذلك
من المصالح وفيه قوة ادراكه صلي الله عليه وسلم للخير علي سرعة البديهة ولذا
بين المراد بحواليها بقوله اللهم علي الاكام بكسر الهمزة وقد تفتح وتمد جمع اكمة
بفتحات قال ابن البرقي هو التراب المجتمع وقال الداودي هو اكبر من الكدية
وقال القزاز هي التي من حجر واحد وهو قول الخليل وقال الخطابي هي
الهضبة الضخمة وقيل الجبل الصغير وقيل ما ارتفع من الارض وقال الثعالبي
الاكمة اعلي من الرابية والظراب بكسر المعجمة واخره موحدة جمع ظرب بكسر
الرا وقد تسكن قال القزاز الجبل المنبسط ليس بالعالي ومال وقال الجوهري
الرابية الصغيرة وبطون الاودية والمراد بها ما يتحصل فيه الما لينتفع به قالوا
ولم يسمع افعلة جمع فاعل الا اودية جمع وادي وفيه نظر وزاد مالك في روايته
ورؤس الجبال ذكره الحافظ ومنابت الشجر فاقلعت بفتح الهمزة من الاقلاع
اي كفت وامسكت السحابة الماطرة عن المدينة وفي رواية فاذا هو الان تكلم صلي
الله عليه وسلم بذلك تمزق السحاب حتي ما نري منه شيا اي في المدينة وخرجنا
نمشي في الشمس رواه المذكور من الروايتين البخاري ومسلم في مواضع
من كتاب الصلاة وغيرها والجوبة بفتح الجيم والموحدة بينهما واو
ساكنة الحفرة المستديرة الواسعة وكل منفتق بلا بنا جوبة
اي صار الغيم والسحاب محيطا بافاق المدينة قال الحافظ والمراد به
هنا الفرجة في السحاب وقال الخطابي المراد بالجوبة هنا الترس وضبطها
الزين ابن المنير تبعا لغيره بنون بدل الموحدة ثم فسره بالشمس اذا ظهرت
في خلل السحاب لكن جزم عياض بان من قاله بالنون فقد صحف والجون بفتح
الجيم واسكان الواو المطر الواسع الغزير زاد الحافظ وهذا يدل
علي ان المطر استمر فيما سوي المدينة فيشكل بانه يستلزم ان قول السايل
هلكت الاموال وانقطعت السبل لم يرتفع الاهلاك ولا القطع وهو خلاف
مطلوبه ويمكن الجواب بان المراد ان المطر استمر حول المدينة من الاكام والظراب
وبطون الاودية لا في الطريق المسلوكة ووقوع المطر في بقعة دون بقعة
كثير ولو كانت تجاورها واذا كان جاز ذلك جاز ان يوجد للماشية اماكن
تكنها وترعي فيها بحيث لا يضرها ذلك المطر فيزول الاشكال انتهي وعن
عبد الله بن عباس انه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثنا
عن ساعة العسرة غزوة تبوك سميت بذلك لوقوعها مع عسر شديد
كما افاده عمر فقال عمر خرجنا الي تبوك في قيظ حر شديد فنزلنا
منزلا لما ارتحل من الحجر كما رواه ابن ابي حاتم ولا ينافيه قول ابن اسحاق
بعد ذكر نزوله بالحجر فلما اصبح الناس شكوا له صلي الله عليه وسلم فقد
الما فدعا فارسل الله عليهم سحابة حتي ارتووا وحملوا حاجتهم لجعل قوله فلما
اصبح اي بعد ان سار منزلة بعد الحجر كما جمعت بينهما في الغزوة بذلك

اصابنا عطش لفقد الما حتي ظننا ان رقابنا ستنقطع من العطش
حتي ان مخففة من الثقيلة اي انه كان الرجل ليذهب فيلتمس الرجل
فلا يرجع حتي يظن ان رقبته ستنقطع من شدة العطش حتي كان
الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه ما في كرشه فيشربه اي ما نزل منه
مع تغيره وقلته وكانوا يفعلون ذلك في ضرورتهم ويجعل ما بقي بما عصره
علي كبده ليخف عنه بعض الحرارة ببرودة ما يمس كبده من الما فقال ابو بكر
الصديق يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعا خيرا بالاجابة الشريفة
فادع الله لنا لان يسقينا قال اتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه نحو
السما كما في الرواية فلم يرجعها بفتح اليا من رجع المتعدي كي فلا ترجعوهن
الي الكفار لا من رجع اللازم اي فلم يرد يديه بعد رفعهما في دعايه من الرفع المذكور
حتي قالت السما اي غيمت وظهر فيها سحاب من قولهم قال كذا اذا تهيا له واستعد
كما في القاموس اي امتلات سحابا او رعدت فسمع دوي رعدها او رن سحابها
وحن رعدها وروي قامت بالميم اي اعتدلت واستوت بالسحاب او توجهت
بالخير وانتصب سحابها وارتفع او حان وقت مطرها وحضر فانسكبت
اي انسكب ماوها فالاسناد مجازي وتفسير بعض قالت باللام بامطرت لا يناسبه
ما بعده وكون السما بمعني المطر بعيد هنا وكونه استخداما فملوا ما معهم من
انية جمع انا كاوان وظنه مزودهم ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز
العسكر وهذه معجزة اخري قال الحافظ المنذري اخرجه البيهقي في
الدلايل النبوية وكذا الامام احمد وابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبزار
وشيخه اي البيهقي ابن بشران الحافظ ابو حفص عمر بن بشران بن محمد
ابن بشران السكري ثقة قال الخطيب حدثنا عنه البرقاني فقال كان ثقة
حافظا عارفا كثير الحديث توفي سنة سبع وستين وثلاثمائة ودعلج بن جعفر بن
ابن احمد بن دعلج الامام الحافظ الفقيه محدث بغداد ابو محمد السجزي ثقة
سمع البغوي وغيره وعنه الدارقطني والحاكم وكان من اوعية العلم وبحور
الرواية صنف المسند الكبير ومات سنة احدي وخمسين وثلاث مائة وخلف
ثلاث مائة الف دينار وابن خزيمة محمد بن اسحق بن خزيمة بن المغيرة
النيسابوري احد الايمة المعروف عند اهل الحديث بامام الايمة حدث عنه
الشيخان خارج صحيحيهما ويونس بن يزيد الايلي احتج به مسلم
في صحيحه وابن وهب عبد الله المصري الفقيه الحافظ الثقة العابد
المتوفي سنة سبع وتسعين ومائة وعمرو بن الحارث بن يعقوب الانصاري
مولاهم المصري ثقة فقيه حافظ مات قبل الخمسين ومائة ونافع بن
جبير بن مطعم القرشي النوفلي التابعي ثقة فاضل مات سنة تسع وتسعين
احتج بهم اي بكل واحد من الثلاثة البخاري ومسلم وباقي الايمة الستة
وعتبة بن حميد الضبي ابو معاذ او ابو معاوية البصري فيه مقال فقال
احمد ضعيف ليس بالقوي وقال ابو حاتم صالح الحديث ووثقه ابن حبان

وغيره وفي التقريب صدوق له اوهام انتهى وقد رواه اي ذكره بلا
اسناد القاضي عياض في الشفا مختصرا وروي بن اسحق في مغازيه
نحوه وروي صاحب مصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام عن عمرو
ابن شعيب محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاصي صدوق مات سنة ثماني عشرة
ومائة روي له اصحاب السنن ان ابا طالب قال كنت مع ابن اخي
يعني النبي صلى الله عليه وسلم بذي المجاز بفتح الميم والجيم والزاي
معجمة اسم سوق كان بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه في الجاهلية فادركني
العطش فشكوت اليه فقلت يا ابن اخي عطشت وما قلت له ذلك وانا
اري عنده شيا الا الجزع بكسر الجيم وقال ابو عبيدة اللايق فتحها منعطف
الوادي ووسطه او منقطعه او منحناه او لا يسمي جزعا حتى يكون له سعة
تنبت الشجر او هو مكان بالوادي لا شجر فيه وربما كان رملا قاله في القاموس
فالمعنى لا ارى هنا لا اري عنده الا وسط الوادي او منقطعه دون ما فيه
ويصح تفسيره بباقي المعاني المذكورة وابعد من قال الا الجزع تاسفا على
حال الناس فثني وركه ثم نزل عن الدابة التي كانا راكبين عليها فان في
نفس الحديث وهو رديفه اي النبي صلى الله عليه وسلم ورديفي لابو طالب
اي راكب خلفه وقال يا عم اعطشت كانه سال بعد شكواه اليه العطش
لينبهه على رؤية الاية فقلت نعم فاهوي بعقبه الي الارض وضرب الارض
بقدمه فاذا بالما فقال اشرب يا عم فشربت وكذا رواه ابن سعد
وابن عساكر من رواية اسحق بن الازرق عن عبد الله بن عوف عن عمرو بن
شعيب وهذا ثلاثة احاديث رواها ابو طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم
وعن علي قال سمعت ابا طالب يقول حدثني محمد بن اخي وكان والله صدوقا
قال قلت له بما بعثت قال بصلة الارحام واقام الصلاة وايتا الزكاة وعن
ابي رافع سمعت ابا طالب يقول حدثني محمد ان الله امره بصلة الارحام وان
يعبد الله وحده لا يعبد معه احدا ومحمد عندنا الصدوق الامين رواهما الخطيب
وضعفهما كما في الاصابة وعبر السيوطي بان ابا طالب روي عن المصطفى
حديثين وهو ادق اذ الثاني والثالث واحد رواه عنه علي وابو رافع
والخطيب سهل ومن ذلك تكثير الطعام ما قابل الما لتقدمه القليل
ببركته ودعايه والطعام ما يطعم وهو المراد هنا بما يرادفه عن
جابر بن عبد الله في غزوة الخندق وهي الاحزاب قال لما حفر الخندق
رايت بالنبي صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا فانكفيت قال الحافظ
بفا مفتوحة بعدها تحتية ساكنة اي انقلبت واصله انكفات بهمزة وكانه
سهلها وقال المصنف بالهمز وقد تبدل يا لكن قال الحافظ ابو ذر صوابه
فانكفات بالهمز وقال في التنقيح اصله الهمزة ساكنات الا انا وتسهل قال في
المصابيح لكن ليس القياس في تسهيل مثله ابدال الهمزة يا اي انقلبت الى
امراتي سهيلة فقلت لها هل عندك شي فاني رايت بالنبي صلى الله

عليه

عليه وسلم خمصا بمعجمة وميم مفتوحتين وصاد مهملة وقد تسكن الميم ضمور
بطن من الجوع شديدا فاخرجت جرابا بكسر الجيم فيه صاع من شعير ولنا
بهيمة بضم الموحدة وفتح الها مصغر بهمة وهي الصغيرة من اولاد الغنم وفي
رواية عناق وهي الانثى من المعز داجن بكسر الجيم التي تترك في البيت
ولا تخرج الي المرعي ومن شانها ان تسمن وقد زاد في رواية احمد سمينة فذبحتها
بسكون الحاء وضم اللام لنا فاسند الذبح جابر وطحنت بفتح المهملة والنون امراتي
الشعير وفي رواية احمد فامرت امراتي فطحنت لنا الشعير وصنعت لنا منه
خبزا وفي رواية في الصحيح من طريق اخر عن جابر انا يوم الخندق نحفر فعرضت
كدية شديدة فجاوا الي النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في
الخندق فقال انا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة ايام لا نذوق
ذواقا فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا اهيل او اهيم
فقلت يا رسول الله ايذن لي الي البيت فقلت لامراتي رايت بالنبي صلى الله عليه
وسلم المعول فضرب شيا ما كان في ذلك صبر فعندك شي قالت عندي شعير
وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اي وشرعنا في تهيئته
حتى جعلنا وللكشميهني جعلت اي المراة اللحم في البرمة بضم الموحدة
وسكون الرا القدر مطلقا من حجارة وفي رواية ففرغت الي فراغي اي معه وقطعتها
في برمتها ثم جيت النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في الصحيح والعجين
والعجين قد انكسر اي اختمر والبرمة بين الاثافي قد كادت ان تنضج فقالت
لا تفضحني برسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه فجيته فساررته فقلت
له سرا يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنت المراة وفي رواية ابي ذر
وابن عساكر ولغيرهما وطحنا وعلى الاول هو من باب الاضمار اي ارجاع الضمير
لما علم من السياق وهو انه لما اسند الفعل الي مونث علم صلى الله عليه وسلم انها
اذ ليس عنده غيرها ولعله نسب الذبح اليها لما ونيها له فيه والطحن لها
لا شتغالها به دونه صاعا من شعير كان عندنا فتعال انت ونفر معك
دون العشرة من الرجال وفي رواية فقلت طعيم لي صنعته فقم انت يا رسول
الله ورجل او رجلان ولا حد وكنت اريد ان ينصرف صلى الله عليه وسلم وحده
قال كم هو فذكرت له قال كثير طيب قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى
اتي فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا اهل الخندق ان جابرا صنع سورا
بحا مهملة وشد التحتية هلا بكم بفتح الها واللام المنونة مخففة اي هلموا
مسرعين وفي رواية في الصحيح فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار
فلما دخل علي امراته قال ويحك جا النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين
والانصار ومن معهم قالت هل سالك قلت نعم وفي سياقه اختصار وبيانه في
رواية يونس بن بكير في زيادات المغازي قال فلقيت من الحيا ما لا يعلمه الا
الله وقلت جا الخلق على صاع من شعير وعناق فدخلت على امراتي اقول افتضحت
جاءك رسول الله بالجند اجمعين فقالت هل كان سالك كم طعامك فقلت نعم فقالت

الله ورسوله اعلم نحن اخبرناه بما عندنا فكشفت عني غما شديدا وفي رواية
الصحيح جيت امراتي فقالت بك وبك فقلت قد فعلت الذي قلت وتجمع بينهما
بانها اولا امرته ان يعلمه بالصورة فلما قال لها انه جا بالجميع ظنت انه لم يعلمه فخاصمته
فخاصمته فلما اعلمها انه اعلمه سكن ما عندها لعلمها بامكان خرق العادة ودل ذلك
على وفور عقلها وكمال فضلها وقد وقع لها في قصة الثمر ان جابرا اوصاها لما زارهم
النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تكلمه فلما اراد صلى الله عليه وسلم الانصراف نادته يا
رسول الله صل علي وعلى زوجي فقال صلى الله عليه وسلم صلى الله عليك وعلى زوجك فعاتبها جابر
فقالت له اكنت تظن ان الله يورد رسوله بيتي ثم يخرج ولا اساله الدعا اخرجه احمد
باسناد حسن ذكره الحافظ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر لا تنزلن بضم
الفوقية وكسر الزاي وضم اللام برمتكم نصب على المفعولية ولابي ذر لا تنزلن بفتح
الزاي واللام مبني للمفعول برمتكم بالرفع نايب الفاعل ولا تخبزن بفتح الفوقية
وكسر الموحدة وضم الزاي وشد النون عجينكم بالنصب ولابي ذر بضم التحتية
وفتح الموحدة والزاي ورفع عجينكم حتى اجي الى منزلكم ثم جا لفظ البخاري وجيت
وجا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الناس حتى جيت الى امراتي فقالت
بك وبك فقلت فعلت الذي قلت فاخرجت المراة له عجينا فبصق فيه بالصاد
ولابي ذر والوقت وابن عساكر فبسق بالسين ويقال بالزاي ايضا قال النووي
بالصاد في اكثر الاصول وفي بعضها بالسين وهي لغة قليلة وبارك في العجين
اي دعا فيه بالبركة ثم عمد بفتح الميم قصد الى برمتنا فبصق زاد الكشميهني
فيها اي البرمة وبارك في الطعام ثم قال صلى الله عليه وسلم لجابر ادع خابزة
فلتخبز بكسر بسكون اللام معك بكسر الكاف خطابا لزوجة جابر فخصه
بالامر بالدعا لانه صاحب المنزل المشار اليه باذنه لمن شاه في دخول منزله
وخاطب زوجته بانه اذا احضرها يامرها بالخبز معها اي مساعدتها فيه ثم تباشر
هي غرف الطعام ولا ينافيه ان لفظ البخاري فلتخبز معي لان المراد وقولي لها
لتخبز معي اي تعاونني فيه كذا املاه شيخنا فتامله ويدل عليه قوله واقدحي
بسكون القاف وفتح الدال وكسر الحا المهملتين اي اغرفي من برمتكم والمغرفة
تسمى المقدحة وقدحه من المرق غرفه منه ولا تنزلوها بضم الفوقية وكسر
الزاي اي البرمة من فوق الاثافي بفتح الهمزة والمثلثة فالف فيا
مكسورة فتحتية مشددة حجارة ثلاثة يوضع عليها القدر وهم اي
القوم الذين اكلوا الف وفي مستخرج ابو نعيم وهم سبعماية او ثمانماية
وللاسماعيلي على ثمانماية او ثلاث ماية وفي مسلم ثلاث ماية قال
الحافظ والحكم للزايد لمزيد علمه ولان القصة متحدة وفي رواية ابي الزبير
عن جابر وقعدهم عشرة عشرة ياكلوا واقسم بالله لقد اكلوا حتى تركوه
وانحرفوا اي امالوا عن الطعام وان برمتنا لتغط بكسر الغين المعجمة وشد
الطا المهملة اي تغلي وتثور بحيث يسمع لها غطيط كما هي وان عجيننا
ليخبز كما هو لم ينقص من ذلك شي وما في كما كافة وهي مهيئة لدخول الكاف

على الجملة وهي مبتدا والخبر محذوف اي كما هي قبل ذلك رواه البخاري ومسلم
في المغازي من حديث سعيد بن ميناعن جابر واخرجه البخاري وحده من رواية
ايمن عن جابر بنحوه وفي اخره فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوا ولا تضاغطوا
فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور اذا اخذ منه ويقرب
الى اصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال كلي هذا
واهدي فان الناس اصابتهم مجاعة وفي رواية يونس بن بكير فما زال يقرب الى
الناس حتى شبعوا اجمعين ويعود التنور والقدر املا ما كانا وقال كلي واهدي
فلم نزل ناكل ونهدي يومنا اجمع وفي رواية ابي الزبير عن جابر فاكلنا نحن
واهدينا لجيراننا فلما خرج صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك انتهى وصرح هذا
ان الذي باشر الغرف النبي صلى الله عليه وسلم فيخالف ظاهر قوله واقدحي
من برمتكم ولا تنزلوها اي اغرفي من ان مباشرة المراة ويمكن الجمع بينهما
بانها كانت تساعده في الغرف ولم يتعرض الحافظ ولا المصنف لهذا وقوله
فانكفات اي انقلبت بالهمز وتركه وهو الرواية على ظاهر كلام الحافظ ابن
حجر هنا وظاهر تصويب الحافظ ابي ذر له بالهمز كما مر وقوله داجن يعني
سمينة كما ورد صريحا في رواية احمد فسر الحافظ الداجن التي تترك في البيت
ولا تفلت للرعي ومن شانها ان تسمن وفي رواية احمد سمينة وقوله فذبحتها
بسكون الحا وضم التا وطحنت بسكون التا الفوقية قبلها نون فهما مفتوحات
يعني ان الذي ذبح هو جابر والتي طحنت هي امراته سهيلة بلفظ
التصغير بنت معوذ صوابه كما في الفتح وغيره بنت مسعود بن اوس بن مالك
ابن سواد الانصارية الظفرية زوجة جابر وام ولده عبد الله ذكرها ابن حبيب
في المبايعات كما في الاصابة وقوله سورا بضم المهملة وسكون الواو بغير
همز قال الحافظ هو هنا الصنيع بالحبشية وقيل العرس بالفارسية ويطلق ايضا
على البنا الذي يحيط بالمدينة واما الذي بالهمز فهو البقية قال ابن الاثير
اي طعاما يدعى الناس اليه زاد المصنف او الطعام مطلقا قال واللفظة
فارسية قال الطيبي تظاهرت احاديث صحيحة انه صلى الله عليه وسلم تكلم
بالالفاظ الفارسية اي كقوله للحسن كخ ولعبد الرحمن مهيم اي ما هذا ولام
خالد سنا سنا يعني حسنة وهو يدل على جوازه ذكره المصنف ولعله صلى الله عليه
وسلم عبر بها دون طعاما لعمومه في كل ماكول بخلاف الطعام فيختص بالحنطة عند
اهل مكة فقد يفهم بعض السامعين غير المراد او لبيان الجواز وقوله فحي بالفتح
مثقله هلا بفتح الها واللام مخففا بكم وفي رواية اهلا بكم بزيادة الف والصواب
حذفها قاله الحافظ كلمة استدعا فيه اي الاستدعا ولفظ الحافظ فيهما اي
الكلمة والامر بسهل حث على سرعة الاجابة اي هلموا اسرعي وقوله
واقدحي اي اغرفي والمقدحة المغرفة وقوله وان برمتنا لتغط بالغين
المعجمة المكسورة والطا المهملة المشددة اي تغلي ويسمع غطيطها صوتها
بالغليان كغطيط النايم وعن انس بن مالك قال قال ابو طلحة زيد بن سهل

الانصاري زوج ام سليم والدة انس لام سليم قال الحافظ اتفقت الطرق
علي ان الحديث المذكور من مسند انس وقد وافقه علي ذلك اخوه لامه عبد الله بن
ابي طلحة فرواه مطولا عن ابيه قال دخلت المسجد فعرفت في وجه رسول الله صلي
الله عليه وسلم الجوع الحديث اخرجه ابو يعلي باسناد حسن لقد سمعت صوت رسول
الله صلي الله عليه وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع فيه العمل بالقرائن وكانه لم يسمع
من صوته حين تكلم الفخامة المعهودة منه فحمله علي الجوع ولاحمد عن انس ان ابا طلحة
راه طاويا وفي مسلم جئت وقد عصب بطنه بعصابة فسالت فقالوا من الجوع
فاخبرت ابا طلحة فدخل علي ام سليم فقال فهل عندك من شيء ياكله النبي صلي الله
عليه وسلم فقالت نعم فاخرجت اقراصا جمع قرص بالضم قطعة عجين متطوع منه
من شعير ولاحمد عمدت ام سليم الي نصف مد من شعير فطحنته وللبخاري عمدت الي
مد من شعير جشته ثم عملت منه عصيدة وفي لفظ خطيفة وهي العصيدة وزنا
ومعني وفي مسلم واحد اتي ابو طلحة بمدين من شعير فامر فصنع طعاما قال
الحافظ ولا منافاة لاحتمال تعدد القصة او ان بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الاخر
ويمكن الجمع بان يكون الشعير في الاصل كان صاعا فافردت بعضه لعيالهم وبعضه
للنبي صلي الله عليه وسلم ويدل علي التعدد ما بين العصيدة والخبز المفتوت الملتوت
بالسمن من المغايرة ثم اخرجت خمارا بكسر الخاء المعجمة اي نصيفا لها فلفت الخبز
ببعضه ثم دسته اي اخفته تحت يدي بكسر الدال اي ابطي ولاثتني بمثلثة فو
ساكنة فنون مكسورة لفتني ببعضه ببعض الخمار اي ادارت بعض الخمار
علي راسي مرتين كالعمايم وفي الفتح اي لفتني به يقال لاث العمامة علي راسه اي
عصبها والمراد انها لفت بعضه علي راسه وبعضه تحت ابطه وللبخاري في الاطعمة
فلفت الخبز ببعضه ودست الخبز تحت ثوبي وردتني ببعضه يقال دس الشيء يدسه
دسا اذا ادخله في الشيء بقهر وقوة ثم ارسلتني الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
فذهبت به فوجدت رسول الله صلي الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس
فسلمت عليه لفظ البخاري فقمت عليهم فقال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم
ارسلك بهمزة ممدودة للاستفهام كذا في الفتح ابو طلحة قلت نعم قال الطعام
اي لاجله قلت نعم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لمن معه من صحبه قوموا
يأتي بالجواب بما فيه من شبه التنافي فانطلق ولاصحابه ولابي نعيم فقال
للقوم انطلقوا فانطلقوا وهم ثمانون رجلا وانطلقت بين ايديهم ولابي نعيم
اخذ صلي الله عليه وسلم بيدي فشدها ثم اقبل باصحابه حتي اذا دنوا ارسل يدي
فدخلت وانا حزين لكثرة من جاء معه حتي جئت ابا طلحة فاخبرته وفي رواية
قال يا انس فضحتنا وللطبراني فجعل يرميني بالحجارة فقال ابو طلحة يا ام
سليم قد جاء رسول الله صلي الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم
اي قدر ما يكفيهم فقالت الله ورسوله اعلم كانها عرفت انه فعل ذلك عمدا
لتظهر الكرامة في تكثير الطعام ودل ذلك علي فضل ام سليم ورجحان عقلها فانطلق
ابو طلحة حتي لقي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال انما ارسلت انسا يدعوك وحدك

ولم

ولم يكن عندنا ما يشبع من اردت انما هو قرص فقال ان الله سيبارك فيه كما في رواية
ثابت فاقبل رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال انما ارسلت انسا يدعوك
وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من اريد انما هو قرص فقال ان الله سيبارك فيه
كما في رواية ثابت فاقبل رسول الله صلي الله عليه وسلم وابو طلحة معه حتي
دخل علي ام سليم فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم هلمي كذا لابي ذر وفي
الكشميهني بالتحتية وهي لغة تميم وللاكثر هلم بفتح الميم مشددة مع خطاب المونثة
وهي لغة حجازية لا يونث ولا يثني ولا يجمع ومنه والقائلين لاخوانهم هلم الينا والمراد
الطلب اي هاتيه يا ام سليم ما عندك فاتت بذلك الخبز الذي كانت ارسلته مع
انس ويحتمل انه لما اخبرها اخذته منه وانه كان باقيا معه وخاطبها لانها هي المتصرفة
في امر بيته فامر به رسول الله صلي الله عليه وسلم ففت بضم الفا وتشديد الفوقية اي
كسر وعصرت ام سليم عكة بضم المهملة وتشديد الكاف اناء من جلد مستدير يجعل
فيه السمن غالبا والعسل وفي رواية فقال هل من سمن فقال ابو طلحة قد كان
في العكة شيء فجاء بها فجعلا يعصرانها حتي خرج ثم مسح صلي الله عليه وسلم به سبابته
ثم مسح القرص فانتفخ وقال بسم الله فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ حتي
رايت القرص في الجفنة يتسع فادمته اي صيرت ما خرج من العكة اداما
له ثم قال رسول الله صلي الله عليه وسلم فيه ما شاء الله ان يقول في
رواية احمد فقال بسم الله وفي مسلم فمسحها ودعا فيها بالبركة ولاحمد
فجئت بها ففتح رباطها ثم قال بسم الله اللهم اعظم فيها البركة ثم قال ايذن
لعشرة بالدخول لانه ارفق ثم لعشرة ثانية فاكلوا حتي شبعوا والقوم
سبعون او ثمانون رجلا بالشك من الراوي وعند احمد ومسلم وغيرهما
حتي فعل ذلك بثمانين رجلا بالجزم ولاحمد كانوا نيفا وثمانين ولا منافاة
لالغاء الكسر وفي مسلم وفضلت فضلة فاهدينا لجيراننا ولابي نعيم
حتي اهدت ام سليم لجيرانها رواه البخاري ومسلم كلاهما في الاطعمة من
رواية اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس والبخاري ايضا في علامات
النبوة وروي بعضه في الصلاة واخرجه الترمذي في المناقب والنسائي
في الوليمة والمراد بالمسجد هنا الموضع الذي اعده النبي صلي الله عليه
وسلم للصلاة فيه حين حاصره الاحزاب بالمدينة في غزوة الخندق
لا المسجد النبوي وفي رواية لمسلم انه قال ايذن لعشرة وفي رواية احمد
موضع يده وبسط القرص وقال كلوا بسم الله الرحمن الرحيم فاكلوا من
حوالي القصعة حتي شبعوا ثم قال لهم قوموا وليدخل عشرة مكانكم حتي
فعل ذلك بثمانين رجلا فجزم بثمانين ثم اكل النبي صلي الله عليه وسلم
بعد ذلك واهل البيت وتركوا سورا اي بقية وهو بالهمزة الفضلة والبقية
وفي رواية للبخاري في الاطعمة عن انس ان امه عمدت الي مد شعير جشته
وجعلت منه خطيفة وعصرت عكة عندها ثم بعثتني الي النبي صلي الله عليه
وسلم فاتيته وهو في اصحابه فدعوته قال ومن معي فخرج اليه ابو طلحة فقال

يا رسول الله انما هو شيء صنعته ام سليم فدخل وجيء به وقال ادخل بفتح الهمزة
وكسر الخا علي عشرة منهم الذين حضروا معه فدخلوا فاكلوا حتى شبعوا ثم قال
ادخل علي عشرة حتى عد اربعين رجلا ثم اكل النبي صلى الله عليه
وسلم ثم قام قال انس فجعلت انظر الى القصعة هل نقص منها شيء
من الطعام اشارة الى انه لم ينقص شيء منها وفي رواية احمد حتى اكل منها
اربعون رجلا وبقيت كما هي قاله الحافظ وهذا يدل على تعدد القصة
وفي رواية يعقوب بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس عند مسلم ادخل
علي ثمانية ثمانية بالتكرير اي ثمانية بعد ثمانية فما زال حتى دخل عليه
ثمانون ثم دعاني ودعا امي ام سليم وابا طلحة زوجها فاكلنا حتى شبعنا
انتهى وهذا يدل على تعدد القصة فان اكثر الروايات فيها انه ادخلهم عشرة
عشرة سوى هذه فقال ادخلهم ثمانية ثمانية قاله الحافظ ابن حجر في الفتح
قال فيه ايضا وظاهره انه يحتمل له الاذن لعشرة فاذن لهم انه عليه السلام
دخل المنزل ابي طلحة وحده وصرح به في رواية عبد الرحمن بن ابي
ليلى عن انس عند احمد ومسلم ولفظه فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الباب قال لهم اقعدوا ودخل وفي رواية يعقوب بن عبد الله
ابن ابي طلحة ثقة من صغار التابعين عن انس عند مسلم فقال ابو طلحة يا
رسول الله انما ارسلت انسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من
ارى فقال ادخل فان الله سيبارك فيما عندك وفي رواية عمرو بفتح العين
ابن عبد الله بن ابي طلحة التابعي الانصاري الصغير ثقة عابد عن انس
عند مسلم فقال ابو طلحة انما هو قرص بعدم التعبير باقراص فنزلها لقلتها
منزلة القرص الواحد فقال ان الله سيبارك فيه قال العلما وانما ادخلهم
عشرة عشرة والله اعلم بالحكمة في ذلك لانها كانت قصعة واحدة لا يمكن
الجماعة الكثيرة ان يقدروا على التناول منها مع قلة الطعام فجعلوا عشرة
عشرة ليتناولوا من الاكل ولا يزدحموا فهو ارفق بهم او لضيق البيت كما قال
السيوطي او لهما معا واما قوله عليه السلام ارسلك ابو طلحة قلت نعم قال الطعام
قلت نعم فقال لمن معه قوموا فظاهره ان النبي صلى الله عليه وسلم فهم ان ابا
طلحة استدعاه طلب حضوره الى منزله فلذلك قال لمن عنده قوموا
واول الكلام يقتضي اقتضاء صريحا ان ام سليم وابا طلحة ارسلا الخبز
مع انس وقوله فيجمع بينهما بانهما ارادا بارسال الخبز مع انس سقطت
هذه الجملة من غالب نسخ المصنف سهوا منه او من نساخه وهي ثابتة في
الفتح الذي هو ناقل عنه وبها يستقيم الكلام لان ياخذه النبي صلى الله عليه
وسلم فياكله فلما وصل به انس وراى كثرة الناس حول النبي صلى الله عليه
وسلم استحيى وظهر له ان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم معه وحده
الى المنزل فيحصل مقصودهم من اطعامه وذلك من مزيد فطنته على صغر
سنه ويحتمل ان يكون ذلك عن راي من ارسله عهدا اليه اي اوصاه اذا راى

كثرة

كثرة الناس ان يستدعي النبي صلى الله عليه وسلم وحده خشية
ان لا يكفي ذلك النبي صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وقد عرفوا ايثاره
عليه السلام على نفسه وانه لا ياكل وحده زاد الحافظ عقب هذا وقد وجدت
اكثر الروايات تقتضي ان ابا طلحة استدعى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه
الواقعة ففي رواية سعيد بن ابي سعيد عن انس بعثني ابو طلحة الى النبي
صلى الله عليه وسلم ادعوه وقد جعل طعاما وفي رواية عبد الرحمن بن ابي ليلى
عن انس ابو طلحة ام سليم ان تصنع للنبي صلى الله عليه وسلم لنفسه خاصة ثم
ارسلني اليه وفي رواية يعقوب فدخل ابو طلحة على امي فقال هل من شيء فقالت
نعم عندي كسر من خبز فان جانا صلى الله عليه وسلم وحده اشبعناه وان
جا احد معه قل عنهم وجميع ذلك عند مسلم وفي رواية احمد ان ابا طلحة قال اعجنيه
واصلحيه عسى ان ندعو رسول الله ووقع في رواية يعقوب ابن عبد الله بن
ابي طلحة عن انس عند ابي نعيم واصله عند مسلم فقال لي ابو طلحة
يا انس اذهب فقم قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
قام فدعه حتى يتفرق عنه اصحابه ثم اتبعه حتى اذا قام على عتبة
بابه الذي ياوي اليه فقل له ان ابي فيه تجوز لانه ربيبه يدعوك وفي رواية
يعقوب هذه ذكرها الحافظ استدلالا على ان ابا طلحة استدعاه مسقطا لفظ فقم
بل عقب ما ذكرته عنه وفي رواية يعقوب فذكرها وفيه فقال ابو طلحة يا
رسول الله انما ارسلت انسا يدعوك وحدك وهذا صريح ايضا في انه
استدعاه لمنزله ولم يكن عندنا ما يشبع ما ارى معك فقال ادخل فان
الله سيبارك ما عندك وبقية الروايات التي استدل بها الحافظ هي وفي
رواية عمرو بن عبد الله بن ابي طلحة عند ابي يعلى عن انس قال ابو طلحة
اذهب فادع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند البخاري من رواية ابن
سيرين في الاطعمة عن انس ثم بعثني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته
وهو في اصحابه فدعوته وعند احمد من رواية النضر بن انس عن ابيه قالت لي ام
سليم اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له ان رايت ان تغدى
عندنا فافعل وفي رواية عمرو بن يحيى المازني عن ابيه عن انس عند ابي عوانة
فقال ابو طلحة اذهب يا بني الى النبي صلى الله عليه وسلم فادعه فجئته فقلت
ان ابي يدعوك وفي رواية محمد بن كعب عند ابي نعيم فقال لي يا بني اذهب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فادعه ولا تدع معه غيره ولا تفضحني انتهى ولم
يتعرض الحافظ للجمع بين هذه الروايات وبين مقتضى اول رواية الصحيحين
لسهولته وهو انه ارسله يدعوه وحده وارسل معه الخبز سرا واما اختلاف
الروايات في انه اقراص او كسر من خبز فكانت اقراصا مكسورة وقوله اعجنيه
واصلحيه يحمل على تليينه بنحو ما او سمن ليسهل تناوله كانه كان يابسا كما هو
شان الكسر غالبا هذا ما ظهر لي واليك النظر وفي رواية مبارك بن فضالة
بفتح الفا وتخفيف المعجمة البصري صدوق يدلس ويسوي مات سنة ست وستين

ومائة على الصحيح روى له ابو داود والترمذي وابن ماجة اي رواية
عن بكر بن عبد الله وثابت عن انس عند الامام احمد فقال صلى الله عليه وسلم
لابي طلحة وانت ام سليم بذلك الخبز هل من سمن نادم به الخبز فقال ابو
طلحة قد كان في العكة شيء قليل من السمن فجاء بها فجعلا يعصرانها
حتى خرج لا ينافيه رواية الصحيحين السابقة بلفظ وعصرت ام سليم
عكة فادمته لاحتمال ان صاحبي اتت بها عصرتها ثم اخذاها منها وعصراها
استفراغا لما بقي فيها وانما ابتدا عصرها ثم حاولت بعد عصرها اخراج شيء
منها ثم بعد فراغ العصر ووصول السمن الى الخبز مسح رسول الله صلى
الله عليه وسلم القرص لا ينافيه ان الخبز فت وجعل عليه السمن كما مر
لان السمن لما وضع على الفت اجتمع فصار كالقرص الواحد فلذا عبر به وتقدم
ان ابا طلحة عبر عنها بقرص قبل فتها لقلتها وهذا غير ذاك فانتفخ وقال
بسم الله فلم يزل يصنع ذلك المسح والتسمية والقرص ينتفخ حتى
رأيت القرص في الجفنة يتسع وفي رواية النضر بن انس بن مالك
الانصاري البصري التابعي الوسط ثقة روى له الجماعة مات بضع ومائة
اي عن ابيه انس في مسند احمد فجئت بها اي العكة ففتح صلى الله عليه وسلم
رباطها بيده الميمونة ثم قال بسم الله اللهم اعظم فيها البركة وعرف
بهذا المراد بقوله في رواية الصحيحين المتقدمة ثم قال ما شاء الله
ان يقول فالروايات تفسر بعضها وفي رواية بكر وثابت عن انس
عند احمد ان ابا طلحة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاويا
فلذا قال اعرف فيه الجوع وعند ابي يعلى من طريق محمد بن سيرين عن
انس ان ابا طلحة بلغه انه ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
طعام فاجر نفسه في عمل بصاع من شعير فعمل عصيدة يومه ذلك
ثم جاء به الحديث وهو مخالف للروايات السابقة واللاحقة انه سال ام
سليم اعندها شيء فاخبرته بالخبز وانه فت وجعل عليه سمن والجمع
بينهما انه تعدد مرتين مرة سالها فوجد الخبز ففعل ما ذكر وبعثه مع انس
قبل ذلك لاحتمال اذ لا يجي متفضلا له فجا ومعه ثمانون وازيد وادخلهم عشرة
عشرة ومرة لم يسالها بل اجر نفسه بالصاع واتى به اليها وقال اعجنيه
واصلحيه فجعلته عصيدة ودعاه فجا ومعه اربعون وادخلهم ثمانية ثمانية
وبهذا تتضح الروايات واليه اوما الحافظ وان لم يفصح به فقال في رواية
ابن سيرين عن انس عند احمد حتى اكل منها اربعون وهذا يؤيد التعدد
الذي اشرت اليه وان القصة التي رواها ابن سيرين غير القصة التي
رواها غيره وقال قبل ذلك كما قدمته عنه يدل على التعدد ما بين العصيدة
والخبز المفتوت الملتوت بالسمن من المغايرة انتهى والله اعلم وفي رواية
عمرو بن عبد الله بن ابي طلحة وهو اخو اسحق راوي حديث الباب
عند مسلم وابي يعلى عن انس قال رأى ابو طلحة رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم يتقلب ظهرا لبطن من الجوع وفي يعقوب بن
عبد الله بن ابي طلحة عند مسلم ايضا عن انس قال جئت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجدته جالسا مع اصحابه يحدثهم وقد عصب بطنه
بعصابة فسالت بعض اصحابه لم عصب بطنه فقال من الجوع فذهبت
الى ابي طلحة فاخبرته فدخل على ام سليم فقال هل من شيء
الحديث وفي رواية محمد بن كعب بن مالك الانصاري السلمي بالفتح المدني
التابعي الوسط ثقة روى مسلم وابن ماجة عن انس عند ابي نعيم قال جاء
ابو طلحة الى ام سليم بنت ملحان الانصارية اسمها سهلة او رميلة او رميثة
او مليكة او انيفة اشتهرت بكنيتها وكانت من الصحابيات الفاضلات ماتت
في خلافة عثمان فقال اعندك شيء فاني مررت على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يقرئ اصحاب الصفة سورة النساء وقد
ربط على بطنه حجرا من الجوع وفيه رد على دعوى ابن حبان انه لم يكن
يجوع لحديث ابيت يطعمني الله ويسقيني واجيب بحمله على تعدد الحال
فكان احيانا يجوع اذا لم يواصل ليتاسى به اصحابه ولا سيما من لا يجد
مددا فيصبر على الجوع فيضاعف اجره كما مر مفصلا وعن ابي هريرة
قال لما كان ثامنة اي وجد غزوة تبوك اصاب الناس مجاعة وفي
رواية مخمصة فاستاذن الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نحر
بعض ظهورهم وقالوا يبلغنا الله عز وجل فاذن فعلم عمر فجا فقال يا نبي الله
ما ذا صنعت امرت الناس ان ينحروا الظهر فعلى ما ذا يركبون قال فما ترى
يا ابن الخطاب فقال عمر يا رسول الله ادعهم الزمهم وفي لفظ ارى ان
تامرهم ان ياتوا بفضل ازوادهم اي بقيتها وما فضل من ازوادهم
التي لا تكفيهم في الاكلة الثانية والا لم يستاذنوه في نحر الظهر ثم ادع
الله لهم عليها بالبركة النمو والزيادة فيها فان الله عودك في
الدعا خيرا فقال نعم فدعا بنطع بفتح النون وكسر الطا على افصح لغاته وفي
النون والطا وفتح النون واسكان الطا وكسر النون واسكان الطا
ما يتخذ من الادم وتقدم مرارا فبسط ثم دعا بفضل ازوادهم
فجعل الرجل يجي بكف ذرة ويجي الاخر بكسرة وفي رواية فجعل
الناس ياتون بحثية من الطعام وفوق ذلك فكان اعلاهم من جاء بالصاع
من التمر فجعلها صلى الله عليه وسلم في ثوب اي فوق النطع حتى اجتمع
على النطع شيء يسير وفي رواية فجعل الناس قال سلمة بن الاكوع
فحزرته كربضة العنز تراه وحده ومجثة اي مقدار جثة عنز باركة
على الارض وهو تقدير لموضع من النطع بموضع ربوضها فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم فاخذوا
في اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤوه مما اجتمع عنده
وفي رواية لمسلم حتى ملؤوا ازودتهم قال في الاكمال كذا الرواية عن

جميع شيوخنا فالازودة يعني الاوعية كما سميت الاسقية روا قال
فاكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة منه وفي رواية فملا كل انسان وعاه
ولم يبق في الجيش وعا الاملوه حتى ان الرجل ليعقد قميصه فيا خذ فيه
وبقي منه فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله
مناسبتها لما قبلها من اظهار المعجزة اعلامهم ان المقصد منهم الثبوت عليها
من غير شك كما افاد بقوله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب
بالنصب اي فيمنع عن الجنة حجزا بيد وكذا رواية لا حجبت عنه النار اي
حجب تابيد فلا ينافي دخولها البعض لتطهيره ويحتمل ان عدم شكه قبل
لقا الله ملاحظا التوبة الى الله والتمحص من الذنوب فلا يحجب عن الجنة
ابتدا بل يكون مع السابقين ويحجب عنه النار من اول الامر رواه مسلم
واحمد واخرجه البخاري عن سلمة بن الاكوع بنحوه وعن انس قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب بنت جحش الاسدية
فقالت لي ام سلمة لو اهدينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فقلت
لها افعلي فعمدت بفتح الميم اي ام سليم الى تمر وسمن واقط فصنعت
حيسا بفتح الحا المهملة واسكان اليا وبالسين المهملة وهو خلط المذكور قاله
• التمر والسمن جمعا والاقط • الحيس الا انه لم يختلط •
اي لم يختلط فيما حصر الشاعر فيما عناه فهو حيس بالقوة لا بالفعل وقيل
الحيس تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق قال ابن قرقول والاول اعرف
فجعلته في تور بفتح الفوقية واسكان الواو انا من صفر او حجارة
وفي رواية البخاري في برمة اي قدر او من حجر فقالت يا انس اذهب
بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك امي
وهي تقريك السلام وفي رواية البخاري فارسلت بها معي فانطلقت
بها اليه فقال صلى الله عليه وسلم ضعه اي التور ومن رواية البخاري
ضعها اي البرمة ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالا سماهم
اي عينهم باسمايهم وادع من لقيت بتا الخطاب تعميم بعد تخصيص فدعوت
من سمى ومن لقيت وفي رواية البخاري ففعلت الذي امرني فرجعت
فاذا البيت غاص بغين معجمة وصاد مهملة مشددة بينهما الف اي
ممتلى باهله قيل لانس عدد كم معمول مقدم لقوله كانوا اي عدد اي
قدر كانوا قال زهاء ثلاث مائة اي مقدارها فرايت النبي صلى الله
عليه وسلم وضع يده كذا بالافراد وفي البخاري يديه قال المصنف بالتثنية
على تلك الحيسة التي ارسلتها ام سليم لتحصل البركة وتكلم بما شاء الله
ان يتكلم وفي رواية فوضعه قدامه وغمس ثلاث اصابعه ولا منافاة فانه
وضع يديه جميعا عليها حين الدعا قبل الاكل ثم لما اطعم القوم اكلهم باصابعه
الثلاث على سنته فلا ترد الرواية التي في المصنف الى الاخرى فيقال اي

بعض يده كما نوهم ثم يدعو عشرة عشرة من القوم الذين اجتمعوا يا كلون
منه اي الطعام المسمى حيسة او الضمير للتور ويقول لهم اذكروا
اسم الله بان تقولوا بسم الله قبل الاكل وليا كل كل رجل مما يليه قال
انس فاكلوا حتى شبعوا فخرجت طايفة حتى اكلوا كلهم قال لي يا
انس ارفع الاناء وفي رواية لترفع بلام الامر والخطاب والرواية الاولى
افصح فرفعت فما ادري حين وضعت بضم التا للمتكلم اي حين وضعته
او بتا التانيث ساكنة كان الطعام او التور وفي رواية كانت بالتانيث اي
الانية اكثر ام حين رفعت بضم التا واسكانها رواه البخاري ومسلم
واللفظ له كلاهما في النكاح وبقيته عندها فخرج من خرج وبقي نفر يتحدثون
وجعلت اغتم ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم نحو الحجرات وخرجت في
اثره فقلت انهم قد ذهبوا فدخل فرجع فدخل البيت وارخى الستر واني لفي
الحجرة وهو يقول يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الى قوله والله
لا يستحيي من الحق قال في الفتح استشكل عياض ما وقع هنا ان الوليمة بزينب
كانت من الحيس التي اهدته ام سليم فالمشهور في الروايات انه اولم عليها
بالخبز واللحم ولم يقع في القصة تكثير ذلك الطعام وان ما فيها انه اشبع المسلمين
خبزا ولحما فهذا وهم من راويه وتركيب قصة على اخرى واجاب بان حضور
الحيسة صادف حضور الخبز واللحم فاكلوا كلهم من ذلك وقال القرطبي لعل
الذين دعوا الى الخبز واللحم اكلوا حتى شبعوا وذهبوا ولم يرجعوا وبقي النفر
الذين كانوا يتحدثون عنده حتى جا انس بالحيسة فامره ان يدعو اناسا
اخرين ومن يقي فدخلوا فاكلوا ايضا حتى شبعوا فاستمرا وليك النفر يتحدثون
انتهى ولعل جواب عياض اقرب وعن جابر قال ان ام مالك الانصارية
اوردها في الاصابة في الكنى ولم يسمها بل ذكر هذا الحديث كانت تهدي
الى النبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمنا فيا تيها بنوها
فيسالون الادم اي ما يا تدمون وفي رواية فيسالون السمن وليس
عندهم شي فتعمد بكسر الميم تقصد الى الذي كانت تهدي
فيه ذكره باعتبار الوعا للنبي صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا
فما زال استمر السمن الذي تجده يقيم لها ادم بيتها واحد البيوت وفي
نسخة بيتها جمع ابن والاولى ابلغ في المعجزة حتى عصرته اي الظرف
او الانا المعبر عنه بعكة او الضمير للسمن باعتبار محله لكن في مسلم حتى
عصرتها بالتانيث فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك
له كما في مسلم فقال اعصرتيها استفهام انكاري ولا يخفى ان التا فاعل
والياء للاشباع لا لغة قاله شيخنا في التقرير وفي ظني ان في الرضي ما
يفيد جواز دخولها على ضميرا لغيبة المونث والمذكر كاخذتيه قالت
نعم قال لو تركتيها ما زال السمن قايما رواه مسلم من طريق
ابي الزبير عن جابر ورويه ابن ابي عاصم وابن ابي خيثمة عن ام مالك

الانصارية انها جات بعكة سمن الي النبي صلي الله عليه وسلم فامر بلالا
بعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوة فجات فقالت انزل في شي قال
وما ذاك قالت رددت علي هديتي فدعا بلالا فسأله فقال والذي
بعثك بالحق لقد عصرتها حتي استحييت فقال له هنيا لك هذه بركة
يا ام مالك هذه بركة عجل الله لك ثوابها ثم علمها ان تقوله دبر كل صلاة
سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا والله اكبر عشرا وترجم في الاصابة ام
مالك وساق حديث مسلم ثم ترجم ثانيا وذكر هذا الحديث ثم قال وكلام
ابن مندة ظاهر في انها واحدة ووقع لام سليم قصة شبيهة بهذه
اخرج الطبراني عن انس عن امه كانت لي شاة فجعلت من سمنها في عكة فبعثت
بها مع زينب الي النبي صلي الله عليه وسلم فقال افرغوا لها عكتها ففرغت
وجات بها فجات ام سليم فرات العكة ممتلية تقطر سمنا فقالت يا زينب
الست امرتك ان تبلغي هذه العكة لرسول الله ياتدم بها قالت قد فعلت
فان لم تصدقيني فتعالي معي فذهبت معها الي النبي صلي الله عليه وسلم فاخبرته
فقال قد جات بها فعلت والذي بعثك بالهدي ودين الحق انها ممتلية سمنا
تقطر فقال النبي يا ام سليم ان الله اطعمك **وعنه** اي جابر **ان رجلا**
من اهل البادية لم يسم **اتي النبي صلي الله عليه وسلم يستطعمه** يطلب
منه طعاما له ولاهله لشدة حاجته **فاطعمه** اي اعطاه لان الاطعام يكون
بمعني الاعطا كثيرا حتي انه لكثرته يستعمل فيما لا يوكل كاطعمة السلطان
بلدة وهو مجاز مرسل او استعارة **شطر** بفتح اوله ولا يصح الكسر اي نصف
وسق بفتح الواو وكسرها **من شعير** وقال النووي الشطر هنا معناه
شي كذا فسره الترمذي **فما زال ياكل منه وامراته** بالرفع عطف علي الضمير
المستتر في ياكل بلا فصل بموكد بل بقوله منه وهو فصيح والافصح الفصل
وهو قليل كقوله علي كنت وابو بكر وعمر **وضيفه** اي من ينزل عليه يطلق
علي الواحد وغيره **حتي كاله** غاية اي استمر اكلهم منه بلا نقص شي منه
الي ان كاله فظهر نقصه بعد الكيل بما ياخذه منه قال بعض وهذا الرجل
جد سعيد بن الحارث استعان بالنبي صلي الله عليه وسلم في انكاحه فانكحه
امراة فالتمس صلي الله عليه وسلم ما سأله فلم يجد فبعث ابا رافع وابا ايوب
بدرعه فرهناها عند يهودي في شطر وسق من شعير فدفعه صلي الله
عليه وسلم قال فاطعمنا منه واكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه
كما ادخلناه **فاتي النبي صلي الله عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله**
لاكلتم منه دايما ما يكفيكم **ولقام بكم** مدة حياتكم من غير نقص **رواه**
مسلم ايضا من طريق ابي الزبير عن جابر **والحكمة في ذهاب السمن**
حين عصرت ام مالك **العكة واعدام الشعير حين كاله** الرجل **ان**
عصرها وكيله مضاد كل منهما **للتسليم والتوكل علي رزق الله تعالي**
ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة باسرار

حكم جمع حكمة **الله وفضله ثم فوقيت فعوقب فاعله بزواله قاله**
النووي علي مسلم وقيل انما كان كذلك لان فشابه سرا من اسرار الله ينبغي كتمه
وتقدم ان هذا او نحوه لا يعارض قوله صلي الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك
لكم فيه لانه فيمن يخشي الخيانة او كيلوا ما تخرجوه للنفقة منه لئلا يخرج اكثر
من الحاجة او اقل بشرط بقا الباقي مجهولا او كيلوه عند الشرا او دخاله المنزل
وعن ابي العلاء سمرة بن جندب بضم الدال وفتحها ابن هلال الفزاري حليف
الانصار الصحابي المشهور مات بالبصرة سنة ثمان وخمسين وقيل سنة تسع وقيل
سنة ستين قال في الاصابة يكني ابا سليمان **قال كنا مع النبي صلي الله عليه**
وسلم نتداول من قصعة بفتح القاف فيها لحم **من غدوة حتي الليل** بالجر
ويجوز رفعه ونصبه **يقوم عشرة ويقعد عشرة** تفسير للتداول قيل
المعروف من حديث سمرة من غدوة الي الظهر يقوم قوم ويقعد اخرون
قلنا فما كانت اي اي شي كانت **تمد** اي تزاد به **قال من اي شي**
تعجب ما كانت تمد الا من هاهنا واشار بيده الي السما والمراد
من احسان الله معجزة له صلي الله عليه وسلم كما يدل عليه السياق لان الزيادة
تنزل من السما حقيقة كنزول مايدة بني اسرايل بدعا عيسي **رواه الترمذي**
وشيخه **الدارمي** عبد الله بن عبد الرحمن **وعنده** اي سمرة من وجه اخر
والحديث واحد **اتي** بالبنا للمفعول اذ لا يتعلق غرض ببيان الاتي **النبي صلي**
الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم مطبوخ **فتعاقبوها** اي قعد عليها
عشرة بعد عشرة كما في الرواية قبل لان كلا منهم اتي عقب سابقه بلا فاصل
من غدوة حتي الليل بالاوجه الثلاث **يقوم قوم ويقعد اخرون**
تفسير للتعاقب وبين عدة القوم في الرواية قبله **فقال رجل لسمرة هل**
كانت تمد حتي كفت تلك المدة الطويلة **فقال ما كانت تمد الا من هاهنا**
واشار بيده الي السما رواه الدارمي ايضا **وابن ابي شيبة والترمذي**
والحاكم والبيهقي وابو نعيم وصححوه في الدلايل وفي فتح الباري روي
احمد والترمذي والنسائي عن سمرة قال اتي النبي صلي الله عليه وسلم بقصعة
فيها ثريد فاكل واكل القوم فلم يزالوا يتداولونها الي قريب الظهر ياكل قوم
ثم يقومون ويجي قوم فيتعاقبونه فقال رجل هل كانت تمد بطعام قال اما
من الارض فلا الا ان تكون كانت تمد من السما قال بعض شيوخنا يحتمل ان تكون
هذه القصعة هي الذي وقع فيها ما وقع في بيت ابي بكر انتهي **وفي حديث**
عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق صديق عايشة تاخر اسلامه الي قبيل الفتح
وشهد اليمامة والفتوح ومات سنة ثلاث وخمسين في طريق مكة فجاة وقيل
بعد ذلك **قال كنا مع النبي صلي الله عليه وسلم** حال من اسم كان والخبر
ثلاثين وماية وهما خبران او خبر بعد خبر **وذكر الحديث** وهو فقال النبي
صلي الله عليه وسلم هل مع احد منكم طعام فاذا مع رجل صاع من طعام او نحوه
فعجن ثم جا رجل مشرك مشعان طويل جدا بغنم يسوقها فقال النبي

صلى الله عليه وسلم بيعا ام عطية او قال ام هبة قال لا بل بيع فاشترى
شاة فصنعت وامر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن ان يشوى
وايم الله ما في الثلاثين ومائة الا وقد حز النبي صلى الله عليه وسلم له حزة
من سواد بطنها ان كان شاهدا اعطاه اياه وان كان غايبا خبا له فجعل منها
قصعتين فاكلوا اجمعون وشبعنا ففضلت القصعتان فحملنا على بعير او كما قال
هذا لفظ البخاري في الهبة ومشعان بضم الميم وسكون الشين المعجمة فعين
مهملة فالف فنون مشددة وقوله طويل جدا اي فوق الطويل ويحتمل انه
تفسير للمشعان وقال القزاز المشعان الجافي الثاير الراس وقال غيره
طويل شعر الراس جدا البعيد العهد بالدهن اشعث وقال عياض ثاير الراس
متفرقه قال الحافظ ولم اقف على اسمه ولا على اسم صاحب الصاع فقوله انه اي
وفيه انه اي *نحو صاع وصنعت* اي ذبحت *شاة فشوي سواد بطنها*
كبدها خاصة او حشوها والاول اظهر وخص لانه اهل الحياة *قال عبد الرحمن*
وايم الله بوصل الهمزة قسم *ما من الثلاثين ومائة* الذين كانوا معه
عليه الصلاة والسلام *الا وقد حز* بفتح الحا المهملة *له حزة* بفتح الحا المهملة
قطعة كما ضبطه المصنف في الهبة قال وفي الاطعمة بضم الحا قطعة *من*
سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا لفظ البخاري في الاطعمة
ولفظ في الهبة فاكلوا *اجمعون* تاكيد للضمير الذي في اكلوا قال الحافظ يحتمل
انهم اجتمعوا على القصعتين فيكون فيه معجزة اخرى لكونهما وسعتا ايدي القوم
ويحتمل انهم اكلوا كلهم في الجملة اعم من الاجتماع والافتراق *وفضل في القصعتين*
فحملته اي ما فضل لفظ الاطعمة وفي الهبة فحملناه بضمير ودونه *على بعير*
او كما قال بالشك من الراوي كما وقع من المحلين *رواه البخاري* في الهبة
والاطعمة تاما وفي البيوع مختصرا وكذا رواه مسلم في الاطعمة تاما قال
الحافظ وفيه معجزة ظاهرة واية باهرة من تكثير القدر اليسير من الصاع
ومن اللحم حتى وسع الجمع المذكور وفضل منه قال ولم ار هذه القصة الا
من حديث عبد الرحمن وقد ورد تكثير الطعام في الجملة من احاديث جماعة من
الصحابة *وعن ابي هريرة قال امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم*
ان ادعو اهل الصفة لطعام ياكلونه عنده *فتتبعتهم حتى جمعتهم*
لانهم كان منهم من يذهب لنحو الاحتطاب *فوضعت بين ايدينا صحفة*
فيها طعام *فاكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت* لم تنقص
شيا *الا ان فيها اثر الاصابع رواه ابن ابي شيبة والطبراني وابو*
نعيم الاصبهاني *وعن علي بن ابي طالب قال جمع رسول الله صلى الله*
عليه وسلم بني عبد المطلب بمكة في ابتدا البعثة *وكانوا اربعين* رجلا
منهم قوم اسم جمع للرجال خاصة لغنائهم بالامور *ياكلون الجذعة* بفتح
الجيم والمهملة من الابل كما ورد في احاديث وهي ما دخل في الخامسة وقيل
الرابعة ومن المعز ما تم له سنة ومن الضان ما اتى عليه ثمانية اشهر او تسعة

والمراد

والمراد اقل ما يكفيهم الجذعة كما يقال لمن دونهم اكله راس *ويشربون الفرق*
بفتح الفا واسكان الرا وبفتحها انا يسع اثني عشر صاعا بصاعه صلى الله عليه
وسلم وهو ستة عشر رطلا وهو معروف بالمدينة *يصنع لهم مدا من طعام*
اي طبخه وسواه *فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو* قبل الاكل اي لم ينقص
كانه لم ياكل منه شي *ثم دعا بعس* بضم المهملة الاولى قدح من خشب يروي
الثلاثة والاربعة اي من لبن طلبه من اهله لهم *فشربوا* منه *حتى رووا*
وبقي كانه لم يشرب منه شي رواه اي ذكره بلا اسناد *في الشفا* وقد
اخرجه احمد والبيهقي بسند جيد مطولا عن علي *ومن ذلك ابرا ذوي العاهات*
اي الافات جمع عاهة وهي في تقدير فعلة بفتح العين *واحيا الموتى* مصدر
مضاف لمفعوله والفاعل الله او النبي صلى الله عليه وسلم لانه سببه وان كان الفاعل
الحقيقي هو الله وهو من اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم ولذا قال في البردة

• لو ناسبت قدره اياته عظما • احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم •

ومعناه انه لا يعد شي من معجزاته عظيما بالنسبة اليه الا ان يكون كل احد لو دعا
باسمه وتوسل في احيا الموتى وقع له ذلك واستشكل بان من القران وفي حديث
اية من كتاب الله خير من محمد واله فكيف لا يكون فيهما ما يناسب قدره شرفا واجيب
بان المراد ما احدثه الله على يديه والقران صفة قديمة لله لكن الحديث المذكور
قال الحافظ وغيره لم اقف عليه *وكلامهم له* بدون احيا فالعطف مغاير
لا خاص على عام كما توهم *وكلام الصبيان* الذين لم يصلوا لسن التكلم ولذا عطف
على كلام الموتى لانه ليس من شانهم الكلام واخره لانهم احيا شانهم الكلام
في الجملة فهو دونه مرتبة *وشهادتهم له بالنبوة* اي قولهم في المهد
انك نبي الله ورسوله وعطفه على ما قبله خاص على عام وخصهم بالذكر لان
نطقهم نفسه معجزة وايمان الموتى به بعد احيايهم ليس مقصودا بكونه معجزة
بل المقصود من حيث كونه معجزة نفس الاحيا وازالة المرض من ذوي العاهات
روى البيهقي في الدلايل النبوية عنه انه صلى الله عليه وسلم
دعا رجلا الى الاسلام فقال لا او من لك حتى تحيي لي ابنتي فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ارني قبرها فاراه اياه فقال
صلى الله عليه وسلم يا فلانة اي ناداها باسمها الخاص كما في رواية
فنسي الراوي اسمها فكنى بفلانة *فقالت* وقد خرجت من قبرها *لبيك*
اجابة لك بعد اجابة *وسعديك* اسعادا لك بعد اسعاد ومعناه سرعة
الاجابة والانقياد *فقال صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترجعي*
الى الدنيا كذا في نسخ وهي ظاهرة وفي بعضها ان ترجعين بالنون
وهي لغة كقوله

• ان تقران على اسما ويحكما مني السلام وان لا تشعرا احدا •

فقالت لا والله يا رسول الله لا احب ذلك اني وجدت الله حين انتقلت
الى دار كرامته *خيرا لي من ابوي* وما عندها *ووجدت الاخرة خيرا لي*

بياض بالاصل

من الدنيا لما فيها من التعب وفيه ان صح ان اطفال الكفار غير معذبين
وهو الاصح وهذه القصة اوردها في الشفا بلفظ وعن الحسن البصري
اتي رجل النبي صلي الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له في وادي كذا
فانطلق معه الي الوادي وناداها باسمها يا فلانة احيي باذن الله تعالي
فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت
ان اردك عليهما قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما ولم يذكر
مخرجه السيوطي من رواه وروي الطبري الحافظ محب الدين احمد بن عبد
الله بن احمد المكي فقيه الحرم ومحدثه عن عايشة ان النبي صلي الله
عليه وسلم نزل الحجون في حجة الوداع كييبا حزينا صفة لازمة لكييبا
فاقام به ما شا الله ان يقوم ثم رجع مسرورا وقال يخاطب عايشة م
نزلت من عندي وانت باكية حزينة مغتمة فبكيت لبكايك ثم انك عدت الي وانت
فرح متبسم فمم ذاك يا رسول الله قال سالت ربي عز وجل فاحيا لي امي
فامنت بي ثم ردها الي الموت وكذا روي من حديث عايشة ايضا
احيا ابويه صلي الله عليه وسلم حتي امنا به جميعا اورده السهيلي
في الروض وكذا الخطيب في كتاب السابق واللاحق اي المتقدم
والمتاخر اي المنسوخ والناسخ قال السهيلي ان في اسناده مجاهيل
ومع ذلك فقد قراه بقوله بعد والله قادر علي كل شي وليس تعجز قدرته
ورحمته عن شي ونبيه اهل ان يختصه بما يشا من فضله وينعم عليه بما يشا
من كرامته وقال ابن كثير انه منكر اي ضعيف جدا لا موضوع والمنكر
من اقسام الضعيف وتقدم البحث في ذلك اوايل المقصد الاول
وقدمت ثمة فوايد وان الصواب ان الحديث ضعيف فقط تجوز روايته
في الفضايل والمناقب كما عليه الخطيب وابن عساكر وابن شاهين والسهيلي
والمحب الطبري وابن المنير وابن سيد الناس وغيرهم لا موضوع كما زعم
جماعة عن الحفاظ ولا صحيح كما جازف بعض وعن انس ان شابا من
الانصار لم يسم توفي وله ام عجوز عميا اشارة الي شدة حزنها
وعجزها المحوج لولدها فسجيناه بمهملة وجيم غطيناه او كفناه
وعزيناها اي صبرناها وسليناها بذكر ما لها من الاجر ونحوه ولعل وجه
المبادرة بتعزيتها وقت انهم راوا عندها جزعا قويا فقالت مات
اي امات ابني فهمزة الاستفهام مقدرة وقالت ذلك لانها لم تعلم
اولا نعوها بالمصيبة او لذكرها بعده قلنا نعم فقالت اللهم
انك تعلم اني هاجرت اليك لا ينافي انه انصاري لانه لا مانع ان
امه مهاجرة او الهجرة الانتقال من بلد الي اخر وقد تكون سكنت
في مكان بعيد فهاجرت منه وان كانت انصارية نسبا والي نبيك
الهجرة الي الله بالهجرة الي نبيه والا فالله معها اينما كانت رجا بالنصب
مفعول له ان تعينني بالتوفيق خطاب لله لانه هو المعين علي كل شدة

صعوبة اي عملي كل امر شاق وعلقته بان المشعرة بعدم الجزم باعتبار
ان خلوصها في هجرتها مما يخفى علي غيرها ومن شانه ان يشك فيه لانه لا يعلم
ذلك او باعتبار القبول او تجاهلا رجا للاجابة فلا تحملني بمهملة وشد
الميم ونون التوكيد بمعنى لا تكلفني لان التكليف كالحمل الثقيل فاستعير
له كقوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به او المعنى لا تنزل علي هذه المصيبة بذوق
موت ولدها فاسالك رفعها عني باحيايه فما برحنا بكسر الراء ما ذهبنا
عن مكاننا الذي كنا فيه ان كشف ولدها الثوب عن وجهه بعدما غطي
به فطعم اكل وطعمنا اكلنا معه من طعام قدم لنا وعاش الي وفاة
النبي صلي الله عليه وسلم وروي انه بقي بعده وهلكت امه في حياته
ووجه ذكره في المعجزات انه احيي بالدعا باسمه صلي الله عليه وسلم
فلا يقال هذه كرامة لام الشاب رواه ابن عدي وابن ابي الدنيا والبيهقي
وابو نعيم بهذا اللفظ ورووه ايضا عن انس بلفظ كنا في الصفة عند
رسول الله صلي الله عليه وسلم فاتته عجوز عميا مهاجرة معها ابن لها قد
بلغ فلم يلبث ان اصابه وبا المدينة فمرض اياما ثم قبض فغمضه النبي صلي
الله عليه وسلم وامر اي انسا بجهازه فلما اردنا ان نغسله قال يا انس ايت
امه فاعلمها فاعلمتها فجات حتي جلست عند قدميه فاخذت بهما ثم قالت اني
اسلمت اليك طوعا وخلعت الاوثان زهدا وهاجرت اليك رغبة اللهم لا
تشمت بي عبدة الاوثان ولا تحملني في هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحمله
فوالله ما انقضي كلامها حتي حرك قدميه والقي الثوب عن وجهه وطعم
وطعمنا معه وعاش حتي قبض النبي صلي الله عليه وسلم وهلكت امه وعن
النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الانصاري الخزرجي له ولابيه صحبة
سكن الشام ثم ولي امرة الكوفة ثم قتل بحمص سنة خمس وستين وله اربع وستون
سنة قال كان زيد بن خارجة بالخا المعجمة والجيم ابن زيد الانصاري
الخزرجي شهد ابوه احدا وقتل هو وابنه سعيد بن خارجة وشهد زيد بدرا
ومات في خلافة عثمان ذكر البخاري وغيره انه الذي تكلم بعد الموت وقتل
ابوه وهو وهم لانه قتل باحد من سراة بفتح السين وفي نسخة سروات
وكلاهما صحيح قال المجد السراة اسم جمع جمعه سروات اي اشراف الانصار
زاد ابن منده في روايته وخيارهم فبينا هو يمشي في طريق من
طرق المدينة وفي رواية في بعض ازقة المدينة فالمراد الطرق التي
سلكها منها في المدينة بين الظهر والعصر اذ خر سقط من قيام فتوفي
مات فاعلمت به الانصار فاتوه فاحتملوه من المكان الذي سقط
فيه وذهبوا به الي بيته وسجوه كسا وبردين وفي البيت
نسا من نسا الانصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث علي
حاله مسجي كانهم شكوا في موته لكونه فجاة فاخروا تجهيزه ودفنه
حتي كان بين المغرب والعشي اذ سمعوا صوت قايل يقول

انصتوا انصتوا بالتكرير للتاكيد اي استمعوا فنظروا وتاملوا فاذا
الصوت من تحت الثياب المسجي بها فحسروا كشفوا عن وجهه
الغطا وصدره فاذا القايل يقول على لسانه مقتضي هذا ان
انه لم يتكلم بل ملك مثلا وليس بمراد اذ الكلام في كلام الموتي وكانه نسبه
لقايل وان كان هو المتكلم لموته ولذا انصرف فيه مع الشفا فانه بمعناه
المراد فقال فرفع وتسجي اذ سمعوه بين العشا بين والنسا يصرخن يقول
انصتوا انصتوا فقال محمد رسول الله النبي الامي خاتم النبيين
اي اخرهم بعثا كما مر لا نبي بعده كان ذلك المذكور في الكتاب
الاول اي جنسه من الكتب المتقدمة كالتوراة او اللوح المحفوظ المكتوب فيه
كل ما قدره الله ثم قال زيد ايضا مخاطبا من عنده او من يصح توجه الخطاب
الخطاب اليه او مجردا من نفسه مخاطبا ماموران كان قوله صدق صدق
امرا كما قاله بعض شراح الشفا فان كان ماضيا كما اعتمده اخر فهو ظاهر اي صدق
محمد صلي الله عليه وسلم فيما بلغ عن ذكر الله والتكرير للتاكيد ثم قال هذا
رسول الله فيه انه حضر عنده وشاهده فاشار اليه السلام عليك يا
رسول الله خصه وصف الرسالة بالذكر لانتفاع الامة بها التي الذي هو من
جملتهم ورحمته انعامه واحسانه او ارادتهما وبركاته جمع بركة وهو
الخير الا لهي وفي الشفا وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم عاد مبينا اي ذكرهم
بالثنا عليهم بما فعلوه في خلافتهم ولذا لم يذكر عليا لانه لم يدرك خلافته
اذ موته في زمن عثمان رواه ابو بكر عبد الله بن ابي الدنيا القرشي
في كتاب من عاش بعد الموت وكذا رواه ابن منده وغيره واوردات
الترجمة في معجزته باحيا الموتي وكلامهم له عليه السلام بعد الموت وهذا الحديث
ليس من ذلك اذ هو بعد وفاة المصطفي بدهر واجيب بانه من صحبه وكرامات
الامة فضلا عن الصحب من جملة كراماته وعن سعيد بن المسيب ان رجلا
من الانصار توفي فلما كفن اتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد
رسول الله يحتمل انه زيد المذكور وانه تكلم مرتين فذلك قبل التكفين
وبلفظ محمد رسول الله بعده ويحتمل انه غيره لكن الاصل عدم التعدد اخرجه ابو
بكر بن الضحاك واخرج ابو نعيم ان جابرا هو ابن عبد الله ذبح
شاة وطبخها وثرد فتت الخبز في جفنة ووضع عليه الشاة واتي
به رسول الله صلي الله عليه وسلم فاكل القوم الذين عنده معه
وكان صلي الله عليه وسلم يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه
عليه الصلاة والسلام جمع العظام في وسط الجفنة ووضع يده
عليها ثم تكلم بكلام قال جابر لم اسمعه فاذا الشاة قد قامت
تنفض اذنيها فقال خذ شاتك يا جابر بارك الله لك فاخذتها ومضيت
وانها لتنازعني اذنها حتي اتيت بها المنزل فقالت المراة ما هذا يا جابر
قلت والله هذه شاتنا التي ذبحناها لرسول الله صلي الله عليه وسلم دعا

الله

الله فاحياها فقالت انه رسول الله كذا رواه ابو نعيم فالله اعلم بصحته
وكذا رواه الحافظ محمد بن المنذر المعروف بشكر في كتاب العجايب والغرايب
وروي عن معرض بضم الميم وفتح المهملة وكسر الرا الثقيلة ثم ضاد معجمة
كما في الاصابة وفي التلمساني وغيره اسم فاعل من اعرض وروي بكسر اوله
كانه آله ابن معيقيب بيا اخره وقيل لام اليماني صحابي جا عنه هذا الحديث
تفرد به عنه ولده عبد الله قال حججت حجة الوداع فدخلت دارا بمكة
فرايت فيها رسول الله صلي الله عليه وسلم ووجهه مثل دارة البدر
كما في رواية الخطيب وفي رواية ابن قانع كان وجهه القمر ورايت منه عجبا
امرا عجيبا وقع عنده جاه رجل من اهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد
لفه في خرقة كما في الرواية فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم يا
غلام من انا قال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتي شب فكنا نسميه مبارك اليمامة
لقول المصطفي بارك الله فيك رواه البيهقي من حديث معرض بالضاد
المعجمة وابن قانع والخطيب من طريق محمد بن يونس الكديمي قال حدثنا شاصونة
ابن عبيد قال اخبرنا معرض بن معيقيب عن ابيه عن جده معرض بن معيقيب
قال حججت فذكره قال الدارقطني الكديمي متهم بوضع الحديث وما تكلم به فيه
حديث شاصونة فقيل انه حديث عن من لم يخلق ولذا قال ابن دحية
وغيره انه موضوع لكنه ورد من غير طريق الكديمي قال في الاصابة معرض
وشيخه مجهولان وكذلك شاصونة واستنكروه علي الكديمي لكن ذكر ابو
الحسن العتقي في فوايده قال سمعت ابا عبد الله البجلي مستملي ابن شاهين
يقول سمعت بعض شيوخنا يقول لما املي الكديمي هذا الحديث استعظمه الناس
وقالوا هذا اكذب من هو شاصونة فلما كان بعد مدة جا قوم من الرحالة
ممن جا من عدن فقالوا دخلنا قرية يقال لها الجودة فلقينا بها شيخا
فسالناه هل عندك شي من الحديث قال نعم فقلنا ما اسمك قال محمد بن
شاصونة واملا علينا هذا الحديث فيما املا عن ابيه واخرجه ابو الحسن
ابن جميع في معجمه عن العباس بن محمد بن شاصونة بن عبيد عن معرض بن عبد الله
ابن معرض عن ابيه عن جده واخرجه الخطيب عن الصوري عن ابن جميع وكذا
اخرجه البيهقي من طريقه واخرجه الحاكم في الاكليل من وجه اخر عن العباس
ابن محمد بن شاصونة انتهي وذكر نحوه السيوطي في خصايصه الكبري وقد
وقال فقد وقعت روايته من طرق فهو حديث حسن قال وسبب انكاره انه
من الامور الخارقة للعادة وقد وقع في حجة الوداع مع كثرة الناس فكان حقه
ان يشتهر انتهي لكن تحسينه لا يظهر اذ مداره علي شاصونة وهو مجهول
كشيخه وشيخ شيخه كما في الاصابة فغاية ما يفيده تعدد طرقه عن شاصونة
الضعيف زوال ما كان يخشي انه من وضع الكديمي اما الحسن فمن اين ومداره
علي مجاهيل ثلاثة وقد قال في الشفا يعرف ذلك بحديث شاصونة

اسم راويه وهو بشين معجمة والف وصاد مهملة وواو ساكنة ونون وها
وعن فهد بن عطية بفا مفتوحة وها ساكنة ودال مهملة وفي نسخة
وراء مهملة قال في المقتني ولا اعرفه بدال ولا براء والذي في البيهقي انه من
شمر بن عطية عن بعض اشياخه فيحتمل انه تحرف علي الناسخ انتهي وهو كما قال
فليس في الصحابة من يذكر بدال ولا براء اذ لم يذكر ذلك في الاصابة مع استيعابه
والا في القسم الرابع فانما هو عن شمر بكسر الشين المعجمة وسكون الميم وراء بلا
نقط ابن عطية الاسدي الكاهلي الكوفي صدوق من اتباع التابعين عن
بعض اشياخه فهو مرسل ان النبي صلي الله عليه وسلم اتي بصبي
قد شب كبر وصار شابا وهو لم يتكلم قط من طفوليته لشبابه لانه خلق
اخرس فقال له من انا قال انت رسول الله فانطقه الله معجزة بعد ما
كان ابكم فهو بمنزلة الميت والجماد لعدم القدرة علي النطق رواه البيهقي
مرسلا كما علم فعجب للمصنف بعزوه له وبتبع عياضا في قوله فهذا وفهم
مع انه لم يعزه لاحد وعن ابن عباس مما رواه احمد وابن ابي شيبة والبيهقي
قال ان امراة جات بابن لها الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه ليا خذه عند غدائنا
بدال مهملة وعشائنا فمسح رسول الله صلي الله عليه وسلم صدره
بيده الميمونة فثع ثعة بفتح المثلثة وروي بفوقية بدلها وشد العين
المهملة وخرج من جوفه بطنه مثل الجرو ويطلق الجرو ايضا علي صغار
الحنظل والقثا وهو محتمل هنا كما قال بعض يسعي اي يمشي والذي في
الشفا فشفي بالبنا للمجهول اي شفاه الله رواه الدارمي كذا في بعض
النسخ وقوله ثع بعين فا مرة واحدة كما قاله جمهور اهل اللغة وقاله
بعضهم بمعني سعل وفي القاموس في المثلثة ثع يثع قا وعينه في الفوقية
التع والتعة التقيؤ وروي ابن شيبة عن ام جندب انه صلي الله عليه
وسلم اتته امراة من خثعم معها صبي به بلا لا يتكلم فاتي بما فمضمض
فاه وغسل يديه واعطاها اياه وامرها بسقيه ومسحه به فبرا الغلام وعقل
عقلا يفضل عقول الناس والمنبادر ان هذه قصة اخري غير التي ذكرها
المصنف لما بينهما من الخلاف فلا وجه لجعلهما واحدة واصيبت بالتانيث
بسهم ونبال بريح وفي نسخ اصيب بالتذكير للتاويل بالعضو او للفصل
بينهما بقوله يوم احد وهو مسموع كقوله لا يقبل منها شفاعة في قراة التحتية
عين قتادة بن النعمان بن زيد الاوسي المدني اخي ابي سعيد لامه
شهد بدرا وغيرها ومات سنة ثلاث وعشرين علي الصحيح وصلي عليه
عمر ونزل في قبره ومارواه ابو يعلي ان اباذر اصيبت عينه يوم احد
فاعله ابن عبد البر فان فيه عبد العزيز بن عمران متروك ولان اباذر لم
يحضر بدرا ولا احدا ولا الخندق حتي وقعت علي وجنته اعلي خده
ومايلي العين من الوجه ويطلق علي الوجه كله في رواية فسالت حدقته

علي وجنته واخري صارت في يده فاتي به الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقال ان شيت صبرت ولك الجنة وان شيت رددتها ودعوت الله لك
فلم تفقد منها شيئا فقال يا رسول الله ان الجنة لجزا جميل وعطا جليل ولكني
رجل مبتلي بحب النسا وان لي امراة احبها واخشي ان وانني تقذرني
اي تكرهني ولكن تردها وتسال الله لي الجنة قال افعل يا قتادة فاخذها
رسول الله صلي الله عليه وسلم بيده وردها الي موضعها وقال اللهم
اكسه جمالا فكانت احسن عينيه اجملها واقواها حسنا اي احسن عينيه
قبل ما اصيب وردت فلا يرد ان الشي لا يكون احسن من نفسه واحدهما
اقواها نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخري وفي رواية وكان لا
يدري اي عينيه اصيبت وقد وفد علي عمر بن عبد العزيز الامام العادل
في خلافته رجل من ذريته هو حفيده عاصم بن عمر بن قتادة فساله
عمر من انت فقال علي البديهة ابونا رواية الاصمعي وغيره انا ابن الذي
سالت علي الخد عينه فردت بكف المصطفي ايما رد الذي رواه الاصمعي
وغيره احسن الرد فعادت كما كانت لاول امرها فيا حسن ما عين
بزيادة ما ويا حسن ما خد هكذا رواه الاصمعي وبه تعقب البرهان
انشاده اليعمري ويا حسن ما رد وعلي تقدير صحته فلا ابطا لان الاول
معرف والثاني منكر فاوصله عمر واحسن جايزته وانشد •
• تلك المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بما فعادا بعد ابوالا •
وقال بمثل هذا فليتوسل المتوسلون قال السهيلي ورواه محمد بن
ابي عثمان بن محمد الاموي ابو مروان العثماني المدني نزيل مكة صدوق
روي له النسائي وابن ماجة مات سنة احدي واربعين ومائتين عن عمار
ابن نصر السعدي المروزي نزيل بغداد صدوق مات سنة تسع وعشرين
ومائتين عن مالك بن انس عن محمد بن عبد الله بن ابي صعصعة
المدني ثقة روي له البخاري والنسائي وابن ماجة مات سنة تسع وثلاثين
ومائة عن ابيه عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي صعصعة الانصاري
المدني الثقة الثابعي الوسط عن ابي سعيد الخدري سعد بن مالك
له ولابيه صحبة واستصغر يوم احد وشهد ما بعدها وروي الكثير عن
اخيه لامه قتادة بن النعمان قال اصيبت عيناي يوم احد ويروي
يوم بدر ويروي الخندق والصحيح الاول قاله ابو عمر فسقطتا
علي وجنتي بالتثنية فاتيت بهما النبي صلي الله عليه وسلم
فاعادهما مكانهما وبصق فيهما فعادتا تبرقان قال
الدارقطني هذا حديث عن مالك تفرد به عمار بن نصر اي لم يروه
غيره عن مالك وهو ثقة فتقبل زيادته لكن قال النووي قال ابو
نعيم سالت عيناي وغلطوه انتهي وقد جمع بان رواية الافراد من التعبير
مع العضو بن المتفقين ذاتا وصفة واسما باحدهما وهو فصيح مشهور

كما يقال نظر بعينه ومشي بقدمه وان احداهما سقطت حدقتها وخرجت
عن محلها بالكلية والاخرى بخروج بعضها ولم ينفصل فصدق ان كلا منهما
اصيبت وخرجت حدقتهما ويرده قوله فسقطتا علي وجنتي ورواه الدار
قطني عن ابراهيم الحربي الحافظ المشهور بفضل محمد بن عثمان متابع في
روايته عن عمار بن نصر لكن لم يحصل متابع لحمار في روايته عن مالك واخرج
الطبراني وابو نعيم عن قتادة قال كنت يوم احد اتقي السهام
بوجهي دون وجه رسول الله صلي الله عليه وسلم فكان اخرها
سهما ندرت بالنون سقطت منه حدقتي بالافراد فاخذتها بيدي
وسعيت الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما راها في كفي
دمعت بفتح الميم عيناه فقال اللهم ق بفعل امر اي احفظ قتادة كما وقى
وجه نبيك بوجهه فاجعلها احسن عينيه واحدهما نظرا وكان كذلك
واخرج البغوي وابو يعلي من طريق عاصم بن عمر بن قتادة عن جده انه اصيبت
عينه يوم بدر فسالت حدقته علي وجنته فارادوا ان يقطعوها فقالوا لا
حتي نستامر رسول الله صلي الله عليه وسلم فاستامروه فقال لا ثم دعاه
فوضع راحته علي حدقته ثم غمزها فكان لا يدري اي عينيه اصيبت كذا في
الرواية يوم بدر وقد علمت ان الصحيح يوم احد وفي البخاري في غزوة
خيبر وفي غيرهما من صحيحه عن سهل بن سعد انه صلي الله عليه وسلم
قال لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله علي يديه يحب الله ورسوله
ويحبه الله ورسوله فلما اصبح الناس غدوا علي رسول الله صلي الله عليه
وسلم كلهم يرجوان يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب فقالوا يا رسول
الله هو يشتكي عينيه وفي حديث سلمة عند البخاري وكان رمدا وللطبراني
ارمد شديد الرمد ولابي نعيم ارمد لا يبصر قال فارسلوا اليه قال
المصنف بكسر السين امر من الارسال وبفتحها اي قال سهل فارسلوا اي
الصحابة الي علي وهو بخيبر لم يقدر علي مباشرة القتال لرمده فاتي
به الاتي به سلمة بن الاكوع فبصق رسول الله صلي الله عليه وسلم
في عينيه منه تجوز سنه رواية علي عند الحاكم الاتية ودعا له
فقال اللهم اذهب عنه الحر والقر كما ياتي فبرا بفتح الراء والهمزة بوزن
ضرب ويجوز كسر الراء بوزن علم كما في الفتح حتي كان لم يكن به وجع
وتتمة ذا الحديث مرت في خيبر وعند الطبراني من حديث علي
قال فما رمدت ولا صدعت منذ دفع الي رسول الله صلي الله
عليه وسلم الراية يوم خيبر وفي مسلم من طريق اياس
ابن سلمة بن الاكوع التابعي الثقة مات سنة تسع عشرة ومائة
وهو ابن سبع وسبعين سنة عن ابيه قال فارسلني النبي صلي
الله عليه وسلم الي النبي صلي الله عليه وسلم فجئت به اقوده
ارمد فبصق في عينيه فبرا قال الحافظ فظهر من هذا انه الذي

احضره ولعل عليا حضر اليهم ولم يقدر علي مباشرة القتال لرمده فارسل
اليه صلي الله عليه وسلم فحضر من المكان الذي نزل به او بعث اليه الي المدينة
فصادف حضوره فلا ينافي رواية البخاري عن سلمة كان علي تخلف عن النبي
وكان رمدا فقال انا اتخلف عن النبي صلي الله عليه وسلم فلحق به وعند
الحاكم من حديث علي قال فوضع صلي الله عليه وسلم راسي في حجره ثم
بصق في راحته لفظه في الية راحته والالية اللحمة التي تحت الابهام
او باطن الكف فدلك بها عيني بالتثنية وعند الطبراني عن علي فما اشتكيتهما
حتي الساعة قال ودعا لي صلي الله عليه وسلم فقال اللهم اذهب عنه الحر
والقر بضم القاف البرد وحكي ابن قتيبة تثليثه وانما دعا له بذلك مع ان
تالمه كان من الرمد لانه علم ان رمده من زيادة الدم الحاصل من الحر
فدعا له بذهابه عنه وزاد عليه البرد لانه ضده فربما اذاه لقوته بعد
ضده قال فما اشتكيتهما حتي يومي هذا وفي رواية وكان علي يلبس القبا
المحشو الثخين في شدة البرد فلا يبالي البرد فسئل فاجاب ان ذلك بدعائه
صلي الله عليه وسلم يوم خيبر واصيب سلمة بن الاكوع يوم خيبر ايضا
بضربة في ساقه فنفث فيها لفظ الحديث فيه قال الحافظ وغيره اي موضع
الضربة ثلاث نفثات بمثلثة بعد الفاء المفتوحة فيهما جمع نفثة وهي فوق
النفخ ودون التفل وقد يكون بلا ريق بخلاف التفل وقد يكون بريق خفيف
بخلاف النفخ انتهي فما اشتكاها قط رواه بمعناه البخاري ثلاثيا فقال
حدثنا المكي بن ابراهيم قال حدثنا يزيد بن ابي عبيد قال رايت اثر ضربة
بساق سلمة فقلت يا ابا مسلم ما هذه الضربة قال هذه ضربة اصابتها يوم
خيبر فقال الناس اصيب سلمة فاتيت النبي صلي الله عليه وسلم فنفث فيه
ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتي الساعة ونفث في عيني فديك بن عمرو السلاماني
وقيل فريك بالراء بدل الدال قاله الطبراني وقيل فويك بالواو وقاله البغوي
والازدي وابن شاهين والمستغفري وابن عبد البر وغيرهم وقال ابن فتحون
رايته في كتب ابن ابي حاتم وابن السكن بالواو كما في الاصابة وكانتا مبيضتين
لغشاوة غطتهما وهو عبارة عن العمى لا يبصر بهما شيئا وكان سبب ذلك
انه وقع علي بيض حية فكان يدخل الخيط في الابرة لقوة بصره وصحته
وانه لابن ثمانين سنة وهو سن يضعف فيه البصر وان لم يعرض له عارض
وان عينيه لمبيضتان وفيه ان البياض لم يزل بهما مع شدة نظرهما وهذا
اعظم في المعجزة ولا ينافيه قوله في الحديث فابصر رواه ابن ابي شيبة
والبغوي الكبير في معجم الصحابة والبيهقي والطبراني وابو نعيم كلهم
من طريق عبد العزيز بن عمران عن رجل من بني سلامان عن امه ان خالها
حبيب بن فديك حدثها ان اباه خرج به الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وعيناه
مبيضتان لا يبصر بهما شيئا فساله فقال كنت اروض جملا لي فوقعت رجلي علي
بيض حية فاصيب بصري فنفث في عينيه فابصر قال فرايته يدخل الخيط

في الابرة وانه لا بن ثمانين وان عيناه لبيضتان . الفصل الثاني
فيما خصنا الله تعالى به من المعجزات وشرفه على ساير باقي الانبيا من
الكرامات اي الامور الخارقة للعادة والايات البينات والاول من معجزاته
كما قدم اي التي وقع نظير بعضها لغيره في الجملة واما هذا الثاني فالمقصد به
ما زاد به على غيره العلم نورانه قلبي وقلبك جملة دعايية صدر بها تنبيها على
شرف ما هو بشارع فيه وقد بين طهر سري وسرك اي طهرا فعالنا عما ينقصها
وهو عطف مبا بين ان الله قد خص نبينا صلى الله عليه وسلم باشيا لم يعطها لنبي
قبله اي ولا رسول ولا ملك وما خص نبي بشي اي ما اعطي نبي شيا لم يعطه احد
من امته ولا من الانبيا ومن الانبيا السابقين عليه الا وقد كان لنبينا محمد صلى
الله عليه وسلم مثله فلا يقال متى اعطي مثله لا يكون خصوصية له فجمع له كلما
اوتيه الانبيا من معجزات وفضايل ولم يجمع ذلك لغيره بل اختص كل بنوع فانه
اوتي جوامع الكلم كما قاله ويأتي معناه وكان نبينا وادم بين الروح والجسد
كما مر مبسوطا وجا اوايل الكتاب وغيره من الانبيا لم يكن نبيا اي موصوفا بالنبوة
الا في حال نبوته اي بعد بعثته وزمان رسالته بخلاف نبينا فقد فرغت عليه
النبوة قبل خلق ادم ولما اعطي هذه المنزلة التي لم ينلها غيره علمنا انه المحمد اسم
فاعل من انه يعني زاد لكل انسان كامل مبعوث يعني انه صلى الله عليه وسلم
فاق على جميع من تقدمه من الانبيا والرسل احوالا كثيرة بزيادة على ما عندهم
من الفضايل ويرحم الله الاديب شرف الدين الابو صيري فلقد احسن حيث قال
في الهمزية المشهورة وكل اي جمع اية اتى الرسل الكرام بها دالة على نبوتهم
فانما اتصلت من نوره بهم الكاينين قبل ظهوره الى الموجود الخارجي به فانه
شمس فضل هم كواكبها يظهرن انوارها للناس في الظلم قال العلامة محمد بن
محمد بن مرزوق في شرحها يعني ان كل معجزة اتى بها كل واحد من الرسل فانما
اتصلت بكل واحد من نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي اوجده الله قبل
وجوده في هذا العالم وما احسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم فانه
يعطي ان نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قايما به ولم ينقص منه شي ولو
قال فانما هي من نوره لتوهم انه وزع عليهم وقد لا يبقى له منه شي فانما
كانت ايات كل واحد من نوره لانه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن
اي تلك الكواكب انوار تلك الشمس للناس في الظلم فالكواكب ليست مضية
بالذات وانما هي مستمدة من الشمس ففي عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس
ويستند هذا الى الحدس والتجربي كما هو معلوم في محله وكذلك الانبيا قبل وجوده
عليه السلام كانوا يظهرون فضله بالصفات التي اشتملوا عليها واوصلوها الى
اممهم فانها وصلت اليهم من نوره ومن ذلك اخبارهم بما اشتملت عليه كتبهم من
كمالاته وفضايله فجميع ما ظهر على يد الرسل عليهم السلام سواء من الانوار لنفسها
هو من نوره الفايض الكثير الذي عم المشارق والمغارب ومدده الواسع من غير
ان ينقص منه شي فيكون ذلك كنور السراج اذا وقد من نحو شمعة فنورها لم

ينقص

ينقص منه شي ونور السراج نشا عن نورها مع بقا نورها بمحله لكن قد يشكل بما قدمه
المصنف اول الكتاب ان نوره صلى الله عليه وسلم قسم اجزا وانه قسم الجز الرابع الى
كذا وكذا الا ان يكون المراد بقوله قسم زاد فيه لانه قسم نفس النور الذي هو محمد صلى
الله عليه وسلم لانه الظاهر انه حيث صور نوره بصورة روحانية مماثلة لصورته
التي يصير عليها بعد لا بقسمه اليه والى غيره واول ما ظهر ذلك في ادم عليه
السلام حيث جعله الله خليفة عنه في تنفيذ اوامره ونواهيه في الارض لا
لحاجة به تعالى الى من ينوب بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره
بلا واسطة وامده بالاسما اي اسما المسميات كلها حتى القصعة والمغرفة
بان القي عليه في قلبه من شان جوامع الكلم التي لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر
بعلم الاسما كلها على الملايكة القايلين اتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي
ويسفك الدما يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان وكانوا فيها فلما افسدوا ارسل الله
اليهم الملايكة فطردوهم الى الجزاير والجبال ثم توالت الخلايف في الارض اي تتابعت
الرسل بعد ادم وجعل الكل خلايف لانه استخلفهم كلهم في عمارة الارض والمشهور ان
خليفة الله انما يطلق على ادم وداود لنص القران اني جاعل في الارض خليفة
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاما غيرهما فلا فقد قال رجل لابي بكر الصديق
يا خليفة الله فقال انا خليفة محمد صلى الله عليه وسلم وانا راض بذلك وقال رجل
لعمر يا خليفة الله فقال ويلك وزجره وقيل يجوز اطلاق ذلك على غيرهما ايضا لقيامه
بحقوقه في خلقه ولقوله تعالى هو الذي جعلكم خلايف الارض ولان الله جعل كلا
خليفة كما جعله سلطانا فقد سمع سلطان الله وجنود الله وحزب الله لكن قال
الماوردي امتنع جمهور العلما من ذلك ونسبوا قايله الى الفجور وفي المصباح والخليفة
بمعنى السلطان الاعظم يجوز ان يكون فاعلا لانه خلف من قبله اي جا بعده ويجوز
ان يكون مفعولا لان الله جعله خليفة او لانه جا بعد غيره الى ان وصل حال
الخلايق وهو ما جاوا به من الاحكام والشرايع الى زمان وجود صورة جسم
نبينا صلى الله عليه وسلم الشريف لجسم ونبينا لاظهار حكم منزلته اي
مقدارها وشرفها عند الله فلما نور كان كالشمس ظهر انه درج في نوره كل
نور لغلبته عليه وانطوى تحت منشور اياته كل اية لغيره من الانبيا
ودخلت الرسالات كلها في صلب نبوته والنبوات كلها تحت لوا علم
رسالته فلم يعط احد منهم كرامة او فضيلة الا وقد اعطي صلى
الله عليه وسلم مثلها مجمع فيه ما فرق فيهم وهذه خصوصية مع زيادته
عليهم لما ذكر ان الله جمع له عليه السلام حصا بعد الانبيا وزاده عليهم فصل
بعض ذلك وهو في غالبه تابع لابن المنير في معراجه فقال فادم عليه
السلام اعطي ان الله خلقه بيده من اديم الارض اي وجهها بان
قبض منها قبضة من جميع الوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسواه ونفخ
فيه الروح فصار حيوانا حساسا بعد ان كان جمادا فاعطي سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم شرح صدره تولى الله شرح صدره بنفسه اي ذاته

ومن اطلاق النفس على الله خلاف والاصح الجواز وخلق فيه الايمان والحكمة
وهو الخلق النبوي فتولى من ادم الخلق الوجودي ومن سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم الخلق النبوي زاد ابن المنير وهو بالحقيقة متولي كل خلق لكن
المراد تخصيص الشريف وهو اعلا مع ان المقصود كما مر من قوله تعالى لادم
لولاه ما خلقتك من خلق ادم خلق نبينا في صلبه فسيدنا محمد المقصود
وادم الوسيلة والمقصود سابق على الوسيلة فلا شك في انه اجل واما
سجود الملايكة لادم فقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره ان
الملايكة امروا بالسجود لادم لاجل ان نور نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم كان في جبهته ظاهرا ولله در القايل تجليت جل الله جملة
معترضة في وجه ادم فصلى سجد له الاملاك حين توسل وقال ابن
المنير نظيره ايجاد الملايكة للمصطفى فانه انزلهم جندا واعوانا تحت لوايه
وامضاء امر طاعته والاسجاد والايجاد متقاربان وورد انه صلى الله عليه
وسلم صلى بالملايكة بل ورد بان الملايكة تصلي باحاد امته بصلاة
احاد امته اينما ما بهم وسجود اخلفهم وهذا غاية الكرامة في هذا المعنى
وعن ابي عثمان الواعظ فيما حكاه الفاكهاني قال ابو عثمان سمعت
الامام سهل بن محمد يقول هذا التشريف الذي شرف الله محمدا صلى الله
عليه وسلم بقوله ان الله وملايكته يصلون على النبي الاية اتم
واجمع من تشريف ادم عليه السلام بامر الملايكة له بالسجود لانه
لا يجوز ان يكون الله مع الملايكة في ذلك التشريف لاستحالته في
حقه سبحانه اذ السجود صفات الاجسام فتشريف يصدر عنه تعالى
وعن الملايكة وعن المومنين ابلغ من تشريف تختص به الملايكة
وهو السجود انتهى قال بعضهم وهو الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني
واما تعليم ادم اسما كل شي فروى الديلمي في مسند الفردوس
من حديث ابي رافع والحاكم والديلمي ايضا من حديث ام حبيبة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلت لي امتي وفي رواية
الدنيا بدل امتي في الما والطين وعلمت الاسما كلها كما علم الاسما
كلها وروى الطبراني والضيا المقدسي عن حذيفة بن اسيد بن خالد الغفاري
قال قال صلى الله عليه وسلم عرضت على امتي البارحة لدى هذه الحجرة بالاضم
اي عندها اولها واخرها فقيل يا رسول الله عرض عليك من خلق فكيف من لم
يخلق فقال صوروا لي في الطين حتى اني لاعرف بالانسان منهم
من احدكم بصاحبه فكما ان ادم عليه السلام علم اسما العلوم كلها
كذلك نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد عليه واصل الله صلاته
وسلامه عليه بعلم ذاته متعلق بزاد ولله در الابوصيري
حيث قال في الهمزية لك ذات لا لغيرك ذات نفس وحقيقة العلوم
جمع علم وهو هنا صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت به انجلا تاما والادراك

الجازم الذي لا يحتمل النقيض من فيض عالم الغيب الغايب وهو ما لم يشاهد
بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه تعالى فالكل من عالم الشهادة ومنها اي العلوم
بمعنى المعلومات لادم ابي البشر الاسما مبتدا موخر خبره منها جمع اسم وهو
هنا ما دل على معنى فيشمل الفعل والحرف ايضا ولا ريب ان المسميات
اعلا رتبة من الاسما لان الاسما جي بها لتبيين المسميات فهي
المقصودة بالذات والتبيه الايما بقوله فان العلوم والاسما مقصودة
لغيرها وهي المسميات فهي دونها ففضل العالم بحساب فضل
معلومه فهو افضل من ادم واما ادريس عليه السلام فقيل سرياني
وقيل عربي مشتق لكثرة درسه الصحف واسمه خنوخ بخا بن معجمتين
بينهما نون فواو ويقال اخنوخ بالف اوله ابن يارد بن مهلاييل بن قينان
ابن انوش بن شيث بن ادم وهو ابو جد نوح كذا ذكر المورخون قال المازري
فان قام دليل على انه ارسل لم يصح قولهم لحديث الصحيحين ايتوا نوحا
فانه اول رسول بعثه الله الى اهل الارض وان لم يقم جازما قالوا وحمل على
انه كان نبيا ولم يرسل واجيب بان حديث ابي ذر عند ابن حبان يدل على
ادم وادريس رسولان فالمراد اول رسول بعثه الله بالاهلاك والانذار قومه
فاما رسالة ادم وشيث وادريس فانما هي رسالة تبليغ الايمان وطاعة الله لانهم
لم يكونوا كفارا ورفعه الله مكانا عليا قيل هو الجنة وقيل السما الرابعة
كما ورد في حديث المعراج وقيل السادسة واختلف في انه في السما ميت او حي
فقيل المراد شرف النبوة والزلفى عند الله فاعطي سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان لم يرفع اليه غيره لا رسول ولا
ملك واما نوح عليه السلام بن لمك بفتح اللام وسكون الميم وكان بن
متوشلخ بفتح الميم وضم الفوقية المثقلة وسكون الواو وفتح الشين
المعجمة واسكان اللام واخره خا معجمة فنجاه الله تعالى ومن امن معه
وما معه الا قليل قيل كانوا ستة رجال ونساوهم وقيل كانوا ثمانين نصفهم
رجال ونصفهم نسا وهم اصحاب السفينة من الغرق ونجاه من الخسف
واعطي سيدنا محمدا انه لم تهلك امته بعذاب من السما لانه رحمة
قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لان العذاب اذا انزل
عم ولم تعذب امة الا بعد خروج نبيها والمومنين منها هكذا في التفسير ولا
يلايمه سياق المصنف واما قول الفخر الرازي في تفسيره اكرم الله
تعالى نوحا بان امسك سفينته على الما وفعل محمد صلى الله
عليه وسلم اعظم منه روي انه صلى الله عليه وسلم كان على شط
ما وفقد عكرمة بن ابي جهل المسلم في فتح مكة فقال ان كنت صادقا
فادع ذلك الحجر الذي في الجانب الاخر فليسبح يعوم على الما ولا يغرق
فاشار اليه عليه السلام فانقلع الحجر من مكانه وسبح حتى
صار بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم وشهد له بالرسالة

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحكومة تلحقكم هذا فقال حتى
يرجع الى محله فلم اره كغيره والله اعلم بحاله اي الحديث هل
هو وارد اولا واما ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فكانت
عليه نار نمرود بالدال مهملة ومعجمة وهو اصح لموافقته للقاعدة المنظومة
في قول قوله
ان نلت الدال معجما ساكنا او اهملها للفرس والا عجموا
بردا وسلاما اي ذات برد وسلام فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
اي ابردي بردا غير ضار ولو لم يقل وسلاما لمات من بردها قد ذهبت
حرارتها وبقيت اضاءتها ولم تحترق غير وثاقه والقصة طويلة
في التفاسير والتواريخ فاعطي سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم نظير ذلك اطفا نار الحرب عليه عليه السلام اي ابطال
مكايدهم التي كانوا يديرونها لحربه بان يوقع بينهم منازعة يكفون
بها عنه شرهم وناهيك انها كذلك بنار حطبها اي المستعان به فيها
بحيث يوثر هلاك الاعدا هو السيوف فهي مستعملة في حقيقتها والحطب
مجاز عن الاسباب الموثرة فيها ووهجها بفتحتين حرها الحتوف
جمع حتف وهو الهلاك والمعنى ان الاسباب الموثرة هي السيوف والاثار المترتبة
عليها المشبهة لحرارة النار في التاثير هي الهلاك وموقدها اي المتسبب
في وجودها الحسد ومطلبها مصدر ميمي بمعنى اسم المفعول اي الامر الذي
اريد بتلك الحروب وباثارها هو الروح والجسد والمعنى انها كذلك بنار موصوفة
بما ذكر عن تطلب معجزة تقتا ومن نار الخليل غير هذه اي انها غاية تنتهي عن تطلب
غيرها قال الله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله قال البيضاوي
كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف
بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط
الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط
عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة
نارا انتهى وكم للتكثير اي فكثيرا ارادوا ان يطفوا النور وهو حجته الدالة
على وحدانيته وهو تقدسه عن الولد او القران او نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم بالنار اي بمحارباتهم ومعاداتهم له صلى الله عليه وسلم وابى الجبار
الا ان يتم نوره بظهر شرعه وبراهينه باظهار تنبيه واعلى دينه
وان يخمد بضم الياء من اخمد اي يسكن شرورهم ويبطلها شبه ابطال
شرورهم باطفا النار واستعار له الاخماد ثم اشتق منه الفعل وهو يخمد فهو
استعارة تبعية او شبه الشرور بعد ابطالها بنار اطفي لهبها ثم اثبت لها
الاخماد فهو استعارة بالكناية وتخييلية ويخمد لمحمد صلى الله
عليه وسلم سروره وظهوره بالتنامي ما جاء به وعلى ما حصل
له من النصر على اعدايه قال تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين

الحق

الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون الى غير ذلك من الايات الدالة
على حقيقة ما جاء به وهذا النظر والسجع بعده جلبه المصنف من معراج ابن المنير
كغالب هذا المبحث ويذكر انه عليه السلام ليلة المعراج مر على بحر
النار بان صار مستعليا عليه حتى جاوزه الذي دون سما الدنيا مع
سلامته منه كما روي مما رايته في بعض الكتب والله اعلم بصحته
وروى النسائي ان محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب الجمحي
الكوفي صحابي صغير ولد بالسفينة قبل ان يصلوا الى الحبشة وهو اول من
سمي محمدا في الاسلام واختلف في ان كنيته ابو القاسم او ابو ابراهيم وروى
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن علي وعن امه ام جميل ومنه اولاده ابراهيم
وعمر والحارث وغيرهم ومات سنة اربع وسبعين وقيل سنة وثمانين قال
كنت طفلا فاصابت القدر الذي كانت امه تطبخ فيها على اي
على ذراعي واحترق جلدي كله فحملني ابي فيه ان اباه مات بارض
الحبشة وقدمت به امه ام جميل القرشية العامرية من السابقات المهاجرات
الى المدينة مع اهل السفينة كما في الاصابة وغيرها والذي في الروايات
ان الامي به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم امه فان كان لفظ ابي
محفوظا فلعله اراد به اباه من الرضاعة جعفر بن ابي طالب فقد ذكر ابن ابي خيثمة
كما في الاصابة ان اسما بنت عميس ارضعت محمد بن حاطب مع ابنها عبد الله بن
جعفر وارضعت ام محمد عبد الله بن جعفر فكانا يتواصلان على ذلك حتى ماتا
انتهى فكان امه قدمت به على النبي صلى الله عليه وسلم صحبة جعفر فنسب
القدوم اليه تارة والى امه اخرى فتفل عليه السلام في جلدي ومسح
بيده على المحترق اي المواضع التي مستها النار فاثرت فيها ولا
ينافيه قوله قبل احترق جلدي كله لجواز ان ما جاور ما مسته النار من جلده
صار اليه الم مما مسته النار فسماه محروقا كله لوصول الالم اليه وقال اذهب
الباس بالموحدة اي الشدة اي ما اصاب جلده من اثر النار عن هذا
يا رب الناس والجملة دعائية فصرت صحيحا لا باس بي واخرج الامام
احمد والبخاري في التاريخ والنسائي وغيرهم عن محمد بن حاطب عن امه ام جميل
قالت اقبلت بك من ارض الحبشة حتى كنت على ليلة من المدينة على ليلة او
ليلتين طبخت لك طبيخا ففني الحطب فخرجت اطلب الحطب فتناولت القدر
فانكفات على ذراعك فاتيتك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا
رسول الله هذا ابن اخيك وقد اصابه هذا الحرق من النار فادع له وفي رواية
فقلت هذا محمد بن حاطب وهو اول من سمي بك قالت فمسح على راسك ودعا
لك بالبركة وجعل يتفل على يدك وهو يقول اذهب الباس رب الناس اشف
انت الشافي لا شفا الا شفاؤك شفا لا يغادر سقما قالت فما قمت بك من عنده
حتى برات يدك وقد خمدت نار قارب لبنيا وكان لها الف عام لم تخمد وروى ابن
سعد عن عمرو بن ميمون قال احرق المشركون عمار بن ياسر بالنار فكان على الله

عليه وسلم يمر به ويمر يده على راسه فيقول يا نار كوني بردا وسلاما على
عمار كما كنت على ابراهيم تقتلك الفية الباغية وروى ابو نعيم عن كما عباد
ابن عبد الصمد اتينا انس مالك فقال يا ربة هلمي المايدة تتغذى فاتت بها
ثم قال هلمي المنديل فاتت بمنديل وسخ فقال اسجري التنور فاوقدته
فامر بالمنديل فطرح فيه فخرج ابيض كانه اللبن فقلنا ما هذا قال هذا
منديل كان صلى الله عليه وسلم يمسح به وجهه فاذا اتسخ صنعنا به هكذا
لان النار لا تاكل شيا مر على وجوه الانبيا وقد القى على غير واحد من امته
في النار فلم تؤثر فيه روى ابن وهب عن ابن لهيعة ان الاسود العنسي
لما ادعى النبوة وغلب على صنعا اخذ ذويب بن كليب بتصغيرها فالقاه
في النار لتصديقه بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم تضره النار فذكر ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه فقال عمر الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل
ابراهيم الخليل وسماه ابن الكلبي ذويب بن وهب وقال في سياقه طرحه
في النار فوجده حيا ولم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدد من اسلم في
العهد النبوي قال عبدان انه اول من اسلم من اهل اليمن ولا اعلم له صحبة
وروى ابن عساكر ان الاسود بن قيس بعث الى ابي مسلم الخولاني فاتاه
فقال اتشهد اني رسول الله قال لما اسمع قال اتشهد ان محمدا رسول الله قال
نعم فامر بنار عظيمة فالقاه فيها فلم تضره فقيل للاسود ان لم تنف هذا عنك
افسد عليك من اتبعك فامره بالرحيل فقام المدينة اي فقدم المدينة وقد قبض
النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر فقال ابو بكر الحمد لله الذي لم يمتني
حتى اراني في امة محمد من صنع به كما صنع بابراهيم **واما ما اعطيه ابراهيم
من مقام الخلة** بفتح الخا وضمها الصداقة **فاعطيه نبينا صلى الله
عليه وسلم وزاد بمقام المحبة** فجمع له بينهما وحكى ابو يعلى في حديث
المعراج فقال له ربك اتخذتك خليلا وحبيبا وفي التوراة محمد حبيب الله وروى
ابن ماجة وابو نعيم مرفوعا ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا
فمنزلي ومنزل ابراهيم في الجنة تجاهين والعباس بيننا مومن بين خليلين
وروى ابو نعيم عن كعب بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قبل وفاته بخمس ان الله اتخذ صاحبكم خليلا **وقد روي في حديث الشفاعة
ان ابراهيم عليه السلام اذا قيل له اتخذك الله خليلا** اي اصطفاك
وخصك بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله **فاشفع لنا** في فصل
القضا **قال انما كنت خليلا من وراء وراء** ضبط بفتح الهمزة وضمها بلا
تنوين فيهما بنا قال النووي الفتح اشهر ومعناه لم اكن في التقرب والادلال
بمنزلة الحبيب وقال صاحب التقريب التحرير هذه كلمة تقال على وجه التواضع
قاله في البدور وقيل مراده ان الفضل الذي اعطيه كان بسفارة جبريل ولكن
ابنو موسى الذي كلمه الله بلا واسطة وكرروا الى نبينا اشارة الى نبينا
صلى الله عليه وسلم لانه حصلت له الرؤية والسماع بلا واسطة فكانه

قال

قال انا من وراء موسى الذي هو من وراء محمد حكاه المصنف فيها باتي فابلا وراء
بفتح الهمزة بلا تنوين ويكون البنا على الضم المقطع عن الاضافة كمن قبل ومن
بعد واختاره ابو البقا قال الاخفش يقال لقيته من وراء بالضم ثم قال ويجوز
فيهما النصب والتنوين جوازا جيدا قاله ابو عبد الله الابي **اذهبوا الى غيري**
فيذهبون الى موسى وعيسى **الى ان تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله
عليه وسلم فيقول انا لها انا لها** بالتكرير وصرفوا عن الاتيان له ابتدا
مع انه صاحبها اذاعة لفضله على روس الخلايق **وهذا يدل على ان
نبينا عليه الصلاة والسلام كان خليلا مع رفع الحجاب** عنه وكشف
**الغطا له ولو كان خليلا من وراء وراء لاعتذر كما اعتذر ابراهيم
عليه السلام وفيه تنبيه ظاهر على انه عليه السلام فاز برؤية
الحق سبحانه وتعالى وكشف له الغطا** ليلة الاسرا **حتى راى الحق**
روية بصرية **بعيني راسه** على المذهب المشهور وقال به ابن عباس
نفيا لمن قال بعيني قلبه واذا جوزه العقل وشهد به النقل لم يبق للاستبعاد
موقع ولا للانكار موضع **كما سياتي البحث في ذلك ان شا الله تعالى
في المقصد الخامس والمحصل من هذا ان النبي صلى الله عليه
وسلم نال درجة الخلة التي اشتهرت لابراهيم عليه السلام**
بقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا **على وجه نطق ابراهيم بان
نصيب سيدنا محمد عليه السلام منه اعلى** بمفهوم قوله **عن
نفسه انما كنت خليلا من وراء وراء فلم يشفع ففيه دليل على
انه انما يشفع من كان خليلا لا من وراء وراء بل مع الكشف والعيان
وقرب المكانة من حظيرة القدس لا المكان** لاستحالته عليه تعالى
وذلك مقام محمد صلى الله عليه وسلم بالدليل والبرهان وهذا
ساقه كله ابن المنير في المعراج والله المستعان **ومما اعطيه ابراهيم
عليه السلام انفراده في الارض بعبادة الله وتوحيده** سر
والانتصاب للاصنام بالكسر والقسر بفتح القاف وسكون السين
وبالرا القهر والغلبة **اعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها
بمحضر من اولي نصرها** وهم اذ لا يستطيعون نصرها **بقضيب ليس
مما يكسر الا بمعين** كذا **بقوة ربانية ومادة الالهية احترازا** اي
اكتفا **منها بالانفاس من الناس وما عول على المعول** كما فعل ابراهيم
حيث علقه في عنق كبيرهم الذي تركه لعلهم اليه يرجعون **ولا عرض في
القول** كتعريض ابراهيم بقوله بل فعله كبيرهم هذا **ولا تعرض من الصول**
اي لم يظهر مرضا لاجل الصول على تلك الاصنام كما فعل ابراهيم حيث قال
اني سقيم اعتذارا عن عدم خروجه معهم الى عيدهم وجعل ذلك وسيلة
الى كسر الاصنام في غيبتهم **بل قال جهرا غير سر** زيادة اطناب **وقد**
عند دخول مكة **جاء الحق** الاسلام **وزهق الباطل** بطل الكفر

ان الباطل كان زهوقا مضمحلا زايلا وقد دخلها صلى الله عليه وسلم وحول
البيت ثلثمايه وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى
سقطت رواه الشيخان وتقدم بسطه في فتح مكة ومما اعطيه الخليل
عليه الصلاة والسلام بنا البيت الحرام الذي بواه الله له ولا خفا
ان البيت جسد تشبيه بليغ ووجد الحجر الاسود هو سويدا القلب
بلا جا انه يمين الرب كما روي الديلمي عن انس مرفوعا الحجر يمين الله فمن
مسحه فقد بايع الله كناية عن استلامه كما تستلم الايمان بالفتح
جمع يمين العضو المخصوص عند عقد العهود والايمان بالفتح ايضا بمعنى
القسم والمعنى انه يستلم باليد كما يستلم من اراد عهدا او يمينا بيمين صاحبه
عند معاهدة غيره والحلف كما كان عادتهم وقد اعطي ان سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم ان قريشا لما بنت البيت بعد تقدمه بسيل او غيره
ولم يبق الا وضع الحجر في محله تنا فسوا على الفخر الفخم العظيم القدر
والمجد العز والشرف الضخم العظيم فالفخم والضخم مختلفان مفهوما متحدان
ماصدقا ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل من باب بني شيبة فاتفق
دخول سيدنا محمد عليه السلام فقالوا هذا الامين رضينا بحكمه فحكموه
في ذلك فامر ببسط ثوب ووضع النبي صلى الله عليه وسلم الحجر فيه
اي الثوب بيده الكريمة فعند ابن اسحق فقالوا هذا الامين رضينا واخبروه
الخبر فقال هلم الي ثوبا فاتي به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال
يرفع وفي نسخة ليرفع اي لياخذ كل بطن من بطون قريش بطرف
وفي رواية لتاخذ كل قبيلة بناحية من الثوب فرفعوه جميعا ثم
لما بلغوا به موضعه اخذه سيدنا محمد فوضعه صلى الله عليه وسلم
فوضعه في موضعه فادخر الله تعالى له ذلك المقام ليكون منقبة
له على مد الايام وكان سنه خمسا وثلاثين سنة على الاشهر وهذا الذي
ذكره المصنف ايضا لفظ ابن المنير واما ما اعطيه موسى عليه السلام
من قلب العصا حية وتقدم ذكر ذلك قريبا اول المعجزات واعاد الشارح
نقله هنا غير ناطقة لعل ذكره مع انه لازم للحية لبيان التفاضل بين
المعجزتين وهو ان العصا لم تنطق لموسى بخلاف الجذع فنطق للمصطفى
بكلام حتى سمعه من يليه زيادة عن الحنين كما مر فاعطي سيدنا محمد
حنين الجذع وقد مرت قصته قريبا وحكي الامام الرازي في
تفسيره وغيره انه لما اراد ابو جهل ان يرميه عليه السلام بالحجر
علي كتفيه بالتثنية اي النبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة كتفه
بالافراد على ارادة الجنس ثعبانين فانصرف مرعوبا كما انصرف فرعون
مرعوبا من العصا ولما كان اشد الفراعنة راي ثعبانين واما ما اعطيه
موسى عليه السلام ايضا من اليد البيضا اليمنى بمعنى الكف كما قال
تعالى واضمم يدك الي جناحك تخرج بيضا من غير سوء فادخلها تحت

جناحه اي جنبه الايسر تحت الابط او في جيبه ثم نزعها فاذا هي بيضا نورانية
من غير سوء اي برص وكان بياضها يغشي البصر ويغلب شعاعها شعاع الشمس
وكان موسى ادم شديد الادمة اي السمرة فاعطي سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل في اصلاب الآبا وبطون الامهات
من لدن ادم الي ان انتقل الي عبد الله ابيه ثم منه الي امنة امه وكان
نبينا ظاهرا في جباههم واعطي صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان
الاوسي البدري والحال انه قد صلى العشا في ليلة مظلمة مطيرة
فعيلة بمعنى فاعلة والاسناد واسناد المطر اليها مجاز ولا يقال انها بمعنى
مفعولة اي ممطور فيها لوجود الها اذ لا يقال ممطورة فيها قاله الكرماني
عرجونا اصل العذق الذي يعوج ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل
يابسا سمي بذلك لانعراجه وانعطافه ونونه زايدة وقال انطلق به
فانه سيضي لك عشرا من الاذرع ومن خلفك عشرا من الاذرع هذا هو
المتبادر ومثله لا ينظر فيه وذلك اعظم من اليد فان خلق الضو في العرجون على
هذا الوجه اعظم من البياض الذي في اليد فان خلق الضو في العرجون على
هذا الوجه اعظم من البياض الذي في اليد فاذا دخلت بيتك فسترى
سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان على غير صورته الاصلية
فلا ينافيه قوله تعالى من حيث لا ترونهم قال البيضاوي ورويتهم ايانا
من حيث لا نراهم في الجملة لا يقتضي امتناع رويتهم وتمثلهم لنا فانطلق
فاضاء له العرجون حتى دخل ووجد السواد وضربه حتى خرج رواه
ابو نعيم واخرج احمد عن ابي سعيد قال هاجت السما فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم لصلاة العشا فبرقت برقة فراى قتادة بن النعمان فقال
ما السري يا قتادة قال يا رسول الله ان شاهد العشا قليل فاحببت
ان اشهدها قال فاذا صليت فاثبت فلما انصرف اعطاه عرجونا فقال خذ
هذا فسيضي لك فاذا دخلت البيت ورايت سوادا في زاوية البيت فاضربه
قبل ان تتكلم فانه شيطان واخرج هذه القصة الطبراني وقال انه كان
في صورة قنفذ وما اخرج البيهقي وصححه الحاكم عن انس قال
كان عباد بكسر بفتح العين وشد البا ابن بشر بكسر الموحدة وسكون
المعجمة ووقع للقابسي بشير بفتح اوله وكسر ثانيه وزيادة تحتيه وهو
غلط نبه عليه في الفتح ابن وقش بفتح الواو والقاف ومعجمة الانصاري من
قدما الصحابة اسلم قبل الهجرة وشهد بدرا وابلا يوم اليمامة بلا حسنا
فاستشهد بها واسيد بضم الهمزة وفتح بن حضير بضم المهملة وفتح
الضاد المعجمة ابن سماك الانصاري الاشهلي صحابي جليل مات سنة عشرين
او احدى وعشرين روى البخاري في تاريخه وابو يعلى وصححه الحاكم عن عايشة
قالت ثلاثة من الانصار لم يكن احد يعتد عليهم فضلا كلهم من بني عبد الاشهل
سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد بن بشر عند رسول الله صلى الله

عليه وسلم في حاجة ولعبد الرزاق تحدثا عنده حتى ذهب من الليل
ساعة وهي ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصي
فاضات لهما عصي احدهما فمشيا في ضوبها اكراما لهما ببركة نبيهما اية له
صلى الله عليه وسلم اذ خص بعض اتباعه بهذه الكرامة عند الاحتياج الي
النور واظهارا لسر قوله صلى الله عليه وسلم بشر المشايين في الظلم الي
المساجد بالنور التام يوم القيامة رواه ابو داود وغيره وادخر لهما يوم القيامة
ما هو اعظم واتم من ذلك حتى اذا افترقت بهما الطريق اضاات للاخر
عصاه فمشي كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ هديه اي مقصده
الذي لا يحتاج بعد الوصول الي ما يرشده لكن الذي في فتح الباري والمصنف
وغيرهما اهله بدل هديه ورواه البخاري بنحوه في الصحيح من رواية
قتادة عن انس ان رجلين خرجا من عند النبي صلى الله عليه وسلم فاذا نور
بين ايديهما دجي حتى تفرقا فتفرق النور معهما لفظ المناقب ولفظه في
الصلاة وعلامات النبوة ومعهما مثل المصباحين يضيان بين ايديهما فلما
افترقا صار كل واحد منهما واحد حتى اتى اهله قال البخاري في المناقب
وقال معمر عن ثابت عن انس ان اسيد بن حضير ورجلا من الانصار وقال
حماد اخبرنا ثابت عن انس قال كان اسيد بن حضير وعباد بن بشر عند
النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ رواية معمر وصلها عبد الرزاق عنه ومن
طريقه الاسماعيلي بلفظ فذكره اعني الحافظ مثل سياق المصنف قال ورواية
حماد وصلها احمد والحاكم بلفظ ان اسيد بن حضير وعبادا كانا عند النبي صلى الله
عليه وسلم في ليلة ظلماء حندس فلما خرجا اضاءت عصي احدهما فمشيا في ضوءها
فلما افترقت بهم الطرق اضاءت عصي الاخر واخرج البخاري في تاريخه
والبيهقي وابو نعيم عن حمزة بحا مهملة بن عمرو بن عويمر الحارث بن سعد
الاسلمي المدني كنيته ابو صالح وقيل ابو محمد صحابي جليل سال النبي صلى
الله عليه وسلم عن الصوم في السفر وكان يسرد الصوم روي عنه ابو مراوح
مات سنة احدي وستين وله احدي وسبعون وقيل ثمانون له في مسلم والترمذي
والنسايي وعلق له البخاري قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في
سفر فتفرقنا في ليلة ظلما فاضات اصابعي حتى جمعوا عليها ظهرهم
اي ركابهم وما هلك اي اشرف علي الهلاك منهم بسبب تفرقهم لما اصابهم
من شدة الظلمة وقد ساقه الشامي بلفظ وما سقط من متاعهم وعزاه لمن
عزاه له المصنف فلعلهما روايتان وان اصابعي لتنير بضم التا من انار اي
تضي ومما اعطيه موسي عليه السلام ايضا من انفراق البحر اعطي
نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر كما مر فهو نظيره بل هو
اعظم فموسي تصرف في عالم الارض بضربه البحر بالعصي كما امره الله
فانفلق وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف في عالم السما
لما سال الله تعالى انشقاق القمر حين طلبوه منه تعنتا والفرق بينهما واضح

قال

قال ابن المنير فاذا عرضت الايتين علي العقول حق العرض سمت اية السما
علي اية الارض وقال ابن المنير في معراجه وذكر ابن حبيب محمد
الاخباري ان بين السما والارض بحرا يسمي المكفوف تكون بحار الارض
بالنسبة اليه كالقطرة من البحر المحيط بالدنيا وهو الملح قال ابن المنير
فعلي هذا الذي ذكره ابن حبيب ان صح يكون ذلك البحر انفلق لنبينا
صلى الله عليه وسلم حتى جاوزه اي قطعه وفارقه يعني ليلة الاسرا
ومقتضي انفلق انه صار فرقتين كما افترق لموسي مفرقا بينهما مسالك
قال وهو اعظم من انفلاق البحر لموسي عليه السلام لان بحار الارض
قد يقع فيها زوال الما في مواضع منها بحيث يصير فرقا يمشي في الارض
التي بينهما والبحر الذي بين السما والارض لا مقر له من الارض حتى يسلك فيه
هو بل علي صفة الله اعلم بها ومما اعطيه موسي عليه السلام استجابة دعايه
في نحو قوله رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي الاية قال الله تعالى قد اوتيت
سولك يا موسي ربنا اطمس علي اموالهم الايتين اعطي نبينا صلى الله عليه
وسلم من ذلك اجابة دعايه ما لا يحصي ومما اعطيه موسي عليه الصلاة
والسلام تفجير الما له من الحجارة كما قال واذ استسقي موسي لقومه
فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا اعطي سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم ان الما تفجر من بين اصابعه وهذا ابلغ في
المعجزة لان الحجر من جنس الارض التي ينبع الما منها بل قال تعالى وان
من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الما ولم
تجر العادة بنبع الما من اللحم ولم يقع لغير المصطفي كما مر ورحم الله
القايل وكل معجزة للرسل قد سلفت وافي باعجب منها عند
اظهار الله تعالى له وتاييده بالمعجزات فما العصي حية حال موطيه تسعي
صفتها باعجب خبرا من شكوي البعير ولا من مشي اشجار بل هما اعجب
ولا انفجار رمي الما من حجر من اضافة للموصوف اشد اقوي في المعجزة
من سلسل من كفه متعلق بقوله جار بل هو اشد ومما اعطيه موسي
عليه السلام الكلام اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
مثله ليلة الاسرا وزيادة الدنو مجاز عن القرب المعنوي لاظهار
منزلته عند ربه والتدلي طلب زيادة القرب كما قاله بعضهم فليس
عطف تفسير والمقصود كما في البيضاوي تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق
استماعه لما اوحي اليه بنفي البعد الملبس وايضا كان مقام المناجاة
في حق نبينا صلى الله عليه وسلم فوق فوق السموات
العلي وفوق سدرة المنتهي والمستوي الذي سمع فيه صريف الاقلام
وحجب النور بالنسبة للمخلوق والرفرف ومقام المناجاة في حق
نبيه لموسي عليه السلام طور سينا جبل موسي بين مصر وايلية

وقيل بفلسطين ولا يخلو من ان يكون الطور اسم للجبل وسيناء
اسم بقعة اضيف اليها او المركب منها علم لامريء القيس كما في البيضاوي
واما ما اعطيه هارون عليه السلام من فصاحة اللسان اي المقدرة
على النطق بلا ركة ولا تلعثم ومن بلاغة الالفاظ التي يودي بها لا بها
تحسن المقابلة بينها وبين فصاحة المصطفى فالمراد فصاحة اللسان
الجارحة واللغة لانما لا الجارحة فقط بدليل قوله الاتي فصاحة هارون
غايتها في العبرانية اذ العبرانية لغة لا الة فقد كان نبينا صلى الله عليه
وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذي لا
يجهل بل يعلمه كل احد لما فيه من البلاغة المشاهدة لكل من سمعه وبالجملة
فلا يحتاج العلم بفصاحته الى شاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند ولقد
قال له بعض اصحابه ما راينا الذي هو افصح منك اي ما راينا احدا
هو افصح منك بل انت افصح من راينا على مفاد النفي عرفا وان صدق
لغة بالتساوي واما استفادة بانه اي افصح منه لكنهم لم يروه فليس
بمراد اذ ياباه سياقه في مقام المدح فقال وما يمنعني اي شيء يمنعني
من بلوغ الغاية القصوى في الفصاحة والتمييز فيها عن ساير الخلق بحيث
لا يساويني بل ولا يقاربني فيها احد وانما انزل القران بلساني اي لغتي
جملة حالية قصد بها تحقيق ما انتهى اليه من الفصاحة لساني بدل مما قبله
عربي مبين نعت له وذكر لسان نظرا لكون اللغة لفظا فقد كانت
فصاحة غايتها هارون غايتها في لغة العبرانية بكسر العين
والعربية افصح منها ومن غيرها وهل كانت فصاحة هارون
معجزة ام لا قال ابن المنير في المعراج الظاهر انها لم تكن معجزة
ولكن فضيلة لان حكم الفصاحة مطلقا الظفر واقامة الحجة وكبت
الخصوم وافحامهم واظهار تناقض المتنوعين عند الاتباع
ودرا الشبهة ودفع الشكوك كما بسطه ابن المنير قايلا ولم يتحد نبي
من الانبيا بالفصاحة الا نبينا صلى الله عليه وسلم لان هذه
الخصوصية لا تكون لغير هذا الكتاب العزيز لان غيره لا يتبارى في
الفصاحة ولم يقصد به الاعجاز وهذا استيناف لبيان الواقع ويحتمل
انه عطف علة على معلول يعني ان فصاحته ليست معجزة لانه ما تحدى
بها ولم يثبت ان غير نبينا تحدى بذلك لكن انما يتم هذا لو كان التحدي
شرطا مع انه ليس بشرط بل يكفي وقوعها بعد دعوى النبوة سواطلب
المعارضة بها ام لا والا لزم ان اكثر الخوارق ليست معجزة اذ لم يتحد بغير
القران كما مر وهل فصاحته اي نبينا عليه السلام ولفظ ابن المنير
واختلف الناس في فصاحته في جوامع الكلم التي ليست من التلاوة
اي القران ولكنها معدودة من السنة هل تحدى بها ام لا كذا في
النسخ الصحيحة هل بلا واو وبدل مفصل من مجمل فقوله او لا هل فصاحته

فهو

فهو مسلو لجمل ابن المنير فقوله هل بيان لقوله اختلف فما يوجد في بعض
نسخ المصنف وهل تحدى بزيادة واو فيه شي ويحتاج الى تقدير خبر لقوله
لقوله او لا هل اي معجزة ام لا وظاهر قوله عليه السلام اوتيت جوامع الكلم
انه من التحدث بنعمة الله تعالى عليه ومزاياه عنده وخصايصه فهو
دليل القول بانه لم يتحد بها ولا خلاف انها باعتبار ما اشتملت عليه
من الاخبار بالمغيبات ونحوها معجزة كالقران ولا يضر اشتماله على
بلاغات تزيد عليها لان الكلام وان بلغ اعلا طبقات البلاغة او قارب
يتفاوت مراتبه واما ما اعطيه يوسف من شطر الحسن اي نصفه فاعطي
نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله لكن مهابته منعت رويته على وجهه
ولذا قال القرطبي لم يظهر لنا تمام حسنه لانه لو ظهر ما اطاقت الاعين رويته
صلى الله عليه وسلم وستاتي الاشارة اليه ذلك ان شا الله تعالى في
مقصد الاسرا ومن تامل ما نقلته في صفته عليه الصلاة والسلام
فيما مر اول المقصد الثالث تبين له من ذلك التفصيل بصاد مهملة التبيين
التفضيل بمعجمة فاعل تبين لنبينا على كل مشهور بالحسن من كل جيل
بالجيم واما ما اعطيه يوسف ايضا من تعبير الرويا فالذي نقل عنه
من ذلك من القران ثلاث منامات احدها حين راى احد عشر كوكبا
هي الجريان وطارق والذيال وذو الكتفان وقابس ووثاب وعمودان
والفليق والمصبح والضروح وذو الفرع اخرجه الحاكم في مستدركه
مرفوعا كما في المبهمات والشمس والقمر فعبرهم بابويه واخوته
والثاني منام صاحبي السجن وهما غلامان للملك احدهما ساقيه
والاخر صاحب طعامه راياه يعبر الرويا فقالا لنختبرنه قال الساقي
اني اراني اعصر خمرا وقال صاحب الطعام اني اراني احمل فوق راسي خبزا
تاكل الطير منه فاوله بان الساقي يخرج بعد ثلاث فيسقي سيده خمرا على
عادته واما الاخر فيخرج بعد ثلاث فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا
ما راينا شيا قال قضي الامر الذي فيه تستفتيان والثالث منام الملك
ملك مصر الريان بن الوليد اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف
وسبع سنبلات خضر واخر اي سبع سنبلات يابسات قال تزرعون سبع سنين
دابا اي متتابعات وهذا تاويل السبع السمان والسنبلات الخضر ثم ياتي
من بعد ذلك سبع شداد اي مجدبات وهي تاويل السبع العجاف واليابسات
وقد اعطي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يدخله الحصر
اي يضبطه هذا هو المراد لا الدخول الذي هو الظرف ومن تتبع الاخبار
وتتبع الاثار وجد من ذلك العجب العجاب وانما لم يوصف بعلم التعبير لاشتغاله
بما هو اهم منه من بيان الشرع والجهاد وغير ذلك ويوسف عليه السلام
عبر للملك وقت الحاجة ولصاحبي السجن فوصف به وستاتي
نبذة بضم النون من ذلك ان شا الله تعالى في الفصل الثاني من

المقصد الثامن واما ما اعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد
كما قال تعالى والنا له الحديد فكان اذا مسح الحديد لان لان الله جعله في
يده كالعجين والشمع يعرفه كيف شاء من غير احما ولا طرق بالة او بجوة ها م
ما عطي نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر في يده واورق
ومسح صلى الله عليه وسلم شاة ام معبد الجربا صفة شاة فدرت
وقصتها في الهجرة مرت واما ما اعطيه سليمان عليه السلام من كلام
الطير اي نطقه مصدر مضاف لفاعله اي ان سليمان علم منطق الطير المعتاد
لان الطير نفسه خرج عن عادته فخرج بالعربية اي فنطق بالعربية كما وقع لنبينا
في الظبية والذيب بل وفي الجماد وغيره فانه لم يرد نطق الطير لسليمان
وانما فهم سليمان من تصويته معنى كما اشار اليه البيضاوي وهي في قوله تعالى
وعلمنا منطق الطير اذ قال ولعل سليمان مهما سمع صوته بقوته القدسية
التخيل الذي يصوته والغرض الذي يوخاه به ومن ذلك ما حكي انه مر ببلبل يصوت
ويرقص فقال تقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة
فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعل صوت البلبل كان عن شبع وفراغ
وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتالم قلب وتسخير شياطين كما قال
ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملا دون ذلك وكنا لهم حافظين
اي من ان يفسدوا ما عملوا لانهم اذا فرغوا من العمل قبل الليل افسدوه اذا لم
يشتغلوا بغيره وكما قال والشياطين كل بنا وغواص واخرين مقرنين في الاصفاد
اي يبني الابنية العجيبة وغواص في البحر يستخرج اللولو ومقرنين مشدودين
في الاصفاد القيود جمع ايديهم الى اعناقهم ليكفوا عن الشر والريح كما قال
فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء لينة حيث اصاب اي اراد لسليمان
الريح غدوها شهر ورواحها شهر والملك الذي لم يعطه احد من بعده
فقد اعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزيادة ونبه عليه
بقوله اما كلام الطير والوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر
بكلام فهمه المصطفى وغيره وسبح في كفه الحصى حتى سمعه الحاضرون
وهو جماد فهو ابلغ اعجازا وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم
في غزاة خيبر وهو في الاعجاز ابلغ من احيا الانسان الميت
لانه جز حيوان دون بقيته فهو معجزة لو كان متصلا بالبدن فكيف
وقد احياه وحده منفصلا عن بقيته مع موت البقية وايضا فقد
اعاد عليه الحياة مع الادراك والعقل ولم يكن يعقل في حياته فصار
جزوه حيا عاقلا واقدره الله على النطق والكلام ولم يكن حيوانه
يتكلم وهذا ابلغ من احيا الموتى لعيسى واحيا الطيور لابراهيم
وكذلك كلمه الظبي والضب وسمعه حاضروه وتشكى اليه البعير
كما مر قريبا وروي ان طيرا فجع اصيب بولده فجعل يرفرف
بسط جناحيه يريد ان يقع على راسه صلى الله عليه وسلم بدليل قوله

ويكلمه فيقول ايكم فجع هذا بولده فقال رجل انا فقال اردد ولده
ذكره الرازي الامام فخر الدين رواه ابو داود والحاكم وصححه عن
ابن مسعود بلفظ كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق
لحاجته فراينا حمرة بضم الحا المهملة وشد الميم المفتوحة وقد تخفف وبالرا
ضرب من الطير كالعصفور معها فرخان فاخذنا فرخيها فجا الحمرة فجعلت
تفرش بضم الرا وكسرها اي تدنو من الارض فجا النبي صلى الله عليه
وسلم وفي رواية الطيالسي والحاكم فجاءت الحمرة ترفرف على رسول الله واصحابه
فقال من فجع هذه بولدها ردوا ولدها اليها الحديث تتمته ورأى
قرية نمل قد حرقناها فقال من حرق هذه قلنا نحن قال انه لا ينبغي ان
يعذب بالنار الا رب النار وقرية النمل موضعه وروى الطيالسي والحاكم
عن ابن مسعود كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل رجل غيضة فاخرج
منها بيض حمرة فجاءت الحمرة ترف على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
فقال صلى الله عليه وسلم ايكم فجع هذه فقال رجل انا يا رسول الله اخذت بيضها
وفي رواية الحاكم اخذت فرخيها فقال رده رحمة لها وروى الترمذي وابن
ماجة عن عامر الرام ان جماعة من الصحابة دخلوا غيضة فاخذوا فرخ طاير فجا
الطير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرف فقال ايكم اخذ فرخ هذا فامره ان
يرده فرده وحكمة الامر بالرد انها لما استجارت به اجارها فوجب ردها واحتمال
كونهم محرمين بعيد مع قوله رحمة لها وقصة كلام الذيب بكلام الانس
العربي مشهورة وتقدمت قريبا واما الريح التي كانت غدوها
سيرها من الغدوة يعني الصباح الى الزوال شهر اي مسيرته ورواحها
اي سيرها من الزوال الى الغروب شهر تحمله اينما اراد من اقطار
الارض قال الحسن كان يغدو من دمشق ويقيل باصطخر وبينهما شهر للراكب
المسرع ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر فقد اعطي
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البراق بضم الموحدة الذي هو
اسرع من الريح او من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش
عرش الرحمن في ساعة زمانية واقل مسافة في ذلك سبعة الاف
سنة وتلك مسافة السموات لان بين كل سما وسما خمسماية عام وسمك
كل سما خمسماية فهي سبعة الاف سنة واما المستوى والى الرفرف
فذلك ما لا يعلمه الا الله وفي الشامية اعطي البراق فسار به مسيرة
خمسين الف سنة في اقل من ثلث ليلة انتهى وهذا كله على احد القولين
ان احد العروج الى السموات كان على البراق والصحيح الذي تقرر
من الاحاديث الصحيحة كما قال السيوطي وغيره انه كان على المعراج
الذي تعرج عليه ارواح بني ادم ولذا قال ابن كثير لما فرغ من امر بيت
المقدس نصب له المعراج وهو السلم فصعد فيه الى السما ولم يكن الصعود على
البراق كما قد يتوهم على الناس بل كان البراق مربوطا على باب مسجد بيت

المقدس ليرجع عليه مكة وايضا فالريح سخرت لسليمان لتحمله
الي نواحي الارض ونبينا صلي الله عليه وسلم لا يحتاج اليه ذلك لانه
زويت له الارض بالزاي المنقوطة اي جمعت حتي راي مشارقها
ومغاربها وما يبلغه ملك امته منها وفرق بين من يسعي الي الارض
وبين من تسعي له الارض وهو المصطفي واما ما اعطيه من تسخير
الشياطين في الاعمال الشاقة كالبنا والغوص يعملون له ما يشا من محاريب
وهي ابنية مرتفعة تصعد اليها بدرج وتماثيل جمع تمثال وهو كل شي
مثلته بشي اي صورا من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن اتخاذ الصور حراما
في شريعته وجفان جمع جفنة كالجوابي جمع جابية وهي حوض كبير يجتمع علي
الجفنة الف رجل ياكلون منها وقدور راسيات ثابتات لها قوايم لا تحرك
عن اماكنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد اليها بسلالم فقد روي ان
ابا الشياطين ابليس اعترض سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم
وهو في الصلاة فامكنه الله منه وربطه بسارية من سواري
المسجد النبوي لكن الذي رواه البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلي
الله عليه وسلم قال ان الشيطان عرض لي فشد علي ليقطع الصلاة علي
فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الي سارية حتي تصبحوا
فتنظروا اليه فذكرت قول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
فرده الله خاسيا واخرجه مسلم والبخاري ايضا بلفظ ان عفريتا من
الجن تفلت علي البارحة ليقطع علي الصلاة فذكره وهذا ظاهر في ان المراد
غير ابليس كما قال الحافظ وهو نص في انه تمكن منه لكن لم يربطه مراعاة
لسليمان وذعته بذال معجمة وعين مهملة خفيفة وفوقية ثقيلة خنقته
خنقا شديدا وخير مما اوتيه سليمان من ذلك التسخير ايمان
الجن بمحمد صلي الله عليه وسلم فسليمان استخدمهم ولم يومنوا
به والنبي صلي الله عليه وسلم استسلمهم ولا يتنبي اعلان الاسلام
واما عد الجن من جنود سليمان في قوله تعالي وحشر جمع لسليمان
جنوده من الجن والانس والطير فهم يسير له فهم له يوزعون اي يجمعون
ثم يساقون فخير منه عد الملايكة جبريل ومن معه في جملة اجناده
عليه السلام باعتبار الجهاد في بدر العظمي وباعتبار تكثير
السواد في غيرها لارهاب العدو وعلي طريقة الاجناد كما وقع في احد
والخندق وحنين كما مر بيانه في محاله واما عد الطير من جملة اجناده
في الاية الكريمة فاعجب منه حمامة الغار اي جنسها فلا ينافي كونها
حمامتين كما مر في الهجرة وتوكيرها اي اتخاذها الوكر في الساعة
الواحدة وحمايته له من عدوه وان الغرض من استكثار
الجند انما هو الحماية من الاعدا وقد حصلت من اعظم شي وهم
كفار قريش الذين خرجوا في طلبه وجعلوا ماية ناقة لمن رده او قتله بابسر

شي

شي وهو نعشيش الحمامة واما ما اعطيه من الملك بطلبه فنبينا صلي
الله عليه وسلم خير بلا طلب بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا
او بمعني الواو كقوله

قوم اذا سمعوا الصريخ رايتهم • ما بين ملجم مهره او سافع •

لان بين ظرف مبهم لا يتبين معناه الا باضافته الي اثنين فصاعدا او ما يقوم
مقام ذلك كقوله عوان بين ذلك كما بين في موضعه فاختار صلي الله عليه
وسلم ان يكون نبيا عبدا ولله در القايل يا خير عبد علي كل الملوك ولي
اي جعلت له الولاية عليهم وكفي بذلك شرفا واما ما اعطيه عيسي من
ابرا الاكمه الذي ولد اعمي والابرص وخصا لانهما مرضا اعيا وكانت
بعثته في زمن الطب فابرا في يوم خمسين الفا بالدعا بشرط الايمان
وقدمت ما كان يدعو به واحيا الموتي باذن الله فاحيا عازر صديقا
له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم وسام بن نوح ومات
في الحال وكان المصنف اقتصر علي هذه الثلاثة لاشتهارها دون بقية
معجزاته والا فصدر الاية اني اخلق لكم من الطين كهيية الطير فانفخ فيه
فيكون طيرا باذن الله واخرها تانيث الاشارة اليه ومن معجزاته المايدة
وغير ذلك فاعطي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم انه رد العين
لقتادة الي مكانها بعد ما سقطت علي وجنته فعادت احسن ما كانت
فهذا من ابرا الاكمه ابلغ من ابرا الاكمه لان عينيه في مكانها وروي ان
امراة معاذ بن عفرا كانت برصا فشكت الفا زايدة في جيرانه عند من
يجيزه ذلك الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فمسح عليها
بعصي ولم يمسها بيده لانها اجنبية ولم يمس اجنبية ابدا وانما رلغيره
وان كان هو سيد اهلا ليقتدي الي انه لا ينبغي ان يمس محل البرص ونحوه مخافة
ان يصاب به الماس فيتوهم انه اعداه فاذهب الله البرص منها ذكره
الرازي وايضا فقد سبح الحصي في كفه وسلم عليه الحجر وحن
لفراقه الجذع وذلك ابلغ من تكليم الموتي لان هذا من جنس ما لا
يتكلم لم يعقل من جنس ما لم تحله الحياة للخلاف في ان نطق الجماد هل هو بعد
تصييره حيا او مع بقايه علي كونه جمادا واحيا الجماد ابلغ من احيا الموتي
وقال ابن كثير حلول الحياة والادراك والعقل في الحجر الذي كان يخاطبه
صلي الله عليه وسلم ابلغ من حياة الحيوان في الجملة لانه كان محلا للحياة
في وقت بخلاف هذا الاحياء بالكلية قبل ذلك وكذلك تسليم الاحجار
والمدر والشجر وحنين الجذع وجعل ابو نعيم نظير خلق الطين طيرا جعل
العسق العسيب سيفا كما تقدم ومن دلايل النبوة للبيهقي قصة
الرجل الذي قال للنبي صلي الله عليه وسلم لا او من بك حتي تحيي
لي ابنتي وفيه انه صلي الله عليه وسلم قال ارني قبرها واتي قبرها
فقال يا فلانة باسمها الخاص فكنع عنه الراوي بفلانة للخوشيات

فقالت لبيك وسعديك الحديث وقد مر جميع ذلك الذي من جملته بقية
الحديث مرتبا وحاصل ما ذكره ان المصطفى شارك عيسى في ابرا الاكمه والابرص
واحيا الموتى وزاد بتكليم الجماد له واحيا الجزء من الحي بعد انفصاله كرد العين
والذراع المسمومة ولم يعهد مثله وترك المصنف من ايات عيسى عليه الصلاة
والسلام المايدة لقول ابن المنير لا يلزمنا اثبات نظيرها لنبينا لانها كانت محنة
لبني اسرايل لا منحة لانهم لعنوا بسببها كما جا في تفسير قوله تعالى لعن الذين
كفروا من بني اسرايل على لسان داود وعيسى بن مريم انهم اصحاب المايدة كفروا
بعدها فلعنوا ولم تقبل منهم توبة ابدا قال وعلى تقدير شايبة الكرامة في
اجابة دعوة عيسى فنظير ذلك لنبينا اجابته حين خفت ازواد القوم فجمعها
وكانت كربيضة العنز ولا خفا انه طعام اقل من عشرة فدعا بالبركة فملا الناس
وهم نحو الف وبقي او عمهم والطعام بحاله فهذه مايدة نزلت من السما
وطعام مبارك قال الله كن فكان بدون تهديد ولا وعيد ولا تشديد ولا
محنة ولا فتنة ولا سد باب التوبة بتقدير كفران النعمة بل كانت نعمة محضة
انتهى وفي الشامية تقدم نظير ذلك لنبينا انه اتي بطعام من السما في عدة
احاديث تقدمت وروى البيهقي عن ابو هريرة قال اتى رجل اهله
فراى ما بهم من الحاجة فخرج الى البرية فقالت امراته اللهم ارزقنا ما
نعجن ونخبز فاذا الجفنة ملاية خميرا والرحى تطحن والتنور ملاى جنوب
شوا فجا زوجها وسمع الرحى فقامت اليه لتفتح له الباب قال ماذا كنت تطحنين
فاخبرته وان رحاها لتدور وتصب دقيقا فلم يبق في البيت وعا الا ملي
فرفع الرحى وكنس ما حولها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما فعلت بالرحى قال رفعتها ونفضتها فقال صلى الله عليه وسلم لو
تركتموها لدارت الى يوم القيامة واما ما اعطيه عيسى ايضا من انه
كان يعلم ما تخفيه الناس في بيوتهم كما قال تعالى وانبيكم بما تاكلون
وما تدخرون في بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها
فكان يخبر الشخص بما ياكل وبما ياكل بعد فقد اعطي نبينا صلى الله
عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى وياتي ان شا الله تعالى ما يكفي
ويشفي في المقصد الثامن واما ما اعطيه عيسى ايضا من رفعه
الى السما حيا او بعد ان مات فقولان اصحهما الاول وعليه فقال بعضهم
صار كالملايكة في زوال الشهوة ونقل البغوي وغيره عن قتادة
ان عيسى قال لاصحابه ايكم يلقى عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل
انا فقتل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وكساه الريش والبسه النور
وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملايكة فهو معهم حول
العرش فكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا ولذا قلت في جواب سوال
٭ وقد صار عيسى بعد رفع الى السما ٭ كالاملاك لا يشرب ولا هو ياكل
٭ كما قاله الحبر الامام قتادة ٭ فنظير بعض فيه تفصيل مجمل ٭

فقد

فقد اعطي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا المعراج
وزاد الاولى حذفها لظهور ان المراد انه شارك عيسى في العروج وزاد
عليه الترقي لمزيد الدرجات التي ما وصل اليها نبي ولا ملك ولفظة
من تقتضي مشاركته في الترقي وسماع المناجاة في كلام الله تعالى
والحظوة بضم الحا وكسرها المحبة ورفعة المنزلة في الحضرة المقدسة
بالمشاهدات وهذا تفصيل بعض ما اوتيه في نظير ما اوتيه الانبيا
الذين ذكرهم وبالجملة فقد خص الله تعالى سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم من خصايص التكريم بما لم يعطه احد من الانبيا
عليهم الصلاة والتسليم وتفصيل ذكر متعسر او متعذر وقد روى
جابر بن عبد الله عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في غزوة
تبوك كما في حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عند الامام احمد اعطيت
بضم الهمزة خمسا اي خمس خصال لم يعطهن احد من الانبيا قبلي
قال الحافظ ظاهر الحديث ان كل واحدة من الخمس المذكورات لم تكن
لاحد قبله وهو كذلك ولا يعترض بان نوحا كان مبعوثا الى اهل الارض
بعد الطوفان لانه لم يبق الا من امن معه وقد كان مرسلا اليهم لان هذا
العموم لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق بالحادث وهو انحصار الخلق
الموجودين بعد هلاك ساير الناس واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم
رسالته من اصل بعثته فثبت اختصاصه بذلك وفيه اجوبة اخرى تاتي
مرتبا فان كل نبي يبعث الى قومه المبعوث اليهم خاصة وبعثت
الى كل احمر واسود قال الحافظ قيل المراد بالاحمر العجم وبالاسود
العرب وقيل الاحمر الانس والاسود الجن وعلى الاول التنصيص على الانس
لمن باب التنبيه بالادنى على الاعلى لانه مرسل الى الجميع انتهى اي
بالاقرب وهم الانس عجما وعربا على الابعد وهم الجن وهذا لفظ مسلم
ولفظ البخاري في التيمم وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت
الى الناس عامة وكذا لفظه في الصلاة لكنه قال كافة بدل عامة
ولمسلم من حديث ابي هريرة وارسلت الى الخلق كافة وهي اصرح
الروايات واشملها فهي حجة لمن ذهب الى ارساله الى الملايكة كظاهر
قوله ليكون للعالمين نذيرا وياتي بسطه واحلت لي الغنايم
وللكشميهني المغانم بميم قبل الغين وهي رواية لمسلم ولم تحل
لاحد قبلي قال الخطابي كان من تقدم على ضربين منهم من لم يوذن
له في الجهاد فلم يكن له مغانم ومنهم من اذن لهم فيه لكن كانوا اذا
غنموا شيا لم يحل لهم ان ياكلوه وجات نار فاحرقته وقيل المراد انه خاص
بالتصرف في الغنيمة يصرفها حيث شا والاول اصوب وهو ان من
مضى لم تحل لهم الغنايم اصلا ذكره الحافظ وجعلت لي الارض مسجدا
اي موضع سجود لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ويمكن ان يكون

مجازا عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه لانه لما جازت
الصلاة في جميعها كانت كالمسجد في ذلك وفي رواية احمد عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده وكان من قبلي انما يصلون في كنائسهم وللبزار من حديث
ابن عباس ولم يكن من الانبيا احد يصلي حتى يبلغ محرابه وطهورا
بفتح الطاء على المشهور واحتج به ابو حنيفة ومالك على جواز التيمم بجميع
اجزا الارض وخصه الشافعي واحمد بالتراب لما في مسلم من حديث حذيفة وجعلت
لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها طهورا وتعقب بان تربة كل مكان ما
فيه من تراب او غيره واما رواية ابن خزيمة وغيره الحديث بلفظ وجعل
ترابها وقوله في حديث علي وجعل التراب لي طهورا رواه احمد والبيهقي
باسناد حسن فالنص على التراب في هاتين الروايتين لبيان فضيلته
لا لانه لا يجزي غيره وليس مخصصا لعموم قوله وطهورا لان شرطه ان
يكون منافيا ولذا قال القرطبي هو من باب النص على بعض اشخاص
العموم كقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان انتهى واستدل به على ان الطهور
هو المطهر لغيره اذ لو كان المراد الطاهر لم تثبت الخصوصية والحديث انما سيق
لاثباتها وقد روى ابن المنذر وابن الجارود باسناد صحيح عن انس
مرفوعا جعلت لي كل ارض طيبة مسجدا وطهورا ومعنى طيبة طاهرة
فلو كان معنى طهورا طاهرا للزم تحصيل الحاصل فايما رجل كائن من
امتي ادركته الصلاة جملة في موضع جر صفة لرجل واي مبتدا فيه معنى
الشرط وما زايدة للعموم ورجل مضاف اليه وفي رواية ابي امامة عند
البيهقي فايما رجل من امتي اتى الصلاة فلم يجد ماء وجد الارض طهورا
ومسجدا وعند احمد فعنده طهوره ومسجده فليصل حيث كان خبر
المبتدا اي بعد ان يتيمم او حيث ادركته الصلاة ولاحمد عن عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده فايما ادركتني الصلاة تمسحت وصليت قال ابن التين
قيل المراد جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري مسجدا لا طهورا
لان عيسى كان يسيح في الارض ويصلي حيث ادركته الصلاة
كذا قال وسبقه اليه الداودي والاظهر قول الخطابي ان من قبله انما
ابيحت لهم الصلاة في اماكن مخصوصة كالبيع والصوامع ويويده رواية
عمرو بن شعيب بلفظ وكان من قبلي انما يصلون في كنائسهم وهذا نص في
موضع النزاع فتثبت الخصوصية وللبزار ولم يكن من الانبيا احد يصلي حتى
يبلغ محرابه قاله الحافظ وتبرعنا به هنا تبعا للشيخ مع ان المصنف ذكره
قريبا بعد ذلك وعلى ظاهر ما رجحه يسقط عنهم وجوب الادا ويقضون
اذا رجعوا وبه جزم شراح الرسالة القيروانية ويويده ظاهر قوله
حتى يبلغ محرابه فان قيل هل يسقط عنهم مطلقا او محل الحصر في الكنايس
ونحوها في الحضر لا في السفر ويكون محل خصوصيتنا الصلاة باي محل
ولو بجوار المسجد مع سهولة الصلاة فيه انظره فيه قصور ويمنع الثاني

ان

115

ان الغنيمة لابد له من دليل مع ان ظاهر قوله حتى يبلغ محرابه خلافه ونصرت
بالرعب بضم الرا الخوف زاد احمد عن ابي امامة يقذف في قلوب اعدايي
مسيرة شهر يعني به لانه لم يكن بينه وبين اعدايه اكثر منه في ذلك الوقت
وهذه الخصوصية حاصلة له مطلقا حتى لو كان وحده بلا عسكر وفي حصولها
لامته بعده احتمال اصله خبر احمد الرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وعن
ابن عباس مسيرة شهرين وعن السايب بن يزيد ونصرت بالرعب شهرا
امامي وشهرا خلفي رواها الطبراني ورواية السايب مبينة لمعنى رواية
رواية ابن عباس واعطيت الشفاعة العظمى في اراحة الناس من
هول الموقف كما جزم به النووي وغيره فاللام للعهد كما قال ابن دقيق العيد
انه الاقرب ويأتي بسطه رواه البخاري ومسلم واللفظ له فلو عزاه لهما
لاستقام ولفظ البخاري في التيمم عن شيخه سعيد بن النضر انا هشيم
انا سيار ثنا يزيد انا جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت
خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي
الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى
قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ومعلوم ان ال في النبي للاستغراق
فيساوي رواية مسلم كل نبي لكن قد رايت ما فيه من التقديم والتاخير
فالى ما على العزو للبخاري والاتيان بلفظ مسلم وان اتحد المعنى وفي
رواية هي رواية البخاري في الصلاة وبعثت الى الناس كافة
بدل عامة وهما بمعنى وروى البخاري في روايته هذا الحديث في باب قول
النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا من كتاب
الصلاة عن شيخه محمد بن سنان بكسر المهملة وخفة النون الباهلي
البصري العوقي بفتح المهملة والواو بعدها قاف ثقة ثبت مات سنة ثلاث
وعشرين ومايتين اي عن هشيم بهذا الاسناد بعد قوله لم يعطهن احد
من الانبيا قبلي وساقه بلفظ التيمم لكنه عبر بكافة بدل عامة وجعل
واعطيت الشفاعة ختام الحديث قال الحافظ رحمه الله مدار الحديث اي
حديث جابر هذا على هشيم بهذا الاسناد وله شاهد من حديث ابن
عباس وابي موسى وابي ذر ومن رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده
رواها كلها احمد باسانيد حسان انتهى وعند الامام احمد اعطيت خمسا
لم يعطهن نبي قبلي اي من الضعف بالنبوة فدخل في ذلك الرسل اذ لا
يوجد رسول الا وهو نبي ويدل على المراد قوله واحلت لي الغنايم اذ الانبيا
لم تكن لهم غنايم ولا اقوله فخرا بل تحدثا بالنعمة لقوله واما بنعمة ربك
فحدث وفيه فاعطيت الشفاعة فاخترتها لامتي فهي لمن لا يشرك
بالله شيا وان فعل المعاصي وفي رواية عمرو بن شعيب فهي لكم ومن يشهد
ان لا اله الا الله قال الحافظ فالظاهر ان المراد بالشفاعة المختصة به في

هذا الحديث اخراج من ليس له عمل الا التوحيد وهو مختص ايضا بالشفاعة
الاولى اي في فصل القضا لكن جا التنويه بذكر هذه لانها غاية المطلوب
عن تلك لاقتضائها الراحة المستمرة وقد ثبتت هذه في رواية البخاري
في التوحيد ثم ارجع الى ربي في الرابعة فاقول يا رب ايذن لي فيمن
قال لا اله الا الله فيقول وعزتي وجلالي لاخرجن منها من قال لا اله الا
الله ولا تعكر عليه رواية مسلم فيقول وعزتي ليس ذاك لك وعزتي
الى اخره لان المراد انه لا يباشر الاخراج كما في المرات الماضية بل كانت
شفاعته سببا في ذلك في الجملة واسناده كما قال ابن كثير جيد
اي مقبول وليس المراد حصر خصايصه عليه السلام في هذه الخمس
المذكورة كما يعطيه المفهوم فقد روى مسلم من حديث ابي هريرة
مرفوعا اي انه قال عن النبي صلى الله عليه وسلم فضلت على
الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم اي جمع المعاني الكثيرة في الفاظ
يسيرة وقيل ايجاز الكلام في اشباع من المعنى فالكلمة القليلة الحروف
تتضمن كثيرا من المعاني وانواعا من الكلام ونصرت بالرعب يقذف في
قلوب اعداي مسيرة شهر وللطبراني عن السايب بن يزيد ونصرت
بالرعب شهرا امامي وشهرا خلفي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا
بفتح الطا وفيه ان الاصل في الارض الطهارة وان صحة الصلاة لا تختص
بالمسجد المبني لذلك واما حديث لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد
فضعيف اخرجه الدارقطني من حديث جابر واستدل به
صاحب المبسوط من الحنفية على اظهار كرامة الادمي قال لان
الادمي خلق من ما وتراب وقد ثبت ان كلا منهما طهور ففي ذلك بيان
كرامته قاله في الفتح وارسلت الى الخلق كافة ارساله غاية محيطة
بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وهذه اصرح
الروايات واشملها فهي مويدة لمن ذهب الى ارساله الى الملايكة
كقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا ويأتي بسطه في كلام المصنف وختم
بي النبيون اي اغلق باب الوحي والرسالة وسد لكمال الدين وتصحيح الحجة
فلا نبي بعده وعيسى انما ينزل بتقرير شرعه قال الحافظ العراقي وكذا
الخضر والياس بناء على نبوة الخضر وبقايهما الى الان فكل تابع
لاحكام هذه الملة فذكر ابو هريرة في حديثه الخمسة المذكورة في
حديث جابر الا الشفاعة وزاد خصلتين وهما واعطيت الاولى بحذف
الواو لانها ليست في الحديث جوامع الكلم وختم بي النبيون فيحصل
منه ومن حديث جابر سبع خصال ولمسلم ايضا من حديث حذيفة
ابن اليمان مرفوعا فضلنا على الناس بثلاث من الخصال جعلت
صفوفنا كصفوف الملايكة قال الزين العراقي المراد به التراص
واتمام الصفوف الاول فالاول في الصلاة فهو من خصايص هذه الامة

وكانت الامم السابقة يصلون منفردين وكل واحد على حدة وذكر
خصلة الارض كما تقدم وجعلت لنا الارض مسجدا وتربتها طهورا قال
وذكر خصلة اخرى ابهمها نسيانا او نحوه وهذه الخصلة المبهمة
بينها ابن خزيمة والنسايي والامام احمد وهي واعطيت هذه
الايات من اخر سورة البقرة من امن الرسول من كنز تحت العرش
قال العراقي معناها انها ادخرت له وكنزت فلم يوتها احد قبله وكثير من
اي القران منزل في الكتب السابقة باللفظ والمعنى وهذه لم يوتها
احد وان كان فيها ايضا ما لم يوت غيره لكن في هذه خصوصية لهذه
الامة وهي وضع الاصر الذي على من قبل ولذا قال في بقية الرواية
لم يعطها نبي قبلي انتهى واليه يومي قوله يشير الى ما حطه الله تعالى
عن امته من الاصر الامر الثقيل الذي يثقل حمله كقتل النفس في التوبة
واخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع النجاسة وتحميل ما لا
طاقة قوة لهم به من التكاليف والبلا ورفع الخطا ترك الصواب
لا عن عمد والنسيان فصارت الخصال تسعا ولاحمد من حديث
علي مرفوعا اعطيت اربعا لم يعطهن احد من انبيا
الله تعالى قبلي اعطيت مفاتيح جمع مفتاح بالكسر اسم للالة التي يفتح
بها وهو في الاصل كل ما يتوصل به الى استخراج المتعلقات التي يتعذر الوصول
اليها قاله ابن الاثير الارض وفي رواية خزاين الارض استعارة لوعد الله
تعالى بفتح البلاد جمع خزانة ما يخزن فيه الاموال وهي مخزونة عند
اهل البلاد قبل فتحها والمراد خزاين العلم باسره ليخرج لهم بقدر
ما يستحقونه وكلما ظهر في العالم فانما يعطيه الذي بيده المفتاح باذن
الفتاح كذا اوله بعضهم واجراه على ظاهره اولى لحديث جابر عند
احمد برجال الصحيح وصححه ابن حبان وغيره مرفوعا اتيت بمقاليد الدنيا
على فرس ابلق جاني به جبريل عليه قطيفة من سندس وسميت احمد
فلم يسم به احد قبله حماية من الله ليلا يدخل لبس على ضعيف اليقين
او شك في انه هو المنعوت باحمد في الكتب السابقة وجعلت امتي خير
الامم بنص كنتم خير امة اخرجت للناس وشرفها من شرفه وذكر خصلة
التراب فقال وجعل لي التراب طهورا فصارت الخصال ثنتي عشرة
خصلة وعند البزار من وجه اخر عن ابي هريرة رفعه فضلت
على الانبيا بست وبين ما فضل به بقوله غفر لي ما تقدم من ذنبي
وما تاخر اي حيل بيني وبين الذنوب فسترت عني فلم اتها على اوجه
كاملة ويأتي بسطه وجعلت امتي خير الامم واعطيت الكوثر
نهر في الجنة كما صح في مسلم وان صاحبكم لصاحب لوا الحمد يوم
القيامة تحته ادم فمن دونه وفي انه حقيقي وعند الله علم حقيقته
او تصوير لعظمته وانفراده بالمقام الذي يحمده الخلايق فولان ويأتي

وذكر ثنتين مما تقدم من الخصال تمام الستة لرواية البزار من حديث
ابن عباس رفعه فضلت على الانبيا بخصلتين كان شيطاني
كافرا فاعانني الله فاسلم بفتح الميم اي امن من قطعا اذ هذا اللفظ
لا يحتمل غير هذا اما الذي حكي فيه النووي وغيره روايتي الفتح والضم
فانما هو حديث مسلم عن ابن مسعود مرفوعا ما منكم من احد الا وقد وكل
به قرينه من الجن قالوا واياك قال واياي الا ان الله اعانني عليه فاسلم
فلا يامرني الا بخير روي هذا بفتح الميم وضمها وصحح الخطابي الرفع
ورجح القاضي عياض والنووي الفتح وهو المختار قال الراوي اي ابن
عباس ومن دونه ونسيت الاخرى وهي مبينة في رواية البيهقي
في الدلايل عن ابن عمر مرفوعا فضلت على ادم بخصلتين كان شيطاني
كافرا فاعانني الله عليه حتى اسلم وكن ازواجي عونا لي وكان شيطان
ادم كافرا وكانت زوجته عونا عليه فينتظم يجتمع بها بهذه الاحاديث
سبع عشرة خصلة ويمكن ان يوجد اكثر من ذلك لمن امعن التتبع
للاحاديث وقد ذكر ابو سعيد النيسابوري في كتاب شرف
المصطفى ان عدد الذي خص به صلى الله عليه وسلم على الانبيا
ستون خصلة وطريق الجمع بين مختلف هذه الاحاديث من ست
وخمس وثلاث واربع وثنتين ان يقال لعله عليه السلام اطلع
اولا على بعض ما اختص به فاخبر به ثم اطلع على الباقي فحدث به
اذ لا ينطق عن الهوى وهذا عند من يحتج بمفهوم العدد ومن لا يرى
مفهوم العدد حجة وان كان مقامي مدلوله يدفع هذا الاشكال
من اصله اذ الاخبار بعدد لا ينفي غيره وهذا الذي ساقه المصنف
بعد حديث جابر الي هنا من فتح الباري وقد ذكر بعض العلما انه صلى
الله عليه وسلم اوتي ثلاثة الاف معجزة وخصيصة وذكر
النووي في مقدمة شرح مسلم ان معجزاته تزيد على الف ومايتين
وقال البيهقي في المدخل بلغت الفا وقال الزاهدي من الحنفية ظهر
على يديه الف معجزة وقيل ثلاثة الاف هذا لفظ الفتح وفي الانموذج
وخص بانه اكثر الانبيا معجزات فقد قيل انها تبلغ الفا وقيل ثلاثة
الاف سوى القران فان فيه ستين الف معجزة تقريبا قال الحليمي
وفيها مع كثرتها معنى اخر وهو انه ليس في شي من معجزات غيره
ما ينحو نحو اختراع الاجسام وانما ذلك في معجزات نبينا خاصة
انتهى اي كتكثير الطعام واللحم والتمر والما ونحو ذلك وقد اختلف في
العلم بخصايصه عليه السلام فقال الصيمري بفتح الصاد المهملة
وسكون التحتية وفتح الميم وراء نسبة الي صيمر نهر بالبصرة
عليه عدة قرى وبلد بخوزستان كما في اللب منع الشافعية منع ابو
علي بن خيران الكلام فيها لانه امر انقضى فيه فلا معنى للكلام

فيه لضياع الزمن بلا فايدة وقال امام الحرمين قال المحققون ذكر
الاختصاص في مسايل الخصايص خبط سير على غير هدى غير
مفيد بل قد يودي الي ضرر شديد فانه لا يتعلق به حكم ناجز تمس اليه
الحاجة وانما يجري الخلاف فيما لا يوجد بد من اثبات حكم فيه فان الاقيسة
لا مجال لها والاحكام الخاصة تتبع فيها النصوص وما لا نص فيه فالخلاف
فيه هجوم على الغيب من غير فايدة وقال النووي في الروضة والتهذيب
للاسما واللغات بعد نقله هذين الكلامين وقال ساير اي باقي الاصحاب
اي المقلدين لمذهب الشافعي لا خصوص من صحبه لا باس به اي يجوز الكلام
في الخصايص والبحث عنها وهو الصحيح لما فيه من زيادة العلم وبيان
شرف المصطفى ورفيع منزلته عند ربه فهذا كلام الاصحاب والصواب
بالجزم بجواز ذلك كما قالوا بل باستحبابه لما فيه من بيان شرفه صلى الله
عليه وسلم وكرامته على ربه حيث اباح له ما حرم على غيره كالزيادة
على اربع وحرم عليه ما ابيح لغيره كخاينة الاعين زيادة في اجره واوجب
عليه ما لم يوجبه على غيره كالامر بالمعروف بلا شرط وحمل له كلما مات
وفضايل لم يوتها غيره ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا لانه ربما راى جاهل
بعض الخصايص ثابتة في الحديث الصحيح فعمل به اخذا باصل التاسي
لانا مامورون باتباعه فوجب بيانها لتعرف فلا يعمل بها فاي فايدة
اهم من هذه الفايدة وهي معرفة الخصايص ولذا قال الشمس الحطاب
المالكي ذكرها اما مستحب او واجب وهو الظاهر واما ما يقع في ضمن الخصايص
مما لا فايدة فيه اليوم كتكليم الجماد وسعي الشجر بما وجد لا نظير له رعظمته واثبات
نبوته في زمنه وقد ثبت ذكره في الامة وتحقق فلا فايدة يترتب عليها من
اجتناب محرم ونحوه فقليل لا تخلو ابواب الفقه عن مثله حيث يذكر
فيها الادلة لهم ولمخالفيهم والجواب عن ادلة المخالفين للتدريب ومعرفة
الادلة وتحقيق الشي على ما هو عليه والا فلا فايدة فيها اذ لا يبطل
المذاهب المقررة انتهى كلام النووي وهو وجيه وقد تتبعت طلبت شيا بعد
شي بلا عجلة يقال تتبع فلان احوال فلان اي تطلبها شيا بعد شي في مهلة
ما شرفه الله به نبينا اي اعطاه شرفا وتمييزا من الخصايص على الانبيا
كانشقاق القمر وعلى الامم وان شاركه الانبيا والايات عطف مرادف
او اعم بان يراد بها العلامات الدالة على نبوته وان شاركه فيها غيره
في الجملة لما مر انه لم يعط لنبي معجزة الا واعطي لنبينا مثلها او ازيد
عليها واكرمه به من الفضايل جمع فضيلة وهي والفضل الخير وهو خلاف
النقص والنقيصة كما في المصباح وهذا شامل للمزايا القاصرة والمتعدية
فقول بعض الفضايل المزايا القاصرة كقيام الليل والفواضل جمع فاضلة وهي
المزايا المتعدية كالكرم مجرد اصطلاح والا فاللغة تشمل الامرين والكرامات
التي اكرم بها خارقة للعادة بخلاف الفضايل فلا يلحظ فيها كونها خوارق عادة

من كتب العلما صلة تتبعت كالخصايص لابن سبع باسكان البا وقد
تضم وخصايص الروضة للنووي ومختصرها للحجازي وشرح
الحاوي لابن الملقن العلامة سراج الدين عمر ابو حفص وشرح البهجة
لابن الوردي لشيخ الاسلام زكريا بن احمد الانصاري واللفظ
المكنون في خصايص النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ قطب الدين
الخضيري واستفدت منه كثيرا من الخصايص في فصل المعجزات اضافة
بيانية او من اضافة الصفة للموصوف وحمله على مغايرة المضاف للمضاف
بعيد كذا قرر شيخنا بنا على قراة فصل بضاد معجمة مع انه بمهملة لان
الخيضري عقد فصلا للمعجزات غير الخصايص مع ما رايته حال من المجرور
بالحرف وهو كتب العلما او متصل بها رايته اثناء مطالعتي لفتح الباري
وشرح مسلم للنووي وشرح تقريب الاسانيد للنووي للعراقي
الشيخ ولي الدين وغير ذلك عطف على فتح الباري مما يطول ذكره
فيحصل لي من ذلك جملة ذكرتها كلها لكن في ضمن تقسيم غير واحد لاربعة
اقسام اذ كل كتاب من كتبهم وان ذكر الاربعة لكنه لم يستوعبها كما استوعبتها
مما تحصل وقد قسمها اي الخصايص غير واحد من الايمة اربعة اقسام
الاول ما اختص به صلى الله عليه وسلم من الواجبات الثاني ما
اختص به من المحرمات الثالث المباحات الرابع الفضايل والكرامات
كما ياتي له وختمها بخصايص امته وقد زاد عليه غيره في كل قسم كثيرا
وفوق كل ذي علم عليم والحكمة في ذلك الاختصاص بالوجوب زيادة
الزلفى القرب المعنوي والدرجات العلى اي المنازل المترتبة كالوسيلة
ثم لا ينافي ترتب ذلك على الواجبات انه افرغ عليه جميع الكمالات من الازل
لانه لا يخالف توقفه على فعل واجب علم الله انه سيفعله فانه لن يتقرب
المتقربون الى الله تعالى بمثل اداء اي فعل ما افترض اي اوجب الله
عليهم لعدم وجود مثل الفرض لا مع وجوده كما يفهمه الكلام بحسب الظاهر
لكنه من اثبات الشي بدليله على نحو مثلك لا يبخل وليس كمثله شي وحاصل
المعنى ان اعظم شي يتقرب به فعل الفرض فالمراد بالادا اللغوي وهو فعل
الشي مطلقا فيشمل الواجب الذي لا وقت له محدود ولا الاصطلاحي وهو
فعل العبادة قبل خروج وقتها وهو الثابت من المعنى لها شرعا ثم هذا تلميح
بخبر البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى قال من عادى
لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي بشي احب مما افترضت
عليه الحديث قال امام الحرمين في النهاية قال بعض علمائنا الفريضة
يزيد ثوابها على ثواب النفل اي المماثل لها بسبعين ضعفا الحديث سلمان
مرفوعا في شهر رمضان من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن
ادى فريضة فيما سواه ومن ادى فريضة فيه كان كمن ادى سبعين فريضة
في غيره فقابل النفل منه بالفرض في غيره وقابل الفرض فيه بسبعين

فرضا

فرضا في غيره فاشعر بان الفرض يزيد على النفل بسبعين درجة من طريق
الفحوى انتهى وتعقب بان الحديث ضعيف اخرجه ابن خزيمة وعلق القول
به على صحته والظاهر ان ذلك من خصايص رمضان ولذا قال النووي
استانسوا له بحديث في شهر رمضان قال بعضهم خص الله تعالى نبيه
بواجبات عليه لعلمه بانه اقوم بها منهم اي اقدر على القيام بها من جميع
الامة قال ابن الجوزي لما كانت الحمامة ترق فراخها لم تحمل غير بيضتين لانها
لا تقوى على اكثر منهما ولما كانت الدجاجة لا ترق فراخها كانت تحضن عشرين
فاكثر ولما كان صلى الله عليه وسلم اقوى العاملين خص بواجبات لم تجب
على غيره انتهى وقيل ليجعل اجره بها اي بفعلها اعظم ثوابا من ثواب فعل
نفسه لو كانت مندوبة له فالمتفضل عليه فعله لا بصفة الوجوب كما قرر شيخنا
او فعل امته لا فعله لها بغير صفة الوجوب كما جزم به في الشرح وفي الشامية
وقيل ليجعل اجره بها اعظم من اجرهم وقربه بها ازيد من قربهم انتهى ثم هذا
علم من قوله لن يتقرب الى اخره فاختص صلى الله عليه وسلم بوجوب
الضحى على المذهب اي الراجح عند الشافعية وجزم به صاحب المختصر من
المالكية لكنه شاذ كما قال ابن شاس في الجواهر لكن قول عايشة في الصحيح
ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبح يصلي سبحة الضحى
صلاتها تسمية الصلاة تسبيحا لاشتمالها عليه من تسمية الكل باسم البعض
يدل على ضعف انها كانت واجبة عليه ومن ثم قال في الجواهر انما قال
بوجوبها بعض من شذ قال الحافظ ابن حجر لم يثبت ذلك اي وجوبها
عليه في خبر صحيح قال وخبر احمد امرت بصلاة الضحى ولم تومروا بها
ضعيف وصححه الحاكم فذهل انتهى كلام الحافظ بزيادته وسياتي
مزيد لذلك ان شا الله تعالى في ذكر صلاة الضحى من مقصد
عباداته عليه السلام وهو التاسع وهل كان الواجب عليه اقل
الضحى وهو ركعتان او اكثرها وهو ثمان او ادنى الكمال وهو
اربعة قال الحجازي لا نقل فيه ان لم يتعرضوا كما في الخادم لكن في مسند
احمد عن ابن عباس مرفوعا امرت بركعتي الضحى اي ايجاب بدليل قوله
ولم تومروا بهما فيفيد ان الواجب عليه اقل الضحى لكن حديث ضعيف وقد
عارضه ما اخرجه احمد ايضا من حديث ابن عباس امرت بالوتر وركعتي الضحى
ولم تكتب وقد جمع العلما بين نفي عايشة رويته يصليها واثبات غيره
صلاتها بانه كان لا يداوم عليها مخافة ان تفرض على امته فيعجزوا عنها
فلو كانت واجبة لداوم عليها ومنها الوتر وركعتا الفجر كما رواه الحاكم
في المستدرك ورواه غيره من حديث ابن عباس ولفظ احمد والطبراني
عن ابن عباس رفعه ثلاث هن علي فريضة لازمة ولفظ الحاكم فرايض
وهن لكم تطوع الوتر وركعتا الفجر وركعتا الضحى قال الحافظ
يلزم من قال به وجوب ركعتي الفجر عليه ولم يقولوا به وان وقع في كلام

بعض السلف والآمدي وغيرهم وابن الحاجب فقد وردت بما يعارضه وهذا
الحديث ضعيف من جميع طرقه وان استدركه الحاكم وقد اطلق
الائمة عليه الضعف كاحمد والبيهقي وابن الصلاح وابن الجوزي والنووي
وغيرهم انتهى ولذا قال بعضهم سما رضا له وقد ثبت انه عليه
الصلاة والسلام صلى الوتر على الراحلة قال ولو كان واجبا لما
جاز فعله على الراحلة وتعقب بان فعله على الراحلة من الخصائص
ايضا كما ياتي فيما اختص به عليه السلام من المباحات ان شاء
الله تعالى واجيب بانه اي جعل فعله على الراحلة من الخصائص
وان جزم به النووي على مسلم يحتاج الى دليل ولم يوجد فهو محتمل
سنة ولذا ادعى البلقيني انه لم يكن واجبا عليه خلافا لما صححوه ولا دليل
لمن قال كان واجبا عليه في الحضر دون السفر انتهى قال وهل كان الواجب
عليه اقل الوتر ركعة ام اكثره ام ادنى الكمال وهو ثلاثة قال
الحجازي لم ار فيه نقلا وقال الزركشي الظاهر ان مرادهم الجنس
وقياسا على الضحى ونازعه شيخنا بالفرق بينهما لان الاقتصار على
ركعة في الوتر خلاف الاولى ومكروه ولا كذلك الضحى فيكون الواجب عليه
في الوتر ادنى الكمال ومنها صلاة الليل اي التهجد وعطفها على الوتر
للاشارة الى مغايرتها له وهو ما رجحه الرافعي والنووي هنا ورجحه في
صلاة التطوع اتحادهما ونقله في المجموع عن الامام والمختصر ورجح ما هنا
بما ذكره الرافعي هناك من اعتبار وقوع التهجد بعد النوم بخلاف الوتر
ومنع الغزولي هذا الاعتبار ورده الزركشي بمنع كون المصلي قبل نومه
متهجدا قال الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك اي
فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة فالمراد بالنافلة
المعنى اللغوي فلا ينافي الوجوب لا مقابله او فضيلة اكراما لك لاختصا
وجوبه بك وهذا اي وجوب التهجد ما صححه الرافعي ونقله
النووي عن الجمهور ثم قال وحكى الشيخ ابو حامد ان الشافعي
نص على انه نسخ وجوبه في حقه كما نسخ في حق غيره قال
في شرح البهجة وهو الاصح او الصحيح وفي مسلم عن عائشة ما يدل
عليه ومنها السواك واستدل له اي لوجوبه بما رواه ابو داود من
حديث عبد الله بن ابي صوابه اسقاطه فهو ابن ابي عامر الراهب
الانصاري له رؤية وابوه غسيل الملائكة قتل يوم احد وام عبد الله
جميلة بنت عبد الله بن ابي استشهد عبد الله يوم الحرة في ذي الحجة سنة
ثلاث وستين وكان امير الانصار بها ان رسول الله صلى الله عليه و
وسلم امر بالوضوء عند كل صلاة طاهرا اي متوضيا او غير طاهر
وظاهره ولو نفلا ورجحه الشيخ ولي الدين لكن قال الحافظ سياق الحديث
يخصصه بالمفروضة وكذا قاله الزركشي ولا يخالفه فلما شق ذلك

امر

امر بالسواك لكل صلاة فرضا ونفلا حضرا او سفرا وهذا الحديث صححه
ابن خزيمة وغيره ولكن في اسناده محمد بن اسحق بن يسار وقد
رواه بالعنعنة وهو مدلس وان كان صدوقا وعنعنة المدلس
ليست مقبولة ما لم يصرح بالسماع ونحوه كما في الالفية وغيره فقول الشامي
اسناده جيد وفيه اختلاف لا يضر فيه نظر لانه وان لم يضر الاختلاف
فيه على بعض رواته فقد ضر تدليس ابن اسحق فلا يكون اسناده جيدا
وحجة من لم يجعله واجبا عليه ما رواه ابن ماجة في سننه من
حديث ابي امامة الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما جاءني جبريل الا اوصاني بالسواك وصيغة استحباب
وترغيب فيه حتى خشيت ان تفرض علي وعلى امتي وهذا لو
صح كان ظاهرا في عدم الوجوب ولكن اسناده ضعيف وقد رواه
احمد والطبراني باسناد صحيح عن ابي امامة بلفظ الا امرني بالسواك
حتى لقد خشيت ان احفي مقدم فمي قال رسول الله عليه وسلم امرت
على لسان جبريل او بالالهام او بالرويا بالسواك امر ندب حتى خشيت
ان يكتب علي اي يفرض واسناده حسن وقال المنذري وغيره فيه
ليث بن ابي سليم وهو ثقة مدلس وقد عنعنه من الخصائص لا تثبت
الا بدليل صحيح قاله في شرح تقليب الاسانيد للحافظ ولي الدين
العراقي لكن المعتمد عند المالكية والشافعية وجوبه عليه ومنها الاضحية
بضم الهمزة وكسرها وشد الياء وخفتها اي التضحية قال الله تعالى فصل
لربك وانحر اضحيتك والامر للوجوب وللخبر الطبراني بسند صحيح عن ابن
عباس رفعه الاضحى علي فريضة وعليكم سنة اي التضحية علي واجبة
سميت باسم الوقت الذي شرع ذبحها فيه وهو ارتفاع النهار وروى الدار
قطني والحاكم عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث
هن علي فرائض وفي رواية فريضة وهن لكم تطوع النحر
والوتر وركعتا الفجر مع ان هذا الحديث مر بيانا وانه ضعيف من جميع
طرقه خلافا لاستدراك الحاكم ومنها المشاورة لذوي الاحلام في
غير الشرايع والاحكام قال الله تعالى وشاورهم في الامر فظاهره
الايجاب وهو المعتمد عند الشافعية والمالكية وقيل انها استحباب
وكان وجه صرف الامر اليه عنه فانما هي تطييب لقلوبهم ونحو ذلك
استمالة للقلوب راجع للقولين ومنها استخراج ارائهم ونقل
البيهقي في كتاب معرفة السنن والاثار عن النص اي نص الشافعي
ان المشورة غير واجبة عليه قال وصرف الشافعي الامر الى الندب
فقال هو كقوله البكر تستامر فانه تطييب لخاطرها لا واجب فان المشاورة
لاستمالة قلوبهم واستخراج ارائهم واستعطافهم انتهى كما نبه عليه
الحجازي وغيره ولكن المعتمد الوجوب وهو ما صححه الرافعي والنووي

واختلف في المعني الذي امر الله نبيه عليه السلام بالمشاورة
مع كمال عقله اذ لم يخلق اعقل منه ولا مثله كما مر وجزالة بفتح الجيم
والزاي رايه وتتابع الوحي عليه ووجوب طاعته
على امته فقال بعضهم هو خاص في المعني وان كان عاما في
اللفظ اي شاورهم فيما ليس عندك من الله فيه عهد يدل
عليه قراءة ابن عباس وشاورهم في بعض الامر وهذا هو ان
عزاه لبعضهم لا يخلو عنه احد اذ ما فيه عهد من الله لا يشاور فيه
وقال الكلبي يعني ناظرهم في لقاء العدو ومكايد الحرب عند
الغزو بان يذكر لهم ما يتعلق به فان ذكر واخلافه كالخروج له او عدمه
وكان الصواب خلافه بينه لهم وارشدهم اليه فان عارضوه برايهم
اظهر لهم ما يترتب عليه حتى تستقر نفوسهم على حسن ما يختاره وقال
قتادة ومقاتل كانت سادات العرب روساوهم اذا لم تشاور
في الامر شق عليهم فامر الله تعالى نبيه عليه السلام ان
يشاورهم فان ذلك اعطف لهم اي اشد عطفا اي امالة لقلوبهم
الى رايه صلى الله عليه وسلم واذهب لاضغانهم اي حقدهم اي
ما يقوم في نفوس القاصرين من عدم الميل الى ما يشير عليهم به من
امر الحرب ونحوه واطيب لنفوسهم وقال الحسن البصري قد علم
الله ان ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن اي يقتدي به
من بعده وحكى القاضي ابو يعلى في الذي امر بالمشاورة فيه
قولين احدهما في امر الدنيا خاصة والثاني في امر الدين
والدنيا وهو الاصح وقد كان صلى الله عليه وسلم كثير المشاورة
قاله المعافى بن زكريا بن حميد الحافظ العلامة المفسر الثقة النهرواني
كان على مذهب ابن جرير وكذا يقال له الجريري في تفسيره والحكمة
في المشاورة في الدين التنبيه لهم على علل الاحكام وطريق
الاجتهاد فلا يرد انه لا معنى للقول الاصح لانه لا يرجع الى مشورتهم
لو اشاروا بخلافه واخرج ابن عدي والبيهقي في الشعب عن ابن
عباس لما نزل وشاورهم في الامر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اما بتخفيف الميم ان الله ورسوله لغنيان عنها قال ابن مالك
في شرح الكافية نحو كسر ان بعد اما مقصود بها معنى الا الاستفتاحية
فان قصد بها معنى حقا فتحت ولكن الله جعلها رحمة لامتي
تطييبا لنفوسهم وتسهيلا لاعتياد ذلك واتباعه وعند الترمذي
الحكيم محمد بن علي وكذا عند الديلمي بسند ضعيف من حديث عائشة
رفعته ان الله امرني بمداراة الناس اي بملاطفتهم وملاينتهم
ومن ذلك المشاورة والامر للوجوب كما امرني باقامة الفرائض
وفي رواية بدله الغزاة اي امرني بملاطفتهم قولا وفعلا والرفق بهم

وتالفهم ليدخل من يدخل في الدين ويبقى المسلمين شر من قدر عليه
الشقاء ولذا قال حكيم هذا امر لا يصلحه الا لين من غير ضعف وشدة
بلا عنف وهذه هي المداراة اما المداهنة وهي بذل الدين لصلاح الدنيا
فمحرم وامره بالمداراة لا يعارض امره بالاغلاظ على الكفار وبعثه بالسيف
ومنها مصابرة العدو اي قتال الكفار وان كثر عددهم جدا قال بعض
اصحابنا ولو اهل الارض لان الله وعده بالعصمة من الناس ولانه كما قال
الرازي من العلم باعلا مكان كبقية الرسل فيعلمون انه لا يتعجل شيء عن وقته
ولا يتاخر شيء عن وقته بخلاف غيرهم من المكلفين فليس لهم مثل هذا الايمان
ولا مثل هذا اليقين قال الجلال البلقيني وهو حسن انتهى زاد الاجهوري
واذا بارز رجلا في الحرب لم يول عنه قبل قتله ومنها تغيير المنكر وهو ما
قبحه الشرع قولا او فعلا ولو صغيرة اذا راه مطلقا ووجه الخصوصية
انه فرض عين عليه بخلاف غيره فكفاية ذكره الجرجاني وغيره ففي قوله
لكن قد يقال كل مكلف تمكن من تغييره يلزمه تغييره شيء لانه كفائي
فيقال في دفع هذا الاستدراك المراد انه لا يسقط عنه صلى الله عليه
وسلم بالخوف على نفسه او عضوه او ماله فان الله وعده بالعصمة اي
بحفظ روحه فلا يرد نحو شج راسه على انه قبل نزول الاية فالعصمة محققة
له ان الله لا يخلف الميعاد بخلاف غيره من الامة فيسقط عنه لفظا والانكار
للخوف على ما ذكره الاجهوري ولا يسقط اذا كان المرتكب يزيده الانكار
اغراء لئلا يتوهم اباحته بخلاف سائر الامة ذكره السمعاني في القواطع
انتهى وهذا هو المعتمد خلافا للغزالي فالحاصل انه واجب عليه بلا شرط
ومنها قضاء دين من مات مسلما معسرا لم يترك ما يوفي منه دينه
روى مسلم لا وجه لتخصيصه بل والبخاري واحمد والنسائي وابن ماجه من
حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالرجل المتوفى
عليه دين فيسال هل ترك لدينه قضاء فان حدث انه ترك قضاء صلى عليه
والا قال صلوا على صاحبكم ولما فتح عليه الفتوح قال انا اولى بالمومنين
من انفسهم في كل شيء من امور الدارين لانه الخليفة الاكبر الممد لكل موجود
فيجب ان يكون احب اليهم من انفسهم وان حكمه انفذ عليهم من حكمها قاله
بعض الصوفية وانما كان كذلك لان انفسهم تدعوهم الى الهلاك وهو
يدعوهم الى النجاة فيجب عليهم ايثار طاعته على شهوات نفوسهم وان
شق عليهم وان يحبوه باكثر من محبتهم لانفسهم ومن محاسن اخلاقه
السنية انه لم يذكر ماله في ذلك من الحقوق بل اقتصر على ما هو عليه
فقال فمن توفي بالبناء للمجهول اي توفاه الله اي مات من المومنين وعليه
دين بفتح الدال وفي رواية فترك دينا فعلي قضاؤه قال ابن بطال هذا
ناسخ لترك الصلاة على من مات وعليه دين ومن ترك مالا اي حقا
فالمال الاغلبي اذ الحق يورث كالمال فلورثته وفي رواية البخاري فلورثته

عصبته من كانوا وهذا التفريع على الاولوية العامة له وعليه لا تخصيص
لها كما فهمه القرطبي فاعترض التعميم بانه صلى الله عليه وسلم قد تولى
تفسيرها ولا عطر بعد عروس بل افاد فايدة حسنة وهو ان مقتضى الاولوية
مرعي في جانبيه ايضا لكونه ترك ذكر ذلك تكرما قال الداودي المراد بالعصبة
هنا الورثة لا من يرث بالتعصيب وقيل المراد قرابته بالعصبة بعد اصحاب
الفروض ويوخذ حكمهم من ذكر العصبة بطريق الاولى ويشير الى ذلك قوله
من كانوا فانه يتناول انواع المنتسبين اليه بالنفس او بالغير قال ويحتمل ان
تكون من شرطية قال النووي كان هذا القضا واجبا عليه صلى الله
عليه وسلم قال ابن بطال اي مما يفي الله عليه من المغانم والصدقات قال
وهكذا يلزم المتولي لامر المسلمين ان يفعله بمن مات وعليه دين انتهى وهذا
هو الراجح عند الشافعية فان لم يفعل فالاثم عليه اذا كان حق الميت في بيت
المال يفي بقدر ما عليه من الدين والا فيقسطه والمرجح عند المالكية
انه من ماله الخاص به عليه السلام اذ حمله على مال المصالح لا يجعل به خصوصية
قال ابن بطال فان لم يوط الامام عنه من بيت المال مثلا قال الحافظ والذي
يظهر ان الذي يدخل في المقاصصة وهو كمن له حق وعليه حق وذلك انهم اذا
خلصوا من الصراط حبسوا عند قنطرة بين الجنة والنار يتقاصون المظالم
حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فيحمل قوله لا يحبس اي معذبا
مثلا انتهى وقيل لم يكن واجبا بل هو تبرع منه والخلاف المذكور وجهان
لاصحابنا وغيرهم والارجح الوجوب قال اي النووي ومعنى الحديث
انه عليه السلام قال انا قايم بمصالحكم في حياة احدكم او موته
فانا وليه في الحالين وان كان عليه دين قضيته من عندي مالي
الخاص بي او مال المصالح العولان ان لم يخلف وفا وان كان له مال
فلورثته لا اخذ منه شيا وان خلف عيالا محتاجين ضايعين
فليأتوا الي فعلي نفقتهم ومونتهم هذا زايد على معنى الحديث الاخر
انتهى كلام النووي قال الحافظ قال العلما كان الذي فعله صلى الله عليه
وسلم من ترك الصلاة على من عليه دين ليحرض الناس على قضا الديون
في حياتهم والتوصل الى البراة منها لئلا تفوتهم صلاته عليهم وهل
صلاته على المدين محرمة عليه او جايزة وجهان قال النووي الجزم
اي الصواب الجزم بالجواز مع وجود الضامن كما في حديث مسلم وحكى
القرطبي انه ربما كان يمتنع من الصلاة على من ادان دينا غير جايز واما
من استدان لامر جايز فلا يمتنع وفيه نظر لان الحديث دال على التعميم حيث
قال من توفي وعليه دين ولو كان الحال مختلفا لبينه ثم جا جبريل فقال
انما الظالم في الديون التي حملت في البغي والاسراف فاما المتعفف ذو
العيال فانا ضامن له اودي عنه وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وقال بعد ذلك من ترك ضياعا الحديث وهو ضعيف وليس فيه ان التفصيل

المذكور

المذكور كان مستمرا وانما فيه انه طرا بعد ذلك وانه السبب في قوله من ترك دينا
فعلي وفي وجوب قضايه على الامام من مال المصالح اي مال بيت المال
وجهان المعتمد عدم الوجوب مطلقا عندهم والراجح عند المالكية وجوبه من بيت
المال عن الاية اذا عجز عن الوفا قبل الموت وتداينه في غير معصية او فيها وتاب
منها قال الشهاب القرافي واحاديث الحبس على الجنة منسوخة بما جعله الله
على الاية من وجوب وفا دين المسلم الميت بالعتيد بن من بيت المال قال
وانما كانت قبل الفتوحات لكن قال الامام من استدان وبقي معسرا
الى ان مات لم يقض دينه من بيت المال فان كان ظلم بالمطل ففيه احتمال
والاولى لا يقضي والله اعلم بالحكم ومنها تخيير نسايه مصدر مضاف لمفعوله
اي المصطفى بتخيير نساه في فراقه ومن بقا بهن معه ومنها امساكهن مرفوع
عطفا على تخيير لا بالجر لفساده اذ يصير المعنى يجب عليه التخيير في الفراق
وفي الامساك بعد ان اخترنه مكافاة لهن وهذا في احد الوجهين والثاني
لم يحرم عليه الطلاق اصلا بل له الفراق بعد اختيارهن البقا وهو الاصح كما قاله
شيخ الاسلام وغيره ووجوب ترك التزوج عليهن بعد ان اخترنه
وترك التبدل مخفوض عطف على التزوج بهن مكافاة لهن قال تعالى
لا يحل لك النسا من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن ثم نسخ
ذلك بقوله يا ايها النبي انا احللنا لك الاية لتكون المنة له عليه السلام
عليهن بامساكهن وترك التزوج عليهن قال الله تعالى يا ايها النبي
قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا اي ان كانت اعظم همتكن
واقصى طلبكن الدنيا والتمتع بها والنيل من نعيمها وزينتها المال والبنين
الاية اي جنسها ليشملها والتي بعدها اذ كلاهما مراد ولما نزلت بدا بعايشة
وقال اني ذاكر لك امرا فلا تبادريني بالجواب حتى تستامري ابويك فاختارته
وقالت يا رسول الله لا تقل اني اخترتك فقال ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا
وانما علمني بعثني معلما مبشرا رواه الشيخان عن عايشة ومعنتا بكسر النون
اي مشقا على عباده وطالب ومتعنتا اي طالبا للعنت وهو العسر والمشقة
واختلف في صفة تخييره لهن على قولين احدهما انه خيرهن بين
اختيار الدنيا فيفارقهن وبين اختياره الاخرة فيمسكهن ولم
يخيرهن في الطلاق وهذا قول الحسن البصري وقتادة بن دعامة
واكثر اهل العلم كما قال البغوي وهو ظاهر القران قال غير واحد وهو
الصحيح لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن فان اخترن الدنيا لم
يقع عليه طلاق حتى يوقعه هو والثاني انه خيرهن بين الطلاق
بان فوضه اليهن فلو اوقعنه لوقع وبين المقام معه فلا يقع عليه وهذا
قول عايشة ومجاهد والشعبي عامر بن شراحيل ومقاتل بن
واختلفوا في السبب الذي لاجله خير صلى الله عليه وسلم نساه
على اقوال احدها ان الله تعالى خيره بين ملك الدنيا ونعيم الاخرة

فيقدمه على نعيم الدنيا فاختار الآخرة وقال فيما رواه ابن ماجه وغيره
اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني اجمعني في زمرة
بضم الزاي جماعة المساكين اي اجعلني منهم قال اليافعي وناهيك بهذا امر
شرفا ولو قال واحشر المساكين في زمرتي لكفاهم شرفا قال البيهقي ولم
يسال مسكنة ترجع الى القلة بل الى الاخبات والتواضع ولهذا قال شيخ الاسلام
زكريا معناه طلب التواضع والخضوع وان لا يكون من الجبابرة المتكبرين
والاغنيا المترفين وتقدم مزيد لهذا في الفصل الثالث من المقصد الثالث
فلما اختار ذكر امره الله تعالى بتخيير نسايه ليكن على مثل
اختياره فليس امره بذلك لمعنى قايم بهن من طلب شي ونحوه بل لئلا يكون
مكرها لهن على ما اختاره لنفسه حكاه ابو القاسم النميري بضم النون وفتح
الميم وسكون التحتية وزا نسبة الى نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن
بكر بن هوازن كما في اللباب الثاني لانهن تغايرن عليه قال قتادة
سبب الآية غيرة غايرتها عايشة وقال ابن زيد وقع بين ازواجه تغاير
ونحوه مما يتغير به مزاجه فنزلت حكاها ابن عطية والثالث لان ازواجه
الاولى حذف اللام فيه وفيما قبله طالبنه بالنفقة وتكلفهن وشططن
عليه في تكليفه منها فوق سعته وكان غير مستطيع فكان اولهن ام
سلمة سالته سترا معلما بضم الميم وسكون المهملة وفتح اللام اسم مفعول
من اعلمت الثوب اي جعلت له علما من طراز ونحوه وسالته ميمونة بنت
الحارث الهلالية حلة يمانية وسالته زينب بنت جحش الاسدية لما تقدم
في الزوجات ان اية التخيير انما نزلت وفي عصمته التسع التي توفي عنهن
فليس المراد زينب ابنة خزيمة لموتها عنده صلى الله عليه وسلم قبل
نزول الآية ثوبا مخططا وهو البرد اليماني وسالته ام حبيبة بنت
ابي سفيان الاموية ثوبا سحوليا بسين وحا مهملتين قال المصباح مثل
رسول بلدة باليمن يجلب منها الثياب وينسب اليها على لفظها فيقال
اثواب سحولية وبعضهم يقول سحولية بالضم نسبة الى الجمع وهو غلط
لان النسبة الى الجمع ابو وهو سحل بضمتين اذا لم يكن علما وكان له واحد
من لفظه ترد الى الواحد بالاتفاق وسالته كل واحدة من باقي التسع
شيا الا عايشة حكاه النقاش في تفسيره والرابع ان ازواجه عليه
الصلاة والسلام اجتمعن يوما فقلن نريد ما تريد النسا من
الحلي فانزل الله اية التخيير حكاه النقاش ايضا وذكر انه لما
نصر الله تعالى رسوله وفتح عليه قريظة بالنظا المسالة والنضير
ظن ازواجه انه اختص بنفايس اليهود وذخايرهم بذال وحا
معجمتين اموالهم المعدة لوقت الحاجة جمع ذخيرة فقعدن حوله وقلن
يا رسول الله بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل ونحن على ما
تراه من الفاقة اي الحاجة والضيق والمن فلهم لمطالبتهن له

بتوسعة الحال مع انه خلاف مراده وان يعاملن بما تعامل به الملوك
والاكابر ازواجهم من الحلي والحلل وتوسيع العيش فامره الله تعالى
ان يتلو عليهن ما نزل في امرهن لئلا يكون لاحد منهن عليه
منة في الصبر على ما اختاره من خشونة العيش واخرج مسلم
واحمد والنسائي عن جابر اقبل ابو بكر يستاذن على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم يوذن له ثم اقبل عمر فاستاذن فلم يوذن له ثم اذن
لهما فدخلا والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله نساوه وهو ساكت
فقال عمر لاكلمن النبي صلى الله عليه وسلم لعله يضحك فقال عمر يا رسول
الله لو رايت ابنة زيد امراة عمر سالتني النفقة انفا فوجات عنقها فضحك
النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدا ناجذه وقال هن حولي يسالنني النفقة
فقام ابو بكر الى عايشة ليضربها وقام عمر الى حفصة كلاهما يقول تسالان
النبي صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده فنهاهما رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال نساوه والله لا نساله بعد هذا المجلس ما ليس عنده ثم اعتزلهن
شهرا ثم نزلت عليه هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك الى عظيما فبدا
بعايشة فقال اني ذاكر لك امرا ما احب ان تعجلي فيه حتى تستامري ابويك
قالت ما هو فتلا عليها يا ايها النبي قل لازواجك الاية قالت افيك استامر
ابوي بل اختار الله ورسوله وعند البخاري وغيره عن عمر في قصة
المراتين اللتين تظاهرتا فذكر الحديث بطوله وفيه فاعتزل النبي صلى الله
عليه وسلم من اجل ذلك الحديث حين افشته حفصة الى عايشة وكان
قد قال ما انا بداخل عليهن شهرا من شدة موجدته حين عاتبه الله فلما
مضت تسع وعشرون دخل على عايشة قال فانزلت اية التخيير فبدا بي
اول امراة قال في فتح الباري فاتفق الحديثان على ان اية التخيير نزلت عقب
فراغ الشهر الذي اعتزلهن فيه لكن اختلفا في سبب الاعتزال ويمكن
الجمع بان يكونا جميعا سبب الاعتزال فان قصة المتظاهرتين خاصة بهما
وقصة سوال النفقة عامة في جميع النسوة ومناسبة اية
التخيير لقصة سوال النفقة اليق منها بقصة المتظاهرتين انتهى فلما
اخترنه كلهن على الصحيح الثابت في البخاري ومسلم وغيرهما وما يروى
عند ابن اسحق ان فاطمة بنت الضحاك الكلابية اختارت الدنيا فكانت
تلتقط البعر وتقول هي الشقية وعند ابن سعد ان العامرية اختارت
قومها فكانت تقول هي الشقية فضعفه ابن عبد البر وتبعوه بان
الاية انما نزلت وفي عصمته التسع اللاتي توفي عنهن فقد صرحت
عايشة في الصحيحين بانهن كلهن اخترن الله ورسوله والدار
الاخرة وقد تقدم بسط ذلك في الزوجات وصبرن معه عوضهن
اي قابلهن الله على صبرهن بامرين الباء للمقابلة وهي الداخلة
على الاعواض اثمانا وغير اثمان نحو اشتريته بالف وكافات احسانه

يضعف فالمعنى جعل لهن عوضا عن صبرهن امرين احدهما ان جعلهن
امهات المومنين في الاحترام والتعظيم لا في الخلوة بهن ومنع نكاح
بناتهن واخواتهن كما افاده قوله تعظيما لحقهن وتاكيدا لحرمتهن
وتفضيلهن على ساير النسا وهذا يصلح جعله امرا مستقلا وان
ادمجه المصنف فيما قبله بقوله يا نسا النبي لستن كاحد من النسا قال
السبكي ظاهر الاية ان ازواجه صلى الله عليه وسلم افضل النسا مطلقا
حتى مريم وظاهرها ايضا تفضيلهن على بناته الا ان يقال بدخولهن في
اللفظ لانهن من نسا النبي نقله عنه السيوطي في الاكليل واقره والثاني
ان حرم عليه طلاقهن والاستبدال بهن فقال لا يحل لك النسا
بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج الاية فكان تحريم طلاقهن
مستداما في احد الوجهين والاخر ان له الفراق بعد اختيارهن المقام
معه وهو الاصح كما مر واما قوله تعالى من بعد فمعناه خلاف تعلل انها
حظرت عليه النسا الا التسع اللواتي كن عنده قال ابن عطية وكان الاية
ليست متصلة بما قبلها وقال ابي بن كعب وعكرمة اي من بعد الاصناف
التي سميت ومن قال الاباحة كانت مطلقة قال هنا معناه لا تحل لك اليهوديات
ولا النصرانيات وهذا تاويل فيه بعد واتي روي عن مجاهد انتهى واما تحريم
التزويج عليهن فنسخ قالت عايشة ما مات رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى احل له النسا يعني اللاتي حرمن عليه
ولذا التزوج كما مر تفصيله في الزوجات وقيل الناسخ لتحريمه
عليه قوله تعالى انا احللنا لك ازواجك الاية وان تقدم
عليه في التلاوة وفي ابن عطية ذهب هبة الله الى ان قوله تعالى ترجي
من تشا الاية ناسخ لقوله لا يحل لك النسا من بعد الاية وقال ليس في
كتاب الله ناسخ تقدم المنسوخ الا هذا قال وكلامه مضعف من جهات
انتهى قال النووي في الروضة لما خيرهن فاخترنه كافاهن
الله عز وجل على حسن صنيعهن بالجنة فقال وان كنتن تردن
الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد بسرورهن للمحسنات
المطيعات منكن اجرا عظيما اي الجنة كما قال انتهى وانما اختص
صلى الله عليه وسلم بوجوب التخيير لنسايه بين التسريح
والامساك لان الجمع بين عدد منهن يوغر بضم التحتية وكسر
المعجمة وبالرا يهيج صدورهن بالغيظ والضغن والعداوة بالغيرة
اي بسببها التي هي اعظم الالام ونحوه اي الالم الذي يكاد يفتت
القلب ويوهن الاعتقاد وكذا الزامهن على الصبر والفقر
يوذيهن ومهما القي زمام الامر اليهن بالتخيير خرج عن ان
يكون ما هن عليه ضررا فلا يرد ان الاولى ان يكون ضارا لهن فنزه
عن ذلك منصبه العالي على كل منصب وقيل له يا ايها النبي

قل

قل لازواجك الايتين ومنها اتمام كل تطوع شرع فيه حكاه في الروضة
واصلها قال النووي وهو ضعيف لخبر مسلم انه قال لعايشة ذات
يوم هل عندكم شي قالت اهدي لنا حيس قال هاتيه فاكله ثم قال لقد
كنت اصبحت صايما فلو وجب عليه لم يفطر بعد الشروع في الصوم وفرعه
بعض الاصحاب على انه كان يحرم عليه اذا لبس لامته اي درعه
ثم عليه لام مثل تمرة وتمر وعلى لوم كبعتر على غير قياس كانه جمع لومة
قاله الجوهري ان ينزعها حتى يلقى العدو ويقاتل ذكره في تهذيب
الاسما واللغات الواقعتين في الشرح الكبير للرافعي على وجيز الغزالي
ومنها انه كان يلزمه ادا فرض الصلاة بلا خلل يفسد كما نصا
قاله الماوردي وايضاحه ما قال القرافي ابو اسحق ابراهيم منصور
المصري ولد بمصر سنة عشر وخمسماية وقيل له العراقي لانه سافر الى بغداد
واقام بها مدة يشتغل ثم عاد الى مصر وتولى خطابة الجامع العتيق مات
سنة ست وتسعين في شرح المهذب وهو شرح حسن قاله السيوطي
انه كان معصوما من نقص الفرض انتهى والمراد خلل لا يبطل
الصلاة كترك خشوع فاما المبطل فلا يتوهم وقوعه منه والحق
بالصلاة غيرها من عباداته كالصوم وقال بعضهم من خصايصه انه
كان يجب عليه صلى الله عليه وسلم اذا راى ما يعجبه ان يقول
لبيك ان العيش المعتبر الدايم عيش الاخرة لا عيش الدنيا لكدره
وكونه مع المنغصات الكثيرة ثم هو فان وان طال فان متاع الدنيا قليل
ثم قال هذا البعض حالة يسر بها هذه الكلمة صدرت منه
صلى الله عليه وسلم في انعم ويحتمل انها ضمير عايد له عليه السلام
وهذا انسب بقوله وهو يوم حجه بعرفة وفي اشد حاله وهو
يوم الخندق انتهى ما قاله بعضهم وهو وجه حكاه في الروضة
واصلها كما في الانموذج قال شارحه والثاني لا يجب وهو الاصح لانه
راى ما يعجبه يوم وقعة بدر التي اعز الله فيها الاسلام واهله والفتح
الاعظم الذي هو فتح مكة ولم ينقل انه قال مع توفر الدواعي على نقله
فلو وقع لنقل انتهى ومنها انه كان يوخذ عن الدنيا حالة الوحي
اي عند تلقيه ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وساير الاحكام
التي كلف بها بل هو مخاطب بها في تلك الحالة وهي اية كمال عقله عنها
وان اخذه انما هو بحسب الظاهر لا الحقيقة كما ذكره النووي
في زوايد الروضة عن ابن القاص والقفال وكذا ذكره
ابن سبع والبيهقي وغيرهم وحديث شان الوحي في الصحيحين يخرج
في انه صلى الله عليه وسلم كان ينتقل من حالته المعروفة الى حالة
تستلزم الاستغراق والغيبة عن الحالة الدنيوية حتى ينتهي الوحي
ويفارقه الملك قال السراج البلقيني وهي حالة يوخذ فيها عن

حال الدنيا من غير موت فهو مقام برزخي يحصل له عند تلقي الوحي
ولما كان البرزخ العام ينكشف فيه للميت كثير من الاحوال خص الله
نبيه ببرزخ الحياة يلقي الله فيه وهو مشتمل على كثير من الاسرار
وذلك مستمد من المقام النبوي ويشهد لذلك حديث رؤيا المومن
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة انتهى وتوقف شيخنا في عد هذا
خصوصية حيث كان عقله في تلك الحالة حاضرا لانه لو حصل مثله لاحاد
البشر خرقا للعادة فاستغرق في مشاهدة الله مع حضور قلبه ومعرفة
ما يرد عليه من نفع او ضر لكان مكلفا اللهم الا ان يقال عد خصوصية لكمال
استغراقه حتى ان ما يدركه في الحالة كادراكه في حال نومه للمعاني والاحكام
لانه لا ينام قلبه وذلك بحسب ظاهر الحال يقتضي عدم التكليف انتهى فليتامل
ومنها انه كان ليغان بغين معجمة من الغين وهو الغطا قال النووي
بالنون والميم بمعنى والمراد هنا ما يغشى على قلبه فيستغفر الله
سبعين مرة رواه الترمذي عن ابي هريرة رفعه اني لاستغفر الله
في اليوم سبعين مرة ورواه النسائي وابن حبان من حديث بلفظ اني
لاتوب الى الله في اليوم سبعين مرة وروى البخاري عن ابي هريرة سمعت
صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم
اكثر من سبعين مرة قال السيوطي رحمه الله المختار ان هذا من المتشابه
الذي لا يخاض في معناه وقد سئل عنه الاصمعي فقال لو كان قلب غير
النبي صلى الله عليه وسلم لتكلمت عليه ولكن العرب تزعم ان الغين الغيم
الرقيق انتهى ذكره ابن القاص ونقله عنه ابن الملقن في
كتاب الخصائص واقره ولا يخفى ان ضميرا منها لما وجب عليه لكن في الجزم
بعزوه لابن القاص والملقن نظر اذ لم يصرحا بالوجوب انما قالا وكان
يغان قلبه فيستغفر الله سبعين مرة ولذا اشار السيوطي الى التوقف في
مراد ابن القاص ومتابعه فقال في نقله وعبارة ابي سعد في شرف المصطفى
وليستغفر الله في كل يوم سبعين مرة ولا يدري وعبارة رزين ومما وجب
عليه ان يستغفر الله في كل يوم سبعين مرة ورواه مسلم في الدعوات
وابو داود في الصلاة من حديث الاغر بفتح الهمزة والغين
المعجمة وبالراء ابن عبد الله ويقال ابن يسار المزني ويقال الجهني من
المهاجرين ومال ابن الاثير الى التفرقة بين المزني والجهني وليس
بشيء لان مخرج الحديث واحد ولقد اوضح البخاري العلة فيه وان مسعر
انفرد بقوله الجهني فازال الاشكال قال ابن السكن حدثنا محمد بن
الحسن عن البخاري قال كان مسعر يقول في روايته عن الاغر المزني
والجهني اصح وجزم ابو نعيم وابن عبد البر بان المزني والجهني واحد
كما بينه في الاصابة فقوله في التقريب ومنهم من فرق بينهما هو تبع اوله
وفاقا اخره اي جعلهما اثنين اشارة لابن الاثير وتصحفت في

عبارة

عبارة بقاف اوله ونون اخره من النساخ فاحوجت الشارح الى قوله
ولعل وجه من فرق بينهما انه كان من احدى القبيلتين نسبا وحليفا
للاخرى او نحو ذلك بلفظ انه اي الشان ليغان على قلبي نائب
فاعل يغان اي ليغشى قلبي وقال الطيبي اسم ان ضمير الشان والجملة بعده
خبر له ومفسرة والفعل مسند الى الظرف ومحله رفع بالفاعلية اي
المجازية وهي النيابة واني لاستغفر الله اي اطلب منه الغفر اي
الستر بعدا ظاهره قال الحافظ ويحتمل ان المراد هذا اللفظ بعينه ويرجحه
ما اخرجه النسائي بسند جيد عن مجاهد عن ابن عمر انه سمع النبي صلى الله
وسلم يقول استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه في
المجلس قبل ان يقوم مائة مرة وله عن نافع عن ابن عمر ان كنا لنعد لرسول
الله صلى الله عليه وسلم في المجلس رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الغفور
مائة مرة في اليوم الواحد من الايام ولم يرد يوما معينا مائة مرة لا
يعارض رواية سبعين لان المراد الكثرة لا التحديد ولا الغاية فالمراد استغفر
دائما ابدا وخص المائة لكمالها في العدد المركب من الاحاد والعشرات حتى
انما زاد عليها كالتكرير لذلك كما اشار اليه الحرالي لكن قال في الفتح والمطالع
كلما جاء في الحديث من التعبير بالسبعين قيل هو على ظاهره وحصر عدده
وقيل المراد التكثير والعرب تضع السبع والسبعين والسبعمائة موضع الكثرة
قال في الفتح وقوله في رواية البخاري اكثر من سبعين يحتمل ان يفسر برواية
مائة ووقع عند النسائي من رواية معمر عن الزهري بلفظ اني لاستغفر
الله في اليوم خمسمائة مرة لكن خالف معمرا اصحاب الزهري في ذلك هذا
لفظ مسلم وقال ابو داود في كل يوم بدل قوله في اليوم ولا منافاة
بينهما لان المراد باليوم ما صدق وهو يتحقق مع ذلك كما يتحقق في بعض
الايام قال الشيخ ولي الدين العراقي والظاهر ان الجملة الثانية
اي قوله واني لاستغفر الله الى اخره مرتبة على الاولى التي هي
انه ليغان على قلبي وان سبب الاستغفار الغين ويدل لذلك قوله
في رواية النسائي في عمل اليوم والليلة انه ليغان على قلبي
اي يوم اثر ذلك حتى استغفر الله كل يوم مائة مرة فنزل وفي
رواية له ايضا فاستغفر الله مفرع بفا السببية والفاظ الحديث
المختلفة يفسر بعضها بعضا فتحمل الجملة الثانية على انها مسببة
عن الاولى فتتوافق الروايتين ويحتمل من حيث اللفظ بقطع النظر عن
الروايتين ان تكون الجملة الثانية كلاما برأسه غير متعلقة بما قبله
فيكون عليه السلام اخبر بانه يغان على قلبه واخبر بانه يستغفر
الله في اليوم مائة مرة وليس الاستغفار مسببا عن الغين فاخبر بحصول
الغين مع كثرة الاستغفار رفعا للظن بمن ليس كذلك والجملة حالية مقدرة
انتهى لكن الوجه الاول للقاعدة المحدثين ان خير ما فسرته بالوارد

وقال ابو عبيد القاسم بن سلام بالتشديد البغدادي الامام المشهور المصنف
الثقة الفاضل المتوفي سنة اربع وعشرين ومائتين في غريب الحديث اصل
الغين اي ما وضع له اولا في هذا ما يغشي بفتح اليا والشين الخفيفة
او بضمها وكسر الشين مشددة والاول اظهر القلب اي يعرض له او يستره ويغطيه
عطف تفسير وهو استعارة لما يشغله واصله اي ما وضع له اولا ماخوذ من
غين السما وهو اطباق الغيم عليها فاطلق علي ما يغشي القلب لاشتراكهما
في مجرد التغطية وقال غيره الغين شي يغشي القلب ولا يغطيه كل
التغطية اي لا يغطيه كله كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوي اي في
الجو فلا يمنع ضو الشمس لرقته قال القاضي عياض في الشفا بعد حكايته
لذلك المذكور عن ابي عبيد وغيره فيكون المراد بهذا الغين اشارة
الي غفلات قلبه وفترات نفسه اي فتورها وسهوها اي زوال
صورتها من الفكر وبين ما غفل عنه من فتور وسهو فقال عن مداومة
الذكر اي ذكره لله بلسانه وقلبه ومشاهدة الحق ان اريد به الله
تعالي فالمراد مشاهدته في مزايا مصنوعاته حتي كانه يراه عيانا وان اريد
الحق المتيقن الثابت من العلوم الحقة والامور اليقينية الدينية فهو
واضح ولما كان هذا لا يناسب مقامه صلي الله عليه وسلم اشار الي دفعه
بما لم يتنبه له المعترض بالتعقب الاتي فقال بما اي بسبب ما كان صلي الله
عليه وسلم دفع اليه بالبنا للمجهول اي فوض اليه واعطيه من مقاسات
البشر اي مكابدتهم وتحمل مشاقهم وسياسة الامة تدبيرهم وامرهم
بما يصلح شانهم من ساسه يسوسه اذا قام عليه لاصلاح اموره وهو لفظ
عربي لا معرب كما توهم وهي حكم مخصوص بما يكون بطريق القهر والضبط ومعاناة
الاهل اي تحمل المشاق من جهتهم اي الاعتنا بامورهم والتقيد بما فيه معاشهم
ومقاومة الولي من يواليه ويتبعه اي القيام معه بالمناصرة والحفظ والعدو
بدفع شره وحمله علي الاسلام والتمسك بالحق ومصالح النفس اي نفسه
في امور معاشه وكلفه بالبنا للمفعول معطوف علي دفع اليه من اعبا
بفتح واسكان اخره جمع عبي بالكسر وبفتح اي اثقال حاصلة في ادا
الرسالة وهو ما يكون له في تبليغها ودعوة الخلق وحمل بفتح اوله
الامانة اي من استودعه الله تعالي من اسراره واعطا كل ذي حق حقه
وليس المراد بها طاعة الله التي اوجبها عليه كما قيل كذا في النسيم وحمله شيخنا
علي ما فعناه فقال اي ما كلفه من الاحكام الشرعية سميت امانة لوجوب ادائها
كما يجب ادا الوديعة مثلها لمالكها انتهي والمثبت اوجه وهو صلي الله عليه
وسلم في كل هذا المذكور في طاعة ربه وعبادة خالقه عطف اخص
علي اعم وهذا دفع لتوهم انه كان اللائق ان لا يشغله شي عن ذكر ربه ومشاهدته
بانه لم يشغله به لحظوظ نفسانية ولا لامور ياسية وانما الله شغله بذلك
فما حصل ذلك الا لخدمته التي امره الله بها وبما ورد عليه اذا كان هذا طاعة

وعبادة فلم استغفر منه وجهه علي طريق الاستدراك بقوله ولكن لما كان صلي
الله عليه وسلم ارفع اعلا الخلق مكانة اي رتبة ومنزلة واعلاهم درجة
تمييز له اي الله معرفة فهو اعرف بالله ممن سواه واخر هذا لانه ترتب علي ما قبله
في المعقول والمحسوس وكانت حالته امره وشانه عند خلوص قلبه
لله بحيث لا يمر به سواه وخلو همه وتفرده بربه اي جمع امره منفردا
بالتوجه لجانبه الاعلي فيكون قلبه معه وحده في خلوته فان ذاكرا
لله جليس الرحمن كما ورد عنه صلي الله عليه وسلم واقباله بكليته اي ذاته
كلها قلبا وقالبا عليه ومقامه هنالك اي اقامته مع الله وحده في حضيرة
قدس قربه واشار بالبعد لعلو مقامه ثمت ارفع اي اعلا حاليه اي اشتغاله
بالظاهر وحالة كونه مع الله وكل منهما رفيعة لكن هذه ارفع راي عليه
السلام شاهدا وعلم حال فترته عنها وشغله بسواها اي اشتغاله
بغيرها غضا بمعجمتين اي نقصا كناية عن التنزل من علي حاله اي حالته العلي
وخفضا اي حطا وتنزيلا من رفيع مقامه بالنسبة للحالة الاخري
وان لم يكن كذلك في نفسه لانه في عبادة فاستغفر الله من ذلك لعده
بالنسبة لمقامه الاخر كالذنب قال عياض وهذا التفسير اولي وجوه الحديث
التي ذكرت في توجيهه واشهرها والي معني ما اشرنا اليه مال كثير من
الناس وحام حوله وقرب فقارب ولم يرد اي لم يرد اليه استعارة من
ورود الما اذا اتاه ليستقي منه وفيه اشارة الي ان فيه شفا العليل وثلج
الصدور وان للنفس ظما اليه وفيه بلاغة ظاهرة وقد قربنا غامض
اي ادنينا لمن قاربه خفي معناه الذي لم يتضح وكشفنا للمستفيد طالب
الفايدة العلمية من تجارته الرابحة محياه بضم الميم وفتح الحا وشد اليا وجهه
الحسن شبهه بحسان بخدره وهو اي هذا التفسير مبني اي متفرع علي
جواز الفترات والغفلات والسهو علي جميع الانبيا عليهم السلام في
غير طريق البلاغ فلا يجوز ذكر منه لمنافاته له وقد انتقد عليه بناوه علي
هذا بانه جعل اولا الثلاثة عبارة عن اشتغاله بامر امته واهله ولا غفلة
ولا فترة ولا سهو حقيقة فكيف بناه علي غير اساسه فهو كالغفلة عما
قاله انتهي كلام عياض وتعقب بانه لا يرتضي نسبته صلي الله عليه
وسلم الي ذلك حتي قيل لا ينبغي ذكره لما يلزم عليه من تفضيل الملايكة عليه
بعدم الفترة عن التسبيح والمشاهدة وهو خلاف الاجماع من تفضيله
عليهم وقد منا الجواب عنه بان هذا غفلة من المتعقب لانه اشار الي دفع هذا
الاعتراض بقوله بما كان دفع اليه الخ فلم يشتغل عن ذلك الا لامر الله له بهذا
لما يترتب عليه من حكم واحكام شرعية ولقوله عليه الصلاة والسلام لست
انسي بالتشديد مبنيا للمجهول لاسن في انه ظاهر في ان ذلك لم ينشا عن
غفلة فالاولي جعله جوابا عن التعقب وكانه قال ورد لقوله عليه السلام
بدليل قوله فهذه ليست فترة وانما هي لحكمة مقصودة يثبت بها حكم

شرعي كما اشار اليه عياض فالاولى ان يحمل الحديث على ما حمله عياض
علذ تنبيه وهو ما دفع اي اوصل وفوض اليه من مقاسات البشر وسياسة
الامة ومعاناة الاهل وحمل كل بفتح الكاف وشد اللام اعبا النبوة
وحمل اثقالها عطف تفسير انتهى وحاصله ان ترك التسبيح ونحوه انما
هو لحكم وترتيب احكام شرعية عليها وقد صرح في الشفا بعد هذا المبحث
بكثير لما ذكر سهوه في الصلاة بقوله والسهو هنا في حقه سبب افادة علم
وتقرير شرع كما قال اني لا انسى او انسى لا سن بل قد روي لست انسى بل
انسى لاسن وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام النعمة عليه بعيدة
عن سمات النقص واغراض الطعن وقيل الغين شي يعتري القلب
الصافي مما يقع من حديث النفس لا بالمعنى الاول فهو من جملة الاجوبة
وقال شيخنا ليس مقابلا للخلاف السابق في معناه بل هو سبب لما يحصل
للقلب مما يغشاه وفيه ان المتبادر خلافه وقد جعله النووي من جملة
الاجوبة ويدل على ذلك ما قاله الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر في فتح
الباري في كتاب الدعوات وهذا اشار اليه الرافعي في اماليه وقال
ان والده كان يقرره جوابا عن الحديث وقيل كانت الهمة التي
كانت تعتري القلب حالة يطلع فيها على احوال امته فيستغفر الله
لهم اي يدعو بالمغفرة لما صدر منهم او سيصدر وقال لغين خواطر فيما يتعلق
بهم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم واستغفاره انما هو لهم فلا اشكال
اصلا وقيل هو اي الغين السكينة الوقار والتاني والطمانينة
في الامور التي تغشى قلبه اي تعرض له والاستغفار عندها
لاظهار العبودية لله تعالى والافتقار اليه والشكر لما اولاه فالغين
ليس نقصا بل صفة كمال اذ هو خشوع وخضوع والاستغفار عنده شكر
لتلك النعمة وقال شيخ الاسلام الحافظ ولي الدين احمد بن الحافظ عبد
الرحيم العراقي ايضا هذه الجملة حالية اخبر عليه السلام انه يغان
على قلبه مع ان حاله الاستغفار في اليوم ماية مرة وهي حال
مقدرة لان الغين ليس موجودا في حال الاستغفار بل اذا جا
الاستغفار اذهب ذلك الغين فليست الجملة الثانية مسببة عن الاولى
قال ابن العراقي وعلى تعليق احدى الجملتين بالاخرى وان الثانية
مسببة عن الاولى كما هو الظاهر المؤيد برواية النسائي فاستغفر واحتى
استغفر كما مر فيحتمل ان يكون هذا الغين مغطية للقلب عن امور
الدنيا وحجابا بينه وبينها فيجتمع القلب حينئذ اي حين يحصل له
ذلك على الله تعالى ويتفرغ للاستغفار شكرا وملازمة للعبودية
وهذا قريب اوسنا وللسكينة التي حكاها اولا بقوله وقيل هو السكينة
الخ كذا قيل وفيه نظر لان السكينة مفسرة بالوقار والتاني في الامور وهذا
حجب بينه وبين الامور فهو غيره قطعا وقد ذكر الامرين في الشفا كما

قال لعل هذا المعنى هو ما قاله القاضي عياض انتهى كلام الولي ومراده بقوله
فيه الشفا وقد يحتمل الحديث ان يكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام
تغشى قلبه اي تعرض له من تصوره ذلك فيستغفر حينئذ اي حين
غشيته هذه الحالة شكرا لله تعالى على نعمة جليلة ان عرفه عظمته وخشيته
وهو اعظم المعلومات وملازمة دوام العبودية اذ مقتضاها
نفسه مقصر الا يفي باداء خدمته فلذلك يستغفره ويقربه قوله الشفا كما
قال صلى الله عليه وسلم في ملازمة العبادة افلا اكون عبدا شكورا قال
الشيخ زين العراقي وهو عندي كلام حسن جدا بالغ في الحسن ويكون
الجملة الثانية مسببة عن الاولى لا بمعنى انه يسعى بالاستغفار في ازالة
الغين لانه كمال بل بمعنى ان الغين اصل محمود اي امر محمود عليه وهو الذي
يتسبب عنه الاستغفار او يترتب عليه وهذا اثره الا ان الا بعد تعاطي
الاعتراضات والتكلفات واحسنها لان الغين وصف حسن محمود ومعنى
يحمد وهو الذي ينشا عنه الاستغفار فنشا محمود عن محمود وعلى الاول
الذي هو الغفلات والفترات بالمعنى المتقدم يكون الغين مما ينبغي
ازالته بالاستغفار وما ترتب الاشكال واحتاج السؤال الا على تفسير
الغين بذلك اي الغفلة والسهو بالمعنى المار فاهل اللغة انما فسروا الغين
بالغشاء وهو كل ما يطرا عليه فتحمله على معنى يليق بحاله صلى الله
عليه وسلم وهو الغشا الذي يطرق القلب ويحجبه عن امور الدنيا لا سيما وقد
رتب على ذلك الغشا اضافة بيانية امر محمود وهو الاستغفار فما نشا عنه
الامر الحسن الا امر حسن انتهى كلام العراقي وذكر الشيخ تاج الدين بن
عطا الله ما ينفي هذا في كتابه لطائف المنن في مناقب الشيخ ابي العباس
والشيخ ابي الحسن ان الشيخ ابا الحسن علي بن عبد الله المغربي الشاذلي
الغربي الهاشمي من ذرية محمد بن الحنفية حدث في ترجمة شيخ الشاذلية
قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فسالته عن هذا الحديث
انه ليغان على قلبي فقال لي يا مبارك ذلك غين الانوار لا غين
غين الاغيار اذ لا يعتريه ولهذا قال انما ينبغي حق المقربين من الانبياء
والملائكة حق اجلال واعظام وان كانوا امنين عذابه وقال المحرر
لا تعتقد ان الغين حالة نقص بل هو كمال او تتمة كمال ثم مثل ذلك بجفن العين
حين يسبل ليدفع القذى عن العين مثلا فانه يمنعها من الرؤية فهو من هذه
الحيثية نقص ومن الحقيقة هو كمال فهذا تحصل كلامه بعبارة طويلة
قال فهكذا بصيرة النبي صلى الله عليه وسلم متعرضة للاغبرة الثائرة من
انفاس الاغيار فدعت الحاجة الى الستر على حدقة بصيرته صيانة لها ووقاية
عن ذلك انتهى وقد استشكل وقوع الاستغفار من النبي صلى الله عليه
وسلم وهو معصوم والاستغفار يستدعي وقوع معصية واجيب باجوبة
منها ما تقدم في تفسير الغين ومنها قول ابن الجوزي هفوات الطباع البشرية

لا يسلم منها احد والانبيا وان عصموا من الكبائر لم يعصموا من الصغائر كذا
قال وهو مفرع على خلاف المختار والراجح من عصمتهم من الصغائر ايضا ومنها
قول ابن بطال الانبيا اشد الناس اجتهادا في العبادة لما اعطاهم الله من المعرفة
فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير انتهي ومحصل جوابه ان
الاستغفار من التقصير في ادا الحق الواجب له تعالى ويحتمل ان يكون لاشتغاله
بالامور المباحة من اكل وشرب او جماع او نوم او راحة او مخاطبة الناس والنظر
في مصالحهم ومحاربة عدوهم تارة ومداراته اخرى وتاليف المولفة وغير
ذلك مما يحجبه عن الاشتغال بذكر الله والتضرع اليه ومشاهدته ومراقبته
فيرى ذلك ذنبا بالنسبة الى المقام العلي وهو الحضور في حظيرة القدس ومنها
ان استغفاره تشريع لامته ومن ذنوبهم فهو كالشفاعة لهم وقال الغزالي
كان صلى الله عليه وسلم دائم الترقي فاذا ارتقى الى حال راى ما قبلها ذنبا فاستغفر
من الحال السابق وهذا مفرع على ان العدد المذكور في استغفاره كان مفرقا
بحسب تعدد الاحوال وظاهر الفاظ الحديث يخالف ذلك اذ ليس فيها ما يدل على
افتراق واجتماع انتهي وقد اقتصر المصنف في هذا القسم على ما ذكره وزاد عليه
غيره فيه اكثر مما ذكر . القسم الثاني . ما اي شيئا اختص به صلى
الله عليه وسلم على الامة فلا ينافي مشاركة الانبيا له في بعضها ما حرم عليه
دون امته ليكثر ثوابه في اجتنابه وخص بها تكرمة له لان اجر ترك المحرم
اكثر من اجر ترك المكروه وفعل المندوب فمنها اي المحرمات عليه وعلى اله
لاجله تحريم الزكاة عليه اي اخذها وعدم سقوطها عن مالكها لو وقع م
وكذا الصدقة والكفارة والنذر على الصحيح المنصوص المشهور قال عليه
الصلاة والسلام انا لا ناكل الصدقة وهي تشمل الفرض والنفل رواه
مسلم ثم قال البلقيني وخرجت على ذلك انه يحرم ان يوقف عليه معينا
لان الوقف صدقة تطوع قال وفي الجواهر ما يؤيده فانه قال صدقة التطوع
كانت حراما عليه وعن ابي هريرة ان صدقات الاعيان كانت حراما عليه دون
العامة كالمساجد ومياه الابار قاله في الانموذج ومن قال باباحتها له
يقول لا يلزم من امتناعه من اكلها تحريمها فلعله ترك ذلك تنزيها مع اباحتها
له وهذا خلاف ظاهر الحديث بل يرده قوله صلى الله عليه وسلم انا ال
محمد لا تحل لنا الصدقة رواه احمد باسناد قوي كما في الفتح وجزم الحسن البصري
بان الانبيا مثله لانها اوساخ وقال ابن عيينة تحل لهم بدليل فتصدق
علينا قال شيخ الاسلام ابن العراقي في شرح التقريب وعلى كل حال مفيد ان
من خصائصه عليه الصلاة والسلام الامتناع من اكل الصدقة اما وجوبا واما
تنزيها انتهي لان القائل بالتنزيه لم يقل باكلها والحكمة في ذلك صيانة منصبه
الشريف عن اوساخ اموال الناس لان الصدقة تطهر المال واجبة كالزكاة او
مندوبة كالتطوع ولانها تنبئ عن ذل الاخذ وعز الماخوذ منه وابدلوا بها الفيء
الماخوذ بالقهر والغلبة لانبائه بعز الاخذ دون الماخوذ منه ومنها تحريم

الزكاة على آله وهم مؤمنوا بني هاشم وبني المطلب عند الشافعية وبعض
المالكية والمشهور عندهم بنوا هاشم فقط لقوله صلى الله عليه وسلم ان هذه
الصدقات انما هي اوساخ الناس وانها لا تحل لمحمد ولا لال محمد رواه مسلم ولقوله
ان الله حرم علي الصدقة وعلى اهل بيتي رواه ابن سعد وغيره قال الطيبي
وقد اجتمع في الحديث مبالغات شتى حتى جعل المشبه به اوساخ الناس للتهجين
والتقبيح تنفيرا واستقذارا واجل حضرة الرسالة ومنبع الطهارة ان ينسب
الى ذلك فجرد عن نفسه الطاهرة من يسمى محمدا كانه غيره وهو هو فان الطيبات
للطيبين لا يقال كيف اباحها لبعض امته ومن كمال ايمان المرء ان يحب لاخيه ما
يحب لنفسه لانا نقول ما اباحها لهم عزيمة بل اضطرارا وكم من حديث يراه
ناهيا عن السوال فهي فعلى المحارم ان يراها كالميتة فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فلا اثم عليه انتهي وتحريم كون اله عمالا ولو من بعضهم لبعض على الزكاة
في الاصح لخبر الحاكم عن علي قلت للعباس سل رسول الله ان يستعملك على
الصدقة فساله فقال ما كنت لاستعملك على غسالة الايدي وكذا يحرم صرف
النذر والكفارة اليهم وكون تحريم ذلك على اله بسبب انتسابهم اليه عد ذلك
من خصائصه واما صدقة التطوع فتحل لهم في الاصح عند الشافعية
والحنابلة واكثر الحنفية وهو الصحيح المشهور عند المالكية ونص عليه مالك
وابن القاسم واما قوله خلافا للمالكية وضعيف غيره فيه كالسيوطي اقتصارا
العلامة عليه وما علم انه متعقب وهو وجه عندنا واستدل للحل بما رواه
الشافعي عن ابراهيم بن محمد عن جعفر بن محمد عن ابيه انه كان يشرب من سقايات
بين مكة والمدينة فقيل له اتشرب من الصدقات فقال انما حرم علينا
الصدقة المفروضة واخرجه البيهقي من طريق الشافعي فتثبت ذلك في حق القرابة
وقيل بهما مواليهما زاد في الانموذج وعلى موالي اله اي خص بتحريم الزكاة عليهم
في الاصح لقوله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لا تحل لنا وان مولى القوم من
انفسهم ومنها انه يحرم عليه صلى الله عليه وسلم اكل ما له رائحة كريهة
كثوم بضم المثلثة وبصل وكراث اذا كان ذلك نيا لتوقع مجي الملائكة والوحي
له كل ساعة فيتاذون بريحه لا مطبوخا فكان ياكله كما رواه ابو داود والترمذي
لانتفا العلة وروى ابو داود عن عائشة اخر طعام اكله في بيتي فيه بصل زاد
البيهقي كان مشويا في قدر ولا كل متكيا اي مائلا على احد شقيه او معتمدا
على وطا تحته او على يده اليسرى اقوال مرت رجح بعضهم اوسطها وبعضهم اولها
وهذا في احد وجهين فيهما وهو مذهب مالك والاصح في الروضة كراهة
لما في مسلم ان ابا ايوب صنع للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فيه بصل وفي رواية
ارسل اليه بطعام فيه بصل او كراث فرده فقال احرام هو قال لا لكني اكرهه
وتعقب السهيلي الانكار اي القول بتخصيصه فقال قد يكره لغيره ايضا
لانه من فعل المتعظمين وقد تقدم مزيد لذلك في الاطعمة ومنها تحريم
الكتابة والشعر بجميع انواعه ومنه الرجز عند الجمهور خلافا للاخفش وتعلما

بيتجه كما قال الرافعي القول بتحريمهما عليه ممن يقول انه صلي الله عليه
وسلم كان يحسنهما ولكن لا يكتب ولا يقول الشعر والاصح انه كان
لا يحسنهما ولا ولكن لا يكتب ولا يقول الشعر لان الله تعالي قال وما كنت
تتلوا من قبله اي القران من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون
اي اليهود وقالوا الذي في التوراة انه امي وقال تعالي وما علمناه
الشعر وما ينبغي له اي ما هو في طبعه ولا يحسنه ولا تقتضيه جبلته
سجيته وطبيعته ولا يصلح له تفسير لما ينبغي واجيب عن عدهما من الخصايص
كما اجاب به النووي في الروضة فقال بان لا يمتنع تحريمهما وان كان لا يحسنهما
فان المراد تحريم التوصل اليهما بان يريد تعلم ذلك قال شيخنا ولعل القايل
بعدم حرمته يري ان هذا المائم يكن في طبيعته كان كالمحال عليه فلا يخطر
في نفسه حتي يمنع من التعلم له وهل منع الشعر خاص به عليه السلام
لما رواه الطبراني عن علي لما قتل ابن ادم اخاه بكي ادم وقال
• تغيرت البلاد ومن عليها • فوجه الارض مغبر قبيح •
• تغير كل ذي طعم ولون • وغيب ذلك الوجه المليح •
او خاص بنوع الانبيا لما رواه الثعلبي عن ابن عباس قال ان محمدا والانبيا
كلهم في النهي عن الشعر سوا قال بعضهم هو عام لقوله تعالي وما علمناه
الشعر وما ينبغي له لانه لا يظهر وفيه الخصوص نكتة لان الشعر مبني
علي تخيلات مرغبة ومنفرة ونحوهما مما لا يليق بمقامه صلي الله عليه وسلم
فصرفت طبيعته عن ذلك لعده نقصا بالنسبة له وهذا المعني موجود في
حق جميع الانبيا لان الحكم يدور مع العلة وجودا وعدما وتقدم في قصة
الحديبية البحث في كونه عليه السلام كان يحسن الكتابة ام لا وان
الصحيح لا ومنها تحريم نزع لامته وهي الدرع والسلاح بهمزة ساكنة بعد
اللام وقد تخفف اذا لبسها حتي يقاتل ان احتيج له فلو هرب عدوه او
حصل بينهم صلح او نحو ذلك جاز نزعها وقد يشعر به قوله او يحكم الله
بينه وبين عدوه لما رواه احمد وحسنه البيهقي وعلقه البخاري
عن جابر انه صلي الله عليه وسلم قال ليس لنبي اذا لبس لامته ان يضعها
حتي يقاتل ولاحمد ايضا والطبراني والبيهقي عن ابن عباس مرفوعا ما ينبغي
لنبي ان يضع اداته بعد ان لبسها حتي يحكم الله بينه وبين عدوه وذكر
في كل حديث غاية يجمع المصنف بينها زاد في الانموذج وكذلك الانبيا قال
ابو سعيد وابن سراقة وكان لا يرجع اذا خرج الي الحرب ولا ينهزم اذا لقي
العدو ومنها المن ليستكثر ذكره الرافعي وغيره قال الله تعالي
ولا تمنن تستكثر اي لا تعط شيا فتطلب اكثر منه
لانه طمع لا يليق به بل اعط لربك واقصد به وجهه فادبه باشرف
الاداب واجل الاخلاق فان من اعطي ليثاب اكثر لم يكن له اجر لقصده
الاستكثار قاله اكثر المفسرين ومنهم ابن عباس قال ابن عطية وكانه

من

من قولهم من اذي اعطي وقال الضحاك ومجاهد هذا كان للنبي
صلي الله عليه وسلم خاصة لما ثبت عندهما بذلك والا فالاية بمجردها
لا تفيد الخصوصية وليس محرم علي احد من امته ذلك بل هو سايغ
لهم لكن لا اجر لهم فيه قال مكي وهذا معني قوله تعالي وما اتيتم من ربا
ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله وقال قتادة لا تعط شيا لمجازاة
الدنيا اي اعط لربك هو مثل قول الاكثر والذي في ابن عطية عن قتادة
ان المعني لا يدل بعلمك ففي هذا التاويل تحريض علي الجد وتخويف وعن
الحسن البصري لا تمنن علي الله بعملك فتستكثره وتعجب به وقيل
اي قال ابن زيد لا تمنن علي الناس بالنبوة فتاخذ عليها اجرا
وعوضا من الدنيا وحكي النقاش عن ابن عباس انه قال لا تمنن تستكثر
دعوت فلم اجب قال ابن عطية فهذه الاقوال كلها من المن الذي هو
تعديد اليد وذكرها وقال مجاهد معناه لا تضعف فتستكثر ما حملناك
من اعبا الرسالة فهذا من قولهم حبل منين اي ضعيف انتهي ومنها
مد الاعين الي ما متع بضم الميم وكسر الفوقية مشددة به الناس
من زهرة الحياة الدنيا قال الله تعالي ولا تمدن عينيك لا تنظر بهما
الي ما متعنا به اي استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا
منهم زهرة الحياة الدنيا زينتها وبهجتها لنفتنهم فيه اشكالا واشباه
من الكفار وهي المزاوجة بين الاشيا وهي المشاكلة وعن
ابن عباس في تفسير ازواجا قال اصنافا منهم فانه مستحقر
بالاضافة الي ما ادته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الي
دوام اللذات كما قال ورزق ربك خير وابقي اخرج ابن ابي شيبة وابن
مردويه والبزار وابو يعلي عن ابي رافع قال اضاف النبي صلي الله عليه وسلم
ضيفا فارسلني الي رجل من اليهود ان اسلفني دقيقا الي هلال رجب
فقال لا الا برهن فاتيت النبي صلي الله عليه وسلم فاخبرته فقال اما والله
اني لامين في السما امين في الارض فلم اخرج من عنده حتي نزلت هذه
الاية ولا تمدن عينيك الي ما متعنا به ازواجا منهم ومنها خاينة
الاعين وهي الايما الاشارة بالعين او الحاجب او غيرهما خفية الي
مباح من قتل او ضرب او حبس علي خلاف ما يشعر به الحال
اي ما يظهره المومي سمي خاينة لشبهه بالخيانة من غير خفايه كما قيل له
عليه الصلاة والسلام في قصة رجل هو عبد الله بن سعد بن ابي
سرح اراد قتله لانه كان يكتب له بمكة فازله الشيطان فكفر فاهدر دمه
فيمن اهدر يوم فتح مكة فاختبا عند عثمان فلما دعا النبي صلي الله عليه
وسلم الناس الي البيعة جاء به عثمان فقال يا رسول الله بايع عبد الله
فرفع راسه فنظر اليه ثلاثا كل ذلك يابي فبايعه بعد ثلاث ثم اقبل علي
اصحابه فقال اما كان فيكم رجل رشيد يقوم الي هذا حين كففت يدي عن

وعن م

سبا بعته فيقتله فقال رجل يهلها ومات اليها بعتله فقال ما
كان ينبغي ان تكون له خاينة الاعين رواه ابو داود والنسايي
وصححه الحاكم وافاد سبط ابن الجوزي ان الرجل عباد بن بشر الانصاري
وقيل عمر بن الخطاب فاسلم عبد الله وحسن اسلامه وعرف فضله وجهاده
وكانت له المواقف المحمودة في الفتوح وولاه عمر صعيد مصر ثم ضم اليه عثمان
مصر كلها وكان محمود الامر في ولايته واعتزل الفتنة حتى مات سنة سبع او تسع
وخمسين قال اللهم اجعل اخر عملي الصبح فتوضى وصلى فسلم عن يمينه
ثم ذهب يسلم عن يساره فقبضت روحه رضي الله عنه كما تقدم مبسوطا
في الفتح ولا يحرم ذلك على غيره الا في محظور اي ممنوع قاله
الرافعي فيما نقله الحجازي في مختصر الروضة قال بعض بل اذا كان
الا بماح محظور فليس من خاينة الاعين في شي ومنها نكاح من لم
يهاجر الى المدينة في احد الوجهين قال الله تعالى يا ايها
النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن اي
مهورهن سمي المهر اجرا على البضع بضم فسكون اي الفرج
وتقييد الاحلال باعطايها معجلا لا يتوقف الحل عليه بل
لايثار الافضل مثله في البيضاوي ولا ينبغي الحمل عليه اذ يمكن ان
معنى اتيت اجورهن التزمته في ذمتك ثم اديته بعد كتقييد غلا
المملوكة بكونها نسبية في قوله وما ملكت يمينك مما افا الله
عليك من الغنايم فان مثله الشرا والهبة والهدية ونحو ذلك قال ابن
عطية بريد او على استك لانه في غنيمة وملك اليمين اصله الغنى من
المقتم او ممن تناسل ممن سبي والشرا من الحربيين كالسبا ومباح النسا
هو من الحربيين ولا يجوز سبي من له عهد ولا تملكه ويسمى سبي الخبثة
وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك
يعني من نسا بني زهرة اللاتي هاجرن معك اي الى المدينة
لانها حقيقة الهجرة الشرعية قالوا والمراد بها جرن كما هاجرت
وان لم تكن هجرتها في حال هجرته اذ لم يهاجر معه احد وظاهره
يدل على ان الهجرة شرط في التحليل وان من لم يهاجر من النساء لم
يحله نكاحها لانه قيد حل المذكورات بالهجرة يويد هذا ما رواه
الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عباس قال قالت ام هاني
خطبني النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه بعذر فقلت
مالي عنك رغبة يا رسول الله ولكن لا احب ان اتزوج وبني صغار فقال
صلى الله عليه وسلم خير نسا ركبن الابل نسا قريش احناه على طفل في
صغره وارعاه على بعل في ذات يده رواه الطبراني عنها برجال
ثقات وروى ابن سعد بسند صحيح عن الشعبي فقالت يا رسول الله لانت
احب الي من سمعي وبصري وحق الزوج عظيم ان اضيع حق الزوج فعذرني اي

قبل

قبل عذري فانزل الله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي بالتاء في قراءة الجمهور وقراءة الاعمش باليا هاجرن معك
فلم اكن لاحل له فاني لم اهاجر معه كنت من الطلقا وعن بعض
المفسرين ان شرط الهجرة في التحليل منسوخ وبه جزم البغوي
ولم يبدر ناسخه على انه لا حاجة لدعوى النسخ فقد ذهب الضحاك
وابن زيد الى ان معنى الاية ان الله اباح له كل امراة يوتيها مهرها
وملك اليمين واباح له قراباته وخصصهن بالذكر ووصفهن بالهجرة تشريفا
لهن واباح له الواهبات خاصة فهي اباحة مطلقة في جميع النسا خلا المحارم
لاسيما على ماذكره الضحاك ان في مصحف ابن مسعود واللاتي هاجرن بالواو
ثم قال ترجي من تشا الى اخره اي من هذه الاصناف كلها فيجري الضمير بعد
ذلك على العموم الى قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج فيعود على النسخ فقط
على الخلاف في ذلك ذكره ابن عطية وعن الماوردي قولان ذكرهما في معنى
الاية احدهما ان الهجرة شرط في احلال كل النسا له عليه السلام
من غريبة وقريبة من جهة ابيه او امه والثاني انها شرط في احلال
بنات عمه وعماته المذكورات في الاية وليس شرطا في الاجنبيات
وقد يويده حديث ام هاني وعنه ايضا حكاية قول ثالث ان المراد بالمهاجرات
المسلمات فتحل له جميع النسا مهاجرات ام لا من اقاربه او غيرهن وهذا
هو الاصح في الحكم دون التحريم ولكن ادق من كون المراد المسلمات ما نقله
ابن عطية كما رايت ومنها تحريم امساك من كرهته قاله الحجازي وغيره
كما هو قضية تخيير نسايه وما رواه البخاري عن عايشة ان امراة الجون
لما دخلت عليه صلى الله عليه وسلم ودنى منها قالت اعوذ بالله منك فقال
لها لقد عذت بعظيم الحقي باهلك وفي رواية لقد عذت بمعاذ بفتح الميم اي بالذي
يستعاذ به وهو الله قال ابن الملقن يفهم منه انه يحرم عليه نكاح كل امراة
كرهت صحبته وبحث فيه شيخنا بجواز انه لما فهم كراهتها له لم يرد ابقاها
وان جاز وفيه نظر وقد زاد في الانموذج وتحرم عليه موبدا في احد الوجهين
ومنها نكاح الكتابية ولو ذمية لان ازواجه امهات المومنين ولا يجوز
ان تكون الكافرة امهم وزوجات له في الاخرة لحديث زوجاتي في الدنيا
وزوجاتي في الجنة ومعه في درجته في الجنة لقوله سالت ربي ان لا
اتزوج الا من كان معي فاعطاني رواه الحاكم وصححه والجنة حرام على الكافرين
ولانه اشرف من ان يضع ماه في رحم كافرة قالوا ولو
نكح كتابية لهديت الى الاسلام كرامة له اي لو فرض ذلك والا فلم
يتفق له صلى الله عليه وسلم نكاح كتابية ومنها نكاح الامة المسلمة
لانه مقيد بخوف العنت وهو معصوم وبفقد مهر الحرة ونكاحه غني
عن المهر ابتدا وانتها وفيه رق الولد ومنصبه منزه عنه وقال البلقيني
لا يتصور في حقه فقط اضطرار الى نكاحها بل لو اعجبته امة وجب على

ما لكها بذ لها اليه هبة فيا سا على الطعام ولقد قدر نكاحه امة كان ولده منها حرا على الصحيح وان قلنا بالمشهور من جري الرق على العرب ولا تلزمه قيمته لتعذر الرق قاله القاضي حسين بخلاف ولد المغرور بحرية امة لفوات الرق بظنه وهنا بتعذر الرق قاله القاضي حسين وقال ابو عاصم تلزم نقله الحجازي وايد الرافعي الاول بقول امام الحرمين لو قدر نكاح غرور في حقه لم تلزمه قيمة الولد لانه مع العلم بالحال لا ينعقد رقيقا فمع الجهل به اولى قال ابن الرفعة وفي تصوير ذلك في حقه نظر ولا يشترط في حقه حينئذ اي حين قدرنا نكاحه امة خوف العنت اذ لا يتصور فيه لعصمته ولا فقد الطول زاد الانموذج وله الزيادة على واحدة اي بخلاف امته فلا يزيدون على امة واحدة اذا خيف العنت وفقد الطول واما التسري بالامة الكتابية فالاصح الحل لانه صلى الله عليه وسلم استمتع بامته ريحانة القرظية على الاكثر وقيل النضرية قبل ان تسلم لا براءة انه اشرف من ان يضع ماءه في رحم كافرة لانه جزء علة والحكم ينتفي بانتفائه بخلاف المعلل بعلتين فينتفي ما بقيت احداهما والسرية ليست ام المومنين وقال بعض لان القصد بالنكاح اصالة التوالد فاحتيط له وبانه يلزم فيه ان تكون الزوجة ام المومنين بخلاف الملك فيهما وعلى هذا فهل يجب عليه تخييرها بين ان تسلم فيمسكها او تقيم على دينها فيما رفها فيه وجهان احدهما نعم لتكون من زوجاته في الاخرة والثاني لا لانه لما عرض على ريحانة الاسلام فابت الا اليهودية لم يزلها عن ملكه واقام على الاستمتاع بها ولانه علم بانها ستسلم بعد وان تمتعه بها يكون سببا لاسلامها فيسهل ذكره له وقد اسلمت بعد وكان يطاوها بالملك جزم به ابن اسحق وقيل اعتقها وتزوجها ورجحه الواقدي وماتت سنة عشر مرجعه من حجة الوداع ورد قول بانه لا ينفع هذا وما جزموا به من استمتاعه بها قبل ان تسلم يخالف لقول ابن اسحق سباها صلى الله عليه وسلم فابت الا اليهودية فعزلها ووجد في نفسه فبينما هو مع اصحابه اذ سمع وقع نعلين خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن سعية يبشرني باسلام ريحانة فبشره فسره ذلك وعرض عليها ان يعتقها ويتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو احق علي وعليك فتركها واصطفاها لنفسه وكذا ذكره الواقدي وابن سعد انه صلى الله عليه وسلم عزلها ثم ارسلها الى بيت ام المنذر بنت قيس فدخل عليها قالت فاختبات منه حيا فدعاني فاجلسني بين يديه وخيرني فاخترت الله ورسوله قال في الانموذج وكان اذا خطب امرأة فرد لم يعد كما في حديث مرسل فيحتمل التحريم والكراهة قياسا على امساك كارهته ولم ار من تعرض له وشنع عليه شارحه فقال هذا لا دلالة فيه على الخصوصية بوجه فاثباتها من قبيل الرجم بالغيب وهذا على عادته في تحامله عليه اذ لم

يثبت

يثبت له خصوصية وانما ابدى احتمالا في المرعي مع القياس كما ترى فاذا لم يقم على احد الاحتمالين فما ذا يكون معناه ومنها تحريم الاغارة على قوم يريد غزوهم اذا سمع التكبير اي الاذان لخبر الصحيحين عن انس كان صلى الله عليه وسلم اذا غزا قوما لم يغز حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا اغار عليهم كما ذكره ابن سبع في الخصائص وتعقب بانه ليس في الحديث ما يصرح بل ولا ما يلوح بانه من خصائصه وزاد في الانموذج وان يخدع في الحرب فيما ذكر ابن القاص وخالف فيه الجمهور وعد القضاعي وغيره انه لا يقبل هدية مشرك ولا يستعين به ولا يشهد على جور وحرم عليه الخمر من اول بعثته قبل ان تحرم على الناس بنحو عشرين سنة فلم تبح له قط وفي الحديث اول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الاوثان شرب الخمر وملاحاة الرجال ونهي عن التعري وكشف العورة من قبل ان يبعث بخمس سنين وقالت عايشة ما رايت منه ولا راى مني ونهي عليا عن انزاء الحمر على الخيل نهيا خاصا عد هذه رزين وكان لا يصلي على من غل ولا على من قتل نفسه وفي المستدرك عن ابي قتادة كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا الى جنازة سال عنها فان اثني عليها خيرا صلى عليها وان اثني عليها غير ذلك قال لاهلها شانكم بها ولم يصل عليها وفي سنن ابي داود حديث ما ابالي ما اتيت ما اتيت ان انا شربت ترياقا او تعلقت تميمة او قلت شعرا من قبل نفسي قال ابو داود هذا كان له خاصة وقد رخص في الترياق لغيره انتهى وقد رخص ايضا في تعليق التمايم لغيره اذا كان بعد نزول البلاء انتهى وقوله ان انا شربت شرط حذف جوابه لدلالة الحال عليه اي ان فعلت هذا لا ابالي كل شي اتيت به لكني ابالي من اتيان بعض الاشيا وادخال اللام هنا بعض ما حرم على غيره له كرفع الصوت عليه لا ينبغي لان القسم فيما حرم عليه هو صلى الله عليه وسلم مع ان غالبه مما ذكره ادمجه المصنف في القسم الرابع

القسم الثالث ما اختص به صلى الله عليه وسلم من المباحات

والتخفيفات له دون غيره توسعة عليه وتنبيها على ان ما خص به منها لا لا يلهيه عن طاعته وان النبي غيره وليس المراد بالمباح هنا ما استوى طرفاه بل ما لا حرج في فعله ولا في تركه قال في المطلب المباح في عرف الفقها ما استوى طرفاه وقد يطلق على ما لا اثم فيه وهو المراد فيما نحن فيه لان الطرفين لم يستويا في كل الصور فانه يثاب على الوصال وصفي المغنم فقد يكون الراجح فعله ايضا لانه يصرفه في اهم المهمات وقد يكون الراجح تركه وكذا دخول مكة بلا احرام فانه في حال يكون راجحا وجد وفي بعض حال يكون الفعل ارجح لعقد ما لاجله يرجح الترك وكذا اباحة التصدق بجميع ما يملكه والزيادة على اربع لانتفا وي فيه فان اقواله وافعاله كلها راجحة فيثاب عليها انتهى اختص عليه السلام باباحة المكث في المسجد جنبا قاله صاحب التلخيص هو ابن القاص ومنهم

القفال وهو المعتمد قال النووي وما قاله في التلخيص قد يحتج
له بقوله عليه الصلاة والسلام في حديث ابي سعيد الخدري يا علي
لا يحل لاحد ان يجنب في هذا المسجد اي يمكث فيه جنبا غيري وغيرك
قال الترمذي حسن غريب وقد يعترض علي هذا الحديث اي الاحتجاج
به بان راويه عن ابي سعيد عطية بن سعد العوفي الكوفي المتوفي
سنة احدي عشرة ومائة ضعيف عند الجمهور وفي التقريب صدوق
يخطي كثيرا وكان شيعيا مدلسا روي له ابو داود والنسائي والترمذي
ويجاب بان الترمذي حكم بانه حسن فلعله اعتضد تقوي
بما اقتضي حسنه فان له شواهد كحديث ام سلمة رفعته الا ان مسجدي
حرام علي كل حائض من النسا وكل جنب من الرجال الا محمدا وال بيته علي وفاطمة
والحسن والحسين رواه البيهقي وحديث عائشة مرفوعا لا يحل المسجد لحائض
ولا جنب الا لمحمد وال محمد رواه البخاري في تاريخه والبيهقي وروي ابن عساكر
عن جابر نحوه لكن اذا شاركه عليه الصلاة والسلام علي في ذلك
لم يكن من الخصائص ويجاب بان له ان يخص من شا بما شا كابا في تخصيص
علي بعض صحابته بما لا يمنع كونه منها وقد غلط امام الحرمين وغيره
صاحب التلخيص في الاباحة لكن لا ينبغي محض التغليط مع وجود
حديث حكم مثل الترمذي بحسنه واختلف المحدثون في تضعيف راويه عطية
وتوثيقه ووجود شواهد له كثيرة زاد في الانموذج وبالعبور فيه عند
المالكية اي لا الشافعية لانهم جوزوا عبور الجنب في المسجد واعلم ان
معظم الاباحات لم يفعلها صلي الله عليه وسلم وان جازت له ولعل
غرضه من هذا دفع ما قد يقال لو كان مباحا له لفعل ولم ينقل وبما اختص
به ايضا لا ينتقض وضوءه بالنوم مضطجعا لما في الصحيحين انه صلي
الله عليه وسلم اضطجع ونام حتي نفخ ثم قام فصلي ولم يتوضا اي لانه لم
ينم قلبه والانبيا مثله في ذلك لان قلوبهم لا تنام فهو خصوصية له علي الامم
لا الانبيا ومر الجواب عن نومه في الوادي في اخر المقصد الثالث في نفس
المتن باجوبة عديدة فنجتنب تسويد الكاغد هنا فنذكر بعضه من كلام
غير المصنف الموهم انه ليس فيه مع ان ما بالعهد من قدم ولكن افة العلم
النسيان وفي اللمس وجهان احدهما لا ينتقض قال السيوطي وهو
الاصح والثاني النقض وهو المعتمد عند الشافعية كما قال النووي
المذهب الجزم بانتقاضه به واستدل القائلون بالاول
بنحو حديث عائشة عند ابي داود في الطهارة واحمد ان النبي
صلي الله عليه وسلم كان يقبل بعض ازواجه وفي رواية بعض
نسائه ثم يصلي ولا يتوضا ورواه النسائي ايضا في الطهارة
وقال ابو داود هو مرسل ابراهيم التيمي لم يسمع من عائشة
لكن قال الحافظ روي عنها من عشرة اوجه فهذا يجبر ارساله ولذا

قال

قال في تخريج الرافعي اسناده جيد قوي وقال عبد الحق لا اعلم له علة
توجب تركه وقال النسائي ليس في هذا الباب حديث احسن
من هذا الحديث وان كان مرسلا بناء علي ان المرسل ما سقط منه راو
اما علي المشهور انه ما رفعه التابعي فيقال فيه هذا منقطع وبه اخذ ابو حنيفة
فقال لا وضوء من المس ولا من المباشرة الا ان فحشت بان يوجدا متعانقين
متماسي الفرج وذهب الشافعي الي النقض مطلقا واجاب بعض اتباعه بانه
خصوصية او منسوخ لانه قبل نزول قوله او لامستم ولابي حنيفة ان يقول
الاصل عدم الخصوصية وعدم النسخ حتي يثبت والحديث صالح للحجية وقد
روي النسائي ايضا باسناد صحيح عن القاسم عن عائشة قالت ان كان رسول
الله صلي الله عليه وسلم ليصلي واني لمعترضة بين يديه اعتراض
الجنازة حتي اذا اراد ان يوتر مسني برجله وفصل المالكي بين اللذة اذ
او قصده فينتقض وبين انتفائها فلا نقض الا القبلة فينقض مطلقا واختص
ايضا باباحة الصلاة اي جنسها بعد العصر اي الركعتين بعد
الظهر خاصة علي ما قال فقد فاتته ركعتان بعد الظهر فقضاهما
بعد العصر كما في الصحيحين عن ام سلمة انه صلي الله عليه وسلم نهي
عنها ثم رايته يصليهما فسالته فقال اتاني ناس من عبد القيس فشغلوني
عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان ثم واظب عليهما ولم يتركهما
حتي لقي الله رواه البخاري عن عائشة ذكره الحجازي فجعلهما خصوصية
واحدة والسيوطي جعلها خصوصيتين فقال وباباحة الصلاة بعد العصر
وبقضاء الراتبة بعد العصر عند قوم قال شارحه عقب الاولي لخبر ابي داود كان
يصلي بعد العصر وينهي عنها ويواصل وينهي عنه ثم شرح الثانية بخبر
مسلم وبجواز صلاة الوتر علي الراحلة اي البعير مع وجوبه
عليه كما ذكره النووي في شرح المهذب وهو ضعيف كما مر وعبارته
كان من خصائصه صلي الله عليه وسلم جواز فعل هذا الواجب
الخاص به اي الوتر علي الراحلة لما في الصحيحين عن جابر كان يصلي
في السفر علي راحلته حيث ما توجهت به فاذا اراد ان يصلي المكتوبة
نزل فاستقبل القبلة وبالصلاة علي الميت الغائب عند ابي حنيفة
ومالك وحملا صلاته علي النجاشي علي ذلك وخالف الشافعي واحمد
فاجازاها لغيره قال السيوطي وعلي القبر عند المالكية وبالقبلة
بالضم في الصوم مع قوة الشهوة بخلاف غيره فيحرم ان خاف
الانزال والا كره روي البخاري ومسلم واصحاب السنن من حديث
عائشة قالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ليقبل بعض
ازواجه هي عائشة كما في مسلم او ام سلمة كما في البخاري لكن الظاهر
ان كلا انما اخبرت عن فعله معها ويدل علي ذلك رواية البخاري عن عائشة
ايضا عن عائشة انه كان النبي صلي الله عليه وسلم ليقبل بعض ازواجه

وهو صايم ثم ضحكت زاد ابن ابي شيبة عن عروة فظننا انها هي وانما ضحكت
تنبيها علي انها صاحبة القصة لتكون ابلغ في الثقة بها او تعجبا من نفسها
اذ حدثت بمثل هذا مما يستحيي النسا من ذكره للرجال لكن ضرورة تبليغ العلم
الجا نها الي ذلك وروي البيهقي عن عايشة انه صلي الله عليه وسلم كان يقبلها وهو
صايم ويمص لسانها وكان املكم لاربه بكسر الهمزة واسكان الرا في الفرع وغيره
اي عضوه وبفتح الهمزة والرا وقدمه في فتح الباري وقال انه اشهر والي
ترجيحه اشار البخاري اي اغلبكم لهواه وحاجته وقال التوربشتي حمل الارب
ساكنة الرا علي العضو في هذا الحديث غير سديد لا يغتر به الا جاهل بوجوه
حسن الخطاب مايل عن سنن الادب ونهج الصواب واجاب الطيبي بانها ذكرت
انواع الشهوة مرتقية من الادني الي الاعلي فبدات بمقدمتها التي هي
القبلة ثم ثنت بالمباشرة بنحو المداعبة والمعانقة وارادت ان تعبر عن
المجامعة فكنت عنها بالارب واي عبارة احسن من هذا انتهي وفي الموطا
ايكم املك لنفسه وبذلك فسره الترمذي فقال ومعني لاربه لنفسه قال الحافظ
العراقي وهو اولي بالصواب لان اولي ما فسر به الغريب ما ورد في بعض طرق
الحديث قال الحافظ ابن حجر فاشارت بذلك اي قولها وكان املكم لاربه
الي الاباحة لمن يكون مالكا لنفسه دون من لا يامن الوقوع فيما يحرم
من الانزال او الجماع وفي رواية حماد عند النساي قال الاسود بن يزيد
النخعي فقلت لعايشة ايباشر الصايم حليلته بما دون الجماع قالت لا
قلت اليس كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يباشر وهو صايم قالت
انه كان املكم لاربه قال الحافظ وظاهر هذا انها اعتقدت خصوصية
النبي صلي الله عليه وسلم بذلك لانه يخاف ما يخاف غيره قاله القرطبي
قال وهو اي اعتقادها الخصوصية اجتهاد منها لا انها رفعته ولكن
يدل علي انها لا تري بتحريمها ولا بكونها من الخصايص ما رواه مالك
في الموطا ان عايشة بنت طلحة بن عبيد الله القرشية التيمية
ام عمران كانت فايقة الجمال وهي ثقة روي لها الستة كانت عند عايشة
ام المومنين فدخل عليها زوجها وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن
ابي بكر الصديق التيمي التابعي روي له الشيخان وغيرهما فقالت له
عايشة ما يمنعك ان تدنو من اهلك تلاعبها وتقبلها
قال اقبلها وانا صايم قالت نعم فدل ذلك علي ان قولها للاسود لا
محمول علي من تحرك شهوته كما اشعر به جوابها بانه كان املكم وقد
حكي الاجماع علي ان من كره القبلة لم يكرهها لنفسها وانما كرهها خشية ما
يؤول اليه من الانزال ومن بديع ذكر قول عمر بن الخطاب هششت فقبلت
فقبلت وانا صايم فقلت يا رسول الله صنعت اليوم امرا عظيما قبلت وانا
صايم قال ارايت لو تمضمضت من الما وانت صايم قلت لا باس به قال فمه رواه
ابو داود والنسايي وقال منكر وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم قال المازري

فاشار

فاشار الي فقه بديع وذلك ان المضمضة لا تنقض الصوم وهي اول الشرب ومفتاحه
كما ان القبلة من دواعي الجماع ومفتاحه والشرب يفسد الصوم كما يفسده
الجماع واخذ الظاهرية بظاهر الحديث فجعلوا القبلة للصايم سنة وقربة من
القرب اقتدا بفعله صلي الله عليه وسلم ورد بانه كان يملك اربه فليس لغيره
وليس ما كان لا ينتطر الا بانزال فلو امذي فلا شي عليه عند الشافعي وابي حنيفة
وعليه القضا عند مالك واختص ايضا باباحة الوصال كما قال الشافعي
والجمهور في الصوم كما سياتي في المقصد التاسع مع بسط الخلاف في معني
يطعمني ربي ويسقيني وفي حكم الوصال لنا بما يغني عن جلب بعض كلام غيره
هنا وقال امام الحرمين هو قربة في حقه عليه السلام اي مستحب لا
مباح كما قال الجمهور واختص باباحة ان ياخذ الطعام والشراب والثياب
من مالكهما المحتاج اليهما اذا احتاج بلا ثمن بخلاف غيره فلا يجوز له الا
ان يضطر فيجب علي مالكه غير المضطر بذله بالثمن ان وجد علي ما بسط في
الفروع ويجب علي صاحبها البذل ولو هلك جوعا وعطشا وعريا ويفدي
بمهجته مهجة رسول الله صلي الله عليه وسلم قال الله تعالي النبي
اولي بالمومنين من انفسهم وقال صلي الله عليه وسلم انا اولي بكل مومن
من نفسه لكن لم ينقل انه فعل هذا المباح بل كان يوثر علي نفسه قال
الشيخان بل ولا معظم المباحات ولو قصده ظالم وجب علي كل من حضر
ان يبذل بضم الذال نفسه يجود بها ويعطيها دونه صلي الله عليه وسلم
وان خشي الدافع علي نفسه بخلاف غيره فلا يجب الدفع مع الخوف كما قال الرافعي
والنووي لان من قصد غير النبي مسلما لا يكفر وقاصده عليه السلام يكفر بذلك
قاله الخيضري كما وقاه طلحة بن عبيد الله احد العشرة بنفسه يوم احد
وكان ابو طلحة الانصاري يتقي بترسه دونه ونحو ذلك من الاحاديث كما قاله
الحافظ بعد قوله لم ار وقوع ذلك في شي من الاحاديث صريحا ويمكن ان
يستانس له بان طلحة الي اخره وباباحة النظر الي الاجنبيات لعصمته
وسياتي ان شا الله تعالي في في القسم الرابع التالي لهذا حكم غيره
عليه عليه السلام من اختلاف العلما في جواز النظر الي الوجه والكفين
ومنعه وبجواز الخلوة بهن لعصمته قال في فتح الباري الذي وضح
لنا بالادلة القوية ان من خصايصه صلي الله عليه وسلم جواز الخلوة
بالاجنبية والنظر اليها لمكان عصمته وان نازع في ذلك القاضي عياض بان
الخصايص لا تثبت بالاحتمال قال وثبوت العصمة مسلم لكن الاصل عدم الخصوصية
ويدل له قصة ام حرام بنت ملحان بكسر الميم وسكون اللام ومهملة ونون
واسمه مالك بن خالد بن زيد بن حرام بمهملتين الانصارية خالة انس قال ابو
عمر لم اقف لها علي اسم صحيح قال في الاصابة ويقال انها الرميصا بالرا
وبالغين المعجمة ولا يصح بل الصحيح ان ذلك وصف لام سليم ثبت ذلك
في حديثين لانس وجابر عند النسايي وروي عن ام حرام زوجها عبادة

ابن الصامت وابن اخيها انس وعمير بن الاسود وعطا بن يسار ويعلي بن
شداد بن اوس في دخوله عليها بيتها ونومه عندها فيه وتفليتها
راسه ولم يكن بينهما محرمية ولا زوجية وزعم انها كانت محرمة من الرضاع
بان ارضعته هي او اختها ام سليم لم يثبت كما قاله الدمياطي وغيره انتهى
روي البخاري وغيره من طريق الموطا لمالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة
عن انس ان النبي صلي الله عليه وسلم كان اذا ذهب الي قبا يدخل الي ام حرام بنت
ملحان فتطعمه وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها فاطعمته وجعلت
تفلي راسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك قالت فقلت وما يضحكك يا رسول الله
قال ناس من امتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر ملوكا
علي الاسرة او مثل الملوك علي الاسرة قالت فقلت يا رسول الله ادع الله
ان يجعلني منهم فدعا لها ثم وضع راسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك فقلت وما
يضحكك يا رسول الله قال ناس من امتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله كما قال
في الاول فقلت يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال انت من الاولين
قال فركبت ام حرام البحر في زمن معوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من
البحر فماتت وفي بعض طرقه عند البخاري عن انس عن ام حرام بنت ملحان وكانت
خالته ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال في بيتها فاستيقظ وهو يضحك
وقال عرض علي اناس من امتي يركبون ظهر البحر الاخضر كالملوك علي الاسرة
قالت يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال انك منهم ثم نام فاستيقظ وهو
يضحك فقلت يا رسول الله وما يضحكك قال عرض علي ناس من امتي يركبون ظهر
البحر الاخضر كالملوك علي الاسرة قلت يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم قال
انت من الاولين قال فتزوجها عبادة بن الصامت فاخرجها معه فلما جاز البحر ركبت
دابة فصرعتها فقتلتها قال ابن الاثير وكانت تلك الغزوة غزوة قبرس فدفنت
فيها وكان امير ذلك الجيش معوية في خلافة عثمان ومعه ابو ذر وابو الدردا
وغيرهما من الصحابة وذلك في سنة سبع وعشرين وقيل ثمان وعشرين فقوله في
الحديث في زمن معوية اي زمان غزوه في البحر لا زمان خلافته وهذا قول
اكثر السير قال البخاري ومسلم في زمن معوية نفسه ثم لا تخالف بين قوله في الرواية
الاولي وكانت تحت عبادة الظاهر في انها كانت زوجة في الزمن النبوي
وبين قوله في الرواية الثانية فتزوجها عبادة الظاهر في انه تزوجها بعد
لانها كانت اذ ذاك زوجته ثم طلقها ثم راجعها بعد ذلك قاله ابن التين وقيل
انما تزوجها بعد قال الحافظ وهو اولي لاتفاق عبد الله ابي عبد الرحمن الانصاري
ومحمد بن يحيي بن حبان عن انس كلاهما عند البخاري ان عبادة انما تزوجها بعد وحمل
قوله في رواية اسحق وكانت تحت عبادة بن الصامت علي انها جملة معترضة
اراد الراوي وصفها به غير مقيد بحال من الاحوال وظهر من رواية غيره انه انما
تزوجها بعد ومنها نكاح اكثر من اربع نسوة الي تسع اتفاقا وقد مات
عنهن وكذلك الانبيا لهم الزيادة فهو خصوصية له علي امته وفي جواز

الزيادة

الزيادة لنبينا صلي الله عليه وسلم علي التسع خلاف اصحه الجواز لانه مامون
الجور ولان غرضه نشر باطن الشريعة وظاهرها وكان اشد حياء فابيح
له تكثير النسا بلا حصر عدد لينقل ما يرينه من افعاله ويسمعنه من اقواله
الذي قد يستحيي من الافصاح بها وينعقد له النكاح بلفظ الهبة من جهة
المراة قال الله تعالي واحللنا لك امراة مومنة ان وهبت نفسها للنبي واما
من جهته عليه السلام فلا بد من لفظ النكاح او التزويج بان يقول
نكحتك او تزوجتك علي الاصح في اصل الروضة وحكاه الرافعي عن ترجيح
الشيخ ابي حامد لظاهر قوله ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك لكن
المعتمد جوازه بلفظ الهبة ايجابا وقبولا اي ارادة قال البيضاوي في
تفسير قوله تعالي وامراة مومنة الاية ما نصه نصب بفعل يفسره
ما قبله او عطف ما سبق ولا يدفعه التقييد بان التي للاستقبال فان المعني
بالاحلال الاعلام بالحل اي اعلمناك حل امراة مومنة وهذا ماخوذ من
كلام ابي البقا قال ناصب وامراة احللنا كما في اول الاية وقد رد هذا قوم
وقالوا احللنا ماض وان وهبت وهو صفة المراة مستقبل واحللنا في موضع
جوابه وجواب الشرط لا يكون ماضيا في المعني وهذا ليس بصحيح لا ان معني
الاحلال هنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل علي ذلك كما يقول ابحت لك ان
تكلم فلانا اذا سلم عليك مومنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا ان اتفق
وقوع ذلك ولذلك نكرها قال ابن عطية فهو يتضمن الا يستانف
اي ان وقع فهو حلال له وقد اختلف في ذلك فروي عن ابن عباس لم يكن عند
النبي صلي الله عليه وسلم امراة الا بعقد نكاح او ملك يمين اما الهبة فلم يكن
عنده منهن والقائل به ذكر انها لفظ البيضاوي في ذريعها ميمونة بنت الحارث
الهلالية ام المومنين قال ابن اسحق يقال انها وهبت نفسها للنبي صلي
الله عليه وسلم وذلك ان خطبته انتهت اليها وهي علي بعيرها فقالت البعير
وما عليه لله ورسوله واخرجه ابن ابي خيثمة عن الزهري وقتادة وابن
سعد عن عكرمة وقالوا فيها نزلت الاية وزينب بنت خزيمة الانصارية
كذا وقع في البيضاوي والذي في ابن عطية وقال الشعبي وعروة
عن زينب ابنة خزيمة ام المساكين انتهي ومثله في فتح الباري وهذه هلالية
قريبة ميمونة من وجهها فمكثت قليلا عنده وماتت عنده فلعل نسبتها انصارية
بالمعني الاعم ويدل له ان البغوي قال الانصارية ام المساكين والاعلم بذكر
في الاصابة من تسمي زينب بنت خزيمة الانصارية وعجبت من السيوطي
وشيخ الاسلام حيث لم ينبها علي هذا في حواشيهما علي البيضاوي وكان الظاهر
وام شريك اسمها غزية بضم المعجمة وفتح الزاي وشد التحتية وقيل بفتح
اولهما وقيل اسمها غزيلة بلام بعد اليا بنت جابر بن عوف العتبية
العامرية وقيل الازدية الدوسية وقيل الانصارية النجارية قال في
الاصابة والذي يظهر في الجمع انها واحدة اختلف في نسبتها قرشية عامرية

او انصارية او ازدية من دوس واجتماع الثلاثة يمكن بان تكون قرشية
من دوس فنسبت اليهم ثم تزوجت في الانصار فنسبت اليهم او لم تتزوج
بل نسبت انصارية بالمعنى الاعم انتهى وطلقها النبي صلى الله عليه وسلم
واختلف في دخوله بها فاثبته المصنف في الزوجات فنفي رواية ابن عباس دخل
بها وفي رواية غيره لم يكن يدخل ويحتمل الجمع بان المنفي الجماع والمثبت
مجرد الدخول ان صحا وخولة بنت حابر كذا في بعض النسخ ولم يذكرها
البيضاوي والذي نقوا نقل عنه ولا ذكرها في الاصابة فالصواب حذفها كما
في النسخ الصحيحة وخولة ويقال خويلة بالتصغير بنت حكيم بن امية
السلمي بضم السين الى جده سليم صحابية فاضلة لها احاديث يقال كنيتها ام
شريك قاله ابو عمرو وهي زوجة عثمان بن مظعون واختلف في ان هبتها لنفسها
قبل ان يتزوجها عثمان او بعد موته عنها فارجاها النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يتزوج بها قاله البيضاوي وقري شاذا ان بالفتح وهي قراءة ابي بن
كعب والحسن البصري والشعبي وغيرهم اشارة الى ما وقع من الواهبات قبل
نزول الاية وفي مصحف ابن مسعود مؤمنة وهبت بدون ان قاله ابن عطية
اي لاجل ان وهبت او مدة ان وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالسا
فان على هذا مصدرية وليست اللام مقدرة معها قاله وقوله ان اراد
النبي ان يستنكحها شرط للشرط الاول على قراءة الجمهور وعلى استيجاب الحل
فان هبتها نفسها منه لا توجب له الا باراداته نكاحها بان تابي بلفظ يدل على
القبول كما اشعر به يستنكحها فلا بد من لفظ الانكاح او التزويج او يكفي لفظ
الهبة في القبول ايضا خلاف كما مر فانها اي ارادتها جارية مجرى القبول فلا
يجب عليه قبولها بل يتوكل الامر الى ارادته قاله والعدول عن الخطاب الى
الغيبة بلفظ النبي مكررا ثم الرجوع اليه في قوله خالصة لك من دون المؤمنين
ايذان بانه انعقاد النكاح بلفظ الهبة مما خص به لشرف نبوته وتقديم بعد
لا استحقاقه الكرامة لاجله انتهى كلام البيضاوي وقال المعافا بن زكريا
ابن يحيى بن حميد الحافظ المفتي الثقة الجريري كان مقلدا لابن جرير مات
سنة تسع وثلاث مائة او في معنى خالصة قولان احدهما ان المراد اذا
وهبت نفسها له لم يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين فيلزمه الصداق
وليس المعنى انها تحل له بلفظ الهبة قاله مالك وابن المسيب
قال البغوي فالخصوصية له في ترك الصداق لا في جوازه بلفظ الهبة والثاني
له ان ينكحها بلا ولي ولا شهود دون غيره فانما تحل له بهما قاله قتادة
فالخصوصية له في تركها لا في جوازه بلفظ الهبة والثالث خالصة لك
ان يملك عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين قال وهذا قول الشافعي
واحمد ومالك والاكثر واجاز ابو حنيفة ان ينعقد النكاح بلفظ الهبة
لغيره صلى الله عليه وسلم ايضا وفي تفسير ابن عطية اجمع الناس على
ان ذلك لا يكون لغيره الا ما روي عن ابي حنيفة ومحمد بن الحسن وابي يوسف

اذا

اذا وهبت فاشهد على نفسه هو جائز فليس في قولهم الا تجويز العبارة بلفظ الهبة
والا فالافعال التي اشترطوها هي افعال النكاح بعينه انتهى فاوله على موافقة
مذهب مالك انه يجوز مع الصداق العقد بلفظ الهبة وكذا يجوز له عليه السلام
النكاح بلا مهر ابتداء وانتهاء اي قبل الدخول وبعده كما تقدم ان المراة اذا وهبت
نفسها له عليه السلام لا يلزمه صداقها قال النووي اذا وهبت
امراة نفسها له عليه السلام فتزوجها بلا مهر حل له ذلك ولا
يجب عليه مهرها بالدخول ولا بغير ذلك بخلاف غيره من فرضه او
موت فانه لا يخلو نكاحه من وجوب مهر اما مسمى واما مهر المثل
بالوطي في التفويض والله اعلم وكذا له النكاح بصداق مجهول كما في الانموذج
وكذا يجوز له النكاح في حال الاحرام منه او من المراة او منهما قال النووي
في شرح مسلم قال جماعة من اصحابنا الشافعية وغيرهم انه صلى الله
عليه وسلم كان له ان يتزوج في حال الاحرام وهو مما خص به دون
الامة فقضية مشاركة الانبيا له في هذه الخصوصية قال ابو حنيفة حامد
وانما منع غيره من ذلك لان فيه دواعي الجماع فربما يفضي اليه فيفسد حجه
به وهذا مامون من جهته سوا اختص بالاحرام او المراة لعصمته وقدرته على
الامتناع منه قال وهذا اصح الوجهين عند اصحابنا انتهى واحتجوا له
بما رواه مالك والايمة الستة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج
ميمونة وهو محرم زاد في رواية للبخاري في عمرة القضا مع قوله لا ينكح المحرم
ولا ينكح فدل على ان فعله خصوصية له جمعا بين الخبرين لكن قال سعيد بن المسيب
وهل ابن عباس وان كانت خالته ما تزوجها صلى الله عليه وسلم الا بعدما حل رواه
البخاري ووهل بكسر الهاء اي غلط لكن لغته لما صح عنها نفسها قالت تزوجني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن حلالان بسرف رواه مسلم من رواية يزيد
ابن الاصم عنها قال وكانت خالتي وخالة ابن عباس واخرج الترمذي وحسنه وصححه
ابن خزيمة وابن حبان عن ابي رافع انه صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو
حلال وبنى بها وهو حلال وكنت انا السفير بينهما وكذا رواه مالك عن سليمان
ابن يسار قال البيهقي في المعرفة وبهذا رد الشافعي رواية ابن عباس التي
احتج بها الحنفية واهل العراق على جواز نكاح المحرم وانكاحه وخالفهم الجمهور
واهل الحجاز محتجين بحديث مسلم عن عثمان رفعه المحرم لا ينكح ولا ينكح واما
خبر ابن عباس وان صح اسناده اليه فوهم كما قال سعيد قال الشافعي لان
ابن اختها يزيد يقول تزوجها حلالا ومعه سليمان بن يسار عتيقها او ابن عتيقها
وخبر اثنين اكبر من خبر واحد مع رواية عثمان التي هي اثبت من هذا كله
انتهى ولذا قال الزركشي في جعل ذلك من الخصايص نظر اذ لم يثبت الشافعي
وقوع العقد حال احرامه والتجويز يحتاج الى دليل وقال السهيلي تاول فيه
بعض شيوخنا قول ابن عباس وهو محرم بمعنى في الشهر الحرام والبلد الحرام
لانه عربي فصيح يتكلم بكلام العرب ولم يرد الاحرام بالحج ولا العمرة فالله اعلم

اراد ذلك ابن عباس ام لا قال ومن الغريب ما رواه الدارقطني عن ابي الاسود
ومطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس انه تزوجها وهو حلال انتهى فان ثبت ذلك
عنه فكانه رجع والا فالمعروف عنه وهو محرم وان كان وهما او مووّلا وتقدم مزيد
لهذا في الزوجات وفيه في عمرة القضية وكذا يجوز له النكاح بغير رضى
المراة لانه اولى بالمومنين من انفسهم كما مر فلو رغب في نكاح امراة خلية
عن زوج او عدة لزمها الاجابة اليه على الصحيح وتجبر عليه وحرم على
غيره خطبتها بكرا كانت بمجرد الرغبة او متزوجة وجب على زوجها طلاقها
ليتزوجها وقياسه لو رغب في نكاح سرية وجب على سيدها اعتاقها وتركها
ليتزوج بها كذا قال شيخنا قال الغزالي ولعل السر النكتة والحكمة فيه اي
وجوب التطليق على الزوج من جانب الزوج امتحان ايمانه بتكليف
النزول عن اهله فانه صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم ايمانا
كاملا ونفي اسم الشي يعني الكمال عنه مستفيض في كلامهم وخصوا بالخطاب لانهم
الموجودون حينيذ والحكم عام وفي رواية ابن ماجة احد حتى اكون احب اليه من
نفسه واهله وولده والناس اجمعين عطف عام على خاص وهو كثير والحديث
في الصحيحين عن انس بلفظ لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده
والناس اجمعين وفي صحيح ابن خزيمة من اهله وماله بدل من والده وولده كذا
في مسلم من وجه اخر وفي رواية للبخاري لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من
نفسه ويأتي ان شا الله تعالى الكلام عليه في مقصد المحبة وبقية كلام الغزالي
ومن جانب النبي صلى الله عليه وسلم ابتلاوه بابتلا بلية البشرية ومنعه من
خاينة الاعين ولذا قال تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه ولا شي ادعى الى حفظ البصر من هذا التكليف قال وهذه يوردها
الفقها في نوع التخفيفات وعندي انه في حقه في غاية التشديد اذ لو كلف به احاد
الناس لما فتحوا اعينهم في الشوارع والطرقات خوفا من ذلك ولهذا قالت عايشة
لو كان يخفي اية لاخفى هذه كذا قال وتعقب بان الاحاد غير معصومين
فيثقل عليهم ذلك بخلافه ويدل لهذه الخصيصة قصة زينب بنت
جحش الاسدية بنت عمته صلى الله عليه وسلم اميمة بالتصغير بنت
عبد المطلب مختلف في اسلامها واثبته ابن سعد وفي هذا الدليل نظر لانبنائه
على انه صلى الله عليه وسلم رغب في نكاحها لما راها وقال سبحان الله مقلب
القلوب ففهمت ذلك زينب منه واخبرت زيدا ففارقها وهذا منكر وعلى
تقدير تسليمه لا يدل على الوجوب اذ قوله فلما قضى زيد صورة واقعة حال
والصواب ان طلاق زيد لها لتعظيمها عليه ولهذا قال ابن الرفعة قصة زيد لا تدل
على ذلك بل تدل على عكسه وبسط القول فيه بما يطول ذكره وكذا فعل ابن
الصلاح في كلامه على بسيط الغزالي المنصوص عليها بقوله تعالى واذ
تقول للذي انعم الله عليه اي بنعمة الاسلام وهي اجل النعم
زاد ابن عطية وبغير ذلك وانعمت عليه اي بالاعتاق بتوفيق

الله

160

الله لك وهو زيد بن حارثة الكلبي وكان من سبي الجاهلية وذلك
ان امه سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طي خرجت به لتزيره اهلها فاصابته
خيل بني القين لما اغارت على بني معن فاتوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع وهو
غلام بن ثمانية اعوام فاشتراه حكيم بن حزام باربعمائة درهم لعمته خديجة بنت
خويلد فاستوهبه النبي صلى الله عليه وسلم منها فوهبته له فملكه رسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل البعثة واعتقه وتبناه لما قدم حارثة واخوه كعب
مكة فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه انتم اهل حرم الله تفكون
العاني وتطعمون الاسير جيناك في ولدنا عبدك فامنن علينا واحسن في
فدايه فقال او غير ذلك ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم بغير فدا وان
اختارني فوالله ما انا بالذي اختار على من اختارني فدا قالوا زدتنا على
النصف فدعاه فخيره فقال ما انا بالذي اختار عليك احدا انت مني بمكان الاب
والعم فقالا ويحك يا زيد اتختار العبودية على ابيك وعمك
واهل بيتك قال نعم اني قد رايت من هذا الرجل شيا ما انا بالذي اختار عليه
احدا فلما راى صلى الله عليه وسلم ذلك قام الى الحجر فقال اشهدوا ان زيدا
ابني ارثه ويرثني فطابت نفس ابيه وعمه وانصرفا فدعي زيد بن محمد حتى
جا الاسلام فاسلم بحيث قيل انه اول من اسلم مطلقا ومر هذا مبسوطا
في الموالي وروى ابن الكلبي عن ابن عباس لما تبنى صلى الله عليه وسلم زيدا
زوجه ام ايمن ثم زوجه زينب فلما طلقها زوجه ام كلثوم بنت عقبة وولدت
بركة اسامة له بمكة بعد البعثة بثلاث او خمس وخطب له زينب بعد البعثة
فابت هي واخوها عبد الله المستشهد باحد ثم رضيا لما نزل قوله تعالى
وما كان ما صح لمومن ولا مومنة الاية قال ابن عطية عبر بلفظ النفي ومعناه
المنع من فعل هذا ويجي ما كان وما ينبغي ونحوهما لحظر الشي والحكم بانه لا يكون
وربما كان امتناع ذلك الشي عقلا كقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وربما
كان للعلم بامتناعه شرعا كقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وربما
كان حظره بحكم شرعي كهذه الاية وربما كان في المندوبات كما تقول ما كان
لك ان تترك النوافل ونحوها واخرج الطبراني بسند صحيح عن قتادة وابن
جرير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب وهو يريدها
لزيد فظنت انه يريدها لنفسه فلما علمت انه يريدها لزيد ابت واستنكفت
وقالت انا خير منه حسبا فانزل الله وما كان لمومن الاية كلها فرضيت وسلمت
وما ذكر من ان السخط لما نزل صواب واضح وما في نسخ ثم رضيا فنزل
وهي توهم ان رضاها قبل نزول الاية وليس كذلك وكان الرجل في
الجاهلية وصدر الاسلام اذا تبنى ولد غيره يدعوه الناس
به ويرث ميراثه بان يرث كل منهما الاخر وتحرم عليه زوجته فنسخ
التبني بقوله ادعوهم لابايهم قال ابن عمر ما كنا ندعو زيد بن
حارثة الا زيد ابن محمد حتى نزل القران ادعوهم لابايهم هو اقسط عند

الله رواه البخاري وبهذه القصة يثبت الحكم بالقول من الله
تعالى وبالفعل من النبي صلى الله عليه وسلم وهو تزوجه زوجة متبناه
فاوحى الله تعالى اليه بعد رضاها وتزوجها بزيد ان زيدا سيطلقها
وانه صلى الله عليه وسلم يتزوجها والقى في قلب زيد كراهتها
اي كراهة بقايها في نكاحه ولا يلزم منه كراهة ذاتها فاراد فراقها
بعد مكثها عنده مدة فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني
اريد ان افارق صاحبتي زوجتي قال مالك اي شي حصل لك منها
حتى اردت فراقها اوابك منها شي اي هل استيقنت منها شيئا يوجب
لك الشك في امرها فالهمزة للاستفهام ويحتمل انها جزا الكلمة اي احصل
شي يريبي ظنك بها فهمزة الاستفهام مقدرة لانه متى ابدل مما تضمن
معنى الاستفهام وجب ذكر همزته في البدل قال لا والله يارسول الله
مارايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي بشرفها علي لانها عربية
وانا مولى وتوذيني بلسانها فقال له صلى الله عليه وسلم امسك
عليك زوجك واتق الله اي في امرها فلا تطلقها ضرارا مر
مفعول له ولا تعللا وعبر البيضاوي باو بدل الواو فلما قضى زيد منها
وطرا ولم يبق له فيها حاجة تفسير لوطرا وطلقها وانقضت عدتها
زوجها الله تعالى لنبيه سنة خمس او ثلاث او اربع من الهجرة وبالثاني
صدر في الاصابة وفي الثالث في العيون وبالاول المصنف كما قال
تعالى زوجناكها والمعنى انه امرها بتزويجها منه اي بان يتخذها زوجة
والاوضح بتزوجها لانه من النفس والتزويج يكون من الغير ولعله عبر به اشارة
الى انه امر بجعلها زوجة له اعم من كون ذلك بطلبه من الولي او بتزويجها له من
نفسه بان يتولى الطرفين او جعلها زوجته بلا واسطة عقد وهذا
هو الصواب الذي لا يجيع غيره كما قال بعض الحفاظ لانه الثابت في مسلم وغيره
كما ياتي ويويده انها كانت تقول لساير اي باقي نسا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تولى نكاحي وانتن زوجكن
اولياوكن اخرجه الترمذي وصححه عن انس قال كانت زينب تفخر
على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اباوكن وزوجني الله
من فوق سبع سموات وليس هذا من الفخر المنهي عنه بل بابا التحدث بالنعمة وقد
سمعها النبي صلى الله عليه وسلم واقرها وروى ابن سعد قالت زينب يا
رسول الله اني والله ما انا كاحد من نسايك الا زوجها ابوها او اخوها
او اهلها غيري زوجنيك الله من السما ويويده ايضا مارواه ابن سعد
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث عند عايشة اذ اخذته غشية
فسري عنه وهو يتبسم ويقول من يذهب الى زينب ويبشرها وان تقول
للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الاية قالت عايشة فاخذني ما قرب وما
بعد لما يبلغنا من جمالها واخرى هي اعظم واشرف ما صنع لها زوجها الله من

السما وعن الشعبي كانت زينب تقول لرسول الله اني لادل عليك بثلاث ما
من نسايك امراة تدل بهن ان جدي وجدك واحد وان الله انكحك اياي من
السما وان الساعي في ذلك جبريل وهي اولى من رواية من روى وان السفير
بيني وبينك جبريل لما لا يخفى وقيل ان زيدا كان السفير للتزويج
بينهما كما اخرجه احمد ومسلم والنسايي عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال
صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة اذهب فاذكرني لها قال فذهبت اليها
فجعلت ظهري الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك
فقالت ما كنت لاحدث شيئا حتى او امر ربي عز وجل فقامت الى مسجد لها
فانزل الله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها فجا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخل عليها بغير اذن وفي ذلك ابتلا عظيم لزيد وشاهد
بين على قوة ايمانه حيث اطمانت نفسه الى خطبة من فارقها الى سيده
وسيد غيره مع شان النفوس الغض من ان تتزوج مطلقا لعلامنها او
مساو لها فضلا من توليها الخطبة ويرويه انه قال له ما اجد في نفسي اوثق منك
فاخطب زينب علي وقد علل الله تعالى تزويجه اياها بقوله لكيلا
يكون على المومنين حرج اثم في ازواج ادعيايهم جمع دعي وهو المتبنى
اي في ان يتزوجوا زوجات من كانوا يتبنونه اذا فارقوهن
وان هذه الزوجات عطف على ان يتزوجوا ليست داخلات فيما
حرم في قوله وحلايل ابنايكم اذ المراد الصلبية واما قوله وتخفي
في نفسك قال الزمخشري الواو للحال قال ابو حيان لا يكون حالا الا على اضمار
مبتدا اي وانت تخفي لانه مضارع مثبت فلا تدخل عليه الواو الا على ذلك الاضمار
وهو مع ذلك قليل نادر لا تنبني على مثله القواعد وقال الطيبي الجمل الثلاث
الواو فيها للحال على سبيل التداخل فقوله وتخفي حال من المستتر في تقول وتخشى
الناس حال من فاعل تخفي تخشى تخفي والله احق حال من فاعل تخشى فمعناه
تخفي علمك فتعيب بعقدر انه سيطلقها وتتزوجها فعاتبه الله على
هذا القدر في شي اباحه له بان قال امسك مع علمه انه سيطلقها
وليس بكبير عتب وهذا مروي عن علي بن زين العابدين بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب الهاشمي ثقة ثبت من رجال الجميع عابد فقيه فاضل
مشهور قال الزهري ما رايت قرشيا افضل منه وعليه اهل التحقيق
من المفسرين كالزهري محمد بن شهاب التابعي المشهور وبكر بن العلاء
ابن زياد القشيري البصري ثم المصري وبها مات سنة اربع واربعين وثلاث
مائة وكان احد كبار الفقها المالكية وعلما الحديث والقاضي ابي بكر
محمد بن العربي الحافظ الفقيه المشهور وغيرهم والمراد بقوله وتخشى
الناس انما قوله في ارجاف المنافقين في تزويج نسا الابنا اي في
اكثارهم من الاخبار السيية واختلاق الاقوال الكاذبة حتى يضطرب
الناس منها كما في المصباح والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم في الحركات

والسكنات وفي البيضاوي وتخشي الناس تعييرهم اياك والله احق ان
تخشاه ان كان فيه ما يخشي ولبعض المفسرين هنا كلام لا يليق بمنصب
النبوة وهو انه عليه الصلاة والسلام طلب زايدا في داره فراي زينب
حاسرة فاعجبته فقال سبحان الله مقلب القلوب قال السبكي وهو منكر من
القول ولم يكن صلي الله عليه وسلم تعجبه امراة احد من الناس وقصة زينب انما
انما جعلها الله تعالي كما في سورة الاحزاب قطعا لقول الناس ان زيدا ابن
محمد وابطالا للتبني وبالجملة فهذا الموضع من منكرات كلامهم من الخصايص وقد
بالغوا في هذا الباب في مواضع واقتحموا فيها عظايم لقد كانوا في غنية عنها
انتهي وفي البغوي في توجيه القول المنصور فيما نبه الله وقال له قلت امسك
عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولي واللايق
بحال الانبيا وهو مطابق للتلاوة لان الله انه يبدي ويظهر ما اخفاه
ولم يظهر غير تزوجها منه فقال زوجناكها فلو كان الذي اضمره محبتها وارادة
طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل
علي انه انما عوتب علي اخفا ما اعلمه انها تكون زوجة له وانما اخفاه استحيا ان
ان يقول لزيد ان امراتك ستكون امراة لي امراتي وهذا قول حسن مرضي
وان كان القول الاخر وهو انه اخفا محبتها او نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال
الانبيا لان العبد غير ملوم علي ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشيا ما لم يقصد
فيه الماثم لان الود وميل النفس من طبع البشر انتهي وقيل قوله اتق الله
وتخفي في نفسك ما الله مبديه مظهره خطاب من الله تعالي او من
الرسول عليه السلام لزيد فيكون علي هذا عطف علي امسك من جملة مقوله
لزيد فانه اخفي الميل اليها واظهر الرغبة عنها لما حين توهم ان
رسول الله صلي الله عليه وسلم يريد ان تكون من نسائه وكانه
قيل ويقول لزيد تخفي يا زيد في نفسك ما الله مبديه ويقول له
تخشي الناس الي اخره وهذا هو خلاف الظاهر المتبادر واي شي ابداه عن
زيد فهذا من غريب التفسير قال جار الله العلامة محمود الزمخشري وصف
ذلك لسكناه مكة وكم من شي مباح يتحفظ الانسان منه ويستحي من
اطلاع الناس عليه فطمح اي استشراق قلب الانسان الي مشتهياته
وبين ذلك بقوله من امراة وغيرها ليس موصوفا بالقبح ولا في
الشرع دينا ولا المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا عقلا وشرعا
وهي خطبة زينب وكهو في نسخة وهو والتانيث اولي لان الضمير اذا
وقع بين مذكر ومونث فالاولي مراعاة الخبر لانه عين المبتدا ومبين لحاله
فهو المقصود ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه لم
يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل منهم عن امراته لصديقه بل
كانوا يعدونه كرما ومستحسنا اذا نزل عنها ان ينكحها اخوان
المهاجرين حين دخلوا المدينة واخي النبي صلي الله عليه وسلم بينهم وبين

الانصار واسهم الانصار بكل شي حتي ان الرجل منهم اذا كانت
له امراتان نزل عن احداهما وانكحها المهاجري اي تسبب في
تزويجها له بطريقه الشرعي بعد خروجها من العدة بسواله ولنبها
في ذلك فاذا كان الامر مباحا من جميع جهاته لم يكن فيه وجه من وجوه
القبح انتهي كلام جار الله في كشافه وكذا يجوز له السلام النكاح بلا
ولي مع شهود وبلا شهود مع ولي وبشهود معا قال النووي المشهور
الصحيح عند اصحابنا وعند غيرهم صحة نكاحه عليه الصلاة والسلام
بلا ولي ولا شهود لعدم الحاجة الي ذلك في حقه عليه السلام وهذا
الخلاف في غير زينب اما زينب فمنصوص عليها ولا ياتي فيها خلاف
للنص والله اعلم قال العلما وانما اعتبر الولي في حق غير المصطفي للمحافظة
علي الكفا وهو صلي الله عليه وسلم فوق الاكفا وانما اعتبر الشهود
لامن الجحود وهو عليه السلام لا يجحد اذ لا يجوز عليه ذلك ولو جحدت
هي اي المراة لم يرجع الي قولها بل قال العراقي في شرح المهذب
تكون كافرة بتكذيبه اي مرتدة بل قال المالكية تقتل ولو عادت الي
الاسلام وكان له صلي الله عليه وسلم تزويج المراة ولو صغيرة وبكرا
ممن شا من غيره ومن نفسه بغير اذنها واذن وليها وبغير اذن
الزوج ايضا فيتولي الطرفين لانه اولي بالمومنين من انفسهم وله اجبار
الصغيرة من غير بناته فقيد لمحل الخصوصية وزوج ابنة حمزة
ابن عبد المطلب امامة او عمارة او فاطمة او سلمي او عايشة او يعلي او
امة الله اقوال سبعة في اسمها اشهرها الاول كما في الفتح لربيبه سلمة
ابن ام سلمة مع وجود عمها العباس كما رواه البيهقي فقدم عليا لاقرب
بخلاف غيره فيقدم الاقرب فالاقرب علي ما بين في الفروع فيقدم علي
الاب تفريع علي قوله وله اجبار الصغيرة وزوجه الله تعالي بزينب
ابنة جحش فدخل عليها بتزويج الله بغير عقد اي بغير تلفظ بعقد
من نفسه وهذا وان علم من قوله سابقا والمعنى انه امره الي اخره لكنه ثمة
حكاه عن غيره علي وجه التردد وهنا جزم باحد القولين اختيارا له
وعبر في الروضة عن هذا بقوله وكانت المراة تحل له بتحليل الله
تعالي بغير عقد اشارة الي ان ذلك ليس خاصا بزينب لكنه لم يقع الا
فيها واعتق امته صفية بنت حيي سيدة قريظة قريظة وجعل
والنضير من ذرية هارون اخي موسي رضي الله عنها وجعل عتقها صداقها
كما اخرجه البخاري عن انس في الصلاة والمغازي والنكاح مطولا ومختصرا
وبظاهره تمسك احمد والحسن وطايفة لقولهم بجواز ذلك لغيره حتي لو طلقها
قبل الدخول وجب له عليها نصف قيمتها وقد اختلف في معناه فقيل انه
اعتقها بشرط ان يتزوجها فوجب ثبت له عليها قيمتها لانه لم يعتقها
مجانا بل بعوض لكن لا يلزم الوفا به في غير حقه حق غيره وانما تعتق ان

قبلت فورا كان طلبته ابتدا لذلك فاجابها فيشترط الفور ايضا كما في البهجة
وكانت معلومة فتزوجها بها فان جهلت لهما او لاحدهما صح النكاح ولزم
مهر المثل للجهل بالعوض كما هو مقرر عند الشافعية ومذهب مالك منع ذلك
ابتدا فان وقع مضي العتق وفسد النكاح فيفسخ قبل الدخول ويثبت بعده
بصداق المثل بوجه الخصوصية عدم لزوم المهر له صلي الله عليه وسلم لا حالا
ولا مالا وصحة نكاحه اتفاقا ويويده قوله في رواية عبد العزيز
ابن صهيب بضم الهاء البصري ثقة من رجال الجميع مات سنة ثلاثين
ومائة سمعت انسا قال سبي رسول الله صلي الله عليه وسلم صفية
فاعتقها وتزوجها فقال ثابت بن اسلم البناني بضم الموحدة ونونين
ابو محمد البصري العابد الثقة روي له الجميع مات سنة بضع وعشرين ومائة وله
ست وثمانون سنة لانس ما اصدقها قال اصدقها نفسها هكذا اخرجه
البخاري في المغازي في غزوة خيبر وقد يمنع دعوي التاييد به لجواز
انه اعتقها بلا شرط بل هو ظاهر في تاييد القول الثاني وفي رواية البخاري
في الصلاة والمغازي عن حماد بن زيد بن درهم الازدي البصري ثقة ثبت
فقيه روي له الستة عن ثابت وعبد العزيز بن صهيب كلاهما عن انس
في حديث لفظه ان رسول الله صلي الله عليه وسلم صلي الصبح بغلس ثم ركب
فقال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
فخرجوا يسعون في السكك ويقولون محمد والخميس فظهر عليهم رسول الله صلي
الله عليه وسلم فقتل المقاتلة وسبي الذراري قال فصارت صفية لدحية الكلبي
وصارت صفية لرسول الله صلي الله عليه وسلم كذا وقع في الصلاة بالواو
فظاهره انها صارت لهما وليس كذلك لانها صارت لدحية اولا ثم صارت للمصطفي
لما قيل له اعطيت دحية صفية سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقال عليه
السلام لدحية خذ جارية غيرها فردها فاصطفاها لنفسه كما رواه البخاري
ايضا وغيره فالواو هنا بمعني ثم لان البخاري رواه في المغازي بلفظ ثم صارت
لرسول الله ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها قال عبد العزيز لثابت
يا ابا محمد كنيته انت سالت بحذف همزة الاستفهام في الفرع واصله وفي بعض
الاصول انت باثباتها انسا ما امهرها اي ما اصدقها ولابوي ذر والوقت
والاصيلي ما مهرها بحذف الالف وصوبه القطب الحلبي وهما لغتان قال
انس امهرها نفسها الي هنا كله مقول عبد العزيز لثابت وجوابه قوله
فتبسم ثابت وفي رواية المغازي فحرك ثابت راسه تصديقا له ولا منافاة
لجمع بينهما وبهذا تعلم انه ليس فيه حذف تقديره قال نعم سالته لانه يضيع قوله
فتبسم وقوله فحرك الي اخره فهو ظاهر جدا في ان المجعول هو نفس
العتق لا شي معه والتاويل الاول انه اعتقها بشرط ان يتزوجها لا باس به
فانه لا منافاة بينه وبين القواعد حتي لو كانت القيمة مجهولة فان
في صحة العقد بالشرط المذكور وجها قالوا وعلي هذا فلما لم يكن يعلم

انس

انس ارساق لها صداقا ام لا قال اصدقها نفسها اي لم يصدقها شيا
فيما اعلم فانما نفي علمه ولم ينف اصل الصداق وهذا من بعيد التاويل
الذي لم يقم عليه دليل ومن ثم اي هنا اي من اجل ذلك التاويل المذكور رده
قال ابو الطيب الطبري من الشافعية وابن المرابط محمد بن خلف الاوربي
من المالكية ومن تبعهما انه قول انس قاله ظنا من قبل نفسه ولم
يرفعه وهذا لا يليق اذ هو سوء ظن بالصحابي ويعارضه ما اخرجه
الطبراني وابو الشيخ من حديث صفية نفسها قالت اعتقني النبي صلي
الله عليه وسلم وجعل عتقي صداقي وهذا موافق لحديث انس والمتبادر
منهما انه لا شي غيره وفيه رد علي من قال ان انسا قال ذلك بناء علي ظنه
لان صفية ادري بما وقع لها ولذا قال الحافظ الهيثمي ما روي عن رزينة انه
امهرها رزينة مخالف لما في الصحيح انتهي وهي بفتح الراء وكسر الزاي وقيل
بالتصغير وروي ابو يعلي انه صلي الله عليه وسلم لما تزوج صفية امر بشرا
خادم لها وهي رزينة فيحتمل انه لما اخذ منها اياها ظنت انه جعلها مهرها والا
فالمروي عن صفية وانس انه جعل عتقها صداقها بل وعن النبي صلي الله عليه وسلم
انه قال ما تقولون في هذه الجارية قالوا انك اولي الناس بها واحقهم قال فاني
اعتقتها واستنكحتها وجعلت عتقها مهرها رواه الطبراني بسند جيد ويحتمل ان
يكون اعتقها بشرط ان ينكحها من غير مهر فلزمها الوفاء بذلك وهذا م
خاص بالنبي صلي الله عليه وسلم دون غيره فلا يلزمها الوفاء وينفذ العتق
ويحتمل انه اعتقها بغير عوض ويزوجها بغير مهر في الحال ولا في المال
خصوصية له ايضا قال ابن الصلاح معناه ان العتق حل محل الصداق
وان لم يكن صداقا في نفس الامر قال وهذا كقولهم الجوع زاد من لا زاد
له فعدم الزاد زاد لتعذره عليه وليس بزاد وهذا اصح الاوجه
واقربها الي لفظ الحديث اي ابن الصلاح في ترجيح هذا الوجه النووي
في الروضة وممن جزم ان ذلك من الخصائص يحيي بن اكثم بالمثلثة
كما ضبطه النووي وغيره اي محمد بن قطن التميمي المروزي ابو محمد القاضي المشهور
فقيه صدوق روي عنه الترمذي الا انه رمي بسرقة الحديث قال الحافظ ولم
يقع ذلك له وانما كان يري الرواية بالاجازة والوجادة مات في اخر سنة اثنتين
واربعين ومائتين وله ثلاث وثمانون سنة فيما اخرجه البيهقي عنه وكذا نقله
المزني اسمعيل الامام المشهور عن شيخه الشافعي الامام قال وموضع
الخصوصية انه اعتقها مطلقا عن قيد اشتراط التزويج وتزوجها بغير
مهر ولا شهود بخلاف غيره فانما يجوز له ذلك في عتيقته بمهر وشهود
انتهي وقال النووي في شرح مسلم الصحيح الذي اختاره المحققون انه اعتقها
تبرعا بلا عوض ولا شرط انه ينكحها ثم تزوجها برضاها بيانا للواقع
من غير صداق لان رضاها شرط لانه جائز له بدون المراة كما مر والله اعلم
بما وقع قال شيخ الحفاظ ابن حجر في الفتح في النكاح واختلف في انحصار

طلاقه صلى الله عليه وسلم في الثلاث وهو الصحيح وعدم انحصاره كما
لا ينحصر عدد زوجاته وعلى الحصر قيل يحل له بالعقد عليها فيباح الوطء لا بدونه
لحصول البينونة الكبرى من غير محلل قال السيوطي على الاصح وقيل لا يحل له
ابدا لعدم امكان التحليل لان من خصائصه حرمة من دخل بها على غيره لقوله
ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وازواجه امهاتهم وكان له نكاح المعتدة
في احد الوجهين قال ابن الصلاح وهو منكر بل غلط قال النووي الصواب
القطع الجزم بامتناع نكاح المعتدة من غيره اذ لا دليل على الخصوصية
والله اعلم ووجوب نفقة زوجاته عليه وجهان قال النووي
الصحيح الوجوب انتهى لقوله صلى الله عليه وسلم لا تقتسم ورثتي دينارا
ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة رواه البخاري ومسلم وابو
داود عن ابي هريرة فاذا كان يجب ان ينفق من ماله على زوجاته بعد وفاته
فكيف لا تجب النفقة لهن حال حياته قال الجلال البلقيني فهذا الخلاف باطل
ووقع الحديث مصحفا في عبارة بحذف بعد فاحوج من لم يقف على غيرها الى تعسف
تصحيحها بقوله اي نفقة نسائي لكن بصيغ قوله فهو صدقة وبعد ذكر ليس
رواية ولا يجب عليه القسم فيما قاله طوائف من اهل العلم كالكرخي وبه جزم
الاصطخري من الشافعية وصححه الغزالي في الخلاصة واقتصر عليه في
الوجيز قال البلقيني والسيوطي وهو المختار للادلة العزيزة الصحيحة كحديث
الشيخين كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهي
تسع نسوة ولقوله تعالى ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء اي تبعد
من تشاء ولا تقسم لها وتقرب من تشاء فتقسم لها على احد التفاسير ولان وجوبه
عليه شغلا عن لوازم الرسالة والمشهور عندهم وعند الاكثرين الوجوب
وتعسفوا الجواب عن هذا الحديث باحتمال ان ليلته تقدمت واحتجوا للوجوب بقوله
اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك رواه ابن حبان وغيره وقال
الحاكم صحيح على شرط مسلم وقال الترمذي روي مرسلا وهو اصح انتهى ولا دلالة
فيه على الوجوب كما هو ظاهر انما هو احتمال وفي حل الجمع له بين المراة وعمتها
وخالتها وجهان مبنيان على ان المتكلم يدخل في الخطاب ومقتضى البناء
ترجيح المنع وهو الاصح لا اختها وبنتها فلا يحل له الجمع اتفاقا وما حكاه
الرافعي وتبعه في الروضة من جوازه له جزموا بانه غلط فاحش لا تحل له
حكايته الا لبيان فساده لانه صرح بتحريمها عليه روى الشيخان ان ام حبيبة
قالت قلت يا رسول الله انكح اختي فقال او تحبين ذلك فقلت نعم لست لك
بمخلية واحب من شاركني في خير اختي فقال صلى الله عليه وسلم ان ذلك
لا يحل لي قلت فانا نحدث انك تريد ان تنكح بنت ابي سلمة فقال انها لو لم تكن
ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة ارضعتني وابا سلمة
ثويبة فلا تعرضن علي بناتكن ولا اخواتكن وامها مستدرك اذ هو قوله
وبنتها قالوا ومرجع هذه الخصائص الى ان النكاح في حقه كالسرية

في

بياض بالأم

في حقنا فان قلنا حرمة التسري بامتين بينهما محرمية حرم عليه صلى الله عليه
وسلم جمع امراتين بينهما ذكر وان قلنا باباحة التسري لنا كما يقوله بعض الحنفية
جاز له ذلك وكان له عليه الصلاة والسلام ان يصطفي يختار ما شاء من
المغنم قبل القسمة من جارية كما اصطفى ريحانة من سبي بني قريظة
والنضير وصفية من خيبر قيل ولذا سميت صفية لانها من الصفي وكان
اسمها زينب وغيرها كما اصطفى سيفه ذا الفقار ولا يختص الاصطفا بالمغنم
كما اقتضاه جمع بل يكون من الفيء ايضا كما ذكره الزركشي وغيره تبعا لابن كج وابيح
له القتال بمكة ساعة من نهار كما في الصحيح وهي من طلوع الشمس الى العصر
كما في مسند احمد والقتل بها انظر ما المراد به فان لغيره صلى الله عليه وسلم
قتل من يستحق القتل بها قاله شيخنا وجواز دخول مكة من غير احرام مطلقا
دخل لحاجة ام لا والمراد احل له دخولها بلا خلاف على اي صفة كان الدخول بخلاف
غيره ففيه خلف بينه بعض بعد ذكره ابن القاص واستدل له بحديث ابن
انس عند الايمة الستة كلهم من طريق مالك عن الزهري عن انس قال دخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وعلى راسه المغفر
بكسر الميم وسكون الغين المعجمة وفتح الفاء بالراء زرد ينسج من الدروع المنفصل
بها يجعل على الراس او رفرف البيضة او ما غطى الراس من السلاح كالبيضة
وفي رواية عن مالك خارج الموطا مغفر من حديد رواه الدارقطني وذلك اي
وجه الاستدلال من كونه عليه السلام كان مستور الراس بالمغفر والمحرم
يجب عليه كشف راسه ومن تصريح جابر عند مسلم ومالك عند البخاري وغيره
والزهري عند [بياض] بانه لم يكن محرما وكذا صرح به طاوس عند ابي شيبة
باسناد صحيح وابدى ابن دقيق العيد لستر الراس احتمالا فقال
يحتمل ان يكون لعذر وغلا بنا على انه محرم انتهى وتعقبه الشيخ ولي
الدين العراقي فقال هذا يرد تصريح جابر بقوله دخل صلى الله عليه
وسلم يوم دخل مكة يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير احرام اخرجه
مسلم واحمد واصحاب السنن وغيره كالزهري ومالك بقوله ولم يكن صلى
الله عليه وسلم فيما نرى والله اعلم يومئذ محرما اخرجه البخاري ورواه الدار
قطني جزما عنه فاسقط فيما نرى والله اعلم قال ابن العراقي ونعذر
الاستدلال منهم على الخصوصية في غير الموضع المشهور لانه عليه
السلام كان خائفا من القتال متاهبا له ومن كان كذلك فله الدخول
عندنا بلا احرام بلا خلاف عندنا ولا عند احد نعلمه فلا يصلح الاستدلال
بذلك وقد استشكل النووي في شرح المهذب ذلك اي دخوله خائفا من
القتال متاهبا له لان مذهب الشافعي ان مكة فتحت صلحا خلافا لابي
حنيفة ومالك والاكثرين في قوله انها فتحت عنوة وحينئذ فلا خوف
وايضا فاجاب عنه بانه عليه السلام صالح ابا سفيان وكان لايا من غدر
اهل مكة فدخلها صلحا وهو متاهب للقتال ان غدروا اي اهل

مكة يا لبنا للفاعل انتهي وعلي قول الاكثرين لا يتوجه هذا السوال اصلا
وقد ذكرت ما في فتح مكة من المباحث في قصة فتحها من المقصد
الاول ومنه ترجيح فتحها عنوة من حيث الادلة ثم ان غيره صلي الله عليه
وسلم اذا لم يكن خايفا فقال اصحابنا ان لم يكن ممن يتكرر دخوله ففي
وجوب الاحرام عليه قولان اصحهما عند اكثرهم انه لا يجب اذ لم يرد نسكا
بل يستحب وقطع به بعضهم فان تكرر دخوله كالحطابين ونحوهم ففيه
خلاف مرتب متفرع علي الخلاف المذكور فان قلنا لا يجب علي من لم يتكرر فلنا بعدم
علي من تكرر قطعا وان قلنا يجب علي من لم يتكرر ففي وجوبه علي من تكرر خلاف
اصحه لا يجب كما قال وهوا ولي بعدم الوجوب وهو المذهب اي المعتمد
من التعبير بالكل علي الجز لانه الاهم عند الفقيه المقلد او قال بعض الحنابلة
بوجوب الاحرام الا علي الخايف واصحاب الحاجات المتكررة واوجبه
المالكية في المشهور عندهم علي غيره وي الحاجات واوجبه الحنفية
مطلقا الا من كان داخل الميقات وقد تحرر من هذا ان المشهور من
مذهب الشافعي عدم الجمهور مطلقا ومن مذهب الايمة الثلاثة الوجوب
الا فيما استثني وعن كل رواية منهم لا يجب وقدم هذا في فتح مكة بنحوه
والله اعلم ومن خصايصه صلي الله عليه وسلم انه كان يقضي بعلمه
لنفسه ولغيره زاد الانموذج ولو في الحدود من غير خلاف وعن غيره خلاف
اصحه عند الشافعية ان القاضي المجتهد له الحكم بعلمه الا في الحدود بخلاف
غير المجتهد والحدود فلا يقضي بعلمه للريبة والراجح عند المالكية منعه في
الحدود وغيرها الا في النقد بل والتجريح وان يقضي لنفسه ولولده
اي مع عدمه لان المنع في حق غيره للريبة وهي منتفية عنه قطعا وان
يشهد لنفسه ولولده لانتفا الريبة زاد الانموذج وان يقبل شهادة
من شهد له ولولده ولا يكره له الفتوي ولا القضا في حال الغضب
لانه لا يخاف عليه من الغضب ما يخاف علي غيره اذا غضبه لله لا لحظ نفسه
كما ذكره النووي في شرح مسلم عند حديث اللقطة فانه صلي الله عليه
وسلم افتي فيه وقد غضب حتي احمرت وجنتاه كما في الصحيحين ان النبي
صلي الله عليه وسلم سال رجل عن اللقطة فقال اعرف وكاها وعفاصها ثم عرفها
سنة ثم استمتع بها فان جا ربها فادها اليه قال فضالة الابل فغضب حتي
احمرت وجنتاه فقال ما لك ولها معها سقاوها وحذاوها ترد الما وترعي
الشجر فذرها حتي يلقاها ربها قال فضالة الغنم فقال لك او لاخيك
او للذيب وقضي للزبير بن العوام احد العشرة بشراج بكسر الشين
المعجمة اخره جيم جمع شرج بفتح فسكون بزنة بحر وبحار ويجمع علي شروج
واضيف الي الحرة بفتح الحا والرا المشددة المهملتين موضع معروف
بالمدينة لكونه فيه والمراد مجاري الما الذي يسيل منها بعد ان اغضبه
خصم الزبير هو حميد رواه ابو موسي المديني في الذيل بسند جيد

قال

قال الحافظ ولم ار تسميته الا في هذا الطريق وهو مردود بما في بعض طرق
الحديث اي عند البخاري في الصلح انه شهد بدرا وليس في البدريين احد اسمه
حميد وقيل هو ثابت بن قيس بن شماس حكاه ابن بشكوال واستبعد وقيل حاطب
ابن ابي بلتعة حكاه ابن باطيش ولا يصح لان حاطبا ليس انصاريا واجيب
بحمله علي المعني اللغوي اي من كان ينصر النبي صلي الله عليه وسلم لا انه من الانصار
المشهورين ورد بان في رواية الطبراني انه من بني امية بن زيد وهم بطن
من الاوس ودفع باحتمال ان مسكنه كان في بني امية لا انه منهم وقد روي
ابن ابي حاتم عن سعيد بن المسيب في قوله فلا وربك الاية قال انزلت في الزبير
ابن العوام وحاطب بن ابي بلتعة اختصما في ما فقضي النبي صلي الله عليه وسلم
ان يسقي الاعلي ثم الاسفل وهذا مرسل ولكن فيه فايدة تسمية الانصاري
لعصمته صلي الله عليه وسلم فلا يقول في الغضب الا كما يقول في الرضي
اذ كل من غضبه ورضاه لله اخرج الايمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال خاصم
الزبير رجلا من الانصار في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال النبي صلي
الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الما الي جارك فقال الانصاري يا رسول
الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله ثم قال اسق يا زبير ثم احبس
الما حتي ترجع الي الجدر ثم ارسل الما الي جارك واستوعي الزبير حقه وكان اشار
عليهما بامر لهما فيه سعة قال الزبير فما احسب هذه الاية الا نزلت في ذلك فلا
وربك لا يومنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم وان بفتح الهمزة للتعليل مقدرة باللام
اي حكمت له بالتقديم لاجل انه ابن عمتك وادعي الكرماني انه في بعضها ان بكسر الهمزة
قال الحافظ علي انها شرطية والجواب محذوف ولا اعرف هذه الرواية وحكي القرطبي
فتح الهمزة والمد علي انه استفهام انكاري ولم يقع لنا في الرواية قال المصنف لكن
رايته في الاصل المعتمد وعلي الميدومي وغيره وفي الفرع مصحح عليه بالمد والجدر
بفتح الجيم وسكون المهملة ما وضع بين شربات النخل كالجدار او الحواجز التي تحبس
الما وقال القرطبي هو ان يصل الما الي اصول النخل قال ويروي بكسر الجيم وهو الجدار
والمراد جدران الشربات وهي الحفر التي تحفر في اصول النخل انتهي وكان له
ان يدعو لمن شا بلفظ الصلاة استقلالا بلا كراهة لحديث الصحيحين
وغيرهما عن عبد الله بن ابي اوفي علقمة رضي الله عنهما قال كان اذا اتاه
قوم بصدقتهم قال اللهم صل علي ال فلان وليس اي يكره تنزيها علي الاصح
لنا ان نصلي الا علي نبي او ملك استقلالا لانه صار شعارا لهم اذا ذكروا فلا
يقال لغيرهم وان كان معناه صحيحا الا تبعا فيجوز وكان له ان يقتل بعد الامان
كذا نقله امام الحرمين والرافعي وغيرهما عن ابن القاص وخطاوه فيه وتعقبهم
ابن الرفعة بان لفظه في تلخيصه لا يعطي ذلك فانه قال يجوز له القتال في الحرم
بعد اعطا الامان وهذا معناه اذا قال من دخل الحرم فهو امن ودخله شخص
ولم يسبب نقيتضي قتله ابيح له قتله فهو اشارة لقصة عبد الله بن خطل
في الصحيحين عن انس انه صلي الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وعلي

رأسه المغفر فلما نزعه جاء رجل فقال ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال
اقتلوه وابن القاص معذور لانه رأى حديث الامان منع دخول المسجد ورأى
في هذا الامر بقتله فاستنبط هذه الخصوصية وهذا غاية امر الفقيه
جمعا بين الاحاديث لكن النبي صلى الله عليه وسلم لما امن الناس استثنى ابن
خطل وغيره كما سبق في الفتح وان يلعن ما شاء بغير سبب يقتضيه [illegible]
ذلك اي وقوعه منه وجعل الله شتمه به ولعنه قربة للمشتوم والملعون
تقربه الى الله يوم القيامة لدعائه عليه السلام بذلك بقوله اللهم انى اتخذ
عندك عهدا لن تخلفنيه انما انا بشر فايما مؤمن آذيته او شتمته او جلدته او
لعنته فاجعلها صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة رواه الشيخان
من حديث ابي هريرة واللفظ لمسلم وفي لفظ له اللهم انما انا بشر ارضى كما يرضى
البشر واغضب كما يغضب البشر فايما احد دعوت عليه من امتي بدعوة ليس
لها باهل ان تجعلها له طهورا وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وفيه
روايات اخر متقاربة وفي مسلم ايضا عن عائشة دخل على النبي صلى الله عليه
وسلم رجلان فكلماه بشيء لا ادري ما هو فاغضباه فسبهما ولعنهما فلما خرجا
قلت له فقال اوما علمت ما شارطت عليه ربي قلت اللهم انما انا بشر فايما
الحديث قال في الفتح قال المازري ان قيل كيف يدعو على من ليس لها باهل
قيل المراد ليس لها باهل عند الله في باطن الامر لا على ما يظهر مما يقتضيه
حاله وجنايته حين دعا عليه فكأنه يقول من كان في باطن امره عندك ممن
ترضى عنه فاجعل دعوتي عليه التي اقتضاها ما ظهر لي من مقتضى حاله
حينئذ طهورا وزكاة قال وهذا معنى صحيح لا استحالة فيه لانه صلى الله عليه
وسلم متعبد بالظواهر وحساب الناس في البواطن على الله انتهى لكنه مبني
على انه كان يجتهد في الاحكام ويحكم بما ادى اليه اجتهاده اما على انه لا يحكم
الا بالوحي فلا يتأتى فيه هذا واجاب المازري ايضا بان ما وقع من سبه ودعائه
ونحوه ليس بمقصود بل هو مما جرت به عادة العرب في كلامها بلا نية كقوله
لغير واحد تربت يمينك وعقرى حلقى ومثل لا كبرت سنك ولا اشبع الله بطنه
ونحو ذلك مما لا يقصد منه حقيقة الدعاء فخاف صلى الله عليه وسلم ان يصادف
شيئا من ذلك فسأل الله ورغب اليه ان يجعل ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورا
واجرا وهذا انما كان يقع منه في النادر الشاذ من الزمان ولم يكن صلى الله
عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا لعانا ولا منتقما لنفسه وقيل له ادع على
دوس فقال اللهم اهد دوسا وقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون واشار
عياض الى ترجيح هذا الجواب قال الحافظ وهو حسن الا انه يرد عليه قوله
في احدى الروايات او جلدته اذ لا يقع الجلد بلا قصد وقد ساق الجميع مساقا
واحدا الا ان يحمل على الجلدة الواحدة فيتجه قاله ابن القاص ورده
عليه حكاه الحجازي في مختصر الروضة عن الرافعي ولعل وجه رده
شمول كلامه لمن دعا عليه بسبب يقتضي الدعاء والا فالحديث كما رأيت مصرح

بما قاله في الشامية وبان له تعزير من شاء اي باللعن وغيره بغير سبب يقتضيه
يقتضيه ويكون له رحمة ذكره ابن القاص وتبعه الامام والبيهقي ولا يلتفت لقول
من انكره وكان يقطع الاراضي قبل فتحها بخلاف غيره من الائمة فانما يقطع
بعد فتحها لان الله ملكه الارض كلها ولا ينقض شيء مما اقطعه بعده بحال ولذا
افتى الغزالي بكفر من عارض اولاد تميم الداري فيما اقطعهم النبي
صلى الله عليه وسلم من الارض بالشام وقال انه صلى الله عليه وسلم كان
يقطع ارض الجنة ما شاء منها لمن شاء فارض الدنيا اولى ونقله عن الغزالي
ابن العربي في القانون واقره وافتى به السبكي ايضا وروى الشافعي والبيهقي
عن طاوس مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم عادي الارض لله ولرسوله
ثم لكم من بعد قال الرافعي يقال للشيء القديم عادي نسبة الى عاد الاولى
والمراد هنا الارض غير المملوكة الآن وان تقدم ملكها ومضت عليها الازمان
فلا يختص ذلك بقوم عاد فالنسبة اليهم للتمثيل لما لم يعلم مالكه وقوله
لله ولرسوله اي مختص بهما فهو فيء يتصرف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى

الفصل الرابع

ما اي شيء اختص به على الامة وان شاركه الانبياء في بعضها صلى الله عليه
وسلم من الفضائل وتفصيل ما ينبغي لا يقتضي حصرا ولا استيعابا ولا يفسر
بالذي لانه يصير معرفة فيقتضي الحصر والواقع انه لم يستوعب جميع ما اختص
به من الفضائل جمع فضيلة وهي الفضل الخير وهو خلاف النقيصة والنقص
كما في المصباح وقضيته ان ما لا نقص فيه ولا كمال يسمى فضيلة وفضلا لانه
خلاف النقص والظاهر كما قال شيخنا انه غير مراد وان الفضيلة ما فيه مزية
لصاحبها على غيره فما لا كمال فيه ولا نقص واسطة بين الفضيلة والنقيصة
انتهى وقد قال القرطبي في المفهم الفضائل جمع فضيلة وهي الخصال الجميلة التي
يحصل لصاحبها بسببها شرف وعلو منزلة اما عند الحق واما عند الخلق والثاني
لا عبرة به الا ان اوصل الى الاول انتهى والكرامات عطف خاص على عام جمع كرامة
امر خارق للعادة غير مقرون بالتحدي فيظهر على يد اولياء الله ودرجة الانبياء
قبل النبوة لا تقصر عن الولاية فيجوز ظهورها على يدهم منها انه اول
النبيين خلقا واخرهم بعثا رواه ابن ابي حاتم وغيره عن ابي هريرة
مرفوعا بلفظ كنت اول الخ ورواه هو والديلمي وابو نعيم وغيرهم عن ابي
هريرة مرفوعا بلفظ كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث كما تقرر
في اول هذا الكتاب بادلته وتفسير معناه وانه كان نبيا وادم بين
الروح والجسد ظرف زمان يعني انه محكوم بها ظاهره بين خلق روح ادم
وجسده حيث نباه في عالم الارواح وامرها بمعرفة نبوته والاقرار
بها رواه الترمذي وقال حديث حسن من حديث ابي هريرة انهم
قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد
ومنها انه اول من اخذ عليه الميثاق يوم الست بربكم كما مر اول الكتاب

ومنها انه اول من قال بلى انت ربنا يوم الست بربكم رواه ابو سهل
القطان ... في جزء من اماليه عن علي باسناد ضعيف ومنها ان ادم وجميع بياض باصل
المخلوقات خلقوا لاجله رواه البيهقي وغيره كشيخه الحاكم وصححه عن ابن
عباس اوحى الله الى عيسى ان امن بمحمد وامر امتك ان يومنوا به فلولا محمد
ما خلقت ادم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار الحديث وهو لا يقال راياً فحكمه
الرفع وروى ابن عساكر لقد خلقت الدنيا واهلها اعرفهم كرامتك ومنزلتك
عندي ولولاك ما خلقت الدنيا ومنها ان الله كتب اسمه الشريف على العرش
لفظ الرواية عن كعب على ساق العرش كما مر في الاسما اي فوايمه وروى ابن
عدي لما عرج بي رايت مكتوبا على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله
ايدته بعلي وعلى كل سما من السموات السبع وعلى الجنان وما فيها من قصور
وغرف وعلى نحور الحور العين وورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى
واطراف الحجب وبين اعين الملايكة رواه ابن عساكر عن كعب الاحبار
قال انزل الله على ادم عصيا بعدد الانبيا والمرسلين ثم اقبل على ابنه شيث
فقال اي بني انت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى
فكلما ذكرت الله ذكرت اسم محمد فاني رايت اسمه مكتوبا على ساق العرش الحديث
بطوله قدمه المصنف في الاسما وهو من الاسرايليات وحكم بعض الحفاظ
بوضعه واجاب شيخنا بان الحكم بوضع جملة الفاظه لا يستلزم عدم ثبوت
معانيها اذ يجوز ثبوت معاني بعضها في احاديث فنظروا اليها من حيث وجودها
في غير حديث كعب كذا قال وهو تجويز عقلي لا يلتفت اليه المحدثون اذ كلامهم
انما هو في الاسناد الذي هو المرقاة وثبوت معنى الموضوع ولو في القران فضلا
عن تجويز ثبوته باحاديث لا تؤيد والموضوع فينفي عنه الوضع كما هو معقود عند
من له المام بالفن ومنها ان الله تعالى اخذ الميثاق على النبيين ادم فمن
بعده حتى عيسى ان قلنا بالمشهور انه ليس بينه وبين المصطفى نبي او من
بعده ايضا كالد بن سنان ان يومنوا به وينصروه قال الله تعالى
واذكر اذ حين اخذ الله ميثاق النبيين عهدهم لما بفتح اللام للابتدا وتوكيد
معنى القسم الذي في اخذ الميثاق وكسرها متعلق باخذ وما موصولة على الوجهين
اي للذي اتيتكم اياه وفي قرى اتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم من الكتاب والحكمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم لتومنن به
ولتنصرنه جواب القسم واممهم تبع لهم في ذلك قال علي بن ابي طالب
في تفسير هذه الاية فيما رواه ابن جرير لم يبعث الله نبيا من ادم فمن
بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لين بعث وهو
حي ليومنن به ولينصرنه وياخذ العهد بذلك على قومه الرواية
بنصب ياخذ كما افاده عياض بالعطف على يومنن بتقدير نون التوكيد الخفيفة
كذا وجهها الشمني والمصنف ورد بانه حينيذ يكون من جزا الشرط فيلزم
ان الاخذ من الامة بعد بعث المصطفى وليس المقصود فالعطف على جملة

لين

لين بعث الى اخره على انها في موضع مفرد والوجه ان التقدير وامرانا ياخذ
على حد وزججن الحواجب والعيونا وعن البغوي اختلف في معنى الاية فقيل
اخذ ميثاق النبيين ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان يومن
بمن ياتي بعده وينصره ان ادركه والا يامر قومه بنصره فاخذ الميثاق من موسى
ان يومن بعيسى ومن عيسى ان يومن بمحمد وقيل انما اخذ عليهم الميثاق في محمد صلى
الله عليه وسلم واختلف على هذا فقيل الاخذ على النبيين واممهم واكتفى بذكر الانبيا
لان العهد على المتبوع عهد على التابع وقيل المراد ان الله اخذ عهد النبيين ان
ياخذوا الميثاق على اممهم بذكرا نتهى ... وقد مر بسط ذلك في اول هذا الكتاب
ومنها انه وقع الذبشير به في الكتب السالفة كالتوراة والانجيل ونعته فيها
ونعت اصحابه وخلفايه كما سياتي ان شا الله تعالى في النوع الرابع من المقصد
السادس ومنها انه لم يقع في نسبه من لدن ادم اي زمنه لان لدن وان
كان الاصل انها ظرف مكان بمعنى عند لكنها قد تستعمل للزمان كما هنا سفاح اي
زنا بكسر السين المهملة من سفح الما والدم او الدمع اذا انصب لان الزاني يصب
المني في غير حقه لعدم ثبوت النسب والتوارث فيه ولكونه من الكليات الخمس
التي لم تبح في ملة من الملل قال بعض المحققين والمراد بالسفاح ما لم يوافق شريعة
رواه البيهقي والطبراني في الاوسط وابو نعيم في الدلايل باسناد حسن
عن علي مرفوعا خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح من لدن ادم الى ان ولدني
ابي وامي لم يصبني من سفاح الجاهلية شي ومنها انه نكست الاصنام لمولده
رواه الخرايطي في الهواتف وغيره كابن عساكر عن عروة ان نفرا من قريش
منهم ورقة بن نوفل كانوا في صنم لهم يجتمعون اليه فدخلوا عليه ليلة فراوه
مكبوبا على وجهه فاخذوه وردوه الى حاله فلم يلبث حتى انقلب انقلابا
عنيفا فردوه الى حاله فانقلب الثالثة فقالوا ان هذا لامر حدث فكان ذلك
ليلة ولد صلى الله عليه وسلم وشاركه في هذه الخصوصية عيسى روى عبد الرزاق
عن وهب لما ولد عيسى اتت الشياطين ابليس فقالوا اصبحت الاصنام منكوسة
فقال هذا حادث حدث مكانكم فطار حتى خافقي الارض فلم ير شيا ثم البحار فلم يقف على
شي ثم طاف ايضا فوجد عيسى قد ولد والملايكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال
ان نبيا ولد البارحة ومنها انه ولد مختونا اي على صورة المختون اذ صورة الختن
القطع ولا قطع هنا مقطوع السرة الاولى حذف التا لان السر بالضم ما
تقطعه القابلة من سرة الصبي كما في النهاية وغيرها الا ان يكون سمي
السر سرة بمجاز العلاقة المجاورة وفيه حذف اي مقطوع منه ما يتصل
بالسرة رواه الطبراني وغيره وفي عده من الخصايص نظر اذ ولد سبعة
عشر نبيا مختونين كما مر نظما وجماعة من هذه الامة ولدوا مختونين
ولذا قال ابن القيم ليس هذا من خصايصه فان هذا من خصايص كثير
من الناس ولد مختونا قال الشامي حتى في عصرنا اخبر بعضهم انه ولد
مختونا انتهى ويمكن ان الخصوصية بمجموع الختن وقطع السرة وقيل ختنه جده

يوم سابعه وصنع له مادبة وقيل ختنه جبريل عند حليمة والارجح الاول فقد
قال الحاكم بعد تواترت الاخبار وابن الجوزي لا شك انه ولد مختونا قال الخيضري وادلته
مع ضعفها امثل من ادلة غيره انتهي بل له طريق جيدة صححها الضيا المقدسي وحسنه
مغلطاي وهو ما رواه الطبراني وابو نعيم وابن عساكر عن انس رفعه من كرامتي
علي ربي اني ولدت مختونا ولم ير احد سوءتي وتقدم ما فيه من البحث والكتاب
مع نوابد جليله ومنها انه خرج نظيفا ما به قذر بما جرت العادة به عن المولود
عقب ولادته وهي صفة موضحة للمبالغة في نظافته اذ القذر ضد النظافة
رواه ابن سعد من طريق همام بن يحيي عن اسحق بن عبد الله عن امنة ومنها انه
وقع خرج من بطن امه ساجدا حنيفة رافعا اصبعيه اي سبابتيه الي السما
قابضا بقية اصابعه كالمتضرع المتذلل المبتهل رواه ابو نعيم في خبر طويل من
حديث ابن عباس عن امنة بلفظ فوضعت محمدا فنظرت اليه فاذا هو ساجد
قد رفع اصبعيه الي السما كالمتضرع المبتهل وللطبراني لما وقع الي الارض وقع
مقبوضة اصابع يده مشيرا بالسبابة كالمسبح بها ورات امه رؤية عين يقظة
لا منامية كما زعم عند ولادته نورا خرج منها اضاله قصور الشام اي
اضا النور وانتشر حتي رات قصور الشام واضات تلك القصور من ذلك النور
وكذلك تري امهات الانبيا نورا يخرج منهن عند الولادة وان لم يكن كالذي
راته امه من كل وجه بحيث ان كل واحدة تضي منها قصور الشام هكذا نرجاه بحثا
رواه احمد والبزار والطبراني وصححه ابن حبان والحاكم من حديث العرباض
مرفوعا واحمد ايضا من حديث ابي امامة وابن اسحق عن خالد بن معدان عن
اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال فيه اضات له قصور بصري من
ارض الشام وكان مهده اي ما هيي له لينام فيه يتحرك بتحريك الملايكة
له قال بعض ولم ينقل مثله لاحد من الانبيا كما ذكره ابن سبع باسكان الموحدة
وقد تضم كما في التبصير في الخصايص له وكان القمر يحدثه وهو في مهده
ويميل اليه حيث اي في اي وقت اشار اليه باصبعه فحيث هنا للزمان
رواه ابن طغربك بضم الطا المهملة واسكان الغين المعجمة وضم الرا وفتح الموحدة
في كتاب النطق المفهوم وغيره كالبيهقي والصابوني والخطيب وابن عساكر
عن العباس بن عبد المطلب قلت يا رسول الله دعاني الي الدخول في دينك
امارة لنبوتك رايتك في المهد تناغي القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت
اليه مال قال اني كنت احدثه ويحدثني ويلهيني عن البكا واسمع وجبته
حين يسجد تحت العرش وتكلم في المهد رواه الواقدي ان اول ما تكلم به لما ولد
جلال ربي الرفيع وروي انه لما وقع علي الارض رفع راسه وقال بلسان
فصيح لا اله الا الله واني رسول الله وعند ابن عايذ ان اول ما تكلم به حين خرج
من بطن امه الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وطريق الجمع
انه قال ذلك كله وابن سبع لكن عده من الخصايص فيه نظر اذ ليس من خصايصه
ولا من خصايص الانبيا فقد تكلم فيه ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب

جريج رواه احمد والحاكم مرفوعا وابن المراة من اصحاب الاخدود رواه مسلم ومبارك
اليمامة رواه البيهقي وكذا الطفل الذي مرت عليه امة تنسب الي الزنا فقالت
امه اللهم لا تجعلني مثلها فقال اللهم اجعلني مثلها فهولا ستة تكلموا في المهد وليسوا
بانبيا وللسيوطي نظم شهير في جملة من تكلم وظللته الغمامة السحابة في
الحر رواه ابو نعيم والبيهقي عن ابن عباس كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانا
بعيدا فغفلت عنه فخرج مع اخته في الظهيرة فخرجت حليمة تطلبه حتي تجده
مع اخته قالت في هذا الحر فقالت ما وجد اخي حرا رايت غمامة تظل عليه اذا
وقف وقفت واذا سار سارت حتي انتهت الي هذا الموضع الحديث وهذا كان
قبل النبوة فهو من الكرامات وفي الصحيح فاذا انا بسحابة قد اظلتني ولذا قال
ابن جماعة من زعم ان حديث اظلال الغمام لم يصح فهو باطل ثم قال السخاوي وغيره
لم يكن دايما لما في حديث الهجرة ان الشمس اصابته وظلله ابو بكر بردايه وثبت
انه كان بالجعرانة ومعه ثوب قد اظل عليه وانهم كانوا اذا اتوا علي شجرة ظليلة تركوها
له عليه السلام وغير ذلك ومال في نسخة ومال اليه في ظل الشجرة اذا سبق
اليه اكرام الله رواه البيهقي والترمذي وحسنه والحاكم وصححه وغيرهم عن ابي
موسي الاشعري قال خرج ابو طالب الي الشام ومعه النبي صلي الله عليه وسلم
في اشياخ من قريش الحديث وفيه ان بحيرا الراهب صنع لهم طعاما واتاهم به وكان
صلي الله عليه وسلم في رعية الابل فقال بحيرا ارسلوا اليه فاقبل وعليه غمامة تظله
فلما دني من القوم وجدهم قد سبقوه الي في الشجرة فلما جلس مال في الشجرة عليه
فقال انظروا الي في الشجرة مال عليه ومنها شق صدره الشريف اربع مرات
ولم تثبت الخامسة رواه مسلم وغيره وتقدم بسطه بجميع ما ذكره المصنف من
اول هذا الفصل الي هنا في المقصد الاول الي كتابة اسمه علي العرش وغيره ففي
المقصد الثاني وغطه بغين معجمة وطا مهملة مشددة ضمه وعصره جبريل
عند ابتدا الوحي ثلاث غطات ليشغله عن الالتفات لشي اخر ولاظهار الشدة
والجد في الامر وان ياخذ الكتاب بقوة وقيل غير ذلك كما مر عد هذه
بعضهم من خصايصه كما نقله الحافظ ابن حجر قال ولم ينقل عن احد من
الانبيا انه جري له عند ابتدا الوحي لا مرة ولا اكثر ومنها ان الله
ذكره في القران اي ذكر اعضاه الذي اريد الاخبار عنها بصفة تتعلق
بها فيها ثنا عليه مبينة عضوا عضوا وهو بهذا المعني لا يستلزم الجميع
فلا يرد انه بقي من الاعضا الفخذين والرجلين وغيرهما فقلبه اي فذكر
قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما راي اي ما راه بقلبه اي ما انكر قلبه ما
راه ببصره من صورة جبريل او الله تعالي فان الامور القدسية تدرك
اولا بالقلب ثم تنتقل منه الي البصر او ما قال فؤاده لما راه اعرفك لانه عرفه
بقلبه كما راه ببصره والمعني انه ليس تخيلا ويدل له انه صلي الله عليه وسلم
سيل هل رايت ربك فقال رايته بفؤادي رواه ابن جرير عن ابن عباس
وقوله نزل به الروح الامين جبريل علي قلبك وفي قراءة بتشديد

نزل ونصب الروح والفاعل الله وذكر لسانه بقوله وما ينطق بما ياتيكم
به عن الهوى هوى نفسه وقوله فانما يسرناه سهلنا القران بلسانك
لغتك وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى اي ما مال بصره صلى الله عليه
وسلم عن المقصود له ولا جاوزه تلك الليلة ووجهه بقوله قد للتحقيق
نرى تقلب تصرف وجهك في جهة السما متطلعا الى الوحي ومتشوفا
الى الامر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لانها قبلة ابراهيم ولانه ادعى
لاسلام العرب ويده وعنقه بقوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
اي لا تمسكها عن الانفاق كل المسك وظهره وصدره بقوله الم نشرح
لك صدرك بالنبوة وغيرها ووضعنا حططنا عنك وزرك الذي
انقض اثقل ظهرك وهذا كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وياتي بيانه
ان شا الله تعالى واشتق اسمه من اسم الله المحمود بالجر بدل وبالنصب
بتقدير اعني والرفع بتقدير هو وقيل من اسمه الحميد ولكن المحمود اتم في
الاشتقاق لان فيه ميمين كمحمد بخلاف الحميد ويشهد له ما اخرجه البخاري
في تاريخه الصغير من طريق علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن
عبد الله بن جدعان القرشي التيمي البصري ضعيف من صغار التابعين قال كان
ابو طالب يقول وشق بالبنا للمفعول من شي شق الشي جعله قطعتين
اي اشتق الله تعالى له من اسمه بقطع الهمزة للضرورة اسما ليجله
ليعظمه فذو العرش محمود وهذا محمد وقدم المصنف هذا الحديث بلفظه
في اسمائه عليه السلام وهو مشهور لحسان بن ثابت الانصاري
المويد بروح القدس فتوارد حسان مع ابي طالب او ضمنه شعره وبه جزم
بعض وسمي احمد اي احمد الحامدين لربه والانبيا حامدون وهو احمدهم
اي اكثرهم حمدا ولم يسم به احد قبله منذ خلقت الدنيا حماية من الله
لئلا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك في انه المنعوت باحمد في الكتب
السابقة كذا قاله اي هكذا قاله الاكثرون وبه جزم عياض وغيره
وهو الصواب والقول بان الخضر اسمه احمد مردود واه وكذا لم يسم به
احد في حياته واول من سمي به بعده والد الخليل بن احمد على المشهور
كما حصل موصلا رواه مسلم عن علي مرفوعا اعطيت ما لم يعط احد
من الانبيا قبلي نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح خزائن الارض وسميت احمد
وجعل لي التراب طهورا وجعلت امتي خير الامم ولاحمد من حديث علي
اعطيت اربعا لم يعطهن احد قبلي وذكر منها وسميت احمد
وقدم لفظه اول الخصائص ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان
يبيت جائعا ويصبح طاعما يطعمه ربه ويسقيه من الجنة
فكان يواصل كما سياتي البحث فيه في صيامه صلى الله عليه وسلم
من مقصد عباداته التاسع وكان يرى من خلفه كما يرى امامه
رواه مسلم عن انس وفيه ايها الناس اني امامكم فلا تسبقوني بالركوع

ولا بالسجود فاني اراكم من امامي ومن خلفي ويرى في الليل في الظلمة
بضم فسكون وبضمتين ذهاب النور واحترز به عما اذا كان قمر كما يرى
بالنهار في الضو رواه البيهقي في الدلايل عن ابن عباس به وعنده ايضا
عن عايشة نحوه وقدم المصنف نحوه ببسط هذين في بصره من المقصد الثالث
وكان ريقه يعذب الما الملح رواه ابو نعيم وغيره عن انس انه بزق في
بير في دار انس فلم يكن في المدينة بير اعذب منها ويجزي يكفي الرضيع
عن اللبن رواه البيهقي في الدلايل بلفظ انه كان يدعو يوم عاشورا برضعائه
ورضعا ابنته فاطمة فيتفل في افواههم ويقول للامهات لا ترضعنهم الى
الليل فكان ريقه يجزيهم وقدم هذين في ريقه من المقصد الثالث ويقع
في بعض النسخ هنا زيادة ومنها انه صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى
في الصخر غاصت قدماه فيه واثرت فيه كما هو مشهور قديما
وحديثا على الالسنة ونطق به الشعرا في منظومهم والبلغا في
منثورهم وانكره الحافظ السيوطي وقال لم اقف له على اصل ولا سند ولا رايت
من خرجه في شي من كتب الحديث وكذا انكره غيره وحاول المصنف خلافه
فقال مع اعتضاده تقويته بوجود اثر قدمي الخليل ابراهيم عليه
افضل الصلاة والسلام في حجر المقام المذكور في التنزيل في قوله
تعالى فيه ايات بينات منها مقام ابراهيم اي الحجر الذي قام عليه
عند بنا البيت فاثر قدماه وهو البالغ تعيينه وانه اثره اي
ابراهيم مبلغ التواتر القايل فيه ابو طالب في قصيدته اللامية وموطي
بالجر على المجرور قبله من قوله اعوذ برب الناس اي محل وطي ابراهيم في
الصخر الحجر رطبة حتى اثر فيه على قدميه حافيا غير ناعل صفة كاشفة
وبما في البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة مرفوعا من معجزة
تاثير ضرب موسى في الحجر الذي كان يحمله معه في الاسفار فيتفجر منه الما
ستا من الاثار او سبعا بالشك من الراوي ولعله اوحى اليه ان يضربه
اذ فر بثوبه لما اغتسل عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كانت بنو اسرايل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى بعض وكان موسى يغتسل
وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر فذهب مرة
يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فخرج موسى في اثره يقول
ثوبي يا حجر ثوبي يا حجر حتى نظرت بنو اسرايل موسى فقالوا والله ما بموسى
من باس واخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال ابو هريرة والله انه لندب
بالحجر ستة او سبعة رواه الشيخان قال الحافظ فيه معجزة ظاهرة لموسى وان
الادمي يغلب عليه طباع البشر لان موسى مع علمه ان الحجر ما سار بثوبه الا بامر
الله عامله معاملة من يعقل حتى ضربه ويحتمل انه اراد بيان معجزة اخرى
لقومه بتاثير الضرب بالعصي في الحجر انتهى وذكر وجه استشهاده فقوله اذ
ما خص نبي بشي من المعجزات والكرامات الا ولنبينا صلى الله عليه

وسلم مثله كما نصوا عليه لكن المثلية التي للمصطفى اما من جنسها او بغيرها
اعلا او مساو كما نصوا عليه فتمثل هذا لا يدفع انكار وروده ثم ما يويد ذلك
وهو وجود اثر بغلته الشريفة علي ما قيل في مسجد بطيبة حتى
عرف المسجد بها فقيل له مسجد البغلة وهذا لو ثبت لا ينتج الدعوي اذ لا
يلزم من تاثير حافر بغلته وان كان اكراما له ومعجزة ان نفس قدميه يوثر
الذي هو المطلوب وما ذاك الا من سره الساري فيها ليكون ذلك اقوي
في الاية واوضح في الدلالة علي اثباته عليه السلام لهذه الاية
التي اوتيها الخليل في حجر المقام علي وجه اعلي منه وهذا التفريع منه
بانه لم يوت مثله بخصوصه فلم يثبت المطلوب بل قال الزبير بن بكار
فيما نقله المجد الشيرازي صاحب القاموس في كتابه المغانم المطابة
في فضايل طابة بعد ذكره لاثر حافر البغلة ومسجدها وفي غربي
هذا المسجد اثر مرفق يذكر انه عليه السلام اتكي عليه ووضع
مرفقه الشريف عليه وعلي حجر اخر اثر الاصابع والناس يتبركون
بهما اي اثر المرفق واثر الاصابع وقال السيد الشريف نور الدين
علي السمهودي في كتابه وفا الوفا تاريخ المدينة بعد
ايراد ذلك فتوقف في ذلك علي اصل الا ان ابن النجار الحافظ الشهير قال
في تاريخ المدينة في المساجد التي ادركها خرابا بالمدينة مالفظه ومسجدان
قرب البقيع احدهما يعرف بمسجد الاجابة كانه لاجابة الدعا فيه والثاني
يعرف بمسجد البغلة فيه اسطوان عمود واحد وهو خراب وحوله نشز
بالزاي اي مرتفع من الحجارة فيه اثر يقولون انه اثر حافر بغلة النبي
صلي الله عليه وسلم انتهي كلام السمهودي وهذا اخر ما في بعض النسخ
واكثرها سقوطه ولعله اولي وكان ابطه عليه الصلاة والسلام لا شعر
عليه قاله القرطبي وكان ابيض غير متغير اللون قيد به دفعا لتوهم
ان خلوه من الشعر لمرض منع ظهوره كما ذكره الطبري الحافظ محب الدين
المكي وعنده في الخصايص وذكره بعض الشافعية كالاسنوي لحديث
انس المتفق عليه اي الذي رواه الشيخان انه صلي الله عليه وسلم كان
يرفع يديه في الاستسقا حتي يري بياض ابطيه لفظ الحديث عندهما
كان لا يرفع يديه في شي من دعايه الا في الاستسقا فانه كان يرفع يديه
حتي يري بياض ابطيه فاقتصر المصنف علي حاجته منه وقال الشيخ جمال
الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الاسنوي شيخ الشافعية وصاحب
التصانيف السايرة امام زمانه البارع توفي سنة سبع وسبعين وسبعماية
وله اربع وسبعون سنة في كتاب المهمات ان بياض الابط كان من خواصه
صلي الله عليه وسلم انتهي قال في شرح تقريب الاسانيد تقريب
الاسانيد الولي العراقي وما ادعاه من كون هذا من الخصايص فيه نظر
اذ لم يثبت ذلك بوجه من الوجوه بل لم يرد ذلك في شي من الكتب

بياض تأمل

المعتمدة

المعتمدة والخصايص لا تثبت بالاحتمال القايم من ذكر انس وغيره بياض
ابطيه وانما يثبت بالنص الصريح ولا يلزم من ذكر انس وغيره بياض ابطيه
ان لا يكون له شعر لاحتمال انه كان يديم نتف هذه فان الشعر اذا نتف بقي
المكان ابيض وان بقي فيه اثار الشعر ولذلك ورد في حديث
عبد الله بن اقرم بفتح الهمزة والراء بينهما قاف ساكنة ثم ميم ابن زيد
الخزاعي اي معبد التميمي المدني صحابي مقل له حديثان انه صلي مع رسول
الله صلي الله عليه وسلم فقال كنت انظر الي عفرة بضم المهملة وسكون
الفا ابطيه اذا سجد خرجه الترمذي وحسنه والنسايي وابن ماجة
وذكر الهروي بفتح الها والرا احمد بن محمد ابو عبيد المشهور في الغريبين
للقران والحديث نسبة الي هراة مدينة بخراسان وليس هو علي ابو
الحسن بن ادريس كما توهم وابن الاثير في النهاية ان العفرة بياض
ليس بالناصع اي الخالص ولكن هو كلون عفرة الارض وهو وجهها
وهذا يدل علي ان اثار الشعر هو الذي جعل المكان اعفر والا فلو
كان خاليا من نبات الشعر جملة لم يكن اعفر وقد تمنع دلالته علي ذلك
بقول الحافظ ان شان المغابن ان يكون لونها في البياض دون لون بقية
الجسد نعم الذي يعتقد فيه صلي الله عليه وسلم وجوبا انه لم يكن
لابطه رايحة كريهة بل كان نظيفا طيب الرايحة كما ثبت في الصحيح
عن انس وغيره وقد روي البزار عن رجل قال ضمني رسول الله صلي الله
عليه وسلم فسال علي من عرق ابطيه مثل رايحة المسك وكان عليه السلام
يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغه صوت غيره ولا سمعه من الاصوات
والاسماع المعتاد بل قد كان يخطب فتسمعه العواتق في البيوت ويسمع اطيط
السما كما مر بسط ذلك في شمايله وكان تنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك
الانبيا فهي خصوصية له علي الامم كما مر مبسوطا رواه البخاري ومسلم وغيرهما
بلفظ يا عايشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبي واخرجه بلفظ المصنف الحاكم
من حديث انس كانت تنام الخ وتقدم ايضا وما تثاءب بالهمز تثاوبا وزان
تقاتل تقاتلا قيل هي فترة تعتري الشخص فيفتح عندها فمه وتثاوب بالواو
عامي كما في المصباح وقال غيره هو التنفس الذي ينفتح منه الفم لدفع البخار
المختنق في عضلات الفك قط وكذلك الانبيا لان سببه ناشي عن التلبس
لانه يدعو الي الشهوات التي منها الامتلا من الطعام الذي ينشا عنه التثاوب
غالبا وهم معصومون من ذلك كما رواه ابن ابي شيبة والبخاري في تاريخه
عن مرسل يزيد بيا قبل الزاي ابن الاصم عند السامع ونسخة الاعصم
بزيادة عين وتصحيف من الجهال واسم الاصم عمرو وقيل يزيد بن عمرو بن عبيد
العامري البكاي بفتح الموحدة والكاف الثقيلة ابن اخت ميمونة ام المومنين
من الثقات مات سنة ثلاث وماية قال ما تثاءب النبي صلي الله عليه
وسلم قط وظاهر هذا اختصاصه لكن في رواية عن يزيد المذكور

عند ابن ابي شيبة ايضا بلفظ ما تثاءب نبي قط كما قدمه المؤلف في الصوت
الشريف وهذا يعم جميع الانبيا ونحوه قوله هنا واخرج الخطابي من طريق
مسلمة بن عبد الملك بن مروان الاموي الامير مقبول روى له ابو داود ولم
يلق احدا من الصحابة مات سنة خمس وعشرين ومائة او بعدها قال ما تثاءب
نبي قط وهذا يعم الجميع فهو من خصائصه عليه الاسم ويؤيد ذلك ان التثاؤب
من الشيطان لانه الحامل على سببه بتزيين الشهوات رواه البخاري
ومسلم عن ابي هريرة مرفوعا التثاؤب من الشيطان فاذا تثاءب احدكم فليرده
ما استطاع وما احتلم قط اي ما راى في منامه ما يقتضي خروج المني
لانه من الشيطان ولا سبيل له عليه وكذلك الانبيا هذا هو المراد وان اطلق
الاحتلام لغة على الرويا المنامية لا بهذا القيد رواه الطبراني عن ابن
عباس قال ما احتلم نبي قط وانما الاحتلام من الشيطان كما قدمه في جماعه
صلى الله عليه وسلم وكان عرقه اطيب من المسك رواه ابو نعيم وغيره
بلفظ كان عرقه في وجهه مثل اللولو اي في البياض والصفا واطيب من المسك
الاذفر بالمعجمة اي الطيب الريح ومر بسط هذا في التمايل واذا مشى مع
الطويل طاله اي زاد عليه في الطول مع انه ربعه اكراما من الله حتى لا يزيد عليه
احد صورة كما لا يزيد معنى وقيل ارتفاعه في عين الناظر فراه رفعة حسية
وهذا من المعجزات رواه البيهقي وغيره عن عائشة قالت لم يكن بالطويل
البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب الى الربعة اذا مشى وحده ولم يكن على
حال يماشيه احد من الناس ينسب الى الطول الا طاله ولربما اكتنفه الرجلان
الطويلان فيطولهما فاذا فارقاه ينسب الى الربعة وروى عبد الله بن احمد
عن علي كان صلى الله عليه وسلم بالذاهب طولا وفوق الربعة اذا جامع القوم
غمرهم بفتح المعجمة والميم اي زاد عليهم في الطول من غمر الماء اذا علا ولذا زاد
رزين وابن سبع انه كان اذا جلس يكون كتفه اعلا من الجالسين اي من جميع
الجالسين وتوقف بعض فيه بانه لم يره الا في كلام رزين وكلام الناقلين
عنه تقصير فان الجامعة شاملة للجلوس والمشي ولم يقع له ظل على الارض
ولا روى له ظل في شمس ولا في قمر رواه الحكيم الترمذي مرسلا
قال ابن سبع لانه كان نورا كله وقال رزين لغلبة انواره وقيل وحكمته
صيانته عن ان يطا كافر ظله واطلاق الظل على القمر مجاز لانه انما يقال
ظلمة القمر ونوره وروى ابن المبارك وابن الجوزي عن ابن عباس لم يكن
للنبي صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع الشمس قط الا غلب ضوءه ضوء
الشمس ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج وتقدم هذا كله في مشيه
صلى الله عليه وسلم ويشهد له انه صلى الله عليه وسلم سال الله تعالى
ان يجعل الله تعالى في جميع اعضائه وجهاته نورا ختم بقوله
واجعلني نورا اي والنور لا ظل له وبه يتم الاستشهاد وكان صلى الله
عليه وسلم لا يقع على ثيابه ذباب قط نقله الفخر الرازي عن

بعضهم ولا يمتص دمه البعوض كذا نقله الحجازي وغيره ونوزع بعدم
ثبوته وما اذاه القمل لعدم وجوده فيه قاله ابو الربيع سليمان بن
سبع باسكان الموحدة وقد تضم السبتي في كتاب الشفا اي شفا الصدور من
اعلام نبوة الرسول وخصا بعضه ولفظه لم يكن فيه قمل لانه نور ولان اصله
من العفونة ولا عفونة فيه واكثره من العرق وعرقه طيب والسبتي بفتح
فسكون نسبة الى سبتة بالمغرب وجزم الرشاطي بان سبتة بالفتح والذي
ينسب اليها السبتي بالكسر في كتابه اعظم الموارد واطيب الموالد وقدم
المصنف في اللباس انه يشكل عليه حديث عائشة كان يفلي ثوبه ومن لازمه
وجود شي يوذيه وجود قمل او برغوث او نحو ذلك ويجاب بان التفلي
لاستقذار ما علق بثوبه من غيره وان لم يوذه وقيل ان اذاه غذاوه من
البدن واذا امتنع لم يعش الحيوان غالبا انتهى ملخصا ومر ان شيخنا دفع
بحثه بان التفلية لازالة القذر الحاصل من غيره لا القمل ونحوه ولا
يلزم انه حيوان ويتعقد بره حيوانا يجوز انه ولده قبل مضي مدة لا يصير
فيها على عدم الغذا ومنها انقطاع الكهنة بمعنى الكهانة تجوز العلاقة
المتعلق بينهما فاطلق اسم المتعلق واراد به التعلق فهو مجاز لغوي او هو
من مجاز النقص او اخبار الكهنة اذ نفس الكهنة لم ينقطعوا جمع كاهن وهو
المخبر ببعض المغيبات كذبا وغيره عند مبعثه اي عقبه وحراسة
السما من استراق السمع اي استراق الشياطين لاستماع ما تقول له
الملائكة فيخبرون به غيرهم والرمي بيا مقدرة اي وحراسة السما بالرمي
بالشهب اي رمي الملائكة للشياطين عند استراق السمع قال تعالى فمن
يستمع الان يجد له شهابا رصدا قيل الاولى تاخير عند مبعثه عن هذا المتعلق
بالثلاثة وجوابه انها عطف علة على معلول والعلة تقارن معلولها في
الزمان فيفيد ان الثلاثة عند مبعثه فلا فرق بين تقديمها وتاخيرها
ثم المتبادر من المصنف انه لم يتخلل زمن بين المبعث والرمي بالشهب وذكر ابن
الجوزي ان قريشا وبنو لهب بكسر اللام راوا الرمي بالنجوم بعد المبعث بعشرين
يوما فاجتمعوا على كاهن اسمه خطر اتت عليه مائتان وثمانون سنة
فذكر الخبر مطولا جدا وفيه اخره انه من اجل مبعوث عظيم الشان يبعث
بالتنزيل والقران من نجل هاشم المكارم يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم
هذا هو البيان اخبرني رئيس الجان ثم اغمي عليه فما افاق الا بعد ثالثة
فقال لا اله الا الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد نطق عن مثل نبوة وانه يبعث
يوم القيامة امة وحده وفي سيرة ابن اسحق لما تقارب امره صلى الله
عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد
التي كانت تسترق فيها فرموا بالنجوم فعرفت الجن انه امر حدث قال ولم
تفزع من ذلك ثقيف فاتوا عمرو بن امية بن علاج وكان ادهى العرب وانكرها
رايا فقال ان كانت هي النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها

الانوا فهو طي الدنيا وهلاك الخلق وان كانت غيرها وهي ثابتة علي حالها
فهو لامر حادث اراد الله به هذا الخلق **قال ابن عباس كانت الشياطين**
لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها
فيلقون علي الكهنة وفي تفسير ابن عطية روي في الرمي بالشهب
احاديث صحاح مضمنها ان الشياطين كانت تصعد الي السما فتقعد للسمع
واحدا فوق واحد فيتقدم الاجسر نحو السما ثم الذي يليه ثم الذي يليه فيقضي
الله بامر من امر الارض فيتحدث به اهل السما فيسمعه منهم الشيطان الادني
فيلقيه الي الذي تحته فربما احرقه شهاب وقد القي الكلام وربما لم يحرقه
جملة فتنزل تلك الكلمة فيصدق الجاهلون الجميع **فلما ولد عيسي**
عليه السلام منعوا من ثلاث كان حكمة تخصيصه دون ما قبله من الانبيا
علي ظاهره تعظيم المصطفي لقرب زمنه كما قال انا اولي الناس بعيسي ليس بيني
وبينه نبي **فلما ولد محمد صلي الله عليه وسلم منعوا من السموات**
كلها وما وقع عند الزبير بن بكار ان ابليس كان يخترق السموات ويصل الي
اربع فلما ولد المصطفي حجب من السبع محمول علي ما بعد ولادة عيسي بدليل
تفصيل ابن عباس المذكور **فما منهم من احد يريد استراق السمع الا**
رمي بشهاب وهو الشعلة من النار التي تشبه النجم المنقض وبعد اجرام
البيضاوي وياتي انهم كانوا يرمون بنفس النجوم **فلا يخطي ابدا** من حيث
الاصابة وان كان قد يتخلف الاحراق كما بينه بقوله **فمنهم من يقتله** فيكون
حريقا **ومنهم من تحرق وجهه** ولا يموت **ومنهم من تخبله** بضم التحتية
وفتح الخا المعجمة وشد البا ابلغ من فتح البا وسكون الخا وكسر البا اي يفسد
عقله او عضوه **فيصير غولا** اي شيطانا **يضل الناس في البراري**
وفي الحديث اذا تغولت لكم الغيلان فنادوا بالاذان وعن البغوي فاتبعه
شهاب ثاقب كوكب مضي لا يخطيه فيقتله او يحرقه او يخبله وانما يعودون
الي استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ونيل المراد
كراكب البحر قال عطا سمي النجم الذي يرمي به ثاقبا لانه يثقبهم وعن البيضاوي
والشهاب ما يرمي به كانه كوكب انقض وما قيل انه بخار يصعد الي الجو
فيشتعل فتخمين ان صح لم ينافي ذلك اذ ليس فيه ما يدل علي انه ينقض من الفلك
ولا ينافي قوله انا زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
فان كل نير يحصل في الجو العالي فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسما من
حيث انه يري كانه علي سطحه ولا يبعد ان يصير الحادث بما ذكر في بعض
الاوقات رجما للشياطين وفي رواية للشيطان يصعد الي قرب الفلك للسمع
وما روي ان ذلك حدث بميلاد النبي صلي الله عليه وسلم ان صح فلعل المراد
كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف في ان الرجوم يتاذي به او يحرق
فيرجع او يحرق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج
لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه راسا ولا يقال ان الشيطان

من

من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من
التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت علي الضعيفة استهلكتها
انتهي ولعل قوله قد يصيب وقد لا معناه قد يحترق وقد لا فلا خلف **وهذا**
اي الرمي بالشهب **لم يكن ظاهرا قبل مبعث النبي صلي الله عليه**
وسلم ولم يذكره احد قبل زمانه وانما ظهر في بدء امره وكان
ذلك اساسا لنبوته وفيه افادة انه كان موجودا لكنه قليل بالنسبة
لزمنه فلا يخالف قوله **وقال معمر بن راشد قلت للزهري** محمد بن مسلم
ابن شهاب اكان يرمي بالنجوم في الجاهلية اي ما قبل البعثة **قال نعم**
قلت افرايت قوله تعالي انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الاية
فان ظاهرها انه لم يكن يرمي بها في الجاهلية **قال غلظت وشدد امرها**
حين بعث محمد صلي الله عليه وسلم وقد روي ابن اسحق عن ابن عباس
عن نفر من الانصار ان النبي صلي الله عليه وسلم قال لهم ما كنتم تقولون في هذا
الذي يرمي به قالوا يا نبي الله كنا نقول مات ملك ملك ولد مولود مات
فقال صلي الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله تبارك وتعالي كان اذا
قضي في خلقه امرا سمعه حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم فسبح من
تحت ذلك ولا يزال التسبيح يهبط حتي ينتهي الي السما الدنيا فيسبحوا ثم
يقول بعضهم لبعض مم سبحتم فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم
فيقولون الا تسالون من فوقكم مم سبحوا فيقولون مثل ذلك حتي ينتهوا
الي حملة العرش فيقال لهم مم سبحتم فيقولون قضي الله في خلقه كذا وكذا للامر
الذي كان فيهبط الخبر من سما حتي ينتهي الي السما الدنيا فيتحدثوا به فيسترقه
الشياطين بالسمع علي توهم واختلاف ثم ياتوا به الكهان من اهل الارض فيحدثونهم
فيخطيون ويصيبون فيتحدث به الكهان فيصيبون بعضا ويخطيون بعضا
ثم ان الله حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة
اليوم فلا كهانة **وقال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن**
لم يكن في شدة الحراسة كالشدة الكاينة **بعد مبعثه وقيل ان**
النجم كان ينقض ويرمي الشياطين ثم يعود الي مكانه من السما ذكره
البغوي في تفسيره وقضية هذا كله منعهم من الاستراق راسا لكن قال
السهيلي انه بقي من استراق السمع بقايا يسيرة بدليل وجودهم علي الندور
في بعض الازمنة وبعض البلاد انتهي **ومنها انه اتي بالبراق** بضم الموحدة
وخفة الرا دابة فوق الحمار ودون البغل من البرق لسرعة سيره لانه
يضع حافره عند منتهي طرفه او لشدة صفايه لانه ابيض او لانه ذو
لونين بياض وسواد ليلة الاسرا **مسرجا ملجما قيل وكانت الانبيا**
تركبه عريانا فيه تجوز لانه انما يقال في الادمي وفي غيره عري بضم
فسكون **ومنها انه اسري بجسده به صلي الله عليه وسلم**
من المسجد الحرام راكبا علي البراق وحوله جبريل وغيره **الي المسجد**

الاقصى فربط البراق بالحلقة التي يربط بها الانبيا ثم دخل المسجد
وصلي فيه ركعتين وعرج به من المحل الاعلى الاقرب علوا من الارض الي
السما واراه من اياته الكبرى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ
ما ل البصر وما طغى ما تجاوز الى روية ما لم يرد منه بل جمع همته
في توجهه الي الحق بكليته فما التفت الي ما سواه واحضر الانبيا له
وصلي بهم وبالملايكة في بيت المقدس وفي السموات اماما ليعلم انه
امام الكل في الدنيا والاخرة واطلعه على الجنة والنار يقظة ليلة
الاسرا ليحصل له الانس باهوال القيامة وليتفرغ فيه للشفاعة ويقول
انا لها انا لها وامتي امتي حيث يقول غيره نفسي نفسي وعزيت هذه
اي اطلاعه عليها للبيهقي ولفظ الانموذج كعد هذه البيهقي اي من
خصا يصه ومنها انه راي الله تعالى بعينيه يقظة على الراجح كما يأتي
في مقصد الاسرا ان شا الله تعالى وجمع له بين الكلام والروية وكلمه
الله تعالى في الرفيع بالغاية المكان الاعلى على ساير الامكنة تشريفا
له لانه تعالى في مكان يوصف بقرب او بعد وكلم موسى بالجبل وذاك
اشرف منه للفرق بين من رفعه الملك الي محل شريف ليخاطبه فيه وبين من
خاطبه في محل يساويه فيه غيره وقد روي ابن عساكر في حديث المعراج
مرفوعا هبط جبريل فقال ان ربك يقول لقد وطيت من السما موطيا لم يطاه
احد قبلك ولا يطاه احد بعدك وعنده ايضا عن انس مرفوعا لما اسري بي
قربني ربي حتى كان بيني وبينه قاب قوسين او ادنى ومما جمع قول
الانموذج وبالاسرا وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو الي قاب
قوسين ووطيه مكانا ما وطيه نبي مرسل ولا ملك مقرب واحيا الانبيا له
وصلاته اماما بهم وبالملايكة واطلاعه على الجنة والنار عد هذه البيهقي
ورويته ايات ربه الكبرى وحفظه حتى ما زاغ البصر وما طغى ورويته للباري
تعالى مرتين وبركوب البراق في احد القولين انتهى ومنها ان الملايكة
تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره قال ابو نعيم ليكونوا حرسا
له من اعدايه ولا ينافيه والله يعصمك من الناس لان هذا ان كان قبل نزول
الاية فظاهر والا فمن عصمة الله له ان يوكل به جنده من الملا الاعلى تشريفا
له وقد روي ابن سعد عن جابر خرج صلى الله عليه وسلم وقال لاصحابه
امشوا امامي وخلوا ظهري للملايكة اي فرغوه لهم ليمشوا خلفي وهذا كالتعليل
للامر بالمشي امامه وروي الحاكم عن جابر مرفوعا كان صلى الله عليه وسلم
اذا مشي مشى اصحابه امامه وتركوا ظهره للملايكة وقيل انما كان يمشي
خلف اصحابه ليختبر حالهم وينظر اليهم حال تصرفهم في معاشهم ويربي من
يحتاج الي التربية وهذا شان الراعي مع الرعية قال النووي وانما تقدمهم في
قصة جابر لانه دعاهم اليه فجاوا تبعا كصاحب الطعام اذا دعى طايفة يمشي
امامهم وقدمت هذه في مشيه وقاتلت الملايكة معه ولا يكون لاحد غيره

الامداد كما مر في غزوة بدر وقتالهم عن جميع الجيش وحنين على ما جزم
به ابن القيم تقلا عنه المصنف في غزوتها عملا بظواهر احاديث مرة والجمهور
على انها لم تقاتل يوم حنين كما قدمه المصنف في بدر لان الله قال وانزل جنودا
لم تروها ولا دلالة فيه على قتالهم ثم في الصحيحين ان ملكين قاتلا عن
النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد كاشد القتال والمعروف من قتال الملايكة
كما قال ابن كثير انما هو يوم بدر وكانوا فيما عداها عددا ومددا ولا يرد هذا
الحديث لانه عن المصطفى خاصة لا عن عموم الجيش كبدر ومنها انه يجب
علينا ان نصلي ونسلم عليه في الجملة اتفاقا فمرة في العمر عند المالكية وفي
التشهد الاخير عند الشافعية وكلما ذكر عند جمع من المذاهب الاربعة لاية ان
الله وملايكته يصلون على النبي الاية يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما وما نقل ان الامم المتقدمة كان يجب عليهم ان يصلوا على
انبيايهم قال في الانموذج ومن خواصه انه ليس في القران ولا غيره صلاة من
الله على غيره فهي خصيصة اختصه الله بها دون ساير الانبيا ومنها انه اوتي
الكتاب العزيز الغالب على كل كتاب بمعانيه واعجازه وفسخه احكامها والذي
لا نظير له او الممتنع مضاهاته لاعجازه او التغيير والتحريف لحفظ الله له وهو
امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة من يقرا ويكتب ليكون الحجة
اثبت والشبهة ادحض وهذا اعلى درجات الفضل له حيث كان كذلك واتى
بالعلوم الجمة والحكم المتواترة واخبار القرون الماضية بلا تعلم خط ولا استفادة
من كتاب بخلاف غيره كما قدم المصنف بسط ذلك وروي ابن ابي حاتم عن عبادة
رفعه ان جبريل اتاني فقال اخرج فحدث بنعمة الله التي انعم الله عليك الحديث
وفيه ولقنني كلامه واتاني وحي روايته واتاني كتابه واتاني ومنها حفظ
كتابه هذا من التبديل والتحريف على ممر الدهور بخلاف غيره من الكتب
فان بعضها بدل وحرف وللبيهقي عن الحسن في تفسير قوله تعالى وقرانا فرقناه
لتقراه على الناس على مكث حفظه الله فلا يزيد احد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا
وكان اخذ هذا التفسير من لازم الاية وللبيهقي ايضا عن يحيى بن اكثم دخل يهودي
على المامون فاحسن الكلام فدعاه الي الاسلام فابى ثم بعد سنة جا مسلما فتكلم
على الفقه فاحسن الكلام فساله المامون ما سبب اسلامه قال انصرفت من
عندك فامتحنت هذه الاديان فعمدت الي التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت
فيها ونقصت وادخلتها البيعة فاشتريت مني وعمدت الي الانجيل فكتبت
ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وادخلتها الوراقين البيعة فاشتريت مني
وعمدت الي القران فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وادخلتها الوراقين
فتصفحوها فوجدوا فيها الزيادة والنقصان فرموا بها فلم يشتروها فعلمت
ان هذا الكتاب محفوظ فكان هذا سبب اسلامي قال يحيى فحججت تلك السنة
فلقيت سفين بن عيينة فذكرت له هذا فقال مصداقه في الكتاب قلت
في اي موضع قال في قوله في التوراة والانجيل بما استحفظوا من كتاب الله

بحفظه البهم وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فحفظه الله علينا فلم نضع
حتي سمي كثير من الملحدة من الالحاد وهو الميل سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر
الشريعة وتاويلها بامور سخيفة ويسمون باطنية وهم الاسماعيلية المنسوبون
الي امامه اسمعيل بن جعفر الصادق وغرضهم ابطال الشرع لانهم في الاصل يهود ومجوس
والمعطلة الذين نفوا الصانع وتستروا بزي الاسلام خوفا من القتل وسعوا في
نقض الدين وتزيين ما يروج علي بعض العقول القاصرة سيما القرامطة طايفة
من الملحدين قال السمعاني في الانساب القرمطي بكسر القاف وسكون الرا وكسر الميم
والمهملة نسبة الي طايفة خبيثة من اهل هجر ولحسا واصلهم رجل من سواد الكوفة
يقال له قرمط وقيل حمدان بن قرمط وسبب ظهورهم ان جماعة من اولاد بهرام
جور ذكروا اباهم وجدودهم وما كانوا فيه من العز والملك وزوال ذلك بالاسلام
فاتفقوا علي رفعه وقالوا نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم فقسموا الدنيا اربعة
اقسام لكل ربعها فذهب واحد الي الكوفة فاول من اجابه حمدان قرمط فاعانهم
علي الدعوة وقيل سموا قرامطة لان النبي صلي الله عليه وسلم راي عامر ابي شيبة
وهو من اهل المدينة فقيل له فقال انه ليقرمط في مشيه اي يقارب خطاه
ومنه الخط المقرمط وعلي هذا فهو عربي وقيل معرب وان جدهم كان يسمي كرمد
بالكاف العجمية ومعناه بالفارسية السفلة فغيروه وعربوه قرمط وكان احمر
البشرة والعينين وكان ظهوره سنة ثمان وسبعين ومايتين فاظهر زهدا وصلاحا
حتي اجتمع عليه خلق كثير فزعم ان النبي صلي الله عليه وسلم بشر به وانه الامام المنتظر
وابتدع مقامات في كتاب وقال انه الكلمة والمهدي وزعم انه تنقل اليه كلمة المسيح
وجعل الصلاة ركعتين بعد الصبح وركعتين بعد المغرب والصوم يومين بالنيروز
والمهرجان فكانت لهم وقايع وحروب ودعاة وخلفا مذكورة في التواريخ حتي
ظهر منهم سليمان بن حسن الجبابي فعاث في البلاد وافسد وقصد مكة فدخلها
يوم التروية سنة سبع عشرة وثلاث ماية في خلافة المقتدر فقتل الحجاج ورماهم
بزمزم وقلع باب الكعبة واخذ كسوتها واخذ الحجر الاسود فبقي عندهم اثنين وعشرين
سنة فبذل لهم خمسين الف دينار ليردوه فابوا ثم ردوه مكسورا فوضع في مكانه
وتغلبوا علي مصر والشام حتي قاتلهم جوهر القايد فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكانت
مدة خروجهم سنا وثمانين سنة حتي اهلكهم الله وابادهم وكانوا يحرفون القران
ويتاولونه بتاويلات فاسدة لا تقبلها العقول في تغييره وتبديل محكمه مما
قدروا في هذه المدة الطويلة علي اطفا شي من نوره تمثيل لحالهم في سعيهم
في تحريف القران بمن اراد اطفا نور عظيم منتشر في الافاق ولا تغيير كلمة من كلمه
تفسير لما قبله بجعل كلام الله نورا ولا يتشكك المسلمين في حرف من حروفه فضلا
عن كلمة من كلمه فهو ترق قال تعالي لا ياتيه الباطل لا يتطرق اليه من بين يديه
ولا من خلفه اي من جهة من الجهات الاثنين وكتابه يشتمل علي ما اشتملت عليه
جميع الكتب الالهية وزيادة روي البيهقي عن الحسن انزل الله ماية كتاب واربعة
كتب اودع علومها اربعة كتب التوراة والانجيل والزبور والفرقان واودع علوم

التوراة

التوراة والانجيل والزبور في الفرقان جامعا لكل شي قال تعالي وانزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شي روي ابن جرير وغيره عن ابن مسعود من اراد العلم فعليه
بالقران فان فيه خبر الاولين والاخرين ولقد انزل فيه كل علم وبين لنا فيه كل شي
لكن علمنا يقصر عما بين فيه فجمعه الاخبار القرون السالفة في الماضية والامم
البايدة الذاهبة المنقطعة كما في القاموس فهو مساو لما قبله وما بعده اف
الهالكة علي ما في المصباح فهو مباين لما قبله مفهوما وان اتحدا ما صدقا والشرايع
الداثرة بمهملة ومثلثة من دثر اذا ذهب ولم يبق له اثر وفي تعبيره نوع من
البلاغة تسمي التفنن لان الثلاثة متغايرة اللفظ متقاربة المعاني وهذا لفظ
الشفا في الوجه الرابع من اعجاز القران ثم المراد الذي دثرت وذهبت اهاليها اذ
الاحكام باقية لم تدثر فهو مجاز واليه يشير قوله مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة
الا الفذ الفرد الواحد من احبار علما اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم
ذلك فيورده النبي صلي الله عليه وسلم علي وجهه وياتي به علي نصه فيعترف
العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم قال عياض وذلك لكثرتهم
وعدم تقييد الاخبار بحملتها حتي قيل التوراة ستون سفرا متفرقة بين احبارهم
بيد كل واحد سفر فاذا وقفت حادثة وسيلوا عنها قالوا هذه في سفر فلان وقال
بعضهم القران جامع لنبا الاولين والاخرين فعلم الامم الماضية علم خاص وعلم هذه
الامة علم عام وعلم اهل الكتاب قليل وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال ابن عباس
وما اوتوا وعلم هذه الامة كثير ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا انزل اليك
الكتاب والحكمة الكتاب القران والحكمة فهمه وتيسر سهل حفظه لمتعلميه عن
ظهر قلب وقربه سهل فهمه علي متحفظيه اي الذين اعتنوا به اي يسروا بحفظه
وفي نسخة علي متحفظيه اي قرب تحصيله علي المتحفظ اي المستمسك به الخايف
ذهابه منه اذ نسيانه كبيرة ولا يرد انه مرفوع عن الامة لان الذنب في التفريط
في محفوظه بتعاهده ودرسه قال القرطبي من حفظ القران او بعضه فقد
علت رتبته فاذا اخل بها بتلك الرتبة حتي تزحزح عنها ناسب ان يعاقب فان ترك
تعاهده يفضي الي الجهل والرجوع الي الجهل بعد العلم شديد كما قال تعالي ولقد يسرنا
سهلنا وهيانا القران للذكر للاذكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر
او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ وساير الامم فيما في الامم
غير هذه الامة لا يحفظ كتبها الواحد منهم واذا كان كذلك فكيف يتوهم بالجم
الغفير حفظه علي مرور السنين الكثيرة عليهم وطول اعمارهم فقفوا استفهام
فيه تعجب ممن يتوهم ان غير هذه الامة شاركها في حفظ كتبهم والقران ميسر
حفظه للغلمان في اقرب مدة قبل البلوغ او كثير منهم وهو من اعظم النعم
روي البخاري في تاريخه والبيهقي مرفوعا مرسلا من اعطاه الله تعالي حفظ كتابه
فظن ان احدا اعطي افضل مما اعطي فقد غلط وفي رواية فقد صغر اعظم النعم لانه اوتي
النعمة العظمي التي كل نعمة وان عظمت فهي بالنسبة اليها حقيرة فاذا راي ان غيره
ممن لم يعط ذلك اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما ومن خواصه انه نزل منجما

وانه مستغن عن غيره وانه نزل من سبعة ابواب **ومنها انه نزل علي سبعة احرف**
كما في الصحيحين وغيرهما واختلف في معناه علي نحو اربعين قولا بسطها في الاتقان
اشار المحشي الي قول منها فقال وانما نزل كذلك **تسهيلا علينا وتيسيرا**
وشرفا ورحمة وخصوصية لفضلنا فليس المراد حقيقة العدد بل المراد ذكر
لان لفظ سبعة يطلق علي ارادة الكثرة في الاحاد كما يطلق السبعون في العشرات
والسبعماية في المئين ولا يراد العدد المعين والي هذا جنح عياض ومن تبعه
ويرده حديث ابن عباس في الصحيحين مرفوعا اقراني جبريل علي حرف
فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدني حتي انتهي الي سبعة احرف وفي حديث
ابي عند مسلم ان ربي ارسل الي ان اقرا القران علي حرف فرددت عليه ان هون
علي امتي فارسل الي ان اقراه علي سبعة احرف وفي لفظ عند النسا ي ان جبريل
وميكاييل اتياني فقعد جبريل عن يميني وميكاييل عن يساري فقال جبريل اقرا
القران علي حرف فقال ميكاييل استزده حتي بلغ سبعة احرف وفي حديث
ابي بكرة عند احمد فنظرت الي ميكاييل فسكت فعلمت انه قد انتهت العدة فهذا
يدل علي ارادة حقيقة العدد وانحصاره واقرب الاقوال قولان احدهما ان المراد
سبع لغات وعليه ابو عبيدة وثعلب والزهري واخرون وصححه ابن عطية
والبيهقي وتعقب بان لغات العرب اكثر من سبعة واجيب بان المراد افصحها والثاني
ان المراد سبعة اوجه من المعاني المتفقة بالفاظ مختلفة نحو اقبل وتعال وهلم
وعجل واسرع وعليه سفين بن عيينة وابن وهب وخلايق ونسبه ابن عبد
البر لاكثر العلما قال السيوطي والمختار ان هذا من المتشابه الذي لا يدري معناه
معناه كمتشابه القران والحديث وعليه ابن سعدان النحوي لان الحرف يصدق
لغة علي الهجا وعلي الكلمة وعلي المعني وعلي الجهة وفي فتح الباري قال ابو شامة
ان قوم ان القرات السبع الموجودة الان هي التي اريدت في الحديث وهو خلاف
اجماع اهل العلم قاطبة وما يظن ذكر بعض اهل الجهل وقال مكي بن ابي طالب من
ظن قراة هولا القرا كعاصم ونافع هي الاحرف السبعة التي في الحديث فقد غلط
غلطا عظيما ويلزم من هذا ان ما خرج عن قراة هولا السبعة مما ثبت عن الايمة وغيرهم
ووافق خط المصحف ان لا يكون قرانا وهذا غلط عظيم انتهي **ومنها كونه اية**
باقية لا تعدم بفتح فسكون اي لا تزول **ما بقيت الدنيا** مدة بقايها الي قرب
قيام الساعة فيرفع كما في الاحاديث **ومنها انه تعالي تكفل بحفظه** دون غيره
فوكل حفظه اليهم **فقال تعالي انا نحن نزلنا الذكر** القران **وانا له لحافظون**
اي من التحريف والزيادة والنقصان فلم يقع فيه شي منها **ونظيره قوله**
تعالي في صفة القران وانه لكتاب عزيز **لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا**
من خلفه اي ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده **وقوله** افلا يتدبرون القران
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا تناقضا في معانيه
وتباينا في نظمه **فان قلت هذه الاية تنفي الاختلاف فيه وحديث**
انزل القران علي سبعة احرف المروي في البخاري وغيره كمسلم واحمد **عن**

عمر وهو متواتر رواه احد وعشرون صحابيا ونص علي تواتره ابو عبيد
واخرج ابو يعلي ان عثمان قال علي المنبر اذكر الله رجلا سمع النبي صلي الله
عليه وسلم قال ان القران انزل علي سبعة احرف كلها شاف كاف فقاموا حتي لم
يحصوا فشهدوا بذلك فقال وانا اشهد معهم **يثبته** اي الاختلاف فهذا
تناقض قلت **اجاب الجعبري** نسبة الي جعبر بموحدة بوزن جعفر قلعة علي
الفرات **في اول شرحه للشاطبية بان المثبت اختلاف تغاير والمنفي**
اختلاف تناقض بان يكون احد المحلين اي مفهوم احد المحلين ايجابا والاخر
سلبا لذلك الايجاب وهذا لا يقع منه شي في القران **فمورده مختلف انتهي**
ولا يرد عليه ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم قري برفع
عباد ورفعه ونصبهما تناف اذ في الرفع اثبات انها عباد مملوكون مسخرون
مقهورون والنفي والنصب نفي كونهم عبيدا لان المراد النفي بقيد الصفة اي
ليسوا امثالكم في العقل والادراك بل هي اجسام تنحتونها بايديكم **فان**
قلت لم اشتغلت الصحابة بجمع القران في الصحف وكان ابتدا ذلك علي يد
ابي بكر بمشورة عمر فقبض بذلك زيد بن ثابت كما رواه البخاري مطولا وروي
ابن ابي داود باسناد حسن عن علي اعظم الناس في المصاحف اجرا ابو بكر
هو اول من جمع كتاب لكن عنده ايضا عن علي لما مات صلي الله عليه وسلم
اليت لا اخذ ردايي الا للصلاة جمعة حتي اجمع القران فجمعه قال الحافظ وهذا
الاثر ضعيف لانقطاعه وبتقدير صحته فمراده بجمعه حفظه في صدره ورده
السيوطي بان له طريقا اخر عند ابن الضريس وقالنا عند ابن رشته وفيه
ان عليا كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ وان ابن سيرين قال تطلبته
وكتبت فيه الي المدينة فلم اقف عليه فكان ما جمع في عهد ابي بكر عنده حياته
ثم عند عمر ثم عند حفصة بنته حتي قدم حذيفة علي عثمان فقال ادرك
الامة قبل ان تختلف اختلاف اليهود والنصاري فارسل الي حفصة ان
ارسلي الينا بالصحف ننسخها ثم نردها اليك فارسلتها فامر جماعة من
الصحابة فنسخوها في المصاحف ثم ردها الي حفصة وارسل الي كل افق بمصحف
مما نسخوا وامر بما سواه من كل صحيفة او مصحف ان يحرق كما في البخاري
وقد وعد الله تعالي بحفظه وما حفظه الله تعالي فلا خوف
عليه وكيف قال حذيفة ما ذكر ووافقه عثمان **فالجواب كما قال**
الرازي الامام فخر الدين **ان جمعهم للقران كان من اسباب حفظ**
الله تعالي اياه فانه تعالي لما اراد حفظه قيضهم سببهم **لذلك**
ويسره لهم **قال وقال اصحابنا** الشافعية **وفي هذه الاية دلالة**
قوية علي ان البسملة اية من كل سورة لان الله قد وعد بحفظ
القران ولن يخلف الله وعده **والحفظ لا معني له الا انه بقي مصونا**
عن التغيير بالزيادة والنقص **والا** تنقل انها اية من كل سورة **لما**
كان محفوظا عن الزيادة ولو جاز ان يظن بالصحابة انهم

زادوا البسملة اول كل سورة لوجب ايضا ان يظن بهم النقصان اذ لا
فرق بينهما عقلا وذلك يوجب الخروج عن كونه حجة ولا قايل بذلك فثبت
انها اية من كل سورة ولا دلالة فيه فضلا عن كونها قوية لان الذين لم يقولوا
بذلك منهم من قال كالحنفية انها قران بمنزلة سورة قصيرة للفصل بين
السور ومنهم من قال ليست اية من الفاتحة ولا من كل سورة الا في النمل
فقط لكن يستحب افتتاحه بها في غير الصلاة كما يستحب ابتداوه بالاستعاذة
اجماعا ونصا فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم والاجماع
على ان الاستعاذة ليست منه فليس في كتب البسملة ما يدل على الدعوى
بل ولا على انها اية مستقلة واختلف فيه كيف يحفظ القران اي في صفة
حفظه له فقال بعضهم ثم حفظه بان جعله معجزا مباينا لكلام البشر
يعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لانهم لو زادوا فيه
او نقصوا منه يتغير نظم القران فيظهر لكل العقلاء ان هذا ليس
من القران وهذا حفظ عظيم وقال اخرون اعجز الخلق عن ابطاله
وافساده بان قبض الباسبية اي تقييض وفي نسخة بل قيض ببيل
الانتقاضية جماعة يحفظونه ويدرسونه فيما بين الخلق الى اخر
بقا التكليف ولا تباين بين هذين القولين فلا مانع مع كونهما معا بيانا
لصفة الحفظ كالثالث وهو وقال اخرون المراد بحفظه هو ان احدا
لو حاول ان يغيره بحرف اي بابدال الحرف منه بحرف اخر او نقطة بان
يزيدها او ينقصها او يسقطها لقال اهل الدنيا انه كذب حتى ان
الشيخ المهيب بوزن مبيع لو اتفق له تغيير في حرف لقال
الصبيان كلهم فضلا عن الرجال اخطات وصوابه كذا ولم يتفق
لشي من الكتب مثل هذا الكتاب فانه لا كتاب الا وقد دخله
التصحيف والتغيير والتحريف وقد صان الله تعالى هذا
الكتاب العزيز عن جميع التحريف وحكمة ذلك مع ان الكتب السماوية
كلها كلام الله ان غيرت جا نبي بعده يبين ما غير او بدل بخلاف القران نزل
على خير النبيين اي خاتم النبيين ولا نبي بعده يبين التغيير لو وقع فيه
مع ان دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة حريصة
ومجتمعة على ابطاله اصلا وانقضى الان ثمانية وعشرون
وتسعون سنة وثمانمائة وهو بحمد الله في زيادة من الحفظ
وكذا انقضى ست بعد مائة والف وهو كذلك ولا يزال حتى يرفع ومنها
انه عليه السلام خص باية الكرسي بمعنى انها لم تنزل على غيره روى
الديلمي مسلسلا عن ابي امامة سمعت عليا يقول ما اري رجلا ادرك عقله
في الاسلام يبيت حتى يقرا هذه الاية الله لا اله الا هو الحي القيوم
الى وهو العلي العظيم فلو يعلمون ما هي او ما فيها لما تركتموها على حال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطيت اية الكرسي من تحت العرش

ولم يوتها نبي قبلي قال علي فما بت ليلة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اقراها قال ابو امامة وما تركتها منذ سمعتها من علي مسلسلة
الباقون واخرج ابو عبيد وابن الضريس عن علي اية الكرسي اعطيها نبيكم من
كنز تحت العرش ولم يعطها نبي قبل نبيكم وسميت بذلك لذكر الكرسي فيها والاية
العلامة واية القران علامة على تمام الكلام او لانها جماعة من كلمات القران
والاية تقال للجماعة قال بعضهم والكرسي فيه صور الاشيا كلها فما في الارض صورة
الا ولها في الكرسي مثل فما في العرش اقامته ففي الكرسي امثلته وما في السموات
اقامته ففي الارض صورته فجمعت هذه الاية تفصيل المفصلات وقال ابن
عربي قد ثبت في القران الاخبار بتفاضل سورة وانافة بعضها على بعض
في حق القاري بالنسبة لما لنا فيه من الاجر وقد وردت اية الكرسي سيدة اية
في القران لانه ليس فيه اية ذكر الله فيها بين مضمر وظاهر ستة عشر موضعا
الا اية الكرسي قال شيخنا ليس المراد الجلالة واقعة بين المضمر والظاهر
لان المضمر واقع بين شيئين احدهما لفظ الجلالة والاخر اسم ظاهر بل المراد
ان الله ذكر فيه ستة عشر موضعا وتلك المواضع منقسمة الى كون بعضها
مضمرا وبعضها ظاهرا فالظاهر في خمسة وهي الله والحي والقيوم العلي العظيم
والمضمر احد عشر هو من لا اله الا هو والضمير البارز في لا تاخذه ثالثها رابعها
وخامسها عنده الا باذنه سادسها المستتر يعلم سابعها البارز في علمه
ثامنها المستتر في شا تاسعها البارز في كرسيه عاشرها البارز في ولا يوده
حادي عشرها المنفصل في قوله وهو وكانه لم يعتبر الضماير المستترة في الحي
القيوم العلي العظيم لان المستتر فيه هو الاسم الظاهر الدال على ذاته تعالى وكانه
هو والضمير عبارة عن معنى واحد وقال الغزالي اذا تاملت جملة معاني اسما الله
الحسنى من التوحيد والتقديس وشرح الصفات العلى وجدتها مجموعة في اية
الكرسي فلذا وردت انها سيدة اي القران فان شهد الله ليس فيها الا التوحيد
وقل هو الله احد ليس فيها الا التوحيد والتقديس وقل اللهم مالك الملك ليس
فيها الا الافعال وكمال القدرة والفاتحة فيها رمز الى هذه الصفات بلا شرح
وهي مشروحة في اية الكرسي ويقرب منها في هذه المعاني اخر الحشر واول الحديد
اذ تشتمل على اسما وصفات كثيرة لكنها ايات لا اية واحدة وهذه اذا قابلتها
باحاد تلك الايات وجدتها اجمع للمقاصد فلذا استحقت السيادة على الاي انتهى
وفي الحديث من قرا اية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت
رواه النسائي وابن حبان وورد ان من قراها عقب كل صلاة فانه لا يتولى
قبض روحه الا الله وخص بالمفصل ويسمى المحكم لان سوره قصار وكل
سورة كفصل من الكلام واخره الناس اتفاقا واوله الحجرات او الجاثية
او القتال او ق او الصافات او الصف اقوال ارجحها اولها وبالمثاني
وبالسبع الطوال بكسر الطا جمع طويلة واما بضمها فمفرد ذكره جلطوال
كما في حديث ابن عباس بلفظ واعطيت خواتيم سورة البقرة

من امن الرسول وقيل من لله الي اخرها ويدل له ما روي ابو عبيد عن كعب
قال ان محمدا اعطي اربع ايات لم يعطها موسي لله ما في السموات وما في الارض
حتي ختم البقرة فتلك ثلاث واية الكرسي من كنوز العرش قال الحافظ
العراقي معناه انها ادخرت وكنزت له فلم يوتها احد قبله وكثير من القران منزل
في الكتب السابقة باللفظ او المعني وان كان فيها ايضا مالم يوت غيره لكن في
هذه خصوصية لامته وهي وضع الاصر الذي علي من قبل ولذا قال
وخصصت به دون الانبيا اي باعطا ما ذكر من الخواتيم وقال غيره
الله اعلم ما هذا الكنز ويجوز كونه كنز اليقين فهو كنز مخبو تحت العرش اخرج
منه تعالي ثمانية مثاقيل من نور اليقين فاعطي منها رسول الله اربعة وزيد
ذخيرة خصوصية للرسالة فلذا وزن ايمانه بايمان الخلق فرجح انتهي وهو
غريب وقد جري علي الاول الطيبي فقال الكنز النفايس المدفونة المدخرة
فهو اشارة الي انها ادخرت له فلم تنزل علي من قبله وهو من ادخال الشي
في جنسه وجعله احد انواعه علي التغليب فالكنز نوعان متعارف وهو المال
الكثير يجعل بعضه فوق بعض ويحفظ وغير متعارف وهو هذه الايات
الجامعة المكتنزة بالمعاني الالهية وروي الطبراني وابو الشيخ والضيا في
المختارة عن ابي امامة رفعه اربع انزلت من كنز تحت العرش لم ينزل منه شي
غيرهن ام الكتاب واية الكرسي وخواتيم سورة البقرة والكوثر واعطيت
المثاني مكان التوراة اي بدل ما فيها والمبين بفتح الميم عند بعض وكسرها
عند اخر وهو المناسب للمفرد وكسر الهمزة ومثناة تحتية ساكنة اي السور
التي تلي السبع الطوال او التي اولها ما يلي الكهف لزيادة كل منها علي ماية
اية او تقاربها او التي فيها القصص وقيل غير ذلك مكان الانجيل
والحواميم مكان الزبور وفضلت بالمفصل اي صيرت افضل اي
ازيد من غيري بما انزل علي منه رواه ابو نعيم في الدلايل ويعارضه
ما روي احمد والبيهقي والطبراني عن واثلة مرفوعا اعطيت مكان
التوراة السبع الطوال واعطيت مكان الزبور المبين واعطيت مكان
الانجيل المثاني وفضلت بالمفصل وروي محمد بن نصر عن انس مرفوعا ان
الله اعطاني السبع مكان التوراة واعطاني الراات مكان الانجيل واعطاني
ما بين الطواسين الي الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم
والمفصل ما قراهن نبي قبلي وهذا مخالف لحديثي ابن عباس وواثلة معا
من وجهين احدهما في المعطي مكان تلك الكتب والثاني صريحه ان الحواميم
مكان الزبور فليطلب الجمع او الترجيح وروي الحاكم عن معقل بن يسار
مرفوعا اعطيت سورة البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين
والحواميم من الواح موسي واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة
من تحت العرش والمفصل نافلة والطول في حديث واثلة بضم الطا وفتح
الواو كما ضبطه السيوطي بالقلم وفي النهاية الطول بالضم وفي القاموس السبع

الطوال كصرد والذكر الاول الصحف العشرة والكتب الثلاثة قاله الكلاباذي
وقال تعالي ولقد اتيناك سبعا من المثاني بيان لسبعا من التثنية
او الثنا فانه مثني يكرر قرااته والفاظه او قصصه ومواعظه او مثني عليه
بالبلاغة والاعجاز ومثني علي الله بما هو اهله من صفاته العظمي واسمايه الحسني
والقران العظيم عطف كل علي بعض او عام علي خاص وفي المثاني تفاسير ذكر
بعضا منها ما ارجحها فقال وفي البخاري في تفسير سورة الحجر من حديث ابي
هريرة عنه صلي الله عليه وسلم قال ام القران هي السبع المثاني والقران
العظيم وفي رواية الترمذي الحمد لله ام القران وام الكتاب والسبع المثاني
وفي الحديث رد علي ابن سيرين حيث قال لا يقال للفاتحة ام القران وانما يقال
لها فاتحة الكتاب ويقول ام الكتاب هو في اللوح المحفوظ قال وام الشي اصله
وسميت ام القران لانها اصل القران وقيل لانها متقدمة لانها تومه سايره
كذا وقع في النسخ وليست في البخاري ولا غيره فسقط من المصنف لفظ اي
التفسيرية اشارة الي انه محذوف الخبر كما قال الحافظ والقران العظيم عطف علي
ام القران مبتدا خبره محذوف او خبر مبتدا محذوف اي والقران العظيم ما عداها
وليس عطفا علي السبع المثاني لان الفاتحة ليست هي القران العظيم وان جاز
اطلاقه عليها لانها منه لكن ليست كله ثم وجدت الحديث في تفسير ابن ابي حاتم عن
ابي هريرة بلفظ والقران العظيم الذي اعطيتموه اي هو الذي اعطيتموه فيكون
هذا هو الخبر وقد روي الطبري باسنادين جيدين عن عمر ثم عن علي السبع المثاني
فاتحة الكتاب زاد عن عمر تثني في كل ركعة وباسناد حسن عن ابن عباس ولقد
اتيناك سبعا من المثاني فاتحة الكتاب انتهي وقال التوربشتي ان قيل كيف صح
عطف القران علي السبع المثاني وعطف الشي علي نفسه لا يجوز قلنا ليس كذلك
وانما هو من باب ذكر الشي بوصفين احدهما معطوف علي الاخر والتقدير اتيناك
ما يقال له السبع المثاني والقران العظيم اي الجامع لهذين النعتين وقال الطيبي
عطف القران علي السبع المثاني المراد منه الفاتحة من باب عطف العام علي الخاص
تنزيلا للتغاير في الوصف منزلة التغاير في الذات واليه اومي صلي الله
عليه وسلم بقوله لابي سعيد بن المعلا الا اعلمك اعظم سورة في القران
حيث ذكر سورة وافردها ليدل علي انك تتبعت سورة سورة وجدتها
اعظم منها ونظيره في النسق ولكن من عطف الخاص علي العام من كان
عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال انتهي وهو معني كلام الخطابي
قال الحافظ وفيه بحث لاحتمال ان قوله والقران العظيم محذوف الخبر
والتقدير ما بعد الفاتحة مثلا فيكون وصف الفاتحة انتهي بقوله المثاني
ثم عطف والقران العظيم اي ما زاد علي الفاتحة وذكر ذلك رعاية لنظم الاية
فيكون التقدير والقران العظيم هو الذي اوتيته زيادة علي الفاتحة
قالوا وعلي هذا فالمراد بالسبع الاي لان الفاتحة سبع ايات بالاجماع لكن
جاء عن حسين بن علي الجعفي انها ست ايات لانه لم يعد البسملة وعن عمرو

ابن عبيد انها ثمان ايات لانه عدها وعد انعمت عليهم وقيل ما بعدها وعد
اياك نعبد وهذ الغرب الاقوال انتهي واختلفوا لم سميت الفاتحة المثاني
فعن الحسن البصري وابن عباس عبد الله وقتادة بن دعامة لانها
تثني اي تكرر في الصلاة فتقرا في كل صلاة من تثنيت الشي بالتثقيل
جعلته اثنين لكن ليس المراد قراتها في جميع الصلوات حتي الركعة كما لكوثر
ويدل له قول ابن عمر عند ابن جرير لانها تثني في كل ركعة اي تقرا وقيل
لانها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين باعتبار المعني لا اللفظ
لان نصف الدعا من قوله واياك نستعين يزيد علي نصف الثنا او المراد قسمين
والنصف قد يراد به احد قسمي الشي وان كان بينهما تفاوت نصفها ثنا
علي الله وعبادة له ونصفها دعا طلب منه تعالي لتبتي العبد علي ربه ثم
يدعوه ليجيب دعاه كما في حديث ابي هريرة عند مالك ومسلم واحمد
وابو يعلي عنه صلي الله عليه وسلم يقول قسمت الصلاة اي قراتها
بدليل تفسيره بها قاله المنذري او بعني الفاتحة سميت صلاة لانها لا تصح الا
بها كقوله الحج عرفة وقيل من اسما الفاتحة الصلاة فهي المعنية في الصلاة
بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سال فاذا قال الحمد لله رب العالمين
قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله اثني علي عبدي
واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي واذا قال اياك نعبد واياك
نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال واذا قال اهدنا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا
لعبدي ولعبدي ما سال هذا بقية الحديث عندهم قال الحافظ لم يخرجه
البخاري لانه ليس علي شرطه ولكن اشار اليه وقيل لانها نزلت مرتين
مرة بمكة ومرة بالمدينة حكاه قوم لانه قد يتكرر النزول لتذكر او موعظة
وتعظيم شانه لكن في فتح الباري يستنبط من تفسيرا السبع المثاني بالفاتحة
انها مكية وهو قول الجمهور خلافا لمجاهد ووجه الدلالة انه سبحانه امتن علي
رسوله بها وسورة الحجر مكية اتفاقا فيدل علي تقدم نزول الفاتحة عليها
قال الحسين بن الفضل هذه هفوة من مجاهد لان العلما علي خلاف قوله
واغرب بعض المتاخرين فنسب القول بذلك لابي هريرة والزهري وعطا
ابن يسار وحكي القرطبي ان بعضهم زعم انها نزلت مرتين انتهي وعن
مجاهد لان الله استثناها واذخرها بذال معجمة مهملة اي اعدها
وقد نعم ابو اعدها لهذه الامة عطف تفسير فما اعطاها غيرهم
روي البيهقي وغيره عن انس رفعه ان الله اعطاني فيما من علي ان قال
اني اعطيتك فاتحة الكتاب وهي من كنوز عرشي ثم قسمتها بيني وبينك
نصفين وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما رواه النسائي والطبري
والحاكم باسناد صحيح ان السبع المثاني هي السبع الطوال اولها سورة
البقرة واخرها سورة الانفال مع التوبة لانهما في حكم سورة واحدة

ولذا لم يفصل بينهما بالبسملة وفي لفظ للطبري البقرة وال عمران والنسا والمايدة
والانعام والاعراف قال الراوي وذكر السابعة فنسيتها وقال بعضهم سورة
يونس بدل الانفال مع التوبة قال الحافظ رواه ابن ابي حاتم صحيحا عن
مجاهد وسعيد بن جبير وعند الحاكم انها الكهف وزاد قيل لها المثاني قال
تثني فيهن القصص قال ابن عباس وانما سميت السبع الطوال مثاني
لان الفرايض والحدود والامثال والعبر ثنيت تعددت وتكررت فيها
وهذا القول مشهور ايضا في تفسير المثاني وان رجح الاول وقد اخرج الطبري
من طريق ابي جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالية السبع المثاني
فاتحة الكتاب قلت يقولون انها السبع الطوال قال لقد انزلت هذه الاية
وما من الطول شي وروي الطبري ايضا عن زياد بن ابي مريم قال في لقد
اتيناك سبعا من المثاني قال مر وانه وابشر وانذر واضرب الامثال
واعدد النعم والانبا وحكي في الشفا انها السبع كرامات الهدي والنبوة والرحمة
والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة ورجح ابن جرير الاول اي الفاتحة
لصحة الخبر فيه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال طاوس القران
كله مثاني قال الله تعالي الله نزل احسن الحديث كتابا بدل من احسن اي قرانا
متشابها اي يشبه بعضه بعضا في النظم وغيره مثاني وسمي القران
مثاني لان القصص ثنيت فيه ولانه تثني فيه الوعد والوعيد وغيرهما
وفي البيضاوي وقيل سبع صحايف وهي الاسباع ويجوز ان يراد بالمثاني
القران او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض والقران العظيم ان اريد السبع
ايات او السور فمن عطف الكل علي البعض او العام علي الخاص وان اريد الاسباع
فمن احد الوصفين علي الاخر والله اعلم بما اراد ومنها انه اعطي مفاتيح
الخزاين اي خزاين الارض كما رواه البخاري وغيره واخرج احمد وابن حبان
برجال الصحيح عن جابر مرفوعا اوتيت بمقاليد الدنيا علي فرس ابلق جاني
به جبريل عليه قطيفة من سندس وفي رواية اسرافيل ولا تنافي لانه تقدم
المجي والا فالاتي جبريل وصحبته اسرافيل وركوبه الفرس اشارة الي انه
اوتي العز والي اعزاز دينه ولم يكن لونا واحدا اشارة الي استيلا امته علي
خزاين جميع الملوك من احمر وابيض واسود علي اختلاف الوانها واشكالها
اذ الابلق ما خالط لونه بياضا وسوادا ثم يحتمل انها حيزوم فرس
جبريل الذي ما خالط موطي حافره مواتا الا صار حيوانا ويحتمل غيرها
والخزاين جمع خزانة ما يخزن فيه والمال يخزون عند اهل البلاد وقيل فتحها
فهو استعارة تصريحية بفتح البلاد قال بعضهم هي خزاين اجناس
العالم جمع جنس العالم مفرد عوالم فاللام عوض عن المضاف اليه اي خزاين العالم
العلوي والسفلي باسره ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم سوا تعلق بنفس
الذوات او بمتعلقاتها كالمواشي والزراعات وهذا وجه في تقدير الاستعارة
في اعطا مفاتيح الخزاين وكل ما ظهر من رزق العالم فان الاسم

الا لنبي لا يعطيه الا عن محمد صلي الله عليه وسلم اي فكان من يوصله
الي العالم كالوكيل في عطايه لهم نيابة عنه لانه خصه الذي بيده المفاتيح كما
اختص تعالي بمفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو اعطي هذا السيد الكريم
منزلة الاختصاص باعطايه مفاتيح الخزاين ولا يخرج منها شي الا علي يده
قال الزمخشري المراد بالخزاين المعادن او البلاد التي فيها ذلك والبلاد التي
فتحت لامته بعده التي منها خزاين كسري وقيصر اذ الغالب علي نقود خزاين
كسري الدنانير وعلي نقود مالك قيصر الدراهم واشار في الكشاف الي ان هذا
وما اشبهه من قبيل التمثيل والاستعارة قال في قوله وان من شي الا عندنا
خزاينه ذكر الخزاين تمثيل والمعني وما من شي ينتفع به العباد الا ونحن قادرون
علي ايجاده وتكوينه والانعام به فضرب الخزاين مثلا لاقتداره علي كل مقدور
ومنها انه اوتي جوامع الكلم اي الكلم الجوامع لمعان كثيرة بالفاظ قليلة
قال صلي الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا رواه
البيهقي وابو يعلي والدارقطني يعني اعطيت البلاغة والفصاحة والتوصل
الي غوامض المعاني وبدايع الحكم ومحاسن العباد بلفظ جزل لطيف وقيل المراد
بها القران سمي به لايجازه واحتوا اللفظ القليل علي المعني الكثير واشتماله علي
ما في الكتب السماوية وجمعه ما فيها من العلوم وقال صلي الله عليه وسلم
اعطيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه رواه الطبراني وغيره فالكلم جمع
كلمة في احد الاقوال وقيل اسم جمع افرادي يطلق علي القليل والكثير لكن خصه
الاستعمال بالثلاثة فما فوق والمختار انه اسم جنس جمعي يجوز في ضميره التذكير
علي الاصل وهو الاكثر نحو اليه يصعد الكلم الطيب والتانيث ملاحظة للجمعية
وكلمات الله لا تنفد بفتح التا والفا كما في التنزيل لا تفني ولا تنقطع وكانه
جعل هذا جواب سوال هو هل تنحصر جوامع كلمه فاجاب لا تنحصر بل متي ارادها
قدر عليها لانها من كلمات الله ولا تنفد فالكلمة منه كلمات ولما علم جوامع
الكلم اعطي الايجاز بالقران الذي هو كلام الله تعالي وهو اي القران
المترجم المبين الكاشف عن الصفة القديمة القايمة بذات الله حيث دل
عليه فتسميته مترجما مجاز علاقته المشابهة فالترجمة تفسير كلام الغير
بلسان اخر ويحتمل ان ضمير هو للنبي صلي الله عليه وسلم والظاهر
الاول لقوله فوقع الايجاز اذ هو انما وقع في القران في الترجمة التي
هي له اي في الكلمات التي وقع التعبير بها عن المعاني القايمة بذاته حيث
وقعت علي اسلوب يعجز البشر عن الاتيان بمثله فان المعاني المجردة عن
المواد جمع مادة اي الالفاظ التي يودي بها المعاني اذ ما دتها الالفاظ لانها
قوالب المعاني كما تقاصت فيها كالقالب لا يتصور الايجاز بدونها وانما
الايجاز بظاهر هذه المعاني بصور الكلم القايم من نظم الحروف وهذا
تعليل لكون الايجاز بالكلمات المعبر بها عن المعاني لا بالمعاني انفسها فهو
اي القران لسان الحق لانه المبين للمعاني القايمة به المعبر عنها بالكلمات

وسمعه

وسمعه وبصره لانه المبين للمسموعات والمبصرات ومنها انه بعث الي الناس
كافة اي كلهم ولا تقل الكافة لانها لا تدخلها ال ووهم الجوهري في ادخال كما في
القاموس قال بعضهم وهو ماخوذ من الكفت وهو الضم للمناسبة بينهما والكفت
يتعدي بنفسه وبالي قال المجد كفته يكفته صرفه عن وجهه فانكفت والشي اليه
ضمه وقبضه ككفته قال الله تعالي الم نجعل الارض كفاتا اي تضم الاحيا علي
ظهرها والاموات في بطنها فكفاتا بمعني كافتة اسم لما يكفت اي يضم ويجمع كما
في البيضاوي قال او مصدر نعت به او جمع كافت كصايم وصيام او كفت وهو
الوعا اجري علي الارض اطلق عليها باعتبار اقطارها انتهي فعلي الاخيرين
اطلق كفاتا علي الارض من حيث جعل كل جز منها كافتا اي جامعا لما يحتوي عليه
كذلك ضمت شريعته صلي الله عليه وسلم جميع الناس فلا يسمع به احد
عاقل الا لزمه الايمان به لظهور المعجزات القطعية علي يده الدالة علي حقية
ما جا به ويشمل احد الانس والجن ولذا رتب عليه قوله ومن ثم لما سمع الجن
القران يتلي قالوا يا قومنا اجيبوا داعي الله محمدا صلي الله عليه وسلم الي
الايمان وامنوا به الاية فضمت شريعته الانس والجن اجماعا كما ياتي قريبا
بادلته وعمت رحمته التي ارسل بها العالم ودليله انه قال تعالي وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب الصلاح
معاشهم ومعادهم ورحم الله به الخلق مومنهم وكافرهم بالامن من الخسف والمسخ
وعذاب الاستيصال ومنافقهم بالامن من القتل وتاخير العذاب قال ابن عطية
ويحتمل ان معناه انه هو رحمة وهدي بين اخذ به من اخذ واعرض عنه من
اعرض انتهي واليه اشار بقوله فمن لم تنله رحمته من الكفار فلم يومن به
فاذلك من جهته صلي الله عليه وسلم وانما ذلك من جهة القابل
حيث طبع علي قلوبهم واستحبوا الكفر علي الايمان وانهماكا في التقليد واعراضا
عن النظر الصحيح فلا ينفذ في قلوبهم الحق واسماعهم تنفر منه ولا يجتلي لابصارهم
الايات المنصوبة في الافاق فهو كالنور الشمسي فاض شعاعه علي
الارض فاستتر عنه في كن وظل جدار فهو الذي لم يقبل انتشار
النور عليه وعدل عنه فلم يرجع الي الشمس من ذلك منع عن فيض شعاعها
انتهي كلام بعضهم فان قلت يرد علي بعثه الي كافة الناس من خصايصه
ان نوحا كان مبعوثا الي اهل الارض بعد الطوفان فانه لم يبق الا من
كان مومنا معه وقد كان مرسلا اليه وقد جا في حديث جابر في الصحيحين
وغيره النص علي الخصوصية في قوله صلي الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم
يعطهن احد من الانبيا قبلي الحديث وفيه وكان النبي يبعث الي قومه
المبعوث اليهم خاصة وبعثت الي كل احمر وهم العجم او الانس واسود وهم
العرب او الجن وهذه رواية مسلم وفي رواية للبخاري وبعثت الي
الناس كافة وفي رواية ايضا عامة وهما بمعني وظاهر الحديث ان كل
واحدة من الخمس لم تكن لاحد قبله اجاب الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالي

من فتح الباري في التيمم بان هذا العموم الذي حصل لنوح عليه السلام لم
يكن في اصل بعثته وانما هو اتفاقي اتفق بالحادث الذي وقع وبينه فقال
وهو انحصار الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس بالغرق كما في
القران والقصة مبسوطة في التفاسير وغيرها واما نبينا صلي الله عليه
وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه بذلك قال في الفتح
وغفل الداودي الشارح غفلة عظيمة فقال قوله لم يعطهن احد قبلي يعني لم يجتمع
لاحد قبله لان نوحا بعث الي الناس كافة واما الاربع فلم يعط احد واحدة منهن
وكانه نظر في اول الحديث وغفل عن اخره لانه صلي الله عليه وسلم نص علي
خصوصيته بهذه ايضا بقوله وكان النبي يبعث الي قومه خاصة وفي رواية
مسلم وكان كل نبي يبعث الي قومه خاصة واما قول اهل الموقف لنوح كما
صح في حديث الشفاعة عند الشيخين انه اول رسول الي اهل الارض
فليس المراد به عموم بعثته بل اثبات اولية ارساله الي من انحصر فيهم
الوجود بعد الطوفان فالاولية منصبة علي الارسال فلا يلزم منه العموم واورد
علي هذا ادم وادريس علي انه كان قبل نوح فان حديث ابن حبان دل علي انهما
رسولان واجيب بان المراد اول رسول بعث الي الارض بالاهلاك وانذار قومه
لان رسالة ادم كانت بمنزلة التربية والارشاد للاولاد لانهم لم يكونوا كفارا
وكذا رسالة ادريس وعلي تقدير ان يكون مرادا فهو مخصوص بتخصيص
سبحانه وتعالي اي ذكره في عدة ايات علي ان ارسال نوح كان
الي قومه كقوله ولقد ارسلنا نوحا الي قومه انا ارسلنا نوحا الي قومه
ولم يذكر انه ارسل الي غيرهم كما قال لنبينا ليكون للعالمين نذيرا لانذركم
به ومن بلغ واستدل بعضهم لعموم بعثته بكونه دعا علي جميع من في
الارض بقوله رب لا تذر علي الارض من الكافرين ديارا فاهلكوا بالغرق
الا اهل السفينة لايمانهم ولو لم يكن مبعوثا اليهم لما اهلكوا لقوله
تعالي وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا وقد ثبت انه اول الرسل
واجيب بجواز ان يكون غيره ارسل اليهم في اثناء مدة نوح لانه كان في
الزمن الاول اذا بعث نبي الي قومه بعث غيره الي اخرين وكان يجمع في الزمن
الاول اذا بعث نبي الي قوم بعث غيره الي اخرين وكان يجمع في الزمن
الاول جماعة من الرسل كما قاله ابن الجوزي فمن جاء من الرسل بشريعة الي قومه
وجب عليهم العمل بها دون غيرها من الشرائع وان بلغهم عن اصحابها وعلم نوح
بانهم لم يومنوا فدعا علي من لم يومن من قومه وغيرهم فاجيب دعاءه
باهلاك الجميع بالطوفان وهذا جواب حسن لكن لم ينقل انه نبي في
زمن نوح غيره فضلا عن كونه ارسل ويحتمل ان يكون معني الخصوصية
بضم الخاء المعجمة ويفتح كما في القاموس وفي المصباح بالفتح والضم لغة لنبينا
صلي الله عليه وسلم اي جعلها له دون غيره في ذلك بقاء شريعته الي
يوم القيامة ونوح وغيره بصدد ان يبعث نبي في زمانه او بعده

فينسخ

فينسخ بعض شريعته انتهي ما نقله عن الحافظ وترك بقيته وهو يحتمل ان
يكون دعاؤه قومه الي التوحيد بلغ بقية الناس فتمادوا علي الشرك فاستحقوا
العذاب والي هذا نحي ابن عطية في تفسير سورة هود قال وغير ممكن ان
نبوته لم تبلغ القريب والبعيد لطول مدته ووجهه ابن دقيق العيد بان توحيد
الله تعالي يجوز ان يكون عاما في حق الانبيا وان كان التزام فروع شريعته ليس
عاما لان منهم من قاتل غير قومه علي الشرك ولو لم يكن التوحيد لازما لهم لم يقاتلهم
ويحتمل انه لم يكن في الارض عند ارسال نوح الا قوم نوح فبعثته خاصة لكونها
الي قومه فقط وهي عامة في الصورة لعدم وجود غيرهم لم يكن مبعوثا اليهم
انتهي واما قول بعض اليهود ان نبينا محمدا صلي الله عليه وسلم مبعوث
الي العرب خاصة ففاسد والدليل عليه اي علي فساده وفي نسخة عليهم
اي الحجة الرادة عليهم انهم اي اليهود سلموا انه رسول صادق الي العرب
صفة رسول فوجب ان يكون كلما يقوله حقا لاستحالة علي الرسول
وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الي كل الناس فلو كذبوه
فيه لزم التناقض اشار اليه صاحب المعالم اي معالم السنن شرح ابي
داود للخطابي مرت ترجمته ومنها نصره صلي الله عليه وسلم بالرعب بالضم
الخوف كما قال ونصرت بالرعب يقذف في قلوب اعدائي مسيرة شهر كما رواه
جابر وابو امامة وغيرهما ولا ينافيه رواية ابن عباس عند الطبراني مسيرة
شهرين ويدل له رواية السايب بن يزيد في الطبراني ايضا مرفوعا ونصرت
بالرعب امامي وشهرا خلفي قال الشامي فيه ان العدو الواحد لا يكون في وجهين
بعيدين فانما يكون امامه او خلفه فهو يرعب ولم يقابله فاطلق الشهر باعتبار
احدي الجهتين وكذا لو كان عدو في جهتي امامه وخلفه فالشهر نهاية
مسافة الخوف ولم ار من نبه علي هذا وهو بديع والشهر قطع القمر درجات
الفلك المحيط وهو اسرع قاطع حيث قطعها في شهر فالرعب المقذوف في
قلوب اعدائه اسرع قاطع لهم عن معاداته لعموم رعبه في قلوب اعدائه
فلا يقبل بوحدة الرعب فيقول لتاثير ينتقل به من الكفر الي الايمان لا عدو
مقصود هدايته فاثر تغلبه حتي امن ومن لم تقصد هدايته وان رعب لكن
لم يتاثر قلبه تاثيرا يوجب له الايمان بل يوثر ما يوجب سعيه في جمع الجيوش
واهلاك الاموال في حربه كما قال تعالي ان الذين كفروا ينفقون اموالهم
الاية وانما كان كذلك ليتميز السعيد من الشقي ومن ذلك ما قال الطبراني
بسند حسن عن معاوية بن حيدة القشيري قال اتيت رسول الله صلي الله عليه
وسلم فلما دفعت اليه قال اما اني سالت الله ان يعينني بالسنة تحفيكم وب
الرعب في قلوبكم فقال بيديه جميعا اما اني قد حلفت هكذا وهكذا ان لا اومن
بك فما زالت السنة تحفيني وما زال الرعب يجعل في قلبي حتي قمت بين يديك
والسنة بفتح المهملة والنون الخفيفة الجدب وتحفيكم بضم الفوقية وسكون
المهملة وفا وتحتية تستاصلكم وتبالغ في اهلاككم ومفهوم هذا كما في الفتح

انه لم يوجد لغيره النصر بالرعب في هذه المدة اي الشهر ولا في اكثر
منها بالاولي اما ما دونها فلا يختص به بل يكون لغيره لكن لفظ رواية
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ونصرت ولو كان بيني وبينهم مسيرة
شهر بالرعب علي العدو فالظاهر من الاعتبار لو اختصاصه به مطلقا
قال الحافظ وليس المراد بالخصوصية مجرد حصول الرعب بل هو ما ينشا عنه
من الظفر بالعدو وانما جعل الغاية شهرا لانه لم يكن بين بلده عليه السلام
المدينة وبين اعدايه اكثر من شهر في جميع الجهات وهذه الخصوصية
حاصلة له علي الاطلاق حتي لو كان وحده بغير عسكر ولا يشكل
الاختصاص بخوف الجن وغيرهم من سليمان لان المراد علي الوجه المخصوص
الذي كان عليه صلي الله عليه وسلم من عدم العلم بالتسخير بل بمجرد الشجاعة
والاقدام البشري واما سليمان عليه السلام فكل احد علم انه له قوة
التسخير وهل هي حاصلة لامته من بعده فيه احتمال الي هنا كلام
الفتح والاصل الاحتمال لحديث احمد والرعب يسعي بين يدي امتي شهرا قال
بعض الاشياخ فهم رزقوا منه حظا وافرا لكن ذكر ابن جماعة ان في رواية انهم
مثله ومنها احلال الغنايم له ولامته ولم تحل لاحد قبله كما في حديث
جابر في الصحيحين وغيرهما واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وقدم المصنف
الحديث تاما في ابتدا الخصايص واستانف في جواب سوال ماذا كان يفعل بها
من قبله فقال وكان كما نقل الحافظ عن الخطابي من تقدم علي ضربين منهم
من لم يوذن له في الجهاد فلم يكن لهم مغانم ومنهم من اذن له فيه لكن
كانوا اذا غنموا شيا لم يحل لهم ان ياكلوه اي يتصرفوا فيه وخص الاكل لانه
اقوي طرق الانتفاع وجات نار فاحرقته الا الذرية كما استثناها الحافظ
والمراد بها نسا الكفار وصبيانهم وارقاوهم وحيواناتهم وقضية ذلك انها
كانت تحرق الحيوانات وهي النار اذا لم يكن فيها غلول ولا خيانة والا بقيت
حتي يذريها الرياح لحديث ابي هريرة في الصحيحين غزا نبي من
الانبيا الحديث وفيه فجمع الغنايم فجات النار لتاكلها فلم تطعمها فقال ان فيكم
غلولا الي ان قال فجاوا براس مثل راس بقرة من الذهب فوضعوها فجات
النار فاكلتها ثم احل الله لنا الغنايم راي عجزنا وضعفنا فاحلها لنا اذا الحافظ
وقيل المراد انه خاص بالتصرف في الغنيمة يصرفها حيث شا والاول اصوب
وهو ان من مضي لم تحل له الغنايم اصلا قال بعضهم استشكل بان يقال
ما حكمة ذلك فاجاب بانه اعطي صلي الله عليه وسلم ما يوافق
شهوة امته لان النفوس لها التذاذ بها يعني ان احلالها له ولامته وان
كان تعظيما له واكراما ليس الي الدنيا ولا لرغبة فيها لنفسه بل ذلك توسعة
علي امته لاحتياجهم اليها ورغبتهم فيها لكونها حصلت لهم عن قهر منهم لعدوهم
وغلبة بفتح الغين اي قهر فلا يريدون ان يفوتهم التنعم بها في مقابلة
ما قاسوه مثلة التنعم اي يريدون التنعم في نظير ما قاسوه من الشدة

بالكسر

بالكسر من الاشتداد والتعب عطف لازم علي ملزوم ثم لا يرد علي ذلك ان
المراد بالغنيمة ما يشمل الفي لان كلا منهما اذا انفرد عم الاخر والفي لا يشترط حصوله
عن قهر وغلبة بل يشمل ما انجلوا عنه بلا قتال وما اهدوه والحرب قايمة وغير
ذلك لان ذلك كله يصدق عليه انه عن قهر في الجملة الا ترى انه لولا خوفهم ما اهدوا
وما جلوا عن شي يتعلق بهم ومنها جعل الارض له ولامته مسجدا وطهورا
بفتح الطا علي المشهور كما قال صلي الله عليه وسلم وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل حيث كان رواه الشيخان
وغيرهما عن جابر وقدمه المصنف تاما في ابتدا الخصايص فعجيب قول
الشارح لم يذكر المصنف الحديث الدال لهذه ولحل الغنايم ولكن افة العلم
النسيان والمراد موضع سجود يباح الصلاة فيه حيث لا مانع كنجاسة
فاطلق السجود علي الصلاة مجازا من تسمية الكل باسم الجزء اي لا يختص
السجود منها بموضع دون غيره بل يشمل كل مكان ويمكن ان يكون
المسجد مجازا عن المكان المبني للصلاة وهو من مجاز التشبيه اي شبه
الموضع الذي جاز فيه السجود ولو في صحرا بالبيت المهيا للصلاة واطلق
عليه اسمه وهو المسجد لانه لما جازت الصلاة في جميعها كانت كالمسجد
في ذلك فيكون استعارة تصريحية او انه قصد تشبيهه به تشبيها بليغا بلا اداة
وكانه قيل الموضع الذي يباح فيه السجود كالبيت المهيا للصلاة في جوازها
فيه لكن هذا الثاني لا يطابق قوله وهو من مجاز التشبيه وقيل المراد ليس
هذا مقابلا لما قبله اذ الاول بيان لمدلول اللفظ وهذا في جهة الخصوصية
ولفظ الفتح الذي نقل عنه المصنف ظاهر لانه ليس فيه هذه الواو وعبارته
قال ابن التين قيل المراد جعلت لي الارض مسجدا وطهورا وجعلت لغيري
مسجدا ولم تجعل له طهورا لان عيسي كان يسيح في الارض فيصلي حيث
ادركته الصلاة فالخصوصية لنا الجمع بين جواز الصلاة في اي محل وبين
كون الصعيد طهورا والمسجدية شورك فيه علي ما قاله عبد الواحد بن
التين من قبله احمد بن نصر الداودي كلاهما في شرح البخاري وسبقهما ابن
بطال لذلك ولم يبينوا علي هذا احكم امة عيسي في صلاتهم لكن الاصل انما شرع
للنبي شرع لامته وقيل انما ابيح لهم في موضع يتيقنون طهارته بخلاف
هذه الامة فابيح لهم من جميع الارض الا فيما تيقنوا نجاسته فالخصوصية
علي هذا جواز الصلاة في مظنون الطهارة والاظهر ما قاله الخطابي
وهو انه من قبله انما ابيحت لهم الصلاة في اماكن مخصوصة كالبيع
كنايس النصاري والصوامع للرهبان فان تعذر عليهم لها النحو سفر لم
يصلوا علي ظاهره فيسقط عنهم اداوها ويقضون اذا بلغوها قال بعض شراح
الرسالة القيروانية كما مضي من الامم انما يصلون بالوضو في مواضع اتخذوها
ويسموها بيعا وكنايس وصوامع فمن غاب منهم عن موضع صلاته لم يجز له ان يعطي
حتي يعود اليه ثم يقضي كل ما فاته وكذا اذا عدم الماء
عن غيره من بقاع الارض حتي يعود اليه ثم يقضي كل ما فاته وكذا اذا عدم الماء للالم

يصل حتي يجده ثم ما كانه وخصت اليهود برفع الجنابة بالما الجاري دون غيره
انتهي وهو ظاهر الاحاديث المذكورة في قوله ويؤيده رواية عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده بلفظ وكان من قبلي انما يصلون في كنايسهم وهذا
اللفظ نص في موضع النزاع وهو هل الخصوصية بالمسجد ايضا او الطهارة
فثبت بالخصوصية بالمسجد كما هي ثابتة بالطهارة ويؤيده ايضا ما
رواه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث جابر المتقدم قبيل
عد الخصايص في المتن وفيه ولم يكن احد من الانبيا يصلي حتي يبلغ محرابه
فها تان الروايتان صريحتان في سقوط الادا ويقضون اذا رجعوا كما جزم
به بعض كما رايت ويؤيده ظاهر قوله حتي يبلغ محرابه فلا اتجاه لما قيل هل
تسقط عنهم مطلقا او ادوها ويقضون اذا رجعوا ومحل الحصر في الكنايس
ونحوها في الحضر لا السفر ويكون محل خصوصية الامة المحمدية الصلاة باي محل
ولو بجوار المسجد وسهولة الصلاة فيه بل هو تقصير ويمنع الثالث حديث ابن
عباس المذكور والحصر في الحديث قبله اذ التقييد لابد له من دليل قاله في فتح
الباري في كتاب التيمم في شرح حديث جابر المتقدم ومنها ان معجزته
عليه السلام اضافة عهدية اي المتبادرة المعهودة شرعا وهي القران
وبها فصح السيوطي مستمرة الي قرب يوم القيامة حتي ترفع ومعجزات
ساير الانبيا انقرضت لوقتها فلم يبق الا خبرها ولم يشاهدها الا من
حضرها واكثرها حسية تشاهد بالبصر كناقة صالح وعصي موسي لبلادة
اممهم والقران العظيم الذي اريد بالمعجزة المستمرة لم تزل حجته قاطعة
وهي عقلية تشاهد بالبصيرة لفرط ذكا هذه الامة فلا يمر عصر الا ويظهر
فيه شي اخبر بانه سيكون ومعارضة ممتنعة لاعجازه فكان من يتبعه
لاجلها اكثر اذ ما يدرك بالعقل يشاهده كل من جا بعد الاول وجميع معجزات المصطفي
احاد الا القران وحكمة ذكر مرة للمصطفي من انشقاق القمر عن الخطابي
وغيره ومنها انه اكثر الانبيا معجزة فقد قيل انها تبلغ الفا وقيل ثلاثة
الاف حكاها البيهقي سوي القران ففيه ستون الف معجزة تقريبا قال الحليمي
وفيها مع كثرتها معني اخر وهو انه ليس في شي من معجزات غيره ما ينحو اختراع
الاجسام وان ذكر في معجزات نبينا خاصة نقله في الانموذج قال القاضي عياض
في الشفا ومعجزات نبينا خاصة اظهر من ساير معجزات الرسل بوجهين كثرتها
وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس
علي ذلك اما كونها كثيرة فهذا القران كله معجز دليل لكثرتها وفي
نسخة من الشفا وهذا بالواو بدل الفا فالتقدير فهذا القران موجود
معروف وجميع اجزايه معجز فناهيك به كثرة واقل ما يقع الاعجاز
فيه عند ايمة المحققين بسورة بالجر داخلة علي الخبر وفي نسخ
اسقاطها انا اعطيناك الكوثر وهي اقصر سورة في القران او
اية في قدرها اي مساوية لها في الحروف والكلمات وهي ثلاث ايات

فاقل ما يقع الاعجاز به ثلاث ايات سورة او لا بحيث يظهر فيه تفاصيل ذي
البلاغة وذهب بعضهم الي ان كل اية منه كيف كانت مقدار سورة ام لا
معجزة وقال قوم لا يحصل الاعجاز باية بل يشترط الايات الكثيرة اذ لم يقم
دليل علي عجزهم عن معارضة اقل من سورة وقيل يتعلق الاعجاز بسورة
طويلة كانت او قصيرة تشبثا بظاهر قوله بسورة وذهب اخرون الي
ان كل جملة منتظمة اي مفيدة تامة معجزة وان كانت من كلمة او
كلمتين لا يرد كيف تكون جملة منتظمة وهي كلمة لانه يكون فيها مقدر كمدهامتان
وقال اخرون يتعلق بقليل القران وكثيره لقوله فليأتوا بحديث مثله قال القاضي
ولا دلالة في الاية لان الحديث التام لا يتحصل حكايته في اول الكلمات سورة
قال القاضي عياض والحق ما ذكرناه اولا ان المعجزة اقصر سورة او مقدارها
لقوله تعالي فاتوا بسورة اي سورة كانت من مثله في الاعجاز ودخل
مقدار السورة فيه بدلالة النص فلا يتوهم انه ليس فيه دليل علي مدعاه
فهو اي ما ذكر اقل ما تحداهم الله او رسوله به اي طلب منهم معارضته
مع ما ينصر هذا القول المذكور اولا اي يقويه ويؤيده من نظر اي فكر
او تدبر وتحقيق يطول بسطه ببيان الادلة والبراهين القايمة لمن تدبره
ونظير ما فيه من مراعاة كل مقام وما احتوي عليه من الجزالة واللطافة التي
تحير العقول فقد تحداهم اولا بجملته فقال قل فاتوا بكتاب من عند الله ثم بعشر
سور فاتوا بعشر سور مثله ثم بسورة فسجل عجزهم بعد ارخا عنان التكليف
فاذا كان هذا اي ثبت ما تحداهم به هذا المقدار الاقل ففي القران من
الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف اي زيادة عليه علي عدد
بعضهم ان هذا مقداره ومن قدر هذا الزايد نقل في الاتقان عن قوم
كلمات القران سبعة وسبعين الف كلمة وتسعماية واربعا وثلاثين كلمة وقيل
واربعماية وسبعا وثلاثين وقيل ومايتان وسبع وسبعون وقيل غير ذلك قيل
وسبب الاختلاف في عدد الكلمات ان الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم
واعتبار كل منها جايز وكل من العلما اعتبر احد الجوايز قال والاشتغال
باستيعاب ذلك مما لا طايل تحته وقد استوعبه ابن الجوزي في فنون الافنان
فراجعه منه فان كتابنا موضوع للمهمات لا لمثل هذه البطالات وقد
قال السخاوي لا اعلم لعدد الكلمات والحروف فايدة لان ذلك انما يفيد في
كتاب يمكن فيه الزيادة والنقص والقران لا يمكن فيه ذلك انتهي فلفظ نحو للمصنف
زايد لان كل واحد من هذه الاقوال يصدق عليه انه نيف وعدد كلمات
انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزا القران علي نسبة انا
اعطيناك الكوثر نحو مقدارها واتي بنسبة ليشمل اية واحدة قدرها
كما مر فالنسبة تجاوز عن المقدار ازيد من سبعة الاف جز اي بسبعماية
جز وشي لان السبعين الفا اذا قسمت علي العشرة خرج لكل واحد منها سبعماية
فيصير الحاصل ان كل جز سبعة الاف وسبعماية والنيف يختلف الخارج منه

بحسب الخلاف فيه كل واحد منها معجز في نفسه اي بقطع النظر عن غيره ثم اعجازه
اي القران كما تقدم من ذكر الاختلاف في قدره بوجهين الاول بلاغته اي
ما فيه من مراعاة الوجوه التي بها يطابق اللفظ مقتضي الحال فهي من جهة المعني
والثاني طريق نظمه اي اسلوبه وكونه علي نسق لا يشبه غيره من الكلام نظما
وسجعا ونثرا وتناسبه كلماته وجمله وايتا كل كلمة منه ما تستحقه وتنزيلها
في محل لا يليق بها غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة فكل فصار كل جزء
جزء من هذا العدد معجزتان من جهة بلاغته ونظمه فتضاعف
ماض من التفاعل او مضارع من المفاعلة العدد اي عدد معجزاته من هذا
الوجه المشتمل علي البلاغة والنظم وقال ابن عطية الصحيح والذي عليه
الجمهور والحذاق في وجه اعجازه انه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة
الفاظه وذكر ان الله احاط بكل شي علما واحاط بالكلام كله فاذا تركبت
اللفظة من القران علم باحاطته اي لفظة تصلح ان تلي الاولي وتبين المعني
بعد المعني ثم كذلك من اول القران الي اخره والبشر يعمهم الجهل والنسيان
والذهول ومعلوم ضرورة ان احدا من البشر لا يحيط بذلك فبهذا جا نظم
القران في الغاية القصوي من الفصاحة فبهذا يبطل قول من قال ان العرب كان
في قدرتها الاتيان بمثله فصرفوا عن ذلك والصحيح انه لم يكن في قدرة احد
قط ولهذا تري البليغ ينقح القصيدة او الخطبة حولا ثم ينظر فيها فيغير فيها
وهلم جرا وكتاب الله سبحانه لو نزعت منه لفظة ثم ادير لسان العرب علي
لفظة احسن منها لم يوجد ونحن تتبين لنا البلاغة في اكثره ويخفي علينا وجهها
في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة
واقامة الحجة علي العالم بالقران لانهم كانوا ارباب الفصاحة ومظنة المعارضة
كما قامت الحجة في معجزة موسي بالسحر وفي معجزة عيسي بالطب وكان
السحر انتهي في مدة موسي الي غاية وكذا الطب في زمن عيسي والفصاحة
في زمن محمد انتهي ثم فيه وجوه اعجاز اخر غير الطريقين من الاخبار
بعلوم الغيب اي الامور الغيبية سابقة او لاحقة بيان لوجوه فقد يكون
في السورة الواحدة من هذه التجزية اي الاجزا المذكورة المضاعفة
من جهتي الاعجاز الاخبار عن اشيا من الغيب الامور المغيبة عن علمنا
كل خبر منها بنفسه معجز باعتبار اخباره عن الغيب وقطع النظر عن غيره
من وجوه الاعجاز فيضاعف ماضيا او مضارع كما مر العدد المذكور اي العدد
المضاعف لقوله كرة اي مرة بعد اخري اي بعد مضاعفته السابقة ثم وجوه
الاعجاز الاخر التي ذكرناها وهي ذكر المغيبات توجب التضعيف الزيادة
اليوم ايضا يكاد يحصي كثرة هذا اي حق القران دون غيره من المعجزات الزايدة
علي معجزات ساير الانبيا فلا يكاد يا خذ العد وفي نسخة العدد وهما بمعني
معجزاته اي لا يحيطها لكثرتها فالمراد بالاخذ الاحاطة مجازا بليغا كقوله
لا تاخذه سنة ولا نوم وهو مبالغة ولذا قال لا يكاد ولا يحوي الحصر اي الاحاطة

براهينه

براهينه اي ادلته القاطعة الدالة علي ثبوت رسالته لساير الخلق وبقية
كلام الشفا في هذا الوجه ثم الاحاديث الواردة في هذه الابواب اي ابواب
معجزاته وما دل علي امره مما اشرنا الي جمل منه يبلغ نحوا من هذا اي المقدار
الكثير ومن ذلك انشقاق القمر وتسليم الحجر وحنين الجذع ونبع الما
من بين اصابعه ولم يثبت من الانبيا مثل ذلك المذكور من الاربع وكذا
اختراع الاجسام كتكثير التمر والطعام كما ذكره ابو عبد السلام عز الدين وغيره
وتقدم ما فيه من المباحث في المعجزات ومنها انه خاتم الانبيا والمرسلين
كما قال تعالي ولكن رسول الله وخاتم النبيين اي اخرهم الذي ختمهم او ختموا به
علي قراة عاصم بالفتح روي احمد والترمذي والحاكم باسناد صحيح عن انس
مرفوعا ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي قيل من لا
نبي بعده يكون اشفق علي امته وهو كوالد لولد ليس له غيره ولا يقدح نزول
عيسي بعده لانه يكون علي دينه مع ان المراد انه اخر من نبي وكذا الخضر والياس
علي بقايهما الي اخر الزمان تابعان لاحكام هذه الملة قال عليه السلام مثلي
مبتدا ومثل الانبيا قبلي عطف عليه كمثل رجل خبره بني بنيانا فاحسنه
واكمله وفي رواية جابر كرجل بني دارا فاكملها واحسنها الا موضع لبنة بفتح
اللام وكسر الموحدة بعدها نون وبكسر اللام وسكون الموحدة ايضا قطعة طين
تعجن وتعد لبنا من غير احراق فاذا حرقت فهي اجرة من زاوية من زواياه
فجعل الناس يطوفون به بالبيت ويتعجبون له اي لاجله وفي رواية جابر فجعل
الناس يدخلونها ويتعجبون اي من حسنها ويقولون هلا وضعت هذه
اللبنة زاد في رواية احمد فيتم بنيانك فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين
ويحتمل شرايع الدين فان قيل المشبه به واحد والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه اجيب
بانه جعل الانبيا كرجل واحد لانه لا يتم ما اراد من التشبيه الا باعتبار الكل وكذا الدار
لا تتم الا باجتماع البنيان ويحتمل ان يكون من التشبيه التمثيلي وهو ان يوخذ وصف من
اوصاف المشبه ومشبه به من احوال المشبه به وكانه شبه الانبيا وما بعثوا به من ارشاد
الناس ببيت اسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع يتم به صلاح ذلك البيت
وزعم ابن العربي ان اللبنة المشار اليها كانت في راس الدار المذكورة وانها لو وضعها
لانقضت تلك الدار قال وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور قال الحافظ وهذا ان
كان منقولا فهو حسن وليس بلازم نعم ظاهر السياق ان تكون اللبنة في مكان يظهر
عدم الكمال في الدار بفقدها وقد وقع في رواية مسلم الا موضع لبنة من زاوية
من زواياها فظهر ان المراد انها مكملة محسنة والا لاستلزم ان يكون الامر بدونها
ناقصا وليس كذلك فان شريعة كل نبي بالنسبة اليه كاملة فالمراد هنا النظر الي
الاكمل وليس كذلك بالنسبة الي الشريعة المحمدية مع ما مضي من الشرايع الكاملة
رواه البخاري في احاديث الانبيا ومسلم في الفضايل من حديث ابي هريرة
واللفظ له ومن حديث جابر بنحوه وفي الحديث ضرب الامثال للتقريب للافهام وفضل
النبي صلي الله عليه وسلم علي ساير النبيين وان الله ختم به النبيين واكمل شرايع الدين

ومنها ان شرعه مويد بوحدة الي يوم الدين اي يوم الجزا وعند كما تدين تدان
وبيت الحاسة ولم يبق سوي العدوان دناهم كما دانوا وقيل الدين الشريعة او
الطاعة فالمعني يوم جزا الدين وقد تكفل الله لشرعه بيقا به علي ممر الدهور حتي
ينزل عيسي فيحكم به ثم يضمحل عند قيام الساعة بموت الطايفة الذين لا يزالون
قايمين بالحق لا يضرهم من خالفهم حتي ياتي امر الله اي ريح لينة تقبض ارواحهم
فلا يبقي علي الارض من يقول لا اله الا الله فتقوم الساعة كما في احاديث وناسخ
لجميع شرايع النبيين اجماعا حكاه غير واحد ثم خصه الامام الرازي بالشرايع
السمعية لا العقلية فيمتنع نسخه كمعرفة الباري وطاعته وانه اكثر الانبيا
تابعا كما قال عليه السلام ما من الانبيا من نبي الا وقد اعطي من الايات
ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجوان
اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة ورجاوه محقق وقد جزم به في مسلم عن انس
رفعه انا اكثر الانبيا تبعا يوم القيامة وروي البزار ياتي معي من امتي يوم
القيامة مثل السيل والليل وخصها لانه يوم ظهور ذلك رواه الشيخان من
حديث ابي هريرة ورتب قوله فارجوا الي اخره علي ما تقدم من معجزة القران
المستمرة لكثرة فايدته وعموم نفعه لاشتماله علي الدعوة والحجة والاخبار
بما سيكون فعم نفعه من حضر ومن غاب ومن وجد ومن سيوجد فحسن ترتيب
الرجا علي ذلك وهذا قد تحقق فانه اكثرهم تبعا ودل الحديث علي ان النبي
لا بد له من معجزة تقتضي ايمان من شاهدها بصدقه ولا يضره من اصر علي
المعاندة وقوله ما مثله ما موصولة وقعت مفعولا ثانيا لاعطي ومثله مبتدا
وامن خبره والمثل يطلق ويراد به عين الشي وما يساويه والمعني ان كل نبي
اعطي اية او اكثر من شان من يشاهدها من البشر ان يومن لاجلها وعليه بمعني
اللام او البا ونكتة التعبير بها لتضمنها معني الغلبة اي يومن بذلك مغلوبا
عليه بحيث لا يستطيع دفعه عن نفسه لكن قد يخذل فيعاند كما قال تعالي
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وقوله وانما كان الذي اوتيته وحيا اي القران
المراد النوع المختص به او اعظمها وافيدها لاحتوايه معجزاته فيه لانها لم تحصر فيه
او انه لا مثل له لا صورة ولا حقيقة بخلاف غيره من المعجزات فلا يخلو عن مثل
وغير غيره ذلك كما بسطه في الفتح ومنها انه لو ادركه الانبيا لوجب عليهم
اتباعه لقوله صلي الله عليه وسلم لو كان موسي حيا ما وسعه الا اتباعي رواه ابو
نعيم وغيره كما سياتي تقريره ان شا الله تعالي في المقصد السادس
وسبقت الاشارة اليه في ذا المقصد والمقصد الاول ومنها انه ارسل الي الجن
وهم كما قاله الحافظ عن ابي يعلي بن الفرا الحنبلي اجسام مولفة واشخاص
ممثلة يجوز ان تكون رقيقة وان تكون كثيفة خلافا لدعوي المعتزلة انها
رقيقة وان امتناع رويتنا لهم من جهة رقتها وهو مردود بان الرقة لا تمنع
الروية ويجوز ان يخفي عن رويتنا بعض الاجساد الكثيفة اذا لم يخلق الله فينا
ادراكها وروي البيهقي عن الشافعي من زعم انه يري الجن ابطلنا شهادته الا ان

يكون

يكون نبيا وهو محمول علي من ادعي رويتهم علي صورهم التي خلقوا عليها واما من ادعي
انه يري شيا منهم بعد ان يتطور علي صورة شي من الحيوان فلا يقدح فيه وقد تواترت
الاخبار بتطورهم في الصور واختلف المتكلمون هل هو تخييل فقط ولا ينتقل احد عن
صورته الاصلية او ينتقلون لكن لا اقتدار لهم علي ذلك بل بضرب من الفعل اذا فعله
انتقل كالسحر وهذا قد يرجع الي الاول قال ابن عبد البر الجن عند الجماعة مكلفون
قال عبد الجبار لا نعلم خلافا بين اهل النظر في ذلك الا ما حكي عن بعض الحشوية
انهم مضطرون الي افعالهم وليسوا مكلفين قال والدليل للجماعة ما في القران من
ذم الشياطين والتحرز من شرهم وما اعد لهم من العذاب وهذه الخصال انما تكون
لمن خالف الامر وارتكب النهي مع تمكنه من ان لا يفعل والايات والاخبار الدالة علي
ذلك كثيرة جدا واذا تقرر تكليفهم فهم مكلفون بالتوحيد واركان الاسلام واما
ما عداه من الفروع ففيه خلاف لما ثبت ان الروث والعظم زاد الجن وفي رواية
في الصحيح انهما طعام الجن فدل علي جواز تناولهم الروث وهو حرام علي الانس
كذا في فتح الباري ولا دليل في حديث الروث لانه علف دوابهم كما في الصحيح وقد
نقل ابن عطية وغيره الاجماع علي ان الجن متعبدون بهذه الشريعة فان قيل لو كانت
الاحكام بجملتها لازمة لهم لكثر تردادهم الي النبي صلي الله عليه وسلم حتي يتعلموها
مع انهم انما اجتمعوا به قليلا اجيب بانه لا يلزم من عدم اجتماعهم به وحضورهم مجالسه
وسماعهم كلامه ان لا يعلموا الاحكام فان في الاثار والاخبار ان مومنيهم يصلون ويصومون
ويحجون ويطوفون ويقرون القران ويتعلمون العلوم وياخذونها عن الانس
ويروون عنهم الاحاديث وان لم يشعروا بهم وبانه يمكن اجتماعهم بالنبي صلي الله
عليه وسلم من غير ان يراهم المومنون ويكون هو يراهم دون اصحابه بقوة يعطيها الله
له زايدة علي قوة اصحابه ثم لا خلاف انهم يعاقبون علي المعاصي واختلف هل يثابون
واليه ذهب الجمهور وقال به الايمة الثلاثة والاوزاعي وابو يوسف ومحمد بن الحسن وعليه
فهل يدخلون مدخل الانس وهو قول الاكثر والاشهر والاكثر ادلة زاد الحارث بن
اسد المحاسبي ونراهم في الجنة ولا يرونا علي الدنيا عكس الدنيا قال الضحاك وياكلون
فيها ويشربون وقال مجاهد يلهمون التسبيح والتقديس فيجدون فيه ما يجده الانس
من اللذة او يكونون في ربض الجنة او اعراف او الوقف اقوال واستدل الامام مالك
علي ان لهم الثواب وعليهم العقاب بقوله تعالي ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال
فباي الا ربكما تكذبان والخطاب للانس والجن فاذا ثبت ان فيهم مومنين ومن شان
المومن ان يخاف مقام ربه ثبت المطلوب واستدل ابن وهب بقوله تعالي ولكل درجات
مما عملوا بعد قوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وذهب ابو حنيفة وليث
ابن ابي سليم ان ثواب الجن ان يجاروا من النار ثم يكونوا ترابا واحتج بقوله تعالي
واحتجا بقوله تعالي ويجركم من عذاب اليم وقوله فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا
ولا رهقا قال لا علم يذكر في الايتين ثوابا غير النجاة من العذاب واجيب بان الثواب
مسكوت عنه وان ذكر من قول الجن فيجوز انهم لم يطلعوا علي ذلك وخفي عليهم ما اعد الله
لهم من الثواب وروي ابن مردويه وابو الشيخ وابن ابي الدنيا والحكيم الترمذي

والديلمي باسناد فيه ضعف عن ابي الدردا مرفوعا خلق الله الجن ثلاثة اصناف صنف
حيات وعقارب وخشاش الارض وصنف كالريح في الهوا وصنف عليهم الحساب
والعقاب اتفاقا اي اجماعا بدليل قوله والدليل علي ذلك قبل الاجماع المعلوم من
الدين بالضرورة الكتاب والسنة اما الكتاب فقد قال الله تعالي ليكون للعالمين
نذيرا منذرا او نذارا كالنكير بمعني الانكار وقد اجمع المفسرون علي دخول الجن
في هذه الاية ولا يقدح فيه القول بان المراد الناس فقط لان كل واحد منهم من حيث
اشتماله علي نظاير ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم
بما فيه عالم علي حاله ولذا امر بالنظر الي الانفس في الافاق فقيل وفي
انفسكم افلا تبصرون اما لشذوذه فلم يعتد به حاكي الاجماع او ان قايله ليس من
المفسرين وهو مدلول لفظها بنا علي ان العالمين اسم جمع لمن يعقل خاصة وهم
الملايكة والثقلان لا جمع له لان العالم اسم لما سوي الله فلو كان جمعا له للزم ان
معني المفرد اكثر من معني الجمع وهذا احد قولين والثاني انه جمع شامل لذوي
العلم وغيرهم قال البيضاوي العالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم
به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها
الي موثر فيها واجب لذاته تدل علي وجوده وانما جمعت ليشمل ما تحته من الاجناس
المختلفة وغلب العقلا منهم فجمعه بالياء والنون كساير اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي
العلم من الملايكة والثقلين انتهي واذا كان كذلك فلا يخرج عنه الا بدليل ولم
يوجد فثبت دخولهم في اللفظ وان قيل ان الملايكة خارجون من ذلك
العموم علي مذهب الاكثر انه ليس مرسلا اليهم فتضعف دلالة العام علي افراده
لاحتماله التخصيص زيادة علي ما خص به فحيث ثبت استثنا الملايكة من العالمين
جاز استثنا الجن ايضا فلا تدل الاية علي انه مرسل اليهم فلا يضر ذلك في
الاستدلال بها علي دخول الجن لان العام المخصوص حجة عند جمهور العلما
والاصوليين مطلقا لاستدلال الصحابة به من غير نكير وقيل ان خص بمعين لا مبهم
كاقتلوا المشركين الا بعضهم وقيل ان خص بمتصل كالصفة وقيل غير ذلك ومحل
الخلاف ان لم نقل انه حقيقة والا احتج به جزما كما قاله ابن السبكي فتقييد المصنف
بالجمهور بنا علي انه مجاز فان قلنا حقيقة كان حجة عند الجميع ولو بطل الاستدلال
بالعمومات المخصوصة كما قيل به مطلقا ايضا لبطل الاستدلال باكثر الادلة
لكونها مخصوصة وهو خلاف عمل الصحابة والايمة بعدهم وقال تعالي في
الاحقاف ذكر لمن لا يعلم او سنذكر عنه يا قومنا اجيبوا داعي الله فامر بعضهم بعضا
بعضا باجابته دليل علي انه داع لهم وهو معني بعثه لهم الي غير ذلك من
الايات كقوله تعالي لانذركم به ومن بلغ والجن بلغهم القران وقوله تعالي
سنفرغ لكم ايها الثقلان وهما الانس والجن لانهما ثقلا الارض او لانهما مثقلان
بالذنوب وقال ولمن خاف مقام ربه جنتان ولذا قيل من الجن مقربون وابرار
كالانس واما السنة تتميم لما قدر كما مر ففي صحيح مسلم من حديث ابي
هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال فضلت علي الانبيا بست

من

من الخصال وليس المراد الحصر لانه فضل باكثر بل اخبر بما اوحي اليه اولا ثم اخبر
بالباقي كما مر بسطه فذكر الحديث المتقدم لفظه في المتن اول الخصايص فلا ننقله
من غيره منها وارسلت الي الخلق كافة ارسالة عامة محيطة بهم لانها اذا شملتهم
فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وهذه اصرح الروايات واشملها فانه يشمل الجن
والانس بل والملايكة كما ياتي وحمله علي الانس خاصة تخصيص بغير دليل فلا
يجوز لانه تحكم والكلام فيه كالكلام مع اية الفرقان المذكورة لو لا ان العالمين
والخلق كل منهما عام فان قلت ان قوله تعالي قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا حال من اليكم وهو خطاب عام فقوله وما ارسلناك الا كافة
للناس الا ارسالة عامة لهم من الكف فانهم اذا لحقتهم فقد كفتهم ان يخرج منها
احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهو حال من الكاف والتا للمبالغة او الا جامعا
لهم ولا يجوز جعلها حالا من الناس علي المختار قاله البيضاوي ظاهر ما ذكر
من الايتين ولذا لم يقل ظاهرتان في اختصاص رسالته عليه السلام
بالانس لان الخطاب لهم واحتمال غيره تكلف عدول عن الظاهر فهل يخالف
الايات والاحاديث الدالة علي بعثه الي الجن فالجواب ان هذا السوال
انما يمشي علي مذهب الاستاذ ابي علي الحسن بن علي النيسابوري الدقاق
امام عصره برع في الفقه والاصول والعربية والتصوف قال الغزالي كان زاهد
زمانه وعالم اوانه له كرامات ظاهرة ومكاشفات باهرة قيل له لم زهدت
في الدنيا قال لما زهد في اكثرها انفت عن الرغبة في اقلها مات سنة خمس او
ست واربعماية القايل بان مفهوم اللقب حجة حجة لاشتهاره بذلك
والا فقد قال به الصيرفي من الشافعية وهو اقدم منه واجل وابن خويز منداد
من المالكية اذ لا فايدة في ذكره الا نفي الحكم عن غيره كالصفة واجيب بان
فايدته استقامة الكلام اذ باسقاطه يختل بخلاف اسقاط الصفة والناس
من قبيل اللقب عند الاصوليين وهو الاسم الجامد سوا كان علما او اسم
جنس لا عند النحاة الذي هو ما اشعر برفعة المسمي او ضعته فان لمسيلة
المترجمة في الاصول لمفهوم اللقب لا تختص باللقب المشهور بمدح
او ذم بل الاعلام كلها واسما الاجناس كلها كذلك ما لم تكن صفة
ظاهره انها من اسما الاجناس وعبر المحلي خلافه فكان مراده ان اسما
الاجناس كذلك لا تشمل الصفة فتدخل في اللقب والناس اسم جنس
غير صفة فلا مفهوم له فيسقط السوال فهذه الاية ليس فيها
اصلا ما يفهم منه انه ليس رسولا الي غيرهم اي الانس الا علي مذهب
الدقاق وهو ضعيف بل انتقالية ولا يتم علي مذهبه التمسك بهذا
المفهوم ايضا لان الدقاق انما يقول به حيث لم يظهر غرض سواه اي
غيره في ذكر الاسم فيوافق الدقاق غيره علي عدم اعتبار مفهوم اللقب
وحيث ظهر غرض كموافقة الغالب وسامعها المذكور في الاصول لا يقول
الدقاق بالمفهوم بل يجعل ذلك التخصيص علي ذلك الغرض والغرض

في الاية التعميم في جميع الناس وعدم اختصاص الرسالة ببعضهم كما زعم اليهود والنصارى لانفي غير الناس وحينيذ فلا يلزم نفي الرسالة عن غيرهم لا على مذهب الدقاق ولا على مذهب غيره وهم الجمهور وانما خاطب الناس فقط لانهم الذين تغلب رويتهم والخطاب معهم فمقصود الاية خطاب الناس والتعميم فيهم لا النفي عن غيرهم حتى يتاتى السوال وهذا كله انما يحتاج اليه اذا قلنا ان لفظ الناس لا يشمل الجن كما هو احد القولين فان قلنا انه يشملهم كما هو القول الاخر فوضح عدم تاتي السوال وتكون الاية من جملة ادلة العموم والاختلاف فيه اي الشمول للجن مبني على الاختلاف في اشتقاق الناس هل هو من النوس المصدر وهو الحركة لان اصل المشتقات المصدر على الراجح وهو قول البصريين ولذا لم يقل من ناس اذا تحرك لانبنا به على قول الكوفيين ان اصلها الفعل او من الانس وهو ضد الوحشة فاذا قلنا بالاول من النوس اطلق على الفريقين لان الجن يتحركون كالانس ولكن مع ذلك استعماله في الانس اغلب من استعماله في الجن فحيث اطلق فالمراد به ولد ادم لانه الاغلب واذا قلنا بالثاني وهو الانس فلا يدخل الجن لانا لا نبصر الجن ولا نانس بهم فدخول الجن في الاية انما يمتنع على انه من الانس واما قيل على انه من النوس فلا يحمل عليه الاية وبعد انبني الاستدلال بها على انه مرسل اليهم لكنها لا تدل على خلافه وهو خروج الجن عن كونه مرسلا اليهم بل هي ساكتة عنه واما قول الضحاك بن مزاحم الهلالي ابو القاسم او ابو محمد الخراساني صدوق كثير الارسال روى له الاربعة مات بعد المائة ومن تبعه ان الرسل الى الجن منهم لقوله تعالى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم فهو ظاهر الاية قال ابن جرير لان الله اخبر ان من الجن والانس رسلا ارسلوا اليهم فلو جاز ان المراد برسل الجن رسل الانس لجاز عكسه وهو فاسد واجاب الجمهور بان معنى الاية ان رسل الانس رسل من قبل الله اليهم ورسل الجن بثهم الله في الارض ليسمعوا كلام رسل الانس ويبلغوه قومهم كما قال تعالى ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى الاية لكن لم يقل الضحاك ولا احد غيره باستمرار ذلك في هذه الملة المحمدية وانما محل الخلاف في ذلك الملل المتقدمة خاصة واما هذه الملة فنبينا صلى الله عليه وسلم هو المرسل اليهم والى غيرهم اجماعا حكاه ابن عبد البر وابن حزم وغيرهما ولم ينقل احد عن الضحاك ان رسل الجن منهم مطلقا اي في الامم السابقة وهذه الامة بدليل قوله ولا ينبغي ان ينسب اليه ما يخالف الاجماع ويحتمل ان معنى الاطلاق لا بانفسهم ولا عن احد من البشر فهو مقابل قوله الاتي وقيل الرسل من الجن

وفيه

وفيه بعد على ان الاكثرين قالوا لم تكن الرسل الا من الانس خاصة ولم يكن من الجن رسول قط لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك من باب الحكم على المجموع فلا يستلزم الحكم على الجميع ونظيره قوله يخرج بالبنا للفاعل والمفعول منهما اللولو والمرجان وهما انما يخرجان من الملح دون العذب على الصحيح وقول الجمهور خلافا لقوم انه يخرج من العذب ايضا قال ابن عطية وقد رد الناس هذا القول لان الحس يكذبه ووجهت اية يا معشر الجن والانس ايضا بانه لما كان النداء لهما معا والتوبيخ جرى على الخطاب عليهما على سبيل التجوز المعهود في كلام العرب تغليبا للانس لشرفهم وتاوله الفرا على حذف مضاف اي من احدكم كقوله يخرج منهما اللولو والمرجان اي من احدهما وهو الملح وكقوله وجعل القمر فيهن نورا اي في احداهن وهي سما الدنيا ويذكروا اسم الله في ايام معلومات اراد بالذكر التكبير وبالايام العشر اي في احد ايام العشر وهو يوم النحر وقيل الرسل من الجن رسل الرسل من بني ادم اليهم فهم رسل الله بواسطة اذ هم رسل رسله لا رسل الله بلا واسطة لقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وهذا منقول عن ابن عباس والضحاك ايضا ونقل بعضهم عنه موافقة الجمهور ايضا قاله بعض العلما وقيل بعث الله رسولا واحدا من الجن اليهم اسمه يوسف ونقل عن ابن عباس انه المراد في قوله تعالى ولقد جاكم يوسف من قبل بالبينات واحتج ابن حزم على الرسل الى الجن منهم في الامم السابقة بقوله صلى الله عليه وسلم وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وليس الجن من قوم الانس فثبت انه كان منهم انبيا اليهم وفي الاستدلال بالحديث نظر وما اخرجه الحاكم والبيهقي عن ابن عباس في قوله ومن الارض مثلهن قال سبع ارضين في كل ارض ادم كادمكم ونوح كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسى ونبي كنبيكم فقال البيهقي اسناده صحيح لكنه شاذ بمرة يعني فلا يلزم من صحة اسناده صحة متنه فقد يصح الاسناد ويكون في المتن شذوذ او علة تقدح في صحته كما تقرر عند المحدثين قال ابن كثير وهذا ان صح عنه يحمل على انه اخذه من الاسرائيليات وهذا وامثاله اذا لم يخبر به ويصح سنده الى معصوم فهو مردود على قائله انتهى وعلى تقدير ثبوته يكون المعنى ان ثم من يقتدى به مسمى بهذه الاسما وهم الرسل المبلغون الجن عن انبيا الله سمي كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه والله اعلم ومنها انه ارسل الى الملايكة قال في فتح الباري قال جمهور اهل الكلام من المسلمين الملايكة اجسام لطيفة اعطيت قدرة على التشكل باشكال مختلفة ومسكنها السموات وابطل قول من قال انها الكواكب او الانفس الخيرة التي فارقت اجسادها وغير ذلك من الاقوال التي لا يوجد في الادلة السمعية شي منها وجا في صفتهم وكثرتهم احاديث منها ما اخرجه مسلم عن عايشة مرفوعا خلقت الملايكة من نور الحديث واخرج الترمذي وابن ماجة والبزار عن ابي ذر مرفوعا اطت

السماو حق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا عليه ملك ساجد الحديث
وروي الطبراني عن جابر يرفعه ما في السموات موضع قدم ولا شبر ولا كف
الا وفيه ملك قايم او راكع او ساجد وذكر في ربيع الابرار عن سعيد بن المسيب
قال الملايكة ليسوا ذكورا ولا اناثا ولا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون
ولا يتوالدون وفي قصة الملايكة مع ابراهيم وسارة ما يويد انهم لا ياكلون
واما ما وقع في قصة الاكل من الشجرة انها شجرة الخلد التي تاكل منها الملايكة
فليس بثابت وفي هذا وما ورد من القران على من انكر وجود الملايكة
من الملاحدة انتهى في احد القولين ورجحه السبكي والبارزي وابن حزم
والسيوطي لانهم مكلفون بالطاعات العملية كما قال تعالى لا يعصون الله
ما امرهم وان لم يكونوا مكلفين بالوحدانية لظهورها لهم فتكليفهم بها
تحصيل للحاصل ودليل رجحان هذا القول ما قاله تعالى تبارك تعالى
الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا مخوفا من عذاب
الله ولا نزاع ان المراد من العبد ههنا محمد عليه الصلاة والسلام
اذ الاضافة عهدية وجا استعماله بهذا اللفظ فيه اسري بعبده انزل على
عبده الكتاب واشتهر حتى صار كالعلم المخصوص به صلى الله عليه وسلم فهو
دفع لتجويز ان المراد من غيره والعالم بفتح اللام والرفع استينافا هو ما
سوى الله تعالى وليس بالخفض عطفا على العبد لانه يكون التقدير ولا
نزاع في ان المراد من العالم ما سواه تعالى مع ان فيه النزاع قال المجد العالم
الخلق كله او ما حواه بطن الفلك وفي المصباح العالم الخلق وقيل مختص
بمن يعقل فيتناول جميع المكلفين على انه الخلق كله من الجن والانس
والملايكة وعلى انه اسم للعاقل فالمكلفون مفهومه والتناول عنه باعتبار
كل فرد او نوع وبطل بذلك اي شمول الملايكة لجميع المكلفين قول من قال انه
كان رسولا الى البعض دون البعض لمخالفة التخصيص لصريح الاية لان
لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات توجيه لله بطال فتدل الاية على
انه رسول الى الخلق كلهم ومنهم الملايكة فثبت المطلوب ولو قيل
لمدعي خروج الملايكة من هذا العموم لصحة الدليل عليه لان تخصيص
العام لا بد له من دليل ربما عجز عنه فان اعتل بانه تعالى نذير الخروج الملايكة
لعصمتهم ولانه لم ينذرهم لم تقبل علته فانه يحتمل ان يكون من الملايكة
من انذره صلى الله عليه وسلم اما ليلة الاسرا واما غيرها واذا
احتمل ذلك بطل تخصيصها بغير الملايكة اذ لا يثبت الا بدليل وظاهر الاية
شمولها لهم وهو كاف في الاستدلال اذ ليس كل احتمال يقدح فيه بل انما
يقدح الاحتمال القوي وكذا لا يلزم من العصمة عدم الانذار ومن نقل
منهم اني اله فقد انذرهم مع العصمة لكن لا يلزم من الانذار الرسالة
اليهم في شي خاص ان يكون بالشريعة كلها اذ لا تنافي كلها فيهم ومما
يدل على شمول الاية للملايكة قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه

فذكر

فذكر بجزيه جهنم قال السيوطي لم اقف على انذار في القران للملايكة
سوى هذه الاية والحكمة في ذلك واضحة لان غالب المعاصي راجعة
الى البطن والفرج وذلك ممتنع عليهم من حيث الخلقة فاستغنى عن انذارهم
فيه واذا قلنا ان الملايكة هم مومنو الجن السماوية كما ذهب اليه من زعم
ان العقلا الناطقين فريقان انس وجان وكل فريق اخيار واشرار فاخيار
الانس هم الابرار منهم رسل وغير رسل واشرارهم الفجار كفار وغير كفار
واخيار الجن هم الملايكة منهم رسل وغير رسل واشرارهم الشياطين واستدل
من قال الملايكة هم خيار الجن بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
والمراد قول الكفار الملايكة بنات الله تعالى عن ذلك فدل على ان الملايكة
من الجن وبقوله تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من
مارج من نار فلو كانت الملايكة نوعا ثالثا لما تركوا لتمدح بالقدرة على
اشرف خلقه وذكر ما دونه ورد بان هذه الاية لبيان ما ركبه من خلق متعدد
فلم تدخل الملايكة فيه لانهم مخترعون قال تعالى لهم كونوا فكانوا كما قال للاصل
الذي خلق منه الانس والجن وهو التراب والما والنار والهوا كن فكان فالملايكة
في الاختراع كاصول الانس والجن لا كاعيانهم فلذا لم يذكر واسمهم كما في الحبايك
فاذا ادركت هذا مع القول بعموم الرسالة للجن الذي قام الاجماع
عليه اي عموم رسالته للجن بان يقال الملايكة مومنو الجن السماوية
ورسالته الى الجن مجمع عليها لزم عموم الرسالة لهم لكن القول بان
الملايكة من الجن قول شاذ لا اعتداد به لقيام الادلة على خلافه ومن
اصرحها قوله صلى الله عليه وسلم خلقت الملايكة من نور وخلق الجان من
مارج من نار وخلق ادم مما وصف لكم رواه مسلم قال البيهقي ففي فصله
بينهما دليل على انه نور اخر غير نور النار انتهى والجمهور على ان العالمين
في اية الفرقان عام مخصوص بالانس والجن فيخرج الملايكة وهذا
من خير الاستدراك الذي قبله ويمكن ان مراد الجمهور انها مخصوصة بهما
من حيث عمومها لجميع الاحكام من امر ونهي فلا ينافي ان ارساله للملايكة
لامر خاص كما يقوله السبكي والمحققون كشرف ودخولهم تحت دعوته واتباعه
تشريفا له على ساير المرسلين كما فسر بهما حديث وارسلت الى الخلق
كافة المروي في مسلم بهذا اللفظ عن ابي هريرة لحديثه عن جابر بلفظ
وبعثت الى كل احمر واسود وللبخاري الى الناس كافة وصرح الحليمي
العلامة البارع رئيس اهل الحديث بما وراء النهر القاضي ابو عبد الله
الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم نسبة الى جده هذا البخاري الشافعي
من اصحاب الوجوه واذكيا زمانه وفرسان النظر له اليد الطولى في العلوم
والادب قال الذهبي وما هو من فرسان هذا الشان اي الحديث مع له
فيه عملا جيدا مات سنة ثلاث واربعماية والبيهقي احمد بن الحسين
الحافظ الشهير في الباب الرابع من شعب الايمان بان عليه السلام

لم يرسل الى الملايكة وصرح في الباب الخامس عشر من الشعب بانهم
عن شرعه وفي تفسير الامام فخر الدين الرازي المسمى باسرار التنزيل
وتفسير البرهان النسفي حكاية الاجماع على انه لم يكن رسولا اليهم
كما حكاه شارح جمع الجوامع في الكتاب السابع العلامة الجلال ابو جلال
الدين محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم المحلي ولد بمصر سنة احدى وتسعين
وسبعماية واشتغل وبرع في الفنون فقها وكلاما واصولا ونحوا وغيرها واخذ
عن الاقصرائي والبيجوري والبساطي وغيرهم وكان اية في الذكا والفهم قال
فيه بعض اهل عصره ذهنه يثقب الماس وقال هو فهمي لا يقبل الخطا ولم يكن
يقدر على حفظ كراسة وكان ورعا صالحا امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مواجها
بذلك الاكابر الظلمة والحكام ويأتون اليه فلا يلتفت اليهم ولا يأذن لهم بالدخول
عليه توفي اول يوم من سنة اربع وستين وثمانماية والله اعلم بما في نفس الامر
وعبارة النسفي ليست صريحة في حكاية اجماع الامة فانه قال ثم انهم قالوا
هذه الاية تدل على احكام اولها ان قوله ليكون للعالمين نذيرا
يتناول جميع المكلفين من الجن والانس والملايكة لكنا لا نسلم تناوله
للملايكة لانا اجمعنا على انه لم يكن رسولا الى الملايكة وهذه العبارة
تستعمل في اجماع الخصمين المتناظرين كما يأتي ويعرض تسليمه ويمكن حمله على
انه لم يكن رسولا اليهم بشرع يعملون به لانهم مطبوعون على ما به امروا وحقي
ان العبادة لهم كالامور الصورية لنا بحيث لا يفترون عنها كالنفس للحيوان
فلا ينافي انه رسول اليهم بغير ذلك بل يكون رسولا الى الانس والجن
جميعا بلا نزاع وقد تعقب الجلال مفعول المحلي وفاعله العلامة كمال
الدين بن ابي شريف المقدسي ثم المصري الفقيه الاصولي فقال اعلم
ان البيهقي نقل ذلك عن الحليمي فانه قال هذا معنى كلام الحليمي
وفي قوله هذا اشعار بالتبري من عهدته فلا ينبغي نسبته حكاية الاجماع
للبيهقي وبتقدير ان لا اشعار فيه بالتبري فلا يصرح بانه مرضي
عنده فكان ينبغي ان يقول قال البيهقي عن الحليمي واما الحليمي فانه وان
كان من اهل السنة فقد وافق المعتزلة في تفضيل الملايكة على الانبيا
عليهم السلام ومحل الخلاف ما عدا نبينا فانه افضل من الملايكة باجماع
حتى من المعتزلة كما قاله جمع من المحققين كالامام الرازي وما نقل عنه
موافق لقوله بافضلية الملايكة فلعله بناه عليه وهو مردود فكذا
ما بني عليه واما ما ذكره من حكاية الرازي والنسفي الاجماع على انه
عليه السلام لم يكن رسولا اليهم فغير مسلم فقد وقع في نسخ من
تفسير الرازي لكنا بينا بدل اجمعنا وهذا الاشعار فيه باجماع على ان
قوله في النسخ الاخرى اجمعنا ومثله في النسفي ليس صريحا في اجماع
الامة لان مثل هذه العبارة اي هي ومثلها تستعمل لاجماع الخصمين
المتناظرين فلا يلزم منها عدم الخلاف فضلا عن الاجماع بل لو صرح به بان

قال

قال اجمعت الامة لمنع بوجود الخلاف فقد قال الامام السبكي في تفسير قوله
تعالى ليكون للعالمين نذيرا قال المفسرون كلهم في تفسيرها للجن والانس
وقال بعضهم لها وللملايكة فدعوى الاجماع على عدمها باطلة فمن حفظ
حجة انتهى كلام السبكي ومعناه انهم اتفقوا على ارساله للثقلين واختلفوا
في الملايكة كما هو واضح جدا ولم يفهمه من قال قوله كلهم ينافي قوله وقال
بعضهم فهذا من سوء الفهم ما ثبته للواو وبالجملة فالاعتماد على تفسير الرازي
والنسفي في حكاية اجماع انفرا بحكايته لا ينهض حجة على طريق علما
النقل لان مدارك جمع مدرك مصدر ميمي بمعنى نفس الادراك او الشيء المدرك
نقل الاجماع من كلام الايمة كابن المنذر محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري
الحافظ العلامة الفقيه شيخ الحرم وصاحب الكتب التي يصنف مثلها كانه غاية
في معرفة الخلاف والدليل مجتهد لا يقلد احدا مات بمكة سنة ثمان عشرة وثلثماية
وابن عبد البر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم الامام الحافظ
ساد اهل الزمان في الحفظ والاتقان كان فقيها حافظا مكثرا عالما بالقراآت
والرجال والحديث والخلاف ومن فوقهما في الاطلاع الواسع كالايمة اصحاب
المذاهب المتبوعة المقلدة اربابها المدونة كتبها كالاربعة المشهورة والسفيانين
والليث وابن راهويه وابن جرير وداود الظاهري والاوزاعي وكان لكل من
هولا اتباع يفتون بقولهم ويقضون وانما انقرضوا بعد الخمسماية لموت العلما
وقصور الهمم ذكره السيوطي وذكر عياض ان اتباع الطبري انقطعوا بعد اربعماية
وان الثوري لم تكثر اتباعه ولم يطل تقليده وانقطع مذهبه عن قريب ومن
يلحق بهما اي المنذر وابن عبد البر وفي نسخة بها اي الايمة وفي اخرى بهم
في سعة دايرة الاطلاع والحفظ والاتقان وقوله لهما خبران في
قوله لان مدارك اي للمدارك من الشهرة عند علما النقل ما يغني عن
بسط الكلام فيها فكيف يعتمد على اجماع انفرد بنقله رجلان ليسا من الحفاظ
ولا لهما سعة اطلاع وقد ذكر الحافظ ان الرازي تورع في ذلك قال في الاصابة
هل تدخل الملايكة في حد الصحابي محل نظر وقال بعضهم ان ذلك ينبني على
انه كان مبعوثا اليهم ام لا وقد نقل الرازي الاجماع على انه لم يرسل اليهم
وخرج بانها مبطول شرحها وفي صحة بنا هذه المسيلة على هذا الاصل نظر
لا يخفى انتهى وفي الاصابة ايضا انكر ابن الاثير على ابي موسى المديني
ترجمة الجن في الصحابة ولا معنى لانكاره لانهم مكلفون وقد ارسل
اليهم النبي صلى الله عليه وسلم واما قوله كان الاولى ان يذكر جبريل فغير
نظر لان الخلاف في انه ارسل الى الملايكة مشهور بخلاف الجن وفي فتح الباري
الراجح دخول الجن لانه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم
العصاة والطايعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد في ذكره في الصحابة
وان كان ابن الاثير عابه ذكر على ابي موسى فلم يستند في ذلك الى حجة واما الملايكة
فيتوقف عدهم منهم على ثبوت بعثته اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين

حتي نقل بعضهم الاجماع علي نبوته وعكس بعضهم انه نبي والاليق بهذه المسالة
التوقف علي الخوض فيها لا مطلقا بل علي وجه يتضمن دعوي القطع في
شي من الي نبين لتعسره او تعذره انه نبي كلام ابن ابي شريف وفي كشف
الاسرار لابن العماد ان ادم عليه السلام ارسل الي الملايكة لينبيهم بما علم من
الاسما نقله الحمانك وهو منابذ لعده في الانموذج من الخصايص التي اختص
بها عن جميع الانبيا ولم يوتها نبي قبله انه ارسل الي الملايكة في احد القولين ورجحه
السبكي زاد البارزي والي الحيوانات والجمادات ومنها انه ارسل رحمة للعالمين
من بها علي عباده لطفا منه تعالي ومحض جود وفضل لا وجوبا كما زعمت المعتزلة
كما قال تعالي وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين
الله تعالي محمدا صلي الله عليه وسلم بزينة الرحمة فكونه وجميع شمايله وصفاته
وحياته وموته رحمة كما قال حياتي خير لكم ومماتي خير لكم وقال اذا اراد الله رحمة
امة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا قال السمرقندي يعني
للانس والجن تفسير للعالمين لارشاده لهم ولطفه بهم وحمله لهم علي ذلك
الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السما وقيل لجميع الخلق
اعم من الثقلين وهو المتبادر من العالمين رحمة بالهداية للمومن ورحمة
للمنافقين بالامان من القتل وتاخير عذابهم وللكفار بالامن من المسخ
والخسف وعذاب الاستيصال الاستيصال وقال ابن عباس رحمة للبر بالهداية
والفاجر لان نبي قبله اذا كذب اهلك الله من كذب به بالاستيصال ومحمد
صلي الله عليه وسلم اخر من كذب به الي الموت او الي القيامة والتاخير رحمة
واما من صدقه فله الرحمة في الدنيا والاخرة بالشفاعة التي ادخرها لامته
في القيامة فذاته عليه السلام كما روي رحمة تعم المومن والكافر كما قال
تعالي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم بما سالوه لان العذاب
اذا نزل عم ولم تعذب امة الا بعد خروج نبيها والمومنين بها وقال عليه السلام
انما انا رحمة اي ذو رحمة او بالغ في الرحمة حتي كاني عينها لان الرحمة ما
يترتب عليه الرحمة والنفع ونحوه وذاته كذلك وصفاته التابعة لها كذلك
مهداه بضم الميم وللطبراني بعثت رحمة مهداه قال ابن دحية معناه
ان الله بعثني رحمة للعباد لا يريد لها عوضا وقال غيره اي ما انا الا رحمة
اهداها الله للعالمين فمن قبلها افلح ونجا ومن ابي خاب وخسر ولا يشكل
الحصر بوقوع الغضب كثيرا لانه لم يقصد من بعثته بل المقصود بالذات الرحمة
والغضب بالتبعية بل في حكم العدم مبالغة او المعني انه رحمة علي كل فرد
لان غضبه لله لانتقامه كقوله ولكم في القصاص حياة او انه رحمة في الجملة
فلا ينافي الغضب في الجملة رواه الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن الحافظ
وفي المقصد السادس الديلمي والبيهقي وشيخه الحاكم من حديث ابي هريرة
وقال علي شرطهما واقره الذهبي وفي الصحيحين عن ابي هريرة مرفوعا
انما بعثت رحمة ولم ابعث عذابا وروي ابن عساكر عن ابن عمر رفعه ان

الله

الله بعثني رحمة مهداة بعثت برفع قوم وخفض اخرين اي برفعهم بالسبق
الي الايمان وان كانوا من الضعفا وخفض من ابي وان بلغ غاية الشرف لانه
لم ينفع فيه الايات والنذر اي انه يضع قدرهم ويذلهم باللسان والسنان
وسياتي في المقصد السادس مزيد لذلك قليل ان شا الله والله الموفق
لا غيره ومنها ان الله خاطب جميع الانبيا الذين ذكرهم في القران او الذي
بلغنا في القران انه خاطبهم باسمايهم فلا يرد انه لم يقم دليل علي خطاب
الجميع انما ذكر ايات ذكروا فيها باسمايهم وذلك لا يستلزم خطاب غيرهم لا
باسمه ولا بغيره فقال يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة يا نوح اهبط
بسلام منا يا ابراهيم اعرض عن هذا يا موسي وما تلك بيمينك يا موسي
يا داود انا جعلناك خليفة في الارض يا زكريا انا نبشرك بغلام يا يحيي
خذ الكتاب بقوه يا عيسي اني متوفيك ورافعك الي ولم يخاطبه هو تشريفا
له واجلالا الا بيا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا يا ايها المزمل قم الليل يا ايها المدثر قم فانذر ومشي هنا
علي قول السهيلي ليس المزمل والمدثر باسم من اسمايه يعرف به وانما
هو مشتق من حالته التي كان متلبسا بها حالة الخطاب ملاطفة علي عادة
العرب كقوله صلي الله عليه وسلم لعلي قم يا ابا تراب ولابي حذيفة قم يا نومان
لا علي القول بانها من اسمايه لا شكال الكلام الا ان يكون لم يرد بغير الاسم
ما يراد به مجرد الذات الشريفة واراد بغير الذات ما يراد به الذات مع صفة
قايمة بها وهي المزمل والمدثر ثم لا يخفي ان الخطاب بندا يخرج بذكره
بلا ندا في محمد رسول الله وما محمد الا رسول ما كان محمد ابا احد من رجالكم ومبشرا
برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وامنوا بما نزل علي محمد لانه للتعريف بانه
الذي اخذ الله عهد معلي الانبيا بالايمان به ولو لم يسمه لم يعرفوه واما قول
الله سبحانه يوم القيامة يا محمد ارفع راسك وقل تسمع الي اخره فنوه بذكر
اسمه الدال علي الصفة التي يحمده بها جميع الخلايق فانظر الي هذا التعظيم
يناديه في كل مقام باشرف تعظيم يناسب ذلك المقام ففي الدنيا بالنبوة والرسالة
ليشهد له بها وفي الاخرة لما تحققت الحقايق ناداه باسمه لما اشتمل عليه من
المعني المناسب لذلك اليوم ليفيد اه سبحانه بما يدل علي صفة يحمده بها الخلق
ليستدل بالندا بها علي قبول شفاعته ثم عقبه بقوله قل تسمع وسل تعطه ذكره
فهو تكريم بعد تكريم وتعظيم بعد تعظيم زاد في الانموذج وخاطبه باللطف
مما خاطب به الانبيا اي كقوله داود ولا تتبع الهوي فيضلك عن سبيل الله
وقال للمصطفي وما ينطق عن الهوي تنويها له علي ذلك بعد الاقسام عليه
وقال عن موسي ففررت منكم لما خفتكم وقال عن نبينا واذ يمكر بك الذين
فكني عن خروجه وهجرته باحسن العبارات ولم يذكره بالفرار الذي فيه
نوع غضاضة ومنها انه حرم علي الامة نداه باسمه في كتابه
العزيز قال تعالي لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا

اي لا تجعلوا دعاه وتسميته فهو من اضافة المصدر لمفعوله اي لا تجعلوا
دعاكم اياه كدعا تفسير لدعا بعضكم بعضا بخطابه باسمه ورفع الصوت
به والنداو ورا الحجرة بجرها عطفا علي اسمه ذكرها لتمام التشبيه المستفاد
من الاية لا بالرفع علي نداوه لذكره حكمها بعد ولانه في تمام تفسير الاية
بقوله ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله مع التوقير اي التعظيم
والتواضع التذلل وخفض الصوت لحرمة رفعه عليه والظرف اي
بينكم متعلق بتجعلوا لا حال من الرسول بوهم لانه يوهم انه لا يحرم نداوه
باسمه بعد وفاته مع ان الحرمة ثابتة مطلقا وقيل المصدر مضاف
الي فاعله اي لا تقيسوا دعاه اياكم علي دعا بعضكم بعضا بظنكم
مساواته في جواز الاعراض والمساهلة في الاجابة والرجوع بلا
اذن فان المبادرة الي اجابته واجبة قال تعالي استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم والرجوع بلا اذن حرام كما قال تعالي قد يعلم الله الذين يتسللون
منكم لواذا الاية فالمعني لا تظنوا انه مثلكم فتقيسوا اذ القياس الحاق فرع
باصل لعلة القياس اتحاد الجامع ولو لا ملاحظة هذا لوردات القياس ليس
من معني الجعل زاد البيضاوي او لا تجعلوا دعاه عليكم كدعا بعضكم علي بعض
فلا تبالوا بسخطه فان دعاه موجب اي لحصول ما دعا به او لا تجعلوا دعاه
ربه كدعا صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخري فان دعاه مستجاب
انتهي ومعناه عليها اي لا تظنوا وتعتقدوا هذه وكره الشافعي ان يقال
في حقه الرسول لانه ليس من التعظيم ما في الاضافة قال الحافظ وعلي
هذا فلا يناديه بكنيته قال تلميذه الشيخ زكريا وهو ممنوع اذ الكنية
تعظيم باتفاق ولذا احتيج للجواب عن تكنيته عبد العزي في تبت يدي ابي
لهب مع انه لا يستحق الكنية مع انها تعظيم فالاوجه نداه بكنيته وان كان
نداوه بوصفه اعظم وتعقب بان مقتضي اية النور المذكورة انه لا يناديه
بكنيته لانهم كانوا ينادون بعضهم بعضا بها والحافظ لم يعلل الحكمة بترك
التعظيم حتي يتوجه عليه ما قاله تلميذه ومنها انه حبيب الله قال
تعالي قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاذا كان متابعوه
احباوه فنفسه اولي وروي البيهقي عن ابي هريرة ان النبي صلي الله
عليه وسلم قال الله اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسي نجيا واتخذني
حبيبا ثم قال وعزتي وجلالي لاوثرن حبيبي علي خليلي ونجيي
وجمع له بين المحبة والخلة قيل هما سوا وقيل الخلة ارفع والاكثر
علي ان المحبة اعلا وسياتي تحقيق ذلك وما فيه من المباحث
في اخر المقصد السابع ان شا الله تعالي في نحو ورقة وقد روي
ابو يعلي في حديث المعراج فقال له ربه اني اتخذتك خليلا وحبيبا وصح
انه صلي الله عليه وسلم قال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ الله ابراهيم
خليلا ومنها انه تعالي اقسم علي رسالته بقوله تعالي يس والقران

الحكيم انك لمن المرسلين وبحياته فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون وبلده
لا اقسم بهذا البلد وعصره والعصر ان الانسان السورة قال ابو هريرة ما حلف
الله بحياة احد الا بحياة محمد رواه ابن مردوية كما سياتي ذلك في
المقصد ان شا الله تعالي مطولا ومنها انه كلم بالنبا للمفعول بجميع انواع
اصناف الوحي كما نقل عن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام وسبق
تحقيقه في المبعث من المقصد الاول ومنها ان اسرافيل هبط
عليه ولم يهبط علي نبي قبله عد هذه ابن سبع اخرج الطبراني من
حديث عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول
لقد هبط نزل علي ما نزل علي نبي اي ما هبط علي نبي قبلي ولا
يهبط علي احد بعدي او لا نبي بعده وهو اسرافيل فقال انا رسول
ربك اليك استدل به السيوطي علي ضعف مرسل الشعبي ان اسرافيل اتاه
في ابتدا الوحي فقرن بنبوته ثلاث سنين قال لان هذه القصة بعد ابتدا
الوحي بعده بسنين كما قدمته امرني اخيرك ان شيت نبيا عبدا قدم
العبودية اشارة الي انه يختارها وان شيت نبيا ملكا فنظرت الي
جبريل وكان جالسا عنده قبل نزول اسرافيل فاوما وفي رواية فاشار
جبريل الي بيده ان تواضع وسبب هذا التخيير ما رواه الطبراني باسناد
حسن عن ابن عباس كان صلي الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل علي الصفا
فقال يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسي لال محمد سفة من دقيق ولا كف من
سويق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السما افزعته فقال صلي الله
عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن امر اسرافيل فنزل اليك حين
سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله قد سمع ما ذكرت فبعثني اليك
بمفاتيح خزاين الارض وامرني ان اعرض عليك اسير معك جبال تهامة زمردا
وياقوتا وذهبا وفضة فان شيت نبيا ملكا وان شيت نبيا عبدا ثلاثا
فلو اني قلت نبيا ملكا لسارت الجبال معي ذهبا واخرج الترمذي عن
ابي امامة انه صلي الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحا مكة
ذهبا فقلت لا يا رب الحديث ذكرها المصنف في عيشه من المقصد الثالث
فعيب نقل احدهما من غيره لكن افة العلم النسيان وبها يعلم وجه ترتب
قوله فلو اني قلت اذ هي قصة واحدة طولها راو واختصرها اخر فلا يرد
انه لا تلازم بين قوله فلو اني قلت اذ هي قصة واحد طولها راو واختصرها
اخر فلا يرد انه لا تلازم بين قوله نبيا ملكا وبين سير الجبال معه ذهبا
وفضة وكانه اقتصر عليهما في هذه الرواية مع ذكر اسرافيل له الزمرد
والياقوت ايصالا ان المخاطب لا يعلم غيرها ولا يتعامل به ومنها انه سيد ولد
ادم بضم الواو وكسرها جمع ولد بفتحها رواه مسلم في المناقب وابو داود
في السنة من حديث ابي هريرة مرفوعا بلفظ انا سيد ولد
ادم يوم القيامة خصه لانه يوم يجمع له الناس فيظهر سوده لكل

احد عيانا ووصف نفسه بالسودد المطلق المفيد للعموم في المقام
الخطابي علي ما تقرر في علم المعاني فيفيد تفوقه علي جميع ولد ادم حتي
اولوا العزم من الرسل واحتياجهم اليه كيف وهو واسطة كل فيض وتخصيص
ولد ادم ليس للاحتراز فهو افضل حتي من الملايكة اجماعا حكاه الرازي
وغيره ولان الادمي افضل من الملك وتتمة هذا الحديث في مسلم وابي داود
واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعند الترمذي في
المناقب وقال حسن صحيح وابن ماجة والامام احمد من حديث ابي سعيد
الخدري رفعه انا سيد ولد ادم دخل ادم كان في ولده من هو افضل منه
كابراهيم يوم القيامة ولا فخر اي اقول ذلك شكرا لا فخرا اي لا اقوله
تكبرا علي الناس وتعاظما وان كان فخر الدارين فهو قبيل قول سليمان
علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي وقيل غير ذلك وبيدي لوا الحمد
بالكسر والمد علمه والعلم في العرصات مقامات لاهل الخير والشر ينصب
في كل مقام لكل متبوع لوا يعرف به قدره واعلاهما مقاما لوا الحمد فلما
كان خير الخلايق اعطي اعظم الالوية وهو لوا الحمد ليأوي اليه الاولون
والاخرون فهو حقيقي وعند الله علم حقيقته واما ما روي من صفته
فموضوع بين الوضع كما افاده المصنف في المقصد الاخير فلا وجه لعدول الطيبي
ونحوه عن الحقيقة وحمله علي انفراده بالحمد وشهرته به علي رؤوس الخلايق
وبقية هذا الحديث عند الترمذي ومن معه وما من نبي يومئذ ادم فمن
سواه الا تحت لوايي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا اول شافع
واول مشفع ولا فخر وانما قال ذلك كما قال ابن الاثير في النهاية اخبارا
عما اكرمه الله به من الفضل والسودد وتحدثا بنعمة الله عنده
امتثالا لقوله واما بنعمة ربك فحدث واعلاما لامته فهو من البيان
الذي يجب تبليغه اليهم فيكون ايمانهم به علي حسبه وموجبه بفتح الجيم
ما ينتسب عن الشي فهو تفسير لحسبه والمعني ليكون علي قدر ما علموه من فضله
بان يكون ايمانا تاما لا شبهة فيه لانهم حيث علموا كمال فضله استحق ان يعظموه
ويعتقدوا فيه الكمال اللايق بمن قام به هذا الفضل ولهذا اتبعه بقوله
ولا فخر اي ان هذه الفضيلة التي نلتها كرامة من الله لم انلها
من قبل بكسر ففتح اي جهة نفسي ولا بلغتها بقوتي اذ ليست في
طوق البشر فليس لي ان افتخر بها وانما افتخر بما اعطانيها واما خبر
لا تفضلوا بين الانبيا فمعناه تفضيل مفاخرة وهو داعي العظم والمباهاة
او في نفس النبوة فلا تفاضل فيها وانما التفضيل بنحو الخصايص ولا بد من
اعتقاده تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض وقيل غير ذلك ومنها انه
غفر له ما تقدم من ذنبه ان لو كان كما قال ابن عباس اي انه علي
سبيل الفرض والتقدير لانه كغيره من الانبيا معصومون حتي من الصغاير
قبل النبوة ولو سهوا علي الاصح لكرامتهم علي الله خلافا للاكثر في تجويز وقوع

الصغاير منهم سهوا الا الدالة علي خسة كتطفيف ونبههم عليها واحتجوا
بظواهر ان قالوا بها افضت بهم الي خرق الاجماع وما لا يقول به مسلم كما بسط
عياض في الشفا وما تاخر لا يشكل بان الغفر الستر فكيف يتصور ما لم يقع
لان ما لم يقع يفرض وقوعه مبالغة قال تعالي انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وفيه وجوه اخر ذكر بعضها في المقصد
السادس وبعضها لا يرضي قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام من خصايصه
انه اخبره الله بالمغفرة ولم ينقل انه اخبر احدا من الانبيا بمثل ذلك
فالظاهر صيغة اخباره بذلك وتعظيما له بادخال السرور عليه ويدل له قولهم
في الموقف يوم القيامة حيث تطلب الشفاعة في فصل القضا من ادم ونوح
وابراهيم وموسي وعيسي فيقول كل منهم نفسي نفسي وقال ابن
كثير في تفسير هذه الاية يعني اية الفتح لم يشاركه فيها غيره
ولذا قال ابن عطية المعني التشريف بهذا الحكم ولم يكن ذنوب البتة وقد
اخرج ابو يعلي احمد بن علي الموصلي الحافظ الثقة والطبراني سليمان
ابن احمد بن ايوب والبيهقي احمد بن الحسين عن ابن عباس قال ان الله
فضل محمدا علي اهل السما وعلي الانبيا قالوا فما فضله علي اهل السما
قال ان الله تعالي قال لاهل السما اي الملايكة ومن يقل منهم اني اله من
دونه اي الله اي غيره فذلك نجزيه جهنم وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا
مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقد كتب له براة من
الذنوب ان يفعلها واذا منعه من فعلها فقد سترها عنه وهذا من الطف
الاجوبة قالوا فما فضله علي الانبيا قال ان الله تعالي قال وما ارسلنا
من رسول الا بلسان قومه اي بلغتهم وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة
للناس فارسله الي الانس والجن جميعا تفضيلا له علي جميع المرسلين ومنها
انه اكرم الخلق علي الله تعالي بنص قوله كنتم خير امة اخرجت للناس اذ
خيرية الامة تستلزم خيرية نبيها وان صفاته اعلا واجل وذاته افضل واكمل
ويصرح به قوله فبهداهم اقتده فهو افضل من كل المرسلين وجميع الملايكة
المقربين حتي الروح الامين اجماعا وغلط الزمخشري في تفضيله عليه
بان المعتزلة مجمعون علي استثنايه من الخلاف في التفضيل بين البشر
والملك فقد جهل مذهبه وسياتي الجواب عن قوله في حديث ابن
عباس عند مسلم والبخاري ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس
ابن متي ونحو ذلك كحديث الصحيحين لا تفضلوني علي الانبيا وفي رواية
لا تفضلوا بين الانبيا واحذروا التخيير بين الانبيا وقوله تعالي لا نفرق بين
احد منهم في المقصد السادس ان شا الله تعالي باجوبة سبعة منها
قول ابن حمزة انه بالنسبة الي القرب والبعد محمد صلي الله عليه وسلم وان
اسري به لفوق السبع الطباق واخترق الحجب ويونس عليه السلام
وان نزل الي قعر البحر هما بالنسبة الي القرب والبعد من الله علي حد واحد

وروي هذا الجواب عن مالك الامام ونحوه لامام الحرمين في قصة شهيرة
ومنها اسلام قرينه اي صاحبه الموكل به من الجن رواه مسلم واحمد
من حديث ابن مسعود ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ما منكم من
احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك
قال واياي الا ان الله اعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير ومعلوم
عصمة الملائكة واياتهم فانما المراد الاخبار بمصاحبة الملك والجني لكل احد
فالجني يغوي بخلاف الملك فقول بعض اسلام قرينه من الملائكة والشياطين
لا معني له بالنسبة للملائكة ولا دلالة له في الحديث عليه اللهم الا ان يريد
باسلام ملكه انقياده التام وفيه ما فيه والبزار من حديث ابن عباس
رفعه فضلت علي الانبيا بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله
عليه فاسلم قال ونسيت الاخري فحديث ابن عباس نص في ايمانه واما حديث
ابن مسعود فروي بفتح الميم وضمها اي فاسلم انا من فتنته وكيده وصحح
الخطابي رواية الرفع ورجح عياض والنووي الفتح لقوله ولا يامرني الا
بخير قال الدميري وهو المختار والاجماع علي عصمته من الشيطان وانما المراد
تحذير غيره من فتنة القرين ووسوسته واغوائه فاعلمنا انه معنا لنحترز
منه بحسب الامكان انتهي وقال غيره اعترضت رواية الضم بانه تعوذ منه
بقوله واعوذ بك ان يتخبطني الشيطان عند الموت اي يصرعني ويلعب بي
ويفسد ديني او عقلي عند الموت بنزغاته التي تزل بها الاقدام وتصرع العقول
وقد يستولي علي الانسان حينئذ فيضله او يمنعه التوبة او يعوقه عن
الخروج عن مظلمة او يوئسه من الرحمة او يكره له الموت فيختم له بسوء والعياذ
بالله واجيب انما قاله تعليما لامته فان شيطانه اسلم ولا تسلط له ولا تسلط
له ولا لغيره عليه بحال بل سائر الانبيا لا تسلط لشياطينهم عليهم وان لم يسلموا
ومنها انه لا يجوز عليه الخطا في اجتهاده كما ذكره ابن ابي هريرة
والماوردي وذكره الحجازي في مختصر الروضة لانه لا نبي بعده
يبين ذلك خطاه فلذا عصم من بينهم كذا في الشامية وقال ابن السبكي
الصواب ان اجتهاده لا يخطي تنزيها لمنصب النبوة عن الخطا في الاجتهاد
ومقتضي هذا التعميم ثم هذا مبني علي الصحيح ووقوعه لقوله ما كان
لنبي ان تكون له اسري حتي يثخن في الارض عفا الله عنك لم اذنت لهم فالعتاب
لا يكون فيما صدر عن وحي وقيل بمنع اجتهاده لقدرته وثالثها الجواز في
الاراء والحروب فقط والمنع في غيرها جمعا بين الادلة وقال قوم ولا النبيين
حكاه النووي في شرح مسلم ما لم يترتب عليه تشريع كسلامه من ركعتين
وصلاة الظهر خمسا ومنها ان الميت يسال عنه عليه السلام اذا وضع
في قبره وتولي عنه اصحابه واختلف في اختصاص فتنة القبر بهذه الامة
وجزم الحكيم الترمذي بالاختصاص فعن عائشة ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال اما فتنة الدجال فانه لم يكن نبي الا وقد حذر امته وساحذركموه

بحديث

بحديث لم يحذره نبي امته انه اعور وان الله ليس باعور مكتوب بين عينيه
كافر يقروه كل مومن واما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسالون
فاذا كان الرجل الصالح اي المسلم اجلس في قبره غير فزع كما هو لفظ الحديث
فيقال له ما هذا الرجل الذي كان فيكم فيقول محمد رسول الله الحديث
بقيته جانا بالبينات من عند الله فصدقناه فيفرج له فرجة قبل النار فينظر
اليها يحطم بعضها بعضا فيقال له انظر ما وقاك الله ثم يفرج له فرجة الي الجنة
فينظر الي زهرتها وما فيها فيقال له هذا مقعدك ههنا ويقال علي اليقين
كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شا الله واذا كان الرجل السو اجلس في قبره
فزعا فيقال له ما كنت تقول فيقول لا ادري فيقال ما هذا الرجل الذي كان
فيكم فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت كما قالوا فيفرج له فرجة من
قبل الجنة فينظر الي زهرتها وما فيها فيقال انظر الي ما صرف الله عنك ثم يفرج
له فرجة قبل النار فينظر اليها يحطم بعضها بعضا ويقال له هذا مقعدك منها
علي الشك كنت وعليه مت وعليه تبعث ان شا الله ثم يعذب رواه بتمامه
الامام احمد والبيهقي وروي الشيخان واحمد وغيرهم عن انس انه صلي الله
عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولي عنه اصحابه حتي انه ليسمع
قرع نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد
فاما المومن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال انظر الي مقعدك من النار
قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا ويفسح له في قبره سبعون ذراعا
ويملا عليه خضرا الي يوم يبعثون واما الكافر والمنافق فيقال له ما كنت
تقول في هذا الرجل فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقال له ما
دريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها
من يليه غير الثقلين ويضيق عليه قبره حتي تختلف اضلاعه ومنها انه حرم
نكاح ازواجه من بعده بقوله تعالي ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
وقال تعالي وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة اي الاحترام كالامهات
في استحقاق التعظيم والرعاية ومن ذلك انه حرم نكاحهن عليهم بعده
تكرمة وخصوصية له عليه السلام حيث جعلوا امهات والام لا يحل نكاحها
وانهن ازواج له في الاخرة بنصه صلي الله عليه وسلم ولا يليق بحرمته
تزوج امراة يعلم عودها له ولان المراة لاخر ازواجها في الجنة علي احد
الاقوال فنكاح غيره لها المقتضي لكونها تكون لمن هو اخر بمنعه ما ثبت انها
تكون زوجا له عليه السلام في الجنة وهذا في غير المخيرات ممن اختارت
منها الدنيا ففي حلها للازواج طريقان احدها طرد الخلاف الاتي
في قوله وفي التي فارقها في الحياة اوجه والثاني القطع بالحل بلا خلاف
واختاره الامام اي امام الحرمين والغزالي وقال في الشرح الصغير انه
الاظهر والا فلا معني للتخيير واعتمد الرملي الحرمة ولو اختارته قبل الدخول
وازواجه اللاتي توفي عنهن محرمات علي غيره ابدا كما قال الله وهذا

مستانف بيانيا في جواب سوال تقديره ماذكر في زوجاته هل يشمل من مات عنهن ومن فارقهن في الحياة مدخولا بهن ام لا وفي جواز النظر اليهن ولو لشهادة او مداواة وجهان اشهرهما المنع وثبت لهن حكم الامومة في احترامهن وطاعتهن فيما امرن به وتحريم نكاحهن لا في جواز الخلوة بهن فتحرم والنفقة عليهن فلا تجب والميراث فلا توارث بينهن وبين الاجانب منهن ولا يتعدي ذلك التحريم الي غيرهن فلا يقال بناتهن اخوات المومنين علي الاصح لانه صلي الله عليه وسلم انكح عثمان وعليا بناته ولا امهاتهن جدات المومنين علي قياسه والا لزم ان كل من نكحها حرمت امها علي زوجها وقيل انما حرمن لانه عليه السلام حي في قبره ويكون حاله عند صاحب ذا القيل كالنايم وهذا مقابل قوله تكرمة له وخصوصية لانه يفيد انقطاع نكاح بموته وهذا يفيد انه لم ينقطع وبهذا حكي الماوردي وجها للشافعية انه لا يجب عليهن عدة الوفاة لحياته ومثله يقال في غيره من الانبيا علي قياسه وذكر الخطابي عن ابن عيينة انهن في معني المعتدات فلهن سكني البيوت ما عشن ولا يملكن رقابها وفي الزوجات التي فارقهن في الحياة منفردنا ذلك لقوله الاتي احدها يحرمن ولا يضر وصف الجمع بالمفرد لان جمع الاناث وما لا يعقل يجوز وصفه بالمفرد ولهم فيها ازواج مطهرة كالمستعيذة التي قالت اعوذ بالله منك والتي راي بكشحها بياضا اي برصا فردها وقال دلستم علي اوجه احدها يحرمن ايضا وهو الذي نص عليه الشافعي وصححه في الروضة لعموم الادلة ولان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا اذ ليس المراد من بعده بعدية الموت فقط بل بعدية النكاح وقيل لا يحرمن مدخولا بها ام لا علي ظاهر هذا الوجه لكن في شرح البهجة الجزم بعدم حل المدخول بها والثالث وصححه امام الحرمين والرافعي في الشرح الصغير علي وجيز الغزالي تحريم المدخول بها فقط وحل من لم يدخل لما روي ان الاشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي صحابي نزل الكوفة ومات سنة اربعين او احدي واربعين وهو ابن ثلاث وستين نكح المستعيذة في زمن عمر بن الخطاب فهم عمر برجمه بنا علي ان نكاحها حرام فهو زنا وحد زنا المحصن الرجم فاخبر بانها لم تكن مدخولا بها فكف عن رجمه الذي كان هم به وذلك يدل علي حل من لم يدخل بها ومن اطلق التحريم يقول هو اجتهاد من عمر وفي امة فارقها بعد وطيها اوجه بالحرمة والحل ثالثها يحرم ان فارقها بالموت كمارية القبطية ولا تحرم ان باعها في الحياة واعتمد شارح البهجة وغيره التحريم انتهي ومنها ما عده ابن عبد السلام انه يجوز ان يقسم علي الله به اخرج الترمذي وابن ماجة والحاكم عن عثمان بن حنيف ان رجلا اعمي اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يعافيني فقال ان شئت اخرت لك وهو خير وان

شئت

شئت دعوت قال فادعه فامره ان يتوضا ويصلي ركعتين ويقول اللهم اني اسالك واتوسل اليك بنبيك محمد نبي الرحمة اللهم اني توجهت بك الي ربي في حاجتي وليس ذلك لغيره من الانبيا والملائكة والاوليا واما الاستشفاع بهم بلا اقسام فيستحب لان دعاهم ارجي للاجابة كما استشفع عمر بالعباس فقال اللهم اللهم انا اذا قحطنا توسلنا اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون رواه البخاري ولذا بما فعل من خير يذكره في نفسه فيجعله شافعا لان ذلك لايق بالشدايد كما في خبر الثلاثة الذين اووا الي الغار قال ابن عبد السلام وهذا ينبغي ان يكون مقصورا علي النبي صلي الله عليه وسلم لانه سيد ولد ادم وان لا يقسم علي الله بغيره من الانبيا والملائكة والاوليا لانهم ليسوا في درجته وان يكون هذا مما خص به لعلو درجته ومرتبته انتهي وتعقب بانه لا اتجاه لما ذكره لان الخصايص لا تثبت بالاحتمال بل في بعض الاخبار التصريح بخلافه وذكر القشيري عن معروف الكرخي انه قال لتلامذته اذا كان لكم الي الله حاجة فاقسموا عليه بي فاني الواسطة بينكم وبينه الان بحكم الوراثة عن المصطفي ومنها انه يحرم روية اشخاص اي اجسام ازواجه في الازر ولا كذلك غيره قال المصباح الشخص سواد الانسان تراه من بعد ثم استعمل في ذاته قال الخطابي ولا يسمي شخصا الا جسم مولف له شخوص وارتفاع وكذا يحرم كشف وجوههن مصدر مضاف الي مفعوله اي ان يكشفن وجوههن واكفهن لشهادة او غيرها اكراما له صلي الله عليه وسلم كما صرح به القاضي عياض واقره النووي وعبارته في شرح مسلم فرض الحجاب مما اختصصن به فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها بل يحرم عليهن ولا اظهار شخوصهن وان كن مستترات بالازر ونحوها الا ما دعت اليه ضرورة من خروجهن الي براز فتري اشخاصهن فلا حرمة قال الجوهري وغيره بالكسر نقل الغذا وهو الغايط وبالفتح اسم للفضا الواسع ولا يظهر معناه هنا الا بكلفة قال النووي اي يجعله مجازا علاقته المجاورة او من تسمية الحال باسم المحل لخروجه بالفضا ثم استدل بما في الموطا ان حفصة لما توفي ابوها عمر سترها النسا عن ان يري شخصها ولم ينكر عليهن وكان اجماعا وان زينب بنت جحش المتوفية بالمدينة في خلافة عمر سنة عشرين جعلت لها القبة فوق نعشها ليستر شخصها وذلك بحضرة الصحابة ومنهم عمر الذي صلي عليها ولم ينكر وفيه انه يمنع روية اشخاصهن بعد الموت ايضا انتهي كلام عياض قال الحافظ ابن حجر وليس فيما ذكره دليل علي ما ادعاه من فرض ذلك عليهن بجواز انه فعل ذلك تكرمة لهن بل قد ورد عنهن ما يدل علي خلاف ذلك فقد

كن بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحججن ويطفن وفي البخاري قول
ابن جريج لعطا اذ ذكر له طواف عايشة اقبل الحجاب او بعده قال اي
ادركت ذلك الا بعد الحجاب وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون
منهن الحديث وهن مستترات الابدان بثياب تمنع روية البشرة
لا الاشخاص اذ لا يمنعها الا كونها بهودج ونحوه بحيث لا يرى شخصها
انتهى ويمكن الجواب عن عياض بان ذلك من جملة ما دخل من فرض له الا ما
دعت اليه ضرورة وقوله من ورا ستار الا فقيد وما حكم نظر غير ازواجه
عليه السلام ففي الروضة واصلها عن الاكثرين من الشافعية
جواز النظر الى وجه حرة كبيرة اجنبية وكفيها اذا لم تكن
اي توجد فتنة مع الكراهة وقوة كلام الشيخين الرافعي
والنووي في الروضة يقتضي رجحانه وصوبه في المهمات للاسنوي
لتصريح الرافعي في الشرح لوجيز الغزالي بان الاكثرين عليه
وذلك يقتضي رجحانه لكن نقل ابن العراقي ان شيخه البلقيني
قال الترجيح بقوة المدرك اي الدليل والفتوى على ما في
المنهاج للنووي من حرمة ذلك وقد جزم به في التدريب للبلقيني
وقوة كلام الشرح الصغير للرافعي على الوجيز يقتضي رجحانه
وعلله باتفاق المسلمين على منع النسا من الخروج سافرات
كاشفات وجوههن ونقله في الروضة واصلها هذا الاتفاق
واقراه وعورضا بنقل القاضي عياض عن العلما مطلقا عن
التقييد بمذهب فكانه قال اتفق العلما على انه لا يجب على المراة
ستر وجهها في الطريق وانما هو سنة ويجب على الرجال
غض البصر وحكاه عنه اي عن عياض النووي في شرح مسلم
واقره وهو ينقض دعوى اتفاق المسلمين على المنع قاله الشيخ نجم
الدين بن قاضي عجلون في تصحيح المنهاج والله اعلم بالحق
في ذلك وكان النكاح في حقه عليه السلام عبادة مطلقا عن
التقييد بالاحتياج وغيره كما قاله السبكي وهو في حق غيره ليس
بعبادة على الاصح عندنا اي الشافعية اي ليس مستحبا لذاته
فيثاب فاعله مطلقا بل من المباحات لقوله تعالى فانكحوا ما طاب
لكم اذ العبادة لا تتعلق بالاستطابة والعبادة عارضة له من
جهة بقا النسل وحفظ النسب والاستعانة على المصالح الدينية وصرحوا
بانه تجري فيه الاحكام الخمسة وقيل هو عبادة قال الحافظ والتحقيق ان
الصورة التي تستحب فيستلزم كونه عبادة قال الحافظ والتحقيق
ان الصورة التي يستحب فيستلزم كونه عبادة فمن نفى العبادة
عنه نظر اليه في حد ذاته ومن اثبت نظر الى صورة مخصوصة انتهى اي
واولى صورة الوجوب ومنها ان اولاد بناته ينسبون اليه شرعا

فهو

فهو عصبة لهم كما قال صلى الله عليه وسلم من حديث وكل ولد ادم فان
عصبتهم لا بيهم ما خلا ولد فاطمة فاني انا ابوهم وعصبتهم رواه ابو نعيم
عن عمر برجال ثقات وقال صلى الله عليه وسلم لكل بني ادم عصبة الا ابني
فاطمة انا وليهما وعصبتهما اخرجه الحاكم عن جابر وابو يعلى عن فاطمة وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله لم يبعث نبيا قط الا جعل ذريته من صلبه غيري
فان الله جعل ذريتي من صلب علي رواه الطبراني والخطيب بخلاف غيره
فاولاد بناته لا ينسبون اليه كما قال الشاعر
بنونا بنو ابنائنا وبناتنا ۞ بنوهن ابنا الرجال الاباعد
قال عليه السلام في الحسن الكبير ان ابني هذا سيد وفي رواية
لسيد باللام اي حليم كريم متحمل شريف من السودد وقيل من السواد
لكونه يراس على السواد العظيم من الناس اي الاشخاص العظيمة
ذكره ابن الاثير عليه السلام لما ولد اروني ابني ما سميتموه وكذا لما ولد
الحسن وكذا لما ولد الحسين محسن اخوهما خرجه احمد رواه ابو يعلى
والبخاري في مواضع من صحيحه واحمد وابو داود والترمذي والنسائي
كلهم عن ابي بكرة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن
ابن علي الى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه اخرى ويقول ان ابني
هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين مختصر
المصنف واوهم شديدا وقد صرح مغلطاي بانه لا يجوز لحديثي عزو حديث
في احد الكتب الستة من غيرها ومنها ان كل نسب وسبب منقطع يوم
القيامة قال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون الا نسبه وسببه
فلا ينقطعان قال عليه السلام فيما رواه الحاكم والبيهقي عن عمر كل
سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي قال عمر
فتزوجت ام كلثوم لذلك واحببت ان يكون بيني وبينه نسب وسبب رواه
البزار وهذا لا يعارضه حثه في اخبار لاهل بيته على خوف الله وتقواه
وتحذيرهم الدنيا وغرورها واعلامهم بانهم لا يغني عنهم من الله شيئا لان
معناه انه لا يملك لهم نفعا لكن الله يملكه نفعهم بالشفاعة العامة والخاصة
فهو لا يملك الا ما ملكه ربه فقوله لا اغني عنكم اي بمجرد نفسي من غير ما يكرمني
الله به من نحو شفاعة او مغفرة وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف او كان
قبل علمه بانه يشفع وفي رواية ابن عساكر عن عمر كل نسب وصهر منقطع يوم
القيامة الا نسبي وصهري والنسب بالولادة والسبب بالنكاح
حكاه الديلمي مسندا وبان السبب هنا الوصلة والمودة وكل ما يتوصل به
الى الشي يبعد عنه فهو سبب وفي البيضاوي فجعله نسبا وصهرا اي قسم البشر
قسمين ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اي اناثا يصاهر بهن
كقوله وجعل منه الزوجين الذكر والانثى ويمكن حمل المصنف عليه بجعل الولادة
عبارة عن النسب الى الاباء والسبب عبارة عن القرابة من جهة المناكح والتزوج

يعني كما قال الطيبي السبب النسب ما رجع الي ولادة قريبة من جهة الابا
والصهر ما كان خلطه يشبه القرابة يحدثها التزوج واما حديث ابن عمر
وابن عباس مرفوعا الانساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري
فيراد بالصهر فيه خصوص النكاح وبالسبب القرابة من جهة الام لجمعه بين
الثلاثة قيل ومعناه اي الحديث بقطع النظر عن تفسيره المذكور فلا يرد عليه
انه يترتب علي الولادة والنكاح ان امته ينتفعون بالنسبة اليه يوم
القيامة بخلاف امة غيره من ساير الامم فلا ينسبون اليهم وقد ضعف
هذا القيل بانه تاويل نشا من خفا الجمع علي قايله بينه وبين حديث لا اغني
عنكم من الله شيا وقد علم الجمع بينهما بوجهين وضعفه ايضا الجلال البلقيني
بما في الصحيح عن ابي سعيد مرفوعا يجي نوح وامته فيقول الله هل بلغت فيقول
نعم اي رب فيقال لامته هل بلغكم الحديث فهو صريح في نسبة امة نوح اليه
يوميذ واجاب شيخنا بان المراد من اخص الانتساب الي نبينا والانتفاع به
الشفاعة الحاصلة منه لامته علي وجوه متعددة لا يحصل لغيره مع امته
وقيل معناه ينتفع يوميذ بالنسبة اليه ولا ينتفع بجميع الانساب ورجحه
السيوطي وايده بحديث عمر المتقدم قال البلقيني وهذا هو الذي يظهر
انتهي ومنها انه لا يتزوج علي بناته اي يحرم فعن المسور بكسر الميم وسكون
المهملة وفتح الواو ابن مخرمة بفتح الميم وسكون المعجمة وفتح الرا ابن نوفل
ابن اهيب بن عبد مناف بن زهرة القرشي الزهري ابي عبد الرحمن له ولابيه
ولامه عاتكة بنت عوف اخت عبد الرحمن صحبة ولد بعد الهجرة بسنتين وقدم
المدينة في ذي الحجة بعد الفتح سنة ثمان وهو ابن ست سنين وحفظ عن
النبي صلي الله عليه وسلم احاديث وفي بعض طرق الصحيحين في بعض طرق
هذا الحديث سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم وانا يوميذ محتلم وهذا
يدل علي انه ولد قبل الهجرة لكن اطبقوا علي انه ولد بعدها وقد تاول
بعضهم قوله محتلم علي انه من الحلم بالكسر لا من الحلم بالضم يريد انه كان عاقلا
ضابطا لما يتحمله مات سنة اربع وستين علي الصواب بحجر اصابه من حجارة
المنجنيق في حصار الجيش الذي ارسله يزيد بن معاوية لابن الزبير
وكان قايما يصلي فاقام خمسة ايام ثم مات يوم اتي نعي يزيد كما في الاصابة
انه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم علي المنبر يقول ان بني هاشم
كذا وقع في مسلم وصوابه كما في البخاري هشام بن المغيرة المخزومي
استاذنوا هشام هم اعمام بنت ابي جهل لانه عمرو بن هشام بن المغيرة وقد
اسلم اخوه الحارث وسلمة ابنا هشام عام الفتح استاذنوني وفي
رواية استاذنوا في ان ينكحوا بضم اوله من انكح ابنتهم علي بن ابي طالب
وعند الحاكم بسند صحيح الي سويد بن غفلة بفتح المعجمة والفا احد المخضرمين
ممن اسلم في حياة النبي صلي الله عليه وسلم ولم يلقه قال خطب علي بنت ابي جهل
الي عمها الحارث فاستشار النبي صلي الله عليه وسلم فقال اعن حسبها تسالني

فقال

فقال لا ولكن اتامرني قال لا الحديث فلا اذن لهم في ذلك ثم لا اذن
ثم لا اذن لهم بالتكرار ثلاثا قال الكرماني فان قلت لا بد في العطف
من المغايرة بين المعطوفين قلت الثاني فيه مغايرة للاول بان فيه تاكيد
الاول وفيه اشارة الي تابيد مدة منع الاذن كانه اراد دفع المجاز لاحتمال
ان يحمل النفي علي مدة بعينها ثم قال لا اذن فقال ثم لا اذن اي ولو مضت
المدة المفروضة تقديرا لا اذن بعدها ثم كذلك ابدا الا ان يحب هذا
لفظ مسلم ولفظ البخاري الا ان يريد ابن ابي طالب ان يطلق ابنتي فكني
بمحبة الطلاق عن نفس الطلاق اشارة الي انه باختياره لا باكراه وينكح
بفتح اليا من نكح ابنتهم فانما ابنتي بضعة مني بفتح الموحدة وسكون
المعجمة وحكي ضم الموحدة وكسرها اي قطعة لحم كما ضبطه الحافظ وغيره
قال فمفاده ان الرواية بالفتح ولذا اقتصر عليه المصنف في موضع يريبني
بضم اوله ما ارابها وفي نسخة ما رابها وهما صحيحان يقال رابني فلان
وارابني اذا رايت ما تكرهه ويوذيني ما اذاها فمن اذاها فقد اذاه
وهو حرام باجماع ولم يقل ما يوذيها اشارة الي ان اذاه مسبب عن اذاها
فالمعني ان اذاها اذاني وهذا تعليل لعدم اذنه يعني ان المانع لي من
الاذن انه يوذيني بها كما يوذيني اخرجه الشيخان في موضع بجزم معلوم انه
ارفع الصحيح وانما ذكر قوله وصححه الترمذي اي صرح بصحته ردا
لزعم ضعفه قال الحافظ انما قام صلي الله عليه وسلم خطيبا ليشيع الحكم
الذي سيقرره ويأخذوا به علي سبيل الوجوب او الاولوية وغفل
الشريف المرتضي عن هذه النكتة فزعم ان هذا الحديث موضوع لانه
من رواية المسور وكان فيه انحراف علي علي وجا من رواية ابن الزبير وهو
اشد في ذلك ورد كلامه باطباق اصحاب الصحيح علي تخريجه انتهي
والشريف هذا من روس الشيعة وحمله علي هذا قولهم ان عليا لا يمكن منه
ان يفعل مثل ذلك وعنه اي عن المسور ايضا ان علي بن ابي طالب خطب
بنت ابي جهل وعنده فاطمة بنت النبي صلي الله عليه وسلم اخذا بعموم الجواز
فلما انكره النبي صلي الله عليه وسلم ترك الخطبة فلما سمعت بذلك
فاطمة اتت النبي صلي الله عليه وسلم فقالت ان قومك يتحدثون
وفي رواية يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك اذا اوذوا وهذا
سبب التحدث او الزعم مشاهد نعم حلمه وانه لا يغضب لنفسه وانما
يغضب اذا انتهكت حرمات الله وهذا علي ناكح اي يريد ان ينكح
بنت ابي جهل وفي مسلم والطبراني ناكحا بالنصب اطلقت عليه اسم
ناكح مجازا باعتبار قصده له قال المسور فقام النبي صلي الله عليه
وسلم خطيبا علي المنبر فسمعته حين تشهد زاد في رواية للبخاري
وسلم وانا يوميذ محتلم قال اما بعد فاني انكحت ابا العاصي بن
ربيعة بن بن عبد العزي بن عبد شمس بن عبد مناف ويقال باسقاط

ربيعة مشهور بكنيته وامه هالة بنت خويلد اخت خديجة اي انكحه اكبر
بناته زينب قبل النبوة فحدثني فصدقني بفتحة الدال بعد الصاد المهملتين
اي في حديثه زاد في رواية ووعدني فوفى لي قال الحافظ ولعله كان شرط
على نفسه ان لا يتزوج على زينب وكذلك علي فان يكن كذلك فهو محمول على
ان عليا نسي ذلك الشرط فلذلك اقدم على الخطبة او لم يقع عليه شرط اذ لم يصرح
به لكن كان ينبغي له ان يراعي هذا القدر فلذلك وقعت المعاتبة وكان
صلى الله عليه وسلم قد يواجه احدا بما يعاب به ولعله انما جهر بمعاتبة علي
مبالغة في رضى فاطمة وكانت هذه الواقعة بعد فتح مكة ولم يكن حينئذ
تاخر من بناته صلى الله عليه وسلم غيرها وكانت اصيبت بعد امها باخواتها
فكان ادخال الغيرة عليها مما يزيد حزنها انتهى وان فاطمة بنت محمد بضعة
مني قال المصنف بفتح الموحدة فقط وسكون المعجمة ولابي ذر عن الحموي والمستملي
مضغة بميم مضمومة بدل الموحدة وغين معجمة بدل المهملة واقتصر في الفتح
لانه الرواية والا فيحكى الفتح والضم ايضا كما في الكرماني قال الجوهري
بفتح البا النووي بضمها صاحب النهاية بالفتح وقد تكسر وانما اكره ان
يفتنوها لفظ مسلم وله ايضا وللبخاري وانى اخاف ان تفتن في دينها
وللبخاري في المناقب واني اكره ان يسوءها اي احد عليا وغيره زاد في
رواية للشيخين واني لست احرم حلالا ولا احل حراما ولكن والله لا تجتمع
بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد ابدا
قال المسور فترك علي الخطبة اعرض عنها وعزم ان لا ينكح ابنة ابي جهل
اخرجه الشيخان ايضا مسلم في الفضايل والبخاري في المواضع قال ابن
التين اصح ما تحمل عليه هذه القصة انه صلى الله عليه وسلم حرم على علي
ان يجمع بين ابنته وبين ابنة ابي جهل لانه علل بان ذلك يوذيه واذيته
حرام بالاجماع ومعنى قوله لا احرم حلالا انها حلال له لو لم تكن عنده
فاطمة واما الجمع بينها المستلزم تاذيه لتاذية فاطمة انتهى واسم بنت
ابي جهل هذه المخطوبة جويرية بضم الجيم وجزم بذلك لانه اشهر
الاقوال قال في الفتح اختلف في اسم بنت ابي جهل فروى الحاكم في الاكليل
جويرية وهو الاشهر وفي بعض الطرق اسمها العورا اخرجه ابن طاهر
في المبهمات وقيل اسمها الحنفا ذكره ابن جرير الطبري وقيل جهدمة حكاه
السهيلي وقيل جميلة ذكره شيخنا ابن الملقن في شرحه وكان لابي جهل
بنت تسمى صفية تزوجها سهيل بن عمرو وسماها ابن السكيت وغيره
وقال هي الحنفا المذكورة اسلمت وبايعت فيما يقال كما في الفتح عتاب
بفتح العين والفوقية الثقيلة ابن اسيد بفتح فكسر الصحابي امير
مكة فولدت له عبد الرحمن بن عتاب ثم لما مات عنها تزوجها ابان بفتح
الهمزة وخفة الموحدة فالوقف ابن سعيد بن العاصي بن امية بن
عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي الصحابي قال ابو داود وحرم

الله

الله تعالى على علي رضي الله عنه ان ينكح على فاطمة حياتها اي مدة حياتها
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لقوله تعالى وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقد نهاه عن الزواج عليها وذكر
الشيخ ابو علي السنجي احد عظما الشافعية اصحاب الوجوه نسبة الى سنج
بكسر المهملة وسكون النون وجيم قرية بمرو في شرح التلخيص لابن
القاص انه يحرم التزويج اي والتزوج على بنات النبي صلى الله عليه
وسلم الى هنا كلام ابي علي فيبطل النكاح مقتضى تحريمه للنهي المستفاد من
وما اتاكم الرسول الاية البطلان لان الاصل في النهي الفساد وفي فتح الباري
لا يبعد ان يعد من خصايص النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يتزوج على بناته
ويحتمل ان يكون ذلك خاصا بفاطمة رضي الله عنها لانها كانت اصيبت
بامها ثم باخواتها واحدة فواحدة فلم يبق من تانس به ممن يخفف عليها
امر الغيرة انتهى كلام الفتح وقد علل عليه السلام المنع بان ذلك يوذيه
واذيته حرام بالاتفاق اي الاجماع وفي هذا كما في الفتح تحريم
اذى من يتاذى النبي صلى الله عليه وسلم بتاذيه لان اذا النبي
صلى الله عليه وسلم بشهادة الخبر الصحيح حرام اتفاقا قليله
وكثيره وما كان لكم ان توذوا رسول الله وقد جزم عليه السلام بانه يوذيه ما
اذى فاطمة وكل من وقع منه في حقها شي تاذت به فهو يوذي
النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة الخبر الصحيح المذكور زاد في
الفتح اعظم من ادخال الاذى عليها من قتل ولدها وهذا اعرف بالاستقرا
معاجلة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا ولعذاب الاخرة اشد انتهى وقال
الشريف السمهودي ومعلوم ان اولاد فاطمة بضعة منها فيكونون بواسطتها
بضعة منه ومن ثم لما رات ام الفضل في منامها ان بضعة منه وضعت في حجرها
اوله النبي صلى الله عليه وسلم بان فاطمة تلد غلاما فيوضع في حجرها فولدت
الحسن فوضع فيه فكل من يشاهد الان من ذريتها بضعة من تلك البضعة
وان تعددت الوسايط ومن تامل ذلك انبعث من قلبه داعي الاجلال لهم
وتجنب بغضهم على اي حال كانوا انتهى وروى احمد والحاكم والطبراني ان
حسن بن حسن خطب بنت المسور بن مخرمة فقال له ما من نسب ولا صهر
احب الي من نسبكم وصهركم ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاطمة
بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها وعندك بنتها ولو زوجتك
اغضبها ذلك فذهب عاذرا له قال في ذخاير العقبى فيه دليل على ان دها المبيت
يراعي منه ما يراعي من الحي قال ولعل مراد ابي علي بقوله يحرم التزوج على بناته
من ينسب اليه بالبنوة ويكون هذا الحديث دليله قال السيوطي فان اخذ هذا
على ظاهره فمقتضاه انه يحرم التزوج على ذرية بناته وان يتعلق ذلك الى يوم
القيامة وفيه وقفة انتهى بل لا يصح لقيام الاجماع الفعلي في كل عصر على خلافه
فهو خاص ببناته او بفاطمة فقط على ما مر واما امتناع المسور من تزويجه وزعمه الا

لما سمعه علي عمومه وقد استشكل اختصاص فاطمة بذلك مع ان الغيرة
علي النبي صلي الله عليه وسلم اقرب الي خشية الافتتان في الدين
الذي خشيه علي فاطمة في نحو قوله واني اخاف ان تفتن في دينها ومع ذلك
فكان صلي الله عليه وسلم يستكثر من الزوجات ويوجد منهن الغيرة
عليه ومع ذلك ما مر اعي صلي الله عليه وسلم في حقهن كما راعاه في حق
فاطمة فهل لذلك حكمة واجيب بان فاطمة كانت اذ ذاك فاقدة من
تركن اليه من يونسها ويزيل وحشتها من ام لموت امها وهي صغيرة
جدا واخت لموت اخواتها قبل ذلك واحدة واحدة بخلاف امهات المومنين
فان كل واحدة منهن كانت ترجع الي من يحصل لها معه ذلك المذكور من
الايناس وازالة الوحشة وزيادة عليه وهو زوجهن صلي الله عليه
وسلم لما كان عنده من الملاطفة وتطييب القلوب وجبر الخاطر بحيث
ان كل واحدة منهن ترضي به بسبب حسن خلقه بفتحتين وجميل خلقه
بفتح فسكون اذ لا اجمل منه وترضي بجميع ما يصدر منه بحيث لو وجد ما يخشي
وجوده من الغيره لزال عن قريب حتي انه لم يكن لما يعلم منه من تصنيع م
الاخبار ومنها انه لا يجتهد في محراب وهو ما ثبت انه صلي اليه وان لم يكن
بمسجد بمعنه ولا تيرة اي لا يجوز ذلك لانه قطعي ولو قيل انه باجتهاده اذ لا يقر
علي خطا فلو تخيل حاذق فيه يمنة او يسرة فخياله باطل وافتي شيخ الاسلام
قاضي القضاة ابو زرعة احمد بن عبد الرحيم العراقي الحافظ ابن الحافظ
في الفتاوي المكية وهي نحو كراسين في شخص امتنع من الصلاة الي
محراب النبي صلي الله عليه وسلم وقال انا اجتهد واصلي بانه ان فعل
ذلك مع الاعتراف بانه علي ما كان عليه في زمن النبي صلي الله عليه
وسلم فهو ردة لتضمنه انه كان مخطيا في صلاته وهو ردة وان ذكر
تاويلا بان قال ليس هو الان علي ما كان عليه في زمنه عليه السلام
بل غير عما كان عليه فهذا سبب اجتهادي لم يحكم بردته لانه لم
ينقص خطا وان لم يكن هذا التاويل صحيحا اذ خطا تاويله لم يستلزم
شيا في حقه صلي الله عليه وسلم والله اعلم ومنها ان من راه في المنام
فقد راه حقا قال القضاعي هذه الخصوصية مما خص به دون غيره من الانبيا
وجزم البغوي بمشاركة جميع الانبيا والملايكة له في ذلك وحكي الشيخ اكمل الدين
في شرح المشارق فيه خلافا فقال هل ذلك يختص بالنبي صلي الله عليه وسلم
ام لا قال بعضهم روِيا الله تعالي والانبيا والملايكة والشمس والقمر والنجوم المضية
والسحاب الذي فيه الغيث لا يتمثل الشيطان بشي منها وذكر المحققون انه خاص
به صلي الله عليه وسلم وقالوا في ذلك انه وان ظهر بجميع اسما الله تخلقا وتحققا
لكن المقصود من رسالته صلي الله عليه وسلم هداية للناس وان يكون مظهرا
لاسمه الهادي والشيطان بخلاف ذلك فهو مظهر المضل ولا يظهر احدهما بصفة الاخر
ولو ظهر ابليس بصفته لالتبس علي الناس فضلوا بما يلقيه لهم لظنهم انه

الرسول

الرسول فعصم الله صورته من ان يتصور بها شيطان انتهي والحكمة المذكورة تقتضي
عمومه في جميع الانبيا والملايكة ثم اورد عليه الشيخ اكمل الدين ان عظمة الله اتم من عظمة
كل عظيم مع ان ابليس تراآي لكثير وخاطبهم بانه الحق ليضلهم فضلهم حتي ظنوا
انهم راوا الحق وسمعوا خطابه واجاب بان كل عاقل يعلم ان الحق لا صورة له معينة
توجب الاشتباه بخلاف النبي فصورته معينة معلومة وبان مقتضي حكمة الحق انه
يضل من يشا ويهدي من يشا بخلاف النبي فانه متصف بالهداية ظاهر صورتها
ورسالته انما هي لذلك لا للاضلال فلا يكون منه اضلال لاحد البتة فوجب عظم
صورته من ان يظهر بها شيطان وقال عياض لم يختلف العلما في جواز صحة روِيا
الله في النوم وان ري علي صفة لا تليق بحاله من صفات الاجسام لتحقق ان المري
غير ذات الله اذ لا يجوز عليه التجسم ولا اختلاف الحالات بخلاف روِيا النبي فكانت
روِياه تعالي في النوم من باب التمثيل والتخييل وقال ابن العربي روِيا
الله في النوم اوهام وخواطر في القلب لا تليق به الحقيقة ويتعالي عنها وهي
دلالات للرايي علي امر كان او يكون كساير المرييات وقال غيره روِياه تعالي
مناما حق وصدق لا كذب فيها في قول ولا فعل فان الشيطان لا يتمثل به
كما اخرج احمد والبخاري والترمذي عن انس قال قال النبي صلي الله عليه وسلم
من راني في المنام فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي وفي رواية مسلم
من حديث ابي هريرة من راني في المنام فسيراني في اليقظة بفتح القاف
روِية خاصة بصفة القرب منه قال الدماميني وهذه بشارة لرايه بالموت
مسلما لانه لا يراه في العقبي تلك الروِية الخاصة باعتبار القرب منه الا من تحقق
موته علي الاسلام وقال شيخنا اي فسيراني في اليقظة علي الصورة التي
راني عليها في المنام وذلك يدل علي ان من راه في المنام كانت روِياه صادقة
او قال لشك من الراوي فكانما راني في اليقظة قال الشيخ اكمل الدين ومعناه
غير الاول لانه تشبيه وهو صحيح لان ما راه في النوم مثال وما يري في
عالم الحس حسي فهو تشبيه خيالي بحسي انتهي لا يتمثل الشيطان بي هذا
كالتتميم للمعني والتعليل للحكم اي لا يحصل للشيطان مثال صورتي ولا يتشبه
بي فكما منعه الله ان يتصور بصورته في اليقظة منعه ذلك في النوم لئلا
يشتبه الحق بالباطل او هو استيناف في جواب ما سبب ذلك يعني ليس ذلك
المنام من قبيل تمثيل الشيطان في خيال الرايي ما شا من التخيلات وانما عزاه
لمسلم وحده لوقوع الشك من راويه في لفظه وقد رواه البخاري ومسلم ايضا
بلا شك كلاهما من حديث ابي هريرة من راني في المنام فسيراني في اليقظة
ولا يتمثل الشيطان بي ورواه الطبراني وزاد ولا بالكعبة وقال لا يحفظ هذه
اللفظة الا في هذا الحديث وروي الازرقي عن عثمان بن ساج قال بلغني
عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال اول ما يرفع الركن والقران وروِيا النبي
في المنام صلي الله عليه وسلم في المنام قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري
في شرح حديث ابي هريرة المذكور ووقع عند الاسماعيلي في

سيخرجه فقد راني في اليقظة بدل قوله فسيراني ومثله عند
ابن ماجه وصححه الترمذي من حديث ابن مسعود ولا منافاة بينها
وبين فسيراني لحمل هذه الرواية علي انها من التعبير بالماضي عن الاتي
لتحقق وقوعه نحو اتي امر الله ولا بينها وبين فكانما راني لحملها علي التشبيه
كزيد اسد وفي رواية ابي قتادة الحارث او عمرو او النعمان الانصاري شهد
احدا وما بعدها عن مسلم ايضا والبخاري بلفظه فيه التعبير فلا وجه لقصر
العزو علي ابي قتادة قال ابو قتادة قال النبي صلي الله عليه وسلم
من راني فقد راي الحق هكذ الرواية في الصحيحين فما في نسخ من زيادة
نون قبل الياء في راني لا عبرة بها اي راي الرويا الصادقة الصحيحة وهي
التي ياتي بها الملك الموكل بضرب امثال الرويا بطريق الحكمة لبشارة او نذارة او
معاتبة ليكون علي بصيرة من امره وابعد بعضهم فقال يمكن ان يراد بالحق الله
مبالغة تنبيها علي ان من راه علي وجه المحبة والاتباع كانه راي الله
كقوله من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله ورد بانه
ياباه قوله فان الشيطان الخ وله ايضا من حديث جابر رفعه من راني
في المنام فقد راني اي فليبشر فانه راني حقيقة اي رايي حقيقتي كما
هي فلم يتحد الشرط والجزا او هو في معني الاخبار اي من راني فاخبره بان
روياه حق لا اضغاث احلام ولا تخييل شيطان ثم ردف ذلك بما هو تتميم
للمعني وتعليل للحكم فقال انه لا ينبغي لا يصح ولا يتصور للشيطان
ان يتمثل في صورتي لاستحالة ذلك وفي رواية لمسلم ايضا من وجه
اخر عن جابر من راني في المنام فقد راني فانه لا ينبغي للشيطان
ان يتشبه بي والمعني واحد وفي حديث ابي سعيد الخدري عند
البخاري من افراده عن مسلم انه سمع النبي صلي الله عليه وسلم يقول من
راني فقد راي الحق فان الشيطان لا يتكونني اي لا يتصور صورة
كصورتي فحذف المضاف واقيم ووصل المضاف اليه بالفعل
وفي حديث ابي قتادة عند البخاري ومسلم ايضا بلفظ من راني
فقد راي الحق فان الشيطان لا يتزايا بي بالزاي ون يتخايل
ومعناه لا يستطيع ان يتمثل بي اي المقصود منه ذلك اذ المعني ما
يعني من اللفظ ولو مجازا فان معناه الحقيقي المتكلف كما في القاموس لا
لا تستطاعة فاستعمله في لازمه فان من تظاهر شيا تصوره او ضمن تزايا
معني تصور فعداه بالباء والا فهو متعد بنفسه وهذا علي ما اقتصر عليه
هنا من ان الرواية بالرا المهملة وهي رواية ابي ذر وحده للبخاري ورواه
الباقون بالزاي المنقوطة اي لا يتظاهر في زيي كما بينه المصنف وغيره
يعني ان الله وان امكنه من التصور في اي صورة اراد فانه
لا يمكنه التصور في صورة النبي صلي الله عليه وسلم جعله ا
الحديث يقيد مطلق الاحاديث فتلك المقيدة انه لا يتمثل به علي اي

صفة

صفة كانت وقد ذهب الي هذا جماعة منهم الحكيم الترمذي وعياض
فقالوا في الحديث ان محل ذلك اذا راه الرائي علي صورته التي
كان اي وجد اي خلق عليها في الدنيا ومنهم من ضيق الذرع في
ذلك فبالغ حتي قال لا بد ان يراه علي صورته التي قبض عليها حتي
يعتبر عدد الشعرات البيض التي التي لم تبلغ عشرين شعرة فانما
تصح روياه عند هو لا لاحد رجلين صحابي راه فعلم صفته فانطبع في نفسه
مثاله فاذا راه جزم بانه راي مثاله المعصوم من الشيطان والثاني رجل تكررت
عليه صفته المنقولة في الكتب حتي انطبعت في نفسه صفاته ومثاله المعصوم
كما حصل ذلك لمن شاهده فاذا راه جزم برويته مثاله واما غير هذين فلا
يحصل الجزم بانه راه ولو وجد في نفسه ان المرئي هو النبي او قال له
قايل هذا النبي بل يجوز انه راي تمثاله ويحتمل انه من تخييل الشيطان ولا
يفيده قوله للذي يراه انا رسول الله ولا قول من يحضر معه ذكره العلامة
الشهاب القرافي في قواعده ناسبا له للعلما اي بعضهم قايلا انه من المهم
وتعقبه من قال لقد ضيقت واسعا وما علي الذي قلته دليل ولا برهان الا مجرد
دعوي الحق في خلافها والمعبرون علي خلاف هذا الشرط ويبطله رويا الله
تعالي ورويا الملايكة فانه يلزمك ان لا يصح رويا الله فانه لا صورة له حتي
يتمثل انا انتهي وزعم بعض ان القرافي اخذ بعضه من كلام شيخه العز بن
عبد السلام بعيد فلفظه كيف يقولون انه راه شابا او شيخا او اسود وابيض
وغير ذلك واجيب بان هذه صفات الرائي واحواله تظهر فيه عليه
السلام وهو كالمراة لهم فان قلت كيف يبقي المثال مع هذه الاحوال
المضادة له قلت لو كان لك اب شاب فغبت عنه ثم وجدته شيخا او اصابه
مرض فاصفر او اسود اشك انه ابوك فما ذاك الا لما ثبت في نفسك من مثاله
المتقدم عندك فكذلك من ثبت عنده حال النبي صلي الله عليه وسلم لا يشك
فيه مع عروض هذه الاحوال واذا حصل له الضبط فراه علي غير صفته
دل علي ظلم الرائي انتهي لكن هذا يشكل عليه الحكمة الثابتة المتقدمة
وعن حماد بن زيد بن درهم الازدي البصري ثقة ثبت فقيه مات سنة
تسع وسبعين ومائة وله احدي وثمانون سنة عن ايوب بن كيسان
السختياني البصري مات سنة احدي وثلاثين ومائة وله خمس
وستون سنة قال كان محمد يعني ابن سيرين الانصاري ابو بكر
البصري ثقة ثبت عابد كبير القدر لا يري الرواية بالمعني مات سنة عشر
ومائة اذا قص عليه رجل انه راي النبي صلي الله عليه وسلم قال
صف الذي رايت فان وصف صفة لا يعرفها قال لم تره وانما
رايت شيا لا خيل لك انه مثاله اخرجه اسماعيل القاضي وسنده صحيح
قال الشامي وجري عليه علما التعبير فاذا قيل الجاهل رايته بسيل عن صفته
فان وافقها فذاك والا فلا يقبل منه وقد اخرج الحاكم من طريق عاصم

ابن كليب بن شهاب الجرمي الكوفي صدوق رمي بالارجا روي له مسلم والاربعة
ومات سنة بضع وثلاثين ومائة قال حدثني ابي كليب بن شهاب بن
المجنون صدوق من كبار التابعين ووهم من ذكره في الصحابة روي له الاربعة
قال قلت لابن عباس رايت النبي صلي الله عليه وسلم في المنام قال
صفه لي فذكرت الحسن بن علي فشبهته به لانه كان يشبهه كما قال
الصديق وقد حمله بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك كما في
الصحيح قال فقد رايته فدل ذلك علي ان رؤياه انما تصح لرائيه علي صفته
وسنده جيد اي مقبول لكن يعارضه ما اخرجه ابن ابي عاصم من
وجه اخر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
من راني في المنام فقد راني فاني اري في كل صورة صورتي او غيرها
وفي سنده ابن التومة بفتح الفوقية وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة
وصوابه صالح مولي التومة وهو صالح بن نبهان المدني التابعي الصغير
وهو صدوق اختلط فهو ضعيف لاختلاطه وهو من رواية من سمع
منه بعد الاختلاط قال ابن عدي لا باس برواية القدما عنه كابن ابي
ذيب وابن جريج مات سنة خمس او ست وعشرين ومائة روي له ابو
داود والترمذي وابن ماجة واخطا من زعم ان البخاري اخرج له قال
القاضي ابو بكر محمد بن العربي الحافظ الفقيه المالكي رؤيته صلي
الله عليه وسلم بصفته المعلومة التي كان عليها ادراك له علي
الحقيقة ورؤيته علي غير صفته ادراك للمثال فان الصواب
ان الانبيا لا تغيرهم الارض ويكون ادراك الذات الكريمة حقيقة
وادراك الصفات ادراك المثال لا الحقيقة فالاولي لا تحتاج الي تعبير
والثانية تحتاج والصوفية ما يوافق معني هذا وان اختلف اللفظ حيث
قالوا هنا ميزان يجب التنبه له وهو ان الرؤية الصحيحة ان يري
بصورته الثابتة بالنقل الصحيح فان راه بغيرها كطويل او قصير
او شيخ او شديد السمرة لم يكن راه وحصول الجزم في نفس الرائي بانه
راه غير حجة بل ذلك المرئي صورة الشرع بالنسبة لاعتقاد الرائي
او حيا له او صفته او حكم من احكام الاسلام او بالنسبة للمحل الذي
رأي فيه تلك الصورة قال القونوي كابن عربي وقد جربناه فوجدناه
لم يتخرم قال القاضي ابن العربي وقد شذ بعض القدرية فقال
الرؤيا من حيث هي للنبي او غيره لا حقيقة لها اصلا لانهم حاولوا
الوقوف علي حقيقتها بالعقل وهي لا تدرك به وهم لا يصدقون بالسمع
فنفوا عنها الحقيقة وقالوا انما هي خيال لا اصل لها كما بينه ابن العربي
نفسه وكذا غيره قال ابن العربي وقوله فسيراني معناه فسيري
تفسير ما راي لانه حق في نفس الامر وغيب عنا واما قوله فكانما
راني فهو تشبيه ومعناه انه لو راني في اليقظة لطابق ما راه

في

في المنام فيكون الاول وهو رؤيته يقظة حقا اي محققا وحقيقة والثاني
اي رؤيا المنام حقا وتمثيلا قال وهذا وهذا كله اذا راه علي صورته
المعروفة بان كان صحابيا او تكررت عليه صفته وتكررت من الكتب كما مر فان
راه علي خلاف صفته فهي امثال اي امور شبهت له في المنام تدل علي ما يحصل
له يقظة فان راه مقبلا عليه مثلا فهو خير للرائي وعلي العكس
فبالعكس اي فهو شر للرائي لكن لا يظهر تفريع هذا علي ما قبله اذ مجرد رؤياه
مقبلا او مدبرا لا ينافي انه راه علي صفته الاصلية فالاولي لو مثل بكونه راه
شيخا او شابا او جسما ملا البلد الذي هو فيه وقال القاضي عياض يحتمل ان
يكون المراد بقوله فقد راني الحق ان من راه علي صورته المعروفة في حياته
كانت رؤياه حقا ومن راه علي غير صورته كانت رؤيا تاويل بان يؤول
ما يناسب ماراه من خير وغيره انتهي وتعقبه النووي فقال هذا ضعيف
بل الصحيح انه يراه حقيقة سوا كان علي صفته المعروفة او غيرها
انتهي وتبعه عليه بعض المحققين ثم قال فان قيل كيف يري علي خلاف صورته
ويراه شخصان في ليلة واحدة في مكانين والبدن الواحد انما يكون
في مكان واحد قلنا التغيير في صفاته لا في ذاته فتكون ذاته مرئية وصفاته
متخيلة غير مرئية والادراك لا يشترط فيه تحقق الابصار ولا قرب
المسافة ولا كون المرئي ظاهرا علي الارض او مدفونا فيها وانما الشرط كونه
موجودا وتعقبه شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر فقال لم يظهر لي من كلام
القاضي عياض ما ينافي ذلك الذي ذكره النووي انه يراه حقيقة مطلقا
بل ظاهر قوله اي كلام عياض المذكور انه يراه حقيقة في الحالتين
رؤياه علي صورة حياته وعلي غيرها لكن في الاولي الرؤيا مما لا يحتاج الي
تعبير والثانية مما يحتاج الي التعبير فاذا راه علي صورته كان المراد
منها امرا يحصل للرائي خفي حق من هذا الوجه وفي المفهم للقرطبي اختلف في
معني الحديث فقال قوم من القاصرين هو علي ظاهره فمن راه في النوم
راه علي حقيقته كمن يراه في اليقظة سوا وهو قول يدرك فساده بادي
العقل اذ يلزم عليه ان لا يراه في اليقظة سوا وهو قولي ان لا يراه احد
الا علي صورته التي صارت عليها وان لا يراه اثنان في وقت واحد في
مكانين وان يحيي الان ويخرج من قبره ويمشي في الاسواق ويخاطب الناس
ويخاطبوه ويخلو قبره عنه فيزار مجرد القبر فيسلم علي غايب لانه يري
ليلا ونهارا علي اتصال الاوقات وهذه وجها لان لا يستلزمها من له ادني
مسكة من عقل وملتزم ذلك يختل بخبول وقال بعضهم ولفظ القرطبي
طايفة معناه ان من راه علي صورته التي كان عليها فقد راه حقا فهو شرط
حذف جوابه وقوله علي صورته معمول لقد راني من راه فقد راه علي صورته
ويلزم من قول من قال انها لا تكون الا علي صورته المعلومة اخص منه
قول القرطبي ويلزم منه ان من راه علي غير صفته ان تكون رؤياه من

من اضغاث الاحلام والاحاديث تابي ذلك ومن المعلوم انه يري في
النوم علي حالة بخلاف حالته في الدنيا من الاحوال اللائقة به ومع
ذلك تكون تلك الرويا حقا كما لو راه ملا بلدا او دارا بجسمه فانه يدل
يدل علي امتلا تلك البلدة بالحق والشرع وتلك الدار بالبركة وكثيرا
ما وقع ذلك هذا اسقطه المصنف من القرطبي ولو تمكن الشيطان من
التمثل بشئ مما كان عليه او ينسب اليه لعارض عموم قوله فان
الشيطان لا يتمثل بي اذ هو نفي مطلق فالاولي اي الاحق ان تنزه
روياه وكذا رويا شئ منه كعمامته ونحوها او مما ينسب
اليه عن ذلك فانه ابلغ في الحرمة اي الاحترام والتعظيم واليق بالعصمة
كما عصم من الشيطان في يقظته بفتح القاف فالصحيح في تاويل هذا
الحديث ان مقصوده ان رويته في كل حالة سواكانت صفته ام غيرها
ليست باطلة ولا اضغاثا رخله طاحلام بل هي حق في نفسها ولو روي
علي غير صورته فتصور تلك الصورة ليست من الشيطان بل من
قبل الله تعالي مثل الله ذلك للرائي ببشري فينبسط للخير او انذار
فينزجر عن الشر تنبيها علي خير يحصل وقد ذكرنا ان المرائي في المنام
امثلة المرئيات لا انفسها غير ان تلك الامثلة تارة تطابق حقيقة الرائي
وتارة لا تتم المطابقة وقد تظهر في اليقظة كذلك فالمقصود بتلك الصورة
معناها لا عينها ولذا خالف المثال صورة المرائي بزيادة او نقص او
تغير لون او زيادة عضو تنبيها علي معاني تلك الامور هذا اسقطه من
كلام القرطبي وهذا قول القاضي ابي بكر محمد بن الطيب بن
محمد بن القاضي المعروف بابن الباقلاني الملقب بشيخ السنة ولسان الامة
البصري ثم البغدادي المالكي واليه انتهت رياسة المالكية في وقته وكان
حسن الفقه عظيم الجدل وله بجامع المنصور ببغداد حلقة عظيمة ورده
عشرون ركعة كل ليلة ما تركها حضرا ولا سفرا واذا قضي ورده كتب خمسة
وثلاثين ورقة تصنيفا من حفظه مات سنة ثلاث واربعمائة وغيره
ويويده قوله فقد راي الحق اشار اليه القرطبي في شرح مسلم
وحاصل كلامه ان روياه بصفته ادراك لذاته فلا يحتاج لتعبير وتعبيرها
ادراك لمثاله فتحتاج الي التعبير وقال ابن بطال ابو الحسن في شرح
البخاري قوله فسيراني في اليقظة يريد به اي يري تصديق
ذلك في اليقظة وصحتها اي روياه وخروجها علي وجه الحق ولا
يلزم منه انه يري ذاته يقظة وليس المراد انه يراه في الاخرة
لانه سيراه يوم القيامة جميع امته من راه في النوم ومن لم يره
فلا معني لقصر الحديث عليه ويأتي الجواب بانه يراه بصفة خاصة
وقال ابو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري بفتح الزاي
وكسرها نسبة الي مازر جزيرة بصقلية الامام الفقيه العلامة الشهير

في شرح احدي روايتي مسلم وهي التي بالشك ان كان المحفوظ فكانما
راني في اليقظة فمعناه ظاهر لانه تشبيه وان كان المحفوظ فسيراني في
اليقظة وهو المجزوم في الصحيحين احتمل ان يكون اراد اهل عصره
ممن لم يهاجر اليه فانه اراه في المنام جعل ذلك علامة علي انه يراه
بعد ذلك في اليقظة ويوفقه الله للهجرة اليه والتشرف برويته ولقائه
واوحي الله اليه بذلك اليه صلي الله عليه وسلم فاخبره به وقيل معناه
سيري تاويل تلك الرويا في اليقظة وصحتها اي يري يقظة ما يصلح
ان يكون تاويلا للرويا وهذا اختاره ابن بطال نافيا قول من قال
سيراه في الاخرة ثم لانها لا تختص بمن راه مناما واجاب القاضي عياض
عنه باحتمال ان تكون روياه له في النوم علي الصفة التي عرف
روياه وصف عليها والاحاديث موصلة لتكرمته في الاخرة وان
يراه رويا خاصة من القرب منه عطف تفسير لتكرمته اي بالقرب منه
او الشفاعة بعلو الدرجة في الجنة زيادة علي الشفاعة العامة وعلي
ادخال الجنة ونحو ذلك من الخصوصيات قال عياض ولا يبعد ان يعاقب
الله بعض المذنبين في يوم القيامة قبل دخول الجنة بمنع رويته صلي
الله عليه وسلم مدة ثم لا يظهر فاسد معني فسيراني في اليقظة انه يراه
في الاخرة كون امته جميعا يرونه فيها لانهم وان اشتركوا في الروية يختلفون
في وقتها وصفتها وحمله الامام ابن ابي جمرة بجيم وراء علي محمل اخر فذكر
عن ابن عباس او غيره انه راي النبي صلي الله عليه وسلم في النوم ثم
تبقي بعد اليقظة متفكرا في هذا الحديث اي معني قوله فسيراني
في اليقظة فدخل علي بعض امهات المومنين لعلها خالته ميمونة ان
كان الرائي ابن عباس لانه لم يجزم به اولا فاخرجت له المراة بكسر الميم علي
وزن مفعلة معروفة وجمعها مراي كنواص كما في المصباح التي كانت
للنبي صلي الله عليه وسلم فنظر فيها صورة النبي صلي الله عليه
وسلم ولم ير صورة نفسه فدل ذلك علي ان معناه صورة رويته في
في مراته ان امكن ويانى ان هذا ابعد المحامل وقال الغزالي ليس معني
قوله فقد راني انه راي جسمي وبدني حقيقة وانما المراد انه راي
مثالا صار ذلك المثال آلة يتادي بها المعني الذي في نفسي اليه
وكذلك قوله فسيراني في اليقظة ليس المراد انه يري جسمي وبدني
بل المثال قال والالة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس
اي الذات غير المثال المتخيل فما راه من الشكل هو روح النبي بل هو
روح المصطفي ولا شخصه بل هو مثال له علي التحقيق قال الغزالي
ومثل ذلك من يري الله في المنام فان ذاته تعالي منزهة عن الشكل
والصورة ولكن تنتهي تعريفاته اي الامور التي تتعقل بها ذاته تعالي
الي العبد بواسطة مثال محسوس من نور او غيره تقريبا لعقله ثم

ويكون ذلك المنازل التحتا في كونه واسطة في التعريف اي التعقل
فيقول الرائي رايت الله عز وجل في المنام لا يعني اني رايت ذات الله
تعالي بل يعني انه راي مثالا علم به بعض صفاته المميزة له عن غيره كما نزل
في حق غيره لان روية ذات الله تعالي لا تجوز يقظة في الدنيا فكذا مناما
لا تري حقيقة بل مثالا وقال الغزالي ايضا في بعض فتاويه من راي
الرسول يعني في المنام لم ير حقيقة شخصه المودع روضة المدينة
اي قبرها اذ هي بين القبر والمنبر كما في الحديث وانما راي مثاله لا شخصه
ثم قال وذلك المثال مثال روحه المقدسة عن الصورة والشكل
فحاصله ان المراي ذات الروح ولا الشخص كما قال قيل وقال الطيبي
في شرح المشكاة المعني من راني في المنام باي صفة كنت فليستبشر بفتح
اليا والشين وليعلم انه قد راي الرويا الحق اي روية الحق لا الباطل
وكذا قوله فقد راني فالشرط والجزا اذا اتحدا صورة دل علي الغاية
في الكمال اي فقد راني رويا ليس بعدها شي اي فقد راي حقيقتي علي
كمالها لا شبهة ولا ارتياب فيما راي كما هو بقية كلام الطيبي زاد الكرماني
او هو في معني الاخبار اي من راني فاخبره بان روياه حق ليست من اضغاث
الاحلام ولا تخيلات الشيطان ومثله قوله صلي الله عليه وسلم اي اسامة
ابن زيد ان يطعنوا في امارته فقد كنتم تطعنون في امارة ابيه من قبله
فيول بالاخبار اي ان طعنتم فيه فاخبركم بانكم طعنتم في ابيه او يلازم عند
البيانيين ان طعنتم فيه اثمتم بذلك والحاصل من الاجوبة المذكورة من
قوله فسيراني في اليقظة خمس تاويلات اولها انه علي التشبيه والتمثيل
عطف تفسير ويدل عليه قوله فكانما يراني في اليقظة بناء علي ثبوته اذ
هو بالشك كما مر ثانيها معناه سيري في اليقظة تاويلها بطريق
الحقيقة ثالثها انه خاص باهل عصره ممن امن به قبل ان يراه مهاجر
ويراه رابعها المراد انه يراه في المراة التي كانت له ان امكنه ذلك
قال شيخ مشايخنا الحافظ ابن حجر وهذا من ابعد المحامل اذ لا دليل
عليه ورواية ابن عباس او غيره ان ثبتت لا تدل علي التخصيص خامسها
انه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية من نحو قرب او شفاعة برفع
درجات لا مطلق من راه حينيذ ممن لم يره في المنام وزيد سادس
وهو انه يراه في الدنيا حقيقة ويخاطبه وقال القرطبي من فوايد روياه
صلي الله عليه وسلم تسكين شوق الرائي لكونه صادقا في محبته ليتكل مشاهدته
والي ذلك الاشارة بقوله فسيراني في اليقظة اي من راني روية معظم
لحرمتي ومشتاق ومشاهدتي وصل الي روية محبوبه وظفر بمطلوبه قال
ويجوز ان يكون مقصود تلك الرويا معني صورته وهو دينه وشريعته
فتعبير بحسب ما يراه الرائي من زيادة او نقصان او اساة او احسان قال
الحافظ وهذا جواب سابع والذي قبله لم يظهر لي وان ظهر فهو ثامن

والصواب

والصواب كما قدمناه ومن رويته عليه السلام التفهيم علي اي حالة
راه الرائي لانه ظاهر الاحاديث الصحيحة اذ لم يقيد فيها بانه علي صورته
بشرط ان يكون علي رويته الحقيقية في وقت ما اي وقت كان سوا
كان في شبابه او رجوليته او كهوليته او اخر عمره وقد يكون لما خالف
ذلك تعبير يتعلق بالرائي كما قال بعض علما التعبير ان من راه شيخا
فهو غاية سلم بالفتح والكسر صلح لان الشيخ لا حرب عنده غالبا ومن
راه شابا فهو غاية حرب لانه داب الشبان وقال ابو سعيد احمد بن
محمد بن نصر من راي نبيا اي نبي كان علي حاله وهيبته فذلك
دليل علي صلاح حال الرائي وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ومن راه
متغير الحال عابسا مثلا فذلك دال علي سو حال الرائي لان الارض لا
تغير حال الانبيا وهذا تقدم بمعناه عن ابن العربي وقال العارف الرباني
عبد الله بن ابي جمرة المغربي نزيل مصر عالم عابد خير من بيت كبير بالمغرب
شهير الذكر الشيطان لا يتصور بصورته اصلا فمن راه في صورة
حسنة فذلك حسن في دين الرائي وان كان في جوارحه شي او نقص
فذلك خلل في الرائي من جهة الدين فدل وراه علي شين او نقص دينه
قال وهذا هو الحق فقد جرب ذلك فوجد علي هذا الاسلوب اي
الطريق وبه تحصل الفايدة الكبري في روياه حتي يتبين للرائي
هل عنده خلل ام لا لانه عليه السلام نوراني مثل المراة الصقيلة
ما كان في الناظر اليها من حسن او غيره تصور فيها وهي في ذاتها علي
احسن حال لا نقص فيها فكذلك النبي صلي الله عليه وسلم هو علي صفته التي
ليس شي احسن منها والتغير انما هو في صفة الرائي وكذلك يقال في كلامه
عليه السلام في النوم انه يعرض علي سنته فما وافقها فهو حق وما خالفها
فالخلل في سمع الرائي لانه لا يضبط ما يقال له فرويا الذات الكريمة حق
والخلل انما هو في سمع الرائي او بصره قال وهذا خير ما سمعته
اي احسن الوجوه التي سمعتها في ذلك قال ويوخذ من قوله فان الشيطان
الخ ان من تمثلت صورة المصطفي في خاطره من ارباب القلوب وتصورت له في
عالم سره انه يكلمه ان ذلك يكون حقا بل هو اصدق من مراي غيرهم انتهي
كلام ابن ابي جمرة رحمه الله وقال بعضهم ليست روياه صلي الله عليه
وسلم في المنام ورويا عين كروية اليقظة انما يريه بالبصاير وذلك
لا يستدعي حصر المراي في محل بل يري من المشرق الي المغرب ومن الارض
الي العرش كما تري الصورة في المراة المحاذية لها وليست الصورة
مستقلة الي جرم المراة انما هي مثال وعين الناظرة مقابلة جميع الكاينات
كالمراة واختلاف روياه صلي الله عليه وسلم بان يراه بعضهم شيخا
اي ما قابل الشباب فيشمل الكهل واخر شابا واخر ضاحكا واخر باكيا
يرجع الي الرائي كاختلاف الصورة في مراة بزنة فواعل جمع مراة

بكسر الميم مختلفة الاشكال والمقادير ففي المراة الكبيرة يري وجهه
كبيرا وفي الصغيرة صغيرا وفي المعوجة معوجا وفي الطويلة طويلا
الي غير ذلك فالاختلاف راجع الي اختلاف اشكال المرائي جمع مراة
لا الي وجه الرائي اذ لا تختلف ذاته كذلك الراوون له عليه السلام بالنسبة
اليه مختلفة فمن راه مبتسما اليه دل علي ان الرائي متمسك بسنته
والله اعلم وفي الوردية •

• رويا محمد سرور كامله • وليس للشيطان ان يماثله •
وقد اجاب الشيخ بدر الدين الزركشي عن سوال روية جماعة اضافة
بيانية له صلي الله عليه وسلم في ان واحد من اقطار نواحي متباعدة
مع ان رويته صلي الله عليه وسلم حق وهو حي في قبره يصلي فيه
باذان واقامة بانه صلي الله عليه وسلم سراج كما قال تعالي وسراجا
منيرا ونور الشمس في هذا العالم مثال نوره في العوالم بكسر اللام
جمع عالم بفتحها لان فاعل يجمع علي فواعل وكما ان الشمس يراها كل
من في المشرق والمغرب في ساعة وهي في محلها وبصفات مختلفة فكذلك
النبي صلي الله عليه وسلم اذ نوره اتم واعلامنا ولله در القايل •
• كالبدر من اي النواحي جيته • يهدي الي عينيك نورا ثاقبا
• كالشمس في كبد السما وضوها • يغشي البلاد مشارقا ومغاربا •
وهذا الجواب نسبه بعضهم للصوفية وقال هو باطل فانه صلي الله عليه
وسلم يراه زيد في بيته وعمرو كذلك في بيته بجملته والشمس انما تري
من اماكن عدة وهي في مكان واحد فلو رويت داخل بيت بجرمها استحال
رويتها جرمها داخل بيت اخر وهذا هو الذي يوازي رويته صلي الله عليه
وسلم في بيتين والاشكال انما يرد في رويته في مواضع عدة واذا ورد
بحسب ما قلنا فلا ينجه الجواب الا بالاثبات الامثال وتعددها بالمرائي في ان
واحد في مكانين مثالان فلا اشكال واما رويته صلي الله عليه وسلم
في اليقظة بفتح القاف بعد موته عليه السلام فقال شيخنا السخاوي
لم يصل الينا ذكر عن احد من الصحابة ولا عمن بعدهم كالتابعين ولم
يرد في ذلك شي عن النبي صلي الله عليه وسلم الا ما قد يوخذ من قوله
فسيراني في اليقظة علي احد الاحتمالات بخلاف حديث روياه مناما فقال
السيوطي انه متواتر وايد عدم الورود بقوله وقد اشتد حزن فاطمة
رضي الله عنها عليه صلي الله عليه وسلم حتي ماتت كمدا بفتح وسكون
وبفتحتين حزنا شديدا بعده بستة اشهر علي الصحيح الثابت
في البخاري وغيره عن عايشة وقيل بثمانية اشهر وقيل باربعة وقيل
شهرين وقيل غير ذلك وبيتها مجاور لضريحه اي قبره الشريف ولم ينقل
عنها رويته في المدة تاخرتها عنه فلو كان يري في اليقظة لراته
لاشتداد حزنها ولم يبلغ ذلك اذ لو وقع لنقل ورد هذا بان عدم نقله

لايدل

لا يدل علي عدم وقوعه وتعقب بانه ظاهر لو جعله المانع دليلا قطعيا
علي انه لا يري يقظة وانما جعله ظاهرا في عدم وقوعه لفاطمة وقول غيرها
انه يراه يقظة موول فلا يتم انه قد يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل
وانما حكي عن بعض الصالحين حكايات عن انفسهم انهم راوه يقظة كما هو
في كتاب توثيق عري الاسلام للبارزي القاضي شرف الدين وبهجة
النفوس وتحليها بمعرفة ما عليها ولها لابي محمد عبد الله بن ابي جمرة
وهو اسم لشرحه علي الاحاديث التي انتخبها من البخاري وروض
الرياحين للعفيف اليافعي وغيره من تصانيفه والشيخ صفي
الدين بن ابي المنصور في رسالته وعبارة ابن ابي جمرة في بهجة
النفوس في قوله صلي الله عليه وسلم من راني في المنام فسيراني في
اليقظة هل هذا علي عمومه في حياته وبعد مماته او في حياته وهل
ذلك لكل من راه مطلقا او خاص بمن فيه الاهلية والاتباع السنية
اللفظ يقتضي العموم ودعوي الخصوص بغير تخصيص عنه عليه السلام تعسف
تعسف فان خرق العادة قد يقع للزنديق اغواء واملاء ثم ذكر ما تقدم عن
ابن عباس او غيره من رويته صورته في مراته ثم قال قد ذكر عن السلف
لعله اراد بهم من دون من بعد الصحابة فلا ينافي ما قدمه المصنف عن شيخه
وان نفي السخاوي انما هو من جهة اصطلاح المحدثين بالاسانيد ولو ضعيفة
والخلف الي هلم جرا قال الشيخ جمال الدين ابن هشام هذا الكلام مستعمل في العرف
كثيرا وذكره الجوهري فقال تقول له كان ذلك عام كذا وهلم جرا الي اليوم وفي عباب
الصغاني مثله وقال ابن الانبار معنا هلم هاسيروا علي هيئتكم اي تثبتوا في سيركم
ولا تجهدوا انفسكم ماخوذ من الجر وهو ترك الابل والغنم ترعي في السير وقال
ابو حيان في الارتشاف هلم جرا معناه تعال علي هيئتك وينصب جرا علي انه
مصدر في موضع الحال اي جارين قاله البصريون وقال الكوفيون مصدر
لان معني هلم جر وقيل نصب علي التمييز واول ما قاله عايد بن زيد قال •
• فان جاوزت مقفرة رمت بي • الي اخري كتلك هلم جرا •
وتوقف ابن هشام في كونه عربيا محضا واطال في بيانه باربعة اوجه
منها ان الجوهري لا يقبل ما تفرد به كما قاله ابن الصلاح ولم ينقله العرب قبله
والصغاني تبعه ثم قال الظاهر لي علي انه عربي ان هلم هي القاصرة
بمعني ايت وتعال الا ان فيها تجوز من احدها ليس المراد المجي الحسي بل الاستمرار
علي الشي والمداومة عليه والثاني انه ليس المراد الطلب حقيقة بل الخبر عبر
عنه بالطلب كما في فليمدد له الرحمن وجرا مصدر جره اذا سحبه لكن ليس
المراد الحسي بل التعميم فاذا قيل كان ذلك عام كذا وهلم جرا فكانه قيل واستمر
في بقية الاعوام استمرارا فهو مصدر او استمر مستمرا فهو حال موكدة وبهذا ارتفع
اشكال العطف فان هلم حينئذ خبر واشكال التزام افراد الضمير اذ فاعل
هلم مفرد ابدا عن جماعة كانوا يصدقون بهذا الحديث يعني من

راني في المنام فسيرا في النوم راه صلي الله عليه وسلم في النوم
فراوه بعد ذلك في اليقظة وسالوه عن اشيا كانوا منها
متشوشين فاخبرهم بتفريجها ونص لهم علي الوجوه التي
منها يكون فرجها فجا الامر كذلك بلا زيادة ولا نقص قال السيوطي
واكثر من يقع له ذلك انما يقع له قرب موته او عند الاحتضار ويكرم الله من
يشا ثم قال ابن ابي جمرة والمنكر لهذا لا يخلوا ان يكون ممن
يصدق بكرامات الاوليا او لا يصدق بها فان كان الثاني فقد
سقط البحث معه فانه يكذب ما اثبتته السنة اقواله وافعاله
وتقريره وهمه وعزمه صلي الله عليه وسلم بالدلايل اي الدلالات
الواضحة جمع دلالة وهو ما يقتضيه اللفظ عند اطلاقه لا جمع دليل
فلا يرد انه لا معني لاثبات السنة بالدلايل اذ هي نفسها او المراد بالسنة
ما نقل عنه صلي الله عليه وسلم مما يدل علي ثبوت الكرامات وبالادلة
المثبتة لها الطرق الموصلة الي العلم بها اي اسانيدها او المراد اهل السنة
بتقدير مضاف او استعمل السنة في اهلها مجازا او البا للتصوير لا متعلقة
باثبتته اي السنة التي هي الدلايل او المراد الاحاديث الواضحة الدلالة
في بيان كرامات الاوليا وان كان الاول فهذه منها لان الاوليا
يكشف لهم بخرق العادة عن اشيا في العالمين العلوي والسفلي
عديدة صفة اشيا مع التصديق بذلك اي منهم لظهورها مطابقته للواقع
عندهم او ممن علموا به حيث صدقوا بما اخبروا به ولم ينكروه عليهم وهو حال
من الهافي لهم او متعلق بيكشف وقال الشيخ ابن ابي المنصور في
رسالته وحدثنا ان الشيخ ابا العباس القسطلاني دخل مرة علي
النبي صلي الله عليه وسلم فقال له النبي صلي الله عليه وسلم اخذ
الله بيدك يا احمد وعن الشيخ ابي السعود بن ابي العشاير بن
سعفين بن الطيب الواسطي ثم المصري ذكره الحافظ المنذري في معجم
شيوخه واثني عليه وكان من اوسع الاوليا دايرة في السلوك وله
كرامات وخوارق وكلام عال في الحقايق مات سنة سبع واربعين وستماية
ودفن بالقرافة قال كنت ازور شيخنا ابو العباس البصير احمد بن
محمد بن عبد الرحمن الانصاري الخزرجي الاندلسي برع في علوم الشرع
ببلده ثم سافر الي فقدم الصعيد فدخل الصعيد ثم اقام بالقاهرة
يقري الناس وينفعهم اجاز سبعة الاف رجل بالقراات السبع وكان بارعا
في الحديث حافظا لمتونه عارفا بعلله ورجاله حسن الاستنباط بذهن
وقاد مات سنة ثلاث وعشرين ومايه وغيره من صلحا مصر فلما
انقطعت واشتغلت وفتح علي لم يكن لي شيخ الا النبي صلي الله عليه
وسلم وذكر انه كان يصافحه عقب كل صلاة وذلك يقظة وحسبه
بذلك شرفا وقال الشيخ ابو العباس بن ابي بكر الحراد عجلان كما في

الكواكب المضية المغربي الاشبيلي العابد الزاهد صاحب الكرامات قدم
مصر واقام بها ومات بعد الستماية دخلت علي النبي صلي الله عليه وسلم
مرة فوجدته يكتب اي يامر بان يكتب مناشير جمع منشور اي كتب
الاوليا بالولايات قال وكنت لا حتي نجد منهم منشورا كتابا فقلت
يا سيدي يا رسول الله ما تكتب لي كاحتي قال انزيد ان تكون
فيما دا وهذه لغة اندلسية بفتح الالف والدال وضم اللام اقليم
بالمغرب يعني طرفيا وخاطبه بها لانه من المغرب وفهم عنه انه متاما
غير هذا او قال حجة الاسلام الغزالي في كتابه المنقذ من
الضلال وهم يعني ارباب القلوب في يقظتهم يشاهدون
الملايكة علي غير صورهم الاصلية وارواح الانبيا ويسمعون
منهم اصواتا ويقتبسون اي يكتسبون منهم فوايد ثم يرتقي الحال من
مشاهدة الصور والامثال الي درجات يضيق عنها نطاق النطق انتهي كلام
الغزالي بما زدته ورايت في كتاب المنح الالهية في مناقب
السادات الوفائية عن سيدي علي بن سيدي محمد وفا العارف
الكبير بن العارف الشهير الغنيين بالشهرة عن التعريف وتقدم بعضه
انه قال في بعض مشاهده كنت وانا ابن خمس سنين اقرا القران
علي رجل يقال له الشيخ يعقوب فاتيته يوما فرايت انسانا
يقرا عليه سورة والضحي وصحبته رفيق له وهو يلوي بحيل شدقيه
حا بني فمه بالامالة ورفيقه يضحك اعجابا بقراة الفتا ركب
ومقتضي يلوي شدقيه انها لم تكن حسنة ولعله حكمة امره عليه السلام
لسيدي علي بالقراة فرايت النبي صلي الله عليه وسلم يقظة لا
مناما بمحل الشاهد عليه قميص ابيض قطن ثم رايت القميص علي
فقال اقرا فقرات عليه سورة والضحي والم نشرح ثم غاب
عني فلما بلغت احدي وعشرين سنة احرمت بصلاة الصبح
بالقرافة بزاويتهم فرايت النبي صلي الله عليه وسلم قبالة وجهي
فعانقني فقال لي واما بنعمة ربك فحدث فاوتيت لسانه من
ذلك الوقت فقت بان صرت اتكلم بالكلام الجامع المشتمل علي الحكم الكثيرة
من المواهب الربانية انتهي وصريح هذا انه يقظة واما ما حكاه
الشيخ تاج الدين ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطا الله
الجذامي الاسكندراني الامام المتكلم علي طريقة الشاذلي كان جامعا
لانواع العلوم من تفسير وحديث ونحو واصول وفقه مالكي وتصوف
وكان اعجوبة زمانه فيه وله تصانيف كثيرة كاختصار المدونة
للبراذعي مات سنة سبع وسبعماية ودفن بالقرافة في لطايف
المنن في مناقب الشيخ ابي العباس والشيخ ابي الحسن عن الشيخ
ابي العباس المرسي بضم الميم نسبة الي مرسية مدينة بالمغرب

احمد بن عمر الانصاري المالكي العارف الشهير قطب زمانه وراس اصحاب
ابي الحسن الشاذلي مات بالاسكندرية سنة ست وثمانين وستماية انه كان مع
مع الشيخ ابي الحسن الشاذلي بمعجمة ومهملة الشريف علي بن عبد الله
ابن عبد الجبار العلوي الهاشمي من ذرية محمد بن الحنفية قال ابن دقيق العيد
ما رايت اعرف بالله وقال ابن عطا الله نشا بالغرب الاقصى ومبدا ظهوره
بشاذلة وله السياحات الكثيرة والمنازلات الجليلة والعلوم الكثيرة لم يدخل
في طريق الله تعالى حتى كان يعد للمناظرة في العلوم الظاهرة ذو علوم
جمة جاء في هذا الطريق بالعجب العجاب وشرح من علم الحقيقة الاطناب
ووسع للسالكين الركاب وكان العز بن عبد السلام يحضر مجلسه ويسمع كلامه
مات سنة ست وخمسين وستماية بالقيروان بفتح القاف والرا
والواو بلد بافريقية في ليلة الجمعة سابع عشرين رمضان
فذهب معه الى الجامع الحكاية الى ان قال ورايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا علي طهر ثيابك من الدنس
تحظ بمدد الله في كل نفس الى فيحتمل ان يكون مناما لانه لم يصرح
وكذلك الشيخ قطب الدين القسطلاني كنت اقرا على ابي عبد الله
محمد بن عمر بن يوسف القرطبي بالمدينة النبوية فجيته
يوما في وقت خلوة وانا يوسف حديث النفس فخرج الي وقال
من ادبك بهذا الادب وعاب علي المجي هذا الوقت ومراده تربيته
وتاديبه فذهبت وانا منكسر الخاطر فدخلت المسجد النبوي وقعدت
عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا جالس على تلك الحال
وانا بالشيخ قد جاني وقال قد قبلك شيخ لا يرد يعني النبي
صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه جاه في المنام ونحوه ما حكاه السهروردي
بضم السين وسكون الها وضم الرا وفتح الواو وسكون الرا ومهملة نسبة
الى سهرورد بلد عند زنجان العلامة العارف شهاب الدين
عمر تقدم بعض ترجمته في عوارف المعارف عن الشيخ عبد القادر
ابن موسى بن يحيى الشريف الحسني الكيلاني بكاف او جيم مكسورتين
ولد ببغداد سنة سبعين واربع ماية وحسبك فيه قول العز بن عبد
السلام بلغت امامته مبلغ القطع ومات ببغداد سنة نيف وستين وخمساية
مناقبه شهيرة كثيرة انه قال ما تزوجت حتى قال لي النبي صلى
الله عليه وسلم تزوج فيحتمل انه منام وحكي عن السيد نور الدين
الايجي بالكسر وتحتية وجيم نسبة الى ايج بلد بفارس والد السيد
عفيف الدين انه مع بعض زيارته للنبي صلى الله عليه
وسلم سمع جواب سلامه من داخل القبر الشريف عليك
السلام يا ولدي فهذا من سماع الصوت وان لم يكن برويته وقال
السيد حسين بن الاهدل في مسلة الروية له انه وقع عهما

للاوليا قد تواترت باخبارها الاخبار وصار العلم بذلك
قويا انتفى عنه الشك لاستحالة الكذب مع التواتر ومن تواترت
عليه اخبارهم لم يبق له فيه شبهة ولكن يقع لهم ذلك في
بعض غيبة حس وغموض طرف لورود حال لا يكاد تضبطها
العبارة ومرائيهم في الروية المذكورة من شبه اليقظة متفاوتة
باعتبار مقاماتهم فبعضهم اعلا فيها من بعض واعترض هذا
بانه سيوطن لهم حيث تشتبه عليهم روية الغيبة بروية
اليقظة وهذا لا يظن بادون العقلا فكيف بالاكابر وكثيرا ما يغلط
فيها ولهذا قل ما تجد رواية متصلة صحيحة عن من يوثق به
لان غالبهم يكتمون الامر واما من لا يوثق به فقد يكذب وقد يرى
مناما او في غيبة حس فيظنه يقظة وقد يرى خيالا او نورا
فيظنه الرسول صلى الله عليه وسلم وقد يلبس بكسر البا يخلط عليه
الشيطان لعدم تمكنه اما المتمكن فلا كما حكي ان العارف الكيلاني راي
مرة نورا ملا الافق ونودي منه انا ربك وقد ابحت لك المحرمات
فقال اخسا يا لعين فانقلب النور دخانا وظلاما فقال نجوت مني بفقهك
في احكام منازلاتك وقد اضللت بهذا سبعين صديقا فقيل بم
عرفت انه الشيطان قال بقوله ابحت لك المحرمات فبحث التحذير في
هذا الباب فان رويته صلى الله عليه وسلم في اليقظة باب ضيق
وقل من يقع له ذلك الا من كان على صفة عزيز وجودها في هذا الزمان
بل عدمت غالبا مع انا لا ننكر من يقع له من الاكابر الذين حفظهم
الله تعالى في بواطنهم وظواهرهم قال ابن الحاج في المدخل قال
وقد انكر بعض علما الظاهر روية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لان
العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبي في دار البقا والرائي في دار
الفنا ورده الشيخ ابو محمد بن ابي جمرة بان المومن اذا مات يراه الله تعالى
وهو لا يموت والواحد منهم يموت في كل يوم سبعين مرة انتهى ونقل
معنى موت الواحد في اليوم مرة وعن ابي العباس المرسي لما جا الغلا
الكبير الى مصر توجهت لان ادعو فقيل لي لا تدع فلا يسمع لاحد منكم في هذا
الامر دعا فسافرت الى الشام فلما وصلت الى قرب ضريح الخليل عليه
السلام تلقاني فقلت يا رسول الله اجعل ضيافتي عندك الدعا لاهل مصر
فدعا لهم ففرج الله عنهم قال اليافعي قوله تلقاني الخليل قول حق لا
ينكره الا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الاحوال التي يشاهدون
فيها ملكوت السموات والارض وينظرون الانبيا احيا غير اموات كما نظر
النبي صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام ونظر ايضا هو وجماعة من
الانبيا في السموات وسمع منهم مخاطبات انتهى وبالجملة فالقول
برويته صلى الله عليه وسلم بعد موته بعين الراس في

اليقظة يدرك فساده باوايل العقول مبادیها بدون احتياج
الي تامل لاستلزامه خروجه من قبره ومشيه في الاسواق وقد
لا يلزم ذلك اذ من الجايز ان يكشف لهم عنه وهو في قبره ومخاطبته
للناس ومخاطبتهم له وهم في اماكنهم وهو في قبره ولا محذور في
ذلك وخلو قبره عن جسده الشريف فلا يبقي منه فيه شي بحيث
يزار مجرد القبر ويسلم علي غايب وقد علمت ان ذلك ليس بلازم كما
يري القمران والنجوم في اقطار الارض شرقا وغربا وهي في اماكنها اشار
الي ذلك القرطبي الامام ابو العباس في المفهم في الرد علي من قال
بان الرايي له في المنام رويا حقيقة يراه بعد ذلك في اليقظة
زاعما ان ذلك من رايي في المنام فسيراني في اليقظة قال القرطبي وهذه
جهالات لا يقول بشي منها من له ادني مسكة بضم الميم شي يمسكه من
المعقول وملتزم شي من ذلك فضلا عن جميعه مختل مخدوع مخبول
مجنون ولا شك في ذلك ان التزمه اما ان قال بما اولناه فلا وقال
القاضي ابو بكر بن العربي الفقيه الحافظ وشذ بعض الصالحين
فزعم انها تقع بعيني الراس حقيقة فجعله شاذا لا يعتد به لعدم امكانه
عنده وقال في فتح الباري بعد ان ذكر كلام ابن ابي جمرة المتقدم
قريبا وهذا مشكل جدا ولو حمل علي ظاهره لكان هولا صحابة
ولامكن بقا الصحبة الي يوم القيامة واجيب بان شرط الصحبة
رويته علي الوجه المتعارف قبل موته صلي الله عليه وسلم لا بعده وان
كان حيا في قبره وهذه خوارق والخوارق لا تنتقض لاجلها القواعد
وللشيخ مسلم شيخ الطايفة المسلمية •

• فمن يدعي في هذه الدار انه • يري المصطفي حقا فقد فاه مشتطا •
• ولكن بين النوم واليقظة التي • اتا شرهذا الامر مرتبة وسطا •

وقد حمل القاضي ابو بكر بن العربي القول بان الرويا في المنام
بعيني الراس علو اتجاوز حد وحماقة قلة عقل ثم حكي ما نسب
لبعض المتكلمين وهو القول بانها مدركة بعينين في القلب
وانه ضرب من المجاز انتهي فاذا قيل ذلك في رويا المنام فما بالك
برويته في اليقظة فلا يمتنع سياق فاعله في قوله ان يتمثل من
الخواص ارباب القلوب النيرة السليمة من الاغيار القايمين
بالمراقبة لله في اقوالهم وافعالهم والتوجه علي قدم الخوف
بحيث لا يسكنون اي لا يركنون لشي مما يقع لهم من الكرامات بحيث
يعولون عليها ويرون ان لهم مقاما فضلا عن التحدث بها لغير
ضرورة مع السعي في التخلص من المكدرات والاعراض عن
الدنيا واهلها جملة وكون الواحد منهم يود ان يخرج من اهله
وماله مع عزتها علي البشر وانه يري النبي صلي الله عليه

وسلم

وسلم كالشيخ عبد القادر الكيلاني ان يتمثل صورته صلي الله عليه
وسلم في خاطره ويتصوره في عالم سره انه يكلمه بشرط استقرار
ذلك وعدم اضطرابه فان تزلزل او اضطرب كان لمة مصدر يحذق
الزوايد من الم الماما من الشيطان وليس ذلك خادشا في علو مناصبهم
مقاماتهم لعدم وجوب عصمة غير الانبيا والملايكة وانما هي جايزة
للخير فقد قال العلامة التاج ابن السبكي في جمع الجوامع في الباب
الخامس تبعا لغيره وان الالهام لفظه مسلة الالهام ايقاع شي في
القلب يثلج له الصدر يخص الله به بعض اصفيايه وليس بحجة لعدم
ثقة من ليس معصوما بخواطره لانه لا يامن من دسيسة الشيطان
فيها خلافا لبعض الصوفية في قوله انه حجة في حقه اما المعصوم كالنبي
صلي الله عليه وسلم فهو حجة في حقه وحق غيره اذا تعلق بهم كالوحي
وحينيذ فمن قال ممن حكينا عنه او غيره بان المراي هو المثال
لا يمتنع حمله علي هذا الذي قلناه ان يتمثل صورته في خاطره الخ لا
حقيقة الروية بل حمل كل من اطلق انه راه حقيقة عليه اي علي هذا
التاويل هو اللايق وقريب منه قوله صلي الله عليه
وسلم في حديث صلاة الكسوف اني رايت الجنة والنار مع مزيد
استبعاد هناك اي في هذا الحديث ان يكون المراد بالروية
العلم لبعده من لفظه وهو قوله صلي الله عليه وسلم ما من شي لم اكن
رايته الا رايته في مقامي هذا حتي الجنة والنار الحديث في الصحيحين
ويحكي عن الشيخ ابي العباس المرسي انه قال مرة لو حجب عني
رسول الله صلي الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من
المسلمين الكاملين لدلالة الحجب علي تقصيري وعلي هذا فيكون معني
قوله فسيراني في اليقظة اي يتصور مشاهدتي ويرا نفسه
حاضرا معي لا بمجرد تصور وتنزيل بل بحيث لا يخرج عن دايرة سنته
صلي الله عليه وسلم بل لا يبقي له منها حاجة طريقة وعيشي علي شريعته
وطريقته ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في الاحسان الاخلاص
او اجادة العمل جوابا لسوال جبريل ان تعبد الله كانك تراه يعني
انك مطلقا علي جميع احوالك حتي كانك تشاهده عيانا فلا تنحرف
عن الطريق الذي يحبه الشرع واديوا اليه طريق المعرفة وهذا من
جوامع الكلم لجمعه مع الايجاز سان المراقبة في كل حال وهو الاخلاص
في جميع الاحوال والاعمال والحث عليه بحيث لو فرض انه عاينه لم
يترك شيا من ممكنه ويحمل العموم في قوله من راني علي الموفقين
لا عموم الناس ويكفي في صدق العامة عمومه في فرد واليه يشير
قول بعض المعتمدين وهو الشيخ ابو العباس القرطبي في المفهم في قوله
فسيراني في اليقظة اي من يراني من رويته معظم لحرمتي قال

قال ابن عربي التعظيم ملاحظة الجلال بلواحظ الوقار على بساط الادب
في مقام المعرفة بعظمة قدر الملحوظ قال والحرمة تعظيم مهاب بالغيب والشهادة
وحقيقتها الامتناع من تعدي الحد ومشتاق لمشاهدة وصل الى رويته
محبوبه وظفر بكل مطلوبه قال الحافظ وهذا لم يظهر لي وان ظهر فهو ثامن
الاجوبة كما مر وقريب منه قول شارح المصابيح او معنى الحديث انه
يراه في الدنيا حالة الذوق والانسلاخ عن العوايق الجسمانية بكسر الجيم
كما نقل ذلك عن بعض الصالحين انه رآه في حالة الذوق قال ابن عربي
هو ادراك في القلب يميز به بين اشخاص اصناف المعاني فهذا اذا صح من
علة دا الشرك الخفي وحقيقته وجدان حلاوة في رياض روض الرضى
وغايته الاستغنا في تصور معاني الحقايق عن نصب الادلة والبراهين
السمعية والعقلية وقال غيره الذوق اول مبادي التجليات والشرب
اوسطها والري نهايتها او الاذواق التي يشير لها القوم هي علوم لا تنال الا
لمن كان خالي القلب عن جميع العلايق والعوايق والشوق قول بعضهم نعوت
به خواص قهر المحبة بشدة ميلها الى لحاق المشتاق بمشوقه والعاشق
بمعشوقه وقال ابن عربي الشوق انزعاج اثاره تعشق مسموع يوجب الاستشراق
الى لقيه وحقيقته طلب يتعلق بمطلوب حجبه البعد يصحبه قلق وغايته تمني
النفس ما لا بد لها منه ولا قدرة لها على التوصل ولا قرار لها دون حصوله
وقد قال الشيخ الاهدل عقب الحكاية السابقة عن الشيخ ابي العباس المرسي
لو حجب الى اخره وهذا فيه تجوز يقع مثله في كلام الشيوخ جمع شيخ وحقيقته
عند الصوفية الانسان البالغ في علم الشريعة والطريقة والحقيقة الى حد
من بلغه كان عالما ربانيا مربيا هاديا مهديا مرشدا الى طريق الرشاد معينا
لمن اراد الاستعانة به على بلوغ رتب اهل السداد وذلك مما وهب الله من العلم
اللدني الرباني والطب المعنوي الروحاني فهو طبيب الارواح الشافي لها بما علمه
الله من ادوية ادوايها المودية لها وذكر ان المراد انه لم يحجب حجاب غفلة
ونسيان ولم يحجب عن دوام المراقبة المحافظة قال تعالى كنت انت الرقيب
عليهم اي الحفيظ وهي عند الصوفية الملاحظة لما هو المقصود بالتوجه
ظاهرا او باطنا ويندرج فيها الرعاية والحرمة واستحضارها في الاعمال
والاقوال ولم يرد انه لم يحجب عن الروح العظامية طرفة عين فذلك
مستحيل فلا يريده العارف المرسي وتعقب هذا بانه ان اراد
الاستحالة العقلية فباطل او الشرعية فمن اي دليل او قاعدة اخذ
ذلك كلا الاستحالة لذلك بوجه والله اعلم بما اراد رسوله عليه السلام
ومما اختص به عليه السلام ان التسمي باسمه المعهود المشتهر به وهو محمد
واحمد ويدل له احاديث الترجمة التي ذكرها ميمون اي مبارك بركة
تامة لا توجد في التسمي باسم غيره من الانبيا وان كان فيها ايضا بركة
والتسمية بها مستحبة لقوله صلى الله عليه وسلم تسموا باسما الانبيا

واحب وان كان فيها ايضا بركة والتسمية بها مستحبة لقوله صلى الله عليه
وسلم تسموا باسما الانبيا واحب الاسما الى الله عبد الله وعبد الرحمن
الحديث رواه ابو داود والنسائي لانهم سادة الخلق واخلاقهم
اشرف الاخلاق واعمالهم اصلح الاعمال فاسماوهم اشرف الاسما فالتسمي بها فيه
شرف للمسمي وحفظها وذكرها وان لا ينسى فلذا ندب مع المحافظة على الادب
قال ابن القيم هذا هو الصواب وكان مذهب عمر كراهته ثم رجع ونافع في الدنيا
والاخرة ان سماه تبركا به وحبا له لا لكونه اسم احد ابايه او اسم نحو امير ويشهد
له ما رواه ابن عساكر وابن بكير عن ابي امامة مرفوعا من ولد له مولود فسماه
محمدا حبا لي وتبركا باسمي كان هو ومولوده في الجنة قال السيوطي هذا
امثل حديث ورد في هذا الباب واسناده حسن ونازعه تلميذه الشامي
فقال وليس كذلك ففي سنده ابو الحسين حامد بن حماد العسكري
شيخ ابن بكير فيه قال في اللسان كالميزان خبره هذا موضوع وهو آفته
وشيخه اسحق بن يسار مجهول وروينا مما اخرجه الحافظ ابو طاهر السلفي من طريق
حميد الطويل عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يوقف عبدان بين يدي الله تعالى فيامر الله تعالى بهما الى
الجنة فيقولان ربنا بما استاهلنا الجنة ولم نعمل عملا يجازينا اي
يجازينا الله به بتلك العمل الجنة بان يجعله سببا لدخولها فاسناد المجازاة
للعمل مجاز عقلي من اسناد الفعل الى سببه وفي نسخة تجازينا به الجنة
وهي ظاهرة فيقول الله تعالى ادخلا الجنة فاني اليت اي حلفت
على نفسي والايلا انما يتعدى بعلى للمحلوف عليه وضمن في قوله تعالى
الذين يولون من نسايهم معنى البعد فعدي بمن كما في البيضاوي فكان
الظاهر اليت على ان لا يدخل لكنه ضمن معنى فرضت او كتبت على نفسي ان لا
يدخل النار من اسمه احمد ولا محمد وهذا ان العبدان اسم احدهما احمد والاخر
محمد ويحتمل ان كلا اسمه احمد ومحمد وروى ابو نعيم عن نبيط بضم النون وفتح
الموحدة وسكون التحتية وطا مهملة ابن شريط بفتح المعجمة وكسر
الرا كما في الجامع والاصابة فلا عبرة بقول القاموس كزبير فاهل الفن
اعلم به ابن انس بن مالك بن هلال الاشجعي نزل الكوفة له ولابيه صحبة
روى احمد عنه اني لرديف ابي في حجة الوداع اذ تكلم النبي صلى الله عليه
وسلم فوضعت يدي على عاتق ابي فسمعته يقول ان دماكم واموالكم عليكم
حرام الحديث واخرجه ابن السكن من وجه اخر عن نبيط بن شريط عن ابيه
قال ابن ابي حاتم يعني نبيط بعد النبي صلى الله عليه وسلم زمانا قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالي لا اعذبت
احدا يسمى باسمك محمد احمد في النار قيل اعف عنه وعن علي بن ابي طالب
قال ما من مايدة وضعت فحضر عليها من اسمه احمد او محمد الا قدس
الله ذلك المنزل كل يوم مرتين رواه ابو منصور الديلمي وهو موقوف

لفظا مرفوع حكما اذ لامدخل فيه للراي وقد ورد مرفوعا اخرج ابن عدي
عن جابر ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ما اطعم طعام علي مايدة ولاجلس
عليها وفيها اسمي الا وقدسوا كل يوم مرتين وفيه احمد بن كنانة قال
وقال في اللسان كالميزان حديث مكذوب وتعقب ذلك السيوطي فقال
قد وجدت للحديث طريقا اخر ليس فيه احمد بن كنانة اخرجه ابو سعد النقاش
في معجم شيوخه عن جابر به ورجاله ثقات انتهي وحديث علي المذكور شاهد
له واخرج الحاكم في تاريخه والديلمي والخطيب عن علي رفعه اذا سميتم الولد محمدا
فاكرموه واوسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها اي لا تقولوا قبح الله وجهك
او لا تنسبوه الي القبح في شي من اقواله وافعاله وكني بالوجه عن الذات
واخرج البزار عن ابي رافع مرفوعا اذا سميتم محمدا فلا تضربوه ولا تحرموه
وروي البزار وابو يعلي والحاكم عن انس رفعه تسمون اولادكم محمدا ثم
تلعنونهم وهذا استفهام انكاري بحذف الاداة انكر اللعن اجلالا لاسمه
كما منع ضرب الوجه تعظيما لصورة ادم وشذ من اخذ من الحديث منع التسمية به
لان مدلوله النهي عن لعن من اسمه محمد لا عن التسمية به واخرج الطرايفي وابن
الجوزي عن علي مرفوعا ما اجتمع قوم قط في مشورة وفيهم رجل اسمه محمد
لم يدخلوه في مشورتهم الا لم يبارك لهم فيه وذكر بعض الحفاظ انه لم يصح
في فضل التسمية بمحمد حديث وزعم ابن تيمية ان كلما ورد فيه متعقب وروي
ابن سعد مرسلا ما ضر احدكم لو كان في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقال
مالك ما كان في اهل بيت اسم محمد الا كثرت بركته وفي فتاوي السخاوي
ما رواه ابو شعيب الحراني عن عطا من اراد ان يكون حمل زوجته ذكرا فليضع
يده علي بطنها وليقل ان كان ذكرا سميته محمدا فانه يكون ذكرا لم يرد مرفوعا
ورفع بعضهم له اورده ابن الجوزي في الموضوعات ومنها انه ليس لاحد ان
يتكني بكنيته المشهورة المعروفة له قديما ابي القاسم باسم او ولاده
عند الجمهور او لانه يقسم الجنة بين اهلها او لقوله انما جعلت قاسما اقسم
بينكم قال المصنف في اسمايه كنيته المشهورة ابو القاسم كما جا في عدة
احاديث صحيحة ويكني بابي ابراهيم وبابي الارامل وكره ابن دحية
وبابي المومنين ذكره غيره انتهي سواكان اسمه محمدا ام لا
لظاهر حديث الصحيحين عن انس قال نادي رجل رجلا بالبقيع يا ابا
القاسم فالتفت اليه صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لم اعنك
انما دعوت فلانا فقال صلي الله عليه وسلم تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي
ومنهم اي العلما من كره الجمع بين الاسم والكنية وجوز الافراد اي
التسمي باحدهما ويشبه ان يكون هو الاصح اذ سبب النهي اشتهاره بابي
القاسم ولذا لا يكره تكنيه ان يكون هو الاصح اذ سبب النهي اشتهاره
بابي القاسم ولذا لا يكره تكنية من اسمه محمد بابي ابراهيم وابي الارامل وابي
المومنين وان كني به المصطفي لانه لم يكن بينا ذي بشي منها وقد قال صلي

الله

الله عليه وسلم لولا اكره ان احول كنيتي التي عرفت بها لتكنيت بابي
ابراهيم كما بدكنانتي جبريل رواه الطبراني ومن الغريب انه قيل بحرم التسمي
التسمي بمحمد والتسمي بالقاسم لئلا يكني ابوه ابا القاسم حكاها المازري
في شرح مسلم وتبعه النووي فاما الثاني فمحتمل واما الثاني فقد قام
الاجماع علي خلافه قال النووي في هذه المسيلة مذاهب فنقلها
فقال الشافعي منع مطلقا لمن اسمه محمد وغيره في حياته وبعده وجوز
مالك الجمع بينهما لمن اسمه محمد وبغيره بعده وبه قال اكثر العلما كما قال عياض
والثالث يجوز لمن ليس اسمه محمدا ومن جوز خص النهي بحياته
لانه صلي الله عليه وسلم اذن لعلي وغيره ان يسموا من يولد لهم بعده محمدا
ويكنوه بابي القاسم فعلم من اذنه اختصاص النهي بحياته ودعوي انه
خص به عليا لا دليل عليها اذ اباح لغيره ذلك ايضا ولذا رجح النووي فقال
وهو الاقرب وان كان اصح عند الشافعية لاطلاق النهي وحكي غيره
المنع مطلقا في حياته والتفصيل بعده بين من اسمه محمد او احمد فيمنع والا
فيجوز قال الحافظ وهذا اعدل المذاهب وقال ابن ابي جمرة بعد
ان اشار الي ترجيح مذهب الجمهور لكن الاولي الاخذ بالمذهب
الاول فانه ابرا للذمة واعظم للحرمة ومنها انه يستحب الغسل لقراءة
حديثه وروايته واستماعه وظاهره ولو سبق الغسل لسبب اخر مع
والتطيب لذلك ويستحب انه لا يرفع عنده اي عند قراءة الاصوات
وقول ابن العربي يجب لعله اراد به تاكد الندب بل يخفض كما في حياته
اذا تكلم تنبيها في مطلق الخفض وان كان الاول مستحبا والثاني واجبا
فان حرمته ميتا كحرمته حيا كما قال ابن العربي قايلا كلامه الماثور بعد
موته في الرفعة مثل كلامه المسموع من لفظه الشريف لاسيما
ان تواتر او صح وكلامه شامع لمنع مساواة صوت قاري الحديث زاد ابو
بكر بن العربي فاذا قرئ كلامه وجب علي كل حاضر ان لا يرفع صوته عليه ولا
يعرض عنه كما كان ويلزمه ذلك عند تلفظه به وقد نبه الله تعالي علي دوام
الحرمة المذكورة علي مرور الازمنة بقوله واذا قرئ القران الاية وكلامه
صلي الله عليه وسلم من الوحي له مثل ما للقران الا معاني مستثني بيانها
في كتب الفقه واذا كان رفع الصوت فوق صوته موجبا لحبوط العمل فما
الظن برفع الارا ونتايج الافكار علي خصمه سنته وما جا به انتهي
ويستحب ان يقرا علي مكان مرتفع عال زاد في الانموذج وقراة
حديثه عبادة يثاب عليها كقراة القران في احدي الروايتين اي والرواية
الثانية اختصاص ذلك بالقران لانا نتعبد بالفاظه والحديث بمعانيه ولذا
جازت روايته بالمعني للعارف ولا يجوز ذلك في القران مطلقا نعم نقل
عن مطرف بن عبد الله بن مطرف اليساري بالتحتانية والمهملة
المفتوحتين ابي مصعب المدني ابن اخت مالك وثقه ابن سعد والدارقطني

وروي عنه البخاري وغيره ولم يصب ابن عدي في تضعيفه مات سنة ع
عشرين ومايتين علي الصحيح وله ثلاث وثمانون سنة قال كان الناس
اذا اتوا مالكا رحمه الله لطلب العلم وهو داخل بيته وطلبوا خروجه
لاقرايهم خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون
تنقد بر اداة الاستفهام اي اتريدون الحديث او المسايل الفقهية نوعيه
للعهد فان قالوا المسايل خرج اليهم في الوقت علي حالته التي هو عليها
وان قالوا الحديث دخل مغتسله المكان الذي اعده للغسل فيه فاغتسل
وتطيب ولبس ثيابا جددا بضم اوله وثانيه جمع جديد كسرير وسرر
وتعمم ولبس ساجه والساج الطيلسان مطلقا او الاخضر او الاسود
وتلقى له منصة بكسر الميم لانها الة علي ما في المصباح وقال غيره بالكسر
والفتح شي عال كالكرسي والسرير من نصصته اذا رفعته وهي في الاصل ما
يوضع للعروس يجلس عليه او يقف عند جلايها فيخرج يجلس عليها وعليه
الخشوع السكينة والوقار ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من
حديث رسول الله عليه وسلم اجلالا له فانه كان يحب الرايحة الطيبة
فجعل مجلس حديثه كمجلسه حيا صلي الله عليه وسلم ولم يكن يجلس علي
تلك المنصة الا اذا حدث فعلم انه انما فعله رعاية للحديث لا لنفسه
قال اسماعيل بن ابي اويس عبد الله بن عبد الله بن عبد الله بن اويس
ابن مالك ابن ابي عامر الاصبحي ابن اخت الامام مالك المدني صدوق
روي عنه الشيخان وروي له الباقون سوي النسائي فاطلق القول بضعفه
مات سنة ست وعشرين ومايتين فقيل له في ذلك اي سيل عن سبب
فعله جميع ما مر فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلي الله
عليه وسلم لنسبته له وروده علي المنافقين ومن علي سنتهم ولا احدث
به الا علي طهارة متمكنا وقال انه ذكر المذكور من الغسل والتطيب
الي اخره عن سعيد بن المسيب اي بواسطة لانه لم يلق سعيدا
لانه مات بعد التسعين وولد مالك ثلاث وتسعين وقد روي عن الزهري
وغيره عن سعيد وقد كره قتادة بن دعامة ومالك الامام وجماعة
التحديث علي غير طهارة حتى كان الاعمش سليمان بن مهران
اذا كان علي غير تيمم لانه بدل الوضو حيث تعذر لشدة اعتنايه
بالحديث ولا شك ان حرمته صلي الله عليه وسلم وتعظيمه وتوقيره
وتوقيره بعد مماته عند ذكره وعند حديثه وسماع اسمه
وسيرته كما كان في حياته ولذا استحبت الصلاة عليه كلما
ذكر صلي الله عليه وسلم والله اعلم زاد في الشفا وكان مالك
يكره ان يحدث في الطريق او وهو قايم وقال احب ان افهم حديث
رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال ابن المبارك كنت مع مالك الي
العقيق فسالته عن حديث فانتهرني وقال كنت في عيني اجل من

ان

ان تسالني عن الحديث ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث
وهو قايم فامر بحبسه فقيل له فقال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام
ابن عمار سال مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق عليه
فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا ومن
انه يكره لقاري حديثه دون غيره من العلوم ان يقوم لاحد قال ابن
ابن الحاج في المدخل لانه اي القيام قلة ادب مع النبي صلي الله عليه
وسلم وقلة احترام وعدم مبالاة ان احيان يقطع حديثه لاجل غيره
فكيف لبدعة وهي القيام وقد كان السلف لا يقطعون حديثه ولا يتحركون
وان اصابهم الضرر في ابدانهم ويتحملون المشقة التي تنزل بهم اذ ذاك
اي وقت التحديث احتراما لحديث نبيهم صلي الله عليه وسلم وحسبك
ما وقع لمالك رحمه الله تعالى في لسع العقرب له تسع عشرة وفي
الشفا ست عشرة مرة فصار يصفر ويتلوي حتى تم المجلس وتفرق
الناس وقال صبرت اجلالا للنبي صلي الله عليه وسلم ولا نبيا فوق له
وهو لم يتحرك لان المراد حركة عنيفة لا التوا وتحمله للمشقة توقيرا
لجنابه بحديثه ان يكون يقرا وهو يتحرك لضر اصابه مع انه معذور
فيما وقع به فكيف بالحركة والقيام اذ ذاك لا لضرورة بل لبدعة
سيما اذا انضاف الي ذلك ما لا ينبغي من الكلام المعتاد نحو ما
حالكم انتم طيبون انتهي كلام ابن الحاج ومنها ان قراء حديثه لا تزال
وجوههم نضرة اي حسنة ذات بهجة وسرور لقوله صلي الله
عليه وسلم نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها رواه
احمد والترمذي وغيرهما باسانيد صحيحة بل قال الحافظ انه مشهور وعده
بعضهم من المتواتر لانه ورد عن اربعة وعشرين صحابيا وسردهم وان قراء
حديثه اختصوا بالتلقيب بالحفاظ والحافظ من حفظ مائة الف
حديث متنا واسنادا ولو متعددا لطرق والاسانيد او من روي ما يحتاج
اليه وروي ابن ابي حاتم عن الزهري قال لا يولد الحافظ الا في كل اربعين
سنة وامر المومنين في الحديث من بين ساير العلماء من المفسرين
والفقها وغيرهم واختصوا ايضا بانهم خلفاوه لقوله صلي الله عليه
وسلم اللهم ارحم خلفايي الذين يأتون من بعدي الذين يروون احاديثي
وسنتي ويعلمونها الناس رواه الطبراني ويقع في بعض النسخ تاخير
هذه عن التي بعدها وتقديمها انسب كما لا يخفي ومنها اي فضايله
التي اختص بها عن امته انه تثبت الصحبة لمن اجتمع به صلي
الله عليه وسلم وان لم يره لعارض كعمي ولو بلا مجالسة ومكالمة ذكرا او
انثى انسيا او جنيا روي عنه ام لا ميز ام لا وقد حنكه او مسح وجهه
او تفل في فيه وهو رضيع علي الاصح لكن احاديث هولاء من قبيل مراسيل كبار
التابعين كما بينه الحافظ ثم هذه صفة في الحقيقة لاصحابه لكن لما كانت يترتب

بتاثيره فيهم حدث من خصايصه او التقدير ومنها نور النبوة الفاض علي
من صحبه وقد يكون هذا اولي لان السياق في خصايصه كما قرره شيخنا
لحظة مومنا في حياته واما من راه بعد موته وقبل دفنه والراجح انه ليس
بصحابي والا لعد من اتفق ان يري جسده المكرم وهو في قبره ولو في هذه
الاعصار وكذلك من كشف له عنه من الاوليا فراه كذلك علي طريق الكرامة
اذ حجة من اثبت الصحبة لمن راه قبل دفنه انه مستمر الحياة وهذه الحياة
ليست دنيوية وانما هي اخروية لا تتعلق لها باحكام الدنيا فان الشهدا احيا
ومع ذلك فالاحكام المتعلقة بهم بعد القتل جارية علي احكام غيرهم من الموتي
وكذا المراد بهذه الروية من اتفقت له وهو يقظان اما مناما فهو وان كان
راه حقا فذلك مما يرجع الي الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية فلذلك لا يعد
صحابيا ولا يجب عليه ان يعمل بما امره به في تلك الحالة قاله الحافظ وقال السخاوي
يخرج من التعريف من راه بعد الموت وقبل الدفن كابي ذويب الهذلي فان
الاخبار الذي هو معني النبوة انقطع وايضا لا يعد ذلك لقيا عرفا وقد
صرحوا بان عدم جعله صحابيا الرجح انتهي فان ارتد ومات عليها فلا يسمي
صحابيا فان عاد فقولان اطبق المحدثون علي عد من وقع له ذلك كالاشعث
ابن قيس الكندي في الصحابة وعلي اخراج احاديثهم في المسانيد وياتي تمام
ذكره ان شا الله تعالي في المقصد السابع **بخلاف التابعي مع الصحابي فلا
تثبت التابعية الا بطول الاجتماع معه** عرفا بحيث يعده من تلقي
عن الصحابي وضبط ما قاله **علي الصحيح عند اهل الاصول** لا المحدثين فالاصح
عندهم كما قال ابن الصلاح والنووي انه من لقي الصحابي كما قاله الحافظ الحاكم
وغيره قال العراقي وعليه عمل الاكثر كمسلم وابن حبان وان لم يسمع من
الصحابي ولم يميز فاشترط ابن حبان تمييزه وقد اشار النبي صلي الله
عليه وسلم الي الصحابة والتابعين بقوله طوبي لمن راني وامن بي وطوبي
لمن راي من راني الحديث فاكتفي فيهما بمجرد الروية انتهي باختصار
واختاره ايضا الحافظ ابن حجر وهو صريح فيه ان فضل التابعية يحصل
بمجرد اللقي والروية وان كانت روايته عن ذلك الصحابي الذي راه لا تصح
الا اذا ثبت سماعه منه والا فهي منقطعة كما بين في علوم الحديث ومن
عكس هذا فقد وهم **والفرق** علي ما صححه الاصوليون ووافقهم طايفة من
المحدثين كالخطيب **عظم مرتبة النبوة** اي نبوته فال عهدية او عوض
عن المضاف اليه وجعلها حسية تقتضي مشاركة الانبيا له في ذلك وان لم
يكن رسولا ويحتاج لنقل صريح لعدم ثبوت الخصايص بالاحتمال **ولعظم
نورها فبمجرد ما** مصدرية **يقع بصره علي الاعرابي الجلف**
بالكسر اي الجافي ووقوع بصره تمثيل لا تقييد فلو راي النبي علي
بعد ولم يره النبي صلي الله عليه وسلم كان صحابيا **ينطق بالحكمة** لشرف
منزلته فيظهر اثر نوره في قلب من لقيه وعلي جوارحه فالاجتماع

به يوثر من النور القلبي اضعاف ما يوثره الاجتماع الطويل بالصحابي
وغيره ولا يشترط ايمان التابعي وقت اجتماعه بالصحابي قال البقاعي وانما
اشترط في الصحبة الايمان لشرفها فاحتيط لها ولانه تعالي شرط في الصحابة
كونهم مع النبي صلي الله عليه وسلم فقال محمد رسول الله والذين معه ولا
يكونون معه الا اذا امنوا به انتهي نعم لو اسلم بعد ما لقيه كافرا وحدث بما سمعه
منه حالتيذ قبل وان لم يكن صبيا صحابيا قال العراقي

• وقبلوا من مسلم تحملا • في كفره كذا صبي حملا •

ومنها ان اصحابه كلهم عدول بتعديل الله تعالي وتعديله عليه السلام
لظواهر الكتاب نحو محمد رسول الله والذين معه الاية **والسنة** فتقبل
رواياتهم ولو كان حجة لفعلهم كرواته علي قتل الخوارج وشهاداتهم لا لثبوت
عصمتهم واستحالة المعصية عليهم كما نص عليه ابن الانباري وغيره واشار
اليه بقوله **فلا يبحث عن عدالة احد منهم** في شهادة ولا في رواية
كما يبحث عن ساير الرواة وغيرهم لانهم خير الامة ومن طرا منهم له منهم
قادح كسرقة وزنا عمل بمقتضاه ولكن لا يفسقون بما يفسق به غيرهم كما
رواه الجلال المحلي في شرح جمع الجوامع فيقبل رواياتهم وشهاداتهم ولو
وقعت كبيرة من بعضهم اقيم حدها ام لا وان لم يبلغنا توبته ومن فوايد
عدالتهم مطلقا انه اذا قيل عن رجل من اصحاب النبي قال سمعت النبي صلي
الله عليه وسلم كان حجة كتعيينه باسمه بخلاف غيرهم فلا يقبل اليهم لاحتمال انه
ليس عدلا وسوا من لابس الفتنة وغيره علي المختار طال اجتماعهم به او قصر وقول
المازري في شرح البرهان لسنا نعني بعبارة الصحابة كل من راه يوما او زاره او
اجتمع به لغرض وانصرف عن قرب بل الذين لازموه وعزروه ونصروه واتبعوا
النور الذي انزل معه قال العلايي الحافظ غريب لا يوافق عليه والجمهور علي
التعميم انتهي ويويده العموم رواية الايمة احاديثهم مطلقا بدون تردد
مع ورود النهي عن روايته عن غير العدل قال صلي الله عليه وسلم لا تاخذوا الحديث
الا عن من تجوزون شهادته رواه الخطيب وغيره عن ابن عباس وقال
ابن سيرين هذا الحديث دين فانظروا عمن تاخذون دينكم وقال
مالك لا تحمل العلم عن اهل البدع ولا تحمله عن من لم يعرف بالطلب ولا عن من
يكذب في حديث الناس وان كان في حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم لا يكذب رواه
ابن عساكر وكان عروة بن الزبير يسمع الحديث يستحسنه ولا يرويه لكونه
لا يثق ببعض رواته لئلا يوخذ عنه رواه الشافعي فلو لم يكن الصحابة
كلهم عدولا لامتنع مالك وغيره من الايمة عن رواية كثير منهم **قال الله
تعالي** خطابا للموجودين حينيذ يعني الصحابة **وكذلك** اي كما هديناكم
الي صراط مستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل **جعلناكم امة وسطا** اي
عدولا مزكين بالعلم والعمل او خيارا وكذا قوله تعالي كنتم خير امة اخرجت
للناس قال الحافظ العراقي قيل اتفق المفسرون علي ان الخطاب في الاية

للصحابة الموجودين انتهى لكن البيضاوي والجلال جعلا الخطاب لامة محمد
الشامل لهم ولمن بعدهم الى يوم القيامة ويؤيده حديث البخاري وغيره في
مجي الامم تبليغ انبيائهم فيؤتى بامته فيشهدون بالبلاغ ويزكيهم النبي صلى
الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان الخطاب للصحابة حقيقي لوجودهم وان كان المراد
ما يشملهم وغيرهم لاشتراك الجميع في الحكم وقال عليه السلام فيما اخرجه الشيخان
واصحاب السنن من حديث ابي سعيد الخدري وفي بعض طرقه عند مسلم قال كان
بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شي فسبه خالد فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق احدكم
وفي رواية فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا كل يوم كما زاد في رواية البرقاني
قال وهي زيادة حسنة ما بلغ مد احدهم بضم الميم مكيال معروف وحكى الخطابي
انه روي بفتح الميم قال والمراد به الفضل والطول ذكره الحافظ وتوقف الدماميني
فقال لا ادري هل اراد انه روي في البخاري او رواية في الحديث في الجملة
فينبغي تحريره انتهى وهو تشكيك لا طائل تحته فالمتبادر انه في البخاري
ولا نصيفه اي المد من كل شي بوزن رغيف اي نصفه كما يقال عشر وعشير
وثمن وثمين وقيل النصف مكيال دون المد ذكره الفتح وقال تلميذه شيخ الاسلام
زكريا بفتح النون وضمها مصغرا اي نصفه والنصف مثلث النون فمجموع ذلك
خمس لغات انتهى قال البيضاوي معنى الحديث لا ينال احدكم بانفاق مثل احد
ذهبا من الاجر والفضل ما نال احدهم بانفاق مد او نصفه وسبب التفاوت
ما يقارن الافضل من مزيد الاخلاص وصدق النية قال الحافظ واعظم من ذلك
في سبب الافضلية عظم موقع ذلك لشدة الاحتياج اليه واشار بالافضلية بسبب
بسبب الانفاق الى الافضلية بسبب القتال كما في اية لا يستوي منكم من انفق من
قبل الفتح وقاتل وفيها اشارة الى موقع السبب الذي ذكرته وذلك ان الانفاق
والقتال كان قبل فتح مكة عظيما لشدة الحاجة اليه وقلة المعتني به بخلاف ما وقع
بعد ذلك لان المسلمين كثروا بعد الفتح ودخل الناس في دين الله افواجا فلا يقع ذلك
الموقع المتقدم انتهى وسبقه الطيبي فقال يمكن ان يقال فضيلتهم بحسب فضيلة
انفاقهم وعظم موقعها كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وهذا
في الانفاق فكيف بمجاهدتهم وبذلهم ارواحهم ومهجهم قال الحافظ وفي قوله
فلو ان احدكم اشعار بان المراد بقوله اصحابي اصحاب مخصوصون والا فالخطاب
كان للصحابة وقد قال لو ان احدكم انفق وهذا مثل قوله تعالى لا يستوي الاية
ومع ذلك فنهي بعض من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وخاطبه بذلك عن سب
من سبقه يقتضي زجر من لم يدركه ولم يخاطبه عن سب من سبقه من باب اولى
وغفل من قال يعني الكرماني الخطاب بذلك لغير الصحابة والمراد من سيوجد من
المسلمين المفروضين في العقل تنزيلا لمن سيوجد منزلة الموجود للقطع بوقوعه
ووجه التعقب عليه وقوع التصريح في نفس الخبر بان المخاطب بذلك خالد بن الوليد
وهو من الصحابة الموجودين بذلك اذ ذاك بالاتفاق انتهى وتعقبه العيني بان الحديث

الذي فيه قصة خالد لا يدل على انه المخاطب بذلك الخطاب وان سلمنا انه المخاطب
فلا نسلم انه كان اذ ذاك صحابيا بالاتفاق اذ يحتاج الى دليل ولا يظهر ذلك الا
بالتاريخ ولم يجب الحافظ في انتقاض الاعتراض عن هذا التعقب لسقوطه
فان عدم تسليمه صحبته حينئذ مع وجود الاتفاق عليها مجرد مكابرة وعناد
وقد قال في خطبة الانتقاض انه انما يجيب على الاعتراض الذي له نوع تماسك
وقال الشيخ زكريا الخطاب للحاضرين من الصحابة ولغيرهم ولو من غير الصحابة
ففيه تغليب الحاضر على الغائب انتهى وقال عليه السلام فيما رواه الشيخان
وغيرهما من حديث ابن مسعود خير الناس اهل قرني اي عصري من الاقتران
في الامر الذي يجمعهم يعني اصحابي ومن رآني او من كان حيا في عهدي قال
الحافظ ومدتهم من البعثة مائة وعشرون سنة او دونها او فوقها بقليل
على الخلاف في وفاة ابي الطفيل اخر من مات من الصحابة وان اعتبر ذلك
من بعد وفاته صلى الله عليه وسلم كان مائة سنة او تسعين او سبعا وتسعين
وفي رواية للشيخين خير امتي قرني ثم الذين يلونهم اي القرن الذي بعدهم
وهم التابعون ومدتهم نحو سبعين او ثمانين سنة ان اعتبر من سنة مائة ثم
الذين يلونهم وهم اتباع التابعين نحو من خمسين الى حدود العشرين ومائتين
قال الحافظ فظهر بهذا ان مدة القرن تختلف باختلاف اعمار كل زمان واتفق
ان اخر من كان من اتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش الى حدود العشرين
ومائتين وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورا فاحشا واطلقت المعتزلة السنتها
ورفعت الفلاسفة رؤوسها وامتحن العلما ليقولوا بخلق القران وتغيرت الاحوال
تغيرا شديدا ولم يكن الامر في نقص الى الان وظهر قوله صلى الله عليه
وسلم ثم يفشو الكذب ظهورا بينا حتى يشمل الاقوال والافعال والمعتقدات والله
المستعان قال ووقع في رواية ابي الزبير عن جابر عند مسلم ذكر طبقة رابعة وهي
شاذة واكثر الروايات مقتصر على ذلك الثلاثة ثم الجمهور على ان ذا الفضل باعتبار
الافراد وقال ابن عبد البر باعتبار المجموع ويأتي ان شا الله تعالى مزيد لذلك
في المقصد وقبله في خصائص الامة قريبا في اي مع ايات كثيرة وحديث
كثيرة جدا تقتضي تعديلهم ولذلك اجمع من يعتد به على ذلك من المسلمين
وهم اهل السنة والجماعة كما في الاستيعاب سواء في التعديل من لابس الفتنة
الواقعة من حين قتل عثمان كالجمل وصفين منهم وغيره وهو من لم يلابسها
خلافا لمن قال لا يحكم بعدالة من لابسها حتى يبحث عنه لان احد الفريقين فاسق
وقيل يقبل الداخل فيها اذ الفرد لاصل العدالة وشككنا في ضدها يقبل اذ لو
لتحقق ابطال احدهما من غير تعيين وقيل القول بالعدالة مختص بمن اشتهر منهم
ومن عداهم كسائر الناس والصحيح الاول لوجوب حسن الظن بهم حملا
للملابس على الاجتهاد الواقع منه المقتضي لجواز فعله بل قد يؤديه الى
وجوبه ولا التفات الى ما يذكره الاخباريون فاكثره لم يصح وما صح فله تاويل
صحيح وما احسن قول عمر بن عبد العزيز تلك دما طهر الله منها سيوفنا فلا

تخصب به السنتنا ونظر الى ما تمهد لهم من الماثر الجليلة من
امتثال اوامره عليه السلام وفتحهم الاقاليم بعده وتبليغهم
عنه الكتاب والسنة وهدايتهم الناس مع مواظبتهم على
الصلوات والزكوات وانواع القربات مع الشجاعة والبراعة كالفضل
في العلم والشجاعة وغيرها والكرم والاخلاق الحميدة التي لم تكن في
امة من الامم المتقدمة ولا يكون احد بعدهم مثلهم في ذكر بحلول
نظره عليه الصلاة والسلام وقد قال محمد بن كعب القرظي اوجب الله لجميع
الصحابة الجنة محسنهم ومسيئهم قال ابن جرير ورد نص النبي صلى الله عليه
وسلم بالبشارة والشهادة بالجنة لغير العشرة كالحسنين وامهما وجدتها
وجمع الكثير من يحصوا انتهى واشار بذلك الى انه لا تدافع بينه وتبشير العشرة
في حديث واحد لان العدد لا ينفي الزائد وروى الترمذي وصححه الضيا
عن بريدة رفعه من احد من اصحابي يموت بارض الا بعث قايدا ونورا
لهم يوم القيامة اي الا بعث ذلك الصحابي قايدا لاهل تلك الارض الى الجنة
ونورا لهم يسعى بين ايديهم فيمشون في ضوئه واطلاقه شامل للذكر وغيره وطويل
صحبته وملازمته ولغيره وقد عد هذا بعضهم من خصايصه وافضلهم
عند اهل السنة اجماعا منهم ابو بكر ثم عمر والزاما للشيعة بما صح عن علي
انهما خير منه واما بعدها فالجمهور على انه عثمان ثم علي ومنهم من
قدمه ومنهم من وقف وسياتي مزيد لذلك ان شا الله تعالى في
المقصد السابع مع فوايد نفيسة ومنها ان المصلي يخاطبه بقوله
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته كما في حديث التشهد والصلاة
صحيحة ولا يخاطب غيره من الخلق ملكا او شيطانا او جمادا او ميتا ولا ينافيه
قوله صلى الله عليه وسلم لابليس المنكر ألعنك بلعنة الله لانه خصوصية او خطاب
نفسي لا لما قيل انه قبل تحريم الكلام في الصلاة لانه كان بالمدينة وتحريمه قبلها
ومنها انه كان يجب على من دعاه وهو في الصلاة ان يجيبه ويشهد
له حديث ابي سعيد بكسر المهملة ابن المعلى الانصاري المدني قال ابن عبد البر
اسمه الحارث بن نفيع ابن المعلى على الاصح ومن قال رافع بن المعلى فقد وهم
لانه قتل ببدر مات سنة اربع وسبعين وقيل سنة ثلاث قالوا وعاش اربعا وستين
سنة قال في الاصابة وهو خطا فانه يستلزم ان تكون صحبته مع النبي صلى
الله عليه وسلم وهو صحيح وسياق الحديث يابى ذلك روى البخاري في تفسير
الفاتحة عنه قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم اجبه وللبخاري في تفسير الانفال فلم اته حتى صليت ثم
اتيته فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم لما يحييكم ثم قال لي لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القران قبل ان تخرج
من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج قلت له الم تقل لاعلمنك سورة
في القران قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته هذا لفظه فاقتصر

المصنف

المصنف على حاجته منه مشيرا الى ما حذفه بقوله الحديث وفيه الم يقل الله
تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم من امر الدين لانه سبب
للحياة الابدية فاجابته فرض يعصي المرء بتركها اتفاقا واختلف العلما
هل تبطل الصلاة بذلك ام لا صرح جماعة من اصحابنا الشافعية وغيرهم
كالعلامة بهرام من المالكية في طايفة منهم انها لا تبطل ولو فرضا بل هي صحيحة
ولو اجابه بالفعل فتجب ولا تبطل على الراجح قال الاسنوي وهو المتجه قال الحمزي
ومحله اذا اقتصر على لفظ يفهم منه الجواب كنعم او لبيك فان زاد بطلت فيما يظهر انتهى
لكن قال الرملي لا فرق بين قليل الاجابة وكثيرها بالقول والفعل فلو سال مصليا
عن شيء وجبت اجابته وصحت صلاته كالحنفية بعض بدعايه اما لو ابتداه المصلي بالكلام
فان تعلق بنحو الصلاة والسلام عليه اغتفر والا كحاكه او نصرك الله بيوم بدر فالمتجه
البطلان لانه كلام اجنبي غير محتاج اليه ولا دعا فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ولا
جواب وفيه بحث لاحتمال ان تكون اجابته واجبة مطلقا سواء كان
المخاطب مصليا او غير مصل اما كونه يخرج من الصلاة بالاجابة او يبطلها
او لا يخرج لعدمه فليس في الحديث اي حديث ابن المعلى المذكور ما هنا
ما يستلزمه ويدل عليه فيحتمل ان تجب الاجابة ولو خرج المجيب من
الصلاة كما لو وجب الكلام لنحو انقاذ اعمى فتبطل به الصلاة والى ذلك
جنح بعض الشافعية وبعض المالكية ايضا وهو ضعيف والمعتمد في
المذهبين الصحة والله اعلم بالحكم وهذا اخذه المصنف من فتح الباري وزاد
في الانموذج وكذلك الانبيا اي تجب اجابتهم ولا تبطل الصلاة وفي التحفة
والحق به عيسى اذا نزل ولعل قايله غفل عن جعل هذا من خصايص نبينا
على الامة لا على بقية الانبيا وهو بعيد من كلامهم كذا قال ويوافقه قول بعض
تنس اجابة عيسى وتبطل بها الصلاة والسيوطي حجة في النقل وقد جزم بان
الانبيا مثله ومنها ان الكذب اي الاخبار عنه بشي على خلاف ما هو عليه ولو
في غير الاحكام كنحو ترغيب وترهيب ووعظ ليس كالكذب على غيره كما قال
صلى الله عليه وسلم ان كذبا علي ليس ككذب على احد فمن كذب علي متعمدا فليتبوا
مقعده من النار اخرجه الشيخان من حديث المغيرة وابو يعلى والبزار وكثيرون
عن سعيد بن زيد وظاهره حتى على الانبيا عليهم السلام وكان حكمة ذلك انه لا يصير
شرعا مستمرا لانه يصدر بعثة نبي بعده تبين ما كذب عليه بخلاف نبينا فلا
نبي بعده فمن قال الانبيا مثله فيما يظهر فيه نظر للفرق واديما فالخصايص انما
تثبت بدليل صحيح لا بالاحتمال ولا مفهوم لقوله علي انه لا يتصور ان يكذب له
لنهيه عن مطلق الكذب وقد اغتر قوم من الجهلة كالكرامية فجوزوا وضع
احاديث في الترغيب والترهيب وقالوا انه كذب له لا عليه وهذا جهل باللغة
العربية وما رووا من قوله صلى الله عليه وسلم من نقل عني ما لم اقل فليتبوا
الكذب على الله لانه اثبات حكم لانه كان في الايجاب او الندب وكذا مقابلهما
وهو الحرام والمكروه وقد اشتد النكير على من كذب على الله في قوله فمن اظلم

تعالى ثم

من افترى على الله كذبا او كذب باياته فسوى بين من كذب على الله وبين
الكافر وقال ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
والايات في ذلك متعددة فلذا اشتد في الكذب عليه صلى الله عليه وسلم
وتمسك بعضهم بما ورد في بعض طرق الحديث من زيادة لم تثبت وهي ما
اخرجه البزار عن ابن مسعود من كذب علي ليضل به الناس الحديث ورجح
الدارقطني والحاكم ارساله ورواه الدارمي عن يعلى بن مرة بسند ضعيف
وعلى تقدير ثبوته فليست اللام للعلة بل للصيرورة كقوله تعالى فمن اظلم
ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس والمعنى ان مآل امره الى الاضلال
وهو من تخصيص بعض افراد العموم بالذكر فلا مفهوم له كقوله لا تأكلوا الربا
اضعافا مضاعفة ولا تقتلوا اولادكم من املاق فقتلهم ومضاعفة الربا
والاضلال انما هو لتاكيد الامر فيها لا لاختصاص الحكم كما قاله الحافظ رحمه
الله قال وقوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من
النار رواه عنه خلق كثير من الصحابة واعتنى جماعة من الحفاظ بجمع
طرقه فاول من وقفت على كلامه في ذلك علي بن المديني وتبعه يعقوب بن
شيبة فقالا انه ورد عن عشرين صحابيا ثم ابراهيم الحربي والبزار فقالا
ورد عن اربعين صحابيا وزاد ابن صاعد قليلا وقال الصيرفي رواه ستون
وجمع الطبراني طرقه فزاد قليلا وزاد ابن منده رواه اكثر من ثمانين وجمع
ابن الجوزي طرقه في مقدمة الموضوعات فجاوز تسعين وبه جزم ابن دحية
وقال ابو موسى المديني يرويه مائة صحابي وجمعها بعده الحافظ المزي وابو
علي البكري وهما متعاصران فوقع لكل ما ليس عند الاخر ومجموع ما ذكراه مائة
على ما فيها من صحيح وحسن وضعيف وساقط مع ان فيها ما هو في مطلق ذم
الكذب عليه من غير تقييد بهذا الوعيد الخاص ونقل النووي انه جاء عن مائتين
من الصحابة ولاجل كثرة طرقه اطلق جماعة انه متواتر ونازع بعض
مشايخنا في ذلك بان شرط التواتر استواء طرفيه وما بينهما في الكثرة وليست
موجودة في كل طريق بمفردها واجيب بان المراد باطلاق كونه متواترا رواية
المجموع عن المجموع من ابتدائه الى انتهائه في كل عصر وهذا كاف في افادة العلم
وايضا فطريق انس وحدها قد رواها عنه العدد الكثير وتواترت عنهم وحديث
علي رواه عنه ستة من مشاهير التابعين وكذا حديث ابن مسعود وابي هريرة
وعبد الله بن عمرو فلو قيل في كل منها انه متواتر عن صحابيه لكان صحيحا فان
العدد المعين لا يشترط في المتواتر بل ما افاد العلم كفى والصفات العلية في
الرواية تقوم مقام العدد او تزيد عليه كما قررته في نكت علوم الحديث وشرح
النخبة وبينت هناك الرد على من ادعى ان مثال المتواتر لا يوجد الا في هذا
الحديث فان امثلته كثيرة كحديث من بنى لله مسجدا والمسح على الخفين ورفع
اليدين والشفاعة والحوض ورؤية الله في الاخرة والائمة من قريش وغير
ذلك واما ما نقله البيهقي عن الحاكم ووافقه انه جاء من رواية العشرة وليس

في

الدنيا حديث اجمع العشرة على روايته غيره فقد تعقبه غير واحد لكن الطرق
عنه موجودة فيما جمعه ابن الجوزي فمن بعده والصحاح منها علي والزبير والحسان
وطلحة وسعد وسعيد وابو عبيدة ومن الضعيف المتماسك طريق عثمان وبقيتها
ضعيف او ساقط ويخالفه قوله قبل وصح ايضا في غير الصحيحين من حديث عثمان
ابن عفان فانه قال اولا انه في الصحيحين من حديث علي وانس وابي هريرة
والمغيرة وللبخاري عن الزبير وواثلة بن الاسقع وعبد الله بن عمرو بن العاص
ولمسلم عن ابي سعيد وصح ايضا في غير الصحيحين عن عثمان وابن مسعود وابن
عمر وابي قتادة وجابر وزيد بن ارقم وورد باسانيد حسان عن طلحة وسعيد بن
زيد وابي عبيدة ومعاذ بن جبل وعقبة بن عامر وعمران وسلمان ومعاوية
ورافع بن خديج وطارق الاشجعي والسائب بن يزيد وخالد بن عرفطة وابي
امامة وابي قرصافة وابي موسى وعائشة فهؤلاء ثلاثون من الصحابة وورد ايضا
عن نحو خمسين غيرهم باسانيد ضعيفة وعن نحو عشرين اخرين باسانيد ساقطة
انتهى وقد استبعد العراقي في شرح الالفية قول النووي جاء عن مائتين من الصحابة
قال السخاوي ولعلها تصحفت من ثمانين وهذا اقرب من قول شيخنا لعله تصحف من
مائة انتهى ونقل بعض عن ابن دحية انه جاء من اربعمائة طريق خلاف نقل الحافظ
عنه ازيد من تسعين وتبعه تلميذه السخاوي ومن كذب عليه لم تقبل روايته
عطف على عليه على معلول ابدا وان تاب بخلاف الكذب على غيره فتقبل ان تاب
فيما ذكره جماعة من المحدثين كالامام احمد وعبد الله بن الزبير الحميدي
شيخ البخاري وابن معين وغيرهم وقال عبد الرزاق ابن همام الصنعاني
الثقة الحافظ المصنف الشهير اخبرنا معمر بن راشد الازدي مولاهم
البصري نزيل اليمن ثقة ثبت عن رجل لم يسم عن سعيد بن جبير
الاسدي مولاهم الكوفي ثقة ثبت فقيه تابعي روايته عن عائشة وابي
موسى ونحوهما مرسلة قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين وله تسع
واربعون سنة وكونه من اوسط التابعين معلوم عند من له ادنى المام
بالفن من ان سياق المصنف يقتضي انه صحابي وليس كذلك ان رجلا كذب
على النبي صلى الله عليه وسلم لفظ رواية عبد الرزاق عن سعيد قال
جاء رجل الى ناس من الانصار فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني
اليكم وزوجني فلانة فبعث عليا والزبير فقال اذهبا فان
ادركتماه فاقتلاه وما اراكما تدركانه فوجداه ميتا من لدغة حية وهذا
بقية الحديث قال البيهقي وقد سمي هذا الرجل في رواية عطا بن السائب
عن عبد الله بلفظ ان جد جد الجندعي فذكره وهو بجيمين مضمومتين بينهما
دال مهملة صحابي كما في الاصابة ولهذا الحديث قال امام الحرمين
عن ابيه الشيخ ابي محمد الجويني وكان الاولى ان يقول وكذا قال الجويني
كما حكاه ابنه ان الحديث ليس علة لحكاية الامام عن ابيه بل علة لقول
ابيه بذلك والخطب سهل اذ من تعمد الكذب على النبي صلى الله

وفي نسخة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يكفر لكن ولا حجة في
الحديث لضعفه اذ فيه راو متهم اي لم يسم مع انه مرسل وعلى تقدير صحته فهي
قضية عينية يتطرق اليها الاحتمال لكن لتستحق منه علة بانه كافر اصلي لانه صحابي
كما رايت وكذا ضعفه امام الحرمين قول ابيه وضعفه من بعده ايضا كما في
الفتح ايضا ولم يوافقه احد من الايمة على ذلك فيه نظر وفي الفتح مال
ابن المنير الى اختياره ووجهه بان الكاذب عليه في تحليل حرام مثلا لا ينفك
عن استحلال ذلك الحرام او الحمل على استحلاله واستحلال الحرام كفر والحمل على الكفر
كفر وفيما قاله نظر لا يخفى والجمهور على انه لا يكفر الا ان اعتقد حل ذلك انتهى
والحق انه اي تعمد الكذب عليه فاحشة عظيمة فلو تعمد الكذب ولم يكن من
الواقع كذبا بان صادف الواقع لم يدخل في الوعيد لان اثمه من جهة قصده وموبقة
مهلكة مصغر روبق كبيرة لكن لا يكفر بها الا ان استحله قال بعض وكلام
الجويني يحمل على ذلك وفيه نظر اذ لو حمل على ذلك ما خالفه احد قال في الفتح
فان قيل الكذب معصية الا ما استثني في الاصلاح وغيره والمعاصي قد توعد
عليها بالنار فما الذي امتاز به الكاذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من
الوعيد على من كذب على غيره فالجواب من وجهين احدهما ان الكاذب عليه عمدا
يكفر عند الجويني ثم قال القائل ان الكذب عليه كبيرة والكذب على غيره صغيرة
فافترقا ولا يلزم من استواء الوعيد في حق من كذب عليه او كذب على غيره ان
يكون مقرهما واحدا او طول اقامتهما سواء فقد دل قوله صلى الله عليه وسلم فليتبوأ
على طول الاقامة فيها بل ظاهره انه لا يخرج منها لانه لم يجعل له منزلا غيره لكن
الادلة القطعية قامت على ان خلود التابيد مختص بالكافرين وقد فرق بين
الكذب عليه وبين الكذب على غيره بقوله ان كذبا علي ليس ككذب على احد وقال
فليتبوأ امر بمعنى الخبر او التهديد او التهكم او دعاء اي بواه الله ذلك وقال الكرماني
يحتمل انه على حقيقته والمعنى من كذب فليامر نفسه بالتبوء ويلزم عليه كذا قال
واولها اولاها فقد رواه احمد باسناد صحيح عن ابن عمر بلفظ يبني له بيت في
النار قال الطيبي فيه اشارة الى معنى القصد في الذنب وجزائه اي كما انه قصد
في الكذب التعمد فليقصد في جزائه التبوء وقال النووي في شرح له مسلم لم ار
له اي للقول بعدم رواية الكاذب عليه اذا تاب في اصل المسئلة دليلا يعتمد
به وخبر ابن جبير ضعيف لا يعتد به وبفرضه يحتمل التاويل كما مر ويجوز ان
يوجه بان ذلك جعل تغليظا وزجرا بليغا عن الكذب عليه صلى الله عليه وسلم
لعظم مفسدته فانه اي الكذب عليه اذا قبل ونقل يصير شرعا مستمرا
الى يوم القيامة بخلاف الكذب على الشهادة فان مفسدتها قاصرة
ليست عامة صفة كاشفة ثم قال وهذا الذي قاله هولاء الايمة من
عدم قبول روايته ولو تاب ضعيف مخالف لقواعد الشرع ان التوبة مقبولة
والمختار القطع الجزم بصحة توبته وقبول توبته بعدها اذا صحت توبته
بشروطها المعروفة قال فهذا هو الجاري على قواعد الشرع دون

ما

ما قاله اولئك الايمة وقد اجمعوا على صحة رواية من كان كافرا فاسلم
واجمعوا على قبول شهادته ولا فرق بين الرواية والشهادة في هذا
قال شيخنا السخاوي في شرح الالفية تعقبا على النووي ويمكن ان يقال فيما
اذا كان كذبه في وضع حديث وحمل عنه ودون ان الاثم غير منفك
عنه بل هو لاحق له ابدا فان من سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر
من عمل بها الى يوم القيامة والتوبة حينئذ متعذرة ظاهرا وان
وجد مجرد اسمها فانما تصح عند من قال بها بالنظر لاثم الكذب نفسه لا لما ترتب
عليه وتولد منه قال اعني السخاوي ولا يستشكل بقبولها ممن لم يمكنه التدارك
برد او محاللة فالاموال الضائعة لها مرد وهو بيت المال والاعراض قد انقطع
تجدد الاثم بسببها فافترقا وايضا فعدم قبول توبة الظالم ربما يكون باعثا له
على الاسترسال والتمادي في غيه فيزداد الضرر به بخلاف الراوي فانه لو
اتفق استرساله واستمراره بالكذب مانع من قبول متجدداته وايضا فقبول توبته
قد يجبهر بتشهير على من حمل عنه كذبه فيبعثه على التمسك بما رواه عنه بل قال
الذهبي من عرف بالكذب على الرسول لا يحصل لنا ثقة بقوله اني تبت يعني كحمل
قبول مثله في المعترف بالوضع وكما اتفق لزياد بن ميمون اذ تاب بحضرة ابن مهدي
والطيالسي وقال لهما ارايتما رجلا يذنب فيتوب اليس يتوب الله عليه قالا نعم
ثم بلغهما انه نقل عن من اعترف لهما بكذبه في سماعه منه فاتياه فقال لهما ايضا
اتوب ثم بلغهما ايضا التحديث عنه فتركاه اخرجه مسلم في مقدمة صحيحه انتهى
وقال شيخ الاسلام زكريا وقد كنت ملت لما قاله النووي ثم ظهر لي ان الاوجه ما
قاله الايمة لما مر يعني من الفرق بين الرواية والشهادة وهو ان الحديث حجة لجميع
المكلفين وفي جميع الاعصار وكان حكمه اغلظ لان مفسدتها عام مبالغة في الزجر
عن الرواية له بلا اتقان وعن الكذب فيه عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ان كذبا
علي ليس ككذب على احد قال ويؤيده قول ايمتنا ان الزاني اذا تاب لا يعود
محصنا ولا يحد قاذفه واما اجماعهم على صحة رواية من كان كافرا فاسلم فلنص
القران على غفران ما سلف منه ومنها انه يحرم نداؤه من وراء الحجرات
اي من خارج حجرات نسائه قال الله تعالى ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات بان اتوها حجرة حجرة فنادوه او تفرقوا عليها متطلبين له
لانهم لم يعلموه بايها اكثرهم لا يعقلون بحكمك الرفيع وما يناسبه من
التعظيم اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة عطف
سبب على مسبب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم
اي لكان الصبر خيرا من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم
الرسول صلى الله عليه وسلم الموجبين للثناء والثواب وهذه انزلت
في وفد بني تميم وسبقت قصتهم في المقصد الاول وفيه تسلية له صلى الله
عليه وسلم وتلميح بالصفح عنهم خصوصا بقوله والله غفور رحيم ومنها انه
يحرم الجهر له بالقول قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا

اصواتكم اذا نطقتم فوق صوت النبي اذا نطق ولا تجهروا له بالقول
اذا ناجيتموه كجهر بعضكم لبعض بل دون ذلك اجلالا له ان تحبط اعمالكم
وانتم لا تشعرون اي خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين روى البخاري
عن ابن ابي مليكة قال كاد ان يهلك ابو بكر وعمر لما قدم وفد بني تميم فقال ابو بكر
امر القعقاع بن معبد وقال عمر امر الاقرع بن حابس فقال ابو بكر لعمر انما اردت
خلافي فقال عمر ما اردت خلافك فارتفعت اصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله عظيم قال ابن
ابي مليكة قال ابن الزبير فكان عمر بعد اذا حدث النبي صلى الله عليه وسلم بحديث حدثه
كاخي السرار لم يسمعه حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن ابيه يعني ابا بكر وقال ابن
عباس لما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي كان ابو بكر
لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار قال المصنف بكسر
السين المهملة اي كصاحب السرار اي لا يرفع صوته اذا حدثه بل يكلمه كلاما مثل
المسارة وشبهها لخفض صوته قال الزمخشري ولو اريد باخي السرار المسارر
كان وجها والكاف على هذا في محل نصب على الحال يعني لان التقدير حدثه حديثا
مثل المسارة انتهى فهو بزاءين بينهما الف كما في النسخ ومثله في صحيح البخاري كما
رايت وصحفه من قال السر فاسقط منه الالف والرا فقال اي كالاخ الذي يريد
سارة اخيه بما يريد كتمه فلا يجب ان يطلع عليه غيره فيخفي كلامه عند مساررته
غاية الاخفا فهذا صحيح في نفسه لكن ليس هو الرواية وروي انه صلى الله
عليه وسلم ما كان يسمع عمر حتى يستفهمه مما يخفض صوته ما مصدرية
قال الحافظ واما خبر ابن عباس وجابر في الصحيح ان نسوة كن يكلمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عالية اصواتهن فالظاهر انه كان قبل النهي ويحتمل ان علو الصوت
كان بالهيبة الاجتماعية لا انفراد كل منهن وقال غيره انه بعده لكنهن لم يعلمن به
ورد بانه كان يجب عليه بيان الحكم لهن ولم ينقل وكان ثابت بن قيس بن شماس
خطيبه صلى الله عليه وسلم وخطيب الانصار في اذنه وقر بسكون القاف صمم
وكان جهوريا اي عالي الصوت فلما نزلت تخلف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم نقعد في بيته واغلق بابه فتفقده المصطفى ودعاه فقال يا رسول
الله لقد انزلت عليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف
ان يكون عملي قد حبط فقال عليه الصلاة والسلام لست هناك اي
في ذلك الموضع الذي يحبط فيه الاعمال او الهل والمعنى لست ممن يحبط عمله انك
تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وعند ابن سعد والدارقطني
فقال له صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا او تدخل
الجنة واخرجه ابن جرير وقال في اخره فعاش حميدا وقتل شهيدا قال
وكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا وفي رواية
اظهرنا فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة بكسر اللام الكذاب راى
ثابت من بعض المسلمين بعض الانكشاف وانهزمت طائفة منهم

فقاتل حتى قتل وظهر بذلك مصداق خبره صلى الله عليه وسلم وروى ابن ابي
حاتم قال انس فكنا نراه يمشي بين اظهرنا ونحن نعلم انه من اهل الجنة فلما كان يوم
اليمامة كان في بعضنا بعض الانكشاف فاقبل وقد تكفن وتحنط فقاتل حتى قتل
واخرج البخاري عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت بن قيس فقال
رجل انا اعلم لك علمه فاتاه فوجده جالسا في بيته منكسا راسه فقال ما شانك
فقال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو
من اهل النار فاتى الرجل النبي فقال انه قال كذا وكذا فرجع المرة الاخرى ببشارة
عظيمة فقال اذهب اليه فقل له انك لست من اهل النار ولكن من اهل الجنة واخرجه
مسلم من وجه اخر عن انس سال النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ ما شان
ثابت اشتكى فقال انه لجاري وما علمت له شكوى الحديث وروى ابن المنذر من طريق
اخر عن انس فقال سعد بن عبادة هو جاري الحديث قال الحافظ وهذا اشبه بالصواب
لان ابن عبادة من قبيلة ثابت فهو اشبه ان يكون جاره من ابن معاذ لانه من قبيلة
اخرى وقد استشكل بعض الحفاظ رواية مسلم بان نزول الاية في سنة تسع
وموت ابن معاذ في سنة خمس ويمكن الجمع بان الذي نزل في قصة ثابت مجرد رفع
الصوت والذي نزل في قصة الاقرع اول السورة وهو لا تقدموا بين يدي الله
ورسوله وقد نزل قوله وان طائفتان من المومنين اقتتلوا في قصة عبد الله بن
ابي بن سلول قبل ان يسلم عبد الله كما في الصحيح واسلامه كان بعد بدر وللطبري
وابن مردويه عن ثابت لما نزلت هذه الاية قعد ثابت يبكي فمر به عاصم بن
عدي فقال ما يبكيك قال اتخوف ان تكون نزلت في فقال صلى الله عليه وسلم
اما ترضى ان تعيش حميدا الحديث وهذا لا يغاير ان يكون الرسول اليه من
النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ انتهى ومنها انه معصوم من
الذنوب بعد النبوة وقبلها كبيرها وصغيرها عمدها وسهوها
على الاصح في ظاهره وباطنه سره وجهره جده ومزحه رضاه وغضبه كيف
وقد اجمع الصحب على اتباعه والتاسي به في كل ما يفعله وكذلك الانبيا
قال السبكي اجمعت الامة على عصمة الانبيا فيما يتعلق بالتبليغ وغيره
من الكباير وصغاير الخسة والمداومة على الصغاير وفي صغاير لا تحط
من رتبتهم خلاف مذهب المعتزلة وكثير من غيرهم الى جوازها والمختار
المنع لانا امرنا بالاقتدا بهم فيما يصدر عنهم فكيف يقع منهم ما لا ينبغي
ومن جوزه لم يجوزه بنص ولا دليل انتهى اي وانما تمسكوا بظواهر ان
التزموها افضت بهم الى خرق الاجماع وما لا يقول به مسلم كما بسطه عياض
ومنها انه لا يجوز عليه الجنون ولو قصيرا لانه نقص وهو لا يجوز على
الانبيا لتادية الى النفرة عنهم وعدم الانقياد اليهم ولا الاغما الطويل
الزمن فيما ذكره الشيخ ابو حامد الغزالي في التعليقة وجزم
البلقيني في حواشي الروضة اما القصير كلحظة او لحظتين فيجوز
صرح به الداركي والقاضي وارتضاه الاسنوي وكذلك الانبيا

وان لم يكونوا رسلا ونبه السبكي على ان اعماهم يخالف اعما
غيرهم وانما هو ناشي عن غلبة الاوجاع عطف علة على معلول
لانه قيل لغلبة الاوجاع للحواس الظاهرة دون القلب بخلاف
اعما غيرهم فيوثر حتي في القلب بحيث يصير المغمي عليه لاشعور له وهل
الاغما سهو يلحق الانسان مع فتور الاعضا لعلة او امتلا بطون الدماغ
من بلغم بارد غليظ او هو الغشي وهو تعطيل القوي المحركة والاوردة
الحساسة لضعف القلب بسبب وجع شديد او برد او جوع مفرط
اقوال وانما خالف اغما غيرهم لانه قد ورد في الصحيح انه انما تنام
اعينهم دون قلوبهم فاذا حفظت قلوبهم وعصمت من النوم الذي
هو اخف من الاغما السرعة زواله فالاغما قيه انه يمنع الادراك والمعرفة فمن
الاغما بطريق الاولي لاستيلائه على الحواس الظاهرة والباطنة
استيلا تاما بحيث لا يزول الا بعلاج وربما دام فلا يفيد علاجه قال
السبكي ولا يجوز عليهم العمي لانه نقص ولم يعم نبي قط وما
ذكر عن شعيب انه كان ضريرا فلم يثبت وبفرض ثبوته وانه
حقيقي فلا يضر لانه طاري بعد تحقق النبوة بالايات فلا يضر الاعتقاد
فيهم والكلام في المقارن لا بعد الانبا لانه ينفر فلا تطمين النفس
بما جا وابه واما يعقوب فحصلت له غشاوة وزالت انتهي
وقال القاضي عياض الانبيا منزهون عن النقايص في الخلق والخلق
سالمون من العاهات والمعايب ولا التفات لما يقع في التاريخ من وقوع
بعض العاهات في بعضهم بل نزههم الله من كل عيب وكل ما ينقص
العيون او ينفر القلوب وقال الرازي هو كظيم الامام فخر الدين
في تفسير قوله تعالي وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم
لما قال يا اسفا علي يوسف غلبه البكا وعند غلبة البكا يكثر
الما في العين فتصير العين كانها ابيضت من بياض ذلك
الما اي ولم يحصل له عمي ولا نقص ابصار وقوله وابيضت
عيناه من الحزن كانه من غلبه البكا والدليل علي هذا
القول ان تاثير الحزن في غلبة البكا لا في حصول
العمي فلما حملنا الابيضاض علي غلبة البكا كان هذا
التعليل حسنا ولو حملناه علي العمي لم يحسن هذا التعليل
فكان ما ذكرناه اولي قال البيضاوي وفي الاية دليل علي جواز
التاسف والبكا عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف
فانه قل من يملك نفسه عند الشدايد ولقد بكي صلي الله عليه وسلم
علي ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط
الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون انتهي وذلك الجزع والحزن
لما جبلوا عليه من الرحمة من لا ينافيه لكونه الرضا بالقضا فلا ينافي

ينافي ان الانبيا عالموت بان الله فعال لما يريد وقضاه كاين ويوخذ منه ان
الانسان اذا اصيب بمصيبة لا يخرجه عن كونه صابرا راضيا اذا كان قلبه
مطمينا بل قد يقال ان من ينزعج من المصيبة ويعالج نفسه علي الصبر والرضي ارفع
رتبة ممن لا يبالي بوقوع المصيبة اصلا اشار الي ذلك ابن جرير واطال
في بيانه ثم قال الرازي واختلفوا فقال بعضهم كقاتل انه كان عمي
بالكلية فالله تعالي جعله بصيرا في هذا الوقت الذي القي فيه القميص
علي وجهه وقال اخرون بل كان ضعف بصره من كثرة البكا والاحزان
بحيث صار كه ادراكا ضعيفا فلما القي القميص علي وجهه وهو قميص
ابراهيم الذي اتي به جبريل لابراهيم حين القي في النار من حرير الجنة فلما
مات اخذه اسحق فلما مات اخذه يعقوب فلما نشب يوسف جعله في قصبة
من فضة وسد راسها وجعلها في عنقه كالتعويذة لما يخاف عليه من العين
وكانت في عنق يوسف حين القي في الجب عريانا فاتاه جبريل واخرج ذلك
ذلك القميص والبسه اياه فلما كان هذا الوقت امره جبريل واخرج ذلك
القميص والبسه اياه فلما كان هذا الوقت امره جبريل بارساله لابيه فقال
ان فيه ريح الجنة ولا يلقي علي مبتلي الا عوفي كما قاله مجاهد وغيره وجزم به البغوي
والجلال وبشر بحياة يوسف من ابنه يهودا اخاه بالقميص وكان قد حمل
قميص الدم فاحب ان يفرحه كما احزنه عظم فرحه وانشرح صدره وزالت
احزانه فعند ذلك قوي بصره وزال النقصان عنه انتهي كلام
الرازي ومهان من سبه اي شتمه او انتقصه بان وصفه بما يعد نقصا
عرفا قتل باجماع واختلفوا هل يتحتم قتله في الحال او علي الاستتابة
والامتناع منها وهل الاستتابة واجبة ام لا فمذهب المالكية
يقتل حدا لا ردة بمعني انه يتحتم قتله ثم يكون مرتدا وتارة لا ولا
تقبل توبته توبته في اسقاط الحد عنه كتوبة الزاني والسارق بعد
بلوغ الامام لا تفيدها في عدم الحد وليس المعني انه لا يقبل رجوعه للاسلام
اذ لا قايل به ولا عذره ان ادعي وقوع ذلك منه سهوا او غلطا
وعبارة شيخنا العلامة خليل بن اسحق بن موسي المجمع علي فضله
وديانته وتحقيقه ثاقب الذهن اصل البحث الفاضل في المذهب المشارك
في العربية الحديث والعربية والاصول والفرايض يخرج به جماعة فقها فضلا
وجمع بين العمل والعلم والاقبال علي نشره مع الزهد والانقباض عن اهل
الدنيا وحج وجاور بمكة قال ابن فرحون اجتمعت به في القاهرة وحضرت
مجلسه يقري في الفقه والحديث والعربية وله تصانيف مفيدة كمختصره
الذي قصد فيه بيان المشهور مجردا عن الخلاف مع الايجاز البليغ مات سنة
ست وسبعين وسبعماية وان سب مكلف نبيا او ملكا مجمعا علي نبوته وعلي
ملكيته بدليل ذكره بعد انه يشدد عليه الادب في سب من لم يجمع علي نبوته
اي او ملكيته كالخضر ومالك بن سنان وهاروت وماروت فلا يقتل سابهما

علي المذهب خلافا للعنزاوي ثم المراد اجماع المسلمين فلا عبرة بخلاف اهل
الكتاب في بعضهم كسليمان فيقتل سابه **او ان عرض** بالسب بلا تصريح **او**
لعنه بصيغة الفعل او غيرها **او عابه** اي نسبه للعيب وهو خلاف المستحسن
عقلا او شرعا او عرفا في خلق او خلق او دين وهو اعم من السب فان
من قال فلان اعلم منه فقد عابه ولم يسبه **او قذفه** بنسبته للزنا او نفيه
عن ابيه **او استخف بحقه** كلا ابالي بنهيه عن كذا **او غير صفته** كاسودا
وقصير او جبريل ينزل في صفة عبد اسود علي النبي صلي الله عليه وسلم **او الحق**
به نقصا قال العلامة البساطي عبارة ليست بجيدة اي لان النقص لا يلحقه
بالجانه والاولي يدلها او ذكر ما يدل علي النقص في بدن او دين انتهي كعمي وعرج
او حكم بالهوي ولجابوا عن من قال انكان ابن عمتك بانه نزكه لان الحق له
فيحيا نه وليس لنا بعده **وان في دينه** كذا في كثير من نسخ المختصر وهو
الذي عند شارحه بهرام تلميذه وتوقف فيه محشيه العلامة محمد بن غازي
فذكر ان اكثر النسخ وان في بعضها وان في دينه وتامل ما يليق به الاغيا في
كلامه انتهي **او خصلته** طبيعته التي جبل عليها كالكرم **او غض** اي نقص
من مرتبته او لنقص غض **من وفور علمه او زهده او اضاف** اي نسب
له ما لا يجوز عليه كعدم التبليغ **او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه** كنفي
زهده وانه لم يكن حقيقيا ولو قدر علي الطيبات اكلها او قال ليس بمكي
او بحجازي لان وصفه بغير صفته المعلومة نفي له وتكذيب ومقصوده تعداد
الالفاظ الموجبة للقتل وقدم نظيره ذكر في الاقرار وفي الطلاق فلا يعترض عليه
بان بعضها مكرر وبعضها لا يستغني عنه بذكر غيره **علي طريق الذم** عائد
لقوله او غض من مرتبته ولقوله او اضاف له وقوله او نسب الخ لكن مفهومه
اذ هو لا يعتبره فالمعتمد المبالغة بعده **او قيل له بحق رسول الله** تفعل
او تقول **طعن وقال اردت العقرب** لان الله تعالي اليمن ان تلدغ وساقها
كما في قوله تعالي ويرسل الصواعق وهذا حقيقة الارسال والا نكاره مكابرة
لكنه لا يقبل من قابله لان رسول الله انما يراد به الانبيا ولا يخطر ببال احد غيره
ولذا قال في الشفا عن حبيب بن الربيع لان ادعاه التاويل في لفظ صراح
لا يقبل وهو غير معزز لرسول الله صلي الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة
دمه انتهي **قتل** المكلف المسلم **ولم يستتب** اي لا يطلب منه توبة من غير طلب
ولو جا تائبا قبل الاطلاع عليه علي ظاهره لا زدراية فهو حق ادمي مبناه
المشاحة بخلاف الزنديق كما قدمه **حدا** ان تاب او انكر ما شهد عليه ويغسل
ويصلي عليه ويدفن بمقابر المسلمين والا قتل كفرا بلا استتابة ويدفن
بمقابل الكفار بدون غسل وصلاة **الا ان يسلم الكافر** فلا يقتل لان الاسلام
يجب ما قبله والفرق بينه وبين المسلم انه زنديق لا يعرف توبته والكافر كان
علي كفره فاعتبر اسلامه ولم يحمل سبه من جهة كفره لانا لم نعطه العهد علي
ذلك ولا علي قتل مسلم او اخذ ماله فان قتل قتلناه وان كان يستحله في دينه

وبالغ علي قتل الساب وان كافرا بقوله **وان ظهر انه لم يرد** الساب **ذمه**
اي المذكور من نبي او ملك **لجهل او سكر او تهور** في الكلام او كثرته بلا ضبط
اذ لا يعذر احد في الكفر بذلك وخرج بالمكلف المجنون والصغير لم يميز فلا يقتلان
بالسب اما المميز فاسلامه وردته معتبران فان بلغ ولم يتب قتل وان تاب او
انكر ما شهد به عليه لم يقتل لوقوعه من غير مكلف وفي المدخل من قال في نبي من
الانبيا في غير التلاوة والحديث عصي او خالف فقد كفر انتهي ويتبادر منه انه
مرتد ويحتمل انه ساب **وهذا قد ذكره القاضي عياض في الشفا** في اواخرها
وذكره **غيره واستدلوا له بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله**
تعالي ان الذين يوذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصي
ويوذون رسول الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك **لعنهم الله**
في الدنيا والاخرة ابعدهم **واعد لهم عذابا مهينا** ذا اهانة وهو النار فاطلق
في الاية وعمم وقال والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد
احتملوا بهتانا واثما مبينا فقيد وشرط وغاير في الجزا **واللعنة من الله ابعاد**
الملعون عن رحمته واحلال له في وبيل موحدة فتحتية اي شديد **عقوبته**
من اضافة الصفة للموصوف اي عقوبته الشديدة **قال القاضي عياض وانما**
يستوجب اللعن اي يستحقه وجوبا **من هو كافر** وهذه مقدمة اولي من برهان
منطقي علي الحكم بقتله **و**المقدمة الثانية هي **حكم الكافر القتل**
لانه غير معصوم بالذات وانما عرض له ما يمنع من قتله ومن كفر بسبه اشد من
الكافر الاصلي نعم **والاذي هو الشر الخفيف فان زاد كان ضررا كذا قاله**
الخطابي وغيره والاذي في حقه تعالي انما هو علي سبيل المجاز لتعذر
الحقيقة اذ هو ايصال المكروه وهو لا يتصور في حقه تعالي لكنه لما خولف امره
وارتكبت معاصيه عد ذلك اذي له علي ما تعارفه الناس فيما بينهم او ذكر
تهويلا لاذية الرسول وان من يوذيه كمن يوذي الله **ويشهد لذلك الحديث**
الالهي يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني الخ **وهذا بخلاف جانب**
الرسول فتارة يكون حقيقيا كاذاه بما اصابه من كسر رباعيته وشج وجهه
كما قاله ابن عباس وتارة مجازا ايضا كاذاه بارتكاب ما يكرهه **فالاذي في**
حق الله تعالي وحق رسوله كفر بشهادة هذه الاية لان العذاب
المهين انما يكون للكفار والمسلمون وان عذبوا بالنار لكنه بلا اهانة فلا تسود
وجوههم ولا تزرق اعينهم **وكذلك العذاب الاليم** في اية والذين يوذون
رسول الله لهم عذاب اليم اي مولم وفيه مجاز عقلي **وقال تعالي** في المنافقين
الذين قالوا هو اذن وذهب الي تبوك انظروا الي هذا الرجل يريد فتح الشام هيهات
هيهات ولين سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب **قل ابالله واياته**
ورسوله كنتم تستهزؤون استفهام توبيخ علي استهزايهم بمن لا يصح الاستهزا
بهم بمن لا يصح الاستهزا به والزاما للحجة عليهم **لا تعتذروا** باعتذاراتكم فانها
معلومة الكذب ولا يجيبا باعتذار الكاذب **قد كفرتم بعد ايمانكم** اي ظهر

كفرتم
كفرتم بعد اظهار الايمان قال القاضي عياض قال اهل التفسير كفرتم
بقولكم في رسول الله هو اذن وفي البيضاوي بايذا الرسول والطعن فيه
واما السنة فكثيرة منها ما رواه الدارقطني والطبراني عن علي رفعه من
سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وسنده ضعيف لكنه اعتضد بهمع
فروي جواب اما بتقدير فما روي اوجوابها محذوف اي فكثيرة كما قدرت
منها ما روي ابو داود والترمذي ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال من يتكفل لنا بابن الاشرف اي بقتله وفي اخري
عند ابن عائذ عن عروة من لكعب بن الاشرف بفتح الهمزة وسكون
المعجمة وبالراء وبالفا اليهودي حليفا حالف بني النضير اي من ينتدب
لقتله اي يتوجه له فقد استعلن الفا تعليلية والسين للتاكيد
اي اعلن بعداوتنا او للطلب والبا زائدة اي طلب اظهار عداوتنا
حتي من غيره وهجائنا عطف سبب علي مسبب وفي رواية في الصحيح
عن جابر من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله لانه
اعلن سب الرسول ورثاه ورثي اهل القليب وفي رواية وهجاه ورثي اهل
القليب وذهب الي المشركين يحرضهم عليه قال القاضي عياض
ووجه اليه اي ارسله واضطه الارسال لجهته من قتله وهو
محمد بن مسلمة الانصاري ومن معه وتقدمت القصة في المغازي غيلة
بكسر المعجمة وسكون التحتية اي خفية من غير شعور احد دون دعوة
للاسلام بخلاف غيره من المشركين مطلق الكفرة فانما يقتله بعد الدعوة
والانذار وعلل صلي الله عليه وسلم قتله باذاه له فدل علي ان
قتله اياه كان لغير الاشراك مطلق الكفر لانه يهودي وورد
الاشراك فهذا المعني ايضا بل كان للاذي لله ولرسوله فدلت
قصته علي ان من سب النبي صلي الله عليه وسلم واذاه من الكفار يقتل
وفي حديث مصعب بن سعد بن ابي وقاص الزهري المدني
التابعي ثقة روي له الجميع مات سنة ثلاث ومائة عند ابي داود عن
مصعب عن ابيه لا انه مرسل كما اوهمه المصنف قال سعد لما كان يوم
الفتح امن رسول الله صلي الله عليه وسلم الناس الا اربعة
فذكرهم مفصلين فقال عكرمة وابن خطل ومقيس وابن ابي سرح وفي
رواية الحويرث بدل عكرمة وابن خطل واسم ابن خطل عبد العزي
فلما اسلم سمي عبد الله ومن قال اسمه هلال التبس عليه باخ له اسمه
هلال كما تقدم بسطه في فتح مكة وان جملة من اهدر دمه تسع رجال
وست نسوة ثم قال واما ابن ابي سرح عبد الله بن سعد فاختبا
عند عثمان بن عفان وكان اخاه من الرضاعة كما في ابن اسحق
فلما دعا رسول الله صلي الله عليه وسلم الناس الي البيعة جاء
به عثمان حتي اوقفه بالالف لغة قليلة وانكرها الاصمعي وقال

الجوهري انها ردية والكثير وقفه علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقال عثمان يا نبي الله بايع عبد الله فرفع راسه فنظر اليه مليا
اي طويلا ثلاثا كل ذلك بالرفع وهو يابي ان يبايعه فبايعه بعد
الثلاث ثم لما انصرف به عثمان كما في ابن اسحق اقبل صلي الله عليه
وسلم علي اصحابه فقال اما فهمزة الاستفهام مقدرة فان فيكم رجل
رشيد تنبيه يفهم مرادي يقوم الي هذا حين كففت يدي عن بيعته
فيقتله فالاستفهام للوم علي عدم قتله وقد ابن اسحق لقد صمت ليقوم
اليه بعضكم فيقتله قالوا ما ندري يا رسول الله ما في نفسك الا بفتح
والتخفيف لمجرد التنبيه نحو الا ان اولياء الله اومات اشرت الينا بحاجب
او يد او غيرهما وقال انه لا ينبغي لنبي ان يكون له خائنة الاعين
هي الايماء الي مباح من نحو قتل او ضرب علي خلاف ما يظهر سميت بذلك
لشبهها بالخيانة لاخفائها كما لو اومي لقتله حين طلب عثمان مبايعته
فانه خلاف الظاهر من سكوته وتجوز في غيره الا في محظور وعليه يحمل قوله
قوله يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فيه ذم النظر الي ما لا يجوز كما
فسره به ابن عباس ومجاهد وغيرهما وفسره السدي والضحاك بالرمي بالعين
وقد كان عبد الله بعد ان بايعه ممن حسن اسلامه ولم يظهر منه شي ينكر عليه
وله المواقف المحمودة في الفتوح وولاه عمر صعيد مصر ثم عثمان مصر
كلها واعتزل الفتنة بعده وفيه اي حديث مصعب انه امر بقتل عبد
الله بن خطل بفتح الخا المعجمة والطا المهملة لانه كان يقول الشعر يهجو
به النبي صلي الله عليه وسلم ويامر جاريتيه ان تغنيا به وفي
الصحيح انه عليه الصلاة والسلام جاءه رجل فقال ابن خطل متعلق باستار
الكعبة فقال اقتلوه زاد ابن حبان فقتل وروي عمر بن شبة في كتاب
مكة عن السائب بن يزيد قال رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم
استخرج من تحت استار الكعبة ابن خطل فضربت عنقه صبرا بين زمزم
ومقام ابراهيم وقال صلي الله عليه وسلم لا تقتل قرشي بعد هذا
صبرا واصح الروايات في تعيين قاتله ابو برزة كما قدمه المصنف
في فتح مكة بتعاليمه اوفظ وكذلك قتل مصدر مجرور وعطف علي عبد الله
اي قتل امر بقتل جاريتيه اللتين كانتا تغنيان بهجائه وهما قرتنا
بفتح القاف واسكان الراء ففوقية فنون مقصور وقريبة بقاف وموحدة
مصغر قتلت واسلمت قرتنا فلم تقتل كما مر في الفتح فلا يعتبر اقتل فعلا
للاخبار بانه قتلهما لانه خلاف الواقع فقالوا في وجه الاستدلال
انه قد ثبت امره بقتل من اذاه ومن تنقصه والحق له عليه
السلام وهو مخير فيه فاختار القتل في بعضهم كابن خطل
ومقيس وعفي عن بعضهم كابن ابي سرح وعكرمة وبعد وفاته
تعذرت المعرفة بالعفو فبقي الحكم علي عمومه والقتل

في القتل لعدم الاطلاع على العفو وليس لامته بعده ان يسقطوا
حقه صلى الله عليه وسلم فانه لم يرد عنه الاذن في ذلك
وهذا حمله في الشفا جوابا وسؤالا واطال في بيان تفاصيله واما
الاجماع فقال القاضي عياض اجمعت الامة على قتل منتقصه
يذكر ما فيه تحقير له وغض من علي مقامه من المسلمين وسابه
بالشتم الذي هو معنى السب فليس اطنابا اذ الانتقاص يشمل السب
كما زعم لكن في الاستدلال بهذا الاجماع على قتله اذا تاب نظر لان محصله
انه يقتل فقط والتوبة وعدمها لم يجمع عليه وعياض نفسه لم يجعله
دليلا على ذلك وعبارته القسم الرابع في تصريف وجوه الاحكام فيمن
تنقصه الى ان قال حرم الله اذاه في كتابه واجمعت الامة الى اخره وقيد بالمسلمين
للخلاف في الكافر هل يقتل او ينتقض عهده ويبلغ مامنه وقد عقد عياض
لذلك فصلا بعد قال ابن المنذر ابو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري
جمع عوام اي جماعة اهل العلم جمع عامة والمتقدمون يعبرون
هذه العبارة للعموم فكانه قال اجمع عموم اي كل العلما وليس المراد العامي اذ
لا عبرة بهم ولا باجماعهم واهل يبادي عليه لان العامي لا يكون اهل علم
على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك
ابن انس والليث بن سعد المصري الامام المجتهد المشهور واحمد بن حنبل
واسحق بن راهوية وهو مذهب الشافعي المشهور عنه وبعد هذا
الاجماع في تحتم قتله واستتابته وقبول توبتها وهذا لم يفهمه من اعترض
حكاية الاجماع بمذهب الشافعي وقال الخطابي حمد بسكون الميم بن محمد
ابن ابراهيم بن الخطاب يقال انه من نسل زيد بن الخطاب اخي عمر لا اعلم
احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما ولم يتب وانما
الخلاف في الكافر وقال محمد بن سحنون الامام بن الامام الجامع لخلال
فلما اجتمعت في غيره من الفقه البارع والعلم بالجدل والحديث والذب
عن مذهب اهل الحجاز كريما في معاشرته نفاعا للناس مطاعا جوادا
بماله وجاهه وجيها عند الملوك والعامة جيد النظر في الملمات نحو مائتي
كتاب في فنون العلم تفقه بابيه وسمع من جماعة غيره بالمغرب
والمشرق توفي سنة ست وخمسين ومائتين وله اربع وخمسون
او ست وخمسون سنة ودفن بالقيروان اجمع العلما على ان شاتم النبي
صلى الله عليه وسلم المنتقص له لو عطفه كان احسن كافر مرتد
والوعيد في القران والسنة جار عليه لشموله له بعذاب الله كقوله
لهم عذاب اليم وحكمه عند الامة ائمة الاجابة كلهم القتل الا ان يتوب
فاختلفوا ومن شك في كفره وعذابه كفر لتكذيبه لقوله تعالى
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم انتهى ومذهب الشافعي
ان ذلك ردة تخرج من الاسلام الى الكفر فهو مرتد في لا نزاع في

ذلك

ذلك عند الجمهور من ايمتنا بل جميعهم وجميع غيرهم انما النزاع في قتله اذا
تاب والمرتد يستتاب فان تاب قبلت توبته ولم يجز قتله عند الشافعية
وان تكررت ردته لكن يعزر لزيادة تهاونه بالدين ويتحتم قتله عند
المالكية وطائفة والا يتب قتل وفي الاستتابة قولان اصحهما وجوبها
لانه كان محترما بالاسلام وانما عرضت له شبهة فاوقعته في الجناب
الرفيع فينبغي اي يجب ازالتها بعد الاسلام على الاصح في وجه بيا طهر
او لان الحجة تقدم على السيف وقيل يستحب ازالتها لانه غير مضمون
الدم اذ لا يقتل قاتله حينئذ فان قلنا بالاول فتجب الاستتابة بالحال
اي فورا ولم يوجل ثلاثة ايام كغيره من المرتدين وفي الصحيح للبخاري
عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من بدل دينه اي انتقل من
الاسلام لغيره بقول او فعل واصر فاقتلوه بعد الاستتابة وجوبا وخص
عمومه بدين الاسلام فمن انتقل من كفر لاخر لم يقتل ومن قول يمهل الساب
ثلاثة ايام فان لم يتب واصر على الكفر رجلا كان او امراة قتل الرجل
باجماع والمراة عند الائمة الثلاثة لان عموم من يشملها وقال ابو حنيفة لا تقتل
لان الشرطية لا تعم المونث للنهي عن قتل النسا فكما لا تقتل في الكفر الاصلي لا
تقتل في الطاري وان اسلم صح الاسلام وترك لقوله تعالى فان تابوا
واقاموا الصلاة واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم الاية والذين قالوا بتحتم
قتل الساب وان تاب خصوا منها المسلم اذ سبه لادلة اخرى وعن ابن عباس
ايما مسلم سب الله او سب احدا من الانبيا كذب رسول الله وهي ردة
يستتاب منها فان تاب والا قتل وعجيب احتجاج المصنف بهذا وابن
عباس لم يرفعه وهو مما يقال بالراي وقول الصحابي ليس حجة عند الشافعية
وايما معاهد سب الله او سب احدا من الانبيا فقد نقض العهد فاقتلوه
ظاهر قول ابن عباس الاطلاق فهو مذهبه فتنزيله على تفصيل الشافعية او
غيرهم لا يليق واجيب عما تقدم من ادلة المالكية فاما قوله ان الذين
يؤذون الله ورسوله الاية فليس له الا كفر موذيه عليه الصلاة والسلام
واما كونه يقتل حتما فلا دلالة فيه اصلا لكن قد بين عياض وجه الدلالة
من الاية على الحكم القتل ببيان من لعنته في الدنيا القتل بدليل قوله ملعونين
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال في اذى المومنين ما دون القتل
من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله ورسوله اشد وهو القتل واما ابن
خطل فانما قتل ولم يستتب للكفر والزيادة فيه بالاذى مع ما
اجتمع فيه من موجبات القتل كقتل مولى المسلم حين خالفه في شي امره
به ولانه اتخذ الاذى ديدنا اي عادة مستمرة ولم ينطق بالشهادتين
عند الامر بقتله فلا يقاس عليه من فرط منه فرطة وقلنا بكفره
وتاب ورجع الى الاسلام عطف تفسير فالفرق واضح لكن فيه ان وجه
الدلالة منه ان كان اسلم وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم مصدقا ثم اذا

عليه السلام فامر بقتله وان تعلق باستار الكعبة ولم يات في خبر انه امر باستتابته
مع ان استتابة المرتد واجبة فدل علي ان موذيه يقتل بلا استتابة علي ان
شيخنا قال هذا الفرق لانه فيمن تكررت منه الردة والعناد مرارا كثيرة ولذلك
قتل جاريتيه اي الامر بقتلهما والمقتول واحدة كما مر لانهما حملتا ذلك
ديدنا مع ما قام بهما من صفة الكفر لا يرد علي مالك لانه قال نقتل الكافر
ايضا اذا سبه مالم يسلم وهما كانتا كافرتين فقتلت الباقية عليه وتركت
المسلمة متوجهة لمالك لا عليه وقد روي البزار عن ابن عباس ان عقبة
ابن ابي معيط احد اسري بدر لما قتل قدم ليقتل نحو علي ثلاثة اميال
من الروحا قرب المدينة مالي اقتل من بينكم استفهام انكاري اي دون
غيري منكم ومثله يستعمل للاختصاص صبرا اي بلا حرب وبلا غفلة واصل
معناه الحبس فقال له النبي صلي الله عليه وسلم بكفرك وافترائك
اي تعمدك الكذب علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فذكر له سببين
في تحتم قتله وهذا في غاية الظهور وهو من جملة ادلة المالكية اذ هم
قايلون بقتل الكافر اذا سبه ولذا ذكره في الشفا دليلا واما قول الخطابي
وغيره لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما
فمحمول علي التقييد بعدم التوبة لانه محل الاجماع واما سياق القاضي
عليه الفقيه عياض لقصة الرجل الذي كذب علي رسول الله صلي
الله عليه وسلم المتقدمة فرتبة لفظ عياض ويروي ان رجلا كذب علي
النبي صلي الله عليه وسلم وانه بعث عليا والزبير ليقتلاه ان ادركاه قال
وما اراكما تدركانه فوجداه ميتا من لدغة حية فليس يفيد غرضا في
هذا المقام الذي هو تحتم قتل موذيه وان كان اذا كان مسلما لان الظاهر
ان هذا الكذب فيه افساد وفتنة بين المومنين هذا الاستظهار من
عدم الاطلاع علي الحديث من ان لفظه ان فلانا جا الي ناس من الانصار
فقال ان رسول الله صلي الله عليه وسلم ارسلني اليكم وزوجني فلانة لا سيما
ان كان كافرا فيكون من محاربي الله ورسوله مع السعي في الارض
بالفساد فيكون متحتم القتل لذلك وفيه ان المحارب لا يتحتم قتله كما
بين في القران فكان منشاه القصور فان الرجل صحابي وهو جد الجندعي
ذكره صاحب الاصابة وغيره والا فليس مطلق الكذب عليه مما يوجب
القتل ولا الكفر علي الصواب خلافا للجويني وانما هو اذا كذب عليه بما فيه نقص
له كساحر ونحوه والجواب عن عياض انه لم يذكر هذه القصة دليلا مستقلا
اذ هو لا يقول بقتل من كذب عليه ولا بكفره وانما ذكرها استيناسا لما سلف من
الادلة واشار الي ضعفها بقوله ويروي وقد علم ان من الطلبة انه لا يحتج
بتضعيف وكذا ايضا حديث ابن عباس هجت امراة من خطمة بفتح
المعجمة وسكون المهملة وبنون بطن من الانصار ينسبون الي جدهم خطمة بن
جشم بن مالك بن الاوس وهي عصما بنت مروان اليهودية تنسبت الي بني

خطمة لانها زوج يزيد بن زيد الصحابي الخطمي النبي صلي الله عليه وسلم
فقال من لي بها اي من يقوم لاجلي حتي عليه يقتلها فقال رجل من قومها
عمير بن عدي الخطمي صحابي شهير كان المصطفي يزوره وكان اعمي وسماه
النبي صلي الله عليه وسلم البصير انا لك بها اقتلها يا رسول الله فنهض
قام بسرعة عقب قوله فجاها ليلا ودخل عليها بيتها وحولها نفر من ولدها نيام
منهم من ترضعه فجسها ونحي الصبي عنها فقتلها بان وضع سيفه علي صدرها
حتي انفذه من ظهرها ثم رجع فصلي الصبح مع المصطفي فاخبر النبي صلي الله
عليه وسلم بذلك اي قتلها لما قال له كما عند ابن سعد اقتلت ابنة مروان
قال نعم فهل علي في ذلك شي فقال لا ينتطح فيها عنزان فكانت هذه الكلمة
اول ما سمعت من النبي صلي الله عليه وسلم ان لا يجري فيها خلف ولا نزاع
بل هي هدر فضربه مثلا للامر الذي يقع بلا خلف ولا نزاع لان العنزين لا ينتطحان
بل يتشامان ويفترقان وانما ينتطح التيوس والكباش ومرت القصة في
المغازي فان في هذه القصة اي الاستدلال بها ونظايرها نظرا
واضحا لقيام الكفر بالمحكي عنهم والزيادة منه وقد حاد المصنف رحمه الله
للحمية المذهبية عن سوا السبيل فانها كانت ذمية يهودية متزوجة بمسلم
صحابي فامر بقتلها لاذاها له مع ان نسا الحربيين فضلا عن اهل الذمة
تقتل دليل لقول المالكية بقتل الكافر بسبه صلي الله عليه وسلم مالم يسلم
فالدليل من قصتها شمس في رابعة النهار وقد اخبر عليه السلام انه لا
عصمة لاحد من الناس بعد دعواهم الي الاسلام الا بالاسلام
بقوله امرت ان اقاتل الناس الحديث فكل مهدر الدم الا من عصمه
الله منهم بالاسلام او باعطا الجزية كما في القران او بعهد وامان
كما بين في السنة فما هذا التحكم من المصنف وانما النافع له في بقا الاستدلال
ذكر من طرا عليه من المسلمين وصحة الارتداد بالسب علي القول
بكونه ردة فيه نظر اذ هو ردة اجماعا كما مر فرجع الي الاسلام
وتاب هذا هو محل النزاع وموضع الاستدلال لكل من المتنازعين
وسبحان الله المصنف قد ذكر ذلك قبل فانه ذكر قصة ابن ابي سرح وهو قد
كان مسلما اصليا واحد كتاب الوحي ورجع الي الاسلام وامتنع النبي صلي الله
عليه وسلم من مبايعته ثلاث مرات ولام اصحابه علي عدم قتله حين
امتنع من بيعته وانما بايعه لاجل عثمان وهو صلي الله عليه وسلم ولي ذلك
قتله للمفقود دون غيره بعده لعدم اذنه في ذلك اما ذكر كافرا اصليا اللعنة
دعوة النبي صلي الله عليه وسلم وامتنع من اجابته وحاربه بيده
ولسانه فلا نزاع في اهدار دمه قطعا لا سيما وقد نقل عن
هذه المراة الكافرة التي هي عصما بنت مروان انها كانت تعيب
الاسلام بفتح فكسر من عاب يستعمل لازما ومتعديا او بضم ففتح وشد التحتية
من عيبه اذا نسب الي العيب او احدث فيه عيبا وتوذي النبي صلي الله

عليه وسلم عطف اعم على اخص لان عيب الاسلام يكون بذكر خلل في الدين وايذا
النبي يكون به وبغيره او لازم على ملزوم لان عيب الاسلام يلزمه ايذاوه ويحرض
تحت عليه فاجتمع منها موجبات القتل اجماعا يعني فلم يتعين ان قتلها
للسب وفيه انه خلاف الظاهر من قول ابن عباس هجت امراة النبي الحديث
فقد تبين بما ساقه القاضي عياض ان امره عليه السلام بقتل
ساب انما نقل عن بعض في الكفرة يرد عليه ابن ابي سرح فقد امتنع من
بيعته بعد اسلامه وكلام الصحابة على ترك قتله كما مر ولم ينقل انه قتل مسلما
بسببه وانما كان ذلك في اهل الكفر والعناد لكن بم اخلاقه وحبه العفو
والصفح وهو ولي ذلك فاحب العفو عن من وقع له ذلك واسلم وقد قال من
سب نبيا فاقتلوه اخرجه الدارقطني والطبراني من حديث علي ومن يشمل
المسلم والكافر وامره كفعله ولو نقل فلا يتعين كونه حدا لاحتمال ان يكون
قتله كفرا ويدفع هذا الاحتمال ارادته قتل ابن ابي سرح بعد ما اسلم
ويويده عموم من سب نبيا فاقتلوه فان ظاهره ولو عاد الى الاسلام وروى
ابن قانع ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني سمعت ابي يقول
فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فلو لم يكن
قتل الساب مشروعا كان ذلك من اكبر الكبائر لانه قتل وعقوق وظاهر قوله
فلم يشق انه كان مسلما اذ قتل الكافر لا يشق عليه حتى سعى وقد قال الله
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به اي الاشراك به ويغفر ما دون
ذلك سوى ذلك من الذنوب لمن يشا المغفرة له فيدخله الجنة بلا عذاب ومن شا
عذبه من المومنين بذنوبه ثم يدخله الجنة فاعلمنا ان ما ورد المشرك
في حيز امكان المغفرة وهو كذلك بلا شك لكنه لا يمنع اقامة الحدود الا ترى
ان الزاني والسارق اذا تاب بعد بلوغ الامام لا يسقط حده فكذلك حد سب الانبيا
اذا تاب نقول بتوبته وصحة اسلامه ولكن نقيم حده وهو القتل عملا بعموم
قوله فاقتلوه وقال تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب من الشرك
ولكن ذلك ليس ذلك مانعا من اقامة الحدود فالقاتل يقتل وان تاب فذكر المصنف
هاتين الايتين لا يفيده غرضا في استدلاله فان قلت هذا بالنظر الى
ظلم النفس وحقوق الله تعالى كصلاة وصوم لا بالنظر الى حقوق
العباد لان حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة وحقوق العباد
مبنية على المشاحة وهذا حق النبي صلى الله عليه وسلم وليس لنا
ان نسقطه لانه لم يرد اذنه في ذلك بخلافه هو صلى الله عليه وسلم
فان له ذلك لان الحق له ومن له حق فله اسقاطه فالجواب لا يدلنا من نص
على ذلك عنه عليه السلام كان يقول من سبني مثلا فاقتلوه ولا تقبلوا
له توبة ولا رجوعا عن سبه فان نقل اتبعناه والجواب ان ظاهر قوله
من سب نبيا فاقتلوه عدم قبول توبته في ترك قتله لانه حده واما قبلنا ها
في اجرا احكام الاسلام عليه من تغسيل وتكفين وصلاة ودفن بمقابر المسلمين

كالمتناثل

كالمتناثل الزاني المحصن ونحوهما ثم انه من جهة النظر العقلي ينبغي لما كانت
حقوق الله مبناها على المسامحة كذلك حقوقه صلى الله عليه وسلم
فانه متخلق باخلاق الله تعالى التي تليق به كما اشارت اليه عايشة بقولها
كان خلقه القران لكن منع من هذا الدليل العقلي قيام الادلة الشرعية على
خلافه في هذه المسالة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقد روى النسائي
عن ابي برزة الاسلمي قال اتيت ابا بكر وقد اغلظ الرجل فرد عليه قال فقلت
يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه بسببه ابا كرفقال اجلس فليس ذلك لاحد
الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ان عامل عمر بن عبد العزيز على
استشاره في قتل رجل سب عمر بن الخطاب فكتب اليه انه لا يحل قتل امري مسلم
بسبب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد
حل دمه وقال ابو بكر الصديق حد قذف الانبيا ليس يشبه الحدود رواه ابن
سعد وابن عساكر فهذه ادلة متظاهرة على قتل الساب ولو تاب قال عياض
ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه صلى الله عليه وسلم او تنقصه
قد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان على سوء طويته وكفره ولهذا حكم له كثير
من العلما بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك ومما عد من خصايصه انه
اذا قصده ظالم وجب على من حضره ان يبذل بضم الذال نفسه دونه
اي يجود بها وان ادى الى قتله بخلاف غيره فلا يجب الدفع مع خوف ذلك كما قاله
الرافعي والنووي لان من قصد غيره مسلما لا يكفر وقاصده صلى الله عليه وسلم
بذلك يكفر حكاه النووي في زيادات الروضة عن جماعات من الاصحاب
الشافعية لقوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وظاهره وان كان له
صلى الله عليه وسلم قدرة على الدفع والدافع عاجز قال الحافظ ولم ار وقوع ذلك
في شي من الاحاديث صريحا ويمكن ان يستانس بان طلحة وقاه بنفسه يوم احد
وكان ابو طلحة الانصاري يتقي بترسه دونه ونحو ذلك من الاحاديث ومن
خصايصه عليه السلام انه كان يخص من شا بما شا من الاحكام وغيرها
كجعله شهادة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الانصاري الخطمي ابي
عمارة المدني من كبار الصحابة شهد بدرا وقتل مع علي بصفين سنة وثلاثين
بشهادة رجلين ولذا لقب ذو الشهادتين روى ابو داود وابن خزيمة وشيخهما
محمد بن يحيى الذهلي باللام عن شعيب عن ابن شهاب عن عمارة بن خزيمة بن
ثابت الاوسي ابي عبد الله او ابي محمد المدني تابعي ثقة مات سنة خمس ومائة
وهو ابن خمس وسبعين روى له الاربعة عن عمه قيل اسمه عمارة قاله ابن منده
وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم ابتاع اي اشترى من اعرابي هو سواد بن الحارث صحابي فرسا هو
المرتجز او الطرف او النجيب اقوال ذكرها المصنف في خيله في تعيين هذا الفرس
المشترى من افراسه صلى الله عليه وسلم وزاد غيره القول بانه الملاوح ويرد
على ذلك انه ردها على الاعرابي فانت من الغد كما في رواية الحارث وتاتي فهي

صريحة في انها لم تكن من خيله المعينة المسماة بالاسما المعلومة فاستتبعه اي
تبعه فالسين زايدة والاولي كونها للطلب اي طلب المصطفي من الاعرابي
ان يتبعه ليقضيه ثمن الفرس فاسرع النبي صلي الله عليه وسلم المشي
وابطا الاعرابي ومعه الفرس يطفق بكسر الفا وفتحها اي جعل رجال يعترضون
الاعرابي اي يتعرضون له بالكلام معه ماخوذ من اعترض علي الامير اي مر
عليه لينظر حاله يساومونه بالفرس اي يطلبون بيعها منه فالمفاعلة ليست
مرادة بل بمعني السوم والباء سببية او للمقابلة والعوض اي يذكرون له ثمنا
في مقابلته ولا يشعرون ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قد ابتاعه
حتي زادوا علي ثمنه فذكر الحديث وهو فنادي الاعرابي فقال ان كنت
مبتاعا هذا الفرس فابتعه والا بعته فقال النبي صلي الله عليه وسلم حين
سمع ندا الاعرابي اوليس قد ابتعته منك قال الاعرابي لا والله ما بعتكه فقال
النبي صلي الله عليه وسلم بلي قد ابتعته قال فطفق الاعرابي هلم احضر
شهيدا يشهد اني بعتكه فمن جا من المسلمين بعد هذا احضر انكارا علي
الاعرابي وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لم يكن مريدا ان
يقول شيا الا الحق فخبر يكن محذوف يتعلق به الجار حتي جا خزيمة بن
ثابت فاستمع المراجعة التي بين النبي صلي الله عليه وسلم وبين الاعرابي
فقال اشهد انك قد بايعته اي بعته الحديث وفيه قال فجعل النبي
صلي الله عليه وسلم شهادة خزيمة برجلين هكذا رواه ابو داود وغيره
من طريقه طريق عمارة عن عمه اخي خزيمة بدون تسمية الاعرابي وقد رواه
عمارة ايضا عن ابيه وسمي الاعرابي اخرج ابي بكر بن ابي شيبة وابو يعلي وابن
خزيمة والطبراني عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن ابيه ان النبي صلي الله عليه
وسلم اشتري فرسا من سوا بن الحارث فجحده فشهد له خزيمة فقال
النبي صلي الله عليه وسلم ما حملك علي الشهادة ولم يكن معه حاضرا فقال صدقتك
بما جيت به وعلمت انك لا تقول الا حقا فقال صلي الله عليه وسلم من شهد له
خزيمة او شهد عليه فحسبه وفي البخاري في التفسير من حديث خارجة
عن ابيه زيد بن ثابت بن الضحاك الانصاري صحابي مشهور كتب الوحي
قال مسروق كان من الراسخين في العلم مات سنة خمس وثمان واربعين وقيل
بعد الخمسين قال لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت اية من سورة
الاحزاب كنت اسمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقروها فوجدتها مع
خزيمة وفي رواية لم اجدها مع احد الا مع خزيمة الذي جعل رسول
الله صلي الله عليه وسلم شهادته بشهادتين من المومنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه هذا بقية رواية البخاري قال العلما
اي لم اجدها مكتوبة مع كونها محفوظة عنده وعند غيره اذ القران لا
يثبت الا بالتواتر وعند الحارث بن ابي اسامة واسمه داهر
في مسنده من حديث مجالد عن الشعبي عن النعمان بن بشير

رضي الله عنهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم اشتري من اعرابي
فرسا فجحده الاعرابي فجا خزيمة فقال يا اعرابي اتجحد
بالاستفهام الانكاري اي وتطلب منه شهيدا فانا اشهد انك بعته
فقال انا اشهد انك بعته فقال الاعرابي ان بفتح الهمزة اي لاجل
ان وكسرها بمعني ان تعليلية نحو اعصب اذا دنا فتنة حزننا وفي نسخة
وهي ظاهرة اذ شهد علي خزيمة فاعطي الثمن فقال النبي صلي
الله عليه وسلم يا خزيمة انا لم نشهدك بالمبايعة بمعني لم تحضرها
كما في الرواية التي قدمتها ما حملك علي الشهادة ولم تكن معه حاضرا كيف
تشهد علي ما لم تعاينه ولم تحضره قال اصدقك علي خبر السما والارض
كما في رواية الحارث فسقط من قلم المصنف والارض الا اصدقك علي
ذا الاعرابي فجعل رسول الله صلي الله عليه وسلم شهادته بشهادة
رجلين فلم يكن في الاسلام من يعدل لفظ رواية الحارث من يجوز
شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة بتخصيص المصطفي المصطفي له
ففيه انه يخص من شا بما شا وبقية رواية الحارث عن النعمان فرد صلي الله
عليه وسلم الفرس علي الاعرابي وقال لا بارك الله لك فيها فاصبحت من الغد
شايلة برجلها اي ماتت وهذا الاعرابي اسمه سوا بن الحارث من وفد محارب
وروي ابن منده وابن شاهين عن المطلب بن عبد الله قال قلت لبني الحارث
ابن سوا ابوكم الذي جحد بيعة رسول الله صلي الله عليه وسلم قالوا لا تقل ذلك
فلقد اعطاه بكره فما اصبحنا نسوق سارحا ولا بارحا الا منها قال
الخطابي في شرح ابي داود هذا الحديث حمله كثير من الناس
علي غير محمله وتذرع بذال معجمة توسع وتوسل به قوم من اهل
البدع وباهمال الدال اي تمسكوا به وجعلوه كالدرع في اتقا ما يرد عليهم
الي استحلال الشهادة لمن عرف عندهم بالصدق علي كل شي
ادعاه متعلق بالشهادة وليس حمل الحديث علي ذلك بصحيح وانما
وجه الحديث اي جهته التي ينبغي حمله عليها انه صلي الله عليه
وسلم حكم علي الاعرابي بعلمه لانه من خصايصه وجرت
شهادة خزيمة مجري التوكيد التقوية لقوله والاستظهار
علي قوله خصمه فصارت في التقدير بشهادة اثنين في
غيرها من القضايا لا ان شهادته متي وقعت كانت كشهادة رجلين
فلا يطلب له ثان انتهي كلام الخطابي وفيه نظر فان الاحاديث ظاهرة
بل صريحة في تخصيصه بذلك دايما لا لمجرد الحكم بعلمه كيف وفي رواية الحارث
فلم يكن في الاسلام من يجوز شهادته بشهادة رجلين غير خزيمة وفي
رواية محمد بن ابي عمر العدني في مسنده فاجاز النبي صلي الله عليه وسلم
شهادته بشهادة رجلين حتي مات خزيمة وروي ابو يعلي عن انس قال
افتخر الحيان الاوس والخزرج فقالت الاوس ومنا من جعل النبي صلي الله

عليه وسلم نهاه دونه بشهادة رجلين الحديث فانه لو كان للحكم بعلمه لم يكن في
اصلاو الغاية بقوله حتي مات خزيمة ضرحه في ذلك اذ هو قد عاش بعد
النبي سبعا وعشرين سنة ثم لا حجة فيه للمبتدعة لانه خصوصية لخزيمة
خصه بها من له تخصيص من شا بما شا ومن ذلك ترخيصه في النياحة
رفع الصوت علي الميت بالندب وهو عد محاسنه كواكهفاه وا جبلاه
لام عطية نسيبة بضم النون وفتح المهملة مصغر ويقال بفتح اولها وكسر
السين بنت الحارث الانصارية المدينية ثم سكنت البصرة وقيل بنت
كعب وانكره ابو عمر لان بنت كعب هي ام عمارة روت ام عطية عن النبي
صلي الله عليه وسلم وعن عمر وعنها انس ومحمد وحفصة ولدا سيرين
واخرون وفي مسلم عنها غزوت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم
سبع غزوات كنت اخلفهم في رحالهم وفي الصحيح ايضا عن حفصة بنت
سيرين ان ام عطية قدمت البصرة فنزلت قصر بني خلف روي
مسلم في الجنايز من طريق حفصة عنها قالت لما نزلت هذه
الاية يايها النبي اذا جاءك المومنات يبايعنك علي ان لا يشركن بالله
شيا الاية الي قوله ولا يعصينك في معروف قالت ام عطية كان
منه اي من العصيان النياحة علي الميت وهي من كفر النعمة لان من
ناح علي الميت كفر نعمه انه حي فقلت يا رسول الله الا ال فلان لم يسم
فانهم كانوا اسعدوني في الجاهلية الجاهلية الاسعاد قيام
المراة مع الاخري في المناحة تراسلها اي تساعدها وهو خاص بهذا المعني
ولا يستعمل الا في المساعدة عليه فلا بد لي من ان اسعدهم فقال رسول
الله صلي الله عليه وسلم الا ال فلان واخرجه البخاري في التفسير عن
حفصة بنت سيرين عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلي الله عليه
وسلم فقرا علينا ان لا تشركن بالله شيا ونهانا عن النياحة فقبضت امراة
يدها فقالت اسعدتني فلانة اريد ان اجزيها فما قال لها النبي صلي الله
عليه وسلم شيا فانطلقت ورجعت فبايعها وللنسائي قال اذهبي فاسعديها
قالت فذهبت فساعدتها ثم جيت فبايعته وللترمذي فاذن لها ولاحمد قال
اذهبي فكافيهم قال الحافظ الغني قبضت يدها هي ام عطية وفلانة لم اقف
علي اسمها انتهي وكانه صلي الله عليه وسلم سكت اولا ثم اذن قال النووي
هذا محمول علي ان الترخيص لام عطية خاصة في ال فلان
خاصة وللشارع ان يخص من العموم ما بشا لمن شا قال المصنف
كغيره وا ورد علي النووي حديث ابن عباس عند ابن مردويه قالت
لما اخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم علي النسا فبايعهن علي ان لا يشركن
بالله شيا الاية قالت خولة بنت حكيم يا رسول الله كان ابي واخي ماتا
في الجاهلية وان فلانة اسعدتني وقد مات اخوها الحديث وحديث
اسما بنت يزيد الانصارية عند الترمذي قالت قلت يا رسول الله ان

بني فلان اسعدوني علي عمي ولا بد من قضايهن فابي قالت فراجعته مرارا
فاذن لي ثم لم انح بعد ذلك وعند احمد والطبراني من طريق مصعب بن
نوح قال ادركت عجوزا لنا كانت فيمن بايع رسول الله صلي الله عليه وسلم
قالت فاخذ علينا ان لا تنحن فقالت عجوز يا نبي الله ان ناسا كانوا اسعدونا
علي مصايب اصابتنا وانهم قد اصابتهم مصيبة فاريد ان اسعدهم قال
اذهبي فكافيهم فانطلقت فكافيتهم ثم انها اتت فبايعته وحينيذ
فلا خصوصية لام عطية والظاهر ان النياحة كانت مباحة ثم كرهت كراهة
تنزيه ثم تحريم فيكون الاذن لمن ذكرن وقع لبيان الجواز مع الكراهة
ثم لما تمت مبايعة النسا وقع التحريم فورد حينيذ الوعيد الشديد وفي
حديث ابي مالك الاشعري عند ابي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال النايحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة عليها سربال من قطران
ودرع من جرب انتهي ومن ذلك تركه الاحداد علي الزوج اي ترخيصه
في تركه لاسما بنت عميس بضم العين مصغرا اخره سين مهملة الخثعمية
صحابية تزوجها جعفر بن ابي طالب ثم ابو بكر ثم علي وولدت لهم وماتت
بعد علي ولها احاديث في البخاري والسنن وهي اخت ميمونة بنت الحارث
ام المومنين لامها اخرج بن سعد محمد عن اسما بنت عميس قالت لما
اصيب قتل بغزوة موتة سنة ثمان من الهجرة جعفر بن ابي طالب
الهاشمي ذو الجناحين الصحابي الجليل له في النسايي قال لي رسول
الله صلي الله عليه وسلم تسلبي اي احدي علي زوجك ثلاثا
قال المصباح التسلب امتناع المراة من الزينة والخضاب بعد موت زوجها
وفي نسخة تسلي بدون موحدة فان صحت فالمعني تصبري اي صبري
نفسك علي الاحداد ثلاثة ايام ثم اصنعي ما شيت فاباح لها ترك الاحداد
الاحداد بعدها مع وجوبه علي المراة ما دامت في العدة ومن ذلك الاضحية
بالعناق بفتح المهملة وخفة النون الانثي من ولد المعز قبل استكمالها الحول
لابي بردة بضم الموحدة بن نيار البلوي حليف الانصار اسمه هاني
وقيل الحرث بن عمرو وقيل مالك بن هبيرة مات سنة احدي واربعين وقيل
بعدها رواه الشيخان البخاري في العيد والاضاحي ومسلم في الذبايح
من حديث البرا بن عازب رضي الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلي
الله عليه وسلم يوم النحر وفي رواية يوم الاضحي بعد الصلاة فقال
من صلي صلاتنا ونسك نسكنا بفتح النون والسين منسكنا بضم النون
والسين ونصب الكاف اي ضحي مثل ضحيتنا فقد اصاب السنة اي
الطريقة وفي رواية فقد اصاب سنتنا وفي رواية النسك وفي اخري
ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه واصاب سنة المسلمين ومن نسك قبل
الصلاة فتلك شاة لحم وليست اضحية فلا ثواب فيها واستشكلت
هذه الاضافة بان الاضافة اما معنوية مقدرة بمن كخاتم حديد او اللام

كغلام زيد او في كضرب اليوم او في لفظية مضافة الي معمولها كضارب
زيد وحسن الوجه ولا يصح شيء منها في شاة لحم واجيب بان الاضافة
بتقدير محذوف اي شاة طعام لحم لا طعام نسك وما اشبه ذلك يعني شاة
لحم غير نسك فهي مضافة الي محذوف اقيم المضاف اليه مقامه وفي
رواية للصحيح ايضا فانما هو لحم قدمه لاهله ليس من النسك في شيء فقام
ابو بردة بن نيار فقال يا رسول الله لقد نسكت شاتي اي ذبحتها
قبل ان اخرج الي الصلاة وعرفت ان اليوم يوم اكل وشرب بضم
الشين وتجويز الزركشي فتحها كما قيل به في ايام منى ايام اكل وشرب رده
الدماميني بانه ليس محل قياس انما المعتمد الرواية زاد في رواية واحببت
ان تكون شاتي اول شاة تذبح في بيتي وفي اخرى عن انس في الصحيحين
فقال يا رسول الله ان هذا يوم يشتهى فيه اللحم اي لجريان العادة بكثرة الذبح
فيه فتتشوف اليه النفس التذاذا به فتعجلت وفي رواية فذبحت
شاتي واكلت واطعمت اهلي وجيراني قبل ان اتي الصلاة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك شاة لحم لا اضحية فلا ثواب
فيها بل هي على عادة الذبح للاكل المجرد عن القربة فافاد بامتنانها الي
اللحم نفي الاجزا وفي رواية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ابدلها
قال وفي رواية فقال عندي عناق جذعة بالتنوين فيهما فالثاني
عطف بيان وفي رواية عندي جذعة وفي اخرى عندي عناق لبن اشارة
الي صغرها وانها قريبة من الرضاع وفي اخرى فان عندنا عناقا لنا جذعة
صفتان لعناقا المنصوب بان وفي رواية فان عندي داجنا جذعة وما
يوجد في بعض النسخ فان عندي عناق جذعة وان امكن توجيهه بجعل
اسم ضمير الشان محذوفا والجملة خبر لكنه ليس رواية هي خير من شاتي
لحم لطيب لحمها وسمنها فان قيل كيف تكون واحدة خير من اضحيتين بل
العكس اولى كعتق اثنين خير من عتق واحد ولو كان انفس اجيب بان القصد
في الضحايا طيب اللحم وكثرة السمن فشاة سمينة افضل من هزيلتين واما
العتق فالمقصود منه التقرب الي الله بفك الرقبة فعتق اثنين افضل من
عتق واحد نعم ان عرض للواحد وصف يقتضي رفعته على غيره كالعلم وانواع
الفضل فجزم بعض المحققين افضل لعموم نفعه للمسلمين وفي رواية هي خير
من مسنة واخرى من مسنتين بالتثنية قال الجوهري يكون ذلك في الظلف
والحافر في الثالثة وفي الخف في السادسة فهل تجزي عني قال نعم
تجزي عنك وفي رواية قال اذبحها مكانها ولن تجزي عن احد بعدك
اي غيرك لانه لابد في تضحية المعز من الثنية ونيار بكسر النون وتخفيف
المثناة التحتية واخره راء بعد الف وقوله تجزي بفتح اوله غير مهموز
اي تقضي كقوله لا يجزي والد عن ولده قال ابن بري الفقها يقولون
لا يجزي بالضم والهمزة في موضع لا يقضي والصواب الفتح بلا همز ويجوز الضم

والهمز

والهمز بمعنى الكفاية وفي الاساس بنو تميم يقولونه بضم اوله واهل الحجاز بفتح
بفتح اوله وبهما قرئ لا تجزي نفس عن نفس وجوز بعضهم هنا الضم من
الرباعي وبه قال الزركشي في تعليق العمدة اعتمادا على نقل الجوهري وغيره
انها لغة بني تميم وتعقب بان الاعتماد انما هو على الرواية لا مجرد النقل عن
تميم والجذع بالجيم والذال المعجمة ثم عين مهملة ما استكمل سنة وفي العناق
بجزع لستة وربما اجذعت قبل تمامها للخصب فتسمن فيسرع اجذاعها وفي
نقد الحديث تخصيص ابي بردة باجزا الجزع من المعز في الاضحية
على سبيل الصراحة لكن وقع في عدة احاديث التصريح بنظير ذلك
لغير ابي بردة ففي حديث عقبة بن عامر الجهني الفقيه الفاضل مات
قرب الستين عند البيهقي واصله في الصحيحين عن عقبة قال قسم النبي
صلى الله عليه وسلم بين اصحابه ضحايا فصارت لعقبة جذعة فقلت يا رسول
الله صارت لي جذعة قال ضح بها زاد في رواية البيهقي ولا رخصة فيها
لاحد بعدك قال البيهقي ان كانت هذه الزيادة محفوظة اي ليست
بشاذة فان هذا رخصة لعقبة كما رخص لابي بردة قال الحافظ
ابن حجر وفي هذا الجمع نظر لان في كل منهما صيغة عموم وهو نفي الاجزا
عن غير المخاطب في كل منهما فايهما تقدم على الاخر فتقتضي انتفا
الوقوع فلا يصح الجمع المذكور ويحتمل في الجمع ان يكون خصوصية
الاول نسخت فثبوت الخصوصية للثاني لا مانع من ذلك
لانه لم يقع في السياق استمرار المنع لغيره صريحا لكن فيه دعوى
النسخ بالاحتمال وانما يكون بمعرفة التاريخ والى هذا اشار بقوله الاتي
وان تعذر الجمع الى اخره وفي كلام بعضهم ان الذين ثبتت لهم الرخصة
اربعة او خمسة واستشكل هذا البعض الجمع بحسب الظاهر التحقيق فان
الاحاديث التي وردت ليس فيها التصريح بالنفي الا في قصة ابي
بردة في الصحيح للشيخين وفي قصة عقبة بن عامر عند البيهقي
واما ما عدا ذلك فوقعت المشاركة في مطلق الاجزا لا في خصوص منع
الغير فاخرج ابو داود وصححه ابن حبان من حديث زيد بن خالد الجهني
المدني صحابي شهير مات بالكوفة سنة ثمان وستين او سبعين وله خمس
وثمانون سنة ان النبي صلى الله عليه وسلم اعطاه عتودا بفتح المهملة
وضم الفوقية الخفيفة ما قوي ورعى من اولاد المعز واتى عليه حول او العتو
والجذع من المعز ابن خمسة اشهر وفي المحكم العتود الجدي الذي استكرش
وقيل الذي بلغ السفاد جذعا اي صغيرا فقال ضح به فقلت انه جذع
لا يجزي ضحية افاضحي به قال ضح به ولم يقل لا رخصة او لا يجزي عن
احد بعدك وفي الاوسط للطبراني من حديث ابن عباس انه صلى
الله عليه وسلم اعطى سعد بن ابي وقاص مالك احد العشرة جذعا
من المعز فامره ان يضحي به واخرجه الحاكم من حديث عايشة

انه اعطي سعد الخ وفي سنده شدة ضعف وان خرجه الحاكم
وكذا وقع لعويمر بن اشقر رواه ابن حبان وابن ماجة وروى ابو يعلي
والحاكم عن ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله هذا جذع من الضان
مهزولة وهذا جد من المعز سمين وهو خيرها افاضحي به فقال ضح به فان
لله الخير وسنده ضعيف فلا منافاة بين ذلك كله وبين حديثي ابي
بردة وعقبة لاحتمال ان يكون ذلك في ابتدا الامر جزما ثم تقرر
الشرع بان الجذع من المعز لا يجزي واختص ابو بردة وعقبة في
ذلك لكن يبقي التعارض بين حديثيهما فان ساغ احد الجمعين المتقدمين
فلا تعارض وان تعذر الجمع بين حديث ابي بردة وحديث عقبة
لان جمع البيهقي فيه نظر بان كلا منهما صيغة عموم كما مر والجمع باحتمال نسخ
خصوصية الاول بالثاني لا ينهض اذ النسخ لا يكون بالاحتمال رجعنا الي
الترجيح فحديث ابي بردة اصح مخرجا لاتفاق البخاري ومسلم عليه
فهو ارفع الصحيح فيقدم علي عقبة عند البيهقي خصوصا وقد اخرجه
الشيخان بدون تلك الزيادة وان كان حديث عقبة عند البيهقي من مخرج
الصحيح لانه لا يلزم من اخراج الشيخين لرجاله ان يكون صحيحا مثل تخريجه
بالفعل وقد نبه علي ذلك ابن الصلاح في مقدمة شرح مسلم فقال من حكم
لشخص بمجرد رواية مسلم عنه في الصحيح بانه من شرط الصحيح عند مسلم
فقد غفل وقد اخطا بل ذلك يتوقف علي النظر في كيفية روايته عنه وعلي
اي وجه اخرج حديثه انتهي ومن ذلك انكاح ذلك الرجل الذي كان
عند المصطفي لما عرضت امراة نفسها عليه صلي الله عليه وسلم والاشارة
الي معلوم بما معه من القران اي بتعليمه اياها بان جعله صداقا وذلك لا يجوز
كونه صداقا فهو خصوصية فيما ذكره جماعة كابي حنيفة واحمد ومالك
وهو احد قولين مرجحين عند اصحابه وجوزه الشافعي والمصنف
كغيره ممن ذكر الخصايص غالبا لا يقتصرون فيها علي مذهبهم بل يذكرون
كل ما قيل انه خصوصية ولو كان ضعيفا فيجيب الاعتراض عليه بانه خلاف
مذهب الشافعي وكان المعترض ما تنبه لقوله فيما ذكره جماعة وورد به
حديث مرسل اخرجه سعيد بن منصور عن ابي النعمان الازدي ظاهر
المصنف انه تابعي لقوله مرسل وقد اورده في الكنى الاصابة في الكنى
في القسم الاول وقال ذكره ابو موسي عن الطبراني واخرج ابن السكن
عن ابي النعمان الازدي عنه ان رجلا خطب امراة فقال صلي الله عليه
وسلم اصدقها قال له ما عندي شي قال اما تحسن سورة من القران فاصدقها
السورة ولا يكون لاحد بعدك مهرا قال ابن السكن لا تحفظ هذه الزيادة
الا في هذه الرواية انتهي وفي التجريد للذهبي ابو النعمان له حديث ساقه
مطين وغيره في التزويج علي سورة من القران فهو صحابي قطعا فمراد
المصنف كالسيوطي بقولهما مرسل ما سقط منه راو علي احد الاقوال لا ما رفعه

التابعي وان كان هو المشهور في تعريفه لان الواقع ان ابا النعمان صحابي لا تابعي
قال زوج رسول الله صلي الله عليه وسلم امراة يقال انها خولة بنت
حكيم او ام شريك او ميمونة قال الحافظ في المقدمة ولا يثبت شي من ذلك الرجل
الرجل علي سورة من القران اي علي جنس فلا ينافي رواية الصحيحين
قال معي سورة كذا وسورة كذا السور يعددها فقال النبي صلي
الله عليه وسلم انكحتها بما معك من القران ولابي داود والنسائي عن ابي هريرة
سورة البقرة والتي تليها وللدارقطني عن ابن مسعود البقرة وسور من
المفصل ولتمام الرازي عن ابي تمامة قال زوج النبي صلي الله عليه وسلم رجلا
من الانصار علي سبع سور وفي فوايد ابي عمر بن حيويه عن ابن عباس قال معي
اربع سور او خمس سور ذكره الحافظ وفي ابي داود باسناد حسن عن ابي
هريرة فعلمها عشرين اي اية من القران وهي امراتك فظاهر حديث الصحيحين
انه جعل الصداق تعليمه اياها جميع ما معه من القران علي اختلاف الروايات
في تعليمه تعيينه ولا منافاة بينها لان كلا حفظ ما لم يحفظ الاخر واما الجمع
بجواز ان ما كان مع الرجل سورة وعدتها عشرون اية او كان عنده سورة قصار
تبلغ عشرين اية لما رايت من ان منها البقرة وال عمران فبعيد وانما عدل المصنف
كالسيوطي عن الصحيحين الي المرسل لانه صرح فيه بالخصوصية بقوله وقال لا يكون
لاحد بعدك مهرا وتجويز ان المراد لا ينبغي ان احدا يجعل السورة صداقا حتى
لا يخالف الشافعي عدول عن الظاهر وقد قال مكحول ليس لاحد بعده انه خصوصية
بخلاف حديث الصحيحين فافادته الخصوصية بالقوة لا التصريح روي الشيخان
عن سهل بن سعد ان امراة عرضت نفسها علي النبي صلي الله عليه وسلم وفي رواية
لهما فقالت يا رسول الله اني قد وهبت نفسي اليك فصعد فيها النظر فقامت قياما
طويلا فقام رجل فقال يا رسول الله زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة قال هل
عندك قال ما عندي شي قال اذهب فالتمس ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع
فقال لا والله ان وجدت شيا ولا خاتما من حديد ولكن هذا ازاري ولها نصفه
قال سهل وما له ردا فقال صلي الله عليه وسلم وما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن
عليها منه شي وان لبسته لم يكن عليك منه شي فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه
قام فراه النبي صلي الله عليه وسلم فدعاه او دعي له فقال له ماذا معك من القران
قال معي سورة كذا وسورة كذا السور يعددها فقال النبي
صلي الله عليه وسلم انكحتكها بما معك من القران هذا وزاد السيوطي
ترخيصه في ارضاع سالم مولي ابي حذيفة وهو كبير وفي تعجيل صدقة
عامين للعباس وفي الجمع بين اسمه وكنيته للولد الذي يولد لعلي وفي
المكث جنبا لعلي وفي فتح باب من داره في المسجد له وفي فتح خوخة
فيه لابي بكر واكل الجامع في رمضان من كفارة نفسه وفي لبس الحرير للزبير
وعبد الرحمن فيما قاله جماعة وهو وجه عندنا وفي لبس خاتم الذهب للبرا
وفي اشتراط الولا للموالي في بريرة ولا يوفي به فيما ذكره بعضهم وفي العرنيين

العربية للبرا وفي اشتراط الولا لموالي بريرة ولا يوعى به فيما ذكره بعضهم
وفي العربية لعلقمة بن زيد الحارثي فيما ذهب اليه الواقدي وفي عيادة لعبد
لحيان بن منقذ فيما ذكره النووي في شرح مسلم وفي التحلل بالمرض لضباعة
بنت الزبير في احد القولين وفي تعركه مبيت منى لاجل السقاية لبني العباس
في وجه وبني هاشم في اخر ولعايشة في صلاة ركعتين بعد العصر ولمعاذ في
قبول الهدية حين بعثه الي اليمن وفي المستدرك وغيره عن انس ان ام سليم
تزوجت ابا طلحة علي اسلامه قال ثابت ما سمعت بامراة كانت اكرم مهرا منها
الاسلام واعاد امراة ابي ركانة اليه بعد ان طلقها ثلاثا من غير محلل واسلم
رجل علي ان لا يصلي الا صلاتين فقبل منه وضرب لعثمان يوم بدر بسهم ولم يضرب
لغايب غيره رواه ابو داود وعن ابن عمر وكان يوم اخي بين الصحابة وبينت
بينهم التوارث وليس ذلك لغيره قاله علي بن زيد وخص نسا المهاجرين بانهن
يرثن دون ازواجهن لانهن غرايب لا ماوي لهن وكان انس يصوم من طلوع
الشمس لا من طلوع الفجر فالظاهر انها خصوصية **ومنها انه كان يوعك**
اي ياخذه الوعك بسكون العين اي شدة الحمى او المها او رعدتها رعد تقاه
كما يوعك رجلان لمضاعفة الاجر روي الشيخان عن ابن مسعود قال دخلت
علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو يوعك فقلت انك لتوعك وعكا شديدا فقال
اجل اني اعك كما يوعك رجلان منكم قلت وذلك لان لك اجرين قال اجل
ذلك كذلك ما من مسلم يصيبه اذي من شوكة فما فوقها الا كفر الله بها سياته
كما تحط الشجرة اوراقها زاد الاغوذج وكذلك الانبيا وعصم من الاعلال
الموجبة ذكر هذه القضاعي الاعلال بمهملة جمع علة والموحية بحا مهملة القاتلة
بسرعة فلم يصب منها شي طول حياته وروي الطبراني عن ابي امامة كان
صلي الله عليه وسلم يتعوذ من موت الفجاة وكان يعجبه ان يمرض قبل ان يموت
وروي ابن ماجة وصححه الديلمي عن ابي سعيد مرفوعا انا معاشر الانبيا
يضاعف لنا البلا كما يضاعف لنا الاجر كان النبي من الانبيا يبتلي بالقمل حتي يقتله
وانهم كانوا يفرحون بالبلا كما يفرحون بالرخا وروي احمد بسند حسن
والطبراني عن فاطمة بنت اليمان قالت اتينا رسول الله صلي الله عليه
وسلم نعوده في نسا فاذا شن معلق نحوه يقطر ماوه فيه من شدة ما
يجد من حر الحمي فقلنا يا رسول الله لو دعوت الله فشفاك قال انا معاشر
الانبيا يضاعف علينا البلا **ومنها ان جبريل ارسل اليه ثلاثة ايام
في مرضه** الذي مات فيه اكراما له واجلالا **يساله عن حاله** كل يوم
يقول ان الله ارسلني اليك تفضيلا وخاصة يسالك عما هو اعلم به منك كيف
كيف تجدك قال اجدني مكروبا ومغموما وفي اليوم الثالث جا ومعه ملك الموت
فاستاذنه في قبض روحه فاذن **ذكره** اي خرجه **البيهقي** في الدلايل **وغيره**
واشار البيهقي لضعفه ولما نزل اليه ملك الموت نزل معه ملك اسماعيل وهو
علي سبعين الف ملك يصعد الهوا لم يصعد الي السما قط ولم يهبط الي الارض قبل

قبل ذلك اليوم قط وسبقهما جبريل فقال له ما تقدم فقال له ملك الموت يستاذن
عليك ولم يستاذن علي ادمي قبلك فاذن له فدخل فوقف بين يديه وقال
ان الله ارسلني اليك وامرني ان اطيعك فان امرتني ان اقبض نفسك قبضتها
وان امرتني ان اتركها تركتها فقال له جبريل ان الله اشتاق الي لقايك اي
اراده فقال صلي الله عليه وسلم امض لما امرت به رواه الشافعي والبيهقي والطبراني
عن علي باسناد معضل وروي ابو نعيم عن علي لما قبض صلي الله عليه وسلم صعد
ملك الموت باكيا الي السما والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السما ينادي
وامحمداه **ومنها انه صلي الله عليه وسلم صلي عليه الناس افواجا افواجا**
اي فوجا بعد فوج روي الترمذي ان الناس قالوا لابي بكر انصلي علي رسول
الله قال نعم قالوا وكيف نصلي قال يدخل قوم ويصلون ويدعون ثم يدخل
قوم فيصلون فيكبرون ويدعون فرادي **بغير امام** قال علي هو امامكم حيا
وميتا فلا يقوم عليه احد فكان الناس يدخل رسلا فرسلا فيصلون
صفا ليس لهم امام رواه ابن سعد قيل وصلوا كذلك لعدم اتفاقهم علي خليفة
وقيل بوصية منه روي الحاكم والبزار بسند فيه مجهول انه صلي الله عليه وسلم
لما جمع اهله في بيت عايشة قالوا فمن يصلي عليك قال اذا غسلتموني وكفنتموني
فضعوني علي سريري ثم اخرجوا عني فان اول من يصلي علي جبريل ثم ميكايل
ثم اسرافيل ثم ملك الموت ثم جنوده من الملايكة باجمعهم ثم ادخلوا علي فوجا
بعد فوج فصلوا علي وسلموا تسليما **وبغير دعا الجنازة المعروف ذكره**
اي رواه **البيهقي وابن سعد وغيرهما** عن علي انهم كانوا يكبرون ويقولون
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله اللهم انا نشهد ان محمدا قد بلغ ما انزل عليه
ونصح لامته وجاهد في سبيلك حتي اعز الله كلمته فاجعلنا نتبع ما انزل عليه
ونصح لامته وجاهد في سبيلك حتي اعز الله كلمته فاجعلنا نتبع ما انزل اليه وثبتنا
بعده واجمع بيننا وبينه فيقول الناس امين اي الناس الذين
لم يكونوا مشغولين بالصلاة او من سبق بالسلام ولم ينصرف او المصلون انفسهم
وروي الحاكم والبيهقي اول من صلي الملايكة فرادي ثم الرجال فرادي ثم النسا
ثم الصبيان بوصية منه بذلك وروي البيهقي عن ابن عباس لما مات صلي الله عليه
وسلم ادخل عليه الرجال فصلوا بغير امام ارسالا حتي فرغوا ثم ادخل النسا
فصلين عليه كذلك ثم العبيد كذلك ولم يومهم عليه احد وتكرار الصلاة عليه
من خصايصه عند مالك وابي حنيفة وفي اقتصار المصنف علي انه بغير دعا
الجنازة افادة انهم صلوا عليه الصلاة المعروفة ولم يقتصروا علي مجرد الدعا
وهو كذلك قال عياض وتبعه النووي وهو الصحيح الذي عليه الجمهور
ان الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم كانت حقيقية لا مجرد الدعا
فقط وعد طايفة من خصايصه انه لم يصل عليه اصلا وانما كان الناس
يدخلون ارسالا فيدعون ويصدقون علي ظاهر حديث علي وعلل بانه
لفضله وشرفه غير محتاج للصلاة عليه ورد بان المقصود من الصلاة

عليه عود التشريف على المسلمين مع ان الكامل يقبل زيادة التكميل وترك
بلا دفن ثلاثة ايام لاختلافهم في موته او في محل دفنه او لاشتغالهم
في امر البيعة بالخلافة حتى استقر الامر على ابي بكر كما سياتي ذكره بتعليله
في المقصد الاخير زاد غيره او لدهشتهم من ذلك الامر الهائل الذي ما وقع
قبله ولا بعده مثله فصار بعضهم كجسد بلا روح وبعضهم عاجزا عن النطق
وبعض عن المشي او خوف هجوم عدو او لصلاة جم غفير وفرش له في
لحده قطيفة نجرانية كان يتغطى بها وضعها مولاه شقران وقال
وقال والله لا يلبسها احد بعدك فوضعها خصوصية له كما قال وكيع فقد
كره جمهور العلما وضع قطيفة او مضربة او مخدة ونحو ذلك في القبر تحت
الميت وشذ البغوي فجوزه والصواب الكراهة واجاب الجمهور عن هذا الحديث
بان شقران انفرد بفعل ذلك ولم يوافقه احد من الصحابة ولا علموا بذلك وانما
فعل ذلك كراهة ان يلبسها احد بعده قاله النووي وقد قال ابن عبد البر
انها اخرجت لما فرغوا من وضع اللبنات التسع ورجحه الحافظ وشيخه
في الالفية قال
وفرشت في قبره قطيفة وقيل اخرجت وهذا اثبت
والامرات تاخير الدفن والفرش مكروهات في حقنا نتربها
واظلمت الارض بعد موته رواه الترمذي عن انس لما كان اليوم الذي
دخل فيه صلى الله عليه وسلم اضا منها كل شي فلما كان اليوم الذي مات فيه اظلم
منها كل شي وما نفضنا ايدينا عن التراب وانا لفي دفنه حتى انكرنا قلوبنا
كما سياتي في المقصد العاشر زاد الانموذج ولا يضغط في قبره وكذلك
الانبيا ولم يسلم من الضغطة صالح ولا غيره سواهم وفي تذكرة القرطبي الا
فاطمة بنت اسد ببركته ويحرم الصلاة على قبره واتخاذه مسجدا قال الاوزاعي
ويحرم البول عند قبور الانبيا ويكره البول عند قبور غيرهم ومنها انه لا يبلى
بالبنا للمفعول جسده اي لا يتغير عن حالته التي كان عليها في الدنيا ولا
يقال هذه الخصوصية شاركه الانبيا فيها الشهدا وغيرهم وكذلك الانبيا
ولا خلاف في طهارة ميتتهم وفي غيرهم خلاف ولا يجوز للمضطر اكل ميتة نبي
رواه ابو داود وابن ماجة عن اوس رفعه ان الله حرم على الارض
ان تاكل اجساد الانبيا وروى الزبير بن بكار من مرسل الحسن من
كلمه روح القدس لم تاكل الارض لحمه وروى البيهقي عن ابي العالية ان لحوم
الانبيا لا تبليها الارض ولا تاكلها السباع قال الشيخ ابو الحسن المالكي في شرح
الترغيب وحكمة عدم اكل الارض اجساد الانبيا ومن الحق بهم ان التراب يمر
على الجسد فيطهره والانبيا لا ذنب لهم فلم يحتج الى تطهيرهم بالتراب
ومنها انه لا يورث فقيل لبقايه على ملكه لانه حي وقيل لمصيره
صدقة وبه قطع جزم الروياني وهو المعتمد لقوله صلى الله عليه
وسلم لا نورث ما تركناه صدقة ونصبها الشيعة ورد بانه يبطل معنى

الحديث اذ كل من ترك لا محالة كونه صدقة كذلك ورد بان عليا والعباس من
اهل اللسان ونحل وقد احتج الصديق عليهم بالحديث فقبلوه ثم حكى وجهين
في انه هل يصير وقفا على ورثته لو كان يورث وانه اذا صار وقفا
هل هو الواقف او صار وقفا من غير انشا صيغة وجهان قال النووي
في زيادات الروضة الصواب الجزم بزوال ملكه وان ما تركه صدقة
على المسلمين لا تختص به الورثة انتهى وقال الحافظ يظهر ان ما تركه
بعده من جنس الاوقاف المطلقة ينتفع بها من يحتاج اليها ويقر تحت يد من
يؤتمن عليها ولهذا كان له عند سهل قدح وعند انس اخر وعند عبد الله
بن سلام اخر وكان الناس يشربون منها تبركا وكانت جبته عند اسما بنت
ابي بكر الى غير ذلك مما هو معروف وقال الرافعي في الشرح الصغير على وجيز
الغزالي المشهور انه صدقة وذكر الرافعي في الشرح الصغير على الكبير
الوجيز في قسم الفي الكبير ان الخمس كان له صلى الله عليه وسلم ينفق منه
على نفسه ومصالحه ولم يكن يملكه ولا ينتقل الى ورثته لو كان يورث
وقال في باب الخصايص انه ملكه وجمع بينهما بانه لجهة الانفاق
ما دنيين مملوكة والخلاف جار في حدها انتهى والله اعلم وعلى هذا
فيباح ان يوصي بجهة ماله للفقرا او يمضي اي ينفذ ذلك بعد موته
بخلاف غيره فانه لا يمضي به الا الثلث بعد موته والوصية بجميع المال
في ساير الاحوال من غير حرمة ولا كراهة من خصايص من الانبيا لانهم
لا يورثون وكذلك الانبيا لا يورثون لانهم لو ورثوا لظن ان لهم رغبة في
الدنيا لوارثهم او لانهم احيا او لئلا يتمنى ورثتهم موتهم فيهلكون لما رواه
النسائي من حديث الزبير بن العوام مرفوعا انا معاشر الانبيا نصب على
الاختصاص او المدح والمعشر كل امر يجمعهم جمع امرهم واحد والجن واحد فالانس
معشر والجن معشر والانبيا معشر وهو قول وهو معنى قول جمع المعشر
الطايفة الذين يشملهم وصف لا نورث وهذا يعني ما اشتهر مما لم يثبت لفظه
نحن معاشر الانبيا لا نورث قال الحافظ في تخريج المختصر والحاصل انه لم يوجد
بلفظ نحن ووجد بلفظ انا ومفادهما واحد فلعل من ذكره ذكرهم بالمعنى وهو
في الصحيحين عن ابي بكر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لا نورث ما تركناه صدقة بالرفع خبر المبتدا الذي هو ما تركناه
والكلام جملتان الاولى فعلية والثانية اسمية قال الحافظ ويؤيده وروده
في بعض طرق الصحيح ما تركناه فهو صدقة وادعى بعض الرافضة
ان الصواب قرايه بتحتية او له ونصب صدقة على الحال والذي توارد
عليه اهل الحديث في القديم والحديث بالنون ورفع صدقة انتهى
وفي شرح المصنف وحرفه الامامية فقالوا لا يورث بتحتية بدل النون
وصدقة نصب على الحال وما تركناه مفعول لما لم يسم فاعله فجعلوا الكلام
جملة واحدة ويكون المعنى انما يترك صدقة لا نورث وهذا تحريف يخرج الكلام

عن نمط الاختصاص الذي دل عليه قوله في بعض طرق الحديث نحن معاشر
الانبيا لا نورث ويفضي ما صرفوه الي امر لا يختص به الانبيا لان احاد الامة
اذا وقفوا اموالهم وجعلوها صدقة انقطع حق الورثة عنها فهذا من
تحاملهم او تجاهلهم وقد اورده بعض اكابر الامامية علي القاضي شاذان
صاحب القاضي ابي الطيب فقال القاضي شاذان وكان ضعيف العربية
قويا في علم الخلاف لا اعرف نصب صدقة من رفعه ولا احتاج الي علمه فانه
لا خفا بي وبك ان عليا وفاطمة من افصح العرب لا تبلغ انت ولا امثالك الي
ذلك منهما فلو كان لهما حجة فيما لحظت لابديا ها لابي بكر فسكت ولم يخرجوا باذهب
الناس الي صحة نصب صدقة علي الحال وانكره عياض لتاييده مذهب الامامية
لكن قدره ابن مالك ما تركناه متروك صدقة فحذف الخبر وبقي الحال كالعوض
منه ونظيره قراءة بعضهم ونحن عصبة انتهي لكن في التوجيه نظر اذ لم
تات رواية بالنصب حتي يوجه ولانه لم يتعين حذف الخبر بل يحتمل ما قاله
الامامية ولذا انكره عياض وان صح في نفسه وعلي هذا فيجاب عن قوله
تعالي وورث سليمان داود وقوله فهب لي ويقع في نسخة رب
هب لي وهو تصحيف مخالف للتلاوة من لدنك وليا يرثني بان المراد
يرث النبوة والعلم حلافا لمن زعم ان خوف زكريا من مواليه كان علي ماله
لانه لا يخاف علي النبوة لانها من فضل الله يعطيها من شا فلزم انه يورث
وهذا مدفوع بان خوفه منهم لاحتمال سريهم من جهة تغييرهم احكام شرعه
فطلب ولدا يرث نبوته ليحفظها ومنها انه حي في قبره قال البيهقي
لان الانبيا بعدما قبضوا ردت اليهم ارواحهم فهم احيا عند ربهم كالشهدا
وقد راي نبينا صلي الله عليه وسلم جماعة منهم وامهم في الصلاة ولخبره وخبره
صدق ان صلاتنا معروضة عليه وان سلامنا يبلغه وان الله حرم علي الارض
ان تاكل اجساد الانبيا قال السيوطي وقل نبي الا وقد جمع من النبوة وصفا
للشهادة فيدخلون في عموم قوله تعالي ولا تحسبن الذين قتلوا الاية واخرج
احمد وابو يعلي والطبراني والبيهقي والحاكم عن ابن مسعود قال لان احلف
تسعا ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قتل قتلا احب الي من احلف واحدة
انه لم يقتل وذلك ان الله اتخذه نبيا واتخذه شهيدا واخرج البخاري والبيهقي
عن عايشة كان صلي الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي توفي فيه لم ازل
اجد الم الطعام حتي اكلت بخيبر فهذا اوان انقطع ابهري من ذلك السم يصلي
فيه باذان واقامة وكذلك الانبيا احيا في قبورهم يصلون روي
ابو يعلي والبيهقي عن انس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال مررت علي
موسي ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قايم يصلي في قبره ولذا
قيل لا عدة علي ازواجه لانه حي فزوجيتهن باقية غايته انه انتقل من
دار الي دار وحياته باقية وذلك مقتضي لبقا العصمة وكان قايل هذا راي
ان روحه لما ردت بعد موته اليه وكانه لم يمت لا انه لم يمت حقيقة بل هو امر

كهيئة الانجا فظن به موته اذ لا قايل بذلك ومثله يقال في بقية الانبيا
وقد حكي محمد بن الحسن بن زبالة بفتح الزاي وتخفيف الموحدة المخزومي
ابو الحسن المدني كذبوه ومات قبل المايتين وابن النجار ان الاذان
ترك في ايام وقعة الحرة بفتح الحا المهملة والرا المشددة ارض بظاهر المدينة
ذات حجارة سود كانها احرقت بالنار كانت بها الوقعة بين اهل المدينة وبين
عسكر يزيد بن معوية سنة ثلاث وستين بسبب خلع اهل المدينة يزيدا وولوا
علي قريش عبد الله بن مطيع وعلي الانصار عبد الله بن حنظلة واخرجوا عامل
يزيد عثمان بن محمد بن ابي سفيان بن عم يزيد من بين اظهرهم وكان عسكر
يزيد سبعة وعشرين الف فارس وخمسة عشر الف راجل فقتل فيها خلق كثير من
الصحابة وغيرهم ونهبت المدينة وافتض فيها الف عذرا وفي البخاري عن
سعيد بن المسيب ان هذه الفتنة لم تبق من اصحاب الحديبية احدا ثلاثة
ايام وخرج الناس من المسجد وسعيد بن المسيب في المسجد لم يخرج
قال سعيد فاستوحشت اي حصلت لي وحشة اي نفرة في نفسي لخلو المسجد
ممن يستانس به فدنوت من القبر الشريف لتزول الوحشة فلما حضرت
الظهر سمعت الاذان في القبر فصليت الظهر بذلك اكتفا به لعلمه انه حق
لكن مقتضي فلما حضرت الظهر انه علم دخول الوقت قبل سماع الاذان لكن روي
الدارمي اخبرنا مروان بن محمد عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان ايام الحرة
لم يوذن في مسجد النبي صلي الله عليه وسلم ثلاثا ولم يقم وان سعيد بن المسيب
لم يبرح مقيما كان لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبر النبي صلي الله
عليه وسلم ثم مضي استمر ذلك الاذان والاقامة في القبر لكل صلاة
لكل صلاة يحتمل من تمكن عنده تعبيره تفطيا له علي الظاهر ويحتمل غير ذلك
حتي مضت الثلاث ليال ورجع الناس وعاد المؤذنون فسمعت اذانهم
كما سمعت الاذان في قبر النبي صلي الله عليه وسلم انتهي واشار بذلك
الي ان ما سمعه في القبر هو الاذان المعروف لا الاعلام بدخول وقت الصلاة
بالفاظ اخر وتنبيه بذلك علي سماعه بعد عود الناس اذان المؤذنين دون
القبر وان كان باقيا لان سماعه تلك المدة كرامة له وتانيس لاستيحاشه بانفراده
في المسجد ويجوز انه انقطع الاذان في القبر بعد عود الناس لا يسمع وكلامهم
يابا ه روي ابو نعيم عن سعيد بن المسيب قال لقد رايتني ليالي الحرة وما
في مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم غيري وما ياتي وقت صلاة الا
سمعت الاذان من القبر وروي الزبير بن بكار عنه لم ازل اسمع الاذان
والاقامة في قبر رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي عاد الناس واخرج ابن
سعد عنه انه كان يلازم المسجد ايام الحرة والناس يقتتلون قال فكنت
اذا حانت الصلاة اسمع اذانا من القبر الشريف وقد ثبت ان الانبيا
يحجون ويلبون فيجب اعتقاده لثبوته فان قلت كيف يصلون
ويحجون ويلبون وهم اموات في الدار الاخرة وليست دار عمل

بل دار جزا ونعيم للمومنين فالجواب انهم كالشهدا بل افضل منهم
والشهدا احيا عند ربهم يرزقون كما في التنزيل وقال صلى الله عليه وسلم
الشهدا على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضرا يخرج عليهم رزقهم بكرة
وعشية رواه احمد فلا يبعد ان يحجوا ويلبوا ويصلوا وبهذا الايدفع
السوال كيف نفع اعمال الدنيا في الاخرة وليست دار عمل وكما يرد هذا في عمل
الانبيا يرد ايضا في الشهدا فالاحسن الجواب بانه ورد على الشارع وهو
ممكن فيجب قبوله ولا يبحث فيه بشي وكون الاخرة ليست دار عمل اي مكلف
به واعمالهم انما هي لمجرد التلذذ به وتيسيره لهم فهو من جملة النعيم او نقول
في الجواب ان البرزخ ينسحب يجر عليه حكم الدنيا لانه قبل يوم
القيامة وكلما قبله يعد من الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة
الاجور وان المنقطع في الاخرة انما هو التكليف وقد تحصل الاعمال
من غير تكليف على سبيل التلذذ بها فهو من النعيم وكان هذا تتمة
الجواب الاول ولهذا اي حصول الاعمال في الاخرة تلذذا ورد انهم اي
اهل الاخرة يسبحون ويقرون القران في الجنة كما في مسلم مرفوعا ان
اهل الجنة يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس ومن هذا سجود
النبي صلى الله عليه وسلم وقت الشفاعة ثلاث مرات وقد قال
صاحب التلخيص ابن القاص ان ماله عليه السلام قايم بعد موته
قايم اي باق على نفقته وملكه فيصرف على ازواجه ومن كان في
نفقته في حياته وعده من خصايصه ونقل امام الحرمين
وصححه عنه ان ما خلفه بقي على ما كان عليه في حياته فكان
ينفق منه ابو بكر على اهله اي زوجاته وخدمه ويصرف منه ما
كان يصرف في حياته وكان يرى يعتقد انه باق على ملك النبي
صلى الله عليه وسلم فان الانبيا احيا ومال السبكي اليه لهذا التعليل
وهذا يقتضي اثبات الحياة في احكام الدنيا وذلك زايد
على حياة الشهيد لانها وان كانت واقعة لكنه يزول ملكه عنها وتعتد
نساوه ويورث ماله فلا ينفق منه على زوجاته وخدمه انفاقا
في ذلك كله بخلاف الانبيا ففيه خلاف والذي صرح به النووي
وقال انه الصواب كما مر قريبا زوال ملكه عليه السلام بالموت
وانما تركه صدقة على جميع المسلمين لا يختص به ورثته
وانما انفق منه على ازواجه لوجوب نفقتهن في تركته مدة حياتهن
لانهن في معنى المعتدات لحرمة النكاح عليهن ابدا وليس ذلك لارثهن
منه ولذلك اختصصن بمساكنهن مدة حياتهن ولم يرثنها ورثتهن
بعدهن فان قلت كيف يكون حيا ويختلف في زوال الملك عن ماله وفي عدة
زوجاته وهذا القران ناطق بموته عليه السلام قال الله تعالى
خطابا له صلى الله عليه وسلم انك ميت وانهم ميتون اي ستموت

ويموتون

ويموتون فلا شماتة بالموت نزلت لما استبطا الكفار موته عليه السلام
وقال عليه السلام اني امري مقبوض وقال الصديق ومن كان
يعبد محمدا فان محمدا قد مات واجمع المسلمون على اطلاق ذلك ورجع
عمر عن قوله انه ما مات ولن يموت حتى يفني الله المنافقين فقام لما بويع ابو
بكر واستوى على منبره عليه السلام وتشهد ثم قال اما بعد فاني قلت لكم
مقالتي بالامس ولم تكن كما قلت واني والله ما وجدتها في كتاب الله
ولا في عهد عهده الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني كنت ارجو ان يعيش حتى
يكون اخرنا موتا فاختار الله لرسوله ما عنده فاجاب اي فاقول اجاب لان
هذا ليس من المواضع الذي تدخل عليها الفا الشيخ تقي الدين السبكي
بان ذلك الموت غير مستمر وانه صلى الله عليه وسلم احيي بعد
الموت ويكون انتقال الملك ونحوه كاعتداد الزوجات مشروطا
بالموت المستمر واما الحياة الثانية حياة اخروية لا شك انها
اعلا واكمل من حياة الشهدا لفضل الانبيا عليهم وهي ثابتة للروح
بلا اشكال اي بلا خلاف عند اهل السنة اذ لا تموت بموت الاجساد في
جميع الناس وفي فنايها عند القيامة توقفة لظاهر قوله تعالى كل من
عليها فان وعدمه قولان استقرب السبكي الثاني وقد ثبت ان اجسام
الانبيا لا تبلى وعود الروح الى الجسد ثابت في الصحيح لسائر
الموتى فضلا اي زيادة عن الشهدا فضلا عن الانبيا وانما النظر في
استمرارها في البدن وفي ان البدن يصير حيا كحالته في
الدنيا او حيا بدونها وهي حيث شا الله فان ملازمة الروح
للحياة امر عادي اجرى الله به العادة فيجوز تخلفه لا عقلي فيمتنع
تخلفه فهذا اي الحياة بلا روح مما يجوزه العقل فان صح به سمع
وقد ذكره جماعة من العلما ويشهد له صلاة موسى في قبره كما
ثبت في الصحيح واختلف فيها فقيل الصلاة اللغوية اي يدعو الله
ويذكره ويثني عليه وقيل الشرعية ولا مانع من ذلك لانه ليس الان
في الدنيا وهي دار تعبد وعلى هذا اجرى القرطبي فقال الحديث يدل
بظاهره على انه راه روية حقيقية في اليقظة وانه حي في قبره يصلي
الصلاة التي كان يصليها في الحياة وذلك ممكن فان الصلاة تستدعي
جسدا حيا سوا قلنا انها الشرعية او اللغوية وكذا الصفات
المذكورة في الانبيا ليلة الاسرا كلها صفات الاجسام ولا
يلزم من كونها حياة حقيقية ان تكون الابدان معها كما
كانت في الدنيا من الاحتياج الى الطعام والشراب وغير ذلك
من صفات الاجسام لان ذلك عادي لا عقلي وهذه الملايكة
احيا ولا يحتاجون الى ذلك وقيد بقوله التي شاهدها حتى لا يرد
عليه انهم ياكلون ويشربون مما لا نشاهده وفي الفتاوى الرملية الانبيا

د الشهدا والعلما لا يبلون والشهدا ياكلون في قبورهم ويشربون
ويصلون ويصومون ويحجون واختلف هل ينكحون نساهم ام لا ويثابون
علي صلاتهم وحجهم ولا كلفة عليهم في ذلك بل يتلذذون وليس هو من
قبيل التكليف لان التكليف انقطع بالموت بل من قبيل الكرامة لهم ورفع
درجاتهم بذلك بل يكون لها حكم اخر فليس في العقل ما يمنع من
اثبات الحياة الحقيقية لهم واما الادراكات كالعلم والسماع
فلا شك ان ذلك ثابت لهم بل ولساير الموتي كما ورد في الاحاديث
قال صلي الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عليه الا استانس
ورد عليه حتي يقوم رواه ابن ابي الدنيا وقال صلي الله عليه وسلم
ما من احد يمر بقبر اخيه المومن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه
ورد عليه السلام رواه ابن عبد البر وصححه ابو محمد عبد الحق وقال صلي الله
عليه وسلم ان الميت يعرف من يغسله ويحمله ويدليه في قبره رواه احمد
وغيره حكاه الشيخ زين الدين المراغي بفتح الميم ومعجمة اخره المحدث
العالم الخبير وقال انه مما يعز وجوده ومن مثله يتنافس
المتنافسون يرغبون بالمبادرة اليه لنفاسته ومن بنا الاذكيا
حياة النبي صلي الله عليه وسلم في قبره هو وساير الانبيا معلومة عندنا
علما قطعيا لما قام عندنا من الادلة في ذلك وتواترت به الاخبار والف
البيهقي في ذلك جزا وفي تذكرة القرطبي عن شيخه الموت ليس بعدم محض
وانما هو انتقال من حال الي حال ويدل علي ذلك ان الشهدا بعد قتلهم
وموتهم احيا عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الاحيا
في الدنيا واذا كان هذا في الشهدا فالانبيا احق بذلك واولي وقد صح
ان الارض لا تاكل اجسادهم وانه صلي الله عليه وسلم اجتمع بالانبيا ليلة
الاسرا في بيت المقدس وفي السما وراي موسي قايما يصلي في قبره واخبر
صلي الله عليه وسلم بانه يرد السلام علي كل من يسلم عليه الي غير ذلك مما يحصل من
جملته القطع بان موت الانبيا انما هو راجع الي ان غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وان
كانوا موجودين احيا ولا يراهم احد من نوعنا الا من خصه الله تعالي بكرامة
من اوليايه انتهي ولا تدافع بين روبته موسي يصلي في قبره وبين روبته في
السما لان للانبيا مراتع ومسارح يتصرفون فيها ما شاوا ثم يرجعون او لا ارواحهم
بعد فراق الابدان في الرفيق الاعلي ولها اشراف علي البدن وتعلق به فيتمكنون
من التصرف والتقرب بحيث يرد السلام علي المسلم وبهذا التعلق راه يصلي في قبره
مناسبة او تمثل اخبار عن وحي لا روية عين فكلها تكلفات بعيدة واخرج البيهقي
في كتاب حياة الانبيا والحاكم في تاريخه عن انس ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال ان الانبيا لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ولكن يصلون بين يدي
الله تعالي حتي ينفخ في الصور قال الحافظ في سنده محمد بن عبد الرحمن
ابن ابي ليلي وهذه وليس الاخذ بعيد اذ ذلك قابلة للتاويل قال البيهقي

ان صح فالمراد انهم لا يتركون يصلون الا هذا المقدار ويكونون مصلين بين
يدي الله ومنها انه وكل بقبره ملك قايم علي قبره الي يوم القيامة يبلغه
صلاة المصلي عليه بلفظ محمد او احمد او غيرهما من اسمايه كالعاقب والماحي
ولام المصلي للاستغراق فهي للعموم وعموم الاشخاص يستلزم عموم الاحوال
ككون المصلي جنبا او متعاطيا لمحرم او في مكان لا يذكر الله فيه كالاخلية ولا مانع
من ذلك لجواز ان النهي لامر خارج وهو لا ينافي التبليغ الذي يترتب عليه الثواب
ويبلغها له عقب التلفظ بها كما روي الديلمي عن ابي بكر رفعه اكثروا الصلاة
علي فان الله وكل بي ملكا عند قبري فاذا صلي علي رجل من امتي قال لي ذلك
الملك يا محمد ان فلان بن فلان يصلي عليك الساعة وبه يسقط توهم انه لا
حاجة الي ذلك لان اعمال امته كلها تعرض عليه والصلاة من جملتها ولانها تعرض
ساعة التلفظ بها وهو غير وقت عرض الاعمال ولذا جعلوا من ادلة حياته
علي الدوام وان روحه لا تفارقه ابدا قوله صلي الله عليه وسلم ما من احد
يسلم علي الا رد الله علي روحي حتي ارد عليه السلام رواه ابو داود بهذا اللفظ
لاستحالة تخلو الوجود كله من احد يسلم عليه عادة ويايتي ان شا الله تعالي
بسط هذا الحديث في المقصد العاشر رواه احمد والنساي في الصلاة والحاكم
وصححه في التفسير وابن حبان والطبراني وابو الشيخ والبيهقي كلهم عن ابن
مسعود بلفظ قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان لله ملايكة
جمع ملك نكره علي معني بعض صفته سياحين بسين مهملة من السياحة وهي
السير يقال ساح في الارض يسيح سياحة اذا ذهب فيها واصله من السيح وهو
الما الجاري المنبسط في الارض في مصالح بني ادم وفي رواية يدور له في الهوي
يبلغوني عن وفي رواية من امتي امة الاجابة السلام ممن يسلم علي منهم
كما في خبر اخر وفيه تعظيم له صلي الله عليه وسلم واجلال لامته صلي الله عليه
وسلم حيث سخر الملايكة الكرام لذلك وهذا الحديث في الصحيحين دون
قوله سياحين فلم يعزه المصنف لهما لزيادته فان ورد انه لا يطابق ترجمته
اذ هي ملك يبلغه الصلاة والحديث ملايكة تبلغه السلام فالجواب انه اراد
بملك الجنس وهو نوعان واحد موكل بالقبر واخرون سياحون واراد بالصلاة
ما يشمل السلام مجازا وفي الحديث الاول تبليغ السلام والثاني تبليغ الصلاة
فطابق الترجمة ولا يجاب بان السياحين يبلغون الموكل لانه صرح برده عليهم
بسماعه منهم ودعوي التجوز ممنوعة فالاصل الحقيقة قال بعض هل يبلغ
السياحون علي السلام او الملك غير الصلاة لم اقف علي شي في ذلك والظاهر
لا لانه غير مشروع وكانه اراد بغير الصلاة والسلام نحو ترضيه وترحم
عليه لتعليله بانه لم يشرع ولان الامور توقيفية لا دخل فيه للقياس وعند
الاصفهاني بكسر الهمزة وفتحها وهي همزة قطع قال النووي ويجوز حذفها
في الوصل وبفتح الموحدة وقد تكسر ويقال بالفا مفتوحة ومكسورة مع
كسر الهمزة وفتحها مدينة معروفة وهو ابو الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر

ابن حيان بفتح المهملة والتحتية حافظ اصبهان ومسند ذلك الزمان مات سنة
ست وتسعين وثلثماية اوارادبه الحافظ ابا القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل
ابن علي القرشي التيمي الطلحي الاصبهاني الامام الحافظ الكبير الذي يضرب به
المثل في الصلاح مات سنة خمس وثلاثين وخمسماية وكلاهما صحيح فابو الشيخ
روي هذا الحديث في كتاب العظمة وابو القاسم رواه في كتاب الترغيب والترهيب
له وقصر المصنف في العزو فقد رواه البخاري في تاريخه والطبراني والعقيلي
وابن النجار كلهم عن عمار بن ياسر احد السابقين وقوله عن عمار تصحيف
من الكاتب فالصواب اسقاطها عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ان لله
ملكا اعطاه سمع العباد كلهم اي قوة يقتدر بها علي سماع ما ينطق به كل
مخلوق من انس وجن وغيرهما فما وفي رواية فليس من احد يصلي
علي صلاة الا اسمعها وابلغنيها زاد الطبراني في روايته واني سالت
ربي ان لا يصلي علي عبد صلاة الا صلي عليه عشر امثالها وللطبراني ايضا عن
عمار بن ياسر عن النبي صلي الله عليه وسلم ان لله ملكا اعطاه الله اسماع
الخلايق كلها وهو قايم علي قبري اذا انا مت الي يوم القيامة فليس احد من
امتي يصلي علي صلاة الا سماه باسمه واسم ابيه وقال يا محمد صلي عليك فلان
ابن فلان فيصلي الرب تبارك وتعالي عليه بكل واحدة عشرا وروي الخطيب عن
ابي هريرة مرفوعا من صلي علي عند قبري سمعه ومن صلي علي نابيا وكل الله
بها ملكا يبلغني ورواه الديلمي بلفظ نابيا ابلغته اي بعيدا ابلغنيه الملك
فظاهره ان محل تبليغه ما لم يكن المصلي عند القبر الشريف والا سمعه صلي الله
عليه وسلم بنفسه قال الشهاب ابن حجر في فتاويه والذي يظهر ان المراد
بالعندية ان يكون في محل قريب من القبر بحيث يصدق عليه عرفا انه عنده
وبالبعيد عنه ما عدا ذلك وان كان بمسجده صلي الله عليه وسلم وفي القول
البديع اذا كان المصلي عند قبره الشريف سمعه صلي الله عليه وسلم بلا واسطة
سواكان ليلة الجمعة او غيرها وما يقوله بعض الخطبا وتوهم انه يسمع باذنيه في
هذا اليوم من يصلي عليه فهو مع حمله علي القريب لا مفهوم له وسيل النووي عن
من حلف بالطلاق الثلاث انه صلي الله عليه وسلم يسمع الصلاة عليه هل يحنث
ام لا فاجاب لا يحكم عليه بالحنث للشك في ذلك والورع انه يلتزم الحنث
انتهي لكن يعارضه خبر من صلي علي عند قبري وكل الله به ملكا يبلغني وكفي
امر دنياه واخرته وكنت له شفيعا او شهيدا يوم القيامة وجمع صاحب الجوهر
المنظم بانه يسمع الصلاة والسلام عند قبره بلا واسطة ويبلغه الملك ايضا اشعارا
بمزيد خصوصيته والاعتنا بشانه والاستمداد له بذلك وروي الطبراني
وغيره عن الحسن ابن علي رفعه حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني
ومعناه لا تتكلفوا المعاودة الي قبري لكن الحضور فيه مشافهة افضل من
الغيبة والمنهي عنه الاعتياد الرافع للحشمة المخالف لكمال المهابة واخرج
البيهقي في شعب الايمان عن انس قال صلي الله عليه وسلم ان اقربكم مني يوم

القيمة

القيمة في كل موطن اكثركم علي صلاة في الدنيا من صلي علي يوم الجمعة وليلة
الجمعة قضي الله له مائة حاجة سبعين من حوايج الاخرة وثلاثين من حوايج الدنيا
ثم يوكل الله بذلك ملكا يدخله في قبره كما يدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صلي
علي باسمه ونسبه الي عشيرته فاثبته عندي في صحيفة بيضا واخرج الطبراني
والبيهقي عن ابي هريرة وابن عدي عن انس مرفوعا اكثروا الصلاة علي
في الليلة الغرا واليوم الازهر فان صلاتكم تعرض علي قالوا وكيف تعرض صلاتنا
عليك وقد ارمت اي بليت فقال ان الله حرم علي الارض ان تاكل اجساد الانبيا
اي لانها نور وهو لا يتغير بل ينتقل من حالة الي حالة وروي ابن ماجة برجال
ثقات عن ابي الدردا مرفوعا اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود
تشهده وان احدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلاته حتي يفرغ منها قلت
وبعد الموت قال وبعد الموت ان الله حرم علي الارض ان تاكل اجساد الانبيا اي
عرضت علي عرضا خاصا فيه زيادة شرف للمصلي في ذلك اليوم فلا ينافي انها
تعرض عليه في اي وقت صلي عليه ولذا قال اكثروا من الصلاة علي في يوم الجمعة وليلة
الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا او شافعا يوم القيامة رواه البيهقي عن انس باسناد
ضعيف لكنه حسن لشواهده اي شهيدا باعماله التي منها الصلاة علي وشافعا له
شفاعة خاصة اعتنا به والا فشفاعته عامة ووجه مناسبة الاكثار من الصلاة عليه
يوم الجمعة وليلتها ان يومها سيد ايام الاسبوع والنبي صلي الله عليه وسلم سيد الخلق
وللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره وايضا فكل خير نالته الامة في الدارين
انما هو بواسطته واعظم كرامة تحصل لهم في يوم الجمعة وهي بعثهم الي منازلهم
في الجنة وكما انه عيد لهم في الدنيا فكذا في الاخري فانه يوم المزيد الذي يتجلي لهم
الحق تعالي فيه وهذا وهذا حصل لهم بواسطته فمن شكره اكثار الصلاة عليه
فيه وذكر ابو طالب في القوت ان اقل الاكثرية ثلثماية مرة وورد في الصلاة
عليه صلي الله عليه وسلم الفاظ كثيرة اشهرها اللهم صل علي محمد وعلي ال محمد
كما صليت علي ابراهيم وعلي ال ابراهيم وياتي ان شا الله تعالي لذلك مزيد لذلك
في المقصد السابع والاخير ويعرض عليه اعمال امته حسنها وسيئها فيحمد
الله علي حسنها ويستغفر لهم سيئها روي البزار بسند جيد عن ابن مسعود
رفعه حياتي خير لكم ومماتي خير لكم تعرض علي اعمالكم فما كان من حسن حمدت الله
عليه وما كان من سيئ استغفرت الله لكم اي طلبت مغفرة الصغاير وتخفيف عقوبات
الكباير وظاهره ان المراد عرض اعمال المكلفين اذ غير المكلف لا ذنب له ويحتمل
العموم وذكر العرض كل يوم مرتين روي ابن المبارك عبد الله الذي تستنزل
الرحمة بذكره عن سعيد بن المسيب التابعي الجليل ابن الصحابي قال ليس من
يوم الا وتعرض علي النبي صلي الله عليه وسلم اعمال امته غدوة
وعشيا زيادة اكرام لهم فاذا علم المسي ذكر قد يحمله علي الاقلاع ولا ينافيه
قوله صلي الله عليه وسلم تعرض الاعمال يوم الاثنين والخميس علي الله وتعرض
علي الانبيا والابا والامهات يوم الجمعة فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم

بيا ضا واشراقا فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم رواه الحكيم الترمذي لجواز ان العرض
على النبي صلى الله عليه وسلم بعرض اعمال امته كل يوم تفصيلا ويوم الجمعة اجمالا وبابي
ان شا الله تعالى وجدان مماته خير من المقصد العاشر **ومنها ان منبره على**
حوضه اي ينقل المنبر الذي قال عليه هذه المقالة يوم القيامة فينصب على الحوض
ثم تصير قوائمه رواتب في الجنة كما روى الطبراني **كما في حديث** اخرجه الشيخان
واحمد والترمذي عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي
ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على
حوضي **وفي رواية** عند النسائي في هذا الحديث بدل قوله ومنبري على حوضي
ومنبري على ترعة بضم فسكون **من ترع** بضم ففتح جمع ترعة **الجنة** اي
موضع معين فيها **واصل الترعة** اي حقيقتها **الروضة على المكان**
المرتفع خاصة فاذا كانت في المطمئن فهي روضة وبعض المحققين
فسرها الديلمي قال وقيل هي الدرجة وفي رواية لاحمد والطبراني عن بعض الصحابة
تفسير الترعة بالباب وسوى في القاموس بين هذه الحقائق فظاهره انها كلها
لغوية والروضة الموضع المعجب بالزهور لاستراضة المياه السائلة اليها
اي سكونها بها وعلم من المصنف ان الروضة تطلق على مجمع الزهور في المرتفع
والمنخفض ويخص المنخفض بالروضة دون الترعة **ولم يختلف احد من**
العلماء انه على ظاهره اي ان المراد منبره الذي كان يخطب عليه في الدنيا
وانه حق محسوس مشاهد بحاسة البصر **موجود** في الجنة وعلى الحوض
قبل **فان القدرة صالحة** لذلك **لا معجزة فيها** تعليل لنفي الخلاف **وكلما**
اخبر به الصادق عليه السلام من امور الغيب فالايمان به واجب
اذ لا ينطق عن الهوى لكن في نفي الخلاف نظر فالخلاف موجود فقيل هو منبره
الذي كان يخطب عليه قال السيوطي وهو الاصح وقيل منبر يوضع له هناك
وقيل التعبد عنده يورث الجنة فكانه قطعة منها واستبعد الثاني بان في
رواية احمد برجال الصحيح عن ابي هريرة رفعه منبري هذا على ترعة من
ترع الجنة فاسم الجنة ظاهر وصريح في انه منبره في الدنيا والثالث بانه لا يكون
خصوصية له اذ التعبد في اي مكان يورث الجنة اللهم الا ان يجاب عن المصنف بان
المعنى لم يختلف احد في ان المنبر على ظاهره وان اختلفوا في انه الذي كان في
الدنيا او غيره وفي انه كناية على حذف مضاف اي العمل عنده ام لا ويحتمل ان لفظ
احد بمعنى الجماعة اي لم يختلف جماعة في هذا وان اختلف غيرهم على نحو قول
البيضاوي في نحو لا نفرق بين احد من رسله احد في معنى الجمع لوقوعه في
سياق النفي وان احد بمعنى واحد كما في القاموس اي لم يتردد واحد في ذلك
فلم يقل اراد بالمنبر المقام وهذا قريب مما قبله لكن قال شيخنا تقريرا هذا من
حيث اللفظ ومرادهم بمثله حكاية الاتفاق فالاقرب الاول **ومنها ان ما بين**
منبره وقبره روضة من رياض الجنة رواه البخاري ومسلم وغيرهما
بلفظ ما بين بيتي ومنبري ووقع في رواية ابن عساكر للبخاري في

فضل

فضل المدينة من صحيحه وقبري بدل بيتي قال الحافظ وهو خطا فقد قدم
البخاري الحديث في كتاب الصلاة باسناده بلفظ بيتي وكذا هو في مسند
مسدد شيخ البخاري فيه نعم وقع في حديث سعد بن ابي وقاص عند البزار
برجال ثقات وابن عمر عند الطبراني بلفظ قبري فعلى هذا المراد بالبيت في
قوله بيتي احد بيوته لا كلها وهو بيت عائشة الذي صار فيه قبره وقد
ورد الحديث بلفظ ما بين المنبر وبيت عائشة روضة من رياض الجنة
اخرجه الطبراني في الاوسط **وهذا يحتمل الحقيقة** بان يكون على ظاهره
ولم يثبت خبر عن بقعة بخصوصها انها من الجنة الا هذه البقعة **والمجاز**
اما الحقيقة فبان يكون ما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم بانه من الجنة
مقتطعا منها وضبط ذلك بثلاثة وخمسين ذراعا **كما ان الحجر الاسود**
منها كما قال صلى الله عليه وسلم الحجر الاسود من الجنة رواه احمد عن انس
والنسائي عن ابن عباس والاصل الحقيقة ويؤيده ما للخطيب وابن عساكر
مرفوعا الحجر الاسود ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة وانما سودته خطايا المشركين
يبعث يوم القيامة مثل احد يشهد لمن استلمه وقبله من اهل الدنيا وروى
الازرقي مرفوعا الحجر الاسود نزل به ملك من السما **وكذلك النيل والفرات**
من الجنة روى مسلم عن ابي هريرة مرفوعا سيحان وجيحان والفرات والنيل
والنيل كل من انهار الجنة وهو على ظاهره على الاصل وقيل مؤول **وكذلك**
الثمار الهندية من الورق التي اهبط بها ادم عليه السلام من الجنة
فاقتضت الحكمة الالهية ان يكون في هذه الدار من مياه الجنة
كالنيل والفرات **ومن ترابها** وهو التراب الذي بين المنبر والقبر **ومن**
حجرها وهو الحجر الاسود **ومن فواكهها** وهو الثمار الهندية **حكمة حكيم**
جليل ليتذكر العاقل فيسارع اليها بالاعمال الصالحة وقيل في معنى الحقيقة
ان ذلك الموضع ينقل بعينه في الاخرة الى الجنة **واما المجاز فبان يكون**
من اطلاق اسم المسبب على السبب فان ملازمة ذلك المكان
للصلاة فيه سبب في نيل الجنة قاله ابن ابي جمرة بجيم وزاد فيه
تسمح اذ الروضة ليست مسببة من حيث ذاتها بل الوصول اليها
مسبب عن العمل لكنها لما كانت المقصودة اطلق اسمها مريدا التعبد الموصل
اليها **وهو معنى قول بعضهم لكون العبادة فيه تؤول** اي تؤدي
اي تكون طريقا **الى دخول العابد روضة الجنة** ففيه تجوز ايضا
لان الايلولة الرجوع **وهذا فيه نظر اذ لا اختصاص لذلك**
بتلك البقعة على غيرها فالعبادة في اي مكان كان كذلك يتوصل به
ومنها سبب قوي يوصل اليها على وجه اتم من بقية الاسباب او
هي سبب لروضة خاصة اجل من مطلق الدخول والنعيم فان اهل
الجنة يتفاوتون في منازلها بقدر اعمالهم **وفي كتاب بهجة النفوس**
وتحليها بمعرفة ما عليها ولها **لابن ابي جمرة ايضا حكاية قول ان تلك**

النفخة تنقل بعينها يوم القيامة فتكون في الجنة يعني روضة من رياضها قال والاظهر الجمع بين الوجهين معا اي لا تخالف بينهما يعني احتمال كونها تنقل الي الجنة وكون العمل فيها موجبا لصاحبه روضة من رياض الجنة اختصر واجمع من هذا قول المصنف علي البخاري ولا مانع من الجمع فهي من الجنة والعمل فيها يوجب لصاحبه روضة في الجنة وتنقل هي ايضا الي الجنة وياتي مزيد لذلك في فصل الزيارة من المقصد الاخير ان شا الله تعالي وهو نقل كلام ابن ابي جمرة في الاستدلال علي ذين الوجهين بالنظر والقياس بنحو ورقة وقيل في وجه المجاز ايضا انه من التشبيه البليغ اي كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة ومنها انه صلي الله عليه وسلم اول من ينشق عنه القبر كما قال صلي الله عليه وسلم ان سيد ولد ادم يوم القيامة واول من تنشق عنه الارض وفي رواية القبر واول شافع واول مشفع رواه مسلم وابو داود عن ابي هريرة اي اول من يعجل احياؤه مبالغة له في اكرامه وتخصيصا بتعجيل جزيل انعامه وفي رواية مسلم ايضا من حديث ابي هريرة انا اول من تنشق عنه الارض فلا يتقدم عليه احد اي ارض قبره فهو مساو للرواية قبله زاد الترمذي وقال حسن غريب والحاكم من حديث ابن عمر ولا فخر ثم ابو بكر ثم عمر ثم اتي اهل البقيع فيحشرون معي ثم انتظر اهل مكة حتي احشر بين الحرمين قال السمهودي وفيه بشري عظيمة لكل من مات بالمدينة واشعار بذم الخروج منها مطلقا وهو عام ابدا في كل زمان كما نقله المحب الطبري وارتضاه وروي الترمذي عن انس مرفوعا انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لوا الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم علي ربي ولا فخر وهو اول من يفيق بضم اوله من الصعقة وهو غشي يلحق من سمع صوتا او راي شيا يفزع منه واستشكل كون جميع الخلق يصعقون مع ان الموتي لا احساس لهم فقيل المراد من كان حيا اذ ذاك والاموات هم المستثنون في قوله تعالي الا من شا الله اي من سبق له الموت قبل ذلك فلا يصعق واما الانبيا ففي حكم الاحيا وقيل المراد صعقة فزع بعد البعث حتي تنشق السما والارض وهي غشية تحصل للناس في الموقف قال عليه السلام انا اول من يرفع راسه بعد النفخة الاخيرة كما في الرواية فاذا انا بموسي اخذ بقايمة من قوايم العرش اي بعمود من عمده وللشيخين من حديث ابي هريرة ايضا باطش بجانب العرش اي اخذ بشي بقوة فالبطش الاخذ بقوة فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور لما تجلي ربه للجبل جعله دكا وخر موسي صعقا وفي الصحيحين ايضا فما ادري اكان ممن صعق فافاق قبلي او كان ممن استثني الله اي بقوله الا من شا

فلم يصعق وكل من الامرين فضيلة ظاهرة لكن لا يلزم من فضله من هذه الجهة افضليته مطلقا ولا منافاة بين الروايتين لان المعني لا ادري اي هذه الثلاثة كانت الافاقة او الاستثنا او المحاسبة رواه البخاري ومسلم وغيرهما وبه استشكل كونه صلي الله عليه وسلم اول من تنشق عنه الارض واول من يفيق مع التردد في خروج موسي من قبره واجاب عياض باحتمال ان هذه الصعقة ليست النفخة الاولي ولا الثانية التي يعقبها النشور بل صعقة تاتي يوم القيمة حين تنشق السما والارض ورده القرطبي بانه صلي الله عليه وسلم صرح بانه يخرج من قبره فيلقي موسي متعلقا بالعرش وهذا انما هو عند نفخة البعث قال ويؤيده انه عبر بقوله افاق لانه انما يقال افاق من الغشي وبعث من الموت ولذا عبر عن صعقة الطور بالافاقة لانها لم تكن موتا بلا شك واذا تقرر ذلك ظهر صحة الحمل علي انها غشية تحصل للناس في الموقف واجاب المصنف كغيره بقوله والظاهر انه عليه السلام لم يكن عنده علم ذلك اي اول كونه اول حتي اعلمه الله تعالي بانه اول فقد اخبر عن نفسه الكريمة اول من تنشق عنه القبر كما مر في الاحاديث المفيدة علمه بافاقته قبل موسي فحينيذ يكون ممن استثني الله او جوزي بصعقة الطور وهو اول من يجيز بضم اليا وكسر الجيم وبالزاي اي يمضي علي الصراط ويقطعه وفي رواية يجوز وهما بمعني يقال اجزت الوادي وجزته رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة في حديث طويل بلفظ قال صلي الله عليه وسلم فاكون انا وامتي اول من يجيز علي الصراط ودعا الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وانه يحشر في سبعين الفا من الملايكة كما روي عن كعب الاحبار جمع حبر اي ملجا العلما الحميري ابي اسحق الثقة المخضرم كان من اهل اليمن فسكن الشام مات في خلافة عثمان انه دخل علي عايشة فتذاكروا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الف ملك يحفون بقبره عليه السلام يضربون باجنحتهم اسقط من الرواية ويصلون علي النبي صلي الله عليه وسلم حتي اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك اسقط ايضا يحفون بالقبر يضربون باجنحتهم ويصلون علي النبي صلي الله عليه وسلم سبعون الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار حتي اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملايكة يوقرونه صلي الله عليه وسلم رواه ابن النجار الحافظ الامام البارع ابو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي سمع ابن الجوزي وابن كليب وغيرهما وكان من اعيان الحفاظ الثقات مع الدين والورع والصيانة والفهم وسعة الرواية له ثلاثة الاف شيخ ومولفات عدة مات في خامس شعبان سنة ثلاث واربعين وستماية

من ست وستين سنة رحل منها في الاقطار سبعا وعشرين سنة للرواية
في تاريخ المدينة المسمى بالدرر الثمينة وكذلك رواه ابو الشيخ
وابن المبارك وابن ابي الدنيا كلهم عن كعب وكانه من الكتب القديمة لانه
حبرها وانه يحشر راكب البراق بضم الموحدة رواه الحافظ
العلامة شيخ الاسلام الناقد الدين الخير ابو طاهر عماد الدين احمد
ابن محمد بن احمد بن ابراهيم الاصبهاني السلفي بكسر السين المهملة وفتح
اللام لقب جده احمد ومعناه الغليظ الشفة وله تصانيف وروى عنه
الحفاظ مات سنة ست وسبعين وخمسماية كما ذكره الطبري الحافظ
محب الدين المكي في ذخاير العقبى فقال اخرج السلفي عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبعث الانبيا على الدواب ويحشر
صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة على ناقتي العضبا واحشر انا على
البراق خطوها عند اقصى طرفها ويحشر بلال على ناقة من نوق الجنة
انتهى واخرجه الطبراني والحاكم بلفظ يحشر الانبيا على الدواب ليوافوا المحشر
ويبعث صالح على ناقته وابعث انا على البراق ويبعث ابناي الحسن
والحسين على ناقتين من نوق الجنة ينادي بالاذان محضا وبالشهادة
حقا حتى اذا قال اشهد ان محمدا رسول الله شهد له المومنون من الاولين
والاخرين فقبلت ممن قبلت وردت على من ردت وفيه مخالفة لما قبله فيما
يركبه الشيطان الا ان يجمع بركوب ناقتيه وبركوب ناقتي الجنة زيادة
في تعظيمهما ثم لا تعارض بهذا امر سلا ان المومن يركب عمله والكافر
يركبه عمله لان بعضهم يركب الدواب وبعضهم الاعمال او يركبونها فوق
الدواب وروى النسائي والحاكم والبيهقي عن ابي ذر رفعه ان الناس
يحشرون يوم القيمة على ثلاثة افواج فوج طاعمين كاسين راكبين
وفوج يمشون ويسعون وفوج تسحبهم الملايكة على وجوههم واخرج
الترمذي وحسنه عن ابي هريرة مرفوعا يحشر الناس يوم القيامة
ثلاثة اصناف صنفا مشاة وصنفا ركبانا وصنفا على وجوههم ان
الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون
لوجوههم كل حدب وشوك هذا وجزم الحليمي والغزالي بان الذين يحشرون
ركبانا يحشرون ركبانا يركبون من قبورهم وقال الاسماعيلي انهم
يمشون من قبورهم الى الموقف ويركبون من ثم جمعا بينه وبين حديث
الصحيحين يحشر الناس مشاة والنبي صلى الله عليه وسلم راكبه
على ناقته الحمرا فاذا كان من خصايصه فانما يوتون بالنجايب
بعد الجواز على الصراط وهو الاشبه وفي حديث انهم يوتون
بنجايب يركبونها عند قيامهم من قبورهم وفي صحته نظر ويكسى
في الموقف اعظم الحلل من الجنة بعد حشر الناس كلهم عراة او
بعضهم كاسيا او بعد خروجهم من قبورهم بثيابهم التي ماتوا فيها

ثم تتناثر عنهم عند ابتدا الحشر فيحشرون عراة لحديث ابي سعيد عند
ابي داود وصححه ابن حبان مرفوعا ان الميت يبعث في ثيابه التي
يموت فيها رواه البيهقي في الاسماء عن ابن عباس مرفوعا بلفظ
اول من يكسى ابراهيم حلة من الجنة ويوتى بكرسي فيطرح عن يمين
العرش ويوتى بي فاكسى حلة من الجنة لا يقوم اي لا يصلح
لها البشر وفي نسخة بالبا بدل اللام فيقال قام بالامر اذا استقل به
دون غيره فاستعمله في لازم معناه اللغوي وذلك اللازم عدم صلاحية
غيره لتلك الحلة وفي البخاري عن ابن عباس مرفوعا انكم تحشرون
حفاة عراة غرلا ثم قرا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين
واول من يكسى يوم القيامة ابراهيم الحديث فحيحيه عزو بعض له للبزار
قال الحافظ قيل في حكمة خصوصية ابراهيم بذلك لكونه القي في النار عريانا
او لانه اول من لبس السراويل ولا يلزم من ذلك تفضيله على نبينا لان
المفضول قد يمتاز بشي يخص به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة ويمكن ان
نبينا لا يدخل في عموم خطابه وقال القرطبي فجبر صلى الله عليه وسلم
عن هذا السبق بكونه يكسى حلتين كما في حديث البيهقي واجاب الحليمي
بانه يكسى ابراهيم اولا ثم نبينا على ظاهر الخبر لكن حلة نبينا اعلا واكمل
فتجبر بنفاستها ما فات من الاولية على انه يحتمل ان نبينا صلى الله عليه وسلم
خرج من قبره في ثيابه التي مات فيها والحلة التي يكساها يوم القيامة حلة
الكرامة بقرينة اجلاسه عند ساق العرش فتكون اولية ابراهيم في
الكسوة بالنسبة لبقية الخلق ورواه كعب بن مالك الانصاري
السلمي المدني احد الثلاثة الذين تيب عليهم مرفوعا بلفظ يحشر الناس
يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل مكان عال ويكسوني ربي حلة
خضرا مبين في هذه الرواية لونها وهو عطف على اكون والواو لا ترتيب
فلا ينافي مقتضى التعقيب بالفا في السابق ان الكسوة تكون عقب
الخروج من القبر والترمذي عن ابي هريرة انا اول من تنشق عنه
الارض فاكسى حلة من حلل الجنة الحديث وعلى احتماله انه يقوم بثيابه
التي مات فيها ولا تبلى حتى يكسى يكون ذلك له خصوصية اخرى حيث
تبلى ثياب الخلايق وثوبه لا تبلى ولا ينافيه الفا لان التعقيب في كل شي
بحسبه وهو عند ابن ابي شيبة عن كعب بلفظ يحشر الناس كلهم
على تل وامتي وهو مبهم اي كما قال قيل على تل اعلا من التل الذي
عليه الناس وعند الطبراني ايضا من حديث ابي عمير فيرقى
هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وامته على كوم وهو التل
يعني فوق الناس ولم يبين هل الكوم من كافور او مسك او نحوهما
وانه يقوم على يمين العرش خصيصة شرفه الله بها رواه ابن
مسعود عنه عليه السلام عن حديث وفيه لا يقوم غيره

يغبطه فيه حال من المفعول اي يغبط النبي حالة كونه في ذكر المقام او
في سببه اي يغبطونه بسببه وقد ذكر المصنف الحديث فيما ياتي بلفظ يغبطه
به او الضمير لوقف الخلق فيكون حالا من فاعل يغبط اي يغبطه حال كونهم
في كونهم في مقامهم الاولون والاخرون قال الحافظ الغبطة ان يتمنى
ان يكون له مثل ما لغيره من غير ان يزول عنه والحرص على هذا يسمى منافسة
فان كان في الطاعة فمحمود ومنه فليتنافس المتنافسون وفي المعصية فمذموم
ومنه فلا تنافسوا وفي الجائز فمباح انتهى والمراد بالتمني هنا حالة تستدعي
محبته واستحسانه لا الطلب لعلمهم انه لا يكون لغيره فغبطتهم له استحسان
لمقامه المخصوص به وعده مقاما عظيما له ففيه تجريد اذ الغبطة تمني
المستحسن فجرد عن تمني واريد به الجزء الثاني وهو المستحسن وروى
الترمذي وقال حسن صحيح غريب عن ابي هريرة مرفوعا انا اول من
تنشق عنه الارض فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش
ليس احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري ومنها انه يعطى المقام
المحمود قال تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا قال مجاهد التابعي
المفسر المشهور هو جلوسه على العرش حملا للمقام على انه مصدر
ميمي لا اسم مكان وعن عبد الله بن سلام الصحابي هو جلوسه على
الكرسي وهو مغاير لما قيل عليه الاصح انه غير العرش ومشا وعلى انه
هو ذكرهما البغوي في تفسيره بعد ان صدر بان المصدر المراد الشفاعة
وساق حديثها الطويل في اتيان الناس ادم الى اخره وهذا ان التفسير
ان من جملة ما زيف لانه تفسير للشي بخلاف ما فسره به صاحبه فقد روى البخاري
والترمذي عن ابن عمر قال سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود
فقال هو الشفاعة واخرج ابو نعيم والبيهقي عن ابي هريرة رفعه المقام
المحمود الشفاعة اي الموعود بها في فصل القضا وكذا قال الرازي وغيره
الصحيح المشهور انه الشفاعة ولابن ابي حاتم عن سعيد بن هلال احد
صغار التابعين انه بلغه ان المقام المحمود يوم القيامة يكون بين يدي
الجبار وبين جبريل يغبطه بمقامه اهل الجمع وهو مما زيف ايضا لكن قال
الحافظ يمكن رده الى القول بانه الشفاعة لانه لما كان مقامه الذي يقوم
فيه اقرب اليه من مقام جبريل صار صفة للمقام المحمود الذي يشفع فيه
ليقضي بين الخلايق وقيل هو اعطاوه لوا الحمد وقيل ثناوه على ربه
وسياتي ما قيل في ذلك مبسوطا في ذكر تفضيله عليه السلام بالمقام
المحمود ان شا الله تعالى في المقصد العاشر ومنها انه يعطى
الشفاعة العظمى في فصل القضا بين اهل الموقف حين يفزعون
اليه لما يطول عليهم الوقوف بعد اتيانهم الانبيا ادم فنوح فموسى فعيسى
والشفاعة في ادخال قوم الجنة بغير حساب لما في الصحيحين
فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقال ادخل من امتك من لا حساب

عليهم

عليهم من الباب الايمن من ابواب الجنة وروى هناد وابن منيع والديلمي
بسند جيد عن ابي هريرة سالت الله الشفاعة لامتي فقال لك سبعون الفا
يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قلت رب زدني فحثى بيديه مرتين
عن يمينه وعن شماله والظاهر ان المراد التكثير لا خصوص العدد وضرب المثل
بالحثيات لان شان المعطي الكريم اذا استزيد ان يحثي بكفيه بلا حساب وربما
ناوله بغير كف وقال بعض هذا كناية عن المبالغة في الكثرة والا فلا
كف ولا حثي وفي رفع درجات ناس في الجنة كما جوز النووي ده
اختصاصه بهذه به ولم يذكر لذلك مستندا والتي قبلها به وهي
ادخال قوم الجنة بغير حساب وفيه انه لم يجزم بها بل جزم بها وعيا وريته
للنبي صلى الله عليه وسلم شفاعات خمس الشفاعة العظمى للفصل
وفي جماعة يدخلون الجنة بغير حساب وفي ناس استحقوا النار فلا
يدخلونها وفي ناس دخلوها فيخرجون منها وفي رفع درجات ناس في الجنة
والمختص به الاولى والثانية ويجوز الثالثة والخامسة انتهى وبحث بعض
في اثبات الخصوصية بتجويز النووي بما حاصله ان الخصايص لا تثبت
بالاحتمال ووردت الاحاديث به في النبي قبل وهي الشفاعة العظمى
وسياتي مزيد لذلك ان شا الله تعالى في المقصد الاخير مع فرايد
حسنة والله المعين لا غيره ومنها انه صاحب لوا الحمد بالكسر والمد علمه
ورايته يوم القيامة واضيف الى الحمد الذي هو الثنا على الله بما هو اهله
لانه منصبه في الموقف وهو المقام المحمود المختص به والعرف جار بان اللوا انما
يكون مع كبير القوم ليعرف مكانه اذ موضوعه اصالة شهرة مكان الرييس وتنصب
في القيامة مقامات لاهل الخير والشر لكل متبوع لوا يعرف قدره واعلاها
مقام الحمد فاعطي لاعظم الخلايق لوا الحمد وفي انه حقيقي وعند الله علم حقيقته
او معنوي وهو انفراده بالحمد يوميذ وشهرته على روس الخلايق به رايان
رجح بعض الاول وهو الاصل ادم فمن دونه اي سواه تحته رواه البزار
واخرجه احمد والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه عن ابي سعيد
مرفوعا انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لوا الحمد ولا فخر وما
من نبي يوميذ ادم فمن سواه الا تحت لوايي الحديث ومنه انه اول من
يقرع يطرق وينقر باب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم انا اول من
يدق باب الجنة فلم تسمع الاذان احسن من طنين الحلق على تلك المصاريع
رواه ابن النجار وجمع المصاريع باعتبار الابواب فانه اذا قرع اعظمها
تحرك الجميع او لتعدد القرع كانه تعددت المصاريع او ان في كل مصراع مصاريع
اعتبارية روى مسلم في الايمان من حديث المختار بن فلفل بضم الفايين
ولاميين الاولى ساكنة مولى عمرو بن حريث صدوق له اوهام روى له ابو
داود والترمذي والنساي ومسلم عن انس قال قال صلى الله عليه وسلم
انا اكثر الناس الذي رايته في مسلم وكذا نقله جمع من الحفاظ عنه الانبيا

تبعا بفتح الفوقية والبا الموحدة جمع تابع وفي القاموس وغيره التبع
محركة يكون واحدا وجمعا ويجمع علي اتباع ونصب علي التمييز يوم القيامة
خصه لانه يوم ظهور ذلك الجمع وهذا يوضحه خبر مسلم ايضا انا من الانبيا
من يا تي يوم القيامة ما معه مصدق غير واحد ولا يعارضه وارجو ان اكون
اكثرهم تبعا اما لان رجاه يحقق الوقوع او قاله قبل ان يكشف له عن امته
ويراهم ثم حقق الله رجاه فكشف فجزم به وانا اول من يقرع باب الجنة
اي يطرقه للاستفتاح فيكون اول داخل وعنده اي مسلم ايضا في كتاب
الايمان من حديث ثابت عن انس قال صلي الله عليه وسلم اتي باب
الجنة اي اجي بعد الانصراف من الحشر والحساب الي اعظم المنافذ التي توصل
الي دار الثواب وهو باب الرحمة او باب التوبة كما في النوادر وعبر باتي
دون اجي للاشارة الي ان مجيه يكون بصفة من لبس خلعة الرضوان
فجا علي تمهل وامان من غير نصب في الاتيان اذ الاتيان كما قال الراغب مجي
بسهولة والمجي اعم ففي ايثاره عليه مزية يوم القيمة فاستفتح بسين
الطلب عبر بها ايما الي القطع بوقوع مدخولها وتحققه اي اطلب فتحه
بالقرع كما في الاحاديث لا بالصوت وفي رواية احمد اخذ بحلقة البا والفا
للتعقيب اشارة الي انه قد اذن له من ربه من غير واسطة خازن ولا غيره
وذلك ان من ورد باب كبير وفق عادة حتي يستاذن له فالتعقيب اشارة الي
ان ربه صانه عن ذل الوقوف واذن له في الدخول ابتدا بحيث صار الخازن
مامورا منتظرا قدومه فيقول الخازن اي الحافظ وهو المؤتمن علي ما استحفظ
وال للعهدية والمعهود رضوان وخص من كثرة الخزنة لانه اعظمهم ومقدمهم
وعظيم الرسل انما يتلقاه عظيم الخزنة امرت كذا في جميع ما رايناه من نسخ
المختصر وفيه سقط منه او من نساخه فلفظ رواية مسلم فيقول الخازن
من انت فاقول محمد فيقول بك امرت وقد ساقه المصنف في المقصد الاخير تاما
ولعلها ابه هنا الاستفهام واكده بالخطاب تلذذا بمناجاته والا فابواب
الجنة شفافة كما في خبر وهو العلم الذي لا يشتبه والتمييز الذي لا
يلتبس وقد راه رضوان قبل ذلك وعرفه اتم معرفة ولذا اكتفي بقوله
فاقول محمد وان كان المسمي به كثيرا ولا ينافي كون ابواب الجنة شفافة
خبر ابي يعلي عن انس رفعه اقرع باب الجنة فيفتح لي باب من ذهب
وحلقه من فضة لان ما في الدنيا لا يشبه ما في الجنة الا في مجرد الاسم كما
في حديث فلا مانع من كونه ذهبا شفافا ولم يقل انا لا يهامه مع اشعاره
بتعظيم النفس وهو سيد المتواضعين وهذه الكلمة جارية علي السنة المتكبرين
اذا ذكروا مفاخرهم وزهوا بانفسهم قال ابن الجوزي انا لا تخلو عن نوع تكبر
كانه يقول انا لا احتاج الي ذكر اسمي ولا نسبي لسمو مقامي وقال بعض
المحققين ذهبت طايفة من العلما وفرقة من الصوفية الي كراهة اخبار الرجل
عن نفسه بانا تمسكا بظاهر الحديث حتي قالوا انها كلمة لم تزل مشومة علي

قايلها كقول ابليس انا خير وفرعون انا ربكم وليس كما قرروا بل الشوم لما
صحبه من الخير والربوبية واصابه الصوفية في دقايق العلوم والاشارات
في التبري من الدعاوي الوجودية لكن النهي اشاروا اليه بهذا راجع الي معان
تتعلق باحوالهم دون القول كيف وقد ناقضهم نصوص كثيرة انما انا بشر
انا اول المسلمين وما انا من المتكلفين انا سيد ولد ادم انا اكثر الانبيا تبعا
وغير ذلك وقد قال النووي لا باس ان يقول انا الشيخ فلان او القاضي فلان
اذ لم يحصل التمييز الا به وخلا عن الخيلا والكبر والباقي قوله بك
متعلقة بالفعل بعدها وهي سببية اي بسببك امرت بالبنا للمفعول والفاعل
الله ان لا افتح كذا في نسخ وفي اخرى بدون ان وهي التي وقفت عليها في
مسلم وذكره السيوطي في جامعيه بان ونقل شارحه بان الذي في مسلم نسخ
مسلم الصحيحة المقروة بلا اذن لاحد قبلك لا من الانبيا ولا من غيرهم اذ احد
في سياق النفي للعموم فيفيد استغراق جميع الافراد وعلم منه ان طلب الفتح انما هو
من الخازن ولم يطلبه منها بلا واسطة فانه ورد عن الحسن وقتادة وغيرهما ان
ابوابها يري ظاهرها من باطنها وعكسه وانها تتكلم وتكلم وتعقل ما يقال لها
انفتحي انغلقي اجيب بان الظاهر انها مامورة بعدم الاستقلال بالفتح والغلق وانها
لا تستطيع ذلك الا بامر عريفها المالك لامرها باذن ربها وانما يطالب بما يراد من القوم
عرفاوهم وحكمة اتخاذ الخزنة للجنة مع ان الخزنة عرفا انما يكون لما يخاف ضياعه
او تلفه او نقصه فيفوت كله او بعضه او وصفه علي صاحبه ولا يمكن ذلك في الجنة هي
ان الغرض من تعيين الخزنة لها انما هو مراعاة الداخلين اكراما لهم فتقدم الخزنة
لكل منهم ما اعد له من النعيم ثم لا تعارض بين الحديث وبين قوله تعالي جنات عدن
مفتحة لهم الابواب حتي اذا جاوها وفتحت ابوابها ووجهه الرازي وغيره
بانه يوجب السرور والفرح حيث نظروها مفتحة من بعد وفيه الخلاص من ذل الوقوف
للاستفتاح لان ابوابها تفتح اولا بعد الاستفتاح من جمع ويكون مفتحا بالنسبة
الي البعض كما يقتضيه خبر ان الاغنيا يدخلون الجنة بعد الفقرا بخمس مائة عام
والظاهر انها لا تغلق بعد فتحها للفقرا واجيب ايضا بخمسة اجوبة غير هذا
توقفت فيها وهذا احسنها كما قال بعض المحققين ورواه الطبراني بزيادة
فيه قال فيقوم الخازن فيقول الخازن لا افتح لاحد قبلك كما امرت
ولا اقوم لاحد بعدك وهذه خصوصية اخري له صلي الله عليه وسلم
وهي ان خازن الجنة لا يقوم لاحد غيره صلي الله عليه وسلم
فقيامه فيه اظهار لمزيته ومرتبته ولا يقوم لاحد بعده بل خزنة
الجنة يقومون في خدمته اي رضوان وهو كالملك عليهم وقد اقامه
الله تعالي في خدمة عبده ورسوله حتي مشي وفتح له الباب زيادة
في اكرامه ومنها انه اول من يدخل الجنة كما في مسلم وغيره واستشكل
بادريس حيث ادخل الجنة بعد موته وهو فيها كما ورد بان السبعين الفا
الداخلين بغير حساب يدخلون قبله وبحديث احمد في رويا النبي صلي الله عليه

وسلم بلالا يسبقه في دخولها وخبر ابي يعلي وغيره اول من يفتح له باب الجنة انا الا
ان امراة تبادرني فاقول ما لك او من انت فتقول انا امراة قعدت علي ايتام لي وخبر
البيهقي اول من يقرع باب الجنة عبدا دي حق الله وحق مواليه واجيب بان دخوله صلي
الله عليه وسلم يتعدد فالدخول الاول لا يتقدمه ولا يشاركه فيه احد ويتخلل بينه وبين
ما بعده دخول غيره وقد روي ابن مندة في حديث انه كرر الدخول اربع مرات ونحوه
في البخاري واما ادريس فحي فلا يرد لان المراد الدخول التام يوم القيامة وادريس
يحضر الموقف للسوال عن التبليغ وثم اجوبة اخري هذا اظهرها وسيكون لنا ان شا
الله تعالي عودة لمزيد الكلام علي غيره ذلك في المقصد الاخير قال عليه السلام
وانا اول من يحرك حلق الجنة بفتح الحاء جمع حلقة بسكونها علي غير قياس وقيل
فتحها لغة فالجمع قياسي ولاحمد والترمذي عن انس مرفوعا انا اول من ياخذ بحلقة
باب الجنة فاقعقعها فيفتح الله لي لا يخالف ما مر ان الفاتح رضوان لان الفاتح
الحقيقي هو الله تعالي وتولي رضوان ذلك انما هو بامره واقداره وتمكينه فيدخلنيها
ومعي فقرا المومنين اي يدخلون عقبه بسرعة فكانهم دخلوا معه وروي ابو داود
عن ابي هريرة مرفوعا ان ابا بكر اول من يدخل الجنة واخرج ابو نعيم عن ابي
هريرة رفعه انا اول من يدخل الجنة ولا فخر واول من يدخل علي الجنة ابنتي
فاطمة اي من النسا وابو بكر من الرجال فلا خلف وروي ابن ماجة وصححه الحاكم
عن ابي مرفوعا اول من يصافحه الحق عمر واول من يسلم عليه واول من ياخذ بيده
فيدخله الجنة ولا فخر اي لا افتخر بذلك بل بمن اعطانيه او اقول ذلك شكرا لا
فخرا او هو تنزيه عن العظمة والمباهاة رواه الترمذي عن ابن عباس من حديث
سابقه المصنف بتمامه في المقصد العاشر ومن خصايصه صلي الله عليه
وسلم الكوثر كما قال تعالي انا اعطيناك الكوثر ونقل المفسرون فيه اقوالا
تزيد علي عشرة واولاها قول ابن عباس انه الخير الكثير لعمومه لكن ثبت تخصيصه
بالنهر من لفظه صلي الله عليه وسلم فلا معدل عنه روي مسلم وغيره
انه صلي الله عليه وسلم قرا انا اعطيناك الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال
انه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير وهو حوض ترد عليه امتي يوم القيمة
انيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول ما
تدري ما احدث بعدك ولاحمد ان رجلا قال يا رسول الله ما الكوثر قال نهر
في الجنة اعطانيه ربي لهو اشد بياضا من اللبن واحلي من العسل ولذا
اقتصر المصنف هنا علي قوله نهر في الجنة يسيل في حوضه كما في
حديث البخاري ولاحمد ويفتح نهر الكوثر الي الحوض مجراه علي الدر
اللولو الكبار والياقوت وعند النسايي ترابه المسك وحصاه اللولو
والياقوت وماوه احلي من العسل وابيض من الثلج لعله سقط
بعده من اللبن وابرد من الثلج فعند الحاكم من حديث ابي برزة ماوه
احلي من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد وانيته
من فضة ولابن مردويه من حديث ابن عباس حافتاه الزبرجد وفي حديث

ثوبان

ثوبان لا يظما من شرب منه رواه ابن ماجة فالمختص به صلي الله عليه وسلم
الكوثر الذي يصب من مايه في حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره وان حوضه
اكبر الحياض واكثر واردا كما قال صلي الله عليه وسلم ان لكل نبي حوضا وانهم
يتباهون ايهم اكثر وارده واني ارجو ان اكون اكثرهم وارده رواه الترمذي
وفي اثر ان حوضه اعرض الحياض واكثرها واردا قال القرطبي وقول البكري
المعروف بابن الواسطي لكل نبي حوض الا صالحا فحوضه ضرع ناقته لم اقف علي
ما يدل عليه او يشهد له انتهي ومنها الوسيلة لما في مسلم مرفوعا اذا سمعتم
الموذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلي علي صلاة صلي الله عليه
عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد
الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وهي
اعلا درجة في الجنة كما قال صلي الله عليه وسلم الوسيلة درجة عند الله
ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة رواه احمد قال ابن كثير الوسيلة
علم علي اعلي منزلة في الجنة وهي منزلة رسول الله صلي الله عليه وسلم وداره
في الجنة وهي اقرب امكنة الجنة الي العرش وقال غيره فعيلة من وسل اذا
تقرب وتطلق علي المنزلة العلية كما في الحديث وانها منزلة في الجنة علي انه
يمكن ردها الي الاول فان الواصل الي تلك المنزلة قريب من الله فيكون
كالقربة التي يتوسل بها ولما كان صلي الله عليه وسلم اعظم الخلق عبودية
لربه واعلمهم به واشدهم له خشية واعظمهم له محبة كانت منزلته اقرب المنازل
الي الله وامر امته ان يسالوها لينالوا بهذا الدعا الزلفي وزيادة الايمان
وايضا فالله قدرها لهم باسباب منها دعا امته له بما نالوه علي يده من
الهدي واما الفضيلة فهي المرتبة الزايدة علي ساير الخلايق ويحتمل انها
منزلة اخري وتفسير للوسيلة ولابن ابي حاتم عن علي ان في الجنة لولوتين
احداهما بيضا واسمها الوسيلة لمحمد صلي الله عليه وسلم واهل بيته والصفرا
لابراهيم واهل بيته قال ابن كثير هذا اثر غريب ذكره المصنف في المقصد
الاخير وقال عبد الجليل القصري في شعب الايمان الوسيلة هي التوسل به
صلي الله عليه وسلم الي الله وذلك انه في الجنة بمنزلة الوزير من الملك
بغير تمثيل لا يصل الي احد شي الا بواسطته وهذا كما قال بعض وان كان حسنا
لكنه تفسير للشي بخلاف ما فسره به صاحبه علي انه يحتاج الي توقيف واما خصايص
امته صلي الله عليه وسلم في الدنيا والاخرة اي بعضها في الدارين لتركه
كثيرا منهما زادها شرفا والمراد امة الاجابة فاعلم انه لما انشا سبحانه
وتعالي العالم علي غاية من الاتقان وابرز جسد نبينا اي شخصه
وهو الصورة التي يري عليها صلي الله عليه وسلم للعيان بكسر العين
وظهرت عنايته رعايته واهتمامه بسامنه الانسانية بمعاملته
لهم معاملة من يريد نفع غيره بحضوره وظهوره فيها عطف تفسير وان
كان العالم الانساني والناري اي عالم الجن كله امته لبعثته اليهم

اجماعا ولكن لهو لا اي العالم الانساني خصوص وصف من اضافه الصفة للموصوف
اي وصف خاص بهم لا يتجاوزهم الي غيرهم وهو الخيرية المشار اليها بقوله فجعلهم
جواب لما دخلت عليه الفا علي قلة او هو عطف علي مقدر اي لما انشا العالم علي
ماذكر وخص الامة المحمدية بصفة زايدة ميزهم علي غيرهم وفضلهم فجعلهم خير
امة اخرجت للناس وجعلهم ورثة الانبيا كما قال صلي الله عليه وسلم
العلما ورثة الانبيا ان الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم رواه
ابوداود والترمذي واحمد وغيرهم وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهما واما خبر
علما امتي كانبيا بني اسرايل فقال الحافظ ومن قبله الدميري والزركشي لا
اصل له وسيل عنه الحافظ العراقي فقال لا اصل له ولا اسناد بهذا اللفظ
ويغني عنه العلما ورثة الانبيا وهو صحيح واخرج ابن عدي وابو نعيم والديلمي
عن النبي صلي الله عليه وسلم العلما مصابيح الارض وخلفا الانبيا وورثتي
وورثة الانبيا واعطاهم الاجتهاد في نصب الاحكام من الكتاب والسنة
ونحوهما ليحكمون بما ادي اليه اجتهادهم ويوجرون ولو اخطاوا فيه ولعل
هذين من عطف بعض الاسباب علي المسبب لان كونهم ورثة الانبيا واعطاهم
الاجتهاد من اسباب الخيرية المبينة في الاية بقوله تامرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتومنون بالله وكان هذا هو الحامل علي ادخال الامرين في الخيرية
وكل من دخل في زمان هذه الامة من الانبيا عليهم السلام بعد
نبيها صلي الله عليه وسلم كعيسي عليه السلام فانه ينزل من هذه الامة
اتفاقا مع بقايه علي نبوته بل ذهب جمع من العلما الي انه صحابي لاجتماعه
بالنبي صلي الله عليه وسلم وهو حي مومنا به ومصدقا وكان اجتماعه به مرات
في غير ليلة الاسرا روي ابن عساكر عن انس قلنا يا رسول الله راينا كصافحت
شيا ولا نراه قال ذاك اخي عيسي بن مريم انتظرته حتي قضي طوافه فسلمت
عليه وروي ابن عدي عن انس بينا نحن مع النبي صلي الله عليه وسلم اذ راينا بردا
ويدا فقلنا يا رسول الله ما هذا البرد الذي راينا واليد قال رايتموه قلنا نعم
قال ذاك عيسي بن مريم سلم علي او علي تقدير دخوله كالخضر علي انه نبي
والياس علي انهما باقيان فانه لا يحكم في العالم الا بما شرعه محمد صلي
الله عليه وسلم من هذه الامة لا بشرايعهم التي كانت قبله فاذا نزل
سيدنا عيسي عليه السلام فانما يحكم بشريعة نبينا صلي الله
عليه وسلم ويكون وصولها اليه بالالهام لاحكامها او اطلاع علي الروح
المحمدي فيخبره بشريعته او بما شا الله تعالي من استنباطه لها من الكتاب
والسنة ونحو ذلك وقد سيل السيوطي باي طريق تصل احكام شريعتنا الي
عيسي فاجاب بان الانبيا كانوا يعلمون في زمانهم بجميع شرايع من قبلهم ومن
بعدهم بالوحي من الله علي لسان جبريل وبالتنبيه علي بعض ذلك في الكتاب
الذي انزل عليهم عيسي ينظر في القران فيفهم منه احكام هذه الملة من غير
احتياج الي مراجعة الاحاديث كما فهم النبي صلي الله عليه وسلم ذلك

من

من القران فانه قد انطوي علي جميع احكام الشريعة وفهمها نبينا بفهمه الذي
اختص به ثم شرحها لامته في السنة وافهام الامة تقصر عن ادراك ما ادركه
صاحب النبوة وعيسي نبي فلا يبعد ان يفهم من القران كفهم النبي صلي الله عليه وسلم
وبان عيسي معدود في الصحابة لانه اجتمع بالنبي صلي الله عليه وسلم وبان
عيسي معدود في الصحابة لانه اجتمع بالنبي صلي الله عليه وسلم غير مرة فلا
مانع انه تلقي منه احكام شريعته المخالفة لشريعة الانجيل لعلمه بانه سينزل
في امته ويحكم فيهم بشرعه فاخذها عنه بلا واسطة والي هذا اشار جماعة
من العلما قال ورايت عبارة للسبكي نصها انما يحكم عيسي بشريعة نبينا بالقران
والسنة فترجح ان اخذه السنة بطريق المشافهة بلا واسطة وبانه اذا نزل
يجتمع بالنبي صلي الله عليه وسلم في الارض كما صرح به في احاديث فلا مانع ان ياخذ
عنه ما احتاج اليه من احكام شريعته واستدل السيوطي لكل واحد من هذه
الاربع بما يطول ذكره وذكر انه اعترض عليه في الجواب الاول بلزوم ان
القران مضمن في الكتب السابقة فاجاب بانه لا مانع من ذلك فقد دلت الاحاديث
علي ثبوت هذا اللازم وقال تعالي وانه لتنزيل رب العالمين الي قوله وانه لفي زبر
الاولين ثم ساق ادلة ذلك في نحو ورقة ثم قال ان السايل نفسه ساله ثانيا
هل ثبت ان عيسي ينزل عليه الوحي بعد نزوله فاجاب نعم روي مسلم وغيره
من حديث اوحي الله الي عيسي اني قد اخرجت عبادا من عبادي لا يدان لك بقتالهم
فهذا صريح في انه يوحي اليه بعد نزوله والذي يقطع به ان الجايي اليه جبريل
لانه السفير بين الله وبين انبيايه كما بذلك صرحت الاثار وسا فتاهم قال وقد
زعم ان عيسي اذا نزل لا يوحي اليه حقيقة بل وحي الهام وهو ساقط معارض الثابت
لحديث مسلم وغيره ولان ما توهمه من تعذر الوحي الحقيقي فاسد لانه نبي
فاي مانع من نزول الوحي اليه فان تخيل انه ذهب منه وصف النبوة فهو لا
يذهب ابدا ولا بعد موته وان تخيل اختصاص الوحي بزمن دون زمن فهو
قول لا دليل عليه ويبطله ثبوت الدليل علي خلافه انتهي فياخذ عنه ما شرع
الله له به ان يحكم الله في امته ولا يحكم بشي من تحريم وتحليل
الا بما كان يحكم به نبينا صلي الله عليه وسلم ولا يحكم عيسي بشريعته
التي حصلت انزلت عليه في اوان رسالته ودولته اي عيسي تابع
لنبينا صلي الله عليه وسلم وقد نبه علي ذلك الترمذي الحكيم محمد بن
بن علي بن طبقة البخاري حافظ واعظ زاهد له تصانيف في كتاب ختم
الاوليا احد تصانيفه واغرب بمهملة بين عند صاحب عنقا بالمد مجرور
بالفتحة لالف التانيث الممدودة معرب قال الدميري طاير غريب يبيض
بيضا كالجبال ويبعد في طيرانه بها وقيل سميت بذلك لانه كان في عنقها
بياض كالطوق وقيل طاير يكون عند مغرب الشمس واطال الدميري الكلام
فيها فعلي الاخير ميمه مفتوحة وعلي الاولين مضمومة واقتصر عليه
القاموس فقال عنقا معرب بالرفع علي الوصف وبالجر مضافة وهي بضم

الميم طاير معروف الاسم مجهول الجسم وهو اسم كتاب للعارف القطب محيي
الدين بن علي بن محمد بن عربي الطاي الاندلسي مات بدمشق سنة ست وثلاثين
وستماية وعد الشعراوي كتابه هذا من الكتب التي لا يكاد يفهم العلما منها
معنى مقصود المقابلة اصلا لانه لسان قدسي لا يعرفه الا من تجرد عن هيكله
من البشر **وكذا الشيخ سعد الدين التفتازاني في شرح عقايد**
النسفي ابي الفضل محمد بن محمد بن محمد ثلاثة المعروف بالبرهان الحنفي
له مختصر تفسير الرازي ومقدمة في الخلاف وتصانيف كثيرة في علم الكلام
وغيره واجاز للبرزالي وتوفي سنة سبع وثمانين وستماية وهو متاخر عن
النسفي عمر بن محمد صاحب التفسير والفتاوي وغيرها توفي سنة سبع وثلاثين
وخمسماية وغير صاحب الكنز والمدارك والمنار وغيرها واسمه عبد الله بن
احمد بن محمود وغير ابي المعين ميمون بن محمد كلهم حنفيون من نسف بفتح
النون والسين المهملة وبالفا مدينة بما وراء النهر **وصح انه** اي عيسى
يصلي بالناس ويؤمهم يصلي بهم اماما **ويقتدي به المهدي** محمد بن
عبد الله الحسني الحسيني الخليفة الاتي اخر الزمان وفي حديث ضعيف المهدي
بعد المائتين **لانه** اي عيسى **افضل منه** اي المهدي **فامامته اولى انتهى**
كذا جزم به اعتمادا على تعليله ورد ما يشهد له في بعض الاثار وعورض
بحديث الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم ولمسلم ايضا كيف بكم اذا نزل ابن
مريم فيقال صل بنا فيقول لا ان بعضكم على بعض امرا تكرمة لهذه الامة
ولاحمد من حديث جابر فاذا هم بعيسى فيقال تقدم فيقول ليتقدم امامكم
فليصل بكم ولابن ماجة في حديث ابي امامة وكلهم اي المسلمون ببيت المقدس
وامامهم رجل صالح فتقدم اي قد تقدم ليصلي بهم اذا نزل عيسى فرجع الامام
ينكص ليتقدم عيسى فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول تقدم فانها لك اقيمت
وروى ابو نعيم عن ابي سعيد مرفوعا منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه
اي منا اهل البيت وجمع بان عيسى يقتدي بالمهدي اولا ليظهر انه نزل
تابعا لنبينا حاكما بشرعه ثم بعد ذلك يقتدي المهدي به على اصل القاعدة
من اقتدا المفضول بالفاضل قال ابن الجوزي لو تقدم عيسى اماما لوقع في
النفس اشكال ولقيل اتراه تقدم نائبا او مبتديا شرعا فيصلي ماموما
ليلا يتدنس بغبار الشبهة وجه قوله لا نبي بعدي وفي صلاة عيسى خلف
رجل من هذه الامة مع كونه في اخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة
للصحيح من الاقوال ان الارض لا تخلو عن قايم لله بحجة وقيل معنى وامامكم
منكم انه يحكم بالقران لا بالانجيل كما في رواية لمسلم وامكم منكم قال ابن
ابي ذيب معناه امكم بكتاب ربكم وعليه لم يتبين ان عيسى اذا نزل يكون
اماما او ماموما لكن يعكر عليه رواية احمد ومسلم فانهما صريحتان لا يقبلان
هذا التاويل وقال ابو الحسن الابري في مناقب الشافعي تواترت الاخبار

ان المهدي من هذه الامة وان عيسى يصلي خلفه ذكر ذلك ردا للحديث
ابن ماجة عن انس ولا مهدي الا عيسى **فهو عليه السلام وان كان خليفة**
في الامة المحمدية فهو نبي ورسول ونبي كريم على حاله لا كما ظن
بعض الناس انه ياتي واحدا من هذه الامة بدون نبوة ورسالة
وجهل انهما لا يزولان بالموت كما تقدم فكيف بمن هو حي **نعم هو واحد من**
الامة مع بقايه على نبوته ورسالته **لما ذكر من وجوب اتباعه لنبينا**
صلى الله عليه وسلم والحكم بشريعته لا بشرع الانجيل لنسخه **فان**
قلت فقد ورد في صحيح مسلم والبخاري ايضا ما هذا الابهام كلاهما عن
ابي هريرة **قوله صلى الله عليه وسلم** والذي نفسي بيده **ليوشكن** بكسر
المعجمة اي ليقربن اي لابد من ذلك سريعا **ان ينزل فيكم** اي في هذه الامة
لانه خطاب لبعضها ممن لا يدرك نزوله **حكما** اي حاكما **مقسطا** اي عادلا
بخلاف القاسط فهو الجاير ولمسلم ايضا اماما مقسطا ولفظ البخاري حكما
عدلا وفي مسلم عن ابي هريرة مرفوعا ينزل عيسى بن مريم على المنارة
البيضا شرقي دمشق وفي الصحيحين عند رفعه ينزل عيسى فيقتل الدجال
فيكسر الصليب تفريع على عدله اي فبسبب عدله يكسره حقيقة او
يبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه **ويقتل الخنزير** فيبطل دين النصرانية
وفيه تحريم اقتنا الخنزير وتحريم اكله ونجاسته لان الشي المنتفع به لا
يشرع اتلافه لكن في الطبراني الاوسط باسناد لا باس به عن ابي هريرة
ويقتل الخنزير والقرد فلا يصح الاستدلال به على نجاسة عين الخنزير
لان القرد ليس بنجس العين اتفاقا وفيه ايضا تغيير المنكرات وكسر
الة الباطل زاد في رواية لمسلم ولتذهبن الشحنا والتباغض والتحاسد
ويضع الجزية وفي رواية ويضع الحرب وتتمة الحديث في الصحيحين
ويفيض المال حتى لا يقبله احد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من
الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقروا ان شيتم وان من اهل الكتاب
الا ليومنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا قال الحافظ
والمعنى ان الدين يصير واحدا فلا يبقى احد من اهل الذمة يودي الجزية
وقيل معناه فيكثر المال فلا يبقى من يمكن صرف مال الجزية له فيترك الجزية
استغنا عنها وقال عياض يحتمل ان المراد بوضعها تقريرها على الكفار
من غير محاباة ويكون كثرة المال بسبب ذلك وتعقبه النووي **و**قال
ان الصواب في معناه انه لا يقبل الجزية ولا يقبل الا الاسلام
او يفعل القتل ان امتنعوا منه قال الحافظ ويويده رواية احمد من
وجه اخر وتكون الدعوى واحدة **وهذا هو خلاف ما هو حكم**
الشرع اليوم فان الكتابي اذا بذل اي اعطى **الجزية وجب**
قبولها ولم يجز بالزاي قتله لقوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد
وفي نسخة لم يجب بالبا بدل الزاي وكانه عبر بها لمطابقة ظاهر

الا بتة خلافيا في انه لا يجوز قتله وعلي قاتله ديته لان ذلك ثبت بدليل اخر
ولا اكراه علي الاسلام واذا كان كذلك فكيف يكون عيسي عليه
السلام حاكما بشريعة نبينا صلي الله عليه وسلم فالجواب انه
لا خلاف ان عيسي انما ينزل لان بهذه الشريعة المحمدية لحديث عبد
الله بن مغفل ينزل عيسي بن مريم مصدقا بمحمد علي ملته رواه الطبراني
ولا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة لان هذه الشريعة
لا تنسخ بل هو حاكم من حكام هذه الامة كقاض بين الخصوم بالملة
المحمدية واما حكم الجزية وما يتعلق بها من اقرارهم علي ابقا صليبهم وخنزيرهم
ونحوهما حيث لم يظهروها فليس حكما مستمرا الي يوم القيمة بل هو
مقيد بما قبل نزول عيسي فوضعها بعد نزوله من شريعتنا وقد اخبر نبينا
صلي الله عليه وسلم بنسخه بهذا الحديث كما في عبارة النووي وليس عيسي
هو الناسخ بل نبينا صلي الله عليه وسلم هو المبين للنسخ بقوله ويضع
الجزية فدل علي ان الامتناع في ذلك الوقت من قبول الجزية هو
شرع نبينا صلي الله عليه وسلم في ذلك الوقت لا قبله اشار اليه النووي
في شرح مسلم ولخصه الحافظ باوجز عبارة بقوله قال النووي معني
وضع الجزية مع انها مشروعة في هذه الشريعة لان مشروعيتها مقيدة
بنزول عيسي كما دل عليه هذا الخبر وليس عيسي بناسخ لحكمها بل نبينا صلي
الله عليه وسلم هو المبين للنسخ بقوله هذا فان قلت ما المعني اي السر
والحكمة في تغيير حكم الشرع عند نزول عيسي عليه السلام في منع
قبول الجزية اهو تعبدي ام معقول المعني فاجاب اي فاقول في ذلك الجواب
ولا حاجة للفا لدخولها علي ماض متصرف وهو صالح لكونه جواب الشرط وتعل
البدر بن مالك جوازه اعترض بان ظاهره الاطلاق وليس كذلك بل الماضي
المتصرف المجرد ثلاثة اضرب ضرب لا يجوز اقترانه بالفا وهو المستقبل الذي
لا يقصد به وعد او وعيد نحو ان قام زيد قام عمرو وضرب يجب اقترانه
بالفا وهو المستقبل الماضي لفظا ومعني نحو ان كان قميصه قد من قبل
فصدقت وقد معه مقدرة وضرب يجوز اقترانه بالفا وهو المستقبل
معني وقصد به وعد او وعيد نحو ومن جا بالسيئة فكبت لانه اذا كان
وعدا او وعيدا حسن ان يقدر ماضي المعني فعل بل مقاربة الماضي حقيقة
وقد نص ابوه علي التفصيل في شرح الكافية ابن بطال ابو الحسن علي
في شرح البخاري بانا انما قبلناها نحن لاحتياجنا الي المال وليس
يحتاج عيسي عليه السلام عند خروجه اي ظهوره ونزوله من
السما الي الارض الي مال لانه يفيض بفتح اوله وكسر الفا وبالضاد
المعجمة اي يكثر في ايامه المال حتي لا يقبله احد كما قال في الصحيحين
ولمسلم في رواية وليدعون الي المال فلا يقبله احد قال الحافظ وسبب
كثرته نزول البركات بسبب العدل وعدم الظلم وحينئذ تخرج الارض

كنوزها

كنوزها ويقل الراغب في اقتنا المال لعلمهم بقرب الساعة فلا يقبل الا
القتل اي لا يحكم الا به فعبر بنفي القبول عن فعل القتل تجوزا نحو زجج
الحواجب والعيونا او الايمان بالله وحده انتهي جواب ابن بطال واجاب
الشيخ ولي الدين احمد ابن العراقي بان قبول الجزية من اليهود
والنصاري لشبهة بالشبهة بالضم اي التباس ما بايديهم من التوراة
والانجيل عليهم فظنوا بسبب الالتباس حقية ما هم عليه وتعلقهم بزعمهم
بشرع قديم وهذه الشبهة والتعلق وان كانا باطلين لقيام الادلة الواضحة
علي حقية الاسلام وبطلان ما سواه لكنهم عذروا في الجملة لذلك فاكتفي
منهم بما دل علي ذلهم وانقيادهم لبعض احكام الاسلام قهرا عليهم فاذا نزل
عيسي عليه السلام زالت تلك الشبهة لحصول معاينته فصاروا
كعبدة الاوثان في انقطاع شبهتهم وانكشاف امرهم فعوملوا معاملتهم
في انه لا يقبل منهم الا الاسلام والحكم بزوال علته وهذا
ايضا مما نحن نحو ملخص جواب ابن بطال قال وهذا معني حسن مناسب
لم ار من تعرض له قال وهذا اولي مما ذكره ابن بطال انتهي وكان
وجه اولويته انه مبني علي علة معنوية معقولة دون جواب ابن بطال
وهو ظاهر في زوال شبهة النصاري بنزوله واما زوالها عن اليهود
بنزوله وكانه لانهم زعموا هم والنصاري بقا شرعهما مع شريعة الاسلام
وفي الفتح قال العلما الحكمة في نزول عيسي دون غيره من الانبيا
للرد علي اليهود في زعمهم انهم قتلوه فبين الله كذبهم وانه الذي
يقتلهم او نزوله لدنو اجله ليدفن في الارض اذ ليس لمخلوق من التراب
ان يموت في غيرها وقيل دعا الله لما راي صفة محمد وامته ان يجعله منهم
فاستجاب الله دعاه وابقاه حتي ينزل في اخر الزمان مجددا لامر الاسلام
فيوافق خروج الدجال فيقتله والاول اوجه وفي مسلم عن ابن عمرو انه
يمكث في الارض بعد نزوله سبع سنين وروي نعيم بن حماد في كتاب الفتن من
حديث ابن عباس ان عيسي يتزوج في الارض ويقيم بها تسع عشرة سنة
وباسناد فيه مبهم عن ابي هريرة يقيم بها اربعين سنة وروي احمد وابو
داود باسناد صحيح عن ابي هريرة مرفوعا ينزل عيسي عليه السلام وعليه
ثوبان ممصران فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس
الي الاسلام ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام وتقع الامنة في الارض
حتي ترتع الاسود مع الابل ويلعب الصبيان بالحيات فيمكث في الارض
اربعين سنة ثم يتوفي ويصلي عليه المسلمون انتهي قال ابن كثير يشكل
عليه خبر مسلم انه يمكث في الارض سبع سنين اللهم الا ان يحمل هذه السبع
علي مدة اقامته بعد نزوله وتكون مضافة الي مكثه فيها قبل رفعه الي السما
وكان عمره اذ ذاك ثلاثا وثلاثين سنة علي المشهور قال في مرقاة الصعود
وقد اقمت سنين اجمع بذلك ثم رايت البيهقي قال في كتاب البعث والنشور

هكذا في هذا الحديث ان عيسى يمكث في الارض اربعين سنة وفي مسلم من حديث
عبد الله بن عمرو في قصة الدجال فيبعث الله عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه
ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عداوة قال البيهقي ويحتمل
ان قوله ثم يلبث الناس بعده اي بعد موته فلا يكون مخالفا للاول انتهى فترجح
عندي هذا التاويل من وجوه احدها ان حديث مسلم ليس نصا في الاخبار
عن مدة لبث عيسى وخبر ابي داود نص فيها والثاني انه ثم تؤيد هذا
التاويل لانها للتراخي والثالث قوله يلبث الناس بعده فيتجه ان الضمير فيه
لعيسى لانه اقرب مذكور والرابع انه لم يرد في ذلك سوى هذا الحديث المحتمل
ولا تاتي له مورد مكث عيسى اربعين سنة في عدة احاديث من طرق مختلفة
كحديث ابي داود وهذا هو صحيح واخرج الطبراني عن ابي هريرة مرفوعا
ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس اربعين سنة واخرج احمد في الزهد
عنه قال يلبث عيسى في الارض اربعين سنة لو يقول للبطحا سيلي عسلا لسالت
واخرج في المسند عن عايشة مرفوعا في حديث الدجال فينزل عيسى فيقتله ثم
يمكث عيسى في الارض اربعين سنة اماما عادلا وحكما مقسطا وروي ايضا من
حديث ابن مسعود عند الطبراني فهذه الاحاديث المتعددة الصريحة اولى
من ذلك الحديث الواحد المحتمل انتهى ويؤيده ان حديث رفعه وهو ابن ثلاث
وثلاثين انما يروى عن النصارى فعند الحاكم عن وهب ابن منبه قال ان
النصارى تزعم فذكر الحديث الى ان قال وانه رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين
وفيه عبد المنعم بن ادريس كذبوه ولو صح فهو عن النصارى كما ترى والثابت في
الاحاديث النبوية انه رفع وهو ابن مائة وعشرين روى الطبراني والحاكم في
المستدرك عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه
لفاطمة ان جبريل كان يعارضني القران في كل عام مرة وانه عارضني بالقران
العام مرتين واخبرني انه لم يكن نبي الا عاش نصف الذي قبله واخبرني ان
عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا اراني الا ذاهبا على راس الستين
ورجاله ثقات وله طرق وذكر ابن عساكر ان وفاة عيسى تكون بالمدينة
فيصلى عليه هنالك ويدفن بالحجرة النبوية وروى الترمذي عن عبد الله بن
سلام قال مكتوب في التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه واختلف
في موته قبل رفعه لظاهر قوله تعالى اني متوفيك قال الحافظ وعليه
لذا نزل الى الارض ومضت المدة المقدرة له يموت ثانيا وقيل معنى متوفيك
رافعك من الارض فعليه لا يموت الا في اخر الزمان وقال في موضع اخر رفع عيسى
وهو حي على الصحيح ولم يثبت رفع ادريس وهو حي من طريق مرفوعة قوية
انتهى وفي الاصابة عيسى بن مريم بنت عمران رسول الله وكلمته القاها الى
مريم ذكره الذهبي في التجريد مستدركا على من قبله فقال راى النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة الاسرا وسلم عليه فهو نبي وصحابي وهو اخر من يموت من الصحابة
والغرة القاضي تاج الدين السبكي في قصيدته • باتفاق جميع الخلق

افضل

240

افضل من خير الصحاب ابي بكر ومن عمر •

• من باتفاق جميع الخلق افضل من • خير الصحاب ابي بكر ومن عمر •
• ومن علي ومن عثمان وهو فتى • من امة المصطفى المختار من مضر •

وانكر مغلطاي على من ذكر خالد بن سنان في الصحابة كابي موسى المديني
وقال ان ذكره لكونه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وكان ينبغي له ان يذكر
عيسى وغيره من الانبيا او من ذكره هو من الانبيا غيرهم ومن المعلوم انهم
لا يذكرون في الصحابة انتهى ويتجه ذكر عيسى خاصة لامور اقتضت ذلك
وهي رفعه حيا على احد القولين وانه ينزل الى الارض فيقتل الدجال وانه
يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فبهذه الثلاث يدخل في تعريف الصحابي
وهو الذي عول عليه الذهبي انتهى كلام الاصابة ويؤيده اجتماعه بالمصطفى
مرات من غير ليلة الاسرا في الطواف وغيره كما تقدم قريبا من رواية ابن
عساكر وابن عدي عن انس ونقل السيوطي عن العلم العراقي انه تعقب قول
الناظم وهو فتى بانه عن عيسى فلا يطلق اسم الفتى على الانبيا انما يسمى به
الصبيان والعبيد والخدم وان اراد ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم
فلا يطلق عليه وسلم فلا يطلق عليه نبي فقد نص الازهري على ان الصبي لا
يسمى فتى حتى يراهق وان اراد الجنس فابو بكر افضل منه فلو قال سمحا بدل
فتى صح على عيسى وعلى ابراهيم وعلى فاطمة لحديث فاطمة بضعة مني قال
مالك لا افضل على بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم احدا انتهى وكذلك
من يقول وهم الجمهور كما قاله ابن عطية والمازري والبغوي والقرطبي من العلما
بنبوة الخضر فانه يليق لان قوله تعالى وما فعلته عن امري يدل على انه نبي
يوحى اليه ولان النبي لا يتعلم ممن هو دونه ولان الحكم بالباطن لا يطلع عليه
الا الانبيا ثم اختلفوا في انه رسول ام لا فقال الثعلبي الخضر نبي بعثه الله بعد شعيا
وقالت طايفة منهم القشيري هو نبي ولي واجابوا عن الاية باحتمال بعيد جدا
هو ان الله اوحى الى نبي ذلك العصر بان يامر الخضر بذلك وهو بفتح الخا وكسر
الضاد المعجمتين وقد تسكن مع كسر الخا وكنيته ابو العباس وفي الصحيحين عن
ابي هريرة مرفوعا انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضا فاذا هي تهتز
من تحته خضرا زاد عبد الرزاق الفروة الحشيش الابيض وما اشبهه قال عبد
الله بن احمد اظن هذا تفسيرا من عبد الرزاق وبه جزم عياض ويوافقه قول
الحربي الفروة من الارض قطعة يابسة من حشيش وقال ابن الاعرابي الفروة
ارض بيضا ليس فيها نبات وبه جزم الخطابي ومن تبعه وحكى مجاهد انه قيل
له الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله واختلف في اسمه واسم ابيه ونسبه فالاصح
الذي نقله اهل السير وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم كما قاله البغوي وغيره
ان اسمه بليا بفتح الموحدة وسكون اللام فتحتية فالف ونقط الدمياطي في
اول الاسم نقطتان وقيل كالاول بزيادة الف بين البا وقيل اسمه الياس وقيل
اليسع وقيل عامر وقيل ارميا بكسر اوله وقيل بضمه واشبعها بعضهم واوا وقيل

وقيل الهمد وقيل خضرون وقيل غير ذلك ابن ملكان بفتح الميم وسكون اللام ابن
نافع بن عامر بن سالح بن ارفخشد بن سام بن نوح وعلي هذه فمولده قبل ابراهيم
لانه يكون ابن عم جد ابراهيم وحكي الثعلبي قولين في انه كان قبل الخليل او بعده
وروي الدارقطني عن ابن عباس قال هو ابن ادم لصلبه قال الحافظ وهذا ضعيف
منقطع وحكي ابو حاتم السجستاني انه ابن قابيل بن ادم وقيل ابن مالك بن عبد
الله بن نصر بن الازد وقيل بن عابيل بن معمر بن عيص بن اسحق بن ابراهيم
وقيل الخضر بن فرعون صاحب موسي وهو غريب جدا وقيل ابن بنت فرعون
وقيل كان ابوه فارسيا وحكي السهيلي عن قوم انه كان ملكا من الملايكة وليس من
بني ادم قال النووي وهو غريب ضعيف او باطل وقيل انه من ذرية بعض من
امن بابراهيم وقيل انه الذي اماته الله ماية عام ثم بعثه فلا يموت حتي ينفخ في
الصور رواه الدارقطني وزاد مد للخضر في اجله حتي يكذب الدجال ونقل عبد
الرزاق عن معمر قال بلغني ان الخضر هو الذي يقتله الدجال ثم يحييه **وانه باق
الي اليوم فانه تابع لاحكام هذه الملة** قال ابن الصلاح هو حي عند جمهور
العلما والعامة معهم في ذلك وانما شذ بانكاره بعض المحدثين وتبعه النووي
وزاد وذلك متفق عليه بين الصوفية واهل الصلاح وحكاياتهم في رويته
والاجتماع به والاخذ عنه وسواله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة اكثر من
ان تحصر واشهر من ان تذكر قال في الاصابة لا يقال يستفاد من هذه الاخبار
التواتر المعنوي لان من المتواتر لا يشترط فيه عدالة انما العبرة علي وروده بعدد تحيل
العادة تواطيهم علي الكذب فان اتفقت الفاظه فذاك وان اختلفت فمهما اجتمعت
فهو التواتر المعنوي وهذه الحكايات تجتمع في ان الخضر حي لانا نقول بطرق حكاية
القطع قول جماعة من الصوفية لكل زمان خضر وانه نقيب الاوليا وكلما مات نقيب
اقيم نقيب مقامه وسمي الخضر فلا يقطع مع هذا ان الذي ينقل عنه الخضر صاحب
موسي بل هو خضر ذلك الزمان ويويده اختلافهم في صفته فمنهم من يراه شيخا
او كهلا او شابا وهو محمول علي تغاير المرايي وزمانه انتهي وروي ابن اسحق في
المبتدا عن اصحابه ان ادم اخبر بنيه عند الموت بامر الطوفان ودعا لمن يحفظ جسده
حتي يدفنه بالتغيير فجمع نوح بنيه لما وقع الطوفان واعلمهم بذلك فحفظوه حتي كان
الذي دفنه الخضر وروي خيثمة بن سليمان عن جعفر الصادق عن ابيه ان ذا
القرنين كان له صديق من الملايكة فطلب ان يدله علي شي يطول به عمره فدله
علي عين الحياة وهي داخل الظلمة فسار اليها والخضر علي مقدمته فظفر بها الخضر
فشرب منها وتوضا واغتسل فيها ولم يظفر بها ذو القرنين فلا يموت حتي يرفع
القران واخرجه ابن عدي بسند ضعيف عن عمرو بن عوف ان النبي صلي الله
عليه وسلم سمع في المسجد كلاما فقال يا انس اذهب الي هذا القايل فقل له يستغفر لي
فذهب اليه فقال قل ان الله فضلك علي الانبيا بما فضل به رمضان علي الشهور
وفضل امتك علي الامم مثل ما فضل يوم الجمعة علي ساير الايام فذهبوا ينظرونه
فاذا هو الخضر وروي ابن عساكر نحوه عن انس باسناد اوهي منه قال ابن المنادي

حديث

حديث واهي منكر الاسناد سقيم المتن لم يراسل الخضر بينه وبين النبي صلي الله
عليه وسلم ولم يلقه واستبعده ابن الجوزي من جهة امكان لقيه له صلي الله عليه وسلم
واجتماعه معه ثم لا يجي اليه وجا في اجتماعه ببعض الصحابة اخبار اكثرها واهي
الاسناد وقد جزم بموته وانه غير موجود الان البخاري وابراهيم الحربي وابو
جعفر بن المنادي وابو يعلي بن الفرا وابو طاهر العبادي وابو بكر بن العربي و
طايفة قال ابن عطية اخرج النقاش اخبارا كثيرة تدل علي بقايه لا يقوم بشي منها
حجة قال ولو كان باقيا كان له في ابتدا الاسلام ظهور ولم يثبت شي من ذلك انتهي
ويعضدهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال في اخر حياته لا يبقي علي وجه الارض بعد ماية سنة ممن هو عليها اليوم احد قال
ابن عمر اراد بذلك انخرام قرنه واجاب من اثبت حياته بانه كان حينيذ علي وجه
البحر او هو مخصوص من الحديث كما خص منه ابليس باتفاق ومن حجج من انكر ذلك قوله
تعالي وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وحديث ابن عباس ما بعث الله نبيا الا اخذ
عليه الميثاق لين بعث محمد وهو حي ليومنن به ولينصرنه ولم يات في خبر صحيح
انه جا الي النبي صلي الله عليه وسلم ولا قاتل معه وقد قال صلي الله عليه يوم بدر
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فلو كان الخضر موجودا لم يصح هذا
النفي وقال صلي الله عليه وسلم رحم الله موسي لوددنا لو كان صبر حتي يقص الله علينا
من خبرهما فلو كان الخضر موجودا لما حسن هذا التمني ولاحضره بين يديه واراه
العجايب وكان ادعي لايمان الكفرة لا سيما اهل الكتاب وقد بسط الكلام فيه في الاصابة
بنحو كراس والم بشي منه في فتح الباري من جملته روي يعقوب بن سفين في تاريخه
وابو عروبة عن رباح بن عبيدة قال رايت رجلا يماشي عمر بن عبد العزيز
معتمدا علي يديه فلما انصرف قلت له من الرجل قال رايته قلت نعم قال احسبك رجلا
صالحا ذاك اخي الخضر بشرني اني سالي واعدل لا باس برجاله ولم يقع لي الي الان
خبر ولا اثر بسند جيد غيره وهذا لا يعارض الحديث في ماية سنة لانه كان قبل
الماية انتهي قال في الاصابة وعلي بقايه الي زمن النبي صلي الله عليه وسلم وحياته
بعده فهو داخل في تعريف الصحابي علي احد الاقوال ولم ار من ذكره فيهم من القدما
مع ذهاب الاكثر الي الاخذ بما ورد في اخباره من تعميره وبقايه **وكذلك الياس**
بهمزة قطع اسم عبراني واما قوله تعالي سلام علي الياسين فقراه الاكثر بصورة
الاسم المذكور وزيادة يا ونون في اخره وقراة اهل المدينة آل ياسين بفصل
آل من ياسين وبعضهم تاول ان المراد آل محمد وهو بعيد ويويد الاول ان الله تعالي
انما اخبر في كل موضع ذكر فيه نبيا من الانبيا في هذه السورة بان السلام عليه
فكذلك السلام في هذا الموضع علي المبتدا بذكره في قوله تعالي وان الياس لمن
المرسلين وانما زيدت فيه اليا والنون كما قالوا في ادريس ادراسين ونقل
بعضهم الاجماع علي ان ادريس جد نوح وفيه نظر لانه ان ثبت قول ابن عباس ان
الياس هو ادريس لزم ان ادريس من ذرية نوح لقوله تعالي ومن ذريته داود وسليمان
الي ان قال وعيسي والياس سواء كان ضمير ذريته لنوح او لابراهيم لان من كان من ذرية

هو من ذرية نوح لا محالة وذكر ابن اسحق ان الياس هو ابن نسي بن
فنحاص بن العيزار بن هرون اخي موسى بن عمران على ما صححه
ابو عبد الله محمد بن نوح القرطبي المفسر انه حي ايضا ذكر وهب
في المبتدا ان الياس عمر كما عمر الخضر وانه يبقى الى اخر الزمان
وروى الدارقطني عن ابن عباس مرفوعا يجتمع الخضر والياس كل عام
في الموسم فيحلق كل منهما راس صاحبه ويتفرقان عن هؤلا الكلمات
بسم الله ما شا الله لا يسوق الخير الا الله بسم الله ما شا الله لا يصرف السوء الا
الله بسم الله ما شا الله ما كان من نعمة فمن الله بسم الله ما شا الله لا حول ولا
قوة الا بالله واسناده ضعيف ورواه ابن الجوزي بسند واهي جدا وزاد
وزاد قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد قالها في كل يوم الا امن من الغرق
والحرق والسرق وكل شي يكرهه حتى يمسي وكذلك حتى يصبح ورواه احمد
في الزهد بسند حسن لكنه معضل عن عبد العزيز بن ابي رواد وزاد
ويشربان من زمزم شربة يكفيهما الى قابل ويصومان رمضان ببيت
المقدس وروي عن كعب الاحبار قال اربعة من الانبيا احيا اثنان في الارض
الخضر والياس واثنان في السما ادريس وعيسى وروى الحاكم في المستدرك
عن انس ان الياس اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم واكلا جميعا وان طوله
ثلثمائة ذراع وانه قال لا ياكل في السنة الا مرة واحدة قال الذهبي هذا
خبر باطل وفي الاصابة يلزم من ذكر الخضر في الصحابة ان يذكر الياس ومن
اغرب ما روي فيه انه هو الخضر فاخرج ابن مردويه في تفسيره من سورة
الانعام عن ابن عباس مرفوعا الخضر هو الياس وليس في الرسل من
يتبعه رسول عاملا بشريعته تاركا للشرع الذي اوحي اليه به الا
نبينا صلى الله عليه وسلم لانه نبي الانبيا وكفى بهذا شرفا لهذه
الامة المحمدية زادها الله شرفا الحمد لله الذي خصنا بهذه
الرحمة واسبغ افاض واتم علينا هذه النعمة ومن علينا بما يمننا
به من الفضايل الحمد الكثيرة ونوه بنا اي رفع ذكرنا في كتابه
العزيز بقوله كنتم خير امة اخرجت للناس فتامل قوله كنتم
الدال على تقدم ثبوت قدم الخيرية لهم من قبل وجود الامم اي في
اللوح المحفوظ وقيل كنتم في علم الله والمقصد بهذين القولين
تحقيق معنى المضي وقيل معنى كنتم انتم كقوله واذكروا اذ كنتم قليلا
في موضع اخر اذ انتم قليل واشار البغوي الى ترجيح الاول بما اخرجه
هو واحمد والترمذي وغيرهم عن معوية بن حيدة انه سمع النبي صلى
الله عليه وسلم يقول في قوله عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس قال
انكم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله فينبغي لمن هو
من هذه الامة المحمدية ان يتخلق بالاخلاق الزكية بملازمة
الطاعات واجتناب المنهيات ليثبت له ما لهذه الامة الشريفة بشرف

بينها

بينها من الاوصاف المرضية لله وعباده المتقين ويتاهل لما لها
من الخيرية قال مجاهد في تفسير قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس اذا كنتم على الشرايط المذكورة اي قوله تامرون
بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله لان ذكرها استيناف لبيان
الخيرية فهو شرط فيها فمن لم يكن كذلك لم يتصف بالخيرية وقيل انما
صارت اي كانت ووجدت امة محمد صلى الله عليه وسلم خير امة
لان المسلمين منهم اكثر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم
اشهر وهذا كله على ان الخطاب للامة كلهم وقيل هذا الخطاب
لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال عليه السلام في الصحيحين
وغيرهما خير الناس وفي رواية امتي قرني اي اهل عصري يعني
الصحابة ومدتهم من البعثة مائة وعشرون سنة او دونها او فوقها
بقليل على الخلاف في وفاة اخر الصحابة موتا ابو الطفيل وان اعتبر
من وفاته صلى الله عليه وسلم كان مائة او تسعين او سبعا وتسعين ثم
الذين يلونهم اي القرن الذي بعدهم وهم التابعون ومدتهم نحو سبعين
او ثمانين سنة ان اعتبر من سنة مائة ثم الذين يلونهم وهم اتباع
التابعين نحو خمسين الى حدود عشرين ومايتين فمدة القرن تختلف
باختلاف اعمار كل زمان ومر الحديث قريبا وهذا يدل على ان اول
هذه الامة افضل ممن بعدها ولهذا ذهب معظم العلما الى ان
من صحبه صلى الله عليه وراه ولو مرة من عمره افضل من
كل من ياتي بعده وان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل عطف
علة على معلول لهذا مذهب الجمهور اطناب مساو لقوله معظم
العلما وذهب ابو عمر بن عبد البر الى انه قد يكون فيمن ياتي
بعد الصحابة افضل من كان في جملة الصحابة لمن راه مرة
وان قوله عليه السلام خير الناس قرني ليس على عمومه بدليل
ما يجمع القرن من الفاضل والمفضول وقد جمع قرنه عليه السلام
جماعة من المنافقين المظهرين للاسلام للايمان لكن في الاستظها
يذكر هو لا على الدعوى بشي اذ هو لا كفار والكلام في المومنين واهل
الكباير الذين اقام عليهم وعلى بعضهم الحدود وفي الاستظهار
بهم ايضا شي فالحدود جوابر على الصحيح وقد روى ابو امامة
الباهلي صدي بالتصغير ابن عجلان صحابي مشهور سكن الشام ومات
بها سنة ست وثمانين انه صلى الله عليه وسلم قال طوبى
ثانيته اطيب اي راحة وطيب عيش حاصل لمن راني وامن بي مرة
وطوبى سبع مرات المنيا درايه قال هذا اللفظ لانه كرر طوبى سبعا
لمن لم يرني وامن بي لان الله مدح المومنين بايمانهم بالغيب وايمان
الصحابة بالله واليوم الاخر غيبا وبالنبي صلى الله عليه وسلم شهودا

للايات والمعجزات ومن بعدهم امنوا غيبا وبالنبي صلي الله عليه وسلم شهودا
للايات والمعجزات ومن بعدهم امنوا غيبا بما امنوا به شهودا فلذا اثني عليهم
وحديث ابي امامة هذا اخرجه احمد والبخاري في التاريخ وابن حبان والحاكم
بلفظ طوبي لمن راني وامن بي مرة وطوبي لمن لم يرني وامن بي سبع مرات
فزاد مرة واخر سبع مرات وصححه الحاكم وتعقب لكن له شاهد من حديث
انس عند احمد وروي الطيالسي وعبد بن حميد عن ابن عمر قال سبيل رسول
الله صلي الله عليه وسلم فقيل له ارايت من امن بك ولم يرك وصدقك
ولم يرك قال اولئك اخواني اليك معي طوبي لمن راني وامن بي
وطوبي لمن امن بي ولم يرني ثلاث مرات ولا يعارضه ما قبله لانه
اخبر بما علم او لانه زيد فاخبر به ويدل علي ذلك حديث الطبراني عن
ابن عمر وابن النجار عن ابي هريرة رفعاه طوبي لمن ادركني وامن بي
وطوبي لمن لم يدركني ثم امن بي فاخبران كلا له طوبي ولم يذكر عددا لانه
قبل ان يوحي اليه بالعدد واخرج احمد وابن حبان عن ابي سعيد ان رجلا
قال يا رسول الله طوبي لمن راك وامن بك فقال صلي الله عليه وسلم طوبي
لمن راني وامن بي ثم طوبي ثم طوبي لمن امن بي ولم يرني فقال رجل
يا رسول الله وما طوبي قال شجرة في الجنة مسيرة ماية سنة ثياب اهل
الجنة تخرج من اكمامها وروي الطبراني برجال ثقات والحاكم عن عبد الله
ابن بسر مرفوعا طوبي لمن راني ولمن راي من راني ولمن راي من راني
طوبي لهم وحسن ماب وفي مسند ابي داود سليمان بن داود بن
الجارود الطيالسي البصري ثقة حافظ روي مسلم والاربعة ومات
سنة اربع ومايتين عن محمد بن حميد ابراهيم الانصاري الزرقي المدني
ضعيف روي له الترمذي وابن ماجة عن زيد بن اسلم العدوي المدني
ثقة عالم من رجال الجميع مات سنة ست وثلاثين وماية عن ابيه اسلم
مولي عمر ثقة مخضرم روي له الجميع ومات سنة ثمانين وقيل بعد سنة ستين
وهو ابن اربع عشرة وماية سنة عن عمر بن الخطاب قال كنت جالسا
عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال اتدرون اي الخلق
افضل ايمانا قلنا الملايكة لانهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يومرون قال وحق بفتح الحاء حق لان ما اي ثبت لهم من ضم الحا
من المتعدي اي اثبت وبني منه للمفعول فيقال حق لك ان تفعل كذا بالضم
كما في القاموس واقتصر المصباح علي اللازم بل سوادي غيرهم او غيرهم
المراد فهو بالرفع ويحتمل النصب بتقدير اريد غيرهم قلنا الانبيا قال
وحق لهم بل غيرهم ثم قال صلي الله عليه وسلم افضل الخلق
ايمانا قوم في اصلاب الرجال يومنون بي ولم يروني فهم افضل
الخلق ايمانا اعاده تاكيد او المراد من افضل فلا ينافي خبر له صلي الله عليه
وسلم افضل المومنين اسلاما من سلم المسلمون من لسانه ويده وافضل

المومنين

المومنين ايمانا احسنهم خلقا رواه الطبراني باسناد حسن وروي ابن ماجة
وصححه الحاكم مرفوعا افضل المومنين احسنهم خلقا ولا قوله صلي الله عليه
وسلم افضل المومنين ايمانا الذي اذا سال اعطي واذا لم يعط استغني
رواه ابن ماجة والخطيب ويجمع بينهما ايضا باعتبار الجهة اي افضل الخلق
من جهة الايمان بالغيب وهكذا او روي ان عمر بن عبد العزيز الامام
العادل لما ولي الخلافة كتب الي سالم بن عبد الله بن عمر احد الفقهاء ان
اكتب الي بسيرة عمر بن الخطاب لاعمل بها فكتب اليه سالم ان عملت
بسيرة عمر فانت افضل من عمر لان زمانك ليس كزمان عمر ولا
رجالك كرجال عمر اي ولا يمكنك ذلك لانه لا يتصور في التعليق بمحال قال
وكتب الي فقهاء زمانه وكلهم كتب بمثل قول سالم ترغيبا له وحثا
علي العدل الذي رامه قال ابو عمر بن عبد البر بعد ذكر هذا ولحاديث
اخر فهذه الاحاديث تقتضي مع تواتر طرقها تواترا معنويا
لاتفاقها علي تفضيل العامل في اي زمان وحسنها باعتبار المجموع
التسوية بين هذه الامة واخرها في فضل العمل الا اهل بدر
والحديبية لنصه صلي الله عليه وسلم علي افضلية اهلهما علي من
سواهما فمحل النزاع فيمن لم يحصل له الا مجرد المشاهدة ومن تدبر هذا
الباب بان له الصواب انتهي واسناد حديث ابي داود الطيالسي
عن عمر ضعيف لضعف محمد بن ابي حميد فلا يحتج به فتحسين ابن عبد البر
اما حكم علي المجموع لانه قاله وحسنها بعد احاديث عدة وابرز سند حديث
عمر باعتبار شاهده الذي استدركه بقوله لكن روي احمد والدارمي والطبراني
عن ابي عبيدة عامر بن الجراح احد العشرة انه قال يا رسول الله احد
بتقدير اداة الاستفهام همزة او هل احد خير منا اسلمنا معك وجاهدنا
معك قال خير منكم قوم يكونون من بعدكم يومنون بي ولم يروني
واسناده حسن وصححه الحاكم وهو بمعني حديث عمر فهو شاهده
والحق ما عليه الجمهور ان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة
رسول الله صلي الله عليه وسلم ولو مرة وذلك الحظ لا يكون لمن بعد
الصحابة ولو بلغوا ما بلغوا والدلايل علي افضلية الصحابة علي
غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل بذكرها وسيأتي بقية مباحث
ذلك في فضل الصحابة من المقصد السابع ان شاء الله تعالي فيعلم
منه ما يحصل انه يمكن تاويل الاحاديث المتقدمة بان الزيادة في الاجر
والخيرية بسبب الايمان بالغيب دون مشاهدة الايات لا يستلزم
الافضلية المطلقة فانما يقع التفاضل بالنسبة الي ما يماثله وما فاز به
من مشاهدته صلي الله عليه وسلم لم يظفر به من لم يتفق له ذلك فلا يعدله فيه
احد وقد خص الله تعالي هذه الامة الشريفة اي امة الاجابة
بخصايص لم تؤتها امة قبلهم كالصفة الكاشفة لما قبلها فان عدم

انبيا منظلمين قبلهم بنوعي تخصيصهم بها **ابان** اظهر **فضلهم** علي غيرهم
وكذلك خص امة الدعوة برفع ما كان من انواع العذاب في الامم السابقة
كالخسف ونحوه لكن لم تعد كمالات لهم لكفرهم ولا تفاضل تنجيهم من العذاب
الاشد ومتاع الدنيا قليل **والاخبار والاثار** عطف خاص علي عام او مباين
ناطقة بذلك اي دالة دلالة قوية كالنطق وبين بعضها مقتصرا عليه
لان دلالته اوضح وكافية في المقصود بقوله **مخرج ابو نعيم** احمد بن عبد الله
الاصفهاني **عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم**
ان موسي عليه الصلاة والسلام لما نزلت عليه التوراة وقراها
فوجد فيها ذكر هذه الامة بالاوصاف الحميدة التي لم توجد لغيرها
قال يا رب اني اجد في الالواح التي نزلت التوراة فيها وكانت تسعة
الواح وقيل عشر وفي الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر
ذراعا وقال الحسن كانت من خشب والكلبي كانت من زبرجدة خضرا
وسعيد بن جبير من ياقوتة احمر والربيع بن انس كانت من برد وابن جريج
من زمرد امر الله جبريل حتي جا بها من عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر
واستمد من نهر النور قال وهب امره الله بقطع الالواح من صخرة صماء لينها
الله له فقطعها بيده ثم شقها باصبعه قالت الرواة كانت التوراة سبعة
اسباع فلما القي الالواح تكسرت فرفعت ستة اسباعها وبقي سبع فرفع ما
كان من اخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام كذا في
المعالم **امة هم الاخرون** زمانا في الدنيا **السابقون** اهل الكتاب
وغيرهم منزلة وكرامة في الحشر والحساب والقضا لهم قبل الخلايق وفي دخول
الجنة قبل الامم وفي الصحيحين عن ابي هريرة سمع رسول الله صلي الله عليه
وسلم يقول نحن الاخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب
من قبلنا الحديث وفي رواية مسلم نحن الاخرون من اهل الدنيا والسابقون
يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلايق **فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال**
يا رب اني اجد في الالواح امة اناجيلهم مصاحفهم اي ما فيها محفوظ
في صدورهم اي قلوبهم قال في الاتقان فيه تسمية القران انجيلا قال
وروي ابن الضريس وغيره عن كعب قال في التوراة يا محمد اني منزل عليك
توراة حديثة تفتح اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا ففيه تسمية القران توراة
ومع هذا لا يجوز الان ان يطلق عليه ذلك وهذا كما سميت التوراة فرقانا في قوله
تعالي واذ اتينا موسي الكتاب والفرقان وسمي صلي الله
عليه وسلم الزبور قرانا في قوله خفف علي داود القران **يقرونها**
وكان من قبلهم يقرون كتبهم ولا يحفظونها قال الربيع بن انس نزلت التوراة
سبعون وقر بعير الجزء منها في سنة لم يقراها الا اربعة موسي ويوشع
وعزير وعيسي وبتفسير الاناجيل بالمصاحف يكون تجوز بكتاب عيسي
عن بقية الكتب تسمية للمطلق باسم المقيد ثم استعملها في القران خاصة وجمعه

نظرا الي ان ما تلفظ به غيره من حيث التلفظ وان كان المقرو واحدا اذ القران
اللفظ المنزل علي محمد صلي الله عليه وسلم ولا يتعدد بتعدد محله فالمقرو علي
لسانه عليه السلام هو المتلو الان والمختلف التلفظ لا نفس الالفاظ والا لكان
ما يقروه المصطفي غير ما اقراه جبريل وهو باطل قطعا **فاجعلها امتي قال**
تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة يجعلون الصدقة
في بطونهم اي ما يصرفونه علي انفسهم واهاليهم **يوجرون** اي يثابون
عليها ثواب الصدقة بالمال علي الغير لانه يكف بذلك عن السوال ويكفي اهله
كما قال صلي الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما انفق المسلم من نفقة علي
نفسه واهله كتب له بها صدقة الحديث رواه عبد بن حميد والحاكم وصححه عن جابر
وفي كتاب القشيري لابن ظفر هكذا الرواية ياكلون كفاراتهم وصدقاتهم ومعني
ذلك انهم يطعمونها مساكينهم ولا يحرقونها كما كانت الامم تفعل وجا في حديث
غير هذا مما هو منسوب الي كتب الله السالفة ياكلون قرابينهم في بطونهم فالمراد
بهذا اللفظ الضحايا وما يوكل من الهدايا انتهي ونبه بعضهم فقال اي ياكلها
فقراوهم الذين هم منهم وكان من قبلهم انما ياكل صدقاتهم قرابينهم نار تنزل
من السما ان كانت مقبولة والا بقيت بحالها انتهي وهو وان صح في نفسه الا
ان اللفظ والامتنان عليهم بذلك ينبو عنه ويبعده فالحمل الاول اولي لا سيما
ويويده احاديث **فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد**
في الالواح امة ياكلون الفي اي ما اخذ من الكفار بلا قتال او به فيشمل
الغنيمة لان كلا منهما اذا انفرد عم الاخر وهكذا اثبتت هذه الجملة في اصل
صحيح عليه خط المصنف وسقطت في غالب النسخ **فاجعلها امتي قال تلك**
امة احمد قال يا رب اني اجد في الالواح امة اذا هم احدهم بحسنة
اي عقد عزمه عليها **فلم يعملها** بفتح الميم **كتبت له حسنة واحدة** كاملة لا
نقص فيها وان نشات عن مجرد الهم سوا كان الترك لمانع ام لا قيل ما لم يقصد
الاعراض عنها والا لم تكتب وفي الصحيحين فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده
حسنة كاملة اي قدرها او امر الحفظة بكتابتها **وان عملها** بكسر الميم **كتبت**
له عشر حسنات لانه اخرجها من الهم الي العمل ومن جا بالحسنة فله عشر امثالها
وفي الصحيحين فان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الي سبعمائة ضعف
الي اضعاف كثيرة فالعشرة اقل ما وعد به من الاضعاف حتي قيل المراد بها
الكثرة لا العدد **فاجعلها امتي قال تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في**
في الالواح امة اذا هم احدهم بسيئة فلم يعملها بجوارحه ولا بقلبه
لم تكتب عليه سيئة بل تكتب حسنة كما في الصحيحين وان هم بسيئة فلم يعملها
كتبها الله عنده حسنة كاملة **وان عملها كتبت سيئة واحدة** لم توصف بالكاملة
تفضلا منه ولطافة من الله تعالي ومن جا بالسيئة فلا يجزي الا مثلها ولافادة
انها لا تتضاعف قال العز بن عبد السلام ولافادة انها لا تكتب اثنتان واحدة
للهم وواحدة للعمل حيث انضم له العمل واستثني بعضهم الحرم المكي فتضاعف

فيه السيئات كالحسنات لتعظيم حرمته والجمهور على التعميم في الازمنة والامكنة
ولا يرد على ذلك قوله تعالى من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها
العذاب ضعفين لانه ورد تعظيما لحقه صلى الله عليه وسلم لان وقوعه من نسايه
يقتضي امرا زايدا على الفاحشة وهو اذاه وقوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم
نذقه من عذاب اليم قال قتادة ومجاهد الالحاد هو الشرك وعبادة غير الله
وقال عطا دخول الحرم بلا احرام او ارتكاب شي من محظورات الحرم من قتل صيد
او قطع شجر وقال ابن عباس هو ان تقتل من لا يقتلك او تظلم من لا يظلمك وعن
ابن عباس كهوان تقتل وقال قوم هو على كل شي كان منهيا عنه من قول او فعل
حتى شتم الخادم والكهنة ولكنه لا يدل على تضعيف العدد فاجعلها امتي قال
تلك امة احمد قال يا رب اني اجد في التوراة امة يوتون العلم الذي انزل
على الانبيا قبل المصطفى والعلم الاخر الذي على نبينا صلى الله عليه وسلم من
الاحكام التي ليست من الشرايع السابقة يقتلون المسيح الدجال نسبه
اليهم لقتله في زمانهم على يد عيسى عليه السلام وهو واحد منهم فاجعلهم امتي
قال تلك امة احمد قال يا رب فاجعلني من امة احمد فاعطي عند
ذلك خصلتين اي اخبر بان الله اكرمه بهما فلا ينافي ان الرسالة والكلام
سابقان على ذلك وفي رواية كعب الاحبار فلما عجز موسى قال يا ليتني من اصحاب
محمد فاوحى الله اليه ثلاث ايات يرضيه بها فقال يا موسى اني اصطفيتك
على الناس الموجودين في زمانك وهارون وان كان نبيا كان مامورا بتابعتك
ولم يك كليما ولا صاحب شرع برسالاتي بالتوحيد قراة اهل الحجاز وبالجمع
قراة غيرهم وبكلامي تكليمي اياك فخذ ما اتيتك من الفضل وكن من الشاكرين
لا نعمي قال البغوي فان قيل ما معنى اصطفاه بالرسالة وقد اعطاها غيره
قيل لما لم يكن على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك على الناس
وان شاركه فيه غيره كما تقول خصصتك بمشورتي وان شاورت غيره اذا لم تكن
المشورة على العموم يكون مستقيما وفي القصة ان موسى لما كلمه ربه لم يستطع احد
ان ينظر اليه لما غشي وجهه من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت
له امراته انا ايم منك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع
الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت لله ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلني
زوجتك في الجنة قال ذاك ان لم تتزوجي بعدي فان المراة لاخر ازواجها انتهى
وفي الانوار روي ان سوال الروية كان يوم عرفة واعطا التوراة يوم النحر
قال قد رضيت يا رب وروي البغوي من طريق ابي العباس السراج
بسنده عن كعب الاحبار هذا الحديث مطولا غير موضوع وقال في اخره فلما
عجز موسى عن الخير الذي اعطى الله محمدا وامته قال يا ليتني من امته اصحاب
محمد فاوحى الله اليه ثلاث ايات يرضيه بهن اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
الى قوله ساريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون
قال فرضي موسى كل الرضا وروي ابن طغربك بضم الطا المهملة والرا بينهما

معجمة ساكنة ثم موحدة مفتوحة كافية مركب من طغرو بك لقب للامام
العلامة المحدث سيف الدين ابي جعفر عمر ابن ايوب بن عمر الحميري التركماني
الدمشقي الحنفي لم ار له في ابن خلكان ترجمة انما فيه اخر من الاسم بهذا الضبط
وزيادة لام ساكنة بعد الرا وقد مت هذا في اول الكتاب في كتاب النطق
المفهوم عن ابن عباس رفعه لفظة استقلها المحدثون بمعنى قال صلى الله
عليه وسلم قال موسى يا رب فهل في الامم اكرم عليك من امتي ظللت
عليهم الغمام سترتهم بالسحاب الرقيق من حر الشمس في التيه وانزلت عليهم
فيه المن والسلوى هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر فقال
سبحانه وتعالى يا موسى اما علمت ان فضل محمد امة محمد على ساير
الامم كفضلي على جميع خلقي وتلك مزايا لا تقتضي التفضيل قال
يا رب فارينهم قال لن تراهم ولكن اسمعك كلامهم فناداهم الله تعالى
فاجابوا كلهم بصوت واحد لبيك اللهم لبيك اجابة لك بعد اجابة
وهم في اصلاب ابايهم وبطون امهاتهم اي بعض اصول هذه الامة كان
حينيذ في اصلاب الابا وغيره وبعضهم في بطون الامهات بخلافه حين اخذ
العهد على الذرية فلم يكن احد موجودا في بطون الامهات ولذا لم تذكر في قوله
تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم فقال سبحانه وتعالى
صلاتي رحمتي ومغفرتي عليكم ورحمتي سبقت وفي رواية غلبت اي
غلبت اثار رحمتي على اثار غضبي والمراد لازمه وهو ارادة ايصال العذاب
الى من يقع عليه الغضب واليه اشار بقوله وعفوي سبق عذابي وعند
مسلم عن ابي هريرة مرفوعا قال الله سبقت رحمتي غضبي وفي البخاري عنه
رفعه ان الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه ان رحمتي سبقت غضبي
قال في الفتح في رواية غلبت قال والمراد من الغضب لازمه وهو ارادة
ايصال العذاب الى من يقع عليه الغضب والسبق والغلبة باعتبار التعلق اي
تعلق الرحمة غالب سابق على تعلق الغضب لان الرحمة مقتضى ذاته المقدسة
واما الغضب فيتوقف على سابقة عمل من العبد الحادث وبهذا التقرير يندفع
استشكال من اورد وقوع العذاب قبل الرحمة في بعض المواطن يدخل النار من
الموحدين ثم يخرج بالشفاعة وغيرها وقيل معنى الغلبة الكثرة والشمول
تقول غلب على فلان الكرم اي اكثر افعاله وهذا كله بنا على ان الرحمة
والغضب من صفات الذات وقال بعض العلما انهما من صفات الفعل لا من صفات
الذات ولا مانع من تقدم بعض الافعال على بعض فتكون الاشارة بالرحمة الى
اسكان ادم الجنة اول ما خلق مثلا ومقابلة ما وقع من اخراجه منها وعلى
ذلك استمرت احوال الامم تتقدم الرحمة في حقهم بالتوسع عليهم في الرزق
وغيره ثم يقع بهم العذاب على كفرهم واما ما اشكل من امر من يعذب من الموحدين
فالرحمة سابقة في حقهم ايضا ولولا وجودها لخلدوا ابدا وقال الطيبي
في سبق الرحمة اشارة الى ان قسط الخلق منها اكثر من قسطهم من الغضب

وانما تنالهم من غير استحقاق وان الغضب لا ينالهم الا با لاستحقاق فالرحمة
تشمل الشخص جنينا ورضيعا وفطيما وناشيا قبل ان يصدر منه شي من الطاعة
ولا يلحقه الغضب الا بعد ان يصدر عنه من الذنوب ما يستحق معه ذلك انتهي وفي
المصابيح الرحمة ارادة الثواب والغضب ارادة العقاب والصفات لا توصف بغلبة
ولا يسبق بعضها بعضا لكن هذا وارد علي الاستعارة ولا منع من حمل الرحمة والغضب
علي فعل لاذات فالرحمة الثواب والاحسان والغضب الانتقام والعذاب فتكون
الغلبة علي بابها انتهي استجيب لكم قبل ان تسالوني زيادة في الاكرام
من لقيني منكم بشهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله غفرت له ذنوبه
وفي مسلم عن عبادة مرفوعا من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم
الله عليه النار وفي الصحيحين مرفوعا من شهد ان لا اله الا الله
وجبت له الجنة وفي الطبراني رفعه من شهد ان لا اله الا الله خالصا من قلبه
دخل الجنة ولم تمسه النار وفي بسط الكلام في هذا طول قال صلي الله عليه
وسلم فاراد الله ان يمن علي بذلك فقال وما كنت بجانب الطور
الجبل اذ نادينا اي امتك اي حين اسمعنا موسي كلامهم
وفي البغوي قيل نادينا موسي خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال يا رب
ارني محمدا قال انك لن تصل الي ذلك وان شيت ناديت امته واسمعتك
صوتهم قال بلي يا رب قال الله تعالي يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابايهم
وقال ابو زرعة بن عمرو بن جرير نادي يا امة محمد قد اجبتكم قبل ان تدعوني
واعطيتكم قبل ان تسالوني وروي عن ابن عباس ورفعه بعضهم قال الله
يا امة احمد فاجابوا من اصلاب الابا وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان
الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال تعالي يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي
وعفوي عقابي قد اعطيتكم من قبل ان تسالوني وقد اجبتكم من قبل ان
تدعوني وقد غفرت لكم من قبل ان تعصوني من جاني يوم القيامة بشهادة
ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر
من زبد البحر انتهي ورواه قتادة وزاد فقال يا رب ما احسن
اصوات امة محمد صلي الله عليه وسلم اسمعني مرة اخري اصواتهم
ولم ار هذا مسعدا لا وفي كتاب الحلية اي حلية الاوليا وطبقات الاصفيا
لابي نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني الحافظ الشهير عن انس قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم اوحي الله الي موسي نبي جبر بني
اسرايل يعقوب انه من لقيني وهو جاحد با حمد ادخلته النار
خالدا فيها لكفره به قال يا رب ومن احمد قال ما خلقت خلقا اكرم علي
منه بل هو الاكرم وكان الظاهر في جواب السوال ان يقال هو احمد بن عبد الله
الهاشمي من ذرية عمك اسماعيل بن ابراهيم مثلا ليتميز عند السايل عن غيره لكنه
عدل عن ذلك الي ما يفهم عنه الجواب زيادة في تبجيله كما اشار اليه بقوله
كتبت اسمه مع اسمي في العرش اي عليه قبل ان اخلق السموات والارض

حين

حين خلقت العرش فاضطرب وهو اول المخلوقات بعد النور المحمدي وروي ابو الشيخ
والحاكم وصححه عن ابن عباس اوحي الله الي عيسي امن بمحمد وامر امتك ان يومنوا به
فلولا محمد ما خلقت ادم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش علي الما فاضطرب
فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وهذا الاتيان رابا فحكمه الرفع ان الجنة
دار الثواب محرمة ممنوعة علي جميع خلقي حتي يدخلها هو وامته
الجملة فلا ينافي ان الانبيا تدخلها قبل هذه الامة كما رواه ابن ماجة والطبراني
والدارقطني عن عمر مرفوعا ان الجنة حرمت علي الانبيا كلهم حتي ادخلها وحرمت
علي الامم حتي تدخلها امتي قال ومن امته قال الحمادون صيغة مبالغة اي
الكثيرون الحمد وتعريف الطرفين يفيد الحصر فكثرة الحمد مختصة بهم وهو بالنظر
الي الغالب او المجموع او الموفقين منهم او هذا من شانهم وكانه قيل ما سببه وصفهم
بالمبالغة فاجاب بقوله يحمدون علي الاستيناف البياني جوابا لسوال اقتضته
الاولي ولذا ترك العاطف صعودا الي المحل العالي وهبوطا الي الاسفل وقال
ابن القيم كان النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه اذا علوا الثنايا كبروا واذا
هبطوا سبحوا فوضعت الصلاة علي ذلك وعلي كل حال من قيام وقعود واضطجاع
وحضر وسفر وسرا وهو سعة العيش والسرور وضرا كالامراض والمصايب فهم
راضون عن الله في كل حال وروي النسايي عن ابن عباس مرفوعا المومن بخير علي
كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله ولما احس معاذ بالموت قال
مرحبا بحبيب جا علي فاقة لا افلح من ندم الحمد لله والحمد لا يلزم كونه في مقابلة نعمة
كالشكر فلا يحتاج الحمد في الضرا للتوجيه بمنفعة الثواب عليها يشدون
اوساطهم بالازر كما في الحديث المرفوع ومثله نقل من التوراة والانجيل
وللديلمي مرفوعا اتزروا كما رايت الملايكة تاتزر عند ربها الي انصاف سوقها
ولذا عد من خصايص هذه الامة وتوقف فيه بانه ليس فيه ان الامم الماضية لم تكن
تاتزر ولا تثبت الخصوصية بالاحتمال ويدفع بان المتبادر من وصفهم بذلك الاختصاص
ولا يلزم الضعف لفظ الخصوصية ثم يحتمل ان المراد بشد الازر الاجتهاد في العبادة
بحيث يقومون لها بنشاط وفراغ قلب نحو ما قيل في خبر كان اذا دخل العشر
الاخير من رمضان شد ميزره ويكون وجه الاختصاص اتيانهم بها علي وجه
اكمل من الامم السابقة ويطهرون اطرافهم اي يتوضون صايمون بالنهار
رهبان عباد بالليل اقبل منهم العمل اليسير واثيبهم عليهم الثواب
الكثير رحمة مني بهم روي مالك واحمد والبخاري وغيرهم عن ابن عمر مرفوعا
انما بقاوكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الي غروب الشمس اوتي
اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتي اذا انتصف النهار عجزوا فاعطوا قيراطا
قيراطا ثم اوتينا القران فعملنا الي غروب الشمس فاعطينا قيراطين
قيراطين فقال اهل الكتاب ربنا اعطيت هولا قيراطين قيراطين واعطيتنا
قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال هل ظلمتكم من اجركم من شي قالوا لا
قال فهو فضلي اوتيه من اشا قال السيوطي والمراد تشبيه من تقدم

باول النهار الى الظهر والعصر في كثرة العمل الشاق والتكليف وتشبيه
هذه الامة بما بين العصر والليل في قلة ذلك وتخفيفه وليس المراد بطول
الزمن وقصره اذ مدة هذه الامة اطول من مدة اهل الانجيل قال
امام الحرمين الاحكام لا تؤخذ من الاحاديث التي لضرب الامثال انتهى وادخلهم
الجنة بشهادة ان لا اله الا الله يعني وان محمدا رسول الله فاكتفى
باحداهما عن الاخرى لكونهما صارا كالشي الواحد قال موسى اجعلني
نبي تلك الامة فان قيل كيف ساغ سؤال موسى عليه السلام ذلك مع اخبار
الله تعالى له انهم امة احمد قلت

بياض بأصله

قال نبيها منها قال اجعلني من امة ذلك النبي قال استقدمت
في الوجود الزماني واستاخر احمد عنه بحيث كان خاتم النبيين فلا
يمكن ان تكون من امته ولكن ساجمع بينك وبينه في دار الجلال
يوم القيامة في الجنة ولا يرد اجتماعه به ليلة الاسرا في بيت المقدس
وفي السموات وتخاطبه له مرارا عديدة في امر الصلوات لان المراد
الاجتماع المتعارف في الدنيا يلامون وعن وهب بن منبه بضم الميم
وفتح النون وكسر البا ابن كامل اليماني ابي عبد الله الانباري التابعي
الثقة من رجال الصحيحين مات سنة بضع عشرة ومائة قال اوحى الله
تعالى الى شعيا بسين مهملة واخرها مهملة ابن امصيا نبي بشر بعيسى
كما في القاموس اني باعث الى جميع العالمين نبيا اميا لا يقرا ولا يكتب
افتح به اذانا صما بضم الصاد وشد الميم جمع صما كحمر وعميا لا تسمع
وفتحه ان التمجاز استعير الصمم لعدم الاذعان للحق والانتفاع به
لانها لما لم تسمع السمع المعتد به نزلت منزلة الصمم فلما ارشدهم صلى الله عليه
وسلم للحق وكشف عنهم الحجب المظلمة وانقادوا مذعنين كانوا كمن زال صممه
وقلوبا جمع قلب العضو المعروف ويراد به العقل وبه فسر وهو الظاهر لقوله
غلفا بضم المعجمة وسكون اللام جمع اغلف اي مغطاة في اكنة ومعناه
ان قلوبهم كانت محجوبة عن الهداية فازال الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم
حجابها وكشف غطاها حتى اهتدت واعينا جمع قلة لعين عدل عن عيونا
جمع كثرة وان كان انسب هنا لان جمع القلة قد يكون للكثرة كعكسه او لعده
قليلا بالنسبة لقدرة الله او لانها كانت قليلة في الابتدا عميا جمع عميا
وهو عدم البصر عما هو من شانه استعير لعدم انتفاعهم بها فهي كالمفقودة ولا
ينافيه قوله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لانه فيمن طبع على قلبه
وهذا في غيره مولده يكون بمكة ومهاجره اي هجرته اي مكان هجرته
طيبة المدينة المنورة وملكه اي ظهوره بالشام لاشتماله على الامرا
الذين يتصرفون في الدنيا تصرف الملوك بخلاف الحجاز وان كان مبداه
فيهم لكنهم لم يكونوا كالملوك بل كانوا حريصين على اتباع خلافة النبوة وقد
قال صلى الله عليه وسلم الخلافة بالمدينة والملك بالشام رواه البيهقي اي

خلافة

خلافة النبوة التي ذكرها بقوله الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضا
عبدي المتوكل الذي يكل امره الى الله فاذا امره بشي نهض بلا جزع المصطفى
اي المختار من اشهر اسمايه وفي احاديث ان الله اصطفاه المرفوع الدرجات
على جميع الخلايق الحبيب فعيل من المحبة بمعنى مفعول لانه محبوب لله او بمعنى
فاعل لانه محب له تعالى المنتخب بالخا المعجمة او بالجيم كلاهما بمعنى المختار وهما
من اسمايه عليه السلام وفي نسخة المتحبب بكسر البا اسم فاعل من تحبب اليه
تودد واظنها تصحيف ولم يذكره المصنف في الاسما والصفات المختار اسم
مفعول من الاختيار وهو الاصطفا كما في الصحاح وهو ايضا معدود في اسمايه
كما مر لا يجزي بفتح اوله بالسيئة السيئة لان خلقه القران وفيه وجزا سيئة
سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله وقال فاصفح عنهم
ولكن يعفو فلا يبقي لمن اسا عليه ويصفح يعرض عنه اغضا وتكرما فلا يقول
لم فعلت كذا يا فلان بل يقول ما بال اقوام يفعلون كذا ويغفر يستر ويدفع
بالتي هي احسن وذكر الغفر بعد العفو تاكيد ان كانا بمعنى او بمعنى او يعفو تارة ويستر
اخرى واستدرك لانه لا يلزم من عدم مجازاتها بمثلها العفو لجواز ان يكله الى
الله ويوخره للاخرة رحيما بالمؤمنين كما في الكتاب المبين يبكي البهيمة المثقلة
لشدة شفقته على خلق الله ويبكي لليتيم في حجر الارملة ويقوم به ليس بفظ
سيئ الخلق جاف ولا غليظ قاسي القلب وهو موافق لقوله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولا يعارضه قوله
تعالى واغلظ عليهم لان النفي محمول على طبعه الذي جبل عليه والامر محمول على
المعالجة او النفي بالنسبة للمؤمنين والامر بالنسبة للكفار والمنافقين كما هو مصرح
به في نفس الاية ولا صخاب بصاد وسين روايتان وهما لغتان وبالصاد اشهر
وافصح وبالسين لغة اثبتها الفرا وغيره وضعفها الخليل وخا معجمة ثقيلة
اي لا يرفع صوته على الناس لسوء خلقه ولا بكثرة الصياح عليهم في الاسواق
بل يلين جانبه ويرفق بهم وفيه ذم اهل السوق الموصوفين بصفة مذمومة
من صخب ولغط وزيادة مدح وذم لما يتبايعونه وايمان حانثة ولذا
ورد انها شر البقاع لما يغلب على اهلها من الاحوال المذمومة ولا متزين
روي بزاي منقوطة وتحتية ونون وروي بدال مهملة من الدين وروي
متزي بزاي بلا نون من الزي وهو اللباس والهيئة اي لا يتلبس بالفحش
لو يتجمل او يباهي وهو القبح والقول السيئ ولا يرد ايهام ظاهره انه قد
ياتي به غير متزين به لانه لا مفهوم له لجريه على عادة ارباب الفحش
في المباهاة به وقيل التزين بمعنى الاتصاف على التجريد والمراد انه لا
يرى الفحش زينة وهذا من علاماته صلى الله عليه وسلم لانه نشا
بين قوم يتزينون بالفواحش كالقتل والطواف عراة فاتى بخلافهم
ولا قوال صيغة مبالغة اي كثير القول للخنا بخا معجمة ونون مقصور
قبيح الكلام وهذا مع ما قبله يفيد انه لا يصدر عنه شي منه لا قليل ولا

ولا كثير لان الخشن بمعناه او فعال هنا للنسبة كتمار ونبال اي بذي قول
للخنا لو عمر الي جنب السراج المصباح والجمع سرج ككتاب وكتب لم يطفه
بفتح اوله من سكينة بفتح السين وكسر الكاف مخففة وحكي عياض في المشارق
كسر السين وشد الكاف وبها قرىء شاذا فعيلة من السكون اي وقار
وطمانينة ولو يمشي علي القضب كل نبات يكون ساقه انابيب وكعوبا قاله
في مختصر العين الواحدة قصبة الرعراع اي الطويل كما في القاموس
لم يسمع من تحت قدميه لان مشيه بتؤده وهونا بعثه مبشرا من
صدقه بالجنة ونذيرا منذرا من كذبه بالنار وهذا كله من صفاته عليه
السلام الي ان قال واجعل امته خير امة اخرجت للناس امرا بالمعروف
ونهيا عن المنكر تمييزا من جهة الامر والنهي او حال بمعني امرين وناهين
وتوحيدا لي وايمانا بي كما قال تعالي امن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمومنون كل امن بالله الاية واخلاصا لي وتصديقا بما جات به رسلي
والمنصوبات تمييز او احوال كما علم وهم رعاة الشمس والقمر للعبادة والذكر
قال صلي الله عليه وسلم ان خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة
لذكر الله تعالي رواه الحاكم والطبراني اي يرصدون دخول الاوقات بها
لاجل ذكر الله من الاذان للصلوة ثم لاقامتها ولايقاع الاوراد في اوقاتها
المحبوبة واخرج الطبراني والخطيب مرفوعا لو اقسمت لبررت ان احب عباد الله
الي الله لرعاة الشمس والقمر وانهم ليعرفون يوم القيامة بطول اعناقهم
وروي عبد الله بن احمد في زوائد الزهد لابيه عن سلمان سبعة في ظلال
يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله وقال في عدهم ورجل يراعي الشمس لمواقيت
الصلاة طوبي فرح وقرة عين وشجرة في الجنة لتلك القلوب باخلاصها
في الايمان والعبادة والوجوه والارواح التي اخلصت لي صفة قامت
مقام التعليل الهمهم التسبيح والتكبير والتحميد والتوحيد وثواب ذلك لا
يعلمه الا الله وفي الحديث افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعا الحمد لله
رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه وقال صلي
الله عليه وسلم احب الكلام الي الله اربع سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر لا يضرك بايهن بدات رواه مسلم والنسائي وروي البزار باسناد
حسن عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اما يستطيع
احدكم ان يعمل كل يوم مثل احد عملا قالوا ومن يستطيعه قال كلكم يستطيع ذلك
قالوا وما ذاك يا رسول الله قال سبحان الله اعظم من احد والحمد لله اعظم
من احد ولا اله الا الله اعظم من احد والحمد لله اعظم من احد ولا اله الا الله
اعظم من احد والله اكبر اعظم من احد واحاديث الباب كثيرة في مساجدهم
جمع مسجد في الصلاة ودونها ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم
منصرفهم لاشغالهم بالنهار ومثواهم ماواهم الي مضاجعهم بالليل والمراد
انه يلهمهم ذلك علي اي حال كانوا ويصفون في مساجدهم مصلاهم

كصفوف

كصفوف الملايكة حول عرشي قال صلي الله عليه وسلم الا تصفون كما تصف
الملايكة عند ربها يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف رواه مسلم
وغيره هم اوليايي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وانصاري كما قال تعالي
يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله والمراد انصار دينه ورسوله كما في قوله تعالي
يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم انتقم بهم من اعدايي
عبدة الاوثان اكراما لهم وابتلا كما قال ذلك ولو يشا الله لانتصر منهم ولكن
ليبلوا اخبارهم بعضكم ببعض والذين قتلوا الاية يصلون لي قياما وقعودا
للمعذور في الفرض وبدونه في النفل والمراد يصلون علي اي حال كانوا وركعا
وسجدا ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغا مرضاتي في الوفا لاجل الجهاد
ويقاتلون في سبيلي جهاد الكفار صفوفا بعضهم بجنب بعض من شدة
حبهم للقتال وفي القران ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم
بنيان مرصوص اي ملزق بعضه الي بعض ثابت اختم بكتابهم الكتب و
بشريعتهم الشرايع وبدينهم الاديان فلا كتاب ولا شريعة ولا شرع ينسخ
كتابهم ودينهم من ادركهم فلم يومن بكتابهم ويدخل في دينهم
وشريعتهم فليس مني لكفره وهو مني بري واجعلهم افضل الامم
واجعلهم امة وسطا خيارا عدولا شهدا علي الناس يوم القيمة ان رسلهم
بلغتهم اذا غضبوا هللوني قالوا لا اله الا الله ولا يعملون بمقتضي الغضب
واذا تنازعوا في شي بينهم سبحوني فهم يذكرونه في جميع احوالهم يطهرون
الوجوه والاطراف الايدي والارجل في الوضو يرخونها الي اسفل من ذلك
تيمنا وتكبرا ويهللون علي التلول جمع تل الامكنة العالية والاشراف جمع
شرف بفتحتين المكان العالي فالعطف مساو وحسنه اختلاف اللفظ ومراعاة
الفاصلتين قربانهم دماوهم اي اضاحيهم وهداياهم والمراد انهم متهيون
للجهاد في سبيل الله فكانهم يتقربون الي الله بدما انفسهم او بدما من يقتلون
من الكفار كما قال كعب بن زهير في مدح الانصار

يتقربون يرونه نسكا لهم ۝ بدما من علقوا من الكفار

وفي الانموذج قربانهم الصلاة ودماوهم وروي ابن عدي مرفوعا ان الصلاة
قربان المومن وفي حديث الصلاة قربان كل تقي اي الصلاة من المتقي بمنزلة
الهدايا والضحايا لفاقدها واناجيلهم مصاحفهم محفوظة في صدورهم
رهبانا عبادا بالليل ليوثا اسدا علي الاعدا بالنهار طوبي فرح وقرة
عين وشجرة في الجنة لمن كان معهم وعلي دينهم ومنهاجهم طريقتهم وشريعتهم
وذلك فضلي اوتيه من اشا وانا ذو الفضل الاحسان العظيم فلا
حجر في تخصيصهم بهذه الفضايل دون غيرهم رواه ابو نعيم الاصبهاني
وقد ذكر الامام فخر الدين الرازي ان من كانت معجزاته اظهر يكون
ثواب امته اقل لان قوة ظهورها تلجي الي الايمان قال السبكي الا هذه
الامة فان معجزات نبينا اظهر وثوابنا اكثر من ساير الامم فضلا من

الله ونعمة ومن خصائص هذه الامة احلال الغنائم وابتدا ذلك في غزوة
بدر وفيها نزل وكلوا مما غنمتم حلالا طيبا كما في الصحيح ابن عباس وعند ابن
اسحق اول غنيمة خمست غنيمة السرية التي كان عليها عبد الله بن جحش وهي
قبل بدر بشهرين قال الحافظ ويمكن الجمع بما ذكر ابن سعد انه صلي الله عليه
وسلم اخر غنيمة تلك السرية حتي رجع من بدر فقسمها مع غنايم اهل بدر ولم
تحل لاحد من الامم وفي نسخة لامة قبلها والمراد بها ما اخذ من الكفار
بقهر وغيره فنتم الفي اذ كل منهما اذا انفرد عم الاخر روي النسائي عن ابي هريرة
رفعه ان الله اطعمنا الغنايم رحمة رحمنا بها وتخفيفا خففه عنا لما راي من ضعفنا
وعجزنا فاحلها لنا وفي حديث جابر في الصحيحين واحلت لي الغنايم ولم تحل
لاحد قبلي قال الخطابي كان من تقدم علي ضربين منهم من لم يوذن له في الجهاد فلم
يكن لهم مغانم ومنهم من اذن له فيه لكن كانوا اذا غنموا شيا لم يحل لهم ان ياكلوه
وجات نار فاحرقته وقيل المراد خاص بالتصرف في الغنيمة يصرفها حيث شا
والاول اصوب وهو ان من مضي لم تحل لهم الغنايم اصلا ذكره الحافظ ويرجح ما
صوبه قوله ولم تحل لاحد قبلي لان التقييد بالقبلية يفيد بطريق المفهوم
انها حلت له ولامته وروي الترمذي بسند صحيح عن ابي هريرة رفعه لم تحل
الغنايم لاحد سود الرءوس من قبلكم كانت تجمع فتنزل نار من السما فتاكلها قال
في الفتح كان من مضي يغزون وياخذون اموال اعدايهم واسلابهم لكن لا يتصرفون
فيها بل يجمعونها وعلامة قبول غزوهم ان تنزل نار من السما فتاكلها وعلامة
قبوله ان لا تنزل ومن اسباب عدم القبول الغلول وقد من الله علي هذه الامة
بشرف نبيها عنده فاحل لهم الغنيمة وستر عليهم الغلول وستر عليهم فضيحة
ردخل في عموم اكل النار الغنيمة السبي وفيه بعد لان مقتضاه اهلاك الذرية
ومن لم يقاتل من النسا ويمكن ان يستثنوا من ذلك ويلزم منه استثنا وهم من
تحريم الغنايم عليهم ويويده انه كانت لهم ولما فلو لم يجز لهم السبي لما كان لهم
ارقا ولم ار من صرح بذلك انتهي ونظر فيه شيخنا بانه كان في شرع يعقوب اذا سرق
انسان شيا ووجد عنده جعل السارق رقيقا للمسروق منه وجزم بعضهم بنشا
الذرية من اكل النار يفهم منه انها كانت تحل لغير هذه الامة من الامم وفي شرح
المشارق الشيخ اكمل الدين انهم كانوا اذا غنموا حيوانا تكون ملكا للغانمين دون
انبيايهم واذا غنموا غير الحيوانات جمعوها فتجي نار فتحرقها وجعلت لهم الارض
مسجدا اي موضع سجود لا يختص السجود منها بموضع دون غيره ويمكن انه
مجاز عن المكان المبني للصلاة من مجاز التشبيه لانه لما جازت الصلاة في جميعها
كانت كالمسجد في ذلك ولم تكن الامم تصلي الا في البيع كنايس النصاري
وقيل اليهود فقوله والكنايس عطف تفسير علي الاول جمع كنيسة متعبد
النصاري وقيل اليهود وعبارة المصنف فيما مر عن الفتح الا في نحو البيع والصوامع
اي متعبد الرهبان فان تعذر مجيهم لها لنحو سفر لم يصلوا علي ظاهره فيسقط
عنهم اداوها ويقضون اذا رجعوا كما جزم به بعض شراح الرسالة في فقه المالكية

ويويده

ويويده ظاهر قوله في حديث ابن عباس ولم يكن من الانبيا احد يصلي حتي يبلغ
محرابه فما قيل هل يسقط عنهم مطلقا او محل الحصر في نحو البيع في الحضر اما السفر
فتباح في غيرها ويكون محل خصوصيتنا الصلاة باي محل ولو بجوار المسجد وسهولة
الصلاة فيه تقصير ويمنع الثاني ان العبد لا بد له من دليل مع ان ظاهر قوله حتي
يبلغ محرابه يمنعه وتقدم هذا مرتين وجعلت تربتها طهورا بفتح الطا علي
المشهور اي مطهرا لغيره لا طاهرا والا لزم تحصيل الحاصل ولم تثبت الخصوصية
وهو التيمم لفقد الما حسا او حكما لعدم القدرة علي استعماله وفي رواية ابي
امامة عند البخاري وجعلت الارض كلها لي ولامتي مسجدا وطهورا فخرج
بمشاركة امته له فيهما وفي رواية مسلم من حديث حذيفة وجعلت لنا الارض
كلها مسجدا وجعلت تربتها طهورا اذا لم نجد الما او لم نقدر علي استعماله وبه
احتج للشافعي واحمد علي تخصيص التيمم بالتراب واجيب بان تربة كل مكان
ما فيه من تراب او غيره وقد قال تعالي فتيمموا صعيدا طيبا والصعيد ما صعد
علي الارض ترابا او غيره ومن حديث جابر في الصحيحين وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا ولهذا احتج لمالك وابو حنيفة علي جواز التيمم بجميع اجزا
الارض واما قوله في رواية ابن خزيمة وغيره وجعل ترابها طهورا وقوله
في حديث علي وجعل التراب لي طهورا رواه احمد والبيهقي باسناد حسن
فالنص علي التراب في هاتين الروايتين لبيان افضليته لا لانه لا يجزي
غيره وليس مخصصا لعموم قوله وطهورا لان شرط المخصص ان يكون منافيا للعام
ولذا قال القرطبي هو من باب النص علي بعض اشخاص العموم كقوله تعالي فيهما
فاكهة ونخل ورمان ومن خصايص هذه الامة ايضا الوضو فانه لم يكن
الا للانبيا دون اممهم بخلاف هذه الامة فهو لها كنبيها ذكره الحليمي قال
السيوطي وهو الاصح ونوزع بما ياتي بيانه واستدل بحديث البخاري
ومسلم عن ابي هريرة انه صلي الله عليه وسلم قال ان امتي امة الاجابة
لا الدعوة يدعون بضم اوله اي ينادون او يسمون ولفظ مسلم ياتون
يوم القيامة اي موقف الحساب او الميزان او الصراط او الحوض او غير ذلك
غرا بالضم والتشديد جمع اغر اي ذو غرة بضم الغين بياض في جبهة
الفرس فوق درهم ثم استعملت في الجمال والشهرة وطيب الذكر شبه به ما
يكون لهم من النور في الاخرة ونصب مفعول يدعون او حال اي اذا دعوا
يوم التناد علي روس الاشهاد نودوا بهذا الوصف او كانوا علي هذا النعت قال
الطيبي ولا يبعد التسمية باعتبار الوصف الظاهر كما يسمي رجل به حمرة
الاحمر للمناسبة بين الاسم والمسمي محجلين من التحجيل وهو بياض في قوايم
الفرس او في ثلاث منها او في غيره قل او كثر او بعد ما يجاوز الارساغ
ولا يجاوز الركبتين من اثار الوضو بضم الواو وجوز ابن دقيق العيد فتحها
علي انه الما وظاهره هذا كقوله في رواية لمسلم انتم الغر المحجلون يوم القيامة
من اسباغ الوضو ان هذه السيما انما تكون لمن توضا في الدنيا ففيه رد لما

نقله الزناتي الفاسي في شرح الرسالة عن العلمي ان الغرة والتحجيل لهذه الامة
من توضأ منهم ومن لا كما يقال لهم اهل القبلة من صلى ومن لا انتهى وفي القاموس عن
الايمان نظر لانه التصديق والشهادة وان ترك وفعل الحرام بخلاف الغرة والتحجيل
فمجرد فضيلة وتشريف للمتوضي فلا يكونان لسواه ومن ثم قال شيخ الاسلام زكريا
في شرح البخاري لا تحصل الغرة والتحجيل الا لمن توضأ بالفعل اما من لم يتوضأ فلا
يحصلان له قال شيخنا في حواشي الرملي ومن نقل عنه خلاف ذلك فقد اخطأ انما
هو قول للزناتي لا لشيخ الاسلام وينبغي على قوله ان ذلك خاص بمن توضأ حال الحياة
فلا بد خلا من وضاه الغاسل وبقي ايضا ما لو تيمم ولم يتوضأ هل يحصل له ذلك
ام لا فيه نظر وينبغي ان يحصل لقيامه مقام الوضوء انتهى لكن قال في فتح الباري
فيه اي استدلاله بهذا الحديث نظر لان الذي دل على انه خصوصية انما هو الغرة
والتحجيل لا اصل الوضوء ولانه ثبت في البخاري في قصة سارة بخفة الرا
وقيل بتشديدها واختلف في اسم ابيها فقيل هاران ملك حران تزوجها ابراهيم
لما هاجر من بلاد قومه الى حران وان هذا هو السبب في اعطاء الملك لها هاجر
وانه قال لابراهيم ان ابنتنا تطحن وهي لا تصلح ان تخدم نفسها وقيل هي بنت اخيه
وكان ذلك جائزا في شرعه حكاه ابن قتيبة والنقاش واستبعد وقيل بنت عمه
وتوافق الاسمان وقيل اسم ابيها توبل عليها السلام وهي احد النسوة اللاتي
قيل بنبوتهن مع الملك الذي اعطاها هاجر لما رواه البخاري في احاديث
الانبياء وهمزة بدل لها رواه في البيوع وكذا مسلم وفتح الجيم عليها اسم
سرياني يقال ان اباها كان من ملوك القبط من حفن بفتح المهملة وسكون
الفاء قرية بمصر كانت مدينة وهي الان كفر من عمل انصنا بالبر الشرقي من
الصعيد وفيها اثار عظيمة باقية لا هو الملك عمرو بن امرئ القيس بن سبا
وكان على مصر ذكره السهيلي وهو قول ابن هشام في التيجان وقيل اسمه
صادوف وكان على الاردن حكاه ابن قتيبة وقيل سنان بن علوان بن
عبيد بن عريج بن عملاق بن لاود بن سام بن نوح حكاه الطبري
ويقال انه الضحاك الذي ملك الاقاليم بالدنو فقامت تتوضأ وتصلي
ففيه ان الوضوء كان مشروعا للامم قبلنا وليس مختصا بهذه الامة ولا بالانبيا
لثبوت ذلك عن سارة والجمهور انها ليست نبية اخرج البخاري من طريق
ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
هاجر ابراهيم بسارة فدخل بها قرية فيها ملك من الملوك او جبار من الجبابرة
فقيل دخل ابراهيم بامرأة هي من احسن النسا فارسل اليه ان يا ابراهيم من
هذه التي معك قال اختي ثم رجع اليها فقال لا تكذبي حديثي فاني
اخبرتهم انك اختي والله ان على الارض مؤمن غيري وغيرك فارسل بها
اليه فقام اليها فقامت توضأ بحذف احدى التاءين وتصلي فقالت اللهم
ان كنت تعلم اني امنت بك وبرسولك واحصنت فرجي الا على زوجي فلا
تسلط علي الكافر فغط حتى ركض برجله قال الاعرج قال ابو سلمة

ابن عبد الرحمن ان ابا هريرة قال قالت اللهم ان يمت يقال هي قتلته فارسل
ثم قام اليها فقامت تتوضأ [illegible] وتصلي وتقول اللهم ان كنت تعلم اني امنت بك
وبرسولك واحصنت فرجي الا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر فغط
حتى ركض برجله قال الاعرج قال ابو هريرة قال ابو سلمة اللهم ان يمت
يقل هي قتلته فارسل في الثانية او في الثالثة فقال ما ارسلتم الي الا شيطانا
ارجعوها الى ابراهيم واعطوها اجر فرجعت الى ابراهيم فقالت اشعرت ان
الله كبت الكافر واخدم وليدة اخرجه ايضا مسلم واحمد وغيرهما من طرق في
الفاظها اختلاف ليس هذا موضع بيانه قال في فتح الباري قوله فارسل
اليه ظاهره انه سأله عنها اولا ثم اعلمها بذلك لئلا تكذبه عنده وفي رواية
هشام بن حسان عن ابن سيرين عن ابي هريرة عند البزار والنسائي وابن ملجة
وابن حبان انه قال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتي يغلبني عليك فان
سألك فاخبريه انك اختي وانك اختي في الاسلام فلما دخل ارضه راها بعض
اهل الجبار فاتاه فقال لقد قدم ارضك امرأة لا ينبغي ان تكون الا لك فارسل
اليها فيجمع بينهما بان ابراهيم احس بانه سيطلبها منه فاوصاها فلما وقع
ما خشيه اعاد عليها الوصية واختلف في السبب الحامل له على الوصية مع ان
مراده غصبها اختا كانت او زوجة فقيل كان من شانه ان لا يتعرض الا لذات
الزوج فاراد ابراهيم دفع اعظم الضررين بارتكاب اخفهما لان اغتصابه واقع لا
محالة لكن ان علم ان لها زوجا حملته الغيرة على قتله او حبسه واضراره بخلاف
الاخ فالغيرة حينئذ من قبله خاصة لا من قبل الجبار فلا يبالي به وهذا تقرير
حسن جاء من نحاه عن وهب بن منبه رواه عبد بن حميد عنه وذكر ابن الجوزي في
مشكل الصحيحين وتبعه المنذري في حواشي السنن عن بعض اهل الكتاب
ان الجبار كان من رأيه ان لا يقرب ذات زوج حتى يقتله فلذا قال ابراهيم هي
اختي لانه ان كان عادلا خطبها منه ثم يرجو مدافعته عنها وان كان ظالما
خلص من القتل وليس هذا ببعيد من الاول وقيل كان من دين الجبار ان الاخ
احق بان اخته زوجته فقال هي اختي اعتمادا على ما يعتقده الجبار فلا
ينازعه فيها وتعقب بانه لو كان كذلك لقال هي اختي وانا زوجها فلم الاقتصار
على قوله هي اختي وايضا فهذا الجواب انما يفيد لو كان الجبار يريد ان يتزوجها
لا ان يغصبها نفسها وقيل اراد ابراهيم انه ان علم انك امرأتي الزمني بالطلاق
ولا يشكل قوله ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك بلوط وقد
قال تعالى فامن له لوط لان مراده بالارض التي وقع له فيها ذلك ولم يكن
لوط معه فيها وقوله فغط بضم المعجمة وحكى ابن التين فتحها والصواب
الضم حتى ركض برجله يعني انه اختنق كانه مصروع وفي رواية مسلم
فلما دخلت عليه لم يتمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة ويمكن
الجمع بانه عوقب تارة بقبض يده وتارة بصرعه ويجاب عن قولها
ان كنت تعلم مع انها قاطعة بانه تعالى يعلم ذلك بانها قالته على

سبيل الفرض هضما لنفسها وفيه اجابة الدعا باخلاص النية وكفاية الرب
لمن اخلص بعمله الصالح ونظيره قصة اصحاب الغار وابتلا الصالحين لرفع
درجاتهم ويقال ان الله كشف لابراهيم حتي راي حال الملك مع سارة معاينة
وانه لم يصل منها الي شي ذكره في التيجان ولفظه فامر بادخال ابراهيم
وسارة عليه ثم نحي ابراهيم الي خارج القصر وقام الي سارة فجعل الله
القصر لابراهيم كالقارورة الصافية فصار يراهما ويسمع كلامهما انتهي
وفي قصة جريج بجيمين مصغر الراهب روي احمد عن ام سلمة كان رجل
يقال له جريج من بني اسرايل تاجرا وكان ينقص مرة ويزيد اخري فقال
ما في هذه التجارة خير لالتمس تجارة هي خير من هذه فبني صومعة وترهب
فيها الحديث قال الحافظ دل انه كان بعد عيسي ومن اتباعه لانهم الذين ابتدعوا
الترهيب وحبس النفس في الصوامع انه قام فتوضا وصلي ركعتين كما في
حديث عمران ثم كلم الغلام ففيه ان الوضو لا يختص بهذه الامة خلافا
لزاعمه روي الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة ان النبي صلي الله عليه وسلم قال
لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسي وكان في بني اسرايل رجل يقال له جريج يصلي
جاته امراة فدعته فقال اجيبها او اصلي فقالت اللهم لا تمته حتي تمته حتي
تريه وجوه الموسسات وكان جريج في صومعته فتعرضت له امراة فكلمته
فابي فاتت راعيا فامكنته من نفسها فولدت غلاما فقالت من جريج فاتوه فكسروا
صومعته فانزلوه وسبوه فتوضا وصلي ثم اتي الغلام فقال من ابوك
يا غلام قال الراعي قالوا انبني صومعتك من ذهب قال لا الا من طين الحديث قال
الحافظ لم اقف في شي من الطرق علي اسم جريج ولا علي اسم الزانية لكن في حديث
عمران انها كانت بنت ملك القرية ولاحمد فذكر بنو اسرايل عبادة جريج فقال بغي
منهم ان شيتم لافتننه قالوا قد شيتا فاتته فتعرضت له فلم يلتفت اليها فامكنت نفسها
من راع كان يووي غنمه الي اصل صومعته وله من وجه اخر وكانت تاوي الي صومعته
راعية ترعي الغنم وفي اخري كان عند صومعته راعي ضان وراعي معز ويمكن الجمع
بين هذه الروايات بانها خرجت من دار ابيها بغير علم اهلها متنكرة وكانت
تعمل الفساد الي ان ادعت انها تستطيع ان تفتن جريجا فاحتالت بان خرجت
في صورة راعية ليمكنها ان تاوي الي ظل صومعته لتتوصل بذلك الي فتنته
وفي رواية انه طعن الغلام باصبعه فقال بالله يا غلام من ابوك قال انا ابن
الراعي وفي مرسل الحسن عند ابن المبارك انه سالهم ان ينظروه فراي في
المنام من امره ان يطعن في بطن المراة فتقول ايتها السخلة من ابوك ففعل
فقال راعي الغنم وفي رواية ثم مسح راس الصبي فقال من ابوك قال راعي
الضان ولاحمد فوضع اصبعه علي بطنها وفي رواية فاتي بالمراة والصبي
وفمه في ثديها فقال له جريج يا غلام من ابوك فنزع الغلام فاه من الثدي
وقال ابي راعي الشان وفي اخري فلما ادخل علي ملكهم قال جريج اين الصبي
الذي ولدته فاتي به فقال له من ابوك فسمي اباه ولم اقف علي اسم الراعي

ويقال اسمه صهيب واما الابن فللبخاري في اواخر الصلاة بلفظ فقال يا بابوس
وليس اسمه كما زعم الداودي وانما المراد به الصغير وفي حديث عمران ثم انتهي الي
شجرة فاخذ منها غصنا ثم اتي الغلام وهو في مهده فضربه بذلك الغصن
فقال من ابوك ولابي الليث السمرقندي بلا اسناد فقال للمراة اين اصبتك قالت تحت
شجرة فاتي علي تلك الشجرة فقال يا شجرة اسالك بالذي خلقك من زني بهذه
بهذه المراة فقال كل غصن منها راعي الغنم ويجمع بين هذا الاختلاف بوقوع
جميع ما ذكر بانه مسح راس الصبي ووضع اصبعه علي بطن امه وطعنه باصبعه
وضربه بطرف العصي التي كانت معه وابعد من جمع بينها بتعدد القصة وانه
استنطقه وهو في بطنها مرة قبل ان تلد ثم بعد ان ولد زاد في رواية فوثبوا
الي جريج فجعلوا يقبلونه وفي اخري فابرا الله جريجا واعظم الناس امره انتهي
ملخصا وحيث ثبت وضو سارة وجريج وليسا نبيين فالظاهر ان
الذي اختصت به هذه الامة هو الغرة والتحجيل زاد بعضهم والتثليث
او الكيفية او مزيد الحث عليه والمبالغة في التاكيد لا اصل الوضو وقول ابن
بطال يحتمل ان يكون جريج نبيا فيكون معجزة لا كرامة انما هو احتمال لا يثبت نبوته
وقد صرح بذلك في رواية لمسلم عن ابي هريرة مرفوعا ان رسول
الله صلي الله عليه وسلم قال ان حوضي ابعد من ايلة من عدن لهو اشد بياضا
من الثلج واحلا من العسل باللبن ولانيته اكثر من عدد النجوم واني لاصد
الناس عنه كما يصد الرجل ابل الناس عن حوضه قالوا يا رسول الله اتعرفنا
يومئذ قال نعم لكم سيما ليست لغيركم لفظ مسلم ليست لاحد
من الامم تردون الحوض علي غرا محجلين من اثر الوضو هذا لفظ مسلم تاما
في الوضو واخرج نحوه من حديث حذيفة وقوله سيما اي علامة
كقوله تعالي سيماهم في وجوههم من اثر السجود وهي نور وبياض يعرفون
به في الاخرة انهم سجدوا في الدنيا وقد قال صاحب المطامح تعلق بحديث انتم
الغر المحجلون الي اخره الداودي وغيره من ضعفا النظر علي ان الوضو من
خصايصنا وهو غير قاطع لاحتمال ان الخاص بنا الغرة والتحجيل بقرينة
خبر هذا وضوي ووضو الانبيا قبلي وقصره علي الانبيا دون اممهم يرده ان
الوضو اذا كان معروفا عند الانبيا فالاصل انه شرع ثابت لاممهم حتي يثبت
خلافه انتهي وتعقب بان حديث هذا وضوي ضعيف لا حجة فيه مع احتمال ان الوضو
من خصايص الانبيا دون اممهم الا هذه الامة علي انه صرح فيه بان الوضو للامم
المتقدمة روي الطبراني عن بريدة دعي النبي صلي الله عليه وسلم بوضو فتوضا
واحدة واحدة وقال هذا وضو لا يقبل الله الصلاة الا به ومرتين مرتين
وقال هذا وضو الامم قبلكم ثم توضا ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوي ووضو الانبيا
قبلي ومنها بمجموع الصلوات الخمس علي هذه الكيفية ولم تجمع لاحد
غيرهم من الانبيا والامم والحجة لذلك قوله صلي الله عليه وسلم اتقوا الله
وصلوا ارحامكم رواه الترمذي وقال حسن صحيح وابن حبان والحاكم

فاضافتها اليهم تعطي ذلك ولا يعارضه قول جبريل في الصحيحين حين
صلي الخمس بالنبي صلي الله عليه وسلم هذا وقتك ووقت الانبيا قبلك لان
المراد كما قال الرافعي انه وقتهم اجمالا وان اختص كل منهم بوقت فقد اخرج
الطحاوي عن عبيد الله بضم العين ابن محمد بن حفص بن عمر بن موسي
ابن عبيد الله بن معمر التيمي ثقة رمي بالقدر ولا يثبت مات سنة ثمان وعشرين
ومايتين روي له ابو داود والترمذي والنسايي ويقال له ابن عايشة و
والعايشي والعيشي نسبة الي عايشة بنت طلحة لانه من ذريتها قال ان
ادم لما تيب عليه عند الفجر صلي ركعتين فصارت الصبح فكان يصليها
الي ان مات وفدي اسحق عند الظهر من الذبح ففيه حجة لقول
الجمهور انه الذبيح كقوله صلي الله عليه وسلم الذبيح اسحق رواه الدارقطني
وغيره باسناد جيد ومر بسطه وتسمح من قال بنا علي انه الذبيح ولصحي
انه اسماعيل لان هذا اخبار عن بلاغ فلا يبني علي خلاف العلما فصلي ابراهيم
اربع ركعات سقط ابراهيم من قلم المصنف او نساخه مع انه في رواية
الطحاوي فاوهم سقوطه ان المصلي اسحق وليس كذلك فصارت الظهر
وبعث عزير يا سروحالا مر علي قرية هي بيت المقدس او غيرها راكبا
علي حمار ومعه سلة تين وقدح عصير بعد ما خرب القرية بخت نصر فقال
استعظاما لقدرة الله تعالي اني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله
مائة عام ثم بعثه احياه ليريه كيفية ذلك عند العصر فقيل له كم
لبثت مكثت هنا فقال لبثت يوما فراي الشمس فقال او بعض
يوم لانه نام اول النهار فقبض واحيي اثنا نهار غيره فظن انه يوم
النوم فصلي اربع ركعات وقد اختلف اهل التفسير في المراد بقوله
تعالي او كالذي مر علي قرية الاية فالمشهور انه عزير واخرجه الحاكم
وغيره عن علي والخطيب عن عبد الله بن سلام وعن ابن عباس وقيل كان
نبيا اسمه ارميا وقيل الخضر وقيل حزقيل وقيل هو كافر بالبعث وقيل
غير ذلك الا ان ما افاده بقوله فصارت العصر انها كانت له
مخالف لما في شرح المسند للرافعي ان العصر لسليمان وغفر لداود بن
ايشا بكسر الهمزة وسكون التحتية ومعجمة ابن عويد بمهملة وموحدة بزنة
جعفر بن باعز بموحدة ومهملة مفتوحة ابن سلمون بن يارب بتحتية وموحدة
اخره ابن رام بن حضرون بمهملة ثم معجمة بن فارص بفا واخره مهملة
ابن يهودا بن يعقوب عند المغرب فقام يصلي اربع ركعات فجهد
تعب فجلس في الثالثة فصارت المغرب ثلاثا وفيه مخالفة لنقل
الرافعي ان المغرب ليعقوب واول من صلي العشا الاخرة نبينا
صلي الله عليه وسلم وفيه مخالفة لنقل الرافعي ان المغرب ليعقوب
فهي من خصايصنا وعورض بما في شرح المسند ان العشا ليونس لكن
يؤيد خبر الطحاوي حديث معاذ وهو المذكور بقوله واخرج ابو داود

في

في سننه في الصلاة وابن ابي شيبة في مصنفه والبيهقي في سننه
باسناد حسن عن معاذ بن جبل قال اخر رسول الله صلي الله عليه
وسلم صلاة العتمة اي العشا الاخرة ليلة حتي ظن الظان انه قد
صلي لفظ الرواية حتي ظن الظان انه ليس بخارج والقايل منا يقول
قد صلي ثم خرج فقالوا له كما قالوا في الحديث اي القول الذي قالوا قبل
خروجه فقال اعتموا بفتح الهمزة وكسر الفوقية بهذه الصلاة صلاة
والبا للتعدية اي ادخلوها في العتمة وهي ما بعد غيبوبة الشفق او
للمصاحبة اي ادخلوا في العتمة ملتبسين بها قال البيضاوي اعتم الرجل دخل
في العتمة وهي ظلمة الليل اي صلوها بعد ما دخلتم في الظلمة وتحققتم
سقوط الشفق ولا توقعوها فيها تستعجلوا فيها فتوقعوها قبل وقتها وعليه فلا
يدل علي افضلية التاخير ويحتمل انه من العتم الذي هو الابطا يقال اعتم
الرجل اذا اخر انتهي فانكم فضلتم بالبنا للمفعول بها علي ساير الامم
ولم تصلها امة قبلكم واورد الحافظ الولي العراقي ما المناسبة بين تاخيرها
واختصاصها بنا دون ساير الامم حتي جعل الثاني علة للاول واجاب بان
المراد اذا اخروها منتظرين خروج النبي صلي الله عليه وسلم كانوا في صلاة
وكتب لهم ثواب المصلي فقوله فضلتم بها يعارض رواية العشا ليونس ورواية
ابن سعد ان ابراهيم واسماعيل اتيا مني فصليا بها الظهر والعصر والمغرب والعشا
والصبح وهو ظاهر قول جبريل هذا وقتك ووقت الانبيا من قبلك وجمع الهروي
وغيره بان المصطفي اول من صلاها موخرا لها الي ثلث الليل او نحوه اما الرسل
فكانوا يصلونها عند اول مغيب الشفق ويدل لذلك بل يصرح به قوله في اثر
الطحاوي نفسه العشا الاخرة وجمع البيضاوي في شرح المصابيح بان العشا كانت
تصليها الرسل نافلة لهم ولم تكتب علي اممهم كالتهجد وجب علي نبينا دوننا انتهي
واحتج بحديث معاذ من قال الافضل تاخير العشا واليه ذهب جمع شافعية
ومالكية والمعتمد في المذهبين تفضيل التقديم وورد ما يدل علي نسخ التاخير
وروي احمد والطبراني بسند حسن عن ابي بكرة قال اخر النبي صلي الله عليه وسلم
العشا تسع ليال الي ثلث الليل فقال له ابو بكر يا رسول الله لو انك عجلت لكان
امثل لقيامنا من الليل فعجل بعد ذلك ومنها الاذان والاقامة للصلاة
بدليل تخيرهم فيما يجمعون به للصلاة حتي راي عبد الله بن زيد الرويا
المشهورة كما تقدم ولا يعارضه ما روي عند الحاكم وابن عساكر ان ادم
لما نزل بالهند استوحش فنزل جبريل فنادا بالاذان لان مشروعيته للصلاة
هي الخصوصية ومنها البسملة اي قول بسم الله الرحمن الرحيم بهذه الالفاظ
العربية علي هذا الترتيب وما روي ان ادم لما اراد الخروج من الجنة
قالها فقال له جبريل لقد تكلمت بكلمة عظيمة قف ساعة لعل ان يظهر
من الغيب لطف لا يرد لانها لم تنزل عليه وانما الهمها ومحل الخصوصية نزولها
علي نبينا وصارت لامته كما قال بعضهم فيما نقله الشيخ شهاب الدين

احمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي النحوي نزيل القاهرة الشهيرة
بالسمين قال الحافظ ابن حجر تعالى في النحو فمهر فيه ولازم ابا حيان الي ان
فاق اقرانه واخذ القراات عن التقي الصايغ ومهر فيها وولي تدريس
القراات بجامع ابن طولون والاعادة بالشافعي ونابة في الحكم وله تفسير
القران واعراب القران وشرح التسهيل وشرح الشاطبية مات في
جمادي الاخرة سنة ست وخمسين وسبعماية في تفسيره وهو كبير في
مدة اجزا غير اعراب القران له كما علم ولم ينزلها الله علي نبي احد من
الامم قبلنا الا علي سليمان بن داود وما شرع لنبي شرع لامته فالمراد
بقوله فيما اختصت به هذه الامة اي نزولها قرانا يتلي واما
بالنسبة لسليمان فلعله للتبرك بها كذا افاد شيخنا واحسن منه قول
بعض المحققين الاصح انها بهذه الالفاظ العربية علي هذا الترتيب من
خصايص المصطفي وامته وما في سورة النمل جا علي جهة الترجمة عما في
الكتاب لانه لم يكن عربيا انتهي نقل الشهاب الحلبي وقد روي الطبراني عن
بريدة رفعه انزل علي اية لم تنزل علي نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن
الرحيم ومنها التامين عقب الفاتحة للماموم علي ما يفهمه قوله خلف
الامام روي الامام احمد من حديث عايشة بينا انا عند النبي
صلي الله عليه وسلم اذا استاذن رجل من اليهود فذكر الحديث
وهو فاذن له فقال السام عليك فقال النبي وعليك قال فهممت ان اتكلم
ثم دخل الثانية فقال مثل ذلك فقال النبي صلي الله عليه وسلم وعليك ثم دخل
الثالثة فقال السام عليك قالت فقلت بل السام عليكم وغضب الله اخوان
القردة والخنازير اتحيون رسول الله بما لم يحيه به الله فنظر الي فقال مه
ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش قالوا قولا فرددناه عليهم فلم يضرنا شيا
ولزمهم الي يوم القيمة وفيه عقب هذا ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال انهم لن يحسدونا كذا في النسخ وفي مسند احمد لا يحسدونا فلعله
حذف نون الرفع تخفيفا وقد اختلفوا في ان لا تخلص الفعل للاستقبال ام لا
علي شي كما حسدونا علي الجمعة التي هدانا الله لها بان نص لنا عليها
او بالاجتهاد ويشهد له اثر ابن سيرين في جمع اهل المدينة قبل قدوم النبي
صلي الله عليه وسلم فانه يدل علي ان اوليك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد
ولا يمنع ذلك انه صلي الله عليه وسلم علمه بالوحي بمكة فلم يتمكن من اقامتها وقد
جا بذلك حديث ابن عباس عند الدارقطني ولذا جمع بهم اول ما قدم المدينة كما
ذكره ابن اسحق وغيره فحصلت الهداية للجمعة بجهتي البيان والتوفيق قاله
الحافظ ملخصا واسقط من الحديث هنا قوله ضلوا عنها اي لانه فرض عليهم يوم
من الجمعة يعظموه فيه شريعتهم ووكل الي اختيارهم فاختلفوا في اي الايام هو ولم
يهتدوا ليوم الجمعة قاله ابن بطال وقواه عياض ورجح الحافظ انه فرض عليهم
يوم الجمعة بعينه فاختاروا السبت فقد روي ابن ابي حاتم عن السدي ان الله

فرض

فرض علي اليهود الجمعة فابوا وقالوا ان الله لم يخلق يوم السبت شيا فاجعله لنا
فجعل عليهم وليس هذا بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالي ادخلوا
ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وغير ذلك وهم القايلون سمعنا وعصينا واسقط
ايضا من الحديث عقبه قوله وعلي القبلة التي هدانا الله لها بصريح البيان بالامر
المكرر لا لبيان تساوي حكم السفر وغيره وثانيا للتاكيد وضلوا عنها لانهم
لم يومروا باستقبال القبلة الصخرة بل كان عن مشورة منهم كما عند ابي داود عن
خالد بن يزيد بن معاوية وعنده ايضا ان يهوديا خاصم ابا العالية في القبلة
فقال ابو العالية كان موسي يصلي عند الصخرة بين يديه وقال اليهودي بيني
وبينك مسجد صالح النبي عليه السلام فقال ابو العالية فاني صليت في مسجد
صالح وقبلته الي الكعبة وفي مسجد ذي القرنين وقبلته اليها وفي البغوي
في قوله تعالي واجعلوا بيوتكم قبلة روي ابن جريج عن ابن عباس قال كانت
الكعبة قبلة موسي ومن معه انتهي وقد رجح الحافظ العلاي ان الكعبة قبلة
الانبيا عليهم كما دلت عليه الاثار قال بعضهم وهو الاصح واختار ابن
العربي وتلميذه السهيلي ان قبلة الانبيا بيت المقدس قال بعضهم وهو
الصحيح المعروف فعد صاحب الانموذج من خصايص المصطفي وامته استقبال
القبلة انما هو علي احد قولين مرجحين ثم ذكر فيما اختص به علي جميع الانبيا
والمرسلين الجمع له بين القبلتين وعلي قولنا خلف الامام امين ذا انها مختصة
بنا بقيد الخلفية في الصلاة وكذا عقب الدعا لكن شاركه هارون في ذلك كما
روي الحارث بن ابي اسامة وابن مردويه عن انس مرفوعا اعطيت ثلاث
خصال اعطيت ثلاثا صلاة في الصفوف واعطيت السلام وهو تحية اهل الجنة
واعطيت امين ولم يعطها احد ممن كان قبلكم الا ان يكون الله اعطاها نبيه
هارون فان موسي كان يدعو الله ويومن هارون اي اعطي الخصلة الثالثة
فانه كان يومن علي دعا موسي كما قال تعالي قد اجيبت دعوتكما وفي اول الاية
وقال موسي ربنا فدل علي انه الداعي وهارون يومن فسماه داعيا لانه
لتامينه عليه مشارك له وفي مسند الفردوس مرفوعا الداعي والمومن في
الاجر شريكان فعلم ان الخصلتين الاولتين من خصوصيات هذه الامة مطلقا
وكذا الثالثة بالنسبة لغير هرون في غير الصلاة قال الحافظ ابن حجر
وهذا حديث غريب لا نعرفه بهذه الالفاظ الا من هذا الوجه
وقال شيخه الزين العراقي دخول اليهودي عليه ثلاثا واستيذانه وما
بعده لم اره في شي منها اي الاحاديث غير هذا لكن لبعضه متابع
بكسر البا اي عليه حسن في التامين متعلق بمتابع بيان لبعضه اي دون
الجمعة والقبلة اخرجه ابن ماجة وصححه ابن خزيمة كلاهما
من رواية سهيل بالتصغير ابن ابي صالح ذكوان المدني ابي يزيد
صدوق تغير حفظه باخره وروي له الستة الا ان البخاري روي له مقرونا
وتعليقا عن ابيه ذكوان السمان الزيات المدني تابعي ثقة ثبت كان

بجلب الزيت الي الكوفة مات سنة احدي ومايه عن عايشة عن النبي
صلي الله عليه وسلم قال ما حسدتنا اليهود علي شي ما حسدتنا
اي مثل حسدهم او مثل الذي حسدتنا علي السلام عند التلاقي فضيلة
دلالة علي انه مختص بنا دونهم والتامين اي ختم القاري قراته
في الصلاة وغيرها بقول امين او الداعي دعاه بلفظ امين لكن خص من
هذا هرون كما مر لكن وروي ابن ماجة باسناد ضعيف عن ابن عباس
رفعه ما حسدتكم اليهود علي شي ما حسدتكم علي امين فاكثروا من قول
امين ومنها اي الخصايص الامة الاختصاص بالركوع في الصلاة
وكانه زاد الاختصاص زيادة تاكيد لان فيه نزاعا والا فمثله
للاختصاص اي ومثله للاختصاص والا فالكلام فيه وايضا فهو
عايد له عن علي رضي الله عنه قال اول صلاة ركعنا منها فقلت
يا رسول الله ما هذا الفعل الذي نعرفه قبل قال بهذا امرت رواه
البزار والطبراني في معجمه الاوسط الذي الفه في غرايب شيوخه
كان يقول هذا الكتاب روحي لانه تعب عليه ووجه الاستدلال منه انه
عليه السلام صلي قبل ذلك الظهر فالصلاة التي ركع فيها هي عصر
صبيحة الاسرا وصلي قبل فرض الصلوات الخمس قيام الليل وكذا غيره
مما كان يصليه نهارا فكون اي وجود الصلاة السابقة بلا ركوع
قرينة لخلو صلاة الامم السابقة منه بنا علي ان شرع من قبلنا شرع
لنا ما لم يرد ناسخ ويمكن بناوه علي القول الاخر وتقرير القرينة
بانه لو كان في صلاة الامم السابقة ركوع لكان النبي صلي الله عليه وسلم اولي
بانه لا يصلي بدونه صلاة واحدة ليلا يكون صلاة غيره اتم من صلاته
قاله بعض العلما يعني الجلال السيوطي كما يعلم من الشامية قال وذكر
جماعة من المفسرين في قوله تعالي لبني اسرايل واركعي مع الراكعين اي
مشروعية الركوع في الصلاة خاص لهذه الامة وانه لا ركوع
في صلاة بني اسرايل ولذا امرهم بالركوع اظهار في محل الاضمار زيادة
في البيان مع امة محمد صلي الله عليه وسلم اذ لو كان في صلاتهم لم يحسن
امرهم به مع قوله قبله واقيموا الصلاة وهذا يعارضه قوله تعالي
يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين المفسر صحة اي
انما يعارضه علي تفسيره بانها امرت بالصلاة فكنت في الجماعة
بذكر اركانها من سجود وركوع مبالغة في المحافظة عليها ومريم من
بني اسرايل فهو ظاهر في ان الركوع ليس من خواص هذه الامة قالوا وقدم
السجود علي الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم اي بني اسرايل او للتنبيه
علي ان الواو لا توجب الترتيب بل مجرد العطف وكلا الجوابين تقوية للمعارضة
لا دفع لها كما هو ظاهر واجيب عن المعارضة بان المراد بالركوع المختص بنا
الركوع علي هذه الصفة المخصوصة من كونه جزا لا تصح الصلاة بدونه

وما امرت به مريم ليس كذلك بدليل ما نجده علي ان المعارضة انما تتم لو
كان المفسر بهذا هم الجماعة المتقدمون اما ان كانوا غيرهم فلا لانه مقابل
اولئك ومثبت الخصوصية معترف بذلك بقوله ذكر جماعة من المفسرين
وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة لقوله تعالي امن هو قانت انا الليل ساجدا وقايما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه بتحقيق الميم
اي كمن هو عاص بالكفر وغيره وفي قراءة ام من بمعني بل والهمزة وبالسجود
الصلاة تسمية للكل باسم البعض وبالركوع الخشوع لا مقابل السجود
فلا معارضة علي هذا التفسير اصلا والاخبات عطف تفسير قال البيضاوي
واخبتوا الي ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمينة
ومنها الصفوف في الصلاة كصفوف الملايكة اي التراص واتمام
الاول فالاول وكانت الامم السابقة يصلون منفردين وكل واحدة علي
حدة قال بعضهم حكمة الامر بتسوية الصفوف ان المصلين دعوا الي حالة واحدة
مع الحق وهي الصلاة فتساووا في هذه الدعوة بين عباده فلتكن صفتهم فيها
اذا اقبلوا اليه ما دعاهم اليه بتسوية الصفوف لان الداعي انما دعاهم ليناجيهم
من حيث انهم جماعة علي السوا لا يختص واحد منهم دون اخر فلا يتاخر احد
عن الصف ولا يتقدم بشي من بدنه يودي الي اعوجاجه وقال ابن العربي
شرعت الصفوف في الصلاة ليتذكر الانسان بها وقوفه بين يدي الله يوم القيمة
في ذلك الموطن المهول والشفعا من الانبيا والملايكة والمومنين بمنزلة الايمة في الصلاة
يتقدمون الصفوف وصفوفهم كصفوف الملايكة عند ربها وقد امرنا بذلك وان
كان الملايكة لا يلزم من صفهم ما خلل صفوفها لو اتفق اذ لا يدخلها خلل مع
كصفوفنا اذ السما ليست محلا لدخول الشياطين وانما تتراص الملايكة لتناسب
الانوار حتي يتصل بعضها ببعض فتنزل متصلة الي صفوف المصلين فتعمهم تلك
الانوار فان كان فيها خلل ودخلت فيه الشياطين احرقتهم تلك الانوار رواه
مسلم من طريق حذيفة بن اليمان عن النبي صلي الله عليه وسلم قال فضلنا
علي الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة الحديث وتقدم بتمامه
اول مبحث الخصايص فيستحب انضمام بعض المصلين الي بعض بحيث لا يبقي
بينهم فرجة ولا خلل كانهم بنيان مرصوص فان الشيطان ابليس او اعم اذا راي
فرجة دخلها كما في الحديث وقال صلي الله عليه وسلم من وصل صفا وصله
الله ومن قطع صفا قطعه الله رواه النساي وصححه الحاكم علي شرط مسلم اي
وصله برحمته ورفع درجته وقطعه بابعاده عن رحمته وعن الثواب
فالجزا من جنس العمل ومنها تحية الاسلام اي السلام عند التلاقي لانه
فتح باب المودة وتاليف للقلوب يودي بكمال الايمان وفي مسلم عن ابي هريرة
مرفوعا لا تدخلوا الجنة حتي تومنوا ولا تومنوا حتي تحابوا الا ادلكم علي
شي اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم لحديث عايشة السابق
قريبا عن النبي صلي الله عليه وسلم ما حسدتنا اليهود علي شي ما

حسد تنا علي السلام والتامين ففيه انه شرع لناد فهم وفي مسلم عن ابي
ذر في قصة اسلامه وكنت اول من حياه بتحية الاسلام فقال وعليك السلام
ورحمة الله وللطبراني والبيهقي عن ابي امامة رفعه ان الله جعل السلام تحية
لاهل ملتنا وامانا لاهل ذمتنا ولابي داود عن عمران بن حصين كنا نقول في
الجاهلية انعم الله بك عينا وانعم صباحا فلما جا الاسلام نهينا عن ذلك رجاله
ثقات لكنه منقطع واخرج ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حبان قال كانوا يقولون
في الجاهلية حييت مسا حييت صباحا فغير الله ذلك بالسلام وفي الصحيحين
عن ابي هريرة رفعه خلق الله ادم علي صورته وطوله ستون ذراعا ثم قال له
اذهب فسلم علي اوليك النفر لنفر من الملايكة فاستمع ما يجيبونك فانها
تحيتك وتحية ذريتك فذهب فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليه ورحمة الله
فزادوه ورحمة الله الحديث قال القرطبي فيه دليل علي تاكد السلام وانه من
الشرايع القديمة التي كلف بها ادم ثم لم تنسخ في شريعة انتهى وجمع بان المراد
بالذرية بعضهم وهم المسلمون او المراد تحية ذريته من جهة الشرع وكلاهما
تعسف وقد ذكر المعارضة في الفتح وما تنزل للجمع **ومنها الجمعة** بضم
الميم علي المشهور وقد تسكن وقرا بها الاعمش وحكي الواحدي عن الفرا
فتحها وحكي الزجاج الكسر ايضا سمي بذلك مع الاتفاق علي انه كان يسمي في
الجاهلية العروبة بفتح المهملة وضم الرا وبالموحدة لان خلق ادم جمع فيه علي
اصح الاقوال **قال صلي الله عليه وسلم نحن الاخرون** زمانا **السابقون**
اي الاولون منزلة **يوم القيمة** والمراد ان هذه الامة وان تاخر وجودها
في الدنيا عن الامم الماضية فهي سابقة لهم في الاخرة بانهم اول من يحشر واول
من يحاسب واول من يقضى بينهم واول من يدخل الجنة وفيه حديث حذيفة
عند مسلم نحن الاخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي لهم قبل
الخلايق وقيل المراد بالسبق هنا احراز فضيلة اليوم السابق بالفضل وهو
يوم الجمعة وان سبق باحد قبله اواحد لكن لا يتصور اجتماع الايام الثلاثة الا
ويكون يوم الجمعة سابقا وقيل المراد بالسبق الي القبول والطاعة التي
حرمها اهل الكتاب فقالوا سمعنا وعصينا قال الحافظ والاول اقوي
بيد بموحدة فتحتية ساكنة مثل غير وزنا ومعنى وبه جزم الخليل
والكسايي ورجحه ابن سيدة وقال الشافعي معني بيد من اجل واستبعده
عياض ولا بعد فيه اذ المعني انا سبقنا بالفضل مع تاخرنا في الزمان بسبب
انهم ضلوا عنها مع تقدمهم ويشهد له ما وقع في فوايد ابن المقري بلفظ نحن
الاخرون في الدنيا ونحن اول من يدخل الجنة لانهم اوتوا الكتاب من قبلنا وفي
الموطا رواية سعيد بن عفير عن مالك بلفظ ذلك بانهم اوتوا الكتاب وقال
الداودي هي بمعني علي او مع قال القرطبي ان كانت بمعني غير فنصب علي
الاستثناء وان كانت بمعني مع فنصب علي الظرف وقال الطيبي هي للاستثنا
وهو من تاكيد المدح بما يشبه الذم والمعني نحن السابقون للفضل غير **انهم**

اوتوا

اوتوا الكتاب من قبلنا اي التوراة والانجيل فاللام للجنس قال ووجه
التاكيد فيه ما ادمج فيه من معني النسخ لان الناسخ هو السابق في الفضل
وان تاخر في الوجود وبهذا التقرير يظهر قوله نحن الاخرون مع كونه امرا
واضحا وقال القرطبي المراد بالكتاب التوراة وفيه نظر لقوله واوتيناه من
بعدهم فاعاد الضمير علي الكتاب فلو كان المراد التوراة لما صح الاخبار لانا
انما اوتينا القران وسقط الاصل واوتيناه من بعدهم وهي ثابتة في رواية ابي
زرعة الدمشقي عن ابي اليمان شيخ البخاري فيه اخرجه الطبراني في مسند
الشاميين وكذا لمسلم من طريق ابن عيينة عن ابي الزناد وذكره البخاري
تاما بعد ابواب من وجه اخر عن ابي هريرة **ثم هذا يومهم الذي فرض
الله عليهم** كذا للحموي ورواه الاكثر باسقاط الجلالة اي فرض تعظيمه واشير
اليه بهذا لكونه ذكر في اول الكلام عند مسلم من طريق اخر عن ابي هريرة
ومن حديث ابي حذيفة قالا قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا قال ابن بطال ليس المراد ان يوم الجمعة فرض
عليهم بعينه فتركوه لانه لا يجوز لاحد ترك ما فرض عليه وهو مومن وانما يدل
والله اعلم انه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل الي اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم
فاختلفوا في اي الايام هو ولم يهتدوا ليوم الجمعة ومال عياض الي هذا ورشحه
بانه لو فرض عليهم بعينه لقيل فخالفوا بدل **فاختلفوا فيه** وقال النووي
يمكن انهم امروا به صريحا فاختلفوا هل يلزم بعينه ام يسوغ ابداله بيوم اخر فاجتهدوا
في ذلك فاخطاوا انتهى ويشهد له ما رواه الطبري باسناد صحيح عن مجاهد في
قوله تعالي انما جعل السبت علي الذين اختلفوا فيه قال ارادوا الجمعة فاخطاوا واخذوا
السبت مكانه ويحتمل ان يراد بالاختلاف اختلاف اليهود والنصارى في ذلك
وقد روى ابن ابي حاتم عن السدي التصريح بانه فرضه عليهم يوم الجمعة بعينه
فابوا ولفظه ان الله فرض علي اليهود الجمعة فابوا وقالوا يا موسى ان الله
لم يخلق يوم السبت شيا فاجعله لنا فجعل عليهم وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم
كما وقع لهم في قوله تعالي ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وغير ذلك وكيف
لا وهم القايلون سمعنا وعصينا قاله في فتح الباري قال المصنف ويشهد له قوله
هذا يومهم الذي فرض عليهم فانه ظاهر او نص في التعيين وذكر ابو عبد الله
الابي عن بعض الاثار ان موسى عين لهم يوم الجمعة واخبرهم بفضله فناظروه
بان السبت افضل فاوحي اليه دعهم وما اختاروا اي بان قالوا هو يوم فراغ
وقطع عمل فان الله فرغ من خلق السموات والارض فينبغي انقطاعنا عن العمل فيه
للتعبد وقالت النصارى الاحد لانه بدء الخلق الموجب للشكر والتعبد ووفق
الله هذه الامة للصواب فعينوا الجمعة لان الله خلق الانسان للعبادة وكان
خلقه يوم الجمعة فالعبادة فيه احق لانه اوجد في ساير الايام ما ينفع الانسان وفي الجمعة
اوجد نفس الانسان فالشكر علي نعمة الوجود **فهدانا الله له** بالنص عليه
او بالاجتهاد ويشهد للثاني ما رواه عبد الرزاق باسناد صحيح عن محمد بن

سيرين قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدمها رسول الله صلي الله عليه وسلم وقبل
ان تنزل الجمعة فقالت الانصار ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى
مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه ولنذكرن الله ونشكره فجعلوه يوم العروبة
واجتمعوا الي اسعد ابن زرارة فصلي بهم يومئذ وانزل الله بعد ذلك اذا نودي
للصلاة من يوم الجمعة وهذا وان كان مرسلا فله شاهد باسناد حسن اخرجه احمد
وابو داود وابن ماجة وصححه ابن خزيمة وغير واحد من حديث كعب بن مالك
قال كان اول من صلي بنا الجمعة قبل مقدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة اسعد
ابن زرارة الحديث فمرسل ابن سيرين يدل علي ان اولئك الصحابة اختاروا يوم
الجمعة بالاجتهاد ولا يمنع من ذلك ان يكون النبي صلي الله علمه بالوحي وهو بمكة
فلم يتمكن من اقامتها ثم وقد ورد فيه حديث ابن عباس عند الدارقطني ولذا جمع
بهم اول ما قدم المدينة كما حكاه ابن اسحق وغيره وعلي هذا فقد حصلت الهداية
للجمعة بجهتي البيان والتوفيق وقيل في حكمة اختيارهم الجمعة وقوع خلق ادم فيه
ولان الله اكمل فيه الموجودات واوجد فيه الانسان الذي ينتفع بها فناسب ان
يشكر علي ذلك بالعبادة فناسب الاشتغال بها فيه ولان الله اكمل فيه الموجودات
واوجد فيه الانسان الذي ينتفع بها فناسب ان يشكر علي ذلك بالعبادة ذكره
الحافظ **فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا** اي السبت **والنصارى بعد غد** اي
الاحد وفي رواية ابن خزيمة فهو لنا ولليهود يوم السبت وللنصارى يوم
الاحد والمعني انه لنا بهداية الله ولهم باختيارهم وخطائهم في اجتهادهم قال
القرطبي غدا منصوب علي الظرف متعلق بمحذوف تقديره اليهود يعظمون غدا
وكذا قوله بعد غد ولا بد من هذا التقدير لان ظرف الزمان لا يكون خبرا عن
الجثة وقال ابن مالك الاصل ان يكون المخبر بظرف الزمان من اسماء المعاني كقولك
غدا للتاهب وبعد غد للرحيل فيقدر هنا مضاف فيكون ظرفا الزمان خبران
عنهما اي تبعية اليهود غدا وتبعية النصارى بعد غد انتهي قال الحافظ وسبقه
الي نحو ذلك عياض وهو اوجه من كلام القرطبي وفيه فرضية الجمعة كما قال
النووي لقوله فرضه الله عليهم فهدانا الله له فان التقدير فرض عليهم وعلينا
فضلوا وهدينا وفي رواية لمسلم بلفظ كتب علينا وفيه ان الهداية والاضلال
من الله كما هو قول اهل السنة وان سلامة الاجماع من الخطا مخصوص وان استنباط
معني من الاصل يعود عليه بالابطال باطل وان القياس مع وجود النص فاسد وان
الاجتهاد في زمن نزول الوحي جائز وان الجمعة اول الاسبوع شرعا ويدل
عليه تسمية الاسبوع كله جمعة وكانوا يسمون الاسبوع سبتا كما في حديث
انس في الاستسقاء فمطرنا سبتا وذلك انهم كانوا مجاورين لليهود فتبعوهم
في ذلك وفيه بيان واضح لمزيد فضل هذه الامة علي الامم السالفة زادها
الله تعالي انتهي **رواه البخاري** ومسلم والنسائي عن ابي هريرة **ومنها
ساعة الاجابة التي في يوم الجمعة** المشار اليه بحديث الصحيحين من
طريق مالك عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله

عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي
يسال الله تعالي فيها شيئا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها وقوله شيئا اي مما يليق
بالمسلم سواله من ربه وفي رواية لمسلم كالبخاري في الطلاق يسال الله خيرا وفي
ابن ماجة من حديث ابي لبابة ما لم يسال حراما ولاحمد عن سعد بن عبادة ما لم يسال
اثما او قطيعة رحم وهو خاص علي عام للاهتمام به فقطيعة الرحم من الاثم وروي
البزار وابو يعلي عن انس مرفوعا اتاني جبريل في يده مراة بيضاء فيها
نكتة سوداء قلنا ما هذه النكتة السوداء قال هذه الساعة وحقيقة
الساعة هنا جزء من الزمان مخصوص ويطلق علي جزء من اثني عشر من مجموع النهار او علي
جزء ما غير مقدر من الزمان ولا يتحقق او علي الوقت الحاضر وفي حديث جابر
مرفوعا عند ابي داود وغيره باسناد حسن ما يدل للاول ولفظه يوم الجمعة
ثنتا عشرة ساعة فيها ساعة الخ قال ابن المنير الاشارة الي تقليلها للترغيب
فيها والحض عليها ليسارة وقتها وغزارة فضلها **واختلف في تعيينها علي اقوال
تزيد علي الثلاثين** وقال غيره علي نحو خمسين قولا **ذكرتها في لوامع الانوار**
اسم كتاب للمصنف **في الادعية والاذكار** وقد سردها في فتح الباري ثنتين
واربعين قولا هل رفعت وكذب ابو هريرة قائله او في جمعة واحدة من كل سنة
او مخفية في جميع اليوم او تنتقل في يوم الجمعة ولا تلزم ساعة لا ظاهرة ولا مخفية
او عند اذان الغداة او من الفجر الي طلوع الشمس او مثله كذلك ومن العصر
للغروب وفي هذين الوقتين وما بين النزول من المنبر حتي يكبر او اول
ساعة بعد طلوع الشمس او عند طلوعها او اخر الساعة الثالثة من النهار او من
الزوال حتي يصير الظل نصف ذراع او كذلك حتي يصير ذراعا او بعد الزوال
بقليل الي ذراع او اذا زالت الشمس او اذا اذن المؤذن للجمعة او من الزوال حتي
يدخل الرجل في الصلاة او منه حتي يخرج الامام او منه الي الغروب او ما بين خروج
الامام الي ان تقام الصلاة او عند خروجه او ما بين خروجه الي انقضاء الصلاة ثم
او ما بين حرمة البيع وحله او ما بين الاذان الي انقضاء الصلاة او ما بين ان
يجلس الامام علي المنبر الي ان تنقضي الصلاة ويمكن اتحاد هذا القول مع اللذين
قبله او عند التاذين وعند تذكير الامام وعند الاقامة او اذا اذن واذا رقي واذا
اقيمت وهذا مثل ما قبله او اذا اخذ الخطيب في الخطبة او عند الجلوس بين
الخطبتين او عند نزوله من المنبر او حين الاقامة حتي يقوم الامام في مقامه
او من اقامة الصف الي تمام الصلاة او هي الساعة التي كان عليه السلام
يصلي فيها الجمعة ومغايرته لما قبله من جهة اطلاقه وتقييد هذا او صلاة
العصر الي الغروب او في صلاة العصر او بعده لاخر وقت الاختيار او بعده مطلقا
او من وسط النهار الي قرب اخره او من الصفرة للغروب او اخر ساعة
بعد العصر او من حين تغيب قرص الشمس او تدليها للغروب او الي تكامل
غروبها وبسط الكلام عليها بادلتها مع بيان الصحة او الضعف او الرفع او
الوقف والاشارة الي ماخذ بعضها بما يصلح انه تاليف مفرد فقال وليست

كلها متقاربة بل كثير منها يمكن اتحاده مع غيره ثم نقل عن ابن المنير الجمع بان
ساعة الاجابة واحدة منها لا بعينها فيصادفها المجتهد في الدعا في جميعها وليس
المراد من اكثرها انها تستوعب جميع الوقت الذي عين بل انها تكون في اثنايه
لقوله تقللها وقوله في رواية اخرى وهي ساعة خفيفة وفايدة ذكر الوقت
انها تنتقل فيه فيكون ابتدا مظنتها ابتدا الخطبة مثلا وانتهاوه انتها الصلاة
وكان كثيرا من القايلين عين ما اتفق له وقوعها فيها من ساعة في اثنا وقت من
الاوقات فبهذا التقريب يقل الانتشار جدا ولا شك ان ارجح الاقوال حديث ابي موسى
وحديث عبد الله بن سلام وما عداها اما ضعيف الاسناد او موقوف اسند قايله الى
اجتهاد دون توقيف ولا يعارضهما حديث ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم انسيها
بعد ان علمها لاحتمال انهما سمعا ذلك منه قبل ان انسي اشار اليه البيهقي وغيره فاما
حديث ابي موسى فخرجه مسلم وابو داود عن ابي موسى سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول هي ما بين ان يجلس الامام على المنبر الى ان تنقضي الصلاة
واما حديث بن سلام فخرجه الامام مالك واصحاب السنن وابن خزيمة وابن حبان
عن ابي هريرة انه قال لعبد الله بن سلام اخبرني ولا تضن علي فقال عبد الله
ابن سلام هي اخر ساعة من يوم الجمعة قال ابو هريرة قلت كيف تكون اخر ساعة
وقد قال صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وتلك ساعة لا يصلى فيها فقال ابن سلام
الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة
حتى يصلي قال ابو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك ولذا يستشكل قوله في
حديث ابي هريرة السابق وهو قايم وكان ابن وضاح يامر بطرحه لانه لو كان ثابتا
عند ابي هريرة لاحتج به على ابن سلام ولم يعارضه بانها ليست ساعة صلاة
وقد ورد النص على الصلاة واجابه بالنص الاخر ان منتظر الصلاة في حكم المصلي
وسلم له ابو هريرة الجواب وارتضاه وافتى به بعد واجيب بحمل الصلاة على
الدعا او الانتظار وحمل القيام على الملازمة او المواظبة ولفظ وهو قايم ثابت
عند اكثر رواة الموطا وهي زيادة محفوظة عن الزناد من رواية مالك وورقا
وغيرهما عنه واختلف السلف في اي الحديثين ارجح قال مسلم حديث ابي
موسى اجود شي في هذا الباب واصحه وبذلك قال البيهقي وابن العربي
وجماعة وقال القرطبي هو نص في موضع الخلاف فلا يلتفت الى غيره وقال النووي
هو الصحيح بل الصواب وجزم في الروضة بانه الصواب ورجح ايضا بكونه مرفوعا
صريحا وفي احد الصحيحين ورجح اخرون قول ابن سلام كاسحق بن راهويه
واحمد فقال اكثر الاحاديث عليه وقال ابن عبد البر انه اثبت شي في
هذا الباب وروى سعيد بن منصور باسناد صحيح عن ابي سلمة بن
عبد الرحمن ان ناسا من الصحابة اجتمعوا فتذاكروا ساعة الجمعة ثم افترقوا
فلم يختلفوا انها اخر ساعة من يوم الجمعة وحكى العلاي ان شيخه ابن الزملكاني
كان يختاره ويحكيه عن نص الشافعي واجابوا بان الترجيح بما في الصحيحين او احدهما
انما هو حيث لا يكون مما انتقده الحفاظ كحديث ابي موسى هذا فانه اعل بالانقطاع

والاضطراب وبينهما بما يطول ثم قال واختار صاحب الهدي انحصارها في احد
الوقتين المذكورين وان احدهما لا يعارض الاخر لاحتمال انه صلى الله عليه وسلم دل على
احدهما في وقت وعلى الاخر في وقت اخر وهذا كقول ابن عبد البر الذي ينبغي الاجتهاد
في الدعا في الوقتين المذكورين وسبق الى نحو ذلك الامام احمد وهو اولى في طريق الجمع
وقال ابن المنير اذا علم ان فايدة ابهام هذه الساعة كليلة القدر بعث الدواعي على
الاكثار من الصلاة والدعا ولو بين لاتكل الناس على ذلك وتركوا ما عداها فالعجب
بعد ذلك ممن يجتهد في طلب تحديدها انتهى وقال السيوطي هنا امر وهو ان ما اورده
ابو هريرة على ابن سلام وارد على حديث ابي موسى ايضا لان حال الخطبة ليست ساعة
صلاة وتتميز ما بعد العصر بانها ساعة دعا وقد قال نسال الله شيا وليس حال الخطبة
ساعة دعا لانه مامور فيها بالانصات وكذا غالب الصلوات ووقت الدعا منها اما عند الاقامة
او السجود او التشهد وان حمل الحديث على هذه الاوقات اتضح ويحمل قوله وهو قايم
يصلي على حقيقته في هذين الموضعين وعلى مجاوزة في الاقامة اي قايم يريد
الصلاة وهذا تحقيق حسن فتح الله به وبه يظهر ترجيح رواية ابي موسى على
قول ابن سلام لابقا الحديث على ظاهره من قوله يصلي ويسال فانه اولى من حمله على
انتظار الصلاة لانه مجاز بعيد ويوهم ان انتظار الصلاة شرط في الاجابة وانه
لا يقال في منتظر الصلاة قايم يصلي وان صدق انه في صلاة لان لفظ قايم يشعر
بملابسة الفعل انتهى وفي الفتح فان قيل ظاهر الحديث حصول الاجابة لكل داع
بالشرط المتقدم مع اختلاف الزمان باختلاف البلاد والمصلي ويتقدم بعض على بعض
وساعة الاجابة متعلقة بالوقت فكيف تتفق مع الاختلاف اجيب باحتمال ان
ساعة الاجابة متعلقة بفعل كل مصل كما قيل نظيره في ساعة الكراهة ولعل
هذا فايدة جعل الوقت الممتد مظنة لها وان كانت هي خفيفة ويحتمل انه عبر
عن الوقت بالفعل فيكون التقدير وقت جواز الخطبة او الصلاة ونحو ذلك
قال وقول صاحبنا العلامة شمس الدين الجزري في الحصن الحصين واذن لي
في روايته عنه الذي اعتقده انها وقت قراة الامام الفاتحة في صلاة الجمعة الى ان
يقول امين جمعا بين الاحاديث التي صحت يخدش فيه انه يفوت على الداعي حينئذ
الانصات لقراة الامام انتهى ومنها اذا كان اول ليلة من شهر رمضان
نظر الله تعالى اليهم اي الامة المحمدية نظر رحمة وغفران ومن نظر اليه
كذلك لم يعذبه ابدا لان الكريم لا يرجع فيما اعطى ولا اكرم منه سبحانه وتزين
الجنة فيه تبشير الصايمين فاذا علموا ذلك بخبر الصادق زاد نشاطهم وتلقوه
بمزيد القبول والمحبة واعلاما للملايكة انه منزلة عظيمة عند الله وخلوف
بضم الخا وفتحها خطا لغة قليلة اي تغير ريح افواه الصايمين لخلو معدتهم
عن الطعام اطيب عند الله اي في الاخرة كما جزم به العز بن عبد السلام لان في
رواية لمسلم يوم القيامة او في الدنيا والاخرة معا كما جزم ابن الصلاح لان في
رواية ابن حبان لخلوف فم الصايم حين يخلف اطيب عند الله وروى الحسين
ابن سفين من حديث جابر اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا قال واما

الثانية فانهم يمسون وخلوف افواههم اطيب عند الله من ريح المسك فكل واحد من
الحديثين صريح في انه وقت وجود الخلوف في الدنيا يتحقق وصفه بذلك قال وقد
ذكر العلما شرقا وغربا معنى ماذكرته ولم يذكر احد تخصيصه بالاخرة بل جزموا
بانه عبارة عن الرضى والقبول ونحوهما مما هو ثابت في الدارين واما ذكر يوم
القيامة في رواية مسلم فلانه يوم الجزا وفيه يظهر رجحان الخلوف في الميزان على
على المسك المستعمل لدفع الرايحة الكريهة طلبا لرضى الله حيث يومر باجتنابها
واجتلاب الرايحة الطيبة للمساجد والصلوات وغيرها من العبادات فخص يوم
القيامة بالذكر في تلك الرواية لذلك كما خص في قوله تعالى ان ربهم بهم يوميذ
لخبير واطلق في باقي الروايات نظرا الى ان اصل افضليته ثابت في الدارين **من**
ريح المسك اختلف في معناه لانه تعالى منزه عن استطابة فقال المازري هو مجاز
لانه جرت العادة بتقريب الروايح الطيبة لها فاستعير ذلك لتقريب الصوم من
الله فالمعنى انه اطيب عند الله من ريح المسك عندكم اي انه تقرب اليه اكثر من تقريب
المسك اليكم وقيل ان ذلك في حق الملايكة في انهم يستطيبون ريح الخلوف اكثر مما
يستطيبون ريح المسك وقيل المعنى ان الله يجزيه في الاخرة بكون نكهته اطيب
من المسك كما ياتي المكلوم وريح جرحه يفوح مسكا وقيل المعنى ان الخلوف اكثر
ثوابا من المسك المطلوب في الجمع والاعياد ومجالس الذكر والخير وصحح النووي
ونقل القاضي حسين في تعليقه ان للطاعات يوم القيامة ريحا يفوح قال فرايحة
الصيام منها بين العبادات كالمسك **وتستغفر لهم** اي للصايمين **الملايكة في**
كل يوم وليلة حتى يفطروا اي حين انقضا الشهر **واذا كان اخر ليلة غفر لهم**
جميعا زاد في رواية للبيهقي واحمد والبزار قيل يا رسول الله هي ليلة القدر
قال لا ولكن العامل انما يوفى اجره عند انقضا عمله **رواه البيهقي باسناد**
لا باس به اي مقبول عن جابر **بلفظ** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم **قال**
اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي اما واحدة فانه
اذا كان اول ليلة من شهر رمضان نظر الله اليهم ومن نظر اليه لايعذبه لم يعذبه
ابدا واما الثانية فان خلوف افواههم حين يمسون اطيب عند الله من ريح
المسك واما الثالثة فان الملايكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة واما الرابعة
فان الله عز وجل يامر جنته فيقول لها استعدي وتزيني لعبادي اوشك ان
يستريحوا من تعب الدنيا الى داري وكرامتي واما الخامسة فانه اذا كان اخر
ليلة جميعا فقال رجل من القوم اهي ليلة القدر قال لا اما ترى العمال يعملون
فاذا فرغوا من اعمالهم وفوا اجورهم هذا لفظ رواية البيهقي واخرجه
الحسن بن سفين من حديث جابر ايضا وحسنه ابو بكر بن السمعاني في اماليه
وتبعه ابن الصلاح وله شاهد بنحوه من حديث ابو هريرة رواه احمد
والبزار والبيهقي **وتستغفر لهم الحيتان حتى يفطروا رواه**
البزار واحمد والبيهقي من حديث ابي هريرة المذكور ورواه ابو الشيخ
بلفظ الملايكة بدل الحيتان **وتصفد** تشد وتربط بالاصفاد وهي

الفتود **مردة الشياطين** اي عتاتهم وفي حديث ابن عباس عند البيهقي
يقول الله يا جبريل اهبط الى الارض فاصفد مردة الشياطين وغلهم
بالاغلال ثم اقذفهم في البحار حتى لايفسدوا على امة محمد صيامهم **رواه احمد**
والبزار من حديث ابي هريرة بزيادة فلا يخلصوا فيه الى ما كانوا يخلصون
اليه في غيره وفي الصحيحين وغيرهما من حديث ابي هريرة مرفوعا اذا دخل
رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت الشياطين قال
القاضي عياض يحتمل انه على ظاهره وحقيقته وذلك علامة للملايكة
بدخول الشهر وتعظيمه والتصفيد ليمتنعوا من ايذا المومنين والتهويش عليهم
ويحتمل انه مجاز عن كثرة الثواب والعفو وان الشياطين يقل اغواهم وايذاوهم
فيصيرون كالمصفدين ويكون تصفيدهم عن اشيا لناس دون ناس ويحتمل
ان فتح ابواب الجنة عبارة عما يفتحه الله لعباده من الطاعات في هذا الشهر
التي لا تقع في غيره عموما كالصيام والقيام وفعل الخيرات والانكفاف عن كثير
من المخالفات وهذه اسباب لدخول الجنة وابواب لها وكذا تغليق ابواب
النار وتصفيد الشياطين عبارة عما ينكفون عنه من المخالفات ومعنى صفدت
غلت بفتح الغا الغل انتهى ونقله النووي ولم يرد عليه ورجح ابن المنير
الاول وقال لا ضرورة تدعو الى صرف اللفظ الى ظاهره وكذا رجحه القرطبي
وقال فان قيل فكيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيرا
فلو صفدت لم يقع ذلك فالجواب انها تقل عن الصايمين الصوم الذي حوفظ على
شروطه وروعيت ادابه والمصفد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم كما
في رواية الترمذي وغيره صفدت مردة الجن والمراد تقليل فيه وهذا
امر محسوس فان وقوع غير ذلك فيه اقل من غيره او لا يلزم من تصفيد
جميعهم ان لا يقع شر ولا معصية لان لذلك اسبابا غير الشياطين كالنفوس
الخبيثة والعادات القبيحة والشياطين الانسية وقال الحليمي يحتمل ان المراد
بالشياطين مسترقوا السمع منهم لانهم كانوا منعوا في زمن نزول القران
من استراق السمع فزيد والتسلسل في رمضان مبالغة في الحفظ وقال
الطيبي فايدة تفتيح ابواب الجنة توقيف الملايكة على استحماد فعل
الصايمين وانه من الله بمنزلة عظيمة واذا علم المكلف ذلك باخبار
الصادق فيزيد في نشاطه وتلقاه باريحية **ومنها السحور** بفتح السين
وضمها ويحصل باقل ما يتناوله المرء من ماكول او مشروب كما في
الفتح وغيره **وتعجيل الفطر** عند تحقق الغروب وما نفعله الفلكيون
من التمكين بعد الغروب بدرجة مخالف للسنة فلذا اقل الخير قاله
المصنف **رواه الشيخان** عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر زاد ابو داود وابن
ماجة وابن خزيمة وغيرهم من حديث ابي هريرة لان اليهود
والنصارى يوخرون ولابن حبان والحاكم من حديث سهل

لا تزال امتي علي سنتي مالم تنتظر بفطرها النجوم وليس من رواية الشيخين
تصريح بانه من خصوصياتنا انما هو في غيرها كما رايت واما السحور
فروي مسلم عن عمرو بن العاص ان النبي صلي الله عليه وسلم قال فصل ما
بين صيامنا وصيام اهل الكتاب اكلة السحر وفصل بصاد مهملة وقراته
بمعجمة تصحيف ولم يخرجه البخاري نعم رويا معا عن انس قال قال النبي صلي
الله عليه وسلم تسحروا فان في السحور بركة وهذا لا تصريح فيه بالخصوصية
قال في الفتح بفتح الشين وضمها روايتان لان المراد بالبركة الاجر والثواب
فناسب الضم لانه مصدر بمعني التسحر او البركة كونه يقوي علي الصوم
وينشط له ويخفف مشقته فيناسب الفتح لانه ما يتسحر به وقيل
البركة ما تضمنه من الاستيقاظ والدعا في السحر والاولي انها تحصل
بجهات متعددة اتباع السنة ومخالفة اهل الكتاب والتقوي علي
العبادة والزيادة في النشاط والتسبب بالصدقة علي من يسال اذ ذاك
او يجتمع معه علي الاكل والتسبب للذكر والدعا ومظنة الاجابة وتدارك
نية الصوم لمن اغفلها قبل ان ينام ووقع لبعض المتصوفة ان حكمة الصوم
كسر شهوة البطن والفرج والسحور قد يباين ذلك قال قال ابن دقيق
العيد والصواب ان ما زاد قدره حتي تنعدم هذه الحكمة بالكلية لا
يستحب كالذي تصنعه المترفين من الماكل وكثرة الاستعداد لها وما عداه
تختلف مراتبه انتهي وقيل المراد بالبركة نفع التبعية روي البزار
والطبراني عن ابن عباس مرفوعا ثلاثة ليس عليهم حساب فيما طعموا
ان شا الله اذا كان حلالا الصايم والمتسحر والمرابط في سبيل الله وذكره
في الفردوس بلفظ ثلاثة لا يحاسب عليها العبد اكلة السحور وما افطر عليه
وما اكل مع الاخوان وقيل يبارك في قليله بحيث يعين علي الصوم فروي
ابن عدي تسحروا ولو بشربة من ما وللطبراني ولو بتمرة ولو بحبات من
زبيب هذا والخصوصيات للامة علي الامم لا علي الانبيا لقوله صلي الله
عليه انا معاشر الانبيا امرنا ان نعجل افطارنا ونوخر سحورنا ونضع ايماننا
مع شمايلنا في الصلاة رواه الطيالسي والطبراني باسناد صحيح
واباحة الاكل والشرب والجماع للصايم **ليلا** ولو نام **الي الفجر**
كما قال تعالي احل لكم ليلة الصيام الاية **وكان محرما علي من قبلنا**
بعد النوم **وكذا كان** محرما علينا **في صدر الاسلام ثم نسخ** روي
البخاري عن البرا كان اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم اذا كان الرجل
صايما فحضر الافطار اتي امراته فقال هل عندك طعام فقالت لا ولكن
انطلق فاطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته وجات امراته فلما راته قالت
خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلي الله
عليه وسلم فنزلت هذه الاية احل لكم ليلة الصيام الرفث الي
نسايكم ففرحوا بها فرحا شديدا وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم

الخيط

الخيط الابيض من الخيط الاسود واخرج احمد وابن جرير عن كعب بن
مالك قال كان الناس في رمضان اذا صام الرجل فامسي فنام حرم عليه
الطعام والشراب والنسا حتي يفطر من الغد فرجع عمر من عند النبي صلي الله
عليه وسلم وقد سمر عنده فاراد امراته فقالت اني قد نمت قال ما نمت ووقع
عليها وصنع كعب بن مالك مثل ذلك فغدا عمر الي النبي صلي الله عليه وسلم
فاخبره فنزلت الاية وروي البخاري عن البرا لما نزل صوم رمضان كانوا
لا يقربون النسا رمضان كله وكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم وروي البخاري
عن سهل بن سعد قال نزلت وكلوا واشربوا حتي يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود ولم ينزل من الفجر وكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط
احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب
حتي يتبين له رويتهما فانزل الله بعد من الفجر فعلموا انما يعني الليل والنهار
ومنها ليلة القدر لخبر الديلمي عن انس مرفوعا ان الله وهب لامتي
ليلة القدر ولم يعطها من كان قبلهم **كما قاله النووي في شرح المهذب**
وعبارته ليلة القدر مختصة بهذه الامة لم تكن لمن قبلها هذا هو الصحيح
المشهور الذي قطع به اصحابنا كلهم وجمهور العلما قال الحافظ وجزم به
حبيب من المالكية وسبقهم كلهم الحكيم الترمذي فجزم بذلك **وهل صيام**
رمضان من خصايص هذه الامة كما ذهب اليه الجمهور منهم
معاذ وابن مسعود وجماعة من الصحابة والتابعين والحجة لهم قوله
صلي الله عليه وسلم ان الله افترض عليكم صوم رمضان وسننت
لكم قيامه رواه النسايي والبيهقي باسناد حسن عن عبد الرحمن بن
عوف فهو ظاهر في الاختصاص **ام لا** كما ذهب اليه جمع منهم الحسن
والشعبي **اذ قلنا ان التشبيه الذي دلت عليه** لفظة **كما في قوله**
تعالي كتب فرض **عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم بعد**
حقيقته اي تشبيها تاما **فيكون رمضان فرض علي الذين**
من قبلنا من جميع الامم وعن السدي هم النصاري فرض عليهم
رمضان **وذكر** انه روي **ابن ابي حاتم عن ابن عمر رفعه صيام**
رمضان كتبه الله علي الامم قبلكم فهذا يويد تمام التشبيه ويرد علي
السدي تخصيصه بالنصاري **ولكن في اسناده مجهول** فهو
ضعيف لكن له شاهد في الترمذي **وان قلنا المراد مطلق الصيام**
دون قدره ووقته وهو شهر رمضان **فيكون التشبيه واقعا**
علي مطلق الصوم فلا ينافي اختصاصنا برمضان **وهو قول**
الجمهور من الصحابة والتابعين وغيرهم قال الزمخشري وغيرهم
وبالجملة فالصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلا الله امة من افتراضه
عليهم **ومنها ان لنا الاسترجاع عند المصيبة** لقوله صلي الله

عليه وسلم اعطيت امتي شيئا لم يعطه احد من الامم ان يقولوا عند المصيبة
انا لله وانا اليه راجعون رواه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس
قال سعيد بن جبير فيما رواه ابن جرير والبيهقي وغيرهما عنه لقد اعطيت
هذه الامة اي امة الاجابة اي ان يقول المصاب منهم عند المصيبة اي
مصيبة كانت لقوله صلى الله عليه وسلم كل شي ساء المومن فهو مصيبة رواه ابن
السني ما لم يعط الانبيا عليهم السلام مثله وهو انا لله ملكا وعبيدا يفعل
بنا ما يشا وانا اليه راجعون في الاخرة فيجازينا وروى ابو داود في مراسيله
ان مصباح النبي صلى الله عليه وسلم طفي فاسترجع فقالت عايشة انما هذا مصباح
فقال كل ما ساء المومن فهو مصيبة وفي الحديث من راجع عند المصيبة اجره الله
فيها واخلف عليه خيرا وظاهره ان المامور به مرة واحدة فورا وذلك في الموت
عند الصدمة الاولى وخبر اذا ذكرها ولو بعد اربعين عاما فاسترجع كان له اجرها
وقوعها زيادة فضل لانها في الطلب بوفور وقوع المصيبة ولو اعطيت
الانبيا لاعطيه يعقوب عليه السلام اذ قال يا اسفا الالف بدل من
يا الاضافة اي يا حزني على يوسف وهذا ظاهر في انه من خصوصيات
هذه الامة حتى الانبيا اذ قوله لقد اعطيت لا دخل للراي فيه فلا يكون الا
عن بلاغ واما ولو اعطيت الخ فان كان من البلاغ فواضح وان كان استنبطه فهو
استظهار وتقوية لسابقه ببعض افراده فلا يقال لا يلزم منه انه لم يشرع
لغيره من الانبيا ومنها ان الله رفع عنهم الاصر الامر الذي يثقل حمله
عليهم اي لم يوجبه عليهم ولم يجعله من شرعهم لا انه جعله عليهم ثم رفعه الذي
كان على الامم قبلهم اي على بعضهم وهم بنو اسرايل كما قال تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبايث
ويضع عنهم اصرهم ثقلهم والاغلال التي كانت عليهم فالاية بالاية
دليل على ان من قبلهم كان عليهم الاصر فالوضع عن بني اسرايل الذين
امنوا بالمصطفى حقيقي وبه يستدل على رفعه عن الامة بطريق الاولى
بمعنى انه لم يوضع عليهم بدليل ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على
الذين من قبلنا اي وتخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة
فالاغلال استعارة شبه الامور الشاقة التي كلفوا بها بالاغلال التي تجعل
في الاعناق جمع غل وهو طوق حديد وعن عطا كانت بنو اسرايل اذا قاموا
يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما نقب الرجل ترقوته
وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة
كتعيين القصاص في العمد والخطا لخبر البخاري كان في بني اسرايل
القصاص اي تحتمه حتى في الخطا ولم يكن فيهم الدية في نفس او جرح وذلك
قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها الاية فهو شرع اليهود اما النصارى فيتعين عندهم
للعفو عن القود والمراد بالخطا ضد العمد وهو ان يقصد شيا فيخالف ما قصده لغير

ما قصد لا ضد الثواب كما زعم لان تعمد الاثم يسمى خطا بالمعنى الثاني ولا يمكن
ارادته هنا وقطع الاعضا الخاطية كاللسان في الكذب والذكر في الربا وقلع
العين في النظر للاجنبية وقطع موضع النجاسة اخرج البخاري عن ابي
وايل قال كان ابو موسى يشدد في البول ويبول في قارورة ويقول ان بني
اسرايل كان اذا اصاب ثوب احدهم قرضه فقال حذيفة ليته امسك الحديث
اي قطعه قال الحافظ ووقع في مسلم جلد احدهم قال القرطبي مراده
الجلد واحد الجلود التي كانوا يلبسونها وحمله بعضهم على ظاهره وزعم انه
من الاصر الذي حملوه ويويده رواية ابي داود كان اذا اصاب جسد
احدهم لكن رواية البخاري صريحة في الثياب فلعل بعضهم رواه بالمعنى انتهى
وقتل النفس في التوبة كما قال تعالى فتوبوا الى باريكم فاقتلوا انفسكم
قال الجلال اي ليقتل البري منكم المجرم فارسل سحابة سودا لئلا يبصر
بعضهم بعضا فيرحمه حتى قتل منهم نحو سبعين الفا وروى ابن ابي حاتم عن
علي قال الذين عبدوا العجل يا موسى ما توبتنا قال تقتل بعضكم بعضا فاخذوا
السكاكين فجعل الرجل يقتل اباه وامه واخاه حتى قتل سبعون الفا فاوحى
الله اليه مرهم فليرفعوا ايديهم فقد غفر الله لهم وروي من طرق نحوه عن
ابن عباس وغيره وقول البيضاوي او المراد بالقتل قطع الشهوات كما قيل من لم
يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها قال السيوطي عليه هذا ذكره بعض
ارباب الخواطر قال جماعة ولا يجوز ان يفسر به لاجماع المفسرين على ان المراد القتل
الحقيقي انتهى وفي فتح الجليل استبعده جماعة باجماع المفسرين على ان المراد
القتل الحقيقي بان يسلم من عبد العجل نفسه للبري ليقتلها فلا يرد عليه قول
بعضهم اجمع المفسرون على انهم ما قتلوا انفسهم بايديهم اذ لو كانوا مامورين بذلك
لصاروا عصاة بتركه وقد كان الرجل من بني اسرايل يذنب الذنب
فيصبح قد كتب على باب بيته ان كفارته ان تنزع عينيك فينزعهما
وروى ابن جرير مرفوعا كان بنو اسرايل اذا اصاب بعضهم لحد لهم
الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها فان كفرها كانت له
خزيا في الدنيا والا كانت له خزيا في الاخرة وقد اعطاكم الله خيرا من
ذلك ومن يعمل سوا او يظلم نفسه الاية وروى البيهقي مرفوعا كان بنو
اسرايل اذا اذنب احدهم ذنبا اصبح وقد كتبت كفارته على اسكفة
بابه وجعلت كفارة ذنوبكم قولا تقولونه تستغفرون الله فيغفر لكم
واصل الاصر الثقل بكسر المثلثة وفتح القاف وتسكن للتخفيف عند
الخفة واما واحد الاثقال فبالسكون كحمل واحمال والثقل بفتحتين متاع
المسافر وحشمه ومطلق المتاع الذي ياصره بكسر الصاد صاحبه اي
يحبسه من الحراك بفتح اوله وثانيه لثقله فلا يقدر على التحرك
ومنها ان الله تعالى احل لهم كثيرا مما شدد على من قبلهم يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر وقال صلى الله عليه وسلم ان الله رضي لهذه

الامة اليسر وكره لها العسر رواه الطبراني برجال الصحيح ولم يجعل
عليكم في الدين من حرج بل سهله قال تعالي هو اجتباكم وما جعل
عليكم في الدين من حرج روي احمد عن حذيفة سجد صلي الله عليه وسلم
فلم يرفع راسه حتي ظننا ان نفسه قبضت فلما فرغ قال رب استشارني
الحديث وفيه واحل لنا كثيرا مما شدد علي من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين
من حرج فلم اجد شكرا الا هذه السجدة اي ضيق بتكليف ما اشتد القيام
به عليهم اشارة الي انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه لعدم
مشقة فعله عليهم يعني من لم يستطع ان يصلي قايما فليصل قاعدا
ومن لا فمضطجعا علي ما بين في الفروع واباح للصايم الفطر في السفر
وان كان الصوم افضل والقصر فيه للصلاة وجعله افضل من الاتمام بل
ذهب الحنفية الي انه عزيمة فلا يجوز الاتمام زاد البيضاوي او الي الرخصة
في اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم
بامر فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك اي معني الاية بان جعل لهم من
كل ذنب مخرجا بان رخص لهم في المضايق هكذا في البيضاوي قيل قوله
وفتح لهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات في حقوقه كالحنث في
اليمين به والارش والديات في حقوق العباد دون تعيين القود قاله
البيضاوي في تفسير الاية وروي عند ابن ابي حاتم عن ابن عباس انه
قيل له اما علينا في الدين من حرج في ان نسرق او نزني قال بلي قيل فما
جعل عليكم في الدين من حرج قال الحرج ما كان علي بني اسرايل من
الاصر والشدايد وضعه الله من هذه الامة بمعني انه لم يجعله عليهم
قال تعالي ولا تحمل علينا اصرا كما حملته علي الذين من قبلنا قال البيضاوي حملا
مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لا صرا و
المراد به ما كلف به بني اسرايل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين
صلاة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة او ما اصابهم من الشدايد
والمحن قال السيوطي قوله خمسين صلاة غلط فلم يفرض علي بني اسرايل
خمسون صلاة قط بل ولا خمس صلوات بل ولم تجتمع الخمس الا لهذه الامة وانما
فرض علي بني اسرايل صلاتان فقط كما في الحديث وقال شيخ الاسلام نسب
التكليف بها الي بني اسرايل ونسبها غيره من المفسرين الي اليهود ولا تنافي
فالمراد من بني اسرايل اليهود فلا يرد بان بني اسرايل لم يفرض عليهم خمسون
بل ولا خمس صلوات مع ان من حفظ حجة علي من لم يحفظ كذا قال وفيه ما لا
يخفي فكون المراد من بني اسرايل اليهود لا يدفع الرد بان الخمسين لم تفرض
عليهم فليس ملحظ الرد ايهامه انها فرضت علي جميع بني اسرايل مع انها انما فرضت
علي اليهود منهم فيجاب بانهم المرادون من بني اسرايل وكون من حفظ حجة
لا يجدي هنا لان النافي معه دليل نفيه وهو قوله كما في الحديث يشير الي
ما في حديث المعراج في مراجعة موسي لنبينا وفيه ما لفظه فانه فرض علي بني

اسرايل صلاتان فما قاموا بهما اخرجه النسايي من حديث انس وعن
كعب اعطي الله هذه هذه الامة ثلاثا لفظه ثلاث خصال لم يعطهن
الا الانبيا كان النبي يقال له بلغ ولا حرج وانت شهيد علي امتك وادع
اجبك جعلهم شهدا علي الناس يوم القيامة بان رسلهم بلغتهم وما جعل عليهم
في الدين من حرج بل سهله وقال صلي الله عليه وسلم خير دينكم ايسره اي
ما لا مشقة فيه ولا اصر لكن بعضه ايسر من بعض فامر بعدم التعمق فيه
فانه لن يغالبه احد الا غلبه وجاءت الانبيا السابقة بتكاليف واصار بعضها
اغلظ من بعض وقال ادعوني اسالوني استجب لكم دعاكم وقيل المعني اعبدوني
اثبكم بقرينة ان الذين يستكبرون عن عبادتي واجاب من فسر الدعا بالسوال
بان الاستكبار الصارف عنه منزل منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعا
لانه من ابوابها اخرج الفريابي عن كعب اعطيت هذه الامة ثلاث خصال لم
يعطهن الا الانبيا كان النبي يقال له بلغ ولا حرج وانت شهيد علي امتك وادع
اجبك وقال لهذه الامة ما جعل عليكم في الدين من حرج لتكونوا شهدا علي الناس
ادعوني استجب لكم فاقتصر المصنف علي حاجته منه ومنها ان الله رفع عنهم المواخذة
بالخطا اي اثمه لا حكمه اذ حكمه من الضمان لا يرتفع او عن حكمه علي القول الثاني
او عنهما قيل وهو اقرب لعموم المتناول وعدم المرجح ولا ينافيه ضمان المال والدية
ونحوهما لخروجه بدليل منفصل والنسيان بالكسر ضد الذكر والحفظ ويطلق
علي الترك وليس بمراد هنا وما استكرهوا عليه اي حملوا علي فعله قهرا وخص
بغير الزنا وقتل المسلم وقطعه فلا يبيح ذلك الاكراه وحديث النفس رفع عن
هذه الامة المواخذة به اي ما يقع في قلوبهم من القبايح قهرا لقوله صلي الله عليه
وسلم ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم تتكلم به او تعمل رواه الشيخان
روي احمد ومسلم وغيرهما عن ابي هريرة قال لما نزلت وان تبدوا ما في انفسكم
او تخفوه يحاسبكم به الله اشتد ذلك علي الصحابة فاتوا النبي صلي الله عليه وسلم
فجثوا علي الركب وقالوا انزل عليك هذه الاية ولا نطيقها فقال اتريدون ان
تقولوا كما قالت اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا
غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقتراها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله
في اثرها امن الرسول الاية فلما فعلوا ذلك نسخها الله فانزل لا يكلف الله نفسا
الا وسعها الي اخرها وروي مسلم وغيره عن ابن عباس نحوه وعند الفريابي عن
محمد بن كعب قال ما بعث من نبي وما ارسل من رسول انزل عليه الكتاب الا انزل
عليه هذه الاية وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فكانت الامم
تابي علي انبيايها ورسلها ويقولون نواخذ بما نحدث به انفسنا ولم تعمل جوارحنا
فيكفرون ويضلون فلما نزلت علي النبي صلي الله عليه وسلم اشتد علي المسلمين
ما اشتد علي الامم قبلهم فقالوا انواخذ بما نحدث به انفسنا ولم تعمل جوارحنا
قال نعم فاسمعوا واطيعوا فذلك قوله تعالي امن الرسول الاية فرفع الله عنهم
حديث النفس الا ما عملت الجوارح وقد كان بنو اسرايل اذا نسوا شيا

مما امروا به او اخطوا في عجلت لهم العقوبة فحرمت عليهم شي من
مطعم او مشرب عقوبة من الله لهم على حسب ذلك الذنب من كبير وصغير
وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله وضع وفي رواية رفع عن امتي
امة الاجابة فقوله امتي دليل على انه ذلك كان على من قبلهم الخطا
والنسيان وما استكرهوا عليه حديث جليل على بعض العلما ينبغي ان
يعد نصف الاسلام لان الفعل اما عن قصد واختيار او لا الثاني ما يقع عن
خطا او نسيان او اكراه وهذا القسم معفو عنه اتفاقا وانما اختلف هل المعفو
عنه الحكم الاثم او الحكم او هما معا وهو ظاهر الحديث وما خرج عنه كضمان
المتلف خطا واتلاف المال خطا ونحوهما فبدليل منفصل وفيه ان طلاق المكره
لا يقع رواه احمد وابن حبان والحاكم وابن ماجة والطبراني والدارقطني
باسانيد جيدة وفي بعضها كلام لا يضر كما بينه النور الهيثمي وتلميذه
الحافظ وحسنه النووي في الروضة واخرجه الطبراني عن ثوبان بلفظ
رفع عن امتي الخ وخفي على الكمال ابن الهمام فقال هذا الحديث يذكره الفقها
بهذا اللفظ ولا يوجد في شي من كتب الحديث كذا قال في الجمالين والكمال نعم
قال البيضاوي ومفهوم الخبر ان الخطا والنسيان كان مواخذا بهما اولا اي في
الامم السابقة ولا يمتنع ذلك عقلا فان الذنوب كالسموم وكان تناولها
يودي الى الهلاك وان كان خطا فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب
وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعدنا التجاوز عنه رحمة وفضلا ومن ثم امر
الانسان بالدعا استدامة واعتدادا بالنعمة ومنها ان الاسلام وصف
خاص بهم لا يشركهم فيه غيرهم الا الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما ذهب
اليه جمع من العلما فشرفت هذه الامة بان وصفت بالوصف الذي كان يوصف
به الانبيا تكريما لها لقوله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم
وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين
من قبل في ام الكتاب وهو اللوح المحفوظ وفي التوراة والانجيل وفي سائر
كتبه على ان ضمير هو عايد لله كما قاله جمع من المفسرين كابن عباس ومجاهد
عند ابن المنذر وعلي بن زيد عند ابن ابي حاتم وكذا روي عن قتادة وابن
عيينة ومقاتل قالوا وفي هذا يعني القران وايد بانه قرئ الله سماكم
المسلمين فلو لم يكن ذلك خاصا به كالذي ذكر قبله لم يكن لتخصيصه بالذكر
ولا لاقترانه بما قبله معنى وهذا اما فهمه المسلمون من الاية ولقوله تعالى
ورضيت لكم الاسلام دينا فانه ظاهر في الاختصاص اذ لو لم يكن
خاصا بهم لم يكن في الامتنان عليهم بذلك فايدة لانه لو رضيه لغيرهم
ما حسن الامتنان به عليهم ولا تقدير لكم وقد يجاب بان رضي الاسلام
دينا لهم في هذه الاية وتسمية ابراهيم اياهم بذلك في الاية التي
سابقها قبلها بنا على ان الضمير لابراهيم لانه اقرب مذكور كما قاله جماعة
كابن زيد في احد قوليه قال هو ابراهيم الا ترى الى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة

لكن

لكن لا ينبغي انضمام غيرهم بذلك الوصف وفايدة ذلك اي الامتنان على
هذه الامة مع الاشتراك الاعلام بالانعام عليهم بما انعم به على غيرهم
من الفضايل ودفع السيوطي هذا الحديث بانه جهل بقواعد المعاني
فان تقديم لكم يستلزمه كما قال صاحب الكشاف في قوله تعالى وبالاخرة هم
يوقنون ان تقديم هم تعريض باهل الكتاب وانهم لا يومنون بالاخرة وكما
قال الاصفهاني في قوله وما هم بخارجين من النار ان تقديم هم يفيد
ان غيرهم يخرجون منها وهم الموحدون وقيل لا يختص بهم بل يطلق
على غيرهم ايضا وهو اسم لكل دين حق لغة وشرعا كما اجاب به ابن
الصلاح لقوله تعالى حكاية عن وصية يعقوب ووصى بها ابراهيم
بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون
قال السيوطي هذا من قول ابراهيم ويعقوب لبنيهما وفي بنيهما كل انبيا
فلا يحسن الاستدلال به على غيرهم مع انه لا يلزم منه طرده في امة موسى
وعيسى لما علم ان ملة ابراهيم تسمى الاسلام وبها بعث النبي صلى الله عليه وسلم
وكان اولاد ابراهيم ويعقوب عليها فصح ان يخاطبوا بذلك ولا يتعدى
الى من ملته اليهودية والنصرانية قال واما قوله تعالى حكاية عن اولاد
يعقوب ونحن له مسلمون فجوابه ان ذلك اما على سبيل التبعية له اذ لم يكونوا
انبيا مع ان فيهم يوسف وهو نبي قطعا فلعله هو الذي تولى الجواب فاجرى
نفسه بالاصالة وادرج اجوبتهم معه تغليبا وان كانوا انبيا كلهم فلا اشكال
ومن ادلة العموم قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين واجاب عنه
السيوطي بما حققه صاحب القول الراجح ان هذا الوصف يطلق على الانبيا والبيت
المذكور بيت لوط ولم يكن فيه مسلم الا هو وبناته وهو نبي فصح اطلاقه عليه
بالاصالة وعلى بناته بالتغليب او على التبعية اذ لا مانع ان تختص اولاد
الانبيا بخصايص لا يشاركهم فيها بقية الامة كما اختصت فاطمة بانه لا يتزوج
عليها واخوها ابراهيم بانه لو عاش لكان نبيا وذكر امورا ابسطها ادل على ذا
الجواب الى غير ذلك كقوله تعالى وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين واجاب السيوطي بحمله على التغليب لانه خاطبهم
وفيهم هرون ويوشع وهما نبيان فادرج بقية القوم في الوصف تغليبا
او يحمل على ان المراد ان كنتم منقادين لي فيما امرتكم به قال والتحقيق
الذي قامت عليه الادلة تمام رجحناه من الخصوصية بالنسبة الى الامم ان
كل ما ورد من اطلاق ذلك فيمن تقدم فانما اطلق على نبي او ولده تبعا او جماعة
فيهم نبي غلب لشرفه ومن ذلك قوله تعالى واذ اوحيت الى الحواريين
ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون فان الحواريين
فيهم انبيا منهم الثلاثة المذكورون في قوله تعالى اذ جاءها المرسلون اذ
ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون نص
العلما على انهم من حواري عيسى واحد قولي العلما ان الثلاثة انبيا ويرسله

ذكر الوحي اليهم ولان الايمان لكونه التصديق القلبي اخص من
الاسلام لانه الانقياد للاحكام المامور بها فان صحبه تصديق قلبي
فمسلم فقط تجري عليه احكام الدنيا ولا ينفعه ذلك عند الله كما هو مذهب
كثير من العلما وليس خاصا بهذه الامة بل يوصف به اي بالايمان
كل من دخل في شريعة مقرا بالله تعالي وبانبيايه كما قاله
الراغب فقياس الوصف الاخص الوصف بالاعم وجوابه انه قياس
في معرض النصوص الظاهرة بخلافه بلا نصير وقد حكي السيوطي
القولين في تاليف سماه اتمام النعمة ورجح القول بالاختصاص وذكر له
ثلاثا وعشرين دليلا منها ما رواه ابن راهويه وابن ابي شيبة عن مكحول
كان لعمر علي رجل حق فاتاه يطلبه فقال عمر لا والذي اصطفي محمدا علي البشر
لا افارقك فقال اليهودي والله ما اصطفاه فلطمه عمر فاتي النبي فاخبره فقال
صلي الله عليه وسلم بل يا يهودي فادم صفي الله وابراهيم خليل الله وموسي
نجي الله وعيسي روح الله وانا حبيب الله بل يا يهودي تسمي الله باسمين
تسمي بها امتي هو السلام وسمي امتي المسلمين وهو مومن وسمي امتي
المومنين الحديث وهو صريح في اختصاصنا بوصف الاسلام والا لم يحسن
ايراده في معرض التفضيل اذ كان اليهودي يقول ونحن وساير الامم كذلك
واخرج البخاري في تاريخه والنسايي وابن مردويه عن الحارث الاشعري
عن النبي صلي الله عليه وسلم من دعي بدعوي الجاهلية فانه من جثا جهنم
قال رجل وان صام وصلي قال نعم فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين
والمومنين عباد الله ولابن جرير عن قتادة ذكر لنا انه يمثل لاهل كل دين
دينهم يوم القيامة فاما الايمان فيبشر اصحابه واهله ويعدهم الخير حتي
يجي الاسلام فيقول يا رب انت السلام وانا الاسلام فصريحه اختصاص
الاسلام بها للفرقة بينه وبين الايمان المتعلق باهل الاديان وقوله
تعالي وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين اسلمتم دليل علي الخصوص
والا لقال الكتابيون نحن مسلمون وديننا الاسلام وذكر في اخره قول السبكي
القصد من تكثير الادلة ان الاية الواحدة والاثنين قد يمكن تاويلها ويتطرق
لها الاحتمال فاذا كثرت فقد يصير في الي حد يقطع بارادة ظاهرها ونفي
الاحتمال والتاويل قال ولهذا ذكرت ثلاثة وعشرين دليلا لان كلا علي
انفراده يمكن تاويله ويتطرق الاحتمال فلما تطرق لكثرة غلب علي
الظن ارادة ظاهرها ونفي الاحتمال والتاويل وعبرت بغلب علي الظن
دون القطع لاجل ما عارضها من الايات التي استدل بها للقول الاخر ومنها
قوله الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يومنون واذا يتلي عليهم قالوا
امنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين والجواب ان مسلمين
اسم فاعل مراد به الاستقبال علي حقيقته وهو الاصل لا الحال ولا الماضي
الذي هو مجاز والتقدير انا كنا من قبل مجيه عازمين علي الاسلام

به اذا جا لما كنا نجده في كتبنا ويرشحه ان السياق يرشد الي ان قصدهم
الاخبار بحقية القران وانهم كانوا علي قصد الاسلام به اذ جا به صلي الله
عليه وسلم لما عندهم من صفاته وقرب زمانه وليس قصدهم الثنا علي
انفسهم بانهم كانوا بصفة الاسلام لانه ينبو عنه المقام او يقدر في الاية انا
كنا من قبله به مسلمين فوصف الاسلام سببه القران لا التوراة والانجيل ويرشحه
ذكر الصلة في قوله قبله هم به يومنون فدل علي انها مرادة في الثانية
وحذفت كراهة لتكرارها مرتين في انه ولحده لذكرها في قوله امنا به او وصفوا
انفسهم به من اول امرهم اعتبارا بما ختم لهم من الدخول في الاسلام كقول الاشعري
من كتب الله انه يموت مومنا فيسمي عند الله مومنا ولو في حالة كفر سبقت
منه وكذا عكسه فاذا وصف الكافر حال كفره كذا بالايمان للخاتمة فلان يوصف
بالاسلام من كان علي دين حق لما قدر له من دخوله فيه من باب اولي انتهي هذا
ومن خصوصيات الاسلام انه يجب ما قبله اي يقطع روي ابن سعد والطبراني
عن الزبير وجبير بن مطعم مرفوعا الاسلام يجب ما كان قبله وفي رواية يهدم
اي من كفر وعصيان وما يترتب عليها من حقوق الله لا حقوق عباده فلا تسقط
اجماعا ولو كان المسلم ذميا والحق ماليا وظاهره اسا بعده او احسن واما خبر
من احسن في الاسلام لم يواخذ بما عمل في الجاهلية ومن اسا في الاسلام اخذ
بالاول والاخر رواه الشيخان فوارد علي نهج التغليظ وروي مسلم عن عمرو
ابن العاصي قلت يا رسول الله تبايعني علي ان تغفر لي فقال اما علمت ان
الاسلام يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما
كان قبله ففيه ان كل واحد بمفرده يكفر ما قبله قاله ابن تيمية واختص
صحبه صلي الله عليه وسلم باسم الانصار والمهاجرين فهما اسمان شرعيان
جا بهما الكتاب والسنة وسماهما الله بهما كما سماهم بالمسلمين ومنها ان
شريعتهم اكمل من جميع الشرايع المتقدمة لا زيادة تشديد فيها
فيعقب القيام بها ولا زيادة تخفيف بل علي غاية الاعتدال وخير الامور
اوساطها وهذا مما لا يحتاج الي بيانه لوضوحه لانك اذا تدبرت في اي
حكم منها وجدته معتدلا وسنظهره علي ذكر بقوله وانظر الي شريعة موسي
عليه السلام فقد كانت شريعته شريعة جلال وقهر امروا ان يقتلوا
نفوسهم في التوبة وقد امتن الله علينا بعدم ذلك وذكرنا بهذه النعمة
في قوله ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه
الا قليل منهم اي انه رحمنا فلم يكتب علينا ذلك كما نبه علي بني اسرايل وحرمت
عليهم الشحوم وهي الثروب شحم الكلي من البقر والغنم الا ما حملت
ظهورهما الخ وذوات الظفر وهو ما لم يفرق اصابعه بالابل والنعام
والطيور وغيرها من الطيبات بعد حلها كما قال تعالي فبظلم من الذين
هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال تعالي كل الطعام كان حلا لبني
اسرايل الا ما حرم اسرايل علي نفسه اي الابل لما حصل له عرق النسا بالفتح

والقصر فتذر ان شيئا لا يأكلها تحرم عليهم وحرمت عليهم الغنائم وعلى
غيرهم سوانا فجعلت لنا من اجل اموالنا وتجعل لهم من العقوبات ما يجعل
من عذاب وغيره كعقابهم بتحريم ما كان لهم حلالا وحملوا من الاصار والاغلال
عطف تفسير او التكاليف الشاقة ما لم يحمله غيرهم بسبب ظلمهم وكان
موسى عليه السلام من اعظم خلق الله هيبة ووقارا كسحاب رزانة
واشدهم باسا شدة وغضبا لله تعالى وبطشا باعداء الله فكان
لا يستطاع النظر اليه لذلك ونبينا صلى الله عليه وسلم وان كان اعظم
في كل ذلك منه لكنه كان يعامل امته بالرفق واللين فيقدمون عليه ويكلمونه
وعيسى عليه السلام كان في مظهر اي محل ظهور الجمال وكانت
شريعته شريعة فضل واحسان لا من كل وجه بل فيها بعض تشديد
لكنها تخفيف بالنسبة لشريعة موسى لقوله فكان لا يقاتل ولا يحارب
وليس في شريعته قتال البتة والنصارى يحرم عليهم في دينهم
القتال وهم به عصاة لحرمته عليهم فان الانجيل كتابهم يأمر
فيه بقوله لمن لطمه ضربك بكفه مفتوحة ويكون على الخد وعلى
غيره من الجسد ولذا قال على خدك الايمن فادر له خدك الايسر
اشارة الى عدم الانتقام ومن نازعك ثوبك فاعطه رداك ومن
سخرك ميلا فامش معه ميلين ونحو هذا مما كله كناية عن المسامحة
مع الناس في الاخذ والعطا والمعاشرة كما يدل عليه سوقه في مقام تخفيف
شرع عيسى لا الامر بشيء مما ذكر حقيقة وليس في شريعتهم مشقة
ولا اصار ولا اغلال تفسير يعو كما في شرع موسى فلا يخالف قول ابن
الجوزي بدو الشرايع كان على التخفيف ولا يعرف فيه شرع خالص صالح ونوح
وابراهيم تثقيل ثم جا موسى بالتشديد والاثقال وجا عيسى بنحوه
وجات شريعة نبينا بنسخ تشديد اهل الكتاب ولا يطلق على تسهيل
من كان قبلهم فهي على غاية الاعتدال فجعله فقوله وجا عيسى بنحوه ظاهر
في خلاف كلام المصنف لكن يمكن تاويله بانه تشديد نسبي وان كان
بعيد اباه لفظ الانجيل المذكور فان ظاهره ان لا تشديد فيها
البتة فلعل اصل العبارة وجا عيسى بضده فتحرفت بنحوه واما
النصارى فابتدعوا تلك الرهبانية وهي رفض النسا واتخاذ الصوامع من
قبل انفسهم ولم نكتب عليهم اي لم يومروا بها كما قال تعالى ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله وهو منقطع اي لكن فعلوه
ابتغاء وقد قال صلى الله عليه وسلم لا خزام ولا زمام ولا سياحة ولا تبتل ولا ترهب
في الاسلام رواه عبد الرزاق وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالجهاد فانه
رهبانية الاسلام رواه احمد وقال عليه الصلاة والسلام تزوجوا فاني مكاثر
بكم الامم ولا تكونوا كرهبانية النصارى رواه البيهقي واما نبينا صلى الله عليه
وسلم فكان مظهر بفتح الميم محل ظهور الكمال الجامع لتلك القوة والعدل

والشدة

والشدة في والرأفة والرحمة فشريعته اكمل الشرايع وامته اكمل الامم
واحوالهم ومقاماتهم اكمل الاحوال والمقامات ولذلك المذكور من كونه مظهرا
الجمالي يعني انت شريعته بالعدل اي الحكم المشتمل عليه وهو القصد اي
التوسط في الامور ثم تنوع ذلك الحكم الى واجب وغيره كما قال امرا ايجابا له
اي للعدل بمعنى الحكم كما علم وفرضا مساو وبالفضل ندبا اليه واستحبابا
لا فرضا وايجابا كالعفو عن الجاني وبالشدة في موضع الشدة لقتال الكفار
ونحوهم وباللين في موضع اللين كالعفو عن الاسارى ووضع السيف
موضعه ووضع الندا اي الخير موضعه اي المحل اللائق به شرعا فيذكر
الظلم ويحرمه والعدل ويامر به والفضل ويندب اي يدعو اليه في بعض
اية كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها سميت الثانية بذلك لمشابهتها
للاولى صورة وان كانت عدلا لوقوعها جزاء والسيئة هي الفعلة القبيحة قاله
الجلال وهذا ظاهر فيما يقتص منه من الجراحات قال بعضهم واذا قال اخزاك
الله فيقول له اخزاك الله فهذا عدل ولذا قال صلى الله عليه وسلم لهبار بن الاسود
سب من سبك لما كانوا يسبونه بعد اسلامه بما كان قبله فلعفوا عنه فمن عفا عن
ظالمه واصلح الود بينه وبينه بالعفو عنه فاجره على الله اي ان الله ياجره لا
محالة فهذا فضل وقد قال صلى الله عليه وسلم من عفا عند القدرة عفا الله عنه يوم
العسرة رواه الطبراني وقال من عفا عن دم لم يكن له ثواب الا الجنة رواه الخطيب
وقال عليه السلام من عفا عن قاتله دخل الجنة رواه ابن منده اي مع السابقين
او بلا سبق عذاب او هو اعلام بوفاته على الاسلام والامن من سوئه انه لا يحب
الظالمين اي البادين بالظلم فيترتب عليهم عقابهم فهذا تحريم للظلم وفي الحديث
القدسي يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا وقوله
وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به هذا ايجاب للعدل وتحريم للظلم
وهو العقاب بغير ما عوقبوا به ولئن صبرتم عن العقاب لهو اي الصبر
خير للصابرين ندب الى الفضل دون ايجاب فترتاح النفوس بذكره
وتسمح به وكذلك تحريم ما حرم على هذه الامة الاصابة وحمية لهم
عما يضرهم كالميتة والدم المسفوح حرم عليهم كل خبيث كما قال ويحرم عليهم
الخبائث وضار كالخنزير واحلت لهم كل طيب اي مستلذ لا ضرر فيه كما قال
اليوم احل لكم الطيبات ونافع للبدن والعقل فتحريمه عليهم رحمة وعلى من
كان قبلهم لم يخل من عقوبة كما اشرت اليه قريبا في قوله وقد كان بنو اسرائيل
اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطاوا عجلت لهم العقوبة فحرم عليهم شيء من
مطعم او مشرب وهداهم لما ضلت عنه الامم قبلهم كيوم الجمعة كما سياتي ان
شا الله تعالى في مقصد عباداته عليه السلام وتقدم ما يشهد له
قريبا ووهب لهم من علمه وحلمه كمالات كثيرة لم تحصل لغيرهم وجعلهم
خير امة اخرجت للناس وجمع لهم من المحاسن ما فرقه في الامم فجمعوا
محاسن كل امة كما كمل لنبيهم من المحاسن ما فرقه في الانبيا قبله

وزاده عليهم وكما كمل في كتابه من المحاسن ما فرقه في الكتب قبله
وكذلك في شريعته نكذلك الامة هم المجتبون اي الذين اختارهم الله
لدينه ولنصره كما قال الله جل وعلا هو اجتباكم وما جعل عليكم في
الدين من حرج اي ضيق وجعلهم شهدا على الناس فاقامهم في ذلك
مقام الرسل الشاهدين على اممهم اشار اليه ابن القيم وذكر ابن عبد
السلام انهم نزلوا منزلة العدول من الحكام فيشهدون على الناس ان رسلهم
بلغتهم ما جاوا به عن الله قال تعالى لتكونوا شهدا على الناس قال وهذه
خصيصة لم تثبت لغيرهم ومنها انهم لا يجتمعون على ضلالة اي يحرم
باعتقاد خلاف الواقع فيشمل كل حكم اعتقد فيه خلاف ما هو عليه في نفس الامر
فلا يجتمعون على نفي مكروه ولا ندب مندوب ولا اباحة مباح بل متى اجمعوا
على حكم كان عند الله كذلك كما افاده كلام الشيخ ولي الدين وبايعه وكلن قيدوا
الامة هنا بالعلما لان العامة عنها تاخذ دينها واليها تفزع في النوايب
فاقتضت الحكمة حفظها رواه احمد في مسنده والطبراني سليمان
ابن احمد بن ايوب في معجمه الكبير وابن ابي خيثمة احمد بن زهير بن
حرب البغدادي في تاريخه وهو كبير قال فيه محمد بن سلام الجمحي لا اعرف
اغزر من فوايده عن ابي بصرة بفتح الموحدة واسكان الصاد المهملة
واسمه حميل بضم الحا المهملة ولام اخره وقيل بفتح اوله وقيل بالجيم بن
بصرة بفتح الموحدة بن وقاص بن حبيب بن غفار وقيل ابن حاجب بن
غفار الغفاري روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعنه ابو هريرة وجماعة
وهو وابوه وجده صحابة قال ابن يونس شهد فتح مصر واختط بها
ومات بها ودفن في مقبرتها وقال ابو عمر كان سكن الحجاز ثم تحول الى مصر
ونقل ان عره صاحبة كثير من ذريته وانكره لكن ابن الاثير مرفوعا في حديث
سالت ربي ان لا تجتمع امتي اي امة الاجابة على ضلالة فاعطانيها
اي هذه الخصلة ورواه ابن ابي عاصم الحافظ الكبير الامام ابو بكر احمد
ابن عمرو بن النبيل ابو عاصم الشيباني الزاهد قاضي اصبهان له الرحلة
الواسعة والتصانيف النافعة قال ابن ابي حاتم ذهبت كتبه بالبصرة
في فتنة الزنج فاعاد من حفظه خمسين الف حديث وقال ابن الاعرابي
كان من حفاظ الحديث والفقه ظاهري المذهب مات في ربيع الاخر سنة
سبع وثمانين ومايتين والطبراني ايضا وغيرهما كلهم من حديث
ابي مالك الاشعري قال الحافظ في تخريج احاديث المختصر اختلف في ابي
مالك راوي هذا الحديث فان في الصحب ثلاثة يقال لكل منهم ابو مالك
الاشعري احدهم راوي احاديث المغارف مشهور بكنيته ومختلف في اسمه
الثاني الحارث مشهور باسمه الثالث كعب بن عاصم مشهور باسمه
دون كنيته حتى قال المزي في ترجمته لا يعرف له كنية وتعقب بان
الشيخين والنسايي كنوه وذكر المزي هذا الحديث في ترجمة الثاني ووضح

لي انه الثالث لان ابن ابي عاصم لما خرج الحديث المذكور قال في سياق سنده
عن كعب بن عاصم الاشعري فدل على انه هو الا ان يكون ابن ابي عاصم
تصرف في التسمية بظنه وهو بعيد انتهى ان الله تعالى اجاركم حماكم
ومنعكم وانقذكم من ثلاث خلال اي لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا وان لا
يظهر اهل الباطل على اهل الحق هذا ما اشار الى حذفه بقوله وذكر منها
تلو هذا ما لفظه وان لا تجتمعوا على ضلالة قال الطيبي حرف النفي من القراين
زايد كقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد وفايدته توكيد معنى الفعل وتحقيقه
وذلك ان الاجارة انما تستقيم اذا كانت الخلال مثبتة لا منفية قال شيخنا
يعني السخاوي في المقاصد وبالجملة فهو حديث مشهور المتن اي لفظ الحديث
انما قال السخاوي في المقاصد هذا لقول شيخه الحافظ في اسناده انقطاع وله
طرق لا يخلو واحد منها من مقال لكنه قال في موضع اخر اسناده حسن لانه من
رواية ابي بكر بن عياش عن الشاميين وهي مقبولة قال وله شاهد عند احمد
رجاله ثقات لكن فيه راو لم يسم واسانيده كثيرة متعددة الطرق
والمخارج وذلك علامة القوة فلا ينزل عن الحسن فاخرجه ابو نعيم والحاكم
وعلله واللالكائي في السنة له وابن مندة ومن طريقه الضيا في المختارة عن
ابن عمر رفعه ان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة ابدا وان يد الله مع الجماعة
فاتبعوا السواد الاعظم فانه من شذ شذ في النار وكذا اخرجه الترمذي لكن
بلفظ هذه الامة وقال امتي ورواه ابن ماجة والدارقطني وغيرهما عن
انس مرفوعا ان امتي لا تجتمع على ضلالة فاذا رايتم اختلافا فعليكم
بالسواد الاعظم والحاكم عن ابن عباس رفعه لا يجمع الله هذه الامة على ضلالة
ويد الله مع الجماعة وابن ابي عاصم وغيره مرفوعا عن عقبة بن عمرو الانصاري
مرفوعا في حديث عليكم بالجماعة فان الله لا يجمع هذه الامة على ضلالة والطبري
في تفسيره عن الحسن مرسلا بلفظ ابي بصرة وله شواهد متعددة في
المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم كقوله انتم شهدا الله في الارض وفي
غيره اي غير المرفوع وهو الموقوف كقول ابن مسعود اذا سيل احدكم
فلينظر في كتاب الله فان لم يجد ففي سنة رسول الله فان لم يجد فلينظر
ما اجتمع عليه المسلمون والا فليجتهد هذا والاختلاف شامل لما كان في امر
العقايد الدين كالعقايد والدنيا كالامامة العظمى ومعنى فعليكم بالسواد
الاعظم الزموا متابعة جماهير المسلمين الذين يجتمعون على طاعة السلطان
وسلوك المنهج القويم فهو الحق الواجب والفرض الثابت الذي يحرم خلافه
فمن خالفه مات ميتة جاهلية ومنها ان اجماعهم حجة قاطعة فان
تنازعوا في شي ردوه الى الله ورسوله اذ الواحد منهم غير معصوم بل كل
احد يوخذ من قوله ويرد عليه الا النبي صلى الله عليه وسلم كما قال مالك قال
الحافظ الولي العراقي والمراد به الاتفاق اي الاشتراك في القول او
او الفعل او الاعتقاد او ما في معناها من السكوت عند من يقول به وتتناول

الامور الشرعيات واللغويات بلا نزاع والعقليات والدنيويات على الراجح **وان اختلافهم** اي الامة اي مجتهد بها في الفروع التي يسوغ الاجتهاد فيها **رحمة** اي توسعة على الناس ونعمة كبيرة وفضيلة جسيمة تجعل المذاهب كشرايع متعددة بعث صلى الله عليه وسلم بكلها لئلا تضيق بهم الامور فالمذاهب التي استنبطها الصحابة فمن بعدهم من اقواله وافعاله على تنوعها كشرايع متعددة له وقد وعد بوقوع ذلك فوقع فهو من معجزاته اما الاجتهاد في العقايد فضلال والحق ما عليه اهل السنة والجماعة فانما الحديث في الاختلاف في الاحكام كما في تفسير البيضاوي قال فالنهي مخصوص بالتفرق في الاصول لا في الفروع قال السبكي لا شك ان الاختلاف في الاصول ضلال وسبب كل فساد كما اشار اليه القران قال وما ذهب اليه جمع ان المراد الاختلاف في الحرف والصنايع مردود بانه كان المناسب ان يقال اختلاف الناس اذ لا خصوصية في الامة فان كل الامم مختلفون في الصنايع والحرف فلا بد من خصوصية قال وما ذكره امام الحرمين كالحليمي ان المراد اختلافهم في المناصب والدرجات والمراتب فلا ينساق الذهن من لفظ الاختلاف اليه **وكان اختلاف من قبلهم عذابا** ومن جملة انه كان في شرع بني اسرايل نسخ الحكم اذا رفعه الخصم الى حاكم اخر يرى خلافه كما في الخصايص بخلاف شرعنا فيرفع الخلاف فتصير المسالة كالمجمع عليها فليس لحاكم اخر نقضه بل عليه تنفيذه وان كان يرى غيره اصوب على الارجح الا ان يكون مما ينقض **روى البيهقي** وفي نسخة رواه بالضمير والاول اصوب لانه لم يبرز الترجمة الا انه يكون المراد بمعناه فقد ذكر السمهودي وغيره ان اختلاف الصحابة في معنى اختلاف الامة **في المدخل** الى السنن الكبرى **في حديث من رواية سليمان بن ابي كريمة عن جويبر** بتصغير جابر ويقال اسمه جابر وجويبر لقب ابن سعيد الازدي ابي القاسم البلخي نزيل الكوفة راوي التفسير مات بعد الاربعين ومائة **عن الضحاك** بن مزاحم الهلالي الخراساني صدوق مات بعد المائة روى له الاربعة **عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم** مهما اوتيتم من كتاب الله فالعمل به لا عذر لاحد في تركه فان لم يكن في كتاب الله فسنة مني ماضية فان لم يكن سنة مني فما قال اصحابي ان اصحابي بمنزلة النجوم في السما فايما اخذتم به اهتديتم **واختلاف اصحابي لكم رحمة** ومن هذا الوجه اخرجه الطبراني والديلمي بلفظه سواء فتنقر المصنف على حاجته منه والاوجه ان المراد اختلافهم في الاحكام ويؤيده ما رواه البيهقي في المدخل عن عمر بن عبد العزيز ما سرني لو ان اصحاب محمد لم يختلفوا لانهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصة وكذا قول يحيى بن سعيد الاتي اهل العلم الخ وقول مالك لما ساله الرشيد الخروج معه الى العراق وان يحمل الناس على الموطا كما حمل عثمان الناس على القران اما حمل الناس الى الموطا فلا سبيل اليه لان الصحابة افترقوا في الامصار فعند

اهل كل مصر علم صريح في ان المراد الاختلاف في الاحكام وما نقله ابن الصلاح عن مالك انه قال في اختلاف الصحابة مخطي ومصيب فعليك بالاجتهاد وليس كما قال ناس فيه توسعة فانما هو بالنسبة الى المجتهد لقوله فعليك بالاجتهاد فالمجتهد مكلف بما ادى اليه اجتهاده ولا توسعة عليه في اختلافهم وانما التوسعة على المقلد فقوله اختلاف امتي واصحابي رحمة للناس اي المقلدين وفي قول مالك مخطي ومصيب رد على القايل ان المجتهد تقليد الصحابة دون غيرهم كما افاده السمهودي ثم لا يرد على هذا كله نهي الله عن الاختلاف بقوله واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وبقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا لان المنهي عنه الاختلاف على الرسل فيما جاوا به قال ابن العربي وغيره انما ذم الله كثرة الاختلاف على الرسل كفاحا بدليل خبر انما اهلك الذين من قبلكم كثرة اختلافهم على انبيايهم اما هذه الاية فمعاذ الله ان يدخل فيها احد من العلما المختلفين لانه اوعد الذين اختلفوا بعذاب عظيم والمعترض موافق على ان اختلاف الامة في الفروع مغفور لمن اخطا منهم فتعين ان الاية فيمن اختلف على الانبيا فلا تعارض بينها وبين الحديث وفيه رد على المتعصبين لبعض الايمة على بعض وقد عمت به البلوى قال الذهبي وبين الايمة اختلاف كثير في الفروع وبعض الاصول وللقليل منهم غلطات وزلقات ومفردات منكرة وانما امرنا باتباع اكثرهم صوابا ونجزم بان غرضهم ليس الا اتباع الكتاب والسنة وكلما وكل ما خالفوا فيه لقياس او تاويل فاذا رايت فقيها خالف حديثا او رد حديثا او حرف معناه فلا تبادر لتغليطه وقد قال علي لمن قال له اتظن ان طلحة والزبير كانا على باطل يا هذا انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف اهله وما زال الاختلاف بين الامة في الفروع وبعض الاصول مع اتفاق الكل على تعظيم الباري وانه ليس كمثله شيء وان ما شرعه رسوله حق وان كتابهم واحد ونبيهم واحد وقبلتهم واحدة وانما وضعت المناظرة لكشف الحق وافادة العالم الاذكى العلم لمن دونه وتنبيه الاغفل الاضعف فان داخلها زهو من الاكمل وانكسار من الاصغر فذاك داب النفوس الزكية في بعض الاحيان غفلة عن الله فما الظن بالنفوس الشريرة انتهى **وجويبر ضعيف جدا والضحاك عن ابن عباس منقطع** لانه لم يسمع منه والضحاك كثير الارسال وقد عزاه العراقي لادم ابن ابي اياس في كتاب العلم والحلم بلفظ اختلاف اصحابي رحمة لامتي قال وهو مرسل ضعيف **وهو كما قال الحافظ شيخ الاسلام ابن حجر حديث مشهور على الالسنة** لفظ المقاصد قرات بخط شيخنا يعني الحافظ ابن حجر انه اي حديث واختلاف اصحابي لكم رحمة معنى حديث مشهور على الالسنة وبهذا اتضح قوله **وقد اورده ابن الحاجب في المختصر** الاصولي **في مباحث القياس بلفظ اختلاف امتي رحمة للناس** وانما كان بمعناه لان اختلاف الصحابة في معنى اختلاف الامة كما افصح به غيره

وكذا اورده نصر المقدسي في كتاب الحجة له والبيهقي في الرسالة الاشعرية
ولم يذكروا له سندا ولا صحابيا وكذا امام الحرمين والقاضي حسين قال
السيوطي ولعله خرج في بعض كتب الحفاظ التي لم تصل الينا قال الحافظ
وكثر السوال عنه وزعم كثير من الايمة انه لا اصل له بهذا اللفظ لكن ذكره
الخطابي في غريب الحديث مستطردا مصدر ميمي اي استطرادا المناسبة
وقال اعترض علي هذا الحديث رجلان احدهما ماجن بكسر الجيم اسم فاعل
من مجن مجونا صلب وغلظ ومنه الماجن لمن لا يبالي قولا وفعلا كانه صلب الوجه
والاخر ملحد طاعن في الدين قال بعض الايمة وهم في زماننا الباطنية المدعون
ان للقران ظاهرا وباطنا وانهم يعلمون الباطن فاحالوا بذلك الشريعة لانهم تاولوا
بما يخالف العربية التي نزل بها القران وقال ابو عبيدة الحد الحاد جادل ومارى
ذكره المصباح وهما اسحق الموصلي بفتح فسكون وكسر المهملة نسبة الي مدينة
بالجزيرة الماجن المغني في الدولة العباسية وعمر بن بحر الجاحظ لقب لعمر
الملحد بجحظ كان بعينيه وكان قبيح الشكل جدا حتي قيل فيه
• لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا • ما كان الا دون قبح الجاحظ •
• رجل ينوب عن الجحيم بوجهه • وهو القذي في عين كل ملاحظ •
وقالا جميعا لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذابا قال
الحافظ ثم تشاغل الخطابي برد هذا الكلام ولم يقع في كلامه شفا
في عزو الحديث ولكنه اشعر بان له اصلا عنده وهو من كبار ايمة الحفاظ
ومن حديث عطف علي قوله من رواية سليمان اي وروي البيهقي ايضا في
المدخل من حديث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري الامام الثقة
الثبت الفقيه المشهور مات في شعبان سنة خمس وسبعين ومائة عن يحيي
ابن سعيد بن قيس الانصاري المدني ثقة ثبت من رجال الجميع مات سنة اربع
واربعين ومائة او بعدها قال اهل العلم اهل توسعة وما برح المفتون
يختلفون فيحل هذا ويحرم هذا فلا يعيب هذا علي هذا الا انه بحسب
فهم الادلة في الاحكام الاجتهادية اشار اليه شيخنا السخاوي في المقاصد
الحسنة في الاحاديث المشهورة علي الالسنة ومنها ان الطاعون فاعول
من الطعن عدلوا به عن اصله ووضعوه دالا علي الموت العام كالوبا ذكره
الجوهري لهم شهادة اي سبب لكون الميت به شهيدا وظاهره يشمل الفاسق
فيكون شهيدا لكنه لا يساوي مونية مسلم غير فاسق في انه يغفر له جميع
ذنوبه وانما يغفر له غير حق الادمي اخذا من خبر ان الشهدا يغفر لهم كل ذنب
الا الدين قاله شيخ الاسلام زكريا وهو ظاهر ورحمة رحم بها المومنين وهل
المراد بهم الكمل او اعم احتمالان وكان علي الامم عذابا فيه مزيد عناية
بهذه الامة حيث جعل ما كان عذابا لغيرهم وبلا رحمة لهم لحصول الشهادة
لهم به وان العادة لا توثر بنفسها لانه كان بلا بنفسه لمن تقدم ثم عاد بنفسه
وصفته رحمة والصفة واحدة لم تتغير رواه احمد والطبراني في الكبير

من حديث ابي عسيب مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم مشهور بكنيته
قيل اسمه احمر بن احمر وقيل سفينة قال في الاصابة والراجح انه غيره ووقع في
الاستيعاب احمر بن عسيب وتعقبه ويحتمل ان كنيته وافقت اسم ابيه ورجال احمد
ثقات ولفظه الطاعون شهادة لامتي ورحمة لهم ورجز بكسر الراي
عذاب علي الكافر ووقع في بعض الاصول رجس بسين بدل الزاي والمعروف
بالزاي وروي احمد والبخاري عن عايشة انها سالت النبي صلي الله عليه وسلم
عن الطاعون فقال الطاعون كان عذابا يبعثه الله علي من يشا وان الله جعله رحمة
للمومنين فليس من احد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا محتسبا يعلم ان ما يصيبه
الا ما كتب الله له الا كان له مثل اجر شهيد وسر التعبير بمثل ان من لم يمت به له مثل
اجره وان لم يحصل له درجة الشهادة نفسها قال الحافظ ويوخذ منه ان من اتصف
بالصفات المذكورة ثم مات بالطاعون له اجر شهيدين ولا مانع من تعدد الثواب
بتعدد الاسباب كمن يموت غريبا او نفسا بالطاعون والتحقيق انه يكون شهيدا
بوقوعه له ويضاف له مثل اجر شهيد لصبره فان درجة الشهادة شي واجرها
شي قال ويوخذ منه ان من لم يتصف بذلك لا يكون شهيدا وان مات بالطاعون
وذلك ينشا من شوم الاعتراض الناشي عن الضجر والسخط للقدر وفي الصحيحين
مرفوعا الطاعون رجز او عذاب ارسل علي طايفة من بني اسرايل فاذا وقع
بارض وانتم بها فلا تخرجوا منها فرارا منه واذا وقع بارض ولستم بها فلا
تهبطوا عليها قال الخطابي احد الامرين تاديب وتعليم والاخر تفويض
وتسليم وروي احمد برجال ثقات عن عايشة مرفوعا الطاعون غدة كغدة
البعير المقيم بها كالشهيد والفار منه كالفار من الزحف وروي الطبراني
وابو نعيم باسناد حسن عن عايشة الطاعون شهادة لامتي ووخز اعدايكم
من الجن غدة كغدة الابل تخرج في الاباط والمراق من مات منه مات شهيدا
ومن اقام به كان كالمرابط في سبيل الله ومن فر منه كان كالفار من الزحف
وروي الحاكم عن ابي موسي مرفوعا الطاعون وخز اعدايكم من الجن ووخز بفتح
الواو وسكون المعجمة ثم زاي اي طعن وفي النهاية تبعا للهروي اخوانكم قال
الحافظ ولم اره بلفظ اخوانكم بعد التتبع الطويل البالغ في شي من طرق
الحديث المسند ولا في الكتب المشهورة ولا الاجزا المنثورة وعزاه
بعض لمسند احمد والطبراني وابن ابي الدنيا ولا وجود له فيها قال
السيوطي واما تسميتهم اخوانا في حديث المطعم فباعتبار الايمان فان
الاخوة في الدين لا تستلزم الاتحاد في الجنس ومنها انهم اذا شهد
اثنان منهم عدلان لا نحو فاسق ومبتدع لعبد بخير بعد موته بان اثنيا
عليه بخير فليس المراد الشهادة عند القاضي ولا لفظ اشهد بخصوصه
وجبت له الجنة قال الحافظ ابن ثبتت او هو في صحة الوقوع
كالواجب اذ لا يجب علي الله شي بل الثواب فضل والعقاب عدل لا يسال
عما يفعل والمراد مع السابقين الاولين ومن غير سبق عذاب والا فكل من

مات مسلما دخلها ولابد يشهد له احد ام لا روى احمد والبخاري والنسائي
عن عمر مرفوعا ايما مسلم شهد له اربعة ادخله الله الجنة قيل وثلاثة
قال وثلاثة قيل واثنان قال واثنان ثم لم نساله عن الواحد قال
النووي في معناه قولان احدهما ان هذا الثنا بالخير لمن اثنى عليه اهل
الفضل وكان ثناؤهم مطابقا لافعاله فيكون من اهل الجنة فان لم يكن
كذلك فليس هو مراد الحديث والثاني وهو الصحيح المختار انه على
عمومه واطلاقه وان كل مسلم مات فالهم الله الناس او معظمهم الثنا عليه كان
ذلك دليلا على انه من اهل الجنة سوا كانت افعاله تقتضي ذلك ام لا لانه وان لم
تكن افعاله تقتضيه فلا تحتم عليه العقوبة بل هو في المشية فاذا الهم
الله الناس الثنا عليه دل ذلك على انه شا المغفرة له وبهذا تظهر فايدة
الثنا وقوله صلى الله عليه وسلم وجبت وانتم شهدا الله ولو كان لا ينفعه
الا ان تكون اعماله تقتضيه لم يكن للثنا فايدة وقد اثبت صلى الله عليه وسلم
له فايدة انتهى وترك الشهادة بالشر يفهم حكمه قياسا واختصارا وهو
اخصر كما قال الحافظ وبه صرح حديث انس في الصحيحين مرفوعا من اثنيتم
عليه خيرا وجبت له الجنة ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار انتم شهدا الله
في الارض **وكانت الامم السالفة اذا شهد منهم ماية** لحديث ابي
يعلى ان الامم السالفة الماية امة اذا شهدوا للعبد بخير وجبت له
الجنة وان امتي الخمسون منهم امة اذا شهدوا للعبد بخير وجبت له الجنة
ومنها انهم اقل الامم عملا واكثرهم اجرا لخبر مالك واحمد والبخاري
عن ابن عمر مرفوعا انما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر
الى غروب الشمس اوتي اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى اذا
انتصف النهار عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل الانجيل فعملوا فاعطوا
الى العصر فعجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القران فعملنا الى غروب
الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتاب ربنا اعطيت هؤلا
قيراطين قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال هل ظلمتكم
من اجركم من شي قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشا قال السيوطي
والمراد تشبيه من تقدم باول النهار الى الظهر والعصر في كثرة العمل الشاق
والتكليف وتشبيه هذه الامة بما بين العصر والليل في قلة ذلك وتخفيفه
وليس المراد طول الزمن وقصره اذ مدة هذه الامة اطول من مدة اهل
الانجيل قال امام الحرمين الاحكام لا تؤخذ من الاحاديث التي لضرب
الامثال **واقصرهم اعمارا** رحمة من الله بهم وعطفا عليهم اخرهم في الاصلاب
حتى اخرجهم الى الارحام بعد نفاد الدنيا وجعل اعمارهم ليقل التباسهم
بالدنيا وتدنسهم بها وكان الامم الماضون اعمارهم واجسادهم وارزاقهم
اضعاف ذلك كان احدهم يعمر الف سنة وحبة القمح ككلية البقرة
والرمانة يحملها عشرة وهكذا فلطف الله بهذه الامة ليأخذ من

الدنيا

الدنيا ارزاقا قليلة باجسام ضعيفة في مدة قصيرة لئلا ياشروا ويبطروا
ثم ضاعف لهم الحسنات فجعل الحسنة بعشرة امثالها الى سبعماية ضعف الى ما لا
يعلمه الا الله **واوتوا العلم الاول** الذي اوتيه الامم قبلهم **والاخر** الذي
اوتوه فجمع لهم ما فرق في غيرهم **واخر الامم فافتضحت الامم عندهم** بما
قص عليهم في القران من وقايع بعضهم الشنيعة ومخالفتهم وتعنتهم على انبيايهم
كقول بني اسرايل اجعل لنا الها كما لهم الهة ارنا الله جهرة وغير ذلك
ولم يفتضحوا ومنها انهم اوتوا الاسناد وهو حكاية طريق المتن والسند
الطريق الموصلة الى المتن وقد يستعمل احدهما في الاخر والامر سهل **وهو
خصيصة فاضلة من خصايص هذه الامة** لم يؤتها احد من الامم
قبلهم **وسنة بالغة من السنن المؤكدة** قال ابن المبارك الاسناد من الدين
ولولا الاسناد لقال من شا ما شا وعنه مثل الذي يطلب امر دينه بلا اسناد كمثل
الذي يرتقي السطح بلا سلم وقال سفين الثوري الاسناد سلاح المومن
فاذا لم يكن معه سلاح فباي شي يقاتل وقال الشافعي مثل الذي يطلب الحديث
بلا اسناد كمثل حاطب ليل وفي تاريخ الحاكم عن اسحق بن ابراهيم الحنظلي قال
كان عبد الله بن طاهر اذا سالني عن حديث فذكرته له بلا اسناد سالني عن
اسناده ويقول رواية الحديث بلا اسناد من عمل الزمنى فان اسناد الحديث
كرامة من الله تعالى لامة محمد وقيل في قوله تعالى او اثارة من علم اسناد الحديث
وقال بقية ذاكرت حماد بن زيد باحاديث فقال ما اجودها لو كان لها اجنحة
يعني اسنادا **وقد روينا من طريق** الامام **ابي العباس** محمد بن عبد
الرحمن **الدغولي** بفتح الدال المهملة والغين المعجمة مخففا ولام نسبة الى دغول
رجل ويقال للخبز الذي يلبس رغيفا بسرخس دغول قال ابن الاثير فلعل
بعض اجداد المنتسب كان يخبزه **قال سمعت محمد بن حاتم بن المظفر
يقول ان الله تعالى قد اكرم هذه الامة وشرفها وفضلها
بالاسناد وليس لاحد من الامم كلها قديمها وحديثها اسناد**
موصول **انما هو صحف في ايديهم وقد خلطوا بكتبهم اخبارهم
فليس عندهم تمييز بين ما نزل من التوراة والانجيل وبين ما
لحقوا بكتبهم من الاخبار التي اتخذوها** اي نقلوها **عن غير الثقات**
قال ابن حزم نقل الثقة حتى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم مع
الاتصال شي خص به المسلمون دون جميع الملل واما مع الارسال والاعضال
فيوجد في اليهود لكن لا يقربون به من موسى قربنا من نبينا بل
يقفون حيث بينهم وبينه اكثر من ثلاثين نفسا وانما يبلغون به الى
نوح وشمعون واما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل الا
تحريم الطلاق **وهذه الامة الشريفة زادها الله شرفا بنبيها
انما تنقل** اي تروي **الحديث عن الثقة المعروف في زمانه
بالصدق والامانة عن مثله حتى تتناهى اخبارهم** لكن هذا الحكم

انما يكون لرواة الصحيح والحسن اذ الضعيف بانواعه قد رووه كثيرا
ثم يبحثون اشد البحث حتى يعرفوا الاحفظ والاضبط **مد**
فالاضبط لما حفظ في صدره بان يثبت ما سمعه بحيث يتمكن من استحضاره
متى شاء او بكتابه بصيانته عنده منذ سمع فيه وصححه الى ان يؤدي
منه **والاطول مجالسة لمن فوقه** اي شيخه **ممن كان اقصر مجالسة**
له فان قدم السماع من اقسام العلو النسبي **ثم يكتبون الحديث من**
عشرين وجها تارة **واكثر** اخرى **حتى يهذبوه من الغلط والزلل**
ويضبطوا حروفه ويعدوه عدا ويبينوا الالفاظ التي اختلفت فيها
الرواة وعذر اصحاب الحديث في اكثار طرق الحديث الواحد ليعتمد عليه اذ
المقبول ما اتصل سنده وعدلت رجاله او اعتضد بعض طرقه ببعض حتى
تحصل القوة بالصورة المجموعة ولو كان كل طريق منها لو انفردت لم
تكن القوة فيها مشرة وعند الاعراض عن ذلك يستلزم ترك العمل بكثير من
الاحاديث اعتمادا على ضعف الطريق التي فيها مقال وقد قال عبد
الله بن جعفر بن خالد سالت ابراهيم بن سعيد الجوهري البغدادي
يعني شيخ مسلم واصحاب السنن عن حديث لابي بكر الصديق فقال للجارية
اخرجي الي الجزء الثالث والعشرين من مسند ابي بكر فقلت لا يصح لابي
بكر خمسون حديثا فمن اين ثلاثة وعشرون جزءا فقال كل حديث لا
يكون عندي من مائة وجه فانا فيه يتيم **فهذا من فضل الله على هذه**
الامة فنستودع الله شكر هذه النعمة وغيرها من نعمه فانه اذا
استودع كل شيء حفظه **وقال ابو حاتم** محمد بن ادريس بن داود
والنسائي وابن ماجة واخرون قال الخطيب كان احد الائمة الحفاظ
الاثبات مشهورا بالعلم مذكورا بالفضل وثقه النسائي وغيره قال
ابن يونس قدم مصر قديما وكتب بها وكتب عنه مات بالري سنة خمس
وقيل سنة سبع وسبعين ومائتين **لم يكن في امة من الامم مذ** اي حين
خلق الله ادم امنا جمع امين **يحفظون اثار الامم الا في هذه**
الامة وهذا رواه ابن عساكر عن الرازي المذكور بلفظ لم يكن في امة
من الامم مذ خلق الله ادم امة يحفظون اثار نبيهم وانساب خلفهم
كهذه الامة وفي تاريخ ابن عساكر ايضا عنه لم يكن في امة من الامم
يحفظون اثار نبيهم غير هذه الامة فقيل له ربما رووا حديثا لا اصل
له قال علماؤهم يعرفون الصحيح من السقيم فروايتهم للواهي للمعرفة
ليتبين لمن بعدهم انهم ميزوا الاثار وحفظوها واخرج الحاكم وابو
نعيم وابن عساكر عن علي مرفوعا اذا كتبتم الحديث فاكتبوه باسناده
فان يك حقا كنتم شركاء في الاجر وان يك باطلا كان وزره عليه وفيه شرف
اصحاب الحديث ورد على من كره كتابته من السلف والنهي عنه في غير خبر
اخر منسوخ او مؤول **ومنها انهم اوتوا الانساب** اي معرفتها **والاعراب**

اي

اي الابانة والكلام الفصيح وكل منهما مما يتنافس فيه المتنافسون وقد
قال صلى الله عليه وسلم تعلموا من انسابكم ما تصلوا به ارحامكم فان صلة الرحم
محبة في الاهل مثراة في المال منساة في الاثر رواه احمد والترمذي والحاكم
صحيحا عن ابي هريرة ولا يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم علم النسب
علم لا ينفع وجهالة لا تضر رواه ابو نعيم وغيره عن ابي هريرة لان المنهي
عنه الاسترسال فيه بحيث يشتغل به عما هو اهم منه لا يفيده قوله وجهالة لا تضر
اما علمه بقدر ما يصل به رحمه فمحبوب مطلوب فقد قال صلى الله عليه وسلم
تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ما تعرفون
به كتاب الله ثم انتهوا رواه ابن زنجويه **قال ابو بكر محمد بن احمد** بن عبد
الباقي بن منصور البغدادي الحافظ الامام القدوة كان فاضلا حسن القراءة
للحديث ورعا ثبتا زاهدا ثقة قائما باللغة علامة في الادب مات في
ثاني ربيع الاول سنة تسع وثمانين واربعمائة **بلغني ان الله خص هذه**
الامة بثلاثة اشياء لم يعطها من قبلها من الامم الاسناد والانساب
والاعراب انتهى وهو مروي عن ابي علي الامام الحافظ الثبت الحسين
ابن محمد الاندلسي **الجياني** بفتح الجيم والتحتية الثقيلة ونون بلدة كبيرة
بالاندلس ولد في محرم سنة سبع وثلاثين واربعمائة واخذ عن الباجي وابن
عتاب وابن عبد البر وخلق ولم يخرج من الاندلس وكان من جهابذة الحفاظ
بصيرا باللغة والعربية والشعر والانساب صنف في كل ذلك ورحل اليه
الناس وتصدر بجامع قرطبة واخذ عنه الاعلام مع التواضع والصيانة توفي
ليلة الجمعة ثاني عشر شعبان سنة ثمان وتسعين واربعمائة **ومنها انهم**
اوتوا تصنيف الكتب ذكره بعضهم قال ابن العربي في شرح الترمذي
لم يكن قط في امة من الامم من انتهى الى حد هذه الامة من التصرف في
التصنيف والتحقيق ولا جاراها في مداها من التفريع والتدقيق وتصنيف
الكتب وتدوين العلوم وحفظ سنة نبيهم اي اقواله وافعاله فتدوين
العلوم وتصنيفها وتقدير القواعد وكثرة التفريع وفرض ما لم يقع وبيان
حكمه وتفسير القران والسنة واستخراج علوم الادب وتتبع كلام العرب
امر مندوب اليه واهله خير الخليقة وقال الغزالي في شرح المحصول
من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الواحد من امته يحصل له في العمر القصير
من العلوم والفهوم ما لم يحصل لاحد من الامم السابقة في العمر الطويل ولهذا
تهيا للمجتهدين من هذه الامة من العلوم والاستنباطات والمعارف ما
تقصر عنه اعمارهم انتهى وقال قتادة اعطى الله هذه الامة من الحفظ
ما لم يعطه احدا من الامم خاصة خصهم بها وكرامة اكرمهم بها انتهى **ولا تزال**
طائفة منهم اي من امة الاجابة **ظاهرين** اي غالبين **على الحق** منصورين
على من خالفهم واحتمال ان المراد بالظهور الشهرة وعدم الاستتار
بعيد **حتى يأتي امر الله** وهو وقوع الايات العظام التي يعقبها قيام

الساعة ولا تخلو عنها الا قليلا وفي مسلم عن جابر بن سمرة رفعه لن يبرح
هذا الدين قايما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة اي الى
قرب قيامها او المراد تقوم ساعتهم وهي حين تاتي الريح فتقبض روح كل مومن فلا
تنافي بينه وبين خبر مسلم لا تقوم الساعة الا على شرار الناس وخبر مسلم والترمذي
عنه صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الارض الله الله **رواه**
الشيخان من حديث المغيرة بن شعبة رفعه لا تزال طايفة من امتي ظاهرين
على الحق حتى ياتي امر الله وهم على ذلك قال البخاري في الصحيح والطايفة
اهل العلم وقال النووي في التهذيب يحمله العطار وجمهورهم على اهل العلم وقد دعى
لهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما
سمعها وجعلهم عدولا في حديث يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف
الغالين وانتحال المبطلين وهذا اخبار منه بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه
وانه تعالى يوفق له في كل عصر عدولا يحملونه عنه وينفون عنه وهو من اعلام
نبوته ولا يضر معه كون بعض الفساق يعرفون شيا من العلم ولا لان الحديث انما
هو اخبار بان العدول يحملونه لا ان غيرهم لا يعرف منه شيا وقال النووي ايضا
يجوز ان تكون الطايفة جماعة متعددة من انواع الامة ما بين شجاع وبصير
بالحرب وفقيه ومفسر ومحدث وقايم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وزاهد وعابد
ولا يلزم اجتماعهم ببلد واحد ويجوز اخلا الارض كلها من بعضهم اولا فاولا الى ان لا
يبقى الا فرقة واحدة ببلد واحد فاذا انقرضوا جا امر الله بقيام الساعة انتهى
وفيه معجزة بينة فان اهل السنة لم يزالوا ظاهرين في كل عصر الى الان فمن
حين ظهرت البدع على اختلاف صنوفها من خوارج ومعتزلة ورافضة وغيرهم
لم يقم لاحد منهم دولة ولم يستمر لهم شوكة بل كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها
الله بنور الكتاب والسنة وزعمت المتصوفة ان الاشارة اليهم لانهم لزموا الاتباع مع
بالاحوال واغناهم الاتباع عن الابتداع **ومنها ان فيهم اي الامة اقطابا** ولا
يلزم منه تعددهم في زمن واحد فلا يخالف قوله الاتي والغوث واحد وتفريع
غيره بان القطب واحد كلما مات ابدل قال اليافعي في الكفاية سمي قطبا لدورانه
في جهات الدنيا الاربع كدوران الفلك في افق السما وقد سترت احوال
القطب وهو الغوث عن العامة والخاصة وغيرة من الحق عليه غير انه يرى عالما
كجاهل وابله كفطن اخذا تاركا قريبا بعيدا سهلا عسرا امنا حذرا وقال غيره
الاقطاب جمع قطب وهو الخليفة الباطن وسيد اهل زمانه سمي قطبا لجمعه جميع
المقامات والاحوال ودورانها عليه ماخوذ من القطب وهو الحديدة التي تدور
عليها الرحى ولا يعرف لقطب من الاوليا الا القليل جدا بل قال جمع لا يراه احد الا
بصورة استعداد الرائي فاذا راه لم يره حقيقة وذهب قوم الى ان مرتبة
القطبانية ثقيلة جدا قل ان يقيم فيها احد اكثر من ثلاثة ايام وجمع كانهم الى
الى غيرها اي كغيرها من الولايات يقيم فيها صاحبها ما شا الله ثم ينعزل
قال الخواص والذي اقوله ويساعده الوجدان انها لبس لمدة معينة
وان

وان صاحبها لا ينعزل الا بالموت واول من تقطب بعد النبي صلى الله عليه وسلم الخلفا
الاربعة على ترتيبهم في الخلافة ثم الحسن هذا ما عليه الجمهور وذهب بعض الصوفية
الى ان اول من تقطب بعد الصحابة عمر بن عبد العزيز واذا مات القطب خلفه احد
الامامين لانهما بمنزلة الوزيرين له احدهما مقصور على عالم الملكوت والاخر على
عالم الملك والاول اعلا مقاما من الثاني **واوتادا** اربعة في كل زمان لا يزيدون
ولا ينقصون وهم العمد وهم حكم الجبال في الارض ولذا سموا اوتادا يحفظ الله
باحدهم المشرق والاخر المغرب والاخر الجنوب والاخر الشمال وروى ابن عساكر من
حديث علي الاوتاد من ابنا الكوفة اي اصلهم لا انها مقرهم وروى الحكيم الترمذي
عن ابي الدردا ان الانبيا كانوا اوتاد الارض فلما انقطعت النبوة ابدل الله مكانهم
قوما من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة لكن
بحسن الخلق والنية وصدق الورع وسلامة القلوب للمسلمين والنصح لله
في ابتغا مرضاته بصبر وحلم ولب وتواضع في غير مذلة فهم خلفا الانبيا قوم
اصطفاهم لنفسه واستخلصهم الله لعلمه يدفع الله بهم المكاره عن الارض
والبلايا عن الناس وبهم يرزقون ويمطرون قال الحكيم فيهما ولا امان هذه
الامة فاذا ماتوا فسدت الارض وخربت الدنيا وذلك قوله تعالى ولولا دفع
الله الناس بعضهم ببعض الاية **ونجبا** سبعون مسكنهم مصر ونتيجتهم فوق
النقبا ودون الابدال على ما ياتي **وابدالا** بفتح الهمزة جمع بدل سموا بذلك لانه
اذا مات واحد ابدل مكانه اخر ولانهم اعطوا من القوة ان يتركوا بدلهم حيث
يريدون اي اخلفوا صورة تحاكي صورتهم بحيث ان كل من راها لا يشك في انه هو
وهو لفظ مشترك يطلقونه على من تبدلت اوصافه الذميمة بمحمودة ويطلقونه
على عدد خاص يختلف في قدره قاله ابن عربي واخرج الحاكم في كتاب الكنى له عن
عطا بن ابي رباح مرسلا الابدال من الموالي الا منافق قال الحافظ ابن حجر في
فتاويه الابدال ورد في عدة اخبار منها ما يصح وما لا واما القطب فورد في
بعض الاثار واما الغوث بالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت انتهى **عن**
النبي مرفوعا الابدال اربعون رجلا وفي حديث عبادة ثلاثون رجلا قلوبهم
على قلب ابراهيم وكل منهما يعكر على قول الرافعي الاصح انهم سبعة وقيل اربعة
عشر وجمع بين الحديثين بان ثلاثين منهم قلوبهم على قلب ابراهيم والعشرة
ليسوا كذلك كما يصرح به خبر الحكيم الترمذي عن ابي هريرة ويرده حديث ابن
مسعود لا يزال اربعون رجلا من امتي على قلب ابراهيم وجمع بان البدل له
اطلاقان كما تفيده الاحاديث في تخالف علاماتهم وصفاتهم اوانهم يكونون
زمانهم اربعون اي زمان اربعين وفي اخر ثلاثين ورد بقوله ولا الاربعون
اي ينقصون كلما مات رجل الى اخره او ان تلك الاعداد اصطلاح لوقوع
الخلاف في بعضهم كالابدال فقد يكون في ذلك العدد نظروا الى مراتب اخرى
والكل متفقون على وجود تلك الاعداد وبعد هذا لا يخفى والاولى في الجمع
بين الحديثين ان الاخبار بين الثلاثين كان قبل ان يعلمه الله بالاربعين

بدليل زيادة النسا في حديث انس هذا بقوله واربعون امراة كلما مات
رجل ابدل الله رجلا مكانه واذا ماتت امراة ابدل الله مكانها امراة
فاذا كان عند قيام الساعة ماتوا جميعا رواه ابو محمد الحسن بن ابي طالب بن
محمد بن الحسن بن علي الخلال بفتح الخا المعجمة وشد اللام الحافظ البغدادي
ولد سنة اثنين وخمسين وثلثماية وسمع ابن شاذان وغيره وعنه الخطيب
وعده قال الخطيب كان ثقة خرج المسند على الصحيحين مات سنة تسع وثلاثين
واربعماية في كتابه المولف في كرامات الاوليا واورده ابن الجوزي في
الموضوعات ثم سرد احاديث الابدال وطعن فيها واحدا واحدا وحكم بوضعها
وتعقبه السيوطي بان خبر الابدال صحيح وان شيت قلت متواتر واطال في بيان
ذلك ثم قال هذا بالغ حد التواتر المعنوي بحيث يقطع بصحة وجود الابدال
ضرورة رواه اي حديث انس الطبراني في الاوسط قال الحافظ نور
الدين الهيثمي باسنا دحسن بلفظ لن قال الطيبي لتاكيد النفي في المستقبل
وتقريره تخلو الارض من اربعين رجلا مثل خليل الرحمن ابراهيم
عليه السلام اي انفتح لهم طريق الي الله علي طريق ابراهيم وفي ايثار الرحمن
والخلة مزيد مقام دايما الي مناسبة المقام اذ كل من كان مرضيا للرحمن حقه ان
يتشا عنه صفة الرحمة من نفع البلاد والعباد فبهم تسقون وبهم تنصرون
علي الاعدا اي بوجودهم او بدعايهم وهو الاظهر فقد فسره ابن مسعود بذلك
ولتفسيره مزية لانه ادري بما سمع روي ابو نعيم عن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم ان لله عز وجل في الخلق ثلثماية قلوبهم علي
قلب ادم ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم علي قلب ميكايل ولله في الخلق واحد
قلبه علي قلب اسرافيل فاذا مات الواحد ابدل الله مكانه من الخمسة واذا مات
من الخمسة ابدل الله مكانه من السبعة واذا مات من السبعة ابدل الله
مكانه من الاربعين واذا مات من الاربعين ابدل الله مكانه من الثلثماية واذا
مات من الثلثماية ابدل الله مكانه من العامة فبهم يحيي ويميت ويمطر وينبت
ويدفع البلا قيل لابن مسعود كيف بهم يحيي ويميت ويمطر وينبت قال لانهم
يسالون الله اكثار الامم فيكثرون ويدعون علي الجبابرة فيقصمون ويستسقون
ويسالون فتنبت الارض ويدعون فيدفع لهم انواع البلا قال في الفتوحات معناه
انهم يتقلبون في المعارف الالهية تقلب ذلك الشخص اذ كانت واردات العلوم
الالهية انما ترد علي القلوب فكل علم يرد علي قلب ذلك الكبير من ملك او رسول
يرد علي هذه القلوب التي هي علي قلبه وربما يقول بعضهم فلان علي قدم
فلان ومعناه ما ذكر وقال اليافعي في الكفاية عن بعض العارفين الواحد
الذي علي قلب اسرافيل هو القطب ومكانه في الاوليا كالنقطة في
الدايرة التي هي مركزها به يقع صلاح العالم وقال عن بعضهم لم يذكر ان
احدا علي قلبه صلي الله عليه وسلم لانه لم يخلق الله في عالم الخلق والامر
اعز والطف واشرف من قلبه فقلوب الانبيا والملايكة والاوليا بالاضافة

الي

الي قلبه كاضافة ساير الكواكب الي كامل الشمس انتهي وهذا يرد قول ابن
ابن عربي احد الاوتاد علي قلبه عليه السلام وله ركن الحجر الاسود ما مات
منهم احد الا ابدل الله مكانه اخر بان اقامه مقامه في التصرف الذي
كان امر به في حياته فلا يرد ان الاوليا يتصرفون بعد موتهم بتصرفات
خاصة تمكنوا منها وفعلوها لا لكونهم مامورين بها لزوال التكليف بالموت
ورواه ابن عدي في كامله بلفظ البدلا اربعون اثنان وعشرون
بالشام وثمانية عشر بالعراق كلما مات منهم احد ابدل الله مكانه
اخر فاذا جا الامر قرب الساعة وهو الريح التي تاتي بقبض روح
كل مومن ومومنة قبضوا كلهم وليس المراد النفخة الاولي لان هولا من
خيار الخلق وقد قال صلي الله عليه وسلم لا تقوم الساعة الا علي شرار الناس
رواه مسلم وقال ههنا فعند ذلك اي مجي الامر تقوم الساعة وجعل
قيامها بعقب موتهم لانه يقرب من قيامها والقريب من الشي يعده العرف
عنده والمراد ساعتهم كما مر نظيره وكذا يروي كما عند احمد في
المسند والخلال نسبة الي الخل الماكول من حديث عبادة ابن
الصامت مرفوعا باسناد حسن لا يزال في هذه الامة ثلاثون
مثل ابراهيم وفي لفظ لاحمد من حديث ابي عبادة الابدال
في هذه الامة ثلاثون رجلا قلوبهم علي قلب ابراهيم خليل
الرحمن كلما مات واحد وفي لفظ رجل ابدل الله تعالي مكانه
رجلا فلذا سموا ابدالا وقيل لانهم بدلوا الاخلاق السيية حسنة
وراضوا انفسهم حتي صارت محاسن اخلاقهم حلية اعمالهم قال العارف
المرسي كنت جالسا بين يدي استاذي الشاذلي فدخل جماعة فقال هولا
ابدال فنظرت ببصيرتي فلم ارهم ابدالا فتحيرت فقال الشيخ من بدلت سياته
حسنات فهو بدل فعلمت انه اول مراتب البدلية وعند ابن عساكر ان ابن
المثني سال احمد بن حنبل ما تقول في بشر بن الحارث قال رابع سبعة من
الابدال وقال المرسي جلت في الملكوت فرايت ابا مدين معلقا بساق العرش
رجلا اشقر ازرق العين فقلت له ما علومك وما مقامك قال علومي احد وسبعون
علما ومقامي رابع الخلفا وراس الابدال السبعة قلت فالشاذلي قال ذاك بحر
لا يحاط به فظاهر هذا كله ان مراتب الثلاثين مختلفة وفي لفظ الطبراني
في الكبير باسناد صحيح من حديث عبادة الابدال في امتي الابدال في امتي
ثلاثون بهم تقوم الارض اي تعمر وينتظم امر اهلها ببركتهم ودعايهم
وبهم يمطرون وبهم ينصرون علي الاعدا ولابي نعيم في الحلية
باسناد ضعيف لا موضوع كما زعم ابن الجوزي والذهبي فغاية ما في اسناده
رجلان مجهولان وذلك لا يقتضي الوضع بحال عن ابن عمر بن الخطاب
رفعه خيار امتي في كل قرن خمسماية من الناس والابدال
اربعون رجلا فلا الخمسماية ينقصون ولا الاربعون ينقصون

كلما مات رجل ابدل الله مكانه اخر ونقيبة هذا الحديث في الحلية
قالوا يا رسول الله دلنا على اعمالهم قال يعفون عمن ظلمهم ويحسنون الي
من اساء اليهم ويتواسون فيما اتاهم الله وهم في الارض كلها فلا يختص
وجودهم بمكان دون اخر ويويد هذا ما رواه الحكيم الترمذي ان الارض
شكت الي ربها انقطاع النبوة فقال تعالى فسوف اجعل علي ظهرك اربعين
صديقا كلما مات منهم رجل ابدلت مكانه رجلا ولا يعارضه حديث الابدال
بالشام لجواز انها مقرهم ولكن يتصرفون في الارض كلها وفي الحلية
ايضا عن ابن مسعود رفعه لا يزال اربعون رجلا من امتي على
قلب ابراهيم اي على حال مثل قلبه فيخصصه وقلبه لافادة الصبر
على البلا بذبح الولد والاحتساب بالمولي والرضى مع التلذذ بما يرضاه
الحبيب والتحبب الي الخلق والبذل والكرم والمبادرة الي النكال بغيبا حدق
الهمم يدفع الله بهم عن اهل الارض كلها وخبر الابدال في اهل
الشام وبهم ينصرون وبهم يرزقون رواه الطبراني بسند حسن
عن عوف بن مالك ونحوه حديث علي عند احمد لا يخالفه لان نصرتهم لمن هم
في جوارهم اتم وان كانت اعم يقال لهم الابدال انهم لم يدركوها
بصلاة ولا بصوم ولا بصدقة قال فبم ادركوها يا رسول
الله قال بالسخا والنصيحة للمسلمين ولا يرد هذا على قول ابي
طالب في قوته بصيرا الابدال ابدالا بالصمت والعزلة والجوع والسهر
لان من بعض هذه الصفات يتصف بالسخا والنصيحة ولابن ابي الدنيا عن
علي قلت يا رسول الله صفهم لي قال ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين
ولا بالمتعمقين لم ينالوا ما نالوا بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسخا
الانفس وسلامة القلوب والنصيحة لايمتهم قال ابن العربي في كتابه
حلية الابدال اخبرني صاحب لنا قال بينا ليلة في مصلاي قد اكملت
وردي وجعلت راسي بين ركبتي اذكر الله تعالى اذ احسست بشخص
قد نقض مصلاي من تحتي وبسط حصيرا بدلها وقال لي صلي عليه فقد
احلني منه فزع فقال من يانس بالله لم يجزع قال اتق الله في كل حال
ثم الهمت الصبر فقلت بماذا تصير الابدال ابدالا قال بالاربعة التي ذكرها
ابو طالب في القوت الصمت والعزلة والجوع والسهر ثم انصرف ولا اعرف
كيف دخل ولا خرج وبابي مغلق قال ابن عربي وهذا رجل من الابدال
اسمه معاذ بن اشرس والاربعة المذكورة هي عماد هذا الطريق وقوامه
ومن لا قدم له فيها ولا رسوخ فهو تايه عن طريق الله قال واذا رحل
البدل عن موضع تترك فيه بدل له حقيقة روحانية يجتمع اليها ارواح
اهل ذلك الموطن الذي رحل عنه هذا الولي فان ظهر شوق شديد من
اناس ذلك الموطن لذلك ~~الشخص اي لهذا الشخص~~ لهذا الشخص تجسد
لهم تلك الحقيقة الروحانية التي تركها بدله فكلمتهم وكلموها وهو

غايب

غايب عنهم وقد يكون هذا من هذا البدل لكن الفرق بينهما ان البدل يرجع
ويعلم انه ترك غيره وغير البدل لا يعرف ذلك وان تركه لانه لم يحكم هذه
الاربعة المذكورة قال وفي ذلك قلت

يا من اراد منازل الابدال • من غير قصد منه للاعمال
لا تطمعن بها فلست من اهلها • ان لم تزاحمهم على الاحوال
واصمت بقلبك واعتزل عن كل من • يدنيك من غير الحبيب الوالي
واذا سهرت وجعت نلت مقامهم • وصحبتهم في الحل والترحال
بيت الولاية قسمت اركانه • سادتنا فيه من الابدال
ما بين صمت واعتزال دايم • والجوع والسهر النزيه العالي

وعن معروف بن فيروز الكرخي بفتح فسكون فخا معجمة نسبة الي
كرخ بغداد الامام شيخ السلسلة استاد السري السقطي لم يكن في العراق
من يربي المريدين في زمنه مثله حتى عرف جميع المشايخ فضله
وكان ابن حنبل وابن معين يختلفان اليه وليسا لانه ولم يكن مثلهما في علم
الظاهر فيقال لهما مثلكما يفعل ذلك فيقولان كيف نفعل اذا جانا امر لم نجده
في كتاب الله ولا سنة رسوله وقد قال تعالى صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين
وكراماته كثيرة وكان يهدي اليه طيبات الطعام فياكل فقيل له ان اخاك
بشر الحافي لا ياكل اخي قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة انما انا ضيف
في دار مولاي مهما اطعمني اكلت مات سنة احدى ومايتين من قال اللهم
ارحم امة محمد في كل يوم كتبه الله من الابدال ان فعل الطاعات واجتنب
المنهيات وان قايل ذلك واذا كان مرتكبا للحرام يوفق للتوبة النصوح
الي ان يكون منهم ثم لا يلزم من كتبه منهم في الاجر كونه منهم حقيقة نحو
حديث من حفظ على امتي اربعين حديثا وخبر اعطي اجر شهيد وهو
في الحلية عن معروف بلفظ من قال كل يوم عشر مرات اللهم اصلح
امة محمد اللهم فرج عن امة محمد اللهم ارحم امة محمد كتب من
الابدال مصاحبة ووصفا بحيث يحشر معهم لا ذاتا فلا ينافي ان قايل ذلك
يكون منهم وان ولد لهم اولاد كثيرة وعن غيره قال من علامة الابدال
ان لا يولد لهم لئلا يشتغلوا بالاولاد عما اقيموا فيه ولا يرد على ذلك الانبيا
ونحوهم لان البدلا لم يصلوا الي مقاماتهم ويروى في مرفوع الي النبي صلى
الله عليه وسلم معضل بان سقط من سنده اثنان فوق وهذا رواه
ابن ابي الدنيا في كتاب الاولياء عن بكر بن خنيس بمعجمة ونون ومهملة
مصغر الكوفي صدوق له اغلاط قال قال النبي صلى الله عليه وسلم علامة
ابدال امتي انهم لا يلعنون شيا من المخلوقات ابدا لان اللعن الطرد والبعد
عن الله وهم انما يقربون الي الله ولا يبعدون عنه وبري عن معاذ مرفوعا
ثلاث من كن فيه فهو من الابدال الرضى بالقضا والصبر عن محارم الله والغضب
والغضب في ذات الله رواه الديلمي وقال يزيد بتحتية اوله فزاي ابن

هرون السلمي مولاهم ابو خالد الواسطي ثقة متقن من رجال الجميع
عابد مات سنة ست ومايتين وقد قارب التسعين **الابدال هم اهل**
العلم النافع وهم علم الظاهر والباطن لا الظاهر وحده **وقال احمد**
الامام بن حنبل **ان لم يكونوا اصحاب الحديث فمن هم** قال الحافظ ابن
رجب الحنبلي في فضل الشام لعل مراد احمد باصحاب الحديث من حفظه وعلمه
وعمل بما فيه فانه نص ايضا على ان اهل الحديث من عمل بالحديث لا من
اقتصر على طلبه ولا ريب ان من علم سنن النبي صلى الله عليه وسلم وعمل
بها وعلمها الناس فهو من خلفا الرسل وورثة الانبيا ولا احد احق بان
يكون من الابدال منه انتهى وقال غيره مراده من هو مثله ممن جمع بين
علمي الظاهر والباطن واحاط بالاحكام والحكم والمعارف كساير الايمة
الاربعة ونظرايهم فهولا خيار الابدال والنجبا والاوتاد فاحذر ان يسو
ظنك باحد منهم وان يسول لك الشيطان ومن استولى عليه ممن لم يهتد
بنور المعرفة ان المجتهدين لم يبلغوا تلك المرتبة وقد اتفقوا على ان الشافعي
كان من الاوتاد وقيل انه تقطب قبل موته **وفي تاريخ بغداد للخطيب**
وطريق الشامي لابن عساكر كلاهما **عن الكتاني** بالمثناة والفوقية نسبة
الى الكتان وهو الامام المحدث المتقن ابي محمد عبد العزيز بن احمد بن
محمد بن علي الكتاني التميمي الدمشقي محدث دمشق ومفيدها سمع الكثير
والف وجمع قال الذهبي ويحتمل ان يوصف بالحفظ في زمنه ولو وجد في
زماننا لعد في الحفاظ وقال ابن الاثير حافظ كبير متقن روى عن تمام
ابن محمد وغيره وعنه الخطيب وابن ماكولا وغيرهما مات سنة تسع
وثمانين وثلثماية **قال النقبا ثلثماية** لعلهم الذين قال فيهم قلوبهم
على قلب ادم **والنجبا سبعون والابدال اربعون والاخيار**
سبعة والعمد اربعة وهم الاوتاد **والغوث واحد فمسكن**
النقبا المغرب ومسكن النجبا مصر المدينة المعروفة فلا تصرف
كقوله ادخلوا مصر **ومسكن الابدال الشام** اي اكثرهم فلا يخالف ما مر
ان ثمانية عشر بالعراق ان صح ثم المراد محل اقامتهم فلا ينافي تصرفهم
في الارض **والاخيار سياحون في الارض** لا يستقرون بمكان **والعمد**
الاوتاد **في زوايا الارض** اي جهاتها الاربع واحد بالمشرق واخر
بالمغرب واخر بالجنوب واخر بالشمال قال ابن عربي ولكل ركن من البيت
ويكون على قلب نبي فالذي على قلب ادم له الركن الشامي وعلى قلب
ابراهيم العراقي و قلب عيسى اليماني وقلب محمد له ركن الحجر الاسود
كذا قال وهو مخالف لما سبق ان قلب المصطفى لا يضارعه احد فلذا لم
يذكر ان احدا على قلبه **ومسكن الغوث** وهو القطب الفرد الجامع
مكة وقيل اليمن رواه ابن عساكر عن ابي سليمان الداراني والاصح
ان اقامته لا تختص بمكة ولا غيرها بل هو جوال وقلبه طواف في حضرة

الحق

الحق تقدس لا يخرج من حضرته ابدا ويشهده في كل جهة ومن كل جهة
وبما جا فيه كما قال بعض المحدثين خبر ابي نعيم مرفوعا ان لله تعالى في كل
بدعة كيد بها الاسلام واهله وليا صالحا يذب عنه ويتكلم بعلاماته فاغتنموا
حضور تلك المجالس بالذب عن الضعفا وتوكلوا على الله وكفى بالله وكيلا
فاذا عرضت الحاجة من امر العامة ابتهل فيها النقبا ثم النجبا
ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان اجيبوا والا ابتهل الغوث
بخصوص تلك الحاجة فلا يخالف ما ورد ان دعوة المومن لا ترد لا سيما وحال
هولا يقتضي اجابة دعايهم دايما الا ان الاجابة قد تكون بخصوص المسول
وقد تكون بغيره وقد تدخر للقيامة وقد توخر الاجابة فتشتد الضرورة
لحصول المطلوب في ذلك الوقت فيبتهل الغوث لتنجيز المسول دفعا للضرورة
ما امكن **فلا تتم مسالته حتى تجاب دعوته** لطفا من الله بعباده
وقد زعم ابن الجوزي ان احاديث الابدال كلها موضوعة ونازعه السيوطي
وقال خبر الابدال صحيح فان شيت قلت متواتر يعني تواترا معنويا
كما اشار اليه بعد وقال السخاوي له طرق عن انس بالفاظ مختلفة كلها
ضعيفة ثم ساق ما ذكره المصنف وزيادة ثم قال واحسن مما تقدم ما
رواه احمد من حديث شريح يعني ابن عبيد قال ذكر اهل الشام عند علي
وهو بالعراق فقالوا العنهم يا امير المومنين قال لا اني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الابدال يكونون بالشام وهم اربعون
رجلا كلما مات رجل ابدل الله مكانه رجلا يستسقى بهم الغيث وينتصر
بهم على الاعدا ويصرف عن اهل الشام بهم العذاب رجاله من رواة الصحيح
الا شريحا وهو ثقة انتهى وقال السيوطي حديث علي اخرجه احمد
والطبراني والحاكم من طرق اكثر من عشرة انتهى قال السخاوي ومما
يقوي الحديث ويدل لانتشاره بين الايمة قول الشافعي في بعضهم كنا
نعده من الابدال وقال البخاري في غيره كانوا لا يشكون انه من الابدال
وكذا وصف وغيرهما من النقاد والحفاظ والايمة غير واحد بانهم من الابدال
ويقال ما تغرب الشمس يوما الا ويطوف بالبيت رجل من الابدال
ولا يطلع الفجر من ليلة الا ويطوف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك
كان سبب رفعه من الارض **ومنها انهم يدخلون قبورهم بذنوبهم**
غير معرضين عنها ولا تائبين **ويخرجون منها بلا ذنوب تمحص**
عنهم باستغفار المومنين لهم بيان لسبب خروجهم بلا ذنوب كانه
قال لانها تمحص عنهم بسبب ذلك المغفرة لهم والتمحيص تنقيص
الشي شيا فشيا الى ان تذهب فاستغفار المومنين يزيل الذنوب
شيا فشيا حتى تذهب فيخرج من قبره طاهرا منها وقد يكون محبسا
به في قبره ويبقى في مدة فيه اما معاقبا به على جميعها او على بعضها مع العفو
عن باقيها فيخرج ايضا طاهرا منها قال الحكيم الترمذي انما هو سب المومن

في قبره ليكون أهون عليه في الموقف فتمحص ذنوبه في البرزخ فيخرج
منه وقد اقتص منه وايضا ليسترهم في المحشر حيث لم يكن عليهم ما يفتضحون
به على رؤس الاشهاد رواه الطبراني في الاوسط من حديث انس
ولفظه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة الاجابة
امة مرحومة من الله ومن بعضهم لبعض مغفور لها من باريها متاب عليها
من الله يعني انه لا يتركها مصرة على الذنب ورواه ابن ماجة والبيهقي في
البعث بلفظ ان هذه الامة مرحومة تدخل قبورها بذنوبها والروايتان
متفقتان معنى في صدر الحديث ولفظا ومعنى في باقيه وتخرج من
قبورها لا ذنوب عليها تمحص عنها باستغفار المومنين لها
فتزول جميعها حقيقة او حكما بزوال معظمها للادلة القطعية انه لا بد من
دخول طائفة من عصاة هذه الامة النار لكنه لما قل بالنسبة لما ذهب
نزل منزلة العدم حتى كانها غفرت جميعها وروى ابو داود وغيره امتي
هذه امة مرحومة ليس عليها عذاب في الاخرة انما عذابها في الدنيا في
الفتن والزلازل والقتل والبلايا ونفي عذابها في الاخرة بمعنى ان من عذب
منهم لا يحس بالم النار الا قليلا كما ورد مرفوعا اذا ادخل الله الموحدين النار
اماتهم فيها اماتة فاذا اراد ان يخرجهم منها امسهم الم العذاب تلك الساعة
رواه الديلمي ولحقه المها قال صلى الله عليه وسلم انما حرجهم على امتي
كحر الحمام رواه الطبراني برجال ثقات ولا تناقض بين الحاصرين لانها تكون
عليهم عند احيايهم والامر باخراجهم كحر الحمام اللطيف الذي لا يوذي الجسم
ولا يوهنه وروى الدارقطني عن ابن عباس رفعه ان حظ امتي من النار
طول بلائها تحت التراب وزعم ان المراد لا عذاب عليها في عموم الاعضا لان
اعضا الوضو لا تمسها النار مستغنى عنه وقوله الفتن اي الحروب والهرج
بينهم والبلايا التي منها استيفاء الحد ممن فعل موجبه وعجلت العقوبة على
الذنب في الدنيا لان شان الامم السالفة كان يجري على سبيل العدل واساس
الربوبية وشان هذه الامة يجري على نهج الفضل فمن ثم ظهر في بني اسرايل
السياحة والرهبانية فعليهم في شريعتهم الاغلال والاصار وظهرت في هذه
الامة السماحة ففك عنهم الاغلال ووضع عنهم الاصار كما مر ومنها انهم
اختصوا في الاخرة بانهم اول من تنشق عنهم الارض من الامم
بعد الانبيا رواه ابو نعيم عن ابن عباس مرفوعا من حديث بلفظ
وانا اول من تنشق الارض عني قبل الانبيا وعن امتي قبل الامم
ولا فخر اعظم من ذلك او لا اقوله ذكرا افتخارا بل تحدثا بالنعمة ومنها
انهم يدعون يوم القيامة الى موقف الحساب او الميزان او الصراط او
الحوض او غير ذلك غرا بضم المعجمة والتشديد جمع اغر اي ذوي غرة
محجلين من اثار الوضو رواه البخاري ومسلم من حديث ابي
هريرة والغرة بياض في وجه اي جبهة الفرس فوق الدرهم والتحجيل

اصله

اصله من الحجل بكسر الحا الخلخال بياض في قوايمه الاربع او في ثلاث منها
او في غيره وذلك مما يكسبه حسنا وجمالا فشبه صلى الله عليه وسلم
النور الذي يكون يوم القيامة في اعضا الوضو بالغرة والتحجيل
ليفهم ان هذا البياض في اعضا الانسان مما يزينه بفتح اوله لا مما يشينه
دفعا لتوهم البرص لو قال يدعون بيضا مثلا يعني انهم اذا دعوا على رؤس
الاشهاد نودوا بهذا الوصف بان يقال لهم يا غر يا محجلون او كانوا
على هذه الصفة وهي النور الكاين باعضايهم وان نودوا باسمايهم
وظاهره حجة للشافعي في ندب اطالة الغرة بغسل زايد على ما وجب من
اليدين والرجلين ومع الوجه مقدم الراس وصفحة العنق وذهب الايمة
الثلاثة الى عدم ندب ذلك واولوا الاطالة في قوله فمن استطاع منكم ان
يطيل غرته فليفعل بادامة الوضو ومنها انهم يكونون في الموقف مع نبيهم
على مكان عال عبر عنه في الحديث تارة بكوم واخرى بتل رواه ابن جرير
وابن مردويه من حديث جابر مرفوعا بلفظ وامتي نكون على كوم
فهو صلة محذوف مشرفين على الخلايق ما بقي من الناس احد الا ود
تمنى انه منا لنيل هذا المقام والاستراحة مما في الموقف من الزحام
وما من نبي كذبه قومه الا ونحن نشهد له انه بلغ رسالة ربه كما قال
تعالى لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قاله ابن
عبد السلام وهذه خصوصية لم تثبت لغيرهم وعند ابن مردويه من
حديث كعب بن مالك الانصاري قال صلى الله عليه وسلم انا وامتي على
تل مكان عال قال في الانموذج ولهم نوران كالانبيا وليس لغيرهم الا نور
واحد ومنها ان لهم سيما فعلى من سامه اذا علمه وقد قرئ بمدة في
وجوههم من اثر السجود قال تعالى سيماهم علامتهم مبتدا في وجوههم
خبره من اثر السجود متعلق بما تعلق به الخبر اي كاينة واعرب حالا من
ضميره المستقر الى الخبر وهل هذه العلامة في الدنيا او في الاخرة
فيه قولان احدهما انها في الدنيا قال ابن عباس في رواية ابي طلحة
عنه هي السمت الحسن اي السكينة والوقار وقال ابن عباس في رواية
مجاهد عنه ليست السيما بالتي ترون من الاثر في جباه الساجد بل هي سمة
الاسلام وسيماه وخشوعه وعن البيضاوي تفسيرها بالاثر قال
يريد السمة التي تحدث في جباههم من كثرة السجود وقيل هي الصفرة في
الوجه من اثر السجود فتحسبهم مرضى وما هم بمرضى وذلك محمود بخلاف
ما اذا لم يكن لغيرهم سجود ولا علة روى ابو نعيم في الطب عن انس رفعه
اذا رايتم الرجل اصفر الوجه من غير مرض ولا عبادة فذاك من
غش الاسلام في قلبه وروى الديلمي عن ابن عباس مرفوعا احذروا صفر
الوجوه فانه ان لم يكن من علة او سهر فانه من غل في قلوبهم للمسلمين
والقول الثاني انه في الاخرة بمعنى ان موضع السجود من وجوههم

خبر كما

يكون اشد بياضا يوم القيامة من بقية اجسادهم يعرفون بتلك
العلامة انهم سجدوا في الدنيا رواه العوفي بفتح المهملة وسكون
الواو وبالفا عطية بن سعد بن جنادة بضم الجيم بعدها نون خفيفة ابو
الحسن الكوفي صدوق يخطي كثيرا وكان شيعيا مدلسا مات سنة احدى عشر
ومائة روى له ابو داود والترمذي والنسائي وهو المراد عند الاطلاق
كما في الانساب من التقريب فليس المراد به يحيى بن يعمر قاضي مرو كما توهم
من قول اللباب يروي عن ابن عباس وابن عمر عن ابن عباس وروي عن
شهر بن حوشب الاشعري الشامي مولى اسما بنت يزيد بن السكن
تابعي صدوق كثير الارسال والاوهام مات سنة اثنتي عشر ومائة روى
له مسلم واصحاب السنن يكون يوم القيامة مواضع السجود من وجوههم
كالقمر ليلة البدر وايد ذا القول بقوله صلى الله عليه وسلم امتي يوم
القيامة غر من السجود محجلون من الوضو رواه الترمذي عن عبد الله
ابن بسر بضم الموحدة وسكون المهملة اي من اثر سجودهم في الصلاة واثر
وضوئهم في الدنيا وقد سجدت الامم قبلهم فلم يظهر على جباههم ذلك
النور وتطهروا فلم يظهر على اطرافهم من ذلك شي فهو علامة هذه الامة
في الموقف بها يعرفون ذكره الحكيم الترمذي ولا تنافي بين هذا الحديث
وتنافي وبين حديث الصحيحين ان امتي يدعون يوم القيامة غرا
محجلين من اثار الوضو لان المومن يكسى يوم القيامة نورا من اثر السجود
ونورا من اثر الوضو نور على نور فمن كان اكثر سجودا واكثر وضوا في
الدنيا كان وجهه اعظم ضيا واشد اشراقا من غيره فيكون فيه على
مراتب في عظم النور والانوار لا تزاحم الا ترى انه لو دخل سراج
في بيت ملاه نورا فاذا ادخل فيه اخر واخر تزايد النور ولا يزاحم
الثاني الاول ولا الثالث الثاني وهكذا وقال عطا بن ابي مسلم
ابو عثمان الخراساني واسم ابيه ميسرة وقيل عبد الله يهم كثيرا
[illegible] ويرسل ويدلس مات سنة خمس وثلاثين ومائة روى له
النسائي وابن ماجة ولم يصح ان البخاري اخرج له ودخل في هذه
الاية كل من حافظ على الصلوات الخمس فليس المراد النوافل فقط
فما تقرب متقرب الى الله باحب من ادا ما افترض عليه ومنها انهم
يوتون كتبهم بايمانهم رواه البزار وغيره ومنها ان نورهم
يسعى بين ايديهم امامهم على الصراط ويكون بايمانهم قال تعالى
يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي الى الجنة اخرجه احمد باسناد
صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعرف امتي يوم القيامة
من بين الامم اعرفهم يوتون كتبهم بايمانهم واعرفهم سيماهم في وجوههم
من اثر السجود واعرفهم يوتون كتبهم بايمانهم واعرفهم بسيماهم

في

في وجوههم من اثر السجود واعرفهم بنورهم يسعى بين ايديهم زاد
الانموذج ويمرون على الصراط كالبرق والريح ويشفع محسنهم في مسيئهم
ومنها ان لهم ما سعوا اي عملوا فكتب لهم ثواب اعمالهم وما يسعى لهم
اي يعمل لاجلهم من صدقة ودعا وغيرهما على ما ياتي وليس لمن قبلهم
الا ما سعى قاله عكرمة رواه ابن ابي حاتم وغيره عنه واما قوله
تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى قال البيضاوي الا سعيه اي
كما لا يواخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جا في الاخبار من ان الصدقة
والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنايب عنه ففيها ابو حفص
الجواب عنها اجوبة ما الظرفية هنا اعتبارية فلا ينافي كان المتبادر
فيها وليس من معاني عن وكلا في فلا ترد بمعناها فقد ذكرها صاحب
المغني جملة ما ذكر لعن عشرة معان ليس فيه ورودها بمعنى في احدها
انها منسوخة روي ذلك عن ابن عباس نسخها قوله تعالى والذين
امنوا واتبعناهم معطوف على امنوا ذرياتهم الكبار والصغار بايمان
من الكبار ومن الابا في الصغار ثم الذين امنوا مبتدا والخبر قوله
الحقنا بهم ذرياتهم المذكورين في الجنة فيكونون في درجتهم وان لم
يعملوا اعمالهم تكرمة للابا باجتماع الاولاد اليهم فيحمل الولد الطفل في
ميزان ابيه اي في درجته او في دخول الجنة ويشفع الله تعالى
الابا في الابنا والابنا في الابا اي ياذن لكل منهم في الشفاعة
فيشفع واذا شفع قبل شفاعته بدليل قوله تعالى واباوكم وابناوكم مبتدا خبره
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا في الدنيا والاخرة فتظنون ان ابنه انفع
له فيعطيه الميراث فيكون الاب انفع وبالعكس وانما العالم هو الله تعالى
فرض لكم الميراث اخرج ابن مردويه وصححه الضيا المقدسي عن ابن
عباس رضه اذا دخل الرجل الجنة سال عن ابويه وزوجته وولده
فيقال انهم لم يبلغوا درجتك او عملك فيقول يارب قد عملت لي ولهم
فيومر بالالحاق به واخرجه الطبراني والبزار وابو نعيم عن ابن عباس
مرفوعا بلفظ ذرية المومن في درجته وان كانوا دونه في العمل لتقر
بهم عينه ثم قرا والذين امنوا الى قوله وما التناهم من عملهم من شي قال
ما نقصنا الابا بما اعطينا البنين هذا وقد ضعف ابن عطية هذا القول
بالنسخ بان قوله وان ليس الاية خبر والخبر لا ينسخ ولان شروط النسخ
ليست هنا قال اللهم الا ان يتجوز في لفظ النسخ وقال ابن القيم في كتاب
الروح ذهبت طايفة الى انها منسوخة وروي عن ابن عباس وهو
ضعيف ولا يرفع حكم الاية بمجرد قول ابن عباس ولا غيره انها منسوخة
قال والجمع بين الايتين غير متعذر كذا قال وفيه انه اذا صح ما روي
عن ابن عباس كان في حكم الرفع لانه لا مجال للراي فيه الثاني انها
مخصوصة بالكافر اي كافرا او كافر مخصوص اختلف فيه على ما ياتي

واما المؤمن فله ما سعى اي عمل غيره عنه بنيته على تفصيل وخلاف
مقرر في الفروع قال القرطبي وكثير من الاحاديث يدل على هذا
القول وان المؤمن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره عنه
بالنية وفي الصحيح للبخاري ومسلم عن عايشة عن النبي صلى
الله عليه وسلم من مات عام في المكلفين بقرينة خبره بقرينة قوله
وعليه صيام هذا لفظ الصحيحين ولم يصب من عزاه لهما بلفظ صوم صام
عنه ولو بغير اذنه وليه جوازا لا لزوما واليه ذهب الشافعي في القديم
وعمل به الجمهور وقال في الجديد وهو مذهب ابي حنيفة ومالك لا يجوز
الصوم عن الميت لانه عبادة بدنية والمراد بوليه على الاول كل قريب او
الوارث او عصبته وخرج الاجنبي فانما يصوم باذنه او وليه باجر او دونه
وقال صلى الله عليه وسلم للذي حج عن غيره كما روى ابو داود وابن
ماجه برجال ثقات عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع
رجلا يقول لبيك عن شبرمة فقال من شبرمة قال اخ او قريب لي قال
حججت عن نفسك قال لا قال حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة بضم الشين
المعجمة واسكان الموحدة وضم الراء قال الحافظ في تخريج احاديث الشرح
الكبير زعم ابن باطيش ان اسم الملبي نبيشة ومن النوادر ان بعض
القضاة ممن ادركنا صحف شبرمة فقال شبرميت بلفظ العزبة التي
تكون بالجيزة انتهى ومن عليه حج الفرض لا يصح حجه عن غيره فان احرم
عنه وقع عن نفسه وعليه الشافعي وصححه ابو حنيفة ومالك مع الكراهة
والجمهور على كراهة اجارة الانسان نفسه للحج لكن حمل على قصد الدنيا
اما بقصد الاخرة لاحتياجه للاجرة ليصرفها في واجب او مندوب فلا
وعن عايشة انها اعتكفت عن اخيها شقيقها عبد الرحمن
واعتقت عنه بعد موته فجاة سنة ثلاث وخمسين وقيل بعدها في
طريق مكة وقال سعد بن عبادة سيد الخزرج للنبي صلى الله
عليه وسلم ان امي عمرة بنت مسعود الصحابية توفيت سنة خمس
والنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة دومة الجندل في شهر ربيع
ومعه سعد فلما جا النبي صلى الله عليه وسلم المدينة اتى قبرها
فصلى عليها ذكره ابن سعد افاتصدق عنها قال نعم قال اي
الصدقة افضل قال سقي الما ولعله كان وقت السوال الناس
احوج الى الما من غيره لغلته في ذلك الموضع او لشدة حرارته كما هو
الغالب في الحجاز والا فالصدقة بالطعام وان قل عند كثرة الما وتيسره
افضل والنبي صلى الله عليه وسلم سيد الحكما فيجيب كل سايل بما هو
الافضل في حقه قال ابن القيم في كتاب الروح وافضل الصدقة ما
صادف حاجة من المتصدق عليه وكان دايما مستمرا ومنه قوله افضل الصدقة
سقي الما وهذا في موضع يقل فيه الما ويكثر العطش والا فسقي الما على

الانهار

الانهار والغدر لا يكون افضل من اطعام الطعام عند الحاجة وفي الموطا
للامام مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الانصاري
المدني القاضي مات سنة خمس وثلاثين ومائة وهو ابن سبعين سنة عن
عمته ام كلثوم او ام عمرو فهي عمته الحقيقية لا المجازية التي هي عمرة بنت
حزم جد عبد الله الصحابية لانه لم يدركها انها حدثته عن جدته
انها جعلت على نفسها مشيا الى مسجد قبا فماتت ولم تقضه
اي لم تفعله فافتى عبد الله بن عباس ابنتها ان تمشي عنها ففي هذا كله
دلالة على ان للمؤمن ما سعى غيره لكن هذا مذهب صحابي وقد اعقبه
في الموطا بقوله قال يحيى سمعت مالكا يقول لا يمشي احد عن احد على ان الراجح
ان من نذر مشيا الى غير بيت الله الحرام وما الحق به لا يجب عليه لا لعبادة
ولا لغيرها عند الشافعية وقال مالك من نذر المشي الى المدينة او ايليا
فليس عليه ذلك الا ان ينوي صلاة بمسجد بها فيركب ومن المغترين من
قال ان الانسان في الاية ابو جهل فيزعمون هذه الامة ومنهم من
قال عقبة بن ابي معيط الكافر المقتول بعد انصرافهم من بدر صبرا
ومنهم من قال الوليد بن المغيرة الميت على كفره قبل وقعة بدر
فعمومها على هذه الاقوال مخصوص بواحد مختلف في تعيينه ومنهم
من قال الاية اخبار عن شرع من قبلنا لان قبلها ام لم ينبا بما في صحف
موسى وابراهيم وقد دل شرعنا على ان الانسان له سعيه وما
سعي له وهذا قول عكرمة ومنهم من قال الانسان بسعيه في
الخير وحسن صحبته وعشرته اكتسب الاصحاب اي تسبب في
وقوع الصحبة بينه وبين غيره واهدى لهم الخير وتودد اليهم
فصار ثوابهم له بعد موته من سعيه لان الدال على الخير كفاعله
وقد انتفع اصحابه منه بمعرفة الخصال الحميدة فعملوا بها فحصل له
بتسببه في حصول ذلك لهم مثل ثواب ما عملوه ومنهم من قال
الانسان في الاية للحي دون الميت يعني ان الحي لا يسقط عنه الحج
مثلا ما دام حيا بحج غيره عنه بخلاف ما لو فعل عنه بعد موته فينفعه عند
هذا القول قال ابن القيم في كتاب الروح وهذا ايضا من النمط الاول
من الفساد وهذا كله من سوء التصرف في اللفظ العام وصاحب هذا
التصرف لا ينفذ تصرفه في دلالات الالفاظ وحملها على خلاف موضوعها
وما يتبادر الى الذهن منها وهو تصرف فاسد قطعا يبطله السياق
والاعتبار وقواعد الشرع وادلته وعرفه وسبب هذا التصرف السيء ان
صاحبه يعتقد قولا ثم يرد كل ما دل على خلافه باي طريق اتفقت
له فالادلة المخالفة له كالصايل لا يبالي باي شيء دفعه وادلة
الحق لا تتعارض ولا تتناقض بل يصدق بعضها بعضا انتهى ومنهم من
قال لم ينف في الاية انتفاع الرجل بسعي غيره له وانما نفى ملكه

الي الاجابة واكثر بركة والثاني ذكر الشيخ عبد الكريم بن احمد بن الحسن
ان محمد بن الفقيه الشالوسي بشين معجمة ولام مضمومة ثم سين مهملة
كما ضبطه ابن السمعاني وغيره نسبة الي شالوس قرية كبيرة بنواحي امل
طبرستان كان فقيه عصره بامل ومدرسها واعظا زاهدا وبيته بيت
العلم والزهد مات سنة خمس وستين واربعمائة قال الاسنوي وهم النووي
في التهذيب فاهمل سنيه الاولي ايضا واهل المشرق خصوصا السمعاني اعرف
ببلادهم من اهل الشام ولا شك ان النووي هنا لم ينظر الي السمعاني ولا غيره
وانما اعتمد علي ما يتعلق به كثير من المتفقهة الذين لا اطلاع لهم علي ذلك انه
ان نوي القاري بقراته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه قال شيخنا
المعتمد انه لم يلحقه ثوابها حيث قرا بحضرته او دعا له عقبها او نواه بها وان لم
يكن عنده ولا دعا له لكن لو قرا ثم جعل ما حصل من الاجر له فهذا
دعا بحصول ذلك الاجر للميت فينتفع الميت بذلك الدعا قال النووي
في زيادات الروضة ظاهر كلام القاضي حسين صحة الاجارة
مطلقا وهو المختار فان موضع القراة موضع بركة وتنزل الرحمة
وهذا مقصود ينفع الميت وقال الرافعي وتبعه النووي في باب
الوصية الذي يعتاد سبق للجمهور من قراة القران علي راس القبر
قد ذكرنا في باب الاجارة طريقين هما السابقان في عود فايدتها
الي الميت وعن القاضي ابي الطيب طريق ثالث وهو ان الميت
كالحي الحاضر فيرجي له الرحمة ووصول البركة اذا اهدي الثواب اليه
القاري قريبا او اجنبيا وقال ابو عبد الله الشالوسي اذا نوي بقراته
ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه اذا جعل ذلك قبل حصوله اي الثواب
وتلاوته عبادة البدن فلا يقع عن الغير وان قرا ثم جعل ما
حصل من الثواب للميت فينفعه اذ قد جعل من الاجر لغيره اي
لانه جعل بدعايه عقب القراة شيا من اجرها للميت فينفعه لكن اطلاق
ان الدعا ينفع الميت اعترض عليه بعضهم بانه موقوف علي الاجابة
ونحن لا نعلمها ويمكن ان يقال في الجواب الدعا للميت مستجاب كما اطلقوا
اعتمادا علي سعة فضل الله فلا اعتراض وهو جواب لين وقال
الرافعي وتبعه النووي يستوي في الصدقة والدعا الوارث
والاجنبي علي ظاهر الاخبار قال الشافعي ومن وسع الله من فضله
ان يثيب المتصدق ايضا ومن ثم قال الاصحاب يستحب ان ينوي
المتصدق الصدقة عن ابويه مثلا فان الله ينيلهما الثواب ولا ينقص
من اجره شيا وقول الزركشي ما ذكر في الوقف يلزمه دخول ملكه وتمليكه
الغير ولا نظير له رد بان هذا يلزم في الصدقة ايضا وانما لم ينظر له
لان جعله كالمصدق محض فضل فلا يضر خروجه عن القواعد لو احتيج
لذلك التقدير مع انه غير محتاج اليه بدليل يصح نحو الوقف عن الميت

وللفاعل

وللفاعل ثواب البر وللميت ثواب الصدقة المرتبة عليه ذكره الرملي وذكر
صاحب العدة انه لو انبط بفتح الهمزة واسكان النون فموحدة مفتوحة
فطا مهملة اي استخرج بعمله عينا او حفر بيرا او غرس شجرا او ياتي الحديث
بخلاف كانه لانه غالب شجر المدينة او وقف مصحفا في حال حياته او فعل
غيره ذلك عنه بعد موته يلحق الثواب بالميت وقال الرافعي والنووي
ان هذه الامور اذا صدرت من الحي فهي صدقات جارية يلحق ثوابها
بعد الموت كما ورد في الخبر كقوله صلي الله عليه وسلم ان مما يلحق المومن
من عمله وحسناته بعد موته علما نشره وولدا صالحا تركه ومصحفا ورثه ومسجدا
بناه او بيتا لابن السبيل بناه او نهرا اجراه او صدقة اخرجها من ماله في صحته
وحياته تلحقه من بعد موته رواه ابن ماجة عن ابي هريرة باسناد حسن
وروي البزار عن انس مرفوعا سبع تجري للعبد اجرها بعد موته وهو في
قبره من علم علما او اجري نهرا او حفر بيرا او غرس نخلا او بني مسجدا
او ورث مصحفا او ترك ولدا يستغفر له بعد موته وروي ابن عساكر عن
ابي سعيد رفعه من علم اية من كتاب الله او بابا من علم انمي الله اجره الي
يوم القيامة وروي احمد والطبراني عن ابي امامة رفعه اربعة تجري
عليهم اجورهم بعد الموت من مات مرابطا في سبيل الله الحديث فتحصل من
هذه الاحاديث احد عشر امرا يلحق بعد الموت نظمها السيوطي فقال

اذا مات ابن ادم ليس يجري • عليه من فعال غير عشر
علوم بثها ودعا نجل • وغرس النخل والصدقات تجري
وراثة مصحف ورباط ثغر • وحفر البير او اجرا نهر
وبيت للغريب بناه ياوي • اليه او بنا محل ذكر
وتعليم لقران كريم • فخذها من احاديث بحصر

ولا يرد ان هذه احد عشر فينافي قوله غير عشر لانه نوع التاسع او برحم
شي وزاد عليه او قال للبيت الاخير بعد ذلك ويدل له خطه في شرح ابن
ماجة لم يذكر الاخير وهو تعليم لقران وهو ويعارض هذا قوله صلي
الله عليه وسلم اذا مات الانسان وفي رواية ابن ادم انقطع عمله الا من
ثلاث الا من صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له رواه
مسلم وغيره عن ابي هريرة لان هذه الثلاثة في الحقيقة امهات
يرد اليها كثير من الانواع ولا يختص الحكم بوقف المصحف بل يلتحق
به كل ما وقف كما صرح به في الحديث في قوله او مسجد الي اخره ومعني
قوله في الخبر ومصحفا ورثه بالتشديد به خلفه لوارثه قال بعض
ويظهر ان مثله كتب الحديث كالصحيحين وهذا القياس يقتضي
جواز التضحية عن الميت بلا كراهة لانها ضرب من الصدقة
لكن في التهذيب انه لا تجوز التضحية عن الغير بغير امر
وكذا عن الميت الا ان يكون اوصي به وهذا هو المعتمد في المنهاج

لسعي غيره لان قايل ذلك يريد ان اللام في الانسان للملك وهو
احص من مجرد انتفاع الانسان بمال غيره وهو المراد ههنا فمن
تصدق عن غيره مثلا بماله لا يصير المال مقصورا نفعه علي من تصدق
عنه بحيث ينتفي ثوابه بالكلية عن المتصدق واشار لذلك بقوله
وبين الامرين فرق واذا اردت بيانه فقال الزمخشري ما يفيده
من قوله تعالي وان ليس للانسان الا ما سعي فان قلت اما صح في
الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وهما سعي غيره قلت فيه
جوابان احدهما ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا علي سعي
نفسه وهو ان يكون مومنا مصدقا فالصدقة علي الكافر ونحوها
لا تنفعه بل يحرم علي المسلم فعل ذلك وانما ينفعه الصدقة ونحوها اذا
كان مسلما مقرا بسببه في حصول نفع غيره فلذلك كان سعي
غيره كانه سعي نفسه لكونه تابعا له وقايما مقامه اي موجودا
لاجل وجود الايمان منه فنزل منزلته ايمانه الذي هو سبب في حصول ذلك له
منزلة ما لو تصدق هو عن نفسه والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا
عمله لنفسه اي الغير ولكن اذا نواه له فهو في حكم الشرع كالنايب
عنه والوكيل القايم مقامه فيحصل ثوابه اليه تنزيلا له منزلة المتصدق
واستبعده امام الحرمين بانه لم يامر به واوله بانه يقع عن المتصدق وينال
الميت بركته ورده ابن عبد السلام بان ما ذكروه من وقوع الصدقة
نفسها عن الميت حتي يكتب له ثوابها هو ظاهر السنة والصحيح من الاجوبة
ان قوله وان ليس للانسان الا ما سعي عام مخصوص بما تقدم من
الاجوبة فالاية محكمة كما عليه الجمهور لا منسوخة قال ابن عطية والتحرير عندي
ان ملاك المعني في اللام من قوله للانسان فاذا حققت الشي الذي حق
الانسان ان يقول لي كذا لم يجده الا سعيه وما زاد من رحمة لشفاعة او رعاية
اب صالح او ابن صالح او تضعيف حسنات ونحو ذلك فليس هو للانسان ولا
يصح ان يقول لي كذا الا علي تجوز والحاق بما هو له حقيقة وسال عبد الله
ابن طاهر والي خراسان الحسين بن الفضل عن هذه الاية مع قوله
تعالي والله يضاعف لمن يشاء فقال له بالعدل الا ما سعي وله بالفضل ما شاء
الله وقد اختلف العلما في ثواب القراة هل يصل للميت فذهب
الاكثرون بل الجمع الي المنع وهو المشهور من مذهب الشافعي
لكن المحققون من متاخري مذهبه علي الوصول اي وصول مثل ثواب
القاري للميت واولوا المنع علي معني وصول عين الثواب الذي للقاري
او علي قراته لا بحضرة الميت ولا بنية القاري ثواب قراته له او نواه ولم
قال ابن الصلاح وينبغي الجزم بنفع اللهم اوصل ثواب ما قراناه
اي مثله فهو المراد وان لم يصرح به لفلان لانه اذا نفعه الدعا بما ليس
للداعي فما له اولي ويجري ذلك في ساير الاعمال ومالك لكن قال الامام

ابن

ابن رشد مع نوازله ان قرا ووهب ثواب قراته لميت جاز وحصل للميت
اجره ووصل اليه نفعه وقال ابو عبد الله الابي ان قرا ابتدا بنية الميت
وصل اليه ثوابه كالصدقة والدعا وان قرا ثم وهبه له لم يصل لان ثواب
القراة للقاري لا ينتقل عنه الي غيره وقال العلامة الشهاب القرافي
الذي يتجه ان يحصل للموتي بركة القراة كما يحصل لهم بركة الرجل الصالح
يدفن عندهم او يدفنون عنده ووصول القراة للميت وان حصل الخلاف
فيها فلا ينبغي اهمالها فلعل الحق الوصول فان هذه الامور مغيبة عنا
وليس الخلاف في حكم شرعي انما هو في امر هل يقع كذلك ام لا وكذلك التهليل
الذي عادة الناس يعملونه اليوم ينبغي ان يعمل ويعتمد فضل الله وجوده
واحسانه هذا هو اللايق بالعبد انتهي ونقل عن جماعة من الحنفية و
وقال كثير من الشافعية والحنفية يصل وبه قال احمد بن حنبل
بعد ان قال القراة علي القبر بدعة مكروهة وهو اصل مذهب
مالك بل نقل عن الامام احمد يصل الي الميت كل شي من صدقة وصلاة
وحج واعتكاف وقراة وذكر وغير ذلك كالدعا له فقد صح خبر ان الله
يرفع درجة العبد في الجنة باستغفار ولده له ومعني نفعه بالدعا حصول
المدعو له به اذا استجيب واستجابته محض فضل منه تعالي ولا يسمي في
العرف ثوابا اما نفس الدعا وثوابه فللداعي لانه شفاعة اجرها
للشافع ومقصودها للمشفوع له نعم دعا الولد يحصل ثوابه نفسه للوالد
الميت لان عمل ولده لتسببه في وجوده من جملة عمله كما صرح به خبر اذا مات
ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث ثم قال او ولد صالح اي مسلم يدعو له
فجعل دعاه من جملة عمل الوالد وانما يكون منه ويستثني من انقطاع
العمل ان اريد نفس الدعا لا المدعو به وذكر الشيخ شمس الدين بن
القطان العسقلاني ان وصول ثواب القراة الي الميت من قريب
او اجنبي هو الصحيح مع النية وهو المعتمد عند متاخري الشافعية كما
تنفعه الصدقة عنه والدعا والاستغفار له بالاجماع المويد بتصريح
كثير من الاحاديث وقد افتي القاضي حسين بان الاستيجار لقراة
القران علي راس القبر جايزة وان قلنا بكراهة القراة علي
القبر لان المكروه من الجايز كالاستيجار للاذان وتعليم القران
قال الرافعي وتبعه النووي عود المنفعة الي المستاجر شرط
في الاجارة فيجب عود المنفعة من هذه الاجارة الي المستاجر او
ميته لكن المستاجر لا ينتفع بان يقرا الغير له ومشهور ان
الميت لا يلحقه ثواب القراة المجردة عن نيته بها والدعا بوصول
ثوابها له فالوجه تنزيل الاستيجار علي صورة انتفاع الميت بالقراة
وذكروا له طريقين احدهما ان يعقب القراة بالدعا للميت من
من قريب او اجنبي فان الدعا يلحقه والدعا بعد القراة اقرب

الي الاجابة واكثر بركة والثاني ذكر الشيخ عبد الكريم بن احمد بن الحسن
ان محمد بن الفقيه الشالوسي بشين معجمة ولام مضمومة ثم سين مهملة
كما ضبطه ابن السمعاني وغيره نسبة الي شالوس قرية كبيرة بنواحي امل
طبرستان كان فقيه عصره بامل ومدرسها واعظات اهدا وبيته بيت
العلم والزهد مات سنة خمس وستين واربعمائة قال الاسنوي وهم النووي
في التهذيب فاهمل سنة الاولي ايضا واهل المشرق خصوصا السمعاني اعرف
ببلادهم من اهل الشام ولا شك ان النووي هنا لم ينظر الي السمعاني ولا غيره
وانما اعتمد علي ما يتعلق به كثير من المتفقهة الذين لا اطلاع لهم علي ذلك انه
اذ نوي القاري بقراته ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه قال شيخنا
المعتمد انه لم يلحقه ثوابها حيث قرا بحضرته او دعا له عقبها او نواه بها وان لم
يكن عنده ولا دعا له لكن لو قرا ثم جعل ما حصل من الاجر له فهذا
دعا بحصول ذلك الاجر للميت فينتفع الميت بذلك الدعا قال النووي
في زيادات الروضة ظاهر كلام القاضي حسين صحة الاجارة
مطلقا وهو المختار فان موضع القراة موضع بركة وتنزل الرحمة
وهذا مقصود ينفع الميت وقال الرافعي وتبعه النووي في باب
الوصية الذي يعتاد سبق للمجهول من قراة القران علي راس القبر
قد ذكرنا في باب الاجارة طريقين هما السابقان في عود فايدتها
الي الميت وعن القاضي ابي الطيب طريق ثالث وهو ان الميت
كالحي الحاضر فيرجي له الرحمة ووصول البركة اذا اهدي الثواب اليه
القاري قريبا او اجنبيا وقال ابو عبد الله الشالوسي اذ انوي بقراته
ان يكون ثوابها للميت لم يلحقه اذا جعل ذلك قبل حصوله اي الثواب
وتلاوته عبادة البدن ولا يقع عن الغير وان قرا ثم جعل ما
حصل من الثواب للميت فينفعه اذ قد جعل من الاجر لغيره اي
لانه جعل بدعائه عقب القراة شيئا من اجرها للميت فينفعه لكن اطلاق
ان الدعا ينفع الميت اعترض عليه بعضهم بانه موقوف علي الاجابة
ونحن لا نعلمها ويمكن ان يقال في الجواب الدعا للميت مستجاب كما اطلقوا
اعتمادا علي سعة فضل الله فلا اعتراض وهو جواب لين وقال
الرافعي وتبعه النووي يستوي في الصدقة والدعا الوارث
والاجنبي علي ظاهر الاخبار قال الشافعي ومن وسع الله من فضله
ان يثيب المتصدق ايضا ومن ثم قال الاصحاب يستحب ان ينوي
المتصدق الصدقة عن ابويه مثلا فان الله ينيلهما الثواب ولا ينقص
من اجره شيا وقول الزركشي ما ذكر في الوقف يلزمه دخول ملكه وتمليكه
الغير ولا نظير له رد بان هذا يلزم في الصدقة ايضا وانما لم ينظر له
لان جعله كالمصدق محض فضل فلا يضر خروجه عن القواعد لو احتيج
لذلك التقدير مع انه غير محتاج اليه بدليل يصح نحو الوقف عن الميت

وللفاعل

وللفاعل ثواب البر وللميت ثواب الصدقة المرتبة عليه ذكره الرملي وذكر
صاحب العدة انه لو انبط بفتح الهمزة واسكان النون فموحدة مفتوحة
فطا مهملة اي استخرج بعمله عينا او حفر بيرا او غرس شجرا او بني الحديث
بخلاف كانه لانه غالب شجر المدينة او وقف مصحفا في حال حياته او فعل
غيره ذلك عنه بعد موته يلحق الثواب بالميت وقال الرافعي والنووي
ان هذه الامور اذا صدرت من الحي فهي صدقات جارية يلحق ثوابها
بعد الموت كما ورد في الخبر كقوله صلي الله عليه وسلم ان مما يلحق المومن
من عمله وحسناته بعد موته علما نشره وولدا صالحا تركه ومصحفا ورثه ومسجدا
بناه او بيتا لابن السبيل بناه او نهرا اجراه او صدقة اخرجها من ماله في صحته
وحياته تلحقه من بعد موته رواه ابن ماجة عن ابي هريرة باسناد حسن
وروي البزار عن انس مرفوعا سبع تجري للعبد اجرها بعد موته وهو في
قبره من علم علما او اجري نهرا او حفر بيرا او غرس نخلا او بني مسجدا
او ورث مصحفا او ترك ولدا يستغفر له بعد موته وروي ابن عساكر عن
ابي سعيد رفعه من علم اية من كتاب الله او بابا من علم انمي الله اجره الي
يوم القيامة وروي احمد والطبراني عن ابي امامة رفعه اربعة تجري
عليهم اجورهم بعد الموت من مات مرابطا في سبيل الله الحديث فتحصل من
هذه الاحاديث احد عشر امرا يلحق بعد الموت نظمها السيوطي فقال

اذا مات ابن ادم ليس يجري … عليه من فعال غير عشر
علوم بثها ودعا نجل … وغرس النخل والصدقات تجري
وراثة مصحف ورباط ثغر … وحفر البير او اجرا نهر
وبيت للغريب بناه ياوي … اليه او بنا محل ذكر
وتعليم لقران كريم … فخذها من احاديث بحصر

ولا يرد ان هذه احد عشر فينافي قوله غير عشر لانه نوع التاسع او يرحم
شي وزاد عليه او قال للبيت الاخير بعد ذلك ويدل له خطه في شرح ابن
ماجة لم يذكر الاخير وهو تعليم القران وهو يعارض هذا قوله صلي
الله عليه وسلم اذا مات الانسان وفي رواية ابن ادم انقطع عمله الا من
ثلاث الا من صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له رواه
مسلم وغيره عن ابي هريرة لان هذه الثلاثة في الحقيقة امهات
يرد اليها كثير من الانواع ولا يختص الحكم بوقف المصحف بل يلتحق
به كل من وقف كما صرح به في الحديث في قوله او مسجد الي اخره ومعني
قوله في الخبر ومصحفا ورثه بالتشديد به خلفه لوارثه قال بعض
ويظهر ان مثله كتب الحديث كالصحيحين وهذا القياس يقتضي
جواز التضحية عن الميت بلا كراهة لانها ضرب من الصدقة
لكن في التهذيب انه لا تجوز التضحية عن الغير بغير امر
وكذا عن الميت الا ان يكون اوصي به وهذا هو المعتمد في المنهاج

المذكور وللاشارة الى انه صلى الله عليه وسلم لقرب مكانته من الله
جل وعز الاجابة بالنسبة له محققة وغيره لبعده رتبته عما اعطيه
صلى الله عليه وسلم لقرب مكانته من الله لا تحقق الاجابة له بل قد لا
تكون مظنونة فناسب تاكيد الدعا له وتكريره رجا الاجابة انتهى وهو
توجيه وجيه لكن الاولى تركه لما يوهم ببادي الراي ولا يصح الا بمزيد
تحقيق وتدقيق ومن خصايص هذه الامة انهم يدخلون
الجنة قبل ساير الامم كما رواه ابن ماجة عن عمر ورواه الطبراني
في الاوسط من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا الى النبي صلى
الله عليه وسلم قال حرمت اي منعت الجنة على الانبيا
زاد في رواية الدارقطني كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم
حتى تدخلها امتي اي امة المطيع الذي لم يعذب من امتي يدخلها قبل
المطيع الذي لم يعذب من امة غيره فالمراد ان جملة امته وتمام دخولها
الجنة سابق على دخول امة غيره فلا يرد ما قد يتوهم انه لا يدخل
احد من سابقي الامم الطايعين الا بعد خروج العاصين من الامة المحمدية
من النار وقد اخذ من الحديث ان هذه الامة يخفف عن عصاتها ويخرجون
قبل عصاة غيرها قال ابن القيم فهذه الامة اسبق الامم خروجا من
الارض واسبقهم الى اعلا مكان في الموقف والى ظل العرش والى فصل
القضا والى الجواز على الصراط وعلى دخول الجنة ومنها انه يدخل
الجنة منهم سبعون الفا زمرة واحدة بغير حساب ولا عذاب
بدليل رواية ولا حساب عليهم ولا عذاب رواه الشيخان
عن ابي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل
الجنة من امتي زمرة هم سبعون الفا تضي وجوههم اضاة القمر ليلة
البدر فقام عكاشة بن محصن الاسدي يرفع نمرة عليه فقال يا رسول
الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم قام رجل من الانصار
فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة
وفي الصحيحين عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
عرضت على الامم فرايت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل
والرجلان والنبي ليس معه احد ورفع لي سواد عظيم فظننت انهم
امتي فقال جبريل هذا وقومه ولكن انظر الى الافق فنظرت
فاذا سواد كثير قال هولا امتك وهولا سبعون الفا قدامهم لا
حساب عليهم ولا عذاب قلت وما قال لا يكتوون ولا يسترقون
ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وفي رواية هم الذين لا يرقون
ولا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وروى
الشيخان عن سهل بن سعد قال النبي صلى الله عليه وسلم ليدخلن من
امتي الجنة سبعون الفا او سبعماية الف متماسكين اخذ بعضهم ببعض

حتى يدخل اولهم واخرهم وجوههم على صورة القمر ليلة البدر قال
السبكي في شفا الغرام ظاهر قوله سبعون الفا انهم لا يزيدون على ذلك
وانهم كلهم بالصفة المذكورة ورجح غيره ان المراد الكثرة باختلاف
الاخبار في المقدار فروي ماية الف ومع كل الف سبعون الفا ومع كل واحد
سبعون الفا وليس كل من في الحديث نفي دخول احد على الصفة المذكورة
غيرهم لا كالانبيا والشهدا والصديقين والصالحين قال عياض يحتمل
ان معنى كونهم متماسكين انهم على صفة الوقار فلا يسابق بعضهم بعضا
بل يكون دخولهم جميعا وقال النووي معناه انهم يدخلون معترضين
صفا واحدا بعضهم بجنب بعض فيدخل الجميع دفعة واحدة وفي ذلك
اشارة الى سعة الباب الذي يدخلون منه ووصفهم بالاولية والاخرية
باعتبار الصفة التي جازوا فيها الصراط ثم هذا الحديث يخص عموم
الحديث الذي اخرجه مسلم عن ابي برزة الاسلمي رفعه لا تزول قدما
عبد يوم القيامة حتى يسال عن اربع عن عمره فيما افناه وعن جسده
فيما ابلاه وعن علمه ما عمل فيه وماله من اين اكتسبه وفيما انفقه
لانه وان كان عاما لانه نكرة في سياق النفي لكنه مخصوص بمن يدخل
الجنة بغير حساب ومن يدخل النار من اول وهلة على ما دل عليه
قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم الاية قاله القرطبي قال الحافظ وفي
سياق حديث ابي برزة اشارة الى الخصوص لان ليس كل احد عنده
علم يسال عنه وكذا المال فهو مخصوص بمن له علم ومال دون من لا علم له
ولا مال واما السوال عن الجسد والعمر فعام ويخص من المسولين منه كثير
انتهى وجزم ابن عبد السلام بان هذه الخصوصية لم تثبت لغير
نبينا وقال السبكي لم يرد فيه شي بنفي ولا اثبات في الامم السالفة
واستظهر ابو طالب عقيل بن عطية ان فيهم من هو كذلك انتهى وفيه
الاستظهار لا دخل له هنا اذ هو من الاشيا التي لا تكون الا بمحض النقل
وروى البيهقي والحاكم عن جابر مرفوعا من زادت حسناته على سياته
فذاك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته فذاك
الذي يحاسب حسابا يسيرا ومن اوبق نفسه فهو الذي يشفع
فيه بعد ان يعذب وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل الجنة من
امتي يوم القيامة سبعين الفا وكل ومع كل الف سبعين الفا رواه
الترمذي وعند الطبراني والبيهقي في البعث عن النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله وعدني ان يدخل من امتي الجنة امة الاجابة
وفي اضافتها اليه اخراج غيرها من الامم من العدد المذكور
سبعين الفا بغير حساب عليهم اي ولا عذاب واني سالت
ربي المزيد فاعطاني مع كل واحد المراد بالمعية مجرد دخولهم الجنة
بغير حساب وان دخلوها في الزمرة الثانية او ما بعدها من

السبعين الفا سبعين الفا زادها في رواية البزار من حديث انس
وهم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلي ربهم يتوكلون
وهو في حديث ابن عباس وصف السبعين الفا بذلك ايضا فيكون
الكل موصوفين به واخرج احمد والديلمي عن ابي بكر مرفوعا اعطيت سبعين
الفا من امتي يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر ليلة البدر
قلوبهم علي قلب رجل واحد فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين
الفا وبالجملة فقد اختصت هذه الامة بما لم يعط غيرها من
الامم تكرمة لنبيها عليه السلام وزيادة في شرفه وتفضيل
بصاد مهملة فضلها بمعجمة وخصايصها تستدعي سفرا بل اسفار
وذلك فضل الله يؤتيه من يشا النبي وامته والله ذو الفضل
العظيم وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
دايما ابدا والحمد لله رب العالمين ولله الحمد علي ما انعم

المقصد الخامس

في بيان تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصايص
المعراج والاسرا اي جعلها مخصوصة به لا تتجاوزه الي غيره
والمراد بها الامور الخارقة التي اختص بها ليلته كرؤية الله والجنة
وقطعه في زمن قليل واتساع الزمن حتي صلي بالانبيا الي غير ذلك
فلما كانت تلك الامور كلها لم تتعداه الي غيره جعل المصنف همته في
الترجمة بيانها لانه كان بها مقدما علي من عداه ومقربا في حضرة
التقدس عن كل ما سواه وقدم المعراج في الذكر لتعلقه بالحضرة الي اخره
واخره في الترجمة الترتيب مطابقة للواقع وتعميمه اي تغطيته
وستره بعموم اي كثرة لطايف التكريم اي النعم التي اكرمه الله
بها التي لا تحصي بجعلها شاملة له كالملاة التي تشتمل علي جميع جسم
من جعلت عليه في حضرة التقريب اي المكان الذي خاطبه فيه
بالمكالمة والمشاهدة له سبحانه وتعالي والايات الكبري
العظمي اعلم منحني اعطاني الله واياك الترقي في معارج
السعادات اي المراتب المحصلة لها لمن اراد الله به الخير والمعراج
عند اهل الطريق منتهي سير المقربين الذي هو عروجهم اي سلوكهم
لان كل سالك سالك الي طريق كان غايته الحق بشرط فوزه منه
بسعادة ما فذلك السالك صاحب معراج معراج وسلوكه عروج واوصله
الله به اي النبي صلي الله عليه وسلم اليه اي الي قرب المكانة الي الله
في حظاير الكرامات اي المحلات التي تنزل بها الكرامات وتليق بها
او المراد بها الجنة واصل الحظيرة ما يعمل للابل من الشجر ليقيها البرد
ونحوه ان قصة الاسرا والمعراج بزنة مفتاح السلم وجمعه معارج
ومعاريج ويقال معرج للواحد بكسر الميم وفتحها من اشهر المعجزات

واظهر

واظهر البراهين البينات الواضحات واقوي الحجج بالضم جمع
حجة المحكمات واصدق الانبا جمع نبا بالهمز وهو الخبر واعظم
الايات واتم الدلالات الدالة علي تخصيصه عليه الصلاة
والسلام لعموم الكرامات لما اشتملت عليه من الامور الخارقة للعادة
التي تقصر العقول عن ادراك مثلها وقد اختلف العلما بحسب اختلاف
الاخبار في الاسرا اي في جواب قول السايل هل هو اسرا واحد
في ليلة واحدة فقيل كان كذلك ثم اختلف بنا علي ذا القول هل
كان يقظة او مناما وعلي انه يقظة هل الي المسجد الاقصي فقط والي
العرش مناما او هما اسراان واحد يقظة واخر مناما كل واحد منها
بليلة مرة بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما وليلة اليقظة غير
ليلة المنام وبهذا فارق القول الذي قبله او يقظة بروحه وجسده
من المسجد الحرام الي المسجد الاسرا ثم مناما من المسجد الاقصي
الي العرش فالاسرا كان يقظة والمعراج مناما عند هذا القايل وقد
علم تفريع هذا القول علي اتحاد الليلة فيهما او هي اربع اسراات
يقظة كلها كما يانى احتج القايلون بانه رويا منام مع اتفاقهم
علي ان رويا الانبيا وحي بقوله وما جعلنا الرويا التي اريناك ليلة
الاسرا الا فتنة للناس اهل مكة اذ كذبوا بها وارتد بعضهم لما اخبرهم
بها لان الرويا بالالف مصدر الحلمية وهي المنامية منسوبة
الي الحلم بضمتين وقد تسكن اللام تخفيفا واما البصرية فالرؤية
بالتا لا بالالف وقد انكر ابن مالك والحريري وغيرهما كما افاده
الشيخ بدر الدين الزركشي ورود الرويا بالالف للبصرية ولحنوا
ابا الطيب احمد بن الحسين المتنبي الشاعر المشهور في قوله ورؤياك
احلي في العيون من الغمض لانه استعمل الرويا بالالف في البصرية
التي بالتا واجيب بانه لا حجة في الاية علي انه منام لانه انما قال
الرويا لوقوع ذلك الرائي في الليل وسرعة تقضيه حتي كانه
منام فهو مجاز علاقته المشابهة وبان الرويا بالالف والروية بالتا
واحدة يعني ان كلا منهما يستعمل موضع الاخر كقربي وقربة وهذا نقله
وقربي ويشهد له قول ابن عباس وهو من ايمة اللسان في تفسير الاية
كما عند البخاري هي رويا عين اريها صلي الله عليه وسلم ليلة اسري
به فاستعمل ابن عباس الرويا بالالف بالالف في البصرية وزاد سعيد بن
منصور عن سفيان بن عيينة روايته عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن
ابن عباس في اخر الحديث وليس رويا منام فهو قليل دليل قوي علي
استعمال كل منهما موضع الاخر قال الحافظ وقد تمسك بكلام ابن عباس هذا
من قال الاسرا منام ومن قال يقظة فالاول اخذه من لفظة الرويا لاختصاصها
برويا المنام والثاني من قوله اريها ليلة الاسرا اذ لو كان مناما ما كذب به

الكفار ولا منها هو ابعد منه واذا كان بيقظة والمعراج تلك الليلة تعين كونه
يقظة ايضا اذ لم ينقل انه نام لما وصل بيت المقدس ثم عرج به وهو نايم
ولم يصرح في رواية البخاري بالمراي بل لفظه ما قدمه المصنف قال
الحافظ عقب ما نقلته عنه واذا كان يقظة فاضافة الرويا الى العين للاحتراز
عن رويا القلب وقد اثبت الله في القران رويا القلب فقال ما كذب الفواد
ما راي ورويا العين فقال ما زاغ البصر وما طغي لقد راي وروي الطبراني
في الاوسط باسناد قوي عن ابن عباس قال راي محمد ربه ومن وجه اخر
قال نظر محمد الي ربه جعل الكلام لموسي والخلة لابراهيم والنظر لمحمد
فاذا تقرر ذلك ظهر ان مراد ابن عباس هنا برويا العين جميع ما ذكره صلي
الله عليه من الاشيا في تلك الليلة وعند سعيد بن منصور من طريق
ابي مالك قال هو ما اري في طريقه الي بيت المقدس مما يا بي بعضه
وهذا مما يستدل به علي اطلاق لفظ الرويا علي ما يري بالعين
في اليقظة كما تطلق علي رويا المنام وهو يرد علي من خطا المتنبي ولا
عبرة بانكار ذلك اذ من حفظ حجة خصوصا وابن عباس من فصحا بني هاشم
واية اللسان وفي كلام الاشموني افاده ان مصدر راي حلمية او بصرية
او علمية بالليل او السمع يجي بالالف في لغة وان المشهود كونها مصدر الحلمية
علي انه اختلف المفسرون في هذه الاية علي هذه للاستدراك وقيل
تتعلق بما قبلها من الكلام وقيل لا تتعلق بشي فقيل ان الرويا التي
اريناك ليلة المعراج كما مر عن ابن عباس قال البيضاوي وتعلق به من
قال كان في المنام ومن قال كان في اليقظة فسر الرويا بالالف بالروية
وقيل رويا عام الحديبية حين راي انه دخل المسجد الحرام فسافر
قاصدا مكة فصده المشركون وافتتن بذلك ناس اي تحيروا من
ذلك لان رويا ه وحي حتي قال صلي الله عليه وسلم اقلت لكم في هذا العام
وفي الفتح قال هذا القايل والمراد بقوله فتنة للناس من وقع من صد
المشركين له في الحديبية عن دخول المسجد الحرام وهذا وان كان وان امكن
انه مراد الاية لكن الاعتماد في تفسيرها علي ترجمان القران اولي وقيل
رويا ه وقعة بدر وسال ابن النقيب الامام المفسر العلامة المفتي
جمال الدين ابو عبد الله محمد بن سليمان بن حسن البلخي ثم المقدسي الحنفي
[illegible] مدرس العاشورية بالقاهرة ولد سنة احدي عشرة وستمائة
قدم مصر فسمع بها بيوسف المجلي واقام مدة بالجامع الازهر وصنف بها
تفسيرا كبيرا الي الغاية وكان اماما عابدا زاهدا امارا بالمعروف كبير القدر
يتبرك بدعايه وزيارته مات بالقدس في المحرم سنة ثمان وتسعين وستمائة
ذكره الذهبي في العبر شيخه ابا العباس احمد بن عمر بن ابراهيم القرطبي
الانصاري المالكي الفقيه المحدث نزيل الاسكندرية فاقام بها يدرس
وصنف المفهم في شرح صحيح مسلم واختصر الصحيحين مات في ذي القعدة

سنة

سنة ست وخمسين وستماية وليس المراد بابن النقيب هنا شهاب الدين
ابن النقيب احمد ابو العباس احد علما الشافعية لانه ولد بالقاهرة سنة
اثنين وسبعماية ومات بها في رمضان سنة تسع وستين كما ذكره السيوطي
فلم يرد القرطبي عن الاية فقال الصحيح انها روية عين يقظة
اراه جبريل مصارع القوم ببدر فاري النبي صلي الله عليه وسلم
الناس اصحابه الحاضرين مصارعهم اي القوم الهالكين ببدر من المشركين
التي اراه جبريل فصار يقول قبل الوقعة واضعا يده علي الارض هذا
مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت قريش فاستسخروا مثل سخروا
اي هزوا منه فلا ينفي الحمل ان كان كما قال انتهي لكن ما صححه خلاف
ما صححه الشامي انها رويا عين ليلة الاسرا وبحوه للحافظ في الفتح
قايلا وما رواه ابن مردويه عن ابن عباس ان المراد رويا الحديبية وعن
الحسن بن علي مرفوعا اني رايت كان بني امية يتعاورون منبري هذا
فقيل دنيا تنالهم ونزلت الاية فكلاهما اسناده ضعيف واستدل
القايلون بانها رويا منام ايضا بقول عايشة المروي عند ابن
اسحق حدثني بعض ال ابي بكر ان عايشة كانت تقول ما فقد جسده
الشريف ولكن اسري بروحه قال الشامي كذا فيما وقفت عليه من نسخ
السير فقد بالبنا للمفعول والذي وقفت عليه من نسخ الشفا ما فقدت
بالبنا للفاعل واسناد الفعل لتا المتكلم كذا قال وقد حكاهما في الشفا روايتين
فقال اولا واما قول عايشة ما فقد جسده فهي لم تحدث به عن مشاهدة
الي اخره ثم قال بعد اسطر وايضا فقد روي حديث عايشة ما فقدت
يعني بالبنا للفاعل قال ولم يدخل بها النبي صلي الله عليه وسلم الا بالمدينة
وكل هذا يوهن بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده الشريف
لانكارها ان تكون رويه روية عين ولو كانت رويتها عنده منا ما لم تنكره
وحديثها هذا ليس بالثابت عنها انتهي يعني لما في متنه من العلة القادحة
وفي سنده من انقطاع وراو مجهول وقال ابن دحية في التنوير انه حديث
موضوع عليها وقال في معراجه الصغير قال امام الشافعية ابو العباس بن
سريج هذا حديث لا يصح وانما وضع ردا للحديث الصحيح واجيب علي تقدير
صحته بان عايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن اذ ذاك
زوجا ولا في سن من يضبط لانها سنة الهجرة كانت بنت ثمان سنين
او لم تكن ولدت بعد بالبنا علي الضم اي بعد هذه القصة وهي ضد قبل
ويستعملان في التقدم والتاخر المتصل والمنفصل والمراد هنا الاول والمراد
زمن وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال شايع علي الخلاف في
الاسرا متي كان فعلي انه كان بعد المبعث بعام لم تكن ولدت وعلي انه لم يكن
قبل الهجرة بعام تكون ابنة سبع وعلي انه قبلها باكثر تكون اصغر من
سبع قال عياض واذا لم تشاهد ذلك عايشة دل علي انها حدثت بذلك عن

غيرها فلم يرجح خبرها علي خبر غيرها وكان الظاهر ان يقول فرجح خبر
غيرها علي خبرها وكان الظاهر ان يقول فرجح خبر غيرها علي خبرها اي
لعدم ثبوته عنها كما افصح به بعد وقد تقدمت كلامه لا لروايتها عن مجهول
اذ لو ثبت لكان مرسل صحابي وهو حجة وقال القنازاني في الجواب عن
تقدير الصحة اي فقد جده عن الروح بل كان مع روحه وكان
المعراج للجسد والروح جميعا انتهي وهو جواب حسن علي ما فيه
من كونه خلاف المتبادر من اللفظ واحتج القايلون بانه بالجسد
يقظة الي بيت المقدس والي السما بالروح فالاسرا يقظة والمعراج
منام بقوله تعالي سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الي
المسجد الاقصي فجعل المسجد الاقصي غاية الاسرا الذي وقع التعجب
به من الكفار تعجب استحالة ومن المومنين تعجب تعظيم بعظيم القدرة
بالبا الجارة وفي نسخة بالفوقية منصوب علي انه مفعول له اي لتعظيم
قدرة الله الباهرة والتمدح بتشريف النبي صلي الله عليه وسلم
واظهار الكرامة له بالاسرا ولو كان الاسرا بجسده الي مكان زايد
علي المسجد الاقصي لذكره فيكون ابلغ في المدح فلما لم يقع ذلك
المعراج في هذا الموضع مع كون شانه اعجب وامره اغرب بكثير من الاسرا
دل علي انه كان مناما واما الاسرا فلو كان مناما لما كذبوه ولا استنكروه
لوضوح لجواز وقوع مثل ذلك وابعد منه لاحاد الناس واجيب كما ذكر ابن
المنير بان حكمة التخصيص بالمسجد الاقصي سوال قريش له علي
سبيل الامتحان علي ما شاهدوه وعرفوه من صفة بيت
المقدس وقد علموا انه لم يسافر اليه فيجيبهم بما عاين كما ياتي بيانه
ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع ولهذا لم
يسالوه عما راي في السما ولا عهد لهم بذلك عطف علة علي معلول
اي لانه لا عهد اي لا علم له به وفي الشامي واجاب الايمة عن ذلك بانه انما ندرجه
الي الايمان بذكر الاسرا فلما ظهرت امارات صدقه اوضحت لهم براهين
رسالته واستانسوا بتلك الاية اخبرهم بما هو اعظم منها وهو المعراج فحدثهم
به وانزله الله في سورة النجم قال الحافظ ويويد وقوع الاسرا عقب المعراج
في ليلة واحدة رواية ثابت عن انس عند مسلم اتيت بالبراق فركبت
حتي اتيت بيت المقدس فذكر القصة الي ان قال ثم عرج بنا الي السما
الدنيا وفي حديث ابي سعيد عند ابن اسحق فلما فرغ مما كان في
بيت المقدس اتي بالمعراج وقال النووي في فتاويه وكان
الاسرا به عليه الصلاة والسلام مرتين مرة في المنام
ومرة في اليقظة ولهذا ذهب المهلب شارح البخاري وحكاه عن
طايفة وابو نصر بن القشيري ومن قبلهم ابو سعد في شرف المصطفي
قال كان للنبي صلي الله عليه وسلم معاريج منها ما كان في اليقظة ومنها

ما

ما كان في المنام وذكر السهيلي تصحيح هذا المذهب عن شيخه
القاضي ابي بكر بن العربي واختاره وان مرة النوم توطية له وتمهيد
وتيسيرا عليه كما كان بدو نبوته الرويا الصادقة كما قالت
عايشة اول ما بدا به رسول الله صلي الله عليه وسلم الرويا الصادقة
وفي رواية الصالحة في النوم فكان لا يري رويا الا جات مثل فلق الصبح
ليسهل عليه بالرويا امر النبوة فانه امر عظيم يضعف عنه القوي
البشرية فقد ذكر ابو ميسرة التابعي الكبير وغيره ان ذلك وقع في
المنام فجمعوا بينه وبين حديث عايشة بان ذلك وقع في المنام كما في الفتح
وكذلك الاسرا سهلت قصته عليه بالرويا في النوم قبل اليقظة لان
هوله عظيم فجات اليقظة علي توطية وتقدمة رفقا من الله وعبده
وتسهيلا عليه وقد جوز بعض قايلي ذلك ان يكون قصة المنام
قبل المبعث لاجل قول شريك بن ابي نمر في روايته عن انس وذلك
قبل ان يوحي اليه وسياتي البحث في ذلك ان شا الله تعالي قريبا
مع الجواب عن اشكاله بالاجماع علي ان فرض الصلاة كان ليلة الاسرا
فكيف يكون قبل الوحي واحتج القايلون بانه اربع اسرات يقظة
كما ذهب اليه جماعة بتعدد الروايات في الاسرا واختلاف ما يذكر
فيها فبعضهم يذكر شيا لم يذكره الاخر وبعضهم يسقط شيا ذكره
الاخر واجيب بانه لا يدل علي التعدد لان بعض الرواة قد يحذف
بعض الخبر للعلم به او بنسيانه او يذكر ما هو الاهم عنده او ينشط
تارة فيسوقه كله وتارة يحدث المخاطب بما هو انفع له وقال
الحافظ ابن كثير من جعل كل رواية خالفت الاخري مرة علي
حدة فاثبت اسراات متعددة فقد ابعد واغرب جا بشي
غريب لا يعرف وهرب الي غير مهرب يعني ان ذلك لا يجد به نفعا في
دفع التعارض او لم يحصل علي مطلبه حذف من كلام ابن كثير في تاريخه
تعليله بقوله لان كل السيا قات فيها تعريفه في الانبيا وفي كلها تفرض
عليه الصلاة فكيف يدعي تعدد ذلك هذا في غاية البعد وصله بقوله
ولم ينقل ذلك عن احد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لاخبر النبي
صلي الله عليه وسلم امته بذلك ولنقله الناس علي التعدد
والتعداد ولم يقع ذلك انتهي ونحوه في الفتح وزاد ويلزم ايضا وقوع
التعدد في سواله صلي الله عليه وسلم عن كل نبي وسوال اهل كل باب هل
بعث اليه وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك فان تعدد مثل ذلك في
القصة لا يتجه فتعين رد بعض الروايات المختلفة الي بعض او
الترجيح وقال ابن القيم هذه طريقة ضعفا الظاهرية الذين اذا
راوا في القصة لفظة تخالف سياق بعض الرواة جعلوه مرة اخري فكلما
اختلفت عليهم الرواة عددوا الوقايع والصواب الذي عليه ايمة النقل

ان الاسرا كان مرة واحدة بمكة بعد البعثة ويا عجبا لهولا الذين
زعموا انه وقع مرارا كيف ساغ لهم ان يظنوا انه في كل مرة تفرض عليه
الصلاة خمسين ثم يتردد بين ربه تعالي وبين موسي حتي تصير خمسا
فيقول امضيت فريضتي وخففت عن عبادي ثم يعيدها في المرة الثانية
خمسين ثم يحطها عشرا عشرا وقد وقع في رواية عبثر بن القاسم
الزبيدي بضم الزاي ابو زبيد كذلك الكوفي الثقة من رجال الجميع مات
سنة تسع وسبعين ومائة وعبثر بفتح العين المهملة وبموحدة ساكنة
فمثناه الذي في التقريب وفتح المثلثة بوزن جعفر في روايته
عن حصين بن عبد الرحمن السلمي الكوفي ثقة روي له الجماعة وتغير
حفظه في الاخر مات سنة ست وثلاثين ومائة وله ثلاث وتسعون سنة
عند الترمذي والنساي لما اسري برسول الله صلي الله عليه وسلم
جعل يمر بالنبي ومعه الواحد الحديث فان كان ذلك محفوظا
كان فيه قوة لمن ذهب الي تعدد الاسرا وانه وقع بالمدينة
ايضا اسرا غير الذي وقع بمكة فغير صفة محذوف قال في فتح
الباري والذي يتحرر من هذه المسيلة ان الاسرا الذي
وقع بالمدينة ليس فيه ما وقع بمكة من استفتاح ابواب السما
بابا بابا بالتكبير ولا من التقا الانبيا كل واحد في سما ولا المراجعة
مع موسي فيما يتعلق بفرض الصلوات ولا طلب تخفيفها وساير
ما يتعلق بذلك وانما تكررت قضايا كثيرة سوي ذلك راها النبي
صلي الله عليه وسلم فمنها بمكة البعض ومنها بالمدينة بعد
الهجرة البعض ومعظمها في المنام ضد اليقظة والله اعلم انتهي
وفي فتح الباري ايضا وفتح الامام ابو شامة الي وقوع المعراج مرارا
واستند الي ما اخرجه البزار وسعيد بن منصور عن انس رفعه بينا
انا جالس اذ جا جبريل فوكز بين كتفي فقمنا الي شجرة فيها مثل وكري
الطاير فقعدت في احدها وقعد جبريل في الاخر فارتفعت حتي سدت
الخافقين الحديث وفيه ففتح لي باب من السما فرايت النور الاعظم واذا
دونه حجاب رفرف الدر والياقوت ورجاله لا باس بهم الا ان الدار
قطني ذكر له علة تقتضي ارساله وعلي كل حال فهي قصة اخري الظاهر
انها وقعت بالمدينة ولا بعد في وقوع امثالها وانما المستبعد وقوع
التعدد في قصة المعراج الذي وقع فيها سواله عن كل نبي وسوال اهل كل
باب هل بعث اليه وفرض الصلوات الخمس وغير ذلك فان تعدد ذلك
في اليقظة لا يتجه فيتعين رد بعض الروايات المختلفة الي بعض او الترجيح
الا انه لا يبعد وقوع جميع ذلك في المنام في وقوع ذلك في المنام توطية
ثم وقوعه في اليقظة علي وفقه كما قدمته ومن المستغرب قول ابن
عبد السلام في تفسيره وكان الاسرا في النوم واليقظة ووقع بمكة والمدينة

فان

فان اراد تخصيص المدينة بالنوم ويكون كلامه علي طريق اللف والنشر غير
المرتب فيحتمل ويكون الاسرا الذي اتصل به المعراج وفرضت فيه الصلاة
فيه الصلاة بمكة والاخر في المنام بالمدينة وينبغي ان يزاد فيه ان الاسرا
بالمنام تكرر بالمدينة وقال بعض العارفين ان له صلي الله عليه وسلم
اربعة وثلاثين مرة من الاسراات الذي اسري به منها واحد بجسمه
والباقي بروحه دون جسده رويا راها انتهي فالحق وهو الصحيح
انه اسرا واحد بروحه وجسده يقظة في القصة كلها والي هذا
ذهب الجمهور من علما المحدثين والفقها والمتكلمين وتواردت عليه
ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول والرجوع والميل عن
ذلك الظاهر اذ ليس في العقل ما يحيله حتي يحتاج الي تاويله وانما عده
محالا اصحاب كفار قريش وبعض ضعفا المسلمين لتوهمهم ان قطع مثل
هذه المسافة ذهابا وايابا في بعض ليلة محال لبعدها فتقطع في ايام
كثيرة ومن بعض ارباب علم الهيئة الزاعمين ان الافلاك لا فرجة
فيها ولا تقبل الخرق والالتيام وكلاهما عقلا ونقلا الا ترى نقل عرش
بلقيس في طرفة عين مع بعد مسافته وقد نطقت النصوص بان للسما
ابوابا تفتح وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة قال التفتازاني ادعا
استحالة باطل لانه انما يبتني علي اصول الفلاسفة من امتناع الخرق
والالتيام علي السموات والا فالخرق والالتيام علي السموات واقع عند
الحق والاجسام العلوية والسفلية متماثلة مركبة من الجواهر الفردة
المتماثلة يصح علي كل من الاجسام علي ما لا يصح علي الاخر ومن التماثل
المذكور فاذا امكن خرق الاجسام السفلية امكن خرق الاجسام العلوية
والله قادر علي الممكنات كلها فهو قادر علي خرق السموات وقد ورد به السمع
فيجب تصديقه وقال البيضاوي تبعا للرازي الاستحالة مدفوعة بما
ثبت في الهندسة ان ما بين قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض
مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلي
في اقل من درجة والاجسام كلها متساوية في قبول الاعراض والله
قادر علي الممكنات فيقدر علي انه يخلق مثل هذه الحركة الشريفة في بدن
النبي صلي الله عليه وسلم او فيما حمله والتعجب من لوازم المعجزات قال
الرازي الامام فخر الدين قال التحقيق الذي يدل علي انه تعالي
اسري بروح سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم وجسده معا
يقظة من مكة الي المسجد الي المسجد الاقصي القران والخبر
اي الحديث اما القران فهو قوله تعالي سبحان الذي اسري
بعبده ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الاقصي الاية وتقرير
الدليل ان العبد اسم للجسد والروح فواجب ان يكون الاسرا
خاصا بجميع الجسد والروح اذ لو كان منا ما لقال بروح عبده ويدل

عليه قوله تعالى ارايت الذي ينهي عبدا اذا صلي ولاشك ان المراد
هنا بمجموع الجسد والروح لان العبد هنا محمد صلي الله عليه وسلم والناهي
له عن الصلاة ابوجهل وهو لاينهاه عن الصلاة بروحه وايضا قال
سبحانه وتعالي في سورة الجن وانه بالفتح عطفا وبالكسر استئنافا
والضمير للشان لما قام عبد الله محمد صلي الله عليه وسلم يدعوه يعبده
ببطن نخله والمراد في بتلك الايتين جميع الروح والجسد وكذلك هنا
في قوله اسري بعبده اذ الايات يحمل علي نظيرها انتهي واما الخبر
فاشار اليه بقوله واحتجوا ايضا بحركة بظاهر قوله عليه الصلاة
والسلام اسري بي لان الاصل في الافعال ان تحمل علي اليقظة حتي
يدل دليل علي خلافه عقلي او شرعي وقال عياض وتبعه غيره الحق
والصحيح انه اسرا بالجسد والروح في القصة كلها ويدل عليه الاية نصا
وصحيح الاخبار الي السموات استفاضة ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة
الي التاويل الا عند الاستحالة وليس في الاسرا بجسده حال يقظته
استحالة توذن بتاويل اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده
وقوله ما زاغ البصر وما طغي اي ما عدل عن روية اعجب ما امر به من عجايب
الملكوت وما جاوزها الصراحة ظاهرة في انه بجسده يقظة لانه اضاف الامر
الي البصر وهو لا يكون الا يقظة بجسده بشهادة لقد راي من ايات ربه
الكبري ولو كان مناما لما كانت فيه اية ولا معجزة خارقة للعادة دالة علي
صدقه وان كانت رويا الانبيا وحيا اذ ليس فيها من الابلغية وخرق العادة
ما فيه بيقظة علي ان ذلك انما يعرفه من صدقه وصدق خبره وان ذلك
لو كان مناما لما كان فيه فتنة للضعفا الذين كانوا اسلموا فارتدوا
فوقعوا في فتنة اي بلية عظيمة توقعهم في العذاب لردتهم وتكذيبهم
وانكارهم لخبر الصادق بما هو خارق للعادة ولا استبعده الاغنيا
جمع غني بمعجمة اي الكفار ولا كذبوه فيه لان مثل هذا من المنامات لا ينكر بل
لم يكن منهم ذلك الا وقد علموا ان خبره انما كان عن اسرائه بجسمه وحال يقظته
ولان الدواب لا تحمل الارواح وانما تحمل الاجساد وقد تواترت الاخبار
بانه اسري به علي البراق وهو دابة توجب كونه بالجسد والروح
معا فان قلت ما الحكمة في كونه تعالي جعل الاسرا ليلا مع ان غالب
الفرايض كالصوم والجهاد والصبح والظهر والعصر والابتغا من فضل
الله انما هو بالنهار وان وقع جهاد ليلا فنادر لنحو غاره وفيه الصلاة
الوسطي والصوم الذي قال الله فيه كل عمل ابن ادم له فيه الا الصوم فانه
لي وانا اجزي به ومن صحح الشرف المناوي من انه افضل من الليل وصحح غيره
تفضيل الليل اجيب بانه انما جعل ليلا تمكينا للتخصيص بمقام المحبة لانه
تعالي اتخذه عليه السلام حبيبا وخليلا تجمع له بين المنصبين وهذا دليل
لما فهمه قوله بمقام المحبة والليل اخص زمان للمحبين بفتح الباء المشددة

تنشية

تنشية بحب اي اولي زمان يخلو فيه المحب بحبيبه بجمعهما فيه فليس المراد
ما خص هنا مقابل الاعم ثم المحب لغة من وقعت منه المحبة والحبيب والمحبوب من
وقعت عليه فغلب المحب علي المحبوب فقال المحبين او اشارة الي ان المتحابين اذا
صدقت محبة كل منهما لصاحبه كان محبا ومحبوبا باعتبارين والخلوة بالحبيب
متحققة بضم الميم وكسر القاف المشددة اي ثابتة بالليل من تحقق الامر
اذا ثبت ويجوز فتح القاف اسم مفعول اي مثبتة والاول اولي وقال ابن
المنير ولعل تخصيص الاسرا بالليل ليزداد الذين امنوا ايمانا بالغيب
وليفتتن الذين كفروا زيادة علي فتنتهم لان الليل اخفي حالا من
النهار فما وقع فيه لا يطلع عليه غالبا وكان من الغيب وما وقع نهارا يطلع
عليه غالبا المشاهدته فاذا اخبر صلي الله عليه وسلم بما وقع ليلا صدقه
المومنون فزاده ايمانا وكذبه الكافرون فزادت فتنتهم قال ابن المنير ولعله
يعرج به نهارا لفات المومن فضيلة الايمان بالغيب وقد اثني الله علي
الذين يومنون بالغيب ففيه فضل عظيم ولم يحصل ما وقع من الفتنة
علي من شقي وجحد عطف علة علي معلول اي شقي بجحوده عطف علة علي
معلول اي شقي بجحوده انتهي ومن ذلك حكمة اخري ثالثة علي طريق
اهل الاشارات وهم المحققون من الصوفية والاشارات الحقايق التي يأخذونها
من نص القران وغيره ولا يقصدون اي ما اخذوه تفسير صريح النص كما قاله
العز بن عبد السلام وغيره ذكرها العلامة محمد بن مرزوق وهو انه قيل
لان الله تعالي لما محي اية الليل طمس نورها بالظلام لتمكين فيه والاضافة
للبيان وجعل اية النهار مبصرة اي مبصرا فيها بالضو وفايدة اضافة البيان
تحقيق مضمون الجملة السابقة انكسر الليل فجبر بان اسري فيه بمحمد صلي
الله عليه وسلم وذلك اعظم الجبر وقيل افتخر النهار علي الليل بالشمس
فقيل له لا تفتخر فان كانت شمس الدنيا تشرق فيك فمن يوجد شمس
الوجود في الليل الي السما وهذا ايضا من كلام اهل الاشارات وقيل
سراج كما قال تعالي وسراجا منيرا والسراج انما يوقد بالليل اي
انما يحصل الانتفاع بايقاده ليلا ويذم بايقاده نهارا قال الفرزدق
• كم والدكة يا جرير كانه • نمرالمجرة او سراج نهار •
وانشد في ذلك المعني •
• قلت يا سيدي فلم توثر الليـ • ـل علي بهجة النهار المنير •
• قال لا استطيع تغيير رسمي • هذا الرسم في طلوع البدور •
• انما زرت في الظلام لكيما • يشرق الليل من اشعة نوري •
وحاصل معني الابيات انه سال محبوبه عن حكمة زيارته ليلا دون النهار
فقال انا بدر وهو انما يظهر اثره ليلا ولا يستطيع تغيير ذلك الاثر وان
في زيارته ليلا فايدة لا تظهر لو زاره نهارا وهي اشراق الليل بنوره فصار
الليل في حقه كالنهار في الاضاءة والاشراق فان قلت ايما افضل ليلة

الاسرا ام ليلة القدر التي هي خير من الف شهر فالجواب كما قاله
الشيخ ابو امامة ابن النقاش ان ليلة الاسرا افضل في حق
النبي صلي الله عليه وسلم من ليلة القدر لما اكرم به فيها من خوارق
العادات التي اجلها رويته لله تعالي علي الصحيح وليلة القدر افضل
في حق الامة لانها اي العمل فيها لهم خير لهم من عمل في ثمانين
سنة بالقا الكسر وهو ثلاث ثمنين وثلث سنة بنا علي ان المراد حقيقة
العدد وهو الف شهر وصدر البيضاوي بان المراد التكثير واما ليلة الاسرا
فلم يات في ارجحية العمل فيها حديث صحيح اراد به ما يشمل الحسن
بدليل قوله ولا ضعيف وذلك لم يعينها النبي صلي الله عليه وسلم
لاصحابه ولا عينها احد من الصحابة باسناد صحيح ولا صح الي
الان ولا يصح الي ان تقوم الساعة فيها شي لانه اذا لم يصح من اول
الزمان لزم ان لا يصح في بقيته لامكان عدم تجدد واحد عادة يطلع علي
ذلك بعد الزمن الطويل وهذا لا يشكل عليه ما قيل انه كان ليلة سبع عشرة
او سبع عشرين خلت من شهر ربيع الاول او سبع وعشرين من رمضان او من
ربيع الاخر او من رجب واختير وعليه العمل لان ابن النقاش لم يبق الخلاف
فيها من اصله وانما نفي تعيين ليلة بخصوصها للاسرا وايضا اصح ومن
قال فيها شيا فانما قال من كيسه اي من عند نفسه دون استناد
لنص يعتمد عليه لمرجح ظهر له استانس به لا لجزم به ولهذا اي عدم
اتياد شي فيها تضادت الاقوال فيها وتباينت ولم يثبت الامر
فيها علي شي ولو تعلق بها نفع للامة ولو ذرة اي شيا قليلا جدا
لبينه لهم نبيهم صلي الله عليه وسلم لانه حريص علي نفعهم انتهي
كلام ابي امامة زاد الشامي عنه ويوخذ من قول الامام البلقيني في
قصيدته التي مدح فيها المصطفي ●
●● او لا كرويته في ليلة فضلت ● لليالي القدر فيها الرب رضا كا ●
ان ليلة الاسرا افضل من ليلة القدر قال فيه الاصطفا ولعل الحكمة
في ذلك انتفا ليها علي رويته تعالي التي هي افضل كل شي ولهذا لم يجعلهما
ثوابا عن عمل من الاعمال مطلقا بل من بها علي عباده يوم القيامة تفضلا
منه تعالي انتهي لكن هذا لا يصادم كلام ابن النقاش اذ ليس في النظم
انها افضل في حق الامة وان كان فضل الزمان والمكان لا يختص بالعمل
فيهما علي ما رجحه الشهاب القرافي وغيره فهو خاص بتلك الليلة لا بنظايرها
لمماثلها كل سنة لعدم ورود شي فيه وفي الهدي لابن القيم ان ابن تيمية سيل
هل ليلة الاسرا افضل ام ليلة القدر فاجاب بان القايل ليلة الاسرا افضل
ان اراد انها ونظايرها كل عام افضل فهذا باطل لم يقله احد من المسلمين
وهو معلوم الفساد بالاضطرار وان اراد انها بخصوصها افضل لانه حصل له
صلي الله عليه وسلم فيها ما لم يحصل له في غيرها وما لم يحصل لغيره فهو صحيح

ان

ان سلم ان انعام الله علي نبيه ليلة الاسرا اعظم من انعامه عليه بانزال
القران ليلة القدر وهذا لا يعلم الا بوحي ولا يجوز التكلم فيه بلا علم ولا يعرف
عن احد من الصحابة انه خص ليلة الاسرا بامر من الامور فان قلت هل
وقع الاسرا لغيره صلي الله عليه وسلم من الانبيا وهو من خصايصه
عليهم اجاب العارف عبد العزيز المهدوي بان مرتبة الاسرا بالجسم
الي تلك الحضرات بفتح الضاد جمع حضرة اي المراتب العلية لم تكن لاحد من
الانبيا الا لنبينا صلي الله عليه وسلم انتهي وعبارة الانموذج في
الخصايص التي اختص بها علي الانبيا ولم يوتها نبي قبله لفظها وبالاسرا
وما تضمنه من اختراق السموات السبع والعلو الي قاب قوسين ووطيه مكانا
ما وطيه نبي مرسل ولا ملك مقرب واحيا الانبيا له وصلاته اماما بهم وبالملايكة
واطلاعه علي الجنة والنار عد هذه البيهقي ورويته ايات ربه الكبري
وحفظه حتي ما زاغ البصر وما طغي ورويته للباري تعالي مرتين وبركوب
البراق في احد القولين وانما قال تعالي اسري ماخوذ من السري وهو
سير الليل يقول اسري وسري اذا سار ليلا هذا قول الاكثر وقال الحوفي اسري
سار ليلا وسري سار نهارا وقيل اسري سار من اول الليل وسري
سار من اخره وهذا اقرب بعبده محمد صلي الله عليه وسلم اتفاقا والضمير
لله تعالي والاضافة للتشريف والمراد جعل البراق يسري به كما يقال امضيت
كذا اي جعلته يمضي وحذف المفعول لدلالة السياق عليه ولان المراد ذكر المسري
به لا ذكر الدابة قاله في الفتح اشارة الي انه تعالي هو المسافر به ليعلم
ان الاسرا من عبده هبة المحبة وعناية ربانية سبقت له
عليه السلام مما لم يخطر ببسره ولا اختلج في ضميره ولعل وجه الاعلام
بذلك انه اذا كان تعالي هو المسافر به افاد انه لم يكن منه فعل في الاسرا بل
هو من ونعمة منه عليه وادخل بالمصاحبة علي قول المبرد والسهيلي
لان الفعل اللازم اذا تعدي بالبا غيرت البا معناه بخلاف بقية الحروف اذا
تعدي بها الفعل فلا يغير شي منها معناه قلت احملت في قوله بعبده
ليفيد انه تعالي صحبه في سراه بالالطاف والعناية والاسعاف
والرعاية بيان لمعني صحبة الله لعبده لاستحالة المصاحبة الحقيقية عليه
هكذا جزم المبرد والسهيلي ان البا تقتضي مصاحبة الفاعل للمفعول في الفعل
بخلاف الهمزة حتي السهيلي اذا قلت قعدت به فلا بد من مشاركة ولو باليد
وبه جزم ابن دحية وابن المنير زاد ابن دحية ويشهد له اي لوصفه تعالي
بالصحبة قوله عليه الصلاة والسلام اللهم انت الصاحب في السفر
والجمهور ان البا للتعدية وترادف الهمزة ولا تقتضي المصاحبة ورد علي
المبرد ومتابعيه بقوله تعالي ذهب الله بنورهم لان الله تعالي لا يوصف بالذهاب
مع النور وبقول الشاعر ● ●
●● ديار التي كانت ونحن علي مني ● تحل بنا لولا نجا الركايب ●

اي بخلناخا اليا هنا للتعدية ولم تقتض المشاركة لان الدبار لم يكن حراما فتضير
حلالها ولكون اليا بمعني الهمزة لا يجمع بينهما فلا يقال اذهبت تزيد وتامل
قوله تعالي هو الذي يسيركم في البر والبحر وقوله اسري بعبده تلح لك
خصوصية مصاحبة الرسول عليه الصلاة والسلام للحق سبحانه وتعالي
دون عموم الخلق لانه اتي بيا المصاحبة في بعبده واتي بعي في العموم اشارة
الي الفرق بين لطفه بعبده وبين غيره من الخلق وقرن سبحانه وتعالي
التسبيح بهذا الاسرا فقال سبحان الذي اسري واصلها التنزيه ويطلق
في منطق موضع التعجب فعلي الاول المعني تنزه الله عن ان يكون رسوله
ويحتمل انه بمعني الامراي سبحوا الذي اسري قاله في الفتح لينفي عن
قلب صاحب الوهم ومن تحكم عليه خياله من اهل التشبيه والتجسيم
ما يتخيله في حق الحق سبحانه من الجهة والحد والمكان حملا لقوله
اسري بعبده من المسجد علي ظاهره فيكون معناه صاحبه في سيره من المسجد
الحرام الي المسجد الاقصي وذلك محال في حقه وفي البيضاوي تصديره بالتسبيح
للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد ولذا قال لنريه من اياتنا يعني ما راي في
تلك الليلة من عجايب الايات لانه سبحانه وتعالي يقول ما اسريت
به لاروية الايات لا الي فاني لا يحدني مكان لانه الخالق له وموجده
فكيف يحده ونسبة الامكنة الي نسبة واحدة فكيف اسري به
بضم الهمزة مضارع من اسري اي كيف انقله من المكان الذي هو به لا حضره
الي وانا عنده وانا معه اينما كان اي في اي مكان حل به ولله در
القايل لا كاسمعي ماذكر •
•• سبحان الذي اسري اليه بعبده • ليري الذي اخفاه من اياته •
اي ستره عن عا متخلقه ويري مبني للمفعول بفتح اوله او بضمه وحذف
المفعول اي ليريه ومثل ذلك علي طريق اهل الاشارة بقوله كحضوره في
غيبه يعنون بها غيبة القلب عن علم ما يجري من احكام الخلق لشغل الحس
بما ورد عليه من الحق حتي انه قد يغيب عن احساسه بنفسه فضلا عن
غيره والغيبة بازا الحضور والغيب بازا الشهادة فيقال الغيب عن عالم
الشهادة حضور في عالم الغيب والحضور في عالم القدس غيبة عن عالم الحس
وكسكره وهو غيبة بوارد قوي في صحوه وهو الرجوع الي الاحساس
بعد الغيبة بوارد قوي وذلك ان العبد اذا كوشف بنعت الجمال سكر وطرب
وهام قلبه فاذا عاد من سكره سمي صاحيا والمحو رفع اوصاف العادة
واثباته وهو اقامة العادة مقابل للمحو ويري الذي عنه تكون
سره السر يعني به حصة كل موجود من الحق بالتوجه الايجادي
المنبه عليه بقوله تعالي انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون في
منعه ان شاه اي المنع وهباته جمع هبة ذكره كله في لطايف الاعلام
ويريه من الاراه ما ابدي اظهر له من جوده تعالي عليه تعالي صلي

الله عليه وسلم بوجوده والقصد من هباته سبحانه من سيد من اسما يه
تعالي كما في حديث ومهيمن كا في التنزيل المهيمن اي الشاهد الحافظ او
المومن او الامين او الرقيب او القايم علي خلقه في ذاته وسماته بتثليث السين
لغة في الاسما وهي ما دل علي الذات واكد تعالي بقوله ليلا مع ان الاسرا
لا يكون في اللسان العربي الا ليلا لا نهارا ولذا اسري عند الاكثر كامر
قال الحافظ ولم تختلف القرا في اسري بخلاف قوله تعالي في قصة لوط
فاسر فقريت بالوصل والقطع ففيه تعقب علي من قال سري واسري بمعني
واحد قال السهيلي السري من سريت اذا سرت ليلا معني فهو لازم فالاسرا
يتعدي في المعني لكن حذف مفعوله حتي ظن من ظن انهما بمعني واحد وانما معني
اسري بعبده جعل البراق يسري به كما تقول امضيت كذا اي جعلته يمضي لكن
من حذف المفعول لقوة الدلالة عليه والاستغنا عليه عن ذكره اذا المقصود بالذكر
المصطفي لا الكلالة لا الدابة التي سارت به واما قصة لوط فالمعني سر بهم علي
ما يتحملون عليه من دابة ونحوها هذا معني قراءة القطع ومعني الوصل سر بهم
ليلا ولم يات مثل ذلك في الاسرا لانه لا يجوز ان يقال اسري بعبده بوجه من
الوجوه قال الحافظ والنفي الذي جزم به انما هو من هذه الحيثية التي قصد
فيها الاشارة الي ان سار ليلا علي البراق والا فلو قال قايل سرت بزيد
بمعني صاحبته لكان المعني صحيحا لينفع الاشكال حتي لا يتخيل انه اسري
بروحه فقط دون جسده ويزيل من خاطر من يعتقد من الناس ان الاسرا
ربما يكون نهارا فان القران وان كان نزوله بلغة العرب فانه خاطب
به الناس اجمعين اصحاب اللسان العربي وغيرهم وهذا علي قول الاكثر
من اختصاصه بالليل والا ففي الفتح ليلا ظرف للاسرا للتاكيد وفايدته دفع
توهم المجاز لانه قد يطلق علي سير النهار ايضا وقال البيضاوي تبعا لصاحب
الكشاف للزمخشري وفايدته الدلالة بتنكيره علي تقليل مدة الاسرا
اي انه وقع في بعض الليل لا في جميعه والعرب تقول سري فلان ليلا اذا
سار بعضه وسري ليلة اذا سار جميعها كما في الفتح ولذلك قري في الشواذ
من الليل اي بعضه كقوله تعالي ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقيل
يقال اسري ليلا اذا سار اثنا الليل واذا سار في اوله يقال ادلج ومنه قوله
تعالي في قصة موسي فاسر بعبادي ليلا اي من وسط الليل وتعقبه
القطب في حاشيته علي الكشاف كما نبهت عليه في حاشية الشفا
اي نقل القطب التعقب عن غيره واقره فلذا نسبه اليه وعبارته قال بعضهم
وفيه نظر لان التنكير للتقليل لا يكون الا فيما يقبل القلة والكثرة والليل لا يقبلها
ولا يسلم له ليلا علي تقديره بالاعتبار لان بعد المعني وهو البعض حاصل
ولو لم ينكر فان قولك دخل زيد البلد الليل او ليلا يفيد هذا المعني اذ ليس
الدخول في كل الليل انتهي قال النعماني وفيه نظر اذ لا نسلم ان هذا وزانه
وانما وزانه طاف الامير البلد ليلا فان طوفه قد يكون مستغرقا لكل الليلة

ولما استشعر صاحب الكشاف هذا استشهد بقراءة عبد الله وحذيفة من
الليل ولا يسلم ايضا كونها تبعيضية بل يجوز انها ابتدائية فالسؤال باق انتهى
والمعاريج ليلة الاسرا عشرة سبع الى السموات السبع والثامن الى
سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام
تصوّتيهما في تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف والرؤية
لله عز وجل وسماع الخطاب منه بالمكافحة الخطابية والكشف الحقيقي
وقد وقع له عليه الصلاة والسلام في سني الهجرة بكسر السين جمع سنة
لسنة وبسكون اليا محذ فت النون للاضافة فالتقى ساكنان اليا واللام
فحذفت اليا لفظا لالتقا الساكنين فبقي هكذا سني خطا فتكتب اليا ولا تفترا
العشرة ماكان فيه مناسبات لطيفة بهذه المعاريج العشرة
وياتي ذكرها للمصنف وهذا ختمت سني الهجرة كذا في جميع النسخ باليا
والصواب سنو بالواو لانه جمع مذكر سالم تانيث فاعل ختمت بالوفاة
وهي اللقا الحق جل جلاله والانتقال من دار الفنا الى دار البقا
والعروج بالروح الكريمة الى المقعد الصدق بمجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم
واريد به الجنس وفى بمقاعد صدق والمعنى ان محل لس الجنان سالمة
من اللغو والتاثيم بخلاف مجالس الدنيا فقل ان تسلم من ذلك والى
الوعد الحق والى الوسيلة وهي المنزلة الرفيعة كما ختمت معاريج
الاسرا باللقا والحضور بحظيرة القدس وقد افاد الامام
الذهبي محمد الحافظ العلم المشهور الشهير نسبه الى الذهب ان
الحافظ عبد الغني المقدسي جمع احاديث الاسرا في جزء
ولم يتيسر لي الوقوف عليها بعد الفحص الطلب الشديد
وقد صنف الشيخ ابو اسحق ابراهيم الشامي تلميذ الحافظ ابن حجر
رحمه الله في الاسرا والمعراج كتابا جامعا للاطناب بزيادة
الرقايق والاسهاب بضو اصل الحقايق اي بزيادة بيانها
ولم اقف عليه حال كتابتي هذا المقصد الشريف وقد وقفت
عليه والله تعالى يرحم شيخ الاسلام والحافظ الشيخ ابن
حجر العسقلاني فانه جمع في كتابه الفتح كثيرا مما تشتت
من طرق حديث الاسرا وغيره من الاحاديث مع تدقيق مباحث
فقهه والكشف عن اسرار معاني كلمه وبدايع الفاظه وحكمه
واكثر ما ذكره المصنف هنا منه وكل من صنف في شي من المنح
العطايا النبوية والمناقب المحمدية لا يستغني عن استمنا
معارف اللطايف من رياض عياض اي فوايده المذكورة في الشفا
سماها رياضا لكثرة نفعها كنفع الاشجار المثمرة للعامة والاستشفا
من ادواء المشكلات بدوا اشفايه المبري للمعضل بكسر
الضاد اي شديد الامراض والله تعالى يفيض عليه وعلى ساير

علما

علما الامة سجال رحمته ورضوانه ويسكننا معهم في كنبوحة بضم
اليا بين جنانه اي وسطها وقد وردت احاديث الاسرا من حديث
انس بن مالك في روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة رواه
احمد ومسلم عن ثابت والشيخان عن شريك وابن مردويه عن كثير بن
ابن خنيس والنسايي وابن مردويه عن يزيد عن ابي مالك وابن ابي
حاتم وابن جرير وابن مردويه والبيهقي عن عبد الرحمن بن هاشم وعبد
العزيز بن صهيب والطبراني عن ميمون بن سياه وابن جرير عن كثير بن
سليم وابن مردويه عن ابي هاشم وعلي بن زيد وثمامة وابن سعد وسعيد
ابن منصور والبزار عن ابي عمران الجوني لاحد عشر عن انس عن المصطفى
بلا واسطة وابي بن كعب رواه عنه ابن مردويه من طريق عبيد بن
عمير ومن طريق مجاهد عن ابن عباس وعبد الله بن احمد في زوايد
المسند انه وقع فيه تحريف وكان في الاصل عن ابي ذر فسقط من النسخة
لفظة ذر فظن انه ابن كعب فادرج في مسند ابي بن كعب غلطا قاله الشامي
نبه الدارقطني في العلل على ان الوهم فيه من ابي حمزة انس بن عياض وجابر
ابن عبد الله عند الشيخين ورواه الطبراني وابن مردويه بلفظ اخر
بسند صحيح وبريدة بضم الموحدة وفتح الواو وسكون التحتية ابن
الحصيب بمهملتين مصغر رواه الترمذي والحاكم وصححه وسمرة
ابن جندب عند ابن مردويه وابن عباس عبد الله رواه احمد
والشيخان وابو يعلى وابو نعيم وابن مردويه والنسايي والبزار
بطرق كلها مختصرة وابن عمر رواه ابو داود والبيهقي وابن
مسعود رواه مسلم وابن عرفة واحمد وابن ماجة والبزار وابو
يعلى والطبراني والبيهقي بطرق عندهم عنه وابن عمرو بفتح العين
ابن العاصي عند ابن سعد وابن عساكر وحذيفة ابن اليمان
عند ابن ابي شيبة واحمد والترمذي وصححه وشداد بن اوس
عند البزار والطبراني والبيهقي وصححه وصهيب بن سنان عند
الطبراني وابن مردويه وعمر بن الخطاب رواه احمد وابن مردويه
ومالك بن صعصعة رواه احمد والشيخان وابن جرير والبيهقي وغيرهم
وابي امامة عند ابن مردويه في تفسيره وابي ايوب الانصاري
رواه الشيخان في اثنا حديث ابي ذر وابي حبة بموحدة على
الصحيح الانصاري الاوسي البدري رواه ابن مردويه قال في
الاصابة وقع ذكره في الصحيح من رواية الزهري عن ابي بكر
ابن محمد بن عمرو بن حزم عن ابي حبة البدري عقب حديث الزهري
عن انس عن ابي ذر في الاسرا وروي عنه ايضا عن عمار بن عمار وحديثه
عنده في مسند ابن ابي شيبة واحمد وصححه الحاكم وصرح بسماعه منه وعلى
هذا فهو غير الذي ذكر ابن اسحق انه استشهد باحد قال ابو حاتم

اسمه عامر بن عبد عمرو بن عمير بن ثابت وقال ابو عمر بن جبال بالموحدة
وبالنون وبالياء والصواب بالموحدة وقيل اسمه عامر وقيل مالك وبالنون
ذكره ابن عقبة وابن ابي خيثمة وانكر الواقدي ان يكون في البدريين من
يكنى اباحبة بموحدة وقد خلطه غير واحد بابي حبة بن غزية بن عمرو
الخزرجي البخاري وفرق بينهما غير واحد وصوبه ابن عبد البر فقال
هذا خزرجي وذاك اوسي وهذا لم يشهد بدرا وذاك شهدها **وابي ذر**
رواه الشيخان **وابي سعيد الخدري** رواه ابن جرير وابن ابي
حاتم والبيهقي من طريق هرون العبدي وهو متكلم فيه وقد روى
البيهقي عن ابي الازهر قال حدثنا يزيد بن ابي حكيم قال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله رجل من امتك
يقال له سفين لا باس به فقد قال صلى الله عليه وسلم لا باس به حدثنا عن
ابي هرون عن ابي سعيد عنك انك ليلة اسري بك قلت رايت في السما
فحدثته بالحديث فقال نعم فقلت ان اناسا من امتك يحدثون عنك في
الاسرا بعجايب فقال ذاك حديث القصاص **وابي سفين بن حرب**
عند ابي نعيم في الدلايل **وابي هريرة** رواه مطولا ابن جرير
وابن ابي حاتم والبيهقي والحاكم وصححه ومختصرا الشيخان واحمد وابن
ماجة وابن مردوية وابن سعد والطبراني وسعيد بن منصور بطريق
عنه **وعايشة** عند الحاكم وصححه والبيهقي وابن مردوية **وام
بنت ابي بكر** رواه ابن مردوية **وام هاني** عند الطبراني **وام
سلمة** عند الطبراني وابي يعلي وابن عساكر وابن اسحق **وغيرهم**
فاخرجه ابن عساكر عن صخر سهل بن سعد والبزار والبغوي وابن قانع
عن عبد الله بن اسعد بن زرارة والطبراني عن ابي الحمرا وابن
مردوية والطبراني عن ابي ليلى الانصاري وسعيد بن منصور عن
عبد الرحمن بن قرط وذكره بن دحية عن ابي بكر الصديق وعبد الرحمن
ابن عايش وابي سلمة بن عياض وذكره ابو حفص النسفي عن العباس
ابن عبد المطلب وعثمان بن عفان وابي الدردا وابي سلمى راعي النبي صلى
الله عليه وسلم وام كلثوم بنت المصطفى وبلال بن حمامة وبلاه لابن
سعد وابن الزبير وابن ابي اوفى واسامة بن زيد قاله الشامي
ولم اقف على حديثه فهو لا خمسة واربعون صحابيا رووا القصة
**رضي الله عنهم اجمعين وفي تفسير الحافظ ابن كثير من ذلك
ما يكفي ويشفي وبالجملة فحديث الاسرا اجمع عليه المسلمون
واعرض عنه الزنادقة الملحدون** لا سيما التدعي زعمهم
الكاذب **يريدون ليطفيوا** منصوب بان مقدرة واللام مزيدة
نور الله شرعه وبراهينه **بافواههم** بما فهم النهم فيه **والله متم**
مظهر **نوره ولو كره الكافرون** ذلك وقد ساق المبرهان

النعمان بن غالب الحافظ الصحابة الذين رووا القصة والمصنف اقتصر على
حديث البخاري في باب المعراج وتكلم بعده بما غالبه من فتح الباري فقال
وقد روى البخاري بسنده وهو حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام
عن قتادة بن دعامة وليس هذا من التعليق في شي **عن انس بن
مالك** وكذا رواه مسلم والنسايي واخرجه البخاري في بدو الخلق من
وجه اخر عن قتادة حدثنا انس فزال ما يخشى من تدليس قتادة بتحريكه
عن مالك بن صعصعة بن وهب بن عدي بن مالك الانصاري من بني
النجار ماله في البخاري ولا غيره سوى هذا الحديث ولا يعرف من روى
عنه الا انس بن مالك قاله في الفتح وذكر في الاصابة الخلاف في انه من بني
عدي بن النجار وبه جزم ابن سعد او من بني مازن بن النجار وبه جزم
البغوي وقال سكن المدينة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثين
وذكر الخطيب في المبهمات انه الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم الكل تمر
خيبر هكذا **ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثه عن ليلة
اسري به** فيها صفة لليلة هكذا رواه الكشميهني والنسايي ورواه
الاكثر عن ليلة الاسرا وبين ما حدث به بقوله **بينما** اي فقال المصطفى
بينا وثبت في بعض نسخ البخاري قال بينما بالميم **انا نايم في الحطيم وربما
قال في الحجر** بكسر فسكون والشك من قتادة كما في الفتح والمراد بالحطيم الحجر
مضطجعا نصب على الحال **اذ اتاني ات** هو جبريل **فقد** بالقاف
والدال الثقيلة **قال** قتادة **وسمعته** اي انسا يقول فالقايل قتادة
والمفعول عنه انس ولاحمد قال قتادة وربما سمعت انسا يقول قال الحافظ
فلم يصب من قال الظاهر ان ضمير قال لمالك بن صعصعة **فشق ما بين
هذه الى هذه قال** قتادة **فقلت للجارود** بفتح الجيم قال في فتح
مضمومة فواو فدال مهملة قال الحافظ لم ار من نسبه من الرواة ولعله ابن
ابي سبرة البصري صاحب انس فقد اخرج له ابو داود من روايته عن انس
حديثا غير هذا انتهى وجزم المصنف بما ترجاه **وهو الى جنبي ما يعني
به** اي بقوله **فشق** ما بين هذه الى هذه **قال يعني من
ثغرة نحره** بضم المثلثة وسكون المعجمة الموضع المنخفض بين الترقوتين
الى شعرته بكسر المعجمة اي شعر العانة ووقع السوال هل كان شق
صدره الشريف بالة ام لا ولم يجب عنه احد ولم ار من تعرض له بعد
التتبع وظاهر قوله فشق انه كان بالة ويدل له قول الملك في حديث
ابي ذر خط بطنه فخاطه وفي لفظ عتبة بن عبد حصه فخاصه وفي حديث
انس كانوا يرون اثر المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم ذكره الشامي
وزعم بعض ان الشق في المرات كلها لم يكن بالة ولم يسل منه دم ولم
يجد لذلك الما كما صرح بذلك في بعض الروايات لانه من خرق العادات
وظهور المعجزات **فاستخرج قلبي ثم اتيت** بضم الهمزة **بطست**

بفتح الطا وبكسرها وسكون السين المهملتين وعثناة وقد تحذف
وهو الاكثر واثباتها لغة طي واخطا من انكرها قاله الحافظ **من ذهب**
قيل تحريم استعماله **مملوة** بالجر على الصفة والتانيث على لفظ الطست
لانها مونثة **ايمانا** نصب على التمييز ملا حقيقة وتجسد المعاني جائز
كتمثيل الموت كبشا ووزن الاعمال وغيره ذلك من احوال الغيب او مجازا من باب
التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع كثيرا كما مثلت له الجنة والنار في عرض الحائط
وفائدته كشف المعنوي بالحسي ثم هذا لفظ البخاري في المعراج وله في بدء الخلق
بطست ملي حكمة وايمانا بالتذكير باعتبار الاناء وللمستملي والحموي ملان
بفتح الميم وسكون اللام وهمزة ونون وللكشميهني ملاى بفتح الميم وسكون
اللام وفتح الهمزة مونث على لفظ الطست فزاد في هذه الرواية حكمة
قال ابن ابي جمرة فيه ان الحكمة ليس بعد الايمان اجل منها ولذا قرنت معه
ويؤيده قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واوضح ما قيل
فيها انها وضع الشي في محله او الفهم في كتاب الله وعلى الثاني فقد توجد
الحكمة دون الايمان وقد لا توجد وعلى الاول فقد يتلازما لان الايمان يدل
على الحكمة **فغسل** بضم الغين اي غسل جبريل **قلبي** وفي مسلم
والبخاري في الصلاة بما زمزم لانه افضل المياه ويقوي القلب
ثم حشي بضم المهملة وكسر المعجمة ايمانا وحكمة **ثم اعيد** موضعه من
الصدر المقدس وللبخاري في الصلاة ثم جا بطست من ذهب ممتلي
حكمة وايمانا فافرغه في صدري ثم اطبقه **ثم اتيت** بضم الهمزة ثم
بدابة دون البغل وفوق الحمار ابيض ذكر باعتبار كونه مركوبا
او نظرا للفظ البراق وحكمة كونه بهذه الصفة الاشارة الى ان الركوب
كان في سلم وامن لا في حرب وخوف او لاظهار المعجزة بوقوع الاسراع
الشديد بدابة لا توصف بذلك عادة **فقال له الجارود هو البراق**
استفهام حذفت اداته **يا ابا حمزة** بمهملة وزاي كنية انس **قال**
انس **نعم** هو البراق بضم الموحدة وتخفيف الرا ضبطه الحافظ وغيره
وكثيرا ما يخطي المشدقون فيجودونه بكسر البا **يضع خطوه** بفتح
المعجمة المرة الواحدة وبضمها الفعلة **عند اقصى طرفه** بسكون
الرا وبالفا اي نظره اي يضع رجله عند ما ينتهي ما يرى بصره قاله
الحافظ والتعبير بالخطو مجاز لانه مصدر وهو لا يتصف بالوضع **فحملت**
عليه بضم الحا مبنيا للمفعول **فانطلق بي جبريل حتى السما**
الدنيا ظاهره انه استمر على البراق حتى عرج الى السما ولعله مراد
بل هذا اختصار من الراوي ويأتي بسطه للمصنف وقال النعماني وما
المانع انه صلى الله عليه وسلم رقي المعراج فوق ظهر البراق نظرا لظاهر
هذا الحديث انتهى والمانع من ذكر ربطه ببيت المقدس كما يأتي بيانه
فاستفتح اي طلب فتح باب السما بقرع او صوت والاشبه الاول

لانه صوته معروف قاله الحافظ وصرح به في رواية مسلم عن ثابت عن انس
بلفظ فقرع الباب وفي حديث ابي ذر قال جبريل لخازن السما افتح فيجمع
بينهما بانه فعل القرع والصوت معا والتعليل بمعرفة صوته لا ينهض مع كون
السما شفافة وفي حديث ابي حديث عند البيهقي في ذكر الانبيا الى باب
من ابواب السما الدنيا يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسماعيل
تحت يده اثنا عشر الف ملك وفي حديث جعفر بن محمد عند البيهقي ايضا
يسكن الهوا لم يصعد الى السما قط ولم يهبط الى الارض قط الا يوم مات
النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي في الدلايل
وبين يديه سبعون الف ملك كل ملك جنده مائة الف **قيل من هذا** الذي
يقرع الباب **قال جبريل قال ومن معك قال محمد** وهذا يشعر بانهم
احسوا معه برفيق اما بمشاهدة لان السما شفافة واما بامر معنوي
كزيادة انوار ونحوها تشعر بتجدد امر يحسن معه السوال بهذه
الصيغة والا كان السوال بلفظ امعك احد **قيل وقد ارسل اليه** للعروج
الى السما على الاظهر لقوله اليه لان بعثه قد اشتهر في الملكوت الاعلى
كما يأتي في المتن **قال نعم قيل مرحبا به** اي لقي رحبا بضم الرا وفتحها
وسكون الحا وبفتحها وسعه وكني بذلك من الانشراح **فنعم** لفظ البخاري
في المعراج وله في بدء الخلق ولنعم **المجي جا** قال ابن مالك فيه شاهد على
الاستغنا بالصلة عن الموصول او الصفة عن الموصوف في باب نعم لانها
تحتاج الى فاعل هو المجي والى مخصوص بمعناها وهو مبتدا مخبر عنه بنعم
وفاعلها هو في هذا وشبهه موصول او موصوف بجا والتقدير نعم المجي الذي
جا او نعم المجي مجي جا وكونه موصولا اجود لانه مخبر عنه والمخبر عنه اذا
كان معرفة اولى من كونه نكرة انتهى فلا حذف فيه ولا تقديم خلافا
لقول المظهري المخصوص بالمدح محذوف وفيه تقديم وتاخير تقديره
جا فنعم المجي مجيه **ففتح الباب فلما خلصت** بفتح اللام اي وصلت **فاذا**
فيها ادم وفي حديث انس عند ابي ذر عند البخاري في الصلاة فاذا
رجل قاعد عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك
واذا نظر قبل شماله بكى فقلت لجبريل من هذا **قال هذا ابوك** ووقع
ذكر القسم هنا في بعض النسخ والصواب اسقاطه اذ ليس في حديث انس
عن مالك بن صعصعة الذي هو في سياق لفظه وانما هو في حديث انس
عن ابي ذر كما في البخاري **فسلم عليه** لان المار يسلم على القاعد وان
وان كان المار افضل **فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال مرحبا بالابن**
الصالح والنبي الصالح فيه اشارة الى افتخاره بابوة النبي صلى الله عليه
وسلم والصالح القائم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد فلهذا
كانت كلمة جامعة لمعاني الخير وتواردا الانبيا على وصفه بها وكررها كل منهم
عند كل صفة **ثم صعد بي الى السما الثانية فاستفتح** جبريل بابها

قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه
قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا والذي جا ففتح الخازن الباب
فلما خلصت اذا بيحيي بن زكريا وعيسي بن مريم زاد في حديث ابي سعيد
عند ابن جرير وابن ابي حاتم والبيهقي شبيه احدهما بصاحبه ثيابهما وشعرهما
ومعهما نفر من قومهما واذا عيسي جعد مربوع الخلق الي الحمرة والبياض سبط
الراس كانما خرج من ديماس اي حمام شبهه بعروة بن مسعود الثقفي
وهما ابنا الخالة لان ام يحيي ايشاع بنت فاقود اخت حنة بمهملة ونون
شديدة بنت فاقود ام مريم وذلك ان عمران بن ماثان تزوج زكريا ايشاع
فولدت ايشاع يحيي وولدت حنة مريم فتكون ايشاع خالة مريم وحنة
خالة يحيي فهما ابنا خالة بهذا الاعتبار ولبني عمران هذا ابو موسي اذ
بينهما فيما قيل الف وثمانماية سنة قال ابن السكيت يقال انهما ابنا خالة ولا يقال
ابنا عمة ولا يقال ابنا خالة عمرو ولا ابنا خال قال الحافظ والسبب فيه ان ابني
الخالة ابن كل منهما خالة الاخر وما يخلاف ابني العمة قال هذا يحيي
وعيسي فسلم عليهما فسلمت عليهما فردا علي السلام ثم قالا مرحبا بالاخ
الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي الي السما الثالثة فاستفتح جبريل
الباب قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت
اذا يوسف قال لي جبريل هذا يوسف فسلم عليه ولعل حكمة امره
بالسلام علي كل من ورد عليه ولم يكتف بالامر الاول مع حصول العلم بطلب السلامة
علي كل من مر عليه منهم الاشارة الي استحقاق كل منهم للتعظيم وان من مر علي جماعة
مترسين يطلب منه السلام علي كل منهم بخصوصه فسلمت عليه فرد ثم
قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح زاد في مسلم في رواية ثابت
عن انس فاذا هو قد اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا صلي الله عليه وسلم
كما قال ابن المنير والمراد غير المصطفي بالمرة ويأتي بسطه للمصنف ثم صعد
بي حتي اتي السما الرابعة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم
المجي الذي جا فلما خلصت فاذا ادريس زاد في حديث ابي سعيد عند
ابن جرير وابن ابي حاتم والبيهقي قد رفعه الله مكانا عليا واستشكل
بانه راي هرون وموسي وابراهيم في مكان ارفع منه واجيب بان
وجهه ما ذكر كعب الاحبار ان ادريس خص من بين جميع الانبيا برفعه
حيا رفعه الملك الموكل بالشمس وكان صديقا له وكان ادريس سأله ان
يريه الجنة فاذن الله له في ذلك فلما كان في السما الرابعة قبضه هناك
فرفعه حيا الي ذلك المقام خاص به دون الانبيا قاله السهيلي وتعقبه
الحافظ في كتاب الانبيا فقال فيه نظر لان عيسي ايضا رفع وهو حي علي
الصحيح وكون ادريس رفع وهو حي لم يثبت من طريق مرفوعة قوية وروي

الطبري

الطبري ان كعبا قال لابن عباس ان ادريس سال صديقا له من الملايكة فحمله
بين جناحيه ثم صعد به فلما كان في السما الرابعة تلقاه ملك الموت فقال له اريد
ان تعلمني كم بقي من اجل ادريس قال واين ادريس قال هو معي فقال ان هذا الشي
عجيب امرت ان اقبض روحه في السما الرابعة فقلت كيف ذلك وهو في
الارض فقبض روحه فذلك قوله تعالي ورفعناه مكانا عليا وهذا من الاسرايليات
والله اعلم بصحته انتهي والجواب عن السهيلي انه قيد خصوصية ادريس برفعه
حيا الي السما الرابعة فلا يرد عيسي لانه رفع حيا الي السما الثانية وذكر ابن
قتيبة ان ادريس رفع وهو ابن ثلاث ماية وخمسين سنة قال هذا ادريس
فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
قيل فيه رد علي النسابين في قولهم ادريس جد نوح والا لقال والابن الصالح
كما قال ادم ولا رد فيه لانه خاطب بالاخوة تادبا وتلطفا وان كان ابا
والمومنون اخوة وكان وجه خصوصية الخطاب بذلك لرفعه مكانا عليا ثم صعد
بي حتي اتي السما الخامسة فاستفتح قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي
جا فلما خلصت فاذا هرون زاد في حديث ابي سعيد عند ابن جرير
وابن ابي حاتم وابن مردوية والبيهقي ونصف لحيته بيضا ونصف لحيته
سودا يكاد يضرب الي سرته من طولها وفي حديث ابي هريرة عند ابن جرير
والبيهقي وغيرهما وحوله قوم من بني اسرايل وهو يقص عليهم قال هذا
هرون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح ثم صعد بي حتي اتي السما السادسة فاستفتح قيل من
هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال
نعم هكذا ثبت في البخاري في باب المعراج هنا وفي السابعة قال نعم ايضا
وسقط في الموضعين في بدء الخلق وهو الذي وقف عليه الشارح فتجرا
وقال لم يذكر البخاري قال نعم لا في السادسة ولا في السابعة قيل مرحبا به
فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا موسي بن عمران رجل ادم طويل كانه من
رجال شنوءة كما في البخاري عن ابي هريرة ومسلم عن ابن عباس وفي
حديث ابي سعيد كثير الشعر لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دونهما قال
هذا اخوك فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح فلما تجاوزت بجيم وزاي وحذف الضمير المنصوب بكي
موسي قيل له ما يبكيك قال ابكي لان غلاما صغير السن بالنسبة
اليه وقد انعم الله عليه بما لم ينعم به عليه مع طول عمره بعث من بعدي
يدخل الجنة من امته اكثر ممن يدخلها من امتي وليس بكاوه
حسدا معاذ الله فانه منزوع عن احاد المومنين في ذلك العالم فكيف
بمن اصطفاه الله بل لا وجه ثاني في المتن ثم صعد بي الي السما السابعة
فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل

وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا
ابراهيم قال جبريل هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه
فرد السلام ثم قال بالقاف وحدها وروايتان في البخاري مرحبا بالابن
الصالح والنبي الصالح زاد في حديث ابي ايوب عند ابن ابي حاتم وابن
حبان وابن مردويه واحمد وقال مر امتك فليكثروا من غراس الجنة
فان تربتها طيبة وارضها واسعة فقال له وما غراس الجنة قال لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم واخرج الترمذي وقال حسن والطبراني
عن ابن مسعود رفعه ان ابراهيم قال اقرا امتك مني السلام واخبرهم
ان الجنة طيبة التربة عذبة الما وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر قال النووي وفقه من الله الكريم تحصل لنا سندا متصلا بخليله
ابراهيم وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة وهو اي المصطفى اشبه
ولد ابراهيم به وياتي في المتن توجيه رويته لها ولا انبيا في السموات
ولهم ولغيرهم في بيت المقدس مع ان اجسادهم في قبورهم ثم رفعت
كذا للاكثر بضم الرا وسكون العين وضم التا من رفعت بضمير المتكلم وبعده
حرف الجر وهو الي سدرة المنتهي وللكشميهني رفعت بفتح العين وسكون
التا الي من اجلي وسدرة المنتهي بالرفع نايب فاعل رفعت وكذا في بدء
الخلق ويجمع بين الروايتين بان المراد انه رفع اليها اي ارتقي به وظهرت
له والرفع الي الشي يطلق علي التقريب منه وقد قيل في قوله وفرش مرفوعة
اي تقرب لهم فاذا نبقها بفتح النون وكسر الموحدة وسكونها ايضا قال
ابن دحية والاول هو الذي ثبت في الرواية اي التحريك المعروف وهو
ثمر السدر مثل قلال قال الخطابي بالكسر جمع قلة بالضم هي الجرار
يريد ان ثمرها في الكبر مثل القلال وكانت معروفة عند المخاطبين فلذا
وقع التمثيل بها قال وهو التي وقع تحديد الما الكثير بها في قوله اذا بلغ
الما قلتين هجر بفتح الها والجيم بلدة لا تنصرف للتانيث والعلمية ويجوز
الصرف واذا ورقها مثل اذان الفيلة بكسر الفا وفتح التحتية
بعدها لام جمع فيل وفي بدء الخلق مثل اذان الفيول وهو جمع فيل ايضا
قاله كله في فتح الباري وقول الزركشي الفيلة بفتح الفا والياء سهو قاله
في المصابيح قال جبريل هذه سدرة المنتهي ووجه تسميتها
بذلك بينه صلي الله عليه وسلم بقوله واليها ينتهي ما يعرج من الارض
فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها رواه مسلم
من حديث ابن مسعود قال الحافظ واورده النووي بصيغة التمريض
فقال وحكي عن ابن مسعود انها سميت بذلك الي اخره فاشعر بضعفه
عنده ولا سيما ولم يصرح برفعه وهو صحيح مرفوع انتهي وياتي بعض
هذا في المتن واذا اربعة انهار تخرج من اصلها نهران
باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال اما

الباطنان

الباطنان فنهران في الجنة ويجريان في اصل سدرة المنتهي ثم يسيران
حيث شا الله ثم ينزلان الي الارض ثم يسيران فيها وقال مقاتل الباطنان
السلسبيل والكوثر كذا في شرح المصنف وياتي في المتن ابسط منه واما
الظاهران فالنيل نهر مصر والفرات بالفوقية خطا ووصلا ووقفا
بالها نهر بغداد قال الحافظ هذا في القراات المشهورة وجا في قراة
شاذة ابقاها تانيث وشبهها ابو المطهر الليث بالتابوت والتابوه
ثم رفع لي البيت المعمور زاد الكشميهني يدخله كل يوم سبعون
الف ملك وتقدمت هذه الزيادة في بدء الخلق بزيادة اذا خرجوا لم
يعودوا اخر ما عليهم كذا وقع مضموما الي رواية قتادة عن انس عن مالك
ابن صعصعة وهو مدرج من رواية عن الحسن عن ابي هريرة لان البخاري
عقب الحديث في بدء الخلق بقوله وقال همام عن قتادة عن الحسن عن ابي
هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم في البيت المعمور قال الحافظ ثمة يريد
ان هماما فصل في روايته قصة البيت المعمور من قصة الاسرا فروي اصل
الحديث عن قتادة عن انس وقصة البيت عن الحسن البصري واما سعيد
وهو ابن ابي عروبة وهشام وهو الدستوائي فادرجا قصة البيت المعمور
في حديث انس والصواب رواية همام وهي موصولة هنا عن هدبة عنه ووهم
من زعم انها معلقة فقد روي الحسن بن سفيان الحديث بطوله عن هدبة
الي قوله فرفع لي البيت المعمور فقال قال قتادة فحدثنا الحسن عن ابي هريرة
انه صلي الله عليه وسلم راي البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ولا
يعودون فيه وعرف بذلك مراد البخاري بقوله في البيت المعمور واخرج الطبري
من طريق سعيد بن ابي عروبة عن قتادة قال ذكر لنا ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد في السما حذا الكعبة لو خر لخر عليها
يدخله كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لم يعودوا وهذا وما قبله يشعر
بان قتادة كان يدرج قصة البيت المعمور في حديث انس وتارة يفصلها
وحين يفصلها تارة فذكر تارة يفصل سندها وتارة يبهمه انتهي ثم اوتيت
باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فشربت منه
فقال جبريل هي الفطرة التي انت عليها وامتك وفي حديث ابي
هريرة عند البخاري في الاشربة ولو اخذت الخمر غوت امتك وفي
حديث انس عند البيهقي ولو شربت الما غرقت وغرقت امتك وعند
مسلم من حديث ثابت عن انس ان اتيانه بالانية كان ببيت المقدس
قبل المعراج ولفظه ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاني
جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخذت اللبن فقال اخذت الفطرة ثم
عرج بي الي السما وجمع الحافظ بحمل ثم علي غير بابها من الترتيب وانما هي
بمعني الواو هنا وبوقوع عرض الانية مرتين مرة عند فراغه من الصلاة
ببيت المقدس وسببه ما وقع له من العطش فيه وحديث شداد فصليت

من المسجد حيث شا الله واخذني من العطش اشد ما اخذني فاتيت باناين
احدهما لبن والاخر عسل فعدلت بينهما ثم هداني الله فاخذت اللبن فقال
شيخ بين يدي يعني لجبريل اخذ صاحبك الفطرة ومرة عند وصوله الي
سدرة المنتهي ورويته الانهار الاربعة واما الاختلاف في عدد الانية وما فيها
فيحمل علي ان بعض الرواة ذكر مالم يذكر الاخر ومجموعها اربعة اشيا من
الانهار الاربعة التي راها تخرج من اصل سدرة المنتهي وهي الما واللبن والعسل
والخمر كما في حديث ابي هريرة عند الطبري فلعله عرض عليه من كل نهر انا
وجا عن كعب ان نهر العسل نهر النيل ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر
الفرات ونهر الما نهر سيحان وفي حديث ابي هريرة عند ابن عايذ بعد
ذكر ابراهيم ثم انطلقنا فاذا نحن بثلاثة انية مغطاة فقال لي جبريل
يا محمد الا تشرب مما سقاك ربك فتناولت احدها فاذا هو عسل فشربت منه
قليلا ثم تناولت الاخر فاذا هو لبن فشربت منه حتي رويت فقال الا تشرب
من الثالث قلت قد رويت قال وفقك الله وفي رواية البزار ان الثالث كان
خمرا لكن قد وقع عنده ان ذلك كان ببيت المقدس وان الاول كان ما ولم يذكر العسل
ويأتي مزيد لذلك في كلام المصنف ثم فرضت بالبنا للمفعول علي الصلاة
بالافراد وفي رواية الصلوات بالجمع خمسين صلاة كل يوم اي وليلة
وللنسايي عن انس اوتيت سدرة المنتهي فغشيتني ضبابة فخررت
ساجدا فقيل لي ان يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلي امتك خمسين
صلاة فقم بها انت وامتك قال صلي الله عليه وسلم فرجعت وفي حديث انس
عند ابي حاتم فمر علي ابراهيم فلم يقل شيا فمررت علي موسي زاد في حديث
ابي نعيم ونعم الصاحب كان لكم فقال بما ولابي ذر بم امرت بضم الهمزة
مبني للمفعول وفي حديث انس عند النسايي وغيره ما فرض ربك عليك وعلي
امتك قال امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع
خمسين صلاة ولمسلم عن ثابت عن انس قال فرض علي وعلي امتي خمسين
صلاة كل يوم وليلة واني والله قد جربت وفي رواية جربت الناس
قبلك وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة مثل المزاولة يعني مارستهم
ولقيت الشدة فيما اردت منهم وفي رواية النسايي فانه فرض علي بني
اسرايل صلاتان فما قاموا بهما وفي الصحيحين من رواية شريك عن
انس وبلوت بني اسرايل وعالجتهم اشد المعالجة علي ادني من هذا فضعفوا
وتركوه وامتك اضعف اجسادا وابدانا وابصارا واسماعا فالتفت
النبي صلي الله عليه وسلم الي جبريل يستشيره فاشار اليه جبريل ان
نعم ان شيت فارجع الي ربك فاساله التخفيف لامتك فرجعت
فوضع عني عشرا فرجعت الي موسي فقال مثله ان امتك لا تستطيع
الي اخره فرجعت فوضع عني عشرا من الاربعين فرجعت الي موسي فاخبرته
فقال مثله فرجعت فوضع عني عشرا من الثلاثين فرجعت الي موسي

فقال

فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات بالاضافة وفي رواية مثنوين
عشر كل يوم وليلة فرجعت الي موسي فقال مثله فامرت بخمس صلوات
كل يوم كما في لفظ الحديث اي وليلة الي فرجعت الي موسي فقال بم بلا الف
رواية ابي ذر ولغيره بما بالالف بعد الميم امرت قلت امرت بخمس صلوات كل
يوم وليلة قال امتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم واني قد جربت الناس
قبلك وعالجت بني اسرايل اشد المعالجة فارجع الي ربك فاساله التخفيف
لامتك وفي رواية فسله والاصل فاساله لانه امر من السوال فنقلت
حركة الهمزة الي السين فحذفت تخفيفا واستغني عن همزة الوصل فحذفت
قال صلي الله عليه وسلم لموسي سالت ربي حتي استحييت منه ولكني رواية
ابي ذر عن الكشميهني ولغيره ولكن ارضي واسلم قال الحافظ فيه حذف
وتقدير الكلام سالت ربي حتي استحييت فلا ارجع فاني ان رجعت صرت
غير راض ولا مسلم ولكن ارضي واسلم فلما جاوزت ناداني مناد امضيت
فريضتي وخففت عن عبادي قال الحافظ هذا من اقوي ما استدل
به علي انه تعالي كلم نبيه محمد ليلة الاسرا بلا واسطة وفي رواية النسايي
عن انس خمس بخمسين فقم بها انت وامتك فعرفت انها عزمة من الله فرجعت
الي موسي فقال ارجع فلم ارجع وفي الصحيحين من طريق شريك عن
انس فقال اهبط بسم الله قال المصنف اي قال جبريل لا موسي وان كان
ظاهر السياق وفي رواية له اي للبخاري وكذا مسلم كلاهما من حديث انس
عن ابي ذر ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل
جبريل ففرج بفتحات اي شق صدري وفي رواية عن صدري بزيادة
عن لمجرد التاكيد او فرج مضمن معني كشف والمراد بالصدر القلب اي
كشف عن قلبي ما امنع الوصول اليه وذكر بشق الصدر ثم غسله بما زمزم
قال ابن ابي جمرة انما لم يغسل بما الجنة لما اجتمع في زمزم من كون
اصل مايها من الجنة ثم استقر في الارض فاريد بذلك بقا بركة النبي صلي
الله عليه وسلم في الارض وقال السهيلي لما كانت زمزم حفرة جبريل روح
القدس لام اسماعيل جده ناسب ان يغسل عند دخوله حضرة القدس لمناجاته
ثم جا بطست من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغه في صدري
ثم اطبقه اي الصدر الشريف وفي رواية مسلم فاستخرج قلبي فغسل بما
زمزم ثم اعيد مكانه ثم حشي ايمانا وحكمة وفي رواية شريك بن ابي
نمر عن انس عند الشيخين فحشي به صدره ولغاديده وهي اي هذه
اللفظة بلام مفتوحة وغين معجمة اي عروق حلقه وفي النهاية
لابن الاثير جمع لغدود وهي لحمة مشرفة عند اللهات والشكفي
قوله وربما قال في الحجر كالزمن عن قتادة كما بينه الامام احمد في روايته
هذا الحديث عن عفان بتشديد الفا ابن مسلم بن عبد الله الباهلي البصري
ثقة ثبت روي له الجميع مات في سنة تسع عشرة وماتين ولفظه بينما

انا نايم في الحطيم وربما قال قتادة في الحجر اي انه كان يحدث به تارة فيقول في الحطيم وتارة يقول في الحجر لشكه في خصوص اللفظ الذي سمعه من انس وان كان المعني واحدا كما قال والمراد بالحطيم هنا الحجر زاد الحافظ وابعد من قال المراد به ما بين الركن والمقام او بين زمزم والحجر وهو وان كان مختلفا في الحطيم هل هو الحجر ام لا لكن المراد هنا البقعة التي وقع ذلك فيها ومعلوم انها لم تتعدد لان القصة متحدة لاتحاد مخرجها ووقع عند البخاري في اول بد الخلق اولية نسبية اذ هو في باب ذكر الملايكة بعد خمسة ابواب من كتاب بد الخلق من طريق قتادة عن انس عن مالك بن صعصعة ايضا بلفظ بينا باسقاط ما المذكورة في باب المعراج انا عند البيت وهو اعم من قوله في الحطيم وربما قال في الحجر انه يحتملهما ويحمل اخر من المسجد بقرب البيت وفي رواية الزهري عن انس عن ابي ذر عند البخاري ومسلم فرج بضم الفا وكسر الراي فتح سقف بيتي وانا بمكة جملة حالية اسمية وفي رواية الواقدي باسانيده انه اسري به من شعب ابي طالب بكسر الشين المعجمة وفي حديث ام هاني خاحية او هند او عاتكة شقيقة علي لها احاديث في الكتب الستة وغيرها عند الطبراني انه بات في بيتها قالت ففقدته من الليل فسالته لما رجع ذهب الي اي محل في الوقت الذي فقدته فيه فقال ان جبريل اتاني فذكر الحديث والجمع بين هذه الاقوال اي الروايات كما في فتح الباري انه بات في بيت ام هاني وبيتها عند شعب ابي طالب ابيها ففرج سقف بيته واضاف البيت اليه في رواية ابي ذر لانه كان يسكنه فنزل منه الملك والاضافة تكون بادني ملابسة ولان البيت ينسب لساكنه فنزل منه الملك جبريل فاخرجه من البيت الي المسجد الحرام فكان به مضطجعا وبه اثر النعاس فلذا قال بينما انا نايم في الحطيم مضطجعا ثم اخرجه الملك الي باب المسجد فاركبه البراق قال في الفتح وقد وقع في مرسل الحسن البصري عند ابن اسحاق ان جبريل اتاه فاخرجه الي المسجد فاركبه البراق وهو يويد هذا الجمع فابيدا في بيان قيل لم فرج سقف بيته عليه الصلاة والسلام ونزل منه الملك ولم يدخل من الباب مع قوله تعالي واتوا البيوت من ابوابها اجيب كما قال ابن دحية بان الحكمة في ذكر ان الملك انصب اي نزل من السما انصبابة واحدة علي جهة الاستقامة ولم يعرج علي شي سواه اي من غير تعريج عن الجهة التي نزل منها الي غيرها فكان نزوله علي السقف مبالغة في المفاجاة وتنبيها علي ان المناجات وقع علي غير ميعاد كرامة له عليه الصلاة والسلام كما افهمه قوله بينا انا نايم

اذ يجيبه له فجاة يشعر بانه لا موعد بينهما وكذا قوله فرج سقف بيتي اذ لو كان بينهما موعد لانتظر يجيبه فيه ولاتاه من الباب بعلي عادة الجاي لمن ينتظره وفيه اشارة الي طلب الاستقامة في الامور والي المبادرة اليها واخذها من اقرب الطرق وهذا بخلاف موسي عليه الصلاة والسلام فكانت تكرامته بالمناجاة له سبحانه عن ميعاد واستعداد بالصوم قال تعالي ووعدنا موسي ثلاثين ليلة قال الجلال اي نكلمه عند انتهايها بان يصومها وهي ذو القعدة فلما تمت انكر خلوف فمه فاستاك فامره الله تعالي بعشرة اخري ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالي واتممناها بعشر اي من ذي الحجة بخلاف نبينا عليه الصلاة والسلام فانه حمل عنه الم الانتظار الواقع لموسي مدة الصوم حتي كلمه ربه كما حمل عنه الم الاعتذار الذي اعتذر به موسي انه انما استاك لانكار رايحة فمه ويوخذ من هذا ان مقام نبينا عليه الصلاة والسلام بالنسبة الي مقام موسي عليه الصلاة والسلام مقام المراد مطلوب للمناجاة بلا سوال بالنسبة الي مقام المريد بقوله رب ارني انظر اليك ويحتمل ان يكون توطية وتمهيدا لكونه فرج عن صدره فاراد الملك بافراجه عن السقف ثم التيام السقف علي الفور كيفية اي صفة ما يصنع به وقرب له الامر في نفسه بالمثال المشاهد في بيته لطفا في حقه عليه السلام وتثبيتا لبصره وفي الفتح قيل الحكمة في نزوله عليه من السقف الاشارة الي المبالغة في مفاجاته بذلك والتنبيه علي ان المراد منه ان يعرج به الي جهة العلو والله اعلم بحقيقة السر في ذلك وقوله مضطجعا زاد البخاري في بد الخلق بين النايم واليقظان اي ان نومه قريب من اليقظة وهو محمول علي ابتدا الحال ثم لما خرج به الي باب المسجد فاركبه البراق استمر في يقظته التي لا يخالطها نوم وفي نسخة لما اخرج به بزيادة البا في المفعول والاصل اخرجه فهو مبني للفاعل واما ما وقع في رواية شريك عنده اي البخاري ايضا في كتاب التوحيد في اخر الحديث في اخر الحديث ثم الحديث فاستيقظ وهو بالمسجد الحرام فان قلنا بالتعدد بالمعاريج فلا اشكال لانه معراج اخر في المنام والا حمل علي ان المراد استيقظت افقت يعني انه افاق مما كان فيه من شغل البال بمشاهدة الملكوت باطن الملك ورجع الي العالم الدنيوي فالمراد الافاقة البشرية التي يكون البشر عليها عادة من الغمرة الملكية التي كان عليها وقال ابن ابي جمرة لو قال صلي الله عليه وسلم انه كان يقظانا لاخبر بالحق لان نومه ويقظته سوا وعينه لم تكن ايضا لم يكن النوم تمكن منها لكن تحري الصدق في الاخبار

بالواقع فيؤخذ منه انه لا يعدل عن حقيقة اللفظ الا لضرورة وقوله
اذ اتاني ان هو جبريل عليه السلام ووقع في بدء الخلق وذكر
بين الرجلين وهو مختصر او صحة رواية مسلم بلفظ اذ سمعت قايلا
يقول احد الثلاثة بين الرجلين فاتيت فانطلق بي والمراد بالرجلين
حمزة وجعفر كان صلى الله عليه وسلم نايما بينهما قال ابن ابي جمرة
وفيه تواضعه وحسن خلقه اذ انه في الفضل حيث هو ومع ذلك كان
يضطجع مع الناس ويقعد معهم ولم يجعل لنفسه مزية عليهم وفيه جواز
نوم جماعة في موضع واحد لكن بشرط ان يكون لكل واحد منهم ما يستر به
جسده وفي رواية شريك عن انس في الصحيحين انه جاء
بكسر الهمزة وللكشميهني اذ بدل انه والاول اوجه وللحموي والمستملي
انه بفتح الهمزة جا بلا ضمير ثلاثة نفر قال الحافظ لم اقف على
اسمايهم صريحا لكن في رواية الطبري فاتاه جبريل وميكايل انتهى
وكذا رواه الطبري فاتاه جبريل وميكايل انتهى وكذا رواه ابن
جرير وابو يعلى ونحا له ان الثالث اسرافيل قبل ان يوحى اليه
وهو نايم في المسجد الحرام فقال اولهم جبريل ايهم هو لانه
كان نايم بين حمزة وجعفر كما علم قال اوسطهم اي الذين جاوه هو
وهو ميكايل هو خيرهم فقال اخرهم الثالث ولابي ذر عن
الكشميهني احدهم بالدال اي احد الثلاثة خذوا خيرهم وكانت
اي كانت تلك القصة الواقعة تلك الليلة ما ذكر هنا بالضمير
المستتر في كانت المحذوف وكذا خبر كان وهذا شرح من المصنف لقوله
وكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى هي ثالثة على
ما يفيده رواية ابن مردويه عن انس بلفظ حتى اتوه ليلة اخرى فقال
الاول هو هو فقال الاوسط نعم وقال الاخر خذوا اسيد القوم
الاوسط بين الرجلين فاحتملوه حتى جاوا به زمزم فاستلقوه على
ظهره وكان مجي الملايكة لهم له فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا
ينام قلبه وكذلك الانبيا تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم الثابت
في الروايات انه كان يقظة فان قلنا بالتعدد فلا اشكال والا حمل
على انه كان في طرفي المجي نايما ولكن وليس في ذلك ما يدل على
كونه نايما في كلها فلم يكلموه صلى الله عليه وسلم حتى احتملوه
فوضعوه عند بير زمزم فتولاه منهم جبريل كما في نفس حديث شريك
وقد انكر الخطابي قوله قبل ان يوحى اليه وكذلك القاضي
عياض والنووي وابن حزم وعبد الحق وعبارة النووي وقع في
رواية شريك يعني هذه اوهام ازيد من عشرة فصلها الحافظ واجاب
عن بعضها انكرها العلما احدها ستدا خبره قوله قبل ان يوحى
اليه وهو غلط من شريك لم يوافق عليه واجمع على ان فرض

الصلاة كان ليلة الاسرا فكيف يكون الاسرا قبل الوحي انتهى
كلام النووي فقد صرح هولا الخطابي ومن بعده بان شريكا تفرد بذلك
لكن قال الحافظ ابن حجر في دعوى التفرد نظر فقد وافقه كثير بن
خنيس بمعجمة ونون مصغرا عن انس كما اخرجه سعيد بن يحيى
ابن سعيد بن ابان بن سعيد بن العاصي الاموي ابو عثمان البغدادي
ثقة روى له الشيخان وغيرهما وربما اخطا مات سنة تسع واربعين ومايتين
في كتاب المغازي له من طريقه قال الحافظ مجيبا عن اشكال قوله قبل
ان يوحى له ولم يقع التعيين بين المجيين اي زمن فيحمل على ان
المجي الثاني كان بعد الوحي وحينيذ وقع الاسرا والمعراج فقوله
قبل ان يوحى اليه ظرف للمجي الاول لانهما يجي التغليط اي لانها الذي هو
منشا التغليط واذا كان بين المجيين مدة فلا فرق بين ان تكون
تلك المدة ليلة واحدة او ليالي كثيرة او عدة سنين فبهذا
التقرير يرتفع الاشكال عن رواية شريك ويحصل به الوفاق
على ان الاسرا كان في اليقظة بعد البعثة وقبل الهجرة وفي
ليلة فرضت وسقط تشنيع الخطابي وغيره بان شريكا خالف
الاجماع في دعواه ان المعراج كان قبل البعثة وقال الحافظ ابو
الفضل ابن طاهر تعليل الحديث بتفرد شريك ودعوى ابن حزم ان
الافة منه شي لم يسبق اليه فان شريكا قبله ايمة الجرح والتعديل ووثقوه
ورووا عنه وادخلوا حديثه في تصانيفهم واحتجوا به قالوا وحديثه
هذا رواه عنه سليمان بن بلال وهو ثقة وعلى تقدير تفرده بقوله
قبل ان يوحى اليه لا يقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع من الحديث
لا يسقط جميع الحديث ولا سيما اذا كان الوهم لا يستلزم ارتكاب
محذور ولو ترك من وهم في تاريخ لترك حديث جماعة من ايمة المسلمين
انتهى واقوى ما يستدل به على ان المعراج كان بعد البعثة
قوله في هذا الحديث نفسه ان جبريل قال للبواب اذ قال
قال ابعث اليه لم يقع في لفظ الحديث اليه لكن حملها عليه المصنف
كغيره فقال اليه للاسترا وصعود السموات وليس الاستفهام عن
اصل البعثة والرسالة لانه لا يخفى عليه الى هذه المدة ولاشتهار امر
النبوة في الملكوت الاعلى قال نعم فانه ظاهر في ان المعراج كان بعد
البعثة ولفظه ثم عرج به الى السما الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه
اهل السما من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قال وقد بعث اليه
قال نعم ووقع في رواية ميمون بن سياه بكسر السين المهملة وخفة
التحتية البصري ابي بحر التابعي صدوق عابد يخطي روى له البخاري
والنسايي عند الطبراني فاتاه جبريل وميكايل فقالا
المطلوب ايهم اي الثلاثة حمزة وجعفر والمصطفى وكانت قريش

نتام حول الكعبة فقال الملك الاخر الذي لم يسم اسرنا بسيدهم ثم
جاهم اجاوه وهم ثلاثة نفر كما جاوه اولا ولون هذا يقتضي ان الذين
جاوه اولا اثنان فقط لان الثالث لم يسم كاهم وفي رواية مسلم
من طريق سعيد عن قتادة عن انس سمعت قايلا يقول احد الثلاثة
بين الرجلين فاتيت فانطلق بي والمراد بالرجلين حمزة بن عبد المطلب
وجعفر بن ابي طالب وكان النبي صلى الله عليه وسلم نايما بينهما
من مزيد تواضعه واجيب ايضا بان المراد قبل ان يوحي اليه في شان
الصلاة ومنهم من اجراه على ظاهره ملتزما ان الاسرا كان مرتين
قبل النبوة وبعدها حكاه في المصابيح وقوله فقد بالقاف والدال
الثقيلة وفي رواية فشق ولحري فرج والمعنى واحد من ثغرة نحره
بضم المثلثة وسكون الغين المعجمة بعد را الموضع المنخفض
الذي بين الترقوتين تثنية ترقوة بزنة فعلوة بفتح بفتح
التا وضم اللام وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق الجانبين
والجمع التراقي قال بعضهم ولا تكون الترقوة لشي من الحيوان الا
للانسان خاصة الى شعرته بكسر الشين المعجمة اي شعر العانة
الشريفة اي الشعر النابت عليها من اضافة اسم الحال للمحل قال الازهري
وجماعة العانة منبت الشعر فوق قبل المراة وذكر الرجل والشعر النابت
عليها يقال له الاسب بكسر الهمزة وسكون المهملة وموحدة وقال الجوهري
هي شعر الركب بالتحريك اي فتح الرا والكاف منبته العانة للمراة خاصة
عند الخليل وللرجل ايضا عند الفرا وقاله ابن السكيت وابن الاعرابي
استعانه واستحد حلق عانته وعلى هذا فالعانة الشعر النابت وذكر ثم
الكرماني انه وقع في رواية الى ثنته بضم المثلثة وتشديد النون اي
ما بين السرة والعانة وفي رواية مسلم الى اسفل البطن وفي رواية
البخاري في بدء الخلق الى مراق بفتح الميم وخفة الرا فالف فقاف
ثقيلة واصله مراقق بقافين فادغمت الاولى في الثانية اي ما سفل
من بطنه ورق من جلده وفي رواية شريك عن انس فشق
جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ من صدره وجوفه بفتح
اللام وتشديد الموحدة وهو موضع القلادة من الصدر وفيه
تنحر الابل وقد انكر القاضي عياض في الشفا وسبقه الى الانكار
ابن حزم وقوع شق صدره الشريف ليلة الاسرا وقال انما
كان ذلك وهو صبي وقبل الوحي يعني في بني سعد بن بكر وهو عند مرضعته
حليمة وادعي ابن حزم وعياض ان ذلك من تخليط شريك قال الحافظ ا
العراقي وليس كذلك فقد ثبت في الصحيحين من غير طريق شريك وقال
في المفهم لا يلتفت لانكاره لان رواته ثقات مشاهير ولا انكار في ذلك
كما قاله الحافظ ابو الفضل احمد بن حجر العسقلاني رحمه الله

في

في الفتح فقد تواردت الروايات به فقد ثبت في الصحيحين من حديث
مالك بن صعصعة وفي مسلم وغيره عن انس في روايته عن النبي صلى الله
عليه وسلم بلا واسطة وفي الصحيحين من رواية انس عن ابي ذر وله
طرق اخرى وثبت شق الصدر ايضا عند البعثة كما اخرجه ابو نعيم
في الدلايل والطيالسي والحارث بن ابي اسامة والبيهقي في الدلايل
من حديث عايشة وقدمته في المقصد الاول في المبعث النبوي ولكل
منها اي المرات الثلاث المذكورة في بني سعد ثم عند المبعث ثم ليلة
الاسرا حكمة فالاول الذي وقع وهو عند حليمة وقع فيه من الزيادة
كما عند مسلم من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه
جبريل وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه واستخرج
القلب ثم شقه فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان اي
الموضع الذي يتوصل منه اليه وسوسة الناس ولا ينافيه قوله منك
لجواز تقدير مضاف اي من مثلك من بني ادم وبقيته ثم غسله في
طست من ذهب بماء زمزم ثم لامه فاعاده مكانه وجعل الغلمان يسعون
الى امه يعني ظيره فقالوا ان محمدا قد قتل فجاوا وهو منتقع اللون قال
انس فلقد كنت ارى اثر المخيط في صدره وكان هذا في زمن الطفولية
فنشا على اكمل الاحوال من العصمة من الشيطان وغيره وخلقت هذه
العلقة لانها من جملة الاجزا الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانساني
ونزعها كرامة ربانية من خلقه بيد وبها قاله التقي السبكي وقال غيره
لو خلق سليما منها لم يطلع الادميون على حقيقته فاظهره الله على يد جبريل
ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر ولعل هذا الشق كان
سببا في اسلام قرينه اي صاحبه الموكل به من الجن المروي عند
البزار من حديث ابن عباس رفعه فضلت على الانبيا بخصلتين كان
شيطاني كافرا فاعانني الله عليه فاسلم قال ونسيت الاخرى ويحتمل ان
يكون قوله هذا حظ الشيطان منك الاشارة الى حظ الشيطان المباين
اي خلاف القرين كالعفريت الذي اراد ان يقطع عليه صلاته
وامكنه الله منه وقد مر لفظ الحديث قريبا في الخصايص وان لفظ
عفريت ظاهر في ان المراد غير ابليس كما قال الحافظ واما شق الصدر
عند البعث فلزيادة الكرامة وليتلقى ما اوحي اليه بقلب قوي على
اكمل الاحوال من التطهير وكذلك كان واما شقه عند ارادة العروج الى
السما فللتاهب للترقي الى الملا الاعلى والثبوت في المقام الاسنى
والتقوي لاستجلا بالجيم الاسما الحسنى يعني روية الله سبحانه
بدليل قوله ولهذا الم يتفق لموسى عليه السلام مثل هذا التاهي
لم يتفق له الروية مع كونه سالها وكيف يثبت الرجل لا يثبت له
الجبل المذكور في قوله لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر

مكانه فسوف تراني فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا والحافظ قال حكمة ذلك
ليتاهب للمناجاة ويحتمل ان تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة
في الاسباغ بحصول المرتبة الثالثة كما تقرر في شرعه عليه السلام
كذا ابدي هذا الاحتمال تبعا للحافظ مع انه قال في المقصد الاول روي
ابو نعيم الشق ايضا وهو ابن عشر قال وروي خامسة ولا تثبت وحكمته
ان العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وتقدس حتي لا يتلبس بشي
مما يعاب علي الرجال الا ان يكون حملا في الصبا بمنزلة الحركة المرة الواحدة
قال النعماني وقد سن لداخل الحرم الغسل فما ظنك بداخل الحضرة المقدسة
فلما كان الحرم من عالم الملك وهو ظاهر الكائنات انيط الغسل له بظاهر
البدن في علم المعاملات ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن
الكائنات انيط الغسل لها بباطن البدن في التحقيقات وقد عرج به لتفرض
عليه الصلوات وليصلي بملائكة السموات ومن شان الصلاة الطهور فقدس
ظاهرا وباطنا قال وقد رايت في بعض التواريخ ان جبريل ومناه بعد
بعد غسل قلبه قلت لتطليب مطهرا منظهرا انتهي ثم ان جميع ما ورد
وثبت نقوله من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من
الامور الخارقة للعادة كاختراق السموات مما يجب التسليم له
اي تسليمه فاللام زايدة للتقوية دون التعرض لصرفه عن حقيقته
لصلاحية القدرة فلا يستحيل شي من ذلك من القدرة انما تتعلق
بالممكن دون المستحيل هكذا قال القرطبي في المفهم والطيبي والتوربشتي
والحافظ في الفتح والسيوطي وغيرهم ويؤيده الحديث الصحيح انهم
كانوا يرون اثر المخيط في صدره قال السيوطي وما وقع من بعض جهلة
العصر من انكار ذلك وحمله علي الامر المعنوي والزام قايله القول بقلب الحقايق
فهو جهل صراح وخطا قبيح نشا من خذلان الله تعالي لهم وعكوفهم علي
العلوم الفلسفية وبعدهم عن دقايق السنة عافانا الله من ذلك انتهي
قال العارف بن ابي جمرة بجيم وراء فيه دليل علي ان قدرة الله
تعالي لا يعجزها ممكن اي لا يمنعها من التعلق به بل يجوز تعلقها بساير
الممكنات لا بالمستحيلات فلا تتعلق بها اصلا ولذا قيد بممكن ولا يفهم منه
انها تعجز عن التعلق بالمستحيل لانها لا تتعلق به اصلا فلم يلتفت الي مثل
هذا الايهام ولا تتوقف اي لا تتخلف عن ايجادها ارادة لعدم وجود
شي يؤثر فيما تعلقت به ولا لوجوده اي شي يمنع تاثيرها فيما تعلقت
به وليست مربوطة بالعادة اي ليس تاثيرها قاصرا علي ما جرت
به العادة بل عام في جميع الممكنات الا حيث شاء اي ربط التاثير
بالعادة القادرة ونسبة المشية الي القدرة تسمح اذ المشية انما
تنسب للقادر لا للشي من صفاته فهو اما علي حذف مضاف ايه ذي القدرة
او مصدر بمعني القادر لانه علي ما يعهد ويعرف ان البشر بفتحتين

ذكرا او انثي واحدا او جمعا وقد يثني ويجمع ابشارا كما في القاموس وفي
المصباح ان العرب تثنوه ولم يجمعوه ومن التثنية نؤمن لبشرين منهما
شق بطنه كله واخرج القلب مات ولم يعش وكذا ساير الحيوان واقتصر
علي البشر لكون المصطفي منهم الا لاخراج غيره وهذا النبي صلي الله
عليه وسلم قد شق بطنه المكرمة انثه باعتبار الجارحة والا فالبطن
خلاف الظهر مذكر حتي اخرج القلب وغسل وهو حي وقد شق بطنه
لذلك هكذا الشق الواقع في المعراج ايضا وهو صغير واخرج منه
نزغة الشيطان اي محل نزغته اي وسوسته الحاملة علي خلاف ما امر
به كالغضب وفكر ومعلوم ان القلب مهما وصل له الجرح مات صاحبه
وهذا النبي صلي الله عليه وسلم شق بطنه في هاتين المرتين
وشق قلبه وشق ولم يتالم بذلك ولم يمت لما اراد الله تعالي ان لا يؤثر
ما اي شيا او الذي اجري به العادة ان يؤثر بها من صاحبها فابطل
تلك العادة جواب لما ودخول الفاء فيه قليل قال شيخنا والاظهر ان اللام في لما
تعليلية لعدم مؤنة فالفاء للتفريع علي التعليل وقد رمي ابراهيم عليه
الصلاة والسلام في النار فلم تحرقه وكانت عليه بردا وسلاما اي ان
شق الصدر الشريف وان كان خارقا للعادة لا بعد فيه لانه ممكن وقد وقع مثله
للخليل حيث فعل به ما هو مهلك عادة فلم يؤثر فيه شيا فذكره للتقريب
انتهي كلام ابن ابي جمرة وقد حصل من شق صدره الكريم اكرامه عليه
السلام بتحقيق ما اوتي من الصبر بجعله صفة قايمة بها به وكان ذلك
تحقيقا له لبروزه الي الموجود الخارجي فهو من حسن ما اكرم به اسمعيل
الذبيح علي احد القولين الشهيرين والثاني اسحق وليت شعري اي
القولين فيمن في من حكي هذين القولين في الذبيح ان ابراهيم ليس له غيرهما
من الاولاد مع ان اولاده ثلاثة عشر كلهم ذكور كما في تاريخ ابن كثير او خمس
منهم اناث علي ما في الروض بتحقيق صبره علي مقدمات الذبح شدا
وكتفا وتله للجبين واهوا بالمدية السكين الي النحر يعني انه لما
تله للجبين بان القاه علي جبينه انقلب علي جبهته او انه فعل ذلك باشارته
لئلا يري وجهه فيرق له فلا يذبحه فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
علي الذبح او علي قضاء الله وترتيب ما ذكر علي ما قبله يقتضي ان قوله
ذلك بعد ... وقوله وسوق الاية صريح انه قال ذلك جوابا لقول ابيه يا بني
اني اري في المنام الاية يحمل الفاء في المصنف بمعني الواو ولفظ ابن
المنير متبوع المولف وقد قال ستجدني بالواو وهو مما وعد الله تعالي
به له ستجدني الاية فاكرمه الله بالثناء علي صبره الي الابد ولا مرية
بكسر الميم اي لا شك ان الذي حصل من صبر نبينا صلي الله عليه وسلم
اشد واجل لان تلك الاحوال الواقعة لاسمعيل من الشد والكتف والتل
مقدمات للذبح وهذه الواقعة للمصطفي نتيجة ما يفعل عن اريد

ذبحه او نحوه من الاثر الذي قصد ترتبه على الفعل وتلك معاريض اي مقدمات
لا حقايق وتسميتها معاريض تجوز اذ هي لغة التورية فشبه المقدمات
بالمعاريض واستعار له اسمه لما سبق في علم الله ان حقيقة ما امر به ابوه من
الذبح لا تقع وهذه حقيقة والمجز مفتعل اي مصدق عليه وليس مفهومها
واحدا اذ المنحر موضع النحر من الحلق ويكون مصدرا ايضا وما اصابه اي
المنحر من اسمعيل ظاهره انه امر السكين على منحره مع ان الفدا وقع قبل
مرور السكين اليه فقوله الا صورة القتل لا فعله اي الصورة التي تحصل
عند ارادة القتل وشق صدر نبينا صلى الله عليه وسلم واستخراج
قلبه ثم شقه ثم كذا اي نزع العلقة منه وغسله ونحو ذلك مقاتل عديدة
جمع مقتل وقعت كلها ولكن انخرقت العادة ببقا الحياة فهذا الابتلا
اعظم من ابتلاء الذبيح بما ذكر وفي المصباح وفي المصباح المقتل الموضع
الذي اذا اصيب لا يكاد صاحبه يسلم والواقع للمصطفى اسباب تقضي الى
القتل فلعل المقاتل في المصنف جمع مقتل بمعنى القتل واطلقه على سببه مجازا
فان قلت انما يتحقق الصبر ان لو كانت هناك مشقة فلعل العادة
لما انخرقت في ابقا الحياة ان لم يوثر الا التمادي بل استمرت بعد ما يوجب
او التماعادة وفي نسخ في بقا وهو اظهر لان البقا استمرار الحياة وهو اثر
الابقا انخرقت ايضا في دفع المشاق وحمل الالام فلا تتم المفاضلة
المذكورة بينه وبين الذبيح اجيب اي اجاب المنير بانه ورد في
حديث شق صدره في بني سعد وهو صغير فاقبل وهو منتقع
اللون بنون ففوقية فقاف مفتوحة اي متغير او ممتقع بالميم بدل
النون روايتان قاله ابن المنير قال الكسائي انتقع مبنيا اذا تغير من
حزن او فزع قال وكذا ابتقع بالموحدة وامتقع بالميم اجود قاله
الجوهري اي مبنيا للمفعول صرح به المجد وغيره وفي المصباح ما
يفيد بناه للفاعل وهو يدل على ان الصبر على مشقة المعالجة
المذكورة محقق فتتم المفاضلة انتهى ما اجيب به قال القاضي
عياض واصل انتقع الغبار وهو شبيه بلون الاموات
وهذا يدل على غاية المشقة اذ لا يصير كلون الاموات الا بعد
مشقة شديدة واما قول ابن الجوزي فشقه وما شق
عليه اي ما المه ذلك الشق فيحمل على انه صبر صبر من لم يشق
عليه ويحمل ايضا على انه ما شق عليه المشقة التي يحصل
مثلها عادة من ذلك الفعل فلا ينافي حصول مشقة دون
المعتاد منزلها منزلة العدم انتهى كلام ابن المنير وفي الشامي
اختلف هل وقع له مع ذلك مشقة ام لا فقال الحافظ من غير مشقة
وبه جزم [illegible] ابن الجوزي فقال شقه وما شق عليه وقال ابن
دحية فمشقة عظيمة ولهذا انتقع لونه اي صار كلون النقع

قلت

قلت رواية انتقع لونه حكاية لما وقع في المرة الاولى وهو صغير في
بني سعد واما ما وقع بعدها فلم ينقل انه تاثر لذلك انتهى وكذلك
الابتلا ايضا من حيث الشق فان ذلك وقع لنبينا صلى الله
عليه وسلم بعيد بلفظ التصغير ما فطم بشهرين او ثلاثة وكان فطامه
بعد عامين وايضا كان منفردا عن امه في بني سعد وامه بمكة وتيتما
من ابيه لموته وهو حمل على الصحيح واختطف من بين الاطفال
الذين كان معهم في البرية وفعل به ما فعل من الاهوال تسهيلا
لما تلقاه من المال وتعظيما لما يناله على الصبر من الثواب والثنا
من الكبير المتعال ولهذا الماتن وجه التنزيه في احد وجرح
وكسرت رباعيته بفتح الواو والموحدة وخفة التحتية قال اللهم
اغفر لقومي مغفرة تصرف عنهم عذاب الاستيصال فانهم لا
يعلمون رفيع قدري عندك فاعتذر عنهم بالجهل الحكمي وان كان بعد
الايات البينات ليس بعذر ولم يقل يجهلون تحسينا للعبارة ليجذبهم
بزمام لطفه الى الايمان ويدخلهم بعظيم عفوه حرم الامان زاده الله
شرفا وفضلا صلى الله عليه وسلم ومن له ثم اوتيت بطست
من ذهب انما اتي بالطست لانه اشهر اي اظهر الات الغسل عرفا
من حيث ان استعماله للغسل اكثر من استعمال غيره فان قلت ان
استعمال الذهب حرام في شرعه عليه الصلاة والسلام بنصه
على حرمته فكيف استعمل الطست الذهب هنا قلت اجاب
العارف ابن ابي جمرة بان تحريم الذهب اي عليه انما هو
لاجل الاستمتاع به في هذه الدار الدنيا واما الاخرة فهو
للمومنين خالصا لقوله عليه الصلاة والسلام هو لهم في الدنيا
الفانية وهو لنا في الاخرة الباقية وما هنا كان الغالب انه
من احوال الاخرة قال ابن ابي جمرة ثم ان الاستمتاع بهذه
الطست لم يحصل منه عليه الصلاة والسلام حتى يجي السوال
وانما كان غيره هو السابق اي الحامل له حتى احضره له يقال ساق
الصداق الى امراته حمله اليها فالمتناول لما كان فيه حتى وضعه
في القلب المبارك فوقا ان مصدر رفعا لان هذا ظاهره ولم يذكره
الجوهري ولا المجد ولا غيرهما وانما قالوا في مصدر ساق سوقا
وسياقة وسياقا ومساقا فينظر سند المصنف الطست من هناك وكونه
كان من ذهب دال على ترفيع المقام اي اعلايه فانتفى التعارض
بدليل ما قررنا انتهى جواب ابن ابي جمرة وهو مشتمل على جوابين
احدهما مسلم وهو الاول والثاني تعقبه الحافظ ابن حجر
بانه لا يكفي ان يقال ان المستعمل له من لم يحرم عليه ذلك من
الملايكة لانه اذا كان قد حرم عليه استعماله لستره ان يستعمله

غيره في امر يتعلق ببدنه المكرم لانه صين عما يخل بشرعه حتي قبل النبوة ويمكن ان يقال في الجواب ان تحريم استعماله مخصوص باحوال الدنيا وما وقع تلك الليلة كان الغالب انه من احوال الغيب ماغاب عن مشاهدة الناس فيلحق باحوال الاخرة وهذا مستفاد من الجواب الاول لابن ابي جمرة فاشار الي توافقهما عليه والحافظ لم ينقل كلامه انما قال ولعل ذلك كان قبل ان يحرم الذهب في هذه الشريعة ولا يخفي ان يقال الي اخره ما ذكر المصنف حقق له ولعل جواب مستقل فهي ثلاثة وقال اعني الحافظ في اول كلامه خص الذهب لكونه اعلا الاواني الحسية واصفاها ولان فيه خواص ليست لغيره ووصل هذا بقوله ويظهر لها ههنا مناسبات في للناظر في المقام لا من خصوص ما قدمه منها انه من اواني الجنة كما قال يطاف عليهم بصحاف من ذهب ومنها انه لا تاكله النار وكذلك القران لاتاكله النار ولا قلبا وعاه ولا بدنا عمل به يوم القيامة ففيه مناسبة له ولا التراب لا تاكله ولا تغيره وكذلك القران لايستطيع تغييره كذا في الروض ومنها انه لايلحقه الصدا بفتح المهملتين مهموز ومنها انه اثقل الجواهر فناسب قلبه عليه الصلاة والسلام لانه من اواني احوال الجنة اي من الاواني التي تستعمل في الاحوال التي تقع في الجنة وتحتاج الي انا وعبارة الحافظ ومنها انه اثقل الجواهر فناسب ثقل الوحي ولا تاكله النار ولا التراب كما قال صلي الله عليه وسلم ان الله حرم علي الارض ان تاكل اجساد الانبيا ولا يلحقه الصدا بخلاف غيره كما قال ان القلوب لتصدا وانه اثقل من كل قلب عدل به وفيه مناسبة اخري وهو ثقل الوحي فيه انتهي كلام الحافظ قلت قوله ولعل ذلك قبل ان يحرم استعمال الذهب في هذه الشريعة يشعر انه لم يطلع فيه علي شي وانما ترجاه من نفسه وينافيه انه قد جزم به في اول الصلاة من كتابه فتح الباري بان تحريم الذهب انما وقع بالمدينة حيث قال ابعد من استدل به اي حديث المعراج علي جواز تحلية المصحف وغيره بالذهب لان المستعمل له الملك فيحتاج الي ثبوت كونهم مكلفين بما كلفنا به ووراء ذلك ان ذلك كان علي اصل الاباحة لان تحريم الذهب انما وقع بالمدينة كما ياتي واضحا في اللباس انتهي وقال السهيلي وتلميذه ابن دحية ان ينظر الي لفظ الذهب ناسب من جهة اذهابه الرجس الاثم والسوء عنه ولكونه وقع عند الذهاب الي ربه وان نظر الي معناه فلوضاته ونقايه وصفايه ولثقله ورسوبه والوحي ثقيل قال الله تعالي انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ومن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ولانه اعز الاشيا في الدنيا

والقران

والقران هو الكتاب العزيز انتهي كلام السهيلي بعض الذي زدته زاد ابن دحية ولانه راس الايمان وقيمة المتلفات فهو اذن اصل الدنيا الذي اصل الدين فوقع المتنبيه علي اصل الدنيا التي اصل الدين وخادم له ووسيلة اليه وانه اذا فيقضت الحاجة منه عدل عنه قال بعض ومن المناسبات خلق سرور القلب عند رؤيته كما قال تعالي في البقرة صفرا فاقع لونها تسر الناظرين ويكون جعل الذهب امنية الايمان من حيث قوله الدنيا مطية الاخرة والمراد من قوله ملي حكمة وايمانا ان الطست جعل فيها شيا يحصل به كمال الايمان والحكمة فسمي حكمة وايمانا واورد السهيلي كيف يكون الايمان والحكمة في طست من ذهب والايمان عرض من الاعراض لا يوصف بها الا محلها والذهب تقوم به ولا يجوز فيها الانتقال لانه صفة الاجسام لا الاعراض واجاب بانه انما عبر عما في الطست بهما كما عبر عن اللبن الذي شربه واعطي فضله عمر بالعلم فكان تاويل ما افرغ في قلبه ايمانا وحكمة ولعل الذي كان في الطست ثلجا وبردا كما في الحديث الاول فعبر في المرة الثانية بما يؤول اليه وعبر عنه في الاولي بصورته التي راها لانه كان طفلا فلما راي الثلج في طست الذهب اعتقده ثلجا حتي عرف تاويله بعد وفي المرة الاخري كان نبيا فلما راي طست الذهب مملوة ثلجا علم التاويل لحينه اي لوقته واعتقده في ذلك المقام حكمة وايمانا فكان لفظه في الحديثين علي حسب اعتقاده في المقامين انتهي وهذا الملي يحتمل ان يكون حقيقة وتجسد المعاني جايز كما جاء ان سورة البقرة تجي يوم القيمة كانها ظلة كما قال صلي الله عليه وسلم اقرؤا الزهراوين البقرة وال عمران فانهما ياتيان يوم القيمة كانهما غمامتان او غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف الحديث رواه مسلم واو للتنويع وتقسيم القارئين فالاول لمن قراهما بلا فهم معناهما والثاني لمن قراهما مع فهمه والثالث لمن ضم اليهما تعليم المستفيد وارشاد الطالب وبيان حقايقهما وكشف ما فيهما فالاول عام في كل احد والثاني يختص بمثل الملوك والثالث اوقع كما كان لسليمان وغمامتان بالميم سحابتان وغيايتان بتحتيتين وغياية كل شي اظل الانسان فوق راسه كالسحابة وغيرها كما في النهاية قال البيضاوي ولعله اراد ما يكون له صفا وضوء اذ الغياية ضوء شعاع الشمس والموت هو عرض يمثل في صورة كبش كما قال صلي الله عليه وسلم يوتي بالموت كانه كبش املح حتي يوقف علي السور بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة ويا اهل النار هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيضجع ويذبح فلولا ان الله قضي لاهل الجنة الحياة والبقا لماتوا فرحا ولولا ان الله قضي لاهل النار الحياة فيها لماتوا حزنا وفي رواية يذبح وهم ينظرون

فلوان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولوان احدا مات حزنا لمات اهل
النار رواها الترمذي عن ابي سعيد والقول ان الموت جسم لا يصح
قال الحافظ من الاخبار الواهية في صفة البراق ماذكره الماوردي
عن مقاتل واورده القرطبي في التذكرة ومن قبله الثعلبي من طريق
الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال الموت والحياة جسمان فالموت
كبش لا يجد ريحه شي الامات والحياة فرس بلقا انثي وهي التي كان جبريل
والانبيا يركبونها لاتمر بشي ولايجد ريحها شي الاحيي وكذلك وزن
الاعمال وغير ذلك من احوال الغيب وقال البيضاوي في شرح
المصابيح لعل ذلك من باب التمثيل اذ تمثيل المعاني قد وقع
كثيرا كما مثلت له الجنة والنار في عرض الحائط بضم العين اي
جانبه وهذا تنظير لان الجنة والنار ليستا من المعاني التي تتشكل في
الذهن ولاصور لها خارجية فلا يصح جعلهما مثالين للمعاني لكنه
قصد تقريب تعقل تصور المعاني بتصوير الجنة والنار فانهما مع عظمها
صورتا له في عرض الحائط وكما وقع خرق العادة بذلك كذلك لا يبعد
في تصوير المعاني بصور محسوسة خرقا للعادة وفائدته كشف
المعنوي اظهاره وتصويره بالمحسوس اي تصويره بصورته
للتقريب وقال العارف ابن ابي جمرة فيه دليل علي ان الايمان
والحكمة جواهر محسوسات لا معاني لانه عليه الصلاة والسلام
قال عن الطست انه اتي به مملوا حكمة وايمانا ولا يقع الخطاب
الاعلي ما يفهم ويعرف للمخاطبين فالمتبادر منه انهما جواهر
والمعاني ليس لها اجسام حتي تملا الطست وانما تملا الاواني
بالاجسام والجواهر لا بالاعراض وهذا نص من الشارع عليه
الصلاة والسلام بضد ماذهب اليه المتكلمون في قولهم ان
الايمان والحكمة اعراض والجمع بين الحديث المذكور الدال علي
انهما جواهر قائمة بانفسها وماذهبوا اليه من انها اعراض تتقوم
بغيرها لا بانفسها فنقول ان حقيقة اعيان المخلوقات التي ليس
للحواس فيها ادراك ولاثبت من جهة النبوة اخبار عن حقيقتها
فلم يخبر بها احد من الانبيا غير محققة وانما هو غلبة ظن
لان للعقل بالاجماع من اهل العقل المؤيدين بالتوفيق حدا
يقف عنده ولا يتسلط فيما عدا ذلك ولا يقدر ان يصل اليه
فهذا وما اشبهه منها لانهم تكلموا علي ما ظهر لهم من الاعراض
الصادرة عن هذه الجواهر التي ذكرها الشارع عليه الصلاة
والسلام في الحديث ولم يكن للعقل قدرة ان يصل الي هذه الحقيقة
التي اخبر بها عليه الصلاة والسلام فيكون الجمع بينهما ان يقال
ما قاله المتكلمون حق لانه الصادر عن الجواهر وهو الذي

يدرك

يدرك بالعقل والحقيقة ما ذكره عليه الصلاة والسلام في الحديث المفيد انها
جواهر محسوسات لانه شاهدها والمتكلمون لم يشاهدوها فوقفوا علي ما ادركته
عقولهم ولهذا نظاير كثيرة واقعة بين المتكلمين والفلاسفة من اثار النبوة
بان تكلم بها الانبيا واخذت بما جاءتهم ويقع الجمع بينهما علي الاسلوب الذي
قررناه وما اشبهه فيحمل كلا من الكلامين المتخالفين علي وجه لا يخرج عن
قواعد الشرع ثم مثل ابن ابي جمرة للنظاير بمجي الموت في هيئة اي صورة
كبش املح ثم مثل بالاذكار والتلاوة ثم قال لان ما ظهر منها هنا
في دار الدنيا معان ويوجد يوم القيمة جواهر محسوسات بوزن
ولا يوزن في الميزان الا الجواهر لاستحالة وزن المعاني قال وفي ذلك
دليل لاهل الصوفة واحدة الصوف او القطعة منه وهم السادة الصوفية
سموا بذلك للبسهم الصوف او لصفا قلوبهم او لغير ذلك مما هو معلوم واصحاب
المعاملات وهي عند الطايفة توجه النفس الانساني الي باطنها الذي هو
الروح الروحاني والسر الرباني واستمدادها منهما ما يزيل به الحجب عنها ليحصل
قبول المدد في ازالة كل حجاب ومنازل هذه المعاملات عشر الرعاية والمراقبة
والحرمة والاخلاص والتهذيب والاستقامة والتوكل والتفويض والثقة
والتسليم سميت هذه المنازل بالمعاملات لان العبد لا يصلح له المعاملة للحق
حتي يتحقق بهذه المقامات كما في اللطايف وقول شيخنا هم الذين يعاملون
الله تعالي بالتمادي في الطاعات واجتناب المنهيات سمي بذلك معاملة اخذا
من قوله تعالي من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال البيضاوي اقراضه
مثل لتقديم العمل الذي يطلب ثوابه اي اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص
وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق
في سبيل الله صحيح في نفسه لكنه غير ما يعنيه الصوفية وان رجع الي بعض
ما قالوا والتحقيق القايلين بانهم يرون قلوبهم وقلوب اهل ايمانهم
وايمان اخوانهم باعين بصايرهم جمع بصيرة وهي قوة للقلب المنور بنور
القدس يري حقايق الاشيا وبواطنها بمثابة البصر للعين يري به صور
الاشيا وظاهرها قال ابن الكمال جواهر محسوسات فمنهم من يعاين
ايمانه مثل المصباح اي السراج اي الفتيلة الموقودة ومنهم من يعاينه
مثل الشمعة واحدة الشمع بفتح الميم وتسكن تخفيفا وقيل الفتح لغة
العرب والسكون لغة المولدين ومنهم من يعاينه مثل المشعل كمقعد
القنديل كما في القاموس والمراد هنا معناه العرفي وهو الشعلة العظيمة
والاساوي الاخير المصباح وثاني قوله وهو فوقها اي اكثر من
ضوء المصباح والشمعة ويقولون بانه لا يكون المحقق محققا حتي
يعاين قلبه بعين بصيرته نصله عين كما ان للحس عينا كما يعاين كفه
بعين بصره فيتعرف فيه الزيادة من النقصان وحينيذ يكون
محققا فان قلت ما الحكمة في شق صدره الشريف ثم ملئه بكسر الميم

وسكون اللام من عطف الاسم على الاسم هكذا في نسخة صحيحة وهي
ظاهرة وفي نسخة ثم ملئ وينبغي تأويله بالمصدر ليحصل التناسب
بين المتعاطفين ايمانا وحكمة ولم لم يوجد الله ذلك المذكور من الايمان
والحكمة فيه اي القلب من غير ان يفعل به ما فعل من الشق قلت
اجاب العارف ابن ابي جمرة بانه عليه الصلاة والسلام اعطي
كثرة اي لما اعطي كثرة الايمان اي خصاله وشعبه او الاسباب
المحصلة لكماله فلا يرد ان الايمان هو التصديق وهو شيء واحد لا
يتعدد ولا يتكثر وانما التكثر في متعلقاته من صلاة وصوم ونحوها
وقوي بضم القاف اولى من فتحها لاحتياجه لتعديه بنفسه التصديق
منه بذلك لكل ما ورد عليه من قبل الله اذ ذاك ليس هذا من الاضافة
الى المفرد بل الى الجملة الاسمية او الفعلية والتقدير اذ ذاك كذلك
او اذ كان كذلك اعطي برؤية شق البطن والقلب عدم الخوف
في جميع العادات الجارية بالهلاك فحصلت له عليه السلام قوة
الايمان من ثلاثة اوجه بقوة التصديق اي الحاصلة بزيادة
الايمان والحكمة وبالمشاهدة لشق الصدر وغسل القلب وعدم
الخوف المترتب على عدم حصول اذى له بعد فعل ما يهلك به عادة
من العادات اي مما تجري به العادات المهلكات جمع عادة ويجمع
ايضا على عاد وعوائد وبحصول المشاهدة وعدم الخوف من قوة
الايمان بنا على انه يزيد وينقص ولا يرد انهما خارجان عن
التصديق الذي هو مسمى الايمان فكمل له عليه الصلاة والسلام
بذلك ما اريد منه من قوة الايمان بالله عز وجل وعدم الخوف
عما سواه ولاجل ما اعطيه مما اشرنا اليه كان عليه السلام في
العالمين اشجعهم واثبتهم واعلاهم حالا ومقالا اي قولا مصدر
قال كقولا ومقالة فعلى مرفعه حالا ومقاله في العالم العلوي بضم
الميم وكسرها مع سكون اللام المكان المرتفع من تسمية الكلي وهو
المكان العالي من حيث هو الى جزئيه وهو ما وصل اليه تلك الليلة لانه
جزئي من جزئيات مطلق المكان كان كما اخبر عليه السلام ان جبريل
لما وصل الى مقامه اي جبريل المشار اليه بقوله وما منا الا له
مقام معلوم وهو سدرة المنتهى التي لم يتجاوزها احد الا نبينا صلى
الله عليه وسلم قاله النووي قال ها انت وربك هذا مقامي
بفتح الميم اي موضعي لا اتعداه فزج به في النور زجة ولم يتوان
ولم يلتفت اي النبي نفسه بلا توقف لما عنده من الثبات وقوة القلب
فكان هناك في الحضرة كما اخبر عنه ربه عز وجل بقوله ما زاغ
البصر ما مال بصره صلى الله عليه وسلم عما راه وما طغى ما تجاوزه بل
اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها

وما

وما جاوزها وما احسن اختصار الحافظ لهذا كله بقوله في الفتح قال ابن
ابي جمرة الحكمة في شق بطنه مع القدرة على ان يمتلئ قلبه ايمانا وحكمة
بغير شق الزيادة في قوة اليقين لانه اعطي بشق بطنه وعدم تاثره
بذلك ما امن معه من جميع المخاوف العادية فلذلك كان اشجع الناس واعلاهم
حالا ومقالا ولذلك وصف بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى واما حاله عليه
السلام في هذا العالم فكان اذا حمي الوطيس التنور اشتد الحرب كما
شبه به حديث الان حمي الوطيس واول من استعمله بقوله في الحرب اللهم الا ان
تجرد عن معناه بان يقال المعنى اذا اشتد الامر ركض بغلته اي ضربها
لتقدم في نحر العدو اي صدورهم فلا يهاب احدا منهم ولا يمنعه من ذلك
كثرتهم ولا استعدادهم في الحرب وهم شاكون اي داخلون في سلاحهم
دروعا وغيرها فهي محيطة بكل بدنهم وقبة مسما بكتفهم اذ لا يتاتى
ان تكون الاسلحة لهم غير الدروع ظروفا فالظرفية اعتبارية فيه كما في
جذوع النخل بالغ في جعل السلاح ظرفا لهم لانهم لشدة تمكنهم منها واستيلائهم
عليها مظروفون فيها ويقول انا النبي لا كذب لان صفة النبوة
يستحيل معها الكذب فكانه قال انا النبي والنبي لا يكذب فلست بكاذب
انا ابن عبد المطلب فركوبه البغلة مزيد تثبت ثبات لانها ليست
مراكب الحرب بل الامن فالحرب عنده كالسلم وكذا اشتهاره نفسه مبالغة
في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو ومر بسط هذا في حنين ثم ان في
العناية اي الاهتمام بتطهير قلبه المقدس وافراغ الايمان
والحكمة فيه اشارة الى مذهب اهل السنة في ان محل العقل
ونحوه من اسباب الادراكات فالنظر والفكر انما هو القلب
لا الدماغ خلافا للمعتزلة والفلاسفة وبعض اهل السنة كالحنفية
وعبد الملك بن الماجشون من المالكية لكن مذهب الاكثرين ظاهر على
اثبات القوى الباطنية ولم يقولوا بها فوصفها بانه لها بل لا نسمع والمراد
انه جعل للقلب حالة يدرك بها الامور المعقولة وفي قوله من اسباب
الادراك اشعار بان المدرك هو العقل وما عداه طريق الادراك وفي
العقل تعاريف نقل المجد منها جملة وقد نقل كلام المصنف في الفصل
الثاني من المقصد الثالث واما الحكمة في غسل قلبه المقدس عليه
الصلاة والسلام كما مر في رواية البخاري ففرج صدري ثم غسله
بماء زمزم فقيل لان ماء زمزم يقوي القلب ويسكن الروع
بالفتح الفزع قال الحافظ الزين العراقي وانه لذا غسل قلبه
عليه السلام ليلة الاسرى ليتقوى قلبه على رؤية الملكوت
باطن الملك وقال ابن ابي جمرة انما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع في
زمزم من كون اصل مائها من الجنة ثم استقر في الارض فاريد بذلك
بقاء بركة النبي صلى الله عليه وسلم في الارض وقال السهيلي لما كانت

زمزم حضرة جبريل روح القدس لام اسمعيل جد النبي صلي الله عليه وسلم
ناسب ان يغسل عند دخوله حضرة القدس لمناجاته وقال غيره لما كان
زمزم اصل حياة ابيه اسمعيل وقد ربي عليها وبني قلبه عليه وجسده
وصار هو صاحبه وصاحب البلدة المباركة ناسب ان يكون ولده الصادق
المصدوق كذلك ولما فيه من الاشارة الي اختصاصه بذلك بعد وفاته
فانه قد صارت الولاية اليه في الفتح فجعل السقاية للعباس وولده وحجابة
البيت لعثمان بن شيبة وعقبه الي يوم القيامة واستدل شيخ الاسلام
السراج البلقيني بغسل قلبه الشريف به بما زمزم علي انه افضل
من ما الكوثر قال لانه لم يغسل قلبه المكرم الا بافضل المياه
وتوقف فيه السيوطي بان كونه لا يغسل الا بافضل المياه مسلم ولكن
بافضل مياه الدنيا اذ الكوثر من متعلقات دار البقا فلا يستعمل في دار
الفنا ولا يشكل بكون الطست الذي غسل منه محمد صلي الله عليه وسلم
من الجنة لان استعمال هذا ليس فيه ذهاب عين بخلاف ذاك واجاب في
الاستيعاب بانه اذا سلم انه لا يغسل الا بافضل المياه لزمه تسليم قول
البلقيني وتخصيصه بافضل مياه الدنيا لما ذكره لا دليل عليه وكون ما
الكوثر من الجنة لا يقتضي عدم الغسل به لان المناسب لما له صلي الله عليه
وسلم ان يستعمل له الافضل مطلقا لا بالنسبة لدار الدنيا اذ الاصل في الافضل
علي الاطلاق ان لا يستعمل له الا الافضل كذلك والفرق بينه وبين الطست
بما ذكره لا تاثير له لان ذلك الوقت وقت اظهار كرامته وخرق العادة له ولا
يحرم استعمال الذهب فلما جاء علمنا ان القصد به خرق العادة لمزيد اظهار
الكرامة وهذا منتف لاستعمال الكوثر لو كان افضل فلما نزل الي ما زمزم
اقتضي ذلك بقرينة المقام انه افضل منه قال وبهذا يرد علي من نازع البلقيني
ايضا بعين السيوطي بخبر لقاب قوس احدكم في الجنة خير من الدنيا وما
فيها واجاب عن الغسل به دون مائها بانه قد الفه ونشا عليه لجده اسمعيل
اذ هو اول ما نبع بمكة لاجله ووجه رده ان الخبر مخصوص بما لا لغة لا
تنقضي ما ذكر سيما في مقام اظهار شرفه ونازعه ايضا بان حكمة الغسل به
قول الزين العراقي انه يقوي به علي روية الملكوت لان من خواصه انه
يقوي القلب ويسكن الروع فان اثبت هذا لم يكن نحو الغسل به دالا علي
افضليته لان سلب هذا المعني عن ما الكوثر لا يقتضي ان ما زمزم افضل منه
لان سبب انتفايه عنه انه من مياه الجنة وهي لا روع فيها حتي يحتاج لسلبه
فسلبه عنه لعدم المحل القابل لا لعجز الفاعل وبان ما الكوثر مما من الله به
علي نبيه وانزل فيه القران وزمزم من عطا اسمعيل ولم ينزل فيها ما نزل
من القران فيه ومن خصوصياته ان من شرب منه شربة لا يظما بعدها ابدا وغير
ذلك انتهي ووجه رده ان ما ذكره من الحكمة لم يثبت علي انه يكفي في تقويته
قلبه وتسكين روعه ما وقع له من تكرر شق الصدر المبني عن بلوغه في قوة القلب

وسكون

وسكون الروع الي الغاية القصوي فلا يحتاج لشي اخر وعلي التنزل فكونه
غسل به لاجل ذلك لا يقتضي انه غسل به لذلك بل يحتمل انه لذلك ولاظهار شرفه
فالامران يحتمل انهما مقصودان فما الدليل علي قصره علي احدهما وكون الكوثر
مما من الله به علي نبيه بخلاف زمزم لا يكون صريحا في الافضلية وما ذكر
فيه من الخصوصية ورد في زمزم اعظم منه وهو ان من شرب منها للامن من
العطش يوم القيامة اعطيه كما يصرح به الحديث الصحيح خلافا لمن نازع
فيه ما زمزم لما شرب له ووفق له ابن الرفعة واما النابع من بين اصابعه صلي الله
عليه وسلم اشرف المياه لا يرد علي البلقيني لان قوله الا بافضل المياه اي
الموجودة اذ ذاك والنابع لم يكن موجودا اذ ذاك ولا يرد علي ابن الرفعة الحديث
الصحيح خير ما علي وجه الارض ما زمزم لان ما نبع من بين اصابعه لم يكن
موجودا عند قوله ذلك انتهي واليه يومي قول العارف ابن ابي جمرة
في كتابه بهجة النفوس اسم شرحه علي الاحاديث التي انتخبها من
البخاري واما قوله عليه السلام فغسل صدري فالظاهر ان المراد
به القلب كما في الرواية الاخري في البخاري عن مالك بن صعصعة
فغسل قلبي وفي رواية مسلم فاستخرج قلبي فغسل بما زمزم وقد يحتمل
ان يحمل كل رواية علي ظاهرها ويجمع اي يحصل الجمع بينهما بان يقال
اخبر عليه الصلاة والسلام مرة بغسل صدره الشريف ولم يتعرض
لذكر قلبه ومرة واخبر مرة اخري بغسل قلبه ولم يتعرض لذكر
صدره فيكون الغسل قد حصل فيهما مرة لقلبه بعد اخراجه ومرة لصدره
بعد شقه مع مبالغة في تنظيف المحل المقدس ولا شك ان المحل الشريف
كان طاهرا مطهرا وقابلا لجميع ما يلقي اليه من الخير ومنه الايمان
والحكمة وقد غسل اولا وهو عليه السلام طفل واخرج من قلبه نزغة
الشيطان وانما كان ذلك اعظاما وتاهبا لما يلقي هناك لا لازالة
امر مستقذر فيه لا لكمال خلقه والعلقة التي اخرجت منه لم يكن للشيطان
عليها لو لم تخرج سبيل وانما قصد باخراجها المبالغة في اظهار تعظيمه وتكميله
من بين افراد انواعه وقد جرت الحكمة بذلك في غير موضع وفي نسخة
بزيادة ما للتاكيد مثل الوضو للصلاة لمن كان متنظفا ولو نظافة
حسية بان غسل بدنه وبالغ في تنظيفه ولم ياته بافعال الوضو علي الوجه
المعتبر فيه شرعا لان الوضو الشرعي في حقه انما هو اعظام وتاهب
للوقوف بين يدي الله تعالي ومناجاته لان المصلي يناجي ربه فالقصد
بالوضو اعظامه اذ ليس ثم دنس محسوس يزيله الوضو ولا ينافي هذا قول
الفقهاء ان الحدث امر اعتباري يقوم بالاعضا يمنع صحة الصلاة حيث لا مرخص
لانهم ارادوا بالاعتباري معني ارادة الشارع منافيا لكمال التعظيم مع خلو
الاعضا من الدنس الحسي وكذلك غسل جوفه الشريف هنا ليس لعدم القابل
بل للاعظام والتاهب للمناجاة وقد قال تعالي ومن يعظم شعاير

الله فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها منه من افعال ذوي تقوى
القلوب فحذفت هذه المضافات والعايد الي من وذكر القلوب لانها منشا التقو
والفجور والامرة بهما قاله البيضاوي فكان الغسل له عليه عليه السلام
من تعظيم شعاير الله واشارة لامته بالفعل من الملا معه بتعظيم
شعاير الله فما نص عليه بالقول في الاية المذكورة واما قوله ثم اتيت
بداية دون البغل وفوق الحمار ابيض ذكر باعتبار انه مركوب او
نظرا للفظ البراق يضع خطوه عند اقصى طرفه براساكنة وفا اي
نظره فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى اتي السما الدنيا وفي
عنده اي البخاري في الصلاة ثم اخذ بيدي محمد فعرج بي السما فظاهره
انه استمر علي البراق حتي عرج الي السما وليس هذا الظاهر بمراد
لما ثبت انه ربط البراق ببيت المقدس ورقي السما علي المعراج كما ياتي
بيانه ومشي علي ظاهره ابن ابي جمرة في قوله والقدرة كانت صالحة
لان يصعد بنفسه من غير براق لكن ركوب البراق كان زيادة في تشريفه لانه
لو صعد بنفسه كان في صورة ماش والراكب اعز من الماشي قال العارف
ابن ابي جمرة عقب هذا افاد ذلك انهم كانوا يمشون في الهوي وقد
جرت العادة بان البشر لا يمشي في الهوي سيما وقد كان راكبا
علي دابة من دواب الارض يعني البراق لما ان شاءت القدرة ذلك
كان اي شاء والقدرة فعلية مضاف او مصدر بمعني اسم الفاعل اي القادر
وانث الفعل نظرا للفظ فلا يرد ان القدرة صفة لا ينسب اليها
المشية وانما تنسب لله تعالي فكما بسط تعالي لهم الارض يمشون
عليها كذلك يمشيهم في الهوي كما ذكر بيد قدرته لا ترتبط قدرته
تعالي بعادة جارية اي لا يتوقف تاثيرها علي موافقة عادة بل يوثر في
كل ممكن اراد تاثيرها فيه وان خالف العادة وقد سيل عليه السلام
حين اخبر عن الاشقيا الكفار الذين يمشون علي وجوههم يوم القيامة
كيف يمشون فقال عليه السلام ان الذي مشاهم في الدنيا علي اقدامهم
في رواية علي ارجلهم قادر علي ان يمشيهم يوم القيامة علي وجوههم
والحديث في الصحيحين عن انس انتهي كلام ابن ابي جمرة وقد استند
بعضهم بهذا الحديث علي ان المعراج كان في ليلة غير ليلة الاسرا
الي بيت المقدس لكون الاسرا اليه لم يذكر هنا اذ ظاهر قوله فانطلق
بي جبريل حتي اتي السما الدنيا انه استمر سايرا به اليها ثم اوحيث شاء الله
ولم ينزل ببيت المقدس فاما المعراج ففي غير هذه الرواية من الاخبار
ما يدل علي انه لم يكن علي البراق بل رقي في المعراج وهو السلم كما
وقع التصريح به في حديث عند ابن اسحق والبيهقي في
الدلايل المنسوبة من حديث ابي سعيد كما سياتي ان شاء الله تعالي
قريبا ويمكن ان يقال في الجمع ما الذي وقع هنا اختصار من الراوي

فيرد

فيرد ما هنا الي تلك الرواية كان يقال قوله حتي اتي السما الدنيا ذكر غاية
ما وصل به جبريل ولم ينظر لتفاصيل ما دون ذلك والاتيان بثم المقتضية
للتراخي لانها في وقوع الاسرا بين الامرين المذكورين وهما الانطلاق
المذكور في قوله فانطلق بي جبريل والعروج المذكور بقوله حتي اتي السما
وفي نسخة الاطباق بكسر الهمزة فطا ساكنة فموحدة ثم فا اي اطباق حيدره
كما كان وفيه تعسف وحاصله اي هذا الجمع ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره
الاخر وقال النعماني ما المانع من انه صلي الله عليه وسلم رقي المعراج فوق ظهر
البراق لظاهر الحديث انتهي والمانع موجود وهو احاديث ربطه البراق بالحلقة
كما ياتي وثابت البناني بضم الموحدة وبالنون قد حفظ الحديث ففي
رواية عند مسلم عن انس انه اتي الي بيت المقدس فصلي بهم ثم عرج
الي السما كما ياتي ان شاء الله تعالي ومن قواعد المحدثين تقديم رواية
رواته من حفظ القصة وفصلها فيرد اليه رواية من اجمل او نقص فيها وقد
قيل الحكمة في الاسرا به راكبا مع القدرة علي طي الارض له اشارة
الي ان ذلك وقع تانيسا له بالعادة حيث قطع تلك المسافات الكثيرة
ذهابا وايابا في اقل زمن لان العادة جرت ان الملك اذا استدعي
اي طلب من يختص به بعث اليه بمركوب سني اي شريف يحمله عليه في
وفادته اليه فعامله بذلك تانيسا وتعظيما وفي كلام بعض اهل الاشارة
اي محققي الصوفية لما كان صلي الله عليه وسلم شجرة الكون يعبرون
بالشجرة في اصطلاحهم الانسان الكامل المشار اليه في اية النور وهي الشجرة
المباركة الزيتونة التي لا شرقية ولا غربية لاعتدالها بين طرفي الافراط
والتفريط في الاقوال والاحوال ودرة صدفة الوجود وسر معني كلمة
كن السر يعني به خصه كل موجود من الحق بالتوجه الايجادي المنبه عليه
بقوله تعالي انما امرنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فقولهم لا يحب الحق
الا الحق ولا يطلب الحق الا الحق ولا يعلم الحق الا الحق انما اشاروا بذلك الي السر
المصاحب من الحق للخلق علي الوجه الذي عرفت فانه هو الطالب للحق والمحب
له والعالم به كذا في الاعلام باشارات اهل الالهام ولم يكن بد نراق وبحاله
من عرض هذه الثمرة بين يدي مثمرها ورفعها الي حضرة قربه
والطواف الدوران بها علي ندمان حضرته ارسل اليه جبريل اعز
خدام الملك بكسر اللام سبحانه عليه فلما ورد عليه قادما وافاده
علي عزايمه ما يا فقال بلسان حاله يا جبريل الي اين فقال
يا محمد ارفع الامين من البين انما انا رسول القدم اي لدي القدم وهو
الحق تعالي ارسلت اليك لاكون من جملة الخدم يا محمد انت مراد
الارادة المراد عبارة عن المجذوب عن ارادته مع تهيئ الامور له فجاوز الرسوم
لها والمقامات من غير مكابدة وهذا هو وهذا مراد شيخ الاسلام ابي
اسماعيل الانصاري بقوله المراد هو المختطف من وادي التفرق الي ربوة

الجمع وهذا هو الانسان الذي اجتباه الحق واستخلصه الكل اي كل
المخلوقات مراد لاجلك كما قال تعالى لادم لولا محمد ما خلقتك رواه
الحاكم مرفوعا وروى ابو الشيخ والحاكم وصححه عن ابن عباس اوحى الله
الى عيسى امن بمحمد ومر امتك ان يومنوا به فلولا محمد ما خلقت ادم ولا الجنة
ولا النار وذكر ابن سبع وغيره عن علي ان الله قال لنبيه من اجلك اسطح
البطحا وامرج المرج وارفع السما واجعل الثواب والعقاب وانت مراد لاجلك
انت صفوة كاس المحبة انت درة هذه الصدفة انت شمس
المعارف هي في اصطلاح القوم عبارة عن احاطة العبد بعينه وادراك
ماله وعليه كما قال الامام الجنيد ان تعرف ما لك وما له انت بدر اللطايف
جمع لطيفة وهي كل اشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم لا تسعها العبارة
ما مهدت الدار الا لاجلك ما حمى ذلك الحمى الا لوصلك ما روق كاس
المحبة الا لشربك فسر شيخ الاسلام الهروي في منازل السايرين المحبة
بانها تعلق القلب بين الهمة والانس في البذل والمنع اي بذل النفس للمحبوب
ومنع القلب من التوصل الى ما سواه وانما يكون ذلك باقرار المحب بمحبوبه
بالتوجه اليه والاعراض عما عداه وذلك عند ما يسمع اوصاف نفسه في ذكر
محاسن حبيبه فتذهب ملاحظة السوية والى هذا المعنى اشار القايل
* شاهدته وذهلت عن غيره * مني عليه قد المثنى مفرد *
وانما كانت المحبة حالة بين الهمة والانس كما اشار اليه الشيخ لان المحب لما كان
اشد الراغبين طلبا صارت الهمة من جملة اوصافه اذ المراد بالهمة شدة
طلب القلب بالهمة فتجرده عن الانس ومن شرط المحب كونه مستانسا بمحاسن
محبوبه مستغرقا وجب ان يكون المحب موصوفا بالانس فلذا التقت المحبة بالهمة
والانس فقال عليه السلام بلسان الحال يا جبريل فالكريم يدعوني
اليه فما الذي يفعل قال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر ان
يستر الذنب عنك فلا تلابسه قال يا جبريل هذا لي فما لعيالي امتي
واطفالي اصحابي واليه قال ولسوف يعطيك ربك فترضى فقال صلى الله
عليه وسلم اذن لا ارضى وواحد من امتي في النار روى البيهقي عن ابن عباس
في هذه الاية قال رضاه ان يدخل امته كلهم الجنة وفي مسلم عن ابن عمر انه صلى
الله عليه وسلم تلى قول الله عن ابراهيم فمن تبعني فانه مني وعن عيسى ان تعذبهم
فانهم عبادك ثم رفع يديه فقال اللهم امتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب
الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك قال الان طاب قلبي
لذ ذكري ها انا ذاهب الى ربي ثم قال جبريل يا محمد اغاجي
بي اليك اليك الليلة لاكون خادم دولتك وحاجب وحاجب
حاشيتك جانبك قال المصباح حاشية الثوب جانبه والجمع الحواشي وحاشية
النسب كانه ماخوذ منه وهو الذي يكون على جانبه كالعم وابنه وحامل
غاشيتك يعني وشين معجمتين اسم لشي نفيس يحمل امام الاكابر ويغشى

به

به بين يديهم عرفا والغشاوي الاصل العطا وزنا ومعنى وجي بالمركوب
اليك لاظهار ذكر امتك لان من عادة الملوك اذا استزاروا
حبيبا طلبوا زيارته او استدعوا قريبا وارادوا اظهار كرامته
واحترامه ارسلوا اخص خدامهم واعرفوا بهم لنقل اقدامهم
اي الذين ارسل اليهم وجمعه حملا على ان المراد بالحبيب الجنس الصادق
بالواحد والمتعدد مجيبنا على رسم عادة الملوك تانيسا بالعادة
واداب السلوك وهي في اصطلاح الطايفة عبارة عن الترقي في
مقامات القرب الى حضرات الرب فعلا وحالا وذلك بان يتحد باطن
الانسان وظاهره فيما هو بصدده مما يتكلفه من فنون المجاهدات وما
يقاسيه من مشاق المكابدات بحيث لا يجد في نفسه حرجا من ذلك ومن
اعتقد انه يصل اليه بالخطا بالضم جمع خطوة ما بين القدمين فقد
وقع في الخطا بالفتح خلاف الصواب ومن ظن انه محجوب بالعطا
تقيين سجية فقد حرم العطا انتهى والحكمة في كون البراق
الذي اعد له وتعلق علمه تعالى بانه سيسرى به عليه دابة دون
البغل وفوق الحمار ابيض اوفيه حذف اي الحكمة في المجي له بالبراق
الموصوف بما ذكر فلا يرد انه ليس المراد بيان حكمة خلق البراق على هذه
الصورة فحق العبارة الحكمة في المجي له بالبراق دون غيره مثلا ولم
يكن على شكل الفرس التي هي افضل الدواب المركوبة اشارة خبر
الحكمة الى ان الركوب كان في سلم وامن لا في حرب وخوف فان
الحرب هي التي يعتد لها بنحو الفرس وصورة البراق لم يعهد عليه قتال
البتة او لاظهار المعجزة اي المبالغة في اظهارها بوقوع الاسراع
الشديد بدابة لا توصف بذلك في العادة لكن البياض لا دخل
له في الحكمتين فلعل ذكره لبيان الواقع او لاظهار السرور لان البياض
يختار عادة لاظهاره وذكره بقوله ابيض باعتبار كونه مركوبا
او عطفا لغويا اي ميلا يقال عطفت على كذا اي ملت له على لفظ
البراق وعلى بمعنى الى ولفظ الفتح او بالنظر للفظ البراق
واختلف في اشتقاق تسميته بذلك لقوله الاتي ويحتمل ان لا يكون
مشتقا فقيل مشتق من البريق اللمعان اي سمي بذلك للمعان بدنه
لصفا بياضه وقال القاضي عياض لكونه ذو لونين يقال شاة
برقا اذا كان في خلال صوفها الابيض طاقات سود قال
الحافظ ولا ينافيه وصفه في الحديث بانه ابيض لان البرقا من الغنم
معدودة في البيض انتهى ولكن اعترض بان هذا الوصف لم يثبت
للبراق وما ياتي ان صدره ياقوتة حمرا ضعيف وقيل مشتق من
البرق ما يلمع من السحاب لانه وصف بسرعة السير فاشبه البرق
في سيره ويحتمل ان لا يكون مشتقا فلا يلاحظ قوله في تسميته

اخذه من مادة اصلا وانما هو اسم له ووصفه بانه يضع خطوه
عند اقصى طرفه بسكون الراء وبالفاء اي نظره اي يضع رجله
بيان للمراد بخطوه فليس المراد نفس المصدر عند منتهى بصره
فالطرف بمعنى البصر فقوله عند اقصى طرفه اي في المكان الذي هو
غاية منتهى ما يصل اليه بصره وقال ابن المنير ويقطع ما انتهى
اليه بصره في خطوة واحدة قال فعلى هذا يكون قطع من
الارض الى السما في خطوة واحدة لان بصر الذي في الارض
يقع على السما فبلغ اعلى السموات في سبع خطوات اخبار
عما وصف به في حالة عروجه لانه يرى كل سما وهو فيما دونها انتهى
كلام ابن المنير وهو مبني على انه عرج به على البراق اخذا بظاهر
الحديث والصحيح خلافه وفي حديث ابن مسعود عند ابي
يعلى والبزار كما افاده في الفتح ما لفظه اذا اتى بمعنى اقبل
على جبل ارتفعت رجلاه واذا هبط ارتفعت يداه ولا
مشقة على راكبه في صعود ولا هبوط وفي رواية لابن سعد
محمد عن الواقدي محمد بن عمر بن واقد باسانيده له جناحان
قال الحافظ ابن حجر ولم ارها لغيره وهو عجب مع قول الشامي
قوله له جناحان في فخذيه يحفز بهما رواه ابن اسحق وابن جرير
وابن المنذر عن الحسن البصري مرسلا ورواه ابن سعد من طريق
الواقدي وابن عساكر من حديث جماعة من الصحابة ويحفز بفتح التحتية
وسكون المهملة وكسر الفاء وزاي يحث بهما رجليه على سرعة السير
قال ابن الاثير الحفز الحث والاعجال ولعل سر كونهما في فخذيه
لتقل بوخز الدابة او لان ذلك جار على هذا الامر في خرق العادة او
لانهما لو كانا في جنبيه على العادة لكانا تحت فخذي الراكب او فوقهما
ويحصل له مشقة بضمهما ونشرهما خصوصا مع السرعة العظيمة
انتهى وعند الثعلبي بسند ضعيف عن ابن عباس في صفة
البراق لها خد كخد انسان وعرف بضم المهملة واسكان
الرا وقد تضم وبالفا كعرف الفرس وهو شعره النابت في
محدب رقبته وقوائم كالابل اي كقوائمها واظلاف بمعجمة جمع
ظلف بكسر بالكسر للبقرة والشاة بمنزلة القدم لنا وذنب
كالبقر عائد لهما اي لها اظلاف كالبقر وذنب كالبقر وكان صدره
ياقوتة حمرا تشبيه بليغ اي كياقوتة لا ان ذاته ياقوتة بالفعل
هذا ان قرئ كان بالفعل فان قرئ بالتشديد والهمز فهو تشبيه
حقيقي لكن ظاهر السياق الاول وفي رواية ابي سعيد هكذا
في نسخة مصححة باداة الكنية واسكان العين واسمه عبد الرحمن
ابن حسن الاصفهاني النيسابوري الحافظ المشهور الثقة المتوفى

سنة

سنة سبع وثلثماية وقد وصفه الذهبي في تاريخه بالحافظ واغفله
من طبقات الحفاظ والسهيلي بكنيته ابا سعيد بالباورده مغلطا بانه
انما هو سعد بسكون العين ويقع في نسخ ابن سعد وهي خطا لقوله في شرح
المصطفى اذ هذا الكتاب انما هو لابي سعد عبد الرحمن لا لابن سعد
محمد والذي في الفتح وغيره ابي سعد وكان الذي امسك بركابه
جبريل او بزمامه بكسر الزاي مقود البراق ميكائيل ولا ينافي ذكر ان
جبريل كان راكبا معه كما ياتي لانه امسك ركابه حتى ركب فركب امامه نعم
يعارضه رواية وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره رواه سعيد بن
منصور والطبراني وابن مردويه فانه ظاهر في عدم الركوب الا ان
يكون ذلك اخبارا عن مبدا سيره ثم ركب جبريل قدامه رفقا به والله
اعلم وفي رواية معمر عن قتادة عن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به مسرجا ملجما حالان
من البراق فاستصعب عليه اي عسر وامتنع فقال له جبريل ما حملك
على هذا يعني اي شي اعتراك بهذا اي ما منعك من الانقياد له مع انه
اعظم من يستحق غاية التعظيم لانه ما ركبك خلق على مفاد النفي عرفا
وان صدق لغة بالمساواة قال فارفض سال وجرى عرقا
منصوب على التمييز من الفاعل وهذا ورد مخففا والمعنى خجل من الاستصعاب
وعرق من خجل العتاب قاله في الايات الباهرة اخرجه الترمذي وقال
حسن غريب وصححه ابن حبان من حديث انس واخرجه ابو داود
والطبراني والبيهقي وصححه من حديث شداد بن اوس وذكر ابن
اسحق حيث قال حديث عن حديث قتادة انه لما شمس بفتح
المعجمة والميم وسين مهملة اي منع ظهره من ركوبه بامتناعه وضع
جبريل عليه السلام يده على معرفته بفتح فسكون ففتح
موضع نبات العرف اي الشعر النابت على عنقه وقال اما تستحي
ذكر نحوه فقال اما تستحي يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد
لله قبل محمد اكرم عليه منه فاستحى حتى ارفض عرقا ثم قر حتى ركبه
لكنه مرسل لانه لم يذكر انسا انما قال قتادة حدثت عن رسول الله
قال لما دنوت منه لاركبه شمس فذكره وفي رواية بمثلثة وكتمية
وميم عند ابن اسحق نفست الدابة كذا في النسخ وهو تصحيف
قال الذهبي في الفتح وغيره فارتعشت حتى لصقت بالارض فاستويت
عليها وفي رواية للنسائي وابن مردويه بفتح الميم وبكسر كما
مر من طريق يزيد بتحتية فزاي ابن ابي مالك عبد الرحمن
الهمداني بالسكون الدمشقي القاضي صدوق ربما وهم مات سنة
ثلاثين ومائة او بعدها روى له ابو داود والنسائي وابن ماجة
عن انس نحوه موصولا وزاد وكانت تسخر للانبيا قبل

قبله ونحوه في حديث ابي سعيد الخدري عند ابن اسحق محمد صاحب
السيرة وفيه دلالة علي ان البراق كان معدا لركوب الانبيا خلافا
لمن نفي ذلك كابن دحية واما قول جبريل فما ركبك اكرم علي الله منه
اي ما ركبك احد قط فكيف يركبك اكرم منه فيكون من نفي الموصوف
فينتفي ذلك الوصف بانتفايه وهي طريقة معلومة خرجوا عليها قوله تعالي
لا يسالون الناس الحافا اي لا سوال فلا الحاف ولم يرد اثبات السوال ونفي
الالحاف بدليل يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف اذ التعفف لا يجامع المسيلة
وقوله تعالي فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لا شافع فلا شفاعة بغير
عمد ترونها اي لا عمد فلا روية فيكون مثل امري القيس علي لاحب
بمهملة وموحدة طريق واضح لا يهتدي لمناره اي علمه فيعلم ان له
منارا يهتدي له وليس المراد الا انه لا منار له البتة فالمراد نفي المنار
من اصله لا اثبات منار انتفي عنه الاهتدا فتامله لان شرط التخريج
علي هذا اذا وجد ما يدل عليه وليس كذلك هنا كيف وقد جزم السهيلي
بان البراق انما استصعب عليه لبعد ركوب الانبيا قبله
فصرح بانه ليس خاصا به وهو من الحفاظ الكبار وهو مثبت فيقدم
علي نفي تلميذه ابن دحية وان وافقه ما قال النووي قال صاحب
مختصر العين الزبيدي وتبعه صاحب التحرير كان الانبيا يركبون
البراق قبل قال النووي مقالها وهذا يحتاج الي نقل صحيح
انتهي وتقدم النقل بذلك قريبا قال في الفتح ويويده ظاهر
قوله فربطته اي شددته بالحلقة التي تربط بكسر البا وضمها
لغة بها الانبيا قلت امل فانه ليس فيه فربطته بالحلقة التي
تربط بها الانبيا وسكت عن ذكر المربوط ما هو فيحتمل كما قال
ابن المنير ان يكون غير البراق ويصير غيره تربط بها الانبيا دوابهم
وذكر لا يستلزم كون البراق مركوبا لهم وهذا هو لا يرد علي الحافظ لانه لم
يقل يويده قوله انما قال ظاهر قوله ولا شك ان ظاهره ربط البراق لانه
المحدث عنه واما هذا الاحتمال فبعيد وابعد منه قوله ويحتمل ان يريد
ارتباط الانبيا انفسهم بتلك الحلقة اي تمسكهم بها ولا يكون
من جنس العروة الوثقي وهو متمسك المحق من النظر الصحيح والراي القويم
كما في البيضاوي انتهي كلام ابن المنير ثم استدرك المصنف تعقبه علي الحافظ
بان الروايات يفسر بعضها بعضا فتعين ان المراد تربط بها البراق لا
الدواب ولا انفسهم فقال لكن وقع التصريح بذلك في حديث ابي سعيد
عند البيهقي ولفظه فاوثقته اي ربطت دابتي بالحلقة التي
كانت الانبيا تربطها فيه وقد وقع عند ابن اسحق في المبتدا من
رواية وثيمة في ذكر الاسرا فاستصعب البراق وكانت
الانبيا تركبها قبلي وكانت بعيدة العهد بركوبهم لم تكن ركبت في

الفترة

الفترة التي بينه وبين عيسي وهي ستماية سنة علي الصحيح وفي مغازي
ابن عايذ من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب قال البراق
هي الدابة التي كان يزور ابراهيم عليها اسمعيل وفي اوايل الروض
للسهيلي ان ابراهيم حمل هاجر علي البراق لما سار الي مكة بها وبولدها
في كتاب مكة للفاكهي والازرقي ان ابراهيم كان يحج علي البراق فهذه اثار
يشد بعضها بعضا وجات اثار اخري تشهد لذلك لم ار الاطالة بايرادها
قاله الحافظ وعلي ذلك كله فلم يكن ركوب البراق من خصايصه
صلي الله عليه وسلم قال النعماني ولعل النافي ركوب غيره لم يستحضر
هذه الاحاديث والاثار لانه اقتصر علي الحديثين ولم ار نصا ينفي ركوب غيره
من الانبيا عليهم معارضة النص بتا وبل قول جبريل فيه نظر بل ورد ما يدل
علي ان غير الانبيا ركبه ففي اوايل روض السهيلي ان ابراهيم حمل هاجر
علي البراق لما سار الي مكة بها وبولدها وفيه ايضا عن الطبري اوحي الله
الي ارميا ان اذهب الي بخت نصر فاعلمه اني قد سلطته علي العرب فاحمل معدا
علي البراق كي لا تصيبه النقمة فاني مستخرج من صلبه نبيا كريما اختم به
الرسل فحمله معه علي ارض الشام انتهي نعم قيل ركوبه مسرجا ملجما لم يرو
لغيره من الانبيا عليهم السلام فيحمل القول بان ركوبه من خصايصه علي
ركوبه مسرجا ملجما لا مطلقا ولا ينافي ان غيره ركبه لا بهذه الصفة فان
قلت ما وجه استصعاب البراق عليه اجيب اي اجاب ابن المنير بانه
اي وجهه تنبيه اعلام انه لم يذل لما قيل ذلك ان قلنا انه لم يركبه احد
قبله او لبعد العهد به ان قلنا انه ركب قبله وهما قولان ارجحهما الثاني
كما علم ويحتمل ان يكون استصعابه تيها بكسر الفوقية وسكون التحتية
تكبرا وزهوا عطف تفسير ففي القاموس الزهو التيه والفخر بركوبه صلي
الله عليه وسلم واراد جبريل بقوله امحمد تستصعب استنطاقه
بلسان الحال انه لم يقصد الصعوبة وانما تاه زهوا بمكان
الرسول صلي الله عليه وسلم منه اي لوجوده عنده وارادته ركوبه
ولهذا قال فارفض سال عرقا فكانه اجاب بلسان الحال متبريا
من الاستصعاب وعرق من خجل العتاب اي عتاب جبريل له
ومثل هذا رجفة الجبل تحرك به حتي قال كما في الصحيح عن انس
ان النبي صلي الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم
فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق ابو بكر وشهيدان عمر
وعثمان فانها هزة الطرب الفرح لا هزة الغضب فلذا اقر
الجبل وسكن وكذا البراق لما قال له جبريل اسكن فما ركبك احد
اكرم علي الله منه ارفض عرقا [illegible] سكن ثم خجل من ظاهر الاستصعاب
وتوجه الخطاب اليه بالعتاب فعرق حتي غرق اي عمه العرق فشبه
عمومه له بالغرق في الما ووقع في حديث حذيفة بن اليمان عند الامام

احمد قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فلم يزل
على ظهره هو وجبريل حتى انتهيا الى بيت المقدس وهذا لم
يسنده حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه قاله عن
اجتهاد ولم يبلغه الاحاديث التي فيها نزوله في اماكن قبل بيت المقدس
ويحتمل ان يكون قوله هو وجبريل متعلقا بمرافقته في السير
لا في الركوب الى بيت المقدس دون نزوله قبله في اماكن وقال ابن دحية
معناه وجبريل قايد او سايق او دليل قال وانما جزمنا بذلك لان
قصة المعراج كانت كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا مدخل لغيره
فيها وتبعه ابن المنير وغيره والتعليل لا ينهض فان من جملة كرامته اكرام
صاحبه وقد تعقب الحافظ ابن حجر فقال يرد التاويل المذكور بان
في صحيح ابن حبان من حديث ابن مسعود ان جبريل حمله على البراق
رديفا له اي جاعلا له خلفه وفي رواية الحارث بن ابي اسامة في مسنده
عن ابن مسعود اتي بالبراق فركبه خلف جبريل وكانه لسرعة السير وكونه
ليلا وكونها دابة غير مالوفة يخفق عليه لسبب ينزعج فلم يجعله امامه فسار
بهما فهذا صريح في ركوبه معه والله اعلم انتهى ومعلوم تقديم صريح
المنقول على مقتضى المعقول وقد وقع في ه غير هذه الرواية بيان
ما راه ليلة الاسرا قبل اتيانه بيت المقدس فلا يحسن ابقا قول حذيفة
استمرا على ظهر البراق حتى انتهيا الى بيت المقدس على ظاهره وكذا قوله
في حديث مالك بن صعصعة ثم اتيت بدابة فحملت عليها فانطلق بي جبريل ثم
حتى اتى السما الدنيا لا ينبغي ابقاوه على ظاهره لانه مجمل فيقضي عليه المفصل
من الاحاديث المذكور فيها ما راه في ذهابه وايابه وفي السموات ولما كانت
ما صيغة عموم تفيد استيعاب جميع ما راه اتى بقوله فمن ذلك لافادة انه لم
يستوعب ذلك ما وقع في حديث شداد بن اوس عند البزار
والطبراني وصححه البيهقي في الدلايل انه اول ما اي شي راه ليلة
اسري به مر بارض ذات نخل فهو اول المرييات او سماه اولا باعتبار
قطع المسافة سريعا فلا ينافي ان بين مكة ويثرب مسافة طويلة فلا يبعد ف
الخبر على المبتدا او هو اول فعلى هذا فالخبر جملة قوله مر الى اخره بتقدير
انه واسمها ضمير الشان ويجوز نصب اول على انه ظرف متعلق بمر فما مصدرية
واسم ان ضمير للنبي صلى الله عليه وسلم انه اول مرور اول اسرايه بارض الاولية
نسبية او انه عد المرور اول اسرايه مع تاخره لقصر سيره فيه وقرر
شيخنا ان هذا احسن فقال له جبريل انزل فصل فنزل فصلى ثم ركب
فقال له اتدري اين صليت فقلت الله اعلم هكذا في حديث شداد نفسه
قبل قوله صليت بيثرب صليت بطيبة هكذا جمع بينهما في حديث شداد
فيثرب لانها انما كانت مشهورة بهذا الاسم فقصد اخباره بالمحل وطيبة
للاشارة الى انها تسمى به بعد حلوله فيها وفي حديث انس عند النسايي

اتدري

اتدري اين صليت صليت بطيبة واليها المهاجر بفتح الجيم فجبريل تبرع باخباره
بذلك بعد سواله هل تدري المحل الذي صلى فيه او لا قاصدا ادخال السرور
عليه ولم يبال النبي صلى الله عليه وسلم عند على الظاهر المتبادر ثم مر بارض
بيضا فقال انزل فصل فصلى ثم ركب فقال له جبريل اتدري اين صليت قال
لا قال صليت بمدين عند شجرة موسى كما في خبر شداد ومدين بفتح الميم والتحتية
واسكان المهملة بينهما بلد بالشام تلقا غزة سميت باسم بانيها مدين بن ابراهيم
ويحتمل ان المراد بشجرة موسى الشجرة التي كلمه الله عندها لما خرج من عند
شعيب بعد انقضا الاجل قاصدا مصر فنودي منها ان يا موسى اني انا الله رب
العالمين او المراد الشجرة التي اوى بعد سقي الغنم لمراتين المذكورة في قوله
فسقى لهما ثم تولى الى الظل فانه كان ظل سمرة قاله ابن عطية عن ابن عباس
وعلى هذا فهو اطلاق مدين على بقعتها تجوز لانها بالطور وليس هو مدين
لكنه لقربه منه سماه به كذا في حديث شداد ثم قوله عند شجرة موسى ثم ركب
فانطلق البراق يهوي به ثم قال له انزل فصل ففعل ثم ركب فقال اتدري اين
صليت قال لا قال صليت بطور سينا حيث كلم الله موسى فصرح بانه صلى في الموضعين
عند الشجرة وعند الجبل وكلمه الله عندهما معا لكن بين التكليمين لموسى مدة
طويلة فالتكليم الاول الذي نبي فيه كان عمره اربعين سنة كما في ابن عطية
والثاني كان بعد غرق فرعون واستقرار الامر لموسى بعد الامر بالصوم وانقضا مدة
الوعد المذكورة في قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر
ثم مر ببيت لحم بلام مفتوحة فمهملة ساكنة قرية من الشام تلقا بيت المقدس
والمصنف اختصر الحديث والا فلفظ حديث شداد عند من عزاه لهم عقب قوله
حيث كلم الله موسى ثم بلغ ارضا بدت له قصور فقال له جبريل انزل فصل
فصلى ثم ركب وانطلق البراق يهوي به فقال له جبريل اتدري اين صليت قال
لا قال صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى بن مريم وفي حديث انس
عند البيهقي في الدلايل لما جا جبريل بالبراق الى النبي صلى الله عليه
وسلم استصعبت عليه فكانها بسبب ذلك اصرت اذنيها اي جمعت بينهما
فهو مفرع على محذوف واصل الصر الجمع والشدة كما في النهاية فقال له
جبريل مه اي انكفي عن هذا او نزكيه وانقادي له يا براق فوالله ما
ركبك مثله بكسر الكاف لينا سب اصرت وان جاز فتحها فسار رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بعجوز على جنب الطريق ناحية
اسقط من البيهقي عن انس فقالت يا محمد انظرني اسالك اسالك فلم
يلتفت اليها فقال ما هذه يا جبريل قال سر يا محمد امره بالسير
خشية ان يسمع سوالها رقة عليها لسنها بحسبها لما جعل الله في قلبه
من الرافة والرحمة فسار ما شا الله ان يسير فاذا هو بشيخ يدعوه
متنحيا من شدة الكبر متنحيا مصروفا مبعدا عن الطريق يقول
هلم يا محمد فقال له جبريل سر يا محمد لئلا يليق له لسنه فيقبل عليه

وفي حديث انس المذكور انه مر بجماعة في مسيره ذلك ولفظه وبينما نحن
نسير اذ لقيه خلق من خلق الله تعالى فسلموا عليه فقالوا السلام عليك
يا اول من اسمايه صلى الله عليه وسلم لانه اول الانبيا خلقا واول من قال
بلى يوم الست بربكم والاول عود اضفوا اوله من تنشق عنه الارض واول من يدخل
الجنة واول شافع واول مشفع السلام عليك يا اخر لانه اخر الانبيا بعثا
السلام عليك يا حاشر لانه يحشر الناس على قدميه اي بعدهم وهم خلفه
او يسبقهم فيحشر خلفهم قبلهم والثلاثة من اسمايه كما مر في مقصدها فقال له
جبريل اردد عليهم السلام ثم رد الحديث اسقط منه ثم لقيه الثانية
فقال له مثل ذلك ولقيه الثالثة فقال له مثل ذلك وفي اخره فقال له
جبريل اما العجوز التي رايت جانب الطريق فلم يبق من الدنيا الا
ما بقي من عمر تلك العجوز والذي دعاك ابليس اراد ان تميل اليه كما في
نفس الحديث والعجوز الدنيا اي انها صورت له بصورة عجوز اشارة
الى قرب انقضايها والا فهي نقيض الاخرة لا صورة لها يرى منها اما
بالتخفيف اما لو اجبتها لاختارت امتك الدنيا على الاخرة بجعلها
نصب اعينهم وعبادتها دون الله فلا يرد ان كثيرا من امته بل اكثرهم
يتبعون الدنيا ويتهالكون عليها لانهم وان فعلوا ذلك لكن لاعراض فاتت
عندهم مع اعتقادهم لقدرة الله ووحدانيته فلا يصدق عليهم اتباعهم للدنيا
واما الذي سلموا عليك فابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام
سلموا عليك ثلاثا زيادة في التحية قال الحافظ عماد الدين بن كثير
في الفاظه ان هذا الحديث نكارة وغرابة لمخالفته لما في حديث ابي
سعيد ان جبريل اجابه بقوله لو اجبتها الى اخره لما تمثلت بامراة حاسرة
عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله واما حين تمثلها بعجوز فاجابه
بانه لم يبق من الدنيا الى اخره ومن جهة تفرده بذكر لقايه لها والانبيا الثلاثة
في ذهابه الى بيت المقدس قبل دخوله وفي رواية عند انس بلفظ انه
صلى الله عليه وسلم مر بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره قال
انس راويه ذكر كلمة فقال اشهد انك رسول الله بيان لكلمة ويحتمل
ان الكلمة غيرها وقوله اشهد الى اخره ناشي عنها والحديث في مسلم
والنسائي وغيرهما عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مررت على
موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قايم يصلي في قبره وفي
حديث ابن مسعود عند الحسن بن عرفة والطبراني وابو نعيم وغيرهم
رجل طوال سبط ادم كانه من رجال شنوة وهو يقول برفع صوته اكرمته
وفضلته فدفعنا اليه فسلمنا عليه فرد السلام وقال من هذا معك يا جبريل
قال هذا احمد قال مرحبا بالنبي الامي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح
لامته ودعوا له بالبركة وقال سل لامتك اليسر ثم ابعدنا فقلت من هذا
يا جبريل قال هذا موسى بن عمران قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه قال يرفع

صوته على ربه قال ان الله قد عرف له حدته فذكر الحديث وفيه انه لقي ابراهيم
في طريقه ثم دخل الاقصى وصلى بالانبيا قال النعماني وفيه غرابة ولا
مانع من ان الانبيا عليهم السلام يصلون في قبورهم الصلاة الشرعية
التي كانوا يصلونها في الحياة الدنيا لانهم الى الان في الدنيا وهي دار تعبد
وقيل المراد الصلاة اللغوية اي يدعون الله ويذكرونه ويثنون عليه وجزم
القرطبي بالاول لانه ظاهر الحديث ولانهم احيا عند ربهم يرزقون حياة
حقيقية والصلاة تستدعي جسدا حيا سوا قلنا انها الشرعية او اللغوية ولا
يلزم من كونها حقيقية ان تكون الابدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج الى
الطعام والشراب ونحوهما من صفات الاجسام التي نشاهدها الان ذكره عادي
لا عقلي وهذه الملايكة احيا ولا يحتاجون الى ذلك فهم يتعبدون بما يجدونه
من دواعي انفسهم فتعبدهم بذلك لذة اي لذة لا الزاما اي شي يلزمون
به لانه لا تكليف بعد الموت كما يلهم اهل الجنة الذكر ويجدون اللذة القوية
ولا تكليف في الجنة وستاتي الاشارة القليلة الى ذلك في حجة الوداع
ان شا الله تعالى وسبق في الخصايص بابسط مما هي في الموضعين وفي
حديث ابي هريرة عند الطبراني والبزار والبيهقي وابن جرير والطبري
وابو يعلى انه عليه السلام مر على قوم يزرعون ويحصدون
بكسر الصاد وضمها في كل يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال لجبريل
ما هذا قال هولا المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة
الى سبعماية ضعف وما انفقوا من شي فهو يخلفه اخبار عن حالهم ولم
يقصد القران فلا يرد ان التلاوة وما انفقتم من شي فهو يخلفه وهو خير
الرازقين والمراد انما يتمتعون به من فواكه وغيرها اذا انقضى ذلك
الوقت جي لهم بغيره على التوالي وبذلك يتميزون عن غيرهم من اهل
الجنة او انه اخبار بان ما انفقه المجاهدون يعوضون به في الدنيا
سريعا ولا يوخر ثوابهم للاخرة ثم اتى على قوم ترضخ اي تشدخ كما
في التقريب وفي المصباح بكسر روسهم بالصخر كلما رضخت عادت
كما كانت ولا يفتر عنهم بضم اوله وفتح الفا وشد الفوقية اي لا يخفف
عنهم من ذلك الرضخ شي او هو بضم اليا وضم الفوقية مخففا اي لا يرتفع
عنهم ذلك ولا يسهل فقال ما هذا يا جبريل قال هولا الذين تتثاقل
روسهم عن الصلاة المكتوبة بالتساهل فيها اما بتركها اصلا او
باخراجها عن وقتها كلا او بعضا ثم اتى على اقوام رقاع جمع قبل
كاعناق وعنق وهو من كل شي خلاف دبره قبل سمي قبلا لان صاحبه
يقابل به غيره وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام
الذي في رواية البزار والبيهقي وغيرهما كما تسرح الابل والغنم ياكلون
الضريع الشوك اليابس ونبات احمر منتن الريح يرمي به البحر والزقوم
ثمر شجر كريه الطعم قيل لا يعرف في شجر الدنيا وانما هي في النار تكره اهل

النار علي اكلها كما قال تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه روس
الشياطين وفي الزقوم القاموس الزقوم كتنور الزبد بالتمر وشجرة بجهنم
ونبات بالبادية له زهر ياسمين الشكل وطعام اهل النار واخرج ابن جرير
عن قتادة قال قال ابو جهل زعم صاحبكم هذا ان في النار شجرة والنار تاكل
الشجر وانا والله ما نعلم الزقوم الا التمر والزبد فانزل الله حين عجبوا ان يكون
في النار شجرة انها شجرة تخرج في اصل الجحيم الاية ورضف جمجمتهم بفتح
الراء وسكون الضاد المعجمة بعدها فا الحجارة المحماة واحدها رضفة بسكون الضاد
وتفتح قال ما هولا يا جبريل قال هولا الذين لا يودون زكاة
اموالهم وما ظلمهم الله شيئا وما الله بظلام اي بذي ظلم للعبيد فيعذبهم
بلا ذنب ثم اتي علي قوم بين ايديهم لحم نضيج مستو في قدر ولحم
نيء بالهمز وزان حمل كل شي شانه ان يعالج بطبخ او شي او بطبخ فيقال لحم نيء
والابدال والادغام عامي في قدر خبيث بالرفع نعت لحم فجعلوا ياكلون
من النيء الخبيث ويدعون النضيج فقال ما هولا يا جبريل قال
جبريل هذا الرجل من امتك يكون عنده المراة الحلال الطيب
فياتي امراة اجنبية فيبيت عندها حتى يصبح ولعله قيد
بامته لان لغيرهم عذابا اعظم من هذا او لان الغرض اعلامه بما اعد لمرتكبي
ذلك ليتنكفوا عنه والمراة تقوم من عند زوجها حلالا طيبا فتاتي
رجلا اجنبيا فتبيت عنده حتى تصبح ولعل التقييد بذلك لانه الاغلب
والمراد الزناة وان لم يكن بيات حتى الصباح ويويده ان الحافظ اختصر
الحديث بقوله قال هولا الزناة ثم اتي علي رجل قد جمع حزمة بضم
فسكون ما حزم من اي شي وفي فتح الباري حزمة حطب عظيمة لا يستطيع
حملها وهو يزيد عليها اي يضم اليها غيرها قال ما هذا يا جبريل قال
هذا الرجل من امتك تكون عنده اي في جهته امانات الناس لا
يقدر علي ادائها اي الخروج من عهدتها يدخل فيه ما تحت يده كوديعة
وما وكل علي بيعه وما تحت يده من مال يتيم ونحوه وما فوض اليه كامامة
وخطابة وغيرهما من المناصب الشرعية مما لا يوصف بكونه تحت يده حسا
وهو يريد ان يحمل اي يزيد عليها ما يحتاج اليه حمله معها مع عدم قدرته
علي حمل الاولي ثم اتي علي قوم تقرض تقطع السنتهم وشفاههم
جمع شفة مخففة بمقاريض جمع مقراض بكسر الميم من حديد كلما
قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شي قال ما هذا
يا جبريل قال هولا خطبا الفتنة اي الذين يقولون ما لا يفعلون
فيفتتنون الناس بذلك لعدم مطابقة قولهم لفعلهم واسقط من الرواية
خطبا لعله يقولون ما لا يفعلون والمراد بالخطبا كل من تصدي لتعليم العامة
بالطلب منهم وتكليفهم ونهيهم عما نهوا عنه فدخل العالم والواعظ وغيرهما قال
ثم اتي علي جحر بضم الجيم وسكون المهملة ثقب مستدير صغير يخرج

منه

منه ثور عظيم بمثلثة ذكر البقر فجعل الثور يريد ان يرجع من حيث خرج
فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الرجل يتكلم بالكلمة
العظيمة من سخط الله ثم يندم عليها فلا يستطيع ان يردها لعدم امكانه
ثم مر علي واد فوجد فيه طيبة باردة وريح المسك وسمع صوتا فقال
يا جبريل قال هذا صوت الجنة تقول بلسان الحال علي الظاهر المتبادر
فلا مانع من ان يخلق لها ادراك ونطق رب ائتني بالمد بما وعدتني بزيادة
الباء في المفعول كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم لان اتى يتعدى بنفسه كقوله واتاه الله
الملك فقد كثرت غرفي بالضم جمع غرفة وهي العلية واستبرقي ثخين
الديباج وفي البيضاوي ثخين الحرير وحريري عطف عام علي خاص وسندسي
رقيق الديباج وعبقريي قيل هو الديباج او البسط الموشية او الطنافس
الثخان واصله فيما قيل ان عبقر قرية يسكنها الجن فيما يزعمون فكلما رأوا
او شيئا فائقا غريبا مما يصعب عمله ويدق او شيئا عظيما في نفسه نسبوه
اليها فقالوا عبقري وفي القاموس العبقري الكامل من كل شي والسيد الذي
ليس فوقه شي وعليه فالمراد هنا وكثرت نفائسي الكاملة من ثياب وغيرها
ويكون من ذكر العام بعد الخاص ولولوي بهمزتين وبحذفهما وباثبات الاولى
دون الثانية ومرجاني قال الازهري وغيره هو صغار اللولو وقال
الطرسوسي هو عروق حمر تطلع من البحر كاصابع الكف قال وهكذا شاهدناه
بمغارب الارض وفضتي وذهبي واكوابي جمع كوب انا لا عروة له ولا
خرطوم وصحافي جمع صحفة انا كالقصعة واباريقي جمع ابريق انا له
عروة وخرطوم ومراكبي مما يركب وعسلي ومائي ولبني وخمري
بالانهار الاربعة ومراكبي مما يركب فائتني بما وعدتني قال لك كل
مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن امن بي وبرسلي وعمل صالحا
الطاعات ولم يشرك بي شيئا بان لا يري احدا بعبادته بي وحملناه
علي هذا ليفي بقوله ولم يتخذ من دوني اندادا شركا يخصهم
بالعبادة ومن خشيني خافني مع الاجلال فهو امن ومن سالني
اعطيته ومن اقرضني بانفاقه في سبيلي لاجلي جازيته جزاء
مضاعفا كما قال ومن يتوكل علي كفيته من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم انني انا الله لا اله الا انا لا اخلف
الميعاد الوعد بالبعث بالجزا وقد للتحقيق افلح فاز المومنون
وتبارك الله احسن الخالقين اي المقدرين تمييز اسم الفاعل
ومميزا احسن محذوف للعلم به اي خلقا قالت الجنة قد رضيت ثم
اتي علي واد فسمع صوتا منكرا ينكره سامعه لعدم سماع نظيره
في الاصوات المعتادة لشناعته وقبحه ووجد ريحا منتنة بضم الميم
وكسر التاء اسم فاعل من انتن ويجوز كسر الميم للاتباع وضم التاء اتباعا
للميم فقليل كما في المصباح فقال ما هذا يا جبريل قال هذه

صوت جهنم تقول بلسان الحال رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت
سلاسلي جمع سلسلة واغلالي قيودي وسعيري ناري وسعرتها
وسعرتها وقدتها وحميمي ماي الحار غاية الحرارة وغساقي بخفة السين
وتثقيلها اي ما يسيل ويخرج منهم لشدة حرارتها ومن البيضا ويحي وغيره
الغساق ما يسيل اي يسيل من صديد اهل النار فانهم يذوقونه وعذابي
وقد بعد قعري واشتد حري فائتني بما وعدتني قال لك مشرك
ومشركة وكافر وكافرة عطف عام على خاص لان المشرك اذا جمع الكافر
اريد به من جعل لله شريكا كعباد الاوثان والكافر يشمل ذلك وغيره وكل جبار
كافر لا يؤمن بيوم الحساب يوم القيامة قالت قد رضيت قال ثم سار
حتى اتى بيت المقدس وفي نسخة حتى انتهيت اي فسار ربي حتى انتهيت
ومن رواية ابي سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان عند البيهقي
وابن جرير وابن ابي حاتم وابن مردويه دعاني داع عن يميني يا محمد
انظرني نظرا فقبالة علي وتوجه الي اسالك فلم اجبه ثم دعاني اخر عن
يساري يا محمد انظرني اسالك كما في الرواية واختصرها بقوله كذلك فلم
اجبه وفيه اي ابي حديث المذكور وبينا هو يسير اذا امراة حاسرة
كاشفة عن ذراعيها اسم فاعل من حسر اذا كشف وعليها من كل زينة
خلقها الله تعالى فقالت يا محمد انظرني اسالك فلم التفت اليها وفيه
اي الحديث المذكور ان جبريل قال اما الداعي الاول الذي عن يمينه فهو
داعي اليهود ولو اجبته لتهودت امتك لم ارحكمة ذلك لو وقع ان الله
جعل اجابته سببا لذلك في سابق علمه وكذا يقال في قوله واما الثاني
فداعي النصارى ولو اجبته لتنصرت امتك واما المراة فالدنيا
اما انك لو اجبتها لاختارت امتك الدنيا على الاخرة هكذا في حديث ابي سعيد
المذكور وتصورت له ايضا بصورة عجوز اشارة الى قلة ما بقي منها كما
مر وفيه اي الحديث المذكور انه صعد الى السما الدنيا وراى فيها ادم
وانه بعد اجتماعه بادم مضى هنيهة وراى اخونة جمع خوان بكسر المعجمة
وضمها الذي يوكل عليه وقال الخليل هو المايدة عليها لحم طيب ليس عليه
احد ياكل منها واخرى عليها لحم نتن عليها ناس ياكلون قال منها
قال يا جبريل ما هذا قال جبريل هولا الذين يتركون الحلال
وياكلون الحرام وفي لفظ عند البيهقي ايضا وغيره فاذا هو باقوام
على مايدة عليها لحم مشوي كاحسن ما روي من اللحم واذا حوله جيف فجعلوا
يقبلون على الجيف ياكلون منها ويدعون اللحم فقال من هولا يا جبريل فقال
هولا الزناة يحلون ما حرم الله عليهم ويتركوا ما احل الله لهم وفيه اي
حديث ابي سعيد المذكور انه مر بقوم بطونهم امثال البيوت كلما نهض
احدهم خر سقط من قيام وان جبريل قال له جوابا لقوله يا جبريل
من هولا قال هم اكلة الربا اي الذين يتناولون من الاموال ما اخذوه

على

على وجه الربا وهو خاص بالمطعومات والنقود اذا اخذت بالعقد المسمي
بعقد الربا بان اشتمل احد العوضين فيبيع على زيادة او تاخير في البدلين او
احدهما وخرج بذلك الماخوذ بعقود فاسدة كعقد روية او شرط فاسد مع
انتفا الربا عنها فلا يكون لفاعلها ذلك الوصف وان اثم ولم يملك ما اخذه وقد
افاد المصنف انه اختصر الحديث وهو كذلك ولفظه في هذه الجملة ثم مضى
هنيهة فاذا هو بقوم بطونهم امثال البيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم
كلما نهض احدهم خر يقول اللهم لا تقم الساعة وهم على سابلة ال فرعون
فتجي السابلة فتطاهم فسمعهم يضجون الى الله تعالى فقال يا جبريل من هولا
قال هولا من امتك الذين ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس والسابلة ابنا السبيل المختلفة وجعلوا بطريق ال فرعون
يمرون عليهم غدوا وعشيا لان ال فرعون هم اشد الناس عذابا بطونهم فضلا
عن غيرهم من الكفار وهم لا يستطيعون القيام ومعنى ذلك ان الله وفق امرهم
بين ان ينتهوا فيكون جزاؤهم وبين ان يعودوا ويصروا فعيد خلهم النار واستشكل
بان هذه الحالة ان كانت عبارة عن حالهم في الاخرة فال فرعون قد دخلوا
اشد العذاب وانما يعرضون على النار غدوا وعشيا في البرزخ وان كانت هذه
الحال التي راهم عليها فاي بطون لهم وقد صاروا عظاما ورفاتا ومزقوا كل ممزق
واجيب بانه انما راهم في البرزخ لانه حدث عما راى وهذه الحال هي ارواحهم بعد
الموت وفيه تصحيح لمن قال الارواح اجساد لطيفة قابلة للنعيم والعذاب فيخلق
الله تعالى في تلك الارواح من الالم ما يجده من انتفخ بطنه حتى وطي بالاقدام
ولا يستطيع معه قياما ولا دليل فيه على انهم اشد عذابا من ال فرعون بل فيه دليل
على ان ال فرعون وغيرهم من الكفار الذين لا ياكلون الربا يطونهم ما داموا في
البرزخ الى ان يقوموا يوم القيامة كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من
المس ثم ينادي مناد يا الله ادخلوا ال فرعون اشد العذاب ذكره السهيلي
وانه مر بقوم مشافرهم بفتح الميم وخفة المعجمة فالف ففا مكسورة
فرا اي شفاههم كالابل لفظ الرواية كمشافر الابل وعبر عن شفاههم بذلك
مجازا اذ يقال شفة الانسان ومشفر البعير وجحفلة الفرس يلتقمون
جمرا فيخرج من اسافلهم وفي رواية تجعل في افواههم صخر من جهنم ثم
يخرج من اسافلهم فسمعهم يضجون الى الله تعالى وان جبريل قال له جوابا
لقوله يا جبريل من هولا قال هولا الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما
انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا كما في جواب جبريل وانه
مر بنسا يعلقن بثديهن بضم المثلثة ويقال بكسرها وكسر المهملة جمع ثدي
يذكر ويونث فيقال هو الثدي وهي الثدي وهو معروف واتفق الزواني
يجوز على انه راى ارواحهن وقد خلق فيها من الالم ما يجده من هذه حاله
وان يكون مثلت له حالهن في الاخرة قاله السهيلي ولفظ الحديث
ثم مضى هنيهة فاذا هو بنسا معلقات بثديهن ونسا منكسات بارجلهن

فسمعن يضججن الى الله فقال من هولا يا جبريل قال هولا اللاتي يزنين
ويقتلن اولادهن وانه مر بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيطعمون
اوانهم الغازون كذا في النسخ بغين معجمة اي المشيرون باعينهم او
حواجبهم لمعايب الناس اولما فيه ضررهم لكن لفظ الرواية الهمازون بالها
بدل الغين وهم الذين يغتابون الناس بلا مواجهة الغازون العيابون
كما في الشامي اي الذين يكسرون من اعراض الناس والطعن فيهم ولفظ
الحديث ثم مضى هنيهة فاذا هو باقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون
فيقال له كل كما كنت تاكل لحم اخيك فقال يا جبريل من هولا قال هولا الهمازون
من امتك اللمازون وفي حديث ابي هريرة عند البزار والحاكم
والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم صلى ببيت المقدس قبل صعوده كما
هو سياق الحديث عند الثلاثة ولفظه ثم سار الى بيت المقدس فنزل
فربط فرسه الى صخرة بيت المقدس ثم دخل فصلى مع الملائكة وبان فيه انه صلى
بالانبيا ايضا وانه التقى هناك بارواح الانبيا فاثنوا على الله وفيه
اي الحديث قول ابراهيم لما انقضا الثنا عليه اي اثنى نبينا على ربه بعد ثنا
الانبيا لقد فضلكم محمد اي زاد عليكم بما اثنى به على ربه قال ذلك ابراهيم
اظهارا لشرف المصطفى وفضله وليس ضمير فيه عايدا لما اثنوا به كما توهم
لان ثناهم انما كان على الله والمصنف اختصر الحديث هنا وسنذكره تاما عن
قريب وفي رواية عبد الرحمن بن هاشم عن انس عند الطبراني
والبيهقي ثم بعث له ادم اي امر بالمجي اليه فمن دونه من الانبيا كما
في نفس حديث انس فامهم تلك الليلة اي صلى بهم اماما وفي
حديث ام هاني عند ابي يعلى ونشر اي بعث لي رهط من
جملة الانبيا وجمعوا حولي عبر عن ذلك بالنشر اشارة الى كثرتهم وتفرقهم
منهم ابراهيم وموسى وعيسى اوالمعنى اخرجوا من قبورهم عبر عنه
بالنشر تشبيها له ببعثهم من قبورهم وسعيهم الى المحشر وحضورهم فيه
ويحتمل ان المراد جميع الانبيا ماخوذ من نشر الراعي غنمه نشرا من باب
قتل اذا بثها ولا ينافيه لفظ رهط من الانبيا لجواز انه من البيان
وسماهم رهطا نظرا لقلتهم بالنسبة لغيرهم من الناس وهذا وان كان
بعيدا لكن الحامل عليه الجمع بينه وبين قوله في الحديث قبله ادم فمن
دونه من الانبيا وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف اسمه
عبد الله وقيل اسمعيل عن ابي هريرة رفعه ثم حانت الصلاة اي دخل
وقتها ويأتي للمصنف الخلاف في انها الصبح او العشا ويأتي تصحيحه وان
الاظهر انها من النفل المطلق او من الفرض الذي كان قبل الخمس فالمراد
بحانت الصلاة دخل الوقت المامور بالصلاة فيه فامتهم صليت
بهم اماما اخرجه مسلم وفي حديث امامة عند الطبراني في
الاوسط ثم اقيمت الصلاة اي تهيوا وقاموا لها الاقامة المشروعة

الان

الان لانها انما شرعت بالمدينة فتدافعوا اي منع كل نفسه الامامة
بعد ان طلب منه ان يكون اماما وطلب من غيره التقدم عليه حتى
قدموا محمدا صلى الله عليه وسلم لانبيا فيه حديث ابن مسعود الاتي
فقمنا صفوفا ننتظر من يومنا فاخذ جبريل بيدي فقدمني فصليت
بهم المفيد ظاهره انهم لم يتدافعوا ولم يقدموه لان التدافع من يوم
لانبيا في تدافعهم اي قول بعضهم لبعض تقدم انت مثلا ولما قدمه جبريل
رضوا به فنسبوا هنا تقديمه اليهم لرضاهم به وسرورهم وفي رواية
ثابت البناني عن انس رفعه عند مسلم قال اتيت بالبراق فوصفه
قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته يعني البراق تفسير من
المصنف لاسقاطه اول الحديث كما ترى بالحلقة وهي باسكان
اللام على الاشهر وقد تفتح لامها وتكسر او بعض الكلام حلقة
بفتح اللام الاجمع حالق ولغة ضعيفة حكاه القاموس التي تربط
به الانبيا البراق كما رواه البيهقي لا دوابهم كما توهمه بعض وقد
تقدم قال النووي قوله به كذا في الاصول بتذكير الضمير اعاده
اي ارجاعا للضمير مذكرا حملا على معنى الحلقة وهو اي المعنى
الشي والامكان الظاهر ان يقول بها لان الحلقة مونثة تانيثا لفظيا
وقال غيره روي بالتانيث والتذكير في مسلم والشفا والمراد حلقة
باب بيت المقدس اي باب مسجد بيت المقدس قاله صاحب
التحرير اي بابه المعهود المعروف وان كان للمسجد ابواب متعددة وعند
البيهقي والطبراني والبزار من حديث شداد ودخل المدينة من
بابها اليماني ودخل المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر وروى
الواسطي في فضايل بيت المقدس عن الوليد بن مسلم قال حدثني بعض
اشياخنا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى عن يمين المسجد وعن يساره
نورين ساطعين فقال يا جبريل ما هذان النوران قال اما الذي عن
يمينك فانه محراب اخيك داود واما الذي عن يسارك فعلى قبر اختك
مريم قال عليه الصلاة والسلام في رواية مسلم عن ثابت عن انس
ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين غير الصلاة التي صلاها
بالانبيا كما صرح به في حديث ابن مسعود الاتي ومن ثم قيل يحتمل
انها تحية المسجد وانها غيرهما ثم خرجت بعد صلاته بالانبيا الواقعة
بعد هذين الركعتين كما صرح به حديث ابي هريرة ثم حانت الصلاة
فامتهم رواه مسلم وعند ابن اسحق عن ابي سعيد فصلى بهم اي
الانبيا ثم اتيت باناء فيه لبن الخ فعرض الاواني انما كان بعد صلاته بالانبيا
فقوله في هذا السياق اختصار فليس المراد انه خرج من المسجد بعد صلاة
الركعتين بل بعد صلاته بالانبيا فجاءني جبريل عليه الصلاة والسلام
من خمر واناء من لبن فلم يقع في رواية مسلم هذه واناء من عسل

خلاف ما يوجد منه لنسخ سحنية من المصفق وانا من عسل بعد خوله من خمر
ثم هو ثابت من غير ما رواية فلبس النزاع في انه اتي باناء فيه عسل انما هو
في العزو لمسلم ما ليس فيه في روايته من طريق ثابت عن انس مرفوعا بلا
واسطة فاخترت وفي رواية فاخذت اللبن فقال جبريل اخترت
وفي رواية فاخذت الفطرة بكسر الفا قال ابن دحية تطلق الفطرة على
على الاسلام كخبر كل مولود يولد على الفطرة ويطلق على اصل الخلقة كقوله
تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وفاطر السموات والارض اي مبدي
خلقهما وقول جبريل اخترت الفطرة اي اخترت الذي عليه اي
بسببه ثبتت الخلقة وبين بناءها عليه بقوله وبه نبتت اللحم ونشز
بزاي منقوطة اي ارتفع العظم وغلظ واخترته لانه الحلال
الدايم هو في دين الاسلام فاستتر الضمير الفاعل وحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه اي الدايم حله كعيشة راضية بخلاف الخمر
فحرام فيما يستقر عليه الامر وقد روى ابو يعلى والبزار من حديث
ابي هريرة اتي ليلة اسري بي بانية ثلاثة مغطاة افواهها فاتي بانا منها فيه ما
فشرب منه قليلا وفي لفظ فلم يشرب منه شيا ثم دفع اليه انا اخر فيه خمر
فقيل له اشرب قال لا اريده قد رويت فقال جبريل اما انها ستحرم على
امتك قال ابن دحية ايضا وقد تكون الاشارة بتقديم اللبن الى انه
شعار العلم في التعبير كما ورد انه صلى الله عليه وسلم قال كاني رايت
كاني اتيت بقدح من لبن فشربت حتى اري الري يخرج من اظفاري
ثم ناولت فضلي عمر بن الخطاب قالوا يا رسول الله ما اولته قال العلم
والاسرا ان كان يقظة الا انه ربما وقعت في اليقظة اشارة الى حكم
الفال فيعبر كما يعبر في المنام ولذا كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال
الحسن وكان لما ملي قلبه ايمانا وحكمة اردف ذلك بالعلم مطلقا وجعل
الله تعالى شرب ذلك اللبن سببا في ترادف العلوم واشحان القلب
النبوي بانوارها وقال النووي المراد بالفطرة هنا في قول
جبريل اخترت الفطرة الاسلام والاستقامة وبه فسرت
الاية اي بملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه لادي بهم اليها
وفسرت ايضا بالخلقة التي خلقهم عليها وهي قبولهم للحق وتمكنهم من
ادراكه وبالعهد الماخوذ من ادم وذريته قال ومعناه والله اعلم
اخترت علامة الاسلام وعلامة الاستقامة بالجر ففيه حذف
مضاف اذ شرب اللبن ليس هو هما قال وجعل اللبن علامة لكونه
سهلا طيبا لذيذا طاهرا لا يشوبه شي من الفرث والدم من
لون او طعم او ريح وهو بينهما سايغا للشاربين سهل المرور في حلقه
لا يغص به سليم العاقبة في الحال والمال وهذا كله تعليل لجعله علامة
الاسلام والاستقامة واما الخمر فانها ام الخبايث كما ورد مرفوعا

عند

عند القضاعي بلفظ ام الخبايث اي اصلها التي ينشا عنه لحملها الشارب
على مجاوزة الحدود وجالبة لانواع الشر في الحال والمال انتهى
وقد قال صلى الله عليه وسلم الخمر ام الفواحش واكبر الكبائر من
شربها ترك الصلاة ووقع على امه وخالته وعمته رواه الطبراني
وقال القرطبي شارح مسلم في المفهم يحتمل ان يكون سبب تسمية
اللبن فطرة لكونه اول شي يدخل جوف المولود ويشق امعاه
والسر اي السبب في ميل النبي صلى الله عليه وسلم اليه دون
غيره لكونه مالوفا له اولا ولكونه لا ينشا عن جنسه مفسدة انتهى
كلام القرطبي بما زدته وحقيقة السر ما يكتم وهو خلاف الاعلان
فاطلاقه على السبب مجاز مرسل من تسمية الجزء باسم الكل واذا
كانت الخمرة مباحة لانها انما حرمت بالمدينة والاسرا كان
بمكة وجواب اذا الشرطية قوله فما وجه تعيينه عليه السلام
لاحد المباحين باختياره الشرب منه وما وجه عده صوابا
وعد الاخر خطا وهما سواء في الاباحة وفرع على ذلك جواب شرط
هو واذا اردت بيان الوجه فيحتمل ان يكون توقاها تورعا
لما في تناوله من العايلة المتوقعة وان كان مباحا ولا خلاف ان مثل هذا
الورع يثاب عليه كما قاله ابن المنير وتعريضا بانها ستحرم ولعل
سبب التعريض انه اوحي اليه بذلك ولو بالالهام فيتركها تنبيها على
ان حلها لا يستمر وانه لما وافق الصواب في علم الله تعالى قال له
جبريل اصبت الفطرة او اصبت اصاب الله بك كما رويا الاول
في الصحيح والثاني في غيره قال ابن المنير فدل قول جبريل ذلك
على ان الاجتناب للخمر حظا عصم منه صلى الله عليه وسلم وان
المسالة اجتهادية لان الخمر لم تكن حرمت قال وفيه دليل على المذهب
المشهور لمالك والشافعي وغيرهما ان المسايل الاجتهادية لله فيها حكم معين
اصابه فقد اصاب الحق ومن اخطاه فقد اخطا الحق خلافا للقول بان
حكم الله على كل مجتهد ما غلب على ظنه انتهى وفيه افادة وجه كون
اختيار الخمر خطا وهو ان حكم الله تحريمها ابدا وان كانت مباحة
حينيذ لامر خفيت عليه ان الخمر المحضرة يحتمل انها من خمر الدنيا فوجه تجنبها
ما تقدم وان قلنا انها اي الخمرة المحضرة له كانت من خمر الجنة فيكون
سبب تجنبها صورتها ومضاهاتها مشابهتها الخمر المحرمة اي
في علم الله تعالى وذلك ابلغ في الورع فان قلت فيلزم اجتنابها
في الجنة تورعا من صورتها قلت لا يلزم لانها ليست دار تكليف قاله ابن
المنير ويستفاد منه ان من اتخذ من ما الرمان او غيره شيئا
يستعمله على الصفة المعتادة بين شربة الخمر ولو ماقراحا صرفا
ومضاهاته الخمر في الصورة وهيااته في الهياات التي يتعاطاها

وهي السماعات لفظ ابن المنير اهل الشهوات من الاجتماعات
فعد اتي منكرا وان كان لا يحد عليه قال اعني ابن المنير وقد نص
العلما علي هذا فينبغي ان يوخذ من حديث الاسرا كما بيناه قاله ابن
المنير في المقتفي فيما تخصه المصنف منه فاحسن والا فهو غذاني بعبارة
طويلة استطرد فيها فوايد نفيسة علي عادته واورد قبل ذلك احضار
الخمر واللبن هل اريد اباحتهما معا او احدها لا بعينه وعلي كل مشكل
لانه ان كان المراد اباحتهما معا كما لو احضرنا طعامين لضيف وابحتهما
له فما معني اختياره لاحدهما وتصويب جبريل له وان كان في احدهما
لا بعينه بحيث يكون الاخر ممنوعا لزم التخيير بين ممنوع ومباح وذلك
لا يتصور قال والذي يرفع الاشكال ان المراد تفويض الامر في تحريم
ما يحرم وتحليل ما يحل الي اجتهاده صلي الله عليه وسلم وسداد نظره
المعصوم فلما نظر فيهما اداه اجتهاده الي تحريم الخمر وتحليل اللبن فوافق
الصواب في حكم الله فقال له جبريل اصبت وفيه اجتهاده فيما لم يوح
اليه فيه وهي مسيلة خلاف وهذا الحديث محقق الجواز مع اتفاق
المسلمين علي ان اجتهاده معصوم من الخطا بخلاف غيره من العلما
وينظر فيما يفعله كثير من فقرا اليمن بمكة المشرفة وجدة
بضم الجيم ساحل البحر بمكة وغيرهما من ما قشر البن هـ
ثم صاروا بعد ذلك يعملونه من البن ايضا ويسمونه بالقهوة م
وهو اسم من اشهر اسما الخمر هل يحرم تناوله لتسميتهم بالخمر
فكانهم شبهوه بها وجوابه لا حرمة لانه لا يشرب علي الهيية التي يشرب
عليها الخمر ومجرد تسميته قهوة لا يقتضي ان يعطي حكمها وفي حديث
ابن عباس عند احمد فلما اتي المسجد الاقصي قام يصلي فلما انصرف
من صلاته بالانبيا جي بقدحين في احدهما لبن وفي الاخر عسل
فاخذ اللبن وهذا موافق لرواية مسلم ان اتيانه بالانية كان ببيت
المقدس قبل المعراج ومر لفظه قريبا وفي رواية البزار من حديث
ابي هريرة انه جي له بثلاث اواني وان الثالث كان خمرا وان
ذلك وقع ببيت المقدس وان الاول كان ما ولم يذكر العسل واخرجه ابن
عايذ من هذا الوجه في حديث المعراج بعد ذكر ابراهيم قال ثم انطلقنا
فاذا نحن بثلاثة انية مغطاة فقال لي جبريل يا محمد الا تشرب مما
سقاك ربك فتناولت احداها فاذا هو عسل فشربت منه قليلا
ثم تناولت الاخر فاذا هو لبن فشربت منه حتي رويت فقال الا
تشرب من الثالث قلت قد رويت قال وفقك الله وفي حديث
شداد بن اوس عند البزار والطبراني والبيهقي فصليت في جانب
من المسجد حيث شا الله واخذني من العطش اشد ما اخذ
فاتيت باناين احداهما لبن والاخر عسل فعدلت بينهما هكذا

في

في الحديث قبل قوله ثم هداني الله فاخذت اللبن فقال شيخ بين
يدي اسقط من روايته متكي علي منبر له هدي لجبريل اخذ صاحبك
الفطرة وانه لمهدي كما في بقية حديث شداد وفي حديث ابي هريرة
عند الشيخين اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة الاسرا به
بايليا باناين قدح خمر وانا فيه لبن فنظر اليهما فاخذ اللبن فقال له جبريل
الحمد لله الذي هداك للفطرة لو اخذت الخمر غوت امتك وفي حديث انس
عند البيهقي فعرض عليه الما والخمر واللبن فاخذ اللبن فقال له جبريل
اصبت الفطرة لو شربت الما لغرقت وغرقت امتك ولو شربت الخمر
لغويت وغويت امتك قال الحافظ ويجمع بين هذا الاختلاف في عدد الانية
وما فيها بحمله علي ان بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الاخر ومجموعها اربعة
انية فيها اربعة اشيا من الانهار الاربعة التي راها تخرج من اصل سدرة
المنتهي فلعله عرض عليه من كل نهر انا انتهي وسيا في هذا في كلام المصنف
واما الاختلاف في ان عرض الاواني في بيت المقدس او بعد سدرة المنتهي
والبيت المعمور فالجمع بينهما ما ذكره بقوله وقد كان اتيانه بالاواني
مرتين مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس وسببه ما وقع له
من العطش قاله الحافظ ومرة عند وصوله الي سدرة المنتهي ورؤية
الانهار الاربعة التي راها تخرج من اصل سدرة المنتهي وفي
هذا اعمال لجميع الروايات لصحتها كلها وهو اولي من جمع الحافظ بحمل
ثم في رواية مالك بن صعصعة انه اتي بالاواني بعد سدرة المنتهي
ورفع البيت المعمور له علي غيرنا بها من الترتيب وانما هي بمعني الواو
هنا وممن صرح علي طريق الترجي الحافظ عماد الدين بن كثير
بانه كان مرتين لا الجزم كما يوهمه المصنف فعبارة الشامي قال السهيلي
وابن دحية وابن المنير وابن كثير والحافظ لعله قدم بين مرتين
اي جمعا بين الروايات وعلي هذا فيكون تكرار جبريل عليه السلام
للتصويب حيث اختار اللبن تاكيدا للتحذير مما سواه اي اللبن
وذلك السوي هو الخمر خاصة وقد انكر حذيفة بن اليمان رضي الله
عنهما ربط البراق بالحلقة فيما رواه احمد والترمذي من حديث
حذيفة قال يحدثون انه ربطه اي البراق اخاف ان يفر منه كذا
في النسخ الصحيحة بهمزة الانكار ومثلها في الفتح والنعماني والشامي
والقسطلاني فما في نسخ خاف بحذفها سهو من قلم المصنف او نساخه والحال
انه سخره له عالم الغيب والشهادة فكيف يخاف ان يفر منه وتجويز
ان خاف بلا همزة حكاية عن كلام المحدث عنهم وانه رد عليهم بقوله
وقد الخ ممنوع اذ جميع الذين حدثوا بانه ربطه لم ينقل احد منهم انه خاف ان
يفر منه والجواب عما وجه به انكار ربطه انه لم يفعل ذلك خوفا قال
النووي في ربط البراق الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب

وان ذلك لا يقدح في التوكل اذ كان الاعتماد على الله وقال السهيلي فيه من
الفقه التنبيه على الاخذ بالحزم مع صحة التوكل وان الايمان بالقدر لا يمنع
الحزم من توقي المهالك كما روي عن وهب ابن منبه وكذا انكر حذيفة ايضا
في هذا الحديث صلاته عليه الصلاة والسلام ببيت المقدس واحتج
بانه لو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه كما كتبت عليكم الصلاة في البيت
العتيق وتعقبه البيهقي وابن كثير بان المثبت مقدم على النافي يعني
من اثبت ربط البراق والصلاة في بيت المقدس وهم جمهور الصحابة
معه زيادة علم على من نفى ذلك فهو اولى بالقبول من النافي لانه لم
يصحبه دليل نفيه قال الحافظ والجواب عنه منع التلازم في الصلاة ان
كان اراد بقوله كتب عليكم الفرض وان اراد التشريع فقد تلزمه وقد شرع
النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة فيه فقرنه بالمسجد الحرام ومسجده
في شد الرحال وذكر فضيلة الصلاة فيه في غير ما حديث ووقع في
رواية بريدة عند البزار لما كان ليلة اسري بي فاتى جبريل
الصخرة بالفاء في جواب لما وهو قليل اجازه ابن مالك ورده ابن هشام
التي ببيت المقدس التي كانت قبلة قال العرفي في غريب الموطا هي من
غرايب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهي صخرة صما في وسط المسجد
الاقصى كجبل بين السما والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفي اعلاها موضع قدم
النبي صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسرا فمالت من تلك
الجهة من هيبته وفي الجهة الاخرى اثر اصابع الملايكة التي امسكتها اذ مالت
ولذا كان ابعد من الارض من بعضها بعض وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله
للصلاة والدعا فوضع اصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق ونحوه
للترمذي وابن حبان والحاكم وصححه عن بريدة قال قال صلى الله عليه
وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس ليلة اسري بي قال جبريل باصبعه
فخرق بها الحجر وشد به البراق والمراد بالحجر صخرة بيت المقدس كما في رواية
البزار فلذا اختار سياقه لصراحته والجمع بين هذا وبين قوله في حديث
انس عند مسلم فربطته بالحلقة التي كانت تربط بها الانبيا ما قاله بعضهم
انه صلى الله عليه وسلم ربطه اولا بالحلقة تادبا واتباعا للانبيا فاخذه جبريل
وحله من الحلقة وفكه وخرق الصخرة وشده بها كانه يقول انت لست ممن
يكون مركوبه بالباب بل انت اعلا واغلا فلا يكون مركوبك الا في داخل المحل
وهذا امر مشاهد في العادة بين الكبرا واما جواب الطيبي بان المراد بالحلقة
الموضع الذي كان فيه الحلقة وقد انسد فخرقه جبريل فرده النجم بان الحلقة
وموضعها بالباب والذي خرقه جبريل باصبعه انما هو الصخرة وهي داخل
المسجد بعيدة عن الباب انتهى وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي
حتى اتيت بيت المقدس فاوثقت دابتي بالحلقة التي كانت
الانبيا تربطها فيه فدخلت انا وجبريل بيت المقدس فصلى كل

واحد

واحد منا ركعتين غير الصلاة التي صلاها بالانبيا كما هو ظاهر بحثه قال بعضهم
يحتمل انها تحية المسجد ويحتمل غير ذلك اي كونهما من صلاة الليل او القصد
بهما شغل البقعة قال ابن دحية وفيه دليل على ان الصلاة لم تزل معهودة قبل
ان تفرض ومعهودة مثنى مثنى قال الثعالبي وقد فرضت الصلاة قبل البعثة
ركعتين غير الصلاة التي صلاها بالانبيا ركعتين وفي رواية ابن
مسعود عند الحسن بن عرفة وابي نعيم نحوه وزاد ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قايم
وراكع اي خاشع كخشوع الراكع فلا يرد ان الركوع من خصايص الامة
وما صلاه المصطفى قبل الاسرا لا ركوع فيه وكذا الظهر عقب الاسرا واول
صلاة بركوع العصر بعدها وساجد ثم اذن كذا في النسخ وفيها
سقط فليس هذا من رواية ابن مسعود انما هو عن انس ففي فتح
الباري بعد قوله وساجد ثم اقيمت الصلاة فاممتهم وفي رواية يزيد
ابن ابي مالك عن انس عند ابن ابي حاتم فلم البث الا يسيرا حتى اجتمع ناس
كثير ثم اذن مؤذن اي اعلم بطلب الصلاة فاقيمت الصلاة اي تهيوا
لها وشرعوا فيها فلا يرد ان الاذان والاقامة انما شرعا بالمدينة والاسرا
كان بمكة فقمنا صفوفا ننتظر من يومنا وفي نسخة ننظر وهي بمعنى
ننتظر كقوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة اي ما ينتظرون فاخذ بيدي
جبريل فقدمني فصليت بهم اماما وفي حديث ابن مسعود ايضا
عند مسلم وحانت الصلاة دخل وقت طلبهم بها فاممتهم صليت بهم اماما
وفي حديث ابن عباس عند احمد فلما اتى النبي صلى الله عليه وسلم
المسجد الاقصى قام يصلي بعد انتظارهم من يؤمهم وتقديم جبريل المصطفى
فاذا النبيون اجمعون يصلون معه كما في الحديث فليس المراد
ظاهره انه قام يصلي وحده فاقتدوا به لان الاحاديث يفسر بعضها بعضا
فان قيل كيف تصلي الانبيا وهم اموات في الدار الاخرة وليست دار عمل اجاب
عياض وتبعه السبكي بانهم كالشهدا بل افضل منهم والشهدا احيا عند ربهم
يرزقون فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا وان يتقربوا الى الله بما استطاعوا لانهم
وان ماتوا فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل حتى اذا فنيت مدتها
وتعقبتها الاخرة التي هي دار الجزا انقطع العمل وحاصله ان البرزخ ينسحب
عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الاعمال وزيادة الاجور وانما المنقطع في
الاخرة انما هو التكليف وقد يحصل الاعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ
بها والخضوع لله ولذا صح عن اهل الجنة انهم يسبحون ويدعون ويقرؤن
القرآن كما في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو معنى
قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم وانظر الى سجوده صلى الله عليه وسلم
وقت الشفاعة اليس ذلك عبادة وعملا وعلى كلا الجوابين لا يمتنع حصول
هذه الاعمال في مدة البرزخ وقد صح عن ثابت البناني التابعي انه قال

اللهم ان كنت اعطيت احدا يصلي في قبره فاعطني ذلك فريء بعد موته
يصلي في قبره ويكفي رويته صلي الله عليه وسلم لموسي قايما يصلي في قبره
دلالة جميع الانبيا لم يقبضوا حتي يخيروا في البقا في الدنيا وبين الاخرة
ولا شك انهم بقوا في الدنيا لازدادوا من الاعمال الصالحة ثم انتقلوا الي
الجنة فلولم يعلموا ان انتقالهم الي الله اكمل لما اختاروه ولو كان انتقالهم
من هذه الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقرب الي الله لما اختاروه انتهي
وعن ابي سعيد الخدري ثم سار حتي اتي بيت المقدس فربط فرسه
اي البراق سماه فرسا لجواز القرب صورته منها لا لان الفارس يطلق علي
مقابل الماشي سوا ركب فرسا او بغلا او حمارا او نحو بعيرا ان ركب فرسا لا
يصح لحديث انه ركب معه علي البراق وقد جا تسمية البراق فرسا في
رواية اخري اذا اتي بفرس فحمل عليه وضمن ربط معني ضم فعداه بالي
في قوله الي صخرة او الي بمعني الباء وعن كعب له اشهي الي من الرحيق
السلسل والمراد بالصخرة هنا الحلقة التي بالباب لا التي بداخل المسجد
بدليل قوله ثم دخل فصلي مع الملايكة اماما بهم علي المتبادر فضمير
صلي للنبي صلي الله عليه وسلم بعد صلاته ركعتين هو وجبريل كما مر
قريبا وترجيع ضمير صلي لجبريل وان المعني صلي مع الملايكة لما وجدهم
يصلون بعيد جدا بل يمنعه ما رواه الواسطي عن كعب فاذن جبريل
ونزلت الملايكة من السما وحشر الله له المرسلين فصلي النبي صلي الله عليه
وسلم بالملايكة والمرسلين فلما قضيت الصلاة بالبنا للمفعول اي تمت
وفرغوا منها قالوا يا جبريل من هذا معك خبر بعد خبر او حال
قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين والرسل قالوا وقد ارسل
اليه اي طلب للحضور لا ارسل اليه بالوحي ام لا لقوله لهم رسول الله قالوا
نعم قالوا حياه الله اي ابقاه وسلمه وملكه ما اعظمه واكرمه من اخ
من متعلق بمحذوف او مبينة للضمير او زايدة وجعلوه اخا لهم لان
المراد اخوة الايمان ومن خليفة لله تعالي لعمارة الارض وسياستها
وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية لا لاحتياجه تعالي بل
لقصور الخلق عن التلقي بلا واسطة فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا
اي المصطفي ببيت المقدس بعد انقضا الصلاة ارواح الانبيا متشكلة
بصورة اجسادهم فاثنوا اي الانبيا علي ربهم وتجويز ان المثني الملايكة
لملاقاتهم الانبيا كما يقول من راي صالحا الحمد لله الذي من علي بلقايك يمنعه
قوله فقال ابراهيم عليه السلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا
صفيا خالص المحبة له واعطاني ملكا عظيما قال ابن دحية لا نعهد
لابراهيم ملك عرفي فاما ان يراد بالملك الاضافة اليه نفسه لقهره عظما
الملوك وناهيك بنمرود وقد قهره الله لخليله وعجزه عنه وغاية
الملك العظيم قهر الملك العظيم فالقاهر اعظم من المقهور قطعا او يراد

الاضافة الي بنيه وذريته نحو ملك يوسف وهلم جرا لملك داود وسليمان
والكل من ولد ابراهيم وفي التنزيل واتينا ال ابراهيم الكتاب والحكمة
واتيناهم ملكا عظيما والاشارة هنا الي ذريته واما ان يراد ملك النفس في
مظنة الاضطرار مثل ملكه لنفسه وقد ساله جبريل الك حاجة قال اما اليك فلا
وجعلني امة اماما جامعا لخصال الخير وفضايل لا تكاد توجد الا متفرقة
في اشخاص كثيرة والجامع لذلك امة الغيامة لقيامه مقام الجماعة لانه
اجتمع فيه ما تفرق في غيره كقوله
وليس لله بمستنكر ⁂ ان يجمع العالم في واحد
قانتا مطيعا يوتم يقتدي بي وانقذني من النار وجعلها
علي بردا اذ ذهبت حرارتها فلم تحرق غير وثاقه ولبقيت اذاية
وسلاما سلم من الموت ببردها ثم ان موسي عليه السلام اثني
علي ربه فقال الحمد لله الذي كلمني تكليما بلا واسطة واصطفاني
اختارني علي اهل زماني قال تعالي يا موسي اني اصطفيتك علي الناس
برسالاتي وبكلامي وانزل علي التوراة فيها هدي ونور
وسماها الله تعالي الفرقان لتفرقها بين الحق والباطل والحلال
والحرام وبصاير للناس وهدي ورحمة وجعل هلاك فرعون
علي يدي ونجاة بني اسرايل علي يدي بنا زعم هلاك ونجاه
وجعل من قومي امة قوما يهدون الناس بالحق وبه يعدلون
يحكمون ثم ان داود اثني علي ربه فقال الحمد لله الذي
جعل لي ملكا عظيما في بني اسرايل ولم يجتمعوا علي نبي قبله
وعلمني الزبور كتاب الله المنزل عليه والان لي الحديد
فكان في يدي كالعجين وسخر لي الجبال يسبحن معي بالعشي
وقت صلاة العشا والاشراق وقت صلاة الضحي وهو ان تشرق
الشمس ويتناهي ضوها وفي التنزيل يا جبال اوبي معه اي
سبحي معه قاله مجاهد رواه الفريابي وعن الضحاك هو التسبيح
بلغة الحبشة قال ابن كثير وفيه نظر فالمتاويب لغة الترجيع
وقال وهب نوحي معه وذلك انما يخلق صوت مثل فيها وحملها
اياه علي التسبيح اذا تامل فيها وقيل سيري معه حيث سار
والتضعيف للتكثير والطير قال تعالي وسخرنا مع داود
الجبال يسبحن والطير سخرا للتسبيح معه لامره اذا وجد فترة
لينشط للتسبيح واتاني الحكمة النبوة والاصابة في الامور
وفصل الخطاب البيان الشافي في كل قصد وفي البيضاوي
وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل والكلام الملخص الذي
يبينه المخاطب علي المقصود من غير التباس يراعي فيه مظان
الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف

والتكرار ونحوها ثم ان سليمان عليه السلام اثني علي ربه فقال
الحمد لله الذي سخر لي الرياح ذللها لطاعتي اجابة لدعوتي تجري
بامره رخاء لينة من الرخاوة لا تزعزع او لا تخالف ارادته كالمامور
المنقاد حيث اصاب اي اراد وسخر لي الشياطين يعملون لي ما
اشاء من محاريب ابنية مرتفعة يصعد اليها بدرج كالقصور
سميت بها لانه يذب عليها ويحارب عليها وتماثيل جمع تمثال
وهو كل شي مثلته بشي اي صورا من نحاس وزجاج ورخام ولم يكن
اتخاذ الصور حراما في شريعته واسقط المصنف من حديث ابي سعيد
وجفان كالجوابي وقدور راسيات ولذا هو ثابت في حديث ابي هريرة
عند البيهقي وغيره وهو موافق للقران فكانه سقط من قلم المصنف
سهوا والجوابي جمع جابية وهو حوض كبير يجتمع علي الجفنة الف
رجل ياكلون منها وقدور راسيات ثابتات لها قوائم لا تحرك عن
قوائمها تتخذ اي لا تتحرك عن اماكنها تتخذ من الجبال يصعد اليها بالسلالم
وعلمني منطق الطير اي فهم اصواته واتاني من كل شي
يوتاه الانبيا والملوك مبينا ظاهرا وسخر لي جنود الشياطين
اي اعوانا هم الشياطين فهو من اضافة الاعم الي الاخص او اضافة
بيانية والانس والجن ظاهره انهم غير الشياطين
وهو كذلك باعتبار الايمان فمن كفر من الجن يقال له شيطان كما في حياة
الحيوان وغيرها والطير اسقط من الحديث وفضلني علي كثير
من عباده المومنين فقيل قوله واتاني ملكا لا ينبغي لا يكون
لاحد من بعدي اي سواي ولو في حياتي كقوله تعالي فمن يهديه
من بعد الله اي سواه وجعل لي ملكا طيبا ليس علي فيه حساب
ولا عقاب كما في الرواية اي لعصمته من الظلم المودي اليهما لكنه هو
وان اتسع ملكه بحيث تجري العادة في مثله بترتيب الحساب
والعقاب لم يحصل فيه شي يقتضيهما كما يقع للملوك لا سيما الجبابرة
ثم ان عيسي عليه السلام اثني علي ربه فقال الحمد لله
الذي جعلني كلمته اي مكونا بها وهي قوله تعالي كن من
غير واسطة اب ولا نطفة وجعلني مثل ادم كشانه من
خلقه من غير اب واسطة اب ولا نطفة وجعلني مثل ادم
كشانه في خلقه من غير اب وهو من تشبيه الغريب بالاغرب
ليكون اقطع للخصم واوقع في النفس خلقه اي ادم اي قالبه
من تراب ثم قال له كن بشرا فيكون اي فكان وكذلك عيسي
قال له كن من غير اب فكان والجملة مفسرة للتمثيل مبينة لما به
الشبه وعلمني الكتاب الخط او جنس الكتب الالهية والحكمة
اي العلوم وتهذيب الاخلاق والتوراة النازلة قبله

عل

علي موسي والانجيل المنزل علي عيسي وجعلني اخلق اصور من
الطين كهيئة الطير مثل صورته والكاف اسم مفعول فانفخ فيه
الضمير للكاف او للطين او للطير وهكذا بالتذكير في العمران وبالتانيث
في المائدة عايد للهيية وهو تفنن علي عادة العرب في التفنن في
الكلام وجعلني ابري اشفي الاكمه الذي ولد اعمي والابرص
وخصا لانهما داءا عيا وكان بعثه في زمن الطب فابرا في يوم خمسين
الفا بالدعا بشرط الايمان واحيي الموتي باذن الله بارادته
فاحيا عازر صديقا له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد
لهم وسام بن نوح ومات في الحال ورفعني اليه من الدنيا بلا
موت وطهرني بعدني من الذين كفروا واعاذني وامي من
الشيطان الرجيم المطرود فلم يكن للشيطان علينا سبيل قال
صلي الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد
فيستهل صارخا الا مريم وابنها رواه الشيخان قال وان محمدا صلي
الله عليه وسلم اثني علي ربه فقال كلكم يا هولاء الذين اثنوا
اثني علي ربه وانا اثني علي ربي فاقول الحمد لله الذي ارسلني
رحمة للعالمين المسلمين لسعادتهم في الدارين في معاشهم ومعادهم
والكافرين بامنهم بالخسف والمسخ والاستيصال وكافة للناس
بيان لعموم رسالته فهو اما صفة مصدر اي ارساله كافة اي
عامة كفتهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلني او اسم فاعل
حال من اليا اي حال كوني كافا للناس فالتا للمبالغة وكونه حالا
من الناس مقدما علي صاحبها المجرور قول ضعيف بشيرا اي مبشرا
بالخير لمن امن واتقي ونذيرا منذرا محذرا لمن كفر وعصي وهو
حال مترادفة او متداخلة حمدا اولا علي ما انعم به عليه ثم ثني بما
له من المنافع والفوايد وبعبارة كافة اي جامعا في الانذار والابلاغ
من الكف بمعني الجمع ومنه كف الثوب وهو جمعه بالخياطة والها للمبالغة
كعلامة ونحوها وقيل معناه مانعا ورادعا من الكفر وساير المعاصي
من الكف بمعني المنع والها للمبالغة ايضا ونصب كافة علي الوجهين
حال من المفعول في ارسلني وانزل علي الفرقان من اسما القران
لانه فرق بين الحق والباطل وهذا عامة لغة وعلميه ولقد اتينا
موسي وهارون الفرقان ثم خص عرفا بالقران فصار علما له
بالغلبة واصله تبارك الذي نزل الفرقان علي عبده وهو مصدر
بمعني الفارق والمفرق ابانة او انزاله فيه تبيان كل شي بكسر
التا للبيان الشافي كما قال تعالي ما فرطنا في الكتاب من شي
اي يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا في بعض واجمالا
في بعض واحاله علي الرسول عليه السلام في امره باتباعه بقوله

وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وعلي الاجماع بقوله
ويتبع غير سبيل المومنين وهو شامل للقياس والاجتهاد كما في الكشاف
وغيره **وجعل امتي خير امة اخرجت للناس** كما قال في الكتاب
العزيز كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون الاية **وجعل امتي امة**
وسطا اي خيارا عدولا جامعين بين العمل والعلم وساير الصفات
المتوسطة بين التفريط والافراط **وجعل امتي هم الاولون** من دخول
الجنة **والاخرون** في الوجود وهم ضمير مبتدا مفيد للحصر لا ضمير فصل
لانه لو كان كذلك لقيل الاولين **وشرح لي صدري** وسعه بالعلم
والايمان والحكمة واليقين بحيث لا احزن علي امر من امور الدنيا وشغله
وملاه بالانوار كما مر **ووضع عني وزري** طهر قلبي من حظ الشيطان
وعصمني فلا ارتكب ذنبا ولذا قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فسوي بينهما لعدم وقوعهما او خفف اعبا النبوة والتبليغ بافاضة
منته علي والجملتان في غاية التناسب **ورفع لي ذكري** جعلني
مذكورا في الملا الاعلي وجعل اسمي طراز الجنان ومقرونا باسمه تعالي
علي كل لسان وعلي المنابر في كل اقامة واذان قال حسان ٭
٭ وضم الاله اسم النبي الي اسمه ٭ اذا قال في الخمس المؤذن اشهد ٭
وجعلني فاتحا لابواب الايمان والهداية الي الصراط المستقيم ولبيان
اسباب التوفيق وما استغلق من العلم او هو من الفتح بمعني الحكم فجعله
حاكما في خلقه فيفتح ما انغلق بين الخصمين باحيائه الحق وايضاحه واماتته
الباطل وادحاضه او فاتحا بالشفاعة يوم القيامة **وخاتما للنبيين**
اي اخرهم بعثا **فقال ابراهيم بهذا** اي بمجموع ما ذكر وبكل واحدة
منها لا بالاولي فقط كما زعم **فضلكم محمد** اي زاد فضله عليكم وقدم المعمول
للحصر وقال هذا ابراهيم خطابا للانبيا اذ اعترف بفضله لما سمع ثناه **ثم**
ذكر في هذا الحديث **انه عرج به الي السما الدنيا** القريبة الينا
من بين السبع سموات **ومن سما الي سما ذكره الشيخ القاضي**
عياض في الشفا مختصرا يعني انه لم يذكر ثنا الانبيا بل قال
فاثنوا علي ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسي وعيسي
وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلي الله عليه وسلم فقال كلكم
فذكره بلفظ المصنف هنا **بحديث ابي هريرة من غير عزو**
لمخرج وقد اخرجه ابو يعلي والبزار وابن جرير وابن ابي حاتم وابن
مردويه والبيهقي كلهم من حديث ابي هريرة فما يوهمه قول المصنف
ورواه اي الحديث الذي ذكره اولا بقوله وعن ابي سعيد
ثم سار حتي اتي بيت المقدس الي هنا لا قوله ثم سار عرج به الي
السما كما زعم من لم يقف علي شي **البيهقي من حديث ابي سعيد**
الخدري وهذا لفظه من ان البيهقي لم يروه عن ابي هريرة وا

عياضا

عياضا وهم في نسبته له ليس بمراد وروي احمد وابن ماجة وصححه الحاكم
عن ابن مسعود مرفوعا لقيت ليلة اسري بي ابراهيم وموسي وعيسي فتذاكروا
امر الساعة فردوا امرهم الي ابراهيم فقال لا علم لي بها فردوا الامر الي
موسي فقال لا علم لي بها فردوا الامر الي عيسي فقال اما وجبتها فلا
يعلم بها احد الا الله وفيما عهد الي ربي ان الدجال خارج ومعي قضيبان
فاذا راني ذاب كما يذوب الرصاص فيهلكه الله اذا راني حتي ان الحجر
والشجر ليقول يا مسلم ان تحتي كافرا فاقتله فيهلكهم الله ثم يرجع الناس
الي بلادهم واوطانهم فعند ذلك يخرج ياجوج وماجوج وهم من كل حدب
ينسلون فيطوون بلادهم لا ياتون علي شي الا اهلكوه ولا يمرون علي
ما الا شربوه ثم يرجع الناس الي فيشكونهم فادعو الله عليهم فيهلكهم
ويميتهم حتي تجوي الارض من نتن ريحهم فينزل الله المطر فيجترف اجسادهم
حتي يقذفهم في البحر ثم ينسف الجبال وتمد الارض مد الاديم فعهد الي ربي
ان ذلك اذا كان كذلك فان الساعة كالحامل المتم لا يدري اهلها متي تفجاهم
بولادتها ليلا او نهارا وقوله فيهلكه الله اذا راني اي علي يدي بقتلي
له بعد هروبه لا بمجرد رؤيته وقوله حتي ان الشجر غاية المقدر وفي حديث
ابي امامة عند ابن ماجة وصححه ابن خزيمة والحاكم مرفوعا فاذا انصرف
اي من الصلاة خلف المهدي قال عيسي افتحوا الباب فيفتحون ووراه
الدجال معه سبعون الف يهودي كلهم ذو سيف محلي وساج فاذا نظر اليه
الدجال ذاب كما يذوب الملح في الما وينطلق هاربا ويقول عيسي ان لي
فيك ضربة لن تسبقني فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله فيهزم الله
اليهود فلا يبقي شي مما خلق الله عز وجل تتواري به دابة الا الغرقده
فانها من شجرهم لا تنطق الا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال
اقتله **وفي رواية ابن ابي حاتم في تفسيره عن انس لما بلغ**
بيت المقدس فبلغ اي فسار حتي بلغ **المكان الذي يقال له**
باب محمد الان بعد دخوله صلي الله عليه وسلم منه ويحتمل انه
كان معروفا عندهم قبل المعراج بهذا الاسم من الانبيا والكتب
القديمة **اتي الي الحجر** جواب لما **الذي به** وهو الصخرة المعروفة
فغمزه جبريل باصبعه فثقبه ثم ربطها اي الدابة وهي البراق
وفي نسخة ثم صعدا اي مرا بعد ربط البراق والا فلا معني
للصعود هنا واكثر النسخ باسقاطها وهي ظاهرة **فلما استويا**
في سرحه بسين مهملة وراء وحا اي فنا **المسجد** اي ساحته التي
في وسطه وفي نسخة صرحه المسجد بصاد مهملة وهي ظاهرة اي
ساحته وفي نسخة عرصة المسجد اي ساحته التي لا بنا فيها
ونقل الشامي هذا الحديث بعينه بلفظ في صخرة المسجد اي عندها
قال جبريل يا محمد هل سالت ربك ان يريك الحور العين

بكسر العين جمع عينا حسنة العينين واسعتهما والحور النسا البيض
التي يا اللاتي باعينهن حور وهو شدة بياض بياضها وسواد سوادها
وقيل الحور اسوداد المقلة كلها كعيون الظبا قالوا ولا حور في الانسان
وانما قالوا قيل ذكر في النسا علي التشبيه قال نعم قال فانطلق الي
اولئك النسوة فانهن من الحور العين فسلم عليهن قال صلي الله عليه
وسلم فانطلقت فسلمت عليهن فرددن علي السلام فقلت لمن انتن
فقلن خيرات اخلاقا حسان وجوها جمع حسنا وقيل خيرات جمع
خيرة بفتح فسكون وهي الحورا نسا قوم ابرار نقوا فلم يدرنوا بفتح
اليا والراو وبضم اليا وكسر الراي لم يصبهم دون وهو الوسخ واقاموا
فلم يظعنوا اي يتحولوا من محل الاخر فتصيبهم مشقة الظعن وخلدوا
فلم يموتوا قال ثم انصرفت من عند الحور فلم يلبث الا يسيرا حتي
اجتمع ناس كثير ثم اذن موذن واقيمت الصلاة تقدم المراد بهما
فقمنا صفوفا ننتظر من يومنا فاخذ جبريل عليه السلام بيدي
فقدمني فصليت بهم فلما انصرفت من الصلاة قال لي جبريل اتدري
من صلي خلفك قلت لا قلت لا قال صلي خلفك كل نبي بعثه الله
تعالي اي اوحي اليه بشرع فشمل الانبيا والمرسلين لقوله في الحديث
السابق فاذا النبيون اجمعون يصلون معه ثم ظاهر سياق هذا
الحديث يخالف قوله في الرواية السابقة ثم دخلت المسجد فعرفت
النبيين ما بين قايم وراكع وساجد ثم اقيمت الصلاة فاممتهم قال
القاضي عياض يحتمل ان يكون صلي الله عليه وسلم صلي بالانبيا
جميعا في بيت المقدس قبل العروج قال الشامي وهو الذي تظافرت
به الروايات واستظهره الحافظ ثم صعد منهم الي السما من ذكر
انه عليه السلام راه في السموات ادم فيحيي وعيسي فيوسف
فادريس فهرون فموسي فابراهيم ويحتمل ان يكون صلي بهم
بعد ان هبط من السما فهبطوا ايضا للصلاة معه قال
الشامي وصححه ابن كثير وقوله والاظهر ان صلاته بهم ببيت
المقدس قبل العروج انتهي ظاهره انه من كلام عياض وليس كذلك
انما هو للحافظ ذكره في فتح الباري بعد كلام عياض وكذا عزاه له
تلميذه النعماني ثم الشامي ثم الغيطي وقال ابن كثير صلي بهم
ببيت المقدس قبل العروج وبعده فان في الحديث ما يدل
علي ذلك ولا مانع منه انتهي وهذا منابذ لنقله علي ابن
كثير نفسه من قوله الظاهر انه بعد رجوعه الي اخر ما ياتي بعد
اسطر وقد نسب النعماني ما هنا لنفسه وتبعه الشامي فعزاه له
وتلاه ابن كثير وقد اختلف في هذه الصلاة هل هي الشرعية
المعروفة او اللغوية وصوب الاول لان النص يحمل علي حقيقته الشرعية

قبل

قبل اللغوية ما لم يتعذر حمله علي الشرعية ولم يتعذر هنا فوجب
حمله علي الشرعية وعلي هذا اختلف هل هي فرض ويدل عليه كما قال
النعماني حديث انس عند ابن ابي حاتم المتقدم قريبا للمصنف او نفل
واذا قلنا انها فرض فاي صلاة هي قال بعضهم الاقرب
انها الصبح ويحتمل ان تكون العشا وانما ياتي علي قول من قال
انه صلي الله عليه وسلم صلي بهم قبل عروجه الي السما وفي النعماني
انما ياتي علي ان الاسرا من اول الليل لكن قال بعض رواة الاسرا انه
بعد صلاة العشا واما علي قول من قال صلي بهم بعد العروج فتكون
الصبح وتكون الاحتمالان كما قال الشامي ليسا بشي سوا قلنا صلي
بهم قبل العروج او بعده لان اول صلاة صلاها النبي صلي الله عليه
وسلم من الخمس مطلقا الظهر بمكة باتفاق ومن حمل الاولية علي مكة فعليه
الدليل قال والذي يظهر انها كانت من النفل او كانت من الصلاة
المفروضة عليه قبل ليلة الاسرا وفي فتاوي النووي ما يويد
الثاني قال ابن كثير ومن الناس من يزعم انه امهم في السما
فالذي تظافرت به الروايات انه ببيت المقدس فهو الواجب القبول
والظاهر انه بعد رجوعه اليهم لانه لما مر بهم في منازلهم من
السموات جعل يسال جبريل عنهم واحدا بعد واحد وهو يخبره
بهم فلو راهم قبل العروج ما حسن السوال ولا الجواب لكن هذا اعني
يدفعه قوله ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قايم وراكع وساجد
والسوال عنهم بعد ذلك في السموات لا يستلزم انه لم يرهم قبل لجواز اختلاف
الصفة وقد نقل الحافظ ان رويته الذين صلوا ببيت المقدس يحتمل
الارواح خاصة والارواح باجسادها واما في السما فمحمولة علي الارواح
الا عيسي لما ثبت انه رفع بجسده وقد قيل في ادريس ايضا ذلك
وياتي ذلك للمصنف ثم قال ابن كثير وهذا هو اللايق لانه اول
كان مطلوبا الي الجناب العلوي ليفرض الله عليه وعلي امته
ما يشا ثم لما فرغ مما اريد به اجتمع هو واخوانه من
النبيين وهذا ايضا عقلي لا ينهض حجة في المدعي لانه قدم علي
هذا الامر العظيم الذي ليس في طوق بشر ايناسه بالانتقال
من المسجد الحرام الي المسجد الاقصي وما راه في مسيره من
الايات ثم دخوله الاقصي وصلاته ركعتين فناسب ان يجتمع
باخوانه ليزيد ايناسه بالاجتماع بجنسه ثم اظهر شرفه عليهم
بتقديمه في الامامة ثم ثني من اثني منهم علي ربه وزيادة ثنايه
عليه وقول ابراهيم بهذا فضلكم محمد فيلتقي المعراج فيغلب
فو يعلمهم يكونون عنده وحشة في العالم العلوي ومن رواية ابن
اسحق عن ابي سعيد انه عليه السلام قال لما فرغت

مما كانا في بيت المقدس من صلاته الركعتين وصلاته بالانبيا وتمام
الرواية
علي الله اتي بالمعراج الذي يعرج عليه ارواح بني ادم كما في الرواية
الاتية ولم ار قط شيا احسن منه وهو الذي يمد اليه الميت
عينيه اذا احتضر ولو كان الميت اعمي كما في شرح الصدور فالميت
يكشف له اذا احتضر عن المعراج فيراه فتمتد عينيه اليه فاذا انتقضت
روحه صعدت فيه الي حيث شا الله فاصعدني صاحبي جبريل
فيه حتي انتهي الي باب من ابواب السما اي الدنيا كما مر في الحديث
وفي رواية كعب عند الواسطي في فضايل بيت المقدس فوضعت له
مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب وهو المعراج حتي عرج
هو وجبريل عليها والمرقاة موضع الرقي ويجوز فتح الميم علي انه
موضع الارتقا وكسرها تشبيها باسم الالة كالمطهرة وانكره ابو عبيد
وقال لم تقله العرب وفي رواية لابي سعيد في كتاب شرف المصطفى
انه اتي بالمعراج من جنة الفردوس قال صلي الله عليه وسلم
والفردوس اعلا الجنة ووسطها وفوقه عرش الرحمن ومنها تفجر
انهار الجنة فاذا سالتم الله فاسلوه الفردوس رواه ابن ماجة
وصححه الحاكم وانه منضد باللولو اي جمع عليه بحيث جمع بجعل
بعضه فوق بعض وعن يمينه ملايكة وعن يساره ملايكة وفي
رواية ابي سعيد عند البيهقي ثم اتيت بالمعراج التي تعرج
عليه ارواح بني ادم فلم ير الخلايق احسن من المعراج اما
رايت الميت استفهام قصد به تقرير المبالغة في حسنه حين
يشق بصره اي تنفتح عيناه حين الاحتضار انفتاحا لا يرتد عما
راه قال المجد شق بصر الميت نظر الي شي لا يرتد اليه طرفه ولا تقل
شق الميت بصره فافاد انه لازم وفسره الفقها بيشخص بصره
ولعله اشارة الي انه صار كالشاخص الذي لا يتحرك من شدة نظره
للمعراج الذي تعرج روحه عليه وتري بصيرته حال كونه طامحا اي
رافعا بصره الي السما فان ذلك اي سببه عجبه بالمعراج وقد
تقدم في حديث البخاري السابق عن مالك بن صعصعة فانطلق
بي جبريل حتي اتي السما الدنيا فاستفتح قيل من هذا قال
جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم
ولم يقل جبريل عليه السلام انا حيث قال له من هذا انما
سمي نفسه فقال جبريل واقتصر عليه لانه ليس في الملايكة من
سمي بهذا الاسم غيره لان لفظ انا فيه اشعار بالعظمة
التي لا تخلو عن نوع تكبر كانه يقول انا لا احتاج الي ذكر اسمي لسمو
مقامي قاله ابن الجوزي قال بعضهم وعادة العارفين المتقين ان
يذكر احدهم اسمه تدل قوله انا الا في نحو فاني فاني فالضمير اولى

وفي

وفي الكلام السائر الجاري بين الناس اول من قال انا ابليس فشقي
وقال فرعون انا ربكم الاعلي فتعس وايضا فقوله انا مبهمة لافتقار
الضمير الي العود فهي غير كافية في البيان والضمير اذا عاد ونفي
مضمره كان اعرف المعارف والمستاذن محجوب عن المستاذن عليه غير
متعين عنده فكانه احاله علي جهالة كما في ابن المنير وغيره وعلي هذا
فينبغي للمستاذن اذا قيل له من انت ان لا يقول انا بل يقول
فلان ويصف نفسه بما يميزه عن غيره فلا يكفي ان يقول محمد مثلا الا ان
يكون معروفا للمخاطب بذلك الاسم وقد انكر النبي صلي الله عليه وسلم
علي الذي استاذن عليه فقال من هذا فقال انا فقال صلي الله عليه وسلم
انا انا انكارا عليه قاله ابن المنير وغيره وقال بعض المحققين ذهبت
طايفة من العلما وفرقة من الصوفية الي كراهة اخبار الرجل عن نفسه بانا
تمسكا بظاهر الحديث حتي قالوا كلمة انا لم تزل مشومة علي اصحابها
وزادوا ان ابليس انما لعن بقولها وليس كما قالوا بل النهي عنه لما تضمنه من
النظر الي نفسه بالخيرية ولا سكر اصحابه الصوفية في دقايق علومهم
واشاراتهم في التبري من الدعاوي الوجودية لكن الذي اشاروا اليه
بهذا راجع الي معان تتعلق باحوالهم دون ما فيه من التعلق بالقول لكون
ناقض اقوالهم ونصوص كثيرة وهم اشد الناس غرارا ان يخالفها كقوله
تعالي انما انا بشر مثلكم انا اول المسلمين وما انا من المتكلفين وقوله
صلي الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم والحاصل كما قال بعض الافاضل
ان ذلك يتفاوت بتفاوت الاحوال والمقامات فالمتردد في الاحوال المتحول
في الفنا والتلوين ينافي حاله ان يقول انا ومن رقي الي مقام البقا بالله
وتصاعد الي درجات التملي فلا يضره وفي رواية البخاري في
الصلاة وغيرها ومسلم في الايمان من حديث انس عن ابي ذر فعرج بي
جبريل الي سما الدنيا بدل قوله في رواية ابن صعصعة فانطلق
وهو بفتح العين والفا والرا يعني صعد وفي حديث ابي سعيد
عند البيهقي وابن اسحق حتي انتهي الي باب من ابواب السما
يقال له باب الحفظة وعليه ملك يقال له اسمعيل وهو صاحب
سما الدنيا كما في رواية البيهقي عن ابي سعيد وفي رواية جعفر
ابن محمد عند البيهقي معضلا ايضا يسكن الهوا لم يصعد الي السما قط
ولم يهبط الي الارض قط الا يوم مات النبي صلي الله عليه وسلم ومعلوم
ان علم ذلك باخباره عليه السلام به قبل موته لان هذا لا مدخل فيه
للراي تحت يده اثنا عشر الف ملك ينقادون لامره ونهيه
كالجند زاد في رواية ابن اسحق مع كل ملك اثنا عشر الف ملك وروي ابن
جرير والبيهقي في الدلايل من حديث ابي سعيد وبين يديه سبعون الف
ملك مع كل ملك جنده مائة الف وفي رواية للبزار تحت يده سبعون الف

ملك ولعل المراد التكثير فلا يخالف ماية الف ولعل الاثني عشر الفا روساء
ملكا ولعل المراد التكثير فلا يخالف ماية الف ولعل الاثنى عشر الفا الذين مع كل ملك روساعلى باقي المائية
السبعين الفا وكذا الاثنا عشر الفا الذين مع كل ملك روساعلي باقي المائية
الف فلا خلف والله اعلم وفي رواية شريك ابن عبد الله المدني عن انس عند
البخاري ايضا ثم عرج جبريل به بالنبي صلى الله عليه وسلم الى سما
الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه اهل سما الدنيا اي جنسهم
الصادق بالحفظة للباب من هذا الذي يدق الباب وفي حديث ابي ذر
فلما جيت الى السما قال جبريل لخازن السما الدنيا افتح قال من هذا
قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال
نعم قال مرحبا واهلا فاستبشر به اهل السما سقطت الفا من
رواية الاصيلي وزاد الدنيا لا تعلم اهل السما بما يريد الله به في الارض
حتى يعلمهم اي على لسان من شا جبريل عليه السلام ووقع في
هذه الرواية اي رواية شريك عن انس ايضا انه راى في سما الدنيا
النيل والفرات عنصرهما بضم المهملتين بينهما نون ساكنة اصلهما الذي
تميزا به من نهري الجنة فينزلان الى سما الدنيا ثم ينزلان الى الارض وهو
بدل مما قبله ولفظ رواية شريك فاذا هو في السما الدنيا بنهرين يطردان
فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذا النيل عنصرهما وظاهرها
اي هذه الرواية يخالف حديث مالك بن صعصعة كان فيه بعد
بعد سدرة المنتهى واذا في اصلها اربعة انهار نهران باطنان
ونهران ظاهران فقلت ما هذان يا جبريل فقال اما الباطنان فنهران
في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم جمع بينهما بان اصل نبعهما
من تحت سدرة المنتهى ومقرهما في السما ومنها ينزلان الى الارض
وجمع ابن دحية بانه راى هذين عند سدرة المنتهى مع نهري الجنة وراهما
في سما الدنيا دون نهري الجنة واراد بالعنصر عنصرا تنتشا ربهما السما
الدنيا وكان الحافظ لم يرتضه لقوله كذا قال ابن دحية انتهى وتبعه المصنف
فيما ياتي وجمع غيره بان منبعهما من السدرة واذا نزلا الى الارض يسلكان
او لا على الجنة فيدخلانها ثم ينزلان الى الارض بعد ذلك وياتي مزيد لذلك
ان شا الله قريبا ووقع في هذه الرواية ايضا ثم مضى به في السما
الدنيا فاذا هو بنهر عليه قصر من لولو وزبرجد وانه مسحه
جبريل بقوله هذا الكوثر ولفظه عتب زبرجد فضرب يده فاذا هو
مسك قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبا لك ربك وهو
مما يستشكل من رواية شريك فان الكوثر في الجنة والجنة فوق
السما السابعة ويحتمل الجمع برد رواية شريك الى هذا وهو ان يكون
هناك حذف تقديره ثم مضى في سما الدنيا الى السابعة فاذا هو
بنهر كذا ذكره الحافظ واستبعده تلميذه القطب الخيضري في الخصايص
بان بين الاولى والسابعة خمس سموات كل منها له صفة غير صفة الاخرى

ولها

ولها ابواب وخدام غير الاخرى فاطلاق المسير اليها بعيد وذكرها بعد السادسة
مما يبعده ايضا لكن قد يقال من غير استبعاد ان اصل الكوثر في الجنة وجعل
الله تعالى منه فرعا في السما الدنيا عجل التنبيه روبته استبشارا لانها اول
المراتب العلوية بعد السفلية ويويد هذا قول جبريل خبا لك ربك انتهى
ثم ان قوله في الحديث استفتح دلالة صريحة على انه صادف ابواب
السما مغلقة واصرح منه قوله في حديث ابي ذر قال جبريل لخازن السما
الدنيا افتح وكذا ضربه الباب والحكمة كما قال ابن المنير في ذلك والله
اعلم التنويه بقدره اي اظهاره ورفعه عليه السلام وتحقق ان
السموات لم تفتح ابوابها الا من اجله ولو وجدها مفتحة لم يتحقق
اي لم يعلم انها فتحت لاجله ولا بد بل كان يحتمل انها مفتوحة دايما وانها
فتحت لغيره فصادف مجيبه هو ده فلما فتحت له تحقق عليه السلام
ان المحل مصون وان فتحه له كرامة وتبجيل تعظيم قال ابن دحية
وانما لم يهيا له بالفتح قبل مجيئه وان كان ابلغ في الاكرام لانه لو راها مفتحة
لظن انها لا تزال كذلك ففعل ذلك ليعلم ان ذلك فعل من اجله ولان الله
تعالى اراد ان يطلعه على كونه معروفا عند اهل السموات واما قوله في الحديث
ارسل اليه بهمزة واحدة ولابي ذر ارسل اليه بهمزتين الاولى للاستفهام
والثانية للتعدية وهي مضمومة وللكشميهني اوارسل بواو مفتوحة بين الهمزتين
وقد بعث اليه فيحتمل ان يكون استفهم عن الارسال اليه للعروج الى
السما والاسرا وهو الاظهر لقوله اليه اذ لو كان المراد اصل البعثة لم يحتج
لقوله اليه لان اصل بعثه قد اشتهر في الملكوت الاعلى فلا يخفى عليهم
الى هذه المدة قال الحافظ بعد ما استظهر هذا تبعا لابن المنير وغيره ويحتمل
ان يكون خفي عليه اصل ارساله لاشتغاله بعبادته ويويده رواية وقد بعث
اليه انتهى وقد يقال ويويده رواية شريك وقد بعث اليه انتهى وقد يقال
لاتنا بيد فيها لان المراد البعث الخاص للاسرا وصعود السموات لا عن اصل
البعثة وقيل سالوا تعجبا من نعمة الله تعالى عليه بذلك واستبشارا
به وقد علموا ان بشرا لا يترقى هذا الترقي الا باذن من الله تعالى
اذ لا قدرة له على ذلك حتى ياذن وان جبريل لا يصعد بمن لم يرسل
اليه فليس سوالا حقيقيا وقيل ان الله اراد تعالى اطلاع نبيه على
انه معروف عند الملا الاعلى لانهم قالوا وقد بعث اليه بحذف همزة
الاستفهام للعلم بها او ارسل اليه بحذفها واثباتها روايتان كما علم
تدل على انهم كانوا يعرفون ان ذلك سيقع له صلى الله عليه وسلم واله
لكانوا يقولون ومن محمد مثلا ولذلك اجابوا بقوله صلى الله عليه وسلم
والا لكانوا يقولون ومن محمد مثلا ولذلك اجابوا بقولهم مرحبا به
ولنعم المجي جا وكلامهم بهذه الصيغة يدل دليل على ما ذكرناه
من معرفتهم بجلالته وتحقيق رسالته ولان هذا اجلا ما يكون

من حسن الخطاب والترفيع المبالغة في اظهار قدره وشرفه بين الملايكه
مبنا على ان المعروف من عادة العرب انهم خاطبوه بذلك وهذا ذكره ابن
ابي جمرة وذكر ابن المنير ان موقع قول الخازن وقد بعث اليه استنطاق
جبريل بالسبب الموجب للاذن والفتح لان مجرد قوله معي محمد لا يوجب
الاذن الا بواسطة البعث من الله تعالى ويلزم منه الاذن في ازالة الموانع
وفتح ابواب السما فلم يتوقف الخازن على ان يوحى اليه بالفتح لانه لازمه من
البعث الاذن واما قوله من معك فيشعر بانهم احسوا به عليه
الصلاة والسلام لفظ الحافظ بانهم احسوا معه برفيق والا لكان
السوال بلفظ امعك احد وهذا الاحساس اما بمشاهدة لكون
السما شفافة لا تحجب ما وراها واما الامر معنوي كزيادة انوار
ونحوها قاله الحافظ ابن حجر في فتح الباري ولعله اخذه من كلام
العارف بن ابي جمرة حيث قال في بهجته اي كتابه بهجة النفوس
ومحليها بمعرفة مالها وعليها وهو اسم شرحه على الاحاديث التي انتخبها
من البخاري الثاني ان يكون سوالهم له لجبريل لما راوا حين اقبالهم
عليه على جبريل من زيادة الانوار وغيرها بيان لما راوا من الماثر
الحسان زيادة على ما يعهدونه منه قال وهذا هو الاظهر
من احتمال ان ذلك لان السما شفافة كانهم قالوا من الشخص الذي من
اجله هذه الزيادة التي معك فاخبرهم بما ارادوا وهو تعيين
الشخص باسمه حتى عرفوه انتهى ويويده انه قد قال بعض
العلما في قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى انه صلى الله
عليه وسلم راى صورة ذاته المباركة في الملكوت فاذا هو عروس
المملكة لشدة انواره واما قولهم له مرحبا به اي اصاب رحبا وسعة
كني بذلك عن الانشراح واخذ منه ابن المنير جواز رد السلام بغير لفظه
وتعقبه بان مرحبا به ليس ردا لانه كان قبل فتح الباب والسياق يرشد
اليه وقد نبه على ذلك ابن ابي جمرة ولنعم المجي جا فيحتمل ان يكونوا
قالوه لما عاينوه من بركاته عليه السلام التي سجنت للسما بشرى
بقدومه وفيه اشارة الى ان الخامسة اذا فهموا من سيدهم عزما اكرام
وافد ان تبشروا به بذلك وان لم ياذن لهم فيه ولا يكون افتياتا لان الخازن
اعلم النبي صلى الله عليه وسلم حال استدعائه بما استدعاه اكرام واعظام
فعجل بالتبشير بالفراسة الصادقة عند اهلها وفي محلها تحصيل العلم كما يحصله
الوحي قاله ابن المنير وفيه تقديم وتاخير والتقدير جا فنعم المجي مجيه
كذا قاله بعض الشراح وخرجه ابن مالك في التوضيح على وجه لا تقديم
فيه ولا تاخير فقال في هذا الكلام شاهد على الاستغنا بالصلة عن
الموصول والصفة عن الموصوف في باب نعم لانها تحتاج الى فاعل
هو المجي والى مخصوص بمعناها وهو مبتدا مخبر عنه بنعم وفاعلها

فهو

فهو في هذا الكلام وشبهه موصول او موصوف بجا والتقدير نعم المجي الذي
جا او نعم المجي مجي جا وكونه موصولا اجود لانه مخبر به عنه والمخبر عنه اذا
كان معرفة اولى من كونه نكرة نقله في الفتح وقدمته في شرح الحديث
وانما لم يقل الخازن مرحبا بك بصيغة الخطاب بل به بصيغة
الغيبة لانه حياه قبل ان يفتح الباب وقبل ان يصدر من
النبي صلى الله عليه وسلم خطاب ولهذا قال الملك لجبريل ومن معك
فخاطبه بصيغة الخطاب لان جبريل خاطب الملك فارتفع الغيبة بالتخاطب
من الجانبين قاله ابن المنير ويحتمل ان يكون حياه بصيغة الغيبة
تعظيما له لان هاء الغيبة ربما كانت افخم من كاف الخطاب لما فيها
من اجلال المخاطب على مخاطبه لانه لم ينزل نفسه اهلا لخطابه بجلالته
عليه وهذان الاحتمالان ذكرهما ابن المنير واما قوله في الحديث لبس
يعني به حديث مالك بن صعصعة الذي قدمه لانه ليس فيه ذكر النسيم
كما في البخاري ومسلم وانما عنى به حديث انس عن ابي ذر عند البخاري
اول كتاب الصلاة ولفظه فلما فتح علونا السما الدنيا فاذا رجل
وللاصيلي وابن عساكر بدونها رجل قاعد عن يمينه اسودة
اشخاص جمع سواد كازمنة جمع زمان وعن يساره اسودة اذا
نظر قبل بكسر القاف وفتح الموحدة اي جهة يمينه ضحك واذا
نظر قبل شماله بكي فقال ذلك الرجل القاعد مرحبا بالنبي
الصالح والابن الصالح وفي رواية شريك فقال مرحبا واهلا
يا بني نعم الابن انت والصالح القايم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق
العباد فهي صفة جامعة لمعاني الخير فوصفه مكررا مع النبوة والبنوة
اشارة الى انه جمع بين صلاح الانبيا وصلاح الابنا كانه قال مرحبا
بالنبي التام في نبوته والابن البار في بنوته وعنه افتخاره بابوته بالنبي
صلى الله عليه وسلم ولجمع الصلاح وخلال الخير اقتصر الانبيا على وصفه بالصالح
وتواردوا على ذلك وكررها كل منهم عند كل صفة ولم يقولوا بالنبي الصادق
او الامين قال بعضهم وصلاح الانبيا صلاح خاص لا يتناول عموم الصالحين
لان كثيرا من الانبيا تمنى ان يلحق بالصالحين ولا يتمنى الا على ان يلحق
بالادمي فهذا يحقق على ان صلاح الانبيا غير صلاح الامة وصلاح
الانبيا صلاح كامل لانهم يزول بهم كل فساد فلهم كل صلاح ومن دونهم
الامثل فالامثل فكل واحد يستحق اسم الصلاح على قدر ما زال به
او منه من الفساد قلت لجبريل من هذا قال هذا ادم ظاهره
انه يسال عنه بعد ان قال له ادم مرحبا ورواية مالك بن صعصعة
بعكس ذلك وهي المعتمدة فتحمل هذه عليها اذ ليس في هذه اداة
ترتيب كذا في فتح الباري وتبعه الشامي اي لانه لم يقل هنا
فقلت لجبريل بالفا انما قال قلت فيحمل على ان القول وقع قبل قول

قول ادم مرحبا والمراد بالعكس المخالفة فلفظ رواية ابن صعصعة
فلما خلصت فاذا فيها ادم فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت
عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح وهذه
الاسودة التي عن يمينه وشماله نسم بنيه ارواحهم
فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة التي عن شماله
اهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك سرورا واذا نظر
قبل شماله بكى حزنا فالاسودة بوزن ازمنة جمع سواد
بوزن زمان هي الاشخاص من كل شي وتطلق بمعان اخر والنسم
بالنون والنون المفتوحتين جمع نسمة بزنة قصب وقصبة
وهي الروح بيان للمراد بها هنا والا ففي المصباح النسيم
والنسمة نفس الريح ثم سميت بها النفس بالسكون قال الحافظ وحكي
ابن التين انه رواه شيم بكسر الشين المعجمة وفتح اليا اخر الحروف
بعدها ميم وهو تصحيف وظاهره ان ارواح بني ادم من اهل الجنة
والنار في السما وهو مشكل وقد قال القاضي عياض جا
ان ارواح الكفار في سجين مكان يعذبون فيه اسفل سافلين
كما في ابن المنير وفي المصنف في سجين الارض السابعة وفي
القاموس سجين موضع فيه كتاب الفجار وواد في جهنم
وان ارواح المومنين منعمة في الجنة روي الطبراني
والبيهقي بسند حسن عن ام مبشر وكعب بن مالك ان النبي صلي
الله عليه وسلم قال ان نسمة المومن تسرح في الجنة حيث شاءت
ونسمة الكافر في سجين وسيل صلي الله عليه وسلم عن ارواح المومنين
فقال في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت قالوا وارواح
الكفار قال محبوسة في سجين رواه الطبراني يعني فكيف تكون
مجتمعة في السما سما الدنيا مع ان ارواح الكفار في سجين
الارض السابعة واجاب عياض بانه يحتمل انها تعرض
علي ادم اوقاتا فوافق وقت عرضها مرور النبي صلي
الله عليه وسلم ويدل علي ان كونهم في النار في اوقات
دون اوقات قوله تعالي النار يعرضون عليها يجرون بها
غدوا وعشيا صباحا ومسا واعترض بان ارواح الكفار
لا تفتح لهم ابواب السما كما هو نص القران في قوله تعالي
ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السما
والجواب عنه ما ابداه هو احتمالا ان الجنة كانت في جهة
يمين ادم والنار كانت في جهة شماله وكان يكشف له عنهما
وحين مر المصطفي علي ادم كشف له عن ذلك فريه ما راه ادم والي
هنا جواب عياض كما في الفتح زاد المصنف ولا يلزم من روية

ادم

ادم لها وهو في السما ان تفتح لها ابواب السما ولا تلجها فلا
اعتراض علي عياض وان كان الحافظ في الفتح انما ذكر هذا عقب احتمال
ان المراد من خرجت من اجسادها حين خروجها لا انها مستقرة
ولا يلزم اليه اخر ما هنا وباقي كلامه وفي حديث ابي هريرة
عند البزار وابي يعلي وابن جرير والبيهقي فاذا عن يمينه
اي ادم باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه
ريح خبيثة اذا نظر عن يمينه استبشر واذا نظر عن شماله
حزن وهذا الوصح لكان المصير اليه اولي من جميع ما تقدم
لعدم احتياجه لتاويل لان المستفاد منه روية البابين حين مروره
علي ادم وهو لا يستلزم ان عنده شيا وكهو من النسم التي راها عند
ادم لجواز انه راها من ورا الابواب ولكن سنده ضعيف
قاله الحافظ ابن حجر في كتاب الصلاة ببعض تحرف من المصنف
وفيه ايضا قبل ذكر هذا الحديث الضعيف ويحتمل ان النسم المرئية
هي التي لم تدخل الاجساد بعد وهي مخلوقة قبل الاجساد ومستقرها
عن يمين ادم وشماله وقد اعلم بما سيصيرون اليه فلذلك كان يستبشر
اذا نظر الي من علي يمينه ويحزن اذا نظر الي من علي يساره بخلاف
التي في الاجساد فليست مرادة قطعا وبخلاف التي انتقلت من
الاجساد الي مستقرها فليست مرادة ايضا فيما يظهر وبهذا يندفع الايراد
ويعرف ان قوله نسم بنيه عام مخصوص او اريد به الخصوص انتهي وهو
مبني علي ان الارواح كلها قبل الاجساد كما جزم به ثم اذا اراد الله احيا
شخص ارسل الروح التي سبق في علمه انها معدة لذلك الجسد وقال في
الفتح هنا في باب المعراج وظهر لي الان احتمال اخر وهو ان يكون المراد
من خرجت من الاجساد حين خروجها لا انها مستقرة ولا يلزم من روية ادم لها
وهو في السما ان تفتح لها ابواب السما ولا تلجها وفي حديث ابي سعيد عند
البيهقي ما يويده ولفظه فاذا انا بادم تعرض عليه ارواح ذريته الفجار
فيقول ريح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين ويظهر منه ومن
حديث ابي هريرة عدم اللزوم المذكور وهذا اولي مما جمع به القرطبي
في المفهم ان ذلك في حالة مخصوصة انتهي وهو تخصص للارواح بالخارجة
من الاجساد حين الموت لا مطلقا فهو ايضا عام مخصوص او اريد به الخصوص
واجاب بعضهم عن الاشكال بحمل الاسودة التي عن شماله علي العصاة من
الموحدين لا علي الجاحدين وعنده بكا ادم رحمة لهم ولا يرحم الكفار
وضعفه ابن المنير بان المومنين برهم وفاجرهم مطيعهم وعاصيهم من اهل
اليمين وقد فسر الله اصحاب الشمال بالكفار فقال واصحاب الشمال ما اصحاب
الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم الايات وهذا انما هو
لكافر لا حظ له في الايمان ولا حجة في بكا ادم لانه ليس فيه استغفار لهم

ولا خلاف ان مات ابوه كافرا وهو مسلم لا يحرم عليه البكا عليه لا سيما الطبيع
والرقة الطبيعية وقال ابن دحية فان قيل كيف تكون نسم السعدا كلهم
في السما وقد كان حين الاسرا جماعة من الصحابة في الارض وهم من السعدا
فالجواب ان ادم اغا راهم في مواضعهم ومقدارهم في الارض ولكنه براهم
من الجانب الايمن فالتقييد للنظر لا للمنظور انتهي وتبعه ابن المنير وهو
واضح وقال السهيلي فان قيل كيف راي عن يمينه ارواح اصحاب اليمين
ولم يكن اذ ذاك منهم الا نفر قليل ولعله لم يكن مات تلك الليلة منهم احد
وظاهر الحديث يقتضي انهم جماعة والجواب ان الاسرا ان كان مناما فتاويله
ان ذلك سيكون وان كان يقظة فمعناه ارواح المومنين راها هنا لك لان
الله توفي الخلق في منامهم فصعد بالارواح الي هنا لك فراها ثم اعيدت
الي اجسادها انتهي وهو مبني علي تخصيص الارواح بالخارجة من الاجساد
بالموت ولو بالنوم واما قوله في الحديث اي حديث مالك بن صعصعة
ثم صعد بي حتي السما الثانية كذا في رواية ابي ذر للبخاري ولغيره
ثم صعد بي الي السما وهي التي قدمها المصنف فاستفتح فقيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال
نعم ارسل اليه قيل مرحبا به فنعم المجي جا ففتح الخازن الباب فلما خلصت
اذا بيحيي وعيسي وهما ابنا الخالة قال هذا يحيي وعيسي فسلم
عليهما فسلمت عليهما فردا علي السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح
والنبي الصالح الي قوله ثم صعد بي الي السما السابعة فاستفتح
جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد
بعث اليه قال نعم قال مرحبا به فنعم المجي فلما خلصت بفتح اللام
وصلت فاذا ابراهيم قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه فسلمت
عليه فرد السلام وقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح
وقصد المصنف زيادة البيان لطول العهد بسوق لفظ الحديث والا فالاوجز
لو قال واما ماذكره في الحديث من اماكن الانبيا في السموات فهذه
الرواية موافقة لرواية ثابت البناني عن انس عند مسلم
وفيه ان في السما الاولي ادم وفي الثانية يحيي وعيسي وفي الثالثة
يوسف وفي الرابعة ادريس وفي الخامسة هارون وفي السادسة
موسي وفي السابعة ابراهيم فهذا بيان للموافقة معكي بالمعني
وخالف ذلك ابن شهاب الزهري في روايته عن انس عن ابي
ذر كما في رواية اول الصلاة من البخاري ايضا وقد خرج مسلم
حديثه ايضا وذكر انه لم يثبت من الاثبات ابو ذر كيف منازلهم
اي لم يعين ابو ذر لكل نبي سما والمراد منازل الجميع فلا ينافي انه قال
ادم في السما الدنيا وقال فيه وابراهيم في السما السادسة ولفظ
البخاري قال انس فذكر اي ابو ذر انه وجد في السموات ادم وادريس

وموسي وعيسي وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر انه وجد
ادم في السما الدنيا وابراهيم في السما السادسة وفي رواية شريك عن
انس في الصحيحين ثم عرج به الي السابعة فقالوا له مثل ذلك كل سما فيها
انبيا قد سماهم وعين منهم ان ادريس في الثانية وهارون في
الرابعة واخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة
وموسي في السابعة بتفضيل كلام الله تعالي اي بسبب ان له فضل
كلام الله اياه وفيه دلالة علي ان شريكا ضبط كون موسي في السابعة
فيبقي في احد الجموع الاتية وسياقه يدل علي انه لم يضبط منازلهم
اي جميع والا فقد صرح بقوله وعينت انه ضبط اربعة ايضا كما صرح به
الزهري محمد بن مسلم بن شهاب في حديث ابي ذر ورواية من ضبطه
اولي احق بتقديمها علي من لم يضبط لا سيما مع ما حصل منهما من القوة من
اجل اتفاق ولفظ الفتح مع اتفاق فلا يحتاج لهذا التعسف قتادة
ابن دعامة عند الشيخين وثابت البناني عند مسلم وقد وافقهما يزيد
ابن ابي مالك هو ابن عبد الرحمن نسب الي جده الهمداني بالسكون الدمشقي
القاضي صدوق ربما وهم مات سنة ثلاثين ومائة او بعدها وله الثرين
سبعين سنة روي له ابو داود والنسائي وابن ماجة عن انس الا انه خالف
في ادريس وهارون فقال هارون في الرابعة فوافق شريكا
في ذلك وادريس في الخامسة فخالف قتادة وثابتا في انه الرابعة وشريكا
في انه في الثانية ووافقهم ابو سعيد الخدري عند ابن مردوية وكان
الاولي ووافقهما بتثنية الضمير عائدا علي قتادة وثابت وجمعه قد
يوهم موافقة ابي ذر وشريك وليس بمراد فان رواية ابي سعيد انما وافقت
رواية قتادة وثابت الا ان في روايته يوسف في الثانية وعيسي
ويحيي في الثالثة وجمع باحتمال الانتقال لا التعدد لانه خلاف الصحيح
والمشهور في الروايات كلها غير روايتي ابي ذر وشريك ان الذي
في السابعة هو ابراهيم قال الحافظ وهو الارجح واكد قوي ذلك
في حديث مالك بن صعصعة بانه كان مسند ظهره الي البيت
المعمور قال الحافظ وهو في السابعة بلا خلاف وما جا عن علي انه في
السادسة عند شجرة طوبي فان ثبت حمل علي البيت الذي في السادسة
بجانب شجرة طوبي لانه جا عنه ان في كل سما بيتا يحاذي الكعبة وكل منها
معمور بالملائكة وكذا القول فيما جا عن الربيع بن انس وغيره ان البيت
المعمور في السما الدنيا فانه محمول علي اول بيت يحاذي الكعبة من بيوت السموات
فمع التعدد اي مع القول بتعدد المعراج فلا اشكال بين الثابت المشهور
في الروايات انه في السابعة وبين روايتي ابي ذر وشريك انه في السادسة
لحمل كل علي مرة ومع الاتحاد الذي هو الصحيح وقول الجمهور فقد جمع بان
موسي كان حالة العروج في السادسة وابراهيم في السابعة

علي ظاهر حديث مالك بن صعصعة وعند الهبوط كان موسى في
السابعة بان يكون صعد معه او بعده لاجل المراجعة لاجل المراجعة في
اصل الصلاة لانه لم يذكر في القصة ان ابراهيم كلمه في شي مما
يتعلق بما فرض على امته من الصلاة لكن لا يلزم من عدم الكلام ان يكون
في السادسة حين الرجوع الذي هو تمام الجمع بين الروايتين اذ تركه
وان كان في السابعة كان لان الخليل شانه التسليم لخليله كما كلمه موسى
عليه السلام وجزاه عنا خيرا ام السما السابعة اولى شي انتهى
اليه حالة الهبوط بما هو اعلى منها فناسب ان يكون موسى بها
لانه هو الذي خاطبه في ذلك اي امر الصلاة كما ثبت في جميع الروايات
لان شان الكليم التكلم ولا باس بهذا الجمع لكن قد علمت ان تمامه بوجوده
ابراهيم حين رجع في السادسة وان تعليلية بعدم تكلمه في الصلاة لا
ينهض بل قد يخدش فيه قوله في حديث انس عند ابن ابي حاتم ثم انجلت
عنه السحابة واخذ بيده فانصرف سريعا فاتى ابراهيم فلم يقل شيئا فظاهر
هذا الامر على ابراهيم قبل موسى ويحتمل في الجمع ايضا ان يكون لقي
موسى في السادسة فلما صعد معه الى السابعة تفضيلا له
على غيره من اجل كلام الله تعالى وظهرت فائدة ذلك في كلامه مع
نبينا فيما يتعلق بامر امته في الصلاة وهو قريب من الاحتمال
قبله ولم يعرج في هذا ايضا على رواية وابراهيم في السادسة قال في
فتح الباري وقد كان النووي اشار الى شي من ذلك مع جمع الكرماني
في كتاب الصلاة بان رأى ابراهيم في السادسة ثم ارتقى ابراهيم الى
السابعة ليراه في مكانين تعظيما له وتبعه شيخ الاسلام زكريا وهو
عندي اولى من الاحتمالين وفي رواية شريك عن انس في قصة موسى
تلو قوله بتفضيل كلام الله فقال موسى رب لم اظن فيما مضى احد يرفع
علي لا في الماضي ولا في المستقبل وقوله ولفظ الصحيح لم اظن ان يرفع
علي احد قال المصنف بضم التحتية وفتح الفا ولابي ذر عن الحموي والمستملي
ان ترفع علي احد بالنصب وفتح الفوقية قال ابن بطال فهم موسى
عليه السلام من اختصاصه بكلام الله له تعالى في الدنيا دون
غيره من البشر لقوله تعالى تعليل لفهم اختصاصه اني اصطفيتك
على الناس برسالاتي وبكلامي ان المراد بالناس هنا البشر كلهم
من في زمنه ومن تقدمه ومن تاخر وانه استحق بذلك ان لا يرفع
عليه احد فلما فضل الله محمدا عليه السلام بما اعطاه من المقام
المحمود ارتفع على موسى وغيره بذلك فكان المراد بالناس ناس
زمانه لا جميع البشر وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي وغيره قال
موسى يزعم بنو اسرائيل اني اكرم الخلق على الله وهذا اكرم على
الله مني واخرج البزار والبيهقي وغيرهما من حديث ابي هريرة قال

موسى

موسى تزعم بنو اسرائيل اني اكرم بني ادم على الله وهذا رجل من بني
ادم خلفني في دنيا وانا في اخرى فلو انه بنفسه لم ابال ولكن مع كل
نبي امته زاد سعيد بن ابان بن سعيد بن العاصي بن امية الاموي
بفتح الهمزة على غير قياس وضمها على القياس وهو الاشهر عندهم كما في
المصباح نسبة لجده الاعلى امية بن عبد شمس بن عبد مناف وجزم الجوهري
بالفتح ثم قال وربما ضموا في روايته لحديث المعراج في مغازيه ولو كان
هذا وحده لهان علي ولكن معه امته وهم افضل الامم عند الله
ومعلوم ان هذا من الغبطة لا الحسد معاذ الله وفي حديث مالك
ابن صعصعة ولما جاوزته يعني موسى بكى فنودي لفظ الحديث
كما مر فلما تجاوزت بكى فقيل له ما يبكيك وكذا هو لفظ البخاري في المعراج
وبدء الخلق وكذا لفظ مسلم وغيره ما يبكيك قال ابن ابي جمرة الظاهر
ان قائل ذلك له الباري تبارك وتعالى يدل على هذا قوله في الجواب
رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخل
من امتي وفي رواية ابي عبيدة عن عبد الله بن مسعود عن ابيه انه
مر بموسى عليه السلام يرفع صوته فيقول اكرمته وفضلته فقال جبريل
هذا موسى قلت من يعاتب قال يعاتب ربه قلت ويرفع صوته على ربه
قال ان الله قد عرف له حدته قال العلما ولم يكن بكى موسى حسدا
معاذ الله مفعول مطلق حذف عامله اي اعوذ اعوذا او اعتصم بالله معاذا من
توهم ان بكاه حسدا فان الحسد في ذلك العالم منزوع من احاد
المؤمنين فكيف من اصطفاه الله تعالى بل كان اسفا على ما فاته
من الاجر الذي يترتب عليه رفع الدرجات له بسبب ما وقع من
امته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص اجورهم المستلزمة
لتنقيص اجره ان لكل نبي مثل اجر كل من تبعه من غير ان ينقص من
اجورهم شي ولهذا كان من اتبعه في العدد دون من اتبع نبينا
صلى الله عليه وسلم مع طول مدتهم بالنسبة لمدة هذه الامة وقال
العارف ابن ابي جمرة قد جعل الله تعالى في قلوب انبيائه عليهم السلام
الرافة والرحمة لامتهم وركبهم اي ركب بنيتهم في اصل خلقتهم يبكون
على ذكر حتى كانهم خلقوا من الرافة والرحمة وقد بكى نبينا فقيل له
ما يبكيك روى الشيخان عن اسامة ارسلت بنت النبي صلى الله عليه وسلم
ان ابني قد احتضر فاشهدنا فارسل يقرئ السلام ويقول ان لله ما اخذ
وله ما اعطى وكل شي عنده باجل مسمى فلتصبر ولتحتسب فارسلت
اليه تقسم عليه لياتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وابي
ابن كعب وزيد بن ثابت ورجال فدفع اليه الصبي فاقعده في حجره
ونفسه تتقعقع ففاضت عيناه فقال سعد يا رسول الله ما هذا قال
هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحما

روي بالنصب مفعول يرحم علي ان ما في انما كافة اوادا ة حصر وبالرفع
خبران علي انها موصولة بمعني الذين والرحما جمع رحيم من صيغ المبالغة
فمقتضاه ان رحمة الله تختص بالمتصف بالرحمة الكاملة بخلاف من فيه
رحمة ما لكن قضية خبر ابي داود الراحمون يرحمهم الله شموله له ورجح
وانما بولغ في الاول لان ذكر الجلالة دال علي العظمة فناسب فيه التعظيم
والمبالغة وقال شيخنا لعل مراد الحديث انه يرحم كثير الرحمة رحمة تامة
بحيث تمنع من قامت به من العذاب فلا يرد انه يرحم الكافر بتخفيف
العذاب عنه وبتاخيره في سعة عيش وصحة وغيرهما الي وقت قبض
روحه وقد يخفف عنه عذاب غير الكفر والانبيا عليهم السلام قد
قد اخذوا في من رحمة الله اوفر نصيب فكانت الرحمة في
قلوبهم لعباد الله اكثر من غيرهم من الخلق فلاجل ما كان بموسي
عليه السلام من الرحمة واللطف بكي اذ ذاك منه رحمة لامته
لان هذا وقت افضال وكرم وجود فرجا حصول ما يتمناه من
الثواب لامته فقال لعل ان يكون والرجا يستعمل بمعني التمني والخوف
لان الراجي يخاف ان لا يدرك ما يترجاه وقت التنزل والافضال
اي الزيادة من النعم والخير علي العبادة فيرحم الله امته ببركة
الساعة لان الله او تاد يتجلي فيها بالرحمة علي العباد فلا يرد فيها
سايلا ولا يمنع راجيا فان قال قايل كيف هذا الواقع من موسي
وامته لا تخلوا من قسمين جملة حالية مقررة للاشكال قسم مات
علي الايمان وقسم مات علي الكفر فالذي مات علي الايمان لا بد
له من دخول الجنة وان كثر عصيانه في الدنيا والذي مات علي
الكفر لا يدخل الجنة ابدا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشا فبكاوه لاجل ما ذكر لا يسوغ لان الحكم فيهم قد مر ونفذ
عطف تفسير قيل في الجواب ان الله قد قدره علي قسمين فقدر قدرا
قدر ان لا ينفذ اي لا يوجد خارجا ولكن يكون رفعه بسبب دعا او
صدقة او غير ذلك مما علق عليه في الازل وحصل ذلك المعلق عليه
فلاجل ما ركب في موسي السلام من اللطف والرحمة بالامة طمع
في ذلك وقال فلاجل ما اتفق لامته لعل ما اتفق لامته من القدر
الذي قدره الله تعالي وقدر ارتفاعه بسبب الدعا والتضرع
اليه وهذا وقت يرجي فيه التعطف والاحسان من الله تعالي
لانه وقت اسري فيه بالحبيب الكريم ليخلع عليه خلع بكسر
ففتح جمع خلعة بزنة سدرة وسدر التقرب والفضل العميم فطمع
الكليم لعل ان يلحق لامته نصيبا من هذا الخير العظيم وقد بينا
صلي الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا اي تصدوا او من التعرض وهو
الميل الي الشي من احدجوانبه لنفحات الله اي اسلكوا طرقها حتي تصير

عادة وطبيعة وسجية وتعاطوا اسبابها وهو فعل الاوامر وتجنب المناهي
رجا ان تهب من رياح رحمته نفحة تسعد بها ابدا والمعني تعرضوا لها بطلبكم منه
قال الصوفية التعرض للنفحات الترغب لورودها بدوام اليقظة والانتباه
من سنة الغفلة حتي اذا مرت نزلت بفنا القلوب قال بعضهم ومقصود الحديث
ان الله فيوضا ومواهب تبدو لوامعها من ابواب خزاين الكرم والمنن في بعض
الاوقات فتصب غوريتها ومقدماتها كالانموذج لما وراءها من مدد الرحمة
فمن تعرض لها مع الطهارة الظاهرة والباطنة بجمع همة وحضور قلب
حصل له منها في دفعة واحدة ما يزيد علي النعم الدارة في الازمنة الطويلة
علي طول الاعمار فان خزاين الثواب عقدا ر علي طريق الجزا وخزاين المنن النفحة
منها تفوق فيما يعطي علي الجزا لتعدد ا ر ووقت معلوم ووقت النفحة مبهم في
الازمنة والساعات ليداوم علي الطلب بالسوال كما في ليلة القدر وساعة
الجمعة فقصد ان يكونوا متعرضين له في كل الاوقات قياما وقعودا وعلي جنوبهم
وفي وقت التصرف في اشغال الدنيا فانه اذا دام او شك ان يوافق الوقت
الذي يفتح فيه فيسعد بسعادة الابد فقال صلي الله عليه وسلم اطلبوا الخير
دهركم كله وتعرضوا لنفحات رحمة الله فان لله نفحات تصيب من يشا
من عباده الحديث اخرجه البيهقي من حديث انس وابي هريرة وهذه
نفحة من النفحات عطية من العطيات قال المصباح النفحة العطية
وقيل مبدا شي قليل من كثير وفي الصحاح نفح الطيب فاح ونفحت الريح
هبت فتعرض لها موسي فكان امرا قد قدر والاسباب لا تقدر الا
بما سبقت القدرة انفاذه تؤثر من تعليقه علي سبب ووقوعه
وما كان قضا نافذا لا يؤثر فيه والاسباب لانه حتم
قد لزم ومثال ذلك دعا النبي صلي الله عليه وسلم لامته ان لا يظهر
عليهم عدو من غيرهم وان لا يهلكهم بالسنين فاعطيها وان لا يجعل
باسهم بينهم فمنعها فاستجيب له في الاثنين دون الثالثة وقيل
له هذا امر قدرته اي انفذته فكانت الاثنتان من القدر
الذي قدره الله وقدر ان لا ينفذه بسبب الدعا والثالثة من
من القدر الذي قدره وقدر انفاذه علي كل الاحوال لا يرده راد
وفي حكمة بكايه اي موسي عليه السلام وجه اخر وهو البشارة
وهو ابشارة لنبينا صلي الله عليه وسلم وادخال السرور
عليه وذلك قول موسي عليه السلام الذي هو اكثر الانبيا
اتباعا ان الذين يدخلون الجنة من امة محمد صلي الله
اكثر مما يدخلها من امتي فبكاه حين جاوزه المصطفي وقيل
ان يبعد عنه لاجل ان يسمعه هذه البشارة اذ لو لم يكن لذلك لترك
البكا حين يبعد عنه فلا يسمعه ولم يبك حين كان معه بل رحب به
واثني عليه ودعا له بخير لئلا يتشوش عليه واما قول موسي

كان غلاما ولم يقل غيره ذلك من الصيغ كرجلا او نبيا فاشارة
الي صغر سنه اي المصطفي بالنسبة اليه الي موسي وفي القاموس
الغلام الطار اي النابت الشارب والكهل فيحتمل انه استعمله بمعني
الكهل لاستعماله فيه وفي الكهل وقال الخطابي العرب تسمي الرجل
المستجمع السن اي البالغ مبلغ الرجال بان بلغ اشده واستوت لحيته
غلاما ما دامت فيه من القوة والكهولة اشارة الي مدحه بقوة
الشاب مع انه كهل وقال ابن ابي جمرة العرب انما يطلقون علي
المرء غلاما اذا كان سيدا فيهم فلاجل ما في هذه اللفظة من الاختصاص
علي غيره من الفاظ الافضلية ذكره موسي دون غيره تعظيما للنبي
صلي الله عليه وسلم قال في فتح الباري ويظهر لي ان موسي عليه
السلام اشار الي ما انعم الله به علي نبينا عليه السلام من
استمرار القوة في الكهولة الي ان دخل في سن الشيخوخة
ولم يدخل علي بدنه هرم ولا اعتراه في قوته نقص
وهذا غير كلام الخطابي لانه قال بقية من القوة وهذا اصرح ببقا
قوته كلها حتي ان الناس في قدومه المدينة لما راوه مردفا
ابا بكر علي راحلته وان كان له راحلة اكرامه او علي راحلة اخري
قال تعالي بالف من الملايكة مردفين اي يتلو بعضهم بعضا قاله
الداودي ورجح ابن التين الاول وقال لا يصح الثاني لانه لا يلزم
يلزم منه ان يمشي ابو بكر بين يديه صلي الله عليه وسلم ورده
الحافظ بانه انما يلزم ذلك لو جا الخبر بالعكس فاما ولفظه وهو مردف ابا
بكر فلا وفي البخاري من وجه اخر عن انس فكاني انظر الي النبي صلي الله
عليه وسلم علي راحلته وابو بكر ردفه اطلقوا عليه اسم الشاب
وعلي ابي بكر اسم الشيخ قال انس اقبل صلي الله عليه وسلم الي
المدينة وهو مردف ابا بكر وابو بكر شيخ يعرف والنبي صلي الله عليه
وسلم شاب لا يعرف الحديث في البخاري مع كونه عليه السلام في
العمر اسن من ابي بكر بازيد من عامين لانه استكمل بعدة خلافته
عمر المصطفي والله اعلم انتهي وقد ذكرت ذلك ان حديث انس
المذكور في الهجرة من المقصد الاول قال الحافظ وقد
وقع من موسي في هذه القصة من مراعات جانب النبي صلي الله
عليه وسلم انه امسك عن جميع ما وقع له حتي فارقه النبي ادبا معه
وحسن عشرة فلما فارقه بكي وقال ما قال انتهي وقد وقع في حديث
ابي هريرة عند الطبري محمد ابن جرير في ذكر ابراهيم
فاذا هو برجل اشمط اي ابيض الراس يخالط سواده جالس
عند باب الجنة علي كرسي وفي حديث ابي سعيد فاذا بابراهيم
خليل الرحمن مسند ظهره الي البيت المعمور كاحسن الرجال وفي رواية

مسلم

مسلم من حديث ثابت البناني عن انس ثم عرج بالبنا للفاعل
وضميره بنا للمصطفي وجبريل ويجوز بناوه للمفعول الي
السما السابعة فاذا ابراهيم مسند ظهره الي البيت المعمور
قال ابو عبيدة معني المعمور الكثير الغاشية ويقال له الضراح بضم
المعجمة واهمالها غلط بين كما في ربيع الابرار سمي به لانه ضرح عن الارض
اي بعد قال الحافظ فيه جواز الاستناد الي القبلة بالظهر وبغيره
لان البيت المعمور كالكعبة في انه قبلة من كل جهة وقد اسند ابراهيم
ظهره اليه انتهي وقال التلمساني قيل فيه دلالة علي ان الافضل في
غير الصلاة اسناد الظهر للقبلة وقيل الافضل استقبالها ولعل
ابراهيم اسند ظهره ليتوجه للمصطفي ويخاطبه انتهي وقد يقال انما دل
علي الجواز لا علي انه افضل كيف وفي الحديث افضل المجالس اي اشرف
المجالس ما استقبل به القبلة رواه الطبراني واذا هو يدخله كل يوم
سبعون الف ملك للعبادة ثم لا يعودون اليه لانه حجه مرة كفرض
الحج علينا او لاشتغال غير دخوله هذا ما في مسلم وزاد ابن اسحق
من حديث ابي سعيد الي يوم القيامة هكذا بينه في الفتح فاوهم
قوله الي يوم القيامة من انه في رواية مسلم خطا نشا عن سقط
ووقعت هذه الزيادة عند البخاري في بدء الخلق مضمومة الي رواية
قتادة عن انس عن مالك بن صعصعة بلفظ اذا خرجوا لم يعودوا
اخرما عليهم وهي مدرجة من رواية قتادة عن الحسن عن ابي
هريرة كما بينه في الفتح واليه اشار البخاري وقد قدمته واخر
روي بالرفع بتقدير ذلك اخر والنصب علي الظرفية والرفع اجود قال
الحافظ واستدل به علي ان الملايكة اكثر المخلوقات لانه لا يعرف من
جميع العوالم من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعون الفا غير ما ثبت
من الملايكة في هذا الخبر انتهي وبابن مزيد لهذا اي المصنف وسيل
علي عنه فقال بيت في السما السابعة بحيال البيت حرمته كحرمة هذا
في الارض يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه اخرجه
ابن راهويه وحكمه الرفع اذ لا يقال راي وفيه اي حديث ثابت
المذكور عن انس ثم عرج بنا الي السما الثالثة فذكر مثل الاول
ففتح لنا فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن
اي نصفه والناس كلهم بعده مشتركا في النصف الاخر فهذا ظاهره
بمادي الراي لكن الحقيقة والمراد منه انه اوتي شطر الحسن الذي اوتيه
المصطفي جملته قاله ابن المنير وقال بعض شراح المصابيح المراد بالشطر
البعض لان الشطر كما يراد به نصف الشي قد يراد به بعضه مطلقا
قال الطيبي وقد يراد به الجهة ايضا نحو فول وجهك شطر المسجد
الحرام اي جهة من الحسن ومسحة منه كما يقال علي وجهه ملك

مسحة ملك ومسحة جمال اي اثر ظاهر ولا ينال ذلك الا في المدح
وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي وابي هريرة عند الطبراني
ومحمد بن جرير واذا انا برجل يعني يوسف احسن ما خلق الله قد
فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر اربعة عشر وهو
اعلاما يكون البدر على ساير الكواكب وهذا ظاهره ان يوسف
عليه السلام كان احسن من جميع الناس لكن هذا الظاهر ليس
بمراد اذ لا نزاع ان المصطفى احسن منه وقد صح وفي الترمذي من
حديث انس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت
وكان نبيكم احسنهم وجها واحسنهم صوتا فصرح بانه احسن من
يوسف وغيره فعلى هذا يحمل حديث المعراج المذكور من حديث
ابي سعيد وابي هريرة على ان المراد غير النبي صلى الله عليه
وسلم فلا تنافي بينه وبين حديث انس المذكور ويؤيده
قول من قال من اهل الاصول ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه
وحمل ابن المنير حديث الباب المروي في مسلم على ان المراد
ان يوسف اعطي شطر الحسن الذي اوتيه نبينا اي او نحو
به جملته كما عبر به المنير قايلا والنبي صلى الله عليه وسلم قد بلغ
الغاية ويوسف عليه السلام بلغ نصفها قال ويحقق هذا حديث
ما بعث الله نبيا فذكره او المراد به البعض او الجهة كما مر عن الطيبي
وغيره واما قوله في الحديث عن ادريس ثم قال مرحبا بالنبي
الصالح والاخ الصالح فسماه بالاخ مع انه جد له اعلا لان ادريس
ابن بارد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم
فكان قياسه ان يقول بالابن كما قال ابراهيم وادم فيحمل على
اخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد فلا اشكال
في خطابه له بالاخوة لانه كما هو والده نسبا اخوه في النبوة والاسلام
وعدل لها خوة تلطفا وتادبا وقال ابن المنير وفي طريق
شاذة مرحبا بالابن الصالح هكذا ذكره في الفوايد من
معراجه وقال قبل ذلك في اوايله اكثر الطرق على انه خاطبه بالاخ قال
لي ابن ابي الفضل صحت لي طريق انه خاطبه بالابن الصالح انتهى
وكانه يعني مراده او لا فالشاذ ما خالف فيه الثقة غيره وهذه هي
القياس وان قال بعضهم في صحتها نظر لانه جده الاعلى اذ هو
سبط شيث كما علم وجد ابي نوح بن لمك بفتح اللام واسكان الميم
وكان ابن متوشلخ بفتح الميم وشد الفوقية المضمومة وسكون الواو
وفتح المعجمة واللام اخره معجمة ابن خنوخ وهو ادريس سمي به لكثرة درسه
للصحف على انه عربي مشتق من الدراسة وقيل سرياني وقيل ان ادريس
الذي لقيه ليس هو الجد المشهور ولكن الياس بن يس سبط هارون

اخي

اخي موسى بعث بعده ويسمى ادريس ايضا لانه قري بادريس وادراس
مكان الياس وفي البخاري يذكر عن ابن مسعود وابن عباس ان ادريس
هو الياس واختار هذا القول ابن العربي وتلميذه السهيلي لحديث
المعراج حيث سماه اخا فان كان كذلك ارتفع الاشكال وان كان هو الجد
الاعلى فيحمل على اخوة النبوة والاسلام لانها تجمع الوالد والولد وانما خص
ابراهيم ونوح وادم بالابوة لعرف خاص فيهم كما يشتهر الانسان باحد
اجداده دون من سواه من الاعلين والادنين كاشتهار محمد بن ادريس
بالشافعي نسبة الى احد اجداده شافع وهكذا اسما كلها يشتهر واحد من
طبقة الاجداد فتنسب اليه الاولاد دون من فوقه وتحته هذا بقية كلام
ابن المنير فان قلت كان هولا الانبيا الثمانية المذكورون في حديث
مالك بن صعصعة ادم فيحيى وعيسى فيوسف فادريس فهرون فموسى
فابراهيم عليهم السلام في السموات دون غيرهم من الانبيا لعل المراد
انه انما وجد هولا دون غيرهم في السموات والاظهر كونه مر على هولا لا يلزم
منه ان لا يكون فيها غيرهم ولم يات نص بنفي كون غيرهم فيها وما وجه
اختصاص كل واحد بسما تخصه ولم كان في السما الثانية بخصوصها
اثنان يحيى وعيسى اجيب عن الاقتصار على هولا دون غيرهم من
الانبيا بانهم امروا بملاقاة نبينا صلى الله عليه وسلم فمنهم من ادركه
من اول وهلة ومنهم من تاخر فلحقه ومنهم من فاته على عرف الناس
اذا تلقوا الغايب مبتدرين للقايه فلا بد غالبا ان يسبق بعضهم بعضا
ويصادف بعضهم اللقا ولا يصادف بعضهم والى هذا اشار ابن بطال فقال
السهيلي فلم يصنع شيا انتهى لكن هذا الجواب لا يطابق سوال المصنف الا
بتقدير مضاف اي لم كان انتظار هولا لملاقات النبي في السموات فحذف
المضاف لفهمه من الجواب وفي فتح الباري اختلف في حكمة اختصاص كل منهم
بالسما التي التقاه بها فقيل ليظهر تفاضلهم في الدرجات وقيل بمناسبة
تتعلق بالحكمة في الاقتصار على هولا دون غيرهم من الانبيا فقيل امروا
بملاقاته فمنهم من ادركه من اول وهلة ومنهم من تاخر فلحق ومنهم من
فاته وهذا زيفه السهيلي فاصاب انتهى فلو اتى المصنف بهذا لكان
انفع بما ذكره واسلم من الايراد وقيل الحكمة في الاقتصار على المذكورين
اشارة الى ما سيقع له صلى الله عليه وسلم مع قومه من نظير ما
وقع لكل منهم ووجه الاشارة ان رويته لصورهم كالفال فتفسر روية
كل واحد بما يشبه ما وقع له فهو تنبيه على الحالات الخاصة بهم وتمثيل بما
سيقع للمصطفى بما اتفق لهم مما قصه الله عنهم في كتابه والنبي صلى الله
عليه وسلم كان يحب الفال الحسن ويستدل به على حسن العاقبة وبالضد من
ذلك والفال في اليقظة نظير الرويا في المنام واهل التعبير يقولون من راى
شيا من الانبيا بعينه في المنام فان روياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبي

من شدة او رخا او غير ذلك من الامور التي اخبر بها عن الانبيا في القران
والحديث اشار الي هذا ابن المنير وغيره فاما ادم عليه السلام فوقع التنبيه
بما وقع له من الخروج من الجنة التي كان فيها في امن الله وجواره الي الارض
بما سيقع لنبينا صلي الله عليه وسلم من الهجرة من مكة وهي حرم الله
وبيته وامنه وقطانها جيران الله لان فيها بيته الي المدينة والجامع
بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة ما الفه من فراق الوطن
ثم كان عاقبة كل واحد منهما ان يرجع الي وطنه فادم رجع الي السما
بعد ان اهبط منها والمصطفي رجع الي مكة للفتح وصارت في يده الذي
خرج منه هذا معني كلام السهيلي وزاد تلميذه ابن دحية وتبعه ابن
المنير ان فيه تنبيها علي انه يقوم مقامه في مبدا الهجرة لان مقام ادم التهيئة
والنشاة وعمارة الدنيا باولاده وكذا كان مقام المصطفي اول سنة من الهجرة
مقام تنشية الاسلام وتربية اهله واتخاذ الانصار لعمارة الارض
كلها بهذا الدين الذي اظهره الله علي الدين كله وزوي الارض لنبيه حتي
اراه مشارقها ومغاربها وقال صلي الله عليه وسلم وليبلغن ملك امتي ما
زوي لي منها واتفق ذلك في زمن هشام بن عبد الملك جبي اليه خراج
الارض شرقا وغربا وكان اذا نشات سحابة يقول لها امطري حيث شئت
فسيحمل الي خراجك وبعيسي ويحيي ما وقع له اول الهجرة وهي ثاني
حالة والاولي بمكة من عداوة اليهود وتماديهم بالدال اي استمرارهم
وفي نسخ تماليهم باللام اي تعاونهم واجتماعهم علي النبي عليه وارادتهم
وصول السوء اليه وهذا لفظ الفتح قائلا انه لخصه من السهيلي وهو
محتاج لبيان ولفظ السهيلي واضح واحوج راي في الثانية عيسي ويحيي
وهما الممتحنان باليهود اما عيسي فكذبته اليهود واذوه وهموا بقتله
فرفعه الله واما يحيي فقتلوه ورسول الله صلي الله عليه وسلم بعد
انتقاله الي المدينة صار الي حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته
فيها باليهود اذوه وظاهروا عليه وهموا بالقا الصخرة عليه ليقتلوه
فنجاه الله كما نجي عيسي ثم سموه في الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتي
قطعت ابهره وقال ابن دحية كانت حالة عيسي ومقامه معالجة بني
اسرايل الصبر علي معالجة اليهود وحيلهم ومكرهم وطلب عيسي الانتصار
عليهم بقوله من انصاري الي الله اي مع الله قال الحواريون نحن انصار الله
فهذه كانت حالة نبينا صلي الله عليه وسلم في السنة الثانية من الهجرة
ففيها طلب الحوا الانصار للخروج الي بدر العظمي فاجابوه ونصروه فلقاوه
لعيسي في السما الثانية تنبيه علي سيلقي مثل حاله ومقامه في السنة
الثانية من الهجرة وبيوسف علي ما وقع له مع اخوته علي ما وقع
لنبينا صلي الله عليه وسلم من قريش اقاربه من نصبهم الحرب
له وارادتهم اهلاكه وكانت العاقبة له وقد اشار عليه السلام

الي ذكر يوم الفتح بقوله لقريش بعد الخطبة يا معشر قريش
ما ترون اني فاعل فيكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت
فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب لا عتب عليكم اليوم
خصه بالذكر لانه مظنة التثريب فغيره اولي يغفر الله لكم وهو
ارحم الراحمين اذهبوا انتم الطلقا بضم المهملة وفتح اللام وقاف
جمع طليق قال المصنف في فتح مكة اي الذي اطلقوا فلم يسترقوا
ولم يوسروا والطليق الاسير اذا اطلق فتفسيره هنا بقوله
اي العتقا جمع عتيق بمعني معتوق فيه تجوز لان حقيقة العتيق
من ازيل عنه الرق وهولا لم يسترقوا لكن لما كان المصطفي متمكنا منه
ورفعه عنهم شبههم بمن ازيل عنه الرق واطلق عليهم اسمه ثم هذا
الذي ذكره المصنف الي قوله اليوم يغفر هو ما ذكر في الفتح انه لخصه
من السهيلي فاما لفظه في الروض فهو واما لقاوه ليوسف في الثالثة
فيوذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف وذلك انه ظفر باخوته بعد
اخراجهم من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم اليوم
الاية وكذا نبينا اسر يوم بدر جملة من اقاربه الذين اخرجوه فيهم
عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من اطلق ومنهم من فدي ثم ظهر عليهم
عام الفتح فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم انتهي وقال
ابن دحية مناسبة لقايه ليوسف في الثالثة ان الثالثة من الهجرة
اتفقت فيها غزوة احد وكانت علي المومنين المسلمين لم يصابوا به
بنازلة قبلها ولا بعدها مثلها فانها كانت وقعة اسف وحزن واهل
التعبير يقولون من راي احدا اسمه يوسف اذن ذلك من حيث الاشتقاق
ومن حيث قصة يوسف باسف يناله قال ابن دحية فان كان يوسف
النبي فالعاقبة حميدة والاخرة خير من الاولي وما اتفق في احد
من المناسبة شيوع قتل المصطفي فناسب ما حصل للمسلمين من الاسف
علي فقد نبيهم ما حصل ليعقوب من الاسف علي يوسف لاعتقاده انه فقد ثم
ان وجد ريحه بعد تطاول الامد ومن المناسبة ايضا بين القصتين
ان يوسف كيد والقي في غيابة الجب حتي انقذه الله علي يد من شا
قال ابن اسحق واكبت الحجارة علي وجهه جبهته صلي الله
عليه وسلم من قريش حتي سقط لجنبه في حفرة كان ابو عامر
الفاسق حفرها مكيدة للمسلمين فاخذ علي بيده صلي الله عليه
وسلم واحتضنه طلحة حتي قام وبادريس علي رفيع منزلته
عند الله تعالي لفظ الروض ثم لقاوه لادريس في الرابعة وهو
المكان الذي سماه الله مكانا عليا وهو اول من خط بالقلم فكان
ذلك موذنا بحالة رابعة وهو علو شانه صلي الله عليه وسلم حتي
اخاف الملوك وكتب اليهم يدعوهم الي طاعته حتي قال ابو سفيان

وهو عند ملك الروم حين جاه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ورأى
ما رأى من حرق هرقل لقد أمر أمر ابن أبي كبشة حتى أصبح يخافه
ملك بني الاصفر وكتب عند يا لتعلم الي الملوك انقلا الي جميع ملوك
الارض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي وملك عمان ومنهم من هادنه
واهدي اليه واتحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من يعصي عليه فاظفره
الله به فهذا مقام علي وخط بالقلم كنحو ما اوتي ادريس انتهي ولا يفهم
من قوله بحالة رابعة وقوع الكتابة الي الملوك في رابعة الهجرة كما
ظن ابن المنير فقال فلعل ذلك صادق السنة الرابعة مطابقا للقا ادريس
في السما الرابعة انتهي فانه سهو عجيب فان كتابته للملوك كان اول
السنة السابعة كما تقدم في المكاتبات ثم قال ابن المنير واختلف هل رفع
ادريس بعد الوفاة او رفع حيا كعيسى وفي المكان العلي هل هو السما
الرابعة او الجنة فان كان هو الجنة فقد شاركه المصطفى بلقائه فيه
فيها وزاد عليه في الارتفاع الي اعلا الجنان وارفع الدرجات
انتهي ملخصا وبهرون اذ رجع قومه الي محبته بعد ان آذوه
ولفظ الروض ولقاوه في الخامسة لهرون المحبب في قومه يوذن
بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه وقال تلميذه ابن دحية
ما قاله هارون من بني اسرايل من الاذى ثم الانتصار عليهم والايقاع
بهم وقصر التوبة منهم على القتل دون غيره من العقوبات المخطة
عنده وذلك ان هرون عندما تركه موسى في بني اسرايل وذهب
للمناجاة تفرقوا على هرون وتحزبوا عليه وداروا حول قتله ونقضوا
العهد واخلفوا الموعد واستضعفوا اخاه به كما حكى الله ذلك عنهم وكانت
الجناية العظمى الصادرة منهم عبادة العجل فلم يقبل الله منهم التوبة
الا بالقتل فقتل في ساعة واحدة سبعون الفا كان نظير ذلك في حقه
صلى الله عليه وسلم ما لقيه في خامسة الهجرة من يهود قريظة والنضير
وقينقاع فانهم نقضوا العهد وحزبوا الاحزاب وجمعوها وحشدوا
وحشروا واظهروا عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وارادوا قتله وذهب
اليهم قبل الوقعة بزمن يستعينهم في دية قتيلين فاظهروا اكرامه
واجلسوه تحت جدار ثم تواعدوا ان يلقوا عليه رحى فنزل جبريل فاخبره
بكيدهم الذي هموا به ومن حينئذ عزم على حربهم وقتلهم ومكن الله
تعالى ذلك وقتل قريظة بتحكيم سعد بن معاذ فقتلوا اشر قتلة
وحاق المكر السي باهله ونظير استضعاف اليهود لهرون
استضعافهم المسلمين في غزوة الخندق وبموسى على ما وقع له
من معالجة قومه وقد اشار الي ذلك عليه الصلاة والسلام
بقوله لما اثر ناسا ليولفهم في قسمة غنايم حنين فقال رجل
والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله فتغير

وجهه

وجهه ثم قال لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر رواه الشيخان
ولفظ السهيلي ولقاوه في السادسة لموسى يوذن بحالة تشبه حالة
موسى حين امر بغزو الشام فظهر على الجبابرة الذين كانوا فيها وادخل
بني اسرايل البلد الذي خرجوا منه بعد اهلاك عدوهم وكذلك غزا
صلى الله عليه وسلم تبوك من ارض الشام وظهر على صاحب دومة الجندل
حتى صالحه على الجزية بعد ان اتي به اسيرا وافتتح مكة ودخل هو و
اصحابه البلد الذي خرجوا منه وقال ابن دحية يوذن لقاوه له في
السادسة بمعالجة قومه فان موسى ابتلي بمعالجة بني اسرايل والصبر
على اذاهم وما عالجه المصطفى في السنة السادسة لم يعالج قبله ولا
بعده مثله فقيها افتتح خيبر وفدك وجميع حصون اليهود وكتب الله
عليهم الجلا وصب عليهم سوط البلا وعالج صلى الله عليه وسلم في هذه السنة
كما عالج موسى من قومه اراد ان يقيم الشريعة في الارض المقدسة وحمل
قومه على ذلك فتقاعدوا عنه وقالوا ان فيها قوما جبارين وانا
لن ندخلها حتى يخرجوا منها وفي الاخر سجلوا بالقنوط انا لن ندخلها
ابدا ما داموا فيها فغضب الله عليهم وحال بينهم وبينها ووافقهم في
التيه وكذلك اراد صلى الله عليه وسلم في السادسة ان يدخل من معه مكة
يقيم بها شريعة الله وسنة رسوله ابراهيم فصدوه فلم يدخلها في
هذا العام فكان لقاوه لموسى تنبيه على التاسي وجميل الاثر في المسلك
ووقع التنبيه بابراهيم المقابلة ووقع التنبيه بابراهيم في
استناده الي البيت المعمور بما ختم الله له صلى الله عليه وسلم
في اخر عمره من اقامة نسك الحج وتعظيم البيت الحرام ولفظ الروض
ثم لقاوه في السابعة لابراهيم بحكمتين احدهما ان البيت المعمور بحيال
الكعبة واليه تحج الملايكة كما ان ابراهيم هو الذي بنى الكعبة واليه تحج
الملايكة كما ان ابراهيم هو الذي بنى الكعبة واذن بالحج اليها والثانية
ان اخر احواله صلى الله عليه وسلم حجه الي البيت الحرام وحج معه ذلك العام
نحو من سبعين الفا ورواية ابراهيم عند اهل التاويل توذن بالحج لانه
الداعي اليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة وقال ابن دحية مناسبة
لقيه لابراهيم في السابعة انه صلى الله عليه وسلم اعتمر عمرة القضا
في السنة السابعة من الهجرة ودخل مكة هو واصحابه ملبين معتمرين
محييا لسنة ابراهيم ومقيما لرسمه الذي كانت الجاهلية اماتت ذكره
وبدلت امره ورويته لابراهيم مسندا ظهره الي البيت المعمور
اشارة الي انه يطوف بالكعبة في السابعة وهي اول دخلة دخل
مكة بعد الهجرة والكعبة في الارض قبالة البيت المعمور قاله
وفي قوله فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الفا لا يرجعون اليه الى
اخر الدهر اشارة الي انه اذا دخل البيت الحرام لا يرجع اليه لانه لم

يدخله بعد الهجرة الا عام الفتح ثم لم يدخله في حجة الوداع واعلم ان
ما ذكره المصنف تبع فيه الحافظ وقال في اخرها هذه مناسبات لطيفة
ابداها السهيلي فاوردتها منقحة ملخصة وقد زاد ابن المنير في ذلك
اشيا اضربت عنها اذ اكثرها في المفاضلة بين الانبيا والاشارة في
هذا المقام عندي اولى من تطويل العبارة انتهى وقال ابن دحية لا باس
بما ذكره هذا الامام يعني شيخه السهيلي لكن يحتاج الى تنبيهات منها اجراوه
بذلك كالتعبير فانه يوهم ان الاسرا كان مناما والصحيح انه يقظة والذي
يرفع الاشكال ان الفال في اليقظة نظير الاحلام بما يدل عليه مناما فعلى
هذا يصح كلامه وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن ويستدل
به على حسن العاقبة وبالصفة من ذلك ومنها انه لم يذكر للمستوى ولا لما
بعده تنظيرا اما لتعذر استنباط المناسبة او لانقطاع الفكرة دون
ذلك انتهى او لان الاولى ترك ذلك كما افصح به السهيلي نفسه عقب ذكر
المناسبات اذ قال وكان الحزم ترك التكلف لتاويل ما لم يرد فيه نص
عن السلف ولكن عارض هذا ما يجب من التفكر في حكم الله وتدبر اياته
قال ولولا مسارعة الناس الى انكار ما جهلوه وغلظ الطباع عن فهم
كثير من الحكمة لابدينا من سر هذا السوال اكثر مما كشفنا واجاب العارف
ابن ابي جمرة عن وجه اختصاص كل واحد منهما بما الذي
هو ثابت في اسئلة المصنف وفيه جواب الثالث وهو لم كان في الثانية
بخصوصهما اثنان بان الحكمة في كون ادم في السما الدنيا لانه
اول الانبيا واول الابا فناسب مقام الاولية وهو الاصل فكان
الاول في الاولى ولاجل تانيس البنوة بالابوة في سما العالم
العلوي واما عيسى فانما كان في الثانية لانه اقرب الانبيا
من حيث الزمن الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه لولا هو لتمت
شريعة عيسى عليه السلام الا بشريعة سيدنا محمد ولانه ينزل
في اخر الزمان في امة محمد صلى الله عليه وسلم على شريعته
ويحكم بها ووجه جعل هذا الحكمة كونه في الثانية ان عيسى لما
شابه المصطفى في ثاني احواله وهي حكمه بشريعته وكونه واحدا من امته
ناسب ان يكون في السما الثانية واول احوال عيسى كونه رسولا الى بني
اسرايل وهذا المذكور من الحكم الثلاث قال عليه السلام في الصحيح
وغيرها ان اولى الناس اي اخصهم بعيسى بن مريم واقربهم
اليه لانه بشر بانه ياتي من بعده فالاولية هنا من جهة قرب العهد كما
انه اولى الناس بابراهيم لانه ابوه ودعا به واشبه الناس به خلقا
وملة وبين وجه الاولية بقوله في بقية الحديث ليس بيني وبينه نبي
لانه قال لانه ليس الى اخره وضعف هذا الحديث ما ورد ان جرجيس
وخالد بن سنان كانا نبيين بعد عيسى لان في اسنادهما مقالا وهذا

صحيح بلا شك الان يجاب بانهما بعثا بتقرير شريعة عيسى لا بشريعة
مستقلة ذكره الحافظ وغيره فكان في الثانية لاجل هذا المعنى وفي
فتح الصفا لانه خلق ثان كخلق ادم ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم وانما كان
يحيى عليه السلام معه هناك لانه ابن خالته وهما كالشي الواحد
فلاجل التزام احدهما بالاخر كانا هناك معا ادق من هذا قول
ابن كثير المنير السرعي ذكر ان عيسى لم يلقه بعد موته لرفعه حيا صيانة
له وذخيرة الى وقت عوده الى الارض قايما بشرع المصطفى غير مجدد
شرعا فهو في حكم الاحيا ومقامه في السما ليبين على معنى السكنى الدايمة
بخلاف غيره من الانبيا ويحيى هو المقيم في السما اسوة غيره من الانبيا واختص
مقامه عند عيسى لانهما ابنا الخالة وكانا لدة نبي وكانت ام يحيى تقول لام
عيسى وهما حاملتان اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك اي سجود
تحية فكان بينهما اتحاد منذ كانا فلما عرض لعيسى الصعود الى السما جعل
عند يحيى وانما كان يوسف عليه السلام في السما الثالثة لانه
على حسنه تدخل امة النبي صلى الله عليه وسلم الجنة وهي ثالث
دورها الدنيا فالبرزخ فالجنة فناسب كونه في الثالثة فاري له هناك
لكي يكون ذلك بشارة له عليه السلام فيسر بذلك وفي فتح الصفا
ويوسف في الثالثة باعتبار ان حمله على جزا بين كان مرتبة ثالثة له
لانه بعد خروجه من السجن وذلك بعد رفعه من السجن وانما كان ادريس
في السما الرابعة لانه هناك توفي ولم تكن له تربة في الارض على
ما ذكر عن كعب الاحبار ان الملك الموكل بالشمس كان صديقا لادريس فسال
ان يريه الجنة فاذن الله له في ذلك فرفعه فلما كان في السما الرابعة
راه ملك الموت فعجب وقال امرت ان اقبض روحه في السما الرابعة فقبض
قال السهيلي ويكون رفعه حيا الى ذلك المقام خاصا به قال تعالى ورفعناه
مكانا عليا فلا ينافي رويته ابراهيم وموسى في مكان اعلى منه ومر عن
الحافظ ان هذا من الاسرايليات والله اعلم بصحته وان رفعه وهو حي لم يثبت
من طريق مرفوعة قوية وقال ابن المنير اختلف في ادريس هل رفع الى
السما بعد موته كغيره من الانبيا او رفع حيا وهو الى الان حي كعيسى وجا في
القصص ان ادريس احبته الملايكة لكثرة عبادته فسال ملك الموت
ان يذيقه الموت ليهون عليه فاذاقه ثم حيي فساله ان يورده النار ليزداد
رهبة فاوردها ثم اخرج فساله ان يدخل الجنة ليزداد رغبة فادخلها فقيل
له اخرج فقال يا رب اني ذقت الموت ووردت النار ودخلت الجنة وقد
وعدت ان من دخلها على ذلك لا يخرج منها ابدا فاوحى الله الى الخازن
ان دعه فباذني فعل ما فعل فبقي في الجنة في السما الرابعة على هذا
الوجه انتهى فتامله وانما كان هارون عليه السلام في السما الخامسة
لانه ملازم لموسى عليه السلام لاجل انه اخوه ووزيره وخليفته

في قومه لما ذهب الي المناجاة فكان هناك لاجل هذا المعني فاما لم
يكن مع موسي في السما السادسة لان لموسي مزية وحرمة وهي
كونه كليما واختص باشيا لم تكن لهارون فلاجل هذا المعني لم يكن
معه تكرار لزيادة البيان وانما كان موسي في السما السادسة لاجل
ما اختص به من الفضايل وانه الكليم وهو اكثر الانبيا اتباعا بعد
نبينا صلي الله عليه وسلم فكان فيها للاشعار بالقرب وانما كان
ابراهيم عليه الصلاة والسلام في السابعة لانه الخليل والاب
الاخير للمصطفي فناسب ان يتجدد للنبي عليه السلام بلقيه انس
لتوجهه بعده الي عالم اخر وهو اختراق الحجب كما انس بابيه ادم في
اول عالم السموات ثم في وسطها بابيه ادريس لان الرابعة من السبع
وسط معتدل وايضا لانه الخليل ولا احد افضل من الخليل الا
الحبيب والحبيب ها هو قد علا ذلك المقام فكان الخليل فوق الكل
لاجل خلته وفضله وارتفع الحبيب فوق الكل لاجل ما اختص به
مما زاد عليهم وما احسن اختصار الحافظ لهذا بقوله وايضا فمنزلة
الخليل تقتضي ان يكون ارفع المنازل ومنزلة الحبيب ارفع من منزلته فلذلك
ارتفع عن منزلة ابراهيم الي قاب قوسين او ادني قال الله تعالي تلك مبتدا
الرسل صفة والخبر فضلنا بعضهم علي بعض بتخصيصه بمنقبة
ليس لغيره منهم من كلم الله كموسي ورفع بعضهم فوق بعض اي محمدا
درجات علي غيره بعموم الدعوة وختم النبوة به وتفضيل امته علي ساير
الامم والمعجزات المتكاثرة والخصايص العديدة فحصل له الكمال
والدرجة الرفيعة وهي درجة الرسالة والنبوة ورفع وايضه
فوق بعض بمقتضي الحكمة الالهية ترفيعا للمرفوع دون تنقيص
بالمنزول وفي نسخة للمنزول بلام بدل الموحدة اي النازل عن غيره
في الفضل انتهي قلنا ملخصا وقد اختلف في صفة روية نبينا صلي
الله عليه وسلم لهولا الانبيا عليهم السلام في السموات وبهم
ولغيرهم في بيت المقدس مع ان اجسادهم مستقرة في قبورهم بالارض
فحمله بعضهم علي روية ارواحهم متشكلة بصور اجسادهم الا عيسي
لما ثبت انه رفع بجسده سوا قلنا رفع حيا عند اكثر الاكثرين
او بعد ان توفي علي ظاهر قوله اني متوفيك للاتفاق علي رفعه بجسده
وقد قيل في ادريس ايضا ذلك اي رفع بجسده حيا ثم مات ام لا
علي قوله تقدم ما واما الذين صلوا معه في بيت المقدس فيحتمل
الارواح خاصة دون الاجساد ويويده حديث ابي هريرة عند الحاكم
والبيهقي فلقي ارواح الانبيا وفيه دليل علي تشكل الارواح بصور
اجسادها في عالم الله ويحتمل الاجساد بارواحها بان يكون اسري
باجسادها من قبورهم لملاقاة النبي صلي الله عليه وسلم تلك الليلة تشريفا

له

له وتكريما ويويده حديث انس عند البيهقي وبعث له ادم فمن دونه
من الانبيا فامهم وعند البزار والطبراني فنشر لي الانبيا من سمي الله
تعالي ومن لم يسم فصليت بهم قال الحافظ ولختاره بعض شيوخنا واحتج
بما في مسلم مرفوعا رايت موسي ليلة اسري بي قايما يصلي في قبره فدل
علي انه اسري به لما مر بعقلت وليس ذلك بلازم بل يجوز ان لروحه اتصالا
بجسده في الارض ولذلك تمكن من الصلاة فيها وروحه مستقرة في السما
وقيل اي قال ابن ابي جمرة رويته لهولا الانبيا يحتمل وجوها احدها
انه يحتمل ان يكون عليه السلام عاين كل واحد منهم في قبره في الارض
علي الصورة التي اخبر بها من الموضع الذي ذكر انه عاينه فيه فيه عز
وجل فيكون الله قد اعطاه اي فيكون الله عز وجل قد اعطاه ذلك
لكن خدش بعده فاذا فيها ادم الخ لا سيما قوله فاذا انا بابراهيم مسندا
ظهره الي البيت المعمور فان الاصل الحقيقة وكون المعني فاذا في وجودي
في السما عاينت ادم في قبره ثم يقال مثله في البقية مجاز بعيد جدا بلا داعية
وكيف يقال عاينت وانا في السما السابعة ابراهيم في قبره وهو مسند ظهره
الي البيت المعمور فيحتمل ان يكون شهد له بروتيه عليه الصلاة والسلام الجنة
والنار في عرض الحايط بضم العين واسكان الراجانبه وناحيته ويحتمل
لان يكون عليه الصلاة والسلام راهما من ذلك الموضع حقيقة بان كشف
له عنهما وازيلت الحجب التي بينه وبينهما قال ابن ابي جمرة كما يقال رايت
الهلال من منزلي من الطاق والمراد من موضع الطاق او مثلت له صورتهما
في عرض الحايط والقدرة صالحة لكليهما لكن هذان الاحتمالان ليس
ظاهران في ذا الحديث واجرا مثلها في حديث المعراج لا يظهر لبعده وقيل
اي قال ابن ابي جمرة ايضا يحتمل ان يكون صلي الله عليه وسلم عاين
ارواحهم هناك في صورهم وان يكون الله سبحانه وتعالي لما اراد
الاسرا بنبينا رفعهم من قبورهم لتلك المواضع اكراما لنبيه عليه
السلام وتعظيما له حتي يحصل له من قبلهم بكسر ففتح جهتهم ما
اشرنا اليه من الانس والبشارة وغير ذلك مما لم تشعر اليه ولا
نعلمه نحن وهذا الاحتمال هو عين قوله اولا ويحتمل الاجساد مع
ارواحها غايته انه مبسوط عنه فهو كالشرح له وبقي احتمال رابع وبه
جزم ابو الوفا ابن عقيل ان ارواحهم مستقرة في الاماكن التي راهم
المصطفي فيها متشكلة بصور اجسادهم لكنه انما يظهر في الذين راهم
في السموات لا في بيت المقدس وكل هذه الوجوه محتملة بضم الميم الاولي
وفتح الثانية اي قريبة واما بكسر الثانية فالواقعة نفسها كما
صرح به بعضهم ولا ترجيح لاحدها علي الاخر من حيث الاحتمال في حد
ذاته اذ القدرة صالحة لكل ذلك اما بالنظر لما يشهد له من خارج
فيرجح انتهي يعني كلام ابن ابي جمرة وان لم يفصح به واولها ما قدمته

وما قبله الى به المصنف من فتح الباري وفيه رد على ما اطال به ابن
القيم في كتاب الروح من ترجيح ان رويتها غادهي لارواحهم فقط اذ
الاجساد في الارض قطعا انما تبعث يوم القيامة ولو بعثت قبل ذلك لكانت
انشقت عنهم الارض قبلها وكانت تذوق الموت عند نفخ الصور وهذه موتة
ثالثة وهذا باطل قطعا وبانها لو بعثت الاجساد لم تعد الى القبور بل كانت
بل كانت في الجنة مع انها محرمة على الانبيا حتى يدخلها نبينا وهو اول من
يستفتح باب الجنة ولا تنشق الارض عن احد قبله الى اخر ما اطال به مما لا
حجة له فيه وجوابه كما املاه شيخنا انه انما يتم ما قاله لو كانت ارواحهم
مفارقة لاجسادهم في قبورهم وليس كذلك بل هم احيا في قبورهم حياة
حقيقية ياكلون ويشربون ويتمتعون فيها وخروجهم من قبورهم ومجيئهم
لها ليس الخروج المقتضي للبعث بل هو كخروج الانسان من منزله لحاجة
يقضيها ويعود اليه فلا يعد بذلك مفارقا له والذي يعد به مفارقا هو
الذي بحيث لا يعود اليه بل يقوم للقيامة منه وبهذا سقط كلامه **واما**
قوله في الحديث رفعت رواه الاكثر بضم الرا وسكون العين وضم
التا ضمير المتكلم بعده حرف الجر **وهو الى سدرة المنتهى** وللكشميهني
رفعت بفتح العين وسكون التا اي السدرة لي اي من اجلي وكذا في بدء
الخلق ويجمع بين الروايتين بانه رفع اليها اي ارتقي بها به وظهرت له
والرفع الى الشي يطلق على التقرب منه وقد قيل في قوله وفرش
مرفوعة اي تقرب لهم **فاذا نبقها** بفتح النون وكسر الموحدة وبسكونها
ايضا قال ابن دحية والاول هو الذي ثبت في الرواية اي الثمر بكسر هو
ثمر السدر **مثل قلال** قال الخطابي بالكسر جمع قلة بالضم هي الجرار
يريد ان ثمرها في الكبر مثل القلال وكانت معروفة عند المخاطبين **هجر**
بفتح الها والجيم بلدة لا تنصرف للتانيث والعلمية ويجوز الصرف كما في
الفتح وقدمته قال النجاتي واما ثمرها فهل هو كالثمار الماكولة وانه يوكل
ويعقبه غيره وهل الزايل يوكل او يسقط لم ار من ذكر هذا ولا يمنع ان يكون
كذلك وانه تاكله الطيور التي تسرح في الجنة والروح على قول من يقول انه
صنف على صورة الانسان لهم ايد وارجل وروس وانهم ياكلون الطعام
وليسوا من الملايكة قال ابن عباس ما ينزل من السما ملك الا ومعه واحد من
الروح وقال ابو صالح وليسوا بناس ولا بالملايكة وعن بعضهم ان
الملايكة لا يرونهم وليس بينه وبين قول ابن عباس هذا تناف فانه لا يلزم
من نزولهم معهم رويتهم لهم انتهى **واذا ورقها مثل اذان الفيلة**
بكسر وفتحها غلط زاعمه وفتح التحتية جمع فيل وفي بدء الخلق الفيول جمع
فيل ايضا والتشبيه في الشكل فقط لا في الكبر ولا في الحسن ولا تنافي تكاد
الورقة تغطي هذه الامة **قال جبريل هذه سدرة المنتهى** ولعل
سبب اخباره انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بوجودها قبل الرؤية

فكانه

فكانه قال هذه سدرة المنتهى التي علمت بوجودها قال الرازي واضافتها
الى المنتهى من اضافة الشي الى مكانه كقولك اشجار بلدة كذا فالمنتهى
حينئذ موضع لا يتعداه ملك او روح من الارواح ومن اضافة المحل الى الحال
فيه ككتاب الفقه فالتقدير سدرة عندها منتهى العلوم او من اضافة
الملك الى مالكه كشجرة زيد فالمنتهى اليه محذوف تقديره سدرة المنتهى
اليه قال تعالى وان الى ربك المنتهى فالمنتهى اليه هو الله تعالى واضافتها
اليه كاضافة البيت للتشريف والتعظيم **واذا اربعة انهار نهران باطنان**
ونهران ظاهران قال ابن ابي جمرة يحتمل الحقيقة فهذه الانهار
تنبع من اصل الشجرة نفسها فتكون الشجرة طعمها نبق واصلها ينبع منه الما
والقدرة لا تعجز عن هذا ويحتمل ان من تسمية الشي بما قاربه فتكون
الانهار تنبع قريبا من اصل الشجرة انتهى **فقلت وما هذان يا جبريل**
قال اما الباطنان فنهران في الجنة قال ابن ابي جمرة فنبه ان الباطن
اجل من الظاهر لان الباطن جعل في دار البقا والظاهر جعل في دار الفنا
ومن ثم كان الاعتماد على ما في الباطن كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر
الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم **واما الظاهران فالنيل** نهر مصر **والفرات**
بالفوقية في حال الوصل والوقف نهر الكوفة **وفي رواية عند البخاري**
ايضا في بدء الخلق فاذا في اصلها اي سدرة المنتهى اربعة انهار
فيفسر قوله في المعراج واذا اربعة انهار اي في اصلها اذ الحديث واحد **وعند**
مسلم يخرج من اصلها فقوله في اصلها معناه يخرج منه **وعنده** اي
مسلم **ايضا من حديث ابي هريرة اربعة انهار من الجنة النيل**
والفرات وسيحان من السيح وهو جري الما على وجه الارض وهو
نهر العواصم بقرب مصيصة وهو غير سيحون فهو بالهند او السند **وجيحان**
نهر اذنه وجيحون نهر بلخ وينتهي الى خوارزم وزعم انهما هما وهم فقد
حكى النووي الاتفاق على انهما غيرهما لكن نازعه السيوطي في دعوى
الاتفاق **ويحتمل ان تكون سدرة المنتهى مغروسة في الجنة**
والانهار تخرج من اصلها فيصح انها من الجنة بهذا الاعتبار فلا
يعارض حديث المعراج **ووقع في رواية شريك كما عند البخاري**
في كتاب التوحيد من صحيحه **انه راى في سما الدنيا نهرين**
يطردان بالتشديد يجريان **فقال له جبريل** جوابا لقوله ما
هذان النهران يا جبريل قال **هما النيل والفرات عنصرهما** بضم العين
والصاد المهملتين اصلهما بدل من النيل والفرات **والجمع بينهما انه راى**
هذين النهرين عند سدرة المنتهى مع نهري الجنة الباطنين
وراهما في سما الدنيا دون نهري الجنة واراد بالعنصر عنصر
انتشارهما بسما الدنيا لا اصلهما الحقيقي فانه من اصل السدرة فلا تنافي
بين الاحاديث كذا قاله ابن دحية كانه تبرا منه لعدم تعين ما قال

الجواب ان يراد اصل نبعهما من تحت السدرة ومقرهما في سماء الدنيا ومنها
ينزلان الى الارض كما تقدم للمحقق وهو في المعنى قريب من جمع ابن دحية
او عينه وقال الشهاب يجوز ان عنصرها مبتدأ متعلق به خبر سابق
لم يتقدم له ذكر من حيث اللفظ لكن من حيث المعنى فيكون المعنى هذا النيل
والفرات فيتم الكلام ثم يكون عنصرهما ما كنت رايت عند سدرة المنتهى
يا محمد فاكتفى بهذا العهد السابق عن اعادة الكلام انتهى وهو مع تعسفه
لا يصح لان رؤيته ذلك في سماء الدنيا قبل رقيه للسدرة فلا عهد هنا
وروى ابن ابي حاتم عن انس انه صلى الله عليه وسلم بعد
ان راى ابراهيم قال ثم انطلق جبريل بي على ظهر السماء السابعة
حتى انتهى الى نهر عليه خيام الياقوت بخاء معجمة جمع خيم كسهم
وسهام وهو مثل الخيمة وفي نسخة جام بالجيم بلا يا اي اناء والمراد
الجنس فيصدق بالاواني الكثيرة واللؤلؤ والزبرجد بفتح الزاي
ودال مهملة جوهر معروف ويقال هو الزمرد وعليه طير خضر
هو انعم فهو خبر مبتدأ محذوف طير رايت وهو اسم تفضيل من
نعم بالضم نعومة لان ملمسه اي يجمع ان ملمس هذه الطيور الين
من ملموسات الطيور وفي رواية انعم طير رايت راي قال جبريل
هذا الكوثر الذي اعطاك الله فاذا فيه انية الذهب
والفضة يجري على رضراض بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة
اخره مثلها حصى صغار من الياقوت والزمرد بزاي وميم فراء
ثقيلة مضمومات اخره ذال معجمة ومهملة كما في القاموس وقال انه الزبرجد
معرب ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل قال
فاخذت من انية فاغترفت من ذلك الماء فشربت فاذا هو احلى
من العسل واشد رائحة من المسك فجمع الاوصاف الثلاثة الحسنة
وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي واذا فيها اي السماء السابعة
عين تجري يقال لها السلسبيل فينشق منها نهران احدهما
الكوثر والاخر يقال له نهر الرحمة قال الحافظ فيمكن ان يفسر
بهما النهران الباطنان المذكوران في الحديث وكذا روي عن مقاتل
قال الباطنان السلسبيل والكوثر انتهى وفيه مسامحة لان ما روي
عن مقاتل صريح في ان احد النهرين السلسبيل والاخر الكوثر وحديث
ابي سعيد صريح في ان السلسبيل هو الاصل ويخرج منه نهران احدهما
الكوثر فهو فرع منه لا قسيم له فتحقق العبارة وروي عن مقاتل باسقاط
لفظ كذا ويكون مقابلا لتفسيرهما بما في حديث ابي سعيد ثم قال الحافظ
عقب ما نقلته عنه واما الحديث الذي اخرجه مسلم بلفظ سيحان وجيحان
والنيل والفرات من انهار الجنة فلا يغاير هذا لان المراد به ان في الارض
اربعة انهار اصلها من الجنة وحينئذ لم يثبت لسيحان وجيحان انهما

بيثمان

بيثمان من اصل سدرة المنتهى فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك
واما الباطنان فهما غير سيحان وجيحان قال النووي في هذا الحديث
ان اصل النيل والفرات من الجنة وانهما يخرجان من اصل السدرة ثم
يسيران حيث شاء الله ثم ينزلان الى الارض ثم يسيران فيها ثم يخرجان
منها وهذا لا يمنعه العقل وقد شهد به ظاهر الخبر فليعتمد وقول
عياض الحديث يدل على ان اصل سدرة المنتهى في الارض متعقب لان خروجهما
من اصلها غير خروجهما بالنبع من الارض والحاصل ان اصلهما من الجنة ويخرجان
اولا من اصلها ثم يسيران الى ان يستقرا في الارض ثم ينبعان واستدل
به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة وكذا سيحان
وجيحان قال القرطبي لعل ترك ذكرهما في حديث الاسراء لكونهما ليسا اصلا
براسهما وانما يحتمل ان يتفرعا عن النيل والفرات قال وقيل انما اطلق على
هذه الانهار انها من الجنة تشبيها لها بانهار الجنة لما فيها من شدة العذوبة
والحسن والبركة والاول اولى انتهى وقال ابن المنير صورة انصبابها كانصباب
المطر متفرقا ثم يجتمع في مواقعها من الارض الى ان ينساق كل منها الى
مستقره ومجراه ويحتمل ان يكون انصبابها في نواحي الارض الغائبة المتصلة
بمبادي هذه الانهار فانها فانه لم يقف احد على مباديها الى الان وقال
ابن ابي جمرة وردت الاخبار ان من شرب من ماء الجنة لا يموت ولا يفنى
وانه لا فضيلة له تخرج على ما يعهد في الدنيا وانما خروجه رشح مسك على البدن
فجعل فيه هذه الخاصة العظيمة ثم لما شاءت الحكمة نزوله الى هذه الدار
نزعت منه تلك الخصوصية وبقي جوهره بحاله وكل الخواص مثله في هذا
المعنى ان شاء الله تعالى ابقى له الخاصية وان شاء سلبها مع بقاء جوهرها ما
ليس لذوات الخواص تاثير بل الخاصية خلقه والجوهر خلقه وانما القدرة هي
المؤثرة في كلها انتهى وسياتي مزيد لذلك عما ذكر هنا من الكوثر في
المقصد الاخير ان شاء الله تعالى وقد وقع في حديث ثابت عن
انس عند مسلم ثم ذهب بي لم يقل عرج لانها في السماء السابعة الى سدرة
المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة شبهه بها وان لم تكن تكون بارض
الحجاز لانها كثيرة ببلاد الحبش وكثيرا ما كانوا ياتونها للتجارة واليها
كانت الهجرة واذا ورقها كالقلال شبهها بها ظلها ولطوق رقيقها
وطيب ثمرها وحسن رائحته وان كان شجر الجنة انما يحاكيه ما في الدنيا
صورة فلما غشيها طرا عليها وغطاها من امر الله عز وجل ما غشي اي
امر عظيم غشي فان الابهام بمثله يفيده نحو الحاقة ما الحاقة فهو كقوله اذ
يغشى السدرة ما يغشى في ارادة الابهام للتعظيم او التهويل وان علوما
كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم في حق فرعون وقومه تغيرت عن حالها
التي كانت عليه وفي رواية ابن عائذ تحولت ياقوتا وزبرجدا او الظاهر
ان المراد با امر الله تعالى وحيا وتجليه لرسوله ما شرف لها نور الهي

زينت به وحسنت حسنا لا ينعته نور لا يمكن ان تقابله الابصار كما قال فما احد
من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها الذي طرا عليها اي
يصفها باوصاف تحصل صورتها في الذهن لقصر العبارة لكمال حسنها عن
بيان ماهيتها وانما ثبتت لكونها من اشجار الجنة المعتادة لاشراق تلك
الانوار عليها ولو كانت من اشجار الارض لاحترقت كما صار الجبل دكا وقد
جاء في حديث ابن مسعود عند مسلم ايضا بيان سبب تسميتها بسدرة
المنتهى ولفظه لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم قال انتهي
بي الى سدرة المنتهى وهي في السما السادسة واليها ينتهي ما
يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض
منها قال القرطبي وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله او من اعلمه وكانه قيل
سميت بذلك لانه ينتهي اليها ينتهي الى اخره وهو معنى قول ابن ابي
جمرة لان اليها تنتهي الاعمال وينزل الامر بتاخير الاحكام وعندها
تقف الحفظة وغيرهم ولا يتعدونها فكانت منتهى لان اليها ينتهي
ما يصعد من اسفل وما ينزل من العالم العلوي من امر العلي سبحانه
وهذا كالشرح لحديث ابن مسعود المذكور وقال النووي لان علم الملائكة
ينتهي اليها وقال كعب لانه ينتهي اليها علم كل نبي مرسل وكل نبي مقرب ولا يجاوزها
احد الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاوزها بما لا يعلمه الا الله قال
الحافظ وهذا لا ينافي حديث ابن مسعود لكنه ثابت في الصحيح فهو اولى
بالاعتماد واورده النووي بصيغة التمريض فقال وحكي عن ابن مسعود الى
اخره فاشعر بضعفه عنده ولاسيما ولم يصرح بانه رفعه وهو صحيح مرفوع
انتهى والطيبي القرطبي عدد تسعة اقوال لم سميت بذلك وذكر ما في مسلم
وقال او لان علم الانبياء ينتهي اليها ويعزب عما وراءها قاله ابن عباس او
الاعمال تنتهي اليها وتقبض منها او لانتهاء الملائكة والانبياء اليها ووقوفهم
عندها او لان ارواح الشهدا تنتهي اليها قاله الربيع بن انس او تاوي اليها ارواح
المومنين قاله قتادة او لانه ينتهي اليها كل من كان على سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومنهاجه قاله علي بن ابي طالب والربيع بن انس ايضا او لان علم
الخلايق ينتهي اليها لان من رفع اليها فقد انتهى به الى الكرامة انتهى والظاهر
ان هذه الاقوال كلها يمكن دخولها في لفظ من او في جوامع الكلم الا ما يعرج
من الارض شامل للاعمال وارواح الشهدا والمومنين ومن كان على سنته ومن
رفع اليها فهذه الخمسة ظاهر بشمول ما يعرج من الارض لها وباقيها يشمله
بضرب من المجاز ولا يعارض قوله في حديث ابن مسعود هذا انها في السادسة
ما دل عليه بقية الاخبار كحديث انس وهو قول الاكثر انه وصل اليها في السما السابعة
كما زعمه في المفهم فقال وهذا تعارض لا شك فيه ويترجح حديث انس بانه مرفوع
وحديث ابن مسعود موقوف ليحمل على ان اصلها في السما السادسة
واغصانها وفروعها في السابعة وليس في السادسة منها الا اصل

ساقها

ساقها قاله في فتح الباري ودعوى القرطبي ان حديث ابن مسعود موقوف
لا تصح لانه صرح برفعه وجاء في حديث ابي ذر عند البخاري في اول
الصلاة فغشيها علاها ولابسها الوان انواعها واطلاقها عليها حقيقي
كما في القاموس لا ادري ما هي قال الكرماني ما هي كقوله تعالى اذ يغشى السدرة
ما يغشى في ان الابهام للتفخيم والتهويل وان كان معلوما انتهى وفيه انه لا ابهام
هنا وانما هو اخبار بنفي درايته ولذا قال شيخنا الحافظ البابلي الاولى حمل
النفي على حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم من شدة الخشية لم يقدر على النظر
الى جميع الوانها وقد قال تعالى ما زاغ البصر وما طغى وفي بقية حديث
ابن مسعود المذكور عند مسلم قال الله اذ يغشى السدرة ما يغشى
قال فراش بالفتح جمع فراشة الطير الذي يلقي نفسه في ضوء السراج من
ذهب ففسر المبهم فيما يغشى بذلك وفي رواية يزيد بن ابي مالك عن
انس تفسير المبهم بقوله جراد من ذهب قال البيضاوي في شرح المصابيح
وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل اي انه يسقط عليها اشيا تشبه
الفراش وخصه بالذكر لانه يتهافت على السراج فشبه ما ينزل عليها في رفعة
سقوطه لان من شان الشجر ان يسقط عليها الجراد وشبهه كالفراش
وجعلها من ذهب لصفا لونها واضايتها في نفسها انتهى كلام البيضاوي قال
الحافظ ويجوز جعلها من الذهب حقيقة ويخلق فيه الطيران والقدرة
صالحة لذلك فما وهمه المصنف ان جعلها حقيقة من كلام البيضاوي وهم
نشا عن سقط وانتقال نظر حين نقل من فتح الباري ويحتمل ان يكون قوله
وجعلها من الذهب من المصنف اختيارا لا صوره الحافظ مبتدا حذف خبره اولى
للعلم به من قوله والقدرة صالحة فيكون عطف علة على معلول وفي حديث
ابي سعيد عند البيهقي وابن عباس فغشيها الملايكة وفي حديث ابي سعيد
عند البيهقي على كل ورقة منها ملك قال بعضهم كانهم طيور يرتقون اليها
متشوقين متبركين بها زايرين كما يزور الناس الكعبة وفي حديث ابي هريرة
عند البزار والبيهقي فغشيها انوار الخلاق وغشيها من الملايكة امثال الغربان
حين يقعن على الشجر وفي رواية ثابت عن انس عند مسلم فلما غشيها
من امر الله ما غشي تغيرت عن حالها الاول فزادت حسنا لان الذي يغشيها
انوار الخلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم لما وصل اليها تجلى ربه لها كما تجلى
ربه للجبل فظهرت الانوار لكن كانت اقوى من الجبل واثبت فجعل الجبل دكا ولم تتحرك
الشجرة وخر موسى صعقا ولم يتزلزل محمد صلى الله عليه وسلم عليها وفي
رواية حميد عن انس عند ابن مردويه نحوه لكن قال تحولت
ياقوتا ونحو ذلك وفي رواية ابن عايذ تحولت ياقوتا وزبرجدا قاله
الشامي ولا منافاة بين هذه الروايات لان كلا منها بعضها وقيل ابهم
تعظيما كانه قيل اذ يغشى السدرة ما الله اعلم به من دلايل ملكوته وعجايب قدرته
قال ابن دحية واختيرت السدرة دون غيرها لان فيها ثلاثة

الصفات
اوصاف جمع وصف وهو ذكر ما في الموصوف من اثار تقوم به والمراد هنا
التي هي نفس الاثار فظل مديد وطعم لذيذ لثمرها ورايحة زكية فالظل
بمنزلة العمل لتجاوزه والطعم بمنزلة النية لكمونه اي استتاره والرايحة
بمنزلة القول لظهوره كذا قاله الماوردي معللا بما ذكرته وقال العارف
ابن ابي جمرة وهل الشجرة مغروسة في شي ام لا يحتمل الوجهين
معا لان القدرة صالحة لكليهما فكما جعل الله تعالي في هذه الدار
الارض مغرز الشجر كذلك يجعل الهوا لذلك مغرزا وجا عن كعب الاحبار
ما قد يعين هذا الاحتمال حيث قال هي في اصل العرش علي روس حملة
العرش واليها ينتهي علم الخلايق وما خلفها غيب لا يعلمه الا الله وكما رجم صلي
الله عليه وسلم يمشي في الهوي ولان بالقدرة استقرت الارض
مع انها علي الما فلا مانع من ان تكون الشجرة علي الما لان قدرة الله لا
يعجزها شي ويحتمل ان تكون مغروسة بارض وان تكون الارض
من تراب الجنة والله قادر علي ما يشا وقد استظهر ابن ابي جمرة نفسه
هذا الاحتمال لقوله ونهران باطنان وما يطلق هذا اللفظ وما اشبهه
الا علي ما يغيم والباطن لا بد ان يكون سريانه تحت شي وحينيذ يطلق علية
اسم الباطن انتهي لكنه مبني علي المشاهد ولا يتم قياس الغايب عليه لعدم
الجامع وفي جا عن كعب ما قد يعين الاول كما علم قال ابن المنير وجه مناسبة
المعراج الثامن الي سدرة المنتهي لما اشتملت عليه السنة الثامنة من الهجرة
انها اشتملت علي فتح مكة ومكة هي ام القري واليها المنتهي ومنها المبتدا لان
ورد ان الارض كلها دحيت من مكة فلذا سميت ام القري او لان اهل القري
يرجعون اليها في الدين والدنيا حجا واعتمارا وجوارا وكسبا واتجارا قال الله
تعالي جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس اي يقوم با بدانهم واديانهم
وقال تعالي ليشهدوا منافع لهم قيل هي الاجر والتجارات في الموسم ففي ام
القري وسدرة المنتهي من المناسبة ما لا يخفي اذ سدرة المنتهي ينتهي اليها
علم الخلايق ومكة ينتهي اليها علم الافاق اهل الافاق شرقا وغربا وفيها يكون
الاجتماع فكان بلوغه الي سدرة المنتهي تنبيها علي بلوغه الي فتح مكة ام القري
في العام الثامن وقد غشيها الجراد والفراش الذي هو جند من جند الله جا
اللفظان معا في الحديث كما غشي مكة في الفتح جند الله وحزبه وغشيها ايضا
اجناس من الخلق والوان من الاسود والاحمر كما غشي سدرة المنتهي الوان
لا يعلمها الا الله ولما غشيت الالوان السدرة حسنت ان لا يحسن احد ان
ينعتها لفرط الحسن كما ان الوان الخلق لما غشيت مكة يوم الفتح حسنت حينيذ
بالايمان وباهل القران حتي لا يحسن احد ان يصف حالها حينيذ من عظم
الشان ثم كان ظهور الانهار الاربعة حينيذ دليلا علي ملك الامة سبلها
ويحققه ايضا قوله صلي الله عليه وسلم زويت لي الارض مشارقها ومغاربها
وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها دل علي انه عليه الصلاة والسلام يكشف له

راي العين علامة تدل علي ما سيكون في المستقبل ولم يكن ذلك منا ما يعبر
يعبر عنه ولكنه علم يظهر ويتفرس فيه بنور النبوة ما سيقع حتي تكون الصور
في حقه عليه السلام دالة دلالة الالفاظ علي المعاني كذلك هذه الاشارات
الواقعة في حديث الاسرا انتهي واما قوله صلي الله عليه وسلم في الحديث
السابق من رواية مالك بن صعصعة ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن
واناء من عسل فاخذت اللبن فشربت منه فقال لي جبريل هي الفطرة
علامة الاسلام التي انت عليها وامتك فيدل مع رعاية ما مر من احاديث
عرضها عليه ببيت المقدس علي انه عرضت عليه الانية مرتين والا
فهو لا يدل بذاته الا علي مرة واخرة عند السدرة مرة ببيت
المقدس وسببه ما وقع له من العطش ومرة عند وصوله الي سدرة
المنتهي ورويته الانهار الاربعة السابقة في قوله واذا اربعة انهار
نهران باطنان ونهران ظاهران وتقدم ان جمعا من الحفاظ جمعوا بينها
بالتعدد اعمالا للاحاديث لصحة جميعها وان الحافظ زاد احتمال ان ثم هنا
علي غير ما بها من الترتيب وانما هي بمعني الواو وان الاختلاف في
عدد الانية جمع اناكوعا وزنا ومعني ففي هذا الحديث قال انها
ثلاثة وفي مسلم عن انس والصحيحين عن ابي هريرة اناءين اناء من خمر
واناء من لبن وللبزار عن ابي هريرة والبيهقي عن انس تعرض عليه الما
والخمر واللبن وما فيها كما رايت فيحتمل ان بعض الرواة ذكر
ما لم يذكره الاخر لنسيان او نقص في السماع او نحو ذلك ومجموعها
اي الاواني التي اشتملت عليه الروايات المختلفة اربعة اواني
كما علمت جمع انا ايضا والاولي رسم اوان بلا يا كما في اكثر النسخ وهو
الاكثر ويجوز اثباتها كما في نسخة واما النطق فبلا يا اتفاقا وهذا
يا تعا بخلاف ما عرف بال فالاكثر رسمه باليا كالقاضي فيها اربعة
اشيا من الانهار الاربعة التي راها تخرج من اصل سدرة
المنتهي ووقع في حديث ابي هريرة عند الطبراني بسند
ابن جرير بيان لهذه الانهار الاربعة ففيه لما ذكر سدرة
المنتهي يخرج من اصلها انهار من ما غير اسن بالمد والقصر
كضارب وحذر اي متغير طعمه وريحه بخلاف ما الدنيا فيتغير
لعارض وانهار من لبن لم يتغير طعمه بخلاف لبن الدنيا لخروجه
عن الضرع تتغير اذا امكث وانهار من خمر لذة لذيذة للشاربين
بخلاف خمرة الدنيا كريهة عند الشرب وانهار من عسل مصفي
بخلاف عسل الدنيا لخروجه من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره
وهذا قد يفيد بيان الحال التي جي بهذه الاواني منها كما قال
فلعله عرض عليه من كل نهر انا اخذ ماله وجا عن كعب عند
البيهقي وغيره ان نهر العسل في الجنة نهر النيل

ونهر اللبن نهر جيحان ونهر الخمر نهر الفرات ونهر العسل
نهر سيحون الما نهر سيحان فهي الآن وان كانت كلها ما لكن اصولها
التي جرت منها وهي الجنة مختلفة بالاربعة ونهر النيل وفضايل
وفضايل افردها بالتاليف غير واحد من الايمة ووقع في بعض
الطرق انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا في السموات فان
ثبت تكون صلاته بهم متعددة ببيت المقدس وفي السما على قياس عرض
الاواني لكن قدم المص عن ابن كثير ما حاصله ان هذا لم يصح والذي
تظاهرت به الروايات انه انما امهم ببيت المقدس واما قوله عليه
السلام وكان الاولى تقديمه على قوله ثم اتيت الى اخره لانه في الحديث
متقدم على قوله ثم رفع بضم الرا وكسر الفا الي البيت المعمور فمعناه
انه اتي الى البيت المعمور له مكانه لانه جلي له ويحتمل ان يكون
المراد المرفوع صوابه الرفع كما عبر به الشامي ونحوه ما ذكره الجوهري
واتباعه مصدر الرفع وزعم بعض انه مصدر لرفع عدل اليه لئلا
يتوهم انه احد علامات الاعراب ليس بشي اذ لا يخطر ببال عاقل
ذلك مع قوله البيت المعمور ولا نعلم احدا ذكر المرفوع مصدرا والرؤية
لانه قد يكون بينه وبين البيت عوالم جمع عالم بفتحها قياسا
مطردا باتفاق حتى لا يقدر على ادراكه فرفع اليه وامد في بصره
بينه وبصيرته حتى يراه زاد الشامي على هذا او قد يحتمل ان
تلك العوالم التي كانت بينه وبينه ازيلت حتى ادركه ببصره ويحتمل
يحتمل ان العالم بقي على حاله وبصيرته حتى ادركه وعاينه والكل
صالحة للكل انتهى ولم اعلم حقيقة المراد من هذه الاحتمالات وقد قال
صلى الله عليه وسلم قد خلت البيت المعمور اخرجه البيهقي كما ياتي وليس
هذا كقوله رفع لي بيت المقدس لان قوله هذا لما سالوه بمكة عنه عن
اشيا لم يكن اثبتها قال فرفعه الله لي انظر اليه واما البيت المعمور فقد
اخبر انه رفع اليه بعد اخباره انه راى ابراهيم مسند ظهره اليه
فالمتبادر انه رفع ورويه معا وقد ايده قوله وصلاته فيه حينيذ
كما ياتي وروى الطبري محمد بن جرير من حديث سعيد
ابن ابي عروبة مهران السكري مولاهم البصري ثقة حافظ من
رجال الجميع من اثبت الناس في قتادة له تصانيف عن قتادة
ابن دعامة قال ذكر لنا الذاكر له ذلك الحسن البصري ففي رواية
الحسن بن سفين في مسنده عن قتادة حدثنا الحسن عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال البيت المعمور مسجد
في السما السابعة كما في اكثر الروايات وجا من وجه اخر عن انس
مرفوعا انه في السما الرابعة وبه جزم شيخنا في القاموس وقيل
في السما السادسة وقيل هو تحت العرش وقيل بناه ادم لما اهبط

الي

الي الارض ثم رفع الطوفان وكان هذا اشبه من قال انه الكعبة
جا ذلك عن الحسن ومحمد بن عباد بن جعفر والاول اكثر واشهر اي كونه
غير الكعبة كذا ذكر الحافظ في بدء الخلق وهو نص في قوله من الصلاة
انه في السما السابعة بلا خلاف وما ورد عن علي ايضا بان في كل سما بيتا
يحاذي الكعبة وكل منها معمور بالملايكة وقدمت عبارته بحذا الكعبة
لو خر لخر عليها وقوله يدخله سبعون الف ملك كل يوم للعبادة
اذا خرجوا منه لم يعودوا هذه الجملة ايضا في مسلم من رواية
ثابت عن انس ووقعت في بدء الخلق من البخاري مدرجة في حديث
مالك بن صعصعة كما مر وروى اسحق بن راهوية والطبري وغيرهما
ان ابن الكوا سال عليا عن السقف المرفوع قال السما وعن البيت المعمور
قال بيت في السما السابعة بحيال البيت حرمته في السما كحرمته في الارض
يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ولابن مردوية عن ابن
عباس نحوه وزاد وهو على مثل البيت الحرام لو سقط لسقط عليه ومن
حديث عايشة نحوه باسناد صالح ومن حديث عبد الله بن عمرو نحوه باسناد
ضعيف وهو عند الفاكهي في كتاب مكة باسناد صحيح عنه لكن موقوفا
عليه وفي هذا دليل على عظيم قدرة الله تعالى وانه لا يعجزها
ممكن لان هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم هذا العدد العظيم
منذ خلق الله الخلق الى الابد ثم طايفة هذا اليوم لا يرجع
اليه ابدا الى يوم القيامة كما في حديث ابي سعيد عن ابن اسحق
ومع ذكر الامر الدال على عظم القدرة انه قد روي ما هو اعظم في
الدلالة منه انه ليس في السما ولا في الارض موضع شبر الا وملك
واضع جبهته هناك ساجدا روى البيهقي عن ابن مسعود قال ما
في السموات سما منها موضع الا وعليها جبهة ملك او قدماه واخرج ابو
الشيخ عن عايشة رفعته ما في السما موضع قدم الا عليه ملك ساجد او
قايم وروى احمد والترمذي وابن ماجة وصححه الحاكم عن ابي ذر اطت
السما وحق لها ان تيط ما منها موضع اربع اصابع الا وعليه ملك واضع
جبهته وروى ابن ابي حاتم والطبراني والضيا عن حكيم بن حزام
اني لاسمع اطيط السما وما يلام ان تيط ما فيها موضع قدم الا عليه ملك
ساجدا او قايم وروى ابن منده عن العلا بن سعيد ممن بايع يوم الفتح
مرفوعا اطت السما وحق لها ان تيط ليس منها موضع قدم الا وعليه
ملك قايم او راكع او ساجد ثم قرا وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
ولم اقف على مثل ذلك في الارض كما ذكر المصنف وروى ابن ابي حاتم
عن كعب قال ما من موضع خرم ابرة من الارض الا وملك موكل بها
يرفع علم ذلك الى الله وعلى المولف مغمز في حصره ذلك في السجود مع
ان الاحاديث كما ترى ناصة على انه فيه وفي الركوع والقيام هذا

واورد النعماني هذا كيف مر صلي الله عليه وسلم ليلة المعراج واجاب بان
الملك رفع راسه حتي مر او حمله علي يديه كما في حديث حجاب الذهب ان
الملك احتمله حتي وضعه بين يديه وهذا علي القول الصحيح ان الملايكة
متحيزة بملا التحيز اما علي انها ارواح غير متحيزة ولا تملا حيزا فلا سوال
ثم البحار ما من قطرة الا ولها ملك موكل فاذا كانت السموات
الارض والبحار هكذا مملوة بالملايكة فهولا الملايكة الذين يدخلون
اين يذهبون هذا من عظيم القدرة التي لا يشبهها شي وفي
هذا دليل علي ان الملايكة اكثر المخلوقات وقد قال صلي الله عليه
وسلم ليس شي من خلق الله اكثر من الملايكة ما من شي ينبت الا وملك
موكل بها رواه ابو الشيخ وقال ابن عمر ليس شي اكثر من الملايكة رواه
البزار وقال تعالي وما يعلم جنود ربك الا هو لانه اذا كان سبعون الف ملك
كل يوم يصلون في البيت المعمور علي ما تقدم ثم لا يعودون اليه
الي يوم القيامة مع ان الملايكة في السموات والارض والبحار
لزم ان يكون الملايكة اكثر من جميع المخلوقات غير المخلوقات فان المخلوقات
باسرها في بعض الارض واكثر الارض خال منها فحذف جواب الشرط
لدلالة السياق عليه وفي فتح الباري واستدل به علي ان الملايكة اكثر
المخلوقات لانه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه في كل يوم
سبعون الفا غير الملايكة ومنه حديث ابي هريرة عند ابن مردويه
وابن ابي حاتم والعقيلي عن النبي صلي الله عليه وسلم في السما السابعة
بيت يقال له البيت المعمور حيال الكعبة ان زايدة من المصنف لاسقاطه
اول الحديث المذكور ولفظه وفي السما الرابعة كما في حديث ابي هريرة
هذا نهرا بالنصب اسم ان التي زادها والرواية بالرفع لانه ليس فيها
ان يقال له الحيوان يدخله جبريل في كل يوم فينغمس انغماسه كما هو
الرواية ثم يخرج فينتفض انتفاضه كما في الرواية فيخرج اي ينفصل
عنه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا فهم الذين
يصلون فيه اي في البيت المعمور لفظ الرواية يومرون ان ياتوا
البيت المعمور فيصلون فيفعلون ثم لا يعودون اليه لفظ الرواية
ثم يخرجون فلا يعودون اليه ابدا ويولي عليهم احدهم ثم يومر ان
يقف بهم في السما موقفا يسبحون الله فيه الي ان تقوم الساعة واسناده
ضعيف كما جزم به الحافظ في بدء الخلق وزاد وروي ابن المنذر نحوه
بدون ذكر النهر من طريق صحيحة عن ابي هريرة لكن موقوفا انتهي
لكن حكمه الرفع اذ لا يقال رايا فاعتضد ضعف طريق رفعه ولذا قال
الشامي الصواب انه ليس بموضوع اي كما زعمه بعضهم وروي ابو الشيخ
عن الليث حدثني خالد بن سعد قال بلغني ان اسرافيل موذن اهل
السما فيوذن لاثنتي عشرة ساعة من النهار ولاثنتي عشرة ساعة من

الليل لكل ساعة يسمع تاذينه من في السموات السبع ومن في الارضين السبع
الا الجن والانس ثم يتقدم عظيم الملايكة فيصلي بهم قال وبلغنا ان ميكاييل يوم
الملايكة بالبيت المعمور وروي الديلمي عن علي مرفوعا موذن اهل السموات
جبريل وامامهم ميكاييل يوم بهم عند البيت المعمور فتجتمع ملايكة السموات
فيطوفون بالبيت المعمور وتصلي وتستغفر فيجعل الله ثوابهم واستغفارهم
وتسبيحهم لامة محمد صلي الله عليه وسلم فان صح فلعل اسرافيل وجبريل
يتناوبان الاذان او يوذنان في ان واحد معا او واحدا بعد واحد وذكر
الامام فخر الدين الرازي عند تفسير قوله تعالي ويخلق ما لا
تعلمون انه روي عن عطا ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه
قال ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات والارضين
السبع والارضين السبع والبحار السبع لعل المراد سيحان وجيحان
والنيل والفرات وسيحون وجيحون والملح يدخله جبريل كل سحر ويغتسل عليه السلام
فيه فيزداد نورا الي نوره وجمالا الي جماله ثم ينتفض فيخلق الله
تعالي من كل نقطة تقع من ريشه كذا كذا الف ملك يدخل منهم
البيت المعمور سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الي ان تقوم الساعة
وفي هذا مخالفة لما قبله من وجهين احدهما في النهر الذي يدخله والثاني
صريح الاول انه لا يخرج منه غير سبعين الفا والثاني يخرج منه اكثر يدخل
منهم البيت سبعون الفا والجمع بينهما بجواز ان المراد بالسبعين التكثير وان
جبريل ينغمس في البحرين ومن يدخل البيت المعمور بعضهم يخلق من
القطرات الخارجة عنه عند انتفاضه من نهر الحيوان وبعضهم مما ينفصل
عنه حين خروجه من بحر النور وقد روي ان ملايكة يسبحون الله فيخلق
الله بكل تسبيحة ملكا واخرج ابو الشيخ عن ابي سعيد مرفوعا ان في
الجنة لنهرا ما يدخله جبريل من دخلة فيخرج فينتفض الا خلق الله من كل
قطرة تقطر منه ملكا واخرج عن الاوزاعي قال موسي يا رب من معك في
السما قال ملايكتي قال كم هم يا رب قال اثنا عشر سبطا قال وكم عدد كل
سبط قال عدد التراب واخرج عن كعب لا تقطر عين ملك منهم الا كانت ملكا
يطير من خشية الله وهذا ما يخصه الذي للتعبد ما عدا الملايكة التي
للتعبد اي الذين خلقوا او امروا به دايما علي صفة خاصة كركوع او سجود او
قيام قال صلي الله عليه وسلم ان لله ملايكة ترعد فرايصهم من مخافته
ما منهم ملك تقطر من عينه دمعة الا وقعت ملكا قايما يسبح الله وملايكة سجودا
منذ خلق الله السموات والارض لم يرفعوا رووسهم ولا يرفعونها الي يوم
القيامة وصفوفا لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون عنها الي يوم
القيامة فاذا كان يوم القيامة تجلي لهم ربهم عز وجل فنظروا اليه وقالوا
سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك رواه البيهقي وابو الشيخ وغيرهما
وما عدا الملايكة الموكلين بالنبات قال صلي الله عليه وسلم ليس من خلق

الله اكثر من الملائكة ما من شي ينبت الا وملك موكل بها رواه ابو الشيخ
والارزاق قال صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة موكلين بارزاق بني ادم
قال لهم ايما عبد وجدتموه جعل الهم هما واحدا فضمنوا رزقه السموات
والارض وبني ادم وايما عبد وجدتموه طلب فان تحرى الصدق فطيبوا له
ويسروا وان تعدى ذلك فخلوا بينه وبين ما يريد ثم لا ينال فوق الدرجة
التي كتبتها له رواه الحكيم الترمذي في النوادر **والحفظة** قال تعالى
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فقيل على كل انسان ملكا عن اليمين
وعن الشمال وقيل بزيادة ملك خامس لا يفارقه لا ليلا ولا نهارا وعن
عثمان يا رسول الله كم ملك مع العبد قال ملك عن يمينك وملك على حسناتك
وهو امين على الذي على الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرا فاذا عملت
سيئة قال الذي على الشمال للذي على اليمين اكتب قال لا لعله يستغفر فاذا
قال ثلاثا قال نعم اراحنا الله منه فبئس القرين ما اقل مراقبته لله تعالى
واقل استحياه من الله يقول الله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
وملكان من بين يديك ومن خلفك يقول الله له معقبات من بين يديه
ومن خلفه يحفظونه من امر الله وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لله
رفعك الله واذا تجبرت على الله قصمك وملك على شفتيك ليس يحفظان
عليك الا الصلوة على النبي وملك قائم على فيك لا يدع الحية ان تدخل في
فيك وملكان على عينيك فهولا عشرة يبدلون لان ملائكة الليل سوى ملائكة
النهار فهولا عشرون ملكا على كل ادمي اخرجه ابن جرير وروى ابو
داود في كتاب القدر والطبراني وغيرهما مرفوعا وكل بالمومن ستون
وثلاثمائة ملك يدفعون عنه ما لم يقدر عليه الحديث **والملك الموكل بتصوير**
ابن ادم قال صلى الله عليه وسلم اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون
ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها
وعظامها الحديث رواه مسلم وفي رواية الطبراني ان النطفة اذا استقرت
في الرحم فمضى لها اربعون يوما جا ملك الرحم فصور عظمه ولحمه ودمه وشعره
وبشره وهذا غير الملك الموكل بالجنين روى ابو الشيخ بسند جيد عن ابن
عباس قال وكل بالجنين ملك اذا نامت الام واضطجعت رفع راسه لولا ذلك
لغرق في الدم **والملائكة الذين ينزلون في السحاب** يصرفونه حيث
امروا به كما في حديث مرفوع عند ابي الشيخ **والملائكة الذين يكتبون**
الناس في يوم الجمعة روى احمد والشيخان عن ابي هريرة مرفوعا
اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب المسجد ملائكة يكتبون الناس
على قدر منازلهم الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤوا
يستمعون الذكر وروى احمد وصححه الضيا عن ابي سعيد مرفوعا اذا كان
يوم الجمعة قعدت الملائكة على ابواب المسجد يكتبون من جا من الناس على
قدر منازلهم فرجل قدم جزورا ورجل قدم بقرة ورجل قدم شاة ورجل

قدم

قدم دجاجة ورجل قدم عصفورا ورجل قدم بيضة فاذا اذن المؤذن وجلس
الامام على المنبر طووا الصحف ودخلوا المسجد يستمعون الذكر **وخزنة الجنة**
رضوان واتباعه وكذا خزنة النار مالك وجنده قال تعالى عليها تسعة عشر
قال القرطبي المراد بهم روساوهم واما جملة الخزنة فلا يعلم ذلك عدتهم الا الله
والملائكة الذين يتعاقبون روى الامام مالك والبخاري ومسلم عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة
بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم
وهو اعلم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم
يصلون قال ابن حبان في هذا دليل واضح ان ملائكة الليل انما تنزل
والناس في صلاة العصر وحينئذ تصعد ملائكة النهار ضد قول من زعم
ان ملائكة الليل تنزل بعد غروب الشمس والذين يومنون على قراة المصلي
روى مالك والبخاري وغيرهما عن ابي هريرة مرفوعا اذا قال الامام ولا
الضالين فقولوا امين فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من
ذنبه وظاهر المصنف هنا انهم غير الحفظة وبه قيل لرواية توافق قوله قول
اهل السما وقيل هم الحفظة وانهم اذا قالوها قالها من فوقهم حتى ينتهي
الى اهل السما قال بعض ولو قيل بانهم الحفظة وساير الملائكة لكان اقرب
وقال الحافظ الذي يظهر ان المراد بهم من يشهد تلك الصلاة من الملائكة ممن
في الارض او السما لحديث وقالت الملائكة في السما ولمسلم فوافق ذلك قول
اهل السما والذين يقولون ربنا ولك الحمد لحديث مالك والشيخين مرفوعا
اذا قال الامام سمع الله لمن حمده فقولوا اللهم ربنا لك الحمد فانه من وافق قوله
قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه والذين يدعون لمنتظر الصلاة قال
صلى الله عليه وسلم الملائكة تصلي على احدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه
ما لم يحدث اللهم اغفر له اللهم ارحمه رواه مالك واحمد والبخاري ومسلم زاد في
رواية ولابي داود والنسائي واحمد او يقوم بعد قوله يحدث والذين يلعنون
من هجرت فراش زوجها صلى قال صلى الله عليه وسلم اذا باتت المراة هاجرة
فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح رواه احمد والشيخان قيل هم الحفظة
او من وكل منهم بذلك او اعم ويرشد اليه رواية في مسلم لعنتها الملائكة الذين
في السما ان كان المراد به سكانها وبسط القول في هذه الاحاديث يخرج عن
المقصود فان المراد منها الاستدلال على كثرة الملائكة مع ان المصنف لم يستوف
جزئيات ذلك كالملائكة الموكلين بالشمس والريح والمطر وقبر المصطفى والمبلغين
له السلام من امته وغير ذلك مما يحتمل مولفا حافلا ثم زاد في الاستدلال
فقال ووعوا اذ في سما الدنيا وهي من ما ودخان قال تعالى ثم استوى
الى السما وهي دخان روى عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن عمر قال لما اراد
الله ان يخلق الاشيا اذ كان عرشه على الما ولا ارض ولا سما خلق الريح فسلطها
على الما حتى اضطربت امواجه واثار ركامه فاخرج من الما دخانا وطينا وزبدا

ثم امر الدخان فعلا وسما وتما فخلق منه السما وخلق من الطين الارضين
ومن الزبد الجبال واخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن مسعود وناس من
الصحابة لما اراد الله ان يخلق الخلق اخرج من الما دخانا فارتفع فوق الما فسما
عليه فسماه سما وهذا نحو قوله من قال من موج مكفوف اذ الموج بعد اضطراب
الما فهو مكفوف عن الاضطراب ملايكة خلقوا من ما وريح عليهم ملك يقال له
الرعد وهو ملك بالسحاب والمطر روي احمد والترمذي وصححه والنسايي
عن ابن عباس اقبلت يهود الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت اخبرنا
ما هذا الرعد قال ملك من ملايكة الله موكل بالسحاب بيديه مخراق من نار
يزجر به السحاب يسوقه حيث امر الله قالوا فما هذا الصوت الذي نسمع قال صوته
قالوا صدقت يقولون اي الرعد وجنده سبحان ذي الملك والملكوت وفي
العظمة عن ابن عباس الرعد ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادي الابل
بحدايه ولاينافي الحديث قبله في سوقه بمخراق من نار لانه يفعله بيده ويسبح
بلسانه حال سوقه وعن جابر سيل صلي الله عليه وسلم عن منشا السحاب فقال
ان ملكا موكل بالسحاب يلم القاصية ويلم الدانية في يده مخراق فاذا رفعه
برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب صعقت وعن عمرو بن بجاد مرفوعا اسم
السحاب عند الله العنان والرعد ملك والبرق طرف ملك يقال له روفيل رواها
ابن مردويه وان في السما الثانية وهي من مرمرة بيضا كما عند ابن
راهويه وابي الشيخ والطبراني وغيرهم عن الربيع بن انس ملايكة على الوان
اي انواع وصفات شتي متفرقين فيما امروا به من العبادة المختلفة رافعي
اصواتهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت وروي مما هو افترا ان
فيها ملكا نصف جسده الاسفل من نار ونصف جسده الاعلي من ثلج فلا النار
تذيب الثلج ولا الثلج يطفي النار وهو يقول يا من الف بين الثلج والنار
فلم يتبع احدهما على الاخر مع انهما ضدان الف بين قلوب عبادك المومنين
وفيه جواز اطلاق الاسما المشتمة على الله في مقام الدعا وبه صرح بعضهم
ولا يرد ان كثيرا من الناس قلوبهم مختلفة ودعا الملايكة مستجاب لان
مختلفي القلوب بينهم ايتلاف في الجملة يمنعهم من استيصال بعضهم بعضا وخلافهم
انما هو لاغراض دنيوية لا من جميع الوجوه او ان الاضافة في عبادك للتخصيص
بالكاملين الذين استحقوا ان يضافوا اليه لكن هذا الحديث اخرجه ابن مردويه
عن ابن عباس مرفوعا لما اسري بي مررت بخلق عجيب رايت ملكا نصف جسده
مما يلي راسه ثلج والاخر نار يكون ما بينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا
الثلج تذيب النار وهو قايم ينادي بصوت رفيع جدا يقول سبحان ربي
الذي كف هذا الثلج فلا يطفي حر هذه النار سبحان الذي كف هذه
النار فلا يذيب الثلج اللهم مولف بين الثلج والنار الف بين قلوب عبادك
المومنين فقلت من هذا يا اخي يا جبريل قال هذا ملك من الملايكة وكله الله
باكناف السموات واطراف الارضين وهو من انصح الملايكة لاهل الارض من

المومنين يدعو لهم بما تسمع منذ خلق وذكر حديثا طويلا فيها
عجايب وهو موضوع كما قاله ابن حبان وابن الجوزي والحافظ في اللسان تبعا
والذهبي في الميزان وان في الثالثة وهي من حديد ملايكة ذوي
صفة لملايكة وفي نسخة ذو على لغة من يلزم المثني الالف وفي اخري ذووا
خبر محذوف اي هم ذووا اجنحة ووجوه شتي جمع شتيت كمريض ومرضي
اي متفرقات في الصور واصوات شتي رافعين حال وفي نسخة رافعوا
بتقديرهم اصواتهم بالتسبيح يقولون سبحانك اللهم انت الحي الذي
لا يموت بفوقية مراعاة للفظ انت وبتحتية مراعاة للفظ الحي وهم صفوف
قيام كانهم بنيان مرصوص ملزوق بعضه الي بعض ثابت لا يعرف احدهم
لون صاحبه من خشية الله لانه ما نظر واحد منهم الي وجه صاحبه من
ولا ينظر اليه الي يوم القيامة كما في العظمة عن خالد بن معدان وان في
الرابعة وهي نحاس ملايكة يضعفون يزيدون على ملايكة
الثالثة مثلهم فاكثر عند الخليل وقال الازهري الضعف في كلام العرب المثل
ثم استعمل فيه وما زاد بلا حد وكذلك كل سما اكثر عددا من السما التي تليها
وان ملايكة السما الرابعة قيام وركوع وسجود على الوان انواع شتي
متفرقات من العبادات يبعث الله الملك منهم الي امر من اموره
فينطلق الملك منهم ثم ينصرف فلا يعرج المبعوث صاحبه الذي الي
جنبه ليرجع اليه وصاحبه بالنصب ويجوز رفعه على ان الباقي محله لا يعرف
هل انصرف الذاهب ام لا من شدة العبادة واشتغاله بها وهم يقولون
سبوح سبوح قدوس بضم اولهما منزه عن سو وعيب والاظهر انه خبر
لقوله ربنا الرحمن الذي لا اله الا هو وان في السما الخامسة وهي
من فضة ملايكة يزيدون على ملايكة الاربع سموات وهم سجود
وركوع لم يرفعوا ابصارهم الي يوم القيامة فاذا كان وجد يوم من
القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك اعتذارا واعترافا بالتقصير
واظهارا لكمال عظمته وانعامه بحيث لا يقدر روف احد على القيام بشكر ما
يقابل نعمة من نعمه وان في السما السادسة وهي من ذهب جند
الله وجند اسم جنس مفرد ولذا وصف بقوله الاعظم الكروبيون قال
الحليمي ملايكة العذاب من الكرب وفي القاموس الكروبيون سادة
الملايكة منهم جبريل وميكايل واسرافيل وهم المقربون من كرب اذا قرب وفي
تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم سيل ابن دحية هل يعرف لغة ام لا فقال
الكروبيون بتخفيف الرا سادة الملايكة وهم المقربون من كرب اذا قرب
انشد ابو علي البغدادي كروبية منهم ركع وسجد فقال الطيبي عن بعضهم
في هذه اللفظة ثلاث مبالغات احداها ان كرب ابلغ من قرب حين يوضع كما
يقول كربت الشمس ان تغرب كما تقول كادت والثانية انه وزن فعول
وهو للمبالغة والثالثة زيادة اليا فيه وهي تزاد للمبالغة كاحمري ذكره

في الحبايك لا يحصي عددهم الا الله تعالى عليهم ملك امير له سبعون
الف ملك وهم الذين يبعثهم الله في اموره الي الدنيا سبعون الف ملك
جنده وكل ملك منهم جنوده سبعون الف ملك وهم الذين يبعثهم
الله في اموره الي الدنيا رافعوا اصواتهم بالتسبيح والتهليل واخرج
ابن المنذر عن ابن عمرو يرفعه الملايكة عشرة اجزا تسعة اجزا الكروبيون
الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون وجز قد وكلوا بخزانة كل شي وما
في السما موضع اهاب الا فيه ملك ساجد او ملك راكع وان في السما السابعة
ونهرا من ياقوته حمرا من الملايكة ما اي ملايكة يزيدون على سبام
تقدم وعليهم ملك مقدم على سبعماية الف ملك منهم جنود مثل قطر
السما وتراب الثري في الكثرة والرمل والسهل وعدد الحصي والورق
وعدد كل شي خلق في السموات والارض ويخلق الله تعالى في كل يوم
ما يشا وما يعلم جنود ربك الا هو وروي ابو الشيخ مرفوعا خلق الله السما
الدنيا فجعلها سقفا محفوظا وجعل فيها حرسا شديدا وشهبا ساكنها من الملايكة
اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع في صورة البقر مثل عدد النجوم لا يفترون
من التسبيح والتهليل والتكبير واما السما الثانية فساكنها عدد القطر في صورة
العقبان لا يساموق ولا يفترون ولا يايسون منها ينشا السحاب حتى يخرج
من تحت الخافقين فينتشر في جو السما معه ملايكة يحرمونه حيث امروا به
اصواتهم التسبيح وتسبيحهم تخويف واما السما الثالثة فساكنها عدد الرمل
في صورة الناس يحرسون الليل والنهار واما السما الرابعة فساكنها عدد
اوراق الشجر صافون مناكبهم في صورة الحور العين من بين راكع وساجد
تقرب وجوههم سبحات ما بين السموات السبع والارض السابعة واما الخامسة
فان عددها يضعف على عدد ساير الخلق على صورة البشر منهم الكرام البررة
والعلما السفرة واما السما السادسة فحزب الله الغالب وجنده الاعظم
في صورة الخيل المسومة واما السما السابعة ففيها الملايكة المقربون الذين
يرفعون الاعمال في بطون الصحف ويحفظون الخيرات فوقها حملة
العرش الكروبيون وروي ان حملة العرش لكل منهم وجوه عدد
شعر واعين بشعر في جسده لا يشبه بعضها بعضا روي عبد
الرزاق وابن المنذر وغيرهما عن وهب قال حملة العرش لكل منهم
اربعة وجوه واربعة اجنحة جناحان على وجهه من ان ينظر الي
الي العرش فيصعق وجناحان يطير بهما واقدامهم في الثري لكل
واحد منهم وجه ثور واسد وانسان ونسر ليس لهم كلام الا ان
يقولوا قدوس الله القوي ملات عظمته السموات والارض وزاد
ابو الشيخ عن وهب ملك منهم في صورة انسان يشفع لبني ادم في
ارزاقهم وملك في صورة نسر يشفع للطير في ارزاقها وملك في صورة
اسد يشفع للسباع في ارزاقها فلما حملوا العرش وقعوا على ركبهم

من

من عظمة الله فلقنوا لا حول ولا قوة الا بالله فاستووا على ارجلهم فنبا ما
وروي عثمان بن سعيد الدارمي عن ابن عباس قال حملة العرش قرون
لها كعوب ككعوب القنا ما بين اخمص احدهم الي كعبه مسيرة خمسماية
عام وبين ارنبته الي ترقوته مسيرة خمسماية عام ومن ترقوته الي
موضع القرط خمسماية عام رافعة اصواتهم بالتهليل
ينظرون الي العرش لا يفترون لو ارسل الملك منهم جناحه لطبق
بسد الباغطي الدنيا بريشة من جناحه لا يعلم عددهم الا
الله وروي ابن المنذر وابو الشيخ والبيهقي في الشعب عن هرون
ابن رباب قال حملة العرش ثمانية رؤوسهم عند العرش في السما
السابعة واقدامهم في الارض السفلي ولهم قرون كقرون الوعلة
ما بين اصل قرن احدهم الي منتهاه مسيرة خمسماية عام يتجاوبون
بصوت رخيم اي سهل يقول اربعة منهم سبحانك اللهم وبحمدك
على حلمك بعد علمك ويقول اربعة منهم سبحانك اللهم وبحمدك
على عفوك بعد قدرتك وهذه الظاهرات الثمانية في الدنيا وكذا
روي ابن جرير عن ابن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يحمله اليوم اربعة ويوم القيامة ثمانية وروي ابو الشيخ عن وهب حملته
اليوم اربعة اخر وروي ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس
في قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يوميذ ثمانية قال ثمانية صفوف
من الملايكة لا يعلم عدتهم الا الله والاصل الحقيقة لانه تمثيل لعظمته
تعالى بالمشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم للقضا العام بين
الناس وحكي الضحاك في الاية قولين ثمانية املاك وثمانية صفوف
وقد روي الطبراني والبيهقي وابو الشيخ عن حديث ابن
عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جبريل بناحية
اذ انشق افق السما فاقبل جبريل يتضال ويدخل بعضه في بعض ويدنو
من الارض فاذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال يا محمد ان ربك يقريك السلام ويخيرك بين ان تكون نبيا ملكا
ونبيا عبدا قال صلى الله عليه وسلم الي بيده ان تواضع فعرفت
انه لي ناصح فقلت نبيا عبدا فعرج ذلك الي السما فقلت يا جبريل قد
كنت اردت ان اسالك عن هذا فرايت من حالك ما شغلني عن المسالة
فمن هذا يا جبريل قال هذا اسرافيل خلقه الله يوم خلقه صافا قدميه لا
يرفع طرفه بينه وبين الرب سبعون نورا ما منها نور يدنو منه الا
احترق بين يديه اللوح المحفوظ فاذا اذن الله في شي من السما او في
الارض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته فينظر فيه فان كان من عمل ملك
الموت امره به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل
على شي انت اي انت موكل على اي شي تقوم به وتدبره

قال على الرياح والجنود قال وعلى اي شي ميكايل قال على
النبات والقطر اي انهما راسا الموكلين بذلك قال واي شي ملك
ملك الموت قال على قبض الارواح وفي لفظ الانفس ابهم وله
اعوان قال تعالى توفته رسلنا الحديث بتمامه وماظننت انه هابط
الانبيا ما الساعة واما ذاك الذي رايت من الاخر فاسرافيل قيام الساعة ومن
اسناده محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلي الانصاري الكوفي
القاضي ابو عبد الرحمن مات سنة ثمان واربعين ومائة وقد ضعف
لسوء حفظه جدا ولم يترك بل روى له اصحاب السنن الاربعة لانه صدوق
وروى الترمذي باسناد صحيح والحاكم وصححه من حديث ابي سعيد
مرفوعا ان لي وزيرين من اهل السما ووزيرين من اهل الارض فوزيري
اي من اهل السما جبريل وميكايل ووزيراي من اهل الارض ابو
بكر وعمر هذا تمامه المشار له بقوله الحديث واخرجه الحكيم الترمذي
من حديث ابن عباس واخرج البزار والطبراني وابو نعيم عن ابن عباس
رفعه ان الله ايدني باربعة وزرا اثنين من اهل السما جبريل وميكايل
واثنين من اهل الارض ابي بكر وعمر قال القرطبي وفيه دلالة ان المصطفى
افضل من جبريل وميكاييل والوزير من الوزر وهو الثقل فانه يتحمل عن
الملك اوزاره قال تعالى حكاية واجعل لي وزيرا من اهلي وروى ابو
يعلى وابن عساكر عن ابي ذر مرفوعا ان لكل نبي وزيرين ووزيراي
وصاحباي ابو بكر وعمر وروى النقاش ان اسرافيل اول من
سجد لادم من الملايكة حين امروا بالسجود وانه جوزي على ذلك
بولاية اللوح المحفوظ بان جعل مطلعا عليه ومتصرفا فيه بنقل ما فيه
للملايكة كما في حديث ابن عباس المتقدم قريبا وروى ابو الشيخ
عن عايشة رفعته لاسرافيل اربعة اجنحة منها جناحان احدهما بالمشرق
والاخر بالمغرب واللوح بين عينيه فاذا اراد الله ان يكتب الوحي
يتقرب بين جبهته وروى ابو الشيخ وابن ابي حاتم عن ضمرة قال
بلغني ان اول من سجد لادم اسرافيل فاثابه الله ان كتب القران في
جبهته ولامنافاة فكلاهما جوزي به وفي كتاب العظمة لابي الشيخ
عبد الله بن حبان بفتح المهملة والتحتية الثقيلة الحافظ المشهور من
ذلك اي ما يدل على كثرة الملايكة جدا العجب العجاب وعندي منه
الجز الثاني وقد وقعت في غير رواية البخاري هنا اي في
ذكر السموات زيادات لا تبعد كونها بعد السدرة ورويته الانبيا ولان
رويته لابراهيم كان قبل ذلك فمنها اي الزيادات ما وقع في رواية
ابي سعيد الخدري عند البيهقي في دلايله والبزار وابي يعلى وابن
جرير وابن ابي حاتم ثم صعدت الي السما السابعة فاذا ابراهيم
الخليل ساند برفعه خبر مبتدا محذوف ظهره الي البيت المعمور

كاحسن

كاحسن الرجال ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي اي رد
السلام علي سماه سلاما لاشتماله عليه معنى واذا انا بامتي منقسمة
اوراها شطرين فنصب بمقدر والا فالظاهر شطران خبر امتي زيدت
فيه الباء والشطر لغة النصف وقد يستعمل في البعض قلا اوكثر وهو المراد
هنا فلا يلزم استوا القسمين عددا شطر عليهم ثياب بيض كانهم
القراطيس جمع قرطاس ما يكتب فيه وكسر القاف اشهر من ضمها والقرطس
وزان جعفر لغة فيه وشطر عليهم ثياب رمدة اي لونها كلون الرماد
لكن الذي في دلايل البيهقي رمد بلاتا قال في النهاية اي غبر فيها كدورة
كلون الرماد واحدها ارمد قال فدخلت البيت المعمور نقل في النور
ان السلطان برقوق سال عن البيت المعمور من اي شي هو فاجابه بعض
الحاضرين بانه من عقيق ونقله عن بعض التفاسير ودخل معي الذين
عليهم الثياب البيض وحجب الاخرون اي منعوا من الدخول الذين
عليهم الثياب الرمدة وهم على خير كما في رواية البيهقي وغيره اي لانهم
لما تاب الله عليهم صارت سياتهم مغفورة فبقيت اعمالهم التي يجازون
عليها كلها حسنة فصليت انا ومن في البيت المعمور اما ما على الظاهر
وفي رواية الطبراني فاذا هو برجل اشمط اي ابيض شعر الراس
يخالطه سواده كما في القاموس الشمط في الرجل شيب اللحية واطلق ابن
الاثير فقال الشمط الشيب جالس عند باب الجنة على كرسي وعنده
قوم جلوس بيض الوجوه امثال القراطيس وقوم في الوانهم شي
اي غبرة كما في الحديث فتمله فدخلوا نهرا فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص
بعض من الوانهم شي اي بعض الصفا ثم دخلوا نهرا اخر فاغتسلوا
فيه هكذا في النسخ الصحيحة ذكر ثلاثة انهار موافقة للرواية خلاف
ما في نسخ سقيمة من الاقتصار على نهرين فانه خطا نشا عن سقط ويدل
عليه بقية الحديث فخرجت وقد خلصت الوانهم وصارت مثل الوان
البيض الوجوه فجاوا فجلسوا الى اصحابهم كما في الرواية فقال يا جبريل
من هذا لفظ الرواية من هولا البيض الوجوه ومن هولا الذين
في الوانهم شي وما هذه الانهار التي دخلوا فيها فجاوا وقد
صفت الوانهم قال فقال جبريل هذا ابوك ابراهيم اول من
شمط بكسر الميم كفرح على الارض واما هولا البيض الوجوه فقوم
لم يلبسوا يخلطوا ايمانهم بظلم اي بشرك كما فسره به النبي صلى الله عليه
وسلم في الصحيحين اولئك لهم الامن من العذاب وهم مهتدون
وتوقف بعض في تفسيره هنا بالشرك لمقابلته بقوله واما هولا الذين
في الوانهم شي فقوم خلطوا عملا صالحا وهو جهادهم او اعترافهم
بذنوبهم او غير ذلك واخر سيا ولا وقفة اصلا فالمراد بالعمل السي ما
يشمل ادعاء الشريك لله تعالى فتابوا منه بمعنى اسلموا فتاب الله عليهم

واما المبيض الوجوه فما خلطوه بشرك اصلا فلذا ميزوا عليهم وان سبقت
لو لم يشركوا معصية وتاب منها واما الانهار فاولها رحمة الله
والثاني نعمة الله والثالث وسقاهم ربهم شرابا طهورا
مبالغة في طهارته ونظافته وظاهره ان الجملة اسم للنهر وليس
مرادا وانما المراد ان الثالث هو النهر يقال له الذي يشربون منه سقاهم
الى اخره وعليه فاسم النهر الشراب الطهور وفي رواية البخاري
في الصلاة عن ابن عباس وابي حبة الانصاري قال النبي صلى الله عليه
وسلم ثم عرج بفتحات او ضم الاول وكسر الثاني بي حتى ظهرت
اي ارتفعت لمستوى بفتح الواو منونا اي موضع مشرف يستوى عليه
اي يصعد قال المصنف وفي بعض الاصول بمستوى بموحدة بدل اللام
اسمع فيه صريف الاقلام قال القرطبي لعلها المعبر عنها بالقلم
المقسم به في نون والقلم ويكون القلم للجنس الحديث والمستوى
المصعد وقيل المكان المستوي وعليهما فالباء ظرفية وعلى رواية اللام
قال التوربشتي اللام للعلة اي ارتفعت لاستعلاء مستوى او لرؤيته او
لمطالعته ويحتمل ان يكون متعلقا بالمصدر اي ظهرت ظهور المستوى
ويحتمل ان تكون بمعنى الى قال تعالى اوحى لها اي اليها والمعنى اني
اقمت مقاما بلغت فيه من رفعة المحل الى حيث اطلعت على الكوائن وظهر لي
ما يراد من امر الله وتدبيره في خلقه وهذا هو المنتهى الذي لا تقدم فيه
لاحد عليه وقال الطيبي لام الغرض والى الغاية يلتقيان في المعنى قال
في الكشاف في قوله تعالى كل يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى
اهو من تعاقب من الحرفين قلت كلا ولن يسلك هذه الطريقة الا بليد
الطبع ضيق العطن ولكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل واحد
منهما ملايم لصحة الغرض لان قوله لان قوله الى اجل مسمى معناه يبلغه
وينتهي اليه وقوله لاجل مسمى يريد يجري لادراك اجل مسمى انتهى
فالحاصل ان اللام والى وان كان معناهما اعني الادراك والانتهاء
ملايما لصحة الغرض فليستا متعاقبتين فمعنى ظهرت الى مستوى
بلغته وانتهيت اليه اي لو روي بذلك ومعنى لمستوى الذي الرواية به
ادركت مستوى وجعل البيضاوي اللام صالحة للعلة والغاية وصريف
الاقلام هو بفتح الصاد المهملة وكسر الراء واخره فاء وفي النور
عن بعضهم صرير اخره عوض الفاء هو الاشهر في اللغة تصويتها حالة
الكتابة والمراد كما قال عياض والنووي ما تكتبه الملائكة من
اقضية الله تعالى ووحيه وما ينسخون من اللوح المحفوظ وما شاء
الله من ذلك ان يكتب ويرفع لما اراده من امره وتدبيره وفيه حجة لاهل
السنة في الايمان بصحة كتابة الوحي والمقادير في كتب الله من اللوح
المحفوظ بالاقلام التي هو يعلم كيفيتها على ما جاءت به الايات والاحاديث

الصحيحة

الصحيحة وان ما جاء من ذلك على ظاهره لكن كيفية ذلك وصورته وجنسه
لا يعلمه الا الله ومن اطلعه على شيء منه من ملايكته ورسله وما يتاول
هذا ويحيله الا ضعيف النظر والايمان اذ جاءت به الشريعة ودليل العقول
لا تحيله والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريده حكمة من الله واظهار الما يشاء من
غيبه لمن يشاء من ملايكته وساير خلقه والا فهو غني عن الكتب والاستذكار
انتهى والقدر القديم المكتوب قديم وانما الكتابة حادثة فلا
يتوهم ان القدر الذي تكتبه الملايكة حادث انما الحادث الكتابة ونفس
القدر لا يكتب فيؤول بما تعلق به القدرة معناه والمتعلق حادث كالكتابة
وظاهر الاخبار ان اللوح المحفوظ فرغ من كتابته وجف القلم
كناية عن فراغ الكتابة وانتهائها عبر به على عادة الكتاب انهم اذا
فرغوا الكتابة نظفوا اقلامهم فيجف بان الة اثر المداد كان عليها بما فيه
قبل خلق السموات والارض وانما هذه الكتابة في صحف الملائكة
كالفروع المنتسخة من الاصل وفيها الاثبات والمحو والمحو على
ما ذكر في الاثر وهذا ذكره ابن دحية وتبعه ابن المنير وزاد واصل
اللوح المحفوظ الذي انتسخ منه اللوح هو علم الغيب القديم في ازل
القدم وهو الذي لا محو فيه ولا اثبات حيث لا لوح ولا قلم والحكمة البالغة
والله اعلم في سماعه في صريف الاقلام حصول الطمانينة بجفاف القلم بما
في القدر حتى يتمكن التفويض للقدر لا للسبب وحتى يتعاطى السبب
تعبدا لا تعودا وبذلك يتم التوكل ويسكن الاضطراب عند اختلال الاسباب
فالاولى المناسبة بين هذا المعراج التاسع والعام التاسع من الهجرة انه كان
فيه غزوة تبوك خرج صلى الله عليه وسلم من المدينة الى الشام في العدد
الذي لم يتم قبله مثله كان العدد ثلاثين الفا والشقة بعيدة ولهذا لم يور
فيها بل اعلم الناس بوجههم ليكونوا اهبتهم بحسب ذلك ومع هذا الاجتهاد
في الاستعداد لم يلق فيها صلى الله عليه وسلم حربا ولا افتتح فيها بلدا
لان اجل فتح الشام لم يكن حل بعد فاذن تنسخ العزم بالقدر وبجفاف القلم ورجع
صلى الله عليه وسلم الى المدينة وعلى المسلمين الوقار والسكينة من غير
اضطراب عند انخراق العزيمة وذكر ابن القيم ان الاقلام اثني عشر
قلما وانها متفاوتة في الرتب جمع رتبة المنزلة فاعلاها واجلها
قدرا قلم القدر السابق الذي كتب الله به مقادير الخلق بمعنى
التقدير وهو تعلق علم الله وارادته الجلية ازلا بالكائنات قبل وجودها
وهو سبحانه ازلي لا يتقيد وجوده بزمان قاله الابي وقال النووي قال
العلماء المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ وغيره لا اصل التقدير
لانه ازلي لا اول له لحديث عبادة بن الصامت الخزرجي النقيب
البدري من فضلاء الصحابة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان اول ما اي شيء خلق الله القلم بالرفع على الخبرية

والاولية نسبية اي بعد العرش لان الجمهور وهو الاصح ان العرش خلق قبل
القلم قال ابن السيد الوجه رفع القلم وما اعلم احدا رواه بالنصب وهو
خطا لان القلم اول مخلوق كما دلت عليه الاحاديث فان صحت رواية بنصبه
خرجت علي نصب ان الجزئين لا علي انه مفعول خلق لفساده في المعني والاعراب
انتهي وظاهر الاحاديث انه قلم حقيقي من نور لحديث ابن عباس قلمه نور وعن
مجاهد انه من البراع المقصب فان صح فلعل تجسمه من نور علي صفة البراع
وطوله خمسماية عام رواه ابو الشيخ عن ابن عمر وعنده ايضا بسند واه وعرضه
كذلك وسنه مشقوقة ينبع منه المداد وفي خبر مرسل انه من لولو طوله سبعماية
عام ولا معارضة فالاقل لا ينفي الاكثر وكونه لولوا علي التشبيه لشدة بياضه
اذ هو نور واغرب شيخ الاسلام السراج البلقيني فيما حكاه عنه ولده في
ترجمته فقال انه القلم ملك من الملايكة لانه من نور والملايكة مخلوقة من
النور وانه عاقل قايم بكل ما يومر به قال له اكتب قال القلم بان خلق الله
له قوة النطق والادراك كما خلقها في الاعضا واحد وغيره ذلك وتجويز غير هذا
خروج عن الظاهر بلا دليل يارب وما اكتب مقادير كل شي زاد في
رواية الترمذي بما كان وما هو كاين الي الابد اي ما كان قبل القلم لان
اوليته نسبية فلا يرد نقضا بما انه اول مخلوق وما هو كاين الي انقضا هذا
العالم كما قال الي الابد وكقوله حتي تقوم الساعة وكذا ما بعدها مما يمكن
تناهي لا نعيم الاخرة وعذابها اذ لا نهاية له فلا يدخل تحت الكتابة وبقية
حديث ابي داود من مات علي غير هذا فليس مني فهذا القلم اول
الاقلام واجلها وقد قال غير واحد من اهل التفسير انه القلم
الذي اقسم الله به في قوله نٓ والقلم انه الذي خط في اللوح وقيل
المراد الذي يكتب به واول واقسم به لكثرة فوايده الحاصلة بالكتابة
والقلم الثاني قلم الوحي ٢ والثالث قلم التوقيع اي الذي يكتب به
ما يقع صادرا عن الله ورسوله والتوقيع ما يوقع في الكتاب كما في القاموس
والرابع قلم طب الابدان الذي يحفظ به صحتها والخامس قلم
التوقيع عن الملوك ونوابهم وبه تساس الممالك اي يدبر امرها
والسادس قلم الحساب وهو الذي يضبط به الاموال مستخرجها
ومصرفها ومقاديرها وهو قلم الارزاق والسابع قلم الحكم الذي
يثبت به الحقوق وتنفذ به القضايا والثامن قلم الشهادة
الذي تحفظ به الحقوق والتاسع قلم التعبير تفسير الرويا وهو
كاتب وحي المنام وتفسيره وتعبيره والعاشر قلم تواريخ العالم
ووقايعه والحادي عشر قلم اللغة وتفاصيلها والثاني عشر القلم الجامع
وهو قلم الرد علي المبطلين ودفع شبه المحرفين فهذه الاقلام
بها انتظام مصالح العالم قال ويكفي في كتابة القلم انه لم يكتب
كتب الله الا به وانه تعالي اقسم به في كتابه في احد القولين كما مر
انتهي

انتهي ملخصا من كتاب اقسام القرآن لابن القيم رحمه الله وقد وقع
في رواية ابي ذر عند مسلم في الايمان وغيره كالبخاري في احاديث
الانبيا والترمذي في التفسير والنسايي في الصلاة من الزيادة ايضا ثم
ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللولو واذا ترابها المسك حقيقة
وقول المصنف اي تراب الجنة كرايحة المسك تعقب بانه لا ضرورة الي هذا
التاويل فقد تظاهرت الاحاديث علي ان ترابها المسك وفي حديث ابي بن كعب
عند ابن مردويه فقال يا جبريل انهم يسالوني عن الجنة فقال اخبرهم انها
قيعان وان ترابها المسك والجنابذ بالجيم ثم بالنون المفتوحتين
ثم الموحدة ثم ذال معجمة هي القباب وفي الفتح شبه القباب
واحدها جنبذة بالضم وهو ما ارتفع من البنا فارسي معرب واصله
بلسانهم كنبده بوزنه لكن الموحدة مفتوحة والكاف ليست خالصة
وفي القاموس الجنبذة وقد تفتح البا وهو لحن كالقبة ويويده
اي تفسيره بالقباب ما في التفسير لسورة الكوثر من البخاري
من طريق قتادة عن انس لما عرج به اي بالنبي كما هو لفظه صلي
الله عليه وسلم قال اتيت علي نهر حافتاه قباب اللولو مجوف
فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر وللترمذي حافتاه فيهما مثل
القباب واما ما في كتاب الصلاة من البخاري من حديث ابي
ذر ثم ادخلت الجنة فاذا فيها حبايل اللولو بالمهملة والموحدة
واخره لام كذا لجميع الرواة في الصلاة فقال القاضي عياض
وغيره من الايمة هو تصحيف وانما هو جنابذ كما عند البخاري في احاديث
الانبيا وكذا عند غيره من الايمة ووقع في نسخة معتمدة من رواية
ابي ذر في الصلاة جنابذ علي الصواب قال الحافظ واظنه من اصلاح
بعض الرواة وقال صاحب المطالع الحبايل القلادة والعقود او هي من
حبايل الرمل اي فيها لولو مثل حبايل الرمل جمع حبل وهي ما استطال من
الرمل وتعقب بان الحبايل لا تكون الا جمع حبالة او حبيلة بوزن عظيمة
وقال بعض من اعتني بالبخاري الحبايل جمع حبالة وحبالة جمع حبل
علي غير قياس والمراد ان فيها عقودا وقلايد من اللولو انتهي وفي
حديث الامام احمد والترمذي من رواية حذيفة فتحت لهما اي
للمصطفي وجبريل ابواب السما قال صلي الله عليه وسلم فرايت الجنة
والنار ووعد الاخرة اجمع وفي حديث ابي سعيد عند البيهقي وابن
جرير وابن ابي حاتم انه صلي الله عليه وسلم عرضت عليه الجنة وان
رمانها كانه الدلا بكسر الدال والمد جمع دلو وفي رواية للبيهقي وغيره
ايضا واذا فيها رمان كانه جلود الابل المقتبة اي التي باقتابها واذا طيرها
كانها البخت نوع من البخت اي نوع من الابل الواحد بختي مثل روم ورومي
ثم يجمع علي البخاتي وتخفف وتثقل كما في المصباح وفي رواية للبيهقي

وغيره واذ اطيرها كالبخاتي فقال ابو بكر يا رسول الله ان تلك الطير
لناعمة قال اكلتها انعم منها واني لارجوا ان تاكل منها ومن عرضها عليه
كرامة عظيمة لانه كان يعرضها علي امته ليشتر وضها كما قال ان الله اشتري
الاية فاراد الله ان يعاين بينه ما يعرضه علي امته ليكون وصفه لها عن
مشاهدة ولانه كان يدعوا اليها فاراها له ليعلم انها تسع الخلايق كلهم ولا
تمتلي حتي ينشي الله لها خلقا كما في الحديث وليعلم خسة الدنيا من جنبها
فيكون فيها ازهد وعلي الشدايد اصبر ولئلا يكون لاحد كرامة الا وله
مثلها وكان لا درى بني كرامة دخول الجنة قبل القيامة فاراد تعالي ان
يكون ذلك لصفيه ونجيه ايضا قاله ابن دحية ملخصا وانه عرضت
عليه النار فاذا هي لو طرح فيها الحجارة والحديد لاكلتها وفي
رواية مسلم عن ابن عباس وابن مردوية عن عمرو راي مالكا خازن
النار فاذا رجل عابس يعرف الغضب في وجهه وفي حديث ابي هريرة
في مسلم والنساي فبدا النبي صلي الله عليه وسلم بالسلام ووقع
عند مسلم وكذا عند البخاري في الرقايق والترمذي من طريق همام
ابن منبه بن كامل الصنعاني اخو وهب ثقة روي له الجميع مات سنة
اثني وثلاثين ومائة علي الصحيح عن قتادة بن دعامة بن قتادة
السدوسي البصري ثقة ثبت روي له الجميع يقال ولد اكمه سنة بضع
عشرة ومائة عن انس رفعه بينما بالميم انا اسير في الجنة اذا
انا بنهر وذلك ليلة المعراج كما في رواية البخاري السابقة قريبا
عن انس لما عرج بالنبي صلي الله عليه وسلم قال اتيت علي نهر حافتاه
بحا مهملة وخفة الفا جانباه لانه ليس مستطيلا يجري فيه الماء حتي يكون
حافتان بل سايل علي وجه ارض الجنة كما قال صلي الله عليه وسلم
لعلكم تظنون ان انهار الجنة اخدود في الارض لا والله انها لسايحة
علي وجه الارض رواه ابو نعيم وصححه الضيا عن انس والاخدود شق
مستطيل في الارض قباب الدر المجوف واذا طينه بالنون وشك هدبة
ابن خالد شيخ البخاري هل هو بالنون او الموحدة ولم يشك فيه ابو الوليد
شيخ البخاري ايضا فقاله بالنون وهو المعتمد وفي رواية البيهقي
بلفظ ترابه مسك اذفر بذال معجمة يقال ذفر الشي بالكسر ذفرا بفتحتين
اشتدت رايحته طيبة كانت او كريهة واما بدال مهملة فالريح المنتنة فقال
جبريل هذا الكوثر ولمسلم ايضا من طريق شيبان عن قتادة عن
انس لما عرج بالنبي صلي الله عليه وسلم فذكر نحوه وفي رواية ابي عبيدة
ابن عبد الله بن مسعود مشهور بكنيته والاشهر انه لا اسم له غيرها
ويقال اسمه عامر كوفي ثقة والراجح انه لا يصح سماعه من ابيه مات
سنة ثانين عن ابيه ان ابراهيم عليه السلام قال قال للنبي صلي
الله عليه وسلم يا بني بتصغير تحبب انك لاق ربك الليلة يحتمل

ان

ان يكون ابراهيم علم بذلك في حياته ويحتمل غير ذلك وان امتك اخر
الامم واضعفها فان استطعت ان تكون حاجتك كلها بدليل قوله او جلها
بضم الجيم اي معظمها وكان معناه ان لم تستطع كلها فافعل ودعي له بالبركة
وهذا الحديث ساقه الشامي في القصة قبل دخوله بيت المقدس فقال ومر
علي شجرة تحتها شيخ وعياله فراي مصابيح وضوا فقال من هذا يا جبريل
قال هذا ابوك ابراهيم فسلم عليه فرد عليه السلام وقال من هذا معك يا جبريل
قال هذا ابنك احمد فقال مرحبا بالنبي الامي الذي بلغ رسالة ربه ونصح
لامته يا بني انك لاق فذكره ثم قال ثم سار حتي اتي المدينة يعني مدينة
القدس فما وهم سياق المصنف ان ابراهيم وصاه بذلك لما اجتمع به في السما
السابعة ليس بمراد وفي حديث ابي سعيد الخدري عند البيهقي ثم صعد
جبريل بي الي السما السابعة قال ثم رفعت لي بجنم الراء مبني للمفعول
وثانيه سدرة المنتهي فاذا كل ورقة منها تغطي لفظ رواية البيهقي
وغيره عن ابي سعيد تكاد تغطي هذه الامة ثم في حديث ابي هريرة
عند البزار والبيهقي وغيرها الورقة منها مغطية للامة كلها وفي لفظ
للطبري الورقة منها تظل الخلق واذا فيها اي في اصلها كما مر عين تجري
يقال لها السلسبيل فيشق منها نهران احدهما الكوثر والاخر
يقال له الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر
المراد تشريفه بهذا الامر اذ لو كان له ذنوب لغفرت ولم يكن له ذنب البتة
قاله التقي السبكي تبعا لابن عطية ونحوه قول عياض عن بعضهم المغفرة هنا
تنزيه من العيوب وقال بعض المحققين المغفرة هنا كناية عن العصمة اي
اي عصمت فيما تقدم من عمري وفيما تاخر منه عن الذنوب وهذا قول
في غاية الحسن وسيكون لنا ان شا الله تعالي عودة الي بسط ذلك حيث
تكلم فيه المصنف ثم دفعت الي الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لها لمن
انت قالت لزيد بن حارثة الكلبي مولي المصطفي وحبه ابي اسامة الحبر
المختص بان الله لم يصرح في كتابه باسم احد سواه من الصحابة وفيه اي
حديث ابي سعيد واذا رمانها كالدلاء عظما بكسر ففتح وفي رواية كانه
جلود الابل المقتبة ولا منافاة لجواز انه راي فيها بكل ما يشبه بكل منها من
فاخبره بكل مرة ويحتمل غير ذلك ثم عرضت علي بالبنا للمجهول ونايبه
النار فاذا فيها غضب الله وزجره عذابه ونقمته جمع نقمة لو طرحت
فيها الحجارة والحديد لاكلتها من شدة توقدها وفي حديث شداد
ابن اوس فاذا جهنم تكشف عن مثل الزرابي ووجدتها مثل الحمة
السخنة وزاد فيه انه راها في وادي بيت المقدس كذا في فتح الباري
فيحتمل انها لما عرضت عليه وهو في السما راها في وادي بيت المقدس
اي من جهته لا انه بان قوي الله بصره حتي راها واورد الشامي الحديث
في القصة قبل دخوله بيت المقدس ثم قال الزرابي بزاي فراكا رايته

يحتمل

بخط جماعة منهم الذهبي في تاريخ الاسلام والهيثمي في مجمع الزوايد
والشيخ يعني السيوطي في تفسيره جمع زرنمه بتثليث الزاي وهي
الطنفسة بكسر الطا والفا وبضمهما وبكسر الطا وضم الفا وهي البساط
الذي له خمل رقيق ورايت بخط بعض المحدثين الرواية برا مهملة واظنه
تصحيفا وان كان قريب المعنى والجمة بجا مضمومة الجمة والسجفة بفتح
السين المهملة وسكون الخا المعجمة اي جاده ثم اغلقت دوني حتى
لا يحصل له نوع ضجر قال ابن دحية انما عرضت لعليه النار ليكون امنا
يوم القيامة فيفزع الى الشفاعة ولم يومن لكان مشغولا بنفسه كغيره
من الانبيا لانهم لم يروا قبل يوم القيامة شيا منها فاذا راوها جزعوا
وكفتهم السنتهم عن الخطبة والشفاعة من قولها وقال كل منهم نفسي
نفسي وهو صلى الله عليه وسلم قد راها قبل فلا يفزع منها مثل ما فزعوا
فيقدر على الخطبة وهو المقام المحمود ولان الكفار لما كذبوا واستهزوا به
واذوه اشد الاذى بواراه الله تعالى النار المعدة لهم تطييبا لقلبه
وتسكينا لفواده وللاشارة الى ان من طيب قلبه باهانة اعدايه
والانتقام منهم فاولى ان يطيبه في اوليايه بالشفاعة والاكرام
وليعلم منة الله عليه حين انقذهم منها ببركته وشفاعته انتهى ملخصا
وفي الطبراني وابن حبان من طريق ابي واقد الحراني قال
الذهبي وهو الافة والخطيب من طريق محمد بن خليل قال ابن الجوزي
كذاب يضع وابن عيلان من غيلان احمد بن طريق احمد بن الاحجم
المروزي وهو كذاب وابن الجوزي من طريق غلام جليل وهو كذاب
كلهم من حديث عايشة مرفوعا لما كان تامة اي حصل
ليلة اسري الى السما دخلت فوقفت بالفا اي اطلعت
على شجرة من اشجار الجنة لم ار في الجنة شجرة احسن منها
ولا ابيض ورقا ولا اطيب منها ثمرة فتناولت اخذت ثمرة
من ثمرها فاكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما اهبطت واقعت
خديجة فحملت بفاطمة فاذا اشتقت الى رايحة الجنة شممت ريح
فاطمة هذا لبقيته وهو حديث ضعيف اراد به شر الضعيف
وهو الموضوع فقد صرح ابن الجوزي والذهبي والحافظ بانه
موضوع وان تعددت طرقه عن عايشة ورواه ابن الجوزي عن
ابن عباس من طريق الايرادي وهو وضاع كذاب والحاكم في
المستدرك عن سعد بن ابي وقاص قال الذهبي في تلخيصه هذا
كذاب جلي وهو من وضع مسلم بن عيسى الصفار لان فاطمة ولدت
قبل النبوة فضلا عن الاسرا ويدل على ان المص اراد بالضعف الوضع
قوله وفيه التصريح بان الاسرا كان قبل ولادة فاطمة
وهي ولدت قبل النبوة بسبع سنين وشى الذي جزم به ابن الجوزي

والمدايني

والمدايني وابو سعيدة الواقدي عن الباقر عن العباس انها ولدت قبل النبوة بخمس
سنين ولا ريب ان الاسرا كان بعد النبوة بالاجماع ولذا قال في اللسان
كان واضعه جاهلا والا ففاطمة ولدت قبل فرض الصلاة انتهى وذكر ابو الحسن
علي بن غالب في ما اي كتاب تكلم فيه على احاديث الحجب السبعين من
السحابة والسبعين الوحجاب وهذه الاحوال الثلاثة نشات من اختلاف
الروايات في عدة الحجب حيث وردت بكل منها وجمع المغاني بان السبعين من
بالنسبة الى السموات السبع والسحابية باعتبار عالم الكرسي وما حويه والسبعين
الفا باعتبار عالم العرش وما حويه وبسط الكلام على ذلك وعزاها الاولى
الربيع بن سبع باسكان الموحدة وقد تضم كما في التبصير ومقتضى المصنف انه
لم يروه الا ابن سبع في شفا الصدور لانه كثير النقل عنه من حديث ابن عباس
انه صلى الله عليه وسلم قال بعد ان ذكر حديث الاسرا كما اي مثل ما
ورد في الامهات اي الاصول وهي الكتب وظاهره ان ابن عباس رواه
بلا واسطة وليس كذلك فالمنقول عن ابن غالب عن ابن سبع عن ابن عباس
قال قال علي سلوني قبل ان تفقدوني سلوني عن علم لا يعلمه جبريل ولا ميكاييل
علمني رسول الله ما علمه ليلة الاسرا قال علمني ربي علوما شتى فاعلمني صلى الله
عليه وسلم قال كنت نورا في جسد ابراهيم وذرة في ظهره فلما عارضه جبريل وهو
في المنجنيق فقال له يا خليل الرحمن هل لك من حاجة قال اما اليك فلا فعاد اليه
ثانية ومعه ميكاييل فقال له لا اليك ولا الى ميكاييل فعاد اليه ثالثة فقال هل
لك من حاجة الى ربك فقال يا اخي يا جبريل من شان الخليل ان لا يعارضه خليله
قال النبي صلى الله عليه وسلم فانطقني الله ان قلت ان بعثني الله نبيا واصطفاني
بالرسالة لاجازين اخي جبريل على فعله بابي ابراهيم فلما كان ليلة الاسرا
بعد ان بعثني الله اتاني جبريل وكان السفير اي المسافر يعني الذاهب
بي الى ربي الى ان انتهى الى مقام ثم وقف عند ذلك فقلت يا جبريل
في مثل هذا المقام وهو سدرة المنتهى يترك الخل خليله فقال ان
جاوزته احترقت بالنور فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل
هل من حاجة الى ربك فقال يا محمد سل الله لي ان ابسط جناحي مفرد
مضاف الى يا المتكلم على الصراط لامتك حتى يجوزوا عليه اذ لو كان
مثنى لقال عليهما ثم زج بي اي فجيم ثقيلة في النور زجا فخرق بي بالبنا
للمفعول سبعون الوحجاب ليس فيها حجاب يشبه الاخر وانقطع
عني حس كل ملك وانسي فلحقني عند ذلك استيحاش اي حالة تشبه
حالة المستوحش من الانفراد والبعد عن الخلق وتطلق الوحشة على الخلوة
فعند ذلك ناداني مناد بلغة ابي بكر قف ان ربك يصلي فبينا انا
اتفكر في ذلك هل سبقني ابو بكر فاذا النداء من العلي الاعلى سبحانه
وتعالى وتاويله بان النداء من الملك بامر العلي باياه للمقام كما لا يخفى بل
العلي تعالى خاطبه بلا واسطة بقوله ادن يا خير البرية اي الخلق

واصله بالهمزة قلبت يا لوقوعها بعد يا ان ابدة وادغمت الزايدة في المبدلة عن
الهمزة ادن يا احمد ادن يا محمد ليدن الحبيب مجزوم بلام الامر مسلولا دن
فجمع بين الامر بالصيغة وباللام فادناني ربي حتى كنت كما قال تعالى
ثم دنى فتدلى زادني القرب فكان منه قاب قوسين او ادنى
من ذلك قال وسالني ربي لم يبين ماسالني عنه فلم استطع ان اجيبه
فوضع يده بين كتفي بلا تكييف ولا تحديد لاستحالتهما عليه فوجدت
بردها بين ثديي فاورثني علم الاولين والاخرين وعلمني
علوما شتى فعلم اخذ علي كتمانه بكسر الكاف اي امرني باخفايه اذ علم
اي لعلمه انه لا يقدر على حمله احد غيري وعلم خيرني فيه اي في اخفايه
واظهاره قال في الحديث فكنت اسر الى ابي بكر والى عمر والى عثمان والى
يا ابا الحسن يعني عليا لانه راويه وعلمني القران فكان جبريل يذكرني
به بضم اليا وسكون الذال وكسر الكاف مخففة وبضم اليا وفتح الذال وكسر
الكاف مشددة وكافه نزل معارضته بالقران حين كان يدارسه منزلة
من يغفل عن الشغل فيذكر به او كان يحصل له سهو عن بعض الكلمات فيذكره به
وعلم امرني بتبليغه الى العام والخاص من امتي وهو قوله يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك كذا في الرواية فبل قوله قال ولقد عاجلت
جبريل في اية نزل علي بها ان بينتها ولم نر من بينها فعاتبني ربي وانزل
علي ولا تعجل بالقران اي بقراته من قبل ان يقضى اليك وحيه اي
يفرغ جبريل من ابلاغه وقل رب زدني علما بالقران فكلما نزل عليه شي منه زاد
به علمه ثم الهمني ربي ان قلت كما في الرواية اللهم لما لحقني استيحاش
قبل قدومي سمعت مناديا ينادي بلغة تشبه لغة ابي بكر فقال لي
قف ان ربك يصلي فعجبت من هاتين وبينهما بقوله هل سبقني ابو بكر
الى هذا المقام وان ربي لغني ان يصلي قال فقال انا الغني
عن ان اصلي لاحد تكمل به او لغرض يحمل على صلاتي له وانما اصلي على
غيري رحمة وتفضلا مني من غير اجبار ولا الجاء الى ذلك فاني انا الغني المطلق
لا اله غيري وانما اقول سبحاني سبحاني تنزيها لي عما لا يليق سبقت
رحمتي غضبي اقرا يا محمد هو الذي الذي يصلي عليكم اي يرحمكم
وملايكته اي يستغفرون لكم ليخرجكم ليديم اخراجه اياكم من الظلمات
اي الكفر الى النور اي الايمان وكان بالمومنين رحيما ومن رحمته صلاته
عليهم كما قال فصلاتي رحمة لك ولامتك وروى ابن المنذر وغيره
لما نزلت ان الله وملايكته الاية قال الصديق يا رسول الله ما خصك الله
بشرف الا واشركنا فيه فنزلت هو الذي يصلي عليكم الاية واما
امر صاحبك وهو سماعك صوتا يشبه صوته فسببه تانيسك بسماع
شبيهه ليزول عنك عظيم الهيبة فتتقوى على قبول ما يلقى اليك كما اشار
اليه بقوله ان اخاك موسى كان انسه بالعصى فلما اردنا كلامه قلنا

وما

وما تلك كاينة بيمينك يا موسى الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة
فيها قال هي عصاي وشغل بذكر العصى عنه عظم الهيبة وكذلك
انت يا محمد لما كان انسك التام بصاحبك ابي بكر وانك خلقت بكسر
الهمزة جملة حالية انت وهو من طينة واحدة وهو انيسك في الدنيا
كما وقع ليلة الغار والاخرة خلقنا ملكا على صورته يناديك بلغته
ليزول عنك الاستيحاش لئلا يلحقك من عظم الهيبة ما يقطعك
عن فهم مصدر مضاف للمفعول اي فهمك ما يراد منك فهمه ثم انساني ربي
حاجة اخي جبريل واراد ان يمن علي بان اذكرنيها فقال الله تعالى واين
حاجة جبريل هكذا في الرواية انساني الخ فكان نسيانها له ليشغله بعظيم
الهيبة والجلال له او بلذة بسماع الخطاب فمن عليه بتذكاره فقلت اللهم انك
اعلم فقلت فقال يا محمد قد اجبته فيما سال ولكن في طايفة من امتك
فقلت اللهم فمن تلك الطايفة قال لمن احبك وصحبك فاجابه باذنه في بسط
جناحه لخواص امته الاتقيا دون من دونهم ايمانه بتقصير في طاعة او بالعصيان
لمن ابغض بعض صحبه وفي رواية من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد ان ذكر حديث الاسرا كما في الامهات قال فتقدمت
وجبريل على اثري فيه العطف على الضمير المتصل بلا فاصل وهو ضعيف
ومع ضعفه هو جايز في السعة كما قال ابن مالك حتى انتهى بي الى حجاب
فراش الذهب فحرك الحجاب فقيل من هذا قال انا جبريل ومعي محمد
صلى الله عليه وسلم فقال الملك الله اكبر تعظيما لما راى وفرحا بقدوم
المصطفى فاخرج يده من تحت الحجاب فاحتملني فوضعني بين
يديه في اسرع من طرفة عين وغلظ الحجاب مسيرة خمسماية
عام فقال لي تقدم يا محمد اسقط منه فقلت انك انت تقدم فقال يا محمد
تقدم فانت اكرم على الله مني فمضيت فانطلق بي الملك في اسرع من
طرفة عين الى حجاب اللولو فحرك الباب فقال الملك من وراء الحجاب
من هذا قال انا فلان لم يسم صاحب حجاب الذهب ولا شك ان سيره
معه باذن الله تانيسا له عليه السلام وهذا محمد رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم رسول رب العزة معي فقال الملك الله اكبر فاخرج
يده من تحت الحجاب فاحتملني حتى وضعني بين يديه ووجود الملايكة
عند الحجب معلول بما تفيده الاحاديث ان سدرة المنتهى لم يجاوزها احد
الا المصطفى وبه جزم النووي كما مر وتاويله باحتمال ان المراد لم يجاوزها
احد من ملايكة السموات ونحوها انما ينهض لو كان لهذا الحديث نوع تماسك
وبا بقى انه كذب فلم ازل كذلك من حجاب الى حجاب حتى جاوزت
سبعين حجابا غلظ كل حجاب مسيرة خمسماية عام فقال لي تقدم
يا محمد ثم دلي فمضيت فانطلق بي الملك ثم دلي لي رفرف اخضر
فغلب خضرته ضوء الشمس فالتمع اي اضا بصري نفويه ادراكه

حتى تمكن من مشاهدة ما في تلك الحضرات من الامور التي يقصر العقل عن وصفها
وبيان حقيقتها ووضعت على ذلك الرفرف ثم احتملت حتى وصلت
الى العرش اسقط قوله فلما رايت العرش اتضع كل شي عند العرش ثم اذا الله
تعالى بحوله وقوته وتمام نعمته على قربني عند العرش فابصرت امرا عظيما
لا تناله الالسن حذف منه فسالت الهي ان يمن علي بالثبات حتى استتم نعمته
من الله علي وقواني لذلك ثم دلي لي قطرة من العرش فوضعت على
لساني فما ذاق الذايقون شيا قط احلى منها فانباني الله نبا الاولين
والاخرين ونور قلبي وغشي نور عرشه بصري فجعلت ارى
بقلبي ولا ارى بعيني قال الغاني اي فقط بل رايت بالباطن والظاهر
وقد اشار الى ذلك بقوله ورايت من خلفي ومن بين كتفي كما بين
امامي والا فالمقتضي لكونه سلب روية بصره وراى بغيره من ظاهر
جسده وبهذا لا يشكل مع ما تقرر من الرواية انتهى الحديث ذكر الغاني
تمامه في ازيد من ورقتين تاسيا لمن عزاه له المصنف بقوله رواه والذي
قبله ابن سبع في كتاب شفا الصدور كما ذكره ابن غالب هذا ثم
بعدم رويته في ابن سبع والعهدة في ذلك عليه ثم قال الشامي بعد نقل كلام
المصنف هذا وهو كذاب بلا شك انتهى والعجب من الغاني حيث اورد الروايتين
بطولهما ساكتا عليهما قايلا ولا يستبعد وقوع هذا كله في بعض ليلة وتكثير
الحجب لم يرد في طريق صحيح ولم يصح في ذلك غير ما في مسلم في الايمان عن ابي موسى
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله تعالى لا
ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل
النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه
ما انتهى اليه بصره من خلقه اي انه محتجب بنور عظمته وذلك الحجاب هو
الذي تدهش دونه العقول وتذهب الابصار وتتحير البصاير فهي اي به
خلاف الحجب المعهودة فكيف يشاهد فهو استيناف في جواب سوال مقدر
هو لم لا تشاهد الله اشار اليه الطيبي والرفرف البساط اي هو المراد
هنا وقيل انه في الاصل ما كان من الديباج وغيره رقيقا حسن
الصنعة ثم اتسع فيه فاطلق على البساط وعلى كل ثوب عريض وعلى
ذيل الخيمة وعلى الوسايد والنمارق وبها فسر متكئين على رفرف خضر
وفي نسخ رقيق مبتدا خبره من الديباج مقدم عليه واسم كان ضمير
الشان والجملة خبر كان واعلم ان ما ذكر في هذا المحل من الحجب
على تقدير صحتها وكذا حجابه النور فهو في حق المخلوق زاد الفاء في
خبر الموصول لتضمنه معنى الشرط وهو جايز لا في حق الخالق عز وجل
اذ الحجاب لغة المنع والحاجب المانع ومنه حاجب العين وحاجب الامير
فيقتضي تناهيه وتحيزه والله سبحانه وتعالى منزه عما يحجبه
اذ الحجب بضمتين جمع حجاب او بفتح فسكون مصدر اما محيطة

مقدر

بمقدر محسوس له طول وعرض وعمق في جهة يحس بتوجه الناظر فيقتضي
الجهة وهو منزه عن ذلك فالخلق كلهم محجوبون عنه تعالى بمعاني
الاسما والصفات والافعال وساير المخلوقات من معاني الانوار
والظلمات كل له مقام من الحجب معلوم وحظ من الادراك اي
انواع العلم والمعرفة به مقسوم بحسب ما اراده تعالى وقد قال تعالى
في الكفار كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فجعلهم هم المحجوبين لا هو واورد
ان الحجب امر نسبي لابد من تعلقه بالطرفين فكيف يصح ذلك واجيب
بانه نسبي لكن بين حاجب ومحجوب والحاجب سبحات الانوار وستاير العظمة
والمحجوب مخلوقاته لا هو لانه محجوب عنه لا محجوب فيجوز انه يوصف بانه محجوب
عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن انكره واقرب الخلق الى الله تعالى الملايكة
الحافون بعرشه والكروبيون بتخفيف الرا سادات الملايكة من كرب اذا
قرب كما مر وهم محجوبون عن رويته بنور المهابة والعظمة والكبريا
والجلال والقدس والقيومية حجب الذات بالصفات اي كان الذات
حجبت بالصفات التي قامت بها عن معرفة حقيقتها وتعلقها بهيبته تحيزها
كذلك حجب الحافون والكروبيون عنه تعالى بانوار المهابة وهي في الحجب
عنه على طبقات مختلفات كل على مقام معلوم ودرجات وفي التنزيل
وما منا الا له مقام معلوم وبالجملة فالمخلوقات كلها اي التي تقوم بالعالم
يشتغل بها عما يقربه الى الله ما كانت اما ظرفية اي مدة كونها من اي وجد لها
حجاب بالرفع خبر المخلوقات عن الحقايق اي هي التي تحجبهم عن القيام
بحقوق الخالق وجعلها بعض معترضة بين المبتدا والخبر والاظهر جعلها ظرفا
من المبتدا فقوم حجبوا برؤية النعم التي اسبغت عليهم عن المنعم جل وعلا
وبرؤية الاحوال المشاهدة لهم من نحو صحة وغنى وضديهما عن ذي الحول
والقوة الذي خلق ذلك وقدره وفي نسخة عن المحول اي الموجد لتلك الاحوال
لكن فيه اطلاق على الله نظر وبرؤية الاسباب كالشبع والري وضدهما
عن المسبب الخالق لذلك وقوم حجبوا بالعلم عن العلم فتراهم ابدا
انما يبحثون ويتكلمون في العلم وما يتفرع منه وتراهم غافلين عن التفكر
في التفكر في الامن عليهم وبالفهم عن المفهم وبالعقل عن المعقل وكل
ذلك من معنى حجاب النعم عن المنعم والمواهب عن الواهب اذ هذه
بعض تفاصيل النعم والمواهب وقوم حجبوا بالشهوات المباحة فهم فيها
ابدا منها يرتعون وقوم حجبوا بالشهوات المحرمات والمعاصي
والسيات وان لم يكن منها شهوات فتقابل الحظ وقوم حجبوا بالمال
والبنين وزينة الحياة الدنيا اللهم لا تحجب قلوبنا عنك في
الدنيا ولا ابصارنا عنك في الاخرة يا كريم واجعل وجوهنا
ناضرة الى ربها ناظرة وما احلى قول الحكم الحق ليس بمحجوب انما المحجوب
انت عن النظر اليه اذ لو حجبه شي لستره ما حجبه ولو كان

له سائر لكان لوجوده حاصر كل حاصر لشي فهو له سائر وهو القاهر فوق عباده
كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر من كل شي كيف يتصور من ان يحجبه
شي وهو الذي ظهر بكل شي كيف يتصور ان يحجبه شي وهو الذي ظهر لكل شي فهو
الذي يتصور ان يحجبه شي وهو الظاهر قبل وجود كل شي كيف يتصور ان يحجبه
شي وهو اظهر من كل شي **وقد ورد في الصحيح** للبخاري من طريق **شريك عن**
انس قال عرج بي جبريل الي سدرة المنتهي لفظ الصحيح ثم علا به جبريل
فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتي جا سدرة المنتهي فمعقول المصنف بي شي لانه
لم يصرح برفعه **ودنا الجبار رب العزة** دنو قرب ومكانة لا دنو مكان ولا قرب
زمان **فتدلي** زاد في القرب **فكان قاب قوسين او ادني** اقرب وهو
بالنسبة للمصطفي عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة وبالنسبة
الي الله تعالي اجابته ورفع درجته وهذا مما انكر من رواية قال الخطابي ليس في
البخاري اشنع ظاهرا ولا اشنع مذاقا من هذا فانه يقتضي تحديد المسافة بين احد
المذكورين وبين الاخر وتمييز كل واحد منهما هذا مع ما في التدلي من التشبيه والتمثيل
له بالشي الذي تعلق من فوق الي اسفل فمن لم يبلغه من هذا الحديث الا هذا القدر
مقطوعا عن غيره ولم يعتبره باول القصة ولا باخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه
وكان قصاراه اما رد الحديث من اصله واما الوقوع في التشبيه وهما امر مرغوب
عنهما واما من اعتبر اول الحديث باخره فانه لم يزول عنه الاشكال فانه مصرح
فيهما بانه كان رويا لقوله اوله وهو نايم وفي اخره استيقظ وبعض الرويا
مثل يضرب ليتناول علي الوجه الذي يجب ان يصرف اليه معني التعبير في مثله
وبعض الرويا لا يحتاج الي ذلك بل ياتي كالمشاهدة قال الحافظ وهو كما قال
ولا التفات الي من تعقبه بان في الحديث الصحيح ان رويا الانبيا وحي
فلا يحتاج الي تعبير لانه كلام من لم يمعن النظر فان بعض مراي الانبيا يقبل
التعبير كقول بعض الصحابة في القميص فما اولته يا رسول الله قال الدين
وفي رويا اللبن قال العلم لكن جزم الخطابي بانه منام متعقب بان الراجح
انه يقظة بالادلة ثم دفع الخطابي الحديث من اصله بان القصة بطولها
انما هي حكاية يحكيها انس من تلقا نفسه لم يعزها الي النبي صلي الله
عليه وسلم ولا نقلها عنه فحاصل الامر في النقل انها من جهة الراوي
اما انس واما شريك فانه كثير التفرد بمناكير الالفاظ التي لا يتابعه
عليها ساير الرواة قال الحافظ وما نفاه من ان انسا لم يسند هذه
القصة الي النبي صلي الله عليه وسلم لا تاثير له فادني امره فيها
ان يكون مرسل صحابي فاما ان يكون تلقاها من النبي صلي الله عليه
وسلم او عن صحابي تلقاها عنه ومثل ما اشتملت عليه لا يقال بالراي
فيكون لها حكم الرفع ولو اثر ما ذكره لم يحل حديث احد روي مثل ذلك علي
الرفع اصلا وهو خلاف عمل المحدثين قاطبة فالتعليل بذلك مردود ثم قال
الخطابي نسبة التدلي للجبار مخالف لعامة السلف والعلما واهل التشبيه

من تقدم ومن تاخر والذي قيل فيه ثلاثة اقوال احدها دنا جبريل من محمد
فتدلي اي تقرب منه وقيل هو علي التقديم والتاخير اي تدلي فدني لان
التدلي سبب الدنو الثاني تدلي له جبريل بعد الانتصاب والارتفاع حتي
راه متدليا كما راه مرتفعا وذلك من ايات الله حيث اقدره علي ان يتدلي في الهوا من غير
اعتماد علي شي وتمسك بشي الثالث دني جبريل فتدلي محمد ساجدا لربه شكرا
علي ما اعطاه من الزلفي وقد روي هذا الحديث عن انس من غير طريق شريك
فلم يذكر فيه هذه الالفاظ الشنيعة وذلك مما يقوي الظن انها صادرة من
شريك قال الحافظ فقد اخرج البيهقي من طريق الاموي في مغازيه عن محمد بن عمر
بن ابي سلمة عن ابن عباس في قوله فيه قوله تارة اخري قال دنا منه ربه
وهذا سند حسن وهو شاهد قوي لرواية شريك ثم قال الخطابي وفي هذا
الحديث لفظة اخري تفرد بها شريك ايضا لم يذكرها غيره وهي قوله فعلا به
يعني جبريل الي الجبار تعالي فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا والمكان
لا يضاف الي الله انما هو مكان النبي صلي الله عليه وسلم في مقامه الاول
الذي قام فيه قبل هبوطه قال الحافظ وهذا الاخير منفي وليس في السياق
تصريح باضافة المكان الي الله تعالي قال وما جزم به من مخالفته للسلف
والخلف فقد ذكرنا من وافقه وقد نقل القرطبي عن ابن عباس انه قال دني
الله قال القرطبي والمعني دني امره وحكمه واصل التدلي النزول الي الشي
حتي يقرب منه وقيل تدلي الرفرف لمحمد حتي جلس عليه ثم دني محمد من ربه وقد
ازال العلما اشكاله فقد قال القاضي عياض اضافة الدنو والقرب هنا من الله
والي الله ليس بدنو مكان وقرب مدي ينتهي اليه وانما دنوه صلي الله عليه وسلم
من ربه وقربه هو منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته اعلنا بشانه واظهار الما
لم يوته احدا غيره واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبته وقدرته
مما لم يطلع عليه غيره كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ينتهي اليه مطمح
فهم ومطرح وهم ومن العباد بالحدود الغائية المنتهية الي غاية وقال ايضا
انقطعت الكيفية عن الدنو الا تري كيف حجب جبريل عن دنوه ودني محمد
الي ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلي بسكون قلبه الي ما ادناه
اليه وازال عن قلبه الشك والارتياب اي الذي عري خاطره هل يفشي حصرة
هذا القرب وينال مواهبه من انافة واكرام وشرف وانعام فانجح الله امنيته
لا الشك في ذلك اذ كان اثبت الناس معرفة وايمانا واسكنهم جنانا
وامكنهم طمانينة وسكونا وانما الدنو والقرب من الله تعالي او كناية الي بعث
جبريل فوايده اليه ويحزيل وجميل عوايده عليه وتانيس الاستيحاشة
بانقطاع الاصوات عنه وبسطا بالمكالمة واكرام شرايف مبلغة او هو دنو
افضال واجمال علي احد الوجوه في حديث ينزل ربنا الي سما الدنيا كل
ليلة وقال الواسطي من توهم انه تعالي بنفسه دنا فقد جعل ثم مسافة
ولا مسافة لا استحالتها بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلي بعد ايمن كلما قرب

منه تزل بساحة البعد كناية عن نفيهما جميعا او عن ادراك حقيقته اذ لا يدركها احد اذ لا دنو للحق ولا بعد لاستحالتهما وقوله فاني قريب تمثيل لكمال علمه واجابته لسائليه عن القرب مكانا **فاوحى الى عبده ما اوحى** كذا في النسخ ولفظ البخاري فاوحى الله فيما اوحى خمسين صلاة **الحديث** ذكر في بقيته الهبوط والمراجعة في الصلاة **وهذا الدنو والتدلي المذكور في هذا الحديث وغيره من احاديث المعراج غير الدنو والتدلي المذكور في قوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان قاب** قدر **قوسين** ما بين مقبض القوس والسية بكسر المهملة وتحتية خفيفة وهي ما عطف من طرفيها ولكل قوس قابان **وان اتفقا في اللفظ** لا اختلافهما في المسند اليه لانه في الحديث مسند الى الله تعالى جل وفي الاية **فان الصحيح ان المراد في الاية جبريل لانه الموصوف بما ذكر من اول السورة** يعني قوله علمه شديد القوى **الى قوله ولقد راه نزلة** مرة من النزول كجلسة من الجلوس والواو للعطف او الحال اي كيف تجادلونه فيما راه وهو قد راه على وجه لا شك فيه **اخرى** يدل على سبق رؤية قبلها **عند سدرة المنتهى** طرف مكان لراى **هكذا فسره النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح** الذي اخرجه مسلم **قالت عائشة رضي الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية** اي ولقد راه نزلة اخرى **فقال ذاك جبريل لم اره في صورته التي خلق عليها الا مرتين** الاولى بالارض والنبي صلى الله عليه وسلم بحراء في اوايل البعثة بعد فترة الوحي كما قال ابن كثير وجبريل بالافق الاعلى ومرة في السما ليلة الاسرا **ولفظ القران لا يدل على ذلك من وجوه سبعة احدها انه قال علمه** اي صاحبكم محمد والمفعول الثاني محذوف اي علم النبي الوحي ويجوز ان يعود الضمير في علمه للوحي اي الموحى فالمفعول الاول محذوف اي علم الوحي النبي **شديد القوى** اي قواه العلمية والعملية شديدة كلها **وهذا جبريل الذي وصفه بالقوة في سورة التكوير** بقوله ذي قوة وفي وصفها بذلك فوايد اذ مدح المعلم مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل بلا وصف لم يحصل للمصطفى فضيلة ظاهرة ومنه رد قولهم اساطير الاولين والوثوق بقول جبريل لان قوة الادراك شرط للوثوق بقول القايل وكذا قوة الحفظ والامانة فوصفه بجميع هذه الشروط **الثاني انه قال ذو مرة** قال القرطبي قال مسلم قطرب تقول العرب لكل جزل الراي حصيف العقل ذو مرة قال الشاعر

قد كنت قبل لقايكم ذا مرة ۞ عندي لكل مخاصم ميزانه ۞

وكانت جزالة رايه وحصافة عقله ان الله ايتمنه على وحيه الى جميع رسله وفسره ابن القيم بقوله **اي حسن الخلق** بفتح فسكون لم يضمني

وهو

وهو الكريم في سورة التكوير في انه لقول رسول كريم اي كريم خلقا وخلقا قال ابن القيم ايضا ذو مرة اي جميل المنظر حسن الصورة ذو جلالة ليس شيطانا قبيح الخلق صورة بل هو من اجمل الخلق واقواهم واعظمهم امانة ومكانة عند الله قال وهذا تعديل لسند الوحي والنبوة وتزكية له كما ذكر نظيره في سورة التكوير فوصفه بالعلم والقوة وجمال المنظر وجلالته وهذه كانت اوصاف الرسولين البشري والملكي **الثالث انه قال فاستوى** اي ارتفع وعلا الى مكانه في السما بعد ان علم محمدا قاله ابن المسيب وابن جبير قال الرازي وهو المشهور وقيل ظهر في صورته التي خلق عليها **وهو** اي جبريل مبتدا خبره **بالافق الاعلى** والجملة حال من فاعل استوى قاله مكي قال القرطبي المعنى فاستوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن المصطفى راه عليها حتى ساله اياها وقيل الجملة مستانفة وهو اي الافق ناحية السما العليا **هذا استوا جبريل عليه السلام واما استوا الرب جل جلاله فعلى عرشه** كما قال الرحمن على العرش استوى لكن الاية منها ما قيل معلومة لا يليق الجزم بظاهرها دون الاتيان بها كما فعل لكن هذا كلام ابن القيم وقد رمي بالتجسيم **الرابع انه قال ثم دنى** جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم بعد استوايه بالافق الاعلى من الارض **فتدلى** على المصطفى والمعنى انه لما راى من عظمة جبريل ما راى وهاله ذلك رده الله الى صورة ادمي حين قرب من المصطفى هذا قول الجمهور كما في القرطبي **فكان قاب قوسين او ادنى** قال ابن القيم او ليست للشك بل لتحقيق قدر المسافة وانها لا تزيد على قوسين البتة كما قال تعالى وارسلناه الى ماية الف او يزيدون تحقيقا لهذا العدد وانهم لا ينقصون عن ماية الف رجلا واحدا **وهذا دنو جبريل وتدليه الى الارض حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بها واما الدنو والتدلي في حديث المعراج فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان فوق السموات فهناك دنى الجبار جل جلاله منه وتدلى** دنو منزلة كما في الحديث القدسي من تقرب الي شبرا تقربت اليه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة وهو تمثيل بتقريب المعنى الى الافهام اي من تقرب الي بطاعتي جازيته باضعاف ما تقرب الي ومن هرول في طاعتي سبقته بجزايه فهو قريب بالاجابة والقبول والاتيان بالاحسان والمامول ثوابا مضاعفا ومزيد تقريبا **الخامس انه قال ولقد راه نزلة** نصب على المصدر الواقع موقع الحال اي راه نازلا نزلة **اخرى** قاله الحوفي وابن عطية او على المصدر المؤكد او الظرف الذي هو مرة لان فعلة اسم للمرة من الفعل فكانت في حكمها ورد بانه ليس مذهب البصريين انما هو مذهب الفرا **عند سدرة المنتهى والذي عند سدرة**

المنتهى قطعا هو جبريل وبهذا فسره النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ذاك جبريل ولا معدل عن تفسيره السادس ان
نفس الضمير في قوله دنى فتدلى وقوله فاستوى وقوله وهو
بالافق الاعلا بالافق الاعلى واحد فلا يجوز ان يخالف بين
المفسرين بجنح السياق والتشتية بجعل ضميري استوى وهو لجبريل
ودنى فتدلى لله تعالى من غير دليل لانه تحكم والاصل توافق الضمائر
لكن الاستدلال بهذا لا يصح اذ الدليل ما سلمه الخصم وقد قيل الضميران
في فاستوى وفيه وهو لله تعالى وهو قول الحسن البصري على معنى العظمة
والقدرة والسلطان السابع انه سبحانه وتعالى اخبر ان هذا الذي
دنى فتدلى كان بالافق الاعلى وهو افق السما اي جانب من
جوانبها قال ابن دريد ومنه قوله

• اخذنا بافاق السما عليكم • لنا قمراها والنجوم الطوالع •

وقد قال مجاهد مطلع الشمس وقال قتادة هو الافق الذي يأتي منه النهار
يعني طلوع الفجر حكاها الماوردي ولذا قال بل تحتها فدنى من الارض
فتدلى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودنو الرب وتدليه
على ما في حديث شريك عن انس كان فوق العرش لا الى الارض
فلا يصح تفسير الاية بما في حديث شريك من يكيمع لذا جزم ابن كثير بان
الدنو والتدلي في حديث شريك غير الذي في الاية ثم نفى سبحانه
وتعالى عن نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله ما زاغ البصر
اي مال قال ابن عباس ما زاغ يمينا ولا شمالا وما طغى ما جاوز ما امر
به وعلى هذا المفسرون ومفعول نفى قوله ما يعرض للراي الذي
لا ادب له بين يدي الملوك والعظما من التفاته يمينا وشمالا
فهذا تفسير لزاغ ونفى بقوله ما طغى مجاوزة بصره لما بين
يديه واخبر عنه بكمال الادب في ذلك المقام وعن تلك
الحضرة اذ لم يلتفت جانبا ولم يمد بصره الى غير ما اري
من الايات وما هنالك من العجائب التي لا يشبهها شي بل
قام مقام العبد الذي اوجب ادبه فاعل ومفعوله اطراقه
والوجب اقباله على ما اريه دون التفاته الى غيره ودون
تطلعه الى ما لم يره مع ما في ذلك من ثبات الجاش بالهمز
وهو روع بالفتح اي خوف القلب اذا اضطرب عند الفزع
وقد لا يهمز والجمع جوش كما في القاموس وعبارته بين جاش القلب
والنفس والجنان يقال فلان ثابت الجاش اي ثابت القلب لا يرتاع
للعظايم والشدايد وسكون القلب وطمانينته وهذا غاية
الكمال فزيغ التفاته جانبا وطغيانه مده اماما الى حيث ينتهي
فنزه علمه عن الضلال وقصده وعمله من الغي ونطقه عن الهوى

وفؤاده

وفؤاده عن تكذيب بصره وبصره عن الزيغ والطغيان وهكذا
يكون المدح •

• تلك المكارم لا قعبان من لبن • شيبا بما فعادا بعد ابوالا •

قال الامام الرازي اللام في البصر يحتمل وجهين احدهما البصر المعروف
وهو بصر محمد صلى الله عليه وسلم اي ما زاغ بصر محمد فعدم الزيغ
ان قلنا الغاشي للسدرة هو الجراد او الفراش فمعناه لم يلتفت اليه
ولم يشتغل به ولم يقطع نظره عن مقصوده وان قلنا انوار الله
فمعناه لم يلتفت يمنة ويسرة بل اشتغل بمطالعتها ففيه بيان ادبه
او ما زاغ بضعفه عن مطالعتها ففيه بيان قوته قال الثاني انها
لتعريف الجنس اي ما زاغ بصره اصلا في ذلك الموضع لعظيم الهيبة
قال وفيه لطيفة هي انه لم يقل ما مال وما جاوز لان الميل والتجاوز
مذمومان في ذلك الموضع فاستعمل الزيغ والطغيان فيه او هو بيان
لشدة يقظته الذي لا يغيب عن قوته اي ما مال عن الطريق فلم ير الشي
على خلاف ما هو عليه بخلاف من ينظر الى عين الشمس مثلا ثم ينظر
الى شي ابيض فانه يراه ابيض واخضر بزيغ بصره عن جادة الابصار
وقوله ما طغى اي ما تخيل المعدوم موجودا وقيل ما جاوز ما امر به انتهى
قال ابن القيم في مدارج السالكين في شرح منازل السايرين
لابي اسماعيل الهروي وفي هذه الاية اسرار عجيبة وهي من غوامض
الاداب اللايقة باكمل البشر صلوات الله وسلامه عليهم عليه تواطا
هناك بصره وبصيرته وهي العقل المنور بنور القدس المكمل بضيا
هداية الحق ولا يخطي في العيان ولا يحتاج الى برهان بل يبصر الحق
بينا مكشوفا والباطل زاهقا مدحورا فلذا قال صاحب المنازل البصيرة
ما يخلص من الحيرة وتوافقا على تفسير لتواطيهما ايما هذه
بصره فالبصيرة مواطية موافقة له وما شاهده بصيرته
فهو ايضا حق مشهود بالبصر فتواطا في حقه ايما كذب الفؤاد
ما راه ببصره فهو اخبار عن تصديق فؤاده لما راته عيناه وليس
كمن راى شيا على خلاف ما هو عليه فكذب فؤاده بصره ولهذا قراها
هشام وابو جعفر ما كذب الفؤاد ما راى بتشديد الذال اي لم يكذب
القلب البصر بل صدقه وواطاه بصحة الفؤاد والبصر وكون
الراي المشاهد بالبصر والبصيرة حقا وحاصله ان قلبه صدق
ما راه بعينه ولم يقل انه خيال لا حقيقة له وقرا الجمهور ما كذب
الفؤاد بالتخفيف وهو متعد بنفسه على القرائتين وما راى مفعوله
اي ما كذب قلبه ما رات عيناه بل واطاه ووافقه وما مصدرية
اي ما كذب فؤاده رؤيته او موصوله والعايد محذوف اي الذي راه
بعينه وقيل قرانه التخفيف على اسقاط الخافض اي فيما راه فقال

مكي وغيره وعلي التقديرين فهو اخبار عن تطابق روية القلب لروية
البصر وتوافقهما وتصديق كل واحد منهما صاحبه وهذا ظاهر في قراة
التشديد وقد استشكلها المبرد وغيره بانه اذا راي بقلبه واذا وقع
العلم فلا كذب معه واجيب بانه قد يتخيل المثني علي خلاف ما هو به
فيكذب به قلبه اذ يريه صورة المعلوم علي خلاف ما هي عليه كما تكذبه عينه
فنفي ذلك سبحانه عن رسوله فلما وافقت قلبه لقالبه جسده وظاهره
لباطنه وبصره لبصيرته لم يكذب القلب البصر ولم
يتجاوز البصر حده فيطغي ولم يمل عن المراي فيزيغ بل
اعتدل البصر علي المراي فيزيغ بل اعتدل البصر علي المراي
ما جاوزه ولا مال عنه كما اعتدل القلب في الاقبال
علي الله والاعراض عما سواه فانه اقبل علي الله بكليته
واعرض عما سواه بكليته قلبا وقالبا وقد حكي الماوردي في
الفواد قولين احدهما نفسه لانه محل الاعتقاد والثاني صاحبه وعبر
عنه بالفواد لانه قطب الجسد وبه قوام الحياة وللقلب زيغ وطغيان
كما ان للبصر زيغا وطغيانا بل قد يكون اشد لحديث الا وان
في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد
كله الا وهي القلب وكلاهما منتف عن قلبه وبصره فلم يزغ قلبه
التفاتا عن الله الي غيره ولم يطغ بمجاوزته مقامه الذي اقيم
به وهذا غاية الكمال والادب مع الله تعالي ولا بدع ففي
الحديث ادبني ربي فاحسن تاديبي الذي لا يلحقه فيه احد سواه
فان عادة النفوس اذا اقيمت في مقام عال رفيع ان تطلع الي
ما هو اعلا منه وفوقه الا تري ان موسي عليه السلام لما
اقيم مقام التكليم والمناجاة لله سبحانه طلبت نفسه
الروية فقال رب ارني انظر اليك ونبينا صلي الله عليه وسلم
لما اقيم في ذلك المقام وفاه حقه ولم يلتفت بصره ولا قلبه
الي غير ما اقيم فيه البتة بالقطع فلم يسال الحق قال له ربه سل
ومع ذلك سال بالتلويح دون التصريح فقال انك اتخذت الي اخرما
ياتي ولاجل هذا ما عاقه عايق ولا وقف به مراد حتي جاوز
السموات السبع فلم تعقد الهمة منه لشي ولم تقف به دون
كمال العبودية همة ولذا كان مركوبه يسبق خطوه الطرف
فيضع خطوه وفي نسخة قدمه عند منتهي طرفه بسكون الرا
اي نظره وهذا صريح في التساوي فيدافع قوله يسبق الا ان
يكون المراد انما ينتهي اليه طرفه وهو الجز الاخير من المسافة التي
ينتهي اليها الطرف يضع موخر قدمه عنده فيكون جملة القدم متقدمه
علي ما وصل اليه طرفه مشاكلا لحال راكبه وبعد شاوه بالشين

المحجة والعجز بين يديه فليس اي غايته وامده الذي سبق اليه العالم اجمع
في سيره فكان قدم البراق لا يتخلى عن محل نظره كما كان
قدمه صلي الله عليه وسلم لا يتاخر عن محل معرفته فلم يزل صلي
الله عليه وسلم في خفارة بضم الخا وكسرها اي حماية كمال ادبه
مع الله تعالي وتكميل مرتبة عبوديته له حتي خرق حجب السموات
وجاوزت السبع الطباق وهي السموات وجاوزت سدرة
المنتهي ووصل الي محل من القرب سبق به الاولين والاخرين
اذ لم يصل اليه نبي مرسل ولا ملك مقرب فانصبت له هناك اقسام
القرب انصبابا وانقشعت انكشفت له سحايب الحجب بجملتها
جمع حجاب ظاهرا وباطنا حجابا حجابا اي حجابا بعد حجاب واقيم
مقاما غبطة استحسنه به الانبيا والمرسلون فاذا كان في
المعاد يوم القيامة اقيم مقاما من القرب ثانيا يغبطه به الاولون
والاخرون واستقام هناك علي صراط مستقيم من كمال ادبه مع الله
تعالي ما زاغ البصر وما طغي فاقامه في هذا العالم اي عالم الدنيا
اي اقوم صراط علي الحق والهدي وانك لتهدي الي صراط مستقيم واقسم
بكلامه القديم علي ذلك في الذكر اي القران الحكيم فقال يس القراة
المشهورة بسكون النون وقري شاذا بالفتح للخفة وبالسكون وبالكسر
لالتقا الساكنين وبالضم علي النداء كما في الاتقان والحكيم المحكم بعجيب
النظم وبديع المعاني انك لمن المرسلين علي متعلق بما قبله صراط مستقيم
اي طريق الانبيا فتلك التوحيد والهدي والتاكيد بالقسم وغيره رد لقول
الكفار لست مرسلا فاذا كان يوم المعاد اقامه علي الصراط يسال
السلامة لاتباعه ولاهل سنته حتي يجوزوا الي جنات النعيم وذلك
فضل الله يوتيه من يشا والله ذو الفضل العظيم ثم اعلم انما ذكر
ههنا من القرب والدنو الي الله ومن الله في حديث شريك وفي الاية علي
احد القولين ليس بدنو مكان ولا قرب مدى وانما المراد به تاكيد المحبة
باظهار عظيم منزلته وتشريف رتبته والقربة ورفع المنزلة والرتبة
عطف تفسير قال جعفر الصادق لصدقه في مقاله ابن محمد الباقر بن علي
ابن الحسين بن علي الهاشمي ابو عبد الله الفقيه الامام الصدوق المتوفي سنة ثمان
واربعين ومائة روي له مسلم واصحاب لما قرب الحبيب من الحبيب غاية
القرب نالته غاية الهيبة فلاطفه الحق بغاية اللطف وذلك
قوله جل جلاله فاوحي الله الي عبده محمد صلي الله عليه وسلم
بلا واسطة ملك ولا غيره علي ما هو المنقول عن جعفر في الشفا وغيرها
فالمراد بالوحي هنا الكلام وان كان اعم منه ما اوحي اي امرا عظيما ففي ابهامه
تفخيمه وتعظيمه كما افاده قوله اي كان ما كان وجري ما جري وقال
الحبيب للحبيب ما يقول الحبيب للحبيب والطف به الطاف

الحبيب للحبيب فخفي السر ولم يطلع عليه احد لانه من اسرار المعارف
التي لم يطلع عليها غيره ولم يعلم احد لانه من اسرار المعارف التي لم
يطلع عليها غيره ولم يعلم احد ما اوحي الا الذي اوحي وهو الله
سبحانه اي والموحي اليه محمد صلي الله عليه وسلم علمه ايضا ويحتمل قراءة
اوحي بالبنا للمفعول اي اوحي اليه لكن فيه حذف نائب الفاعل الا ان يكون
للعلم به من السياق وقال غيره في قوله فاوحي الي عبده ما اوحي
ابهم لعظمته فان الابهام قد يقع للتعظيم فهو مبهم لا يطلع
عليه بل يتعبد بالايمان به هذا معني كلام جعفر وان اختلف التعبير
وقيل هو مفسر بالاخبار الواردة قال سعيد بن جبير اوحي الله
اليه صلي الله عليه وسلم الم يجدك استفهام تقرير يتيما تفقد ابيك
قبل ولادتك او بعدها فاوي ضمك الي عمك ابي طالب واسكن محبتك
في قلبه حتي كان يقدمك علي اولاده الم يجدك ضالا عما انت عليه
الان من الشريعة كقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فهداك
اليها او ضالا في بعض شعاب مكة فبينت لك الطريق ورددتك او ناسيا
فهديتك الي الذكر لان الضلال جا بمعني النسيان قال تعالي ان تضل احدهما
فتذكر احداهما الاخري وجمع بينهما في لا يضل ربي ولا ينسي لانه ثم بمعني
الخطا والغفلة الم يجدك عائلا قليل المال فاغنيتك بما فتحت لك به
من الغنايم وغيرها وفي الحديث ليس الغني عن كثرة العرض ولكن
الغني غني النفس الم نشرح لك صدرك بالنبوة وغيرها ووضعنا
حططنا عنك وزرك الذي انقض اثقل ظهرك وهذا كقوله ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقد تقدم قريبا ويأتي للمصنف
ورفعنا لك ذكرك بان تذكر مع ذكري في الاذان والاقامة والتشهد
والخطبة وغيرها وقيل اوحي الله اليه ان الجنة حرام ممنوع دخولها
علي الانبيا حتي تدخلها يا محمد وعلي الامم حتي يدخلها امتك ذكره
الثعلبي الامام المفسر والقشيري العلم الشهير وقيل اوحي الله اليه
خصصتك بحوض الكوثر فكل اهل الجنة اضيافك بالما ولهم
الخمر واللبن والعسل ذكره القشيري وذكر ايضا انه اوحي
اليه ما اوحي الي الرسل كقوله تعالي ما يقال لك بنا علي معناه
ما يوحي اليك الا ما قد قيل للرسل من قبلك من الوحي وقيل معناه
ما يقال لك من التكذيب وقيل اوحي اليه الصلوات الخمس ذكره
النقاش وقيل ما في ما اوحي للعموم والمراد كل ما جا به وفي الشفا اكثر
المفسرين علي ان الموحي الله الي جبريل وجبريل الي محمد الا شذوذا منهم
جعفر الصادق قال اوحي اليه بلا واسطة ونحوه ذهب بعض المتكلمين ان
محمدا صلي الله عليه وسلم كلم ربه في الاسرا وحكي عن الاشعري وابن
مسعود وابن عباس وانكره اخرون انتهي وفي رواية ابي سعيد الخدري

عند

عند البيهقي وابي هريرة عند ابن جرير والبزار وابي يعلي والبيهقي
ان الله تعالي قال له صلوات الله وسلامه عليه وفي رواية فراي ربه
سبحانه فخر صلي الله عليه وسلم ساجدا وكلمه ربه عند ذلك فقال يا محمد قال
لبيك يارب قال سل اصله اسال فخفف وحذف المفعول للعموم اي كل ما
تريد فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا صفيا خالص المحبة وفي رواية
ابي يعلي ان الله قال له اني اتخذتك خليلا وروي ابن ماجة عن ابن عمرو
مرفوعا ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فمنزلي ومنزل ابراهيم
في الجنة يوم القيامة تجاهين والعباس بيننا مومن بين خليلين وآتيته
ملكا عظيما تقدم انه لا يجد لابراهيم ملك عرفي فيجوز ان المراد قهره لعظما
الملوك كالنمروذ فالقاهر اعظم من المقهور وملك النفس او بالنسبة لذريته
كيوسف وداود وسليمان وكلمت موسي بلا واسطة تكليما اكده لافادة انه
حقيقي فلا عبرة بانكار بعض المعتزلة له واعطيت داود ملكا عظيما
فجعلته خليفتك في الارض والنت له الحديد فكان في يده كالعجين يتخذ
منه الدروع وسخرت له الجبال تسبح معه بالعشي والاشراق واعطيت
سليمان ملكا عظيما اذ ملكته الدنيا باسرها وسخرت له الانس جندا
ورعايا لا يعصونه في شي والجن فكانوا يخدمونه في بنايه وفي غيره فبنت
له بيت المقدس بالرخام المزخرف بناءا عاليا حتي كان يضي في الليلة المظلمة
ولم يزل كذلك حتي خربه بخت نصر ونقل ما فيه لمملكته بالعراق والشياطين
وهم مردة الجن فهو عطف خاص علي عام فكانوا يغوصون البحار
ويستخرجون له الدر والجواهر ويعملون له ما يريد وسخرت له الرياح تجري
بامره رخا حيث اصاب وتحمل كرسيه وبساطه مسافة شهر غدوا ومسيرة
شهر رواحا واعطيته ملكا لا ينبغي لا يكون لاحد من بعده كما سالك فملكه
ما فوق الارض وما تحتها وعلمت عيسي وهو صغير التوراة والانجيل
الذي انزل عليه ولا احكام فيه انما هو حكم وحقايق التوحيد وقيل فيه احكام
قليلة بالنسبة للتوراة فلذا حفظها وعمل بها وجعلته يبري الاكمه والابرص
الذي ولد اعمي والابرص بياض لون البدن وصيرورته قبيحا من علة
مزمنة لا يتيسر علاجها وخصهما لانهما داء اعيا واحيي الموتي باذنك
فاحيا جماعة كما مر واعذته حفظته واجرته وامه من الشيطان الرجيم
المطرود اللعين فلم يكن له عليهما سبيل طريق فقال له ربه جوابا
لمعني كلامه ان المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل فقد
اتخذتك حبيبا هذا في مقام الخلة والمحبة اعظم وفي رواية ابي يعلي
انه تعالي قال له اتخذتك خليلا فجمع الصفتين ولم يذكر ما يقابل ما بعده لعلمه
اذ هو لم يرض الملك لما عرض عليه والكلام وقع له كما وقع لموسي والقران
اعظم من التوراة والانجيل وابرا الاكمه والابرص وقطع للمصطفي نظيره
كرد عين قتادة وبرئه كثير من الامراض بمس يده واعيذ من الشيطان

حتي ان فرسه امن به ووقع له احيا الموتي وما هو اغرب منه كما تقدم ببسط
ذلك كله في المعجزات فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن هذا
من كلام الراوي ابي سعيد او غيره استشهادا وتقوية للحديث وفي سبعيات
الهمداني ثبت في الحديث انه صلي الله عليه وسلم قال هممت ليلة المعراج ان اخلع
نعلي فسمعت الندا من قبل الله يا محمد لا تخلع نعليك لتشرف السما بهما فقلت
يا رب انك قلت لموسي اخلع نعليك انك بالوادي المقدس فقال يا ابا القاسم
ادن مني ليس لست عندي كموسي فانه كليمي وانت حبيبي انتهي وتعقب
بان هذا باطل لم يذكر في شي من الاحاديث بعد الاستقرا وبالغ له مزيد
وارسلتك الي الناس كافة جامعا في الانذار والابلاغ من الكف بمعني الجمع
ومنه كف الثوب وهو جمعه بالخياطة والها للمبالغة كعلامة وقيل معناه مانعا
ورادعا عن الكفر وساير المعاصي من الكف بمعني الجمع والها للمبالغة ايضا
والنصب علي الوجهين حال من المفعول به بمعني الجمع والها للمبالغة ايضا
والنصب علي الوجهين حال من المفعول في ارسلتك او علي انه مفعول مطلق
لارسلتك اي ارسالة كافة اي عامة كفتهم عن الخروج منها فكافة صفة
مصدر بشيرا للمومنين والمتقين ونذيرا للكافرين والعاصين وشرحت
لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا اذكر
الا وتذكر معي اي كثيرا او عادة او في مواطن معلومة كالاذان والاقامة
والتشهد والاسلام والخطبة وغير ذلك وبهذا دفع ايراد ان الشهادة
الثانية قد لا تذكر وهذا بيان لرفع ذكره ولا ارفع من ذلك وقد قال
صلي الله عليه وسلم اتاني جبريل فقال ان ربي وربك يقول لك تدري
كيف رفعت ذكرك قلت الله اعلم قال لا اذكر الا ذكرت معي رواه ابو يعلي
والطبراني وصححه ابن حبان والضيا من حديث ابي سعيد وقد خاطبه بذلك
بعد ارسال جبريل له به قبل ذلك علي مدلول الحديثين زيادة في التعظيم
والاكرام وجعلت امتك خير امة اخرجت للناس فيه تبشيره بذلك قبل
انزاله عليه لان الاسرا بمكة والسورة مدنية وجعلت امتك امة
وسطا خيارا عدولا وجعلت امتك هم الاولون في القيام من القبور
والقضا ودخول الجنة والاخرون في القيام من القبور والقضا ودخول
الجنة في الوجود والمنة بعد اعليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم في
القبور وعدم فسخ شريعتهم وروي الخطيب عن انس مرفوعا لما اسري بي
الي السما قربني ربي حتي كان بيني وبينه كقاب قوسين او ادني وعلمه
السميات قال يا محمد قلت لبيك قال هل غمك ان جعلتك اخر النبيين قلت
يا رب لا قال هل غم امتك ان جعلتهم اخر الامم قال قلت يا رب لا قال
فاقرا امتك عني السلام واخبرهم اني جعلتهم اخر الامم لا فضح الامم عندهم
ولا افضحهم وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة اي لا يعتد بها اعتدادا
كاملا حتي يشهدوا انك عبدي ورسولي اي باتوا بكلمتي الشهادة لحديث

كل

كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذما اي ناقصة لا بركة فيها وبالتقييد
بكاملا اندفع ما قيل مقتضاه ان التشهد في الخطبة ركن او شرط ولم يقل
به احد من الفقها وتعسف الجواب بان المعني لا يصح المسلم المصدق بكلمة الا
امة الدعوة او النسخ اذ لا يثبت بالاحتمال علي ان الشافعي وغيره اشترطوا
في الخطبة الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم وهي تتضمن الشهادة بذلك
فدعوي الاجماع غير مسموعة وجعلت من امتك اقواما قلوبهم اناجيلهم
اي يحفظون الكتاب المجيد ويتلونه حفظا والاناجيل جمع انجيل وهو اسم لكتاب
الله المنزل علي عيسي وجعلتك اول النبيين خلقا لانه خلق روحه قبل
الارواح وخلق الارواح ونباه قبلهم في عالم الارواح فهو اولهم خلقا ونبوة وهو
اخرهم بعثا ارسالا واعطيتك سبعا من المثاني الفاتحة لانها تثني وتكرر
في كل ركعة او غيرها تقدم بسطه لم اعطها نبيا قبلك واعطيتك الكوثر
نهر في الجنة كما في مسلم مرفوعا واعطيتك خواتيم سورة البقرة من
امن الرسول كنز تحت العرش قال الحافظ العراقي معناه انها ادخرت له وكنزت
كما قال لم اعطها نبيا قبلك وكثير من اي القران منزل في الكتب السابقة باللفظ
او المعني وان كان في القران ايضا ما لم يوت غيره لكن في هذه خصوصية
لهذه الامة وهي وضع الاصر الذي كان علي من قبلها قال التوربشتي
يعني بقوله اعطيها انها انزلت عليه بل المعني انه استجيب له فيما لقن من
الاثنتين من قوله غفرانك ربنا الي اخر السورة ومن يقوم بحقها من السايلين
قال الطيبي وفي كلامه اشعار بان الاعطا بعد الانزال لان المراد منه
الاستجابة وهي مسبوقة بالطلب والسورة مدنية والمعراج كان بمكة
قال ويمكن ان يقال هذا من قبيل وما ينطق عن الهوي ان هو الا وحي يوحي
وانما اوثر الاعطا لتفسيره بكنز واعطيتك ثمانية اسهم الاسلام
وصفا لامتك دون الامم ومر ان هذا ارجح القولين والجهاد وما فيه من
الغنايم والصلاة اي مجموع الصلوات الخمس والصدقة الزكاة وصوم
رمضان وفيه حجة لاحد القولين في اختصاصه بالامة المحمدية والامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لكن بلا شرط ولا مثل بالشروط المعلومة
وجعلتك فاتحا لكل خير وخاتما للنبيين وفي اسناده ابو جعفر الرازي
التميمي مولاهم مشهور بكنيته واسمه عيسي بن عبد الله بن ماهان
واصله من مرو وكان يتجر الي الري مات في حدود الستين ومائة
روي له اصحاب السنن ضعفه بعضهم وقال ابو زرعة الرازي
يهم وقال ابن كثير الاظهر انه سيئ الحفظ وليس بمتهم وبه جزم
الحافظ فقال صدوق سيئ الحفظ خصوصا عن مغيرة وذكر الفخر الرازي
عن والده قال سمعت ابا القاسم سليمان الانصاري يقول
لما وصل محمد صلي الله عليه وسلم الي الدرجات العالية والمراتب
الرفيعة في المعراج اوحي الله تعالي اليه يا محمد بم يكون شرفك

يكون

الذي تريده قال يارب بنسبتي اليك بالعبودية فانزل الله
تعالي سبحان الذي اسري بعبده لانه ليس للمومن صفة اتم
ولا اشرف من العبودية ولذا اطلقه علي نبيه في اشرف المواطن كقوله
اسري بعبده الحمد لله الذي انزل علي عبده الكتاب تبارك الذي
نزل الفرقان علي عبده فاوحي الي عبده قاله ابوعلي الدقاق قال
الطوسي وسبب ذلك ان الالهية والسيادة والربوبية انما هي
الحقيقة في الحقيقة لله لا غيره والرتب الحقيقية اشرف المراتب
اذ بعدها الا المجاز قال بعض وبهذا يخرج الجواب عن وصف يحيي بالسيادة
سماه الله بهذا لتحققه صلي الله عليه وسلم بالاسم الاعظم
واتصافه بجميع صفاته فلا يصلح هذا الاسم بالحقيقة الا
له عليه السلام وللاقطاب من بعده بتبعيته لا بالحقيقة
وان اطلق علي غيره مجازا لان حقيقة العبد عند القوم القايم الي
اوامر الله سيده علي حد النشاط حيث جعله محل امره قاله ابوحفص
النيسابوري وقال ابن عطا هو الذي لا مملك له وقيل هو الذي يتخلق
باخلاق ربه وقيل غير ذلك مما هو متقارب المعني مختلف اللفظ
وكل تكلم بلسان حاله بحسب قدر مقامه ويرحم الله الاديب
برهان الدين ابراهيم بن شرف الدين بن عبد الله بن محمد القيراطي
البارع المفتن ولد في صفر سنة ست وعشرين وسبعماية ولازم علما
عصره وبرع ودرس بعده اماكن وفاق في النظم وله ديوان وله
ديوان مشهورمات بمكة سنة احدي وثمانين وسبعماية فلقد اجاد
حيث قال •
• ودعتني بالعبد يوما فقالوا • قد دعته باشرف الاسما •
وقد اخذ قول القايل •
• ياقوم قلبي عند زهرا • يعرفه السامع والراي •
• لا تدعني الا بياعبدها • فانه اشرف اسماي •
انشده الاستاذ ابوالقاسم القشيري ولبعض اهل الاشارات
من محققي الصوفية الذين يستخرجون من النصوص معاني كامنها
منطوق بها بحسب افهامهم واحوالهم كان الله تعالي قال لمحمد
بحذف ياالندا لا نها للبعيد وهو قد حصل له غاية القرب اني اعطيتك
نورا قوة في بصرك شديدة زايدة علي المعتاد تنظر به جمالي
اذ لو لم اعطك ذلك ما قدرت علي نظره وسمعا زايدا علي
سمعك تسمع به كلامي فلولاه ماسمعت يا محمد اني اعرفك
بلسان الحال معني عروجك الي يا محمد وذلك لاني ارسلتك
الي الناس شاهدا ومبشرا ونذيرا والشاهد مطالب
بحقيقة ما يشهد به كما قال صلي الله عليه وسلم

فاريك

فاريك جنتي لتشهد ما اعددت فيها لاوليايي المومنين
واريك ناري لتشهد ما اعددت فيها لاعدايي الكافرين اذ
ليس الخبر كالعيان وفي التنزيل عن ابراهيم بلي ولكن ليطمين قلبي
ثم اشهدك جلالي عظمتي واكشف لك عن جمالي لتعلم اني منزه
في جمالي وجلالي عن الشبيه والنظير والوزير المعين والمشير
فراه صلي الله عليه وسلم بالنور الذي قواه من غير ادراك ولا
احاطة عطف تفسير كما فسره به قوله تعالي لا تدركه الابصار اي لا تحيط به
فردا صمدا مقصودا في الحوايج علي الدوام او لا جوف له كما في الطبراني
عن بريدة وقال كثير من المفسرين وكانه بمعني المصمود وقال الشعبي
لاياكل ولا يشرب ونظر فيهما ابن عطية بان الجسم في غاية البعد عن
صفات الله فما الذي يعطينا هذه العبارات لا في شي اي يحويه اي مكان
ولا من شي متولدا ولا قايما بشي يعينه ولا علي شي ولا مفتقرا
الي شي لانه خالق كل شي ليس كمثله شي الكاف زايدة لانه تعالي
لامثل له فلما كلمه شفاها اي بلا واسطة وشاهده كفاحا بكسر
الكاف اي مواجهة بلا حايل فقال يا محمد لابد لا فراق ولا محالة في هذه
الخلوة من سر لا يذاع لا ينتشر ولا يظهر ورمز اشارة لا يشاع
لا يظهر فمعناهما واحد حسنه اختلاف اللفظ لرعاية السجع فاوحي الي
عبده ما اوحي فكان سرا من سر لم يقف عليه ملك مقرب
ولا نبي مرسل وانشد لسان الحال •
• بين المحبين سر ليس يفشيه • قول ولا قلم في الكون يحكيه •
يقال فشي السر فشوا ظهر وانتشر وافشيته بالالف •
• سر يمازجه انس يقابله • نور تحير في بحر من التيه •
ولما انتهي الي العرش تمسك العرش باذياله جمع ذيل كذيول
قال في سبل الرشاد لم يرد في احاديث المعراج الثابتة انه صلي الله
عليه وسلم عرج به الي العرش فقول ابن المنير انه عرج به اليه ليس
علي ما ينبغي وقد سيل الامام رضي الدين القزويني عن وطي النبي صلي
الله عليه وسلم العرش بنعله وقول الرب جل جلاله شرف العرش
بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك ام لا فاجاب اما حديث وطي النبي صلي الله
عليه وسلم العرش بنعله فليس بصحيح ولا ثابت اصلا وانما صح في الاخبار
انتهاوه الي سدرة المنتهي فحسب واما الي ورايها فانما ورد ذلك
في اخبار ضعيفة ومنكرة لا يعرج عليها انتهي قال بعض المحدثين
قاتل الله من وضع انه رقي العرش بنعله ما اعدم حياه وما اجراه
علي سيد المتادبين وراس العارفين صلي الله عليه وسلم قال
وجواب الرضي القزويني هو الصواب فقد وردت قصة الاسرا
والمعراج مطولة ومختصرة عن نحو اربعين صحابيا وليس في حديث

احد منهم انه صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة في رجليه نعل وانما
وقع ذلك في نظم بعض قصاص جهلة ولم يذكر العرش بل قال
واتى البساط فهم بخلع نعله فنودي لا تخلع وهذا باطل لم يذكر في
شي من الاحاديث بعد الاستقرا التام ولم يرد في حديث صحيح و
لا حسن ولا ضعيف انه جاوز سدرة المنتهى بل ذكر فيها انه انتهى
الى مستوي سمع فيه صريف الاقلام فقط ومن ذكر انه جاوز ذلك فعليه
البيان وانى له به ولم يرد في خبر ثابت ولا ضعيف انه رقي العرش
وافترا بعضهم لا يلتفت اليه ولا اعلم خبرا ورد فيه انه راى العرش
الا ما رواه ابن ابي الدنيا عن ابي المخارق انه صلى الله عليه وسلم
قال مررت ليلة اسري بي برجل مغيب في نور العرش فقلت من
هذا املك قيل لا قلت نبي قيل لا قلت من هو قيل هذا رجل كان في
الدنيا لسانه رطب من ذكر الله ولم يستسب لوالديه قط وهو خبر
مرسل لا تقوم به الحجة في باب انه انتهى اي لان المرسل ضعيف عند
جماهير النقاد للجهل بالساقط في الاسناد مع ان ابا المخارق مجهول
لكن دعواه انه لم يرد انه جاوز سدرة المنتهى في حديث ضعيف ولا
حسن ولا صحيح فيها نظر وقد اخرج ابن ابي حاتم عن انس انه صلى الله
عليه وسلم لما انتهى الى سدرة المنتهى غشيته سحابة فيها من كل لون
فتأخر جبريل والقز وبني الذي صوب هذا المحدث كلامه قد اعترف
بورود هذا القول واما الى ما وراءها فانما ورد في اخبار ضعيفة
ومنكرة وناداه بلسان حاله فتصره عليه لبيبه لامتناع كونه
بلسان القال لانه جماد وقد عهد نطقه كتسبيح الحصى وغيره بل لانه لم
يرد في حديث نطقه بقوله يا محمد انت كاين في صفا اي خالص
ودنك حال كونك امنا فهو حال من الضمير في الخبر المحذوف وهذا
اولى من جعله حالا من ضميره بخلاف فالرابع فالراجح جوازه من
مقتك مصدر مضاف لمفعوله اي من وصول مقت اليك والمراد من
جميع المشوشات اشهدك جمال احديته اي احديته الجميلة
وهي تنزهه عن الجسمية والتعدد والتغير قال البيضاوي
الاحد يدل على مجامع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقي ما يكون
منزه الذات عن انحا التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية
والتحيز والمشاركة في الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة
الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية واطلعك على جلال
صمديته اي سيديته واحتياج غيره اليه وقصدهم اليه قال البيضاوي
الصمد السيد المقصود اليه في الحوايج من صمد اذا قصد وهو المقصود
على الاطلاق فانه مستغن عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه
في جميع جهاته وانا الغلهان اي المشتاق اليه فهو مجاز من

اطلاق

الاطلاق الملزوم على لازمه فان الظما بالهمز العطش وزنا ومعنى ويلزمه
الاشتياق للما اللهفان اي المتحسر عليه المتحير فيه لا ادري من
اي وجه اي طريق انك جعلتني اعظم خلقة من حيث الجسم قال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما السموات السبع والارضون السبع
عند الكرسي الا كحلقة ملقاة بارض فلاة وان فضل العرش على الكرسي
كفضل الفلاة على تلك الحلقة رواه ابن مردويه وابو الشيخ عن ابي ذر
وروى ابن جرير عنه رفعه ما السموات السبع في الكرسي الا كدراهم سبعة
القيت في ترس وما الكرسي في العرش الا كحلقة من حديد القيت بين ظهري
فلاة من الارض وهذا نص صريح في ان الكرسي غير العرش وما روي عنه
الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين انه غيره فكنت اعظم
منه هيبة اي اعظم الخلق الذي اشابههم ويشبهوني كالكرسي واللوح
والقلم لا الانبيا والملايكة كيف وقد قال صلى الله عليه وسلم انا اعلمكم بالله
واشدكم له خشية واكثرهم منه حيرة مصدر حار من باب تعب لم يهتد لوجه
الصواب قال الازهري واصله ان ينظر الانسان الى شي فيغشاه ضوءه فينصرف
بصره عنه واشدهم منه خوفا يا محمد خلقني فكنت ارعد بضم العين
وفتحها قال المجد رعد كمنع ونصر اضطرب لهيبة جلاله فكتب على قايمتي
لا اله الا الله فازددت لهيبة اسمه ارتعادا وارتعاشا عطف تفسير
قال المجد رعش كفرح ومنع اخذته الرعدة فكتب محمد رسول الله فسكن
لذلك قلقي اضطرابي وهدى سكن روعي فزعي روى الحاكم وصححه عن ابن
عباس انه قال اوحى الى عيسى لقد خلقت العرش على الما فاضطرب فكتبت
عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن موقوف في حكم الرفع اذ لا يقال رايا
فكان اسمك لقاحا كذا في نسخ باللام قبل القاف اي كمالا لقلبي لان الناقة
لا تلقح حتى تكمل فكذا العرش لم يكمل حتى كتب عليه محمد رسول الله وبهذا
سقط اعتراض بعضهم بانه لا معنى للقاح هنا لانه من لقحت الناقة
حملت فما كان ينبغي لهذا الصوفي الا ابداله بنحو شفا ومن نسخ نفاحا
بنون ثم فا اي رايحة من نفحت الريح هبت فكما ان هبوبها بريح ما تتصل
به كذلك اسمه صلى الله عليه وسلم لما ظهر اشبه هبوب الريح للاجسام
الواصلة اليها وطمانينة اسم من اطمان القلب سكن ولم يقلق لسري
اي جوفي قال المجد في معاني السر وجوف كل شي ولبه فهذه بركة
اسمك علي فكيف اذا وقع علي جميع نظرك يا محمد انت المرسل
رحمة للعالمين وانا من جملتهم ولا بد لي من نصيب من هذه
الرحمة لعمومها ونصيبي يا حبيبي ان تشهد لي بالبراءة
مما نسبه اهل الزور الي اي الكذب قال تعالى والذين لا يشهدون
الزور وتقوله اهل الزور اي ادعوا علي بقوله زعموا اني اسع
من لا مثل لا شبيه له واحيط بمن لا كيفية له يا محمد من لا حد لذاته

ولاحد لصفاته كيف يكون مفتقرا الي و بمحول الاعلي لايتاتي في ذلك
ولايكون اذا كان الرحمن اسمه والاستوا صفته كما قال الرحمن
علي العرش استوي وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل به او
ينفصل علي فانما الاستوا صفة لا نفسرا ذلا يعلمها الا هو او نفسر
بالاستيلا كقوله قد استوي بشر علي العراق او بغيره فيه المذهبان
المشهوران يا محمد لست بالقريب منه وصلا اي لا اتصل به ولا
بالبعيد عنه فصلا بل انا من جملة مخلوقاته ولا بالمطيق له حملا
اوجدتني منه متعلق بقوله رحمة مقدم عليه لاجل السجع وفضلا
علي وعلي عباده حيث جعلني سقف المخلوقات ولو محقني اذ ذهبني
كلي حتي لا اري لي اثر لقوله يمحق الله الربا لكان حقا منه وعدلا
اذ لا حجر علي المالك الحقيقي فيما يفعل بملكه يا محمد انا محمول قدرته
فكيف احمله ومعمول حكمته فاجاب حالسيدي زاده الله فضلا
وشرفا لديه عنده وواصل صلاته وسلامه عليه ايها العرش
اليك عني انا مشغول عنك فلا تكدر تم علي صفوتي مثلث
الصاد اي خالص ما انا فيه من اشتغالي بالحضرة ولا تشوش علي
خلوتي بشين معجمة اوله اي تخلط علي قاله الفارابي وتبعه الجوهري
وقال بعض الحذاق هي كلمة مولدة تو اصحيح هوش بالها اوله وقال
ابن الانباري قال ايمة اللغة انما يقال هوشت وتبعه الازهري وغيره
وقالوا شوش خطا فما اعاره صلي الله عليه وسلم طرفا نظرا ولا
اقراه من مسطور ما اوحي اليه فاما ما زاغ البصر وما طغي
استدلالا لقوله فما اعاره منه طرفا وقد ورد في بعض اخبار
الاسرا والمعراج مما ذكر العلامة محمد بن مرزوق في شرحه
لبردة المديح انه صلي الله عليه وسلم لما كان مع ربه كما قال
صلي الله عليه وسلم في رواية شريك ودنا الجبار فتدلي فكان
قاب قوسين او ادني فليس ما عرقا لعايد اعلي الله فلا يخالف
سامر له ان المراد في الاية جبريل علي الصحيح قال اللهم انك عذبت
الامم بعضهم بحذف بالحجارة كقوم لوط وبعضهم بالخسف
كقارون وبعضهم بالمسخ كطايفة من بني اسرايل فما انت فاعل
بامتي قال تعالي انزل عليهم الرحمة وابدل سياتهم حسنات
اي يجعل في الاخرة مكان السيئة حسنة قال صلي الله عليه وسلم
اني لاعلم اخر اهل الجنة دخولا الجنة واخر خروجا هلا انار خروجا
منها رجل يوتي به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه
وارفعوا عنه كبارها فيعرض الله عليه صغار ذنوبه فيقال عملت
يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا
يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له

ان

ان لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت اشيا لا اراها هاهنا قال
ابو ذر فلقد رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم ضحك حتي بدت نواجذه
رواه مسلم وغيره ومن دعاني ناداني بنحو يا الله منهم لبيته اجبته بلبيك
ومن سالني اعطيته ما سال او نظيره فورا او بعد مدة سبق علمه تاخير
الاعطا اليها لحكمة اقتضت ذلك او ندخر له دعوته في الاخرة فيجازي عليها
ومن توكل علي كفيته وفي التنزيل ومن يتوكل علي الله فهو حسبه وفي
الدنيا استر علي العصاة وفي الاخرة اشفعك فيهم ولولا ان الحبيب
يحب معاتبة حبيبه اي ملاطفته بالكلام لما حاسبت امتك وقال
الخليل حقيقة العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة ولما اراد صلي
الله عليه وسلم الانصراف قال يا رب ان لكل قادم من سفره تحفة
بزنة رطبة وقد حكي سكون الحاما اتحفت به غيرك فما تحفة امتي التي
اتحفهم بها في قدومي قال الله تعالي انا لهم ما عاشوا في الدنيا بالحفظ
والنصر وتيسيرهم لصالح الاعمال وغير ذلك وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وانا لهم اذا ماتوا اي وقت نزع ارواحهم بطرد الشياطين عنهم وتوفيهم
علي الاسلام وغير ذلك وانا لهم في القبور بجعلها روضة من رياض الجنة
وتثبيتهم لسوال الملكين وغير ذلك وانا لهم في النشور يوم القيمة
بحمل الفزع الاكبر لا يحزنهم وجعلهم علي مكان عال وغرا محجلين من اثار
الوضو وغير ذلك حتي يدخلهم الجنة قبل الامم نسال الله تعالي الوفاة
علي الاسلام والايمان بلا محنة واعلم انه قد اختلف العلما قديما
وحديثا في روية صلي الله عليه وسلم لربه ليلة الاسرا وعلي انه
راه هل بعيني راسه او بقلبه او مرة بالبصر واخري بالقلب
وثالثها الوقف بعد احاديث ما ذكره فروي البخاري في التفسير
تاما وفي التوحيد مقطعا وفي مسلم في الايمان والترمذي والنسايي
في التفسير من حديث مسروق بن الاجدع بن مالك الهمداني
الوادعي الكوفي ثقة فقيه عابد مخضرم روي له الايمة مات سنة اثنين
ويقال سنة ثلاث وستين وله ثلاث وستون سنة قال قلت لعايشة
رضي الله عنها وفي رواية عبد الرزاق وابن حميد والترمذي وغيرهم
عن مسروق قال لقي ابن عباس كعبا بعرفة فساله عن شي فقال
ابن عباس انا بنو هاشم نزعم وفي لفظ نقول ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم راي ربه مرتين فكبر كعب حتي جاوبته الجبال وقال
ان الله قسم رويته وكلامه بين محمد وموسي فراه محمد مرتين وكلمه
موسي مرتين قال مسروق فدخلت علي عايشة فقلت يا امتاه بضم
الهمزة وشد الميم مفتوحة فالف فيها ساكنة قال في الفتح والاصل
يا امه والها للسكت فاضيف اليها الف الاستغاثة فابدلت تاثم زيدت
ها السكت بعد الالف وقال الخطابي اذا نادوا فقالوا يا امه بها

السكت فاضيف اليها الف الاستغاثة فابدلت فا ثم زيدت بها السكت
بعد الالف وقال الخطابي اذ اناد وا وقالوا ياامه بها السكت بعد وعند
الوصل باامت فاذا انتجعو الندبة قالوا يا امتاه والها للسكت ويعقب
الكرماني بان قول مسروق ليس للندبة اذ ليس هو متفجعا عليها قال
قال الحافظ وهو كما قال هل راي محمد ربه ليلة الاسرا فقالت لقد قف
بفتح القاف وشد الفا قام شعري مما قلت ولابي ذر مما قلته بالضمير
اين انت من ثلاث اي كيف يغيب فهمك عنها وكان ينبغي ان تكون
مستحضرها ومعتقدا كذب من يدعي وقوعها من حدثك بهن فقد كذب
في حديثه من حدثك ان محمدا راي ربه ليلة المعراج فقد كذب ثم
قرات مستدلة لذلك بطريق الاستنباط لا تدركه الابصار اي لا تراه
وهو يدرك الابصار اي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره ان
يدرك البصر وهو لا يدركه او يحيط بها علما وهو اللطيف باوليايه
الخبير بهم وقرات مستدلة ايضا وما كان لبشر ان يكلمه الله الا
ان يوحي اليه وحيا في المنام او بالهام او من ورا حجاب بان يسمعه
كلامه ولا يراه كما وقع لموسي عليه السلام واجيب بان هذه الاية تدل
علي نفي الروية مطلقا بل علي ان البشر لا يري الله في حال التكلم فنفي
الروية مقيد بهذه الحالة دون غيرها وبانه عام مخصوص بما تقدم
وبان المراد بالوحي الكلام بلا واسطة والقول وان كان محتملا لكن
الجمهور علي ان المراد بالوحي هنا الالهام والروية في المنام وكلاهما
يسمي وحيا واما قوله تعالي او من ورا حجاب فقال الواحدي وغيره
معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه تعالي من حيث لا يرونه
وليس المراد ان يكون هناك حجاب يفصل موضعا عن موضع ويدل علي تحديد
المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من ورا حجاب حيث لم ير المتكلم ومن حدثك
انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب
غدا اي تعمل غدا من خير او شر ويعلمه وفي رواية مسلم فقد اعظم
علي الله الفرية والله تعالي يقول قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله ومن حدثك انه كتم شيا مما امر بتبليغه ولابي ذر انه
قد كتم فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من
ربك جميعه ولا تكتم منه شيا خوفا ان تنال بمكروه وان لم تفعل
اي لم تبلغ جميع ما انزل اليك فما بلغت رسالته بالافراد والجمع
لان كتمان بعضها كتمان كلها زاد مسلم في رواية ولو كان محمد كاتما
شيا مما انزل عليه لكتم هذه الاية وان تقول للذي انعم الله عليه وانعمت
عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه
وتخشي الناس والله احق ان تخشاه ولكنه صلي الله عليه وسلم والمستملي
ولكن راي جبريل في صورته مرتين مرة بالارض وهو بالافق الاعلي

ومرة

ومرة في السما عند سدرة المنتهي وفي رواية مسلم من حدثك ان محمدا
راي ربه فقد اعظم الفرية بدل قوله فقد كذب بالكسر الكذب وجمعها
فري ككعب وقوله اي الشخص وهو عايشة قف اي قام من الفزع
لما حصل عندها من هيبة الله واعتقدته من تنزيهه واستحالة
وقوع ذلك في الدنيا وليس انكارا لوقوع الروية مطلقا كما تزعم
المعتزلة قال النضر بن شميل القفة بفتح القاف وشد الفا كالقشعريرة
واصلها التقبض والاجتماع لان الجلد ينقبض عند الفزع فيقوم الشعر
لذلك قال النووي وغيره لم تنف عايشة وقوع الروية بحديث
مرفوع ولو كان معها لذكرته لان النص اقوي من الاستنباط وانما اعتمدت
الاستنباط علي ما ذكرته من ظاهر الاية وقد خالفها غيرها من الصحابة
فلم يحملها علي ظاهرها كابن عباس والصحابي اذا قال قولا وخالفه
غيره منهم اي الصحابة لم يكن ذلك القول حجة اتفاقا ممن قال بانه
حجة ومن قال ليس بحجة قال الحافظ ابو الفضل العسقلاني جزمه
اي النووي بان عايشة لم تنف الروية بحديث مرفوع تبع فيه
ابن خزيمة محمد بن اسحق امام الايمة كما تبعه جماعة وهو عجيب فقد
ثبت ذلك منها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ النووي فعنده
من طريق داود بن ابي هند القشيري مولاهم البصري ثقة متقن مات
سنة اربعين ومايه وقيل قبلها روي له مسلم واصحاب السنن عن الشعبي
عامر بن شراحيل عن مسروق في الطريق المذكور قال مسروق
وكنت متكيا فجلست فقلت يا ام المومنين انظريني ولا تعجليني الم
يقل الله عز وجل ولقد راه بالافق المبين ولقد راه نزلة اخري فقال
انا اول هذه الامة سال رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ذلك فقال
انما هو جبريل لم اره علي صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين
رايته منهبطا من السما سادا عظم خلقه ما بين السما والارض هذا لفظ
مسلم في كتاب الايمان قال في الفتح واخرجه ابن مردوية ايضا عن
مسروق فقلت الم يقل الله ولقد راه نزلة اخري فقالت انا اول
هذه الامة سال رسول الله صلي الله عليه وسلم عن هذه الاية
فقلت يا رسول الله هل رايت ربك قال لا انما رايت جبريل
منهبطا اي نازلا من السما فسقط من قلم المصنف او نساخه بعض
الكلام كما رايت اذ لم تقع في مسلم تصريح بان النبي صلي الله عليه وسلم
نفي رويته لله تعالي وبهذا بطل تعجب الحافظ من النووي لان غاية
ما في رواية مسلم ان عايشة رفعت دليل الحصر باسنادها الي المصطفي
ان المراد جبريل فلا يلتفت الي غيره ولكن لا يدل علي نفي الروية كما صرح
به الامي لانه لا يلزم من ابطال الدليل بطلان المدلول واما رواية
ابن مردوية المصرحة بنفي الروية ورفعها اليه صلي الله عليه وسلم

حكي فيه الاية المسول عنها وهي ولقد راه نزلة اخرى وان مسلم ان رواية
ابن مسعود وية تعارض رواية مسلم والا فما فيه اصح ولم يقع فيه تصريح
بنفي الروية مرفوعا وقد قال التقي السبكي في تفسيره قول ابن عطية
حديث عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قاطع لكل تاويل في اللفظ
لان قول غيرها انما هو منتزع من الفاظ القران وفيه نظر لانه ان كان
سوالها عن ولقد راه نزلة اخرى فليس مما نحن فيه وجايز ان يكون ذلك
جبريل وهذا وان كان عن الاية فيقرب ما قاله ابن عطية والاحتمال
حاصل فيما سالت عنه ليس في لفظها صراحة بذكره ثم قال فلذلك يستمر
ما ادعاه هو لا الاية من ان عايشة لم تذكر فيه نصا وبان بهذا ان الراجح
في تفسير الاية ان الروية بالبصر وانها لله تعالى انتهى وفيه نظر لان
رواية ابن مردوية صرحت بان السوال عن ولقد راه نزلة اخرى لكن
كلامه انما هو مع رواية مسلم ومن قال انه صلى الله عليه وسلم خاطبها
على قدر عقلها وحاول تخطيتها فيما ذهبت اليه فهو مخطي قليل الادب
نعم احتجاج عايشة بالاية الاولى خالفها فيه ابن عباس
فاخرج الترمذي وحسنه من حديث الحكم بن ابان العدني ابو
عيسى صدوق عابد له اوهام مات سنة اربع وخمسين ومايه
وكان مولده سنة ثمانين روى له اصحاب السنن عن عكرمة عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال راى محمد ربه قال عكرمة فقلت
اليس يقول الله تعالى لا تدركه الابصار اي لا تراه قال ابن عباس
ويحك يا عكرمة ذاك اذا تجلى ظهر بنوره الذي هو نوره
واما اذا تجلى بغيره فتمكن رويته على الوجه الذي يليق بالراي
وقد راى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفواده رواه الطبراني
باسناد صحيح عن ابن عباس قال الشامي وحاصله ان المراد بالاية
نفي الاحاطة به عند رويته لا نفي اصل رويته وقال النووي المراد بالادراك
الاحاطة والله تعالى لا يحاط واذا ورد النص بنفي الاحاطة لا يلزم
منه نفي الروية بغير احاطة وقال القرطبي الشيخ ابو العباس
في المفهم الابصار في الاية جمع محلى بالالف واللام فيقبل
التخصيص وقد ثبت دليل ذلك سمعا في قوله تعالى كلا انهم
عن ربهم يومئذ يوم القيامة لمحجوبون فلا يرونه
فيكون المراد الكفار بدليل قوله في الاية الاخرى وجوه
يومئذ يوم القيمة ناضرة حسنة مضيئة الى ربها ناظرة فثبت
النظر في الاخرة للمومنين بنص الاية واذا جازت في الاخرة جازت
في الدنيا لتساوي الوقتين بالنسبة الى المرئي وهو ذاته
تعالى انتهى وهذا استدلال جيد من القرطبي وقال القاضي
عياض في الشفا الحق الذي لا امترا فيه ان روية الله تعالى

جايزة

جايزة عقلا لانه موجود حقيقة وكل موجود تجوز رويته عيانا
وليس في العقل ما يحيلها اي ما يقتضي انها مستحيلة وهذا كالدليل
لما قبله فهو عطف علة على معلول وذكره دليلا نقليا تاكيدا للعقلي بقوله
والدليل على جوازها سوال موسى عليه السلام لها ومحال ان
يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه ولكن وقوعه ومشاهدته
من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله فقال له الله لن تراني اي لن تطيق
ولا تحتمل رويتي ثم ضرب له مثلا مما اقوى من بنية موسى وانبت وهو
الجبل ليس فيه ما يحيل رويته في الدنيا اذ كل موجود فرويته
جايزة غير مستحيلة والله موجود وهذا تعليل للجواز فالعلة فيه
الوجود وهو مشترك بين الله وساير الموجودات فكما جوز رويتها تجوز
رويته وانتقد هذا التعليل بانه يقتضي صحة روية الاصوات والروايح
والطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير محسوسة
بالبصر واجيب بانه منقول عن الاشعري وهو قد التزم جواز رويتها
فالكلام في الجواز لا الوقوع ولا حجة مسلمة عند الخصم لمن استدل
على منعها اي الروية بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف
التاويلات في هذه الاية فقيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل
لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقيل لا تدركه الابصار وانما يدركه
المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الروية ولا استحالتها
انتهى كلام عياض بعض الذي زدته وجدته المصنف اسقطتها بابسطه
اتباعا للحافظ بعض له وقد روى ابن ابي حاتم بسنده عن
اسمعيل بن علية بضم العين المهملة وفتح اللام وشد التحتية
وهي امه اشتهر بها وابوه ابراهيم بن مقسم بكسر الميم وسكون
القاف وفتح السين البصري ثقة حافظ روى له الستة مات
سنة ثلاث وتسعين ومائة وهو ابن ثلاث وثمانين في تاويل
هذه الاية قال هذا في الدنيا وقال اخرون لا تدركه
الابصار اي جميعها وهذا مخصص بصيغة اسم المفعول بما
ثبت في الكتاب والسنة من روية المومنين له في الدار
الاخرة وهذا في الشرح لقول ابن عطية وقال اخرون من
المعتزلة بمقتضى ما فهموه من هذه الاية انه لا يرى
في الدنيا ولا في الاخرة وقد بالغ عياض في الرد عليهم بانه
ما استدلوا به حجة عليهم لا لهم فقال وقد استدل بعضهم بهذه
الاية على جواز الروية وعدم استحالتها انتهى اي لان نفي الشيء
عند البلغا يقتضي جوازه والا كان عبثا فلا يقال للحايط لا يعلم له
وانه قد ساق نفي ادراك الابصار في سياق المدح وانما يتمدح بامر
ثبوتي كماليا لا بالعدم الصرف فكل نفي مدح به تضمن امرا وجوديا

كنفي الموت المتضمن للحياة السرمدية فلو كان نفي الابصا رمعناه
انه لايرى اصلا كسا بر المعدومات لم يكن فيه مدح في القوا اهل
السنة والجماعة في ذلك مع ما ارتكبوه من الجهل بما دل عليه
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم اما الكتاب
فقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة تراه
يوم القيمة مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذا قدم
المفعول وليس هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقول
المعتزلة معناه منتظرة انعامه رد بان الانتظار لا يسند الى الوجه
وتفسيرا لوجه بالجملة خلاف الظاهر فان المستعمل بمعناه لا يتعدى بالى
واستشهادهم لتفسيرهم بقوله
• واذا نظرت اليك من ملك • والبحر دونك زدتني نعما •
قال العلم السخاوي لا حجة فيه لان النظر بمعنى التامل لا يطلع عليه مخلوق
ولذا قال زدتني نعما وقال البيضا وي النظر بمعنى السوال فان الانتظار
لا يستعقب العطا وقال الطيبي والبحر دونك جملة معترضة تحتمل وجهين
احدهما البحر بيني وبينك وثانيهما البحر اقل منك في الجود وهذا
ارجح وحينئذ لا يصلح للاستشهاد وقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المومنين قال الامام الشافعي
رحمه الله تعالى فدل هذا بالمفهوم على ان المومنين لا
يحجبون عنه تبارك وتعالى اذ تخصيص الكفار بالحجب يدل
بمفهومه على ذلك ولا له ظاهرة وجاد المعتزلة عن سوا السبيل
فقدروا مضافا فامثل رحمة ربهم او قرب ربهم او هو تمثيل لاهانتهم
باهانة من يمنع من الدخول على الملوك واما السنة فقد تواترت
الاخبار عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان وابي هريرة
عبد الرحمن بن صخر وانس بن مالك وجرير بن عبد الله البجلي
وصهيب بضم الصاد بن سنان الرومي وبلال المؤذن
وغير واحد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان المومنين
يرون الله تعالى في الاخرة في العرصات قبل دخول الجنة
وفي روضات الجنات جعلنا الله منهم وتفصيل ذلك يطول
يطول وقيل المنفي في الاية بقوله لا تدركه الابصار ادراك
العقول فلا ينافي في ادراك الابصار قال ابن كثير وهو غريب
جدا وخلاف ظاهر الاية لانه صرح بالابصار وقال اخرون
لا منافاة بين اثبات الروية ونفي الادراك فان الادراك
اخص من الروية ولا يلزم من نفي الاخص انتفا الاعم
اذ النفي انما وقع على خاص ثم اختلف هولا في الادراك
المنفي ما هو فقيل معرفة الحقيقة فان هذا لا يعلمه الا

هو ولو راه المومنون كما ان من راى القمر فانه لا يدرك حقيقته
وكنهه وماهيته عطف مساوي فالعظيم تبارك وتعالى اولى
بذلك من القمر لانه اذا لم يدرك حقيقة المخلوق فكيف الخالق وله
المثل الوصف الاعلى الذي ليس لغيره ما يساويه ولا يدانيه فانما
هذا تقريب للفهم وقال اخرون المراد بالادراك الاحاطة
بجوانب المرئي وحدوده لان حقيقة الادراك اللحوق والوصول
في المكان كقول اصحاب موسى انا لمدركون او الزمان كما يقال
ادرك فلان النبي صلى الله عليه وسلم او الصفة كادرك الغلام
اذا بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت ثم نقل لابصار الشي المتناهي
المحدود بالجهات لتوهم معنى اللحوق فيه كان البصر قطع المسافة
التي بينك وبينه حتى بلغه ووصل اليه فلما كان ما ليس في جهة
لا يتحقق فيه معنى البلوغ فلما يسمى ادراكا فلا يلزم من نفيه وهو
روية مخصوصة نفي المطلقة والى هذا اشار بقوله قالوا اي
الاخرون وليس المراد المتري بل النسبة ولا يلزم من عدم
الاحاطة عدم الروية كما لا يلزم من عدم الاحاطة بالعلم
عدم العلم والمعنى لا تدركه الابصار على وجه الاحاطة لتعاليه
عن التناهي وعن الاتصاف بالحدود التي هي النهايات والجوانب
والاحاطة بما لا نهاية هي محال وحينئذ فدلالة الاية على جواز
الروية بل على تحققها بالوقوع اظهر من دلالتها على الجواز بما ذكر
من التمدح وفي صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم لا احصي
ثنا عليك قال ابن الاثير الاحصا هنا بلوغ الواجب اي لا ابلغ
الواجب في الثنا عليك وقال الراغب هو التحصيل اي لا احصل
الثنا اي ثنا النعم التي عندي اذ هو نعمة تستدعي شكرا وهكذا الى غير
نهاية او لا اعد ثناك كما في الصحاح لان معنى الاحصا العد بالحصى كما
قال • ولست بالاكثر منهم حصى • وانما العزة للكاثر •
وعليه فهو من نفي الملزوم والمعبر عنه بالاحصا المفسر بالعد وارادة
نفي اللازم وهو استيعاب المعدود فكانه قيل لا استوعب فالمراد نفي القدرة
على الاتيان بجميع الثناآت او فرد منها لا عدها اذ يمكن عد افراد كثيرة
من الثنا انت مبتدا خبره كما اثنيت اي الثنا عليك هو المماثل
لثنايك على نفسك ولا قدرة لاحد عليه ويحتمل ان انت تاكيد
للكاف من عليك باستعارة الضمير المنفصل للمتصل والثنا الوصف
الجميل قال النووي بتقديم المثلثة والمد المشهور في اللغة فقصر
استعماله في الخير واستعماله في الشر مجاز وقال المجد وصف
بمدح او ذم او خاص بالمدح ولا يلزم من هذا عدم الثنا
بل وجد الثنا من المصطفى كثيرا جدا على ربه فكذلك هذا الذي

فيه الكلام لا يلزم من عدم الاحاطة عدم الرؤية وروى ابن ابي
حاتم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى لا تدركه الابصار قال لو ان الجن والانس
والشياطين مردة الجن والملائكة منذ خلقوا الى ان فنوا صفوا
واحدا ما احاطوا بالله ابدا فهذا يؤيد ان المراد بالادراك الاحاطة
قال ابن كثير غريب لا يعرف الا من هذا الوجه بمعنى انه تفرد
به الراوي فلا متابع له ولم يروه احد من اصحاب الكتب الستة
وذكر ظاهره في غرابته وليس المراد ما ليس فيها يكون غريبا والله
اعلم بالحق في ذلك ومما ينسب لامام الحرمين في كتاب لمع الادلة
بضم ففتح جمع لمعة من لمع اضاء انه قال من اصحابنا من قال
ان الرب تعالى يرى ولا يدرك لان الادراك ينبي عن
الاحاطة ودرك الغاية فيسلكون بمعنى ادراك الغاية والرب
جل جلاله تقدس تنزه عن الغاية والنهاية وكلامهم في
الادراك مسلم لكنه ليس بلازم من الرؤية كما مر فنفيهم لها ليس
بمسلم واليه اشار بقوله ثم قال فان عارضوا فقوله تعالى
في جواب قول موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك قال
لن تراني لا تقدر على رؤيتي وزعموا ان لن تفيد النفي على التاكيد
التابيد كما زعمه الزمخشري في انموذجه او تاكيد كما زعمه في كشافه
في الاية والصحيح انها لا تفيد ذلك قلنا هذه الاية اوضح
الادلة على جواز الرؤية لانها لو كانت مستحيلة لكان معتقد
جواز الرؤية منا لا كافرا باعتقاد المحال على الله وكيف يعتقد
بالبناء للفاعل بما اي امرا لا يجوز على الله مفعول والفاعل من
اصطفاه الله تعالى لرسالته يا موسى اني اصطفيتك على
الناس برسالاتي واختاره لنبوته بكرامته وشرفه بتكليمه
بلا واسطة وجعله افضل اهل زمانه اشار الى انه فضله
على الناس ناس زمانه وايده بمعجزاته كانه اراد بقوله ولقد اتينا
موسى تسع ايات بينات والاستفهام للنفي اي لا يمكن اعتقاده
ذلك وكذا قوله وكيف يجوز على الانبياء الريب الشك في امر
يتعلق بعلم الغيب وانفصل المعتزلة عن هذا بانه لم يسأله
بجوازه عنده بل تبكيتا للقائلين له ارنا الله جهرة او سالها مع
علمه باستحالتها ليتاكد الدليل العقلي بالسمعي ويطمئن قلبه كما
قال ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي فان العلم يتفاوت قوة وضعفا
ورد بان تفاوته غير مسلم والخليل لم يسأله لذلك وانما علم انه
متخذ خليلا يحيي الموتى بدعائه فسأل ذلك ليعلم اهو هو ام لا
ولو سلم فلا يلزم سؤال ما لا يجوز وينافي الادب اذ كان يقول

موسي

موسى بين لي علم ذلك جوازا او استحالة فيجب حمل الاية على ان ما اعتقد
موسى عليه السلام جوازه جائز لكن ظن ان ما اعتقد جوازه
ناجز واقع في الحال فرجع النفي في الجواب الى الانجاز فكانه قيل
لن تراني في الحال وما سال موسى ربه رؤيته في المآل فصرف النفي
اليه حتى لا يلزم انه لا يرى ابدا او الجواب بلن تراني دون لن ارى
يدل على قضية الخطاب انتهى وقال البيضاوي في هذه
الاية دليل على ان رؤيته تعالى جائزة في الجملة لان طلب
المستحيل من الانبياء محال لانهم بعثوا لتعليم الامور الشرايع والعقايد
الحقة وهي معرفة ما يجوز على الله ويمتنع فلو جهل ذلك كان الله
امر له بما لا يعلمه وهو محال لانه جهل او عبث وخصوصا ما يقتضي
الجهل بالله وجواب المعتزلة بانه انما يلزم هذا لو كان سوالا لحقيقيا
لا لالزام غيره او تبكيته رد بان السياق يأباه ولذلك رده بقوله
لن تراني دون لن ارى ففي ذلك دليل واضح على الجواز انتهى وقوله
تبت اليك اي من سوالي ما لم تقدره لي قاله عياض اي في ذلك الوقت
ولا ينافي قوله وقد ذكر القاضي ابو بكر ان موسى راى الله فلذا خر
صعقا وان الجبل راه بادراك خلقه الله له فصار دكا قال عياض
واستنبط ذلك والله اعلم من قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر
مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا
وتجليه للجبل ظهوره حتى راه على هذا القول وقال جعفر بن محمد
شغله بالجبل حين تجلى ولولا ذلك مات صعقا بلا افاقة وهذا يدل
على ان موسى راه وقال بعض المفسرين راه الجبل وبه استدل من
قال برؤية نبينا صلى الله عليه وسلم اذ جعله دليلا على الجواز ولا
مرية في الجواز اذ ليس في الايات نص في المنع انتهى والراجح ان موسى
لم يره وقيل قوله تبت اليك انما كان لما غشيه من شدة ما لقي به
الى ان صعق كما يقول من فعل جايزا حصل له منه مشقة تبت عن
فعل مثله ونقل القاضي عياض عن ابي بكر الهذلي في تفسير
الاية ان المراد ليس لبشر ان يطيق اي يقدر ان ينظر الي في
الدنيا وانه من نظر الي فيها مات لضعف القوى البشرية عن
سبحات الجلال الا من اقدره الله وفيه دليل على جواز وقوعه في
الدنيا لكن من وقع له لا يعيش كما روي ان من راى جبريل من غير الانبيا
يعمى قال عياض وقد رايت لبعض السلف المتقدمين ولبعض
المتاخرين ما معناه ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لمانع
منعا لا لذاتها من حيث هي بل لامر من جوازها عقلا فامتناعها لعارض
لضعف تركيب اهل الدنيا اي لضعف ابدانهم المركبة كما قال
تعالى وخلق الانسان ضعيفا وقواهم جمع قوة وهي امور اودعه

انعدمي البدن به الادراك او المراد المعني اللغوي وكونها اي القوي او هي مع التركيب متغيرة بالازدياد اول امرها ثم النقص بعده وذكر يدل علي ضعفها عرضنا بمعجمتين للافات شبه الجسد بهدف ينصب لرمي السهام وافات الدهر ومصائبه بسهام لا يزال يرمي بها حتي تفني ويجوز اهمال العين اي ممرضنا لها والاول اصح رواية ودراية ونصب حالا او خبرا بعد خبر لكون ولم يعطف لكونه سببا لما قبله وقيل لكمال الاتصال بينهما وفيه نظر لان ذلك مخصوص بالجمل وقال التلمساني روي معترضة بدل قوله متغيرة اي ذات اعراض وهي الافات والامراض او من العرضة اي متعرضة للافات وهي كالعاهات كما يعرض لشي يفسده والفنا بفتح الفا والمد الزوال والعدم فلم تكن بهم قوة علي الرؤية لضعف ابدانهم وقواهم في الدنيا فاذا كان في الاخرة اي اذا احياهم الله وركبوا تركيبا اخر غير تركيبهم الاول ورزقوا قوي ثابتة بمثلثة ونون وتحتية اي غير القوي الاولي الدنيوية وفي نسخ ثابتة بموحدة وفوقية فقوله باقية تفسير له اي مخلدة لا تفني لقوة تركيبها وتمام قواها واتم انوار ابصارهم وقلوبهم اي جعلها كاملة مستعدة للبقا السرمدي قووا بها علي الرؤية جواب اذا وضمير بها للمذكورات من التركيب والقوي والانوار فهذا يدل علي وقوعها في الاخرة وجوازها في الدنيا لانه لو رزقهم ذلك في الدنيا صح ذلك منهم ايضا ولذا شق صدر المصطفي واودع فيه ما قوي به علي ذلك قال عياض وقد رايت وفي نسخ وروي نحو هذا لمالك بن انس الامام رضي الله عنه قال لم ير بضم التحتية ونايب الفاعل عايد علي الله لانه باق ولا يري الباقي بالفاني فاذا كان النظر او الناظر في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية وروي الباقي بالباقي لان البقا الابدي علة لصحة الرؤية كما ان الفنا والحدوث لا مدخل له في المنع لان الرؤية مشروطة بشي عند اهل السنة بخلق الله والبنية والقوة المعدة لصحة النظر فكانه اراد ان البقا يلزمه قوة التركيب فيكون بمعني ما قبله وكذا ان كان مراده ان الرائي والمرائي لا بد ان يكون بينهما مناسبة وابصار هذه الدار فانية فاذا عادت وكسيت صفة دوام البقا تحملت رؤية الحي القيوم للمناسبة في الجملة وان كان بقاوه قديما ذاتيا وبقاوها طارئ عرضي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دلالة علي الاستحالة والامتناع عقلا بل هو دال علي الجواز اذ لا مانع منه الا من حيث ضعف القدرة البشرية في الدنيا فاذا قوي الله من شا من عباده بان رزقه قوة تطيق ذلك وجعله علي حمل اعبا ثقل الرؤية اي جعل له قدرة وطاقة علي رؤيته ومشاهدته وفي نسخة الرسالة بتخفيف

فلا

فلا دخل لها هنا والذي في الشفا الرؤية لم يمتنع في حقه الرؤية فيمكنه منها بما يمنحه من القوة واعبا جمع عبء بكسر المهملة وسكون الموحدة وهمزة الحمل الثقيل حقيقة في المحسوسات استعير للمعاني الشاقة انتهي كلام عياض والاستثنا في قوله الا من حيث ضعف القوة ينبغي ان يكون منقطعا علي معني لكن من حيث ضعف القوة والا بان كان متصلا فضعف القوة فضاراه غايته ان يكون مانعا فلا يصح دخوله فيما قبل الاستثنا اي امتنع من حيث ضعف القوة لا نافية من جهة كونه مستحيلا تقرير وبيان للانقطاع ويدل علي هذا قوله فاذا قوي الله تعالي من شا من عباده واقدره علي حمل اعبا الرؤية لم يمتنع في حقه اذ لو كان منفصلا ما حسن التفريع وقد وقع في صحيح مسلم ما يويد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه واعلموا انكم لن تروا ربكم حتي تموتوا واخرجه ابن خزيمة ايضا في صحيحه من حديث ابي امامة صدي بن عجلان الباهلي ومن حديث عبادة بن الصامت الانصاري فاذا جازت الرؤية في الدنيا عقلا فقد امتنعت سمعا بقوله حتي تموتوا لكن من اثبتها للنبي صلي الله عليه وسلم له ان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه علي احد الاقوال في الاصول وفي تفسير ابن كثير في بعض كتب الله المتقدمة ان الله تعالي قال لموسي لما ساله الرؤية انه قال لمن تراني حي الا مات وقد اختلف علي قول من قال ان موسي راه هل مات ثم احياه الله كما ذهب اليه كثير من المفسرين او لم يمت لانه الهي بالنظر للجبل حتي لا يموت اذا تجلي له ابتدا وهو قول جعفر بن محمد كما مر وعليه فمعني قوله الا مات ما لم اثبته واقويه فلا يموت وقد جزم القشيري في الرسالة بانها لا تجوز في الدنيا علي جهة الكرامة وادعي حصول الاجماع عليه ونوزع بوجود الخلاف وحكي القاضي عياض في الشفا امتناعها اي رؤيته تعالي في الدنيا عن جماعة من المحدثين لعدم صحة حديث عن المصطفي صرح بذلك والفقها في باب الردة هل يكفر مدعيها ام لا والمتكلمين في الاصول وقال القشيري ايضا سمعت الامام ابا بكر بن فورك بضم الفا واسكان الواو وفتح الرا فكاف يحكي عن الامام ابي حسن الاشعري امام اهل السنة والجماعة في ذلك قولين في كتاب الرؤية الكبير انتهي اي جوازها وعدمها واجمعوا علي وقوعها في الاخرة للمومنين كما تواترت به الاحاديث وبه نطق القران وقوله تعالي للذين احسنوا الحسني وزيادة الحسني الجنة وزيادة هي النظر اليه تعالي كما فسره به النبي صلي الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وغيره واحالت المعتزلة ذلك

فصارت الادلة عندهم كالصايل لا يبالون باي شي دفعوه فقال
كبيرهم الزمخشري نعمت المسمية والمجبرة ان الزيادة النظر الي وجه
الله وجاوا بحديث مرفوع قال الطيبي هو عنده بالاتفاق اي مفتري
واما عندنا اهل السنة فبا لنا وقال ابن المنير بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه والحديث مدون في الصحاح وقد جعل اهل السنة جاوا به من
عند انفسهم فحسبه الله وقال الزمخشري في مواضع اخر

لجماعة سموا هواهم سنة   وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا   شنع الورى فتستروا بالبلكفه

قال ابن المنير انتقل الي الهجا وقد اذن صلي الله عليه وسلم لحسان
في المنافحة وهجا المشركين فناسبت وقلت

وجماعة كفروا برؤية ربهم   هذا ووعد الله ما ان يخلفه
وتلقبوا عدلية قلنا اجل   عدلوا بربهم فحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا انهم   ان لم يكونوا في لظى فلم شفه

وقال السعد لقد عورض ما انشده او انشاه من الهذيان

لجماعة كفروا برؤية ربهم   ولقابه فهم حمير موكفه
فكما هموا علموا بلا كيف نحن   نرى فلم نعمهم بالبلكفه
هم عطلوه عن الصفات وعطلوا   عنه الفعال فبالهم مرتعفه
هم نازعوه الخلق حتي اشركوا   بالله زمرة حاكة واساكفه

الي اخر ما قال وقد اكثر الناس من الرد عليهم نظما ونثرا ثم لما
اثبت المولف جواز الرؤية في الدنيا عقلا وسمعا وان كان كلامه
في الخلاف في وقوعها للمصطفي وعدمه لانه ان لم يثبت الجواز لم يثبت
الوقوع اخذ في تتميم الكلام على الوقوع فقال وقد ذهبت عايشة
كما تقدم وابن مسعود في المشهور عنه الي انه عليه السلام لم
ير ربه ليلة الاسرا واختلف عن ابي ذر فروي عنه انه
راه وروي عنه انه لم يره وكذا اختلف عن ابي هريرة فحكي ابن
اسحق ان مروان سال ابا هريرة هل راي محمد ربه قال نعم وفي رواية
لم يره والي المنع ذهب كثير من المحدثين والفقها والمتكلمين وبالغ
الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي فنقل فيه الاجماع وذهب جماعة
الي اثباتها قال النووي وهو قول اكثر العلما وحكي عبد الرزاق
ابن همام الصنعاني احد الاعلام عن معمر بن راشد عن الحسن البصري
انه حلف ان محمدا راي ربه لفظ الرواية انه كان يحلف بالله لقد
راي محمد صلي الله عليه وسلم ربه واخرج ابن خزيمة عن عروة
ابن الزبير اثباتها اي رؤية الله للمصطفي وانه كان يشتد عليه
انكار عايشة لها وبه قال ساير جميع اصحاب ابن عباس وجزم
به كعب الاحبار واي ملجا العلما وكبر لما وافقه ابن عباس حتي جاوبته

الجبال بعرفة سرورا والزهري محمد بن مسلم بن شهاب الزهري
وصاحبه اي تلميذه معمر بن ابي عمرو البصري ابن راشد البصري احد
الاعلام واخرون كثيرون وهو قول الاشعري وغالب اتباعه
وفي الشفا وقال الاشعري وجماعة من اصحابه انه صلي الله عليه وسلم
راي الله ببصره وعيني راسه وقال اي الاشعري كل اية اوتيها نبي
فقد اوتي مثلها نبينا وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ثم اختلفوا هل
راه بعينه او بقلبه وباتي معناه وقال النووي الراجح عند اكثر العلما
انه صلي الله عليه وسلم راي ربه بعيني راسه ليلة المعراج واستدل
باشيا نوزع في بعضها وجات عن ابن عباس اخبار مطلقة اي
دالة على الرؤية بلا قيد بالعين ولا بالقلب واخرى مقيدة بانه
راه بقلبه فيجب حمل مطلقها الدال على الرؤية على مقيدها انه
راه بقلبه عملا بقاعدة حمل المطلق على المقيد هكذا قاله الحافظان
ابن كثير وابن حجر وغيرهما ومقتضاه انه لم يرد عنه اخبار مقيدة
بانه راه بعينه وهو عجب فنص الشفا بعد حكاية اختلاف الروايات
عن ابن عباس في انه راه بعينه او بقلبه ما نصه والاشهر عنه انه راه
بعينه روي ذلك عنه من طرق انتهي فالوجه الجمع بانه راه مرتين مرة
بقلبه ومرة بعينه كما قال ابن خزيمة وبه صرح ابن عباس في الطبراني
بسند صحيح كما ياتي ومحل القاعدة اذا عارض المطلق مقيد واحد اما اذا
عارضه مقيدان فلا يقيد بواحد دون الاخر لانه تحكم فان امكن الجمع كما هنا
بالتعدد وجب المصير اليه والا رجع للمطلق فمن ذلك اي ما جاء عن ابن
عباس لا بقيد المطلق والمقيد ما اخرجه النسائي باسناد جيد اي مقبول
وفي نسخ صحيح وهي انسب لقوله وصححه الحاكم ايضا من طريق
عكرمة عن ابن عباس انه قال اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم
كما قال تعالي واتخذ الله ابراهيم خليلا والكلام لموسي وكلم الله موسي
تكليما والرؤية لمحمد صلي الله عليه وسلم وهذا من الاحاديث المطلقة
واخرجه ابن خزيمة بلفظ ان الله اصطفي ابراهيم بالخلة وموسي بالكلام
ومحمدا صلي الله عليه وسلم بالرؤية واستشكل تفريعه هذه الخصايص
بان الخلة والكلام ثبتا لنبينا ايضا واجيب بان مراده ان الخلة ثبتت
له مع زيادة المحبة فهو خليل وحبيب وموسي اشتهر بالكليم لان كلام الله
في الارض في الدنيا بلا واسطة لم يقع لاحد سواه وان كان الله تعالي
كلم نبينا في المعراج بلا واسطة في خطاب يرقد سه ومنها ما اخرجه
مسلم من طريق ابي العالية رفيع بضم الراء مصغر بن مهران الرياحي
بكسر الراء وبالتحتية ثقة من رجال الجميع مات سنة تسعين وقيل ثلاث
وتسعين وقيل بعد ذلك عن ابن عباس في قوله تعالي ما كذب
الفواد ما راي ولقد راه نزلة اخرى قال راه بفواده مرتين

اي بقلبه ولراي مسلم من طريق عطا بن ابي رباح عن ابن عباس
قال راه بقلبه وكل من الروايتين مقيد لكن لا صراحة فيهما انه لم يره
بعينه ولذا قال واصرح من ذلك ما اخرجه ابن مردويه من طريق
عطا عن ابن عباس قال لم يره رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه وانما راه
بقلبه وكان هذا خاطب ابن عباس به من لا يليق به الا فصاح بانه راه
بعينه او مراده لم يره بعينه فقط وانما راه بقلبه وعينه وهو من تفرد
الراوي عن عطا فلا ينافي ذلك ان الاشهر عنه انه راه بعينه ولا شك ان
رواية مسلم عن عطا عنه اصح من رواية ابن مردويه هذه وعلى هذا
فيمكن الجمع بين اثبات ابن عباس ونفي عايشة بان يحمل نفيها
على روية البصر واثباته على روية القلب لكن يقدح في الجمع
المذكور انه روى الطبراني في الاوسط باسناد رجاله رجال الصحيح
بمعنى انه خرج لهم اصحاب الصحيح خلا جهور بفتح الجيم واسكان الهاء
وفتح الواو ثم را ابن منصور الكوفي وجهور بن منصور المذكور ذكره
ابن حبان في الثقات فالاسناد صحيح لثقة رجاله وان لم يخرج لبعضهم
في الصحيح لان الصحيح مراتب عن ابن عباس انه كان يقول ان محمدا
صلى الله عليه وسلم راى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفواده م
فلا يمكن الجمع حينيذ بما تقدم بين اثباته ونفي عايشة لانه صرح بانه راه
مرة ببصره ولا رد المطلق عنه الى المقيد بالقلب ايضا كما قدمنه وقول
ابن كثير من روى عن ابن عباس انه راه ببصره فقد اغرب فانه لا يصح
في ذلك شي عن الصحابة قال الشامي ليس بجيد لان اسناد الطبراني
هذا صحيح ثم المراد برويه الفواد كما قال الحافظ ابن حجر روية القلب
لا مجرد حصول العلم لانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله على الدوام
بل مراد من اثبتها له انه راه بقلبه ان الروية التي حصلت له خلقت
له في قلبه كما تخلق الروية بالعين والروية لا يشترط لها شي
مخصوص عقلا بل هي قوة يجعلها الله تعالى فيما شا من خلقه ولا يشترط
فيها ايضا اتصال اشعة ولا مقابلة المراي ولا غير ذلك ولو جرت العادة
بخلقها في العين فليست شرطا وقال الواحدي وعلى القول بانه راه بقلبه
جعل الله تعالى بصره في فواده او خلق لفواده بصرا حتى راى ربه روية
صحيحة كما يرى بالعين وروى ابن خزيمة باسناد قوي عن انس
قال راى محمد ربه بعينه كما حمله عليه الواحدي وتبعه البغوي وفي
مسلم من حديث ابي ذر الغفاري انه سال النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذلك اي رويته لربه فلفظه عن عبد الله بن شقيق عن ابي ذر
قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك فقال نور
بتنوين مرفوع وروي بالنصب ايضا انى بفتح الهمزة وشد النون
والقصر اراه اي حجابه نور اشارة الى ان نور مبتدا ويجوز انه

فاعل

فاعل لفعل مقدر اي حجبني او منعني او ظهر لي نور وعلى رواية النصب
تقديره رايت نورا فكيف تفسير لقوله انى اراه ومعناه ان النور منعني
من الروية لجري العادة بان النور اذا غشي البصر حجبه عن روية ما وراه
وروي نوراني بكسر النون الثانية وشد التحتية نسبة للنور على غير قياس
كصنعاني وهذه الرواية حكاها في الشفا عن بعض مشايخه ولكنه قال
في شرحه لمسلم الاكمال هذه الرواية لم تقع لنا ولا رايتها في اصل من
الاصول وعند احمد عن ابي ذر قال صلى الله عليه وسلم رايت نورا وظاهر
عزوه لاحمد بعد عزو ما قبله لمسلم انه لم يروه وليس كذلك فقد رواه مسلم
ايضا عقب الاول من وجه اخر عن عبد الله بن شقيق قال قلت لابي
ذر لو رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالته فقال عن اي شي كنت
تساله قال كنت اساله هل رايت ربك قال قد سالته فقال رايت نورا اي رايت
نورا حجبني عن روية الله فتتفق الروايتان على ان النور مانع من المستحيل
ان تكون ذات الله تعالى نورا اذ النور من جملة الاعراض والله تعالى
يتعالى عن ذلك ولذا قال في الشفا حديث ابي ذر هذا مختلف اي مختلف
من حيث اللفظ محتمل اي لكونه راه او لم يره مشكل اي من حيث
جعل ذاته نورا وقال في الاكمال ومن المستحيل ان تكون ذاته نورا لانه
جسم وهو منزه عنه باجماع فيول بما ذكر في الله نور السموات والارض
اي معناه منورها وهادي اهلها ومنور قلوب المومنين او ذو بهجتها وجمالها
وخالق النور ورده ابو عبد الله الابي بانه لا يستقيم تاويل الرواية بشي
من الجميع لانه لا يلتيم مع قوله انى اراه لا لكونه خالقا او منورا او هاديا لا
يمنع من رويته قال البساطي فالذي يظهر على ما نعتقد من وقوع الروية
ان قوله نور اي هو ذو نور ثم استعظم ما وقع له من الروية وما شاهد من
الذات العلية فقال انى اراه اعترافا بالقصور عن درجة الروية واستعظاما
للذات المرية كما قيل في قوله تعالى انى يحيي هذه الله بعد موتها قال واما
بتنوير فهو نص في الروية وتاويله بان المراد منعني عن رويته كمادة
الانوار الساطعة ضعيف جدا لان فيه قياس الاشيا الخارقة للعادة م
الحاجبة محظور ماورا العقل على الاشيا المحسوسة العادية وهذا خطا قطعا
انتهى وقال العراقي في تخريج احاديث الاحيا ما زلت لهذا الحديث منكرا
وقال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شي انتهى واجيب بان النور
من اسمايه تعالى كما في الحديث قال الغزالي ومعناه الظاهر بنفسه المظهر
لغيره ونحوه قول الاشعري الله نور ليس كالانوار فالروايتان بمعنى
فهو نور النور الحقي بفرط الظهور وقال عياض النور جسم غير مسلم وعند
ابن خزيمة والنسايي عنه اي عن ابي ذر انه قال في تفسير الاية راه
بقلبه ولم يره بعينه وروى ابن جرير عن بعض الصحابة قلنا يا
رسول الله هل رايت ربك قال لم اره بعيني رايته بفوادي مرتين

ثم تدلي ثم دنا فتدلي وفيه موسي بن عبيدة ضعيف وبهذا ايتبين
مراده في حديث ابي ذر المذكور عن مسلم فذكر النور الذي حال
بينه وبين رؤيته ببصره وذلك لا يمنع رؤيته بقلبه وجنح اي مال
ابن خزيمة في كتاب التوحيد الي ترجيح الاثبات اي انه راه
ببصره واطنب في الاستدلال بما يطول ذكره وحمل ما ورد
عن ابن عباس من انه راه بقلبه علي ان الرؤية وقعت مرتين مرة
بقلبه ومرة بعينه جمعا بين مختلف الروايات عنه عملا بتصريحه بذلك
في الطبراني المانع من رد المطلق للمقيد كما مر تقريره ومما يعزي
للاستاذ عبد العزيز المهدوي انه صلي الله عليه وسلم لما رجع
من سفر الاسرا سمي خروجه من مكة الي القدس ثم الي السموات ثم الي
حيث شاء الله سفرا لصدق حد السفر عليه وهو الخروج للارتحال من
محله الي غيره ادخل العوالم بكسر اللام من حيث فلكهم اي نظر كل عالم
وخاطبه بما يليق بفلكه المتعلق به ومراتبهم اللائقة بهم قربا وبعدا
وسقي كل واحد من كاسه وعلي قدر عقله فخاطب الكفار وهم
احد العوالم بما راي في الطريق وما كان في المسجد الاقصي
علي العيان بكسر العين المشاهدة حيث جلا الله له المسجد وبما يعرفون
لانه في فلك الاجسام حتي صدقوا بالاسرا حقيقة وان لم يؤمنوا
عنادا ثم ارتقي حتي حدث عن فلك السما وكذلك في كل سما حتي اخبر
بما شاهد ورا كل ملك وما يليق ان يحدث به اعني اصحابه كلا
علي قدر مرتبته بلا ضيق ولا مزاحم الي السما السابعة وحاصل
معني كلامه انه صلي الله عليه وسلم راي تلك الليلة ما تقصر العقول
عن ادراكه فحدث اصحابه كلا بما يليق بمخاطبته وبمرتبته فاختلفت العبارات
باختلاف احوال المخاطبين مع كون المخبر عنه واحدا لا اختلاف فيه وانما
نشا الاختلاف من اختلاف العبارات التي ادي بها عليه الصلاة والسلام
ولما وصل مقام جبريل تحدث عن الافق المبين البين وهو الاعلا
وعما فوق الافق الي الدنو القرب والي التدلي الي موضع الايحا
عند حضرة اسقاط الصور والخلق فاخبر بذلك اصحابه فمنهم
من قال راي جبريل بالافق المبين وبالافق الاعلي وصدق
لانه حدث بما اخبر به ومنهم من قال برؤية الفؤاد القلب والبصيرة
لا البصر وهي عائشة ومن معها كابن مسعود في الاشهر عنه
ومنهم من قال بعيني راسه راي ربه تبارك وتعالي وصدق فكل
اخبر بما حدث صلي الله عليه وسلم من مقامه ومستقاه من كاسه
وما يليق به لكن قال الشامي من قال انه صلي الله عليه وسلم خاطب
عائشة علي قدر عقلها ومن حاول تخطئتها فيما ذهبت اليه فهو مخطي
قليل الادب انتهي فاذا صح هذا المعراج عرفت الامر ومقام

الرؤية والخلاف بينهم في ذلك في الجملة فهم نفيا واثباتا موقوفا علي
الجميع حق لينتفي كلام المصنف صحيح وحاول بذلك الجمع بين النفي والاثبات
وقد يريد به خبر حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب
الله ورسوله رواه الديلمي عن علي رفعه وهو في البخاري موقوف علي
وروي الحسن بن سفيان عن ابن عباس يرفعه امرنا ان نخاطب الناس
علي قدر عقولهم قال الحافظ وسنده ضعيف جدا لا موضوع علي انه ثبت
الرؤية لربه اي رؤيته الله تعالي لنبينا صلي الله عليه وسلم الامام احمد
بن حنبل روي الخلال بالخاء المعجمة نسبة الي الخل ابو محمد الحسن بن ابي طالب
ابن محمد بن الحسن البغدادي الحافظ الثقة صاحب التصانيف مات سنة
تسع وثلاثين واربعمائة في كتاب السنة عن اسحق بن منصور بن بهرام
الكوسج التميمي المروزي نزيل نيسابور احد الائمة الحفاظ الثقات
روي عنه الجماعة سوي ابي داود وقال الخطيب كان فقيها عالما وهو
الذي دون المسائل عن احمد مات سنة احدي وخمسين ومائتين قال
قلت لاحمد بن حنبل الامام انهم يقولون ان عائشة قالت من زعم
ان محمدا قد راي ربه فقد اعظم الفرية بكسر الفا الكذب فباي شي
يدفع بتحتية مضمومة او فوقية مفتوحة قولها بالرفع والنصب
قال بقول رايت النبي صلي الله عليه وسلم الكبر بموحدة اعظم واجل من
قولها فيتقدم عليها اذ لا راي لاحد مع نصه وهذا ظاهر في ان احمد كان
يقول انه راه ببصره فبل ان يسال ويجيب لان عائشة تقول بانه راه
بقلبه علي ما مر فدفعه احمد بالحديث حمله علي المشاهدة منه وحينئذ يبطل
الانكار المذكور بقوله وقد انكر صاحب الهدي ابن القيم فيه علي من
زعم ان احمد قال راي ربه بعيني راسه قال وانما قال احمد مرة راي
محمد ربه واطلق وقال مرة راه بفؤاده فحمل المطلق علي المطلق
المقيد وحكي عنه بعض المتاخرين انه راي ربه بعيني راسه وهذا
من تصرف الحاكي فان نصوصه اي احمد موجودة وليس فيها انه راه
بعيني راسه فالحاكي ذلك عنه من تصرفه انتهي لكن في الشفا ان عبد
الله بن احمد حكي عن ابيه انه راه وحكي النقاش عن احمد بن حنبل انه
قال انا اقول بحديث ابن عباس انه راي ربه بعينيه راه راه
راه انه انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر راه بقلبه وجبن
عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار انتهي وجمع بينهما بانه
تذبذب في بعض المجالس وقد رجح القرطبي في المفهم بشرح
مسلم قول الوقف في هذه المسئلة وعزوه لسعيد بن
جبير لا اقول راه ولا لم يره وعزاه لجماعة من المحققين وقواه
بانه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به الطائفتان
ظواهر متعارضة قابلة للتاويل ونحوه قول عياض واخذ

هذا المبحث من الشفا لامرية في الجواز اذ ليس في الامكان نص
في المنع بل هي مشيرة للجواز واما وجوب وقوعها لنبينا صلى الله
عليه وسلم والقول بانه راه بعينه فانه راه فليس فيه قاطع
ايضا ولا نص اذ المعول فيه على ايتي النجم والتنازع فيهما ماثور
والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك وحديث ابن عباس خبر عن اعتقاده ولم يسنده الى
النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه من رويته
ربه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية ثم قال فان ورد حديث
نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه اذ لا استحالة
فيه ولا مانع قطعي يرده انتهى قال القرطبي وليست المسالة
من العمليات فيكتفى فيها بالادلة الظنية وانما هي من المعتقدات
فلا يكتفى فيها الا بالدليل القطعي ورده السبكي في السيف
المسلول على من سب الرسول بانه ليس من شرطه ان يكون قاطعا
متواترا بل متى كان حديثا صحيحا ولو ظاهرا وهو من رواية الاحاد
جاز ان يعتمد عليه في ذلك لان ذلك ليس من مسايل الاعتقاد التي
يشترط فيها القطع على انا لسنا مكلفين بذلك انتهى والله اعلم
بالواقع من ذلك واما ما وقع له في الحديث اي حديث مالك بن
صعصعة الذي قدمه المصنف ثم تكلم عليه ثم فرضت علي الصلاة
بالافراد ولابي ذر ولغيره الصلوات بالجمع كل يوم خمسين صلاة
وفي رواية ثابت البناني بضم الموحدة وبنونين بينهما الف عن
انس عند مسلم ففرض الله علي فصرح بذكر الفاعل وان كان
في الاولى بني للمفعول للعلم به خمسين صلاة كل يوم وليلة
قال فادان المراد بيوم في الموضعين الزوالية الاولى مع الليلة
ونحوه في رواية مالك بن صعصعة عند البخاري ايضا لا محل
لذكر هذا لان رواية مالك هي التي اراد بقوله واما الذي
في قوله في الحديث وهذا انما ذكره الحافظ في قوله في الصلاة
قال النبي صلى الله عليه وسلم ففرض الله على امتي خمسين صلاة
فعارضه الحافظ برواية ثابت ومالك من جهة تصريحه فيهما
بان الفرض عليه قال الحافظ فيحتمل ان يقال في كل منهما رواية
الباب والرواية الاخرى اختصار ويحتمل ان يقال ذكر الفرض
عليه يستلزم الفرض على الامة وبالعكس الا ما يستثنى من خصايصه
وكان المصنف حذفه لاحتماله الاول ولانه لم يذكر رواية الصلاة
لكنه بتركه رواية الصلاة صار لا كبير فايدة فيه اذ رواية ثابت
موافقة للرواية التي شرحها فيكون قوله ذكر الفرض عليه
ضايعا وفي حديث ثابت عن انس عند مسلم عقب قوله وليلة

فنزلت

فنزلت الى موسى فقال ما فرض علي امتك قال اولا فرض علي وههنا
قال على امتك لان ما فرض على النبي فرض على امته ففيه احتباك
وهو من انواع البديع وهو ان يذكر شيئين يحذف من كل منهما ما ذكر
في الاخر فحذف من الاول وعلى امتي وعلى الثاني عليك وعكس هذا اجمع
ثالث ولم يقل موسى عليك لانه علل بعدم الطاقة وهي انما تنسب الى
الامة لا له ففيه حسن ادب موسى في الخطاب فقلت خمسين صلاة
تمييز قال ارجع الى ربك اي الى الموضع الذي ناجيته فيه فسله
التخفيف فان امتك لا يطيقون بضم اوله ذلك اي انه يشق عليهم
فيقصرون فيه لا انه محال حتى يقال انه مبني على تكليف المحال وهو
جايز وفايده الاخذ في مقامه حتى يعلم امتثاله فاني قد بلوت بني
اسرايل اي اختبرتهم بان امرتهم بما كلفوا به وخبرتهم اي علمت منهم
عدم الوفا بذلك فهو عطف مسبب على سبب بنوال بلاه وابتلاه بخبر
او بشر بمعنى امتحنه وخبرت الشي من باب قتل علمته واختبرته
بمعنى امتحنته كما في المصباح كذا افاده شيخنا وقال غيره وخبرتهم
عطف تفسير وهو واضح لانه لو كان بمعنى علم في خبر لا اختبر فمعناه
امتحن وفيه مقدر اي خبرتهم مع قوة اجسادهم وطول اعمارهم
فلم احد لهم صبرا على ذلك فكيف حال امتك قال صلى الله عليه وسلم
فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي ما فرضت عليهم من
الصلاة فحذف المفعول للعلم به وفي رواية شريك عن انس قال
اي موسى ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم
فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل كانه يستشيره في ذلك
فاشار اليه جبريل ان شيت فعلا به الى الجبار فقال وهو مكانه يا رب
خفف عن امتي فانهم لا يستطيعون هذا فحط عني خمسا منها واصل
معناه تنزيل الحمل فشبهه بالحمل تشبيها مكنيا كقوله لا تحملنا ما لا طاقة
لنا به وفي رواية ابن صعصعة وابي ذر وشريك فوضع فرجعت
الى موسى فقلت حط عني خمسا فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع
الى ربك فاساله التخفيف قال فلم ازل ارجع اي اردد الترجيع
واكرره بين ربي وبين موسى اي موضع مناجاتي له تعالى وملاقاتي
لموسى حتى قال الله تعالى لما انتهى التخفيف الى خمس يا محمد انهن
خمس صلوات كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فكل حسنة بعشر
امثالها فتلك خمسون صلاة وفي حديث ابي ذر هن خمس وهن
خمسون لا يبدل القول لدي ومر في حديث ابن صعصعة فوضع
عني عشرا ومثله لشريك وفي رواية ابي ذر فوضع شطرها
قال ابو محمد ذكر ابن المنير ذكر الشطر اعم من كونه وقع دفعة
واحدة او في مرار متعددة واذا ورد تفصيل واجمال حمل الاجمال

على التفصيل فلا تعارض قال الحافظ وكذا العشر فكانه وضع العشر
في دفعتين والشطر في خمس دفعات او المراد بالشطر البعض وقد
حققت رواية ثابت ان التخفيف كان خمسا وهي زيادة معتمدة يتعين
حمل باقي الروايات عليها وقال الكرماني هذا الشطر هو النقص ففي
المراجعة الثالثة ذكر وضع شي الا ان يقال حذف ذلك اختصارا فيتجه
لكن الجمع بين الروايات يابى هذا الحمل فالمعتمد ما تقدم انتهى قال
الشامي ويؤيد رواية ثابت ما رواه ابن خزيمة في صحيحه والبيهقي
وابن مردويه عن مالك بن صعصعة فحط عني خمسا انتهى وعنه فما زلت
بين موسى وبين ربي يحط عني خمسا خمسا انتهى والظاهر ان هذه
رواية شاذة وان صح اسنادها فالثابت في الصحيحين والنسائي
ومسند احمد من حديث مالك بن صعصعة فوضع عني عشرا وقدم
المولف لفظه ومن هم بحسنة اي اراد فعلها مصمما عليه فلم يعملها
كتبت حسنة اي كتبت له الحسنة التي هم بها ولم يعملها كتابة واحدة
لان الهم سببها وسبب الخير خير فان عملها كتبت له عشرا لان الحسنة
بعشر امثالها ومن هم بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيئا اي اذا لم يصمم
على الفعل كما هو مذكور في محله وفي الفتح استثنى جماعة ممن ذهب
الى عدم مواخذة من وقع منه الهم بالمعصية ما يقع في الحرم المكي
ولو لم يصمم لقوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب
اليم ذكره السدي في تفسيره عن مرة عن ابن مسعود واخرجه احمد
من طريقه مرفوعا ومنهم من رجح وقفه فان عملها كتبت سيئة واحدة
قال في الفتح استثنى بعض العلما وقوع المعصية في الحرم المكي
قال اسحق بن منصور قلنا لاحمد هل ورد في شي من الحديث ان السية
تكتب باكثر من واحدة قال لا ما سمعت الا بمكة لتعظيم البلد والجمهور
على التعميم في الازمنة والامكنة لكن قد تتفاوت بالعظم ولا يرد
على ذلك قوله تعالى من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب
ضعفين لان ذلك ورد تعظيما لحق النبي صلى الله عليه وسلم لان
وقوع ذلك من نسايه يقتضي امرا زايدا على الفاحشة وهو اذاه
صلى الله عليه وسلم واستدل به على ان الحفظة لا تكتب المباح
للتقييد بالحسنات والسيات واجاب بعض الشراح بان بعض
الايمة عد المباح من الحسن وتعقب بان الكلام فيما يترتب على
فعله حسنة بالنية وليس البحث فيه قال صلى الله
عليه صلى الله عليه وسلم فنزلت حتى انتهيت اي انتهى سيري
فوصلت الى موسى ولم يقل انتهيت قبل هذا وقاله هنا اشارة
الى انه تمام المراجعة ولا مراجعة بعده فاخبرته بما قال
الله تعالى فقال ارجع الى ربك فاساله التخفيف من الخمس

فقلت

فقلت راجعت ربي زاد في حديث ابن صعصعة ولكن ارضى واسلم
وفي رواية شريك عن انس قال صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله
استحييت من ربي مما اختلفت اليه قال ابن المنير هنا نكتة لطيفة
وهي يحتمل انه صلى الله عليه وسلم تفرس من كون التخفيف وقع خمسا
خمسا انه لو سال التخفيف بعد ان صارت خمسا لكان سائلا في دفعها فلذلك
استحى قال الحافظ ودلت مراجعته صلى الله عليه وسلم لربه في طلب
التخفيف في تلك المرات كلها انه علم ان الامر في كل مرة ليس على سبيل
الالزام بخلاف المرة الاخيرة ففيها ما يشعر بذلك لقوله تعالى ما يبدل
القول لدي ويحتمل ان يكون سبب الاستحيا ان العشرة آخر جمع القلة
واول جمع الكثرة فخشي ان يدخل في الالحاح في السوال لكن الالحاح في
الطلب من الله مطلوب فكانه خشي من عدم القيام بالشكر وسياتي
في التوحيد زيادة في هذا ومخالفة انتهى وفي رواية الشامي
من طريق يزيد بن ابي مالك عن انس فقيل لي انك يوم
خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين
صلاة كل يوم وليلة فقم بها انت وامتك وذكر مراجعته مع موسى
وفيه فانه فرض على بني اسرايل صلاتان فما قاموا بهما هذا
هو الصواب وما وقع في البيضاوي من انه فرض عليهم خمسون صلاة في
اليوم والليلة فقال السيوطي هذا غلط فلم يفرض على بني اسرايل
خمسون صلاة قط ولا خمس صلوات ولم تجمع الخمس الا لهذه الامة
وانما فرض على بني اسرايل صلاتان فقط كما في الحديث انتهى وقال
في اخره خمس بخمسين فقم بها انت وامتك قال فعرفت انها
عزمة اي طلب جازم لا تغيير وان سالت من الله فرجعت الى موسى فقال
ارجع فلم ارجع فهذا صريح في ان عدم رجوعه لانه فهم ان الامر للالزام
لا لمجرد الفراسة فان قلت لم قال موسى عليه السلام لنبينا صلى
الله عليه وسلم ان امتك لا يطيقون ذلك ولم يقل انك وامتك
لا تطيقون اي ما الحكمة في قصر العجز على الامة دونه اجيب بان
العجز مقصور على الامة لا يتعداهم الى النبي صلى الله عليه
وسلم فهو لما رزقه الله من الكمال يطيق ذلك واكثر منه
وكيف لا يكون ذلك وقد جعلت قرة عينه فرحها وسرورها
في الصلاة ذات الركوع والسجود لانه محل المناجاة ومعدن المصافاة
والقول بان المراد صلاة الله وملايكته ممنوع بان السياق يأباه قال
العارف بن ابي جمرة والحكمة في تخصيص فرض الصلاة بليلة
الاسرا انه صلى الله عليه وسلم لما عرج به راه في تلك الليلة
تعبد الملايكة وان منهم القايم فلا يقعد والراكع فلا يسجد
والساجد فلا يقعد اي لا يرفع راسه منه ابدا فجمع الله له

ليعلمه بما اكرمه به من ان ماراه من عبادة الملايكة
ولامته تلك العبادات في ركعة واحدة ن يصليها العبد بشرايطها من الطمانينة
جمع له ولامته في اختصاص فرضها بليلة الاسرا
والاخلاص وقال ابن ابي جمرة ايضا في اختصاص فرضها بكونها بغير واسطة بل بمراجعات
اشارة الي عظم شانها فلذلك اختص فرضها بكونها بغير واسطة بل بمراجعات
تعددت علي ما سبق بيانه وقد وقع من موسي عليه السلام من العناية
بهذه الامة في هذه الصلاة ما لم يقع لغيره ووقعت الاشارة
لذلك في حديث ابي هريرة عند الطبري والبزار قال صلي
الله عليه وسلم كان موسي اشدهم علي حين مررت به الي نحو
قوله فلما تجاوزت بكي قيل ما يبكيك قال لان غلاما بعث من بعدي يدخل
الجنة اكثر من امته اكثر من يدخلها من امتي وغير ذلك مما تقدم في
المتن وخيرهم لي حين رجعت لشفقته علي امتي ومن حديث ابي
سعيد الخدري عند البيهقي وغيره فاقبلت راجعا فمررت بموسي
ونعم الصاحب كان لكم لامره بسوالي التخفيف عنكم كما افاده بقوله
فسالني كم فرض عليك الحديث في المراجعة والقصد منه قوله
ونعم الصاحب كان لكم قال السهيلي واما اعتنا موسي عليه السلام
بهذه الامة والحاجة علي نبيها ان يشفع لها ويسال التخفيف
عنها في الصلاة فلقوله ان موسي ونسخة تعالي من جهل النساخ ولا ذكر
لها في الروض والله اعلم حين قضي اوحي الامر اليه بالرسالة الي
فرعون وقومه بجانب الجبل او الوادي او المكان الغربي من موسي حين
المناجاة وراي صفات امة محمد صلي الله عليه وسلم في الالواح
وجعل يقول اني اجد في الالواح امة صفتهم كذا ويقول اللهم
اجعلهم امتي فيقال له تلك امة احمد وهو حديث مشهور في التفاسير
كما في الروض زاد المصنف وقد تقدم ذكره زاد من خصايص هذه
الامة قال السهيلي فكان اشفاقه اي حنوه وعطفه عليهم
واعتناوه بامرهم كما يعتني بالقوم من هو منهم لقوله اللهم
اجعلني منهم انتهي احسن الحافظ تلخيصه بقوله وذكر السهيلي ان
الحكمة في ذلك انه راي في مناجاته صفة امة محمد فدعا الله ان يجعله
منهم فكان اشفاقه عليهم كعناية من هو منهم انتهي وقال القرطبي
الحكمة في تخصيص موسي بمراجعة النبي صلي الله عليه وسلم
في امر الصلوات يحتمل ان تكون لكون امة موسي عليه السلام
كلفت من الصلوات ما لم تكلف به غيرها من الامم فثقلت
عليهم وورد ان بني اسرايل كلفوا بركعتين بالغداة وركعتين بالعشي
قيل وركعتين عند الزوال فما قاموا بما كلفوا به فاشفق موسي علي
امة محمد من مثل ذلك قال ابن المنير اكثر الامة يغلب عليه التفريط في
الصلوات الخمس خصوصا النساء وكثير من المصلين مفرط في الشروط

غير

غير موف بالحقوق فكان ذلك من اثار فراسة موسي فيهم لقوله للمصطفي
وقد رجع الفرض الي الخمس ارجع الي ربك فاساله التخفيف ولم يرد صلي
الله عليه وسلم فراسة موسي ولكن قال استحييت ولعل لفظ ارضي واسلم
ولم يشر اليه قوله اني جربت من التجربة وفي رواية الناس قبلك
قال ابن ابي جمرة فيه ان التجربة اقوي من المعرفة الكثيرة لقول مصطفي
انه عالج الناس قبله وجربهم وفيه تحكيم العادة والتنبيه بالاعلي علي الادني
لان من سلف من الامم كانوا اقوي ابدانا من هذه الامة وقد قال موسي
انه عالجهم علي اقل فما وافقوه انتهي زاد في الفتح وقال غيره لعل الحكمة
من جهة انه ليس في الانبيا من له اتباع اكثر من موسي ولا له كتاب اكبر ولا اجمع
للاحكام من كتابه فكان من هذه الجهة مضاهيا للنبي صلي الله عليه وسلم فناسب
ان يتمني ان يكون له مثل ما انعم به عليه من غير ان يريد زواله عنه وناسب
ان يطلعه علي ما وقع له وينصحه فيما يتعلق به ويحتمل ان موسي لما وقع له في
الابتدا الاسف علي نقص حظ امته بالنسبة لامة محمد حتي تمني ان يكون
منهم استدرك ذلك ببذل النصيحة لهم والشفقة عليهم ليزيل ما عساه ان يتوهم
عليه فيما وقع منه في الابتدا ووقع في كلام بعض اهل الاشارات
اي الصوفية في حكمة ذلك انه لما تمكنت نار المحبة من قلب موسي عليه
السلام اضاءت له انوار نور الطور فاسرع اليها ليقتبس باخذ القبس
وهو شعلة في راس فتيلة او عود فادنس فلما نودي من النادي
اني انا الله اشتاق الي المنادي فكان يطوف في بني اسرايل قايلا
من يحملني رسالة الي ربي ومراده ان تطول مناجاته مع الحبيب
اي الله فلما مر عليه النبي صلي الله عليه وسلم ليلة المعراج وعلم ان
الله اتخذه حبيبا ردده في امر الصلوات ليسعد برويته حبيب
الحبيب سوا قيل انه راه ام لا وقال اخر من الصوفية ايضا لما سال
موسي عليه السلام الروية ولم تحصل له البغية بكسر البا وضمها
لغة اي الحاجة التي طلبها بقي الشوق يقلقه يزعجه والاصل
الرجا يعلله اي يشغله بما رجاه فيسهل عليه ويتسلي بما يترجاه فلما
تحقق ان سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم منح الروية لله سبحانه
وفتح له باب المزية اكثر السوال اي قصد يتكرر برجوعه من قد
راي قال الحافظ ويحتاج الي ثبوت تجدد الروية في كل مرة انتهي اي
فانها ما ثبتت سوي مرة مع قوة الخلاف وتعقب بان محبته لروية
من راي لا تتوقف علي تجددها اذ يكفي علمه بانه راه مرة واحدة لعلمه
انه حصل له بها ما لم يحصل لغيره فيحمل ذلك علي محبة رويته ومخاطبته
وتكررها بل مثله يحمل علي محبة الاتصال به بحيث يود ان لا يفارقه لحظة
ويويده قوله

واشرب الما ما بي نحوه عطش ... الا لان عيونه سيل واديها

كما قيل واستنشق الارواح جمع روح بالفتح وهو نسيم الريح من
نحو ارضكم لعلي اراكم او ارى من يراكم فكلاهما محبوب وانشد اسال
من لاقيت عنكم عساكم تجودون تسمحون لي بالعطف الحنو والشفقة
منكم عساكم تاكيد لفظي للتقوية وفيه تجريد الفعل بعد عسى من ان
وهو قليل فانتم حياتي ان حييت وان امت بهواكم فيا حبذا
ان امت عبد هواكم لانه غاية السعادة وقال اخر
•• وانما السر في موسى يردده • ليجتلي حسن ليلى حين يشهده •
• يبدو سناها على وجه الرسول فيا • لله در رسول حين اشهده •
وقال اخر من الصوفية في حكمة ذلك لما جلس الحبيب المصطفى في
مقام القرب اي الموضع الذي حصلت فيه المناجاة لربه الذي لم يصل اليه
ملك مقرب ولا نبي مرسل سواه ودارت عليه كوس الحب حيث قال
اتخذتك حبيبا ثم عاد وهلال واحد الاهلة ما كذب الفواد ما راى
بين عينيه وبشر بكسر الموحدة وسكون المعجمة فاوحى الى عبده ما
اوحى ملو قلبه واذنيه فلما اجتاز بموسى عليه السلام قال
لسان حاله لنبينا صلى الله عليه وسلم •
• يا واردا من اهيل الحي تخبرني • عن جيرتي شنف الاسماع بالخبر
• نشدتك الله يا راوي حديثهم • حدث فقد طاب سمعي اليوم [illegible]
شنف الاسماع اي قرطها بخبر الاحباب وسرها اي اصحابها بذلك ماخوذ
من شنف الجارية اذا جعل لها شنفا وهو ما يعلق في اعلا الاذن فاجاب
لسان حال نبينا بقول ابن الفارض •
• ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا • سر ارق من النسيم اذا سرى •
• واباح طرفي نظرة املتها • فغدوت معروفا وكنت منكرا •
وحاصل هذا ان حكمة ترديده ليعلم ما اوحى اليه فاشير للجواب بانه من
السر الذي لا يفشى ثم هي حكم لا تتزاحم وكل قوم يلحظون مذهبهم
وقد علم كل اناس مشربهم موضع شربهم فلا يشاركهم غيرهم فيه والله
تعالى بفضله واحسانه يوالي انسجام عفوه ورضوانه على العارف
الرباني الشيخ محمد بن الحسين بن محمد بن موسى ابي عبد الرحمن السلمي
بضم السين وفتح اللام نسبة الى جد له اسمه سليم الازدي النيسابوري
الصوفي سمع الاصم وغيره وسال الدارقطني عن الرجال سوال عارف
بالحديث وعنه القشيري والبيهقي والحاكم ومات قبله بسبع سنين
وكان حافظا عالما زاهدا ثقة ولا عبرة بمن قال كان يضع للصوفية
الاحاديث ولد سنة ثلاثين وثلاث مائة قال الذهبي كان وافر الجلالة
وتصانيفه قيل نحو الف مات ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة واربعمائة
بنيسابور فقد اجاد اذ افاد من لطائف المعراج بما جمعه من كلام
اهل الاشارات يا قوم منهاج طريق قال ابن جمرة حكمة في ان

ابراهيم

ابراهيم لم يتكلم في طلب التخفيف ان مقام الخلة انما هو الرضى والتسليم
والكلام في هذا الشان ينافي ذلك المقام وموسى هو الكليم والكليم اعطي
الادلال والانبساط ومن ثم استبد موسى بامر النبي صلى الله عليه وسلم
بطلب التخفيف دون ابراهيم مع ان للمصطفى من الاختصاص بابراهيم
ازيد مما له من موسى لمقام الابوة ورفعة المنزلة والاتباع في الملة وقال
غيره الحكمة في ذلك ما اشار اليه موسى في نفس الحديث من سبقه الى معالجة
قومه في هذه العبادة بعينها وانهم خالفوه وعصوه قال القرطبي
واما قول من قال ان موسى اول من لاقاه بعد الهبوط فلا يصح لان حديث
مالك بن صعصعة انه راه في السادسة وابراهيم في السابعة اقوى
اسنادا من حديث شريك انه راى موسى في السابعة قال الحافظ اذا جمعنا
بينهما بانه لقيه في الصعود في السادسة وصعد معه الى السابعة فلقيه فيها
بعد الهبوط ارتفع الاشكال وبطل الرد وقد استدل العلماء بقوله في الحديث
السابق قريبا من رواية ثابت عن انس عند مسلم انهن خمس صلوات كل يوم
وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ونحوه حديث ابي ذر
هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي وفي رواية شريك كل حسنة
بعشر امثالها فهي خمسون في ام الكتاب وهي خمس اي بمحلك وعلى امتك
على عدم فرضية ما زاد على الخمس كالوتر خلافا لمن قال به وعلى دخول
النسخ قبل الفعل كذا في النسخ وصوابه على جواز او فيه سقط فلفظ
فتح الباري وعلى دخول النسخ في الانشاآت ولو كانت موكدة موكدة
خلافا لقوم فيما اكد وعلى جواز النسخ قبل الفعل قال ابن بطال
وغيره الا ترى ان الله عز وجل نسخ الخمسين بالخمس قبل ان تصلى
ثم تفضل عليهم بان اكمل لهم الثواب وتعقبه ابن المنير فقال هذا
ذكره طوايف من الاصوليين والشراح وغيرهم وهو مشكل على
ان من اثبت النسخ قبل الفعل كالاشاعرة جا على قولهم بجواز
بل وقوع التكليف بما لا يستطاع لان الافعال كلها مخلوقة لله تعالى
والعبد مطالب بما لا يقدر على ايجاده ولا يقدر على احرازه لقوله
والله خلقكم وما تعملون او منعه كالمعتزلة جريا على قولهم العبد
يخلق فعل نفسه ويوجده عن ربه باستطاعته فلا يتصور التكليف
عندهم بما لا يستطاع فلا يتصور النسخ قبل التمكن من الفعل لكونهم اتفقوا
جميعا على ان النسخ لا يتصور قبل البلاغ قال المصنف وتعقب
بان الخلاف ماثور نص عليه ابن دقيق العيد في شرح العمدة وغيره
وحديث الاسرا وقع فيه النسخ قبل البلاغ فهو مشكل عليهم
جميعا قال ابن المنير وهذه نكتة مبتكرة انتهى وتعقبه
الحافظ وتعقبه المصنف بقوله فان اراد قبل البلاغ الى بعض
الامة صوابه اسقاط بعض كما في الفتح فمسلم لكن قد يقال

هو بالنسبة اليهم ليس نسخا لكن هو نسخ بالنسبة الى النبي
صلى الله عليه وسلم لانه كلف بذلك قطعا ثم نسخ بعد ان
بلغه وقبل ان يفعله فالمسألة صحيحة التصور في حقه
صلى الله عليه وسلم وهذا الاستدراك انما هو ايضاح لما قبله
لكن التعقب على ان ابن المنير بعد ا فيه نظر لانه ذكر في معراجه
الجواب بتصور النسخ في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذا
جواب ضعيف بل كان التكليف عاما لقول موسى ان امتك لا تطيق ذلك
وسؤاله التخفيف لامتك وتجويز ان التكليف كان عليه خاصة لرواية
فرض على خمسين صلاة لكنه فهم ان الامة تدخل بعد وكذا فهم ان الامة
تدخل بعد ذلك وكذا فهم موسى فراجعه في التخفيف وكذا كل تكليف
يتقدم فيه الرسول على الامة تقدما زمانيا لانه يبلغه من الله قبل
ان يبلغهم منه ولذا قال وانا اول المسلمين نظر لانه لو فهم دخولهم
ولم يدخلوا ضرورة اذ فهمه صواب قطعا فيعود الاشكال لانه اختص
بالتكليف ثم التخفيف ثم كلفت الامة بالتخفيف لا بالاصل بل يدخلوا فيه
فيه البتة فالاحسن الجواب بانه عام في حقه وحقهم والتخفيف ايضا
عام وانما صح النسخ في حق الامة لان الاسلام يوجب على كل مسلم
الدخول في عمومه وشروعه فكل من امن في حياته عليه السلام امن على
ان ثم تكاليف منها ما نزل مبينا بكل وجه وما نزل مجملا من وجه مبينا من وجه
وما لم ينزل وسينزل والتزام الاسلام شامل للجميع فكما يجوز النسخ بعد البلاغ
ففيه نوع اجمال كذلك يجوز قبل البلاغ لانه دخل عليه بالالتزام العام ولا
فرق بين اجمال واجمال واكثر الفرايض انما وجب مجملا ثم بين وقت
الحاجة كالصلاة والزكاة لم يقترن باول وجودها ذكر اعدادها ولا
اوقاتها ولا شرايطها انتهى ملخصا ولما رجع صلى الله عليه وسلم
من سفر الاسرا مر في بعض طريقه بعير بكسر العين ابل
باحمالها لقريش يحمل طعاما منها جمل يحمل غرارتين تثنية
غرارة وهي الجوالق بجيم مضمومة فواو فالف فلام فقاف الخرج
غرارة سودا وغرارة بيضا فلما حاذى العير نفرت
منه واستدارت اي دارت بعضها ببعض من النفرة
فانصرع ذلك البعير وانكسر رواه ابن ابي حاتم عن انس وفي
رواية له ايضا عنه ومر بعير بل قد اضلوا بعيرا واحدا
وهو ناقة والبعير يقع على الذكر والانثى لهم قد جمعه فلان
اتى به قال المجد الجمع كالمنع تاليف المفترق قال صلى الله عليه
وسلم فقال بعضهم هذا صوت محمد لانه سلم عليهم كما في
الرواية ثم اتى محمد صلى الله عليه وسلم مكة قبل الصبح واخبر
قومه بما راى وقال لهم ان من اية ما اقول لكم اني مررت

بعير

بعير لكم في مكان كذا وكذا اي بالروحا كما في حديث ام هانئ
وقد اضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان لرجل سماه فنسي الراوي
اسمه وان مسيرهم ينزلون مكان كذا وكذا ويأتونكم يوم
كذا وكذا يقدمهم بضم الدال كقوله تعالى يقدم قومه والماضي بفتحها
جمل ادم بفتح الهمزة والمد وفتح الدال واصله ادم بهمزتين ابدلت
الثانية الفا اي شديد البياض ظلنا قد ادما كما في الصحاح وعليه
مسح اسود وغرارتان وفي رواية ابي يعلى قالوا فاخبرنا
عن عدتها وما فيها من الرعاة قال وكنت عن عدتها مشغولا ثم قام
فاتى الابل فعدها وعلم ما فيها من الرعاة ثم اتى قريشا فقال هي
كذا وكذا وما فيها من الرعاة فلان وفلان وكان كما قال فلما كان
ذلك اليوم الذي قال لهم يأتون فيه اشرف الناس ينظرون
حتى اذا كان قريب من نصف النهار اقبلت العير يقدمهم
ذلك الجمل كما وصف عليه السلام وفي رواية للبيهقي عن
يونس بن بكير وعن اسماعيل السدي سالوه اية فاخبرهم
بقدوم العير يوم الاربعا فلما كان ذلك اليوم لم يقدموا
حتى كادت الشمس ان تغرب فدعا الله فحبس الشمس حتى
قدموا كما وصف وهو مخالف للرواية قبله انها اقبلت قريب
نصف النهار ولا خلف لانه مر بعيرين بل بثلاثة فكان احداها تاخرت
وقد روى الطبراني وابن مردويه عن ام هانئ قالوا اخبرنا عن
عيرنا فقال اتيت على عير بني فلان بالروحا قد ضلوا ناقة لهم
فانطلقوا في طلبها فانتهيت الى رحالهم فليس بها منهم احد واذا قدح ما
فشربت منه ثم انتهيت الى عير بني فلان فيها جمل عليه غرارتان
غرارة سودا وغرارة بيضا فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك
البعير وانكسر ثم انتهيت الى عير فلان في التنعيم يقدمهم جمل اورق
عليه مسح اسود وغرارتان سوداوان وها هي ذه تطلع عليكم
من الثنية فاستقبلوا الابل فقالوا هل لكم بعير قالوا نعم قالوا العير
الاخر فقالوا هل انكسر لكم ناقة حمرا قالوا نعم قالوا فهل كان عندكم
قصعة من ما فقال رجل انا والله وضعتها فما شربها احد منا ولا هريقت
في الارض زاد ابو يعلى وابن عساكر فرموه بالسحر وقالوا صدق
الوليد فانزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة
للناس وعن عايشة لما اسري بالنبي صلى الله عليه وسلم
الى المسجد الاقصى اصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس
كانوا امنوا لانهم استبعدوا وقوع ذلك ادبا لشقاوة التي كتبت
عليهم وفي حديث ابن عباس عند احمد والبزار باسناد حسن
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة اسري بي

واصبحت بمكة مر بي عدو الله ابو جهل فقال هل كان من شيء قلت اني
اسري بي الليلة الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين اظهرنا قلت نعم
قال فان دعوت اليك قومك تحدثهم بذلك قلت نعم قال يا معشر بني كعب
ابن لوي فانتفضت اليه المجالس فقال حدث قومك بما حدثتني فحدثهم
من بين مصفق ومن بين واضع يده على راسه متعجبا وسعى رجال
من المشركين الى ابي بكر فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه اسري
به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم
وفي رواية ابن اسحق فقال لهم ابو بكر انكم لتكذبون عليه فقالوا بلى ها هو
ذاك في المسجد يحدث به الناس قال لئن قال ذلك لقد صدق اي
لئن تحققتم قوله ذلك فتحققوا انه قد صدق لانكم تعلمون انه لا يكذب فاتى
باللام وقد زيادة في تحقق صدقه قالوا اتصدقه انه ذهب الى
بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح فقال نعم اني لاصدقه
فيما هو ابعد من ذلك وازال توهم قصر البعد على الارض بقوله
اصدقه في خبر السماء في غدوة بضم الغين ما بين طلوع الفجر
وطلوع الشمس او روحة اسم للوقت من الزوال للغروب فلذلك
سمي الصديق رواه الحاكم في المستدرك من حديث عائشة
وابن اسحق من حديث الحسن البصري مرسلا وزاد ثم اقبل حتى
انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله
احدثت بهمزة الاستفهام وتاء الخطاب كما هو في رواية ابن اسحق
هولاء القوم انك جئت بيت المقدس هذه الليلة قال نعم
حدثتهم قال يا نبي الله صفه لي فاني قد جئته قال الحسن
البصري فقال صلى الله عليه وسلم فرفع لي المسجد حتى
نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه
لابي بكر ويقول ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله كلما وصف
منه شيئا قال صدقت انك رسول الله حتى انتهى قال
صلى الله عليه وسلم وانت يا ابا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق
فانزل الله وما جعلنا الرويا هذا بقيته عن ابن اسحاق وقول
ابي بكر صفه لي لم يكن عن شك فانه صدقه في اول وهلة ولكنه
اراد اظهار صدقه عليه السلام لقومه فانهم كانوا يثقون
بمثله من الوثوق بابي بكر فاذا طابق خبره عليه السلام
ما كان يعلم ابو بكر وصدقه كان حجة ظاهرة عليهم وفي رواية
البخاري ومسلم كلاهما عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت في الحجر فجلى بجيم
وتخفيف اللام ولابي ذر عن الكشميهني بتشديدها الله لي بيت
المقدس فطفقت اخبرهم عن اياته وانا انظر اليه هذا بقيته في البخاري

ومسلم وفي لفظ فجلى اي كشف الحجب بيني وبينه حتى رايته والمسجد
في مكانه وفي رواية مسلم عن ابي هريرة رفعه لقد رايتني في
الحجر وقريش تسالني عن مسراي فسالتني عن اشياء من بيت المقدس
لم اثبتها اي لم اعرفها حق المعرفة فكربت بضم الكاف وكسر الراء من
الكرب وهو الغم الذي ياخذ النفس لشدته كربا شديدا وفي رواية
كربة بضم الكاف وسكون الراء لم اكرب مثله بتذكير الضمير عائدا
على معنى كربة على معنى روايتها وهو معنى الغم والهم او الشيء قط
فرفعه الله لي انظر اليه ما يسالوني عن شيء الا انباتهم اخبرتهم
به ويحتمل ان يكون حمل الى ان وضع بحيث يراه ثم اعيد
ففي حديث ابن عباس عند احمد والبزار فجيء بالمسجد وانا انظر
اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وانا انظر اليه قال الحافظ وهذا
يقتضي انه ازيل من مكانه حتى احضر اليه وما ذلك في قدرة الله بعزيز
وهذا ابلغ في المعجزة من كشفه له عن المسجد وهو في مكانه ولا
استحالة فيه فقد احضر عرش بلقيس في طرفة عين لسليمان
واما ما وقع في حديث ام هانئ عند ابن سعد فمثل لي بيت
المقدس وطفقت بكسر الفاء وسكون القاف اخبرهم عن اياته
علاماته فان ثبت لفظ فمثل زاد الحافظ ولم يكن مغيرا من قوله فجلى
احتمل ان يكون المراد مثل قريبا منه كما قيل في حديث
اريت الجنة والنار ويؤول قوله في حديث ابن عباس فجيء
بالمسجد اي جيء بمثاله زاد الحافظ ويؤيد الاحتمال الاول ان تفسير
جلى بكشف حديث شداد بن اوس عند البزار والطبراني ففيه ثم
اتيت اصحابي قبل الصبح بمكة فاتاني ابو بكر فقال اين كنت الليلة
قلت اني اتيت بيت المقدس فقال انه مسيرة شهر فصفه لي قال
ففتح لي شراك كاني انظر اليه لا يسالني عن شيء الا انباته عنه
وفي حديث ام هانئ المذكور انهم قالوا كم للمسجد من باب
قال ولم اكن عددتها فجعلت انظر اليه واعدها بابا بابا
اي بابا بعد باب وعند ابي يعلى من حديث ام هانئ ان الذي ساله
صلى الله عليه وسلم عن صفة بيت المقدس هو المطعم بن عدي
المبيت على كفره والد جبير بضم الجيم بن مطعم النوفلي الصحابي
الشهير ولا تنافي فانه ساله استهزاء وابو بكر ارادة لان يصدقه
قومه وقد علم الصديق انه ان لم يكن اثبته تلك الليلة فان الله
يطلعه عليه لانه لا تنافي في اسناد السوال للمطعم ورواية من
روى ان الكفار قالوا يا محمد صف لنا بيت المقدس كيف بناؤه وكيف
هيئته وكيف قربه من الجبل فذهب ينعت لهم بناؤه كذا وهيئته
كذا وقربه من الجبل كذا فقال القوم اما النعت فوالله لقد اصاب

لاحتمال ان المطعم هو الذي ابتدا سواله من المشركين كما انه الذي
تولي كبر التكذيب يوميذ روي ابو يعلي وغيره عن ام هاني ان صلي
الله عليه وسلم لما اخبرهم بالاسرا الي بيت المقدس ضجوا واعظموا
ذلك فقال المطعم بن عدي كل امرك قبل اليوم كان امما غير قولك
اليوم انا اشهد انك كاذب نحن نضرب اكباد الابل مصعدا شهرا ومنحدرا
شهرا تزعم انك قد اتيته في ليلة واللات والعزي لا اصدقك فقال
ابو بكر يا مطعم بيس ما قلت لابن اخيك جبهته وكذبته انا اشهد
انه صادق واشار ابن ابي جمرة الي ان الحكمة في الاسرا الي
بيت المقدس اظهار الحق للمعاند الذي يريد اخماد الحق لانه
لو عرج به من مكة الي السما لم يجد لمعاندة الاعدا سبيلا
الي البيان والايضاح حيث سالوه عن جزييات تتعلق
بالاسرا وبينها بقوله من سوالهم عن صفة بيت المقدس
عن ابوابه عن عددها كانوا راوها وعلموا انه لم يكن راها قبل
ذلك فلما اخبرهم بها حصل التحقق انه اسري به الي بيت
المقدس وان اصروا على التكذيب فلمحض العناد واذا صح النقل
لزم تصحيح الباقي فكان ذلك سببا لقوة ايمان المومنين
وزيادة في شقا من عاند وجحد من الكافرين اصلا وارتدادا
وثم حكم اخر لا نتراهم والله اعلم بحقيقة الحكمة فيه ذلك وقد
اختصر المصنف في الاسرا والمعراج على الرتبة التي ذكرها لان
مرامه الاختصار والا فمعلوم ما فيه من التصانيف المبسوطة التي
لو جمعت واختصرت كانت عدة اسفار كبار والحمد لله حمدا كثيرا
طيبا مباركا فيه واساله العون على التمام والصلاة والسلام
على اشرف الانام وجميع الانبيا والمرسلين والهم وصحبهم اجمعين

المقصد السادس

في بيان ما ورد في اي التنزيل من عظم قدره بيان
لما اي بيان مقداره وشرف رتبته ورفعة اي اعلا ذكره
بين الناس بامرهم بالثنا عليه فيه وقرن اسمه باسمه محمد رسول
الله وجعل طاعته من يطع الرسول فقد اطاع الله وخطابه
بالالقاب يا ايها النبي يا ايها الرسول وشهادته له اي اخباره
والشهادة خبر قاطع كما في القاموس بصدق نبوته اي بوجودها
وتحققها في نفسها لتحقق انها وحي من الله او المراد بصدقه
عليه السلام في دعواها وذلك قوله تعالى انا ارسلناك بالحق
بشيرا ونذيرا وقوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وقوله
ولكن رسول الله وخاتم النبيين وقوله يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الي الله باذنه وسراجا منيرا فجعله شاهدا

ومبشرا

ومبشرا ونذيرا وداعيا الي الله باذنه وسراجا منيرا فجعله شاهدا علي
امته بابلاغهم الرسالة وهذا من خصايصه ومبشرا لاهل الطاعة
ونذيرا لاهل المعصية وداعيا الي توحيد الله وسراجا منيرا يهتدي به
للحق وثبوت بعثته كالدليل علي تحقيق نبوته وقسمه تعالى على
تحقيق رسالته بقوله يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين على صراط
مستقيم وعلو منصبه حسبه وشرفه الجليل العظيم ومكانته عظمته
يقال مكن فلان مكانة بزنة ضخم ضخامة عظم وارتفع فهو مكين او
اسم منه يقال الناس على مكانتهم اي على استقامتهم ووجوب طاعته
بقوله يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واتباع سنته
طريقته بقوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقوله
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وما اتاكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا واخذه تعالى له الميثاق علي ساير اي جميع النبيين
فضلا اي احسانا ومنة اي انعاما ليومنن به ان ادركوه ولينصرنه
بقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية والتنويه اي الرفع والتعظيم
به في الكتب السالفة بذكر اسمه ونعته فيها كالتوراة والانجيل
كما في الصحيح عن عبد الله بن عمرو انه صلي الله عليه وسلم موصوف
في التوراة ببعض صفته في القران انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا الحديث وفي التنزيل عن الانجيل ومبشرا برسول ياتي من بعدي
اسمه احمد وفي نسخ والتوراة والانجيل من عطف الخاص على العام تنبيها
على عظم قدرهما حتى كانهما نوع مغاير للمعطوف عليه بانه صاحب
الرسالة والتبجيل متعلق بقوله والتنويه به بعد تعلقه بالاول
والمعنى رفع ذكره بانه صاحب الرسالة وهذا اظهر من كونه بدلا منه
وغير ذكر اعلم امر يصدر به ما يعتني به من الكلام اطلعني الله واياكم
على اسرار التنزيل بمعنى المنزل وهو القران او الكتب المنزلة فيشمل
جميعا ومنحنا وهبنا بلطفه بنصرة اي تنويرا في قلوبنا وهي
روية الاشيا بعين البصيرة بحيث لا نقتصر منا على روية ظاهرها
بل نعبر من ذكرها الى ما يوول بطانها كذا في لطايف الاعلام تقديبا
الي سوا السبيل الطريق ومعلوم اعلم انه لا سبيل لنا ان نستوعب
الايات الدالة على ذلك وما فيها من التصريح والاشارة اي من حيث
دلالتها على ما ذكر فلا يتاتي ان الايات الدالة على ذلك محصورة معدودة
في انفسها بل حروف القران كلها محصورة مضبوطة واحتمال ان المراد
بالايات معناها اللغوي وهو العلامات الدالة على نبوته وغيرها مما
يثبت له من الكمالات مدفوع بان الترجمة فيما ورد في اي التنزيل لا في
مطلق العلامات الي علو محله الرفيع اي الشريف اي مرتبته
ووجوب المبالغة في حفظ الادب معه كقوله لا تقدموا بين يدي

الله ورسوله وكذلك الايات التي فيها ثناوه تعالي عليه واظهار
عظيم شانه لديه عنده وقسمه تعالي بحياته بقوله لعمرك انهم
لفي سكرتهم يعمهون اتفق المفسرون علي انه قسم من الله بمدة
حياته صلي الله عليه وسلم حكاه عياض ومراده مفسروا السلف فانه
كما قال ابن القيم لا يعرف بينهم في ذلك نزاع ولم يوفق الزمخشري
في قوله انه خطاب من الملايكة للوط ويا في ان شا الله تعالي
بسطه عند حكاية المصنف ذلك ونداوه بالرسول والنبي ولم يناد
باسمه بخلاف غيره من الانبيا فناداهم باسمايهم يا ادم يا نوح
يا ابراهيم يا لوط يا موسي يا عيسي الي غير ذلك مما يشير الي انافة
اي زيادة قدره من انافت الدراهم علي مائة زادت عليها العلي
الرفيع عنده تعالي وانه لا يجد مساويه في مجده شرفه وكرمه في ذاته
واصوله ومن تامل القران العظيم وجده طافحا ممتليا الي ذا الا
بمعني تطافح اعداه بالبا في قوله بتعظيم الله تعالي لنبيه صلي
الله عليه وسلم ويرحم الله ابن الخطيب ابا عبد الله محمد بن جابر
الاندلسي حيث قال مدحتك ايات الكتاب كلها صريحا او
استلزاما بذمها المخالفه ودلالتها علي اكرامه بنص ولها عليه مع اشتمالها
علي ما فاقت به غيرها من الكتب السماوية فما عسي يثني علي
علياك اي شرفك نظم مديحي اي فاي شي يترضي به ان يليق
الثنا به علي شرفك التام بالنسبة لما اثني الله عليك واذا كتاب
الله اثني منصفا عليك كان المقصوي اي العجز فصار بضم القاف
اي غاية كل فصيح انه يعترف عن الاتيان ببعض اوصافك وهذا
المقصد اكرمك الله جملة دعايية مشتمل علي عشرة انواع النوع
الاول في ذكر ايات تتضمن عظم قدره ورفعة ذكره وجليل
رتبته وعلو درجته علي الانبيا وتشريف منزلته هي والرويه متقاربان
بمعني علو القدر قال الله تعالي تلك مبتدا الرسل صفة والخبر فضلنا
بعضهم علي بعض بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله
قال المفسرون اي جمهورهم يعني موسي عليه السلام كلمه بلا واسطة
وقيل المصطفي كلمه ليلة المعراج وليس نصا في اختصاص موسي
بالكلام لانه انما قال منهم فلا يفهم منه انه لم يكلم غيره وقد ثبت انه
تعالي كلم نبينا ايضا كما مر ليلة وقد قال السيوطي من جملة من كلمه
من الانبيا ادم كما في الحديث فان قلت اذا بمعني بحيث ثبت انه
عليه السلام كلمه ربه بلا واسطة وقام به هذا الوصف فلم لم
يشتق له من الكلام اسم الكليم بمعني المكالم كالجليس بمعني المجالس
والانيس بمعني المؤانس والنديم بمعني المنادم ونحو كثير كما اشتق منه
لموسي بان اعتبار المعني قد يكون لتصحيح الاشتقاق كاسم

الفاعل

مثل القايم والضارب فيطرد بان يعني كل من قام به ذلك الوصف
يشتق له منه اسم وجوبا لملاحظة ان صحة استعماله بالنظر لمبدا
الاشتقاق دون غيره وقد يكون للترجيح فقط كالكليم والقارورة
فلا يطرد وحاصله مع الايضاح كما قال شيخنا ان المشتق وهو ما دل
علي ذات مبهمة باعتبار حدث معني قد يكون اشتقاقه لما فيه من المصدر
الذي اشتق منه ذلك اللفظ فلاحظ ان صحة استعماله بالنظر لمبدا
الاشتقاق دون غيره فاذا اشتق علي هذا الوجه وجب اطلاقه
علي كل ما صدق عليه كالضارب والقايم فان كلا منهما يصدق علي من
اتصف بالضرب والقيام وقد يكون اطلاقه علي معني وتخصيصه به
باعتبار اثر قام به حمل المستعمل علي ملاحظته في اصل وضع اللفظ لذلك
المعني فوضعه له وهذا من الاسما المشبهة للصفات وليست منها والكليم
من هذا النوع فلا يلزم من اطلاقه علي موسي لكلام الله له اطلاقه علي
غيره ممن كلمه الله تعالي وحينيذ فلا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف
ان يشتق له منه اسم كما حققه القاضي عضد الدين عبد الرحمن بن
احمد الايجي المحقق النحرير يروي تصانيف البيضاوي عن زين الدين
الهنكي عنه وروي عنه محمد بن يوسف الكرماني شارح البخاري وهذا
بحو بزه وتحريره كما قال تلميذه المولي سعد الدين التفتازاني
بفتح الفوقيتين والزاي وسكون الفا نسبة الي تفتازان قرية بنواحي
نسا ولعل حكمة اطلاقه علي المصطفي مع ظهور دلالته علي كلامه
ان قومه انكروا الاسرا اصلا فلم يسم كليما حذرا من انكارهم اذا سمعوه
وتكلمهم بما لا يليق في حقه ولا دليل قطعي يرد عليهم فاقتصر علي ما ظهر لهم
كالاسرا فانه وصف لهم بيت المقدس وعيرهم فتحققوا صدقه وان انكروه
عنادا ومنهم من رفع بعضهم درجات يعني محمدا صلي الله عليه
وسلم رفعه الله تعالي في ثلاثة اوجه بالذات في المعراج
الي مقام لم يصل اليه ملك مقرب ولا نبي مرسل وبالسيادة علي
جميع البشر لقوله انا سيد الناس يوم القيامة وبالمعجزات لانه عليه
السلام اوتي من المعجزات ما لم يوت نبي قبله قال عياض ولانه
بعث الي الاحمر والاسود اي لعموم بعثته قال الزمخشري وفي هذا
الابهام بقوله بعضهم من تفخيم فضله واعلا قدره ما لا يخفى لما فيه
من الشهادة علي انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس
فهو وان عبر عنه بالبعض المقتضي ابهامه معلوم متميز عن ساير
من عداه ومنفي فيه قال التفتازاني في التعبير عنه باللفظ المبهم
تنبيه علي انه من الشهرة بحيث لا يذهب الوهم الي غيره في هذا
المعني الا تري ان التنكير الذي يشعر بالابهام كثيرا ما يجعل علما علي
الاعظام والافخام فكيف اللفظ الموضوع لذلك انتهي كلام الزمخشري وقد

احسن فيه لكنه اساني فق له بجده ويجوز ان يريد ابراهيم او غيره من
اولي العزم من الرسل وقد قال بعض المحققين لم يصب الزمخشري
في تعبيره ان المراد بالبعض غيره لان المستحق للتفضيل على الوجه
المذكور هو افضل الانبيا باجماع المسلمين وما يؤيده خبر ابن عباس ر
تذاكرنا فضل الانبيا فذكرنا نوحا وابراهيم وموسى وعيسى فقال
صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا
مدفوع بان المراد ان في كل نبي نوع فضيلة تخصه فلا وجه لتخصيص
بعضهم بالامتياز من تلك الجهة فالمنفي في قوله لا ينبغي الى اخره الجزئية
من جميع الوجوه وقد بينت هذه الاجوبة في قوله وكذا قوله
ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بتخصيص كل منهم بفضيلة بفضيلة
لموسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد بالاسرا وسليمان بالملك ان
مراتب الانبيا والرسل وفي نسخة الرسل والانبيا اي الذين ليسوا برسل
وهو عطف عام على خاص متفاوتة خلافا للمعتزلة القائلين بانه
لا افضل لبعضهم على بعض في هاتين الايتين تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض رد عليهم على
سبيل الصراحة وقال قوم ادم افضل لحق الابوة وليس بشي لانها
بمجردها لا تقتضي فضله عليهم مطلقا وكم من فرع فضل اصله لخصوصيات
شرف بها على الاصل بل كثيرا ما تشرف الاصول بفروعها
وكم اب قد علا بابن ذوي شرف كما علا برسول الله عدنان
وتوقف بعضهم لتعارض الادلة عليه فقال السكوت افضل لعدم
القاطع عند البعض والمعتمد ما عليه جماهير السلف والخلف ان
الرسل افضل من الانبيا لان الرسالة تثمر هداية الامة والنبوة
قاصرة على النبي كالعلم والعبادة خلافا لمن قال النبي افضل لان النبوة
الوحي بمعرفته تعالى وصفاته فهي متعلقة به من طرفيها والرسالة الامر
بالتبليغ فهي متعلقة به من احد الطرفين واجيب بانها تستلزم النبوة
فهي مشتملة عليها لانها كالرسول واخص من النبوة التي هي اعم كالنبي
وكذلك الرسل بعضهم افضل من بعض بشهادة هاتين الايتين ونحوهما
قال بعض اهل العلم بالكتاب والسنة فيما حكاه القاضي عياض
في الشفا والتفضيل المراد لهم هنا عطف على مقدر او على ما تقدم
وهنا اشارة الى ما ذكر قبله في الدنيا متعلق بالتفضيل وذلك
بثلاثة احوال وفي نسخة اوجه ان تكون اياته ومعجزاته اظهر
وفي نسخة ابهر اي اقوى واغلب من بهر ضوء القمر الكواكب غلبها او هو
بمعنى اظهر واشهر كانشقاق القمر وانفلاق البحر وانقلاب العصى حية
او تكون بالنصب امته ازكى اتقى واطهر لبعدهم عن التلبس بما لا يليق
واكثر من غيرهم او تكون في ذاته افضل بزيادة علمه وخصاله

المجودة

المجودة واظهر بمعجمة اي اشهر وبمهملة انقى واتقى وفضله في ذاته
ونفسه راجع الى ما خصه الله تعالى بكرامته به من كرامته اي ب
اكرام الله له بماثر ومناقب عظيمة وهبها له واختصاصه بالجر معطوف
على مدخول الى من كلام بلا واسطة لموسى والمصطفى وهو بيان لاختصا
بمعنى ما خصه به او خلة لابراهيم والمصطفى او رؤية عيانا لنبينا
صلى الله عليه وسلم او ما شا الله اراده لهم غير ما ذكر من الطائفة بفتح
الفوقية اي عطاياه وتحف بفتح اخره وولايته اي تحفه او الطافه لهم كذا
في الشفا بالفا فقط وفسرها شارحها بما ذكر وقال شيخنا كان المراد
بها ما ميزه به تعالى وولايته من ولاية غيره من الخواص والمزايا التي لم تثبت
لغيره وفي بعض نسخ المصنف وتحقق ولايته بفا في اي ثبوتها بلا ريبة
ولا تردد لكثرة الادلة المثبتة لها واختصاصه بما اختصهم به من قرة
اعين لا يعلمها الا هو انتهى فلا مرية بالكسر لا شك ان ايات نبينا ومعجزاته
اظهر وابهر بموحدة اغلب واكثر وابقى بالموحدة واقوى اشد ومنصبه
حسبه وشرفه اعلى ودولته اعظم واوقر وذاته افضل واطهر
بالمهملة وخصوصياته على جميع الانبيا اشهر من ان تذكر فقد جمعت
فيه الاحوال الثلاثة وزيادة فدرجته ارفع من درجات المرسلين
وذاته ازكى وافضل من ساير المخلوقين انسا وملكا وتامل حديث
الشفاعة اضافه لادنى ملابسة لذكرها فيه في المحشر بفتح الشين
وكسرها وانتهايها اليه بعد تنصل روسا الانبيا منها وانفراده هناك
بالسودد اي السيادة كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد يكون
جمعا واحدا والمراد الاول ادم واول من تنشق عنه الارض يوم القيامة
اي اول من تعجل احياه مبالغة في اكرامه وتخصيصا بتعجيل جزيل انعامه
رواه ابن ماجة محمد القزويني وفي حديث انس عند الترمذي
مرفوعا انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا
مبشرهم اذا ايسوا لوا الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم يومئذ
على ربي اخبار بما منحه من السودد والاكرام تحدث بمزيد الفضل
والانعام ولا فخر حال مؤكدة اي اقول ذلك غير مفتخر به فخر تكبر اني
به دفعا لتوهم ارادة الافتخار به قال القرطبي انما قال ذلك لانه مما امر
بتبليغه لما يترتب عليه من وجوب اعتقاد ذلك وانه حق في نفسه
وليرغب في الدخول في دينه ويتمسك به من دخل فيه ولتعظم محبته في
قلوب متبعيه فتكثر اعمالهم وتطيب احوالهم فيحصل لهم شرف الدنيا
والاخرة لان شرف المتبوع متعد لشرف التابع ولا تكون هذه الادلة
على انه افضل من ادم بل من اولاده فالاستدلال بذلك على
على مطلق افضليته عليه السلام على ان الانبيا كلهم ضعيف
تبع التفتازاني في شرح العقايد وقد تعقب بان المراد سيد جنس

حقا لانه يلزم من انبائه بكل ما انبي به كل واحد منهم الا
مساواته للمجموع لا افضليته عليهم وكان الزاهي للعز بن عبد
السلام على قوله انه افضل من كل واحد منهم لا من جميعهم فنها لا
جماعة من علما عصره على تكفيره فعصمه الله بل قد يتوقف في
المساواة ايضا لانك لو انعمت على اربعة فاعطيت واحدا دينارا
واخر دينارين واخر ثلاثة واخر اربعة لزاد صاحب الاربعة على
كل واحد دون جميع ما لغيره ولو اعطيته ستة لساواهم ولو
اعطيته عشرة زاد عليهم فينبغي ان يقال انه صلى الله عليه
وسلم زادهم في العمل وزاد عليهم بانه اعلم منهم بالله واكثر من جميعهم
خصايص ومعجزات وهذا التفضيل في القرب والمنزلة وهو اكثر
ثوابا واسنده اكثر من جميع الامم واخرهم له الى يوم القيامة ولو
كانت للناس مساكن بعضها فوق بعض لكان الذي هو فوق الاخير
اعلى من الجميع وفي اية تلك الرسل ايما لهذا احيث ابهم وعبر
بو يرفع الدرجات دون ان يسميه ويقول انه اعظم وافضل انتهى
وبان دعوته عليه السلام في التوحيد والعبادة وصلت
الى اكثر ملاذ العالم بخلاف ساير الانبيا فظهر ان انتفاع
اهل الدنيا بدعوته صلى الله عليه وسلم اكمل من انتفاع
ساير الامم بدعوة ساير الانبيا فوجب ان يكون افضل
من ساير الانبيا انتهى استدلال الرازي وقد روى الترمذي
وقال حسن صحيح واحمد وابن ماجه وصححه الحاكم عن ابي سعيد
الخدري قال قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم
يوم القيامة خصه لانه يوم مجموع له الناس فيظهر سودده
لكل احد عيانا ووصف نفسه بالسودد المطلق المفيد للعموم في المقام
الخطابي فيفيد سيادته على جميع اولاد ادم حتى اولوا العلم العزم
واحتياجهم اليه وتخصيص ولد ادم ليس للاحتراز فهو افضل حتى
من خواص الملايكة باجماع من يعتد به ولا فخر بل انما قلته شكرا كقول
سليمان علمنا منطق الطير واوتينا من كل شي اي لا اقوله تكبرا
وتفاخرا على الناس في الدنيا وان كانت فيه فخر الدارين او لا افتخر
بذلك بل فخري بمن اعطاني هذه الرتبة وبيدي لوا بالكسر والمد
علم الحمد والعلم في العرصات مقامات لاهل الخير والشر ينصب في كل
مقام لكل متبوع لوا يعرف به قدره واعلى تلك المقامات لمقام الحمد
ولما كان صلى الله عليه وسلم اعظم الخلايق اعطي اعظم الالوية
لوا الحمد ليأوي اليه الاولون والاخرون فهو حقيقي ولا وجه
لحمله على لوا الجمال والكمال ولا فخر لي بذلك فخر تكبرا ولا فخر
بالعطي بل بالمعطي وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا

الادميين قد يخرج ادم لان المراد من ولد ادم كافة البشر بدليل قوله
في حديث ابي هريرة انا سيد الناس وقوله في حديث ابي سعيد
ادم فمن سواه الا تحت لوائي وقد لوح المصنف بعد قليل لمعنى هذا ا
التعقيب بجزله وهذا ابدل على انه افضل من ادم وبان دخول ادم
اولوية لان في ولده من هو افضل منه وبان ذلك من الاسلوب العربي
على حد اعملوا ال داود شكرا لدخول داود لزوما او قصدا او عبر عنه بذلك
لارادة التنصيص على دخوله معه واستدل الشيخ سعد الدين
مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي قال الحافظ في الدرر
الكامنة ولد سنة ست عشرة وسبعماية واخذ عن القطب والعضد وتقدم
في الفنون واشتهر ذكره وطار صيته وله تصانيف ينتفع بها الناس
مات بسمرقند سنة احدى وتسعين وسبعماية لمطلق افضليته
عليه الصلاة والسلام على جميع الانبيا بقوله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس قال لانه لا شك ان خيرية الامم بحسب كمالهم
في الدين وذلك تابع لكمال نبيهم الذي يتبعونه وهذا
انما ذكره التفتازاني سندا للاجماع على فضل المصطفى وتعقب بانه
لا يصلح سندا له لان خيريتهم في الدنيا بزيادة نفعهم للغير لحديث
خير الناس انفعهم للناس وهذا هو الظاهر لحديث البخاري عن ابي
هريرة قال خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في اعناقهم
حتى يدخلوا الاسلام وخيريتهم في الاخرة بكثرة ثوابهم لحديث
انما ربكم الاجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا
نحن اكثر عملا واقل عطاء والسر في ذلك انهم صدقوا الانبيا كلهم بخلاف
جميع الامم فانما صدق كل منهم بنبيه ومن قبله كما نبه عليه صلى الله
عليه وسلم بقوله اسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين قال الكرماني
وغيره مرة للايمان بنبيهم ومرة للايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم
والخيرية باحد هذين من زيادتي المعنيين للامة لا تدل على افضلية
رسولهم انتهى وفيه تامل واستدل له الفخر الرازي في المعالم
اي معالم التنزيل اسم تفسيره بانه تعالى وصف الانبيا بصفات
الحميدة في سورة الانعام ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم
اوليك الذين هدى الله فبهداهم طريقهم التوحيد والصبر
اقتده بها السكت وقفا ووصلا وفي قراءة بحذفها وصلا فامره
ان يقتدي باثرهم فيكون اتيانه به واجبا والا فيكون
تاركا للامر وهو محال واذا اتى بجميع ما اتوا به من الخصال
الحميدة فقد اجتمع فيه ما كان متفرقا فيهم فيكون افضل
منهم لان الواحد اذا فعل مثل فعل الجماعة كان افضل منهم قيل عليه
لا شك انه افضل من كل واحد منهم ومن الجميع ايضا لكن في هذا

الدليل

تحت لواي قال الطيبي ادم فمن سواه اعتراض بين النفي والاستثنا
وادم بالرفع بدل او بيان من محله ومن موصولة وسواه صلته
وصح لانه ظرف واثر الفا التفصيلية في فمن للترتيب على منوال
الامثل فالامثل وبقية هذا الحديث وانا اول من تنشق عنه
الارض ولا فخر وانا اول شافع ولا فخر ومن حديث ابي هريرة
مرفوعا عند البخاري ومسلم والترمذي واحمد انا الناس
يوم القيامة وهل تدرون بم ذاك يجمع الله الاولين والاخرين
في صعيد واحد فذكر الحديث اي حديث الشفاعة بطوله وهذا
المذكور من حديثي ابي سعيد وابي هريرة يدل على انه افضل
من ادم عليه السلام ومن كل اولاده بل افضل من الانبيا
اضراب انتقالي للدفع يوهم ان المراد باولاده من عدا الانبيا
بل افضل الخلق كلهم لانه من سواه انتحرك فيشمل الملايكة
حتى امين الوحي باجماع حتى من المعتزلة وجهل الزمخشري
كما حققه جماعة من المحققين وروى البيهقي في فضايل
الصحابة انه ظهر علي بن ابي طالب من البعد فقال صلى
الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عايشة الست
يا رسول الله بسيد العرب فقال انا سيد العالمين وهو سيد
العرب وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم افضل
الانبيا والملايكة لان العالم ما سوى الله وقد روى الحاكم في
صحيحه المستدرك من طريق ابي عوانة عن ابي بشر عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس مرفوعا لكن بلفظ انا سيد ولد ادم
وعلي سيد العرب وقال الحاكم انه صحيح ولم يخرجاه اي البخاري
ومسلم مع ان اسناده على شرطهما وله شاهد من حديث عروة
ابن الزبير عن خالته عايشة وساقه اي رواه الحاكم من طريق
احمد بن عبيد بن ناصح اي جعفر النحوي يعرف بابي عصيدة
قيل ان ابا داود حكى عنه مات بعد السبعين ومايتين قال
حدثنا الحسين بن علوان وهما ضعيفان لكن اقتصر في
التقريب على ان احمد بن عبيد لين الحديث عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عايشة مرفوعا بلفظ ادعوا لي سيد العرب
قالت عايشة فقلت يا رسول الله الست سيد العرب
فقال فذكره وكذا اورده الحاكم من حديث عمر بن موسى
الوجيهي بفتح الواو وكسر الجيم نسبة الى وجيه وهو ضعيف
ايضا عن ابي الزبير محمد بن مسلم المكي عن جابر مرفوعا ادعوا لي
سيد العرب فقالت عايشة الست سيد العرب وذكره
ورواه ابو نعيم في الحلية عن الحسن بن علي رفعه ادع سيد

العرب

العرب يعني عليا فقالت له عايشة الست سيد العرب فقال
انا سيد ولد ادم وعلي سيد العرب قال شيخنا السخاوي وكلها
ضعيفة بل جنح مال الذهبي الى الحكم على ذلك بالوضع
انتهى ولم يتبين لي ذلك اذ ليس وضاع ولا كذاب ولا متهم والحاكم
انما اورد حديث عايشة من الطريقين وان كان فيها ضعيف
شاهدا لحديث ابن عباس الذي صححه لان رواته من رجال الصحيح
ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس عجبا وافتخارا
على من دونه والفخر ادعا العظم والمباهاة حاشاه من ذلك
اذ هو سيد المتواضعين وانما قاله اظهارا للنعمة الله عليه لقوله
واما بنعمة ربك فحدث واعلاما للامة بقدر امامهم ومتبوعهم
عند الله وعلو منزلته لديه ليعرفوا نعمة الله عليهم وعليه
وليعتقدوا فضله على من سواه قال القرطبي ولانه مما امر بتبليغه
لما يترتب عليه من وجوب اعتقاد ذلك وانه حق في نفسه فان
قيل هذا راجع للاعتقاد فكيف يحصل القطع به من اخبار الاحاد
قلنا من سمع شيا من هذه الامور منه صلى الله عليه وسلم مشافهة
حصل له العلم به كالصحابة ومن لم يشافهه حصل له العلم به
من طريق التواتر المعنوي لكثرة اخبار الاحاد به وكذلك العبد
اي عبد من عباد الله الكاملين اذا لاحظ من هو فيه من فيض
المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهد مع ذلك
فقره الى ربه في كل لحظة وعدم استغنايه عنه طرفة عين
ينشي له في قلبه سحايب النور وفي نسخة السرور والنور اولى
فاذا انبسطت هذه السحايب في سما قلبه وامتلا افقه
بها امطرت عليه وابل المطر بما هو فيه من لذيذ السرور
فان لم يصبه وابل مطر شديد فطل مطر خفيف والمعنى انه
يزكو وينمو كثر المطر او قل وحينيذ يجري على لسانه الافتخار
من غير عجب ولا فخر بل هو فرح بفضل الله وبرحمته كما قال
تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك الفضل والرحمة فليفرحوا
بالافتخار كاين على ظاهره بحسب اللفظ والافتقار
والانكسار في باطنه ولاينافي احدها الاخر والى هذا
المعنى يشير قول العارف هو من اشهده الحق نفسه فظهرت
عليه الاحوال والمعرفة حاله هكذا ذكره الشيخ فالعالم
عنده اعلا مقاما من العارف خلافا للاكثرين وقد تردد لك
في الفتوحات مواقع النجوم الرباني سيدي علي الوفاي
من قصيدته التي اولها من لحت مولاه ناصره ومعينه
حاشا علاه رفعته ان يتلاشا بحس بعد رفعته والله يا

روح حياة قلبي لامات من بك عاشا بل يحيي حياة طيبة فوم
لهم انت ساق لا يرجعون عطاشا بل علي غاية الري لا فقص
بمهملة ثقيلة دهرجنا حاله وفاوك راشا اصلح حاله ونفعه
بك النعيم المقيم لمن وهبت انتعاشا اي رفعة وجبرا وذكرا
حسنا قال المجد نعشه الله كمنعه دفعه اي نعشه ونعّشه وعلانا
حسنا قال المجد نعشه الله كمنعه رفعه اي نعشه ونعّشه وحن ينك فنونك
خيره بعد فقره والميت ذكره ذكرا حسنا ومن يجوك فنونك
يتقوي لن يضعف الدهر بالنصب حاشا اي نفسا قال المجد
الجاش نفس الانسان وقد لا يهز عبد لذيك عز فوة وسعة
فكيف لا يتحاشا بكرم ويعظم حاشا وفاوك يرمي من انت
مولاه حاشا اي تنزيها له ان يفعل ذلك فان قلت ما الجمع
بين كل من هاتين الايتين تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض
ولقد فضلنا بعض النبيين علي بعض فان كلا منهما صريح فلا تفضيل
وعدم التفريق في قوله تعالي لا نفرق بين احد منهم قال علي النبوة
كجملة احاديث كما قال وبين قوله تعالي خطابا للمومنين قولوا
امنا بالله وما انزل الينا من القران وما انزل الي ابراهيم من
الصحف العشر واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط اولاد
يعقوب وما اوتي موسي من التوراة وعيسي من الانجيل وما
اوتي النبيون من ربهم من الكتب والايات لا نفرق بين احد منهم
نومن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى ونحن له مسلمون
واورد ان بين انما تقع علي اثنين كجلست بين زيد وعمرو واحد
في الاية مفرد لانه بمعني واحد لا بعينه فكيف صح بين دخول عليه
دخول بين عليه واجيب بانه باعتبار معطوف حذف لظهوره
اي بين احد منهم وبين غيره وفيه دلالة صريحة علي تحقيق عدم
التفريق بين كل فرد منهم وبين من عداهم كاينا من كان بخلاف
ما لو قيل لا نفرق بينهم واجاب الكشاف بان احد في حسب الجماعة
بمعني الوضع قال التفتازاني لانه اسم لانه اسم لمن يصلح ان
يخاطب يستوي فيه المفرد والمثني والجمع والمذكر والموث ويشترط
ان يكون استعماله مع كلمة كل او في كلام غير موجب وهذا غير الاحد
الذي هو اول العدد في مثل قل هو الله احد قال والبين كونه في معني
الجماعة من جهة كونه نكرة في سياق النفي علي ما سبق الي كثير من
الاوهام الا تري انه لا يستقيم لا نفرق بين رسول من الرسل الا
بتقدير عطف اي رسول ورسول وقال لا نفرق بين احد من رسله
من زعم ان معني الجمع في احد انه نكرة في سياق النفي فقد سهي
وان معناه ما ذكر في كتب اللغة انه اسم لمن يصلح ان يخاطب يستوي
فيه المذكر والمونث الي اخيه ضمير جمع اليه او نحو ذلك فالمراد به جمع

من الجنس الذي يدل عليه الكلام فمعني لا نفرق بين احد بين جمع من الرسل
ومعني فما منكم من احد فما منكم من جماعة ومعني لستن كاحد كجماعة
من جماعة النسا انتهي والحديث الثابت في الصحيحين عن
ابي هريرة قال استب اي سب رجل من المسلمين قال عمرو بن
دينار هو ابو بكر الصديق اخرجه سفيان بن عيينة في جامعه وابن
ابي الدنيا في كتاب البعث ويعكر عليه ان في رواية للشيخين من
حديث ابي هريرة ايضا وابي سعيد انه من الانصار الا ان كان
المراد المعني الاعم فان الصديق من انصاره صلي الله عليه وسلم بل هو
راس من نصره ومقدمهم وسابقهم قاله الحافظ في الفتح زاد في المقد
او يحمل علي تعدد القصة لكن لم يسم من اليهود غير واحد ورجل من
اليهود اي سب كل منهما الاخر بعض عنيره قال الحافظ لم اقف علي اسم
هذا اليهودي وزعم ابن بشكوال انه فنحاص وهو بكسر الفا وسكون النون
ومهملتين وعزاه لابن اسحق والذي ذكره ابن اسحق لفنحاص مع ابي بكر
في لطمه اياه قصة اخري في نزول قوله تعالي لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير الاية فقال اليهودي في قسمه اي حلفه وفي
رواية للشيخين عن ابي هريرة فقال المسلم والذي اصطفي محمدا
علي العالمين وقال اليهودي والذي اصطفي موسي علي العالمين
فرفع مسلم عند ذلك يده فلطم وجه اليهودي وفي رواية لهما ايضا
بينما يهودي يعرض سلعته اعطي فيها شيا كرهه فقال لا والذي
اصطفي موسي علي العالمين وفي رواية لهما علي البشر فقال ذلك
ردا علي المسلم فيما قاله واكده بالقسم فرفع المسلم يده عند ذلك اي
سماعه قوله لما فهمه من عموم لفظ العالمين او البشر فدخل فيه محمد صلي
الله عليه وسلم وقد تقرر عند المسلم انه افضل وقد جا ذلك مبينا
في حديث ابي سعيد ان الضارب قال له اي خبيث اعلي محمد فدل علي
ان لطمه عقوبة له علي كذبه عنده قاله الحافظ فلطم اليهودي
وفي رواية لهما فلطم وجه اليهودي وقال اتقول هذا ورسول الله
بين اظهرنا وفي رواية للامام احمد فلطم عين اليهودي وقال له تقال
اي خبيث بفتح الهمزة وسكون اليا حرف ندا وعلي محمد هذه الجملة
ادخلها المصنف في حديث ابي هريرة وليست منه فقد اخرجه مسلم
في الفضايل والبخاري في الخصومات والرقاق والتوحيد واحاديث
الانبيا مختصرا ومطولا وليس فيه هذه الجملة انما هي عنده في مواضع عن
ابي سعيد قال بينما رسول الله صلي الله عليه وسلم جالس جا يهودي
فقال ضرب وجهي رجل من الانصار فقال ادعوه فقال اضربته قال سمعته
بالسوق يحلف والذي اصطفي موسي علي البشر قلت اي خبيث اي
اعلي محمد صلي الله عليه وسلم فاخذتني غضبة ضربت وجهه

فقال لا تخيروا بين الانبيا الحديث واخرجه مسلم بنحوه وقد صرح الحافظ
كما رايت بان هذه الجملة من حديث ابي سعيد فجا اليهودي الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واشتكى ضمنه معنى اعترض فعداه بقوله على المسلم
وهذا نقل بالمعنى والا فلم تقع هذه اللفظة في الصحيحين لا في حديث
ابي هريرة ولا في حديث ابي سعيد ولفظ البخاري في الاشخاص من حديث
ابي سعيد ولفظ البخاري في الاشخاص من حديث ابي هريرة فذهب
اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما كان من امره وامر المسلم وكذا
في اولى روايتيه في احاديث الانبيا ولفظه في الثانية يا ابا القاسم ان
لي ذمة وعهدا فما بال فلان لطم وجهي فقال لم لطمت وجهه فذكره فغضب
صلى الله عليه وسلم حتى روي في وجهه وكذا اخرجه مسلم في الفضايل بلفظين
من طريقين فقال صلى الله عليه وسلم لا تفضلوا بين الانبيا وفي
رواية لهما لا تفضلوا بين الانبيا وفي رواية لا تخيروني على موسى
وفي حديث ابي سعيد الخدري عند البخاري في التفسير والتوحيد
والخصومات ومسلم في الفضايل انه صلى الله عليه وسلم قال لا تخيروا
بين الانبيا بان تقولوا فلان خير من فلان وعند ابن عباس عند
البخاري ومسلم ايضا في الفضايل مرفوعا ما ينبغي ما يصح ولا
يكون لعبد من عباد الله ان يقول انا خير من يونس يحتمل رجوع
انا الى القايل والى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ في التفسير
والاول اولى لكنه قال في احاديث الانبيا حديث عبد الله بن جعفر
عند الطبراني لا ينبغي لاحد ان يقول الى اخره يريد رجوعها للنبي صلى
الله عليه وسلم وللطبراني في حديث ابن عباس ما ينبغي لاحد وللطحاوي
انه سبح الله في الظلمات فاشار الى جهة الخيرية انتهى بن متى بفتح الميم
والفوقية الثقيلة والمقصورة ووقع في تفسير عبد الرزاق انه
اسم امه ورده الحافظ بقوله في بقية هذا الحديث ونسبه الى ابيه ففيه
رد لمن يزعم انه اسم امه وهو يحكى عن وهب ابن منبه وذكره الطبري
وتبعه ابن الاثير في الكامل والذي في الصحيح اصح وقيل بسبب قوله
ونسبه الى ابيه انه كان في الاصل يونس بن فلان فنسبه الراوي وكنى عنه
بفلان وذلك سبب نسبته الى امه فقال الذي نسي يونس بن متى وهب
امه ثم اعتذر فقال ونسبه الى شيخه الى ابيه اي سماه فنسيته ولا يخفى
بعد هذا التاويل وتكلفه انتهى بل يرده ما في الثعلبي عن عطا سالت كعب
الاحبار عن متى فقال هو ابو يونس واسم امه بروره ابي هند بقباره
فانته وهي من ولد هرون انتهى فقول السيوطي التاويل عندي
قوي وان استبعده الحافظ فيه نظر قال الحافظ ولم اقف على اسمه في شي
من الاخبار على اتصال نسبه وقد قيل انه كان في زمن ملوك الطوايف
من الفرس وحديث ابي هريرة عند الشيخين من قال انا خير من

يونس

يونس بن متى فقد كذب هذا لفظ البخاري في التفسير ... ابلا
واوله فزيادتها من نسخ خطا ولم يخرجه مسلم بهذا اللفظ وقد احسن
السيوطي بعزوه في الزوايد للبخاري والترمذي وابن ماجة نعم اخرجه
مسلم والبخاري في اخر الحديث السابق بلفظ ولا اقول ان احدا افضل من
يونس بن متى ورواه ايضا بلفظ لا ينبغي للعبد ان يقول انا خير من يونس بن
ابن متى وفي رواية مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يعني الله لا ينبغي لعبد لي وقال ابن المثنى لعبدي ان يقول انا خير
من يونس بن متى ومسلم رواه عن شيوخه بن ابي شيبة وابن بشار ومحمد
ابن مثنى فلذا بين اختلاف لفظهم فالاولان بلام والثالث بدون
الاضافة ليا المتكلم اجاب العلما بان قوله عز وجل لا نفرق بين احد
منهم يعني في الايمان بما انزل اليهم والتصديق بانهم رسل الله
وانبياوه عطف عام على خاص على ان الرسول اخص من النبي ومرادف
على تساويهما وان كل منهما انسان اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه والمعنى
التصديق بان منهم رسل وانبيا ليسوا برسل والتسوية بينهم في هذا
المذكور من الايمان بما انزل اليهم لا يمنع ان يكون بعضهم افضل من بعض
كما هو نص الاية بسبب خاص ترجح من قامت به على غيره بالنظر لتلك
الخصوصية واجابوا عن الاحاديث باجوبة سبعة او ثمانية فقال
بعضهم ان مخففة من الثقيلة نعتقد بالرفع اي انا نعتقد ان الله تعالى
فضل بعضهم على بعض في الجملة وجاز حذف اللام مما دخلت عليه لظهور
المراد كقوله ان الحق لا يخفى على ذي بصيرة ولكن عدم الفصل بينهما
وبين الفعل الغير الناسخ نادر والمضارع اندر من الماضي كما في ان
يزينك لنفسك وان يشينك لهيه ويحتمل قراءته بفتح الهمزة ونكف
نمتنع عن الخوض في تفصيل نبيين التفضيل بارايها لانه هجوم على
عظيم قال ابن طغر فان اراد هذا القايل انا نكف عن الخوض
في تفصيل التفضيل بارايها المجردة عن فهم من كتاب او سنة فصحيح
وهذا لا يرد ان هذا عين ما قاله ذلك البعض فكيف يجعله احتمالا ثانيه
وان اراد انا لا نذكر في ذلك ما فهمناه من كتاب الله وروي لنا من
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راي ايضا لكن في فهم
الدليل من غير ان تكون دلالته عليه قطعية فسقيم اي ضعيف لان
الاخبار على علية الظن وما ادى اليه الاجتهاد لا يمتنع وتحصل ان
التفضيل بالراي المحض مجمع على منعه وبالدليل لا وجه لمنعه وما احسن
اختصار الحافظ لهذا بقوله قال العلما انما نهي عن ذلك من يقوله برايه
لا يقوله بدليل وقال اخر نفضل اي نعتقد فضل من رفع الله
درجته منزلته بخصايص الحظوة بضم الحا المهملة وكسرها
ومعجمة المحبة ورفع المنزلة والزلفى القربى مصدر بمعنى التقريب

ولا تخوض لا تتكلم في تفضيل بعضهم علي بعض عبر عن التكلم بالخوض
لما فيه من المشقة بلوم الدنيا وعقوبة الاخرى وفي القاموس خاض الما
دخله والغمرات اقتحمها في سياسة امر ونهي المنذرين بفتح الذال
القوم الذين ارسلوا اليهم وبينوا لهم عواقب الفواحش والصبر علي الدين
اي القيام به وهو هنا ما شرع من الاحكام التي من جملتها وجوب تبليغ ما
امروا به ومنع المخالفين لهم الخارجين عن الطاعة والنهضة اي السرعة
في ادا الرسالة والحرص علي هدي الضلال بضم الضاد وشد اللام
جمع ضال ويجوز فتحها والتخفيف بتقدير اهل الضلال والاول اولى او لي وان
كلا منهم قد بذل في ذلك وسعه الذي لا يكلفه الله اكثر منه لانه
لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقال اخرون مما ذكره القاضي عياض في الشفا
ان نهيه عليه السلام عن التفضيل كان قبل ان يعلم بالبنا للفاعل
او المفعول اي يعلمه الله انه سيد ولد ادم فنهي عن التفضيل اذ يحتاج
الي توقيف اي اعلام به واذن فيه فلا تقدم عليه بالعقل وان من فضل
بلا علم بل بالراي المجرد فقد كذب لانه لا يطابق ما في نفس الامر والجملة
حالية او استينافية مقوية لما قبلها قال الحافظ عماد الدين ابن
كثير في هذا الذي قاله الجماعة الاخرون نظر انتهي ولعل وجه
النظر من جهة معرفة المتقدم تاريخا من ذلك يعني انه يتوقف علي
العلم بتقدم النهي علي العلم بانه سيد ولد ادم ولم يعلم التاريخ او فيه مضاف
اي جهة معرفة الخ ثم رايت في تاريخ ابن كثير ان وجه النظر ان هذا
من رواية ابي سعيد الخدري وابي هريرة الدوسي وما هاجر ابو
هريرة الا عام خيبر بالمعجمة ورا اخره علي الصواب في المحرم سنة
سبع وشيخه حسيني تصحيف فيبعد انه لم يعلمه الله تعالي بهذا
الا بعد هذا ابل اعلمه فضله قبل ذلك قال السبكي وفي حديث الاسرا
ما يدل عليه انتهي ومن جملته قول ابراهيم يعني افضلكم محمد وقال اخرانما
قاله صلي الله عليه وسلم علي طريق التواضع لين الجانب وخفض
الجناح ونفي التكبر اظهار العظمة والعجب بضم فسكون استحسان
النفس والمدح لها قال القاضي عياض وهذا لا يسلم من الاعتراض
لانه عد الاخبار بخلاف الواقع الذي هو كذب مذموم تواضعا قيل ولان
نفي التكبر والعجب يقتضي ثبوتهما له ولانه مع ما علم من حاله كيف
يتوهم فيه ما لا يتوهم في صالحي امته ولا يخفي ان ذا اعتراض ساقط
فان التواضع صفة محمودة وهو من شانه صلي الله عليه وسلم كذا في
في شرح الشفا وقال شيخنا لانه صلي الله عليه وسلم كثيرا ما يتحرز من باب
التحدث بالنعمة بل المطلوب منه ان يظهر فضله لامته ليقوي ايمانهم به
وليلا يجهلوا مقامه فيخلوا وقيل مما ذكره عياض ايضا لا تفضل بعضهم
تفضيلا يودي بضم التحتية وفتح الهمزة وشد الدال يجر ويوصل

الي تنقيص بعضهم تفعيل من النقص اي تنقيص وصفهم بما يعيبه نقص
او الغض منه بفتح الغين والضاد المعجمتين اي انتقاصه كما في القاموس
وغيره فهو مساو لما قبله ولا يصلح انه عطف تفسير لانه انما يكون بالواو
الا ان يكون او استعملت بمعني الواو مجازا فعوملت معاملتها وقد رد هذا الجواب
بانه ان اريد مطلق النقص فهذا لا يقوله مسلم وان اريد نقص بعضهم عن بعض
في الفضل فلا معني لاصل التفضيل الا ذلك وقيل مما ذكره عياض ايضا منع
التفضيل بين الانبيا والرسل انما هو في حق النبوة والرسالة نفسهما
لا الانبيا والرسل انما هو في حق النبوة والرسالة نفسهما لا الانبيا والرسل
فان الانبيا عليهم السلام فيها اي النبوة علي حد واحد فقدرها ورتبتها
متحد فيهم اذ هي شي واحد لا تتفاضل اي لا يزيد بعضها علي بعض وانما
التفاضل في زيادة الاحوال اي العوارض الطارية عليها والخصوص
اي ما خص به بعضهم دون بعض والكرامات التي اكرم الله بها بعضهم والرتب
الدنيوية والاخروية واما النبوة نفسها فلا تتفاضل قال السنوسي في شرح
عقايده ويدل عليه منع ان يقال لعلان النبي المنصب الاقل من النبوة ولغلان
المنصب الاجر منها ونحوه من العبارات التي تقتضي ان النبوة معنى له بالتشكيك
ولا شك ان امتناع ذلك معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل علي
ان حقيقة النبوة من التواطي المستوي افراده ولا يلتفت لمن خالف مقتضاه
لوضوح فساده وانما التفاضل بامور اخري زايدة عليها ليست من
نفس حقيقتها كما تبين وفي ذكره ذلك في النبوة دون الرسالة ايما الي الفرق
بينهما ولذلك المذكور من ان التفاضل لامر زايد كان منهم رسل واولوا
عزم اي شدة وقوة وتصميم وتنفيذ علي ما يراد به وبغيره انتهي
وهذا قد بين القول الثاني وليس عينه لاختلاف ملحظها وفي فتح
الباري قال العلما انما نهي صلي الله عليه وسلم عن ذلك من يقوله برايه لا من
يقوله بدليل او من يقوله بحيث يودي الي تنقيص المفضول او يودي الي
الخصومة والتنازع او المراد لا تفضلوا بجميع انواع الفضايل بحيث لا يترك
للمفضول فضيلة فالامام مثلا اذا قلنا انه افضل من الموذن لا يستلزم
نقص فضيلة الموذن بالنسبة الي الاذان وقيل النهي انما هو في حق النبوة
نفسها لقوله لا نفرق بين احد من رسله ولم ينه عن تفضيل الذوات
لقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم علي بعض الاية وقال الحليمي الاخبار
الواردة في النهي عن التخيير انما هي في مجادلة اهل الكتاب وتفضيل
بعض الانبيا علي بعض بالمخايرة لان المخايرة اذا وقعت بين دينين لم يومن
ان يخرج احدهما الي الازرا بالاخر فيفضي الي الكفر فاما اذا كان التخيير مستندا
الي مقابلة الفضايل بل ليحصل الرجحان فلا يدخل في النهي ثم قال اعني في
الفتح في قوله ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس قال العلما انما قال له
صلي الله عليه وسلم تواضعا ان كان قاله بعد ان علم انه افضل الخلق

وان كان قاله قبل علمه فلا اشكال وقيل خص يونس بالذكر لما يخشي علي من
سمع قصته ان يقع في نفسه تنقيص له فبالغ في ذكر فضله لسد هذه
الذريعة انتهي وذكرته برمته لحسن تلخيصه وان تكرر بعضه مع ما ذكره
المصنف وقال ابن ابي جمرة بجيم وراء في حديث يونس يريد بذلك
نفي التكييف والتحديد علي ما قاله ابن خطيب الري الامام فخر الدين
محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الطبرستاني الرازي بحر العلوم
ناصر السنة الورع الدين صاحب التصانيف الكثيرة تفقه علي ابيه وغيره
ولد سنة ثلاث وقيل اربع واربعين وخمس مائة وتوفي بهراة يوم عيد
الفطر يوم الاثنين سنة ست وستماية من بعض ترجمته ايضا كان ابوه
خطيبا بالري بفتح الرا وشد التحتية مدينة مشهورة من اعلام البلاد كانت
اعظم من اصبهان والنسبة اليها بزيادة زاي لانه قد وجدت الفضيلة
بينهما في عالم الحس لان النبي صلي الله عليه وسلم اسري به الي فوق
السبع الطباق اي السموات ويونس نزل به الي قعر البحر وقد قال انا
سيد ولد ادم يوم القيامة خصه لانه يوم ظهور ذلك كل الظهور وقال
عليه السلام ادم ومن دونه تحت لوائي فالمراد بولد ادم جنس البشر
كما تقرر فدخل ادم وقد اختص صلي الله عليه وسلم بالشفاعة الكبري
التي لم تكن لغيره من الانبيا عليهم السلام فهذه الفضيلة وجدت
بالضرورة فلم يبق ان يكون قوله عليه السلام لا تفضلوني علي
يونس بن متي الا بالنسبة الي القرب من الله سبحانه والبعد فمحمد
صلي الله عليه وسلم وان اسري به لفوق السبع الطباق واخترق
الحجب ويونس عليه السلام وان نزل به لقعر البحر لهما بالنسبة الي
القرب والبعد من الله سبحانه وتعالي علي حد واحد انتهي وهو مروي
عن امام دار الهجرة مالك بن انس وهو حمل حسن لا يرد عليه شي ونحو
نحوه لامام الحرمين ابي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني
ذكر القرطبي في التذكرة ان القاضي ابا بكر بن العربي قال اخبرني غير
واحد ان امام الحرمين سيل هل الباري في جهة قال لا هو متعال عن
ذلك قيل ما الدليل عليه قال قول النبي صلي الله عليه وسلم لا تفضلوني
علي يونس بن متي فقيل ما وجه الدليل منه قال لا اقول حتي ياخذ ضيفي
هذا الف دينار يقضي بها دينا فقام رجلان فقالا هي علينا فقال لا يتبع
بها اثنين لانه يشق عليه فقال واحد هي علي فقال ان يونس رمي
بنفسه البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادي
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين كما اخبر الله ولم يكن محمد صلي الله
عليه وسلم حين جلس علي الرفرف الاخضر وارتقي به صعدا حتي انتهي به
الي موضع يسمع فيه صريف الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه واوحي اليه ما
اوحي باقرب الي الله من يونس في ظلمة البحر فانه سبحانه وتعالي قريب

من

من عباده يسمع دعاهم ولا يخفي عليه حالهم كيف ما تصرفت من غير مسافة بينه وبينهم
انتهي وقال ابن المنير في معراجه ان قلت لم يفضل نبينا صلي الله عليه وسلم
علي يونس باعتبار استوا الجهتين بالنسبة الي وجود الحق تعالي فقد
فضله باعتبار تفاوت الجهتين في تفضيل الحق سبحانه فانه تعالي فضل
الملا الاعلي اي السموات علي الحضيض الادني الحضيض الادني اي الارض
عند الاكثرين لانه لم يعص فيها ومعصية ابليس لم تكن فيها او وقعت نادرة
فلم يلتفت اليها وقيل الارض افضل لانها مستقر الانبيا ومدفنهم ونسب للاكثر
ايضا وصحح الاول ومحل الخلاف كما قال السراج البلقيني فيما عدا قبور الانبيا
فهي افضل اتفاقا فكيف لا تفضله عليه السلام علي يونس فاذا لم
يكن التفضيل بالمكان منوبا بالمكانة المرفعة وعلو المنزلة بلا اشكال
ثم قال تلو هذا السوال بلا فاصل قلت لم ينه عن مطلق التفضيل
وانما نهي عن تفضيل مقيد بالمكان يفهم منه القرب المكاني الذي
يتعالي الله عنه فعلي هذا يحمل جمعا بين القواعد انتهي وهو في معني
ما قال امام الحرمين ومالك وغيرهما وقد اختلف في جواب قول السايل هل
البشر افضل من الملايكة ام الملايكة افضل ثالثها الوقف واختاره
الكيا الهراسي ومحل الخلاف في غير نبينا صلي الله عليه وسلم
اما هو فافضل الخلق اجماعا لا يفضل عليه ملك مقرب ولا غيره كما ذكره
الرازي وابن السبكي والسراج البلقيني والزركشي وما في الكشاف من
تفضيل جبريل قال بعض المغاربة حمل الزمخشري مذهبه فان المعتزلة
يجمعون علي تفضيل المصطفي نعم قيل ان طايفة منهم خرقوا الاجماع كالرماني
فتبعهم فقال جمهور اهل السنة والجماعة خواص بني ادم وهم الانبيا
افضل من خواص الملايكة واختاره الامام فخر الدين في الاربعين وفي
المحصل قال ابن المنير وفضلهم باعتبار الرسالة والنبوة لا باعتبار عموم
الاوصاف البشرية بمجردها والا لكان كل البشر افضل من الملايكة
معاذ الله وذكر الامام فخر الدين ان الخلاف في التفضيل بمعني ايهما
اكثر ثوابا علي الطاعات وردّ بذلك احتجاج الفلاسفة علي تفضيل
الملايكة بانها نورانية علوية والجسمانية ظلمانية سفلية وقال هذا
لم يلاق محل النزاع وبهذا يزول الاشكال في المسيلة وهم جبريل
وميكاييل واسرافيل وعزرايل ملك الموت وحملة العرش وهم اربعة
او ثمانية تقدم تحريره والمقربون والكروبيون بفتح الكاف وخفة
الراكاسر والروحانيون بضم الرا وفتحها اما الضم فلانهم ارواحهم
ليس معهم شي ولا نار ولا تراب ومن قال هذه الروح جوهر ويجوز ان
يخلق الله ارواحا فيجسمها ويخلق منها خلقا ناطقا عاقلا فيكون
الروح مخترعا والتجسيم بضم النطق والعقل اليه حادثا من بعد
ويجوز ان اجساد الملايكة علي ما هي عليه اليوم مخترعة كما اخترع

عيسى وناقة صالح واما الفتح فمعنى انهم ليسوا محصورين في الامثلة
الظلل ولكنهم في فسحة وبساط وقيل ملايكة الرحمة روحانيون
بفتح الرا وملايكة العذاب الكروبيون من الكرب قاله الحليمي والبيهقي
وخواص الملايكة وهم المذكورون افضل من عوام بني ادم
يعني اوليا البشر وهم من عدا الانبيا كما في الحبايك اي الصلحا كما
ياتي قال التفتازاني بالاجماع بل بالضرورة لعصمتهم جميعا
قال السيوطي لكن رايت لطايفة من الحنابلة انهم فضلوا اوليا البشر
على خواص الملايكة وخالفهم ابن عقيل من ايمتهم وقال ان ذلك شناعة
عظيمة عليهم وعوام بني ادم افضل من عوام الملايكة وهم
غير خواصهم في احد القولين وجزم به الصفار والنسفي كلاهما من
الحنفية وذكر البلقيني انه المختار عند الحنفية ومال اليه بعضه وهو
قد يوجد من اوليا البشر من هو افضل من غير الخواص من الملايكة
وذهب الاكثرون الى تفضيل جميع الملايكة على اوليا البشر وجزم
به ابن السبكي في جمع الجوامع وفي منظومته فذكر المصنف ثلاث
صور استدل لها بقوله فالمسجود له افضل من الساجد
وهم الملايكة اي ان مجموع البشر افضل من مجموع الملايكة كما اشار
له بقوله فاذا ثبت تفضيل الخواص من الملايكة بالسجود لادم
ثبت تفضيل العوام على العوام وهذا صريح في تفضيل المجموع
لا الجميع واورد الرازي في الاربعين لم لا يقال السجدة كانت لله
وادم كالقبلة سلمنا انها لادم لكن لم لا يكون من السجود التواضع
والترحيب سلمنا انها وضع الجبهة على الارض لكنها قضية عرفية
يجوز ان تختلف باختلاف الازمنة فلعل عرف ذلك الوقت ان من
سلم على غيره وضع جبهته على الارض وتسليم الكامل على غيره امر
معتاد قال والجواب عن الاسيلة الثلاثة ان ذلك السجود لو لم يدل
على زيادة منصب المسجود له على الساجد لما قال ابليس ارايتك
هذا الذي كرمت علي فلما انه لم يوجد شي اخر يصرف هذا الكلام
اليه سوى هذا السجود فدل على اقتضايه ترجيح المسجود له على
الساجد فعوام الملايكة خدم عمال الخير وهم صلحا المومنين
والمخدوم له فضل على الخادم وهذا استدلال للصورة الثالثة
وعطف على فالمسجود له افضل من الساجد باعتبار المعنى اي
فبنو ادم من حيث هم افضل لان هذا النوع مسجود له في الجملة
ولان المومنين من حيث هم ركب فيهم الهوى بالقصر اي الميل
الى الشي ثم استعمل في الميل المذموم نحو ولا تتبع الهوى فيضلك
والعقل عبر به دون الشهوة وان اظهر في بيان المشقة الحاصلة
للمومنين في العبادة لبيان ما حصل به الاشتراك بين الادمي والبش

وقد اوضح ذلك الفخر في الاربعين فقال الملايكة لهم عقول بلا شهوة
والبهايم لهم شهوة بلا عقل والادمي له عقل وشهوة فان رجحت
شهوته على عقله كان اخس من البهيمة قال تعالى اولئك كالانعام
بل هم اضل سبيلا فقياسه لو رجح عقله على شهوته وجب ان يكون
افضل من الملك انتهى وذكر نحوه البيهقي وزاد الاثري من ابتلي من
الملايكة بالشهوة كيف وقع في المعصية وقد ذكر قصة هاروت
وماروت وساقها من ثلاثة اوجه او من ثلاثة طرق فكان المصنف
عبر عن الشهوة بالهوى لتسببه عنها مع تسليط الشيطان
عليهم بوسوسته والملايكة ركب فيهم العقل دون الهوى
لعدم الشهوة ولا سبيل للشيطان عليهم لعصمتهم فهذه
الافة غير حاصلة للملايكة فالانسان كما قاله التفتازاني
في شرح العقايد للنسفي يحصل الفوايد والكمالات العلمية
العلمية والعملية مع وجود العوايق والموانع من الشهوة
والغضب وسنوح الحاجات اي ظهورها وعروضها الضرورية
التي لابد منها الشاغلة عن اكتساب الكمالات من علم وعمل ومع ذلك
يحصلها ولا شك ان العبادة وكسب الكمال مع الشواغل
والعوارض اي الموانع وهي لازمة للشواغل وكانه جمع صارف
او صارفة اي امر صارف او خصلة صارفة لان فواعل يجمع قياسا
على فاعل وفاعلة والمسموع صروف كفلس وفلوس على ما في
المصباح اشق وادخل في الاخلاص فيكون الانسان افضل
وفي الاربعين لان طاعة البشر اشق لان الشهوة والغضب والحرص
والهوى من اعظم الموانع من الطاعات وهذه صفات موجودة في
البشر مفقودة في الملايكة والفعل مع المانع اشق منه مع غير المانع
ولان تكاليف الملايكة مبنية على النصوص قال تعالى لا يسبقونه بالقول
وتكاليف البشر بعضها مبني على النصوص وبعضها على الاستنباط قال
تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار وقال تعالى لعلمه الذين يستنبطونه
منهم والتمسك والاجتهاد والاستنباط في معرفة الشي اشق من التمسك
بالنص والاشق افضل نصا وقياسا اما النص فقوله صلى الله عليه
وسلم اجرك على قدر نصبك وحديث افضل العبادات احمزها اي اشقها
واما القياس فلو استوت الطاعات السهلة والشاقة في الثواب
لكان تحمل الشاقة عن الفايدة وتحمل الضرر الخالي عن الفايدة محظورا
قطعا وكان يجب حرمة الشاقة فلما لم يكن كذلك علم ان الاشق اكثر
ثوابا والمراد بعوام بني ادم هنا في هذا المبحث الصلحا لا ما اشتهر
انهم مقابل العلما والايمة الاصول انهم خلاف المجتهدين لا الفسقة
جعلهم في مقابلة الصلحا يقتضي ان كل من لم يرتكب كبيرة ولم يصر

علي صغيرة من صلحا المومنين وان لم يصل درجة الاوليا وهو قد بنا من
تعريف الولي بالقايم بحق الله والعباد لكن من هذه صفته قليل كما نص
عليه العلامة كمال الدين بن ابي شريف المقدسي قال ونص عليه البيهقي
في الشعب وعبارته قد تكلم الناس قديما وحديثا في المفاضلة
بين الملايكة والبشر الانسان سمي به لظهور بشرته يطلق علي الانسان
واحده وجمعه وقد يثني ويجمع علي ابشار كما في القاموس فذهب
ذاهبون الي ان الرسل من البشر الذين يدعون الناس الي الحق ويبلغونهم
ما نزل اليهم افضل من الرسل من الملايكة وهم الذين يتوسطون بين
بين الله وبين الانبيا فهم رسل بالمعني اللغوي كقوله جاعل الملايكة رسلا
اما الاصطلاحي وهو انسان حر ذكر اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه فلا
يكون رسلا اذ لا شي من الملايكة بانسان والاوليا من البشر قال
السيوطي وهم من عدا الانبيا افضل من الاوليا من الملايكة وهم من عدا
خواصهم كما افاده السيوطي انتهي كلام البيهقي وانما يوافق دعواه بتاويل
اوليا البشر بالصلحا الذين لا كبيرة لهم ولا اصرار علي صغيرة لا بما
عرفه التفتازاني انه العارف بالله وصفاته حسب ما يمكنه المواظب علي
الطاعات المجتنب عن المعاصي المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات وذهبت
المعتزلة والفلاسفة وبعض الاشاعرة اي اهل السنة كابي اسحق
الاسفرايني والحاكم ابي عبد الله الي تفضيل الملايكة وهو اختيار
القاضي ابي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني بتخفيف اللام والنون
نسبة الي بيع الباقلا وابي عبد الله الحليمي واختاره ايضا الامام
فخر الدين في المعالم وابو شامة قال البيهقي واكثر اصحابنا ذهبوا الي
القول الاول والامر فيه سهل وليس فيه من الفايدة الا معرفة الشي علي
ما هو به انتهي وتمسكوا بوجوه نحو عشرين اقتصر منها علي اربعة الاول
وهو اضعفها ان الملايكة ارواح مجردة قال الامدي هذا غير مسلم
بل اجسام ذات ارواح والتفاوت في هذا المفهوم ليس بمسلم كاملة
بالفعل بمعني انها مبراة عن مبادي الشرور والافات كالشهوة
والغضب والخيال والوهم وعن ظلمات الهيولا قال المجد الفطن
ومنشيه الاوايل طينة العالم به او هو في اصطلاحهم موصوف بما يصف
اهل التوحيد توحيد الله تعالي موجود بلا كمية ولا كيفية ولا يقترن
به شي من سمات الحدث ثم حلت به الصنعة واعترضت به الاعراض
تحدث منه العالم والصورة قالوا وهذه الصفات هي الحجب القوية عن
تجلي نور الله ولا كمال الا بحصول ذلك التجلي ولا نقص الا بحصول ذلك الحجاب
فلما كان التجلي حاصلا لهم ابدا والارواح البشرية محجوبة عن ذلك التجلي
في اكثر الاوقات علم انه لا نسبة لكمالهم الي كمال البشر والقول بان
الخدمة مع كثرة العوايق اعلامنا بلا عوايق كلام خيالي لان المقصود

من

المقصود من جميع العبادات والطاعات حصول ذلك التجلي فاي موضع
كان فيه التجلي اكثر وعن العوايق ابعد كان فيه الكمال والسعادة اتم
ولذا قال تعالي في الملايكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون قوية علي
الافعال العجيبة لا تستثقل حمل الاثقال ولا تستصعب نقل الجبال
والرياح تهب بتحريكها والسحاب تعرض وتزول بتصرفها والزلازل
تطوي بقوتها عالمة بالكواين ماضيها واتيها من غير غلط لانهم
ناظرون الي اللوح المحفوظ ابدا فيعلمون ما وجد في الماضي وما سيوجد
في المستقبل والجواب ان مبني ذلك الذي احتجوا به علي الاصول
الفلسفية اذ هم القايلون بانهم ارواح مجردة دون الاسلامية
القايلين بانهم اجسام ذات ارواح والتفاوت في هذا غير مسلم عندنا
واما في باقي الصفات المذكورة فغير مسلمة علي ما عرف من اصولنا
قاله الامدي الثاني ان الانبيا مع كونهم افضل البشر باتفاق
الفريقين يتعلمون ويستفيدون منهم بدليل قوله تعالي علمه
شديد القوي اي جبريل وقوله تعالي نزل به الروح الامين
علي قلبك ولا شك ان المعلم افضل من المتعلم والجواب ان التعليم
انما هو من الله والملايكة انما هم مبلغون فلا يلزم تفضيلهم علي الانبيا
لان مجرد كونهم وسايط في التبليغ لا يقتضي التفضيل الا تري ان السلطان
لو ارسل الي الوزير مثلا رسالة مع بعض اتباع السلطان لا يلزم منه ان
الرسول افضل من الوزير بل ولا مساوله ولا يلزم ايضا كون المعلم
اعلم كما ادعوه قال الامدي ادم كان اعلم منهم لقوله وعلم ادم الاسما
كلها الايات والمراد اصحاب الاسما وهي المسميات لقوله ثم عرضهم
ولو اراد الاسما لقال ثم عرضها كما قاله ثعلب ولم يسلم انتم اعلم فانما
يدل علي اختصاصهم بالاعلمية ولا يلزم ان يكونوا افضل عند الله بمعني
اكثر ثوابا وارفع درجة الثالث انه اطرد في الكتاب والسنة تقديم
ذكرهم علي الانبيا كقوله كل امن بالله وملايكته وكتبه ورسله الله
يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس وما ذاك الا لتقدمهم في
الشرف والرتبة لان العرف شاهد بفضيلة المتقدم في الذكر والاصل
تنزيل الشرع عليه ويدل عليه قول عمر للقايل كفي الشيب والاسلام
للمرء ناهيا لو قدمت الاسلام عطيتك والجواب ان ذلك لتقدمهم
في الوجود لا للدلالة علي الفضيلة بدليل انه تعالي قدم ذكرهم علي كتبه
والكتب علي الرسل والكتب ان كانت هي الكلام القديم النفساني فهي افضل
من الملايكة وان كانت العبارات والكتابات الدالة فالرسل افضل منها
باتفاق وقد اخر الرسل عنها في الذكر قاله الامدي او لان وجودهم
اخفي لعدم رويتنا لهم ولذا استدلوا علي وجودهم بالادلة السمعية
لذكرهم في الكتب السماوية واخبار الانبيا بهم فالايمان بهم اقوي

وبالتقديم اولي لان الله اثني علي الذين يومنون بالغيب اي باغايبهم
الرابع قوله تعالي لن يستنكف يتكبر وتانف المسيح الذين زعمتم انه اله
عن ان يكون عبدا لله ولا الملايكة المقربون عنده ان يكونوا عبيدا
لله فان اهل اللسان يفهمون من ذلك افضلية الملايكة من اي علي عيسي
اذ القياس في مثله الترقي من الادني الي الاعلي يقال لا يستنكف
من هذا الامر الوزير ولا السلطان ولا يقال السلطان ولا الوزير
اذ لا يحسن ذلك لا قتضايه ذكر زيادته علي السلطان ولكن لك فضل علي
فضل الملايكة علي الانبيا ثم اجابوا عن قصور الدليل علي فضلهم علي عيسي
فلا يلزم ذلك علي بقية الانبيا بقولهم ثم لا قايل بالفرق ومن نسخ
بالفصل بصاد مهملة اي التمييز بين عيسي وغيره من الانبيا عليهم
السلام فثبت الدليل بقياس المساواة لكن قد اعترض الغير هذا الاستدلال
بوجوه ان محمدا افضل من المسيح ولا يلزم من فضل الملايكة عليه فضلهم
علي محمد صلي الله عليه وسلم وبان قوله ولا الملايكة المقربون صيغة جمع
تتناول الكل فيفيد ان مجموعهم افضل من المسيح لا ان كل واحد افضل منه ولان
الواو حرف عطف فيفيد الجمع المطلق لا الترتيب فاما المثال المذكور فليس
بحجة لان الحكم الكلي لا يثبت بالمثال الجزيي ثم هو معارض بسائر الامثلة كقولك
ما اعانني علي هذا الامر لا عمرو ولا زيد فلا يفيد فضل المتاخر عن الذكر
ومنه قوله تعالي ولا الهدي ولا القلايد ولا امين البيت فلما اختلفت
الامثلة امتنع التعويل عليها ثم تحقيق المسالة اذا قيل هذا العالم لا يستنكف
عن خدمته الوزير ولا السلطان فنحن نعلم بعقولنا ان السلطان اعظم
درجة من الوزير فعرفنا ان الغرض من ذكر الثاني المبالغة وانما عرفناها
بالعقل لا بمجرد الترتيب فلا يمكننا ان نعرف ان المراد في ولا الملايكة بيان
المبالغة الا اذا عرفنا قبل ذلك ان الملايكة افضل من المسيح وحينيذ يتوقف
صحة الدليل علي صحة المطلوب وهو دور **والجواب** علي تقدير ان
الاية دالة علي ان منصب الملك اعلي من المسيح لكنها لا تدل علي ان
تلك الزيادة في جميع المناصب بل بعضها فقولك لا يستنكف من خدمة
هذا العالم الوزير ولا السلطان انما يفيد ان السلطان اكمل منه في بعض
الاشيا وهي القدرة والسلطنة ولا يفيد زيادته علي الوزير في العلم والزهد
فاذا ثبت هذا فنحن نقول بموجبه وهو ان الملك افضل من البشر في القدرة
والقوة والبطش فان جبريل قلع مداين قوم لوط والبشر في القوة والقدرة
والبطش لا يقدر علي ذلك فلم قلتم بفضل الملك علي البشر في كثرة الثواب
الذي هو محل الخلاف في المسالة وكثرته انما يكون بنهاية التواضع والخضوع
ووصف العبد بذلك لا يلايم صيرورته مستنكفا عن العبودية بل ينافيه
فامتنع كون المراد من الاية هذا المعني اما اتصافه بالقدرة الشديدة
والقوة الكاملة فمناسب للتمرد وترك العبودية وذلك ان النصاري

اسقطوا

اسقطوا المسيح بحيث يرتفع وفي نسخة يترفع ان يتعالي من ان يكون
عبدا من عباد الله بل ينبغي ان يكون ابنا له كما قال تعالي وقالت
النصاري المسيح ابن الله لانه مجرد لا اب له ولانه كان يبري الاكمه والابرص
ويحيي الموتي بخلاف ساير العباد من بني ادم فرد الله عليهم بانه لا
يستنكف من ذلك اي من عبودية الله المسيح ولا من هو اعلي منه في هذا
المعني وهم الملايكة الذين لا اب لهم ولا ام ويقدرون باذن الله
تعالي علي افعال اقوي واصعب واعجب من ابرا الاكمه والابرص
واحيا الموتي باذن الله تعالي الذي شاهد نحوه من المسيح فالترقي
والعلو انما هو في امر التجرد من الاب والام واظهار الاثار القوية
كالشدة والقوة والبطش الا في مطلق الشرف والكمال المودي الي
كثرة الثواب ومزيد الرفعة عند الله فلا دلالة في الاية علي
افضلية الملايكة البتة انتهي ما اراده من هذا المبحث وليس المراد
انتهي ما في الشعب لانه ليس فيها ذلك وقدم قوله انتهي يعني ما في
الشعب قبل قوله وذهبت والقول الثالث الوقف حكاه الكلاباذي
عن جمهور الصوفية قال شارحه القونوي وهو اسلم الاقوال والسلامة
لا يعدلها شي لان وادلة الجانبين متجاذبة وليست المسالة مما كلفنا الله تعالي
بمعرفة الحكم فيها فالصواب تفويض علمها الي الله واعتقاد ان الفضل لمن فضله
الله ليس بشرف الجوهر ليقال الملايكة افضل لان جوهرهم اشرف فانهم خلقوا
من نور وخلق البشر من طين واصل ابليس وجوهره وهو النار اشرف
واصفي من جوهر البشر وما افاده ذلك فضلا ولا بالعمل ليقال عمل الملايكة
اكثر لان ابليس اكثر عملا ايضا وقال في منع الموانع عن والده ليست المسالة
مما يجب اعتقاده ويضر الجهل به ولو لقي الله ساذجا منها بالكلية لم ياثم قال
القاضي تاج الدين فالناس ثلاثة رجل عرف ان الانبيا افضل واعتقد
بالدليل واخر جهل المسالة ولم يشتغل بها وهذان لا ضرر عليهما وثالث قضي
بان الملك افضل وهذا علي خطر وهل من فضل الانبيا علي خطر فالساذج
اسلم منه او انه لا صابة الحق ان شا الله ناج من الخطر هذا موضع نظر والتعيه
كنت افهمه عن الوالد ان السلامة في السكوت وان الدخول في التفضيل بين هذين
الصنفين الكريمين علي الله بلا دليل قاطع دخوله في خطر عظيم وحكم في مكان
لسنا اهله للحكم فيه وجانت احاديث مشيرة الي عدم الدخول في ذلك كقوله صلي
الله عليه وسلم لا تفضلوني علي يونس بن متي ونحوه ولا خلاف انه افضل
منه فلعلها اشارة الي انكم لا تدخلوا في امر لا يعنيكم وما للسوقة والدخول
بين الملوك اعني بالسوقة امثالنا وبالملوك الانبيا والملايكة انتهي
وقد بسط في الحبايك المسالة ثم ان الملايكة بعضهم افضل من بعض
وكذا فاعلاهم درجة حملة العرش الحافظون حوله فاكابرهم كالاربعة
فملايكة الجنة والنار فالموكلون ببني ادم فالموكلون باطراف هذا العالم

كذا ذكره الرازي وافضلهم الروح الامين المزكي صفة بمنزلة التعليل كانه قال
لانه المزكي من رب العالمين المنقول فيه من ذي العزة سبحانه انه اي القران
لقول رسول كريم على الله اضيف اليه القران لنزوله به ذي قوة اي شديد
القوي عند ذي العرش اي الله مكين ذي مكانة مطاع ثم اي تطيعه الملائكة
في السموات ثم اما متعلقة بمطاع او بقوله امين على الوحي فوصفه بسبع صفات
على ما قال الزمخشري وهو ظاهر بجعل عند ذي العرش صفة مستقلة لا متعلقة
بما قبلها ولا بما بعدها وعدها الرازي ستة فجعلها متعلقة بقوله ذي قوة
وهو افضل الملائكة الثلاثة على الاطلاق وهم ميكائيل واسرافيل
وعزرائيل كما قال كعب الاحبار جبريل افضل الملائكة نقله المناوي
وكان هذا لم يصح عند السيوطي فقال في الحبائك سئلت هل الافضل جبريل
او اسرافيل والجواب لم اقف على نقل ذلك لاحد من العلماء والاثار متعارضة
فحديث الطبراني عن ابن عباس مرفوعا الا اخبركم بافضل الملائكة جبريل
واثر وهب ان ادنى الملائكة من الله جبريل ثم ميكائيل يدل على تفضيل
جبريل وحديث ابن مسعود مرفوعا ان اقرب الخلق من الله اسرافيل
صاحب الصور جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وحديث عائشة مرفوعا
اسرافيل ملك الله ليس دونه شيء واثر كعب ان اقرب الملائكة الى الله
اسرافيل واثر الهذلي ليس شيء اقرب الى الخلق الى الله من اسرافيل
وحديث ابن ابي جبلة اول من يدعى يوم القيامة اسرافيل واثر ابن
سابط يدبر امر الدنيا اربعة جبريل وملك الموت واسرافيل الى ان
قال واما اسرافيل فامين الله بينه وبينهم اي بين الثلاثة واثر خالد
ابن ابي عمران واسرافيل بمنزلة الحاجب كل ذلك يدل على تفضيل اسرافيل
انتهى وكذلك الرسل افضل من الانبيا الذين ليسوا برسل لزيادتهم
بالرسالة والانبيا بعضهم افضل كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض قال الامام الرازي اجمعت الامة على بعض الانبيا
افضل من بعض وان محمدا افضل الكل وكذلك الرسل بعضهم افضل
من بعض بنص الاية ومحمد صلى الله عليه وسلم افضل الانبيا
والرسل فضلا راجعا كما تقدم ثم يليه ابراهيم كما نقل بعضهم
عليه الاجماع وفي الصحيح خير البرية ابراهيم خص منه المصطفى
فبقي على عمومه كذا في النقاية وقال التفتازاني في شرح المقاصد
اختلف في الافضل بعد المصطفى فقيل ادم لكونه ابا البشر وقيل
نوح لطول عبادته ومجاهدته وقيل ابراهيم لزيادة توكله واطمئنانه
وقيل موسى لكونه كليم الله ونجيه وقيل عيسى لكونه روح الله وصفيه
انتهى وجزم ابن كثير في تاريخه بان ابراهيم افضل بعد محمد صلى
الله وسلم عليهم واول الانبيا ادم اي والرسل ايضا فالصحيح
انه مرسل الى بنيه كما دل عليه حديث ابي ذر واخرهم نبينا

صلى الله عليه وسلم فاما نبوة ادم فبالكتاب الدال على انه
قد امر ونهي بنحو اسكن انت وزوجك الجنة ونهي بنحو ولا تقربا هذه
الشجرة مع القطع بانه لم يكن في زمنه نبي اخر فهو بالوحي
لا بغيره وكذا السنة دلت على نبوته كحديث ابي ذر الاتي والاجماع
من الامة عليها فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا
لمخالفة الاجماع والنص وقد اختلف في عدد الانبيا والمرسلين
والمشهور في ذلك ما في حديث ابي ذر وعند ابن مردويه في
تفسيره وعند ابن حبان والحاكم في المستدرك وابن عساكر والحكيم
الترمذي في النوادر قال ابو ذر قلت يا رسول الله كم الانبيا
كم الانبيا قال مائة الف واربعة وعشرون الفا قال قلت
يا رسول الله كم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلاثة عشر جما اي جمع
غفيرا اي كثير قال قلت يا رسول الله من كان اولهم اي اول الرسل
قال ادم ثم قال صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اربعة سريانيون
ادم وشيث ابنه ونوح وخنوخ بفتح المعجمة وضم النون وسكون
الواو ثم معجمة بوزن ثمود عند الاكثر وقيل بزيادة الف في اوله
وسكون المعجمة الاولى وقيل كذلك لكن بحذف الواو وقيل كذلك لكن
بدل الالف الاولى خا وقيل كالثاني لكن بدل المعجمة مهملة وقيل
ادريس سرياني وقيل عربي مشتق من الدراسة لكثرة درسه
الصحف ولا يمنع الحديث لفظا ادريس عربيا اذ ثبت ان له اسمين
وهو اول من خط بالقلم وذكر ابن اسحق ان له اوليات كثيرة منها
انه اول من خاط الثياب ذكره كله الحافظ واربعة من العرب
هود بن عبد الله بن رباح بن حارث بن عامر بن عوص بن ارم بن
سام بن نوح وسماه في التنزيل اخا عاد لكونه من قبيلتهم لا اخوة
من جهة اخوة الدين هذا هو الراجح في نسبه واما ابن هشام
فقال اسمه عابر بن ارفخشد بن سام وصالح بن عبيد بن ناسح
ابن عبيد بن حاجر بن ثمود بن عامر بن ارم بن سام وشعيب بن
سطيل بن يشجب بن عنقا بن مدين بن ابراهيم وقيل شعيب بن
صفور بن عنقا بن ثابت بن مدين وقول ابن اسحق يشجب بن
لاوي بن يعقوب لا يثبت ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر
مقتضى هذا الحديث ان شعيبا من العرب العاربة وقيل انه من بني
عنزة بن اسد ففي حديث سلمة بن سعيد العنزي انه قدم على
النبي صلى الله عليه وسلم فانتسب الى عنزة فقال نعم الحي عنزة مبغي
عليهم منصورون رهط شعيب واختان موسى اخرجه الطبراني
وفي اسناده مجاهيل واول نبي من بني اسرائيل موسى فقد يشكل
هذا بقوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقد يقال انه ابن يعقوب

او ابن افرانيم بن يوسف بن يعقوب وكلاهما قبل موسي وهما من بني
اسرايل الذي هو يعقوب الا ان يقال المعني اول نبي امر جميع من
ياتي من انبيايهم بعده باتباع شرعه والدعا اليه واخرهم عيسي
واول النبيين علي الاطلاق ادم واخرهم نبيك يا ابا ذر وقد
روي هذا الحديث بطوله الحافظ ابو حاتم محمد ابن حبان
بكسر المهملة وشد الموحدة في كتابه الانواع والتقاسيم وقد
وسمه بالصحيح وكذا صححه الحاكم وخالفه ابن الجوزي فذكره
في الموضوعات وانفرد به ابراهيم بن هشام الغساني قال
الحافظ ابن كثير ولا شك انه تكلم فيه اي ابراهيم غير واحد
من ايمة الجرح والتعديل من اجل هذا الحديث فقال ابو حاتم
انه غير ثقة وكذبه ابو زرعة الرازي والله اعلم بصحته في نفس
الامر وعدمها وروي ابو يعلي وابو نعيم في الحلية بسند ضعيف
عن انس مرفوعا كان من خلا من اخواني من الانبيا ثلاثة الاف
نبي لا يعارض ما قبله بفرض صحتهما لان الاخبار بالاقل
لا ينافي الاكثر لدخوله فيه ولعله اوحي اليه بعد ما اخبر به ثم بالاول
وما ينطق عن الهوي ثم كان عيسي بن مريم ثم كنت انا والذي
نص الله علي اسمايهم في القران ادم وادريس وهود ونوح
وصالح وابراهيم ولوط واسماعيل واسحق ولدا ابراهيم ع
ويعقوب ابن اسحاق ويوسف بن يعقوب وكذا حفيده يوسف
ابن افراثيم بن يوسف في قول ولقد جاكم يوسف من قبل بالبينات
في احد القولين والثاني انه ابن يعقوب وحكي النقاش والماوردي
انه رسول من الجن بعث اليهم قال السيوطي وهو غريب جدا وايوب
قال ابن اسحق والصحيح انه من بني اسرايل ولم يصح في نسبه شي
الا ان اسم ابيه ابيض وقال ابن جرير هو ايوب بن موص بن روح بن
عيص بن اسحق وحكي ابن عساكر ان امه بنت لوط وان اباه
امن بابراهيم فعلي هذا كان قبل موسي وقال ابن جرير كان بعد شعيب
وقال ابن ابي خيثمة بعد سليمان ابتلي وهو ابن سبعين وكان وقيل
ثلاثة عشر وقيل ثلاث سنين وروي الطبراني ان مدة عمره ثلاث
وتسعون سنة وشعيب وموسي وهارون اخوه شقيقه وقيل
لامه وقيل لابيه حكاها الكرماني في عجايبه ويونس وسليمان
ابنه والياس واليسع وزكريا ويحيي ولده وعيسي بن مريم
وكذا ذا الكفل نبي عند كثير من المفسرين وقيل هو ابن ايوب
في المستدرك عن وهب بعث الله بعد ايوب ابنه بشر نبيا وسماه
ذا الكفل وامره بالدعا الي توحيده وكان مقيما بالشام عمره حتي مات
وعمره خمس وسبعون سنة وكفل ماية نبي فروا اليه من القتل وتكفل

بصيام

بصيام جميع النهار وقيام جميع الليل وان يقضي بين الناس ولا يغضب
فوفي بذلك وقيل هو الياس وقيل يوشع وقيل زكريا وقيل اليسع وان
له اسمين وقيل اسمه ذو الكفل وقيل لم يكن نبيا بل رجلا صالحا يتكفل
باموره فوفي بها والله اعلم بذلك ومن جملة المختلف في نبوته لقمان
وذو القرنين وكذا الخضر لم يفصح باسمه في القران وقال الله تعالي
ورفعنا لك ذكرك واستانف بيانيا فقال روي ابن جرير محمد
الطبري الحافظ احد الاعلام في تفسيره وابو يعلي والطبراني من
حديث ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال اتاني جبريل فقال ان ربي وربك المحسن اليه واليك بجليل
التربية المزكي لي ولك بجميل التزكية واضافة ربي للتشريف وكما
تقيده قبل ذلك اغنوي افادته له يقول زاد في رواية لك تنبيها
علي كمال العناية ومزيد الرجا هنا عنده والرعاية تدري
استفهام حذفت اداته تخفيفا لكثرة وقوعها فيه وفي رواية
اتدري باثباتها وهو غير حقيقي لاستحالته علي علام الغيوب بل تقريري
ليخبر بعدم علمه فيعلمه من لدنه اي اتدري جواب كيف اي علي اي حال
ومعني رفعت ذكرك وكيف في محل نصب حال من المفعول علي القاعدة
المشهورة ان وقعت بعد كلام تام فحال والا فخبر وليست منصوبة
بتدري لان لها الصدر فتدري معلق عن الجملة بعده كقوله
• وما ادري وسوف اخال ادري • اقوم ال حصن ام نسا •
وزعم ان كيف خرجت عن الاستفهام اي اتدري كيفية الرفع وهذا من
الانبساط مع المحبوب لاجل زيادة التوجه والانبساط والانتظار
نكتة عجيبة مع ان لفظ كيفية لم تسمع من العرب كما صرح به اهل اللغة
قلت وفي رواية فقلت الله اعلم وكان هذا الخبار من جبريل عما وقع
من المخاطبة بينه وبين الله قبل نزوله والله عالم بانه بحيث يرد العلم اليه
وكانه قال اذا جابك فقل قال اذا ذكرت بضم التا والضمير له ذكرت بفتحها
خطاب للمصطفي والفعل مجرور فيهما وفي رواية الا ذكرت معي بصيغة
الحصر واي رفع اعظم من ذلك وافادت هذه الرواية الثانية ان الحصر
هو المراد في الاولي اي اذا ذكرت فالكل او المطلوب ان تذكر معي فمن لم
يذكرك ترك المطلوب فيرد العلم الي الله ورد علي من كرهه مطلقا
او عقب ختم تجويد ونحوه ولا ابهام فيه خلافا لزاعمه بل هو في غاية
التفويض المطلوب وقد قال تعالي الي الله يعلم حيث يجعل رسالاته وقال
علي وابردها علي كبدي اذا سيلت عما لا اعلم اقول الله اعلم ولا يعارضه
ما في البخاري ان عمر سال الصحب عن سورة النصر فقالوا الله اعلم فغضب
وقال قولوا نعلم او لا نعلم فمن جعل الجواب به ذريعة الي عدم اخباره
عما سيل عنه وهو يعلم مجهول وفي العالم انه صلي الله عليه وسلم

ان قال الله وكالله بعد السوال جا وقال ان
سال جبريل عن الاية فقال قال الله وقال ان
ربي الي اخره وقوله قال الله نقل بالمعنى هكذا قال بعض المحققين
ثم قد وقع في بعض نسخ الشفا الله ورسوله اعلم فان صحت رواية
فالمراد به جبريل لانه من رسل الملايكة يرسل بالوحي للانبيا والرسل
وتفضيله عليه في خصوص هذا العلم لانه علمه قبل ان يبلغه اليه وكذا
اي رواه ايضا الطبراني سليمان بن احمد واسناده حسن وفي نسخة
الطبري ولا فايدة فيها اذ هو ابو جعفر الذي نسبه اولا وصححه ابن
حبان وكذا صححه الضيا المقدسي في الاحاديث المختارة وروينا عن
الامام الشافعي قال اخبرنا ابن عيينة سفيان عن عبد الله
ابن ابي نجيح بفتح النون وكسر الجيم وحا مهملة يسار المكي ابي يسار
الثقفي مولاهم ثقة من رجال الجميع ورمي بالقدر وربما دلس مات
سنة احدى وثلاثين ومائة او بعدها معناه ان قوله ورفعنا لك
ذكرك لا اذكر بضم اوله المتكلم الا ذكرت بضم المخاطب معي في قول
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وفي
التفسير بعد الشارة الى ان الحصر هو المراد بما قبله قال الشافعي
يعني والله اعلم ذكره عند الايمان بالله كما اشار اليه ابن ابي
نجيح فلا يرد على الحصر ان الكافر كثيرا ما يذكر الله وحده بل والمومن
كثيرا ما يقول لا اله الا الله مقتصرا عليها وكثيرا ما يذكر الله ولا يطلب
ذكره صلى الله عليه وسلم كسمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد والتسمية في
الوضوء والاكل والشرب قال الشافعي ويحتمل ان يكون المراد ذكره
عند تلاوة القران وعند العمل بالطاعة والوقوف
عن المعصية بان يتذكر في نفسه ان فعلها والكف عن ضده سببه
تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم والثواب الحاصل للمطيع والعقاب
الحاصل للعاصي فيصلي عليه جزا لتبليغه ومحلا عبا الرسالة انتهى
قول الشافعي وقيل معناه رفعه بالنبوة الخاصة وهي رسالته الى
جميع الخلايق وبقا شرعه الى يوم الدين وكونها رحمة للعالمين فلا
يرد ان وصف النبي تشاركه فيها الانبيا فلا يكون مرفوعا بها عليهم او
المراد بها كما سبقه بالنبوة جميع الانبيا وكونه اول الانبيا في الخلق او على
من في عصره والفضل للمتقدم قال يحيى بن ادم بن سليمان الكوفي
ابو زكريا مولى ال ابي معيط بني امية ثقة حافظ فاضل روى عنه
احمد وغيره وروى له الستة ومات سنة ثلاث ومائتين وعن ابن عطا
هو بلا اضافة ابو العباس احمد بن محمد بن سهل بن عطا البغدادي
الزاهد الادمي بفتحتين نسبة الى بيع الادم له لسان في فهم القران
يختص به صحب الجنيد وغيره ومات سنة تسع او احدى عشرة
وثلثمائة جعلتك اي ذكرتك ذكرا من ذكري او جعلت ذاتك

مبالغة

مبالغة حتى كان من راى ذاته ذكر الله او المعنى كان ذكرك عين ذكري
لعدم انفكاكه عنه غالبا او هو مثله في التقرب به والاخر او هو معدود من
افراده لان كل مطيع لله ذاكره فمن ذكرك ذكرني الفا تفسيرية او تفريعية
وعنه ايضا جعلت تمام الايمان بذكري معك وفي نسخة من الشفا
بذكرك معي وهذه واضحة والاولى مخالفة القاعدة ان مع تدخل على
المتبوع غالبا وقد تجي لمطلق المصاحبة كما هنا اي جعلته يحصل بذكر الله
مصحوبا بذكره عليه السلام بان ياتي بالشهادتين على الوجه المعروف
وجعله تمام الايمان اما لان الايمان عنده تصديق القلب واللسان
كما هو قول لاهل السنة واما من يقول بمجرد التصديق فباعتبار انه لا
يعتد به بدونه ولا يترتب عليه الاحكام ما لم يات به لسانا وعن جعفر
ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب
الصادق صفة لجعفر لصدقه في مقاله ابي عبد الله الهاشمي فقيه
امام صدوق روى له مسلم واصحاب السنن ومات سنة ثمان واربعين
ومائة لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرني بالربوبية صفة مصدر
من الرب والبا للمصدرية فلا بد معها من تا التانيث يعني لا يعترف
احد برسالتك الا بان يعترف بربوبية الله ووحدانيته لوجوب معرفة
الله عقلا قبل ذلك لئلا يلزم الدور كما ذهب اليه الماتريدية ام سمعا كما
ذهب اليه غيرهم وقيل المراد او اراد ذلك او عبر بالماضي عن المضارع
مبالغة في تحقق وقوعه ولا يشكل الاول بعدم مقارنة الحال للعامل مع
لتقدم الايمان بالله او ارادته على الايمان بالرسول واما التلفظ بما يدل
على ذلك فذكره عقبه بلا فاصل بعد مقارنا عرفا ومثله يكفي عند النحاة
فلا حاجة لجعل الحال مقدرة ودعوى عدم اختصاصه صلى الله عليه وسلم
بذلك مدفوعة بان هذه المقارنة في الاذان والاقامة والخطب والصلاة
والايمان وهذا كله يختص بهذه الامة فتختص المقارنة على هذه الصفة
بنبيها لاختصاصها به دون من عداه من الامم والرسل وهذا في غاية
الظهور قال البيضاوي واي رفع مثل ان قرن اسمه باسمه في كلمتي
الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه في ملايكته وامر المومنين
بالصلاة وخاطبه بالالقاب وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد
المبالغة انتهى كلام البيضاوي بما زدته فاقتصر المصنف على ما احتجته
منه هنا لاجل شرحه بقوله يشير البيضاوي الى قوله تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله فجعل طاعته طاعته والله ورسوله احق ان
يرضوه احق بالارضا بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضايين
ولان الكلام في ايذا الرسول وارضايه او لان التقدير والله احق ان
يرضوه والرسول كذلك قاله في الانوار ومن يطع الله ورسوله فقد
فاز فوزا عظيما واطيعوا الله والرسول لانه بمعنى واطيعوا الرسول

فجمع بينهما بواو العطف للتشركة ولا يجوز جمع هذا الكلام من غير حذفه
عليه الصلاة والسلام قاله عياض واعترض بانه لا مانع ان يقال اطع
الله والقاضي كقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
حينئذ قال بعض انه وهم وما اظن احدا منعه واجيب بانه اراد انه منهي عنه
تنزيها وادبا لورود الحديث بما يدل على رعاية الادب في اللفظ وترك
ما يوهم خلافه واطلق نفي الجواز اعتمادا على تصريح الخطابي وغيره بالكراهة
ولا دلالة في اية واولي الامر لاحتمال الجواز بالتبعية ولذا لم يكرر اطيعوا
مرة اخرى كما لم تكرر اللام في عامتهم في حديث الدين النصيحة لله ولرسوله
ولائمة المسلمين وعامتهم ويشير الى قول قتادة بن دعامة عند ابن ابي
حاتم والبيهقي رفع الله ذكره صلى الله عليه وسلم في الدنيا والاخرة
فليس خطيب يخطب على جهة الكمال وفي الحديث كل خطبة ليس فيها شهادة
فهي كاليد الجذما ولا متشهد اي ات بكلمة الشهادة في غير الخطبة والصلاة
ولا صاحب صلاة اراد بها الفرد الكامل المتبادر فلا ترد صلاة الجنازة
الا يقول مستثنى من اعم الاحوال اي ليس في حال من الاحوال الا قايل و
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله انتهى قول قتادة واورد
ان امر الاخرة لا يعلم بالمشاهدة فرفع ذكره في الدنيا لا يستلزم رفعه في
الاخرة واجيب بانه اخذه من اطلاق الاية والحديث ورفع ذكره في
الدنيا عنوان رفعه في الاخرى ووجه التقريب ان من رفع ذكره في
الدارين حقيق بان يشهد له بذلك فهو بيان لبعض الاحوال التي تحصل في
الدنيا وليس فيها شي من احوال الاخرة وان شمل قوله في الدنيا والاخرة لما
ذكره ولغيره فيندرج فيه ما يحصل في الاخرة فهو مذكور معه تفريع على
قول قتادة في الشهادة دخولا في الايمان وثنا عليه بعده والتشهد
لان الشهادة من جملة الفاظه الواردة فيه سوا كان بلفظ حديث ابن
مسعود اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله او بلفظ حديث
غيره وان محمدا رسول الله ومقرون ذكره بذكره في القران اي
مصاحب له فالمقارنة المصاحبة كما قيل
عن المرء لا تسال وسل عن قرينه ۞ فكل قرين بالمقارن يقتدي
والخطب الشرعية الكاملة والاذان ويؤذن باسمه في موقف
العليا منة اظهار الرفعة قدره في ذلك الموطن روى ابن زنجويه
عن كثير بن مرة الحضرمي مرفوعا يبعث بلال على ناقة من نوق الجنة
ينادي على ظهرها بالاذان فاذا سمعت الانبيا واممها اشهد ان
لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قالوا ونحن نشهد على ذلك واخرج ابو
نعيم في الحلية عن ابي هريرة رفعه لما نزل ادم عليه السلام بالهند
استوحش حصل له وحشة لانفراده فنزل جبريل عليه السلام
فنادى بالاذان الله اكبر الله اكبر مرتين اشهد ان لا اله الا الله مرتين

اشهد ان محمدا رسول الله مرتين الحديث ورواه ايضا الحاكم وابن
عساكر وحكمة ذلك التنويه باسمه في عهد ادم ومصاحبته
لاسم الله وان الاذان ينفع المستوحش الحزين وقد روى الديلمي عن
علي رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا فقال يا ابن ابي طالب
اراك حزينا فمر بعض اهلك في اذنك فانه دوا الهم فجربته فوجدته كذلك
وقال كل من رواته جربته فوجدته كذلك وكتب اسمه الشريف على العرش
اي على سماته كما قدمه في الاسما اي في اوايله ولابن عدي لما عرج بي
رايت مكتوبا على ساق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي
وعلى كل سما اي السموات السبع وعلى الجنان وما فيها من قصور
وغرف وعلى نحور الحور العين وورق شجرة طوبى وسدرة المنتهى
واطراف الحجب وبين اعين الملايكة رواه ابن عساكر عن كعب الاحبار
وهي من الاسرايليات وقيل انه موضوع وقدمه في الاسما والمعجزات
وابده هنا لبيان رفع الذكر واخرج البزار عن ابن عمر مرفوعا لما
عرج بي الى السما ما مررت بسما الا وجدت اسمي فيها مكتوبا
محمد رسول الله وكتب مع انه مشهور في السموات باحمد اكثر ليحصل
به الرد ممن علم ذلك على منكر رسالته وانما يعرف بسميه محمد دون تعيينه
اسمايه وفي الحلية عن ابن عباس رفعه ما في الجنة شجرة عليها
ورقة الا مكتوب عليها اي الورقة لا اله الا الله محمد رسول الله
وكل من هذين شاهد وبيان لقوله في حديث كعب على كل سما وعلى
الجنان واخرج الطبراني من حديث جابر مرفوعا كان نقش
خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول
الله ويروى عن عبادة بن الصامت مرفوعا عند الطبراني ايضا ان
فص خاتم سليمان بن داود كان سماويا فالقي اليه فوضعه في اصبعه وكان
نقشه انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعزاه اي نسبه الحافظ
ابن رجب عبد الرحمن في كتاب احكام الخواتيم لجزء ابي علي
الخالدي وقال انه باطل موضوع وتعقب بانه شديد الضعف
لا موضوع وشق الكريم من اسمه تعالى قال حسان بن ثابت
وشق بالبنا للفاعل عطفا على قوله قبل وضم الاله اسم النبي الى اسمه
اي اخذ له اسما حروفه من اسمه ليجله ليعظمه فذو العرش محمود
وهذا محمد وسماه من اسما الحسنى بنحو سبعين اسما كما بينت
ذلك في اسمايه صلوات الله وسلامه عليه من المقصد الثاني
وصلى عليه في ملايكته وامر المومنين بالصلاة والتسليم عليه
من جملة ما رفع به ذكره قال الله تعالى ان الله وملايكته يصلون
اختلف المفسرون وغيرهم وان الواو عايدة على الله تعالى وملايكته اي
على ملايكته فقط وخبر الجلالة محذوف اي ان الله يصلي وملايكته

يصلون فاجازه بعضهم ومنعه اخرون لعلة التشريك حكاه عياض اي
التسوية بين الله وملايكته في لفظ واحد وهو ضمير الواو ولا منه من عدم
رعاية التعظيم على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
خصه بالتاكيد وتنوين التعظيم اي تسليما عظيما تعريضا بمن لم يسلم
اولان المراد تسليما لا كتسليم غيره من الامة والصلاة لا يشاركه فيها الامة
منهم فيها في نفسها التعظيم بلا تاكيد اولان التسليم لم يثبت لله والملايكة
فهو في معرض المشاهلة في الجملة فاخبر عباده بمنزلة نبيه عنده
في الملا الاعلى بانه يثني عند ملايكته المقربين وان الملايكة تصلي
عليه ثم امر العالم السفلي اي المومنين بالصلاة والتسليم عليه
ليجتمع الثنا عليه من اهل
ذكل ذلكا بانه لفضله ورفعا لذكره
العالمين بفتح اللام والميم تثنية العالم العلوي والعالم السفلي جميعا
وقد اورد على هذا ان المومنين شاركوه في ذلك قال تعالى هو الذي
يصلي عليكم وملايكته ومثله كثير من الاحاديث كحديث ان الله وملايكته
يصلون على ميامن الصفوف واجيب بان الاية الاولى نزلت اولا ومن
غير مزاحم فيها مع التاكيد بان والاسمية وتمييزه بمجموع ما ذكرنا ان بها
فضله ورفعه على غيره وقد اخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال لما نزلت
ان الله وملايكته يصلون على النبي قال ابو بكر يا رسول الله ما انزل الله عليك
خيرا الا اشركتنا فيه فنزلت هو الذي يصلي عليكم وملايكته وقال الامام
الرازي صلاة الملايكة على المومنين بطريق التبعية لصلاة تعالى عليهم
لتاخره كرها وصلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم بطريق الاصالة
معنيها تفضيله على غيره كما اذا قيل يدخل فلان وفلان انتهى ولا يرد ان
الواو لمطلق الجمع بلا ترتيب لان ملحظه ان التقديم الذكري يشعر بالاهتمام
والتقديم لا من حيث الواو ونباه نبيا وادم بين الروح والجسد
كما مر مبسوطا في المقصد الاول وختم به النبوة والرسالة فلا نبي
بعده ولا رسول واعلن بذكره الكريم اي اظهره في الاولين والاخرين
ولوه رفع بقدره الرفيع العالي حين اخذ الميثاق على جميع
النبيين كما قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية وجعل ذكره
في فواتح الرسايل وخواتمها وشرف به المصاقع بالصاد المهملة والقاف
لخطبا الفصحا البلغا جمع مصقع بكسر الميم على المنابر جمع منبر من النبر
وهو الارتفاع وزين بذكره ارباب الاقلام والمحابر جمع محبرة
بفتح الميم والبا او فتحها وضم البا او كسرها وفتح البا لانه اجودها
الاولى ونشر ذكره في الافاق النواحي شرقا وغربا برا وبحرا
حتى في السموات السبع وعند المستوى وصريف الاقلام تصويتها
والعرش والكرسي وساير بمعنى جميع الملايكة المقربين من الكروبيين
بالتخفيف سادة الملايكة والروحانيين بفتح الرا وضمها والعلويين

اي

اي الملازمين للسموات والسفليين من عمارهم كالموكلين بحفظ بني
ادم ومصالحهم وجعله في قلوب المومنين بحيث يستطيبون ذكره
ويتلذذون به فترتاح ارواحهم وربما تميل من سماع اسمه اشباحهم
اجسادهم وانشد لغيره قوله

• واذا ذكرتكم اميل كانني • من طيب ذكركم سقيت الراح •

قال المجد الراح الخمر كالرياح وبالفتح والارتياح كانه تعالى يقول
املا الوجود كله علويه وسفليه من ابناعك كلهم يثنون عليك
ويصلون عليك ويحفظون سنتك وقد قال الانبيا ونبيت الكتاب
ومثله معه الحديث رواه احمد وابو داود بل ما من فريضة من
فرايض الصلاة الا ومعها سنة ما سنه كتكبيرة الاحرام معها رفع اليدين
والفاتحة معها السورة وهكذا فهم يتمسكون في الفريضة بامري
وفي السنة بامرك لانه من امري وجعلت طاعتي طاعتك في نحو
قولي من يطع الرسول فقد اطاع الله وبيعتي بيعتك ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله واتى بها على القلب للمبالغة فالقرا يحفظون
الفاظ منشورك على اختلاف القراات الواردة عنك متواترة وغيرها
وبوجهون ما قد يخفى من جهة اللسان باوجه متعددة او وجه هؤلاء هم
القرا والمفسرون يفسرون معاني فرقانك بما ورد عنك وعن اصحابك
وتابعيهم وما استنبطوه من اللغة واستخرجوه من علوم البلاغة والوعاظ
المذكورون المذكرون يبلغون بليغ وعظك من اضافة الصفة للموصوف
اي وعظك البليغ والملوك والسلاطين يقفون في خدمتك ويسلمون
عليك من ورا الباب ادبا واحتشاما ويمسحون وجوههم بتراب
روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك باق ابد الابدين والحمد
لله رب العالمين على ذلك الفضل العظيم وقال تعالى طه ما انزلنا
عليك القران لتشقى من الشقا التعب والشقاوة على ما ياتي
اعلم ان المفسرين في طه قولين احدهما انها اي هذه اللفظة والا
في حرفان من اسما حروف التهجي والثاني انها كلمة مفيدة اي
مركبة لا مقطعة من اسما حروف التهجي وعلى القول قيل معناها
الذي اريد بها يا مطمع بزنة مقعد الشفاعة للامة اي يا من هو محل
تطمعها في الشفاعة لها ويا هادي الخلق الى الملة يحتمل ان الاسم
مركب من مجموع الندايين وان كل واحد منهما سمي لمجموع الطا والها ومقتضى
قول عياض وقيل هي حروف مقطعة لمعان الاول فالطا للاول والها
للثاني وقيل الطا في الحساب بتسعة والها بخمسة فالجملة
اربعة عشر ومعناها يا ايها البدر ذكره معرفا باللام اشارة الى انه
الكامل المنير السالم من العوارض وهذه الاقوال استعمل الجمع في اثنين
لانه الذي قدمه بنا على انها اقله فهو حقيقة او مجاز من استعمال

الكل في البعض بنا على ان اقله ثلاثة لا يعتمد عليها اذ هي كما قال
المحققون من بدع بكسر فسكون اي غريب التفسير الذي لا سند له
سوى بهذا التوهم العقلي وفي نسخة المفسرين والمعنى واحد ويجوز قراءته
بفتح الدال جمع بدعة اسم من الابتداع وهو الاستخراج والاحداث بلا اصل
ومثلها قول الواسطي ابي بكر محمد بن موسى الامام العارف من كبار
اتباع الجنيد فيما حكاه القاضي عياض في الشفا اراد يا طاهر وقيل الطا طول الغزاة
ويا هادي فالطا من طاهر والها من هادي وقيل اسم قسم بطوله وهدايته
والها هيبتها وقيل طوبى والهاوية وقيل طه اسم من اسمائه صلى الله عليه وسلم
عليه السلام وهي ايضا من البدع والمصنف في المقصد الثاني فالا بلا المعتمد
وقيل من اسماء الله حكاها عياض
انها من اسماء الحروف وعلى من قال انها كلمة مفيدة ففيه وجهان احدهما
ان معناه يا رجل اي معناه رجل وحرف النداء مقدر معه وهو مروي
عن ابن عباس عند البيهقي والحسن البصري ومجاهد وسعيد بن
جبير وقتادة وعكرمة والكلام الان تعيين المفسرين قال سعيد
ابن جبير بلسان النبطية اي المنسوبة الى النبط قوم كانوا ينزلون
سواد العراق وقال قتادة بلسان السريانية وقال عكرمة بلسان
الحبشة ولا يشكل عليهم قوله تعالى قرانا عربيا لان المراد عربي الاسلوب
او هو اسم للجملة وهي كثيرة فلا يخرجه اشتماله على كلمات قليلة
غير عربية كقسطاس وسجيل عن كونه عربيا ولا انه نزل بمكة والمدينة
وبينهما لانه لا يلزم من نزوله بها ان جميعه بلغتهم لجواز اشتهار تلك اللغة
في تلك الاماكن وقال البيضاوي ان صح ان معناه يا رجل فلعل اصله
يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب للياء طا والاختصار اي الاقتصار من هذا
انتهى قال الكلبي او قلت في عك بفتح العين وشد الكاف قال الجوهري
هو عك بن عدنان اخو معد وهم اليوم باليمن يا رجل لم تجب حتى تقول
طه لانها بلغتهم ولا يعرفون لفظ يا رجل وقال السدي بضم السين
وشد الدال معناه طه يا فلان كناية عن اسم الانسان دون قصد
واحد بعينه نحو رايت زيدا فقلت له يا فلان افعل كذا بخلاف يا رجل
المقصد به هذا الذكر من بني ادم وقال الزمخشري لعل عكا تصرفوا في
يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طا لا حسن ان يقول يا بلا ال لان
الكلمة المركبة من حرفين فصاعدا انما ينطق بلفظها لا بحروف هجائها
والياء انما هي اسم لاحد حروف التهجي فقالوا في يا طا اي ذكر لفظ يا
بدل لفظ في للبدل وكذا في الكشاف بفي ويقع في بعض نسخ المصنف
باسقاط في على حذف مضاف اي بدل يا طا واختصروا هذا ا بحذف
الذال واقتصروا على مضمومه اليه طا فصار طه بالقصر لانه اسماء حروف
التهجي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه لكنها قابلة

اباه معرضة له ان لم تناسب مبني الاصل ولذا قيل في وصف يجمع فيها
بين الساكنين ولم يعامل معاملة ابن وها ولا قاله في الانوار واثر الصيغة
لا يخفى في البيت المستشهد به وهو ان السفاهة طه اي يا رجل في
خلائقكم اي طبائعكم قدس الله اخلاق الملاعين جمع ملعون اي مطرود
كما في القاموس وغيره وقول بعض سموا ملاعين لانهم يلعنون الناس كثيرا
لا يناسب اللغة ولم يذكر المجد ان اخلاق من جموع خليقة فيحتمل انه جمع خلق
كعنق واعناق فيكون مجازا ولان طبيعتهم مجبولة على السفاهة ثم دعا
على خلقهم انتهى كلام الزمخشري ورده البيضاوي فقال الاستشهاد بالبيت
ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون انتهى اي ان السفاهة وحق
طه او قسمي طه كقوله صلى الله عليه وسلم ليلة الخندق ان لقيتم الليلة فقولوا
حم لا ينصرون رواه ابو داود والترمذي والنسائي والحاكم وصححه عن
البراء بن عازب قال ابو حيان في البحر تفسيره الكبير وكان الزمخشري
قد قدم ان طه في لغة عك في معنى يا رجل ثم تخرص تكلف الخرص بالفتح
بما تكلفه وتجري اسرع بالهجوم بلا توقف على علمنا لا يقوله نحوي وهو
انهم قلبوا الياء طا وهذا لا يوجد في لسان اي لغة العرب قلب يا التي
للنداء طا وكذلك حذف اسم الاشارة من النداء واقرارها اي ابقاء ها
التي للتنبيه كذا في النسخ الصحيحة وهو ما في النهر فما في بعض النسخ
واقرت تصحيف انتهى وقيل معناه يا انسان حكاه عياض وغيره فان
صحت هذه التفاسير فهو مشترك والوجه الثاني انها كلمة دالة على الطلب
ويدل عليه انه قرئ شاذا طه وبه قرا الحسن البصري باسكان الها على انه
امر له صلى الله عليه وسلم بان يطا الارض بقدميه وقد روي انه صلى
الله عليه وسلم كان يقوم من تهجده على احدى رجليه للاستراحة
من طول القيام فامر بان يطا الارض بقدميه معا حتى لا يتعب فيحتاج
الى الاستراحة اخرج عبد بن حميد عن الربيع بن انس كان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله طه الاية واخرج
ابن مردويه عن علي قال لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها المزمل
قم الليل الا قليلا قام الليل كله حتى تورمت قدماه فجعل يرفع رجلا ويضع
اخرى فهبط عليه جبريل فقال طه طا الارض بقدميك يا محمد فامر
بان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل طا فقلبت همزته ها كما قالوا
هياك بكسر الها في اياك وهرقت في ارقت ويجوز ان يكون
الاصل من وطي على ترك الهمزة قال الطيبي بان قلبت الفا وبني
الامر عليه واذا بني عليه طا فيكون اصله طا يا رجل ثم اثبت الها
فيه للوقف اي السكت فصار طه وعلى هذا يحتمل ان يكون
اصل طه طاها والالف مبدلة من الهمزة والها كناية عن الارض
اي الضمير راجع اليها لعلمها من قرينة الحال والضمير يسمى كناية

عند النجاة ويحتمل انه اراد ان الها وحدها ضمير كما عليه بعض النحاة
عند النحاة ويحتمل انه اراد ان الها وحدها ضمير كما عليه بعض النحاة او ان ها
ويحتمل انه اراد ان الها وحدها ضمير كما عليه بعض النحاة او ان ها
اسم لحرف ماخوذ من ها اسم الضمير فهي كناية اصطلاحية عنه لا انه ضمير
لكن يرد ذلك كما قال البيضاوي كتبتهما على صورة الحرف وتعقب بان
رسم المصحف غير قياسي كما رسم المومنون بلا الف في الامام واما قوله
تعالى ما انزلنا عليك القران لتشقى فذكر واقي سبب وجوهها اولا
منها ما تقدم واخرج البزار عن علي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يراوح
بين قدميه يقوم على كل رجل حتى نزلت ما انزلنا عليك القران لتشقى
احدها ما عند ابن مردويه بمعناه عن ابن عباس ان ابا جهل فرعون
الامة والوليد بن المغيرة ومطعم بن عدي قالوا لرسول الله صلى الله
وسلم انك لتشقى حيث تركت دين ابائك ومرادهم ضد السعادة فقال
صلى الله عليه وسلم بعثت رحمة للعالمين فكيف اشقى انا فانزل
الله تعالى هذه الاية ردا عليهم وتعريفا له صلى الله عليه وسلم
بان يجيء الاسلام دين الاسلام والقران هو اي المذكور السلم
ولا يرد ان القياس ها السلم الى نيل كل فوز والسبب في ادراك
كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها واي شقاوة
مثل الخلود في جهنم وثانيها انه كما رواه ابن مردويه عن علي بمعناه
انه صلى الله عليه وسلم لما انزل يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا
صلى بالليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل بامر الله ابق
على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلنا عليك القران
لتنهك تتعب وتولم نفسك بالعبادة الزايدة وتذيقها
المشقة المطيعة بالسهر وقيام الليل وما بعثت الا بالحنيفية
السمحا السهلة التي لا تعب فيها وروي انه كان اذا قام من الليل
ربط صدره بحبل حتى لا ينام مبالغة في امتثال الامر وقال
بعضهم كان يسهر طول الليل في ابتدا امره حتى امر بالتخفيف
وتعقب بانه بعيد لانه صلى الله عليه وسلم ان فعل شيا من
ذلك فلا بد ان تكون فعله بامر الله تعالى وهذا ممنوع لانه فعل
ذلك لتحقق مدلول ما امر به من قيام الليل على الوجه الاتم الا للامر به
بخصوصه ويمتنع تعقبه ايضا بقوله فاذا فعله عن امره فهو
من باب السعادة لا من باب الشقا بل هو التباس اذ الرد على
انه من باب الشقا بمعنى اتعاب النفس على هذا لا ينافي ان الاتعاب
المذكور للسعادة وانما يقال من باب السعادة لا الشقا على الوجه
الذي قبله في الرد على ابي جهل ومن معه هكذا املاني شيخنا ثالثها
قال بعضهم ظاهره انه سبب لنزول الاية لقوله او لا ذكروا في
نزولها اقوالا وكذلك فانما هذا فهم في الشقا اذ السبب لا يكون

احتمالا بل نقل بجرد وقد قال يحتمل ان يكون المراد ولا تشقى نفسك
ولا تعذبها بالاسف الحزن والحسرة على كفرهم لا فهو كقوله لا تذهب
نفسك عليهم حسرات فانما انزل الله عليك القران لتذكر تعظ به من
امن ممن امن واصلح عملا الصالحات من الفرايض وغيرها فلنفسه لان
ثمرته عايدة عليه وان كان للنبي اجره ايضا ومن كفر فلا يحزنك
كفره لا تهتم لكفره فما عليك الا البلاغ وليس عليك هداهم ولكن
الله يهدي من يشا وهكذا كقوله تعالى لعلك باخع نفسك قاتل
نفسك ولعلك للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا
مومنين لئلا تومنوا وخيفة ان لا تومنوا وكقوله ولا يحزنك كفرهم
رابعها وهو من نمط الثالث لا سبب النزول كما توهمه المصنف السورة من
اول ما نزل بمكة وفي ذلك الوقت كان صلى الله عليه وسلم مقهورا
مع اعدايه الكفار وكانه تعالى قال لا تظن انك تبقى على هذه
الحالة التي هي قهر الاعدا بل يعلو امرك ويظهر قدرك فانما ما
انزلنا عليك القران لتشقى اي لتبقى شقيا متعبا مقهورا
والشقا شايع بمعنى التعب ومنه اشقى من رايض المهر اي ان
معالجة المهار شقاوة لما فيها من التعب بل تصير معظما مكرما
زاده الله تعالى تعظيما وتكريما كما الى هذه الاشارة بقوله الا
تذكرة لمن يخشى اي لكن تذكيرا لمن في قلبه خشية ورقة تتاثر
بالانوار او لمن علم ان الله يخشى بالتخويف فانه المنتفع به ومن
خشي صار المصطفى لديه معظما مكرما كما وقع ذلك للصحابة حتى
كانوا عنده كانما على وجوههم الطير ولا يحدون النظر اليه وكان احب
اليهم من انفسهم قال البيضاوي ما انزلنا عليك القران لتشقى خبر
طه ان جعلت مبتدا على انه مول بالسورة والقران فيه واقع موقع
العايد وجواب ان جعلت مقسما به ومنادى له ان جعلت ندا واستيناف
ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدا او طايفة من الحروف
محكية قال متبعا للكشاف وانتصاب الا تذكرة على الاستثنا المنقطع
ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ويجوز ان
نصب تذكرة نصبة صحيحة ليست بعارضة والنصبة التي في لتشقى
بعد نزع الخافض عارضة كما قال ابو حيان ولا يجوز ان يكون مفعولا
له لتشقى لا انزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل
هو مصدر في موضع الحال من الكاف او من القران او مفعول له على ان
لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة للقران اي ما انزلنا عليك القران
المنزل لتتعب بتبليغه قال الله تعالى انا اعطيناك الكوثر
اكده مع ضمير العظمة ايما الى عظمة المعطي والمعطى وتعريفا ونفيا
للشبهة فيه السورة قال الامام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن

ابن الحسين التيمي البكري الطبرستاني الرازي بن الخطيب بالري برن
ترجمة غير مرة في هذه السورة كثيرة من الفوائد منها انها
كالمتممة لما قبلها من السور المتعلقة به صلى الله عليه وسلم وليس
المقصد بها بيان الاحكام فلا يرد ان ماذكره دليلا على ذلك بعض السور لا
جميعها على انه كما قال شيخنا في التقرير لم تظهر زيادة الكوثر على تفسيره
بما نعوا ابم من الخير على قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى فانه سالم لما
سلمه الكوثر واشمل وذلك لان الله تعالى انزل ومن نسخة جعل سورة
والضحى في مدح نبينا صلى الله عليه وسلم وتفصيل احواله
اي جنسها فلا ينافي ان ماذكره في هذه السورة مشتملة على جميعها لزوما
فذكر في اولها اي احواله ثلاثة اشيا تتعلق بنبوته اي
ترتبط بها وتترتب عليها كالثمرة لها وليس المراد التعلق النحوي ولا
المعنوي المقتضي لكون هذه من معنى النبوة اذ ليست من معناها وهي
قوله ما ودعك تركك ربك وما قلى ابغضك حذف مفعوله اختصارا
للعلم به وللجري على نهج الفواصل ولئلا يخاطبه بالبغض وان كان منفيا او
ليعم نفسه واصحابه وامته روى الشيخان وغيرهما عن جندب بن عبد الله
قال اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة او ليلتين فاتته امراة
فقالت يا محمد ما ارى شيطانك الا قد تركك فانزل الله والضحى والليل
اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وروى سعيد بن منصور والفريابي
عن جندب قال ابطا جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون
قد ودع محمد فنزلت وهذه المراة هي العورا ام جميل اخت ابي سفيان بن
حرب وروى الحاكم برجال ثقات عن زيد بن ارقم قال مكث صلى الله عليه
وسلم اياما لا ينزل عليه فقالت ام جميل امراة ابي لهب ما ارى صاحبك
الا قد ودعك وقلاك فانزل الله والضحى الايات وفي الصحيح ايضا
عن جندب قالت امراة يا رسول الله ما ارى صاحبك الا ابطا عنك فنزلت
ما ودعك ربك وما قلى قال الحافظ هي زوجته خديجة كما في المستدرك
ايضا واعلام النبوة لابي داود واحكام القران للقاضي اسماعيل
وتفسير ابن مردويه من حديث خديجة نفسها فخاطبته كل واحدة
منهما بما يليق بها وروى سنيد في تفسيره ان قايل ذلك عايشة وهو
باطل لانها لم تكن اذ ذاك زوجته واخرج ابن جرير عن عبد الله بن شداد
ان خديجة قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ما ارى ربك الا قد قلاك فنزلت
واخرج ايضا عن عكرمة ابطا جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة اني ارى ربك قد قلاك مما نرى
من جزعك فنزلت وكلاهما مرسل رجاله ثقات قال الحافظ والذي
يظهر ان كلا من ام جميل وخديجة قالت ذلك لكن ام جميل قالته شماتة
وخديجة قالته توجعا وروي ان ابا شيبة والطبراني بسند فيه لا

يعرف

يعرف عن خولة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جروا دخل بيته
تحت السرير فمات فمكث صلى الله عليه وسلم اربعة ايام لم ينزل عليه الوحي
فقال يا خولة ما حدث في بيت رسول الله جبريل لا ياتيني فقلت في نفسي
لو هيات البيت وكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاخرجت الجرو
فجاء صلى الله عليه وسلم ترعد لحيته وكان اذا نزل عليه اخذته الرعدة فانزل
الله والضحى الى قوله فترضى قال الحافظ ابطا جبريل بسبب الجرو مشهورة
لكن كونها سبب نزول الاية غريب مردود بما في الصحيح وللاخرة خير لك
من الاولى لكنها باقية خالصة من الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار
واللام لام ابتدا مؤكدة وجواب قسم ففيه تعظيم اخراي كما اعطاك في الدنيا
يعطيك في الاخرة ما هو اعلى واكثر فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه تسلية
بعد ما نفي عنه ما يكره فهو تحليه بعد تخليه وقيل المعنى لنهاية امرك خير
من بدايته فانه لا يزال يتصاعد في الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك
فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما
ادخر له مما لا يعرف كنهه واللام للتاكيد وقول الزمخشري وتبعه البيضاوي
اللام للابتدا دخل على الخبر بعد حذف المبتدا والتقدير ولانت سوف رده
ابن الحاجب وغيره بان فيه تكلفين وهما تقدير محذوف وخلع اللام عن
معنى الحال لئلا يجتمع دليلا حال واستقبال قال وليست للقسم لانها
انما تدخل على المضارع مؤكدا بالنون قال ابن هشام وهو ممنوع بل تارة
تجب اللام وتمتنع النون وذلك مع الفصل بينهما كالاية ومع تقدم المعمول
بين اللام والفعل نحو ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون ومع كون الفعل للحال
نحو لا اقسم وتارة يمتنعان وذلك مع الفعل المنفي نحو تالله تفتا وتارة يجبان
نحو وتالله لاكيدن ثم ختمها اي الاحوال المتعلقة بنبوته كذلك باحوال
ثلاثة فيما يتعلق في الدنيا من حيث النبوة لكن تعلق الثلاثة الاول
بالنبوة من حيث كونها حاصلة بها والثلاثة الثانية بمعنى انه سببها
اكرامه بالنبوة وان كان اولا حصل قبل النبوة والاثنان بعد النبوة ولعله
اسقط كذلك تكرفات التنبيه على تعلقها بالنبوة وهي قوله تعالى الم يجدك
من الوجود بمعنى العلم يتيما مفعوله الثاني او المصادفة يتيما حال اي
لا اب لك وقيل لا مثل لك فاوى بان ضمك الى عمك ابي طالب ووجدك ضالا
اي عن علم الحكم بكسر ففتح جمع حكمة اي معرفة العلل والاسباب فقوله
والاحكام عطف مسبب على سبب ونيل الحكم مفرد الاحكام لانه يصير ما
بعده مرادف ولا ينافيه ذكر ان بعض الاحكام تعبدي لا تعدد بالنسبة لنا اما هو
صلى الله عليه وسلم فكان عارفا بالعلة فهدى اي هداك الى معرفتها وهذا
احد تفاسير في الاية كما ياتي لكم اولى للمصنف ووجدك عايلا ذا عيال
فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة كذا اقتصره البيضاوي ولم يجعله شاملا
لذلك ولغيره من مبدا به الى نهاية ما حصل له او يقصره على ما حصل له من

التنايم والفتوحات لان ربح التجارة حصل به اصل الغني وما بعده حصل به
الزيادة بعد اطمينان النفس بالاول فكانت النعمة في الحقيقة هي الربح لانها
التي حصل بها دفع الحاجة هذا ولم يذكر المصنف من احواله نتيجة السورة مع
انها خطاب له لعدم دلالتها علي مدحه صريحا اذ ليست اوصافا قايمة
به بمدحه بتعدادها والاصفات كما ليته قايمة به ولا تعداد النعم التي انعم
بها عليه وانما هي امر له ونهي وكلاهما لا يعد من النعم الصريحة وان ترتب عليه
الامتثال بفعل المامور وترك المنهي وهما من اعظم النعم ولا يرد قوله اولا جملة
سورة والضحي في مدح نبينا لان المراد معظمها او كلها ولكن ما تركه هنا مستلزم
للكمال لا بكونه منهيا مامورا مقتضيا لامتثاله وهو كمال التزاما لا صراحة ثم
ذكر في سورة الم نشرح انه تعالي شرفه عليه السلام بثلاثة اشيا وهي
الم نشرح لك صدرك استفهم عن الشرح علي وجه الانكار مبالغة في اثبات
الشرح فكانه قيل شرحنا ولذا عطف عليه ووضعنا اعتبارا للمعني قال الكشاف
قال الطيبي اي انكر عدم الشرح فاذا انكره ثبت لان الهمزة للانكار وهو نفي
اذا دخل علي النفي عاد اثباتا ولا يجوز جعل الهمزة للتقرير لانه اي لان
التقرير سوال بمجرد اذ هو حمل المخاطب علي الاعتراف بامر استقر عنده ثبوته
او نفيه فلا يحسن عطف ووضعنا عليه اي لم نفسحه حتي وسع مناجاة
الحق ودعوة الخلق فالمراد به ما يرجع الي المعرفة والطاعة فكانه قيل الم نفتح
ونوسع صدرك بالايمان والنبوة والعلم والحكمة وبه جزم البغوي وتقدم غيره ذكر
ووضعنا عنك وزرك اي عناك بفتح المهملة والمد اي خضوعك التخيل
القوي الذي كنت فيه قبل ظهور امرك او المشقة التي كنت فيها بعادات الكفار
لك فوضعنا ذلك باظهار كلماتك عليهم بقتل من قتل وهداية من اهتدي فالعنا يكون
بمعني الخضوع وبمعني المشقة الذي انقض ظهرك اثقله ويا تي للمصنف في
النوع العاشر معني الاية ورفعنا لك ذكرك مر الكلام عليه وهكذا سورة
سورة حتي قال انا اعطيناك الكوثر اي اعطيناك هذه المناقب
جمع منقبة بفتح الميم الفعل الكريم كما في المصباح وفي المختار بوزن المرتبة ضد
المثلبة انتهي فالقاف مفتوحة فقراته بكسرها علي هذا خطا التكاثر الذي
كل واحد منها اعظم من ملك الدنيا بحذافيرها باسرها وبجوانبها جمع
حذفور كعصفور كما في القاموس واذ تعليلية انعمت عليك بهذه النعم
وفي بعض النسخ واذا الظرفية المجردة والتعليل فاشتغل بطاعتنا زايدة علي
النسختين والتعليل اظهر ولا تبال بقولهم ساحر كاهن مجنون وغيره ذلك
ثم ان الاشتغال بالعبادة اما ان يكون بالنفس وهو قوله فصل لربك
وانحر امر بالصلاة مطلقا او التهجد وكان الظاهر فاشكر فعدل عنه لان
مثل هذه النعمة العظيمة ينبغي ان يكون شكرها كذلك واعظم ذلك العبادة
واعظمها الصلاة واما بالمال وهو قوله وانحر امر بتقريب البدن لان
النحر يختص بها وفي غيرها يقال ذبح وقابل قوله انا اعطيناك كيف

ذكره

ذكره بلفظ الماضي ولم يقل سنعطيك بلفظ المضارع لينبه بصيغة ذكره علي
ان الاعطا حصل في الزمان الماضي كما قال عليه السلام كنت نبيا
وادم بين الروح والجسد رواه احمد والبخاري في التاريخ وغيرهما ومر
الكلام عليه اول الكتاب ولا شك ان من كان في الزمان الماضي عزيزا
مرعي الجانب اشرف ممن يصير كذلك كانه تعالي يقول يا محمد قد هيانا
ويسرنا وسهلنا اسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود فكيف
امرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا استفهام تفخيم وتعظيم اي
فاعتقد من الكمالات التي تحصل لك بعد وجودك ما شئت فانها لا نهاية لها
يا ايها العبد الكريم انا لم نعطك الفضل العظيم المعبر عنه بالكوثر لاجل
طاعتك وانما اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب مرتب علي
ما قبل الاستفهام اي هيانا اسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود لا لاجل
طاعتك المتاخرة بل تفضلا وليس مرتبا علي الاستفهام ليكون لبيلا يكون فيه بعض
مناقب واختلف المفسرون في تفسير الكوثر علي وجوه وصلت الي نحو عشرين
قولا منها انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف
والخلف ودليله انه روي انس بن مالك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال بينما بالميم انا اسير في الجنة اذا انا بنهر وللترمذي اذ عرض لي نهر
اي ظهر وللبخاري في التفسير عن انس قال لما عرج بالنبي صلي الله عليه وسلم
الي السما قال اتيت علي نهر حافتاه بحا مهملة وخفة الفا جانباه لانه ليس
اخدودا اي شقا مستطيلا في الارض يجري فيه الماء حتي يكون له حافتان
ولكنه سايل علي وجه ارض الجنة ومعلوم انه ليس عاما في جميعها فجاور ما
انتهي سيلانه اليه هو جانبه روي ابو نعيم والضيا عن انس قال قال صلي الله
عليه وسلم لعلكم تظنون ان انهار الجنة اخدود في الارض لا والله انها لسايحة
علي وجه الارض قباب بكسر القاف وخفة الموحدة جمع قبة وللترمذي
حافتاه فيها لولو مثل القباب فالمراد في جانبيه مثل قباب الدر المجوف
بفتح الواو مخففة صفة للدر وهو كبار اللولو حقيقة وتجويز انه مثله
في الحسن والنضارة خلاف الظاهر بلا داعية قلت ما هذا يا جبريل
قال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك وعطف علي مقدر اي فنظرت له فاذا
طينه مسك اذفر اذ المفاجاة انما تترتب علي النظر لا علي اعطاك
ربك ويدل له رواية الترمذي عن انس قال النبي المصطفي ثم ضرب اي جبريل
بيده الي طينه فاستخرج مسكا اي اظهارا لشرف المنعم به وسماه طينا
جريا علي العادة في كون مقر الما طينا كما قال الدلجي وغيره فلا بد من تقدير
في قوله طينه مسك ليصح الحمل وهو في المبتدا اي فاذا مادة ما تحته
مسك ولا يقدر في الخبر اي مثل مسك لانه خلاف الظاهر من الاحاديث انه
يجري علي المسك ولا يعارضه حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ومجراه
علي الدر والياقوت لانها فوق طينه الذي هو مسك كما ان الانهار علي طين

اي تجري على طين وهذ وحصاه فهلا احصاه وطينه مسك اذ فرعجمة
ساكنة اي شديد الرايحة الطيبة ويطلق ايضا على الكوبرعة وليس مراد
هنا واما بالمهملة فخاص بالمنتنة رواه البخاري في الرقاق بهذا اللفظ عن
شيخه ابي الوليد هشام بن عبد الملك وهدبة بن خالد كلاهما عن همام عن
همام عن قتادة عن انس ثم قال في اخره طينه اي بالنون او طيبه اي بموحدة
شك هدبة اي ولم يشك ابو الوليد انه بالنون قال الحافظ وغيره وهو
المعتمد ففي البعث للبيهقي من طريق عبد الله بن مسلم عن انس بلفظ ترابه
مسك ورواه في التفسير الي قوله هذا الكوثر واخرجه مسلم ايضا كما قدم
في المعراج والترمذي وقيل الكوثر اولاده من فاطمة لان عقبه انما هو منها
ويويده قوله الابتر فانظركم قتل من اهل البيت فان هذه السورة انما
نزلت ردا على من عابه عليه الصلاه والسلام بعدم اي بفقد الاولاد
كالعاصي بن وايل قال لما مات القاسم لقد اصبح محمد ابتر فنزل انا اعطيناك
الكوثر عوضا عن مصيبتك بالقاسم رواه يونس في زيادات المغازي ولابن
جرير عن شمر بن عطية كان عقبة بن ابي ابي معيط يقول لا يبقى لمحمد ولد وهو
ابتر فانزل الله ان شانيك هو الابتر وللطبراني بسند ضعيف عن ابي ايوب
لما مات ابراهيم مشي المشركون بعضهم الي بعض قالوا ان هذا الصابي قد بتر
الليلة فانزل الله انا اعطيناك الكوثر الي اخر السورة فان صح هذا كله فقد
تعدد السبب والنزول بمكة والمدينة اذ موت ابراهيم بها وعلي هذا فالمعني
انه تعالي يعطيه صلي الله عليه وسلم نسلا يبقون على مر الزمان
فهو من وضع الماضي موضع المستقبل فانظركم قتل مع الحسين من
اهل البيت اي كم قتل من اهل البيت مع الحسين وبعده ثم العالم
ممتلي منهم ولم يتفق لنبي من الانبيا غيره مثل هذا او قيل الكوثر
الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه قاله ابن عباس رواه البخاري وغيره
فهو وصف مبالغة في المفرط الكثرة فيشمل النبوة والقران والخلق الحسن
العظيم وكثرة الاتباع والعلم والشفاعة والمقام المحمود وغيرها مما انعم
به عليه لكن اورد عليه ان اراد ابن عباس بهذا بيان ما وضع له لغة او بيان
معني عام حصل فيه الاية فلا كلام فيه وان اراد تفسير الاية فالمنصف
النبوي جا بخلافه كما مر ورايته وقيل النبوة وهي الخير الكثير
الذي اعطيه وقيل عن امته وحمل البيضاوي بمجموع اولاده
والاتباع والعلما قولا واحدا لعله قول اخر لم يذكره المصنف وقيل
الاسلام ولا ريب لا شك في انهما اي الاسلام والعلما من الخير
الكثير الذي فسر به ابن عباس الكوثر فلا يقتصر عليهما ولا على النبوة
ولا غيرها بل يعم شرف الدارين فالعلما ورثة الانبيا لان
الميراث ينتقل للاقرب واقرب الامة من نسبة الدين العلما الذين
اعرضوا عن الدنيا واقبلوا على الاخرة وكانوا للامة بدلا من الانبيا

الذين

الذين فازوا بالحسنيين العلم والعمل وحازوا الفضيلتين الكمال والتكميل
ولا رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف وارث تلك الرتبة
ولذا اشتغلت الملايكة وغيرهم من المخلوقات بالاستغفار والدعا لهم
الي يوم القيمة وروي ابن عدي وابو نعيم والديلمي عن علي رفعه العلما
مصابيح الارض وخلفا الانبيا وورثتي وورثة الانبيا قال تعالي ثم
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا قال الكشاف ما سماهم ورثة
الانبيا الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله
وقال الغزالي لا يكون العالم وارثا الا اذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتي
لا يكون بينه وبينه الا درجة النبوة وهي الفارق بين الوارث والموروث
اذ هو الذي حصل له المال واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو
الذي لم يحصله لكن انتقل اليه وتلقاه عنه انتهي كما رواه احمد وابو
داود والترمذي وابن ماجة والبيهقي كلهم عن ابي الدردا سمعت
رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يلتمس فيها علما
سهل الله له طريقا الي الجنة وان الملايكة لتضع اجنحتها لطالب العلم
رضا بما يصنع وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض
حتي الحيتان في الما وفضل العالم على العابد كفضل القمر على ساير
الكواكب وان العلما ورثة الانبيا لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا
العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر صححه ابن حبان والحاكم وغيرهما وحسنه حمزة
الكتاني وضعفه الترمذي وغيره بالاضطراب في سنده قال السخاوي
لكن له شواهد يتقوي بها ولذا قال شيخنا له طرق يعرف بها ان للحديث
اصلا وقد اخرجه الديلمي عن البرا بن عازب رفعه العلما ورثة الانبيا
يحبهم اهل السما وتستغفر لهم الحيتان في البحر اذا ماتوا واورده ايضا بلا
سند عن انس مرفوعا الا ان العلما ورثة الانبيا وانما العالم من عمل
بعلمه واما خبر علما امتي كانبيا بني اسرايل فانهم كانوا
يدعون الي شريعة موسي بغيران ياتوا بشرع مجدد وكذا علما
هذه الامة يدعون الي الشريعة المحمدية فقال الحافظ ابن حجر
ومن قبله الدميري والزركشي انه لا اصل له زاد بعضهم
ولا يعرف في كتاب معتبر وسيل عنه الحافظ العراقي فقال لا اصل له
ولا اسناد بهذا اللفظ ويغني عنه العلما ورثة الانبيا وهو حديث
صحيح وعن عبد الله بن عمرو مرفوعا اكرموا حملة القران فمن اكرمهم فقد
اكرمني ومن اكرمني فقد اكرم الله الا فلا تنقصوا حملة القران حقوقهم
فانهم من الله بمكان كاد حملة القران ان يكونوا انبيا الا انهم لا يوحي اليهم
رواه الديلمي وقال انه غريب جدا قال السخاوي وفيه من لا يعرف
واحسبه غير صحيح نعم روي ابو نعيم في كتاب فضل
العالم العفيف بسند ضعيف عن ابن عباس رفعه اقرب

الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد لانهم لما قاموا
مقام الانبيا في الامرين استحقوا ان يكونوا اقرب الناس من درجتهم
وقيل الكوثر كثرة الاتباع والاشياع بمعجمة وتحتية عطف
مساو وعن بعضهم المراد بالكوثر العلم وحمله عليه اولي لوجوه
احدها ان العلم هو الخير الكثير الذي يتفرع عنه سعادة
الدارين والوجه الثاني اما ان نحمل علي نعم الاخرة او علي
نعم الدنيا قال ذلك البعض والاول غير جايز ان حمل علي حقيقة
اللفظ لانه قال انا اعطيناك الكوثر بصيغة الماضي والجنة
سيعطيها لانه اعطاها فوجب حمل الكوثر علي ما وصل اليه في
الدنيا ابقا للفظ اعطينا علي حقيقته واشرف الامور الواصلة
اليه في الدنيا هو العلم والنبوة فوجب حمل اللفظ علي العلم
كانه قصره عليه مع اشتراكه مع النبوة في انهما اشرف ما وصل
اليه لان العلم مترتب عليه فكانه المقصود بالوحي وثمراته كثيرة
بخلاف النبوة فخاصة به عليه السلام والوجه الثالث انه لما قال
انا اعطيناك الكوثر قال عقبه فصل لربك وانحر والشي
يتقدم علي العبادة هو المعرفة اي العلم بالاحكام فيفيد انه
المراد وان الثاني قوله فصل للتعقيب ومعلوم ان
الموجب اي السبب المقتضي للعبادة ليس الا العلم فيفيد انه
المراد لكن هذا كله استنباط عقلي لا يلاقي تفسيره صلي الله عليه
وسلم بانه نهر في الجنة وقيل الكوثر الخلق الحسن لان به
سعادة الدارين كما قال صلي الله عليه وسلم في الحديث ذهب
حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة رواه الطبراني والبزار وعن
ابن عباس ان الكوثر جميع نعم الله تعالي علي نبيه صلي الله عليه
وسلم فتشمل النبوة والعلم وجميع ما مر وغيره من النعم التي لم
تذكر وبالجملة فليس حمل الاية علي بعض هذه النعم اولي من حملها
علي الباقي فوجب حملها علي الكل ولذا روي ان سعيد بن جبير لما
روي هذا القول اي الكوثر جميع النعم عن ابن عباس لكن الذي
رواه البخاري من طريق ابي بشر وعطا بن السايب عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه قال ابو بشر
فقلت لسعيد ان ناسا يزعمون انه نهر في الجنة فقال سعيد النهر الذي
في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه قال له بعضهم هو ابو بشر جعفر
ابن ابي وحشية واسمه اياس ان ناسا وفي رواية ان اناسا بضم الهمزة
وسمي منهم ابو اسحق السبيعي وقتادة يزعمون يقولون انه نهر في الجنة
فقال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله اياه
لان النهر فرد من افراد الخير الكثير فلا ينافي لكن صرح صلي الله عليه وسلم

بانه

بانه نهر في الجنة كما في مسلم وياتي وكما مر عن الصحيحين من حديث المعراج
ان جبريل قال له هذا الكوثر الذي اعطاك ربك وفي الصحيح عن ابي عبيدة
ابن عبد الله بن مسعود انه صلي الله عليه وسلم سال عايشة عن قوله تعالي
انا اعطيناك الكوثر قالت نهر اعطيه نبيكم في الجنة شاطياه عليه در مجوف
انيته كعدد النجوم فاي معدل عن هذا علي انه قد ورد عن ابن عباس تفسيره
بالنهر وكانه بلغه عن المصطفي فرجع عن الاستنباط فخرج ابن ابي الدنيا
عن ابن عباس في قوله تعالي انا اعطيناك الكوثر قال هو نهر في الجنة عمقه
سبعون الف فرسخ ماوه اشد بياضا من اللبن واحلي من العسل شاطياه من
اللولو والزبرجد والياقوت خص الله به نبيه قبل الانبيا وما ذكر في عمقه لا
يخالفه ما رواه عنه ابن ابي الدنيا ايضا انه سيل ما انهار الجنة افي اخدود
قال لا ولكنها تجري علي ارضها لا تفيض ها هنا ولا ها هنا لانه اجيب بان
المراد انها ليست في اخدود كالجداول ومجاري الانهار التي تجري في
الارض بل سايحة علي وجه الارض مع عظمها وارتفاع حافاتها فلا ينافي ما
ذكر في عمقها قال الامام فخر الدين بن الخطيب الرازي قال بعض
العلما ظاهر قوله تعالي انا اعطيناك الكوثر يقتضي انه تعالي
قد اعطاه ذلك الكوثر فيجب ان يكون الاقرب حمله علي ما
ما اتاه الله تعالي في الدنيا من النبوة والقران والذكر العظيم
والنصر علي الاعدا والايات البينات واما الحوض الذي له في القيامة
فهو احد ما قيل في تفسير الكوثر كما في الشفا وساير ما اعد الله له من
الثواب في الاخرة فهو وان جاز ان يقال انه داخل فيه لان ما ثبت
بحكم وعد الله فهو كالواقع لانه لا يخلف وعده وجوازه لا يوجب الحمل عليه
ولا يرجحه لانه اذا حمل عليه بخصوصه او علي ما يشمله كان مجازا واذا حمل علي ما
اعطيه في الدنيا فقط كان حقيقة وهي مقدمة علي المجاز ما امكنت حيث لا
مانع وقد علم ان المانع تفسيره صلي الله عليه وسلم بانه نهر في الجنة الا
ان الحقيقة ما قدمناه من قوله فيجب ان يكون الاقرب الخ لان ما اعطاه
له بالفعل فاستعمال الاعطا حقيقة فيه بخلاف امور الاخرة لان ذلك وان
اعد له فلا يصح ان يقال علي الحقيقة انه اعطاه الكوثر في حال
نزول السورة بمكة وانما يصح ان يقال ذلك علي المجاز اما لانها ستعطي او
لانه تعالي قد رفي علمه انها له فعبر عنها باعطينا ويحتمل ان يجاب عنه
بان من اقر لولده الصغير بشي يصح ان يقال اعطاه ذلك الشي مع
ان الصبي في ذلك الحال ليس اهلا للتصرف انتهي وعليه يحمل اعطا
علي ما اعطاه من امور الاخرة ولا يكون مجازا لان من وهب شيا لولده
الصغير وقبله له صار ملكا حقيقيا للصغير فها هنا كذلك وقد روينا
في صحيح مسلم وسنن ابي داود والنسايي من حديث انس بينما
بالميم رسول الله صلي الله عليه وسلم بين اظهرنا اي بيننا واظهر

زايد اذا اغفا اغفاة اي نام نومة خفيفة ثم رفع راسه متبسما فقلنا
ما يضحكك اضحك الله سنك يا رسول الله قال نزلت علي سورة انفا
اي قريبا فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك
وانحر ان شانيك هو الابتر فهم منه فاهمون ان السورة نزلت في تلك
الاغفاة لان رويا الانبيا وحي قال في الاتقان والاشبه ان القران كله نزل
يقظة واجاب الرافعي بانه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة
او عرض عليه الكوثر الذي نزلت فيه السورة فقراها عليهم وفسره لهم
او الاغفاة ليست نوما بل هي البرحا التي كانت تعتريه عند الوحي قال في
الاتقان والاخير اصح من الاول لان قوله انزل علي انفا يدفع كونها نزلت
قبل ذلك قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فانه
نهر داخل الجنة كما رواه المصطفي ليلة المعراج كما مر في حديث انس
في الصحيح وعدنيه ربي بقوله انا اعطيناك الكوثر عليه خير كثير
منه قوله سابقا حافتاه قباب الدر وطينه مسك اذفر وهو حوض اي
نهر في الجنة يسيل في حوضه ترد عليه امتي يوم القيمة وفي رواية لاحمد
ويفتح نهر الكوثر الي الحوض وفي مسلم عن ابي ذر ان الحوض يشخب فيه ميزابان
من الجنة قال المصنف ويطلق علي الحوض كوثرا لكونه يمد منه وقال
الحافظ وهذا النهر هو الذي يصب في الحوض كما جا صريحا في البخاري
انيته عدد النجوم ولاحمد من رواية الحسن عن انس اكثر من عدد نجوم
السما وفي الصحيحين من حديث ابن عمرو وكيزانه كنجوم السما من شرب
منه فلا يظما ابدا فيختلج بضم التحتية وسكون المعجمة وفتح الفوقية
واللام وبالجيم مبني للمفعول اي يجتذب ويقتطع العبد منهم فاقول
رب انه من امتي فلم اخرج منهم فيقول ما تدري ما احدثوا بعدك
من الردة عن الاسلام او المعاصي فيمنعون من الحوض حتي يطهروا من
ذنوبهم واحضر المرتدون زيادة لتنكيلهم وحسرتهم وهذا تفسير
صريح منه صلي الله عليه وسلم بان المراد بالكوثر هنا الحوض اي النهر
الذي يصب في الحوض بدليل قوله نهر فالمصير اليه اولي اي احق واوجب
وقول الشارح اي من حيث الاعتبار فلا ينافي ما قدمه من انه واجب فيه
انه لم يقدم ذلك انما قدم الوجوب في تفسيره بغير ذلك وهذا هو المشهور
كما تقدم في قوله انه نهر في الجنة وهذا هو المشهور المستفيض عند السلف
والخلف وهذا مزج في قوله تاويل قوله الكوثر الحوض بما قلناه لانه الذي
قدمه وقد قيل ان المراد به الحوض الذي هو في القيامة علي ظاهر الحديث
بلا تاويل وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل المعرفة اي العلوم
اللدنية التي افاضها عليه بلا واسطة فكانها كوثر وقيل تخصيصات الشريعة
وقيل كثرة الامة وقيل رفعة الذكر وقيل الدعوات المجابات له وقيل كلمة
التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الخمس صلوات التي خصت بها امته

فهذه

فهذه عشرة والمصنف حكي عشرة فتلك عشرون اصحها الاول فسبحان من اعطاه
هذه الفضايل العظيمة وشرفه بهذه الخصال العميمة
وحباه بوجدة بما افاضه عليه من نعمه جمع نعمة الجسيمة وقد جرت
عادة الله تعالي مع انبيايه عليهم السلام ان يناديهم باسمايهم
الاعلام نحو يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وبدا به لانه ابو البشر
المقدم عليهم يا نوح اهبط بسلام وكذا يا ابراهيم قد صدقت الرويا يا موسي
اني انا الله يا عيسي ابن مريم اذكر نعمتي عليك يا داود انا جعلناك
خليفة يا زكريا انا نبشرك يا يحيي خذ الكتاب فاما نبينا محمد صلي الله
عليه وسلم فناداه بالوصف الشريف من الانبيا والارسال الدال علي
التعظيم والملاطفة لمنزلته عنده فقال يا ايها النبي يا ايها الرسول يا ايها المزمل
يا ايها المدثر فلم يذكره باسمه في الندا تعظيما وذكر في الخبر وما محمد الا رسول
محمد رسول الله ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد لانه ورد مورد التعيين
والاعلام بان صاحب هذا الاسم هو الرسول وقوله تعالي لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة لما لم يورد هذا المورد لم يذكر اسمه ولله در القايل •
• • ودعي جميع الرسل كلا باسمه • ودعاك وحدك بالرسول وبالنبي •
دعا نادي ومراد المصنف خطاب الله تعالي له في القران باسمه فلا يرد عليه
كما يوهم خطابه غيره بقوله انك لا تهدي من احببت وقوله وانك لتهدي
الي صراط مستقيم وقوله في المحشر ارفع راسك وقل تسمع يا محمد ولم يقل يا ايها
النبي او يا ايها الرسول وان قيل حكمته انه اخصر ففيه سرعة اجابته وتطويل
الكلام لا يناسب مقام الاذن في الشفاعة وقد سري هذا التشريف ببركته
الي امته ففي الخصايص ان الله شرفهم بخطابهم في القران بقوله يا ايها الذين
امنوا وخاطب الامم السالفة يا ايها المساكين قال الشيخ عز الدين بن عبد
السلام ولا يخفي علي احد ان السيد اذا دعا نادي عبيده بافضل
ما وجد لهم اعطاهم من الاوصاف العلية والاخلاق السنية
يعني العلية بحسنه اختلاف اللفظ ودعا اخرين وفي نسخة غيرهم باسمايهم
الاعلام التي لا تشعر بوصف من الاوصاف ولا بخلق بمعني من
الاخلاق دل دعاوه لذلك البعض علي ان منزلة من دعاه بافضل الاسما
والاوصاف اعز عليه واقرب اليه ممن دعاه باسمه العلم فالمقدر جواب
اذا لان لفظ ان مفرد لا تقع جوابا لاذا وجملة اذا من الشرط والجواب خبر ان
السيد الخ وهذا معلوم بالعرف ان من دعا بافضل اوصافه واخلاقه
كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه انتهي اذ العدول عن الاسم العلم
يقتضي ذلك عرفا ولذا قال الله تعالي يا ايها الذين امنوا لا تجعلوا دعا
الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا وانظر نظر تامل وتدبر في المعاني المستنبطة
من الالفاظ ما في نحو قوله تعالي واذ قال ربك للملايكة اني جاعل
في الارض خليفة من ذكر الرب تعالي المشعر عن يد الرافة واضافته

اي الرب اليه صلي الله عليه وسلم بقوله ربك وما في ذلك من التنبيه
علي شرفه باضافته اليه واختصاصه وخطابه وما في ذلك من
الاشارة اللطيفة وهي ان المقبل عليه بالخطاب له الحظ الاعظم
والقسم الاوفر من الجملة المخبر بها وهي هنا خلافة الله في الارض
فلا ريب ان له النصيب الاوفي منها اذ هو في الحقيقة اعظم خلفايه
الا تري الي عموم رسالته ودعايه الخلق الي ذلك اني رسول الله اليكم
جميعا وجعله افضل انبيايه بدليل انه امهم ليلة اسرايه بتقديم
جبريل له والحق مع الامامة للافضل وجعل ادم فمن دونه اي فمن بعده
يوم القيامة تحت لوايه فهو المقدم في ارضه وسمايه وفي داري
تكليفه الدنيا وجزايه الاخرة وبالجملة فقد تضمن الكتاب العزيز
القوي الغالب من التصريح بجليل رتبته وتعظيم قدره اي رتبته
وشرفه وعلو منصبه يريد سعد العلو والرفعة كما في المصباح كغيره
ورفعة قدره ما يقضي علي بانه استولي علي اقصي درجات
التكريم اي اعلاها ويكفي اخباره تعالي بالعفو عنه ملاطفة معاملة
وشفقة والمفاعلة مجازية لتنزيل استحقاقه له بمنزلة فعله او هي لاصل
الفعل بلا مشاركة قبل ذكر العتاب في قوله تعالي عفا الله عنك لم
اذنت لهم فقدم عفي الله عنك دعاء يقصد بها الملاطفة وهو خبر معناه
لا عهدة عليك وليس المعني ان الاذن ذنب تتعلق به العقوبة لان مسامحته
لهم مع اذاهم اسقاط للحظوظ فهو عتب بلطف لا ملاطفة فيه اي قد بلغت
في الامتثال والاحتمال الغاية وردت في طاعة الله ومحبته والرفق
بالبر والفاجر ما اجحف بك فهو من عتب الحبيب في حيفه علي نفسه وتخفيف
لا تعنيف ومدح لا قدح وياتي بسط هذا ان شاء الله تعالي ويكفي في ذلك ايضا
تقديم ذكره علي الانبيا تعظيما اذ التقديم يعطيه مع تاخره عنهم
في الوجود في قوله تعالي واذ اخذنا ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسي وعيسي بن مريم قيل معناه تبليغ الرسالة وتصديق بعضهم
بعضا وقيل ان يعلنوا بنبوة المصطفي ويعلن هو بانه لا نبي بعده ففيها
تفضيل له من وجوه منها انه ذكر النبيين جملة ثم خص بالذكر بعضهم تشريفا
لهم وقدمه صلي الله عليه وسلم عليهم تشريفا علي تشريف وهؤلا الخمسة هم
اولو العزم من قول واخباره بتمني اهل النار طاعته في قوله
تعالي يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا للتنبيه ليتنا اطعنا
الله واطعنا الرسول وهذا بحر لا ينفد بفتح الفا لا يفرغ وقطر
بفتح القاف وسكون الطا اي مطر لا يعد لكثرته او بضم القاف اي اقليم
لا يمكن عد نواحيه وبلاده لكثرتها جوزهما شيخنا في التقدير واقتصر
في الحاشية علي الفتح لانه اظهر والله اعلم النوع الثاني في اخذ
الله له الميثاق علي النبيين عداه بعلي اشارة الي انه الزمهم به

وعداه

وعداه فيمن ياتي اشارة الي انعم التزموه فضلا احسانا ومنه
اي انعاما ليومنن به اي ادركوه ولينصرنه علي عدوه قال الله
تعالي واذ اي حين متعلق بمقدر اي اذكر وقيل باقررتم وان اخر عنه
اخذ الله ميثاق النبيين عهدهم كلهم او مع اممهم او انبيا بني
اسرايل لما بفتح اللام للابتدا وتوكيد معني القسم الذي في اخذ
الميثاق وكسرها متعلقة باخذ وما موصولة علي الوجهين اي للذي
اتيتكم اياه وفي قراءة اتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم من الكتاب والحكمة وتنوين رسول وابهامه للتعظيم
والمراد محمد صلي الله عليه وسلم او للتعميم علي القولين الاتيين للمصنف
لتومنن به ولتنصرنه جواب القسم ان ادركتموه واممهم تبع لهم
في ذلك الاية اخبر تعالي في الازل كما حكاه المصنف اول الكتاب
انه اخذ ميثاق كل نبي بعثه صفة نبي ولا يرد انه قاصر علي
الرسل مع ان المتبادر العموم لجواز ان معناه اوحي اليه يطلق علي الايحا
من لدن ادم الي محمد صلي الله عليه وسلم ان يصدق بعضهم
بعضا علي نبوته ومعناه انه اخذ العهد علي كل نبي ان يومن بمن
ياتي بعده وينصره ان ادركه والا يامر قومه بنصره فاخذ الميثاق
من موسي ان يومن بعيسي ومن عيسي ان يومن بمحمد انتهي فليس معني
هذا القول يصدق بعضهم بعضا علي نبوة المصطفي وانهم من اتباعه
ومنون به كما توهم اذ لو كان كذلك ما صح قول المصنف الاتي ان ذا القول
لا يخالف قول علي وابن عباس اذ هو عينه علي ذا الفهم قاله الحسن
البصري وطاوس اليماني وقتادة السدوسي الثلاثة من
التابعين وقيل معناه انه تعالي اخذ الميثاق من النبيين
واممهم واستغني بذكرهم عن ذكر الامم لانهم تبع لهم
فهو من الاستغنا بذكر الملزوم عن اللازم ولا يرد انه خاص
بالرسل لانهم هم الذين لهم امم اما النبيون فالامم لهم لجواز ان يراد
باممهم الاناس الموجودون في زمانهم واطلق عليهم اممهم من حيث
وجودهم في زمانهم وان لم يرسلوا اليهم فالنبي وان لم يامر بشرع يجب
عليه اي يخبر بنبوته لئلا يحتقر ولا يمتنع عليه الوعظ ونحوه ومنه اخبار
للناس بالايمان بمحمد اذا جا والانبيا وعن علي بن ابي طالب عند
ابن جرير وغيره وابن عباس عند ابن جرير وابن عساكر ووقع للزركشي
وابن كثير والحافظ في الفتح في كتاب الانبيا انهم عزوه لصحيح البخاري
قال الشامي ولم اظفر به فيه ما بعث الله نبيا من الانبيا وفي
رواية لم يبعث الله نبيا من ادم فمن بعده الا اخذ عليه الميثاق
لئن بعث محمد صلي الله عليه وسلم وهو اي ذلك النبي حي
ليومنن به ولينصرنه وياخذ العهد بذلك علي قومه هذا

بقية المروي عن علي وابن عباس كما تقدم ثم هو موقوف لفظا مرفوع
حكما لانه اخبار عن غيب فلا مجال للراي فيه ويحتمل انهما قالاه فهما
للاية والظاهرة الاول ولذا اقتصرت عليه اول الوقت الكتاب وما قاله
قتادة والحسن وطاوس من ان المعنى اخذ على كل نبي ان يؤمن بمن
بعده لا يضادد لا يخالف ما قاله علي وابن عباس ولا ينفيه بل
يستلزمه لانه اذا صدق بعضهم بعضا لزم ان يكونوا مامورين بالايمان
بالمصطفى ويقتضيه عطف تفسير وقيل معناه ان الانبياء عليهم
الصلاة والسلام كانوا ياخذون الميثاق من اممهم بانه اذا بعث
محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه وعلى هذا
فاضافة الميثاق الى النبيين اضافة للفاعل والمعنى واذ اخذ
الله الميثاق الذي وثقه الانبيا على اممهم قاله البيضاوي واحتج
له بان الذي اخذ الميثاق منهم يجب عليهم الايمان بمحمد عند
مبعثه وكان الانبيا عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من
جملة الاموات لا يرد عيسى والياس وادريس على حياتها والخضر
على حياته ونبوته لان الحكم للاكثر والميت لا يكون مكلفا فتعين
ان يكون الميثاق ماخوذا على الامم قالوا ويؤكد اي يقوي
هذا القول انه تعالى حكم على الذين اخذ عليهم الميثاق
انهم لو تولوا لكانوا فاسقين بقوله فمن تولى بعد ذلك فاولئك
هم الفاسقون وهذا الوصف لا يليق بالانبيا اي لا يجوز عليهم
وانما يليق بالامم لجوازه عليهم واجاب الفخر الرازي وفي
نسخة واجاب القفال والظاهر فسادها وفي اخرى واجيب بان
يكون المراد من الاية ان الانبيا لو كانوا في الحياة لوجب
عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم كما قال لو كان موسى حيا
ما وسعه الا اتباعي ونظيره قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن
عملك وقد علم الله تعالى انه لا يشرك قط ولكن خرج هذا
الكلام على سبيل التقدير والفرض والمراد به تهييج الرسل
واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة والخطاب باعتبار كل واحد
وقال تعالى ولو تقول النبي علينا بعض الاقاويل بان قال
علينا ما لم نقله سمي الافترا تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة
اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا
منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اي نياط قلبه بضرب عنقه وهو
تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو
ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين
بمعنى القوة قاله البيضاوي وقال في الملائكة ومن يقل منهم
اني اله من دونه اي الله اي غيره فذلك نجزيه جهنم كذلك

كما

كما جزيناه نجزي الظالمين مع انه تعالى اخبر عنهم بانهم لا يسبقونه
بالقول لا يأتون بقولهم الا بعد قوله وبانهم يخافون اي الملائكة
حال من ضمير يستكبرون ربهم من فوقهم حال منهم اي عاليا عليهم بالقهر
فكل ذلك خرج على سبيل الفرض والتقدير ولما انزلت هذه
الاية واذ اخذ الله ميثاق النبيين علم ان الله اوجب على جميع
ان يؤمنوا بمحمد لو كانوا في الاحيا وانهم لو تركوا ذلك فرضا
وتقديرا لصاروا في جملة الفاسقين حاشاهم فلان تكون
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا على اممهم من باب اولى
لانه اذا امر المتبوع بذلك فكيف بالتابع فكان صرف هذا الميثاق
الى الانبيا اقوى في تحصيل المقصود بالتعظيم له لشموله للامم
بالاحرورية بخلاف حمله على الامم وقال السبكي الكبير في رسالة
في رسالة صغيرة سماها التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه
في هذه الاية افاده انه عليه السلام على تقدير مجيئه اي
النبيين في زمانه يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة
لجميع الخلق من ادم الى يوم القيامة ويكون الانبيا واممهم كلهم من
امته مع بقا الانبيا على نبوتهم ويكون قوله عليه السلام في حديث
رواه الشيخان وغيرهما وبعثت الى الناس كافة قومي وغيرهم من
العرب والعجم لا يختص به الناس الكائنون من زمانه الى يوم القيامة
بل يتناول من قبلهم ايضا وذكر نحوه البارزي في توثيق عرى
الايمان وادعى بعض ان ما ذكره السبكي غريب لا يوافقه عليه من يعتقد به
والجمهور على ان المراد بالكافة ناس زمنه فمن بعده الى يوم القيامة
ودفعه شيخنا لما ذكرته له بانه لا ينافي كلام الجمهور الا اذا اريد التبليغ
بالفعل اما اذا اريد التبليغ بالبعث اتصافه بكونهم مامورين في الازل
بان يتبعوه اذا وجدوا كما هو صريح كلامه فلا يخالفه واحد فضلا عن الجمهور
وانما اخذ المواثيق على الانبيا ليعلموا انه المقدم عليهم وانه
نبيهم ورسولهم مع بقائهم على النبوة والرسالة ولذا لما اثنى على ربه
في المعراج قال ابراهيم بهذا افضلكم محمد وفي اخذ المواثيق خبر مقدم
وهي في معنى الاستحلاف بحا مهملة اي طلب اليمين فلذا ذلك لان
الميثاق لغة العهد ولذلك دخلت لام جواب القسم في لتؤمنن به
ولتنصرنه وجواب الشرط محذوف ان جعلت ما بمعنى الشرط محذوف
ان جعلت ما بمعنى الشرط وقرئ بفتح اللام اما على لما بكسرها وجعل
مصدرية فهو جواب القسم في واذ اخذ الله الخ لطيفة مبتدا وخبر
وهي كان نهاية ايمان البيعة التي تؤخذ للخلفا على الناس بالطاعة
ولعل ايمان الخلفا اخذت من هنا فانظر ذظر تدبر وتامل هذا
التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى فاذا

عرفنا هذا فالنبي صلي الله عليه وسلم نبي الانبيا اي مبعوث اليهم لاخذ
الميثاق عليهم بايمانهم به ان ادركوه فالمراد بالنبوة هنا الرسالة اي انه
رسول الي جميع الانبيا اي اوحي اليه بتبليغهم عن الله تعالي حتي لو اجتمع
بواحد منهم في زمانه كان مرسلا اليه مع بقائه علي رسالته ونبوته ولهذا
ظهر ذلك في الاخرة اي كونه نبي الانبيا جميع الانبيا بالرفع بدل من
ذلك او بيان له تحت لوائه كما قال في احاديث وظهر في الدنيا كذلك
ليلة الاسرا صلي بهم اماما ولو اتفق مجيئه في زمن ادم ونوح وابرهيم
وموسي وعيسي وباقي الانبيا والمرسلين وجب عليهم وعلي اممهم
الايمان به ونصرته وبذلك اخذ الله الميثاق عليهم فنبوته عليه السلام
عليهم ورسالته اليهم معني حاصل لهم في حياتهم وانما امره يتوقف
علي اجتماعهم معه فتاخر ذلك الامر راجع الي وجودهم لا الي عدم
اتصافهم بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل علي قبول المحل
وهو ذاته صلي الله عليه وسلم من حيث انها قابلة للرسالة بان يوحي
اليها وتوقفه علي اهلية الفاعل وهو من امر بالتبليغ لانه يتعلق به
من تبليغ ما امر به وبامر وينهي وهي ذاته فينطلق عليها محلا وفاعلا
باعتبارين فها هنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات
النبي الشريفة وانما هو من ذات جهة وجودا لعصر الزمن المشتمل
عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك ولهذا ياتي
عيسي في اخر الزمان علي شريعته اي نبينا بمعني انه مامور بالعمل
بها لكونه مامورا باتباعه وهو نبي كريم علي حاله لا كما يظن بعض
الناس انه ياتي واحدا من هذه الامة ليس متصفا بنبوته وحذف
هذه الصفة تادبا قال السيوطي وسبب هذا الظن تخيله ذهاب هذه
النبوة اي صفة النبوة منه وهو فاسد لانه لا يذهب ابدا ولا بعد
موته نعم هو واحد من هذه الامة لما قلنا من اتباعه للنبي
وانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم بالقران
والسنة واخذه لها من النبي صلي الله عليه وسلم بلا واسطة لانه
اجتمع به غير مرة فلا مانع انه تلقي منه احكام شريعته المخالفة لشرع
الانجيل لعلمه بانه ينزل في امته ويحكم فيهم بشرعه والي هذا اشار جملة
من العلما او يتلقاها عنه اذا نزل لانه يجتمع به في الارض كما صرح به في
احاديث فلا مانع انه ياخذ عنه ما احتاج اليه من احكام شرعه ذكره
السيوطي وتقدم له مزيد في خصايص الامة وكلما ما فيهما من امر
ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة من حيث كونه مامورا
بهما كغيره وفي نسخة لا كما يتعلق بلا النافية اي لان تعلقه به قطعي
من حيث انه اذا اجتهد في اخذ شي منهما كان قطعيا مطابقا للواقع
بخلاف اخذ غيره من الامة فظني قد لا يصيب فيه وهو نبي كريم

حاله

حاله لم ينقص منه شي اذ النبوة لا تذهب بالموت فكيف عن هو حي وكذلك
لو بعث النبي صلي الله عليه وسلم في زمانه او في زمان موسي وابرهيم
ونوح وادم كانوا مستمرين علي نبوتهم ورسالتهم الي اممهم والنبي صلي
الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول الي جميعهم فنبوته ورسالته اعم
واشمل واعظم لكونها للانبيا والامم جميعا بخلاف غيره فكل الي امته
وتتفق مع شرايعهم في الاصول لانها لا تختلف كما قال تعالي شرع لكم
من الدين ما وصي به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم
وموسي وعيسي ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وقال صلي الله عليه وسلم
في حديث والانبيا اولاد علات امهاتهم شتي ودينهم واحد رواه الشيخان
وعلات بفتح المهملة وشد اللام وفوقية اي ضرايرمن رجل واحد
وتقدم شريعته فيما عساه يختلف او يقع الاختلاف فيه من
الفروع اما علي سبيل التخصيص واما علي سبيل النسخ او لا نسخ
ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلي الله عليه وسلم في تلك
الاوقات بالنسبة الي اوليك الامم ما جات به انبياوهم وفي
هذا الوقت بالنسبة الي هذه الامة هذه الشريعة التي
جا بها اليها عليه السلام والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص
والاوقات كعادم الما المرض او سفر فرضه التيمم واعترض بان
النصوص العقلية والنقلية ناطقتان بخلافه كقوله تعالي انا اوحينا اليك
كما اوحينا الي نوح والنبيين من بعده وما في معناها من الايات والانبيا
مع تعظيمهم له ومحبتهم ليسوا مكلفين باحكام شرعه والا لم يكونوا اصحاب
شرع فالمحبة والتعظيم معني والتعبد بشرعه معني اخر ولا عبرة بظنهما
امرا واحدا وقوله ليومنن به دون شرعه منا د عليه فما تبجح به السبكي
واستحسنه هو ومن بعده لا وجه له عند من له ادني بصيرة نقاده وليس
يتاتي ما قاله مع قوله تعالي ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه
وقد طلب موسي ان يكون من امته فاجابه الله بقوله استقدمت وتاخرت
ولكن ساجمع بينك وبينه في دار الجلال انتهي وتعسفه لا يخفي فان قوله
ذلك من جملة مدخول لو في قوله لو بعث في زمان عيسي او موسي الي اخره
فسقط جميع ما قاله ومن اقوي تعسفه قوله ليسوا مكلفين باحكام شرعه
فانه لم يدع تكليفهم به بل ان شرايعهم علي تقدير وجوده في ازمانهم
شرع له فيهم وبهذا بان ظهر واتضح لنا معني حديث كان
خفيا اي بعد اذ ركها عنا احدهما قوله صلي الله عليه وسلم بعثت
الي الناس كافة كما نظن انه من زمانه الي يوم القيامة فبان انه
جميع الناس اولهم واخرهم والثاني قوله صلي الله عليه وسلم
كنت نبيا وادم بين الروح والجسد رواه احمد والبخاري في التاريخ
وابو نعيم وغيرهم كنا نظن انه بالعلم فبان انه زايد علي ذلك

علي ماشرحناه يعني بقوله او لانه قد جا ان الله تعالى خلق الارواح قبل
الاجساد فقد يكون قوله كنت نبيا اشارة الي روحه او حقيقة من الحقايق
والحقايق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن امده بنور
الهي ويوتي الله كل حقيقة منها ما يشا في الوقت الذي يشا فحقيقته صلي
الله عليه وسلم قد تكون من خلق ادم اتاها ذلك الوصف بان يكون خلقها
متهية لذلك وافاضها عليها من ذلك الوقت فصار نبيا فحقيقته موجودة
من ذلك الوقت وان تاخر جسده المتصف بها الي ان قال فقد علم ان من
فسره بعلم الله بانه سيصير نبيا لم يصل الي هذا المعني لان علمه محيط بجميع الاشيا
ووصفه صلي الله عليه وسلم بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي ان يعلم منه امر
ثابت له في ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية له لاجلها اخبر بهذا
الخبر ليعرف قدره عند الله انتهي وانما يفترق الحال بين ما بعد وجوده
جسده الشريف بلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الي المبعوث
اليهم وتاهلهم لسماع كلامه لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا
قبل ذلك وتعليق الاحكام علي الشروط قد يكون بحسب المحل القابل
وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فههنا التعليق انما هو بحسب
المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد
الشريف الذي يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل الاب رجلا في تزويج
ابنته اذا وجدت كفوا فالتوكيل صحيح وذلك الرجل اهلا للوكالة
ووكالته ثابتة وقد يحصل التوقف اي توقف التصرف الاطهر
في التعبير بقوله والتصرف متوقف علي وجود الكفو ولا يوجد الا بعد مدة
وذلك لا يقدح في صحة الوكالة واهلية التوكيل وهذا المثال ظاهر في
حديث بعثت الي الناس كافة انتهي كلام السبكي في رسالته وهي نحو ورقتين
كما ذكر المصنف سوابسوا فمن كتب علي قوله والا وقات الي هنا انتهي كلام
السبكي لم نقف علي رسالته فترجم بالغيب والله اعلم النوع الثالث في
بيان ما يدل علي وصفه تعالى له صلي الله عليه وسلم بالشهادة علي
وحدانية الله وغيرها مما ياتي في انا ارسلناك شاهدا وشهادته
تعالى له بالرسالة اي اخباره بذلك فالشهادة خبر قاطع كما في القاموس
وغيره قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم واسمعيل عليهما السلام
اي ما وقع منهما من الالفاظ الحادثة المنزلة علي المصطفي وايجادها متاخر
عن بعثته فلا يرد ان كلامه تعالى قديم سابق علي قولهما فكيف يكون حكاية
لما قالاه عند تمام بنا البيت اذ الدعا انما كان بعد ان فرغا من بنايه الحرام
اي الكعبة واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل
منا انك انت السميع للقول العليم بالفعل ربنا واجعلنا مسلمين منقادين
لك ومن ذريتنا اولادنا امة جماعة مسلمة لك ومن للتبعيض وانيٰ
به لتقدم قوله له لا ينال عهدي الظالمين وارنا علمنا مناسكنا شرايع

عبادتنا وحجنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم سالاه التوبة مع
عصمتهما تواضعا وتعليما لذريتهما ربنا وابعث فيهم اي اهل البيت رسولا
منهم من انفسهم يتلوا عليهم اياتك القران ويعلمهم الكتاب القران والحكمة
ما فيه من الاحكام ويزكيهم يطهرهم من الشرك انك انت العزيز الغالب
الحكيم في صنعه فاستجاب الله دعاها بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا
منهم وبعث في اهل مكة رسولا منهم بهذه الصفة من ولد اسماعيل
الذي دعا مع ابيه ابراهيم عليهما السلام بهذا الدعا افاد ان المبتدي
بالدعا ابراهيم فوافقه اسماعيل فلذا اخص ابراهيم في الخبر الاتي لكونه
المبتدي به ومن زعم ان الدعا كان من ابراهيم وضم اليه اسماعيل لمشاركته له
في الدعا بنا مسند عليه او غيره فاسد لان التامين من خصوصية هذه الامة
كما مر في الخصايص قال صلي الله عليه وسلم واعطيت امين ولم يعطها احد ممن
كان قبلكم الا ان يكون الله اعطاها نبيه هرون فان موسي كان يدعو الله ويومن
هرون رواه ابن مردويه وغيره فان قلت من اين علم ان الرسول هنا المراد
به محمد صلي الله عليه وسلم فالجواب من وجوه ثلاثة احدها اجماع
المفسرين ولهم حجة قوية الثاني قوله عليه السلام في حديث اخرجه
الطيالسي والحارث والديلمي وابن عساكر انا دعوة ابي ابراهيم
اي صاحب دعوته اذ لا يصح الاخبار بالمصدر وبشارة اخي عيسي وفي
رواية ابن عساكر وكان اخر من بشر بي عيسي بن مريم وفايدة اخبار
المصطفي بذلك بعد علمه ثبوت وقوعه مقدرا له ذلك في الازل التنويه بشرفه
وكونه مطلوب الوجود داعيا الي الايات معلما للكتاب والحكمة مطهرا للناس
من الشرك معروفا عند جميع الانبيا قالوا الليس مراده التبري بل الحكاية عن كل
العلما وارادا بالدعوة هذه الاية وخصه لانه المبتدي كما مر وبشارة
عيسي هي هكذا في النسخ الصحيحة خبر بشارة وفي نسخة سقيمة
وهي بزيادة واو ولا يحسن عطف بشارة علي قوله هذه الاية لان المعني
عليه يصير حاصله اراد ببشارة عيسي بشارة عيسي ولا يخفي ما فيه
ما ذكر في سورة الصف من قوله تعالى ومبشرا برسول ياتي من
بعدي اسمه احمد سماه به لانه مسمي به في الانجيل ولانه ابلغ من محمد
سماه به لانه به لانه مسمي به في الانجيل ولانه ابلغ من محمد بشر عيسي قومه
بذلك ليومنوا به عند مجيه او ليكون معجزة عند لعيسي عند ظهوره الثالث
ان ابراهيم انما دعا بهذا الدعا بمكة لذريته الذين كانوا بها
وما حولها ولم يبعث الله تعالى الي من بمكة من ذرية ابراهيم واسماعيل
الا محمد صلي الله عليه وسلم فتعين انه المراد وقد امتن وفي نسخة
من وهما بمعني انعم مطلقا او علي من لا يطلب ويكون بمعني بعد اذ النعم
علي المومنين ببعث النبي صلي الله عليه وسلم منهم علي هذه
الصفة فقال لقد من انعم الله علي المومنين ولا يجد المن الا من الله

تعالى لانه عند بذكر العبد فيبعثه على الشكر فيثيبه ومن الخلق قبيح .
مطلقا ولذا قال النبيه ولا تمنن تستكثر فالمن حرام عليه مكروه لغيره .
وقيل بحرمته ايضا اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من جنسهم يعرفون حاله
وانه ما قرا ولا درس وقد جاءه العلم دفعة فقص سير الاولين والاخرين
على ما هي عليه فيعلم العاقل انه امر خارق من عند الخالق وكذلك ابلاغ من
ظهر رجحته ووضوح معجزته فكيف يليق ان يجعل المقتضي مانعا فيجحد ولذا
ويجحدون قاله ابن المنيرفي تفسيره يتلوا عليهم اياته القران ويزكيهم
يطهرهم من الذنوب ويعلمهم الكتاب القران الاية بالنصب اي اقرا او
اذكر فلذلك لله تعالى منة على المومنين اعظم من ارسال محمد صلى
الله عليه وسلم يهدي الى الحق الاسلام او العقايد والى طريق مستقيم من
من الشرايع وانما كانت النعمة على هذه الامة بارساله اعظم النعم لان النعمة
به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا والاخرة وكمل بسببها دين الله تعالى
احكامه وفرايضه الذي رضيه اختاره لعباده كما قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقوله من انفسهم يعني انه بشر
مثلهم وانما امتاز عليهم بالوحي لا ملك ولا عجمي وقرى في الشواذ من انفسهم
بفتح الفا يعني من اشرافهم واذا كان من اشرافهم كان منهم ضرورة لانهم
من بني هاشم وبنو هاشم افضل قريش وقريش افضل العرب والعرب افضل
من غيرهم وقد مر تفصيل ذلك في المقصد الاول وكذا قرى لقد جاكم رسول
من انفسكم بفتح الفا كما مر ايضا ثم قيل لفظ المومنين عام ومعناه خاص في العرب
لان المومنين المراد المومنون منهم وفي الطرفية تسمح اذ التخصيص انما هو بكون
المومنين من العرب لا بكون المومنين فيهم ولو من غيرهم ويمكن تعلق في العرب بمقدر
كدليل يكون معناه خاصا اي وانما كان مخصوصا بالعرب لان بعثته فيهم ويحتمل
تعلقه بمعناه بجوز لا حقيقة اذ العموم والخصوص من عوارض الالفاظ دون
المعنى لانه ليس حي من احيا العرب الا وقد ولده بفتحات اي له عليه ولادة اما
بكونه جده او جدا وفي البغوي قيل اراد العرب لانه ليس حي منهم الا وله فيهم نسب
الا بني تغلب دليله هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم وقيل اراد جميع المومنين
ومعنى قوله من انفسهم بالايمان وخص المومنين بالذكر من ان نعمة البعثة
عامة لانهم المنتفعون به اكثر فالنعمة عليهم اعظم فلا ينافي قوله وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فان قلت هل العلم بكونه صلى الله عليه وسلم بشرا من العرب
شرط في صحة الايمان وهو من فروض الكفاية على الا بوين مثلا فاذا علم احدهما
ولده الميز ذلك سقط طلبه عن الاخر اجاب الشيخ ولي الدين احمد بن عبد
الرحيم العراقي الحافظ ابن الحافظ انه شرط في صحة الايمان فلو قال شخص
او من برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى جميع الخلق لكن لا ادري هل هو من
البشر او من الملايكة او من الجن او لا ادري اهو من العرب او العجم فلا شك في
كفره لتكذيبه القران كقوله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم

وقال

وقال تعالى ولا اقول اني ملك وجحد ما تلقته قرون الاسلام خلفا عن
سلف وصار معلوما بالضرورة عند الخاص والعام ولا اعلم في
ذلك خلافا فلو كان غبيا بعجمة توحدته جاهلا قليل الفطنة لا يعرف ذلك
وجب تعليمه اياه فان جحده اي المعلوم بالضرورة بعد ذلك حكمنا بكفره
لان انكاره كفر اما انكار ما ليس ضروريا فليس كفرا ولو جحده بعد التعليم على ما
اقتضاه شرح البهجة شيخ الاسلام زكريا انتهى جواب الولي وتعقبه بعض
شراح مسلم بقول الحليمي في منهاجه الايمان به صلى الله عليه وسلم اي التصديق
بانه رسول الى الانس والجن الى قيام الساعة يتضمن الايمان بجميع الانبيا والمرسلين
فلذا اكتفى به في المقارنة للايمان بالله تعالى ومن امن به صلى الله عليه وسلم
وقال لا ادري اكان بشرا ام ملكا ام جنيا لم يضره ذلك اذ كان ممن لم يسمع شيا
من اخباره سوى انه رسول الله كما لو لم يعلم انه كان شابا او شيخا مكيا او عراقيا
عربيا او عجميا لان شيا من ذلك لا ينافي الرسالة لامكان اجتماعها بخلاف ما لو قال
امنت بالله ولا ادري اجسم هو ام لا لان الجسم لا يكون ربا يمكن ان يكون الها فتبين بذلك
ان معرفته صلى الله عليه وسلم ليست شرطا في صحة ابتدا الايمان وانما هي واجبة
بعد ذلك لاجل ان لا يقع في شي مما ينقص مقامه الشريف قلبيا ملخصا انتهى فان قلت
هل هو عليه السلام باق على رسالته الى الان بعد الموت الى الابد اجاب
ابو المعين ميمون بن محمد بن سعيد بن مكحول النسفي الحنفي صاحب التبصرة
في علم الكلام والتمهيد لقواعد التوحيد وغيرهما وهو غير صاحب الكنز عبد الله
ابن احمد وغير صاحب التفسير عمر بن محمد وغير صاحب العقايد البرهان محمد بن
محمد وكلهم حنفيون من نسف بفتح النون والمهملة وبالفا مدينة بما ورا النهر
بان الاشعري قال انه عليه الصلاة والسلام الان في حكم الرسالة
وحكم الشي يقوم مقام الشي الا ترى ان العدة تدل على ما كان من
احكام النكاح انتهى قضيته ان وصفه بانه رسول انقطع بموته لكن بقا حكمها
نزل منزلة بقايها فهي باقية حكما لا حقيقة وقال غيره ان النبوة
والرسالة باقية كل منهما ولاتحادهما في صفة الايمان كانها شي واحد
او بنا على اتحادهما فلا يرد ان الاولى للمطابقة باقيتان بعد موته عليه السلام
حقيقة كما يبقى وصف الايمان للمومن بعد موته لان المتصف بالنبوة
والرسالة والايمان هو الروح وهي باقية لا تتغير بموت البدن
باجماع انتهى وتعقب هذا التعليل بان الانبيا احيا في قبورهم
كما صرحت به الاحاديث فوصف النبوة باق للجسد والروح معا اي
الاتصاف بالنبوة مع الرسالة وان انقطع العمل بشرايعهم سوى شريعة نبينا
صلى الله عليه وسلم عليهم وقال القشيري كلام الله تعالى النفسي
الازلي لا الالفاظ الدالة عليه لمن اصطفاه ارسلتك او بلغ عني
وكلامه تعالى قديم فهو عليه السلام قبل الوجد كان رسولا بقوله
ارسلتك او بلغ عني وفي حال كونه اي وجوده خارجا بعد تكوينه وايجاده

رسولا وان تاخر الامر بالتبليغ الي بعد الوحي وتقدم تقريبه بان من اقر لولده
الصغير بشي يصح ان يقال اعطاه ذلك الشي مع ان الصبي في هذه الحال ليس اهلا
للتصرف وفي نسخة وفي حال موته وعليها يكون ساكتا عن حاله وجوده للعلم به
والي الابد رسولا لبقاء الكلام د قدمه واستحالة البطلان علي الارسال
الذي هو كلام الله تعالي وهذا ظاهر علي ما هو الراجح من ان كلامه تعالي
الازلي يتنوع حقيقة الي امر ونهي وخبر واستخبار وغير ذلك ونقل السبكي
في طبقاته عن ابن فورك بضم فسكون انه عليه السلام حي في قبره رسول
الله ابد الاباد اي في جميع الازمنة الصادق بما بعد موته الي قيام الساعة
علي الحقيقة لا المجاز لحياته في قبره يصلي فيه باذان واقامة قال ابن عقيل
الحنبلي ويضاجع ازواجه ويستمتع بهن اكمل من الدنيا وحلف علي ذلك وهو
ظاهر ولا مانع منه قال تعالي هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم
نسبا محمدا صلي الله عليه وسلم يتلوا عليهم اياته القران ويزكيهم يطهرهم من
الشرك ويعلمهم الكتاب القران والحكمة ما فيه من الاحكام وان مخففة من
الثقيلة واسمها محذوف اي وانهم كانوا من قبل قبل مجيئه لفي ضلال مبين بين
والمراد بالاميين العرب سمي بذلك لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن وكانت الكتابة
معدومة فيهم الا نادرا لا حكم له ثم اطلق علي من كتب منهم ومن لم يكتب تغليبا
والامي هو الذي لا يكتب ولا يقرا الخط وان قرا ما حفظه بالسماع من غيره
وقيل الذي لا يقرا ولا يكتب فتبين الهمم علي قدر هذه النعمة وعظمها
حيث لا انوار الكتاب لهم وليس عندهم شي من اثار النبوة لا يرد انه كان
عندهم بقايا من شرع ابراهيم كالحج والغسل من الجنابة لانهم لما اشتغلوا عنها بعبادة
الاصنام وغيروا البقايا عن وجهها كانها لم تكن عندهم كما كان عند اهل الكتاب
بقايا قليلة فمن الله عليهم ببعث الرسول وبعث الكتاب حتي صاروا
افضل الامم اي الذين امنوا منهم وفي كونه عليه الصلاة والسلام
منهم فايدتان احداهما ان هذا الرسول كان ايضا اميا كالامة المبعوث
اليهم لم يقرا ولا يكتب لم يقرا كتابا قط ولم يخطه يكتبه بيمينه كما
قال تعالي وما كنت تتلو تقرا من قبله اي الكتاب المذكور وغير قوله
وكذلك انزلنا عليك الكتاب اي القران من كتاب ولا تخطه بيمينك الجارحة
التي تكتب بها وذكرها زيادة تصوير علي لا نفي عنه من الكتابة ولا خروج
عن ديار قومه عطف علي قوله لم يقرا اي خروجا يقتضي تعلم شي من غيره
كما افاده قوله فاقام عند غيرهم حتي تعلم منهم فلا يرد خروجه مع عمه
وفي تجارة خديجة لانه لم يقم فيها اقامة تقتضي التعلم منهم بل لم يزل
اميا بين امة طايفة امية لا تقرا ولا تكتب كيوم ولدته امهاتها علي جبلتها
وتطرف من قال
من العجايب لا شيبا لي امرد عمي خالي وابي امي لا يكتب
لا يكتب ولا يقرا حتي بلغ الاربعين من عمره ثم جا بعد ذلك اي احضر

او ظهر او بعث بهذا الكتاب المبين اسم فاعل من ابان بمعني البين الواضح
او بمعني المظهر للشرايع وما فيها والموضح لها وهذه الشريعة الباهرة
الغالبة الفاضلة علي غيرها من الشرايع وهذا الدين القيم هو ابلغ من
المستقيم باعتبار الوزن لانه صفة مشبهة تدل علي الثبوت والدوام والمستقيم
ابلغ باعتبار صيغته الدالة علي الطلب فكانه نفسه الذي يطلب قوامه الذي
اعترف حذاق الارض ونظارها انه لم يقرع اي يصل العالم ناموس رسول
صاحب شريعتهم ما جا به عن الله اعظم منه وفي هذا برهان عظيم علي صدقه
وامتنانه فنا عظيم الفايدة الثانية التنبيه علي ان المبعوث منهم وهم
الاميون خصوصا اهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وامانته
وعفته وانه نشا بينهم معروفا بذلك وانه لم يكذب قط فكيف كان
يدع اي يترك الكذب علي الناس ثم يفتري يقول الكذب علي الله
عز وجل من تلقا نفسه هذا هو الباطل والاستفهام انكاري وهذا
سال هرقل بكسر الها وفتح الرا واسكان القاف علي المشهور لا ينصرف للعلمية
والعجمة وحكي الجوهري وغيره سكون الرا وكسر القاف عن هذه الاوصاف
واستدل بها علي صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة فقال له
سالتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها
وسالتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لا فقد اعرف
انه لم يكن ليذر الكذب علي الناس ويكذب علي الله الي ان قال وسالتك بما يامركم
ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويامركم
بالصلاة والصدق والعفاف فان كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين
وقد قال الله خطابا له خطاب شفقة وتسلية قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون واستشكل
ظاهره لان كذب القول يستلزم كذب قايله الا ان يكون ناقلا غير ملتزم للصحة
والنبي صلي الله عليه وسلم انما ذكره انه حق من عند الله واجيب بان المراد
ليس قصدهم تكذيبك لانك عندهم موسوم بالصدق وانما يقصدون تكذيبي
والجحود باياتي ولا يعتقدون تكذيبك وانما ينسبون الكذب لما جيت به عنادا
او لا يقولون انك تعاد الكذب لكنا ننكر النبوة فلا يلزم ان تكون كذابا او انك
غير متعمد للكذب بل تخيلت امرا باطلا فالتكذيب المنفي بالنسبة لا فعاله وتعمده
فلا يكون عيبا قيل وهذا احسن التاويلات وقيل لا يجمعونك بالتكذيب
وقيل لا يكذبونك في السر ونقل ابن الجوزي عن قتادة لا يكذبونك بحجة بل بهتانا
وعنادا وقال عياض معني هذه الاية منزع لطيف الماخذ من تسليته تعالي له
صلي الله عليه وسلم والطافه في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم
غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وكانوا يسمونه قبل النبوة
الامين فدفع عنه بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم
بتسميتهم جاحدين ظالمين فحاشاه من الوصم وطوقهم بالمعاندة بتكذيب

الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا انتهى ويروى ان رجلا هو الحارث
ابن عامر بن نوفل كما عند النسائي عن ابن عباس وروى ابن جرير من طريق
العوفي عن ابن عباس ان اناسا من قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ان نتبعك نتخطف الناس فنزلت وقالوا ان نتبع الهدى الاية فاهل الحارث هو
المبتدي قالوا والله يا محمد ما كذبتنا قط فنتهمك ولكنا ان نتبعك نتخطف
من ارضنا فنزلت هذه الاية ظاهره ان المراد فانهم لا يكذبونك وقد علم
من رواية النسائي وابن جرير انها وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا
رواه ابو صالح مشهور بكنيته واسمه ميزان البصري مقبول من اواسط التابعين
خرج له الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن مقاتل كان الحارث
ابن عامر بن نوفل بن عبد مناف ووقع في الانوار تسمية ابيه عثمان وهو
خلاف الروايات انه عامر يكذب النبي صلى الله عليه وسلم في العلانية
فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب ووقع في الانوار انه
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك
وخالفنا العرب وانما نحن اكلة راس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم
بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا وروى ان المشركين كانوا اذا راوه عليه
الصلاة والسلام قالوا انه لنبي ويتعللون بالانفة عن اتباعه حتى لا يكونوا
تابعين ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وروى الترمذي والحاكم
عن علي قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جيت به وفي نسخة مصححة من الشفا ما جيت بدون
البا فانزل الله تعالى الاية لفظ روايتهما فانزل الله تعالى فانهم
لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون والمعنى انهم ينكرونه
مع العلم بصحته اذ الجحد لغة كما صرح به الجوهري والمجد وغيرهما هو
الانكار مع العلم فهو محض عناد وبغي فان قلت فما الجمع بين هذا
فانهم لا يكذبونك وبين قوله تعالى تلو هذه الاية ولقد كذبت رسل من
قبلك الاية فان مفادها انهم كذبوا لانها تسلية له اذ قوله فصبروا على
ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا معناه فاصبر كما صبروا حتى ياتيك
نصرنا باهلاك من كذبك كما اهلكنا من كذب الرسل من قبلك ولا مبدل لكلمات الله
ولقد جاءك من نبا المرسلين اي ما فيه تسلية لك قيل كان الاولى المعارضة بقوله
تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك لصراحتها في التكذيب دون هذه
ورده شيخنا تقريرا بان ما سلكه المصنف اولى لان هذه الاية صرح فيها بالقضية
الشرطية فلا تستلزم التكذيب بالفعل بخلاف ولقد كذبت تستلزمه اجيب بانه
اي التكذيب الصادر منهم على طريق الجحد لعلمهم بصدقه وكذبوه عنادا واستكبارا
عن الاتباع فهم مصدقون في نفس الامر وان كذبوا ظاهرا وهو يختلف باختلاف
احوالهم في الجهل فمنهم من وقع منه ذلك لجهله لا جحدا فحيث علم

امن

امن ومنهم من علم وانكر كفرا وعنادا كابي جهل فيكون المراد
بقوله فانهم لا يكذبونك قوما مخصوصين منهم وهم الذين كانوا جهلا
ثم امنوا والمكذبون عنادا وهم المصدقون باطنا لا كلهم وحينئذ لا
تعارض بين الايتين وفي الشفا من قرا لا يكذبونك بالتخفيف معناه لا يجدونك
كاذبا وقال الفرا والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على كذبك ولا
يثبتونه ومن قرا بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى الكذب وقيل لا يعتقدون
كذبك انتهى ونزله مزيد ومما روي ان ابا جهل لقيه النبي صلى الله عليه
وسلم في بعض فجاج مكة فصافحه فقيل له اتصافحه واتت تعاديه
فقال والله اني لاعلم انه نبي ولكن متى كنا تبعا لبني عبد مناف
فانزل الله الاية فانهم لا يكذبونك والجمع بين هذا وحديث علي انه
صافحه وقال له انا لا نكذبك الخ وقال لسائله والله اني الخ رواه ابن
ابي حاتم ونقل البغوي وغيره عن السدي قال التقى الاخنس بن شريق
وابا جهل بعد ذلك ابو جهل فقال يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام
كاذب فانه ليس هنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا
لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللوا والسقاية والحجابة
والنبوة والندوة فماذا يكون لساير قريش فانزل الله هذه الاية وفي
الشفا يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل
فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال له انهم يعلمون انك صادق فانزل الله
هذه الاية قال السيوطي لم اجد هذا والقران كله مملو بالايات
الدالة على صدق هذا الرسول الكريم وتحقق رسالته
ثبوتها وكيف استفهام انكاري على من ينسب الكذب للنبي اي لا يليق
بكمال الله تعالى ان يقر من يكذب عليه اعظم الكذب مع قوله
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ويخبر عنه بخلاف ما الامر عليه
ثم ينصره على ذلك ويؤيده ويقويه ويعلي كلمته ويرفع شانه
امره ويجيب دعوته اي حسبها ويهلك عدوه ويظهر على
يديه من الايات والبراهين والادلة الفاظا متقاربة ما يضعف
عنه قوى البشر وهو مع ذلك كاذب عليه مفتر ساع في الارض
بالفساد ومعلوم ان شهادته اطلاعه سبحانه على كل شيء كما قال وهو
على كل شيء شهيد وقدرته على كل شيء وحكمته وعزمه وكماله
المقدس المطهر عما لا يليق به تابى ذلك كل الاباء بشدة لا امتناع
ومن ظن ذلك لوجوزه عليه فهو من ابعد الخلق عن معرفته
ان عرف منه بعض صفاته لصفة القدرة وصفة المشيئة اي ان
جميع الناس يدركون كثيرا من صفاته ويقرون بها وكذا من عرف شيئا منها
ان يعترف بما ظهر له من الادلة باتصافه صلى الله عليه وسلم بجميع صفات
الكمال اللايقة بالانبيا والقران كله مملو من هذه الطريق

وبهذه طريقة الخاصة بل خاصة الخاصة الذين يستدلون بالله
اي بذاته وصفاته على افعاله وما يليق به ان يفعله وما لا يفعله
ويبني الحكم مقصورا على الذات من غير اعتبار صفة زايدة عليها كما تقول
المعتزلة وانه ينادي على ذلك ويبديه ويعيده لمن له فهم
وقلب واع عن الله تعالى يتفكر به في حقايقه فالمتمتع بالقران المتاهل
لامره ونهيه هو الجامع بين الحفظ والفهم وانقياد النفس في تامل الفاظه
ومعانيه قال تعالى ولو تقول الرسول الكريم علينا بعض الاقاويل
بان قال عنا ما لم نقله لاخذنا لنلنا منه عقابا باليمين بالقوة والقدرة
ثم لقطعنا منه الوتين نياط القلب وهو عرق متصل به اذا انقطع مات
صاحبه فما منكم من احد هو اسم ما ومن زايدة لتاكيد النفي ومنكم حال
من احد وهو في الاصل نعت فلما قدم عليه اعرب حالا عنه حاجزين مانعين
خبر ما وجمع لان احدا في سياق النفي بمعنى الجمع وضمير عنه للنبي اي لا مانع
لنا عنه من حيث العقاب افتراه سبحانه يخبر انه كماله وحكمته وقدرته
تابى ان يقرض يقول من تقول عليه بعض الاقاويل ثم يقر من
يكذب عليه لا بل لا بد ان يجعله عبرة لعباده كما جرت بذلك سنته
عادته في المتقولين عليه فذلك دليل على صدقه صلى الله عليه وسلم
وقال تعالى ام بمعنى بل يقولون افترى على الله كذبا بنسبة القران
الى الله فان يشا الله يختم على قلبك ههنا انتهى جواب الشرط
وهو فان يشا الله والمقصود به كما في البيضاوي استبعاد الافترا عن مثله
بالاشعار على انه انما يجترى من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه واما من كان
ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشا الله خذلانك تجترى بالافترا
عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القران والوحي عنه او يربط عليه بالصبر
عليه فلا يشق عليه اذاهم انتهى ثم اخبر خبرا جازما غير معلق
انه يمحو الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور فهو كما في
البيضاوي استيناف لنفي الافترا عما يقول بانه مفترى لمحقه اذ من عادته
تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضايه لا مرد له وقال الله تعالى
وما قدروا الله حق قدره او ما عظموه حق عظمته او ما عرفوه حق
معرفته اذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وقد خاصموه في القران
ما انزل الله على بشر من شي قال ابن عباس قايل ذلك اليهود وقال
ابن عباس مجاهد مشركوا قريش وقال السدي فنحاص اليهودي وقال سعيد
ابن جبير مالك بن الصيف اخرجها ابن ابي حاتم فاخبر ان من نفى عنه
الارسال والكلام لم يقدره حق قدره ولا عرفه كما ينبغي ولا
عظمه كما يستحق من الرحمة والانعام على العباد فان الوحي والبعث من
عظايم رحمته وجلايل نعمته او ما قدروه في السخط على الكفار والبطش
وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة فكيف من ظن انه يصير

الكاذب المفتري عليه ويويده وينصره ويظهر على يديه الايات والادلة
وهذا لتعظيمه اي تعظيمه صلى الله عليه وسلم بالايات الدالة على كماله في
القران كثير وذلك لانه يستدل بزيادة السين والتاء اي يدل تعالى
خلقه بكماله المقدس واوصافه وجلاله على صدق رسوله فيما جا به
وعلى وعده ووعيده مثلا قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم
الذي خلقكم دل بكونه خالقا للناس منعما عليهم بجعل الارض فراشا والسما
بنا الى اخره على ان من قدر على ابتدا هذه الاحوال لا يعجز عن بعثهم بعد
فنا اجسادهم ومن لازم ذلك صدق الرسول في اخباره عن الله بالبعث
والاعادة ويدعوا عباده الى ذلك اي تصديقه فيما جا به عليه السلام
او الاشارة راجعة للصدق بتقدير مضاف اي الى اعتقاد صدق رسوله
وقال تعالى لمن طلب اية تدل على صدق رسوله مثل ناقة صالح
وعصى موسى ومايدة عيسى وهم الذين قالوا لولا انزل عليه اية من ربه
فرد عليهم بقوله قل انما الايات عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم فيما
طلبوا انا انزلنا عليك الكتاب القران يتلى عليهم فهو اية مستمرة لا
انقضا لها بخلاف ما ذكر من الايات عند الله وانما انا نذير مبين ان في
ذلك الكتاب لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى عظة لقوم يومنون لمن
همه الايمان دون التعنت وروى ابن جرير وابن ابي حاتم والدارمي عن يحيى
ابن جعدة قال جا ناس من المسلمين بكتب قد كتبوها فيها بعض ما سمعوه من
اليهود فقال النبي صلى الله عليه وسلم وسلم كفى بقوم ضلالة ان يرغبوا عما جا به
نبيهم اليهم الى ما جا به غيره الى غيرهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا الاية
قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي وقد صدقني بالمعجزات
او بتبليغ ما ارسلت به اليكم ونصحي ومقابلتكم اياي بالتكذيب والتعنت
يعلم ما في السموات والارض فلا يخفى عليه حالي وحالكم والذين امنوا
بالباطل وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله منكم اولئك هم
الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان فاخبر سبحانه
ان الكتاب الذي انزله يكفي من اي بدل كل اية لا انقضا بها بخلافه
ففيه الحجة والدلالة على انه من الله تعالى وان الله سبحانه
ارسل به رسوله وفيه بيان ما يوجب لمن اتبعه السعادة وينجيه
من العذاب بقوله ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يومنون قل كفى بالله
بيني وبينكم شهيدا يعلم ما في السموات والارض فاذا كان سبحانه
عالما بجميع الاشيا المعبر عنها بما في السموات والارض كانت شهادته
اعظم شهادة واعدلها فانها شهادة بعلم تام
محيط بالمشهود به بخلاف شهادة غيره فليس لها هذا الوصف اذ قد يخفى
على ما يمنعه من هذه الشهادة بما شاهده علمه وهو سبحانه وتعالى
يذكر علمه عند شهادته فهذا حكمه فقوله يعلم ما في السموات والارض

كانت شهادته اعظم شهادة واعدلها فانها شهادة
تام محيط بالمشهود به بخلاف شهادة غيره فليس لها هذا الوصف اذ قد
يخفى عليه ما يمنعه من هذه الشهادة بما شاهده لو علمه وهو سبحانه وتعالى
يذكر علمه عند شهادته فهذا حكمه قوله يعلم ما في السموات والارض
بعد قوله شهيدا مع انه مقطوع بتحقق الحصول عند كل احد ويذكر قدرته
وملكه عند مجازاته لافادته انه لا يعجزه شي وحكمته عند خلقه
وامره ورحمته عند ذكر ارسال رسله وحلمه عند ذنوب عباده
تنبيها لهم على التوبة وان لا يقنطوا فتامل ورود اسمايه الحسنى في
كتابه وارتباطها بالخلق والامر والثواب والعقاب يظهر لك
من اسرارها العجب العجاب وحاصله ان من عادته تعالى اذا ذكر امرا تقصر
عن ادراكه العقول ذكر انه انما اخبر عنه بعلم تام وقدرة كاملة فليس اخباره
عن شي كاخبار بعض البشر عما شاهده لانه قد يخفى عليه ما يمنعه الشهادة
لو علمه او من المجازاة عليه وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه بتيسير اطلق له لانه من اسبابه وقيد به
اشارة الى انه امر صعب لا يتاتى الا بمعونته تعالى قاله البيضاوي وغيره
وقال العز بن عبد السلام في مجاز القران اذنه مشيته وارادته لان الغالب
في الاذن ان لا يقع الا بمشيته واعتبار الملازمة الغالبة مصحح المجاز او بامر
التكوين فان الامر ملازمه مشية الامر غالبا وقال ابن عباس في قوله
تعالى فهزموهم باذن الله بامره وبقوله كن وهو من مجاز التمثيل شبه سهولة
الاشيا في قدرته بسهولة هذه الكلمة على الناطق بها تنبيها لسرعة نفوذ
مشيته وقدرته فيما يريده وتجوز بالاذن عن التيسير والتسهيل كقوله
تعالى والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه بتيسيره وتسهيله اذ لا يحسن
ان يقال ادعوه باذني ولا قمت وقعدت باذني ولذا قال الزمخشري يجوز ان
يراد بالاذن هنا الامر اي يدعوكم الى الجنة والمغفرة بامره اياكم بطاعته وكلاهما
من مجاز الملازمة انتهى وسراجا احوال مقدرة منيرا قال عياض جمع الله له في
هذه الاية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة فجعله شاهدا
على امته بابلاغهم الرسالة وهي من خصايصه ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا
لاهل معصيته وداعيا الى الله باذنه الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا
يهتدى به الى الحق وقال ابن عطية هذه ارجى اية في القران لانه امر
بتبشير المومنين بالفضل الكبير وقد فسره في اية اخرى والذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم ما يشاون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير اي شاهد
على الوحدانية اي باتصافه تعالى بانه واحد احد لا شريك له في ذاته ولا في
صفاته ولا في افعاله ولم يقيد الشهادة فتشملت الشهادة بها في الدنيا
والاخرة وفي البيضاوي شاهدا على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم
ونجاتهم وضلالهم وكذا تقدم عن عياض فحملا ذكر صلة الشهادة وجعلا

صلة داعيا الى الاقرار بالله وتوحيده وما يجب الايمان به من صفاته وهو
خلاف ما ذكر المصنف وشاهدا في الدنيا باحوال الاخرة اي بما يكون فيها
ذاتا وصفة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهدا في الاخرة
باحوال الدنيا وذلك بان يشهد للمطيع بالطاعة وعلى العاصي بالمعصية
فهو بيان للمراد بالمشاهدة بالشهادة والصلاح الواقع من المطيع والفساد
من العاصي وعلمه صلى الله عليه وسلم بذلك لان اعمال امته تعرض عليه كما ثبت
في الحديث واستشكل مع حديث الصحيح ليذاد رجال عن حوضي كما يذاد
البعير الضال اناديهم الا هلم فيقال انهم بدلوا وغيروا بعدك فاقول سحقا
سحقا وفي رواية انك لا تدري ما احدثوا بعدك واجيب بانها انما تعرض عليه
دون تعيين عاملها قاله الابي وشاهدا على الخلق يوم القيامة بابلاغ
انبيايهم وتزكية امته كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا روى احمد والبخاري والترمذي
والنسايي وابن ماجة عن ابي سعيد مرفوعا يجي نوح وامته فيقول الله هل
بلغت فيقول نعم اي رب فيقول لامته هل بلغكم فيقولون لا ما جانا من نبي
فيقول لنوح من يشهد لك فيقول محمد وامته وهو قوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس والوسط العدل فيدعون فيشهدون له
بالبلاغ ثم اشهد عليكم وروى احمد والنسايي وابن ماجة عن ابي سعيد رفعه يجي
النبي يوم القيمة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان ويجي النبي ومعه الثلاثة
واكثر من ذلك فيقال له هل بلغت قومك فيقول نعم فيدعي قومه فيقال لهم
هل بلغكم هذا فيقولون لا فيقال له من يشهد لك فيقول محمد وامته فيقال
لهم هل بلغ هذا قومه فيقولون نعم فيقال وما علمكم فيقولون جا نبينا
فاخبرنا ان الرسل قد بلغوا وصدقناه فذلك قوله وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهدا على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال البيضاوي
وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المومن على امته عدي
بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم
وطالبهم بالتبليغ هو اعلم اقامة الحجة على المنكرين انتهى ولاظهار فضل
هذه الامة على روس الاشهاد قال ابو حسن القابسي بان الله فضل نبينا
وفضل امته بهذه الاية على روس الاشهاد قال قال ابو حسن القابسي
ابان الله فضل نبينا وفضل امته بهذه الاية في قوله وفي هذا ليكون
الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهدا على الناس وكذلك قوله فكيف اذا
جينا من كل امة بشهيد الاية كانه تعالى يقول يا ايها المشرف بالفا
بالنبوة من قبلنا انا ارسلناك شاهدا بوحدانيتنا ومشاهدا لكمال
فردانيتنا فبشر عبادنا عنا وحذرهم مخالفة امرنا وتعلمهم مواضع
الخوف منا وهي المعاصي وداعيا الخلق الينا اي الى ما يجب الينا وسراجا
بسنابك من ظلمات الجهل ويقتبس من نورك انوار البصاير وشمسا تبسط

شعاعد علي جميع من صدقك وامن بك ولا يصل الينا الا من اتبعك
وخدمك وقدمك علي جميع الخلق بان علم كمالك الذي تتميز به علي غيرك
واذعن له فبشر ايها المشرف من قبلنا المومنين بفضلنا انعامنا عاجلا
واجلا وطولنا اي احساننا عليهم بترك عقابهم فتغاير العطف لكن يصير
واحساننا لديهم تفسيرا وفي نسخة ونشره بضمير عايد علي لفظ من وحده
اولي ولما كان الله تعالي قد جعله عليه السلام شاهدا علي الوحدانية
والشاهد لا يكون مدعيا لان المدعي من يقول شيا علي خلاف الظاهر
والوحدانية اظهر من الشمس والنبي صلي الله عليه وسلم كان ادعي
النبوة قبل نزول هذه الاية حيث اخبر ان الله بعثه ولم يعرف بها قبل الدعوة
فاتي بخلاف ظاهر حاله قبل فمحل جواب لما ادخل عليه الا لغا الله تعالي
نفسه شاهدا الذي بمجازاة كونه شاهدا له فقال سبحانه والله يشهد
التلاوة يعلم انك لرسوله ولا يصح ان يشهد تفسير ليعلم لان علم الشي لا يستلزم
الشهادة به لكن في القاموس شهد الله انه لا اله الا هو اي علم الله او
قال او كتب ومن هذا قوله تعالي ويقول الذين كفروا قيل هم روسا
اليهود لست مرسلا قل كفي بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من
الادلة علي رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم مرتفع
بالظرف لاعتماده علي الموصول او مبتدا والظرف خبره الكتاب القران وما الف
عليه من النظم المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه قال سعيد بن جبير
هو جبريل وقال عكرمة هو عبد الله بن سلام رواها ابن ابي حاتم وقال
ابن عباس هم اليهود والنصاري وقال قتادة كنا نتحدث ان منهم ابن سلام
وسلمان الفارسي وتميما الداري اخرجها ابن جرير وقيل المراد علم اللوح المحفوظ
وهو الله قال الطيبي فيلزم عطف الشي علي نفسه فاول الزمخشري وغيره اسم الذات
بما يعطيه من معني استحقاق العبادة لكونه جامعا لمعاني الاسما فقال اي وكفي
بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب
منا ويويده قراة من قرا ومن عنده بالكسر خبر والمبتدا علم قال الازهري لا يكون
الها حتي يكون معبودا وخالقا ورازقا ومدبرا فاتي بالموصول ليتوافق المعطوف
والمعطوف عليه فاستشهد علي رسالته بشهادة الله وامره يقول ذلك
اذ لا يجحد باطنا وكذا قوله تعالي حين قالت قريش يا محمد قد سالنا
عنك اهل الكتاب فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا ما يشهد لك انك رسول
الله فنزلت علي ما قال الكلبي وتبعه البغوي وغيره واخرج ابن اسحق وابن
جرير عن ابن عباس ان ثلاثة من اليهود جاوا فقالوا يا محمد ما نعلم مع الله الها
غيره فقال لا اله الا الله بذلك بعثت ولذلك ادعوا فانزل الله في قولهم قل اي
شي اي موجود اكبر شهادة تمييز محول عن المبتدا قل الله شهيد بيني
وبينكم علي صدقي فهو الجواب لانه تعالي اذا كان الشهيد كان اكبر شي
شهادة قال الطيبي فهو من الاسلوب الحكيم يعني فشهادته معلومة لا كلام فيها وانما

الكلام في انه شاهد لي عليكم مبين لدعواي واذا ثبت انه شهيد له لزم ان اكبر
شي شهادة شهيد له ونحوه قول التفتازاني كانه قيل معلوم ان الله هو الاكبر
شهادة ولكن الانسب بالمقام هو الاخبار بان الله شهيد لي لينتج مع قولنا الله
اكبر شهادة ان الاكبر شهادة شهيد لي قال ابو حيان هذا الوجه ارجح بما قدمه
الزمخشري ان المعني قل الله اكبر شهادة ثم ابتدا شهيد اي هو لان فيه اضمارا
ولا واحدا والاول لا اضمار فيه مع صحة معناه وقوله تعالي روي ابن
اسحق عن ابن عباس دخل جماعة من اليهود علي النبي صلي الله عليه وسلم فقال لهم
اني والله اعلم انكم تعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله لكن الله
يشهد يبين نبوتك بما انزل اليك من القران المعجز انزله ملتبسا بعلمه
اي عالما به او فيه علمه والملايكة يشهدون ايضا لك وكفي بالله شهيدا
علي ذلك قال البيضاوي استدراك عن مفهوم ما قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسوال
كتاب ينزل عليهم من السما واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لا يشهدون
ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القران
المعجز الدال علي نبوتك روي ابن جرير عن ابن عباس لما نزل انا اوحينا اليك
قالوا ما نشهد لك فنزلت وقوله تعالي والله يعلم انك لرسوله ولا يضرك
قول المنافقين ذلك بالسنتهم مخالفا لما في قلوبهم وقوله محمد رسول الله جملة
مبينة للمشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدا والذين
معه معطوف عليه وخبرهما اشدا علي الكفار رحما بينهم كما في الانوار فهذا كله
منه تعالي شهادة لرسوله قد اظهرها وبينها وبين صحتها غاية
البيان بحيث قطع العذر بسكون الذال وبضم للاتباع اي منع الاشيا التي
يكون سببا لطلب ما يزيل اللوم علي الفاعل بينه وبين عباده واقام
الحجة عليهم بكونه سبحانه شاهد الرسول صلي الله عليه وسلم وقال
تعالي هو الذي ارسل رسوله بالهدي ملتبسا به او بسببه ولاجله
ودين الحق الاسلام ليظهره ليعليه علي جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا
واظهار فساد ما كان باطلا وتسليط المسلمين علي اهله اذ ما من اهل دين الا وقد
قهرهم المسلمون وفيه تاكيد لما وعده من الفتح وكفي بالله شهيدا علي
ان ما وعده كاين او علي نبوته باظهار المعجزات او علي انك مرسل كما قال محمد رسول
الله فيظهر ظهور دين ظهورا بالحجة والبيان بحيث لا يستطيع المعاند
ردها بل يخادعون انفسهم بالتشغيب والتكذيب والافترا والمباهتة والرضا
بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وغير ذلك وظهورا بالنصر
والغلبة والتاييد حتي يظهر علي مخالفيه ويكون منصورا كما قال
هو الذي ايدك بنصره لينصرك الله نصرا عزيزا ومن شهادته تعالي ايضا
ما اودعه في قلوب عباده من التصديق الجازم واليقين الثابت
والطمانينة بكلامه سبحانه ووحيه الي انبيايه فان الله تعالي فطر
خلق القلوب مشتملة علي قبول الحق والانقياد له والطمانينة

والسكون اليه ومحبته وفطرها على اعاد العامل تنبيها على ان كلا من
قبول الحق وبغض الكذب والباطل مقصودا بالذات والنفور عنه وعدم
السكون اليه ولو بقيت الفطرة ما لكسر الخلقة على حالها لما اثرت
قدمت على الحق سواه وما سكنت اطمانت الا به ولا احبت غيره
ولهذا ندب دعا الحق سبحانه الى تدبر القران فان كل من تدبره
اوجب له علما ضروريا ويقينا جازما انه حق بل احق كل حق واصدق
كل صدق قال تعالى افلا يتدبرون القران يتصفحونه وما فيه من المواعظ
والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصي ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر
ولا ينكشف لها امور قيل ام منقطعة والهمزة للتقرير وتنكير قلوب لان المراد
قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها في القساوة او لفرط جهالتها كانها
مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة
بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر قاله البيضاوي
فلو رفعت الاقفال عن القلوب لباشرتها حقائق القران واستنارت
فيها مصابيح الايمان وعلمت علما ضروريا كسائر الامور الوجدانية
بكسر الواو كاللذة والالم انه من عند الله تكلم به حقا وبلغه رسوله
جبريل الى رسوله صلى الله عليه وسلم فهذا الشاهد في القلب
من اعظم الشواهد انتهى ملخصا من مدارج السالكين للعلامة ابن
القيم في شرح منازل السايرين لشيخ الاسلام الهروي وقال تعالى
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا حال من الضمير في اليكم
قال المفتي لما حكي ما في الكتابين من نعوته صلى الله عليه وسلم وشرف
من يتبعه من اهلهما ونيلهم لسعادة غير مختصة بهم بل هي شاملة لكل من
من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص سائر
الرسل باقوامهم وارسال موسى الى فرعون وملائه بالايات التسع انما
كان لامرهم بعبادة الله رب العالمين وترك العظمة التي كان يدعيها
الطاغية ويقبلها منه الفية الباغية وبارسال بني اسرايل من الاسر
والقسر والعمل باحكام التوراة المختص ببني اسرايل انتهى ففي هذه
الاية دلالة على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة
الثقلين الانس والجن سميا بذلك لثقلهما على الارض او لرزانة رايهم
وقدرهم او لانهما مثقلان بالتكليف ووجه الدلالة ان الناس وان
غلب استعماله في الانس لكنه اسم للانس والجن لانه مشتق من ناس ينوس
اذا تحرك فيطلق عليهما وبها فسر من صدور الناس وقالت العيسوية
من اليهود وهم اتباع عيسى المنقول لعله ابي عيسى الاصفهاني
زاد من نسخة النصراني ولا ينافيهما قوله اولا من اليهود لجواز انه كان
نصرانيا ثم تهود متبعه تلك الطايفة ان محمدا صادق مبعوث
الى العرب غير مبعوث الى بني اسرايل ودليلنا الى ابطال قولهم

هذه الاية لان قوله يا ايها الناس خطاب عام يتناول كل الناس
العرب وبني اسرايل وغيرهم فتخصيصه بان العرب من ابين ما قال
يا مر الله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وهذا
يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس اقتضاء ظاهرا لا سيما مع قوله
جميعا فهو قريب من الصريح وايضا دليل ثان في الرد على العيسوية ولانا
نعلم بالتواتر انه كان يدعي اي يذكر انه مبعوث الى الثقلين
فاما ان نقول انه كان رسولا حقا او ما كان كذلك من ارخا العنان
للخصم للزوم الحجة له فان كان رسولا حقا كما اعترفت به ايها الخصم
امتنع الكذب عليه لاستحالته على الرسول ووجب الجزم بكونه
صادقا في كل ما يدعيه ومنهم انه رسول الى بني اسرايل فلما ثبت
بالتواتر وبظاهر هذه الاية لم تقل بصريحها لاحتمال ان ال فيها للجنس
ولكن بمنعه او يبعد التاكيد بقوله جميعا انه كان يدعي انه مبعوث الى
جميع الثقلين وجب كونه صادقا وذلك يبطل قول من يقول
انه كان مبعوثا الى العرب فقط لا الى بني اسرايل وغير يدعي
لان الادعاء قول يخالف الظاهر كما قدمه وهذا وان طابق الواقع بحسب
نفس الامر لكنه يخالف للظاهر قبل اتيه بالادلة والبراهين لاثبات رسالته
واذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا من الناس من يقول انه عام دخله
التخصيص ومنهم من انكر ذلك اما الاولون فنترك عديله اما لظهوره
اي واما المنكرون فقالوا هو باق على عمومه والتكليف ووصول خبر
الرسالة ليس شرطا في الرسالة وانما هو شرط في المواخذة بما بلغه
فبينا لو دخله التخصيص من وجهين الاول انه رسول الله الى
الناس اذا كانوا من جملة المكلفين لا المجانين والصبيان فاذا لم
يكونوا من جملة المكلفين لم يكن رسولا اليهم وذلك لانه
عليه السلام قال كما رواه احمد وابو داود والنسا وصححه ابن خزيمة
وابن حبان والحاكم عن علي وعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رفع القلم عن ثلاث كناية عن عدم التكليف لانه يلزم منه
الكتابة وعبر برفع اشعارا بان التكليف لازم لبني ادم لا ينفك عنهم
الا عن ثلاثة عن الصبي الطفل ولو مراهقا حتى يبلغ وفي رواية
حتى يكبر واخرى حتى يشب واخرى حتى يحتلم قال السبكي
ليس في رواية حتى يكبر وحتى يبلغ من البيان ما في رواية حتى يحتلم
فالتمسك بها لبيانها اولى لان حتى يبلغ مطلق وحتى يحتلم مقيد فيحمل
عليه فان الاحتلام بلوغ قطعا وعدم بلوغ السن ليس ببلوغ قطعا
وعن النائم حتى يستيقظ من نومه وعن المجنون زاد في رواية
المغلوب على عقله حتى يفيق وفي رواية حتى يبرا اي بالافاقة

وفي اخري حتي يعقل واخري وعن المبتلي حتي يبرا اي المبتلي بدا الجنون
قال ابن حبان والمراد برفع القلم ترك كتابة الشر عليهم دون الخير قال
الزين العراقي وهو ظاهر في الصبي دون المجنون والنايم لانهما في حيز
من ليس قابلا لصحة العبادة منهم لزوال الشعور فالمرفوع عن الصبي قلم
المواخذة لا قلم الثواب لقوله صلي الله عليه وسلم للمراة لما سالته الهذا
حج قال نعم واختلف في تصرف الصبي فصححه ابو حنيفة ومالك باذن وليه
مراعاة للتمييز وابطله الشافعي مراعاة للتكليف والثاني انه رسول
الله الي كل من وصله خبر وجوده وخبر معجزاته وشرايعه حتي
يمكنه عند ذلك متابعته اما لو قدرنا قد يشعر لعدم وجوده والمصرح
به في الفروع والاصول خلافه حصول قوم في طرف من اطراف الارض
لم يبلغهم خبره وخبر معجزاته وشرايعه حتي لا يمكنهم عند ذلك
متابعته فلا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته ويكونون من
الناجين في الاخرة لعذرهم بعدم بلوغ الدعوة ولكن لا يصلي عليهم لانهم
انما يصلي علي المحقق اسلامه ولا يجوز لعنهم لانهم لعدم تكذيبهم في معني
المسلم كما قال الغزالي انه التحقيق لا مسلم كما عبر به بعضهم وعلي الفطرة
كما عبر به واختار السبكي التعبير بناج وعن ابي هريرة عن النبي
صلي الله عليه وسلم انه قال والذي نفسي بيده لعلهم نتوقيه
لكلهم لا يسمع بي احد من هذه الامة الذي وجد فيهم الي قيام الساعة
ولا يهودي ولا نصراني عطف خاص علي عام لافادة بعشه ومات
ولم يومن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار الخالدين
فيها رواه مسلم واحمد ومفهومه ان من لم يسمع به ولم تبلغه
دعوة الاسلام فهو معذور فيكون ناجيا علي ما تقرر في الاصول
انه لا حكم لقوله تعالي وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا ولان
العاقل لا يكلف لقوله تعالي ذلك ان لم يكن ربك مهلك القري بظلم واهلها غافلون
ثم اختلف هل نجاة من لم تبلغه الدعوة ودخول الجنة غير متوقفة علي الامتحان
او متوقفة عليه لورود احاديث كثيرة بانهم يمتحنون يوم القيامة فيبعث
رسول اليهم ان ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم
يدخلها سحب اليها وفي هذا الحديث نسخ الملل كلها برسالة
نبينا صلي الله عليه وسلم وجعله من لم يومن برسالته من اهل النار ولعلنا
يكون كذلك بموته كافرا وكفره يستدعي نسخ الشريعة التي يعول تمسك
بها والله اعلم وقال تعالي يا اهل الكتاب اليهود والنصاري
قد جاكم رسولنا محمد صلي الله عليه وسلم يبين لكم الدين وحذف
لظهوره او ما كنتم من الكتاب كاية الرجم وصفته صلي الله
عليه وسلم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول علي معني
ويبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاكم رسولنا مبينا علي

فترة من الرسل متعلق بجا اي جيئه فتور من الارسال وانقطاع
من الوحي فتعلق علي فترة بجاكم تعلق الظرفية كقوله واتبعوا ما تتلوا
الشياطين علي ملك سليمان وقيل انه حال من ضمير لكم ان تقولوا ما جانا
من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فهو في موضع المفعول
له فقد جاكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا بما جانا بان
تقولوا ذلك قاله الكشاف فقال التفتازاني اي بمحذوف تفصح عنه الفا وتقييد
بيان سببه كالتي تذكر بعد الاوامر والنواهي بيانا لسبب الطلب لكن كمالها حسنها
وفصاحتها ان تكون مبنية علي التقدير مبنية علي المحذوف بخلاف قولك
اعبد ربك فالعبادة حق له وتكون مبني الفا الفصيحة علي الحذف اللازم
بحيث لو ذكر لم يكن بتلك الفصاحة تختلف العبارة في تقدير المحذوف
فتارة امرا ونهيا كما في هذه الاية وتارة شرطا كقوله فهذا يوم البعث
وتارة معطوفا عليه كقوله فانفجرت والله علي كل شي قدير فيقدر
علي الارسال كما فعل بين موسي وعيسي اذ كان بينهما الف وسبعماية سنة والف
نبي وعلي الارسال علي الفترة كما فعل بين عيسي ومحمد عليهما الصلاة
والسلام خاطب الله تعالي اهل الكتاب من اليهود والنصاري
بانهم قد ارسل اليهم رسوله محمدا خاتم النبيين الذي لا نبي
بعده ولا رسول بيان لخاتم النبيين بل هو المعقب لجميعهم اي
الجاي بعدهم ولقد اقال تعالي علي فترة من الرسل اي من
بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسي بن مريم والفترة
لغة من فتر الشي اذا سكنت حدته سميت المدة التي بين الانبيا فترة
لفتور الدواعي بالعمل بتلك الشرايع وقد اختلفوا في مقدار
هذه المدة فقال النهدي بفتح النون واسكان الها ابو عثمان
عبد الرحمن بن مل بلام ثقيلة والميم مثلثة مشهور بكنيته من كبار
التابعين مخضرم ثقة عابد روي الجميع مات سنة خمس وتسعين وقيل
بعدها وعاش ماية وثلاثين سنة وقيل اكثر وقتادة بن دعامة
الاكمه التابعي المشهور في رواية عنه ستماية سنة ورواه البخاري
من حديث ابي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي قال فترة بين
عيسي ومحمد ستماية سنة قال الحافظ اي المدة التي لم يبعث فيها
رسول من الله ولا يمتنع ان يبعث فيها نبي يدعو الي شريعة الرسول
الاخير وعن قتادة انها خمسماية وستون سنة اخرجه عبد الرزاق
عن معمر عنه لكن لم يقل وستون كما في الفتح قال وعن الكلبي خمسماية
واربعون وقال الضحاك اربعماية سنة وبضع وثلاثون
سنة وعن الشعبي عامر بن شراحيل فيما ذكره ابن عساكر
عنه تسعماية سنة وثلاثة وثلاثون سنة قال الحافظ
عماد الدين بن كثير والمشهور انها ستماية سنة خلافا

لتنقل ابن الجوزي الاتفاق على ذلك فانه تعقب بوجود الخلاف الواضح
قال وكانت هي الفترة بين عيسى بن مريم اخر انبيا بني
اسرايل وبين محمد اخر النبيين من بني ادم على الاطلاق كما في
البخاري في احاديث الانبيا وكذا مسلم كلاهما من حديث ابي هريرة
مرفوعا بلفظ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انا اولى
الناس بابن مريم وفي رواية للبخاري بعيسى بن مريم في الدنيا
والاخرة ولفظ مسلم في الاولى والاخرة قال الحافظ اي اخصهم به واقربهم
اليه لانه بشر بانه ياتي من بعده فالاولوية من جهة قرب العهد كما انه اولى
الناس بابراهيم من جهة قوة الاقتدا زاد السيوطي ولانه ابوه ودعا به
واشبه الناس به خلقا وملة وقول الكرماني التوفيق بين الحديث وبين
قوله تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
ان الحديث وارد في كونه صلى الله عليه وسلم متبوعا والاية واردة
في كونه تابعا رده الحافظ بان مساق الحديث كمساق الاية فلا دليل على
هذه التفرقة والحق انه لا منافاة ليحتاج الى الجمع فهو اولى بكل منهما من
جهة واسقط المصنف من هذه الرواية عند البخاري ومسلم والانبيا
اولاد علات لانه ليس بيني وبينه نبي لم تقع لفظة لانه في
الصحيحين ولذا قال السيوطي الخ بيان لجهة الاولوية وقال الحافظ قوله
ليس بيني وبينه نبي هذا اورده كالشاهد لقوله انه اقرب الناس
اليه وتبعه المصنف في رواية لها والانبيا اخوة لعلات امهاتهم شتى ودينهم
واحد والعلات بفتح المهملة الضراير واصله ان من تزوج امراة ثم
اخرى كانه عل منها بعد ما كان ناهلا من الاخرى والعلل الشرب بعد
الشرب واولاد العلات الاخوة من الاب وامهاتهم شتى فقوله امهاتهم
الى اخره من باب التفسير كقوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه
الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا ومعنى الحديث ان اصل دينهم
واحد وهو التوحيد وان اختلفت فروع الشرايع وان قيل المراد
ان ازمنتهم مختلفة وهذا افيد رد على من زعم انه بعث بعد
عيسى نبي يقال له خالد بن سنان العبسي كما حكاه القاضي
عياض وفي نسخة القضاعي وغيره وفي فتح الباري استدل به على انه
لا يبعث بعد عيسى احد الا نبينا صلى الله عليه وسلم وفيه نظر لانه ورد
ان الرسل الثلاثة الذين ارسلوا الى اصحاب القرية المذكور قصتهم
في سورة يس كانوا من اتباع عيسى وان جرجيس وخالد بن سنان
كانا نبيين وكانا بعد عيسى والجواب ان هذا الحديث يضعف ما ورد
من ذلك فانه صحيح بلا تردد وفي غيره مقال او المراد انه لم يبعث بعد عيسى
نبي بشريعة مستقلة وانما بعث بعده بتقرير شريعة عيسى والمعنى
الذي بعث محمدا على فترة من الرسل وطموس مصدر طمس كـ

ودرس

ودرس عن السبل اي ذهاب الشرايع وعدم العلم بشي منها
بتحريف ما يدل عليها وتبديله وتغير الاديان
وكثرة عبادة الاوثان والنيران
والصلبان جمع صليب للنصارى فكانت النعمة به اتم والنفع
به اعم وفي حديث عند الامام احمد مرفوعا ان الله نظر الى اهل
الارض نظر غضب فمقتهم المقت اشد البغض لقبح ما ارتكبوه والمراد
من هذا ونحوه غايته عجمهم بفتحتين وفي لغة بضم فسكون خلاف العرب
وعربهم الا بقايا من بني اسرايل فلم يمقتهم لتمسكهم بالحق وفي لفظه
مسلم من اهل الكتاب بدل قوله من بني اسرايل ومعناهما واحد وكان
الدين قد التبس على اهل الارض كلهم حتى بعث الله محمدا صلى
الله عليه وسلم فهدى به الخلايق واخرجهم الله به من الظلمات
الكفر الى النور الايمان وتركهم على المحجة بفتح الميم البيضا اي
الطريقة الواضحة ببيانه لهم الحق من الباطل والشريعة الغرا صلوات
الله وسلامه عليه قال الامام الرازي كان العالم مملوا من الكفر والضلال
اما اليهود فكانوا في المذاهب الباطلة من التشبيه والافترا على
الانبيا وتحريف التوراة واما النصارى فقالوا بالتثليث والابن والاب
والحلول والاتحاد واما المجوس فاثبتوا الهين واما العرب فانهمكوا في
عبادة الاصنام والفساد في الارض فلما بعث صلى الله عليه وسلم انقلبت
الدنيا من الباطل الى الحق ومن الظلمة الى النور وانطلقت الالسن بتوحيد
الله فاستنارت العقول بمعرفة الله ورجع الخلق من حب الدنيا الى حب
المولى انتهى وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم بضم الفا في
قراءة الجمهور اي منكم وقرئ شاذا بفتح الفا وقال انا انفسكم نسبا
وصهرا وحسبا ليس في ابائي من لدن ادم سفاح كلنا نكاح عزيز شديد
عليه ما عنتم حريص عليكم ان تهتدوا بالمؤمنين رؤف
شديد الرحمة رحيم يريد لهم الخير والرحمة والرافة حيث وقعت
مقدمة لا لالفاظ للفاصلة كما قال البيضاوي ومن تبعه لوقوعه
كذلك في غير الفواصل قال تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه
رافة ورحمة بل لان اصل معنى الرافة التلطف والشفقة كما صرح
به القرطبي في شرح فقال قال الله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه
الاية حيث ذكر الوصفان قدم الرؤف على الرحيم في الذكر وسببه ان
الرحمة في المشاهد انما تحصل بمعنى المرحوم من فاقته وضعفه وحاجته
والرافة تطلق عندنا على ما تحصل الرحمة من شفقه على المرحوم
وقال المشايخ الرؤف المتعطف والذي جاد بلطفه ومن بعطفه انتهى اي
عزيز عليه عنتكم اي اثمكم بالشرك والمعاصي قال عياض بيان للمراد
بالعنت ولا هو لغة المشقة والمحظ قال الحسن البصري عزيز عليه
ان تدخلوا النار من عز اذا صعب وشق قال يعز علينا ان نفارق

من يهوي حريص عليكم ان تدخلوا الجنة والحرص فرط الشدة او الشح علي
الشي ان يضيع والمراد هنا شدة الطلب لما نريده ونحبه ومن حرصه
صلي الله عليه وسلم علينا علي الرفق بنا انه لم يخاطبنا بما نريد ابلاغه
الينا ويريد فهمنا اياه علي قدر منزلته بان ياتي بالالفاظ المتناهية
من البلاغة والغرابة خشية عدم فهمنا للمراد منها بل علي قدر منزلتنا
بالالفاظ المتداولة بين الناس وان نزلت في الرتبة عن غيرها ليسهل
فهمها علينا ويتضح المراد منها والي هذا اشار صاحب البردة بقوله
لم يمتحنا لم يبتلينا بما اي بخطاب تعي العقول اي تقصر عن
فهمه لغموضه فلا يهتدي الي المراد به حرصا علينا ان لا نضل فلم
نرتب ولم نهم اي لم نتحير تفسير لنرتب ولم نشك فيما القاه
الينا بل تحققناه لسهولته وقال تعالي وما ارسلناك الا رحمة
اي للرحمة للعالمين الانس والجن وغيرهم ولا رحمة مع التكليف بما لا
يفهم بل هو عقاب ومن حرصه عليه السلام علي هدايتنا انه كان
كثيرا ما يضرب المثل بالمحسوس ليحصل الفهم بل كقوله عجبت لربك من
كرمه كقوله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير من ان يكون لك حمر
النعم وهذه سنة القران عادته المستمرة ان الله لا يستحيي ان
يضرب مثلا ما ومن يتبع الكتاب والسنة راي من ذلك العجب العجاب
البالغ فيما يتعجب منه لاشتماله علي الاشيا البالغة في زيادة البيان
والايضاح والرفق بالمومنين ولما ساوي سبحانه بين الناس مومنهم
وكافرهم في حرص رسول الله عليه السلام علي اسلامهم خص المومنين
برافته ورحمته لهم المستفاد من التقديم كانه قيل بالمومنين لا بغيرهم
وقال من انفسكم ولم يقل من ارواحكم فقيل يحتمل ان يكون مراده
علي مغايرة النفس للروح انه مناجسده النفس ما التشديد
للمبالغة اي المكرم ولد عليه لا بروحه المقدس المطهر وان كان اصل
المنفس بالتخفيف ويرحم الله القايل اذا رمت قصدت مدح
المصطفي شغفا ولوعا به ومحبة بتلد من عدم البلادة عدم الذكا
والفطنة اي انكسرت حده ذهني ويرد عن الاوصاف قاصرة عنه
فيعلوني الخجل عند ارادة مدحه فاقطع ليلي ساهر الجفن اي
جفنه مطرقا بكسر الرا وفتحها هوي بالقصر اي ميلا فيه احلي من
لذيذ منامه اذ السهر في هوي المحبوب الذ اذا قال فيه الله جل
جلاله روف رحيم وهما من اسمايه في سياق كلامه ومعني
اذا الظرفية المجردة لا الشرط لان القول لتحقق من الله فلا يليق جعله
مستقبلا ويجوز ان اذا ممنون اي لاجل هذا فمن ذا يجاري يباري
بما يشابه الوحي بثنايه علي المصطفي نثرا او نظما والوحي معجز
بمختلفيه بالفا متعلق بيجازي نثره ونظامه اي نظمه والمعني

ان

ان الوحي معجز للكلام نثرا كان او نظما فلا يمكن مشابهته لاحد تشبيه
انتقاط وتبيين واما قول القاضي عياض بعد ذكره الاية لقد
جاكم في الشفا بما لفظه اعلم الله تعالي المومنين او العرب او اهل مكة
او جميع الناس علي اختلاف المفسرين من المواجهة بهذا الخطاب
انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانته ويعلمون
صدقه وامانته ولا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم
وانه لم يكن في العرب قبيلة الا ولها علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
ولادة او قرابة وكونه من انفسهم وارفعهم وافضلهم علي قراة الفتح
ثم وصفه بعد اي بعد الاعلام المذكور باوصاف حميدة اي محمودة
عند الله والناس او حامدة علي النجوم في النسخ واثني عليه بمحامد
جمع محمدة كثيرة والثنا بها لا يغاير الوصف بصفات حميدة والايجاب
مثله في مقام الخطابه مع انه لما كانت اوصاف جمع قلة عقبه بجمع الكثرة
دفعا للايهام والاول مطابق لظاهر الاية والثاني مما تضمنته مما لا
يحصي من حرصه بيان لما قبله من الاوصاف وما بعده اي من فرط
شدته علي هدايتهم اي دلالتهم والمراد طلب تاثيرها لا مجردها
ورشدهم اي صلاحهم ظاهرا وباطنا ليغاير الهداية كما يقتضيه
ظاهر العطف فلا يفسر بضد الغي لانه الهداية واسلامهم مغاير
لما قبله فلذا عطف بالواو وجعل ذلك كله متعلق الحرص لدلالة السياق
عليه ولقوله ان تحرص علي هداهم فالقران يفسر بعضه بعضا
والحرص لا يتعلق بالذوات فان قيل لم قدم عياض هذه الصفة وهي
حريص عليكم مع تاخرها في الاية اجيب بانه لما كانت العزة منشا
لحرصه قدمت في الاية علي وفق الواقع لبيان حاله فيما بينه امره
فلما حكاه عياض بيانا لمحامده قدم المقصود بالذات الذي هو المحمد
او ان المقام مقام مدح وهو في الحرص اتم واكمل وسياق الاية للامتنان
وهو كونه يعز عليه حالهم فاشار الي تفاوت المقامين ولا يرد ان الملة
في الحرص اتم لان مسلك الاية علي الترقي وما هنا بخلافه للمتفقي
وشدة ما يعنتهم روي بسكون العين وخفة النون من الاعنات
قال الله تعالي ولو شا الله لاعنتكم وروي بفتح العين وتثقيل النون
وهما لغتان اعنت وعنت بمعني المشقة والوقوع فيها ويجي بمعني
الاثم والفساد والهلاك ويضرهم بفتح اليا وضم الضاد
وروي بضم اليا وكسر الضاد مضارع اضر لانه يقال ضره
واضر به ومعناها اوقعه في الضرر في دنياهم واخراهم
الدنيا يقال في مقابل اخره واخري كما عبر به وعزته عليه عطف
تفسير علي شدة كقوله انما اشكو بثي وحزني وكان المناسب
لعطف التفسير تاخير الاشهر الاظهر فيقول عزته وشدته لكنه عكس

للمبادرة للمراد حتى يسلم السامع من عنت الانتظار ولا حاجة لجعل
الشدة غير العزة للتنازع من عليه فان التفسير لا ينافي التنازع
وبقية كلام عياض ورافته ورحمته بمومنيهم فهو وان كان المقصد
منه صحيحا ففي ظاهره شي لانه يوهم ان قوله وشدة ما يعنتهم
معطوف على متعلق المصدر الذي هو الحرص بيان للمقصد ومتعلقه
قوله على هدايتهم فتكون مخصوصا به فيصير المعنى من حرصه على
شدة ما يعنتهم وهذا فاسد ومما يقوي هذا التوهم موه اعطا
الكلام ان الضمير الاول من قوله وعزته عليه عايد على النبي
صلى الله عليه وسلم والضمير الثاني عايد على الله تعالى فلا
تنفي الشدة الا ان تكون معطوفة على متعلق المصدر اي قوله
على هدايتهم ولا يخفى ما في هذا من الفساد الموهم خلاف المراد وقد
تاوله بعض العلما على حذف مضاف مجرور معطوف على الحرص
المجرور بمن اي وكراهة شدة ما يعنتهم ونحو ذلك من المضافات
المصححة للمراد قال في النسيم لا حاجة الى تقدير لان معنى شدته
عليه انه صعب شاق عليه فيراد به انه مكروه تاباه نفسه فالمعنى من
حرصه على هدايتهم ومن كراهته لما يضرهم وصاحب المواهب لم يخف عليه
العطف ولكن اوقعه التقدير فيما وقع فيه انتهى وكانه لم ير بقية الكلام
وهو قوله والاولى او من تاويله على حذف مضاف او الصواب على
ابقايه على ظاهره ان شا الله تعالى ان تكون الشدة على
نفس المصدر الذي هو الحرص وكان هذا اولى من تقدير المضاف لما فيه
من الاحتياج الى التقدير والاصل عدمه ويكون قوله وعزته معطوفا
على وشدة والضمير فيه راجع الى الموصول وهو ما في قوله
ما يعنتهم اي الذي والها التالية في عليه عايدة على النبي
صلى الله عليه وسلم انتهى والمعنى وصفه واثنى عليه بحامد من
شدة الذي يعنتهم وعزة الذي يعنتهم على المصطفى وقال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين يجوز ان يكون قوله رحمة مفعولا
له اي لاجل الرحمة والعالمين متعلق به اي الا لترحم بك العالمين
بعد اتيك اياهم لسعادة الدارين وفي الصحيح قيل يا رسول الله
ادع على المشركين فقال اني لم ابعث لعانا انما بعثت رحمة ويجوز
ان ينصب على الحال من الكاف مبالغا في ان جعله نفس الرحمة
واما على حذف مضاف اي ذا رحمة وليس للعالمين متعلق بارسلنا
لان ما قبل الا لا يعمل فيما بعدها الا في الاستثنا المفرغ نحو ما مررت الا بزيد
والمعنى الا لارحم العالمين بالبنا للفاعل لا للمفعول كما زعم او بمعنى
راحم اسم فاعل قاله السمين الشيخ شهاب الدين احمد بن يوسف
ابن عبد الدايم الحلبي النحوي نزيل القاهرة مات سنة ست وخمسين

وسبعماية

وسبعماية له اعراب القران وايضا تفسير كبير في عدة اجزا قال ابو
بكر بن طاهر بن مفوز بن احمد بن مفوز المعافري الشاطبي كما جزم
به البرهان الحلبي في المقتفي والشمني وغيرها فيما حكاه القاضي
عياض في الشفا زين الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بزينة
الرحمة استعارة مكنية بجعلها كالحلة والخلعة البهية والزينة ما يتزين
به لباسا وغيره واضافته للرحمة بيانية او من اضافة الاعم للاخص كلجين
الما وقيل الزينة هنا اللباس اي البسه رحمة رحمانية شاملة
له وفيه اشارة الى انها منة من الله تعالى بها عليه غير الجبلية البشرية
فكان كونه اي وجوده فهي تامة لا خبر لها وتقدير من ربنا قبيح رحمة
خبر كان والفا فيه للتفسير والتفصيل وجميع شمايله جمع شمال بالكسر
قال الازهري الشمال خلقة الرجل اي خلقته وجمعه شمايل ورجل كريم الشمايل
اي في اخلاقه ومخالطته انتهى فعطف وصفاته رحمة عام على خاص
ان لم يخصص الصفات بالظاهرة والشمايل بخلافها وقال شراح الشفا
صفاته تشمل غضبه وظاهر مراه لانه لا يغضب لنفسه وانما يغضب لله
وغضبه للاصلاح وهو رحمة في ذاته واما مراه الحسن فانه لحسنه يورث التصديق
به الا ترى ان عبد الله بن سلام لما راه امن به وقال لما رايت وجهه عرفت
انه ليس بوجه كذاب فمن اصابه شي من رحمته اي اهتدى بهدايته لان
من لم يهتد كمن لم يصبه الرحمة كما ان من شرب الما ولم يرو كانه لم يشرب
فهو الناجي اي السالم في الدارين الدنيا والاخرة من كل مكروه
يصيب من لم يهتد في الدنيا كقتل وسبي واخذ جزية وفي الاخرة العذاب
المخلد واما اسقام الدنيا والامها التي تصيب المومن فلا تعد مكروهة بعد
العلم بما فيها من تكفير السيات ونيل الحسنات والواصل فيهما الى كل
محبوب اما في الاخرة فغني عن البيان واما في الدنيا فان كان ذا غنى
ونعمة فظاهر والا فالمومن العاقل اذا صبر وقام بوظايف العبودية في
دنيا سريعة الزوال كان ما اصابه من المكروه لاتصاله بالنعم الاخروية
محبوبا عنده انتهى كلام ابن طاهر وقال ابن عباس رحمة للبر اي
المومن والفاجر اي الكافر لان كل نبي ممن سبق اذا كذب بشد
الذال مبني للمجهول اهلك الله من كذبه ومحمد صلى الله عليه وسلم
اخر من كذبه الى الموت او الى القيامة فتاخير عذاب الدنيا عنهم
بنحو الاستيصال والخسف والمسخ والعذاب النازل من السما رحمة فلا
يرد عليه من قتل من الكفار في غزوات المصطفى واما من صدقه
اي امن به فله الرحمة في الدنيا والاخرة وان عذب العاصي فماله
للجنة مع خفة عذابه عن الكفار بل لا مشابهة وعن ابن
عباس ايضا عند الطبري وغيره هو رحمة للمومنين والكافرين اذ عوفوا
مما اصاب غيرهم من الامم الكاذبة وقال ابو الليث السمرقندي

نصر بن محمد بن احمد بن ابراهيم الفقيه الحنفي الامام المشهور له التصانيف
كالتفسير والنوازل وخزانة الفتاوي وتنبيه الغافلين والبستان توفي سنة
ثلاث وسبعين وثلثماية منسوب الي سمرقند مدينة بفارس بما ورا النهر قال
التلمساني المصحح في النسخ بفتح السين والراو سكون الميم والمعروف فتح الميم
وسكون الراو تبع قول المجد اسكان الميم وفتح الرا لحن وفيه نظر وهو معرب
سمركند وسمر اسم رجل وكند بمعني قرية **رحمة للعالمين يعني للجن والانس**
تفسير للاية بجنس العقلا من الثقلين بقرينة جمع المذكر السالم وان كان جمع
عالم وهو كلما يعلم به الصانع من العقلا وغيرهم فالمفرد اعم من جمعه فخص
ثم جمع بجعله صفة او ملحقا بها لان فاعل بالفتح اسم اله كالخاتم والقالب وقيل
غلب العقلا او جعل اسما لذي العلم من الثقلين او هما والملك او الانس **وقيل**
جميع الخلق مقابل لما اختاره قال الشريف الجرجاني يطلق علي كل جنس وعلي
مجموعها واذا عرف بلام الاستغراق شمل كل فرد من جنس كالاقاويل فمن فسره
بجميع الخلق فعلي الاصل ومن فسره بالانس والجن فعلي بعض الوجوه او خصه
لانه صلي الله عليه وسلم مبعوث اليها ومن فسره بالمومن والكافر اراد
انه يشملها الا ان معناه ذلك انتهي واخذ في بيان ما به تكون الرحمة علي
مختاره فقال **للمومنين** بدل من العالمين او متعلق بمقدر اي ارسله وعلي
الاول وهو الظاهر هو بيان لمختاره وعلي الثاني يصلح لها وفي نسخة
للمومنين للمومن بالافراد **رحمة بالهداية** الزايدة علي هداية الايمان
او من فقد ايمانه **ورحمة للمنافقين** وفي نسخة للمنافق بالافراد علي ارادة
الجنس **بالامان من القتل** مطلقا بخلاف الكافر فانما يامن بجزية او عهد
ورحمة للكافرين وفي نسخة بالافراد **بتاخير العذاب** لما بعد الموت واما
عذاب الدنيا بالقحط وغيره فلا يختص بطايفة او المراد الاستيصال والمسخ
والخسف والزنديق سواد خل في المنافق او الكافر فعذابه موخر ايضا فالظاهر
اشتراكهما فيه وتمييز المنافق باجرا احكام الاسلام عليه ظاهرا او يقال اراد
في كل قسم ذكر رحمة تخصه من غير تخصيص **فذاته عليه السلام رحمة**
تعم المومن والكافر كما قال الله تعالي وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم لان العذاب اذا نزل عم ولم يعذب امة الا بعد خروج نبيها والمومنين
منها **قال عليه السلام انما انا رحمة مهداة** بضم الميم معطاة من الله
بلا عوض **رواه الديلمي والبيهقي في الشعب** للايمان **من حديث**
ابي هريرة ورواه الحاكم وصححه علي شرطهما واقره الذهبي ومر
شرحه في الاسما الشريفة **وقال بعض العارفين الانبيا كلهم خلقوا**
من الرحمة ونبينا محمد صلي الله عليه وسلم عين الرحمة اعلاها
واجلها **ولقد احسن القايل**

غنيمة عمر الكون بهجة عيشه ۞ سرور حياة الروح فايدة الدهر

هو الرحمة العظمي هو الرحمة التي ۞ تجلي بها الرحمن في السر والجهر

ومعني المبين ظاهر فبيانه اي ظهوره او تبيينه **عليه السلام وبعثه**
اي كل واحد منهما **ودعاوه واستغفاره** كل منهما **رحمة** سوا في حياته وبعد
مماته كما قال صلي الله عليه وسلم حياتي خير لكم وموتي خير لكم اما حياتي
فابين لكم السنن واشرع لكم الشرايع واما موتي فان اعمالكم تعرض
علي فما رايت منها حسنا حمدت الله وما رايت منها سيئا استغفرت الله لكم
رواه البزار وغيره بسند جيد **فرزق ذلك من قبله** بان امن به وان
عاصيا **وحرمه من رده** فلم يومن نسال الله الثبات علي الايمان **فان قلت**
كيف كان رحمة وقد جا بالسيف قال تعالي جاهد الكفار اي بالسيف
واستباحة الغنايم التي لم تحل لاحد قبله ومنها استرقاق الذراري
والنسا **فالجواب من وجهين احدهما انما جا بالسيف لمن استكبر**
وعاند ولم يتفكر ولم يتدبر فهذا بدا انما جا من نفسه كعين جرت
فانتفع بها قوم وكسل اخرون فهي رحمة لهما وهو صلي الله عليه وسلم
لم يرد ضرا لاحد وقد اجتهد في كل نفع نفع كل احد وايصال تلك الرحمة
اليه ولكن من يضلل الله فما له من هاد **ومن اوصاف الله تعالي الرحمن**
الرحيم ثم هو منتقم من العصاة ولا تنافي بين الوصفين فكذا
لا تنافي بين الوصفين فكذا لا تنافي بين بعثه بالسيف وكونه رحمة
وقال تعالي ونزلنا من السما ما مباركا كثير البركة والمنافع
ثم قد يكون سببا للفساد باهلاك الزرع وغيره انه لا مانع من وصف
الشي بالشي وضده لاختلاف من يقع عليه الامران **وثانيهما ان**
كل نبي من الانبيا قبل نبينا اذا كذبه قومه اهلكهم الله
بالخسف كقارون **والمسخ** قردة كاصحاب ايلة بدعا داود وخنازير
كاصحاب المايدة بدعا عيسي قال تعالي لعن الذين كفروا من بني اسرايل
علي لسان داود وعيسي بن مريم الاية **والغرق** والغرق كقوم نوح
وفرعون وقومه وبالريح العاصف فيها حصبا كقوم لوط وبالصيحة
كثمود قال تعالي فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا
وقد اخر الله عذاب من كذب نبينا الي يوم القيمة فتاخيره
رحمة لانه لم يجمع عليهم عذابين كالامم السابقة **لا يقال انه تعالي**
قال قاتلوهم يعذبهم الله بقتلهم **بايديكم** اي يذلهم بالاسر
والقهر **وقال تعالي ليعذب الله المنافقين** والمنافقات
والمشركات **لانا نقول تخصيص العام** وهو العالمين من رحمة
للعالمين ببعض افراده وهو المنافق والمشرك **لا يقدح فيه** لانه
يكفي في عمومه صدقه علي غير ما خصص به **وفي الشفا للقاضي**
عياض وحكي بالبنا للمجهول كما قال البرهان **انه صلي الله**
عليه وسلم قال لجبريل هل اصابك من هذه الرحمة شي

فيه اشارة الى انه مرحوم مقرب وانما السوال عن رحمة بالغة من رحمة
المصطفى كما افاده اسم الاشارة قال نعم كنت اخشى العاقبة
اي سوءها والمراد بالعاقبة السيئة بجعل التعريف للعهد بقرينة الخشية
فانها بمعنى الخوف وانما يكون في المكروه والعاقبة ما يعقب الشي
ويحصل منه خيرا كان او شرا فامنت بفتح الهمزة المقصورة وكسر الميم
مبني للفاعل من الامن ضد الخوف وضبطه بضم الهمزة مبني للمفعول
خلاف المشهور ثم ان كان بشد الميم فظاهر وان كان بتخفيفها فركيك
جدا لانه ان كان من ضد الخيانة فلا يناسب المقام او من الامن ضد ذلك
لان مفعوله الثاني من المعاني لا الذوات فتحتاج لتقدير وحذف
ومع استقامة سوءها فتنبه ولا ادعي له لثناء الله تعالى علي بقوله
انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم
امين عند الله في علمه او في حكمه وقضائه لان ثناءه يقتضي رضاه
وقبوله وهو لا يرضى ويقبل الا من كان مرحوما مقربا فلما علم ذلك
من القران الذي هو رحمة نازلة بالمصطفى اطمان خاطره وامن سوء
الخاتمة انتهى نقل عياض قال السيوطي ولم اجده مخرجا في شي من
كتب الحديث وذكره السمرقندي في تفسيره بلفظ وذكر ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل يقول الله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين فهل اصابك من هذه الرحمة
شي قال نعم كنت اخشى عاقبة الامر اي خاتمته فامنت بك
لثناء الله تعالى علي في قوله ذي قوة عند ذي العرش مكين
ولا يعارض هذا ما روي ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يبكي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال له قال
وما لي لا ابكي فوالله ما جفت لي عين منذ خلق الله النار مخافة ان اعصيه
فيقذفني فيها اخرجه احمد في الزهد عن ابي عمران الجوني به واخرج
ابو الشيخ عن عبد العزيز بن ابي رواد قال نظر الله الى جبريل وميكائيل
وهما يبكيان فقال الله ما يبكيكما وقد علمتما اني لا اجور فقالا يا رب
انا لا نامن مكرك قال هكذا افعلا فانه لا يامن مكري الا كل خاسر
لانه كلما ازداد القرب زاد الخوف فالمقرب لا يزال خائفا من مهابته
او لانه من عظمة الله تعالى قد يذهل عن الامان وهذا يقتضي
ان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من جبريل وهو الذي
عليه الجمهور بل حكى الرازي عليه الاجماع وكذا ابن السبكي والبلقيني
والزركشي وقالوا انهم استثنوه من الخلاف في التفضيل بين النبي
والملك خلافا لمن زعم ان جبريل افضل وقد قال بعض علماء
المغاربة جهل الزمخشري مذهبه فان المعتزلة يجمعون على انه
افضل من جبريل نعم قيل ان طائفة منهم خرقوا الاجماع كالرماني

فيتهم الكشاف جهلا واستدل بان الله وصف جبريل باربعة
اوصاف الكمال في قوله انه لقول رسول كريم اي جامع لانواع
الخير ففيه شهادة له بعلو الرتبة وليس المراد كريم عند مرسله كما قيل
به في الغنى الى كتاب كريم وان اجيز هنا للاستغناء عنه بعند ذي العرش
ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي واقتلاع المدائن والجبال
واهلاك صيحته كل من سمعها وهبوطه الى الارض وصعوده في طرفة
عين الى غير ذلك عند ذي العرش صفة مستقلة عنده لانه عدها
سبعا لا متعلقة بما قبله ولا بما بعده والا فهي ستة وقد عدها الرازي
ستة وعلقها بما قبلها مكين اي متمكن المنزلة عند ربه رفيع المحل
عنده مطاع ثم في السما امين على الوحي ووصف محمدا صلى الله
عليه وسلم بقوله وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة ولو كان
محمد صلى الله عليه وسلم مساويا لجبريل في صفات الفضل
او مقاربا له لكان وصف محمد مثل ذلك قال البيضاوي وهو
استدلال ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على
الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما واجيب بانا
متفقون ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل اخرى القران
ناطق بها ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ان تطيعوه تهتدوا
قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الى
غير ذلك سوى ما ذكر في هذه الاية وعدم ذكر الله تعالى لتلك
الفضائل هنا لا يدل على عدمها بالاجماع لانه لم يقصد المفاضلة بينهما
واذا ثبت ان لمحمد صلى الله عليه وسلم فضائل اخرى زائدة
على هذه السبع التي تشبث بها اهل المعتزلة فيكون افضل
من جبريل وهو اجماع حتى من المعتزلة ايضا كما مر وبالجملة
فافراد الشخص بالوصف لا يدل البتة بقطع الهمزة
على انتفاء تلك الاوصاف عن الثاني بل هو موصوف بها ضرورة
انه لا يصح نفيها عنه واذا ثبت بالدليل القراني انه صلى الله عليه
وسلم رحمة للعالمين والملائكة من جملة العالمين وجب ان يكون
افضل منهم حتى جبريل والله اعلم وبهذا ونحوه حدد جماعة من اكابر
العلماء كالسبكي من قراءة الكشاف وقال تعالى ما كان محمد ابا احد
من رجالكم قال الله تعالى اذ ذهب الله بهذه الاية ما وقع في
نفوسهم منافقون وغيرهم من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم
زوجة دعيه زيد بن حارثة لانهم كانوا استعظموا ان يتزوج
زوجة ابنه ونفى القران تلك البنوة واعلم انه عليه الصلاة والسلام
ما كان ابا احد من المعاصرين له حقيقة ولم يقصد بهذه الاية انه لم
يكن له ولد فيحتاج الى الاحتجاج في امر بنيه بانهم كانوا ماتوا ولا في

الحسن والحسين الى انهما ابناؤه ومن احتج بذلك فاول معنى النبوة على
غير ما قصدها ولكن رسول الله وقرئ بالرفع اي هو وقرأ عاصم وابو
عمرو وعاصم بالنصب عطفا على ابا ولكن بالتخفيف وقرأت فرقة لكن بالتشديد
ورسول اسمها والخبر محذوف وخاتم النبيين بكسر التاء قراءة الجمهور
بمعنى انه ختمهم اي جاء آخرهم وقرأ عاصم بفتح التاء اي انهم ختموا به فهو
كالخاتم والطابع لهم وهذه الآية نص في انه لا نبي بعده واذا لم يكن نبي فلا
رسول بطريق الاولى لان مقام الرسالة اخص من مقام النبوة
فان كل رسول نبي ولا ينعكس فليس كل نبي رسولا كما قد سلف ذلك
في اسمائه الشريفة من المقصد الثاني وبذلك وردت الاحاديث
عنه صلى الله عليه وسلم فروى الامام احمد بن حنبل من حديث
ابي بن كعب الانصاري [illegible] سيد القراء من فضلاء الصحابة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال مثلي مبتدأ في النبيين متعلق
به وفي حديث جابر ومثل الانبياء بالعطف والخبر كمثل رجل بنى دارا
فاحسنها واكملها وترك فيها موضع لبنة بفتح اللام وكسر الموحدة
ونون ويجوز كسر اللام وسكون الموحدة قطعة طين تعجن وتعد للبناء
من غير احراق فان حرقت فهي آجرة لم يضعها فجعل الناس يطوفون
بالبنيان ويتعجبون بفوقية بعد التحتية منه اي من حسنه وكماله
ويقولون وددنا لو تم موضع هذه اللبنة فلو للتمني فلا جواب
لها او جوابها محذوف لعلمه من المذكور اي لتم حسنها وكمالها فانا في
النبيين موضع تلك اللبنة وفي رواية احمد عن ابي هريرة الا وضعت
ههنا لبنة فيتم بنيانك ورواه الترمذي عن بندار بضم الموحدة
واسكان النون ودال مهملة فالف فراء بلا نقط لقبه محمد بن بشار
بن عثمان العبدي البصري ابي بكر ثقة روى عنه الائمة الستة وابن
خزيمة وغيرهم مات سنة اثنين وخمسين ومائتين وله خمس وثمانون سنة
عن ابي عامر عبد الملك بن عمرو القيسي العقدي بفتح المهملة والقاف
ثقة مات سنة اربع او خمس ومائتين روى له الجميع وقال الترمذي
حديث حسن صحيح عن ابي بن كعب وفي حديث انس بن مالك يرفعه
ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي
فيلزم من لا نبي بعده يكون اشفق على امته كوالد ليس له غير ولد
رواه الترمذي وغيره كالامام احمد والحاكم باسناد صحيح وفي
حديث جابر مرفوعا قال قال النبي صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل
مبتدأ ومثل الانبياء عطف عليه كمثل رجل خبر بنى دارا فاكملها
واحسنها وفي رواية همام عن ابي هريرة عند مسلم كمثل رجل ابتنى
بيوتا فاحسنها واجملها واكملها الا موضع لبنة من زاوية من زواياها
وكان من دخلها فنظر قال ما احسنها الا موضع هذه اللبنة وفي

رواية

رواية الشيخين فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا
موضع هذه اللبنة وفي حديث ابي هريرة ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة
وفي رواية همام الا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك فقال صلى الله عليه وسلم فانا
موضع اللبنة ختم بي الانبياء ولمسلم جئت فختمت الانبياء عليهم السلام
وفي حديث ابي هريرة فقال فانا اللبنة وانا خاتم النبيين رواه ابو
داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي بفتح الطاء والتحتية
نسبة الى الطيالسة المعروفة البصري الثقة الحافظ المصنف مات سنة
اربع وقيل ثلاث ومائتين روى له مسلم والاربعة وكذا البخاري ومسلم
بنحوه عن جابر واخرجاه ايضا من حديث ابي هريرة وسياقه اتم
وقدمه المصنف في الخصائص وفي حديث ابي سعيد الخدري فجئت
انا فاتممت تلك اللبنة رواه مسلم فيه شيء لان مسلما لم يسق لفظه
بل احال به على حديث ابي هريرة الذي رواه من ثلاثة طرق فقال
حدثنا ابن ابي شيبة وابو كريب قالا حدثنا ابو معوية عن الاعمش عن
ابي صالح عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل
ومثل النبيين فذكر نحوه هذا لفظ مسلم وقد علمت ثبوتها من حديث ابي
هريرة واورد ان المشبه به واحد والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه واجيب
بانه جعل الانبياء كرجل واحد لانه لا يتم ما اراد من التشبيه الا باعتبار الكل
وكذا الدار لا تتم الا باجتماع البنيان وبانه من باب التشبيه التمثيلي وهو ان
يوجد وصف من اوصاف المشبه ويشبه بمثله من احوال المشبه به فكأنه شبه
الانبياء وما بعثوا به من ارشاد الناس ببيت اسست قواعده ورفع بنيانه
وبقي منه موضع يتم به صلاح ذلك البيت وزعم ابن العربي ان اللبنة المشار
اليها كانت في اس الدار المذكورة وانها لولا وضعها لانقضت تلك الدار قال
وبهذا يتم المراد من التشبيه المذكور قال الحافظ وهذا ان كان منقولا
فحسن والا فليس بلازم نعم ظاهر السياق ان اللبنة في المكان يظهر عدم
الكمال في الدار بفقدها وفي رواية مسلم الا موضع لبنة من زاوية من زواياها
فظهر ان المراد انها مكملة محسنة والا لاستلزم ان يكون الامر بدونها ناقصا
وليس كذلك فان شريعة كل نبي بالنسبة اليه كاملة فالمراد هنا النظر الى
الاكمل بالنسبة الى الشريعة المحمدية مع ما مضى من الشرائع الكاملة وفي
الحديث ضرب الامثال للتقريب للافهام وفي حديث ابي هريرة عند
مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم فضلت على الانبياء بست اعطيت
جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت
الى الخلق كافة ارساله عامة محيطة بهم لانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج
منها احد منهم وختم بي النبيون اي اغلق باب الوحي والرسالة وسد لكمال
الدين وتصحيح الحجة فلا نبي بعده ومر الحديث في الخصائص فمن تشريف
الله تعالى له ختم الانبياء والمرسلين به واكمال الدين الحنيفي

المايل عن الباطل للحق له وقد اخبر الله تعالى في كتابه ورسوله في
السنة المتواترة عنه انه لانبي بعده ليعلموا اي المخبرين ان كل
كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب كثير الكذب افاك كذاب
مبالغ فيه دجال كذاب قال ثعلب الدجال هو المموه يقال سيف مدجل اذا طلي
بذهب وقال ابن دريد كل شي غطيته فقد دلجته واشتقاق الدجال من
هذه الاية يغطي الارض بالجمع الكثير ضال لم يهتد والالفاظ الاربعة
متقاربة وقد علم صلى الله عليه وسلم بذلك واخبر به ففي الصحيحين مرفوعا
لاتقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريبا من ثلاثين كلهم يزعم
انه رسول الله ولو تحذلق بفوقية فمهملة فمعجمة اظهر الحذق وادعى اكثر
مما عنده ومثله حذلق بلا تا وتشعبذ بالذال المعجمة بعد الموحدة
اتى بما يري الانسان منه ما لاحقيقة له كالسحر ويقال له ايضا شعود
بالواو بدل الموحدة واتى بانواع السحر قال ابن فارس وهو اخراج
الباطل في صورة الحق ويقال هو الخديعة وسحره بكلامه استماله
برقته وحسن تركيبه وقال الامام فخر الدين هو في عرف الشرع كل امر
يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع قال
تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى واذا اطلق ذم فاعله والطلاسم
والنيرنجيات بكسر النون واسكان التحتية وكسر الرا فنون ساكنة فجيم فتحتية
فالف ففوقية قال المجد النيرنج بالكسر اخذ كالسحر وليس به فكلها
محال باطل وضلالة زوال عن الحق عند اولي الالباب العقول ولا
يقدح في هذا نزول عيسى بن مريم عليه السلام بعده لانه اذا انزل
من السما كان على دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومنهاجه طريقه
في شرعه فهو واحد من امته مع انه لا يرد هذا اصلا اذ ان المراد انه
اخر من نبي وارسل فلا يضر وجود واحد بعده او اكثر ممن نبي او ارسل
قبله قال ابن حبان من ذهب الى النبوة مكتسبة لا تنقطع او
الى ان الولي افضل من النبي فهو زنديق يجب قتله لتكذيب
القران وخاتم النبيين والله اعلم النوع الرابع في التنويه به
اي التعظيم ورفعة شانه صلى الله عليه وسلم بذكره في الكتب السالفة
كالتوراة والانجيل بانه صاحب الرسالة والتبجيل متعلق بقوله
في التنويه اي رفع ذكره بانه صاحب وهذا اظهر من كونه بدلا منه قال
الله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل باسمه وصفته بحيث لا يشكون
انه هو ولذا عدل عن يجدون اسمه او وصفه مكتوبا فتضمن ذلك اخباره
تعالى بذكره في الكتابين قبل وجوده وتعظيما له وحثا على اتباعه اذا
وجد وروى ابو نعيم في الحلية عن وهب بن منبه قال كان في بني اسرائيل
رجل عصى الله مائتي سنة ثم مات فاخذوه فالقوه على مزبلة فاوحى

الله

الله الى موسى ان اخرج فصل عليه قال يا رب بنو اسرائيل تشهد وانه عصاك
مائتي سنة فاوحى الله اليه هكذا كان الا انه كان كلما نشر التوراة نظر
الى اسم محمد صلى الله عليه وسلم قبله ووضعه على عينيه وصلى عليه فشكرت
ذلك له وغفرت له وزوجته سبعين حورا وهذا ابين دليل على انه كان
مكتوبا كان ذكر هذا الكلام من اعظم المنفرات لهم عن اتباعه لو لم يكن
ولا يسعى فيما يوجب نقصان حاله بل في الزيادة ولا عقبا بنفر الناس عن
قبول مقاله فكيف بارجح الخلق عقلا فلما قال لهم عليه السلام هذا
المذكور من كتابة اسمه ووصفه بالنبي الامي دل على ان ذلك النعت في
الوصف الذي وصف لهم به نفسه كان مذكورا اعني التوراة والانجيل وذلك
من اعظم الدلايل على صحة نبوته لكن اهل الكتاب كما قال الله تعالى
يكتمون الحق فهو نعت محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعلمونه انه الحق ويحرفون الا
يبدلون الكلم الذي في التوراة من نعت محمد وغيره عن مواضعه التي وضعه
الله عليها والا فهم قاتلهم الله قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا
ابناءهم كما قال تعالى الذين يعرفونه كما يعرفون ابناءهم قال عبد الله بن
ابن سلام رضي الله عنه لقد عرفته صلى الله عليه وسلم حين رايته كما اعرف
ابني ومعرفتي لمحمد اشد ووجدوه عندهم مكتوبا في التوراة والانجيل
لكن حرفوها وبدلوها عطف تفسير ليطفئوا نور الله بافواههم
بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره يظهره ولو كره الكافرون ذلكت
فدلايل نبوة نبينا في كتابيهما بعد تحريفهما طافحة اي طاهرة فيهما لكثيرة
لكتابيهما من طفح الانا امتلا واعلام شرائعه ورسالته لايحة فالباقي
بعد التحريف فيه بيان صدقه واظهار رسالته عليه السلام وكيف يغني
عنهم انكارهم وهذا اسم النبي بالسريانية كما جزم به عياض وغيره مشفح
بضم الميم وشين معجمة مفتوحة وفا شديدة مفتوحة ثم حا مهملة مرفوع
في النسخ الصحيحة وفي كثيرها مشفحا بالنصب على الحال اي جاحال كونه
مشفحا او بتقدير مشفحا لكن قال الدلجي مشفح ممنوع الصرف للعلمية
والعجمة وبالقاف جزم ابن دحية وقال انه بوزن محمد ومعناه وروي كما قال
المصنف بالقاف وبه جزم الشمني والدلجي وقال القاف مفتوحة او مكسورة
واقتصر المجد على الفتح فقال مشقح كمعظم قال الحافظ البرهان لا اعرف صحته
ولا معناه اي سواكان بالفا او القاف وقال الدلجي لا اعرف له معنى ولعل
مرادها لا يعرفان هل معناه شافع او صاحب الحوض او اللوا ونحو ذلك فلا ينافيه
قول عياض وابن دحية وغيرهما وتبعهم المصنف بقوله مشفح محمد بغير شك
اي معناه محمد وهو ثابت في كتبهم بهذا الوصف واعتبار اي دليله
انهم يقولون شفحا لاها اذا ارادوا ان يقولوا الحمد لله واذا كان
الحمد اي معناه في لغتهم شفحا فمشفح محمد وقد يقال لا يلزم من التعبير
عن الحمد لله بمشفح لها اسم لمحمد لجواز ان يراد به اسم اخر كمحمود او ممدوح ونحوه

الآن يقال وجه الملازمة انه اذا ثبت ان احمد معناه المشتق كان مصدرا واسم
المفعول الماخوذ من الحمد مصدرا هو محمد فيكون مشتق بمعنى محمد ولان الصفات
التي افردوا بها اي بوروده نعاتة في كتبهم هي وفاق اي مطابقة لاحواله
وزمانه ومخرجه ومبعثه وشريعته صلى الله عليه وسلم فان انكروا انه
هو فليدلونا على من هذه الصفات هي له قائمة بروالعطف على مقدر
وحيث عجزوا اثبت المطلوب ان من قامت به هذه الصفات هو النبي صلى الله
عليه وسلم ولزمتهم الحجة ومن خرجت له الامم اي جاءت له طائفة مدعية
من بين يديه وتقوله وانخلعت له واستجابت اجابت له دعوته بيان
للمراد به من صاحب الجمل الذي هلكت بابل بلد في سواد العراق ينسب
اليه السحر والخمر واخضعنا مهابة اذ هو في نسخ على انا لولم نأت بهذه
الانبا الاخبار والقصص من كتبهم وجواب لو مقوله لم يكن فيها ودع الله
عزوجل التوراة دليل على ذلك وفي نسخ الم يكن بهمزة الاستفهام الانكاري
وعليها جواب لو محذوف اي لا يضرنا ذلك او كنا في غنية عنه لكن حذف الهمزة
اولى لان ذكرها لا يحصل المقصود من الزامهم الحجة وقد يقال بل يحصل بضميمة
قوله وفي تركهم محمد ذلك وانكاره بالنصب وهو يخبرهم بنشر به
ويوبخهم بدليل على اعترافهم له فانه يقول الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل باسمه
وصفته ويقول حكاية عن المسيح واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل
اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا في حال
تصديقي لما تقدمني من التوراة وتبشيري برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد والعامل في الحاليين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ
هو صلة للرسول فلا تعمل قاله البيضاوي ويقول يا اهل الكتاب لم تلبسون
تخلطون الحق بالباطل بالتحريف والتزوير وتكتمون الحق اي بعث النبي
صلى الله عليه وسلم وانتم تعلمون انه حق ويقول الذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه اي محمدا عليه السلام كما يعرفون ابناءهم بنعته في كتبهم قال ابن
سلام بل لعرفتي لمحمد اشد وكانوا يقولون لمخالفيهم عند القتال هذا
نبي قد اظل اي قرب مولده ويذكرون من صفته ما يجدون في كتابهم
اخرج ابن حاتم عن ابن عباس ان يهود كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج
برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به
وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء وداود بن
سلمة يا معشر يهود اتقوا الله واسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن
اهل شرك وتخبرونا بانه مبعوث وتصفونه بصفته فقال سلام بن مشكم احد
بني النضير ما جاءنا بشيء نعرفه وما هو الذي كنا نذكر لكم فانزل الله ولما جاءهم كتاب
من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا او خوفا على الرياسة وجواب لما الاولى

دل

دل عليه جواب الثانية ويحتمل انهم كانوا يظنون انه من بني اسرائيل
فلما بعثه الله من العرب من نسل اسماعيل عظم ذلك عليهم واظهروا التكذيب
بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فلعنة الله على الكافرين
عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فاللام للعهد ويجوز انها للجنس
ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيه وقد كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم
الى اتباعه وتصديقه فكيف يجوز ان يحتج بباطل من الحجج ثم يحيل ذلك الى
ما عندهم وما في ايديهم ويقول من علامة نبوتي وصدقي انكم تجدونني
عندكم مكتوبا باسمي وصفتي وهم لا يجدونه كما ذكر في كتبهم او ليس ذلك
مما يزيدهم عنه بعدا استفهام انكاري وقد كان غنيا عن ان يدعوهم بما
ينفرهم عن اتباعه وعن ان يستميلهم بما يوحشهم وقد سلم من
اسلم من علمائهم كعبد الله بن سلام بالتخفيف الاسرائيلي ابي يوسف
حليف بني الخزرج قيل كان اسمه الحصين فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد
الله له احاديث وفضل مات بالمدينة سنة ثلاث واربعين وتميم بن اوس بن
خارجة الداري ابي رقية بقاف مصغر صحابي مشهور سكن بيت المقدس
بعد عثمان مات سنة اربعين وكعب بن ماتع الحميري المعروف بكعب الاحبار كان
يهوديا من احبارهم من اهل اليمن وادرك الزمن النبوي قبل واسلم فيه وقيل
في خلافة ابي بكر وقيل عمر وهو الراجح وسكن الشام ومات في خلافة عثمان
وقد زاد على المائة وفي نسخة وكم اسلم ومعناها التكثير لكن الثلاثة الذين
الذين ذكرهم قليل فالمراد ان المسلمين من علمائهم كثير لكن ليسوا من اضراب ابن
سلام فلم يذكرهم واقتصر على عظمائهم وقد وقفوا انه على مثل هذه الدعاوي
واعترفوا بثبوتها في كتبهم وقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق والطبراني
وابو نعيم في الدلائل كلهم من طريق محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله
ابن سلام صدوق من السادسة ومنهم من زاد بين حمزة ويوسف محمدا روى
له ابن ماجة كما في التقريب عن جده يوسف بن عبد الله بن سلام الاسرائيلي
المدني ابي يعقوب صحابي صغير وقد ذكره العجلي في ثقات التابعين وقوله
عبد الله بن سلام انه يقتضي ان المراد جده الاعلى فيكون منقطعا لانه لم يدركه
وفي رواية الطبراني وابي نعيم عن ابيه ان عبد الله بن سلام وهو منقطع
ايضا لما سمع بمخرج النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خرج فلقيه ولابي نعيم
والطبراني انه قال لاحبار يهود اني اردت ان احدث بمسجد ابينا ابراهيم
عهدا فانطلق الى رسول الله وهو بمكة فوافاه بمنى والناس حوله فقام
مع الناس فلما نظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم انت عبد الله بن سلام عالم اهل
يثرب فهو من معجزاته حيث اخبره بذلك بمجرد رؤيته له قال نعم قال
صلى الله عليه وسلم ادن فدنا منه كما في الطبراني وابي نعيم فقال
نا نشدتك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد صفتي في كتاب
الله التوراة وفي رواية انشدك بالله اما تجد ونعتي في التوراة رسول الله

قال انسب ربك يا محمد وفي رواية انعت لنا ربك فارتج بالبنا للمفعول مخففا اي لم ينطق النبي صلى الله عليه وسلم بجواب ويقال ارتج بهمزة وصل وتثقيل الجيم وبعضهم يمنعها وربما قيل ارتتج وزان اقتتل بالبنا للمفعول ايضا كما في المصباح وفي رواية فارتعد صلى الله عليه وسلم حتى خر مغشيا عليه فقال جبريل قل هو الله احد خبر ثان الله الصمد المقصود في الحوائج على الدوام او الذي لا جوف له كما في الطبراني عن بريدة وبه قال كثير من المفسرين قال ابن عطية كانه بمعنى المصمت وقال الشعبي هو الذي لا ياكل ولا يشرب وفي هذا التفسير كله نظر لان الجسم في غاية البعد عن صفات الله تعالى فما الذي يعطينا هذه العبارات قال والصمد في كلام العرب السيد الذي يصمد اليه في الامور ويستقل بها وانشدوا

ألا بكر الناعي بخير بني اسد ٭ بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وبهذا نفسر هذه الاية لان الله موجد الموجودات واليه يصمد وبه قوامها ولا غني بنفسه الا هو تبارك وتعالى انتهى لم يلد لانه لم يجانس ولا يفتقر الى من يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفنا عليه ولم يولد لانه لا يفتقر الى شي ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد مكافيا ومماثلا فله متعلق بكفوا قدم عليه لانه محل القصد محط القصد بالنفي واخر احد وهو اسم يكن عن خبرها رعاية للفاصلة فقال ابن سلام اشهد انك رسول الله وان الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان كلها بابطال باطلها ونسخ حقها وفي رواية الطبراني وابي نعيم فقال ابن سلام اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم انصرف الى المدينة وكتم اسلامه وقضية هذا انه اسلم بمكة قبل الهجرة لكن هذا حديث ضعيف متكلم فيه معارض بما في البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر اتاه ابن سلام وقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي فسال واجابه النبي صلى الله عليه وسلم عن مسائله فقال اشهد انك رسول الله الحديث وفيه قد علمت اليهود اني سيدهم وابن سيدهم واعلمهم وابن اعلمهم فسلهم عني قبل ان يعلموا باسلامي واله سالهم عنه فاعترفوا بما قال فلما قال لهم اني اسلمت كذبوه وقالوا فيه ما ليس فيه ومن ثم لم يعرج الحافظ على رواية ابن عساكر ومن معه هذه بل جزم في الفتح والاصابة بانه اسلم اول ما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وغلط من قال اسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين وقد اخرج احمد واصحاب السنن عن عبد الله بن سلام قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل الناس لقدومه فكنت فيمن انجفل فلما تبينت وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب فسمعته يقول افشوا السلام واطعموا الطعام الحديث ويحمل على من اسلم قبل ذلك ان يثبتك بعد ذلك وانه يساله امتحانا

ليعلم هو نبي ام لا وقد اختلف في ان سورة الاخلاص مكية او مدنية واخرج الترمذي والحاكم وابن خزيمة عن ابي بن كعب ان المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله احد الى اخرها واخرج الطبراني وابن جرير مثله من حديث جابر فاستدل به على انها مكية واخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس ان اليهود جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم منهم كعب بن الاشرف وحيي بن اخطب فقالوا يا محمد صف لنا ربك الذي بعثك فانزل الله قل هو الله احد وروى ابن جرير عن قتادة وابن المنذر عن سعيد بن جبير مثله فاستدل بهذا على انها مدنية ولابن جرير عن ابي العالية قال قال قتادة الاحزاب انسب لنا ربك فاتاه جبريل بهذه السورة قال في اللباب وبهذا يبين المراد بالمشركين في حديث ابي فتكون السورة مدنية كما دل عليه حديث ابن عباس وينتفي التعارض بين الحديثين لكن روى ابو الشيخ في العظمة عن انس اتت يهود خيبر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم خلق الله الملائكة من نور الحجاب وادم من حما مسنون وابليس من لهب النار والسما من دخان والارض من زبد الما فاخبرنا عن ربك فلم يجبهم فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله احد انتهى نعم بقية الحديث ثابت عن ابن سلام علقها البخاري تلو حديث ابن عمرو الاتي واخرجها الدارمي ويعقوب بن سفين والطبراني وهي قوله واني لاجد صفتك في كتاب الله يعني التوراة ففي رواية الجماعة عنه انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على امتك بما يفعلون لهم وعليهم مقبول عند الله ومبشرا لمن اجابك بالثواب ونذيرا مخوفا لمن عصاك بالعذاب انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل اي على الله لقناعته باليسير من الرزق واعتماده على الله في النصر والصبر على انتظار الفرج والاخذ بمحاسن الاخلاق واليقين بتمام وعد الله فتوكل على الله فسماه المتوكل ليس بفظ سيء الخلق جاف وفيه التفات من الخطاب الى الغيبة اذ لو جرى على نسق الاول لست بفظ ولا غليظ قاسي القلب ولا سخاب بسين مهملة وخا معجمة ثقيلة لغة اثبتها الفرا وغيره وبالصاد اشهر من السين بل ضعفها الخليل اي لا يرفع صوته على الناس لسو خلقه ولا يكثر الصياح عليهم في الاسواق بل يلين جانبه ويرفق بهم وفيه ذم اهل السوق الذين يكونون بالصفة المذمومة من صخب ولغط وزيادة مدحة لما يبيعونه وذم لما يشترونه والايمان الحانثة ولذا كانت شر البقاع لما يغلب على اهلها من سائر الاحوال المذمومة وقيد بالاسواق والمراد نفيه عنه مطلقا لانه اذا انتفى في المحل المعتاد فيه انتفى في غيره بالطريق الاولى وهو ابلغ وافصح من الاطلاق لانه نفي بدليل نحو قوله لا ترى الضب بها ينجحر فهو من نفي المقيد دون قيده ولا يجزيء بالسيئة مثلها اي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح يعرض ما لم تنتهك حرمات الله

ولن يقبضه بميته الله حتي تقيم به الملة العوجا ملة
ابراهيم فانها اعوجت في الفترة فزيدت ونقصت وغيرت عن استقامتها
واميلت بعد قوامها وما زالت كذلك حتي اقامها صلي الله عليه وسلم بنفي
الشرك واثبات التوحيد كما قال حتي يقولوا لا اله الا الله اي ومحمد
رسول الله فالمراد كلمة التوحيد فسر شراح الحديث قاطبة الملة العوجا
بملة ابراهيم وكذا ابن الاثير في النهاية قايلا ان العرب كانوا يزعمون
انهم علي ملته وابعد من قال انها الملة التي راها خارجة عن الحق فازال
اعوجاجها وان لم تنسب الي ابراهيم كملة اليهود والنصاري فانهم حرفوا
وبدلوا ولم يتركوا ما نسخ من شرعهم فجاهدهم حتي اهتدي من اهتدي
وقتل من قتل ويفتح به بالنبي وفي رواية البخاري بها اي بكلمة التوحيد
اعينا عميا بضم العين وسكون الميم صفة لاعين اي عن الحق واذانا
صما عن استماع الحق وقلوبا غلفا بضم المعجمة وسكون اللام صفة قلوبا
جمع اغلف اي مغطي ومغشي وقوله ليس بفظ ولا غليظ موافق لقوله تعالي
فبما زايدة فبما رحمة من الله لنت لهم اي سهلت اخلاقك حيث خالفوك ولو كنت
فظا غليظ القلب جافيا فاغلظت لهم لانفضوا تفرقوا عنك ولا يعارض هذا
قوله تعالي يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم لان النفي
محمول علي طبعه الكريم الذي جبل عليه الامر محمول علي طبعه الكريم الذي
جبل عليه والامر محمول علي المعالجة لنفسه علي خلاف ما طبع عليه
او النفي بالنسبة الي المومنين والامر بالنسبة الي الكافرين
والمنافقين كما هو مصرح به في الاية ذكر الجوابين الحافظ كما قال شيخنا
اظهر لموافقة الاية وان كان الاول من حيث عمومه شاملا لعصاة المومنين
اذا فعلوا منكرا ولا سيما اذا اظهر منهم التصميم عليه وقلوبا غلفا اي مغشاة
مغطاة واحدها اغلف ومنه غلاف السيف وغيره والمعني ان قلوبهم
محجوبة عن الهداية فازال صلي الله عليه وسلم حجابها وكشف غطاها واخرج
الدارمي وابو نعيم عن ام الدردا وامراة الدردا ابي الدردا شك من
الراوي في اللفظ الذي قاله شيخه وان اتحد المعني ولابي الدردا زوجتان
يكني كل منهما بذلك احداهما الكبري واسمها خيرة بنت ابي حدرد صحابية من فضلا
النسا وعقلايهن وذوات الراي منهن مع العبادة والنسك ماتت قبل
زوجها بالشام والثانية في خلافة عثمن والثانية الصغري واسمها
هجيمة او جهيمة ثقة فقيهة ماتت سنة احدي وثمانين وهي التي روي
لها اصحاب الكتب الستة لا صحبة لها ولا ذكر ولا رؤية وذكر في الاصابة
الكبري حديثين سمعتهما من النبي صلي الله عليه وسلم وكلمها وكل منهما
يحتمل انها التي قالت قلت لكعب بن مانع الحميري المعروف بكعب الاحبار
كيف تجدون صفة رسول الله صلي الله عليه وسلم في التوراة
قال كنا نجده موصوفا فيها محمد رسول الله كما في القران اسمه المتوكل

الذي يكل امره الي الله فاذا امره بشي نهض بلا جزع وفي التنزيل فتوكل علي الله
وتوكل علي الحي الذي لا يموت ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق
التي هي محل الصخب وارتفاع الاصوات ففي غيرها اولي واعطي المفاتيح ليبصر
الله به اعينا عورا وهو الفاقد بصر احدي عينيه ولكون الفتح والابصار مجازا
عن الهداية عبر تارة بعميا واخري بعورا جمع اعور صفة لاعين وسمع اذانا
صما عن سماع الحق ويقيم به السنة معوجة جمع ليجانس الحلي تشهد وان لا
اله الا الله وحده لا شريك له اي وبمحمد رسول الله ففيه اكتفا نحو سرابيل
تقيكم الحر اي والبرد يحيي المظلوم علي الظالم ويمنعه من ان يستضعف بان
ينصره بحيث يصير فيه قوة تحمله ان يدفع عن نفسه وفي البخاري في البيوع
ثم في تفسير الفتح عن عطا بن يسار الهلالي ابي محمد المدني مولي ميمونة ثقة
فاضل صاحب مواعظ وعبادة مات سنة اربع وتسعين وقيل بعدها روي
له الستة قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاصي الصحابي بن الصحابي
رضي الله عنهما فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلي الله عليه وسلم
اي في التوراة بدليل الجواب فان السوال يعاد في الجواب صراحة او ضمنا
وهو من الغوا عدا الاصولية قال عبد الله اجل بفتح الهمزة والجيم وباللام
حرف جواب كنعم فيكون تصديقا للمخبر واعلاما للمستخبر ووعدا للطالب
فيقع بعد نحو قام زيد ونحو اقام زيد واضرب زيدا فيكون بعد الخبر وبعد الاستفهام
والطلب وقيل يختص بالخبر وهو قول الزمخشري وابن مالك وقيده المالقي
الخبر بالمثبت والطلب بغير النهي وفي القاموس اجل كنعم الا انه احسن منه في
التصديق ونعم احسن منه في الاستفهام وهذا قاله الاخفش كما في المغني
وغيره قال الطيبي اجل في الحديث جوابا للامر علي تاويل قرات التوراة
هل وجدت صفة رسول الله صلي الله عليه وسلم فيها فاخبرني قال اجل
والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القران اكده بموكدات
الحلف بالله والجملة الاسمية ودخول ان عليها ودخول لام التاكيد علي الخبر وانما
ساله عما في التوراة لانه كان يحفظها وقد روي البزار من حديث ابن لهيعة
عن وهب ان عبد الله بن عمرو بن العاصي راي في المنام في احدي يديه عسلا
وفي اخري سمنا وهو يلعقهما فلما اصبح ذكر ذلك للنبي صلي الله عليه وسلم
فقال له تقرا الكتابين التوراة والانجيل والقران وكان يقراهما فالنهي عن
قراتها ليس علي اطلاقه لوقوعه في الزمن النبوي لكثير من الصحابة بلا انكار
فهو مقيد بمن لم يميز المنسوخ والمحرف منها ويضيع وقته في الاشتغال بها عما
غيره فلا يمنع بل قد يطلب لالزامهم فيما انكروه منها وقد اخرج الدارمي ويعقوب
ابن سفين في تاريخه والطبراني عن عطا بن يسار عن ابن سلام مثله وعليه
البخاري قال الحافظ ولا مانع ان يكون عطا حمله عن كل منهما فقد اخرج ابن
سعد عن زيد بن اسلم قال بلغنا ان عبد الله بن سلام كان يقول لموصوف في
التوراة ببعض صفته في القران يا ايها النبي بدل من بعض او بيان له

انا ارسلناك شاهدا لامتك المومنين بتصديقهم وعلي الكافرين بتكذيبهم وانتصاب شاهدا علي الحال المقدر من الكاف او من الفاعل اي مقدرا ان شهادتك علي من بعثت اليهم وعلي تكذيبهم وتصديقهم اي مقبول عند الله لهم وعليهم او شاهدا للرسل قبله بالبلاغ **ومبشرا** للمومنين ونذيرا للكافرين ومبشرا للمطيعين بالجنة **ونذيرا** للعصاة بالنار **وحرزا** بكسر المهملة واسكان الراء ثم زاي اي حصنا **للاميين** اي العرب لان اكثرهم لا يقرؤون ولا يكتبون يتحصنون بك عن غوائل الدهر او سطوة العجم وتغلبهم وخصهم لذلك او لارساله بين اظهرهم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم او من ان يسوخهم او من مطلق العذاب ما دام فيهم عذاب الاستيصال فلا يرد ان دعوته عامة وجعله نفسه حرزا مبالغة لحفظه لهم في الدارين **انت عبدي** الكامل في العبودية **ورسولي** فقدم العبودية لشرفها فان له بها مزيد اختصاص ولذا اقتصر عليها في الاسرا وانزال الكتاب ولست بالمعني العام الذي يتصف بها كل مخلوق بل بالخاص الذي رضيه له حين اطلعه علي خطابه وقدسه وجعله رسولا لا ينفك عنه وكفاه جميع مؤناته فقال اليس الله بكاف عبده فان الملك لا يرضي بوقوف عبده بباب غيره واحتياجه لسواه واهانة احد له فانه هو الذي يؤدبه كما قال ادبني ربي فاحسن تاديبي فلذا قال **سميتك المتوكل** دون جعلتك او وصفتك المنادي بشدة توكله الذي صيره علما له ففيه اشعار بشدة توكله الساري في امته صلي الله عليه وسلم وخطابه بما في التوراة خطاب للحاضر في العلم وبالماضي في ارسلناك لتحققه او حكاية لما يقال في المستقبل او لاستحضار الاتي وعبر بما يعبر عنه في الاتي **ليس بفظ** سيء الخلق جاف **ولا غليظ** قاسي القلب بل ملته سمحة ولا ينافيه وقوع الغلظة اللايقة او الواجبة احيانا لانها لا تنافي حسن الخلق والمراد نفيهما بحسب الخلقة او في غير محلهما وقول النسوة لعمر انت افظ واغلظ من رسول الله صلي الله عليه وسلم ليس القصد به التفضيل بل اصل الفعل او من قبيل العسل احلي من الخل اي غلظتك يا عمر اشد من رقته صلي الله عليه وسلم واختاره في المصابيح ثم يحتمل ان تكون هذه الجملة اخري مع التوراة لبيان صفته وان تكون حالا من المتوكل ومن الكاف في سميتك ففيه التفات من الخطاب الي الغيبة حتي لا يواجهه بمثله وان كان منفيا **ولا سخاب** بشد الخاء بعد السين ويقال بالصاد وهو افصح وادعي بعض انه روي بها اي لا يرفع صوته علي الناس لسوء خلقه ولا يكثر الصياح عليهم **في الاسواق** بل يلين جانبه ويرفق بهم وهو من نفي المقيد بدون قيده ففيه دخوله صلي الله عليه وسلم الاسواق تواضعا وتركا لعادة الجبارين من الملوك ورد لقول الكفرة ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ويحتمل انه من نفي القيد والمقيد معا كما قال الطيبي المراد نفي الصخابية وكونه في الاسواق الذي علي معني نفي اعتياد دخوله في الاسواق كارباب الدنيا بل انما يدخلها لحاجة فلا يشكل ما قاله بانه خلاف الواقع والمبالغة للنسبة كخياط وبذي صخب كما في وما ربك بظلام من احد الوجوه او علي بابها

لثبوت

لثبوت اصل الفعل المتنفي له في محله كخبطة وتلبية ونحوها **ولا يدفع** هكذا الرواية في البخاري في المحلي فسحه ولا يجزي **بالسيئة السيئة** هي كقوله تعالي ادفع بالتي هي احسن السيئة وخلقه القران وقد قال تعالي وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفي واصلح فاجره علي الله وكذا قال **ولكن يعفو** يمحو ويزيل السيئة من ظاهره وخاطره **ويغفر** يستر السيئة ولا يلزم منه ان النهار ويعفو تارة ويستر اخري فلا يفضح فيقول في خطبته ما بال اقوام يفعلون كذا او هما متساويان فالثاني تاكيد ونقل القرطبي عن بعضهم ان الغفر ستر لا يقع معه عقاب ولا عتاب والعفو انما يكون بعد عقاب او عتاب فان استعمل في غيره فهو مجاز وفي نسخة ويصفح **ولن يقبضه** يميته **الله** واصله اخذ المال واستيفاوه فاطلق علي الموت بتشبيه الحياة والروح بالمال كما قيل

اذا كان راس المال عمرك فاحترس * عليه من الانفاق في غير واجب *

او هو من استعمال المقيد في المطلق ثم شاع حتي صار حقيقة فيه **حتي يقيم به الملة العوجا** ملة ابراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها لانهم ذرية اسماعيل بن ابراهيم وكانوا يزعمون انهم علي ملته الحنيفية والحنيف من يوحد الله تعالي ويعبده لان الحنيف في اللغة الاستقامة قاله ابن الاثير **بان يقولوا** اي اهلها **لا اله الا الله** اقتصر عليها وجعلها اقامة الملة لان العوج الواقع عودة الشرك وعبادة الاصنام يستقيم بها وانهم ياتون بكلمة التوحيد التي هي عبارة عن لا اله الا الله محمد رسول الله لان الكلمتين صارا كالكلمة الواحدة او اكتفا كسرابيل تقيكم الحر **ويفتح به اي** بالنبي كذا وقع بتذكير الضمير هنا تبعا للشفا مع عزو كليهما للبخاري والذي فيه في الموضعين بها اي بكلمة التوحيد **اعينا عميا** بضم فسكون وفي رواية القابسي اعين عمي بالاضافة ولا تنافي بين هذا وبين قوله وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لانه لا انه دل ايلاء الفاعل المعنوي بحرف النفي علي ان الكلام في الفاعل وذلك انه تعالي نزل لحرصه علي ايمانهم منزلة من يدعي استقلاله بالهداية فقال انت لست بمستقل به بل انك لتهدي الي صراط مستقيم باذن الله وتيسيره وعلي هذا فيفتح معطوف علي يقيم اي يقيم الله بواسطته الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح بواسطة هذه الكلمة اعينا عميا **واذانا صما وقلوبا غلفا** بضم فسكون وفي رواية ابي ذر ويفتح بها اعين عمي واذان صم وقلوب غلف بضم اوله مبني للمفعول ورفع اعين واذان وقلوب علي النيابة **وعند** محمد بن اسحق بن يسار بدل قوله ولا صخاب **ولا صخب** بكسر الخاء صفة مشبهة ففيه المبالغة باعتبار افادة الثبوت هكذا في عدة نسخ صحيحة موافقة لما عند ابن اسحق والسفا عنه فلا عبرة بنسخ ولا صخاب **في الاسواق** وعنده زيادة هي **ولا متزين** بزاي منقوطة من الزينة وروي بدال من الدين وروي متزي بلا نون من الزي والهيئة **بالفحش** القبح وزنا ومعني فعلا كان او قولا اي لا يتجمل ولا يتزين او لا يتلبس به ولا يرد ان ظاهره يوهم انه قد ياتي به غير متجاوز

وغير متزين لانه لامفهوم له لجريه علي عادة ارباب الفحش في المباهات بدا وهو
استعارة تهكمية او التزين بمعني الاتصاف بتجريد او المراد لا يري الفحش
زينة فهي مكنية وهذا من ابانة لانه تشابه قوم يتزينون بالفواحش كالقتل
والزنا واللواط عادة فاتي بما يخالف عادتهم **ولا قوال** فعال صيغة مبالغة
اي كثير القول **للخنا** بمعجمة ونون مقصور قبيح الكلام وهذا مع ما قبله
يفيد انه لا يصدر عنه صلي الله عليه وسلم شي منه قليل ولا كثير لان الفحش معناه
او فعال للنسبة كتمار اي ليس بذي قول للخنا ولما ذكر صفات التخلية بقوله
ليس بفظ الي هنا ذكر صفات التحلية بطريق وعد من لا يخلف وعده مستانفا
لمقصد اعلي مما قبله ولذا لم يعطفه او في جواب سوال هو كما يفعل به بعد ان
صانه علي النقائص فقال **اسدده** اوفقه للسداد وهو الصواب والقصد
من القول والعمل **لكل جميل** حسن صورة كان او معني يليق به **واهب** بفتحتين
اعطي **له كل خلق** بضمتين وتسكن اللام السجية والطبيعة **كريم** عزيز نفيس
ثم اجعل مضارع المتكلم وهو الله **السكينة** بالفتح والتخفيف الوقار والطمانينة وبياء
لغة بالكسر والتشديد حكاها في المشارق وبها قري شاذ **لباسه** اي ما يظهر
عليه من الخشوع والتثبيت فشبه المعقول بالمحسوس تقريبا للفهم وعبد اهذ الوقار
يلوح للقلب مع مراقبته ولذا قال تعالي انزل السكينة في قلوب المومنين ولكل
وجهة **واجعل البر** الطاعة والاحسان او زيادته والخير والرحمة **شعاره** لباسه
الذي يلي جسده سمي به لانه يلي شعره وبدنه ويقابله الدثار وهو ما يتغطي به
ولما كانت السكينة ظاهرة فيه صلي الله عليه وسلم في سائر احواله ويراها
كل احد برا وفاجرا جعلها لباسا والبر والخير والرحمة وان لازمه ايضا وعم احواله
انما يطلع عليه المومنون ببصائرهم جعله شعارا فانظر حسن موقعه ما قبله وما
بعده ايضا وهو **والتقوي ضميره** لان الضمير ما يضمر في القلب وينوي في
الخاطر بحيث لا ينسي فتامل كيف انتقل من الظاهر للخفي ثم الاخفي مع ما فيه
من شبه اللف والنشر مع الامور السلبية والتقوي ما يقي العذاب في الاخرة
ولها مراتب اولها التبري عن الكفر والثاني التنزه عن كل ما يوثر والثالث
التنزه عما يشغل السر عن الله وبهذا علم التيامها مع الضمير **والحكمة** كل كلام جامع
لما يرشد الي الحق فيشمل المواعظ والامثال لانتفاع الناس بها ويطلق علي
القران والعلوم الشرعية والقضا بالعدل وبه فسر ادع الي سبيل ربك
بالحكمة **معقوله** مصدر او اسم مفعول فالمراد انها تعقله وادراكه او ما يعقله
كله حكم ومواعظ وعلوم نافعة لانه لا ينطق عن الهوي **واجعل الصدق والوفا**
طبيعته اي ان الله جبله ان لا ينطق بغير ما وافق الواقع واذا عاقد احدا
او وعد لا يخلف **والعفو والمعروف** ما يعرفه ويالفه العقلا ولذا قيل
المعروف كاسمه **خلقه** وفي المصباح المعروف البر والرفق والاحسان
ومنه قولهم من كان امرا بالمعروف فليامر بالمعروف اي من امر بخير فليامر
برفق **والعدل** القصد في الامر ضد الجور **سيرته** طريقته الحميدة وفي

التنزيل

التنزيل ان الله يامر بالعدل والاحسان فحمل المندوب وفي البغوي العدل بين
العبد وربه ايثار حقه علي حظ نفسه واجتناب الزواجر وامتثال الاوامر
وبينه وبين نفسه منعها عما فيه هلاكها والتصبر وبينه وبين غيره بذل النصيحة
وترك الخيانة وانصافهم من نفسه والصبر علي اذاهم وجعل العدل سيرته صلي الله
عليه وسلم لا ينافي ان يكون الاحسان سيرته ففي محل يليق به وكان يكون العفو
طبيعة له ايضا المصلحة تليق بالمقام **والحق شريعته** بنصبهما عطف علي مفعول
اجعل كما هو في نسخ الشفا الصحيحة المقروءة لا برفعهما لاقتضا تعريف الطرفين
الحصر فيفهم ان شرايع غيره باطلة وليس كذلك وان وجه بان المراد الحق الكامل الذي
لا ينسخ او في زمانه لا غيرها لنسخها بشريعته ويفيد ذلك لان هذا انما يحتاج اليه لو ثبت
رواية **والهدي امامه** بكسر الهمزة كما ضبطه الحافظ البرهان اي مقتداه ومتبعه
بكسر الهمزة كما ضبطه الحافظ البرهان اي مقتداه ومتبعه وهو كناية عن ملازمته
له وعدم انفكاكه عنه ويجوز ان يراد بالامام الطريق كما قيل في قوله وانهما
لبامام مبين وضبطه بعضهم بفتح الهمزة بمعني قدام فالمراد بطريق الكناية انه ملاحظ
له كما يقال في ضده انه ظهري وخلف ظهري والهدي الدلالة بلطف ولذا خصصت
بالخير وقيل تعريفه للعهد اي هدي الانبيا لقوله اولئك الذين هدي الله فبهداهم
اقتده اي بما اتفقوا عليه من التوحيد والاصول لا الفروع **والاسلام ملته** بنصبهما
علي الصحيح اي انه اسم للملة اي دينه خاصة دون الامم علي احد القولين وعلي الاخر
بالعموم لكل دين حق فالمراد الكامل ليكون من خصائصه النبي يميز بها عن غيره ولكماله
بنسخ غيره وكونه سمحا بين اللين والشدة وفي التنزيل سماكم المسلمين من قبل
وفي هذا **واحمد اسمه** وبه سماه في الكتب قبل وجوده ومبشرا برسول ياتي
من بعدي اسمه احمد ولما ذكر صفاته الموصوف بها في نفسه ذكر صفاته التي لوحظ فيها
غيره جوابا لسوال هل ينتفع بهذا الطاهر المطهر الكامل في نفسه غيره فقال
اهدي بفتح الهمزة مضارع هدي **به** بسببه او معديه **بعد الضلالة** بمعني
الضلال لسلوك غير الطريق الموصلة وقيل انما فضله لعلو رتبة الهداية سوا كانت
الايصال او الدلالة الموصلة وفيه تقوية لمدحه السابق والمراد الهداية الي ما
به النجاة والي ما به يكمل الناجي فلذا قال **واعلم** بضم الهمزة وشد اللام كما في
المقتفي **به بعد الجهالة** بفتح الجيم مصدر كالجهل ضد العلم وهو الاعتقاد الذي
لا يطابق الواقع **وارفع به بعد الخمالة** بفتح الخا المعجمة والميم اي الخفا وادعي
بعض انه لا يقال خمالة بل خمولة وفي الصحاح الخامل الساقط الذي لا نباهة
له وقد خمل يخمل خمولا وفي الجمهرة رجل خامل الذكر بين الخمول والخمولة وهو ضد
النبيه والنابه وفي القاموس خمل ذكره وصوته خمولا خفي واخمله الله فهو
خامل ساقط لا نباهة له جمعه خمل محركة واجيب بان ثبوت الخمالة في هذا
الحديث الصحيح شاهد لصحتها وان كان تتبعا بغير قياس او للمشاكلة الضلالة
والازدواج معها والمراد برفعه جعل الدين والتوحيد بعد ما ترك في الفترة لغلبة
الجهل مشهورا سائغا فهو مجاز كقوله ورفعنا لك ذكرك **واسمي** روي بضم

الهمزة وسكون
البصرة وفتح السين والتشديد وبه ضبطه في المقتفي روي بضم الهمزة وسكون
السين به بسببه **بعد النكرة** بضم فسكون وبفتح فكسر خلاف المعرفة ويطلق بمعني
الجهول اي اعرف الناس بسببه او بما وجبه اليه الناس المجهولين او اعرفهم ما جهلوه
من التوحيد او اعرف الناس ما لم يعرفوه من الانبيا وقصصهم والاولي التعميم
كما قيل **واكثر** بضم الهمزة وسكون الكاف وكسر المثلثة مخففة وبفتح الكاف وشد
المثلثة يتعدي بالهمزة والتضعيف **به بعد القلة** اي كثر به الارزاق مطلقا او
علي من اتبعه او اكثر امته بعد قلتها او بعد عدمها لورود القلة بمعني العدم لكنه
بعيد هنا او المراد قواعد الملة بعد اعوجاجها فاعادها منها ما نقص بكلمة التوحيد
وهو تكلف مستغني عنه لتقدم معناه **واغني** اعطي الغني **به بعد العيلة** بفتح
فسكون الفقر اي ما كانوا عليه في الابتدا ففتح لهم الفتوحات والممالك واحل
لهم الغنايم **واجمع به** الناس **بعد الفرقة** الافتراق وتنافر القلوب والعداوة
المودية للحروب كما وترك الديار كما كان بين الاوس والخزرج من الحروب قبل الاسلام
فلما جا الله به الف بين قلوبهم وسل احقادهم وصفا بينهم وصيرهم اخوة **والف**
جمع **به بين قلوب مختلفة** وذلك يستلزم التاليف بين الذوات وكونه بسبب
المصطفي لانه السبب الظاهري والمولف الحقيقي هو الله فلا ينافي اسناد التاليف
اليه سبحانه في قوله تعالي واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم
فاصبحتم بنعمته اخوانا **واهوا** جمع هوي وهو ميل النفس لما تحبه وتشتهيه **متشتتة**
متفرقة تقديم التاليف الفا من التفرق وبتقديم الفا علي التا من الافتراق روايتان
يعني ان كل امة كانت علي دين واعتقاد وطريقة منهم من يعبد الاصنام ومنهم من
يعبد الكواكب ومنهم يهودي ونصراني ومنهم غير ذلك فنسخ الله بشرعه صلي الله
عليه وسلم جميع الشرايع وجعل الدين دينا واحدا فيما من حاد عنه هلك وشقي في
الدارين وان حمل قوله واجمع به بعد الفرقة علي جمع العقايد والملل علي التوحيد
او الاعم كان ما بعده عطف تفسير له **واجعل امته** الذين اجابوه **خير امة**
اخرجت اوجدت وخلقت او اخرجت من العدم **للناس** وفي التنزيل كنتم خير
امة اخرجت اي انه تعالي قضي بذلك وقدره ازلا وفي عالم الذر وقيل المراد
كنتم مذكورين في الامم الذين قبلكم موصوفين بذلك لخيرية نبيكم ودينكم اف
لما بينه بقوله تامرون الخ ومر الكلام فيه **واخرج البيهقي عن ابن عباس**
قال قدم الجارود بن المعلي ويقال ابن عمرو بن المعلي العبدي ابو المنذر
ويقال ابو عتاب بمعجمة ومثلثة علي الاصح ويقال بمهملة وموحدة اسمه بشر
ابن حنش بمهملة ونون مفتوحتين ثم معجمة وقيل مطرفة قيل غير ذلك لقب
الجارود لانه غزا بكر بن وايل فاستاصلهم قال الشاعر •
• قد سناهم بالخيل من كل جانب • كما جرد الجارود بكر بن وايل •
وحكي ابن السكن ان سبب تلقيبه بذلك ان ابل عبد القيس اجربت وبقيت
للجارود بقية من ابله فتوجه بها الي خاله بن سنان وهم اخواله فجربت
ابل اخواله فقال الناس جردهم بشر فلقب الجارود **فاسلم** قال ابن اسحق

وكان نصرانيا وحسن اسلامه وكان صلبا علي دينه قال في الاصابة قدم الجارود
سنة عشر في وفد عبد القيس الاخير الاخير وبشر النبي صلي الله عليه وسلم
باسلامه وروي الطبراني عن انس لما قدم الجارود قال اتيت النبي صلي الله
عليه وسلم فقلت ان لي دينا فان تركت ديني ودخلت في دينك ان لا يعذبني
الله قال نعم **وقال الجارود والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في**
الانجيل ولقد بشر بك ابن البتول عيسي بن مريم وقتل الجارود بارض
فارس بعقبة الطير فصار يقال لها عقبة الجارود وذلك سنة احدي وعشرين
في خلافة عمر وقيل قتل بنهاوند مع النعمان بن مقرن وقيل بقي الي خلافة
عثمن قال ابو عمر من محاسن شعره •
• شهدت بان الله حق وشابي • ثبات فوادي بالشهادة والنهض •
• فابلغ رسول الله عني رسالة • باني حنيف حيث كنت من الارض •
• فان لا تكن داري بيثرب فيكم • فاني لكم عند الاقامة والخفض •
• واجعل نفسي عند كل ملمة • لكم جنة من دون عرضكم عرضي •
وابنه المنذر كان من روسا عبد القيس بالبصرة مدحه الاعشي وغيره وحفيده
الحكم هو الذي يقول فيه الاعشي •
• يا حكم بن المنذر بن الجارود • سرادق المجد عليك ممدود •
• انت الجواد بن الجواد المحمود • نبت في الجود وفي بيت الجود •
• والعود قد ينبت في اصل العود • قال وكان الحجاج يحسد الحكم علي هذه
الابيات **واخرج ابن سعد قال لما امر ابراهيم الخليل باخراج هاجر**
بالهمز ويقال بالالف والجيم من ارض الشام حين غارت منها سارة زوجه
حمل علي البراق وكان لا يمر ابراهيم بارض عذبة اي عذب ماوها
سهلة كيلنة يمكن زرعها **الا قال انزل** بصيغة المضارع وحذف همزة
الاستفهام اي انزل **ههنا يا جبريل فيقول لا** ولم يزل كذلك
حتي اتي مكة فالغاية لمقدر **فقال جبريل انزل يا ابراهيم**
قال حيث لا ضرع بفتح الضاد وسكون الرا الذات الظلف كالثدي للمراة
ولا زرع قال ذلك تعجبا من امره له بنزوله في موضع قفر اي فكيف انزل في
ارض لا انيس بها ولا تتاتي به المعيشة **قال** جبريل **نعم ههنا يخرج**
النبي الذي من ذرية ابنك اسمعيل **الذي تتم** به **الكلمة العليا**
وهي كلمة الله وفي ذلك تسلية له وترغيب بنزوله لتلك الارض **وفي التوراة**
اي العلما **بعد الحذف والتحريف والتبديل** الواقع من اليهود يحرفون
الكلم عن مواضعه **مما ذكره** العلامة محمد **بن ظفر** بفتح الظا المعجمة والفا
في كتاب **البشر** بكسر ففتح بخير البشر بفتحتين **وابن قتيبة في**
كتاب **اعلام النبوة تجلي** ظهر **الله من سينا** بالقصر جبل بالشام
كذا في القاموس **واشرق** بالقاف **من ساعير** قال ابن ظفر كناية
عن ظهور انوار كلامه **واستعلي من جبال فاران** بفا فالف فرا فالف

فنون اي ظهر امره وكتابه وتوحيده وحمده وما شرعه رسوله من
الاذان والتلبية فسينا هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى واصطفاه
وارسله وساعير هو الذي كلم الله فيه عيسى بمعنى انزل عليه الانجيل
دنباه فيه كما ياتي عن ابن قتيبة لانه كلمه فيه ككلامه لموسى في الجبل كما
يفهم هذا الكلام وعبارة البشر وساعير جبل بالشام منه ظهرت نبوة
المسيح واليه يشير قوله فظهرت فيه نبوته وجبال فاران الاضافة
من اضافة الكل الى الجز كان هذه الجبال اشتهرت بذلك والا فلا معنى للاضافة
هنا مع ان فاران احدها وهو اسم عبراني بكسر العين نسبة الى العبرانية
وهي لغة اليهود وليست اللغة التالية للغا فحمزة وهي جبال بني
هاشم التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث بفتح التحتية
والفوقية والحا المهملة والنون الثقيلة ثم مثلثة يتعبد الليالي
ذوات العدد في احدها وفيه فاتحة الوحي ابتدا انزاله عليه فهو جبل
حرا وهو احد ثلاثة جبال احدها ابو قبيس بضم القاف
وفتح البا والمقابل له قيقعان بقافين بعد كل عين مهملة وبعد الاولى
تحتية اخره نون بعد الف بصيغة التصغير جبل يشرف على الحرم من جهة
الغرب الى بطن الوادي والثالث الشرقي فاران المعروف بحرا
او سفحه بميم فنون ففا تحتية فمهملة ففا اي المحل الذي يصعد منه
اليه ويهبط الذي يلي قيقعان الى بطن الوادي وهو شعب
بني هاشم وفيه مولده صلى الله عليه وسلم على احد الاقوال
والثاني بردم بني جمح بمكة والثالث بزقاق المدكك بمكة والرابع
وهو شاذ انه ولد بعسفان والصحيح الذي عليه الجمهور انه ولد بمكة
واختلف في عين المحل على الاقوال الثلاثة قال ابن قتيبة وليس بهذا
غموض بمعجمتين اوله واخره اي خفا لان تجلي الله من سينا انزاله
التوراة على موسى بطور سينا قال في الانوار جبل موسى بين مصر
وايلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو ان يكون الطور
اسم للجبل وسينا اسم بقعة اضيف اليها والمركب منها علم له كامرئ
القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التانيث على تاويل البقعة لا للالف
لانه فيعال كديماس من السنا بالمد وهو الرفعة وبالقصر وهو النور
ويجوز ان يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح الانجيل
وكان المسيح يسكن من ساعير ارض الخليل ابراهيم بقرية تدعى
تسمى ناصرة وبها ولد على ما في البشر باسمها يسمى من اتبعه
نصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان فكما وجب ان يكون اشراقه
من ساعير انزاله على المسيح الانجيل والنبوة فكذلك يجب ان
يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القران على محمد صلى
الله عليه وسلم وهي جبال مكة الثلاثة المتقدمة وليس بين

المسلمين

المسلمين واهل الكتاب في ذلك اختلاف في ان فاران هي مكة فدل بذ قوله
في ذلك لبيان اسم اسم الاشارة لكن هذا يخالف ما قدمه ان فاران ليس مكة
بل جبل من جبالها الا ان يقال هو اسم للجبل وسميت مكة باسمه لقربها منه
وفي البشر وفاران هي مكة لا يخالف في ذلك احد من اهل الكتاب وفي
التوراة وربي ابو اسمعيل في برية فاران فمكة هي منشا اسماعيل وحيث
ربي وفي جبال فاران اوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم وان ادعى
عن معاند انها غير مكة قلنا اليس في التوراة ان الله اسكن هاجر
واسماعيل فاران فان قالوا بلى طلبنا منهم تعيين ذلك المحل وقلنا لهم
دلونا على الموضع الذي استعلن الله اي اظهر النبوة منه واسمه فاران
والنبي الذي انزل عليه كتاب بعد المسيح ابن مريم اوليس استعلن وعلن
بمعنى واحد وسين الاول للتاكيد وهو ما ظهر وانكشف فهل يعلمون
دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها
فشوه اي انتشر واتسع ونقله ابن ظفر وفي التوراة ايضا مما ذكره ابن
ظفر في الصنف الذي لا ينكر اهل الكتاب بجميعه في التوراة خطابا لموسى
والمراد به اي الخطاب الذين اختارهم موسى ممن لم يعبد العجل لميقات
ربه بامره اي للوقت الذي وعده باتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة اصحابهم
العجل الذين اخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة قال ابن عباس لانهم
لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل قال وهم غير الذين سالوا الرؤية واخذتهم
الصاعقة خصوصا ثم خاطب بني اسرائيل عموما والله ربكم يقيم نبيا من اخوتكم
فاستمع له بمعنى ما يخاطبه قومه تعنتا كما قال تعالى اخبارا عنهم وقال الذين لا
يعلمون لولا يكلمنا الله او تاتينا اية اي هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة او يوحي الينا
انك رسوله او تاتينا اية حجة على صدقه والاول استكبار والثاني جحود كما في الانوار
فهو تسلية لموسى عليه السلام كالتي سمعت ربك في حورب بحا مهملة اوله
وفوقية اخره قال في القاموس موضع ولا نظير لها اي لهذه الكلمة يوم الاجتماع
حتى قلت لا اعود اسمع صوت الله ربي لئلا اموت فقال الله تعالى نعم ما
قالوا وسا قيم لهم نبيا مثلك من اخوتهم واجعل كلامي في فمه فيقول
لهم كل شيء امرته وفي نسخة امره به وايما رجل لم يطع من تكلم باسمي
فانا انتقم منه وجوز شيخنا في التقرير ان يكون هذا من باب واذ اخذ
الله ميثاق النبيين اي استمع له اذا وجد وانت حي كسماعك لربك وهذا بعيد
جدا ولذا لم يذكره في الشرح قال ابن ظفر وفي هذا الكلام ادلة على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من ثلاثة اوجه فقال فقوله لعظه منها قوله
نبيا من اخوتهم وموسى وقومه من بني اسحق واخوتهم من بني اسمعيل
ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحق لكان من انفسهم لا من
اخوتهم كما قال عز وجل اخبارا بدعوة ابراهيم لولده اسماعيل ربنا وابعث
وابعث فيهم رسولا منهم وكما قال سبحانه مخاطبا للعرب لقد جاءكم رسول من انفسكم

هذا تركه المصنف من كلام ابن ظفر واما لفظه ومنها نبيا مثلك وقد قال في
التوراة لا يقوم في بني اسرايل احد مثل موسي من انفسهم فلا ينافي
انه قام فيهم مثل موسي بل اجل وهو محمد عليه السلام لعموم دعوته لانه من
بني اسماعيل اخوتهم لا من انفسهم فلا خلف بين هذا وقول التوراة السابق
وساقيم لهم نبيا مثلك وفي ترجمة اخري مثل موسي لا يقوم في بني اسرايل
ابدا من انفسهم فذهبت اليهود الي ان النبي الموعود لهم به هو يوشع
ابن نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفوا لموسي عليه السلام بل
كان خادما له في حياته ومركدا لدعوته وداعيا اليها بعد وفاته فتعين
ان يكون المراد به محمد صلي الله عليه وسلم فانه كفو موسي لانه
يماثله في نصب الدعوة والتحدي بالمعجزة وشرع الاحكام اي
اظهارها والمجي بها وان كان اصلها من الله واجرا النسخ علي الشرايع
السابقة ومنها تعالي اجعل كلامي في فمه فانه واضح في ان
المقصود به محمد صلي الله عليه وسلم لان معناه اوحي اليه بكلامي
فينطق به علي نحو زايدة ولم يقع في ابن ظفر انما قال علي ما سمعه
ولا انزل عليه صحفا ولا الواحا كما انزلت عليك يا موسي لانه امي
لا يحسن ان يقرا المكتوب مدة حياته وبقية كلام ابن ظفر وقوله ايما
رجل لم يطع من تكلم باسمي فاني انتقم منه دليل علي كذب اليهود في قولهم
ان الله امرنا بمعصية كل نبي دعانا الي دين ينقض نسخا لبعض ما شرعه
موسي هكذا امع فظعنا انهم يكتمون الحق وهم يعلمون وانهم يحرفون الكلم
عن مواضعه فان اهل الكتابين عرفوا محمدا صلي الله عليه وسلم كما عرفوا ابناءهم
ووجدوه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل وانما يذكرون ما اظهروه
ورضوا التفسير له بما حكيناه عن تراجمهم بلفظهم الذي اختاروه واثبتوه
في كتبهم ليكون ذلك اقطع لعذرهم واحسم لروغانهم وقد صح انه صلي الله عليه
وسلم اتي اليهود فقال اخرجوا اعلمكم فاخرجوا اليه عبد الله بن صوريا الاعور
فقال له صلي الله عليه وسلم انشدك الله الذي اطعم اسباطكم المن والسلوي
وظلل عليهم الغمام اتعلم اني رسول الله فقال ابن صوريا اللهم نعم وان القوم
ليعرفون من هذا ما اعرف وان نعتك لبين عندهم ولكن القوم حسدوك لانك
عربي قال فاسلم قال فاني اكره خلاف قومي وعسي ان يسلموا فاسلم
انتهي ومن الانجيل ما ذكره ابن طغربك بضم الطا المهملة وسكون
المعجمة وضم الرا وفتح الموحدة ثم كاف علم مركب من طغر وبك للامام
اللامة المحدث سيف الدين بن ايوب الحميري الركاني الدمشقي الحنفي
في كتاب الدر المنظم في مولد النبي صلي الله عليه وسلم قال يوحنا في
انجيله انما قاله اليه لان عيسي لم تظهر دعوته في عصره وانما اخذ الانجيل
عنه اربعة من الحواريين متي ويوحنا وقيس ولوقا فتكلم كل واحد من
هو لا بعبارة لملايمة الذين تبعوا ادعاهم ولذا اختلفت الاناجيل

الاربعة اختلافا شديدا قاله في المنتقي عن المسيح انه قال انا اطلب
من الاب ان يعطيكم فارقليط قال المصنف في المقصد الثاني واما
البارقليط والفارقليط بالموحدة وبالفا وفتح الرا والقاف وسكون الرا
مع فتح القاف وبفتح الرا مع سكون القاف وبكسر الرا وسكون القاف غير
منصرف للعلمية والعجمة اخر يثبت معكم الي الابد اخر الدهر يبقا دينه
الي القيامة روح الحق اضافه اليه ليميز روحه عن ساير المخلوقات بما خصه
الله به من الكمالات الذي لن يطيق العالم ان يقبلوه وان اراد بعضهم
ذلك وهو عند ابن ظفر من البشر بلفظي وكما ترجموه في الانجيل ان
عيسي قال ان احببتموني فاحفظوا وصيتي وانا اطلب الي
ابي اي ابي كما يأتي فيعطيكم فارقليط اخر فيكون معكم اخر الدهر
كله يبقا شريعته الي انقضا الدهر قال ابن ظفر فهذا تصريح بان
الله سيبعث اليهم من يقوم مقامه اي عيسي وينوب عنه في تبليغ
رسالة ربه وتكون شريعته باقية مخلدة ابدا الي يوم القيامة
كما هو معنا دخوله الدهر كله فهل هذا الا محمد صلي الله عليه وسلم صاحب
النبوة الخاتمة انتهي ولم يذكر فصول اي انواع المسايل التي ذكرها
الفارقليط كما ذكره ابن طغربك سوي يوحنا دون غيره من
نقلة الانجيل ومن حفظ حجة وقد اختلف النصاري في الفار
قليط اي في تفسير الفارقليط قال ابن ظفر والذي صح عندي من ذلك
عنهم انه الذي يعلم السر اي الحكيم الذي يعلم السر انه الحكيم الذي يعرف
السر فقيل هو الحامد وقيل هو المخلص بتشديد اسم الفاعل فان
وافقناهم علي انه المخلص افضي بنا الامر الي المخلص رسول
ياتي لخلاص العالم من الهلاك باخراجهم من الكفر الي الايمان وذلك
من غرضنا لان كل نبي مخلص لامته من الكفر ويشهد له قول
المسيح في الانجيل اني جيت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح
هو الذي وصف نفسه بانه مخلص العالم وهو الذي سال الاب ان
يعطيهم فارقليط اخر ففي مقتضي اللفظ ما يدل علي انه قد
تقدم فارقليط اول حتي ياتي فارقليط اخر وهو محمد صلي الله
عليه وسلم وان بكسر وسكون شرطية تنزلنا معهم ووافقناهم
علي القول بانه الحامد وجواب الشرط فاي لفظ اقرب الي احمد
ومحمد من هذا الذي هو الحامد قال ابن ظفر محمد في المسرد وفي الانجيل
كما ترجموه ما يدل علي ان الفارقليط الرسول فانه قال ان هذا
الكلام الذي تسمعونه ليس هو لي بل الاب اي الرب الذي ارسلني
بهذا الكلام لكم لفظ ابن ظفر كلمكم بهذا وانا معكم واما البارقليط
روح القدس الذي يرسله الاب باسمي اي يرسل باسمي فهو يعلمكم
كل شي وهو يذكركم بالتقبل كلما قلته لكم لفظه جميع ما اقول لكم

تكلم فهذا يفهم منه ان الفارقليط الرسول فهل بعد هذا بيان البين هذا صريحا في ان الفارقليط رسول يرسله الله تعالي وهو روح القدس وهو يصدق بتشديد الدال المكسورة بالمسيح ويظهر اسمه انه رسول حق من الله وعبده ليس باله كما زعموا فضلوا وهو يعلم الخلق كل شي ويذكرهم كلما اي شي قاله لهم المسيح عليه السلام وكلما امرهم به المسيح من توحيد الله بنحو قوله اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وماواه النار وما للظالمين من انصار فقد جا بهذا الاحمد صلي الله عليه وسلم واما قوله ابي فهذه اللفظة مبدلة محرفة ومع ذلك ليست منكرة الاستعمال عند اهل الكتابين يقولها المتكلم اشارة الي الرب سبحانه وتعالي لانها عندهم لفظة تعظيم يخاطب بها المتعلم معلمه الذي يستمد منه العلم وهو شيخه ومن المشهور مخاطبة النصاري عظما دينهم بالابا الروحانية بضم الواو ولم تزل بنو اسرايل يعقوب وبنو اخيه عيصو بكسر العين المهملة واسكان اليا وبمهملة يقولون نحن ابنا الله ليسو فهمهم عن الله تعالي زاد ابن ظفر واختلال بصايرهم في التلقي عن انبيايه وقد قرات في التوراة مما اساوا الترجمة عنه فنظر الرب وسخط حين اغضبه بنوه وبناته وقال ساعرض بوجهي عنهم وانظر الي ما يصير عاقبتهم لانهم خلف اعوج ابنا ليس لهم ايمان واما قوله يرسل الي ما سمي فهو اشارة الي شهادة المصطفي له لعيسي بالصدق والرسالة وما تضمنه القران من مدحه وتنزيهه عما افتري في امره لفظ ابن ظفر مما افتراه في امره اليهود وعبارة المصنف اشمل وفي ترجمة اخري للانجيل انه قال البارقليط اذا جاو وبخ العالم علي الخطية ولا يقول من تلقا نفسه واستانف قوله ما اي الذي يسمع من ربه بواسطة الوحي في اغلب الاحوال هو الذي يكلمهم به ويسوسهم يدبرهم ويقوم بامرهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب التي كانت وتكون الي يوم القيامة وهو عند ابن ظفر بلفظ فاذا جا روح الحق ليس ينطق من عنده بجر الظرف بمن بل يتكلم بكل ما يسمع اي يسمعه من الله بالوحي ويخبرهم بما ياتي بما ياتي وهو يمجدني لانه ياخذ مما هو لي ويخبركم فقوله ليس ينطق من عنده مبتدا وعطف عليه قوله وفي الرواية الاخري التي فوق هذه ولا يقول من تلقا نفسه بل يتكلم بكل ما يسمع من الله الذي ارسله وهذا كما قال تعالي في القران في صفته صلي الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوي هوي نفسه ان هو الا وحي جملة معترضة لبيان ان ما في الانجيل موافق للقران وعطف علي المبتدا ايضا فقال وقوله وهو يمجدني وخبر الخبر وهو دليل علي ان المقول فيه ذلك هو محمد صلي الله عليه وسلم وعلل هذا الخبر المقدر بقوله فلم يمجده حق تمجيده الا بمعني غير محمد صلي الله عليه وسلم لانه وصفه بامور

الله

ويبراه وبرا امه مريم عليهما السلام مما نسب اليهما وامر امته بذلك قال ابن ظفر محمد في البشر فمن ذا الذي وبخ العلما علي كتمان الحق وتحريفه عن مواضعه وبيع الدين بالثمن البخس من عرض الدنيا وانتصابهم اربابا من دون الله ومن ذا الذي انذر بالحوادث واخبر بالغيوب الا محمد صلي الله عليه وسلم ثم وقعت كما قال وما لم يقع لابد من وقوعه كما قال ولله در ابي محمد عبد الله الشقراطسي حيث قال في قصيدته اللامية المشهورة

توراة موسي اتت عنه فصدقها ... انجيل عيسي بحق غير مفتعل

اخبار احبار تلك الكتب قد وردت ... عما راوا ورووا في الاعصر الاول

ويعجبني قول العارف الرباني ابي عبد الله بن النعمان حيث قال

هذا النبي محمد جات له ... توراة موسي للاثار تنتشر

وكذاك انجيل المسيح موافق ... ذكرا لاحمد معرب ومذكر

ويرحم الله ابن جابر محمدا حيث قال

لبعثته في كل جيل علامة ... علي ما جلته الكتب من امره الجلي

فجا بدا انجيل عيسي باخر ... كما قد مضت توراة موسي باول

والابيات الستة غنية عن الشرح وقد اعترض علي المصنف وغيره ممن اكثر النقل عن التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب فالاشتغال بها ينافي الغرض من نسخهما وقد حرم الفقها قراتها والنظر فيها وانها محرفة مبدلة ثم اختلفوا هل التحريف بالزيادة والنقص او بتاويلها وتفسيرها بغير المراد منها واجيب بانه لا مانع من قراتها للعارف الفطن لمعرفة صفة النبي صلي الله عليه وسلم منها ولالزامهم بما انكروه وكيف يحرم لمثل هذا وقد قال تعالي قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ووقع في احاديث النقل عنها وقال التجاني في شرح الشفا اذا وجد فيها ما يقوم النظر علي عدم تبديله وافاد النظر فيه مقصدا شرعيا فلا يبعد ان يباح النظر فيه والاشتغال به وفي الدلايل للبيهقي عن شيخه الحاكم ابي عبد الله المشهور بسند لا باس به عن ابي امامة الباهلي صدي بالتصغير بن عجلان الصحابي المشهور سكن الشام ومات بها سنة ست وثمانين عن هشام بن العاص الاموي بضم الهمزة نسبة الي امية علي القياس وبفتحها علي خلافه وهو الاشهر عندهم تقدم مرارا قال بعثت انا ورجل اخر من قريش كما في رواية البيهقي اي في زمن الصديق الي هرقل بكسر الها واسكان الرا وفتح القاف علي المشهور صاحب الروم ندعوه الي الاسلام فذكر الحديث وهو فنزلنا علي جبلة فدعوناه الي الاسلام فاذا عليه ثياب سود فسالناه عن ذلك قال حلفت ان لا انزعها حتي اخرجكم من الشام فقلنا له والله لناخذن مجلسك هذا ولناخذن ملك الملك الاعظم اخبرنا بهذا نبينا قال لستم بهم ثم ذكر قصة دخولهم علي هرقل وانه ارسل اليهم ليلا واستخلي بهم قال فدخلنا عليه فدعي بشي كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها ابواب ففتح واستخرج

اي اخرج حريرة سودا فنشرها فاذا فيها صورة حمرا واذا رجل
اي واذا تلك الصورة صورة رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ار
مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان بالضاد المعجمة خلصتان من الشعر
احسن ما خلق الله قال اتعرفون هذا قلنا لا قال هذا ادم عليه السلام
ثم فتح بابا اخر فاستخرج حريرة سودا واذا فيها صورة بيضا فاذا
رجل احمر العينين ضخم الهامة عظيم الراس حسن اللحية فقال اتعرفون
هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح بابا اخر واخرج
حريرة فاذا فيها صورة بيضا واذا فيها والله رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اتعرفون هذا اسقط من رواية البيهقي فبكينا
وقلنا نعم محمد رسول الله ونبينا والله انه اي هرقل قام قايما ثم جلس
تعظيما لصورته وقال انه لهو قلنا نعم انه لهو كانك تنظر اليه فامسك
ساعة مرة من الزمن ينظر اليها ثم قال اما بالفتح والتخفيف والله انه
لاخر البيوت ولكن عجلته لكم لانظر ما عندكم من العلم بنبيكم الحديث وفيه
ذكر صور الانبيا ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم قال
فقلنا له من اين لك هذه الصورة فقال ان ادم سال ربه ان يريه
الانبيا من ولده فانزل الله عليه صورهم اجابة لسواله وكان في
خزانة ادم اي ذلك المنزل من صورهم مع صورة ادم عند مغرب الشمس
فاستخرجها ذو القرنين من مغرب الشمس فرفعها الى دانيال النبي
عليه السلام ثم تنقلت الى ان وصلت الى هرقل وفي بقية خبر البيهقي
ثم قال هرقل لو طابت نفسي بالخروج من ملكي لوددت ان اكون عبد الاميركم
حتى اموت قال فلما رجعنا حدثنا ابا بكر فبكى ثم قال لو اراد الله به خيرا لفعل
ثم قال اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم واليهود انهم يعرفون نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الاصابة وقد تقدم في ترجمة عدي
ابن كعب نحو هذه القصة لكن فيها انه هشام بن العاصي السهمي فالله اعلم
وقال وقال فيما تقدم لا اعرف نسب عدي بن كعب روى المعافى في الجليس
عن عبادة بن الصامت قال بعثني ابوبكر بن عمرو بن العاصي واخوه هشام
ابن العاصي وعدي بن كعب ونعيم بن عبد الله الى ملك الروم فذكرنا على
جبلة فذكر قصة طويلة نحو ورقتين واسناده ضعيف وقد اخرجها البيهقي
عن هشام بن العاصي الاموي وفي زبور داود عليه السلام من مزمور
عدد مزامير كمزمار اربعة واربعين اي المتمم لها وهي ما كان يتغنى به من
الزبور وضروب الدعا فاضت النعمة من شفتيك من اجل هذا بارك
اي جعلك الله مباركا وفي ابن ظفر عن الزبور مخاطبا المصطفى لتنزيله
منزلة الموجود لتحققه عنده فاضت الرحمة على شفتيك من اجل ذلك ابارك
عليك الى الابد تقلد امرا ايها الجبار من اسمايه صلى الله عليه وسلم لجبره
الخلق على الحق وصرفهم عن الكفر اولصلاحه امته بالهداية والتعليم

او القهر اعدايه او لعلو منزلته على الخلق وعظيم خطره ونفي عنه تعالى
جبرية التكبر فقال وما انت عليهم بجبار سيفك اي اجعل حمايله على عاتقك
واجعله كالقلادة وفيه اشارة الى انه سيومر بالجهاد فان شرايعك جمع
شريعة وسنتك كذا في النسخ والذي قدمه المصنف في الاسما ومثله في
الشفا وابن ظفر وابن دحية فان ناموسك وشرايعك والمراد بالناموس
الوحي النازل عليك ويحتمل ان شرايع عطف تفسير ولذا وجد الخبر في قوله
مقرونة بهيبة يمينك اي بالخوف من سيفك فكنى عنه بذلك او يجوز باليمين
عما فيه وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك بالمعجمة من الخرور
وهو السقوط اي يخضعون ويذلون لك فمثل المزمور بينوه برفع محمد صلى
الله عليه وسلم فالنعمة التي فاضت من شفتيه هي القول الذي يقوله
وهو الكتاب الذي انزل عليه اي القران والسنة التي سنها اذ لا ينطق
عن الهوى وفي قوله تقلد سيفك ايها الجبار دلالة على انه النبي العربي
اذ ليس يتقلد السيف امة من الامم الا العرب وكلهم يتقلدونها
على عواتقهم بخلاف غيرهم فيجعلونها في اوساطهم وفي قوله فان شرايعك
وسنتك نص صريح على انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه
قهرا على من خالف والجبار الذي يجبر الخلق بالسيف على الحق وهو
التوحيد ويصرفهم عن الكفر وهو ما خالف الايمان والتوحيد جبرا عليهم
كما قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وعن وهب بن منبه
بضم الميم وفتح النون وكسر الموحدة ابن كامل اليماني ابي عبد الله الابناوي
بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون تابعي ثقة روى له الشيخان وغيرهما
مات سنة بضع عشرة ومائة قال قرات في بعض الكتب القديمة قال
الله تبارك وتعالى وعزتي وجلالي لانزلن على جبال العرب اهل
مكة وما حولها نورا يملا ما بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسمعيل
ابن ابراهيم نبيا رسولا عربيا اميا لا يقرا ولا يكتب يومن به عدد نجوم
السما ونبات الارض كلهم يومن بي ربا وبه رسولا ويكفرون
بملل بلاميين جمع ملة ابايهم ويفرون منها من الفرار اي يهربون
قال موسى بن عمران عليه السلام سبحانك تنزيها لك عما لا يليق بك ولقد
اسماوك ولقد كرمت ففضلت هذا النبي وشرفته على من سواه
قال الله يا موسى اني انتقم من عدوه الكفار في الدنيا بالقتل والاسر
والاجلا والقحط والسنين وغير ذلك وفي الاخرة بالعذاب المخلد واظهر
دعوته على كل دعوة وسلطانه ومن اتبعه على البر والبحر واخرج لهم
من كنوز الارض هذا اثر كله المصنف من البشر فبلغ له واذل من خالف شريعته
ولو كان له سلطان فهو ابدا ذليل خايف من سطوة الاسلام وعزه وبالعدل
الانصاف زينته والقسط اي العدل اخرجته فلا يحكم ولا يامر الا به وعزتي
لاستنقذن به امما من النار وفتحت الدنيا بابراهيم وختمت بمحمد

مثل كتابه الذي يجي به فاعقلوه يا بني اسرايل كمثل السقا المملو لبنا يمخض
فيخرج زبدا بكتابة اختم الكتب وبشريعته اختم الشرايع وهذا اسقطه
المصنف من كتاب البشر قبل قوله فمن ادركه ولم يومن به يصدق به باطنا
ولم يدخل في شريعته ظاهرا فهو من الله بري ذكره ابن ظفر حتى البشر
وعبره ودقيقته اجعل امته يبنون في مشارق الارض ومغاربها مساجد به
اذا ذكر اسمي فيها ذكر اسم ذكر النبي معي لا يزول ذكره من الدنيا حتى تزول

.. النوع الخامس في ايات تتضمن اقسامه . تعالى تحقيق رسالته ..

ثبوتها وثبوت ما اوحي اليه مستفاد من سابقه لانه متى تحققت رسالته
قطع بصدقه في كل ما يقول وقد اخبر بان القران من الله فيكون حقا لكنه
اراد التنبيه على انه اقسم عليه بخصوصه اعتنا بشانه وسيل ما معنى القسم
منه سبحانه مع ان القصد به تحقيق الخبر وتوكيده فانه كان لاجل المومن
فهو مصدق بمجرد الاخبار بلا قسم وان كان للكافر فلا يفيد فيه واجيب
بان القران نزل بلغة العرب ومن عادتها القسم اذا ارادت توكيد امر واجاب
القشيري بان الله اقسم لكمال الحجة وتاكيدها لان الحاكم يفصل اما بالشهادة
واما بالقسم فذكر الله تعالى في كتابه النوعين حتى لا يبقى لهم حجة فقال
شهد الله الاية وقال قل اي وربي انه لحق من اياته القران وهو الظاهر
من استدلاله عليه بقوله الاتي انه لقران كريم ويحتمل ما هو اعم ودليله
والنجم اليقوله ان هو الا وحي وعلو اي ارتفاع رتبته منزلته الرفيعة العلية
الشريفة فهو من الوصف بالمساوي حسنه اختلاف اللفظ وهو سايغ شايع
كقوله تعالى صلوات من ربهم ورحمة ومكانته اي مرتبته المعنوية وهي
الرفعة فهو عطف تفسير والمكان معروف اذا زيدت فيه الها اريد به المرتبة
المعنوية كالمنزل والمنزلة وهذا النوع اعزك الله جملة معترضة دعايية
لخصت اكثره من كتاب اقسام القران للامام العلامة ابن القيم
محمد بن ابي بكر مع زيادات فرايد اي نفايس الفوايد وغرايبها
وهي الجواهر النفيسة فهي من اضافة الصفة للموصوف اي
الفوايد النفيسة كالجواهر حقيقته واذا اردت ذلك فاعلم ان
الله تعالى اقسم بامور على امور وانما اقسم بنفسه اي
بالالفاظ الدالة على ذاته الموصوفة بصفاته وذلك في سبعة مواضع
من القران قل اي وربي انه لحق وقوله بلى وربي فو ربك لنحشرنهم
فو ربك لنسالنهم فلا وربك لا يومنون ورب السما والارض انه لحق
فلا اقسم برب المشارق والمغارب والباقي كله اقسم بمخلوقاته كما قال
واقسم باياته المستلزمة لذاته وصفاته لدلالة الايات على الصانع
واورد كيف اقسم بالخلق وقد ورد النهي عن القسم بغير الله اجيب بان المراد
بنحو قوله والعلم ورب العلم وكذا الباقي وبان العرب كانت تعظم هذه الاشيا

وتقسم بها فنزل القران على ما لا تعرفه وبان الاقسام انما يكون بما
يعظمه المقسم ويجله وهو فوقه والله تعالى ليس فوقه شي فاقسم تارة
بنفسه وتارة بمصنوعاته لانها تدل على باريه وصانعه واقسامه
ببعض مخلوقاته دليل على انه اي ذلك البعض من عظيم اياته من
اضافة الصفة للموصوف قال ابن القيم اما على جملة خبرية وهو الغالب
كقوله فورب السما والارض انه لحق واما على جملة طلبية كقوله فوربك
لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون مع ان هذا القسم قد يراد به تحقيق المقسم
عليه فيكون من باب الخبر وقد يراد به تحقيق المقسم والمقسم عليه ويراد
بالقسم توكيده وتحقيقه ثم تعالى تارة يذكر جواب القسم وهو
الغالب وتارة يحذفه وتارة يقسم على ان القران حق وتارة
على ان الرسول حق وتارة على ان الجزا والوعد بالخير والوعيد
بالشر حق فالاول وهو ان القران حق كقوله تعالى فلا اقسم
بزيادة لا بمواقع النجوم بمساقطها لغروبها وانه اي القسم بها لقسم
لو تعلمون عظيم اي لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم انه اي
المتلو عليكم لقران كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم
المهمة في اصلاح المعاش والمعاد وحسن مرضي في جنسه في كتاب
مكتوب مكنون مصون وهو المصحف لا يمسه خبر بمعنى النهي الا المطهرون
اي الذين طهروا انفسهم من الاحداث ويا تي بسط هذا والثاني كقوله
تعالى يس والقران الحكيم المحكم بعجيب النظم وبديع المعاني انك لمن
المرسلين على صراط مستقيم اي طريق الانبيا قبلك التوحيد
والهدى والتاكيد بالقسم وغيره رد لقولهم الكفار لست مرسلا والثالث
والذاريات الرياح تذرو التراب وغيره ذروا الى قوله وان
الدين الجزا بعد الحساب لواقع لا محالة وهذه الامور الثلاثة القران
والرسول والمعاد المعبر عنه اولا بالجزا والوعد والوعيد متلازمة فمتى
ثبت ان الرسول حق ثبت ان القران حق لان الرسول اخبر بانه
من عند الله ومحال على الرسول الكذب وثبت ان المعاد حق الرجوع
الى يوم القيمة الذي اخبر به ومتى ثبت ان القران حق ثبت صدق
الرسول الذي جا به ومتى ثبت ان الوعد والوعيد حق ثبت
صدق الرسول الذي جا به لاستحالة خلاف صدقه مع حقيتها وفي
هذا النوع خمسة فصول الاول في قسمه تعالى على ما خصه به من
الخلق العظيم وحباه بوحدة عطاه بلا اجر فلم يحتج الى ان يقول
به ولا الى نيته واما قوله من الفضل العظيم فبيان لما المستفادة
من العطي قال الله تعالى ن والقلم وما يسطرون قال ابن عطية
معناه يكتبون سطورا فان اراد الملايكة فهو كتب الاعمال وما يوزن
به وان اراد بني ادم فهو الكتب المنزلة والعلوم وما جرى مجراها

وتقسم

ما انت بنعمة ربك لمجنون اي انتفي الجنون عنك بسبب انعام ربك
عليك بالنبوة وغيرها رد لقولهم انه مجنون وان لك لاجرا ثوابا
غير ممنون منقطع وانك لعلي خلق عظيم اذ تحتمل اشارة لاستولا
عليه لكونه مجبولا عليه بغير تكلف ن من اسما الحروف كالم والمص
وق واختلف فيها فقيل هي اسما للقران قاله مجاهد رواه ابن جرير
وقتادة رواه عبد بن حميد اي ان فاتحة كل سورة ابتدئت بنحو هذه
الاحرف اسم للقران بجامع والذا اخبر عنها بالكتاب في قوله الر كتاب انزلنا
والقران في قوله الر تلك ايات الكتاب وقران مبين وقيل اسما
للسور وهو قول اكثر المتكلمين واختيار الخليل وسيبويه قاله الامام
الرازي وقد نقض هذا القول بامور احسنها ان اسما السور توقيفية ولم
يرد مرفوعا ولا موقوفا عن احد من الصحابة ولا التابعين ان هذه اسما
للسور فوجب الغا هذا القول ونقضه الرازي بانها لو كانت اسما لها لوجب
اشتهارها بها وقد اشتهرت بغيرها كسورة البقرة وال عمران وقيل
اسما الله قاله ابن عباس اخرجه ابن المنذر وابن جرير وابن ابي حاتم وابن
مردويه والبيهقي باسناد صحيح ويدل عليه ان عليا رضي الله
عنه كان يقول يا كهيعص يا حم عسق اخرجه ابن ماجة في تفسيره
عن فاطمة بنت علي بن ابي طالب انها سمعته يقول يا كهيعص اغفر لي
كما قيل ان قول علي ذلك يدل علي انها اسمائه ولعله اراد يا منزلهما
كما قال البيضاوي وحينئذ فلا يدل علي ذلك قال السيوطي ويرده ما اخرجه ابن
ابي حاتم عن الربيع ابن انس في قوله كهيعص ان معناه يا من
يجير ولا يجار عليه ومثله ما اخرجه عن اشهب قال سالت مالكا ايبغي
لاحد ان يسمي بيس قال لا لقول الله يس والقران الحكيم يقول هذا اسمي
تسميت به وكذا حديث ان بيتم الليلة فقولوا حم لا ينصرون
وقيل انه سر اي امر خفي استاثر الله بعلمه اخرجه ابو الشيخ وابن
المنذر عن داود بن ابي هند قال كنت اسال الشعبي عن فواتح السور فقال
يا داود ان لكل كتاب سرا وان سر هذا القران فواتحه فدعها وسل
عما بدا لك وقد روي عن الخلفا الاربعة وغيرهم من الصحابة
فحكاه الثعلبي وغيره عن ابي بكر وعلي وكثير وحكاه السمرقندي عن عمر
وعثمان وابن مسعود ونقله الرازي عن ابن عباس ما يقرب منه وحكاه
القرطبي عن الثوري والربيع بن خيثمة وابن الانباري وابا حاتم وجماعة
من المحدثين واختاره ومال اليه الرازي ولعلهم ارادوا انها
اسرار بين الله لم يقصد بها افهام غيره لانه امر انفرد بعلمه
تعالي كما تقتضيه لفظة استاثر (قدم) اذ يبعد الخطاب من الله لرسوله بما لا
يفيد وهذه عبارة البيضاوي في اول البقرة وما ترجاه جزم به العلم
السخاوي فقال المروي عن الصدر الاول في التهجي انها اسرار بين الله وبين

نبيه

نبيه صلوات الله عليه وقد يجري بين المحترمين كلمات معميات يشير
الي سر بينهما وتفيد تحريض الحاضرين علي استماع ما بعد ذلك وهذا
معني قول السلف حروف التهجي ابتلا لتصديق المومنين وتكذيب الكافرين
هذا وهي اعلام توقظ من رقدة الغفلة بنصح التعليم وتنشط في القا
السمع علي شهود القلب للتعظيم انتهي وهل المراد بقوله هنا ن اسم
الحوت ام غيره فيه خلاف تحقق عديل هل لعلمه من قوله الاتي وقيل
المراد الدواه وعلي القول بانه الحوت ● هل المراد به الجنس يعني
اي حوت كان ● هل او البهموت وهو الذي عليه الارض بعد
علم سقوط دعوي زيادة هل الثانية وهل المراد به الدواه علله
البيضاوي بان بعض الحيتان يستخرج منه شي اسود امن الحبر يكتب
به وهو مروي عن ابن عباس وقتادة والضحاك قال ابن عطية فهذا
اما ان يكون لغة لبعض العرب او تكون لفظة اعجمية وقال الشاعر ●
● اذا ما الشوق برح بي اليهم ● القت النون بالدمع السجوم ●
فمن قال انه اسم الحوت جعل القلم القلم الذي خلقه الله وامره يكتب الكائنات
وجعل ضمير يسطرون للملايكة ومن قال اسم للدواة جعل القلم هذا المتعارف
بين الناس ونصر ذلك ابن عباس وجعل الضمير في يسطرون للناس
ويكون هذا قسما بالدواة والقلم الذي يكتب به فان المنفعة بها
بسبب الكتابة عظيمة فان التفاهم تارة يحصل بالنطق
وتارة بالكتابة وعن ابن عطية في القلم المقسم علي هذا بمجموع امر
الكتاب الذي هو قوام للعلوم والمعارف وامور الدنيا والاخرة فان
القلم اخو اللسان وقطعة الفطنة ونعمة من الله عامة انتهي وقيل ان
نون بالفتح بلا تنوين اسم ان او بالسكون علي الحكاية وقري ن
بالفتح والكسر كص لوح من نور تكتب فيه الملايكة بما يامرهم به
الله رواه معوية بن قرة بضم القاف وشد الرا بن اياس بن هلال
المزني التابعي ابو اياس البصري التابعي الثقة من رجال الجميع مات
سنة ثلاث عشرة ومايه وهو ابن ست وسبعين سنة مرفوعا
مرسلا وعلي المروي عن ابن عباس ان المراد به الدواة فقد اقسم تعالي
بالكتاب اي بمجموع امر الكتاب اي امر الكتاب كما مر عن ابن عطية
وهو الدواة والقلم اي الكتاب بمعني المكتوب وهو القلم وابعد
من قال اي في قوله حم والكتاب المبين وفي قوله يس والقران الحكيم
لان بقية السياق يرده واقواه قوله علي تنزيه نبيه بقوله ما انت
الذي هو احد اياته هذا لا دليل علي قوله السابق في الدواة والقلم
الي اخره نعم هو ظاهر علي ان الذي خط في اللوح لكن قد علمت ان ابن
عطية انما فرعه علي انه اسم للحوت وان من قال اسم للدواة جعل
القلم هذا المتعارف واو لم يخلو فانه في احد القولين والاصح ان

ان العرش خلق قبله كما مر الذي جرى به قدره وشرعه وكتب به الوحي اي
بالقلم لا بالمعنى السابق الذي هو اول المخلوقات بل القلم الذي كتب به الوحي
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ففيه استخدام ويحتمل رجوعه اليه بالمعنى
الاول على ضرب من المجاز بان يراد بالوحي الموحى اي كتب به الموحى ويويد هذا
الاستخدام قوله وقيد به الدين اي حفظه بكتابته ما يدل عليه واثبت
به الشريعة وحفظت به العلوم وقامت به مصالح العباد في المعاش
والمعاد فان هذه كلها صفات للقلم الذي يخط به الناس لا سيما قوله
واقام به في الناس ابلغ خطيب بكتابته ما حصل للخطيب به الرفعة
على غيره واتصافه بقوله وافصحه وانفعه لهم وانصحه واعظا
تشفي مواعظه من السقم وبالجملة فقد لفق المصنف بين القولين في
القلم وطبيبا يبري بضم التحتية وبالهمز من ابراه الله من المرض باريه
اي الذي يبري القلم للكتابة به والياء اصلية او منقلبة عن واو لا بريت
القلم بريا من باب رمى فهو مبري وبروته لغة على تنزيه نبيه ورسوله
محمد المحمود الممدوح من كل اقواله وافعاله وهو من اسمائه صلى الله
عليه وسلم مما غمصته بفتح الغين وكسر الميم وفتحها وفتح الصاد المهملة
ومعجمة احتقرته وعابته اعدوه الكفرة وقال ابن حبيب في غريب
الموطا الغمص بصاد معجمة تصغير النعمة وبضاد معجمة تحقيرها وبصاد مهملة اذا
صغر الناس وازدرى بهم واستحسن هذا الفرق بعد ان قال انهما سوا
وتكذيبهم له بالجر عطف على ما اي نزهه عن تكذيبهم له وهو واقع
بقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون لان معنى الاية بسبب انعام
تعالى انعم عليك بكمال العقل والمعرفة فافادت تنزيهه عن الكذب
وان تكذيبهم له كلا تكذيب لعدم الاعتداد به الدليل على خلافه وكيف
يرمى بالجنون استفهام انكاري وهو ان يكون ما بعده اداة غير واقع
ومدعيه كاذبا من اتى بما عجزت العقلاء قاطبة اي جميعا عن معارضته
وكلت اعيت وعجزت عن بما تكلفه وعرفهم عن الحق سبحانه بما لا
تهتدي اليه عقولهم بحيث اذعنت انقادت له عقول العقلا
ولم تستعص عليه وخضعت ذلت له الالباب جمع لب بزنة قفل واقفال
الالبا جمع لبيب بزنة اشحا وشحيح اي عقول اصحاب العقول
الراجحة وتلاشت اي خست حتى صارت بمنزلة العدم في جنب
اجابته بحيث لم يسعها التسليم والانقياد والاذعان عطف
خاص على عام لان الانقياد دليله استعصا بخلاف مطلق الانقياد فقد يكون
معه استعصا طايعة مختارة فهو الذي يكمل بكسر الميم المكسورة عقولها
بكمل الطفل برضاع الثدي ثم بعد ان نزهه وبراه اخبر الله تعالى
بكمال شريعة نبيه في دنياه واخرته لفظ الشفا ثم اعلمه سبحانه
بماله عنده من نعيم دايم وثواب غير منقطع لا ياخذه العد ولا يمن به عليه

تعالى دالا لتفرعه على ما قبله من الاخبار او تفصيل له في الجملة وان
لك لاجرا غير ممنون وعطفه او لا بثم اشارة الى بعد ما بين الامرين
من نعيمه السريع الانقطاع ونعيمه الدايم الواقع الواقع في مقابلة
تكذيبهم له والاجر المضاعف على عمله وصبره على طعنهم ورميهم له بما لا يليق
ففيه تسلية له صلى الله عليه وسلم كانه قيل لا تحزن فقد تبين كذبهم
بداهة فلا نقص يعود عليك مما قالوه فلك نعيم موبد في مقابلته
والصبر على الشدايد والمقاساة في التبليغ ففيه تثبيت وتحضيض اي
ثوابا تفسير الاجر غير منقطع بل هو دايم تفسير لقوله غير ممنوع ولابن
عطية اختلف في معنى ممنوع فاكثر المفسرين انه الواهن المنقطع وقيل
ضعيف وقيل غير ممنوع عليك اي لا يكدره من به وقال لمجاهد معناه
غير محصور ولا محسوب اي بغير حساب انتهى ونكر الاجر للتعظيم اي
اجرا عظيما لا يدركه الوصف ولا يناله التعبير المتعارف للتناسب
اي يقصر عن ادايه لكثرته واتى بتاكيدات اربع للاهتمام والتقدير والانكار
وزيادته فاكد المجموع بالمجموع او هي موزعة على ما ذكر وان لم يكن صلى الله
عليه وسلم منكرا لانه قد يراعى حال السامع كما في التعريض ثم اثنى عليه
مدحه بما منحه اعطاه من مواهبه السنية فقال وانك لعلى خلق
عظيم موكدا بان مع القسم واللام واسمية الجملة تتميما للتعظيم وهذا
من اعظم ايات نبوته ورسالته ولقد سيلت عايشة رضي الله عنها
عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان احسن الناس خلقا كان خلقه
القران يرضى لرضاه ويغضب لغضبه لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا
في الاسواق ولا يجزي بالسيية السيية ولكن يعفو ويصفح ثم قالت اقرا
قد افلح المومنون الى العشر فقرا السايل فقالت هذا كان خلقه صلى الله عليه وسلم
اخرجه ابن ابي شيبة وغيره مطولا ورواه احمد ومسلم وابو داود عنها بلفظ
كان خلقه القران يغضب لغضبه ويرضى لرضاه ومن ثم قال ابن عباس
وغيره تفسيرا لقوله على خلق عظيم اي على دين عظيم وسمي الدين
خلقا لان الخلق الحسن هيية مركبة من علوم صادقة وارادة
زاكية صالحة نامية واعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل الانصاف
والحكمة وهي تحقيق العلم واتقان العمل ويطلق على امور والمصلحة التي
تقتضيها واقوال مطابقة للحق لا كذب فيها اصلا تصدر تلك الاقوال
والاعمال عن تلك العلوم والارادات فتكتسب النفس بها اخلاقا
حسنة هي ازكى انمى الاخلاق واشرفها وافضلها عطف تفسير وهذا
كله بيان للمراد بالخلق الحسن في استعمالهم وهي اثار تترتب عليه اذ الخلق
الطبيعة وهذه الكمالات ليست نفس الطبيعة وتكون حسنة وقبيحة
قال ابن الاثير الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية
وحقيقته انه لصورة الانسان الباطنة وهي نفسه واوصافه ومعانيها

المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة واوصافها ومعانيها ولها
اوصاف حسنة وقبيحة والثواب والعقاب يتعلقان باوصاف الصورة الباطنة
اكثر مما يتعلقان باوصاف الصورة الظاهرة وهذه الاخلاق الحميدة
المقتبسة اي الماخوذة من القران
كانت اخلاقه صلي الله عليه وسلم
فكان كلامه مطابقا للقران تفصيلا وتبيينا تفسيري وعلومه
علوم القران وكانت ارادته واعماله ما اوجبه طلبه طلبا جازما وندبه
طلبه طلبا غير جازم اليه القران واعراضه وتركه لما منع القران
منه ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهده فيه وكرهه
فيما كرهه بخفة الدال يناسب قوله بعد احبه فيه ومحبته فيما
احبه وسعيه في تنفيذ اوامره فترجمت ام المومنين عايشة
لكمال معرفتها بالقران وبالرسول وحسن فعل ماض فترجمت تفسيره
او هو بضم الحاء وسكون السين والجر عطف علي لكمال والاول اظهر عن هذا
كله بقولها كان خلقه القران وفهم السايل عنها هذا المعني واكتفي
به واشتفي من داء الجهل يعني انه زال ما كان عنده من التوقف الحامل
علي السوال حتي كانه بري من دايه ومر مزيد لشرح هذا في الفصل الثاني
من المقصد الثالث ولما وصفه تعالي بانه علي خلق عظيم قال
مسليا له عما قالوه في حقه بما وعده من عقابهم وتوعدهم فستبصر ويبصرون
قال ابو عثمان المازني هنا تم الكلام واستانف قوله بايكم المفتون قال
الاخفش بل هو عامل في الجملة المستفهم عنها في معناها اي ايكم الذي فتن
بالجنون والباء زايدة قاله قتادة وابو عبيدة معمر وقال الحسن والضحاك
المفتون بمعني الفتنة فالمعني بايكم الجنون علي ان المفتون مصدر كالمفعول
اي الفعل وقيل المعني باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المومنين او بفريق
الكافرين اي في ايها يوجد من يستحق هذا الاسم وهذا معني قول الاخفش
المعني بايكم فتنة المفتون قال المعني وهذا المعني قول حسن علي التكليف
اي فستري يا محمد ويري المشركون كيف عاقبة امرك فانك
تصير معظما في القلوب ويصيرون اذلا جمع ذليل مغلوبين وتستولي
عليهم بالقتل والنهب تفسير لقوله فستبصر ويبصرون •

• الفصل الثاني في قسمه تعالي علي ما انعم به عليه •

الاظهر علي انعامه كما عبر به قريبا لان ما فعله الله مع رسوله هو حقيقة
الانعام وما قام به صلي الله عليه وسلم هو المنعم به الا ان يقال انه من حيث
صدوره عن الله تعالي فيساوي ما بعده واظهره من قدره العلي
لديه قال الله تعالي والضحي والليل اذا سجي معناه سكن واستقر
ليلا تاما وقيل معناه اقبل وقيل اقبل ظلامه وقيل ادبر وا قبل والاول اصح •
يقال بحر ساج اي ساكن ومنه قول الاخفش •
• وما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم • وبحرك ساج لا يواري الدعامصا •

وطرف ساج اذا كان ساكنا غير مضطرب النظر قاله ابن عطية والمراد سكون
الاصوات او اصحابه ما ودعك قرا الجمهور بشد الدال من التوديع وقرا عروة
ابن الزبير بتخفيف الدال بمعني تركك وكذا قرا مقاتل وابن ابي عبلة وفي
الحديث لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات او ليختمن الله علي قلوبهم ثم ليكونن
من الغافلين اخرجه مسلم وغيره ولينتهين بضم الباء التحتية وفتح الفوقية
والهاء ليدل علي واو الضمير المحذوفة اذ اصله لينتهون وفي الحديث ايضا شر
الناس من ودعه الناس اتقاء شره وقال الشاعر •
• وكان ما قدموا لانفسهم • اعظم نفعا من الذي ودعوا •
فلا زعم عبرة بزعم النحاة ان العرب اماتت ماضي يدع ومصدره واسم الفاعل
استغني بترك لوروده عن سيد الفصحا قراءة وحديثا للماضي ومصدرا في
الحديث الصحيح وفي شعر العرب وما هذا سبيله يجوز القول بقلة استعماله ولا
يجوز الا بالاماتة وقال الطيبي يحمل كلام النحاة علي قلة استعماله مع صحته
قياسا لكن قال السيوطي روي الطبراني الحديث باسناد حسن بلفظ لينتهين
اقوام يسمعون النداء يوم الجمعة ثم لا ياتونها او ليطبعن الله علي قلوبهم فعلم
ان الرواية الاولي من تغيير الرواة لا من لفظ النبوة فان سلم له ذلك فليس يصنع
في القراءة والبيت العربي مع ان اصل هذا الكلام التابع فيه لابي حيان مردود
بانه يرفع الوثوق بالحديث اصلا اذ كل لفظة يحتمل انها من تغيير الرواة فالوجه
الجمع بان يكون صلي الله عليه وسلم نطق باللفظين ويويده اختلاف المخرج ربك
وما قلي اي ما ابغضك السورة بالنصب بتقدير اقرا او اذكر اقسم الله
تعالي علي انعامه علي رسوله صلي الله عليه وسلم واكرامه له
اي توقيره والتلطف به واعطايه ما يرضيه في الدارين وذلك متضمن
لتصديقه له في دعواه الرسالة فهو قسم علي صحة نبوته وعلي جزايه
في الاخرة فهو قسم علي النبوة والمعاد جميعا من قوله وللاخرة خير
بنا علي ان المراد بها القيامة قال ابن عطية يحتمل ان يريد الدنيا علي الاخرة
وهذا تاويل ابن اسحق وغيره ويحتمل ان يريد حالته في الدنيا قبل نزول
السورة وبعدها فوعد الله علي هذا التاويل بالنصر والظهور انتهي وقيل
احوالك الاتية خير من السابقة في الدارين واقسم الله تعالي بايتين عظيمتين
من اياته كما قال ومن اياته الليل والنهار الدالتين علي ربوبيته ووحدانيته
وحكمته ورحمته بيان لكونهما من الايات وهما الليل بقوله والليل اذا
سجي والنهار بقوله والضحي فقسره بقول قتادة الضحي النهار كله وايد
بقوله ان ياتيهم باسنا ضحي في مقابلة بياتا وهو مجاز اذ الضحي ارتفاع الضوء
وكماله وبه فسر مجاهد فخصه لان النهار يقوي فيه او كلم الله موسي فيه والقي
السحرة سجدا وفسر بعضهم كما حكاه الامام فخر الدين الضحي بوجهه صلي
الله عليه وسلم والليل بشعره وعليه فمعني اذا سجي اشتد سواده وظهر
بزوال غبار نحو السفر عنه ففيه استعارة وقال الرازي ولا استبعاد فيه

لان وجهه صلي الله عليه وسلم كان شديد النور بحيث يقع نوره علي الجدر اذا قابلها وكان الشمس تجري في وجهه وكان شعره شديد السواد فلا يبعد اطلاق الضحي والليل عليهما لكن حيث كان ذلك مجازا احتاج الي قرينة تصرف معناها عن الحقيقة الان يقال ان قائل ذلك استند لقرينة حالية وقت نزول الاية **وتامل مطابقة هذا القسم** فيه **وهو نور الضحي** مشعر بانه للقول الاخر **الذي يوافي** ياتي **بعد ظلام** اثره لشدة ضوئه فهو اشارة **الليل للمقسم عليه وهو نور الوحي الذي وافاه** اي اتاه **بعد احتباسه عنه** مدة خمسة عشر يوما لما قال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله حتي ارجف اهل مكة وقالوا قد قلاه ربه وتركه قاله ابن عباس عند ابن اسحق وقال مجاهد اثنا عشر وقال التيمي وابن عقبة انما ابطا عليه ثلاثة وقيل اربعة وقيل اربعين **حتي قال اعداوه** المشركون **ودع محمدا ربه** والصحيح في سبب نزولها ما في الصحيحين وغيرهما عن جندب بن عبد الله قال اشتكي النبي صلي الله عليه وسلم فلم يقم ليلة او ليلتين فاتته امراة فقالت يا محمد ما اري شيطانك الا قد تركك فانزل الله تعالي والضحي والليل اذا سجي ما ودعك ربك وما قلي وهذه المراة هي العوراء بنت حرب امراة ابي لهب رواه الحاكم برجال ثقات عن زيد بن ارقم وفي الصحيح ايضا عن جندب قالت امراة يا رسول الله ما اري صاحبك الا قد ابطا عنك فنزلت ما ودعك ربك وما قلي قال الحافظ هي زوجته خديجة كما في المستدرك وغيره فخاطبته كل واحدة منهما بما يليق بها والعوراء قالته شماتة وخديجة توجعا وقصة ابطا الوحي بسبب الجرو مشهورة لكن كونها سبب نزول الاية غريب بل شاذ مردود بما في الصحيح وتقدم لهذا مزيد قريبا **ثم اقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل علي ضوء الوحي ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه** فهذه مناسبة بين المقسم عليه **وايضا** مناسبة اخري **فان الذي اقتضت رحمته** الذي امتن بها في قوله ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه **ان لا يترك عباده في ظلمة الليل سرمدا** الي يوم القيامة **بل هداهم بضوء النهار الي مصالحهم ومعايشهم** كما قال ولتبتغوا من فضله **لا يتركهم في ظلمة الجهل والغي والجهل بل يهديهم بنور الوحي والنبوة الي مصالح دنياهم واخراهم فتامل حسن ارتباط المقسم بالمقسم عليه** بكل من المناسبتين **وتامل هذه الجزالة** العظمة والحسن **والرونق** الحسن فهو مساو حسنه اختلاف اللفظ ولذا قال **الذي علي هذه الالفاظ** اقتصارا علي وصف الرونق المساوي لما قبله معني حتي كانهما اسم واحد **والجلالة** العظمة **التي في معانيها** الكثيرة مع وجازة لفظها **ونفي سبحانه ان يكون ودع نبيه** اي قطعه قطع المودع وقري بالتخفيف اي تركك كما في الانوار **او قلاه** ابغضه **فالتوديع الترك** لعله

بيان

بيان المراد من الاية معني الوداع مخففا واما التثقيل فتشييع المسافر كما في اللغة ولذا عبر البيضاوي في تفسير القرانين كما رايت لكن في النسيم الوداع له معنيان في اللغة الترك وتشييع المسافر وكلهم فسروه بالترك وما اراد صيغة التفعيل تفيد زيادة المعني والمبالغة فيه تقتضي الانقطاع التام قالوا المبالغة في النفي لا في المنفي او لنفي القيد والمقيد ويجوز ان يفسر بتشييع المسافر علي طريق الاستعارة فيفيد ايما الي ان الله تعالي لم يتركه اصلا فانه معه اينما كان وانما الترك لو تصور من جانبه ظاهرا مع دلالته بهذا المعني علي الرجوع والتوديع انما يكون لمن يحب ويرجي عوده واليه اشار الجرجاني

اذا رايت الوداع فاصبر ** ولا يهمنك البعاد

وانتظر العود عن قريب ** فان قلب الوداع عاد

فقوله وما قلي موكد له وهذا لم ار من ذكره مع غاية لطفه **والقلاء** بكسر القاف والقصر وقديمه **البغض** مصدر قلي بوزن رمي **اي ما تركك منذ اعتني بك** وهو من اول امره تفسير ما ودعك **وما ابغضك منذ احبك** تفسير للقلا وفي الشفا اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك وزعم شارحه ان المشهور الثاني واختار الاول لمناسبته لا قبله والاهمال عدم التفقد مع الترك فهو ترك مخصوص **وحذف الكاف من قلا اكتفاء بكاف ودعك** فهو اختصار للعلم به **ولان روس الاي بالياء فاوجب اتفاق الفواصل حذفها** ولئلا يخاطبه بالبغض وان كان منفيا او ليعمه واصحابه وامته واستحسن **وهذا يعم كل احواله وان كل حالة يرقيه اليها هي خير له مما قبلها** اذ كانه قيل ما ودعك لبغض وسترقي منزلتك ففيه افادة الترقي في الاحوال في الدنيا **كما ان الدار الاخرة هي خير له مما قبلها** كما قال وللاخرة خير لك من الاولي واللام للابتداء موكدة لا لجواب قسم وفيه تعظيم اخر اي كما اعطاك في الدنيا يعطيك في الاخرة مما هو اعلي واكثر فلا تبال بما قالوه فهو وعد فيه تسلية بعد ما نفي عنه ما يكره فهو تحلية بعد تخلية **ثم وعده** بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضي **بما تقر** بفتح القاف والفوقية **به عينه** اي تسكن وبفتحة اوله وشد القاف مكسورة ونصب عينه يقال قرت العين واقر الله العين قال في فتح الباري قرة العين يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الانسان ويوافقه لان عينه قرت اي سكنت حركتها عن التلفت لحصول غرضها فلا تستشرف لشي اخر فكانه ماخوذ من القرار وقيل معناه انام الله عينك وهو يرجع الي هذا وقيل بل هو ماخوذ من القر وهو البرد اي ان عينه باردة لسروره ولذا قيل دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ومن ثم قيل في ضده اسخن الله عينه **وتفرح** بفتح الراء مع فتح اوله فوقية وبضمه تحتية مع كسر الرا **به نفسه** بسرها

ويرضيها والفرح لذة القلب بنيل ما يشتهي ويتعدي بالهمزة والتضعيف **ويشرح**
به صدره يوسعه ويملاه نورا **وهو ان يعطيه فيرضي وهذا يعم**
ما يعطيه من القران النازل عليه بعد هذه الاية **والهدي والنصر**
العون والتقوية **والظفر باعدايه** يقال ظفر بعدوه واظفرته به واظفرته
عليه عيني واصله الفوز والفلاح **يوم بدر** بقتل سبعين واسر سبعين
وفتح مكة وحل القتال له فيها ساعة من نهار وصار اعظم اهلها عليه احوجهم
اليه **ودخول الناس في الدين** دين الله **افواجا** جماعات بعد ما كان يدخل
فيه واحدا بعد واحد وذلك بعد فتح مكة جا العرب من اقطار الارض طايعين
والغلبة علي بني قريظة بقتل رجالهم وسبي ذريتهم ونسايهم **والنضير**
باجلايهم وجعلها خالصة له **وبث عساكره وسراياه في بلاد العرب**
وفي غيرها كبعث زيد والامر اليه موته من ارض الشام وبعث اسامة
ابنه بعد ذلك الي محل قتل ابيه فخرج بعد الوفاة النبوية فنصره الله وقتل قاتل
ابيه فاقتصر علي العرب لكثرتها فيها **وما فتح علي خلفايه الراشدين**
في اقطار الارض من المداين ففتح في ايام الصديق بصري ودمشق
وبلاد حوران وما والاها ثم في ايام عمر البلاد الشامية كلها ومصر واكثر
اقليم فارس وكسر كسري وفر الي اقصي مملكته وهرقل الي القسطنطينية ثم
في زمن عثمان مداين العراق وخراسان والاهواز وبلاد المغرب كلها ومن
المشرق الي اقصي بلاد الصين وقتل كسري ومزق ملكه بالكلية والفتوحات
بعده الي الروم وغيرها ولم تزل تتجدد الي الان ولله الحمد وقد فتح في زمنه
صلي الله عليه وسلم المدينة بالقران وخيبر ومكة والبحرين وساير جزيرة
العرب وارض اليمن بكمالها واخذ الجزية من مجوس هجر ومن بعض اطراف الشام
وهاداه هرقل والمقوقس وملوك عمان والنجاشي الذي ملك بعد اصحمة
وما قذف في قلوب اعدايه من الرعب مسيرة شهر من كل جهة لانه لم
يكن بينه وبين اعدايه اكثر من شهر **ونشر الدعوة** تفرقها وعمومها للثقلين
ورفع ذكره فلا يذكر الله الا ويذكر معه صلي الله عليه وسلم **واعلا كلمته**
كلمته علي كل كلام فهذا كله مما اعطاه له في الدنيا **وما يعطيه بعد مماته**
من الرحمات النازلات علي قبره والرضوان الذي لا يتناهي لدوام ترقياته
ومضاعفة اعماله فيه فانه حي يصلي في قبره باذان واقامة وله ثواب
اعمال امته مضاعفا **وما يعطيه في موقف القيامة من الشفاعة**
اي جنسها فيشمل الشفاعات الخاصة به كلها **والمقام المحمود** هو مقام
الشفاعة العظمي الذي يحمده فيه الاولون والاخرون اي كل مقام يتضمن
كرامة محمودة وعلي هذا يكون بمعني ما قبله **وما يعطيه في الجنة من**
الوسيلة اعلا منزلة في الجنة فقوله **والدرجة الرفيعة** عطف تفسير
والكوثر نهر في الجنة اعطانيه ربي كما صح عنه صلي الله عليه وسلم فلا
معدل له عنه **قال ابن عباس** في تفسير هذه الاية **يعطيه في الجنة**

الف

والظفر

الف قصر من لولو ابيض ترابها المسك وفيها ما يليق بها من الازواج
والخدم رواه ابن جرير وغيره ومثله لا يقال الا عن توقيف فهو في حكم المرفوع
وهذا تفصيل بعضها اعطاه **وبالجملة فقد دلت هذه الاية علي انه**
يعطيه كلما يرضيه مما لا يعلمه علي الحقيقة الا هو **واما ما يفتريه**
بها من الافترا اي الكذب او بالغين المعجمة وبعد الرا موحدة من الغرور وهذا اولي
وان كان ظاهر سياقه الاول **الجهال من انه لا يرضي واحد من امته في**
النار روي الديلمي في الفردوس عن علي قال لما نزلت قال صلي الله عليه وسلم
اذا لا ارضي واحد من امتي في النار واخرجه ابو نعيم في الحلية موقوفا علي قال في
قوله تعالي ولسوف يعطيك ربك فترضي قال ليس في القران ارجي منها ولا يرضي
صلي الله عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار وقوله ولا يرضي موقوف لفظا
مرفوع حكما اذ لا مدخل للراي فيه **او لا يرضي ان يدخل احد من امته في النار**
كما روي عن علي موقوفا وحكمه الرفع كما علم **فهو من غرور الشيطان** اي خداعه
لهم ولعبه بهم حيث حملهم علي الافترا او علي الغرور بما لم يفهموا معناه فانه
صلوات الله عليه يرضي بما يرضي به ربه تبارك وتعالي اذ رضاه تابع
لرضاه **وهو سبحانه وتعالي يدخل الناس من يستحقها من الكفار والعصاة**
المسلمين **ثم يحد** بضم الحا **لرسوله صلي الله عليه وسلم حدا** اي يحدد له
جماعة ويميزهم عن غيرهم **يشفع فيهم كما ياتي ان شا الله تعالي**
في المقصد الاخير فلا يدع احدا منهم ولا يزيد علي من اذن له في الشفاعة
فيه **ورسوله عليه السلام اعرف به وبحكمه من ان يقول**
لا ارضي ان يدخل احد من امتي النار او يدعه فيها هذا ظاهر جدا
في انه اراد ان من الافترا الكذب لا الغرور **بل ربه سبحانه وتعالي ياذن**
له فيشفع فيمن شا الله ان يشفع فيه ولا يشفع في غير من اذن له
ورضيه ومقام الرضا بما يريده الله والتسليم مقام عظيم للسالكين فكيف
لا يكون لسيد المرسلين وقد رد العلامة الشريف الصفوي في شرح الشفا وتبعه
في النسيم علي المصنف التابع لابن القيم بانه جراة وسوء ادب والوجه توجيه الحديث
لوروده بطرق ولا يبعد وان ضعفت ولا يبعد ان يكون عذاب العصاة غير مرضي
لله تعالي فلا يرضي به رسوله ايضا لان رضاه علي وفق رضي ربه والرضي
بالمقضي فقد يكون مذموما فاذا لم يرض بعصيانهم ودخولهم النار ولعدم رضي
ربه به خلهم الله الجنة ولو بالاخرة للوعد به والرضي به نفعل الله انما يجب
من حيث انه فعل المولي الحكيم لا من حيث هو في ذاته والمنفي في الحديث الثاني
فهو لا يرضي بدخول احد من امته النار من حيث هو في ذاته لا من حيث
انه مراد الله فلا اشكال او الرضي مجاز عن ترك الطلب اي لا اترك طلب
العفو وواحد من امتي في النار فلا يلزم منه عدم الرضي حقيقة وكم طلب
صلي الله عليه وسلم لامته امورا وهو في مقام الرضي دايما واذا وعد بالرضا
فلا بد من ادخالهم الجنة لا اترك الطلب فافهمه فانه دقيق فلا ينبغي ان

يحتج احد على ابطال الروايات باوهام الشبهات وهذا محصل ما في شرح
المواقف من ان للكفر نسبة الى الله باعتبار فاعليته له وايجاده ونسبته الى العبد
باعتبار محليته واتصافه به وانكاره باعتبار النسبة الثانية والرضى
باعتبار النسبة الاولى وقال بعض الشراح يجوز ان المراد نفي الرضى بالدخول
على وجه الخلود وانما قال ان يدخلون ان يخلد قصد الارادة نفي الرضى بالخلود
على نهج المبالغة والاستدلال او ان المراد ولا يرضى ان يعصي الله احد من
امته فعبر بالمسبب عن السبب الا ان السياق يأباه انتهى او لا يرضى دخولهم
النار دخولا يشتد عليهم العذاب بل يكون خفيفا لا تسود وجوههم ولا تزرق
اعينهم كما وردت به الاحاديث فهو تعذيب كتاديب الحكمة بل قال صلى الله عليه
وسلم انما حرها على امتي كحر الحمام اخرجه الطبراني برجال ثقات عن الصديق
وللدارقطني في الافراد عن ابن عباس رفعه ان حظ امتي من النار طول بلائها
تحت التراب وفي تفسير السبكي اطلقت الامة وجوب الرضا بالقضا وشاع على
السنة العلماء والعوام خبر وورد مرفوعا يقول الله من لم يرض بقضائي
فليطلب ربا سوائي وفي شامل امام الحرمين لم يثبت عندنا وجوب الرضى
بالقضا فان الانسان اذا اعترته الالام والكفر واكتنفته الاسقام لا يجب عليه
ان يطيب اليها ويرضى بها ولا عليه ان يكرهها ويبدي قلقا منها ويقول لا ينطوي
الا على اعتراض قال والخبر من الاحاد لا تقوم به الحجة في القطعيات ثم يعارضه
استعاذة النبي صلى الله عليه وسلم من قضا السوء انتهى ثم ذكره بشد الكاف
اي جعله سبحانه متذكرا لنعمه عليه اي ذكره بتفصيلها او تفصيلها بالاضافة
وان كان ذاكرا لها وكيف ينسى مثله وقد قام حتى تورمت قدماه وقال افلا
اكون عبدا شكورا وقال بعض الشراح المراد اعلامه بما انعم به عليه او لاشتغاله
بتذكر النعم العظيمة المتجددة او النعم كلها على الاجمال قد يغفل عن تفصيلها فيغفل
عن تفصيلها والتذكير بمعنى الوعظ لئلا يغفل نحو فذكر بالقرآن من ايوائه
الى عمه ابي طالب حتى كان عنده اعز من بنيه بعد يتمه بموت ابيه وامه
حبلى به على الصحيح وقيل بعد ان ولد بقليل فقال الم يجدك من الوجود
بمعنى العلم يتيما مفعوله الثاني او المصادفة ويتيما حال فآوى
بالمد وقرئ بالقصر بمعنى رحم يقول اويت فلانا اي رحمته قاله ابن عطية
وقيل معنى الاية اواه الله الى نفسه ولم يحوجه لحماية احد وابو ابيه
وهو عمي في قوله جمع الصادق ويتم صلى الله عليه وسلم لئلا يكون عليه حق
لمخلوق وذهب بعضهم الى ان معنى اليتيم عدم النظير من قولهم درة
يتيمة اي لا نظير له وتسمى فريدة ايضا لانفرادها عن نظائرها اي الم يجدك
واحدا في ارض قريش بل في جميع الخلق عديم النظير فآواك اليه لا نتفا بين
بك اصحابك او بدا ايك بحيث يركنوا اليه قاله الثعالبي وهذا قول ضعيف حكاه صاحب
المشرع الروي وجعله في الكشاف من بدع التفاسير واغناك بعد الفقر
قال ابن عطية قال مجاهد معناه معناه بما اعطاك من الرزق وقيل فقيرا اليه فاغناك

به والجمهور على انه فقر المال والمال والحال والمعنى فيه صلى الله عليه وسلم انه اغناه
بالقناعة والصبر وحببا اليه وقيل بالكفاف لتصرفه في مال خديجة ولم يكن كثيرا
المال ورفعه الله عن ذلك وقال ليس الغنى عن كثرة العرض لكنه غنى النفس
ثم امره سبحانه وتعالى ان يقابل هذه النعم الثلاث التي لم يشر المصنف
الى وسطاها لانه سيتكلم عليه في ازالة الشبهات بما يليق بها من الشكر
نهاه ان يقهر اليتيم بقوله فاما اليتيم فلا تقهر في مقابلة الم يجدك يتيما
فآوى وان ينهر السائل بقوله واما السائل فلا تنهر معناه ان يرده ردا جميلا
اما بعطاء او بقول حسن وان يكتم النعمة بل يحدث بها فان من شكر النعمة
التحدث بها ظاهرها وباطنها من الملابس والمطاعم والمراكب ونحوها فلذا ابي بن النبيضية
وفي ابن عطية قوله واما السائل فلا تنهر بازاء التي قبل ووجدك ضالا فهدى
على قول ابي الدرداء والحسن وغيرهما ان السائل هنا السائل عن العلم والدين
وبازاء قوله ووجدك عائلا فاغنى قوله واما بنعمة ربك فحدث ومن قال السائل
هو سائل المال المحتاج جعلها بازاء ووجدك عائلا فاغنى وجعل واما بنعمة ربك
فحدث بازاء ووجدك ضالا فهدى وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث
بالجر عطفا على النعمة اي والمراد بالتحدث بها تبليغها للناس وهذا قول
مجاهد والكلبي وقال اخرون بل هو عام في جميع النعم وكان بعض الصالحين
يقول لقد اعطاني الله كذا او صليت البارحة كذا او ذكرت الله كذا فقيل له
مثلك لا يقول هذا فقال ان الله تعالى يقول واما بنعمة ربك فحدث وانتم
تقولون لا تحدث وقال صلى الله عليه وسلم التحدث بالنعمة شكر وقال من
اسديت اليه يد فذكرها فقد شكرها ومن سترها فقد كفرها ذكره ابن عطية

الفصل الثالث في قسمه تعالى على
تصديقه عليه السلام فيما اتى به من وحيه

مصدر بمعنى اسم المفعول فقوله وكتابه خاص على عام وتنزيهه عن
الهوى في خطابه اي نطقه قال الله تعالى والنجم اذا هوى اقسم الله
تعالى بهذا المخلوق تشريفا له وتنبيها للاعتبار به حتى يتحول العبرة الى
معرفة الله تعالى وقيل المعنى ورب النجم وفيه قلق مع لفظ الاية ما ضل
صاحبكم وما غوى والضلال يكون بلا قصد والغي كانه شيء يكتسبه ويريده
وما ينطق عن الهوى اي وما ينطق صاحبكم عن الهوى اي بهواه وشهوته
وقيل ما ينطق القران المنزل عن هوى وشهوة ونسب النطق اليه من حيث
انه يفهم منه الامور كما قال تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق واسند النطق
اليه وان لم يتقدم له ذكر لدلالة المعنى عليه ذكره ابن عطية اقسم تعالى بالنجم
على تنزيه رسوله وبراءته مما اسند اليه اعداؤه الكفار من الضلال
والغي فنفى عنه ان يكون ضل عن هذه السبيل التي اسلكه اياها قال الرازي
والنسفي اكثر المفسرين لا فرق بين الضلال والغي وبعضهم قال الضلال في
مقابلة الهدى والغي في مقابلة الرشد قال تعالى وان يروا سبيل الرشد

لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وتحقيق الفرق ان
الضلال اعم استعمالا في الوضع يقول ضل بعيري ورحلي ولا تقول غوي والمراد
من الضلال ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا مستقيما والغواية ان لا يكون
الى المقصد طريق مستقيم ويدل عليه انه يقال للمومن الذي ليس على طريق السداد
سفيه غير رشيد ولا يقال ضال فالضال كالكافر والغاوي كالفاسق وكانه تعالى
قال ما ضل اي كفر ولا اقل من ذلك فما فسق ويويده فان انستم منهم رشدا
الاية اذ يقال الضلال كالعدم والغواية كالوجود الفاسد في الدرجة والمرتبة
ويحتمل ان معنى ما ضل ما جن فان المجنون ضال وعلى هذا فهو كقوله ما انت
بنعمة ربك بمجنون وقيل معنى ما غوى ما خاب لما طلب قال
• فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم على الغي لايما •
اي من خاب في طلبه لامه الناس فيجوز ان هذا اخبار عما بعد الوحي وان
يكون اخبارا عن احواله على التعميم اي كان ابدا موحدا لله تعالى وهو الصحيح
واختلف المفسرون في المراد بالنجم باقاويل معروفة جمع اقوال
جمع قول فهو جمع الجمع عبر به للدلالة على كثرتها والبا متعلقة بالمفسرين
او بعلا من جنسه لانه بفا الغيره بكذا فيتعدى بالبا وهو وان كان بعيدا اظهر
من تقديرا اختلافا مصحوبا باقاويل منها النجم على ظاهره وسمي الكوكب
نجما لطلوعه وكل طالع نجم يقال نجم السن والقرن والنبت اذا طلع قاله ابن
عادل والقرطبي وزاد ونجم فلان ببلد كذا اذا خرج على السلطان ويكون
ال للتعريف العهدي فقيل والمعهود الثريا وغيرها كما يأتي وتعريف الجنس
في اخر وهي النجوم التي يهتدي بها في ظلمات البر والبحر والى هذا
ذهب ابو عبيدة قايلا انه من اطلاق الواحد على الجمع ونقله ابن عطية
والماوردي عن الحسن ونقله غيرهما عن مجاهد وبه رد قول ابن جرير هذا
التاويل له وجه ولكن لا اعلم احدا من اهل التاويل قاله فقيل الثريا بالمثلثة
تفريع على ان ال للعهد اذا سقطت وغابت تفسير لهوى وهو بها مغيبها
وهو مروي عن ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة سالم مولى
بني العباس سكن حمص وارسل عن ابن عباس ولم نره صدوق قد يخطي مات
سنة ثلاث واربعين ومائة وعطية بن سعد العوفي الكوفي صدوق يخطي
كثيرا وكان شيعيا مدلسا مات سنة احدى عشرة ومائة والعرب اذا
اطلقت النجم تريد بها الثريا قال اعرا
• طلع النجم عشيا • فابتغى الراعي كسيا •
وفي الحديث ما طلع نجم قط وفي الارض من العاهة شي الا ارتفع رواه
احمد واراد الثريا واختار هذا القول ابن جرير والزمخشري وقال السهيلي
انه الصحيح لان هذا صار علما بالغلبة وقال عمر بن ابي ربيعة
• احسن النجم في السما الثريا • والثريا في الارض زين النسا •
وعن ابن عباس في رواية عكرمة بن عبد الله البربري اراد النجوم التي

ترمي

ترمي بها الشياطين اذا سقطت في اثارها لان الهوي السقوط من علو
قاله الراغب عند استراق السمع وهذا قول الحسن البصري وهو تفريع على
ان ال جنسية وعن السدي بضم السين وضم الدال وشد الدال المهملتين
اسمعيل بن عبد الرحمن الكوفي صدوق يهم مات سنة سبع وعشرين ومائة الزهرة
بزنة رطبة نجم في السما الثالثة وكذا قال سفيان الثوري وعلى ان ال
عهدية وعن الحسن البصري ايضا النجوم اذا سقطت يوم القيمة فهو بمعنى
قوله واذا الكواكب انتثرت على انها جنسية وقيل المراد الشعرى على انها عهدية
وقيل المراد النبت الذي لا ساق له والنجم والشجر يسجدان وهوى اي
سقط على الارض وهذا قول الاخفش وقيل القران رواه الكلبي محمد
ابن السايب عن ابن عباس لانه نزل نجوما اي امدادا متفرقة في اوقات
قاله ابن عطية وفي ابن القيم اربع ايات وثلاث ايات والسورة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ثلاث وعشرين سنة او عشرين بالعامدة الفترة
وهو قول مجاهد ومقاتل والضحاك وهوى بمعنى نزل وفي هذا الهوي
بعد ويحامل على اللغة قاله ابن عطية وقال جعفر الصادق لصدقه في مقاله
ابن محمد الباقر لبقره العلم بن علي زين العابدين بن الحسين السبط
هو محمد صلى الله عليه وسلم اذا هوى نزل من السما ليلة المعراج
قال النجم نجمي ويعجبني هذا التفسير لملاحظة من وجوه فانه صلى الله
عليه وسلم نجم هداية خصوصا لما هدي اليه من فرض الصلاة تلك الليلة
وقد علمت منزلة الصلاة من الدين ومنها انه اضاء في السما والارض ومنها
التشبيه بسرعة السير ومنها انه كان ليلا وهو وقت ظهور النجم فهو لا يخفى على
ذي بصر واما ارباب البصاير فلا يمترون كالصديق رضي الله عنه وعن جعفر
ايضا انه قلب محمد صلى الله عليه وسلم كما في الشفا اي لاشراقه بالانوار الالهية
وهو منبعها ومنبع الهداية وان كان فيه خفا وابعد منه انه الصحابة لحديث اصحابي
كالنجوم حكاه البجاني وهو بيهم موهم واظهر الاقوال كما قاله ابن القيم
انها النجوم التي ترمي بها الشياطين لانها يبعد الشياطين عن اهل
السما والانبيا يبعدون الشياطين عن اهل الارض فما سبب ان يقسم
برجمها عند البعثة ويكون سبحانه قد اقسم بهذه الاية الظاهرة
المشاهدة بالبصر التي نصبها الله اية وحفظا للوحي من استراق
الشياطين السمع فيزيدون فيه فيكون ما ارادوه باطلا على ان ما اتى
به رسوله حق وصدق لا سبيل للشيطان ولا طريق له اليه
عطف مساو بل قد حرس بالنجم اذا هوى رصدا اي راصدا له
بين يدي الوحي يمنعهم عن استماعه وحرساله منهم عطف تفسير
لرصدا وعلى هذا فالارتباط بين المقسم به والمقسم عليه في غاية
الظهور لان المقسم به هو النجم الذي قصد بسقوطه حفظ الوحي والمقسم
عليه حفظ الوحي نفس الوحي وفي المقسم به دليل على المقسم عليه

فات النجوم التي يرمى بها الشياطين ايات من ايات الله يحفظ بها دينه
ووحيه واياته المنزلة على رسوله بها ظهر دينه وشرعه واسماوه
وصفاته وجعلت هذه النجوم المشاهدة حرسا لهذه النجوم السماوية
هذا اسقطه من ابن القيم قبل قوله مبينا لخفا ما على القول الذي استظهره
وليس بالبين تسمية القران عند نزوله بالنجم اذا هوى
ولا تسمية نزوله هويا بضم الهاء وفتحها ولا عهد في القران بذلك
اي تسميته بالنجم فيحمل بالنصب هذا اللفظ عليه بل قال ابن عطية
انه تحامل على اللغة في بعده مع بعد وليس بالبين ايضا تخصيص
هذا القسم بالثريا وحدها اذا غابت لانه تخصيص بلا مخصص
لكن فيه ان العرب اذا اطلقت النجم تعني الثريا والقران وارد بلغتهم
فهو وجه التخصيص وليس بالبين ايضا القسم بالنجوم عند انتثارها
تساقطها متفرقة يوم القيامة بل هذا انما يقسم عليه الرب عليه
لا به ويدل عليه باياته فلا يجعله نفسه دليلا لعدم ظهوره
للمخاطبين ولا سيما منكر البعث فانه تعالى انما يستدل بما لا
يمكن جحده ولا المكابرة فيه فيذكر الدليل لمن هو بصدد الانكار قال
ابن كثير وهذا القول له اتجاه ثم انه بين المقسم به والمقسم عليه
من المناسبة ما لا يخفى كلام مستانف غرضه به توجيه الاقوال التي
استقلها وان استظهر واحدا منها واستبعد غيره فان قلنا المراد النجوم
التي للاهتدا فالمناسبة ظاهرة لانه يهتدى بها في معرفة
الطرقات وغيرها وبالمصطفى من ظلمات الجهل ومعرفة الحق من الباطل
فاقسم بها لما بينهما من المناسبة والمشابهة قاله الرازي وان قلنا
ان المراد الثريا فانه اظهر النجوم عند الرائي لانه لكونه له علامة
لا يشتبه بغيره في السما هو ظاهر لكل احد والنبي صلى الله
عليه وسلم تميز عن الكل بما منح اي اعطي من الايات البينات
فاقسم به ولان الثريا اذا ظهرت من جهة المشرق وقت الفجر
حان اي قرب ادراك الثمار اي طيبها واذا ظهرت من المغرب
قرب وقت اوان الخريف فتقل الامراض معناه انها تظهر بعيد
الغروب بحيث يكون ابتدا ظهورها بين المغرب والعشا وتستمر ظاهرة الى
الفجر والنبي صلى الله عليه وسلم لما ظهر قل الشرك والامراض
القلبية واظهرت الثمار الحكمية والحكمية هذا بقية المناسبة التي ابداها
الامام الرازي وان قلنا ان المراد بها القران فهو استدلال
بمعجزته صلى الله عليه وسلم على صدقه وبراءته وانه ما ضل
وما غوى زاد الرازي فهو كقوله تعالى يس والقران الحكيم انك لمن
المرسلين وان قلنا المراد النبات فالنبات به ثبات القوى
الجسمانية اي المتعلقة بالجسم بكسر الجيم وهو كل شخص مدرك وقال

ابو

ابو زيد الجسم الجسد وبه صلاحها والقوى العقلية وهي الصفة
وهي الصفة التي يميز بها الانسان الحسن من القبيح اولى احق بالصلاح
وذلك بالرسل وانضاح السبل وبعد ان ابدى الرازي هذه المناسبات
قال ومن هذا يظهر ان المختار هو النجوم التي في السما لانه اظهر عند السامع
وقوله اذا هوى دال عليه ثم بعده القران لما فيه من الظهور ثم الثريا وتامل
لم قال الله تعالى ما ضل صاحبكم ولم يقل محمد تاكيد الاقامة الحجة
عليهم بانه صاحبهم الذي نشا بين ظهرانيهم وهم اعلم الخلق به
وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا اضلال
ولا ينقمون بكسر القاف وفتحها لا يعيبون عليه امرا واحدا قط
وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل افلم يدبروا
القول ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة
والصدق والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم والاستفهام
للتقرير بالحق من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ومجي الرسل للامم الماضية
ومعرفة رسولهم بما ذكر فهم له منكرون دعواه لا لاحد هذه الوجوه اذ لا وجه
لغيرها فان انكار الشي قطعا او ظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع
او الشخص او بحسب ما يعول عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ثم نزه خلق
رسوله صلى الله عليه وسلم عن ان يصدر عن هوى بالقصر
المحبة في الاصل ثم اطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشي ثم استعمل
في مثل مذموم نحو اتبع هواه قال الرازي والاحسن ما يقال في تفسيره
انه من المحبة لكن من النفس الامارة وحروفه تدل على الدنو والنزول
والسقوط ومنه الهاوية فالنفس اذا كانت دنية وتركت المعالي وتعلقت
بالسفاسف فقد هوت فاختص الهوى بالنفس الامارة بالسو قال الشعبي
انما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه فقال تعالى وما ينطق عن الهوى
وهذا الترتيب في غاية الحسن عبر اولا بالماضي وهنا بالاتي اي ما ضل
حين حين اعتزلكم وما تعبدون وما غوى حين اختلى بنفسه وما ينطق
عن الهوى الان حين ارسل اليكم وجعل شاهدا عليكم فلم يكن اولا ضالا ولا غاويا
وصار الان منقذا من الضلال ومرشدا وهاديا ولم يقل وما ينطق
بالهوى لان نفي نطقه عن الهوى ابلغ من نفي نطقه به فانه يتضمن
ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم يصدر عن هو فكيف ينطق
به فيتضمن هو اي نفي صدوره عن الهوى الامرين بالنصب
مفعول نفي الهوى بالنصب ايضا بدل مفصل من مجمل او الرفع بتقدير
وهما نفي ولا يصح جره بدلا من الامرين لانهما منفيان لا نفيان عن
مصدر النطق ونفيه عن النطق نفسه فنطقه بالحق ومصدره
اي محله الذي يصدر عنه هو الهدى والرشاد لا الغي والضلال
فمن على بابها قاله النحاس وهو اولى اي ما يخرج نطقه عن رايه

بدليل ان هو الا وحي يوحي اي ما ينطق بالهوي وما يتكلم
بالباطل وذلك انهم قالوا انه تقول القران من تلقا نفسه قال ابن القيم
نفي الله عن رسوله الضلال المنافي للهدي والغي المنافي للرشاد ففي ضمن
هذا النفي الشهادة له صلى الله عليه وسلم بانه على الهدي والرشد فالهدي
في علمه والرشد في عمله وهذان الاصلان هما غاية كمال العبد وبهما
سعادته وصلاحه الي ان قال فالناس اقسام ضال في علمه غاو في قصده
وعمله وهولا هم الامة الغضبية ومن تشبه بهم وهو حال كل من عرف
الحق ولم يعمل به وضال في علمه راشد في قصده وهم ورثة الانبيا وان
كانوا اقل عددا فهم الاكثرون عند الله قدرا وهم صفوته من خلقه ثم قال
تعالى ان هو الا وحي يوحي قال الرازي هذا تكملة للبيان
لانه لما قيل وما ينطق عن الهوي كان قايلا قال فماذا ينطق اعن الدليل
والاجتهاد فقال لا انما ينطق عن الله بالوحي وهذا ابلغ من ما لو قيل هو
وحي يوحي وكلمة ان استعملت مكان ما للنفي كما استعملت ما للشرط مكان ان
فاعاد الضمير على المصدر المفهوم من الفعل اي ما نطقه الا
وحي يوحي صفة لنفي المجاز اي هو وحي حقيقة لا مجرد تسمية كقولك
هذا قول يقال قاله في اللباب وهذا احسن من جعل الضمير
عايدا على القران ووجه الاحسنية بقوله فان نطقه بالقران
والسنة وان كليهما وحي يوحي اي لافادته ان السنة من الوحي
بخلاف عوده على القران فلا يفيد ذلك قال الله تعالى وانزل الله
عليك الكتاب والحكمة وهما القران والسنة تفسير الحكمة
في احد الاقوال ومنه اخذ منع من اجتهاده واجيب بانه اذا اجتهد
وافق الواقع ولا يقع منه خطا ويقر عليه وينبه على انه حق فصار
بمنزلة الوحي وذكر الاوزاعي عبد الرحمن بن عمرو الفقيه الثقة الجليل
المتوفي سنة سبع وخمسين ومائة عن حسان بن عطية المحاربي
مولاهم الدمشقي ثقة فقيه عابد مات بعد العشرين ومائة قال كان جبريل
ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل
عليه بالقران يعلمه اياها اخرجه الدارمي باسناد صحيح عنه وهو
مرسل لان حسان بن عطية من صغار التابعين وله شواهد كثيرة منها
ما اخرجه احمد عن ابي امامة رفعه ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من امتي
مثل الحيين ربيعة ومضر فقال رجل يا رسول الله وما ربيعة من مضر
فقال انما اقول ما اقول واسناده حسن وروي ابو داود وابن حبان
مرفوعا الا اني اوتيت الكتاب وما يعدله يوشك شبعان على اريكته يحدث
بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله ما كان فيه من حلال استحللناه
وما كان فيه من حرام حرمناه الا وانه ما حرمه رسول الله مثل ما حرم
الله ثم اخبر تعالى عن وصف من علمه الوحي والقران بما يعلم

بضم الياء وكسر اللام انه مضاد لاوصاف الشياطين معلمي الضلال
والغواية بفتح الغين وفي لغة بكسرها على ما في المصباح ونفاها في
القاموس فقال علمه اي صاحبكم شديد القوي وهو جبريل اي
قواه العلمية والعملية كلها شديدة ولا شك ان مدح المعلم
مدح للمتعلم فلو قال علمه جبريل ولم يصفه لم يحصل للنبي صلى
الله عليه وسلم به فضيلة ظاهرة وايضا ففيه الوثوق بقوله
جبريل لان قوة الادراك شرط في الوثوق بقول القايل وكذا قوة الحفظ
والامانة فقال ذلك ليجمع هذه الشروط وهذا نظير قوله تعالى
ذي قوة عند ذي العرش كما سياتي البحث فيه ان شا الله تعالى
قريبا ثم اخبر سبحانه وتعالى عن تصديق فواده صلى الله عليه وسلم
لما راته ابصرته عيناه وان القلب المعبر عنه بالفواد صدق العين
وليس كمن راي شيا على خلاف ما هو به فكذب فواده بصره بل ماراه
بصره صدقه الفواد وعلم انه كذلك وفي حديث الاسرا مزيد لما
ذكرته هنا والله الموفق لا غيره وقال تعالى فلا اقسم بالخنس
الجوار بدون يا لجميع القرا الا يعقوب فاثبتها الكنس الي قوله وما هو
اي القران بقول شيطان رجيم مرجوم بالكواكب والكهنة وغير ذلك
نفي لقول قريش ان محمدا صلى الله عليه وسلم كاهن اي لا اقسم اذ الامر
اوضح من ان يحتاج الي قسم فلا ليست بزايدة عند كثير من المفسرين
لان الاصل عدم الزيادة او فاقسم ولا مزيدة للتاكيد والتقوية وهذا
قول اكثر المفسرين وهو انسب بالمقام ولما عقد له الاصل بدليل قوله تعالى
وانه لقسم لو تعلمون عظيم اذ الاتيان فيهما بشان القران فهما
متوافقتان في المعني وقال الزمخشري والوجه اي المتجه ان يقال هي
للنفي لا زايدة اي انه لا يقسم بالشي الا اعظاما له ويدل عليه
بادخال حرف النفي يقول ان اعظامي باقسامي كلا اعظام ولما
اوهم اللفظ ما ليس بمراد دفعه بقوله يعني انه يستاهل اي يستحق فوق
ذلك وفي ابن عطية لا اما زايدة واما رد لقول قريش ساحر كاهن
ونحوه وتكذيبهم بنبوته صلى الله عليه وسلم ثم ابتدا ما بعده اقسم
سبحانه وتعالى بالنجوم في احوالها الثلاثة من طلوعها المفهوم من
الخنس لانها الكواكب التي تظهر ليلا وجريانها في سيرها يفهم له
الجوار وغروبها المفهوم من قوله الكنس اي السيارات التي تختفي تحت
ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان
الشجر كما في الانوار وفي ابن عطية جمهور المفسرين ان الجوار الدراري
السبعة الشمس والقمر وعطارد وزحل والمريخ والزهرة والمشتري
وقال علي بن ابي طالب المراد الخمسة دون الشمس والقمر ذكره لان هذه
الخمسة تخنس في جريها اي تتقهقر فيما ترى العين وهي جوار في السما

وهي تكنس في ابراجها اي تستتر وقال علي ايضا والحسن وقتادة المراد
النجوم كلها لانها تخنس وتكنس بالنهار حتى تختفي وقال ابن مسعود والنخعي
وابي وجابر بن زيد وجماعة المراد بالخنس الجوار الكنس بقر الوحش لانها
تفعل هذه الافعال في كناسها وهو الموضع التي تاوي اليها من الشجر والغيران
ونحوه وقال ابن عباس والحسن ايضا والضحاك هي الظبا وذهب هولاء في
الخنس الى انه صفة لازمة لانه يلزمها الخنس وكذلك في بقر الوحش لها ايضا
انتهى **وبانصرام الليل** اي ذهابه المفهوم من قوله اذا عسعس **وباقبال
النهار عقيبه** بالمبالغة في عقب **من غير فصل** المفهوم من قوله والصبح اذا
تنفس قال ابن عطية عسعس الليل في اللغة اذا كان غير مستحكم الظلام فقال
الحسن ذلك وقت اقباله وبه وقع القسم وقال زيد بن اسلم وابن عباس وعلي
ومجاهد وقتادة ذلك عند ادباره وبه وقع القسم ويرجح هذا قوله بعد والصبح
اذا تنفس فكانهما حالان ويشهد له قول علقمة
حتى اذا الصبح لها تنفسا . وانجاب عنها ليلها وعسعسا
وقال المبرد اقسم بالليل باقبال الليل وادباره معا قال الخليل في عسعس
الليل وسعسع اذا اقبل وادبر وتنفس الصبح استطاع واتسع ضوءه
قال علوان بن قيس
وليل دجوجي تنفس فجره . لهم بعدما خالوه لن يتنفسا
فذكر سبحانه حالة ضعف هذا اي الليل **وادباره** من حيث انه لا يهتدى
فيه الى المصالح الدنيوية وليس محلا للسعي والتردد **وحالة قوة هذا** اي
الصبح **واقباله بطرد ظلمة الليل بتنفسه فكلما تنفس** اي زاد نوره
هرب الليل وادبر بين يديه ومعنى تنفسه قولان احدهما انه في اقبال
الصبح روحا ونسيما فجعل ذلك تنفسا على المجاز والثاني انه شبه الليل بالمكروب
المحزون فاذا جعل له التنفس وجد راحة فكانه تخلص من الحزن فعبر عنه بالتنفس
فهو استعارة لطيفة كما في الخازن **وذلك من ايات وجود الله ربوبيته**
ولذا اقسم به **انه القران قول** معمول اقسم تفسير للضمير في انه لقول
رسول كريم وقوله بمعنى مقول ورسول بمعنى مرسل قال ابن عطية وكريم
صفة تقتضي رفع المذام **وهو هنا جبريل** عند جمهور المتاولين وقال اخرون
هو محمد صلى الله عليه وسلم في الاية كلها والاول اصح **لانه ذكر صفة قطعا
بعد ذلك بما يعينه به** على وجه لا يحتمل ان المراد غيره **واما الرسول
الكريم في سورة الحاقة فهو محمد صلى الله عليه وسلم** لا جبريل لانه
قال وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون ولا بقول كاهن والمشركون ما
كانوا يصفون جبريل بالشعر والكهانة على ما يأتي **فاضافه** اي القول
الى الرسول الملكي تارة والى البشري اخرى واضافته اليهما غير حقيقية
**بل اضافة انشا من عندها ولفظ الرسول يدل على ذلك فان
الرسول هو الذي يبلغ كلام من ارسله فهذا اصرح في انه كلام من**

ارسل جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم فجبريل تلقاه عن الله تعالى
روحانيا بضم الراء لا بكيف ومحمد صلى الله عليه وسلم تلقاه عن جبريل ووصف الله
تعالى رسوله الملكي في هذه السورة اي التكوير بانه كريم يعطي افضل العطايا
وهي العلم والمعرفة والهدى والبر والارشاد وهذا غاية الكرم بنهايته التي
ما بعدها غاية والعلمية فيمتنع بقوته الشياطين ان يدنوا منه شيئا ولو قلنا بل
اذا راه اي من العقول بان يزيد وامنع جبريل من ايصاله الى الرسول ومنع الرسول
من تبليغه للخلق او يزيدوا فيه او ينقصوا منه شيئا لو قلنا بل اذا راه الشيطان
هرب منه ولم يقربه وروي مما يدل على قوته انه رفع قريات بفتح الراء جمع
جمع تصحيح لقرية بسكون الراء فيها لان ما كان اسما يجمع على فعلات بالفتح كجفنة
وجفنات وما كان صفة يجمع بالسكون كصعبة وصعبات والسيادة من المصادر
انها اسم لانه قال العربي كل مكان اتصلت به الابنية واتخذ قرارا ويقع على
المدن وغيرها والجمع قرى على غير قياس اي جمع التكسير والتصحيح فقريات
قوم لوط على قوادم جناحه وهي اربع او عشر ريشات في مقدم الجناح
الواحدة قادمة كما في القاموس حتى سمع اهل السما نباح كلابها وضغير
النون اصواتها واصوات بنيها وصياح ديكتها ثم قلبها عليهم وروى ابن عساكر
عن معونة بن فترة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما احسن
ما اثنى عليك ربك ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فما كانت
قوتك وما كانت امانتك قال اما قوتي فاني بعثت الى مداين قوم لوط
وهي اربع مداين وفي كل مدينة اربع مائة الف مقاتل سوى الذراري فحملتهما
من الارض السفلى حتى سمع اهل السما اصوات الدجاج ونبيح الكلاب ثم هويت
بهن فقلبتهن واما امانتي فلم اومر بشي فعدوته الى غيره وقال محمد بن
السايب الكلبي من قوة جبريل انه اقتلع مداين قوم لوط من الما
الاسود فحملها على جناحه حتى رفعها الى السما حتى سمع اهل السما نباح كلابهم
وصياح ديكتهم ثم قلبها ومن قوته ايضا انه ابصر ابليس يكلم عيسى بن مريم
على بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة القاه باقصى جبل
الهند ومن قوته صيحته بثمود في عددهم وكثرتهم فاصبحوا جاثمين
خامدين ومن قوته هبوطه من السما على الانبيا وصعوده في اسرع من
طرفة عين ذي قوة عند ذي العرش مكين اختلف في تعلق ذي العرش
فقيل متعلق بما قبله وقيل متعلق بمكين اي متمكن المنزلة اي عظيم مبجل
رفيع المقدار عنده وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف والتعظيم
لا استحالة الحقيقية في الله تعالى مطاع في ملايكة الله تعالى المقربين
يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه ثم بفتح المثلثة وشد الميم اسم اشارة
للمكان بمعنى هناك اي في السما كما دل عليه قوله عند ذي العرش واشارة البعيد
والمقام ونحوه قول الكشاف مطاع عند ذي العرش في ملايكته ويكون تعلقه بقوله
امين وبها على وحي الله ورسالاته وخصه بذلك لان المقام يقتضيه وهو من

عليه وعلي غيره والكافر عقيبه له القول مصدق فيما يقول لعقد عصمه الله من الخيانة
والزلل فهذه خمس صفات بناء علي ان لعنده و المكان ليسا بصفتين حقيقيتين
فلم يعدهما هنا ولحظ الزمخشري ان كلا منهما دال علي صفة كمال فعدهما سبعا وتبعه
الصفي في موضعين تقدما وعدها الرازي ستة بجعل قوله عند ذي العرش
متعلقا بقوله ذي قوة تتضمن تزكية سند القران بانه سماع محمد صلي الله عليه
وسلم وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علوا وجلالة
فقد تولي الله تزكيته بنفسه اي ذاته وفي اطلاق النفس علي الله تعالي
ثم نزه رسوله البشري وزكاه مما يقول فيه اعداوه الكفرة فقال وما صاحبكم
بمجنون وهذا امر يعلمونه ولا يشكون فيه وان قالوا بالسنتهم خلافه استكبارا
وعنادا فهم يعلمون تحقيقا انهم كاذبون وانما حملهم عليه البغي والعناد
ثم اخبر عن رويته صلي الله عليه وسلم لجبريل عليه الصلاة والسلام بقوله
ولقد راه بالافق المبين قال ابن عطية ضمير راه لجبريل وهذه الروية
كانت بعد امر غار حراء اذ راه علي كرسي بين السماء والارض وقيل هي رويته
عند سدرة المنتهي في الاسراء وسمي ذلك الموضع افقا تجوزا وقد كانت
لرسول الله صلي الله عليه وسلم روية ثالثة بالمدينة وليست هذه ووصفه
بالمبين لانه روي انه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس قاله قتادة
وايضا فكل افق فهو في غاية البيان وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج
يري بالعيان بكسر العين ويدرك بالبصر خلافا للقوم حقيقته عندهم انه خيال
موجود في الاذهان لا في العيان وهذا مما خالفوا فيه جميع الرسل واتباعهم
وخرجوا به عن جميع الملل ولهذا كان تقدير اثبات وبيان روية النبي صلي
الله عليه وسلم لجبريل اهم من تقريره لروية ربه تبارك وتعالي فان رويته
عليه الصلاة والسلام لجبريل هي اصل الايمان لا يتم الا باعتقادها ومن انكرها
كفر قطعا لجحده ما ابتني عليه الايمان واما رويته لربه تعالي فغايته ان
تكون مسيلة نزاع خلاف بين العلما من الصحابة فمن بعدهم لا يكفر جاحدها
بالاتفاق وقد صرح جماعة من الصحابة بانه لم يره فنحن الي تقرير اثبات
روية جبريل احوج منا الي تقرير رويته لربه تعالي وان كانت روية
الرب سبحانه وتعالي اعظم من روية جبريل فان النبوة لا تتوقف عليها
البتة بقطع المعجزة وقد ضعف ايضا كون ضمير راه لله تعالي بانه قول
غريب لم ينقل عن احد ممن يعتمد عليه وبابا ه كل الاباء بالافق المبين سواء كان
او حيث تطلع الشمس اذ لم يقل احد انه راي ربه بالافق واجيب بان رويته
بالافق كما يستوي علي العرش او المراد بالافق الذي فوق السماء السابعة
او المراد به المنزلة العالية كما اشار اليه الامام الرازي وقولهم لم يقل به احد
الله روي عن ابن مسعود ثم نزه سبحانه وتعالي رسوليه كليهما صلي الله عليه
وسلم احدهما بما نفيه عن الاخر لانه تلقاه منه او عنه عما يضاد بخالف
مقصود الرسالة من الكتمان الذي هو الضنة بكسر المعجمة وشد النون

[illegible]

والبخل

والبخل نقص والتبديل والتغيير الذي يوجب التهمة فقال وما هو علي الغيب
بضنين اي ما غاب عن الحس الذي اخبر به او ما هو وساير الانبيا وساير اخبار
الغيب فيشمل الذات والصفات والقران ويستدل به علي غيره والمراد ما غاب
عن علمهم فتشمل اخباره عن المشاهد والغايب فان الرسالة لا يتم مقصودها
الا بامرين اداها من غير كتمان وادايها علي وجوهها من غير زيادة
ولا نقصان اذ لو عرض زيادة او نقص او كتم ما حصل المقصود والقرايتان
كالايتين فتضمنت احداهما وهي قراة الضاد قراة نافع وعاصم وحمزة وابن
عامر تنزيهه عن البخل فان الضنين البخيل يقال ضننت به اضن بفتح
الضاد بوزن بخلت ابخل ومعناه عطف علي بوزن فبابه فرح زاد المصباح
وفي لغة من باب ضرب وقال ابن عباس ليس ببخيل بما انزل الله بل يبلغه وقال
مجاهد لا يضن عليهم بما يعلم وهو قريب من تفسير ابن عباس او انهم انه خص
ما انزل بالقران واجمع المفسرون علي ان الغيب ههنا القران والوحي قال
الفرا يحيي بن زياد بن عبد الله الاسدي ابو زكريا الكوفي نزيل بغداد النحوي
المشهور مات سنة سبع ومايتين قيل له الفرا لانه كان يفري الكلام وهو
صدوق في الحديث علق عنه البخاري يقول تعالي ياتيه غيب من السما وهو
نفيس اي مرغوب فيه فلا يضن بفتح الضاد وتكسر لا يبخل به عليهم وهذا
معني حسن جدا فان عادة النفوس الشح بالشي النفيس ولا سيما عن من لا
يعرف قدره ومع هذا فالرسول صلي الله عليه وسلم لا يبخل عليكم بالوحي
الذي هو انفس شي واجله وقال ابو علي الحسن بن احمد الفارسي الامام
المشهور المتوفي سنة سبع وسبعين وثلثماية المعني ياتيه الغيب فيبينه
ويخبر به ويظهره ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده ويخفيه حتي ياخذ عليه
حلوانا بضم فسكون عطا اسم من حلوته احلوه واما قراة من قرا بظنين
بالظا كابي عمرو والكسايي وابن كثير فمعناه المتهم يقال ظننت زيدا
بمعني اتهمته متعدي الي مفعول واحد وليس هو من الظن الذي هو الشعور
والادراك فان ذلك يتعدي الي مفعولين كظننت زيدا قايما والمعني
وما هذا الرسول علي القران بمتهم فالنفي فيه كالنفي في لا ريب فيه بل هو
امين فيه لا يزيد ولا ينقص منه وهذا يدل علي ان الضمير فيه اي في قوله هو
يرجع الي محمد صلي الله عليه وسلم لانه قد تقدم وصف الرسول الملكي جبريل
بالامانة ثم قال وما صاحبكم بمجنون يعني محمدا باجماع ثم قال وما هو اي
اي وما صاحبكم بمتهم ولا بخيل علي القرايتين ورجح ابو عبيد قراة الظا
مسالة بان قريشا لم تبخل محمدا صلي الله عليه وسلم وانما كذبته فنفي سبحانه
عن رسوله صلي الله عليه وسلم ذلك كله وزكي سند القران اعظم تزكية
فلا يطلب بعد تزكية الله تزكية لانها اعظمها والله يقول الحق ما له حقيقة
عينية مطابقة له وهو يهدي السبيل سبيل الحق وقال تعالي فلا اقسم
بما تبصرون تشاهدون بالبصر وما لا تبصرون المغيبات انه لقول رسول

كريم لا اقسم تعالى بصريح ثان لان زايدة للتاكيد وقيل نافية اي لا اقسم بذلك
وان كان يستحق ان يقسم به لوضوح الامر عن الاحتياج الى قسم واستغنايه عن
التحقيق بالقسم وقيل فلا رد لما تقدم من اقوال الكفار واستيناف اقسم وقرا
الحسن فلا اقسم بلام القسم بالاشيا كلها ما يبصر منها وما لا يبصر وهذا اعم
قسم وقع في القران فانه يعم العلويات والسفليات والدنيا والاخرة وما يرى
وما لا يرى دخل فيه الخالق وصفاته تعالى كما في الخازن وغيره ويدخل
في ذلك الملايكة كلهم والانس والجن والعرش والكرسي واللوح والقلم
وكل مخلوق وحيث شمل ذلك كله فالحمل عليه اولى من الحمل على بعضه فقيل الدنيا
والاخرة اوما على ظهر الارض وبطنها او الاجساد والارواح او الانس والجن او الخلق
والخالق او النعم الظاهرة والباطنة اوما اظهره الله من مكنون غيبه
واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون ما استاثر بعلمه فلم يطلع عليه احد
من خلقه وذلك كله من ايات قدرته وربوبيته فمعنى ضمن هذا القسم
ان كل ما لا يرى مما يرى وما لا يرى اية ودليل على صدق رسوله صلى
الله عليه وسلم قد يتوقف فيه بان كثيرا من المخلوقات ليس فيه دلالة على
ذلك كذا ان السما مثلا اللهم الا ان يقال الاقسام بها دليل عظمها وكما لها
مقتضيا دلالة على صدق المصطفى من حيث الاخبار عن الله انه انما خلق السموات
وغيرها لاجله صلى الله عليه وسلم او ان الاقسام بكل واحدة منها من حيث
تعلقه الاقسام به يثبت صدقه فيما جا به وان ما جا به هو من عند الله تعالى
وهو كلامه تعالى لا كلام شاعر ولا مجنون ولا كاهن كما زعموا وانه حق
ثابت كما ان ساير الموجودات ما يرى منها وما لا يرى حق كما قال اي
ونظير ذلك قوله تعالى فورب السما والارض انه اي ما توعدون لحق
مثل ما انكم تنطقون برفع مثل صفة وما زايدة وبفتح اللام مركبة مع
ما المعنى مثل نطقكم في حقيقته اي معلوميته عندكم ضرورة صدوره
عنكم فوجه التنظير بهذه الاية انه اقسم برب السما والارض على ان ما
توعدونه حق كما ان نطقهم الذي ياتون به حق لا يشكون فيه فكانه
سبحانه وتعالى يقول انه اي القران الذي رجع اليه ضميرانه لقول
رسول كريم حق كما ان ما يشاهدونه من الخلق وما لا يشاهدونه
حق موجود فلا وجه للانكار ويكفي الانسان من كذا في بعض النسخ
الصحيحة من التي للبدل وهو الصواب الواقع في اصله ابن القيم وفي
غالب النسخ مع ولا معنى لها اذ المعنى بدل جميع ما يبصره وما لا يبصره
نفسه كما قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون اي وفي انفسكم ايضا
ايات من مبدا خلقكم الى منتهاه وما في تركيب خلقكم من العجايب
افلا تبصرون ذلك فتستدلون به على صانعه وقدرته ومبدا
خلقه ونشاته وما يشاهده من احواله ظاهرا وباطنا اذ ما في
العالم شي الا وفي الانسان له نظير يدل ذاته على ما انفرد به من الهيات

النافعة والمناظر البهية والتركيبات والتمكن من الاعمال الغريبة
واستنباط الصنايع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة كما في البيضاوي
في ذلك اي في ذلك دلالة على وحدانية الرب كذا في نسخ صحيحة متعدده
وهو الذي في اصله ابن القيم خلاف ما في بعضها اي في دلالة الرب فانه
خطا نشا عن سقط وثبوت صفاته وصدق ما اخبر به رسوله
صلى الله عليه وسلم ومن لم يباشر قلبه ذلك حقيقة لم تخالط
بشاشة الايمان على طلاقة الوجه والتلطف بالضعيف وحسن السيرة
مع المومنين قلبه من اضافة المسبب الى السبب اي لم تخالط البشاشة الناشية
عن الايمان قلبه او شبه الايمان بانسان حسن الاخلاق كامل التودد والصداقة
لاخوانه واثبت له ما هو من خواصه وهو البشاشة تخييلا ثم بعد ان اثبت
بالقسم انه قول رسول كريم ونفى عنه اقوال الكفرة بقوله وما هو
بقول شاعر قليلا ما تومنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل
من رب العالمين اقام سبحانه البرهان الدليل القاطع على صدق
رسوله صلى الله عليه وسلم وانه لم يتقول عليه فيما قاله بقوله
تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا
منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين قال الكشاف سمي الافترا تقولا
لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانها جمع افعولة
من القول كالاضاحيك وانه لو تقول عليه وافترى عطف تفسير لما افتراه
لعاجله بالاهلاك اي عجل اهلاكه فان كمال علمه وقدرته وحكمته
تابى ان تقر من تقول عليه ما لم يقل ويفتري عليه واضل عباده
واستباح دما من كذبه وحريمهم نسائهم واموالهم فكيف يليق به ان
يويده وينصره ويعليه ويظهره ويظفره بهم يا احكم الحاكمين
واقدر القادرين ان تقر على ذلك لا فهو استفهام بمعنى النفي بل
اضراب ابطالي لا انتقالي كيف يليق به ان يويده وينصره ويعليه
ويظهره ويظفره بهم اي المكذبين له بسفك دماهم ويستبيح
اموالهم واولادهم ونساهم قايلا ان الله امرني بذلك واباحه
له استفهام بمعنى النفي ايضا اي لا يكون ذلك بل للاضراب الانتقالي
ايضا كيف يليق ان يصدقه بانواع التصديق كلها فيصدقه
باقراره على ما فعله فيهم من سفك دمهم وغيره وبالايات المعجزات
المستلزمة لصدقه ثم يصدقه بانواعها كلها على اختلاف عصا
فكل اية علامة ومعجزة على انفرادها مصدقة له ثم يقيم الدلالة
القاطعة على ان هذا قوله وكلامه يشهد له باقراره وفعله
وقوله فمن اعظم المحال وابطل الباطل وابين البهتان اي افترا
الكذب ان يجوز على احكم الحاكمين ان يفعل ذلك فعني ذلك كله ابين
الدلالة على صدقه صلى الله عليه وسلم والمراد بالرسول الكريم

نعتا محمد صلي الله عليه وسلم في قول جماعة من اهل التفسير كما
قدمناه في الاية التي قبل هذه واضيف اليه لانه بلغه وقال جماعة منهم
هو جبريل والاول اصح لانه لما قال انه لقول رسول كريم ذكر
بعده انه ليس بقول شاعر ولا كاهن والمشركون ما كانوا يصفون
جبريل عليه السلام بالشعر والكهانة واجيب بانه يصح ارادة جبريل
من حيث ان المشركين كانوا يصفون القول بانه نفسه شعر وكهانة
وان لم يلحظوا قايله فقيل ذكر الايمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي
الكاهنية لان عدم مشابهة القران الشعر لا ينكره الا معاند بخلاف
معاينة الكهانة فيتوقف علي تذكر احواله صلي الله عليه وسلم ومعاني القران
النافية لطريق الكهنة ومعاني اقوالهم وانت خبير بان ذلك ايضا مما يتوقف
علي قايل قطعا كذا في بعض التفاسير والله اعلم ومن ذلك قوله تعالي
فلا اقسم قيل لا زايدة والمعني فاقسم وزيادتها في بعض المواضع
معروفة كقوله ليعلم اهل الكتاب فهي موكدة تعطي في القسم مبالغة ما
وهي كاستفتاح كلام مشبهة في القسم الافي سايرالكلام القسم وغيره ومنه
قوله فلا وابي اعدايها لا اخونها المعني وابي اعدايها وله نظاير وقرا
الحسن فلاقسم بلا الف اي فلا نا اقسم وقال سعيد بن جبير وبعض النحاة
نافية كانه قال لا صحة لما تقول الكفرة ثم ابتدا القسم بمواقع بالجمع قراءة
الجمهور وقرا عمر وابن مسعود وابن عباس واهل الكوفة وحمزة والكسائي
بموقع بالافراد مضافا به اي مرادا به الجمع ونظيره كثير ومنه ان انكر
الاصوات لصوت الحمير جمع من حيث ان لكل حمار صوتا مختصا وافرد من حيث
ان الاصوات كلها نوع النجوم قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم
هي نجوم القران التي نزلت علي النبي صلي الله عليه وسلم وذلك
انه نزل في ليلة القدر الي سما الدنيا وقيل الي البيت المعمور جملة واحدة
ثم نزل ذلك علي المصطفي نجوما مقطعة في عشرين سنة قال ابن عطية
ويؤيده عود الضمير في انه الي القران في انه لم يتقدم ذكره الا علي هذا
التاويل ومن قال بغيره قال الضمير عايد علي القران وان لم يتقدم
ذكره لشهرة الامر ووضوح الحق كقوله حتي توارت وكل من عليها وقال
جمهور المفسرين النجوم هنا الكواكب المعروفة واختلف في مواقعها فقال
مجاهد وابو عبيدة مواقعها عند غروبها وطلوعها وقال قتادة مواقعها
مواضعها من السما وقيل مواضعها عند الانقضاض اثر الجن وقال
الحسن مواقعها عند الانكدار يوم القيامة وبهذا نعرفي ان الاضافة
علي بابها وان الاقسام انما هو بمواقعها لا بذاتها ويجوز انه من اضافة
الصفة للموصوف اي بالنجوم حين سقوطها خلاف الاصل وظاهر اللفظ
وكلام المفسرين وانه لقسم تاكيد للامر وتنبيه لمن المقسم به لا اعتراض
بل معني قصد التنبيه به وانما الاعتراض لو تعلمون وقيل انه اعتراض

وان

وان لو تعلمون اعتراض في اعتراض والتحرير ما ذكرناه قاله ابن
عطية عظيم اي لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم عليه
ووصفه بالكرم اثباتا لصفة المدح له ودفع صفات الحطيطة عنه في كتاب
مكتوب مكنون مصون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين
واختلف في الكتاب بعد الاتفاق علي ان المكنون المصون كما قال ابن عطية
فقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ قاله ابن القيم والصحيح
انه الكتاب الذي بايدي الملايكة وهو المذكور في قوله كلا انها
تذكرة فمن شاء ذكره في صحف خبر ثان لانها وما قبله اعتراض
مكرمة عند الله مرفوعة في السما مطهرة منزهة عن مس الشياطين
بايدي سفرة كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ كرام بررة مطيعين
لله وهم الملايكة قال مالك الامام احسن ما سمعت في هذه الاية اي
في كتاب مكنون انها مثل الذي في سورة عبس استدلال لما صححه
ابن القيم ومن المفسرين من قال ان المراد المصحف لا يمسه الا الطاهر
من الحدث والاول ارجح عند غيره يعني اللوح المحفوظ اذ هو الاول
في كلامه ولا يخالفه قوله في الثاني انه الصحيح لانه عند نفسه ويؤيده
ذلك قول ابن القيم الخامس ان من الترجيحات وصفه بكونه مكنونا
نظير وصفه بكونه محفوظا فقوله لقران كريم في كتاب مكنون كقوله بل
هو قران مجيد في لوح محفوظ لان الاية سيقت تنزيها للقران
ان تنزل به الشياطين وان محله لا يصل اليه ما قال تعالي
وما تنزلت به بالقران الشياطين وما ينبغي يصلح لهم ان يتنزلوا
به وما يستطيعون ذلك والقران يفسر بعضه بعضا فترجح كون المراد
بايدي الملايكة وايضا فان قوله لا يمسه بالرفع نفي اخبر لفظا
ومعني ولو كان نهيا كان مفتوحا ومن حمل الاية علي النهي احتاج
الي صرف الخبر عن ظاهره الي معني النهي فقال انه خبر بمعني النهي
وضمة السين ضمة اعراب وقيل هو نهي وضمة السين ضمة بنا لا
اعراب والاصل في الخبر والنهي حمل كل منهما علي حقيقته وليس
ها هنا موجب يوجب صرف الكلام عن الخبر الي النهي بل الموجب
موجود وهو اجتماع النفي والاثبات انتهي ما اراد نقله من كلام ابن القيم
حال كونه ملخصا بمعني محذوف ما لم يرد نقله والا فهو قد ذكر كلاما طويلا
من جملته عشرة اوجه في ترجيح انه الذي بايدي الملايكة منها الوجهان
المذكوران في المصنف وهذا الذي قاله ابن القيم تمسك به جماعة
منهم داود بن علي بن خلف الحافظ المجتهد ابو سليمان الاصفهاني البغدادي
فقيه اهل الظاهر ولد سنة اثنين ومايتين واخذ عن اسحق وابي ثور
وسمع القعنبي وحدث عنه ابنه محمد وزكريا الساجي وصنف التصانيف وكان
بصيرا بالحديث صحيحه وسقيمه اماما ورعا ناسكا زاهدا كان في مجلسه

اربعماية طيلسان مات في رمضان سنة ثمانين ومايتين بانه يجوز مس المصحف للمحدث لان الاية لم ترد فيه انما وردت في اللوح او الذي بايدي الملايكة لكن ولو قلنا بذلك لا دلالة فيها على جواز مس المصحف للمحدث اذ هو مسكوت عنه واجاب ابن الرفعة في الكفاية شرح التنبيه للشيخ ابي اسحق الشيرازي كتاب واسع كبير عن ادلتهم المزخرفة اي المزينة بما يروجها فقال ما نصه القران لا يصح مسه وانما يمكن مس النقوش الدالة عليه فنعلم ان المراد به الكتاب الذي هو اقرب المذكورين وهما القران الكريم والكتاب المكنون ولا يتوجه النهي الى اللوح المحفوظ لانه غير منزل ومسه غير ممكن ولا الى صحف الملايكة ولا يمكن ان يكون المراد بالمطهرون الملايكة لانه قد نفى بقوله لا يمسه واثبت بقوله الا المطهرون وكانه قال لا يمسه الا المطهر وذو لا يمسه غير المطهرين والسماويون فيها غير مطهر بالاجماع فحمله على الملايكة يلزم منه انقسامهم لمطهر وغيره وهو خلاف الاجماع فعلم بذلك انه اراد بالمطهرين الادميين وتعين انه اراد بالكتاب المصحف ويبين ذلك ويزيده وضوحا ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال في كتاب عمرو بفتح العين ابن حزم بن زيد بن لوذان الانصاري يكنى ابا الضحاك شهد الخندق وما بعدها واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على نجران وروي عنه كتابا كتبه له فيه الفرايض والزكاة والديات وغير ذلك وعنه ابنه محمد وجماعة قال ابو نعيم مات في خلافة عمر وقال قال ابراهيم بن المنذر وقيل بعد الخمسين قاله في الاصابة وهو اشبه بالصواب ففي مسند ابي يعلى برجال ثقات انه كلم معوية في امر بيعته ليزيد بكلام قوي وفي الطبراني وغيره انه روى لمعاوية ولعمرو ابن العاص حديث تقتل عمارا الفية الباغية المروي في الدارقطني وغيره كابي داود والنسائي وابن حبان والدارمي ولا يمس القران الا وانت على طهر فهذا نص صريح في المطلوب وان احتملت الاية ثم قال ابن الرفعة فان قيل قد قال الواحدي ان اكثر اهل التفسير على ان المراد اللوح المحفوظ وان المطهرين الملايكة ثم لو صح ما قلتم ان المراد المصحف والمطهرون بنو ادم لم يكن فيها دليل على حرمة مسه للمحدث لان قوله لا يمسه بضم السين ليس نهيا عن المراد ولو كان نهيا لكان بفتح السين فهو اذا خبر لا دلالة فيه على الحرمة قلنا اما قول اكثر المفسرين فهو معارض بقول الباقين والمرجع الى الدليل وهو ما دل على ان المراد المصحف فلا نظر الى كثرة قول القايلين بخلافه واما كون المراد بالاية الخبر فجوابه انا نقول اللفظ لفظ الخبر ومعناه النهي وهو ابلغ في النهي من النهي الصريح وهو كثير في القران وكذا السنة قال الله تعالى لا تضار والدة بولدها بسببه بان تكره على ارضاعه اذا امتنعت فلفظه خبر ومعناه النهي والمطلقات يتربصن

او

او معناه لتتربص المطلقات ولا تبادر بالنكاح قبل انقضا الاقرا انتهى كلام ابن الرفعة واجاب العلامة البساطي قاضي القضاة المالكية شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان شيخ الاسلام ولد سنة ستين وسبعمائة وبرز في الفنون ودرس في الشيخونية وغيرها وصنف تصانيف ومات في رمضان سنة اثنين واربعين وثمان ماية في شرحه لمختصر الشيخ خليل ابن اسحق العلم الشهير في الافاق بان يمسه مجزوم وضم السين لاجل الضمير كما صرح به جماعة وقالوا انه مذهب البصريين ومنهم اي الجماعة ابن الحاجب في شافيته انتهى كلام البساطي وقد ذكر هذا العلامة شهاب الدين احمد بن يوسف بن محمد بن مسعود الحلبي الشهير بالسمين صاحب اعراب القران وله ايضا تفسير كبير نقص ترجمته مع زيادة ايضاح وله فوايد فقال في لا هذه في لا يمسه وجهان الاول انها نافية الثاني انها ناهية والفعل بعدها مجزوم لانه لو فك عن الادغام لظهر ذلك الجزم فيه كقوله تعالى لم يمسسهم سو حيث يظهر الجزم فيه بفك الادغام ولكنه ادغم في لا يمسه ولما ادغم حرك اخره بالضم لاجلها ضمير المذكر الغايب ولم يحفظ سيبويه في هذا الا الضم وفي الحديث الذي اخرجه الشيخان وغيرهما عن الصعب بن جثامة الليثي انه اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابوا او بودان فرده عليه فلما راى ما في وجهه قال انا بكسر الهمزة لم نرده عليك لعلة من العلل الا انا بفتح الهمزة حرم بضم الحا والرا محرمون زاد في رواية النسائي لا ناكل الصيد قال المصنف نرده بفتح الدال رواية المحدثين وذكره ثعلب في الفصيح لكن قال المحققون من النحاة انه غلط والصواب ضم الدال كاخر المضاعف من كل مضاعف مجزوم اتصل به ضمير المذكر مراعاة للواو التي توجبها ضمة الها بعدها لخفا الها فكان ما قبلها ولي الواو ولا يكون ما قبل الواو الا مضموما كما فتحوها مع المونث نحو فردها مراعاة للالف وجوز الكسر ايضا وهو اضعفها ففيها ثلاثة اوجه وللجوهري والكشميهني لم نردده بفك الادغام فالدال الاولى مضمومة والثانية مجزومة وهو واضح انتهى وان كان القياس جواز فتحه انتهى تخفيفا وبه جاءت الرواية فهي صحيحة للتخفيف وليست بغلط قال السمين وبهذا الذي ذكرته يظهر فساد رد من رد بانه لو كان نهيا لكان يقال لا يمسه بالفتح لانه خفي عليه جواز ضم ما قبل الها في هذا النحو اي في هذا ونحوه من اخر كل مضاعف مجزوم اتصل به ضمير المذكر لا سيما على راي سيبويه فانه لا يجيز غيره يعني ان ابن عطية قال القول بان لا يمسه نهي قول فيه ضعف لانه اذا كان خبرا فهو في موضع الصفة وقوله تنزيل

صفة ايضا فاذا جعلناه تهيا جا بمعني اجنبي معترضا بين الصفات
وذلك لا يحسن في وصف الكلام فتدبر وفي مصحف ابن مسعود وما يمسه الا الطاهر
انتهي واجاب شيخنا المذكور تده له بان تضعيفه بما ذكر انما هو في سياق قصد
به معنيان او اكثر فلا يضر ما قاله والله اعلم بما اراد ٠

٠ الفصل الرابع في قسمه تعالي علي تحقيق ٠

اي اثبات رسالته صلي الله عليه وسلم قال الله تعالي يس امال
حمزة والكسائي اليا غير نوطي والجمهور يفتحونها ونافع وسط في ذلك
والقران الحكيم فعيل بمعني مفعل اي احكم منع مواعظه واوامره ونواهيه
ويحتمل انه فاعل اي ذو الحكمة او الحكيم صاحبه اعلم ان كل سورة بدا
الله بها تعالي فيها بحروف التهجي كان في اوايلها الذكر كقوله
ص والقران ذي الذكر وينبغي ان المراد به ما يعم لفظه وما تضمن معناه
نحو الم احسب الناس ان يتركوا والم غلبت الروم ونحوها او الكتاب
الم ذلك الكتاب او القران او هما الر تلك ايات الكتاب وقران مبين
الا سورة ن فليس في اوايلها ذلك صريحا لكن تقدم من جملة الاقوال
ان معني يسطرون يكتبون القران وغيره فعليه يكون ن كغيرها
ثم ان ذكر هذه الحروف في اوايل السور امورا تدل علي انها
غير خالية عن الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها الا ان كشف
الله له سر ذلك بان يطلعه عليه وهذا اينا علي انه اريد بها ما خفي لا
ما استاثر الله بعلمه اذ لا يطلع عليه احدا واختلف المفسرون في معني يس
علي اقوال احدها انه يا انسان بلغة طي لانهم يقولون يا ايسان
بمعني يا انسان ويجمعونه علي اياسين فهذا منه وقالت فرقة قوله يا
حرف ندا والسين مقامه مقام انسان انتزع منه حرف فاقيم مقامه قاله
ابن عطية وهو قول ابن عباس عند ابن ابي حاتم والثعلبي والحسن
البصري وعكرمة البربري والضحاك وسعيد بن جبير وقيل
بلغة الحبشة حكي عن ابن عباس ايضا ومقاتل وقيل بلغة كلب
وحكي الكلبي محمد بن السايب انها بالسريانية قال الامام فخر الدين
الرازي وتقريره اي هذا القول ان معناه يا انسان باي لغة بما ذكر
هو ان تصغير انسان انيسين وكانه حذف الصدر واخذ
العجز لكثرة الندا به وقال يس وعلي هذا اي يا انسان يس ما
قيل فيه فيكون الخطاب مع محمد صلي الله عليه وسلم ويؤيده حديث
لي عند ربي عشرة اسما وعد منها طه ويس ويؤيده قوله تعالي انك
لمن المرسلين لانه خطاب له صلي الله عليه وسلم بلا نزاع فيقوي كون
يس لذلك وتبع الزمخشري الامام علي هذا وتعقبه ابو حيان بان
الذي نقل عن العرب في تصغير انسان انيسيان بيا بعد
السين وبعدها الف فدل علي ان اصله انسيان لان التصغير

يرد

يرد الاشيا الي اصولها فيعرف به كما يعرف بالجمع ولا نعلم انهم قالوا في
تصغيره انيسين وعلي تقدير انه مصغر لذلك وروده عن العرب
فلا يجوز ذلك الا ان يبني علي الضم لانه منادي مقبل عليه فكان تقياس
ضم النون وقراة الجمهور بسكون النون واظهارها وان كانت النون الساكنة
تخفي مع الحروف وانما هي مع الانفصال وحق هذه الحروف المقطعة ان تظهر
وقرا عاصم وابن عامر بخلاف عنهما يس والقران بادغام النون في الواو
وقري بنصب النون وبضمها ومع ذلك وجه ثالث فلا يجوز لانه تحقير
ويمتنع ذلك في حق النبوة انتهي كلام ابي حيان واعتراضه الاول معارض
بنقل الرازي وتبعه الزمخشري والبيضاوي والمثبت مقدم علي النافي ولا يرد
بقوله المنقول عن العرب لانه باعتبار علمه وجواب الثاني انه ينوي ضمه كما
في الاسما المبنية علي الكسر كسيبويه فنطق به بالسكون مع انه منادي نظرا
الي انه لما كان بصورة الحرف ابقي علي ما يلفظ به الحرف قال الشيخ شهاب
الدين السمين وهذا الاعتراض الاخير الثالث صحيح فقد نصوا علي
ان التصغير لا يدخل في الاسما المعظمة شرعا كاسما الله تعالي
وانبيايه لايهامه التحقير وان جا للتعظيم في قوله دويهية لانه انما جا
فيما يجوز تصغيره تلطفا منهم كما قيل ما قلت حسي من التحقير بل يعذب
اسم الشي بالتصغير واجاب شيخنا عنه بان التصغير يرد لغير التحقير كالشفقة
والمحبة فيحمل اللفظ عليه سيما مع وجود القرينة الدالة علي ذلك وقد يرد
بانه انما ورد لغيره فيما يجوز تصغيره الا ان يقال المنع انما هو اذا وقع من غير
الله اما منه فبقصد الملاطفة ونحوها فلا يمتنع لكن يرد بانه ليس نصا منه
تعالي علي ذلك انما هو علي هذا التفسير وليس بمتعين خصوصا والمذهب
المنصوص في اسما الحروف التي في اوايل السور انها مما استاثر الله بعلمه
ولذلك يحكي ان عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري لما قال في المهيمن
بكسر الميم الثانية وفتحها اي المراقب انه مصغر من مومن والاصل مويمن
فابدلت الهمزة ها كراهة اجتماع همزتين في كلمة لان اصله مامن
وقلبت الاولي ها لاتحاد مخرجهما قيل له هذا يقرب من الكفر لان اسما
الله وما في معناها من الاسما العظيمة لا يناسبها التصغير لانه ينافي
التعظيم فليتق الله قايله انتهي ومع ذلك فهو تكلف لا حاجة اليه مع
سماع ابنية يلحق بها واليا اصلية لا مبدلة وقيل معني يس يا محمد
لانه وضع له ابتدا او بواسطة قاله ابن الحنفية محمد بن علي بن ابي طالب
الهاشمي ابو القاسم المدني ثقة روي له الجميع اشتهر بامه مات بعد الثمانين
والضحاك بن مزاحم وقيل يا رجل قاله ابو العالية رفيع بن مهران
التابعي وقيل هو اسم من اسما القران قاله قتادة وقيل من اسما
السور وهما من الاقوال المشتركة في اوايل جميع السور وعند ابي بكر
الوراق محمد بن الحسن يا سيد البشر وعن جعفر الصادق لصدقه

في مقاله بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب انه اراد يا سيد مخاطبة للنبي صلي الله عليه وسلم بفتح الطا منصوب بدل مما قبله او مصدر فعل مقدر اي خاطبه به مخاطبة مخصوصة به قيل فعلي هذا فهو اكتفا ببعض الكلمة عن باقيها وهو مذهب للعرب حكاه سيبويه وغيره يقولون الا تا بمعني تفعل فيقول بلي فا اي افعل فيكتفون عن الكلمة ببعض حروفها وفي الحديث كفي بالسيف شا اي شاهدا وقال التجاني التحقيق انهم يكتفون ببعض حروف الكلمة معبرين باسم بعض حروفها كقولهم قلت لها قفي فقالت قاف اي وقفت فيحتمل ان يكون يس ان يكون عبر عنه باسمين من اسما حروفه لا بسماه كما قاله الرازي وان كانت العرب قد تكتفي ببعض الكلمة كقوله كانت مناها بارض لا يبلغها اي منا بابها وقوله • درس المنا بمتالع فابان • اي المنازل ونظايره كثيرة وفي بديع الاكتفا للنواجي قال علما البديع الاكتفا ان يدل موجود الكلام علي محذوفه وهذا الحديث صادق علي نحو واسال القرية علي احد القولين فيه ثم قسمه الي الاكتفا بكلمة نحو سرابيل تقيكم الحر اي والبرد والي الاكتفا ببعض الكلمة وهذا الثاني مما اخترعه المتاخرون من اهل البديع واكثر منه الشعرا المتاخرون والتزموا فيه التورية كقول الدماميني

• يقول صاحبي والروض زاه • وقد بسط الربيع بساط زهر •
• تعال بنا نكر الروض المفدي • وقم نسعي الي روض ونسر •

اي نسرين وقول الحافظ ابن حجر

• دع يا عذول دمع الملام فمذ سري • عني الحبيب فثبت دام له البقا •
• والطرف مذ فقد الرقاد بكي بما • يحكي الغمام فليس يجدي بالرقا •

اي الرقاد واستشكل بانه لا يجوز الترخيم في غير المنادي لمخالفة القياس فكيف يعد محسنا مع اخلاله بالفصاحة فلا يخرج القران عليه وان كان فيه تورية اللهم الا ان يقول لو انه مقيس مغتفر في الشعر وما في القران ليس منه بل من ذكر حرف من كلمة ايما الي بقيتها لا من الترخيم وهو ما اشار اليه المفسرون وفيه من تمجيده اعزازه وتشريفه وتعظيمه اجلاله ما لا يخفي او وصفه بالسيادة المفيدة للعموم في المقام الخطابي فيفيد تفوقه علي من سواه لانه صلي الله عليه وسلم واسطة كل خير وروي ابن جرير عن طلحة عن ابن عباس انه اي يس قسم بمعني مقسم به او جعله قسما لتضمنه له او مبالغة اقسم الله به وهو من اسمايه اي الله تعالي وعن كعب بن مانع المعروف بكعب الاحبار يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام اي بمقدار الفي عام اذ قبل خلقهما لا اعوام لان الزمان مقدار حركة الفلك او المراد مجرد الكثرة او عدم النهاية مجازا او باعتبار ان الفلك الاعظم وهو العرش مخلوق قبلها لقوله تعالي وكان عرشه علي الما ونظر فيه هذا بان مجرد تقدم العرش لا يقتضي الزمان بالمعني المتعارف واستشكل ايضا بان كلام الله قديم فلا قبلية فيه ولا بعدية

وخلقهما

وخلقهما محدث واجيب بان المراد ابرازه في اللوح المحفوظ المكتوب فيه جميع الكاينات او انه اطلع عليه ملايكته قبلهما بهذا المقدار وهو مناسبة هنا لافادة اظهار علو قدره في الملا الاعلي ومثل هذا كثير في الحديث فتضعيف ما هنا بمجرد الايراد وانه ان صح ترك علمه الي الشارع اذ مثله لا ينال بالراي لا يسمع فالتضعيف انما هو من جهة الاسناد يا محمد انك لمن المرسلين بيانا للمخاطب وليس تفسيرا ليس لانه لا يناسبه ان الله اقسم به ولذا ذكر جواب القسم توضيحا للمراد وليس مراده ان الجواب مقدر للقسم بيس حتي يلزم عليه اجتماع قسمين من غير عطف علي قسم وقد اباه النحاة كما في الكشاف وقال ان العرب تكرهه ثم قال والقران الحكيم انك لمن المرسلين وهو رد علي الكفار حيث قالوا للنبي صلي الله عليه وسلم لست مرسلا فاقسم الله باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الي عباده بكسر ان لتقدير القول والحكاية بالمعني اي قايلا انه ولهذا لم يقل انك وعلي طريق مستقيم من ايمانه بيان للطريق وان المراد بها التوحيد او هي تعليلية وزاد الواو اشارة الي انه خبر ثان مقصود مقسم عليه لا متعلق بالمرسلين اي من ارسل علي هذه الطريقة فالمقسم عليه امرين كما قال قبله ان الارسال علي امرين رسالته والشهادة بهدايته لا علي امر واحد وهو انه صلي الله عليه وسلم رسول مهدي علي طريقة مستقيمة ولا حالا كما قيل لانه قريب من هذا وان كان جعله مفيدا بيانا في المقصد لان هذا اوضح واتم في المدح اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق بفتح همزة اي وسكون اليا مخففة تفسير للطريق المستقيم وهذا اعم من الايمان فهو تفسير ثان وشد اليا علي ان معناه طريق واي طريق لانه لا اعوجاج ولا عدول الخ تفسير لعدم الاعوجاج مخالف للرواية والظاهر وان جاز قال النقاش الحافظ ابو بكر محمد بن احمد بن الحسن بن احمد الموصلي البغدادي المقري المفسر ضعيف في الحديث وحاله في القرات امثل واثني عليه ابو عمرو الداني وزعم الجعبري ان المضعف له غالط وتقدم قبل هذا بعض ترجمته لم يقسم الله تعالي لاحد من انبيايه بالرسالة اي بسببها والبا بمعني علي في كتابه الا له صلي الله عليه وسلم كما في هذه الاية وان دلت علي ان غيره مرسل ايضا لكن المقسم عليه بالقصد الذاتي رسالته عليه عليه السلام ولم يقل رسول او مرسل وهو اخصر لتثبت رسالته وانه عريق فيها علي نهج قوله كانت من القانتين لان فلانا من العلما ابلغ من العالم اي لم يذكر هذا القسم في القران لغيره تشريفا له صلي الله عليه وسلم وتعظيما ولشدة انكار قومه لرسالته فلذا اكد بتاكيدات

• الفصل الخامس في قسمه تعالي •

بمعني الاقسام وهو الاتيان بالقسم ويكون بمعني المقسم به والمراد الاول بمدة حياته صلي الله عليه وسلم فيه تسمح اذ القسم انما وقع بنفس الحياة ولا تصح ان تكون الاضافة بيانية لان المدة نفس الحياة واجاب شيخنا بانه

من اضافة الصفة للموصوف اي بحياتك القايمة بك في الزمن الذي كان فيه
او ببقايك حقيقة او حكما فيشمل هذا الزمن وعصره وبلده قدم العصر
لان المواهب الحاصلة وانواع الاهتدا انما نشات عن عصره لا عن خصوص البلد
ولان زيادة تشريف البلد انما حصل من عصره فالاعتنا به اهم واخره في
الترتيب رعاية لترتيب المصحف اذ سورة البلد مقدمة علي العصر فزعم
بعض ان الصواب تقديم البلد علي العصر لتقدمه عليه في الترتيب ساقط
وايضا الواو لا تقتضي ترتيبا ولا ثمرة فلا يقال في مثله الصواب بل ولا الانسب
قال الله تعالي لعمرك انهم اي قوم لوط لفي سكرتهم غفلتهم وغلبة الهوي
والشهوة عليهم حتي صاروا سكاري لا يميزون الخطا من الصواب يعمهون يتحيرون
لعمي بصايرهم العمر بالفتح والعمر بالضم واحد ولكنه في القسم
بفتح اي يلزم الفتح والاحسن لو عبر به لكثرة الاستعمال علة للفتح اي بمعني
ان الكثرة تطلب لها التخفيف والفتح خفيف فخصوه بالقسم وان استعمل في
غيره قليلا والضم اكثر فاذا اقسموا قالوا لعمرك لافعلن ومنه الاية وقوله
القسم خبر مبتدا محذوف اي هو القسم او منصوب لجملة مقدرا وليس من جملة
اليمين والاظهر لو استغني عنه بقوله قال النحويون ارتفع قوله لعمرك
بالابتدا والخبر محذوف والمعني قسمي فسمح جواب القسم مسد الخبر
فحذف الخبر لان في الكلام دليله عليه لسد جواب القسم مسده
وباب القسم يحذف منه الفعل نحو تالله لافعلن والمعني احلف بالله
فيحذف احلف لعلم المخاطب بانك حالف من ذكر القسم قال الزجاجي بفتح الزاي
وشد الجيم ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق صاحب الجمل والامالي وغيرهما
توفي مات بطبرية سنة تسع وثلاثين وقيل سنة اربعين وثلثماية نسبه
الي شيخه الزجاج ابراهيم بن محمد البغدادي من قال لعمر الله كانه حلف
ببقا الله فيحذف احلف جواب سوال حاصله الحلف بالعمر ظاهر في غيره
تعالي لان الحياة القايمة به صفة لها غاية يعبر عنها بمدة العمر واما هو
سبحانه فهو حي ازلا وابدا لا يقال في مدة حياته انها مقدرة بمدة حلف
بها فاجاب بصرف العمر في حقه تعالي البقا وهو صفة له لا نهاية لها ومن ثم
قال المالكية والحنفية تنعقد بها اليمين لان بقا الله من صفات ذاته
الثمانية المنظومة في قوله
حياة وعلم قدرة وارادة وسمع وابصار كلام مع البقا
وعن مالك رواية لا يعجبني الحلف بذلك لظاهر حديث من كان
حالفا فليحلف بالله وقال الامام الشافعي واسحق بن راهوية
لا يكون يمينا الا بالنية لاستعمال الحياة في غيره كثيرا ورد بانه مضاف
لله تعالي وتعقب هذا شيخنا بان صريح متن البهجة وشرحها ان صفاته
تعالي تنعقد بها اليمين نوي بها اليمين او اطلق وعن احمد روايتان
كالمذهبين الراجح منهما كالشافعي تنعقدان نواها واختلف في من

المخاطب في الاية علي قولين احدهما ان الملايكة قالت للوط عليه السلام
لما وعظ وذكر وخوف قومه وقال هولا بناتي ان كنتم فاعلين ما تريدون
من قضا الشهوة فتزوجوهن لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون
اي يتحيرون لعمي بصايرهم والعمه في البصيرة والعمي في البصر فكيف
يعقلون قولك ويلتفتون الي نصيحتك وقدم الكشاف ذا القول
لانه المناسب عنده للسياق والثاني ان الخطاب لرسول الله صلي
الله عليه وسلم وانه تعالي اقسم بحياته وقدمه البيضاوي وقال
عياض اتفق اهل التفسير ومراده اهله الذين هم اهله وهم مفسرو السلف
قال ابن القيم اكثر المفسرين من السلف والخلف بل لا يعرف في السلف فيه نزاع
انه هذا قسم من الله بحياة رسوله عليه السلام وهذا من اعظم فضايله
ان يقسم الرب بحياته وهذه مزية لا تعرف لغيره ولم يوفق الزمخشري
لذلك فصرف القسم الي انه بحياة لوط وانه من قول الملايكة له فقال هو علي
ارادة القول اي قالت الملايكة للوط لعمرك انهم لفي سكرتهم وليس في
اللفظ ما يدل علي واحد من الامرين بل ظاهر اللفظ وسياقه انما يدل علي ما
فهمه السلف الطيب لا اهل التعطيل والاعتزال انتهى قال وفيه الصنف من
تساوي القولين بخلاف الكلام اصله الا ان يقال لما راي قوله وليس في اللفظ
الخ اقتصر علي مجرد حكايتهما بلا ترجيح لكن قد علم اضطراب اصله بقوله بل
ظاهر اللفظ الي اخره وعليه فقيل ضمير انهم لقريش والجملة اعتراض
كما في البيضاوي وقال الطيبي انه بعيد لانقطاع الاية به عما بعدها
وما قبلها وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه اي منزلة
وقدر عريض مجاز بمعني عظيم كدعا عريض قال البيضاوي اي كثير
مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطول
لانه طول الامتداد فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قال ابن
عباس ما خلق اوجد الله وما ذرا وما برا بالهمز منهما وذكرهما
للتاكيد لانهما بمعني وقد يفرق بينهما بالاعتبار بان يكون ذرا من الذرية
وبرا بمعني صور الخلق لم يوجد نفسا اكرم عليه من محمد صلي الله عليه
وسلم اشرف منه ذاتا ونسبا وصورة ومثل هذه العبارة تفيد مثل
هذه العبارات عرفا المساواة عرفا وما سمعت الله اقسم اي ما علمت
من اطلاق السبب علي مسببه وقيل انه هنا من النواسخ الداخلة علي المبتدا
والخبر علي ان المفعول الاول مصدر والخبر المضاف الي المبتدا واليه ذهب
الرضي وغيره في فعل السماع الداخل علي الذوات كسمعت زيدا يقول كذا
بشرط كونه الي بما سمع والتقدير ما سمعت اقسام الله بحياة احد والجملة
مبنية للمقدر لكن فيه انهم يشترطون كون السماع بلا واسطة غيره بالجر
صفة احد او بدل منه وبالنصب علي الاستثنا قيل وهو احسن للمراجعة
في انه اقسم بالنبي ولم يقسم بغيره وليس فيه انه اقسم به ولا وجه له

فانه يفيدها على الوجهين بقرينة السياق وتلاوة الاية وهي قال الله
تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون بقول وحياتك وعمرك
وبقائك في الدنيا وفي الشفا ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك يا محمد
وقيل وحياتك انهم لفي سكرتهم يعمهون رواه محمد بن جرير الحافظ
الشهير ومراده بقوله سمعت الله سمعت كلامه المتلو في
الكتب المنزلة وعلى لسان نبيه ورواه البغوي في تفسيره من
طريق ابي الجوزا عن ابن عباس بلفظ ما اقسم الله بحياة احد الا
بحياته صلى الله عليه وسلم وما اقسم اقسم بحياة احد غيره
اتي به مع استفادته مما قبله لاشتماله على النفي والاستثنا فكانه قال
اقسم بحياته لا بحياة غيره لان دلالته على النفي بالمفهوم وبعض الايمة
كالحنفية يجعله مسكوتا عنه فنفى ذلك بالتصريح به وذلك يدل على انه
اكرم خلق الله عليه الله وذلك باجماع والكرم صفة جامعة لكل خير
وان خصه العرف الطاري الان بالجود فليس بمراد ههنا وحده وعلى هذا
فيكون قسمه تعالى بحياة محمد صلى الله عليه وسلم كلاما
معترضا في قصة لوط تسلية للمصطفى عن اذية قومه له وهو واضح
بجعل ضمير انهم لقريش اما على انه لقوم لوط فلا يظهر جعله اعتراضا
اذ هو من جملة ما يتعلق بقوم لوط ثم لا يمنع ذكر ان القسم بحياة المصطفى
فقابيه انه تاكيد لحيرة قوم لوط وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية
او لتشبيه الماضي بالحال وقال القرطبي واذا اقسم الله بحياة
نبيه فانما اراد بيان التصريح لنا انه يجوز لنا ان نحلف بحياته
ولا دلالة فيه على ذلك فان المراد التعظيم والله تعالى له ان يقسم بما شا
والشمس وضحاها والضحى والليل والفجر وفي مذهب القرطبي هذا لان
مشهوران قد ذهب الاكثرون الى حرمة الحلف بالنبي والكعبة وكل معظم شرعا
وشهره بهرام في شامله والاقلون الى كراهة الحلف بذلك وشهره التتاج
الفاكهاني وحجة كل قوله صلى الله عليه وسلم من كان حالفا فليحلف
بالله او ليصمت رواه الشيخان ومحل الحلف اذا كان الحالف صادقا والا
حرم اتفاقا بل ربما يكون بالنبي كفرا وقد قال الامام احمد بن حنبل
فيمن اقسم بالنبي صلى الله عليه وسلم تنعقد يمينه وتجب
الكفارة بالحنث ومذهب مالك والشافعي والجمهور لا تنعقد
ولا كفارة فاحتج احمد بكونه صلى الله عليه وسلم احد ركني
الشهادة ولا حجة فيه اذ لا يلزم من ذلك انعقاد اليمين به بل
ولا جواز الحلف به لا سيما مع النهي الصريح عنه صلى الله عليه وسلم عنه
قال ابو بكر محمد بن احمد المعروف بابن خويز منداد بضم الخا
وكسر الزاي وفتح الميم وسكون النون ودال بينهما الف ويقال خواز
منداد تفقه على الابهري وله كتاب كبير في الخلاف وكتاب في اصول

الفقه وكتاب في احكام القران وعنده شواذ عن مالك وله اختيارات تخالف
المذهب ولم يكن بالجيد النظر ولا قوي الفقه قال الباجي لم اسمع له في علما
العراق ذكرا وكان يجانب الكلام وينافر اهله حتى يؤديه ذلك الى منافرة
المتكلمين من اهل السنة ويحكم على جميعهم بانهم من اهل الاهوا قاله
في الديباج واستدل من جوز الحلف به عليه السلام بان ايمان المسلمين
جرت من عهده صلى الله عليه وسلم ان يحلفوا به وهذا يعرض تسليمه
لا دلالة فيه على الجواز اذ المحلف فيه لا يجب انكاره حتى ان اهل المدينة
الى يومنا هذا اذا جامن يريد التحليف صاحبه الذي يريد تحليفه وقال
له احلف لي بحق صاحب هذا القبر وبحق ساكن هذا القبر يعني النبي
صلى الله عليه وسلم فان ذلك عنده غاية في تغليظ اليمين وقال
تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد من اقامة الظاهر
مقام المضمر فلم يقل به اسقط ما الحلول فيه الاية اتلها اقسم تعالى
بالبلد الامين فلا زايدة لا لافادة التاكيد والتحسين وان كان حذفها
لا يغير اصل المعنى فاندفع قول الامام الرازي انه مانع من الانتظام موهم
جعل الاثبات نفيا ونحوه ويلزمه عدم الاعتماد على القران مع ان لا تاتي
زايدة مع القسم كثيرا وقد تزاد في غيره ايضا وقد ذهب بعض المفسرين
والنحاة الى انه لا يطلق على مثله زايد بل يقال تاكيد باصلة وهو حسن
ويحتمل كلام المصنف انه حمل لا على انها واقعة جواب اقسم مقدرا اي
اي والله لا انا اقسم ويبعده ان القران الشاذة لاقسم بلام الابتدا
وهو مكة ام القرى وهو بلده عليه الصلاة والسلام وقيده
بحلوله فيه اظهارا لمزيد فضله فالمعنى اقسم به والحال انك
مقيم به لشرفك وعظمتك عندي واعلم ان شرف المكان بشرف
اهله وفيه ايما الى ان القسم بقوله وهذا البلد الامين لكونه فيه
فلا تنافي بين الايتين ما ذا كان فيه فهو حقيق بالاقسام به كما قيل
• وما حب الديار شغفن قلبي • ولكن حب من سكن الديارا •
قاله البيضاوي غير مقتصر عليه بل حكي بعده ما ياتي للمصنف لكنه لم
ينقله عنه لوجوده في كلام من تقدمه ثم اقسم بالوالد وما ولد
اثر ماعلى من لمعنى التعجب كقوله والله اعلم بما وضعت او لان كثيرا من
النحاة جوزوه او لتاويله بالمبهم اي الولد الكامل الذي لا يدرك كنه
ذاته او لاطراده فيما قصد به المعنى الوصفي كالمولود هنا نظرا للصفة
فانها ليست من جنس العقلاء قال في حواشي الكشاف المتفرقة بين من وما
انما هو اذا اريد الذات واما اذا اريد الوصف فيجوز ذهابا الى الوصف وقد
خفي هذا على بعض الافاضل وهو فيما قيل ابراهيم واسماعيل وما
ولد محمد صلى الله عليه وسلم وعلى هذا تتضمن السورة الاقسام
به في موضعين احدهما في البلد التي هي محله فان القسم بمكانه

قسم به صلى الله عليه وسلم ابلغ من القسم بذاته وحياته والثاني قوله وما ولد
وزعم ابنه لما اقسم بوالده وهو من اصله فكانه اقسم به في غاية البعد اللهم الا ان
يقال لما قصد تعظيمه بالقسم بوالده كانه اقسم بصفة من صفاته وهي
شرف حسبه وقيل المراد به اي بوالد ادم وبما ولد ذريته وهو
قول الجمهور من المفسرين فما ولد عام شامل لجميع اولاده لا يختص بفرد
منهم فالقسم على هذا بنوع الانسان وانما اقسم تعالى بهم وان كان فيهم
فسقة وكفار للتعليل المذكور بقوله لانهم اعجب خلق الله على وجه
الارض اذ خلقهم في احسن تقويم لما فيهم من البيان النطق المبين
عن المقاصد والنظر الاستدلال واستخراج العلوم وفيهم الانبيا
اريد بهم ما يشمل المرسلين والدعاة جمع داع كالعلما والاوليا والصلحا
فالكل يدعون الى الله تعالى والانصار لدينه بالسيف والحجة وكل
ما في الارض من مخلوق خلق لاجلهم كما قال تعالى خلق لكم ما في الارض
جميعا وعلى هذا فقد تضمن القسم اصل المكان واصل السكان
ادم خصه لشرفه وكونه اصلهم فمرجع البلاد الى مكة لانها امها ومرجع
العباد الى ادم لانه اصلهم ولو قال ومرجع غير بني ادم السهم وفسر
اصل المكان بادم اي اصل السكان بادم وذريته كان اوفق بتفسير الولد
والوالد بانهما ادم وذريته ثم ظاهر هذا التفسير ولو كان فيهم فسقة
وكفار من حيث تعليله بما ذكر ولا ضير فيه وعن الخازن اقسم بادم
وبالانبيا والصالحين من ذريته لان الكافر وان كان في ذريته فلا حرمة
له حتى يقسم به انتهى وفيه نظر لان الاقسام لم يلاحظ فيه الحرمة فقط بل
كونه اعجب الخلق على الارض كيف وقد قال ابن عباس الوالد والولد هنا على العموم
فهي اسما جنس يدخل فيها جميع الحيوان وقال ابن عباس وابن جبير وعكرمة والد
معناه كل من ولد والنسل وما ولد لم يبق منه الا العاقر الذي لم يلد البتة وقيل
المراد نوح وجميع ولده وقيل ابراهيم وجميع ولده حكى ذلك ابن عطية وغيره
وقيل الوالد محمد صلى الله عليه وسلم لحديث انما انا لكم بمنزلة الوالد والولد امته او
ذريته وقوله تعالى وانت حل هو من الحلول الاقامة ضد الظعن اي
الارتحال وهو احد مصادر حل وفي الاخبار به المذاهب الثلاثة ان يؤول بالمشتق
او بتقدير مضاف اي ذو حل او مبالغة كزيد عدل وفي القاموس حل المكان وبه
يحل ويحل حلا وحلولا وحللا محركة نادر نزل به فيتضمن اقسامه تعالى
ببلده المشتمل على عبده ورسوله فهو خير البقاع حتى المدينة او
الا المدينة للخلاف الشهير واشتمل على خير العباد بالاجماع فقد جعل
الله تعالى بيته الكعبة هدى للناس ونبيه صلى الله عليه وسلم اماما
قدوة وهاديا لهم الى صراط مستقيم وذلك من اعظم نعمه واحسانه
الى خلقه وعن الشفا قيل لا اقسم به اذا لم تكن فيه اي بعد خروجك منه حكاه
مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به اذا لم تكن فيه اي بعد خروجك وانت به يا محمد

حلال

حلالا وحل لك ما فعلته فيه على التفسيرين وقيل المعنى وانت مستحل
قتلك واخراجك من هذا البلد الامين الذي يا من فيه الطير والوحش
تفسير للامين فهو اسناد مجازي كعيشة راضية وقد استحل فيه قومك
حرمتك وفيه تثبيت له وتعجيب مما جرى عليه واشارة الى علة عدم
القسم فسقط الاعتراض بان الحال يقتضي عدم القسم بعد الخروج فيتنافيان
وهذا كما قال ابن عطية يتجه على انه قسم وعلى نفيه اي لا اقسم ببلد انت
ساكنه على اذى هؤلا وكفرهم وهذا امروي عن البلقيني وغيره عن شرحبيل
بضم الشين المعجمة وفتح الرا المهملة وسكون المهملة ابن سعد المدني مولى
الانصاري تابعي صدوق اختلط باخره مات سنة ثلاث وعشرين ومائة وقد
قارب المائة روى له ابو داود وابن ماجة وعن قتادة بن دعامة الاكمه
المفسر التابعي روى له ابو داود وابن ماجة وانت حل اي لست
باثم بالمد لان حل له معان ضد الحرمة والاقامة بالمكان والاسم منهما
حل بالكسر وحلال بمعنى جائز ومقيم وحلال لك ان تقتل بمكة من شئت
وذلك ان الله تعالى وعده بانه يفتح عليه مكة واهلها اي وبطبيعة
اهلها وما فتحت على احد قبله فاحل ما شا وحرم ما شا فقتل اي
امر بقتل ابن خطل بفتح المعجمة والمهملة هلال او عبد الله وهو متعلق
باستار الكعبة وقتل غيره كما تقدم في فتح مكة وحرم دار ابي
سفيان صخر بن حرب ابي جهل لها حرمة بان اعطى الامان من دخلها وعلى
هذا ففي الاية تسلية له صلى الله عليه وسلم اي ان اخرجوك منها فستعود
لها وتفعل فيها ما تريد ما تريد وتثبيت ووعد بالنصر والاول على انه
قسم والثاني على انتفائه وكل منها جار على التفسيرين وقيل المعنى وانت
حلال اي غير محرم بها اشارة الى دخولها يوم الفتح حلالا فان قلت هذه
السورة مكية عند جمهور المفسرين وبالغ النسفي فحكى عليه الاتفاق ونقيضه
قول ابن عطية وقال قوم هي مدنية وانت حل بهذا البلد اخبار عن الحال
وعن الواقعة بالجر عطف ويحتمل الرفع اي والحال الواقعة التي ذكرت
في اخر مدة هجرته الى المدينة فكيف الجمع بين الامرين المتنافيين
بحسب الظاهر اجيب بانه قد يكون اللفظ للحال والمعنى بالحال
مستقبل كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون اي ستموت ويموتون
فلا شماتة بالموت فاطلق الحال واراد الاستقبال لكن استشكل هذا بانه
يلزمه اختلاف زمني الحال وعاملها الا ان يقال الجملة معترضة لا حالية فتتضمن
فيه مبالغة بتنزيل المستقبل المحقق منزلة الحال لا الماضي كما يدل له قول
عياض او حل لك ما فعلت فيه وعلى كل حال فهذا يتضمن للقسم
ببلد رسول الله صلى الله عليه وسلم بجعل لا زائدة ولا يخفى ما
فيه زيادة التعظيم حيث اقسم ببلده بقيد كونه فيه دفعا لتوهم
ان المكان اشرف او ان شرفه مكتسب وقد روي انه عمر بن الخطاب

رضي الله عنه قال للنبي صلي الله عليه وسلم واقره عليه بابي
انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان
اقسم بحياتك دون سائر الانبيا في قوله لعمرك انهم لفي سكرتهم
يعمهون وهذا ان صح دليل لقول الجمهور انه قسم بالمصطفي لا بلوط لان عمر
قاله للنبي واقره عليه فهو نص في محل النزاع ولقد بلغ من فضيلتك
عنده ان اقسم بتراب قدميك فقال لا اقسم بهذا البلد فقصد
اشارة الي ان هذا القسم ادخل في تعظيمه من القسم بذاته وبحياته
قال عياض في الشفا والمراد بالبلد عند هو لا مكة وقال الواسطي اي
يحلف بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبركتك ميتا يعني المدينة
والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه قوله حل بهذا البلد
ونحوه قول ابن عطا في تفسير قوله وهذا البلد الامين قال امنها
الله لمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان حيث كان انتهي لكن تعقبه
الدلجي وغيره بان القايل لا يعلم ان السورة مكية والبلد عنده في الموضعين
المدينة والاشارة فيهما لها وحل بمعني حال مبهم فكيف يقام عليه الدليل
بما لا يسلمه وقال تعالي والعصر ان الانسان لفي خسر اسم جنس
لفي خسر نقصان وسو حال وذلك بين غاية البيان في الكافر لانه خسر
الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين واما المومن وان كان في خسر في
دنياه في هرمه وما يقاسيه من مشقات هذه الدار فذلك معفو عنه
في جنب فلاحه في الاخرة وربحه الذي لا يفني ومن كان في مدة عمره
في التواصي بالحق والصبر والعمل بحسب الوصاة فلا خسر معه وقد جمع له
الخير كله وقرا علي والعصر ونوايب الدهر ان الانسان وفي مصحف عبد الله
والعصر لقد خلقنا الانسان وعن علي لفي خسر وانه فيه الي اخر الدهر الا الذين
وقرا عاصم والاعرج لفي خسر بضم السين وقرا سلام ابو المنذر والعصر
بكسر الصاد والصبر بكسر البا وهذا لا يجوز الا في الوقف علي نقل الحركة
وعن ابي عمرو بالصبر بكسر البا اشماما وهذا ايضا لا يكون الا في الوقف
قاله ابن عطية رحمه الله اختلف في تفسير العصر علي اقوال فقيل
عن ابن عباس هو الدهر يقال فيه عصر وعصر بضم العين والصاد قال امرؤ القيس
وهل يعمن من كان في العصر الخالي لانه مشتمل علي الاعاجيب المختلفة
لانه يحصل فيه السرا بالفتح والمد الخير والفضل والضرا بفتح المعجمة والمد
نقيض السرا والصحة في البدن حالة طبيعية تجري افعاله معها علي المجري
الطبيعي واستعيرت للمعاني كصحة الصلاة اذا اسقطت القضا وصح
العقد اذا ترتب علي اثره وصح اذا طابق الواقع والسقم بضم فسكون مصدر
سقم كقرب وتبختي سقم كفرح طال مرضه وغير ذلك ثم وقيل ذكر
العصر مبني للمجهول اشارة الي قوله اخر في العصر اي قال بعضهم
المراد بالعصر هنا هو الذي بمضيه اي انقضائه ينقص عمرك ايها

الانسان

الانسان فاذا لم يكن في مقابلته كسب للطاعات صار ذلك عين
الخسران ولله در القايل

انا لنفرح بالايام نقطعها ... وكل يوم مضي نقص من الاجل

يعني انه لا فرح بانقضا الايام حقيقة وان كانت في شدة لانها نقص من
اجل الانسان وقال قتادة الاجل العشي وقال ابي بن كعب سالت النبي صلي
الله عليه وسلم عن العصر فقال اقسم ربك باخر النهار وقيل اليوم والليلة
ومنه قول حميد

ولن يلبث العصران يوم وليلة ... اذا طلبا ان يدركا ما تيمما

وقيل بكرة وعشية وهما الابردان وقال مقاتل العصر الصلاة الوسطي
اقسم بها حكاها ابن عطية وفي تفسير الامام فخر الدين الرازي
والبيضاوي وغيرهما انه تعالي اقسم بزمان الرسول صلي الله
عليه وسلم وهذا الموافق للترجمة انه اقسم بمدة حياته وعصره وبلده قال
الامام الرازي واحتج له اي لهذا القول بقوله صلي الله عليه وسلم
انما مثلكم ومثل من كان قبلكم من اليهود والنصاري والمثل في الاصل
بمعني النظير ثم استعمل لكل حال او قصة او صفة لها شان وفيها غرابة لارادة
زيادة التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم ليري المتخيل محققا
والمعقول محسوسا ولذا اكثر الله في كتابه الامثال وفشت في كلام الانبيا والمعني
مثلكم مع نبيكم ومثل من قبلكم مع انبيايهم مثل رجل استاجر اجرا بضم الهمزة
وفتح الراء جمع اجير وفي رواية كرجل استاجر عمالا جمع عامل فقال من يعمل
من الفجر الي الظهر بقيراط زاد في رواية قيراط قيراط فذكره مرتين ليدل
علي تقسيم القراريط علي جميعهم لان العرب اذا ارادت تقسيم الشي علي متعدد
كررته كما يقال اقسم هذا المال علي بني فلان درهما درهما كما في الفتح فعملت
اليهود ثم قال من يعمل من الظهر الي العصر بقيراط قيراط بالتكرير
ايضا كما في رواية وهو نصف دانق والمراد هنا النصيب فعملت النصاري
ثم قال من يعمل من العصر الي المغرب بقيراطين فعملتم ايها الامة المحمدية
فغضبت اليهود والنصاري اي انا اكثر زمنا وقالوا نحن اكثر عملا
لان الوقت من الفجر الي الظهر اكثر من وقت العصر الي الغروب وتمسك به
بعض الحنفية الي ان وقت العصر من مصير ظل كل شي مثليه لانه لو كان من
مصير مثله لكان مساويا لوقت الظهر وقد قالوا نحن اكثر عملا فدل علي انه دون
وقت الظهر واجيب بمنع المساواة وذلك معروف عند علما هذا الفن ان مدة بين
الظهر والعصر اطول من مدة بين العصر والمغرب وما نقله بعض الحنابلة
من الاجماع علي ان وقت العصر ربع النهار محمول علي التقريب اذا فرعنا علي ان
وقت العصر مصير الظل مثله كما قال الجمهور واما علي قول الحنفية فالذي من
الظهر الي العصر اطول قطعا وعلي التنزل لا يلزم من التمثيل والتشبيه التسوية
من كل جهة وبان الخبر اذا ورد في معني مقصود لا يوخذ منه المعارضة لما ورد في ذلك

المعني بعينه مقصودا في معنى اخر وبانه ليس في الخبر نص على ان كلا من
الطائفتين اكثر عملا لصدق ان كلهم مجتمعين اكثر عملا من المسلمين وباحتمال
انه اطلق ذلك تغليبا وباحتمال ان ذلك قول اليهود خاصة فيندفع الاعتراض
من اصله كما جزم به بعضهم ويكون نسبة ذلك للجميع في الظاهر غير مرادة
بل هو عموم اريد به الخصوص وبانه لا يلزم من كونهم اكثر عملا ان يكونوا اكثر
زمنا لاحتمال ان عملهم اشق ويؤيده قوله تعالى ربنا لا تحمل علينا اصرا
كما حملته على الذين من قبلنا ومما يؤيد ان المراد كثرة العمل وقلته لا بالنسبة
الى طول الزمن وقصره اتفاق اهل الاخبار على ان المدة التي بين عيسى
ونبينا دون المدة التي بينها وقيام الساعة لان جمهور اهل الاخبار قالوا مدة الفترة المدة م
بين عيسى ونبينا ستمائة سنة وثبت ذلك في البخاري عن سلمان وقيل
انها دون ذلك حتى قال بعضهم انها مائة وخمسة وعشرون سنة ومدة
المسلمين بالمشاهدة اكثر من ذلك فلو تمسكنا بان المراد التمثيل بطول
الزمانين وقصرهما للزم ان وقت العصر اطول من وقت الظهر ولا قائل به
فدل على ان المراد كثرة العمل وقلته قاله في الفتح واقل اجرا قوال الله تعالى
وهل نقصتكم من اجركم الذي شرطته لكم شيئا وفي رواية هل ظلمتكم
من حقكم شيئا قالوا لا لم تنقصنا شيئا وانما لم يكن ظلما لانه تعالى شرط معهم
شرطا وقبلوا ان يعملوا به قال فذلك فضلي اوتيه من اشا من عبادي
قال الطيبي ما ذكر من المقاولة والمكالمة لعله تخييل وتصوير ولم يكن حقيقة
لانه لم يكن ثمة هذه الامة اللهم الا ان تحمل ذلك على حصوله عند اخراج الذر
فيكون حقيقة قال صلى الله عليه وسلم فكنتم اقل عملا واكثر اجرا ممن
كان قبلكم رواه البخاري من حديث ابن عمر في الصلاة والاجارة وفضل
القران وفي ذكر بني اسرائيل وفي التوحيد بالفاظ متقاربة ليس في محل
منها بهذا اللفظ وانما هو لفظ مسلم واخرجه البخاري بنحوه من حديث ابي
موسى لكن ظاهر سياقهما انهما قضيتان وحاول بعضهم الجمع بينهما فتعسف كما في
الفتح قالوا فهذا الحديث دل على ان العصر هو عصره صلى الله عليه
وسلم الذي هو فيه فيكون على هذا اقسم الله تعالى بزمانه في
هذه الامة وبمكانه في قوله تعالى وانت حل بهذا البلد سوا قلنا
انه مكة او المدينة اذ كل مكانه وبعمره في قوله لعمرك الاية وذلك كله
كالظرف له فاذا وجب ثبت وحق تعظيم الظرف بالاقسام به فكيف
حال المظروف استفهام تعجيب قال الرازي ووجه القسم كانه تعالى
قال ما اعظم خسرانهم اذا اعرضوا عنك انتهى كلام الرازي ونحوه
• النوع السادس في وصفه تعالى له عليه •
• الصلاة والسلام بالنور والسراج •
المصباح جمعه سرج ككتاب وكتب المنير وصف به للتاكيد او لان بعض السرج
لا يضي اذا رق فتيله وقل زيته وقد قيل ثلاثة تضني رسول بطي

وسراج

وسراج لا يضي ومايدة ينتظر اليها من يجي اعلم ان الله تعالى قد وصف
رسوله صلى الله عليه وسلم بالنور اي اخبر عنه بانه نور في قوله تعالى قد
جاكم الخطاب لاهل الكتاب في قوله يا اهل الكتاب وهو شامل للتوراة والانجيل
وكانوا يخفون ما فيهما من صفات النبي صلى الله عليه وسلم من الله نور هو محمد
صلى الله عليه وسلم وكتاب مبين قران بين ظاهر وقيل المراد بالنور القران
وعليه فالعطف للتفسير وقوله يهدي به المعنى موقعه وعلى الاول افرده مع تغايرهما
وعطفهما بالواو لرجوعه لهما معا باعتبار المذكور او لانهما معا كالشي الواحد
وهداية احدهما عين هداية الاخر فان خلقه القران وما افاده المصنف من ترجيح
الاول هو الصحيح فقد اقتصر عليه الجلال وقد التزم الاقتصار على ارجح الاقوال
وبه جزم عياض في محل وساوى بينهما في اخر وتبعه المصنف في الاسما الشريفة وفسر
النور ايضا بالاسلام ووصفه عليه الصلاة والسلام ايضا بالسراج
المنير في قوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من ارسلت
اليهم ومبشرا من صدقك بالجنة ونذيرا منذرا من كذبك بالنار وداعيا الى
الله الى طاعته باذنه اي امره فهو على ظاهره لان امره اذن له او المراد به
الارادة فانه كثيرا ما يتجوز به عنها وعن الامر كما في مجاز القران لابن عبد
السلام وفسر ايضا بتوفيقه وتيسيره وسراجا منيرا يستضا به من ظلمات
الجهل ويقتبس من نوره انوار البصاير والمراد كونه هاديا مبينا
كالسراج يرى الطريق اي يكون سببا في ارائتها فالاسناد مجازي ويبين
الهدى والرشاد الصلاح وهو خلاف الغي والضلال وهو اصابة الصواب
فبيانه اقوى واتم وانفع من نور الشمس لانه يفرق بين الحق والباطل
والشمس انما يتبين بها ما يدرك بحاسة البصر من الالوان ونحوها فهو
تفريع على قوله يبين الهدى واذا كان كذلك وجب ان تكون نفسه
المقدسة اعظم في النورانية من الشمس فكما ان الشمس في
عالم الاجسام تفيد النور لغيرها ولا تستفيد من غيرها فلذا
نفس النبي صلى الله عليه وسلم تفيد الانوار العقلية لساير
اي لجميع الانفس البشرية ولم يقل ولا تستفيد من غيرها كما قال في الشمس
لانه صلى الله عليه وسلم يستفيد الوحي من جبريل ولهذا وقع تشبيهه
بالسراج لانه في غاية الوضوح والبلاغة لانه يستضي من الوحي ويضي
للناس بما اتاهم به فعليه من البلاغة ما ليس في قوله شمسا وقمرا
قال القاضي ابو بكر بن العربي قال علماؤنا سمي سراجا لان السراج
الواحد يوخذ منه السرج الكثيرة ولا ينقص من ضوئه شي وكذلك
سرج الطاعات اخذت من سراجه صلى الله عليه وسلم ولم ينقص من
اجره شي ولذلك وصف الله تعالى الشمس بانها سراج حيث
قال وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وفي قراة سرجا بالجمع
اي نيرات وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة وكما وصف الله

تعالى

تعالى رسوله بانه نور وصف نفسه المقدسة بذلك فقال
الله نور السموات والارض قال ابن عباس وغيره اي هادي
اهلها قال الرازي في شرح الاسما وهو حسن لان تفسيره به في الاسما
التسعة والتسعين لا يجوز لانه يصير محض تكرار واجيب بجواز ان الهادي
زعم كما قالوه في الروف الرحيم او يعتبر به هداية بالغة الى حد لا يتناهى
فتحصل به المغايرة في الجملة كالرحمن الرحيم فلا وجه لقوله لا يجوز لان له
نظاير في الاسما وفي حواشي الكشاف معنى نور السموات والارض هادي
العالمين مبين ما يهتدون به ويتخلصون من ظلمات الكفر والضلال
بوحي منزل ونبي مرسل فليس فيهما الا الله ونوره المقدس
اي المراد به هو من الوجود اي ايجاده العالم والحياة والجمال
والكمال وفي الانوار اصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفا هو العدم
والله موجود بذاته موجد لما عداه وهو الذي اشرق على العالم
كله وهو ما سوى الله لكن وقع ذلك الاشراق على وجوه متنوعة فاشرق
على العوالم بكسر اللام جمع عالم الروحانية بضم الراء فهو من عطف المفصل
على المجمل نحو ترضى توضا فغسل وجهه وهم الملايكة فصارت سرجا
بضمتين منيرة يستمد بفتح اوله منها من دونها فاعل بجود الله
ثم سرى النور الى عالم النفوس الانسانية ثم طفحته
النفوس على صفحات الجسوم اي جوانبها جمع جسم فليس في
الوجود الا نور الله الساري الى الشي منه بقدر قبوله ووسع
استعداده ورحب تلقيه بضم الرا وفتحها وعطفه على ما قبله
كالمسبب على السبب فالاستعداد هو الاسباب التي يكون اجتماعها
فيه سببا لحصول المعرفة وقبول ما يلقى اليه ورحب التلقي قوة قبوله
لما يلقى اليه وحسن استماعه له والنور في الاصل عند الحكما كما للغة
فانه الضو واصله من نار ينور اذا نور ومنه نوار الظبية وبه سميت
المراة موضع للضو لانتشاره او لان فيه الظلام فكانه ينفر منه كيفية
اي صفة لكن لفظ كيفية لم يسمع من العرب كما صرح به اهل اللغة يدركها
الباصر اولا ويدرك بواسطتها ساير المبصرات كالكيفية
الفايضة من النيرين الشمس والقمر على الاجرام الكثيفة
المحاذية لهما وبعضهم زعم انه اجرام صغار تنفصل من المضي
وتتصل بالمستضي وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله
لاستحالته اذ هو عرض او جسم وكلاهما محال عليه الا بتقدير مضاف
كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم فمعنى الله نور اي ذو نور او بمعنى
منور السموات والارض فهو من اطلاق المصدر وارادة اسم
الفاعل فان الله تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنهما من
الانوار وبالملايكة والانبيا وذلك ماخوذ من قولهم للرئيس

الغايف

الفايق في التدبير وهو فصل الامر عن فكر وروية نور القوم
لانهم يهتدون به في الامور ويويد هذا التاويل قراءة علي
ابن ابي طالب وزيد بن علي بن الحسين بن علي وغيرهما نور فعلا
ماضيا مفتوح النون والواو مشددة والارض بالنصب مفعول وادعى
الغزالي انه حقيقة لان النور معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره ويقع
ميل لقول الاشراقيين قال شارح حكمة الاشراق الله نور السموات والارض
لا بمعنى منورهما على ما يقوله بعض المفسرين هربا من اطلاق اسم النور
عليه بل بمعنى انه محض النور البحت وان ساير الانوار تشرق من نوره
كذا قال وقوله تعالى مثل نوره اي مثل هداه سبحانه وتعالى
وفسره البيضاوي بالصفة العجيبة واضاف النور الى السموات
والارض اما دلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى
تضي له السموات والارض واما لارادة اهل السموات والارض
واضافة النور اليهم لاجل انهم يستضيئون به والاضافة يكفي لادنى
ملابسة وعن مقاتل اي مثل الايمان في قلب محمد صلى الله
عليه وسلم كمشكاة كوة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها
اسم ما لا ينفذ قيل معربة من الحبشية وقيل موضع الفتيلة منه وقيل
معلاقة فيها مصباح قنديل او الفتيلة ماخوذ من الصباح او
الصباحة فالمشكاة نظير صدر كذا في جميع النسخ والاولى صلب
عبد الله والزجاجة مثلثة الزاي والضم اعرفها وافصحها نظير جسد
محمد صلى الله عليه وسلم والمصباح نظير الايمان والنبوة في
قلب محمد صلى الله عليه وسلم وعن غيره اي غير مقاتل المشكاة
نظير ابراهيم والزجاجة نظير اسماعيل عليهما السلام والمصباح
جسد محمد صلى الله عليه وسلم والشجرة النبوة والرسالة التي
يتوقد منها المصباح ونحوه قول من قال المشكاة ابدان ابايه والزجاجة
اصلابهم والمصباح نوره المستودع فيهم وعن ابي سعيد الخراز
ابراهيم وقيل احمد بن عيسى البغدادي قال الخطيب كان احد المشهورين
بالورع والمراقبة وحسن الرعاية وحدث بسير اصحب السقطي وذا
النون وغيرهما قال الجنيد لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه ابو سعيد
لهلكنا اقام كذا كذا سنة ما فاته ذكر الحق تعالى بين الخرزتين وقال
السلمي الخراز امام القوم في كل فن من علومهم واحسنهم كلاما خلا الجنيد
فانه الامام لذلك فان جماعة يقولون الخراز قمر الصوفية فافاد
ان امامهم مطلقا الجنيد فهو الشمس والخراز القمر مات سنة سبع وسبعين
وماتين وقيل غير ذلك المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم
والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله في قلب
محمد صلى الله عليه وسلم وعن كعب بن مانع بحوقية المعروف

بكعب الاحبار وابن جبير سعيد احد الاعلام النور الثاني هنا
في قوله مثل نوره محمد صلي الله عليه وسلم بطريق المجاز والاول
هو الله اضيف لجميع مخلوقاته للتعميم والثاني مضاف لله تعالي للتشريف
او التعظيم والثاني في قوله يهدي الله لنوره من يشا اضافته كلمعين
الماتي به بيانا للتشبيه الذي يبتني عليه الاستعارة فالمعني انه
نور عم نوره جميع مخلوقاته وخص نبيه صلي الله عليه وسلم باوفر
اسم منه فسماه باسمه والبسه حليه مما البسه الرافة والرحمة وعن سهل بن
عبد الله بن يونس بن عيسي التستري بفوقيتين اولاهما مضمومة وفتح
الثانية بينهما مهملة ساكنة مدينة معروفة الصالح المشهور الذي لم
يسمح الدهر بمثله عالما ورعا وله كرامات مات سنة ثلاث وثمانين ومايتين
وقيل غير ذلك مثل نور نبوته اذ الكلام اي مثل نور نبوة محمد اذا كان
مستودعا بفتح الدال في الاصلاب اي اصلاب ابايه وضمير كان راجع لنور
او لمحمد نفسه ورجح بانه كان في صلب ابايه لا نوره ورد بان نوره كان
ظاهرا في جباههم من ادم لابيه عبد الله كالقمر ليلة البدر المستودع
في الاصلاب مادة جسمه والنور تابع لتلك المادة كمشكاة صفتها
كذا وكذا كناية عن قوله فيها مصباح المصباح الي اخره فانها استعملت
كذلك اي صفة نوره كصفة مشكاة فيها مصباح واراد بالمصباح قلبه
وبالزجاجة صدره والمشكاة جسده الشريف اي كانه اي صدره
الشريف كوكب دري اي مضي بضم الدال وكسرها وفتحها مع الهمزة
وبدونها مشدد اليا فقيل انه منسوب الي الدر لحسنه وصفايه لما فيه
اي الصدر من الايمان والحكمة وجعل ذلك في الصدر بواسطة القلب
ولا يبعد عود الضمير للقلب والحكمة العلم النافع وقيل المراد بها هنا
النبوة كقوله ادع الي سبيل ربك بالحكمة توقد المصباح بالماضي وفي
قراءة بمضارع اوقد مبنيا للمفعول بالتحتانية وفي اخري بالفوقانية
اي الزجاجة من شجرة مباركة اي من نور ابراهيم لان النسب
شبيه بالشجرة وابراهيم جده صلي الله عليه وسلم وهو دعوته
وضرب المثل وهو كلام شبه مضربه بمورده وضربه ذكره كذلك
يعني بنائه بالشجرة المباركة علي الاستعارة التمثيلية لانه
شبه ظهور نبوته المتصلة بابيه ابراهيم وشبه المتصل به بمصباح
اضا بزيت من شجرة مباركة واقتصر علي بعض اجزا التمثيل لظهور
ما فيه وفايدة التمثيل كما في الكشاف ابراز المعقول في هيية لظهور
ما فيه وفايدة التمثيل كما في الكشاف ابراز المعقول في هيية المحسوس
ليتضح ويترشح في الاذهان ولذا اكثر في الاحاديث والكتب الالهية
وقوله تعالي يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار اي تكاد
نبوة محمد صلي الله عليه وسلم تتبين مضارع بان اي اتضح

للناس

للناس قبل كلامه اي تكليمه ودعواه النبوة وتحديه لهذا الزيت
والكلام بالتي مصدر بمعني التكليم كقوله ۞ فان كلاميها شفا لما بيا ۞
او المراد ما يتكلم به فيقدر مضاف اي قبل ايراد كلامه الذي يتكلم به وقيل
ان يوحي اليه حكي هذا الاخير من قوله وعن سهل القاضي ابو الفضل
عياض اليحصبي بفتح التحتية وسكون المهملة وتثليث الصاد المهملة
نسبة الي يحصب بن مالك ابي قبيلة باليمن والفخر الرازي لكنه
اي الرازي انما حكاه عن كعب الاحبار لا عن سهل بن عبد الله فان صح
النقلان فيكون مقالاه وفي شرح الشفا للتجاني انه تاويل بعيد عن
ظاهر القران والصحيح ما عليه جمهور المفسرين انه تعالي ضرب هذا مثلا لنوره
وتمثيلا لقصور افهام الخلق اذ لولاه ما عرف الله قال وما اشبه هذا بتاويل
المفضل قول الفرزدق

۞ اخذنا باطراف السما عليكم ۞ لنا قمراها والنجوم الطوالع ۞

لما ساله الرشيد عنه فقال اراد بالقمرين ابراهيم ومحمد صلي الله وسلم عليهما
وبالنجوم الطوالع انت واباوك فقال له الرشيد احسنت انتهي وعن الضحاك
يكاد محمد يتكلم بالحكمة العلم النافع قبل الوحي به اليه قال عبد الله
ابن رواحة الخزرجي الشهيد بموته

۞ لو لم تكن فيه ايات مبينة ۞ كانت بديهته تنبيك بالخبر ۞

وقال نفطويه يكاد زيتها يضي هذا مثل ضربه الله لنبيه يقول يكاد
نظره يدل علي نبوته وان لم يتل قرانا كما قال ابن رواحة وذكر هذا البيت
لكن التفسير الاول في هذه الاية هو المختار لانه تعالي ذكر قبل
هذه الاية لقد انزلنا اليكم ايات مبينات بفتح اليا وكسرها في
هذه السورة بين فيها ما ذكر او بينته فاذا كان المراد بقوله مثل
نوره اي مثل هداه كان مطابقا لما قبله بخلافه علي ما بعده من
التفاسير فلا يطابق ما قبله ومحمد في غنية عن ذلك فقد سماه الله
نورا في قوله قد جاكم من الله نور وكتاب مبين وسماه سراجا منيرا
في اية الاحزاب كما اشار الي ذلك عياض بذكر هذين الايتين بعد
اية النور وبعض تلك التفاسير والله اعلم ۞

۞ النوع الرابع في ذكر ايات تتضمن اي تدل

لا التضمن المنطقي وجوب طاعته اي الانقياد له بامتثال
اوامره واجتناب نواهيه فطاعة اسم مصدر طاعه اذا انقاد له فيما
امر به قولا وفعلا اذا كان الامر بصيغة افعل واما مادة امر فيحتمل
الوجوب والندب فتكون طاعته في المندوب مندوبة موجوبة علي هذا
الانقياد الي امره ولو مندوبا والعمل به نقوله واتباع سنته بالجر
عطفا علي طاعته والنصب علي وجوب من عطف الخاص علي العام قال
الله تعالي يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله قال عطا

باتباع الكتاب والسنة رواه الحاكم وقدم طاعة الله تمهيد الوجوب طاعة رسوله واشارة الى انه تعالى ان طاعته تعالى طاعة رسوله وهما شيء واحد ولذا افرد الضمير في قوله ولا تولوا عنه وقال واطيعوا الله والرسول اتبع الوعيد بقوله واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالوعد بقوله لعلكم ترحمون ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل على عزة المطلوب وان العبد دائر بين الرجا والخوف وقال تعالى قل اطيعوا الله والرسول فيما يامركم به من التوحيد فان تولوا اعرضوا عن الطاعة فان الله لا يحب الكافرين من اقامة الظاهر مقام المضمر اي لا يحبهم بمعنى انه لا يعاقبهم قال القاضي عياض جعل طاعته طاعة رسوله تشبيه بليغ وجعل عينه ادعا ولا ينافي الاية لان الشرط والجزا متغايران لما في نفس الامر ولكل مقام مقال والاولى تاخير هذا عن الاية الاتية لا وفقا التي صرح فيها بان طاعته طاعته ولفظ عياض وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته فقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرن طاعته بطاعته في قوله اطيعوا الله ورسوله ونحوه مما امر فيه بطاعة الله ورسوله معا ووعد على ذلك بجزيل اي عظيم اي كثير الثواب بنحو قوله لعلكم ترحمون واوعد على مخالفته بسوء العقاب اي اشده وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله روي انه عليه الصلاة والسلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم فنزلت كذا في الكشاف قال الحافظ ولي الدين العراقي في حواشيه لم اقف عليه هكذا ونقله السيوطي على البيضاوي ولم ترد عليه بمعنى من اطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا علة غائية اي وغاية امر الرسول كونه مبلغا الى الخلق احكام الله لانه لا ينطق عن الهوى فلا مفهوم لهذه العبارة فهو في الحقيقة ما اطاع الا الله اي هو مبلغ حقيقة والامر هو الله كما في الكشاف قال الطيبي هذا التعليل يفيده لفظ الرسول لانه من وضع المظهر موضع المضمر للاشعار بعلية اقتضا ايجاب الطاعة له ويدل عليه السياق وهو قوله ومن تولى الاية وكان مقتضى الظاهر فمن تولى فقد عصى الله فهي مقابلة قوله فقد اطاع الله فوضع ذكره موضعه ليدل على المبالغة وذلك المذكور من الطاعة في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله اذ لو وجد له ما اطاع رسوله ومن تولى اعرض عن طاعته فلا يهمنك فما ارسلناك عليهم حفيظا حافظا لاعمالهم بل نذيرا والينا امرهم فنجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال كما في الجلال فاشار الى ان جواب الشرط محذوف والمذكور دليل عليه وهو احد وجهين الثاني انه المذكور باعتبار ما دل عليه فان من اعماه الله عن الرشد واضله عن الطريق المستقيم فان احدا من

خلق

خلق الله لا يقدر على ارشاده جواب الشرط وجملة الشرط وجوابه علة لكونه ما جعل عليهم حفيظا في اعمالهم بحيث يلجئهم للطاعة ويمنعهم عن العصيان واشار الى تحقق ذلك وعدم احتمال خلافه بالتاكيد بان وهذه الاية من اقوى الادلة على ان الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله لانه لو اخطا في شيء منها واقر عليه فامر به او نهى عنه ولم يكن كذلك في نفس الامر لم تكن طاعته طاعة لله بل مخالفة لامره او نهيه وايضا وجب ان يكون معصوما في جميع احواله لانه تعالى امر بمتابعته الانسب ان يقول باتباعه ليطابق دليله من قوله واتبعوه لكنه اشار الى ان المفاعلة قد ترد لاصل الفعل فقال والمتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير ومنه المتابعة في علوم الحديث فتشمل الانقياد له في جميع اقواله وافعاله وجودا وعدما الا ما خصه الدليل به طاعة له بالاية منطوقا ومفهوما لان مفهوم من يطع الرسول من عصاه فقد عصى الله وانقيادا لحكم الله تعالى عطف تفسير وقال تعالى ومن يطع الله والرسول فيما امر به فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين افاضل اصحاب الانبيا لمبالغتهم في الصدق والتصديق والشهدا القتلى في سبيل الله والصالحين غير من ذكر الاية اي وحسن اولئك رفيقا اي رفقا في الجنة بان يستمتع فيها برويتهم وزيارتهم والحضور معهم وان كان مقرهم في درجات عالية بالنسبة الى غيرهم قال البيضاوي قسمهم اربعة اقسام باعتبار منازلهم في العلم والعمل وهم الانبيا الفائزون بكمال العلم والعمل المجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مراقي النظر في الحجج والايات واخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم ثم شهدا بذلوا انفسهم في اعلا كلمة الله واظهار الحق ثم صالحون صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته انتهى وهذا عام في المطيعين لله تعالى من اصحاب الرسول ومن بعدهم وعام في المعية في هذه الدار الدنيا لعموم اللفظ وان فاتت فيها معية الابدان وذلك فيمن امن في زمنه صلى الله عليه وسلم ولم يره ومن امن بعده الى يوم القيامة بقيد الطاعة وقد ذكروا في سبب نزول هذه الاية ثوبان بفتح المثلثة والموحدة ابن بجدد بضم الموحدة وسكون الجيم وضم الدال المهملة الاولى وقيل ابن جحدر بفتح الجيم وسكون الحا المهملة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الاصابة يقال انه من العرب من حكم بن سعد بن حمير وقيل من السراة اشتراه ثم اعتقه فخدمه الى ان مات ثم تحول الى الرملة ثم حمص ومات بها سنة اربع وخمسين قاله ابن سعد وغيره وروى ابن السكن عن يوسف بن عبد الحميد حدثني ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لاهله فقلت انا من اهل البيت فقال في الثالثة نعم ما لم تقم

علي باب سدة او قاني امير افتتنا له وروي ابو داود عن ابي العالية
عن ثوبان ان رسول الله صلي الله عليه وسلم دعا لاهله فقلت قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم من يتكفل لي ان لا يسال الناس واتكفل له
بالجنة فقال ثوبان انا وكان لا يسال احدا شيا كان شديد الحب لرسول
الله صلي الله عليه وسلم قليل الصبر عنه ولذا لازمه حضرا وسفرا فاتاه
يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه بفتح الحاء وفي لغة بكسرها واخري
بضمها مبنيا للفاعل فهو لازم او قام بجسمه المرض ويعدي بالهمزة فيقال
انحله المرض وفي القاموس نحل كمنع وعلم ونصر وكرم نحولا ذهب من مرض
او سفر فساله رسول الله صلي الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول
الله ما بي من وجع حصل به نحولي وتغير وجهي غير اني لم اراك اشتقتك
ضمنه معني طلب فعداه بنفسه والا فاشتاق انما يتعدي بحرف الجر وبالتضعيف
علي ان المنقول في غيره عن ثوبان اشتقت اليك واستوحشت وحشة
عظيمة حتي القاك فذكرت الاخرة اي فكرت في امرها بحيث الذي
في غيره فخفت لا اراك هناك لا تنظرني بالكلية اما عدم رويتك بالمرة او
قلتها لاني ان دخلت الجنة فانت تكون في درجات النبيين لا اراك ابدا
فنزلت هذه الاية قال الشيخ ولي الدين هذا ذكره الثعلبي في تفسيره
بلا اسناد ولا راو وحكاه الواحدي في اسباب النزول عن الكلبي وروي
الطبراني في معجمه الصغير عن عايشة وابن مردويه عن ابن عباس نحوه
والبيهقي وابن عن الشعبي وابن جرير عن سعيد بن جبير كل منهم يحكي عن
رجل فذكر مثل قصة ثوبان ونزول الاية فيه انتهي فان ثبت فالرجل
المبهم ثوبان وذكر بن ظفر عن مقاتل بن سليمان ان المبهم عبد الله بن زيد
ابن عبد ربه الانصاري فان ثبتا فلعلهما معا ذكر ذلك والعلم لله وذكر اي روي
ابن ابي حاتم الحافظ بن الحافظ ابن عبد الرحمن بن محمد بن ادريس الرازي
عن ابي الضحي مسلم بن صبيح بالتصغير الهمداني الكوفي العطار مشهور
بكنيته تابعي ثقة فاضل من رجال الجميع مات سنة مائة عن مسروق
ابن الاجدع بن مالك الهمداني الوادعي ابي عايشة الكوفي ثقة فقيه
عابد مخضرم مات سنة اثنين ويقال سنة ثلاث وستين من رجال الجميع
قال قال اصحاب محمد صلي الله عليه وسلم يا رسول الله ما ينبغي لنا
ان نفارقك اعتذارا عن كثرة ملازمتهم له المقتضية للملال عادة فانك
لو قدمت بفتح فسكون مت بضم الميم كما ضبطه بعض العلما الموثوق بهم ويجوز
ضم القاف وشد الدال مكسورة وسكون الميم اي قدمت علينا اي سبقتنا
تحاشيا عن خطابه بلفظ مت ادبا وانا ولي خلاف المتبادر لرفعت فوقنا ولم
نرك فانزل الله ومن يطع الله والرسول الاية وفي هذا ان قائلي ذلك
جمع كثير لقوله اصحاب محمد وذكر بالبنا للفاعل اي ابن ابي حاتم ايضا بسنده
عن عكرمة مولي ابن عباس مرسلا قال اتي فتي اي صغير السن رسول

الله صلي الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ان لي منك نظرة في الدنيا اي
انا نراك ونتمتع برويتك فيها وعبر بالوحدة لقصر المدة ويوم القيامة لا نراك
لانك في الجنة في الدرجات العلي فانزل الله هذه الاية وللطبراني
وابن مردويه بسند لا باس به عن عايشة قالت جا رجل الي النبي صلي الله
وسلم فقال يا رسول الله انك لاحب الي من نفسي وانك لاحب الي من ولدي واني
لاكون في البيت فاذكرك فما اصبر حتي اتي فانظر اليك واذا ذكرت موتي
وموتك عرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين واني اذا دخلت الجنة
خشيت ان لا اراك فلم يرد عليه النبي صلي الله عليه وسلم شيا حتي نزل
جبريل بهذه الاية ومن يطع الله والرسول فقال له رسول الله صلي الله
عليه وسلم انت معي في الجنة ان شا الله كما هو نقيه رواية عكرمة واخرج ابن
جرير نحوه مرسل سعيد بن المسيب ومسروق والربيع وقتادة والسدي وفيها
روايات اخر بنحوها سياتي ان شا الله تعالي في مقصد محبته عليه
الصلاة والسلام وهو السابع التالي لهذا لكن قال المحققون لا ننكر صحة
هذه الروايات الا ان سبب نزول هذه الاية يجب ان يكون شيا اعظم
من ذلك اي انه لا ينحصر في تسلية المحبين له والتخفيف عنهم بل يشمل ذلك وغيره
وهو الحث علي الطاعة والترغيب فيها فانا نعلم ان خصوص السبب
لا يقدح في عموم اللفظ اي لا يكون قاصرا عليه خلافا لزاعمه فهذه الاية عامة
في حق جميع المكلفين خصهم لوقوع الثواب بعد الامر المستفاد من قوله من
يطع اذ الاطاعة فرع الامر والنهي وكلاهما خاص بالمكلف اذ لا خطاب يتعلق بفعل
غيره وصحة عبادة الصبي واثابته عليها لا لامره بها بل ليعتادها فلا يتركها
ان شا الله ذلك وهو اي الامر الاعظم ان كل من اطاع الله واطاع الرسول
فقد فاز ظفر بالدرجات العالية والمراتب المنازل الشريفة عنده
تعالي ثم ان ظاهر قوله تعالي ومن يطع الله والرسول انه يكتفي
بالطاعة الواحدة لان اللفظ الدال علي الصفة يكفي في جانب الثبوت
حصول ذلك المسمي مرة واحدة فاذا قيل صل مثلا بري من عهدة الطلب
بصلاة واحدة لان الامر بالشي لا يقتضي فورا ولا تكرارا وجزم بالثبوت
النهي فامتثاله انما يحصل بترك جميع المنهيات لكن لا بد ان يحمل علي
غير ظاهره وان يحمل الطاعات علي فعل جميع المامورات وترك جميع
المنهيات اذ لو حملناه علي الطاعة الواحدة لدخل فيها الكفار
والفساق لانهم قد ياتون بالطاعة الواحدة وذلك غير مراد فوجب
حمله علي غير ظاهره قال الرازي الامام فخر الدين قد ثبت في اصول
الفقه ان الحكم المذكور عقب الصفة كقوله هنا اوليك مع الذين
الي اخره بعد قوله ومن يطع مشعر بكون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف
واذا اي حيث ثبت هذا وتقرر في الاصول فنقول قوله من يطع الله
اي في كونه الها وطاعة الله في كونه الها هي معرفته بالايات الدالة

عليه والاقرار الاعتراف بجلالة عظمته وعزته غلبته وكبريائه عظمته
قال تعالى وله الكبرياء في السموات والارض وصمديته احتياج الخلق اليه
على الدوام فصارت هذه الاية تنبيها اي منبهة على امرين عظيمين
من احوال المعاد فالاول ان منشا جميع السعادات يوم القيامة اشراق
الروح بانوار معرفة الله المودية الى الايمان به وطاعة امره فكل من
كانت هذه الانوار في قلبه اكثر وصفاؤها اقوى كان الى السعادة
اقرب والى الفوز بالنجاة اوصل اكثر وصولا والثاني ان الله تعالى
ذكر في الاية السابقة على هذه الاية وعد مصدرا اهل الطاعة بالاجر
العظيم والثواب الجسيم وفي نسخة الجزيل بقوله ولو انهم فعلوا ما يوعظون
به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لاتيناهم الاية ثم ذكر في هذه الاية
وعدهم بكونهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وليس
المراد ان يكون اطاع الله واطاع الرسول مع النبيين والصديقين كون الكل
في درجة واحدة لان هذا يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل
والمفضول وذلك لا يجوز بدلالة النصوص الكثيرة فالمراد بكونهم في
الجنة بحيث يتمكن كل واحد منهم من روية الاخر وان بعد المكان لان
الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا ارادوا الروية والتلاقي
قدروا على ذلك اذ لو عجزوا عنه لتحسروا ولا حسرة في الجنة فهذا هو
المراد من هذه المعية لا المساواة في المنزلة وقد ثبت وصح اتى به
ليبين ان مراده بالثبوت الصحة للخلاف في علوم الحديث هل لفظ ثبت يختص
بالصحيح او يشمل الحسن قال السيوطي

وهل يخص بالصحيح الثابت • او يشمل الحسن نزاع ثابت

وزعم ان الثبوت لا يستلزم الصحة لجواز انه مع ثبوته ضعيف او حسن عقلي لم نجده
احد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كما اخرجه الشيخان من حديث انس وابن
مسعود وابي موسى جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كيف تقول في رجل احب
قوما ولما يلحق بهم فقال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب زاد الترمذي
من حديث انس وله ما اكتسب وفي لفظ قال رجل يا رسول الله متى قيام
الساعة قال انها قايمة فما اعددت لها من كثير الا اني احب الله ورسوله قال
فانت مع من احببت ولك ما اكتسبت قال فما فرح المسلمون بشيء بعد الاسلام
ما فرحوا به فقيل المراد من احب قوما باخلاص فهو في زمرتهم وان لم يعمل عملهم
لثبوت التقارب مع قلوبهم وقيل بشرط عمله بمثل اعمالهم لحديث من احب قوما
على اعمالهم حشر معهم يوم القيامة وروى العسكري عن الحسن لا تغتر يا ابن
ادم بقوله انت مع من احببت فمن احب قوما اتبع اثارهم واعلم انك لن
تلحق بالاخيار حتى تتبع اثارهم وحتى تاخذ بهديهم وتقتدي بسنتهم
وتصبح وتمسي على مناهجهم حرصا على ان تكون منهم وقال ابن العربي
يريد صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب في الدنيا وفي الاخرة في الدنيا بالطاعة

والادب الشرعي وفي الاخرة بالمعاينة والقرب الشهودي فمن لم يتحقق بهذا
وادعى المحبة فهو كاذب وثبت ايضا في البخاري عن انس انه صلى الله عليه
وسلم قال حين رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة ان بالمدينة اقواما
ما سرتم مسيرا ولا نزلتم منزلا وفي رواية ولا قطعتم واديا الا وهم معكم
بالقلوب والنيات قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة حبسهم
العذر عن الغزو ومعكم فالمعية والصحبة الحقيقية انما هي بالسر
والروح وفي شرحه للبخاري بالسير بالروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب
لا بالقالب ونية المومن خير من عمله فتامل هؤلاء كيف بلغت بهم نيتهم مبلغ
اولئك العاملين بابدانهم وهم على فرشهم في بيوتهم فالمسابقة الى الله
تعالى والى الدرجات العوالي بالنيات والهمم لا بمجرد الاعمال ولهذا كان
النجاشي بفتح النون والجيم اصحمة ملك الحبشة معه صلى الله عليه وسلم
وهو من اقرب الناس اليه وهو اي النجاشي بين النصارى بارض
الحبشة وعبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين من ابعد الخلق عنه
وهو بالمسجد النبوي لكونه معه قالبا لا قلبا وذلك ان العبد اذا اراد
بقلبه امرا من طاعة او معصية او اراد امرا من شخص من الاشخاص
فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه اذ كل مهتم بشيء منجذب اليه بطبعه
شاء او ابى وكل امرئ يصبو الى مناسبه رضي او سخط فالنفوس
العلية تنجذب بذاتها وهممها وعملها الى اعلى والنفوس الدنية تنجذب
بذاتها الى اسفل ومن اراد ان يعلم هل هو مع الرفيق الاعلى او الاسفل
فلينظر اين هو ومع من هو في هذا العالم فان الروح اذا فارقت البدن
تكون مع الرفيق الذي كانت تنجذب اليه فالارواح العلية كلها تكون
يوم القيامة وفي الدنيا مع الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه
رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية بتباعد
وجودها عن وجودهم والمكانية بطول المسافة بعد عظيم في
الزمان والمكان ولا يكون ذلك مانعا من المعية في الدارين والله
اعلم وقال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله اي يثيبكم ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم وهذه الاية
الشريفة تسمى اية المحبة بدليل انه قال بعض السلف زعم
انه الحسن البصري لقوله قال اقوام على عهد نبينا والله يا محمد انا
لنحب ربنا فانزل الله الاية رواه ابن المنذر وليس فيه فانزل اية
المحبة فلا يصح انه المراد او هي قوم محبة الله فقيل هم وفد نجران لما
قالوا انما نعبد المسيح حبا لله رواه ابن اسحق وابن جرير عن محمد بن جعفر
ابن الزبير وقيل هم اليهود لما قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل قريش لما
قالوا انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وبه جزم الجلال وروى ابن
جرير وابن المنذر عن الحسن مرسلا انهم اقوام زعموا على عهد نبينا

حب الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل فانزل الله آية
المحبة قل ان كنتم تحبون الله بالجزم في جواب الطلب والراجح
فيه انه في جواب شرط مقدر وتقديره هنا ان اتبعتموني يحببكم
الله اشارة الي دليل المحبة وثمرتها وفائدتها اي باتباع
الرسول فان اتباعه علامة علي حب الله تعالي وثمرة محبة الله مغفرته
لهم كما افاده قوله فدليلها وعلامتها اتباع الرسول وفائدتها
محبة المرسل بكسر السين اي الله تعالي نبيه ليبلغ الخلق لكم متعلق
بمحبته فما مصدرية ظرفية لم يحصل المتابعة اي مدة انتفا
حصولها فلا محبة لكم حاصلة منكم لله ومحبته لكم منتفية
اي لا يحبكم بمعني لا يثيبكم فجعل سبحانه اتباع الرسول عليه
الصلاة والسلام مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم
ووجود المشروط ممتنع بدون وجود تحقق شرطه وهو
اتباع الرسول فعلم انتفا المحبة عند انتفا المتابعة لانها
مشروطة بمتابعة رسوله فانتفا محبتهم لله لازم لانتفا المتابعة
لرسوله وانتفا المتابعة ملزوم لانتفا محبة الله لهم
فيستحيل حينئذ ثبوت محبتهم لله وثبوت محبة الله لهم
بدون المتابعة لرسول الله صلي الله عليه وسلم لاستحالة
وجود المشروط بدون شرطه ودل جعله اتباع الرسول مشروطا
بمحبتهم علي ان متابعة الرسول حب الله ورسوله وطاعة
امره اي علامة عليها وجعلها نفس المحبة مبالغة ولا يكفي
ذلك في العبودية حتي يكون الله ورسوله احب اليه مما
سواهما كما في الحديث فلا يكون شي احب اليه من الله ورسوله
قال الطيبي فسر المتكلمون محبة العبد لله بانها محبة طاعته او ثوابه
واحسانه واما العارفون فقالوا العبد يحب الله لذاته واما حب طاعته
وثوابه فدرجة نازلة والقول الاول ضعيف وذلك لا يمكن ان يقال
في كل شي انه انما كان محبوبا لاجل معني اخر فلا بد من الانتها الي
شي يكون محبوبا لذاته فكما يعلم ان اللذة محبوبة لذاتها كذلك يعلم
ان الكمال محبوب لذاته واكمل الكمالات لله تعالي فيقتضي كونه محبوبا
لذاته من ذاته قال صاحب الغرايب وهذا ابلغ انواع الحب فعلي هذا
احب العبد لله حقيقة بل المحبة الحقيقية مستحقة لله اذ كلما يحب
من المخلوقات فانما يحب لخصوص اثر من آثار وجوده ومعني الاحيا الحب
ميل الطبع الي الشي المستلذ فان قوي سمي عشقا ولا يظن قصره علي
مدركات الحواس الخمس حتي يقال ان الله تعالي لا يدرك بها ولا يتمثل
في الخيال فلا يحب لانه صلي الله عليه وسلم سمي الصلاة قرة
عين وجعلها ابلغ المحبوبات ومعلوم انه ليس للحواس الخمس فيها حظ

والبصيرة الباطنة اقوي من البصر الظاهر والقلب اشد ادراكا من
العين وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة
للابصار فيكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من الامور الشريفة
الالهية التي تجل عن ان يدركها الحواس اتم وابلغ فيكون ميل الطبع
السليم والعقل الصحيح اليه اقوي ولا معني للحب الا الميل الي ما في ادراكه
لذة فلا ينكر اذا حب الله الا من قعد به القصور عن درجة البهايم
انتهي واما محبة الله للمتبعين فهي رضاه عنهم واثابتهم وكشف الحجب
عن قلوبهم والتجاوز عما فرط منهم كما اشار اليه بقوله والله غفور رحيم وعبر
عن ذلك بالمحبة استعارة او مشاكلة لاستحالة المعني الحقيقي عليه ومتي كان
عنده شي احب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة
ولا يهديه الله واستدل علي هذا بقوله قال تعالي قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم وفي قراءة وعشيراتكم
واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها عدم نفاقها
ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فقعدتم
لاجله عن الهجرة والجهاد فتربصوا انتظروا حتي ياتي الله بامره تهديد
لهم والله لا يهدي القوم الفاسقين ثم فكل من قدم طاعة احد من
هولا غلب العقلا علي غيرهم وسمي من اقترنت بالعاقل باسمه يجوز لان احدا
انما يستعمل في العاقل علي طاعة الله ورسوله او قول احد منهم علي قول
الله ورسوله او مرضاة احد منهم علي مرضاة الله ورسوله او خوف
احد منهم او رجاه والتوكل الاعتماد عليه علي خوف الله ورجايه
والتوكل عليه او معاملة احد منهم علي معاملة الله ورسوله
فهو ممن ليس الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان قال بلسانه
انهما احب فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه عطف تفسير وفيه
اشارة الي ان محبة غيرهما المنهي عنها هي المحبة الاختيارية دون الطبيعية
فانها لا تدخل تحت التكليف انتهي ملخصا من كتاب المدارج اي مدارج
السالكين لابن القيم الي منازل السايرين لشيخ الاسلام الانصاري الهروي
وسياتي مزيد لذلك ان شا الله تعالي في مقصد محبته عليه الصلاة
والسلام فذكر الحديث وتكلم عليه مبسوطا هناك وقال تعالي فامنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته القران واتبعوه لعلكم
تهتدون ترشدون اي الي الصراط المستقيم صراط الله فجعل رجا الاهتدا
من العباد لان صيغ الرجا الواقعة في القران مصروفة الي العباد يعني ان
المومن يرجو انه من المهتدين اثر عقب الامرين الايمان بالرسول
واتباعه تنبيها علي ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه
فهو في الضلال لذا فكل من اتي به الرسول عليه الصلاة والسلام
من قوله او فعله او غيرهما يجب علينا اتباعه الا ما خصه الدليل

به فلا يجب بل يحرم تارة كالزيادة على اربع وتارة يكره كالوصال م وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا يعني القران سماه نورا لانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه فيستضاء به من ظلمات الجهل ويقتبس منه انوار الهداية والفضل فالايمان به صلى الله عليه وسلم واجب متعين على كل احد لايتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه لاستحالة وجود ايمان او اسلام بدون ذلك شرعا قال الله تعالى ومن لم يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا اي عددنا وهيانا للكافرين سعيرا نارا شديدة الحر ومن لم يومن بالله ورسوله فهو من الكافرين وانا اعتدنا للكافرين سعيرا اشارة الى ان جواب الشرط محذوف والمذكور علة له لان الاعتاد يترتب على عدم الايمان بهما بل الكفر وجزاؤه السعير وقال تعالى فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية روى الشيخان واصحاب السنن عن عبد الله بن الزبير قال خاصم الزبير رجلا في شراج الحرة فقال صلى الله عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال الانصاري يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجهه ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر ثم ارسل الماء الى جارك واستوعى للزبير حقه وكان اشار اليهما بامر لهما فيه سعة قال الزبير فاحسب هذه الاية الا نزلت في ذلك فلا وربك الى اخره معناه فوربك كقوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين ولا مزيد للتاكيد في معنى القسم كما في لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم لا لتظاهر لا في قوله لا يومنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله لا اقسم بهذا البلد قاله الكشاف قال التفتازاني ان قيل لم لا يجوز ان تكون مزيدة لمظاهرة لا في لا يومنون ومعاونتها والتنبيه من اول الامر على ان المقسم به نفي فالجواب ان مجيئها قبل القسم سواء كان الجواب نفيا او اثباتا يدل على انها لتاكيد القسم لا لمظاهرة النفي في الجواب وذلك لان الاصل اجراء المحتمل على المحقق والمشكوك على المقطوع واتحاد منهج اللفظ على اتحاد منهج المعنى وترك التصرف في الحرف وبهذا يندفع اعتراض صاحب التقريب بجواز ان يكون في النفي لمظاهرة النفي وفي المثبت لتاكيد معنى القسم وتجويز انه في النفي لتاكيده وفي الاثبات لتاكيده لنبني على ما ينبغي النفي ولا يومنون جواب للقسم اقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة انه لا يومن احد حتى يحكم الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع اموره لانه عبر بما شجر وما من صيغ العموم ويرضى بجميع ما حكم به بقوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت وينقاد له ظاهرا وباطنا سواء كان الحكم بما يوافق اهواهم او يخالفها هذا المقصود وذكر المواقف للتعميم كما ورد في الحديث م والذي نفسي بيده قسم كان صلى الله عليه

وسلم يقسم به كثيرا لا يومن احدكم ايمانا كاملا وقيل اسم الشيء يعني الكمال مستفيض في كلامهم فالمراد نفي بلوغ حقيقته ونهايته وخصوا بالخطاب لانهم الموجودون حينئذ والحكم عام حتى يكون هواه تبعا لما جئت به الهوى بالقصر ما يهواه العبد ويحبه ويميل اليه فحقيقته شهوة النفس وهو ميلها لملايمها ويستعمل في عرف الشرع في الميل الى خلاف الحق كقوله ولا تتبع الهوى فيضلك وهذا الحديث يدل على ان من لم يرض بحكم الرسول لا يكون مومنا اصلا بل كافرا ان اعتقد بطلانه او انه لغير من الله اما ان اعتقد حقيقته وتالم منه في نفسه لمشقته فمومن ناقص وعلم انه لا بد من حصول الرضى بحكمه في القلب وذلك بان يحصل الجزم والتيقن في القلب بان الذي يحكم به عليه الصلاة والسلام هو الحق والصدق فلا بد من الانقياد باطنا وظاهرا ذكر هذا وان تقدم معناه قريبا لانه شرح للحديث فمراده على انه دل على ما دلت عليه الاية وسياتي مزيد بيان لذلك ان شاء الله تعالى في مقصد محبته عليه الصلاة والسلام وهو المناسب ثم ان ظاهر هذه الاية يدل على انه لا يجوز تخصيص النص بالقياس سواء كان جليا وخفيا كما اختاره الرازي وقيل المنع في الخفي لضعفه بخلاف الجلي لانه يدل على انه يجب متابعة قوله وحكمه بالنص وانه لا يجوز العدول عنه الى غيره وقوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا او شكا مما قضيت به مشعر بذلك لانه متى خطر بقلبه قياس يقتضي ضد مدلول النص فهناك يحصل الحرج في النفس فتبين تعالى لا يكمل ايمانه الا بعد ان لا يلتفت الى ذلك الحرج ويسلم الى النص ينقاد لحكمه تسليما كليا من غير معارضة قاله الامام فخر الدين الرازي بعد ما كان يقول بالجواز وجوز غيره تخصيص الكتاب والسنة بالقياس المستند الى نص خاص ولو خبر واحد سواء كان القياس جليا او خفيا على المختار وبه صرح العلامة التاج عبد الوهاب بن علي السبكي في جمع الجوامع في مبحث التخصيص واجاب شيخنا في التقرير عن استدلال الرازي بهذه الاية بانا لا نسلم ان معارضته بالقياس حرج كما ادعى وانما هو تردد في فهمه هل هو موافق ام لا

النوع الثامن

فيما موصول او نكرة موصوفة اي الايات التي تتضمن وفيما الايات تتضمن اي تدل او تستلزم لا خصوص دلالة التضمن الاصطلاحية الادب بحذف مضاف اي طلب الادب معه صلى الله عليه وسلم في جميع الاقوال والافعال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وجه تضمنها الادب ان الذي

عن الشيء امر بضده وهو طلب التاخر وهو روي البخاري عن ابن
الزبير قدم ركب من تميم عن النبي صلي الله عليه وسلم فقال ابو بكر ام
القعقاع بن معبد وقال عمر بل أمر الاقرع بن حابس فقال له ابو بكر ما
اردت الا خلافي فقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتي ارتفعت اصواتهما
فنزل في ذلك يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتي انقضت
الاية وروي ابن المنذر عن الحسن ان ناسا ذبحوا قبله صلي الله عليه
وسلم يوم النحر فامرهم ان يعيدوا ونزلت الاية واخرج الطبراني عن
عايشة ان ناسا كانوا يتقدمون الشهر فيصومون فنزلت واخرج
ابن جرير عن قتادة قال ذكر لنا ان ناسا كانوا يقولون لو انزل في
كذا فنزلت ولا شك ان الاصح الاول لانه مروي البخاري ويحتمل تعدد
الاسباب وقد قال الرازي انه يجوز ارشاد عام يشمل الكل ومنع
مطلق يدخل فيه كل افتيات وتقدم واستبداد بالامر واقدام علي
فعل غير ضروري بلا مشاورة فمن الادب ان لا يتقدم بين
يديه اي عنده سواكان بحذائه او عن يمينه او يساره او خلفه
بامر ولا نهي ولا اذن ولا تصرف ويداوم علي ذلك حتي يامره
وينهي ويأذن كما امر الله بذلك في هذه الاية وظاهر
هذا انه من قدم لازما بمعني تقدم وعليه الانوار اي لا تقدموا مر الامر
فحذف المفعول ليذهب الوهم اليه كل ما يمكن او تركه لان المفهوم اي
المقصود نفي التقدم راسا اي لا تتقدموا ومنه مقدمة الجيش
لتقدمهم ويؤيده قراة يعقوب لا تقدموا وفي ابن عطية قال ابن زيد
معني لا تقدموا لا تمشوا بين يدي رسول الله وكذلك بين يدي العلما
فانهم ورثة الانبيا وهذا اظاهر منه ان معناه التقدم الحسي وهذا
النهي عن التقدم باق الي يوم القيامة لم ينسخ سواكان التقدم
حقيقة او حكما فالتقدم بين يدي سنته الواردة عنه باسناد
صحيح او حسن ولا معارض له راجح بعد وفاته كالتقدم بين يديه
في حياته لقوله تعالي وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا لا فرق بينهما عند ذي عقل سليم وقد علم ان التقدم اعم من كونه
حقيقة او حكما فلا يرد انه ينتهي بوفاته صلي الله عليه وسلم فيتعذر النسخ بوفاته
لانقطاع الوحي فلا يحسن بل يصح تفريعه علي ما قبله قال مجاهد عند البخاري
في تفسير لا تقدموا لا تفتاتوا اي لا تسبقوا بشي علي رسول الله صلي
الله عليه وسلم بل امهلوا وامتنعوا عن العمل فيه بشي حتي يقضيه الله علي
لسانه فاعملوا به فالغاية لمقدر قال الزركشي الظاهر ان هذا التفسير علي
قراة ابن عباس ويعقوب بفتح التا الدماميني بل هو سائغ علي القراة المشهورة
ايضا فان قدم بمعني تقدم قال الجوهري وقدم بين يديه اي تقدم وقال
الضحاك اي لا تقضوا امرا دون رسول الله اي دون امره صلي الله

علیه

عليه وسلم بل انتظروا امره وقال غيره لا تامروا حتي يامر ولا تنهوا
حتي ينهي فامروا حينئذ بامره ونهيه وانظر ادب الصديق رضي الله
عنه معه عليه الصلاة والسلام في الصلاة اي فيما فعله فيها ان يتقدم
بين يديه ان مصدرية بفتح الهمزة وتقدير اللام اي لان تقدم علة لقوله
كيف تاخر مقدم عليه اي انظر كيف تاخر لتقدمه الحاصل بين يديه اي
في غيبته صلي الله عليه وسلم فتقدم بعد احرام ابي بكر وفي نسخة اذ لكن
اصلاحا ولا حاجة اليه فان بعد التقدير كاد روي مالك والشيخان من طريقه
عن ابي حازم عن سهل بن سعد انه صلي الله عليه وسلم ذهب الي بني عمرو
ابن عوف وحانت الصلاة فجا المؤذن الي ابي بكر فقال اتصلي للناس
فاقيم قال نعم فصلي ابو بكر فجا رسول الله والناس في الصلاة فتخلص
حتي وقف في الصف فصفق الناس وكان ابو بكر لا يلتفت في صلاته فلما
اكثر الناس من التصفيق التفت ابو بكر فراي رسول الله فاشار اليه ان امكث
مكانك فرفع ابو بكر يديه فحمد الله علي ما امره به صلي الله عليه وسلم من ذلك ثم
استاخر حتي استوي في الصف وتقدم صلي الله عليه وسلم فصلي بالناس
ثم انصرف فقال يا ابا بكر ما منعك ان تثبت اذ امرتك فقال ابو بكر ما كان لابن
ابي قحافة بضم القاف وخفة الحا المهملة عثمان بن عامر اسلم في الفتح ومات
سنة اربع عشرة في خلافة عمر وعبر بذلك دون ان يقول ما كان لي او لابي
بكر تحقيرا لنفسه ان يتقدم وفي رواية ان يصلي بين يدي رسول الله
صلي الله عليه وسلم وفي رواية ان يوم النبي صلي الله عليه وسلم فعلمه
ان من اكرم بكرامة تخير بين القبول والتركة اذ فهم ان الامر ليس علي
اللزوم وكانت القرينة التي بينت ذلك لابي بكر انه صلي الله عليه وسلم شق
الصفوف حتي انتهي اليه ففهم ان مراده ان يوم الناس وان امره اياه بالاستمرار
في الامامة من باب الاكرام والتنويه بقدره فسلك هو طريق الادب ولذا لما
رد صلي الله عليه وسلم اعتذاره كيف اورثه مقامه والامامة الخلافة بعده
فكان بمعني صار ذلك التاخر الي خلفه والحال انه قد اوما اشار اليه ان
اثبت مكانك وفي رواية فاشار اليه بامره ان يصلي واخر في قدميه في
صدره ليتقدم فابي سعيا خبر كان الي قدام اي كان في المعني شرو وعلاوة
طلب التقدم عند الله بسبب ادبه مع نبيه فنال بكل خطوة الي ورا فهو
متعلق بمقدر مراحل مفعول المقدر الي قدام تنقطع فيها اعناق المطي
ولا يوصل اليها ومن الادب معه صلي الله عليه وسلم ان لا ترفع الاصوات
فوق صوته لانه يدل علي قلة الاحتشام وترك الاحترام ومن خشي قلبه
ارتجف ودفعت حركته الدافعة فلا يخرج منه الصوت بقوة ومن لم يخف بالعكس
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم اذا نطقتم فوق صوت النبي اذا نطق
ولا تجهروا له قال المصنف وليس المراد نهي الصحابة عن ذلك انهم كانوا مباشرين
ما يلزم منه الاستخفاف والاستهانة فكيف وهم خير الناس بل المراد ان التصويت

ولا تجهروا له بالقول اذا ناجيتموه كجهر بعضكم لبعض بل دون ذلك اجلالا
له قال المصنف وليس المراد نهي الصحابة عن ذلك انهم كانوا مباشرين ما يلزم منه
الاستخفاف والاستهانة فكيف وهم خير الناس بل المراد ان التصويت بحضرته
مباين لتوقيره وتعزيزه قال الرازي افادانه ينبغي ان لا يتكلم المومن عنده
صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده بل يكون صوته دون صوته
مع سيده لان العبد داخل في قوله كجهر بعضكم لبعض لانه للعموم فيشمل
ذلك فلا ينبغي ان يجهر المومن للنبي صلى الله عليه وسلم كما يجهر العبد
للسيد والا كان قد جهر له كما يجهر بعضكم لبعض فيدخل في النهي قال
ويؤيد ما ذكرناه قوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم
والسيد ليس اولى عند عبده من نفسه حتى لو كانا في مخمصة مجاعة
ووجد العبد ما لو لم يأكله لمات لا يجب عليه بذله لسيده ويجب البذل
للنبي صلى الله عليه وسلم ولو علم العبد ان لموته بنجو سيده لا يلزمه
ان يلقي نفسه في التهلكة اي الهلاك لانجا سيده ويجب لانجا النبي صلى
الله عليه وسلم على كل احد فكما ان العضو الرئيس اولي بالرعاية من غيره
بقا الاستقناف وعلل الاولوية بقوله لان عند خلل القلب مثلا لا يبقي
لليدين والرجلين استقامة حذف المشبه اي كذلك يجب رعايته صلى
الله عليه وسلم وفداوه على المومنين بانفسهم اذ لو لم يبق مع الهلاك عبد وقد
عبراه يهلك ذلك الغير واشار الي هذا المعنى بها التعليل فقال فلو حفظ الانسان
نفسه وترك النبي صلى الله عليه وسلم لهلك هو ايضا ويحتمل ان الفا زايدة
والمعنى ان رعايته وتقديمه على النفس مشبهة بالعضو الرئيس في رعايته وتقديمه
على بقية الاعضا بخلاف العبد والسيد انتهى كلام الرازي واذا كان
رفع الاصوات فوق صوته موجبا لحبوط الاعمال اي فسادها وصدرها
حبور يحبط من باب فرح وفي لغة من باب ضرب وبها قرئ شاذا كما قال تعالى
ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون اي خشية ذلك بالرفع والجهر المذكورين
فما الظن برفع الاراء اي رايه ونتايج الافكار ما نظر لها بنتايج الحيوان
وهو ما يلده على سنته وما جا به واعلم ان في الرفع والجهر استخفافا
بحسب الصورة قد يودي الي الكفر المحبط وذلك اذا انضم اليه قصد الاهانة
وعدم المبالاة والا فالرفع والجهر لا يلزمهما الاستخفاف وروي ان ابا بكر
لما نزلت هذه الاية قال والله وامه لا يا رسول الله لا اكلمك الا كاخي
اي صاحب السرار بكسر السين مصدر كسارره اي الكلام الخفي الذي
يوادكتمه وفي البخاري عن ابي مليكة كان الخيران ان يهلكا ابا بكر وعمر رفعا
اصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فانزل
الله يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم الاية قال ابن الزبير فكان عمر لا يسمع
رسول الله بعد هذه الاية حتى يستفهمه ولم يذكر ذلك عن ابيه يعني ابا بكر وروي
ان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان يسمع النبي صلى الله
عليه وسلم حديثه بعد نزول هذه الاية حتى يستفهمه وفي الاعتصام
من

من البخاري وكان عمر بعد ذلك اذا حدثه يحدثه كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه
يعني تفسيره يرويه فهو هذا شيء وعنهما وفي غيرهما نزل ان الذين يغضون الاية
وقد روي فيما اسنده القاضي عياض من طريق ابي الحسن علي بن فهر ابي مولف
فضايل مالك بسنده ان ابا جعفر المنصور عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس امير
المومنين ثاني الخلفا من بني العباس ولي الخلافة اثنين وعشرين سنة وكان محدثا
فقيها بليغا حافظا للقران والسنة جماعا للاموال فلذا لقب بالدوانيقي مات
سنة ثمان وخمسين ومائة بقرب مكة محرما بالحج وله ثلاث وستون سنة فاظر ناظر
من النظر بمعنى الفكر لان كلا منهما ينظر في كلام من يجادله مالكا الامام في مسالة
فرفع صوته في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكروا ما ناظره فيه
لانه لا يترتب عليه فائدة هنا فقال له مالك يا امير المومنين لا ترفع صوتك في
هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
الاية روى ابن جرير عن قتادة قال كانوا يجهرون له بالكلام ويرفعون اصواتهم
فنزلت ومدح قوما كابي بكر وعمر وثابت بن قيس وغيرهم فقال ان الذين يغضون
اصواتهم الاية وذم قوما اي بني تميم فقال ان الذين ينادونك من ورا الحجرات
اي حجرات نسايه بان اتوها حجرة حجرة فنادوه او تفرقوا عليها متطلبين له لانهم
لم يعلموه بانها منادا الاعراب بغلظة وجفا اكثرهم لا يعقلون بحالك الرفيع وما
يناسبه من التعظيم اذ العقل يقتضي حسن الادب وفيه تسليته وتلميح بالصفح
عنهم الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا اذ هو حي في قبره فيجب ان يراعي
بعد مماته ما كان له في حياته فاستكان خضع وذل لها لهذه المقالة والموعظة
وفي نسخة له اي لمالك اي لقوله ابو جعفر المنصور لوضوح اسنده الا لم ومن
الادب معه ان لا يجعل دعاه كدعا بعضنا بعضا قال تعالى لا تجعلوا دعا الرسول
بينكم كدعا بعضكم بعضا بان تنادوه باسمه بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله
بلين وتواضع وخفض صوت روى ابو نعيم في الدلايل عن ابن عباس قال
كانوا يقولون يا محمد يا ابا القاسم فانزل الله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا
بعضكم بعضا فقالوا يا نبي الله يا رسول الله وفيه قولان للمفسرين احدهما لا
تدعوه وفي نسخة تدعونه عليه انه خبر بمعنى النهي باسمه كما تدعو بعضكم
بعضكم بعضا بل قولوا يا نبي الله يا رسول الله بعد اما دل عليه سبب النزول
المذكور مع التوقير والتواضع وخفض الصوت لاية الحجرات فعلى هذا القول
المصدر مضاف الي المفعول اي دعاكم الرسول اي نداكم له والثاني ان المعنى
لا تجعلوا دعاه لكم بمنزلة دعا بعضكم بعضا ان شا اجابه وان شا ترك بل اذا دعاكم
لم يكن لكم بد من انصراف وبحالة من اجابته ولم يسعكم التخلف عنها البتة بلفظ
البصرة فان المبادرة الي اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة اي
الرجوع عن تمام ما ندبه اليه لقوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
فعلى هذا المصدر في دعا الرسول مضاف الي الفاعل اي دعاوه ايا كم
ولو في الصلاة وقد تقدم في الخصايص من المقصد الرابع على مذهب

الشافعي وهو المعتمد في مذهب مالك ان الصلاة لا تبطل باجابته صلى الله
عليه وسلم وقال جماعة تجب الاجابة وتبطل الصلاة ومن الادب معه صلى
الله عليه وسلم انهم كانوا معه على امر جامع من خطبة او جهاد او رباط وفي
الاكليل قال ابن ابي مليكة الاية في الجهاد والجمعة والعيدين وقال عطاء امر عام
وقال مقاتل يجتمعون عليها اخرجها ابن ابي حاتم لم يذهب احد مذهبا في حاجة
عرضت له حتى يستاذنه كما قال الله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه ففيه وجوب استيذانه
قبل الانصراف عنه في كل امر يجتمعون عليه قال الحسن وغيره صلى الله عليه
وسلم من الاية مثله في ذلك لما فيه من ادب الدين وادب النفس قال ابن الفرس
ولا خلاف في الغزو انه يستاذن امامه اذا كان له عذر يدعوه الى الانصراف
واختلف في صلاة الجمعة اذا كان له عذر كالرعاف وغيره فقيل يلزمه الاستيذان
سواكان امامه الامير او غيره اخذا من الاية فاذا كان هذا مذهبا وسبيا
نقصد مقيد الحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه الا باذنه فكيف بمذهب
مطلق في تفاصيل الدين اصوله وفروعه دقيقة قليلة وجليلة كثيرة
هل يشرع الذهاب اليه بدون استيذانه فاسئلوا اهل الذكر العلماء ان كنتم
لا تعلمون ذكر فانهم يعلمونه ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يستشكل
قوله الثابت عنه بلا معارض راجع لقوله ايضا ونحوه بل يستشكل الارا
بقوله ولا يعارض نصه بقياس لانه فاسد الاعتبار مع وجود النص بل يهدر
بطرح الاقيسة وتلقى عطف تفسير ليهدر لنصوصه ولا يحرف كلامه عن
حقيقته لخيال اي بظن مخالف يسميه اصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن
الصواب معزول اي معروف الى غيره على عدم العمل به فكل هذا من قلة
الادب معه صلى الله عليه وسلم وهو عين الجراة بزنة غرفة وضخامة اي
الهجوم بلا توقف وذلك مذموم ورأس الادب معه صلى الله عليه وسلم كما قال
التسليم له والانقياد الاذعان لامره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون ان
تحمله خيال ظن باطل يسميه اصحابه معقولا او تسميه شبهة او شكا او تقديم
عليه ارا الرجال وزبالات او سخ اذهانهم جمع ذهن وهو الذكا والفطنة
كما في المصباح فنوحد التحكيم اي يجب على كل احد ان يجعل الحاكم هو النبي صلى
الله عليه وسلم والتسليم والانقياد والاذعان من اذعن انقاد فهو عطف تفسير
كما وحد المرسل بكسر السين وهو الله سبحانه بالعبادة فجعله مستحقا لها دون
غيره والخضوع والذل عطف تفسير والانابة الرجوع والتوكل عليه في جميع الامور
وهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله الا بهما توحيد الله عز وجل وتوحيد
متابعة الرسول فلا نحاكم الى غيره بالعدول عنه وطلب الحكم من غيره ولا
يرضى بحكم غيره انتهى ملخصا من المدارج للعلامة ابن القيم وكتب علمي
والقران مملو بالايات المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه
وسلم فليراجع وفيما ذكرته كفاية

النوع

النوع التاسع في ايات تتضمن
رده تعالى بنفسه المقدسة

اطلق النفس عليه تعالى بقول امام الحرمين انه الصحيح وقيل انما يجوز للمشاكلة
نحو تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ورد بقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة
وجوابه انه كما اثبت على نفسك ونقد بركتب رب نفوسكم ولا يحصي نفسي يعيد
على عدوه يحتمل ان يريد المفرد وعمومه من الاضافة اذا استغراق المفرد
اشمل عند اهل البيان ويحتمل ان يريد الجمع فان لفظ عدو يقع لغة على الواحد
المذكر والمونث والجموع صلى الله عليه وسلم ترقيا مفعول لاجله وتضعيفه
للمبالغة اذ هو متعد بدونه لشانه امره وخطبه قال تعالى ن والقلم وما
يسطرون اي الملايكة ومر الكلام فيه مبسوطا ما انت بنعمة ربك بمجنون
اي انتفى عنك الجنون بسبب انعامه عليك بالنبوة وغيرها لما حين قال
المشركون يا ايها الذي نزل عليه الذكر القران في زعمه انك لمجنون اي لتقول
قولهم بدعواك انه نزل عليك لا الجنون الحقيقي للقطع بعدمه فلا يريدونه
ليلا يكذبهم من قاله اجاب تعالى الاولى فاجاب بالفا اذ الجملة الاولى كافية وكانه
تركها لانه بيان للتعظيم بانه اجاب عنه عدوه بنفسه من غير واسطة وتوطية
لقوله وهكذا سنة الاحباب اي عادتهم فان الحبيب اذا سمع من سب حبيبه
تولى بنفسه جوابه وفرع على هذا قوله فههنا تولى الحق سبحانه جوابهم
بنفسه منتصرا له لان نصرته تعالى التي تولاها بنفسه اتم من نصرته
عليه الصلاة والسلام لنفسه كقتال العدو وان كان لله او المعنى لو فعل وروي
ابن ابي حاتم عن وهيب بن الورد قال يقول الله تعالى ابن ادم اذا ظلمت
فاصبر وارض بنصرتي فان نصرتي خير لك من نصرتك لنفسك ورواه احمد
في زوايد الزهد عن وهيب قال بلغني انه مكتوب في التوراة فذكره
وارفع لمنزلته مقداره العلي ورده تعالى على عدوه بنفسه ابلغ من
رده لنفسه صلى الله عليه وسلم باقامة الحجة وان كانت لنسبت
لنفسه بل لله او المراد لو كان له رد ونصرة كامر واثبت اعظم واقوى
ثباتا في ديوان مجده بشرفه من ان يثبته هو بنفسه فامضاه الله لا
نقض له فاستقر في مجده ديوانا يثبت فيه فاذا اثبته الله كان اتم واكبر
ثباتا وهذا هو باق الى الابد فاقسم تعالى بما اقسم به من عظيم اياته
اجمله لتباني على الخلاف السابق في تفسيره على تنزيه رسوله وحبيبه
وخليله مما غمصته بفتح الغين المعجمة والميم وبكسر الميم ايضا وصاد مهملة
اي احتقرته وعابته اعداوه الكفرة به وتكذيبهم له بقوله ما انت
بنعمة ربك بمجنون بدل من قوله من عظيم اياته بدل بعض من كل او متعلق
بتنزيه وسيعلم اعداوه المكذبون له ايكم المفتون فيه اشارة الى
ان الباء ابدة وهو احد وجوه سبقت هو اقواها واقتصر على الاعدا مع
ان الاية فستبصر ويبصرون لان القصد اخباره بانهم سيعلمون

وتكروا ماذكره عليه الصلاة والسلام فلانه ادعى للقبول من مقام المحاجة نحو
وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقول حسان
اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما فدا
وقد علموهم والعقلا من غيرهم ذلك اي ايكم المفتون لانهم في الدنيا متعلق
بعلمها ويزداد علمهم به في البرزخ القبر وينكشف كل الظهور اي ويظهر
كل الظهور في الاخرة بحيث يتساوى الخلق كلهم في العلم به وقال تعالى
عطفا على بقوله ما انت بنعمة ربك بمجنون وبقوله وما صاحبكم بمجنون فقال
ذلك افتنتم بالجنون الى اخره ولما راى العاصي بن وايل السهمي احد المستهزئين
الميت على كفره النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو اي العاصي
يدخل فالتقيا عند باب بني سهم يتحدثان من قريش فتحدثا واناس من صناديد
جمع صنديد وهو السيد الشجاع او الحليم او الجواد بعد الشريف كما في القاموس
قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاصي قالوا له من ذا الذي كنت تحدث
يحدث احد الثانين معه فقال ذاك الابتر يعني النبي صلى الله عليه وسلم
وقد كان توفي ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وهو القاسم
اول من مات من ولده او عبد الله روايتان فرد الله تعالى عليه وتولى جوابه
بقوله ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك هو الذليل الحقير او
الذي لا عقب له والاخس ذكرا واما انت فيبقى ذكرك وحسن صيتك
واثار فضلك الى يوم القيامة ولك فيهما ما لا يدخل تحت الوصف ولا يرد ان
العاصي يعقب عمرا وهشاما لانهما لما اسلما انقطع عقبه منهما فصارا من اتباع
المصطفى وازواجه امهاتهم ولما قالوا اي الذين كفروا على جهة التعجب لبعض
هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد افترى
بفتح الهمزة للاستفهام واستغني بها عن همزة الوصل على الله كذبا في
ذلك ام به جنة جنون تخييل ذلك به قال الله تعالى ردا عليهم بل الذين
لا يؤمنون بالاخرة المشتملة على البعث والعذاب في العذاب والضلال
البعيد من الحق في الدنيا قال البيضاوي رد الله عليهم ترديدهم واثبت
لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى
الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب ولما قالوا لست مرسلا اجاب
الله تعالى عنه بالاقسام يس والقران الحكيم انك لمن المرسلين
ويرد سياحث ذلك ولم يجعل الجواب من جملة الاية وهي قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب اي على صدقي لعدم مراجعتها
في الرد ولما قالوا ائنا بتخفيف الهمزتين وتسهيل الثانية وادخال
الف بينهما على الوجهين لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون اي لاجل قول محمد رد الله
عليهم فقال بل جاء بالحق وصدق المرسلين الجائين به وهو لا اله الا الله وحده
ثم ذكر وعيدهم خصما بقوله تعالى انكم لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون الا
ما كنتم تعملون ولما قالوا ما حكى الله عنهم بقوله ام يقولون فهو شاعر

نتربص

نتربص به ريب المنون حوادث الدهر فيهلك كغيره من الشعرا وقيل
المنون الموت رد الله عليهم بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي يسهل
له الشعر ان هو ليس الذي اتى به الا ذكر عظة وقران مبين مظهر للاحكام
وغيرها ذكر وعيدهم بقوله لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين
ولما حكى الله عنهم قولهم ان هذا الا افك كذب افتراه محمد واعانه عليه
قوم اخرون من اهل الكتاب سماهم الله تعالى كاذبين بقوله فقد جاءوا
ظلما وزورا كفرا وكذبا اي بهما وقال راد القول لهم اساطير الاولين اكتتبها
فهي تملى عليه بكرة واصيلا قل انزله الذي يعلم السر الغيب في السموات
والارض انه كان غفورا رحيما ولما قالوا يلقيه اليه شيطان قال الله
تعالى وما تنزلت به الشياطين كما زعم المشركون انه من قبيل ما تلقي الشياطين
على الكهنة وما ينبغي لهم يصلح لهم ان ينزلوا به وما يستطيعون ذلك
انهم عن السمع لمعزولون لكلام الملائكة اي محجوبون بالشهب ولما تلي عليهم
باخبار الاولين قال النضر بن الحارث الكافر المقتول بعد بدر المشتري
لهو الحديث لو نشاء لقلنا مثل هذا لانه كان ياتي الحيرة يتجر فيها
فيشتري كتب اخبار الاعاجم ويحدث بها اهل مكة ويقول ان محمدا
يحدثكم احاديث عاد وثمود وانا احدثكم حديث فارس والروم فيستملحون
حديثه ويتركون استماع القران ان ما هذا القران الا اساطير اكاذيب
الاولين قال الله تعالى تكذيبا لهم قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران في الفصاحة والبلاغة لا ياتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا ولما قال الوليد بن المغيرة المخزومي
الميت على كفره ان ما هذا القران الا سحر يؤثر ينقل عن السحرة
ان هذا الا قول البشر كما قالوا انما يعلمه بشر قال الله تعالى كذلك
ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا هو ساحر او مجنون تسلية
له عليه الصلاة والسلام لان المعنى مثل تكذيبهم لك بقولهم انك ساحر
او مجنون تكذيب الامم لرسلهم بقولهم ذلك ولما قالوا محمد قلاه ربه
ابغضه فرد بالنافي جواب لما لغة قليلة الله عليهم بقوله ما ودعك
ربك وما قلى ما ابغضك ولما قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام
ويمشي في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه
كنز اي من السما ينفقه ولا يحتاج الى المشي في الاسواق لطلب المعاش
او تكون له جنة ياكل منها اي من ثمارها فيكتفي بها وما ارسلنا قبلك
من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فانت
مثلهم في ذلك وقد قيل لهم كما قيل لك وكسرت ان لان المستثنى محذوف
اي الا رسلا انهم او جملة انهم حالية اكتفي فيها بالضمير ولما حسدته
اعدا الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات لانه صفة كمال لا
يقدرون عليها وعبروا عن هذا وقالوا ما همته الا النكاح لا يهام

الاعتراض والتوبيخ خلاف ما ابطنوه من الحسد الذي هو تمني زوال نعمة
المحسود رد الله عليهم عن رسوله ونافح بالفا والحا المهملة اي منع ودافع
عنه فقال ام يحسدون الناس اي محمدا صلي الله عليه وسلم علي ما اتاهم
الله من فضله من النبوة وكثرة النسا اي يتمنون زواله عنه ويقولون
لو كان نبيا لا اشتغل عن النسا فقد اتينا ال ابراهيم جد محمد صلي الله عليه
وسلم كموسي وداود وسليمان الكتاب والحكمة النبوة واتيناهم ملكا
عظيما فكان لداود تسع وتسعون امراة ولسليمان الف ما بين حرية الي سرية
ولما استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر بقولهم الذي حكاه
عنهم وما منع الناس ان يومنوا اذ جاهم الهدي الا ان قالوا اي قولهم
منكرين ابعث الله بشرا رسولا وجهلوا ان التجانس يورث التوانس
فيمكن مخاطبته والفهم عنه وان التخالف في الجنس يورث التباين فلا
يمكن ذلك فمن حكمة الله جعل الرسول بشرا لا ملكا قال الله تعالي قل لو كان
في الارض ملايكة يمشون مطمينين لنزلنا عليهم من السما ملكا
رسولا يحتمل انه حال من رسولا وانه موصوف وكذلك بشرا والاول اوفق
اي لو كانوا ملايكة لوجب ان يكون رسولهم من الملايكة لكن
لما كان اهل الارض من البشر وجب ان يكون رسولهم من البشر
لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم عماه عن ادراك
الملك والتلقي منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس قاله
البيضاوي وفي الشفا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك الا لمن هو من
جنسه او من خصه الله واصطفاه وقواه علي مقاومته كالانبيا والرسل
وفي الاية الاخري ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون
اي جعلناه علي صورة رجل لتتمكنوا منه من رويته اذ لا قدرة للبشر علي روية
الملك فاجل هذه الكرامة اي الاكرام من الله لنبيه حيث كان هو المراد
عنه الا الامر الخارق للعادة وقد كانت الانبيا انما يدافعون عن انفسهم
ويردون علي اعدايهم كقول نوح عليه السلام راد القولهم له انا لنراك
في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة هي اعظم من الضلال منفيها
اعظم من نفيه وقول هود دفعا لقولهم انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك
من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة جهالة واشباه ذلك
من دفعهم عن انفسهم ٠٠ النوع العاشر في ازالة الشبهات ٠ ٠ ٠ ٠
جمع شبهة وهي ما يري دليلا وليست بدليل لفساد القياس او لغير ذلك
عن ايات وردت في حقه عليه الصلاة والسلام متشابهات محتملات
لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر او رد القاطع
علي ان ظاهرها غير مراد ولم يدل علي المراد وتطلق المتشابهات
ايضا علي ما استاثر الله بعلمه وليس بمراد هنا قال الله تعالي ووجدك ضالا
فهدي اي منها هذه الاية لان القواطع دلت علي ان ظاهرها ليس بمراد وافاد

هذا

هذا انعقاد الاجماع بقوله اعلم انه قد اتفق العلما علي انه صلي الله عليه
وسلم ما ضل لحظة واحدة قط بان ظن بالله ما هو محال عليه
اي الضلال المفهوم من قوله ما ضل جايز عقلا علي الانبيا صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين قبل النبوة قالت المعتزلة هو غير جايز عقلا
لما فيه اي تجويز تلبسهم به وظهوره عليهم من التنفير عن اتباعهم بعد
الوحي واجابتهم للايمان والطاعة ولا يخفي ان هذه علة ردية فالتنفير فعل
المنفر واي فعل في تجويز العقل فالتجويزات العقلية لا يلزم منها شي البتة
فالعقل يجوز انقلاب البحر دما والحجر ذهبا ونحو ذلك فرده شيخنا وعند
اصحابنا اهل السنة انه جايز في المعقول وهو ابلغ في اتباعهم حيث جاز
عقلا ولم يقع علم انهم مصطفون عند الله تعالي هادون فيما اخبر وابعد عنه
ثم يكرم الله من اراده بالنبوة بالعصمة من ابتدايه الي منتهاه فحذف صلة
تكرم ولذا عدل عن ان يقول ثم يكرمهم الا ان الدليل السمعي قام علي ان
هذا الجايز لم يقع لنبي من الانبيا اصلا قال الله تعالي ما ضل صاحبكم وما
غوي قال الامام فخر الدين الرازي ويقال عليه الاية في حق نبينا فكيف صح
جعلها دليلا علي جميع الانبيا اذ لا يلزم من نفي ذلك عنه نفيه عنهم ثم هي انما
سيقت في مقام نفي ما نسبه المشركون اليه وكان بعد النبوة والجواب اما
الاول فالعصمة نفي الضلال العصمة لاكرام الله تعالي له بالنبوة وهذه العلة
يشاركه فيها جميع الانبيا فالاية نص فيه والقياس في باقيهم واما الثاني فالافعال
بمنزلة النكرات والنكرة تعم فكانه قال ما صدر منه ضلال لا قبل النبوة ولا بعدها
وقال الامام ابو الفضل عياض اليحصبي في كتابه الشفا في الشفا واما
عصمتهم من هذا الشي قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب اي القول
الموافق للواقع ولا دلة الدالة علي ان خلافه خطا من قايله انهم معصومون
محفوظون مصونون قبل النبوة من الجهل بالله تعالي اي بوجود ذاته
وصفاته فلا يجهلون شيا منها ومعصومون ايضا من التشكيك لانفسهم في شي
من ذلك وفي نسخة او التشكيك بالعطف باو الفاصلة اي لا يقع في نفسهم شك
في الذات ولا في صفة من صفاته تعالي لان فطرتهم جبلت علي التوحيد والايمان
واما قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالمراد به ما لا يعلم الا بالوحي كوجوب
الصلاة ونحوه من فروع الشريعة وقد تعاضدت اي تقوت ماخوذ من العضد
وهو ما بين المرفق الي الكتف ولكون عمل الانسان واعتماده بذلك قيل عضدته
بمعني قويته قاله الراغب وقال التلمساني اي قوي بعضها بعضا تفاعل من اثنين
لقيام كل واحد من الاخبار مع صاحبه حتي حصلت القوة التامة بذلك الاخبار والاثار
بمعني وقيل الخبر المرفوع والاثر قول الصحابي ومن دونه والمراد بهما هنا ما
اشتهر من احوالهم وصفاتهم الماثورة المعروفة عند كل احد عن الانبيا كلهم
والمرسلين باسرهم وليس المراد انه نقل عنهم بل عرف عنهم وفي حقهم فلم يصبه
من قدر وعن غيرهم بتنزيههم اي بتبريتهم عن هذه النقيصة بصاد

مهملة اي الصفة المنقصة لمن اتصف بها منذ ولدوا الي اخر عمرهم ونشاتهم
بالجر عطف علي تنزيههم اي بنشاتهم اي ابتداء خلقهم لازمين شبابهم بما توهم
علي التوحيد وهو عدم الشرك والايمان بالله وبكل ما يجب الايمان بالله بل
للاشتغال علي سبيل الترقي علي اشراق اي شدة ظهور انوار المعارف في
احوالهم واتم الهم اي معرفة ذات الله وصفاته وكل ما يتعلق به ونفحات جمع
نفحة وهي الروايح الطيبة التي تفوح الطاف السعادة اي كونهم سعدا الدارين
فتشبه ما يلوح منهم من امارات الفلاح برايحة طيب يعبق منها الكون ولم ينقل احد
من اهل الاخبار وعن احد غيره ان احد نبي بعد اخره اي صيره الله نبيا واصطفي
اي اصطفاه الله واختاره ممن عرف بكفر واشراك عطفها ص علي عام قبله ذلك
اي اصطفايه ومستند اسم مفعول اي ما يستند اليه ويعلم به هذا الباب اي
باب معرفة احوال الانبيا النقل عن الاخبار والاثار ويؤيده العقل الدال علي
انه تعالي لا يختار من خلقه لنبوته الا من كان كذلك فليس المراد الحصر وقد عقبه
عياض بما يدل علي موافقة العقل للنقل ثم قال بعد كلام طويل في الاجوبة عن ايات
واحاديث ليس المراد ظاهرها وقد استبان اي تبين والسين للتاكيد لا الطلب
لان ما يثبت من شانه ان يناقش فيه بما قررناه الباء للسببية فاذا تاملته بان
لك ما هو الحق من عصمته صلي الله عليه وسلم عن الجهل بالله وصفاته
بان ينفي وجود ذاته او يفرد ذاته او ينفي شيا من صفاته او يعتقد شيا منها علي خلاف
حقيقته وكذا ساير الانبيا او استبان لك عصمته من كونه اي وجود وخلقه
كساير الانبيا او استبان لك عصمته من كونه اي وجوده وخلقه وكساير الانبيا
علي حالة تنافي العلم بشي من ذلك اي ذاته وصفاته كله جملة فلا يجهل شيا
شيا من ذلك اصلا لاسيما بعد النبوة عقلا وشرعا لاقتضايه بحيازته جميع
الشرف والكمال لانه تعالي لا يصطفي الا من هو كذلك واجماعا من كل المسلمين ونقلها
سمعا ونقلا من الاحاديث الصحيحة والجمع بينهما للتوكيد والمنصوبات تمييز ولا بشي
عطف علي فوق له بشي قبله اي ولا كونه علي حالة تنافي العلم بشي مما قرره من
امور الشرع الذي امر بتبليغه واداه اوصله وبلغه عن ربه من الوحي نطقا
منطوقا به متيقنا بلا خلاف عقلا وشرعا لانه مناف لارساله به وامره بتبليغه
فكيف يجوز عليه شي منه فالانبيا معصومون من ذلك لدلالة المعجزات علي عصمتهم
وصدقهم فيما يبلغوه عن الله والا كان افترا علي الله وهو باطل عقلا وشرعا
وعصمته بالجر عطف علي عصمته الاولي عن الكذب لمنافاة المعجزة له وخلف
القول لئلا يتهم في تبليغه منذ نباه الله وارسله فلم يصدر عنه شي منه
وهو مستحيل قصدا بان يقول ما يخالف ما ارسل به اختيارا او غير قصده
فلا يقع منه ذلك سهوا ونسيانا واليه ذهب ابو اسحق الاسفرايني وجوزه
الباقلاني لعدم منافاته للمعجزة لانه لا يقر عليه واستحالة ذلك الكذب والخلف
عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا قيلا وقبل قوله نظرا وهي احسن
لان المعني ان استحالة ذلك شرعا واجماعا مما دل عليه النظر والدليل العقلي وتنزيهه

اي تبرئته عنه قبل النبوة قطعا لتواتره فكان يسمي الامين لانه مامون قولا وفعلا
وتنزيهه عن الكباير اجماعا لعظمة قدره عنها وعن الصغاير تحقيقا اثباتا
بالدلايل المفيدة لذلك فالتحقيق اثبات المسالة بدليلها او امرا محققا والتجويز
بعضهم لها لم ينقل اجماعا او قصدا بقرينة قوله وعن استدامة السهو والغفلة
التبليغ عنها فان وقع منه عليه تشريعه ولله در القايل

يا سايلي عن رسول الله كيف سهي * والسهو من كل قلب غافل لاهي
قد غاب عن كل شي سره فسهي * عما سوي الله في التعظيم لله

وعن استمرار الغلط والنسيان عليه حفظا له بايقاظ قلبه وتنبهه فيما
شرعه للامة لان استمراره مناف لتشريفه له وعصمته بالجر يجوز رفعه خبره
كاينة في كل حالاته من رضي وغضب وجد بكسر الجيم ضد الهزل ومزح
فان مزح لا يقول الا حقا ما يجب كل بدل من قوله ما هو الحق ويجوز انما التاكيد الثلثة
في الحالات الاربع ويجب مستانفا ولفظ الشفا فيجب عليك ان تتلقاه اي تاخذه
وتقبله باليمين اي بالقبول واليمن والبركة لانه يوخذ بها ما ينتفع به لسهولة
العمل بها عادة والعرب تقول لما يتمدح به اخذه باليمين قال الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

وتشد عليه يد الضنين البخيل وزنا ومعنى من الضنة وهي شدة البخل
اي يحرص علي حفظ ما ذكر من تنزيه قدره عما ذكر لحرص البخيل علي ما في يده
لشدة بخله وخوفه من ذهابه وفيه مع اليمين مراعاة النظير وفسر بالقوة
ولا يناسب هنا فان من يجهل ما يجب للنبي صلي الله عليه وسلم اعتقاده
او يجوز او يستحيل عليه اي يمتنع في حقه شرعا وعقلا وعادة ولا يعرف
صور احكامه اي الحكم المتصور في حقه من وجوب وجواز وحرمة لا يامن
ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه فيقع فيما لا يجوز اعتقاده
ولا ينزهه عما لا يجوز ان يضاف اي ينسب اليه ويوصف به فيهلك اي
يقع في امر هو سبب هلاكه في الدارين من حيث لا يدري لجهله ويسقط
في هوة بضم الهاء وشد الواو وهو العميق كالبير الدركات بفتحتين وقد
تسكن الرا ما ينزل به الي الاسفل من دركات المنازل من النار اي نار جهنم
فالتعريف للعهد وهي هنا مجاز عن محلها ويستعمل كثيرا بهذا المعني وهي عبارة
عن عقابه اشد العقاب في الاخرة بسبب ما ذكر ولذا علله بقوله اذ ظن
الباطل به اي ما لا يصح في حقه واعتقاده علي طريق الجزم ما لا يجوز
عليه شرعا وعقلا يحل بضم اليا وكسر الحا وشد اللام وفاعله ضمير
ما ذكر من الظن والاعتقاد اي يحل صاحبه اي ذلك الاعتقاد دار البوار
بفتح الموحدة الهلاك يعني جهنم وهو من اسمايها اي يجعله حالا فيها
وضبط البرهان يحل بفتح اوله وضم ثانيه وصاحبه فاعل وهو جايز ايضا
وطلب الرواية في مثل هذا عنا بلا طايل فنطق عياض باحد الضبطين
لا يمنع الثاني وهو بلا حديث يمنع تغيير ما روي قال في الشفا ولهذا

احتاط على الرجلين اللذان راياه ليلة في المسجد مع صفية فقال لهما انها
صفية ثم قال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف
في قلوبكما شيا فتهلكا ثم قال بعد طول بل جوز جماعة من السلف وغيرهم من الفقها
والمحدثين والمتكلمين الصغاير على الانبيا وذهب طايفة الى الوقف وذهب المحققون
من الفقها والمتكلمين الى عصمتهم منها كالكباير ثم قال بعد قليل مع حكاه المص
بقوله وقد استدل بعض الايمة على عصمتهم من الصغاير بالمصير الى
امتثال افعالهم اي فعل مثلها اقتدا بهم فلو وقع ذلك منهم لجاز فعله الناس
وظنوه شرعا فلذا اعصموا منها لان ذنب العظيم عظيم وان قل واتباع اثارهم
وسيرتهم مطلقا سوا كانت ضرورية وجبلية كالقيام والقعود والاكل والشرب
فانا نائتسي بهم فيه وان كان مباحا لانه لا اصل في افعالهم انها حسنة شرعية
فيتبعون في كل ما صدر منهم لان الاصل رجحن الظاهر وجمهور الفقها على ذلك
اي اتباع اثارهم مطلقا ان لم يعلم انه خصوصية لهم من اصحاب اي كبار مذهب
مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قيام قرينة تدل على انه فعله
للتشريع والاقتدا به فيه بل يقتدي بفعله مطلقا من غير التزام قرينة المشروعة
عند بعضهم وان اختلفوا بعد القول باتباعه في حكم ذلك فذهب كثير من الفقها
والمحدثين واكثر الشافعية الى استحباب اتباعه في الامور الجبلية كغيرها وذهب
جماعة الى انه مباح احسن من غيره وحكى ابو الفرج وابن خويز منداد عن مالك
الوجوب وبه قال اصحابنا واكثر اهل العراق وابن سريج والاصطخري وابن خيران
من الشافعية هذا ملخص ما حذفه المص من الشفا قبل قوله فلو جوزنا عليهم
فعل الصغاير لم يمكن الاقتدا بهم في افعالهم مطلقا كما امرنا به اذ ليس كل
من افعاله كغيره منهم يتميز مقصده اي ما قصده به من القربة بان يكون
واجبا او مندوبا والاباحة بان لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب او مدح او
ذم والحظر بالمثلثة اي المنع شرعا لكونه محرما او مكروها وخلاف الاولى
فقوله والمعصية تفسير او يخص المعصية بالحرام والحظر بخلاف الاولى
والمكروه انتهى ما نقله عن عياض وقال عقبه ولا يصح ان يومر المرء
بامتثال لعله معصية لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا
وما كان ينبغي للمص حذف هذا لانه من جملة الدليل وما كان يزيد به الكتاب
واختلف في تفسير هذه الاية على وجوه كثيرة احدها ان وجدك ضالا
عن معالم النبوة اي مظانها وهي ما انزل عليه من القران وغيره وما ظهر
عليه من الايات فالمعالم جمع معلم مظنة الشي وما يستدل به عليه كما في القاموس
وزاد المص معالم على الشفا لعله اشارة الى ان النبوة نفسها الاخبار بها
كان قيل له انت نبي او وجد ما يدل على اتصافه بالنبوة من غير وحي بشرع
لا يفيد هدايته وانما يفيدها الاثار الاتية من الشرع التي يعمل بها وان لم يومر
بتبليغها قرره شيخنا وهو مروي عن ابن عباس والحسن البصري والضحاك
وشهر بن حوشب وقاله ابن جرير لان الضلال لغة العدول عن الاستقامة

وضده الهداية فكل عدول ضلال سوا كان عمدا ام لا فمعناه غير مهتد لما سبق
لك من النبوة فهداك اليها كقوله فعلتها اذا وانا من الضالين ويؤيده قوله
تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا
القران اي لا تعرف قراته ولا دراسته ولا كيف يدعو الخلق الى الايمان قيل وهذا
في غاية البعد لانه تقدير بلا قرينة تدل عليه ووجه بان تعريف الايمان عهدي
والمراد ايمان امته اي لا تدري كيف يومن قومك وباي طريق يدخلون في الايمان
وبعده لا يخفى قاله السمرقندي الامام ابو الليث الحنفي وقال ابو بكر بن العلا
القاضي القشيري المالكي ولا الايمان الذي هو الفرايض والاحكام الشرعية
التي كلف بها علما وعملا فقد كان عليه الصلاة والسلام قبل اي قبل النبوة
مومنا بتوحيده اي بانه منفرد بالالوهية لا شريك له ثم نزلت الفرايض
التي لم يكن يدريها قبل فازداد بالتكليف اي بسببه ما كلف به من الفرايض
ايمانا وسياتي اخر هذا النوع مزيد لذلك ان شا الله تعالى فانه ذكر هنا
للتاييد الثاني من معنى قوله تعالى ضالا ما روي مرفوعا مما ذكره
الامام فخر الدين الرازي مما يفيد انه على حقيقته فانه يقال ضل الرجل
الطريق وضل عنه زال عنه فلم يهتد اليه فهو ضال وذلك انه عليه الصلاة
والسلام قال ضللت بفتح اللام من باب ضرب لغة نجد وهي الفصحى وبها جا
القران في قوله قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وفي لغة لاهل العالية من
باب تعب اي تهت وغبت عن جدي عبد المطلب واصل الضلال الغيبة ومنه
قيل للحيوان الضايع ضالة وانا صبي حتى كاد قارب الجوع يقتلني فهداني
الله ورددني اليه وفي سيرة ابن اسحق زعموا ان امه السعدية لما قدمت به مكة
ضل منها في الناس فالتمست جده فاخبرته فقام عند الكعبة فدعى الله ان يرده
فوجده ورقة بن نوفل ورجل اخر من قريش فاتيا به الى عبد المطلب فاخذه
على عنقه وطاف وعوذه ودعا له ثم ارسله الى امنة ويروى ان عبد المطلب
تصدق بالف ناقة كوما وخمسين رطلا من ذهب وجهز حليمة افضل الجهاز الثالث
يقال ضل الما في اللبن اذا صار مغمورا من تقديم الدليل على المدلول
واذا كان كذلك فمعنى الاية كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك
الله حتى اظهرت دينه الرابع ان العرب تسمي الشجرة الفريدة في الفلاة
لا ارلا ما فيها والجمع فلي مثل حصى وحصاة وجمع الجمع افلا مثل سبب
واسباب ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك البلاد مكة وما حولها
كالمفازة الموضع المهلك ماخوذ من فوز بالتشديد اذا مات لانها مظنة
الموت وقيل من فاز اذا نجا وسلم سميت به تفاولا بالسلامة ليس فيها
شجرة تحمل ثمر الايمان بالله تعالى ومعرفته الا انت فانت شجرة
فريدة في مفازة الجهل لم يذكر الجوهري واتباعه هذا وما قبله من معاني
ضل لكن اللغة واسعة الخامس قد يخاطب السيد والمراد قومه لاستحالة
وصف السيد بذلك الوصف او باستعمال اسمه في اسم قومه مجازا النبي وجدك

قومك ضالين فهداهم بك وبشرعك عطف تفسير لقوله بك المعبر به عن
ذاته واسند الهداية اليها مبالغة في مدحه حتي كان ذاته نور يهتدي
به بمجرد رويته صلي الله عليه وسلم وجعله شرعه لظهوره علي يديه وبحيثية
به السادس ضالا اي محبا لمعرفتي وهداك بانوار الهداية والعناية وهو
مروي عن ابي العباس احمد بن عطا الادمي بفتحتين الصوفي له لسان
في فهم القران يختص به ولما كان هذا خلاف المشهور لغة بينه ابن عطا نفسه
بقوله والضال المحب كما قال تعالي عن اخوة يوسف خطابا لابيهم انك
لفي ضلالك القديم ليوسف لاتنساه وهذا منقول عن قتادة وسفيان فلا
يضر عدم وجوده في الصحاح واتباعه فاللغة واسعة ولم يريدوا ههنا
في هذه الاية ضلالة في الدين بان يعتقدوا اخطاه في دينه باعتقاده
خلافه او اصراره علي ما ينافيه اذ لو قالوا ذلك في نبي الله يعقوب لكفروا
لنسبته الي ما لا يجوز عليه وتكفيره وتحقيره لكن عدم ارادة ذلك لا
تستلزم حمله علي المحبة لجواز ان يريد والحي بخبرك مما بي صلك الي العلم
بحال يوسف او نحو ذلك وفي الانوار لفي ذهابك عن الصواب قديما بالافراط
في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقايه السابع اي وجدك ناسيا
فذكرك وذلك ليلة المعراج نسي ما يجب ان يقال بسبب الهيبة
من الله تعالي فهداه الله تعالي الي كيفية اي صفة الثنا الذي
وصل به الانبيا حتي قال لا احصي ثنا اي لا استوعب ولا ابلغ الواجب
في الثنا عليك انت كما اثنيت علي نفسك الثامن اي وجدك بين
اهل الضلال فعصمك عن الانتظام في سلكهم والتلبس بشي من ضلالهم
كعبادة الاصنام من ذلك اي الضلال وموافقة اهله فيه وهداك للايمان
به ومعرفته له جعله فطرتك وادرجك ما يرشدك له بعقلك
السليم ثم ارشدك له بالوحي والي ارشادهم لغفال من الرشد ضد الغي
وهو قريب من الهداية كما قاله الراغب وافاد بقوله فعصمك انه من قبل
الشرع ولم يستفد هذا من الخامس فهو مغايره ولا يرد ان قوله فيه
فهداهم بشرعك يفيد عصمته لاستحالة ان يهديهم مع موافقتهم لان
شرعه متاخر فقد كان نبيهم قبله اربعين سنة ثم هذا التاويل مروي
عن السدي وغير واحد كما قال عياض فالضلال بمعني المشهور وليس
متصفا به ولكونه بين اهله اطلق عليه مجازا لعلاقة المجاورة التاسع
اي وجدك متحيرا واقفا في الحيرة في بيان ما انزل اليك من القران
فهداك لبيانه باظهاره وبيان ما خفي من معانيه في حال تبليغه
لامته لقوله وانزلنا اليك الذكر القران لما فيه من التذكير والمواعظ
لتبين للناس ما نزل اليهم مما خفي عليهم فالضلال التحير فيما شق عليه
في ابتدا امره وهذا مروي عن الجنيد ابي القاسم بن محمد النهاوندي
شيخ المشايخ العلم المشهور رحمه الله العاشر عن علي امير المومنين

انه

انه صلي الله عليه وسلم قال ما هممت بفتح الميم الاولي بابه نصر وهو
اول العزم بشي مما كان اهل الجاهلية يعملون ضمنه معني يتمسكون
فعداه به او الباء زايدة في المفعول غير مرتين كل ذلك يحول يحجز ويمنع
الله بيني وبين ما اريد من ذلك ثم ما هممت بعدها بشي حتي اكرمني
الله برسالته وبين المرتين فقال قلت ليلة لغلام من قريش كان
يرعي غنما باعلي مكة لبعض قريش او دلو حفظت لي غنمي فلو للتمني
لا جواب لها او محذوف اي لكان ذلك جميلا منك حتي ادخل مكة وفي نسخة
انه رعاها قبل البعثة ويويده حديث ابي هريرة عند البخاري مرفوعا ما
بعث الله نبيا الا رعي الغنم فقال اصحابه وانت قال كنت ارعاها علي
قراريط لاهل مكة وفي رواية ابن ماجة كنت ارعاها لاهل مكة بالقراريط
قال المصنف كغيره والحكمة في الهامهم ذلك قبل النبوة ليحصل لهم التمرن
برعيها علي ما يكلفونه من القيام بامر امتهم انتهي فزعم ان رعيهم لها انما
كان بعد البعثة قصور وتمسكه لذلك بالحديث المذكور اعجب منشاوه عدم
الوقوف علي شي فاسمر بها بضم الميم اي اتحدث قال المجد وسمر سمرا
وسمورا لم ينم والسمر محركة الليل وحديثه وفي خطبته اذا ذكر المصدر
فالفعل بوزن كتب كما يسمر بفتح اوله وضم الميم يتحدث الشباب فخرجت حتي
اتيت اول دار من دور مكة سمعت عزفا بمهملة وزاي وفا بوزن فلس
اي لعبا من باب التجريد استعمل العزف في مطلق اللعب من استعمال المطلق في
مقيده فعلق به قوله بالدفوف جمع دف الات يضرب بها والا فالعزف اللعب
بالدف بضم الدال وفتحها والمزامير جمع مزمار بكسر الميم فجلست انظر
اليهم فضرب الله علي اذني اي بعث عليها النوم فنمت فلم اسمع شيئا فما
ايقظني الا مس الشمس اي حرها ثم قلت ليلة اخري مثل ذلك فضرب
الله علي اذني فما ايقظني الا مس الشمس ولم اسمع شيئا ثم ما هممت
بعدها بسوء حتي اكرمني الله برسالته فكانه عبر بشي اولا عن هذا الهم
مرتين وانه هداه بصرفه عن ذلك بالقا النوم عليه اشارة الي عنايته
به من صغره ومنعه من سماع لغط الجاهلية ولعبهم وغنائهم وان لم يكن ذلك
ضلالا لانه صانه من قبل البعثة عما يخالف الشرع وقيل معناه وجدك
ضالا لم يعرفك احد بالنبوة حتي اظهرك الله فهدي بك السعدا وقيل وجدك
ضالا بين مكة والمدينة فهداك الي المدينة وقيل وجدك قائما باعبا الرسالة
وتبليغها فهدي بك ضالا وعن جعفر بن محمد وجدك ضالا عن محبتي لك في
الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي وقيل ناسيا فهداك كقوله موسي
وانا من الضالين وقوله تعالي ان تضل احداهما اي تنسي وعن الحسن بن
علي ووجدك ضالا فهدي اي اهتدي بك حكاها في الشفا ثم قال لا اعلم
احدا من المفسرين قال فيها ضالا عن الايمان وقد قال ابن عباس لم يكن له ضلالة
معصية انتهي وفي الكشاف من قال انه كان علي امر قومه اربعين سنة ان اراد

خلوه عن الامور السمحية فنعم وان اراد علي كفرهم ودينهم فمعاذ الله فانه صلي
الله عليه وسلم وسائر الانبيا معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكبائر
والصغائر الثابتة فما بالك بالكفر والجهل بالله ما كان لنا ان نشرك بالله
من شيء وكفى بنقيضيه عند الكفار ان يسبق منه كفر انتهى واما قوله تعالى
قسم لقدر اول النوع اي بينا ما ذكره بقوله قال اسم ووضعنا حططنا عنك
وزرك الذي انقض اثقل ظهرك فقد احتج بها جماعة من الفقها
والمحدثين والمتكلمين اي علما الكلام الباحثين عن العقائد سموا بذلك
لان مسئلة كلام الله من اجل مباحثه او كثرة دوران الكلام فيه بين السلف
المجوزين بلا واو في نسخ وهي ظاهرة وفي نسخة بالواو اي اكثر الاصوليين
للصغائر علي الانبيا عليهم الصلاة والسلام حيث ابقوها علي
ظاهرها ان الوزر هو الاثم وبظواهر كثيرة من القران والحديث اي
بظواهر اشارة الي انها ليست بحجة في الباطن ان التزموا ظواهرها
بان قالوا بلزوم اعتقاد الظاهر منها افضت بهم اوصلتهم كما قال
القاضي عياض الي تجويز الكبائر عليهم عمدا وخرق الاجماع اي مخالفة
ما اجمع عليه الناس من قولهم خرق المفازة اذا قطعها فاريد به لازمه وهو
المجاوزة وما لا يقول به مسلم اي افضت بهم الي راي لم يقله احد من المسلمين
لان الايات والاحاديث التي احتجوا بها كما يشمل الصغيرة يشمل الكبيرة
من حيث انها ذنوب ويشمل كل علي ما اجمع علي انه لا يقع منهم مع انهم لا
يقولون بجواز وقوع الكبيرة منهم عمدا اذ لم يقله الا الحشوية ولا عبرة
بهم ولا بجواز خرق الاجماع واما سهوا فاجازه بعضهم واختلف في ان
امتناعه سمعي او عقلي كما مر فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بتلك الظواهر
وكل ما احتجوا به منها مما اختلف المفسرون في معناه فتطرقت الاحتمالات
فسقطت به الدلالات وتقابلت وتقابلت تخالفت وتعارضت الاحتمالات
في مقتضاه من تجويز وقوع ما خرج به عن صلاحيته للحجة وجاءت
الاقاويل جمع اقوال جمع قول فهو جمع الجمع فيها للسلف بخلاف ما التزموه في
ذلك الذي استدلوا به فاذا لم يكن مذهبهم في تجويزها عليهم اجماعا
اي مجمعا عليه لكثرة من خالفهم وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما
لاحادثا بعد انعقاد الاجماع حتى يكون خلافا لا يعتد به وقامت به
الدلائل علي خطا قولهم بتجويزها عليهم وصحة غيره في عدم الجواز
وجب تركه والمصير الي ما صح من عدم التجويز اذ العبرة بالادلة لا
بكثرة القائلين انتهى كلام عياض منحه الله برويته في الرياض وقد
اختلف في هذه الاية فقال اهل اللغة الاصل فيه ان الظهر اذا اثقله
الحمل سمع له نقيض اي صوت كصوت المحامل والرحال وكلما حملته
ثقيلا فانه ينقض تحته قال عباس بن مرداس
وانقض ظهري ما تطوقت منهم ٭ وكنت عليهم مشفقا متحننا

قال ابن عطية وصدر بقوله اي هزيلا من الثقل وهذا مثل لما كان يثقل
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم من اقداره اي من مقادير ما كلفه وقيل
المراد منه تخفيف اعبا بالفتح اثقال النبوة جمع عب بالكسر وبفتح الثقل
من كل شيء تنزيلا للمعقول منزلة المحسوسات التي يثقل الظهر القيام
بامرها فهو مجاز عن اتعاب صاحب له بحيث يصير كالحامل علي ظهره ما
يثقل عليه بحيث تناله مشقة عظيمة من ذلك وفسر القيام بقوله
موجبا تها والمحافظة علي حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط تفسير
لوضع عنه ثقلها بفتح القاف بان يسرها عليه حتى تيسرت له وهذا
عزاه عياض للماوردي والسلمي وقيل الوزر ما كان يكرهه من تغييرهم
لسنة الخليل دطريقة ابراهيم وكان لا يقدر علي منعهم الي ان قواه
الله وقال له اتبع ملة ابراهيم اي منعناك وحفظناك عن ملابسة الوزر
الذي انقض ظهرك لو كان ذلك الذنب حاصلا فسميت ذلك العصمة
فسمي العصمة وضعا مجازا ومن ذلك ما في الحديث انه عليه الصلاة
والسلام حضر وليمة فيها دف ومزامير قبل البعثة ليطة احدي المرتين
السابقتين لقوله هناك غير مرتين فضرب الله علي اذنه بالافراد علي
ارادة الجنس فما ايقظه ينبهه الا حر الشمس من الغد وقيل معناه ثقل شغل
سرك اي قلبك وخواطر قلبك وحيرتك تحيرك في ابتدا امرك وطلب
شريعتك بالرفع اي طلبك من الله ما يثبت بالوحي لتعمل به حتى شرعنا لك
ذلك بالوحي فاطمان قلبك وذهبت حيرتك حكي معناه القشيري كما في الشفا
وقيل معناه خففنا عنك ما حملت اي كلفت حمله ثقله من دعوة الخلق
وتبليغ امانة الرسالة التي لم تطق حملها الجبال بحفظنا لما استحفظت
اي تحت حفظنا ما امرناك بحفظه عليك مما عسر عليك القيام به وجعلنا لك قوة
وصبرا صبيرا ثقاله حقيقة وحفظ عليك اي منع عن الضياع منك فاديته
علي اتم وجه يمكن اداوه به ودفع ما ورد عليه انه اذا خففها لم تنقض ظهره
بقوله تبعا لعياض وتعين انقض ظهره علي هذا اي كاد اي قرب ينقضه
اي يعيبه ويثقله ولم ينقضه بالفعل ويكون ابقاره علي ظاهره فانه
انقضه بالفعل لكنه خفف عنه فكانه لم ينقضه قال القاضي عياض مبينا وجه
دفع ما ذكره لما تمسكوا به فيكون المعنى لو ضمنا عنده الي اخره علي قول من
جعل ذلك الوضع مصروفا لما قبل النبوة اهتمام النبي صلي الله عليه وسلم
خبر يكون بامور فعلها قبل نبوته اي اعتناؤه ببيان الله لحكمها حتى لا يكون
عنده هم وغم وحرمت عليه بعد النبوة ولم يكن مكلفا بها قبلها فعدها
اوزارا بعد ما حرمت باعتبار ما بعد النبوة وثقلت عليه واشفق خاف منها
من المواخذة بها لشدة مراقبته وخشيته لله فمعنى وضعها علي هذا اعلامه
بعدم المواخذة بها وانها ليست وزرا عليه بحالفه لانه لم يكن مكلفا بتركها وقيل
انها ذنوب امته صارت عليه كالوزر بجعل المعقول كالمحسوس فامنه الله

من عذابهم في العاجل بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ووعده الشفاعة في الآجل بنحو قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي واما قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال ابن عباس في ازالة الشبهة عن ظاهره المقتضي وقوع ذنوب ممن عليه يغفرانها مع انه لا ذنب اي انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان اي وجد فهي تامة فهو على طريق الفرض تطييبا له فلم يرد انه وقع ذنب فغفر بل لو فرض وقوعه وقع مغفورا واخرج ابن المنذر عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم الاية سر بذلك الكفار فانزل الله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقال بعضهم اراد غفران ما وقع قبل النبوة مما لا يواخذ به لانه لا شرع يلتزم احكامه ولا يصح ان المراد من الصغاير عند مجوزها لان السياق في دفع شبهة من جعل هذه الاية دليلا على وقوع الصغاير وما لم يقع بفرض وقوعه اي انك مغفور لك في الجاهلية فغاير كلام ابن عباس لانه فرض وتقدير لا غير وهذا على تجويز الوقوع لكن ان وقع كان مغفورا فهو كغيره من الانبيا ان وقع منهم لم يواخذوا به قطعا بخلاف الامة فتحت المشية وقيل المراد بما تقدم ما كان وقع منه عن سهو وغفلة والمراد بما تاخر ما صدر عن تاويل اي بيان لمعنى يحتمله النص فيحمله عليه باجتهاده ثم تبين له ان الصواب او الاولى خلافه لان التاويل بيان ما يول اليه فيناسب ما تاخر كما في شرح الشفا فلا حاجة لجعل الواو بمعنى او حكاه الطبري محمد بن جرير واختاره القشيري عبد الكريم بن هوازن ولعل المراد بغفران الثلاثة مع ان احاد الامة لا يواخذ بها عدم المواخذة بها باللوم على سبب الغفلة والسهو والنسبة الى التقصير بسبب التاويل المبني على شبهة لو فرض وقوعها بخلاف غيره فيواخذ بذلك وقيل ما تقدم لابيك ادم عليه السلام وما تاخر من ذنوب امتك فاللام للتعليل اي غفر لادم لاجلك لما توسل بك ولكونك من صلبه ولامتك لدعايك لانك رحمة لهم حكاه السمرقندي والسلمي بضم ففتح عن احمد بن عطا الادمي وحكاه الثعلبي عن عطا الخراساني قال السيوطي وهو ضعيف اما اولا فلان ادم نبي معصوم لا ينسب اليه ذنب البتة فهو تاويل يحتاج الى تاويل انتهى وتاويله بان المراد بتقدير انه ذنب او سماه ذنبا مجازا وان كان في الحقيقة ليس بذنب من باب حسنات الابرار سيات المقربين قال واما ثانيا فلان نسبة ذنب الغير الى غير من صدر منه بكاف الخطاب لا يليق واما ثالثا فلان ذنوب الامة كلها لم تغفر بل منهم من يغفر له ومنهم من لا يغفر له انتهى والجواب عن الثاني ان اللام في الاية للتعليل كما قلنا لا للتعدية وعن الثالث بان لا يغفر له يخفف عنه بالنسبة لما يواخذ به غيره على ذلك الذنب من بقية الامم فكانه غفر له وقيل المراد انه اي يغفر الله لامتك ما صدر ويصدر فالمراد بخطابه خطاب امته واضافة الذنب له لادنى ملابسة لانه يسوءه ما يسوءهم وهو الشفيع لهم قال شيخنا والمراد بالمغفرة

على هذا اما رفع العذاب عنهم مطلقا بالعفو فلا يعاقبهم على شي او بتخفيفه عنهم وذلك في حق من عذب للتطهير بما اقترفه وقال غيره المراد ان رحمة الله لهذه الامة اكثر من غيرها وقيل المراد بالذنب ترك الاولى وعد ذنبا لرفعة مقامه ونزاهته فلا تفعله كما لا يفعل الذنب الحقيقي ثم ان كان القصد من فعل خلاف الاولى او المكروه بيان انه جايز لا اثم فيه فعله وجوبا ان تعين طريقا للتعليم فيثاب عليه ثواب الواجب كما قيل قايله ابو سعيد الخراز رواه عنه ابن عساكر في ترجمته حسنات الابرار سيات المقربين لانه كلما ارتقى درجة عد ما قبلها سيئة وترك الاولى ليس بذنب لان الاولى وما يقابله مشتركان في اباحة الفعل وما ابيح ليس بذنب فاطلق عليه اسمه مجازا وفي التحفة استغفرك اطلب منك المغفرة اي ستر ما صدر مني من نقص ذنبا كان او غير ذنب فهي لا تستدعي سبق ذنب خلافا لمن زعمه قال شيخنا فلا حاجة للاعتذار عن تسمية خلاف الاولى ذنبا تعلقت به المغفرة وفيه نظر لتصريح الاية بلفظ ذنب فحمله على خلاف الاولى يحتاج للاعتذار ولفظ استغفرك ليس فيه من ذنبي فانما تنافي ما قاله لو قيل ليغفرك فقط وقال السبكي في تفسيره قد تاملتها يعني الاية بذهني مع ما قبلها وهو انا فتحنا لك فتحا مبينا وما بعدها وهو وينصرك الله نصرا عزيزا فوجدتها لا تحتمل الا وجها واحدا وهو تشريف النبي صلى الله عليه وسلم من غير ان يكون هناك ذنب حاشاه ولكنه اريد ان يستوعب في الاية جميع انواع النعم من الله على عباده الاخروية صفة النعم وجميع النعم الاخروية اظهار في مقام الاضمار لتبيين غاية البيان شيان سلبية وهي غفران الذنوب اي من حيث هي وان لم يكن للمخاطب ذنب لانه لو لم يذكر غفرانها لكان فيه ترك استيعاب جميع انواع النعم وثبوتية وهي لا تتناهى اشار اليها الى الثبوتية بقوله ويتم نعمته عليك وجميع النعم الدنيوية شيان دينية اشار اليها بقوله ويهديك صراطا مستقيما طريقا يثيبك عليه وهو دين الاسلام ودنيوية وان كانت هناك المقصود بها الدين هذا اسقطه من السبكي محشي نقل قوله وهي قوله وينصرك الله نصرا عزيزا لا ذل معه وقدم الاخروية على الدنيوية وقدم في الدنيوية الدينية على غيرها تقديما للاهم فالاهم هكذا في تفسير السبكي قبل قوله فانتظم بذلك تعظيم قدر النبي صلى الله عليه وسلم باتمام انواع نعم الله تعالى عليه المتفرقة في غيره ثم يحتمل رجوع جوابه باخره الامر الى قوله ابن عباس انه لو كان ضرورة الخطاب والاضافة في الاية والاظهر ان مراد السبكي ان المعنى سنعك من الذنب فلا يواقعه اذ الغفر الستر والغطا وعلى هذا فلا حاجة الى تقدير ان لو كان وقد قال العلامة البرماوي في شرح البخاري المعنى والله اعلم اي حال بينك وبين الذنوب فلا تاتيها لان الغفر الستر وهو اما بين العبد والذنب واما بين الذنب وبين عقوبته فاللايق بالانبيا الاول وباممهم الثاني انتهى ونحوه

قوا بعض المحققين المغفرة هنا كناية عن العصمة فمعنى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر ليعصمك فيما تقدم من عمرك وفيما تاخر منه قال السيوطي وهذا
القول في غاية الحسن وقد عد البلغا من اساليب البلاغة في القرآن انه يكني عن
التخفيفات بلفظ المغفرة والعفو والتوبة كقوله تعالى عند نسخ قيام الليل علم
ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقروا ما تيسر منه وعند نسخ تقديم الصدقة بين
يدي النجوي فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم وعند نسخ تحريم الجماع ليلة الصيام
فتاب عليكم وعفا عنكم ولهذا جعل ذلك غاية للفتح المبين وهو صلح الحديبية
او مكة نزلت مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه
او فتح خيبر او غير ذلك اقوال ارجحها عند قوم الاول وتقدم بسطه في غزوة الحديبية
الذي عظمه وفخمه باسناده اليه تعالى بنون العظمة بقوله انا فتحنا وجعله
خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم بقوله لك كانه قيل لا لغيرك واشار بهذا
الي جواب ان المغفرة ليست سببا للفتح اذ السبب ما يلزم من وجوده وجوده
غيره والمغفرة التي هي عدم المواخذة بالذنب لا يستدعي الفتح وحاصل الجواب
ان اللام علة غائية اي ان الفتح لما فيه من مقاسات الاهوال مع الكفار جعل
سببا للمغفرة واتمام النعمة والنصر العزيز وفي البيضاوي وهي علة للفتح من حيث انه
تسبب عن الجهاد والسعي في اعلا الدين وازاحة الشرك وتكميل النفوس الناقصة
قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من ايدي الظلمة وقد سبق
الي نحو هذا ابن عطية لفظ السبكي ولفظه ان وقفت علي هذا المعنى وجدت
ابن عطية قد وقع عليه فقال بعد ان حكي قول سفيان الثوري ما تقدم قبل
النبوة وما تاخر بعد كل شي لم يعمله وهذا ضعيف وانما المعني التشريف
بهذا الحكم وهو استيعاب جميع انواع النعم ولم يكن له ذنوب البتة واجمع العلما
علي عصمة الانبيا من الكباير والصغاير التي هي رذايل واختلفوا هل وقعت من
محمد صلى الله عليه وسلم او لم تقع وحكي الثعلبي عن عطا الخراساني ما تقدم من ذنب
ادم وحوا ببركتك وما تاخر من ذنوب امتك بدعائك وقال بعضهم ما تقدم
قوله يوم بدر اللهم ان تهلك هذه العصابة لم تعبد وما تاخر قوله يوم حنين لن
تغلب اليوم من قلة وهذا كله معترض بهذا الكلام ابن عطية برمته قال السبكي وقد
وقع فيما قال فقوله المعنى هو قال اي السبكي لا ابن عطية كما توهم فانه خلاف الواقع
اذ ابن عطية ليس فيه كما رايت قوله وعلي تقدير الجواز لا شك ولا ارتياب
انه لم يقع منه صلى الله عليه وسلم والذي اوقعه في هذا الوهم ان السبكي لما
نقل قول ابن عطية اختلفوا هل وقع من محمد الي اخره عقبه بقوله قلت لا شك
فظن ان قلت من جملة نقله وليس كذلك بل زيادة فصلها بلفظ قلت وكيف يتخيل
خلاف ذلك اسقط من قول السبكي واحواله عليه الصلاة والسلام منقسمة الي
قول وفعل اما القول فقال تعالى وما ينطق عن الهوي اي هوي نفسه ان
هو الا وحي يوحي واما الفعل فتتميم قول السبكي اما القول وكانه سقط من
المصنف سهوا او من نساخه فاجماع الصحابة علي اتباعه والتاسي

الاقتدا

الاقتدا به في كل ما اي شي يفعله من قليل او كثير او صغير او كبير لم يكن
عندهم في ذلك توقف ولا بحث حتى اعماله في السر والخلوة
يحرصون علي العلم بها وعلي اتباعها علم بهم او لم يعلم كابن عمر لما سال بلالا
هل صلى المصطفى لما دخل الكعبة ولما راه يقضي الحاجة مستقبلا فافتي بذلك
وغير ذلك مما وقع له ولغيره ومن تامل احوال الصحابة معه صلى الله عليه
وسلم وما عرفوه وشاهدوه منه في جميع احواله من اوله الي اخره استحيى
من الله ان يخطر بضم التحتية من اخطر ليكون من فعله ببال خلاف ذلك
لا بفتحها من خطر لصدقه بخطوره دون فعله ومثله لا يواخذ به انتهي كلام
السبكي زاد ابه قول الزمخشري معنى الاية جميع ما فرط منك وقال مقاتل ما
كان في الجاهلية وقال سفيان الثوري ما عملت في الجاهلية وما لم تعمل ورده
السبكي بانه صلى الله عليه وسلم ليست له جاهلية وقيل ما كان قبل النبوة ورده
بانه معصوم قبلها وبعدها وقيل ما تقدم حديث مارية وما تاخر امراة زيد قال
وهذا باطل ممن اعتقد ان في قصتها ذنب فقد اخطا وقيل غير ذلك مما زيف كله
وللسيوطي في ذلك وريقات سماها القول المحرر واما قوله تعالى يا ايها
النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين روي جويبر عن الضحاك
عن ابن عباس قال ان اهل مكة منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا
النبي صلى الله عليه وسلم الي ان يرجع عن قوله علي ان يعطوه شطر اموالهم
وخوفه المنافقون واليهود وان لم يرجع قتلوه فانزل الله يا ايها النبي اتق الله
الاية فلا مرية لا شك في صرفها عن ظاهرها وذلك انه صلى الله عليه وسلم
اتقي الخلق بالنصوص القطعية والاجماع والامر بالشي لا يكون الا عند عدم
اشتغال المامور بالمامور به اذ لا يصلح ان يقال للجالس اجلس ولا للساكت
اسكن فامره بالتقوي امر بتحصيل الحاصل وهو محال ولا يجوز عليه عليه ان لا
يبلغ ما اوحي اليه ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا ان يطيع
الكافرين والمنافقين لا عقلا ولا نقلا حاشاه الله من ذلك وهذا كله
تصوير للاشكال والجواب انه انما امره الله بالتقوي توجب استدامة الحضور
في مقام المشاهدة والقرب اللايق بكماله فامره باستدامة ذلك امر بما لم
يكن حاصلا واجاب عياض بانه ليس في الاية انه اطاعهم والله سبحانه ينهاه
عما شاء ويامره بما شا كما قال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم وما كان طردهم
وما كان من الظالمين انتهي وهو مبع للاشكال من اصله وان انبناه انما هو علي
عرف امر الخلق وخطابهم والله تعالى ليس كذلك فله ان ينهي من لم يقع منه خلافه
ويامر بما لم يقصد من المامور خلافه وهذا جواب حسن وياتي هنا المعني بمعناه
واجاب بعضهم عن هذا الاشكال ايضا بانه صلى الله عليه وسلم كان
يزداد علمه بالله ومرتبته منزلته العلية حتى كان بالتشديد حاله عليه
الصلاة والسلام فيما مضي بالنسبة الي ما هو فيه الان مما يجد تركه
للافضل خبر كان فكان له في كل ساعة تقوي بتجدد فتورثه زيادة

العلم وغيره من الكمالات فكانه معني اتق الله دم علي طلب الازدياد من العلوم
والكمالات وقيل المراد دم واظب علي التقوي فانه يصح ان يقال للجالس
اجلس ههنا الي ان اتيك وللساكت قد اصبت فاسكت تسلم اي دم
علي ما انت عليه قال ابن عطية معناه دم علي التقوي ومتي امر باخر بشي
وهو ملتبس به فانما معناه الدوام في المستقبل علي مثل هذه الحالة الماضية وقيل
الخطاب مع النبي صلي الله عليه وسلم والمراد امته ويدل عليه قوله تعالي
ان الله كان بما تعملون بالتاء والياء خبيرا ولم يقل بما تعمل وعلي الاول فقال
ابن عطية هو تسلية له صلي الله عليه وسلم اي لا عليك منهم ولا من ايمانهم فالله
عليم بمن يتبعك حكيم في هدي من شاء واضلال من شاء ثم امره باتباع ما يوحي اليه
وهو القران الحكيم والاقتصار علي ذلك وفي قوله ان الله كان بما تعملون خبيرا توعد ما
وقرا ابو عمرو وحده تعملون بالتاء والتوعد علي هذه القراءة للكافرين
والمنافقين انتهي واما قوله فلا تطع المكذبين قال ابن عطية يريد
قريشا لانهم قالوا للنبي صلي الله عليه وسلم لو عبدت الهتنا وعظمتها لعبدنا
الهك وعظمناه ودوا ان يداهنهم ويميل الي قولهم فيميلوا هم ايضا الي قوله
ودينه والمداهنة الملاينة فيما لا يحل والمداراة الملاينة فيما يحل فاعلم انه تعالي
لما ذكر ما عليه الكفار في امره صلي الله عليه وسلم ونسبته الي ما نسبوه
اليه من الجنون نافيا ذلك عنه بالقسم بقوله ن والقلم وما يسطرون ما انت
بنعمة ربك بمجنون مع ما انعم الله به عليه من الكمال الظاهر لكل احد من
امر الدين والخلق العظيم بقوله وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلي خلق عظيم
اتبعه بما يقوي قلبه ويدعوه الي التشديد مع قومه المكذبين بالدين
ويقوي قلبه بذلك مع قلة العدد الذين معه من المسلمين وكثرة الكفار
فان هذه السورة من اوايل ما نزل فقال فلا تطع المكذبين فنهاه وان
كان لم يقع منه طاعة لهم تقوية للقلب ليذهب عنهم عنه خوفهم الضعف للقلب
فيظهر دين الله بلا خوف والمراد روسا الكفار من اهل مكة وذلك انهم دعوه
الي دينهم علي ان يميلوا الي دينه فلم يفعل فنهاه الله ان يطيعهم وهذا من الله
تهييج للتشديد في مخالفتهم لان النهي عما لم يقع يقوي تصوبيه والمقاومة
علي عدمه واما قوله تعالي فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص
فرضا فاسال الذين يقرءون الكتاب التوراة من قبلك فانه ثابت عندهم
يخبرونك بصدقه الاية اشارة الي ان الشبهة في تمامها ايضا وهو لقد جاءك الحق
من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون
من الخاسرين فاعلم ان المفسرين اختلفوا في من المخاطب بهذا فقال
قوم المخاطب به النبي صلي الله عليه وسلم ولا ضير فيه لانه شرط لم يقع
نحو لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وعلي سبيل الفرض وهذا احسن وقال اخرون
المخاطب به غيره فاما من قال بالاول فاختلفوا علي وجوه الاول ان
الخطاب مع النبي صلي الله عليه وسلم في الظاهر والمراد به غيره قال

بكذ

بكذبين العلا الانزاه فيقول ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله وهو كان
المكذب بلفظ اسم المفعول كقوله تعالي يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن
لعدتهن فان المخاطب بذلك هو والمراد غيره لانه اذا طلق انما يطلقهن
لعدتهن وقول البيضاوي خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداوه
كندائهم ولان الكلام معه والحكم يعمهم والمعني اذا اردتم تطليقهن علي تنزيل
المشارف له منزلة الشارع فيه لا يجاب عنه لانه وان كان الحكم يعم لكنه لم يقصد بالخطاب
لانه لا يفعله كما علم كيف وفيه قوله واتقوا الله ربكم فيكون في حقه تحصيل الحاصل
ورد شيخنا كلام المصنف لظاهر البيضاوي بان المراد غيره بخصوصه فيصدق
بما اذا كان المراد هو وغيره لانه مع غيره غيره بخصوصه لا يليق لما علم
وقوله لئن اشركت ليحبطن عملك اي يفسد ويسقط عن الاعتبار ويبطل
من حبطت الدابة اذا افرطت في الرعي حتي ماتت وانتفخت وجعل هذه الاية
مشبها بها لانها اظهر في التعليق بالمحال لان الخطاب فيها للرسل كلهم اذ ولقد
اوحي اليك والي الذين من قبلك وافرد لان المراد كل واحد منهم وهم
مبرون عن الشرك فالمراد اممهم ممن يجوز عليه الشرك تعريضا وتهييجا لهم
حتي ينتهوا عنه وكقوله لعيسي بن مريم اانت قلت للناس اتخذوني
وامي الهين من دون الله صفة لالهين او صلة اتخذوني ومعني دون
المغايرة تنبيها علي ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع
عبادتهما انما عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعبدوا استحقاقهما للاستقلال
بالعبادة وانما زعموا انها توصل الي عبادة الله وكانه قيل اتخذوني وامي
الهين متوصلين بنا الي عبادة الله قاله البيضاوي ففي التنظير بهذه الاية
شي فانه لم يخاطب عيسي مريدا غيره بل توبيخ الكفرة لا خطابهم خصوصا
وذلك يوم القيامة ومثل هذا معتاد واقع كثيرا في القران وكلام العرب
وهو باب واسع يسمونه التعريض والتلويح وله نكات ومقاصد جليلة كحمله علي
الاذعان والقبول واطفاء نار الغضب والحمية فان السلطان اذا كان له امير
وكان تحت راية الامير جمع فاراد ان يامر الرعية بامر مخصوص
يعادون الامير فانه لا يوجه خطابه اليهم بل يوجهه الي ذلك الامير
ليكون ذلك اقوي تاثيرا في قلوبهم فيبادروا الفعل الامر الثاني قال الفراء
لقب ليحيي بن زياد الكوفي نزيل بغداد النحوي المشهور المتوفي سنة
سبع ومايتين لانه كان يفري الكلام فريا علم الله تعالي ان رسوله صلي الله
عليه وسلم غير شاك قال عياض احذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره
بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره من اثبات شك له فيما اوحي اليه وانه من البشر
فمثل هذا لا يجوز حمله عليه بل قد قال ابن عباس وغيره ونحوه عن ابن جبير
والحسن وحكي قتادة ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسال وعامة
المفسرين علي هذا ولكن هذا كما يقول الرجل لولده ان كنت ابني فبرني
ولعبده ان كنت عبدي فاطعني في التنظير بهذا نظر فانما يقول الرجل

ذلك لوله وعبده اذ استشعر منهما نوع تقصير في حقه والنبي صلي الله
عليه وسلم لا تقصير عنده في حق الله حتي يخاطبه بما يوهم لوما حاشاه من ذلك
وقد يجاب بان التنظير به من حيث انه يخاطب به مع علمه انه لا شك عنده من
غير ملاحظة لوم علي تقصير وان كان هو عليه السلام نسب التقصير لنفسه
بنحو قوله لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت علي نفسك الثالث ان يقال لضيق
الصدر شاك فالمعني انه يقول ان ضقت ذرعا صدرا بما تعاني من تقاسي
من تعنتهم واذاهم فاصبروا سال الذين يقرون الكتاب من قبلك كيف
صبر الانبيا علي اذي قومهم وقد قال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وكيف كان عاقبة امرهم من النصر علي الكافرين فالمراد تحقيق ذلك
والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيها المعاني
الذي اشتمل عليها ما جا في الكتب فضمير فيه راجع لما وضع ذلك رعاية للفظ
ما وان كان مدلولها متعددا او توبيخ الرسول عليه الصلاة والسلام اشارة
وزيادة تثبيته قال البيضاوي وفيه تنبيه علي ان من خالطته شبهة
في الدين ينبغي ان يسارع الي حلها بالرجوع الي اهل العلم او يكون علي سبيل
الفرض والتقدير اي لان فرض وقدر وقوع ذلك منك لا امكان وقوع الشك
له لان هذه الشرطية غير ممكنة ولذلك قال صلي الله عليه وسلم لما نزلت
هذه الاية والله لا اشك ولا اسال رواه ابن جرير عن قتادة مرسلا
لكن بدون قسم وقيل المراد قل للشاك ان كنت في شك من دينيي وفي السورة
نفسها ما تدل علي هذا التاويل قوله تعالي قل يا ايها الناس ان كنتم في شك
من ديني الاية وقيل هو تقدير كقوله اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله وقد علم سبحانه انه لم يقل ذلك وقيل معناه ما كنت في شك
فسال تزداد طمانينة وعلما الي علمك ويقينا الي يقينك وقيل معناه ان
كنت تشك فيما شرفناك واعطيناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك في الكتب
ونشر فضايلك وقيل المراد ان كنت في شك من اعتقاد غيرك فيما انزلناه حكاية
عن الشفا واما الوجه الثاني وهو ان المخاطب غيره صلي الله عليه وسلم
فتقريره ان الناس كانوا في زمانه فرقا ثلاثة فريق منهم المصدقون
به وفريق منهم المكذبون له وفريق المتوقفون في امره الشاكون
فيه صفة كاشفة لمعني المتوقفون فخاطبهم الله تعالي بهذا
الخطاب فقال تعالي فان كنت في شك ايها الانسان مما انزلنا
اليك من الهدي علي لسان نبينا محمد صلي الله عليه وسلم
فاسال اهل الكتاب ليدلوك علي صحة نبوته فليس هو
مخاطب اصلا وهذا مثل قوله يا ايها الانسان ما غرك بربك
الكريم الذي حتي عصيته يا ايها الانسان انك كادح جاهد في
عملك الي لقا ربك وهو الموت ومثل قوله فاذا مس الانسان ضر
دعانا وفي نسخة واذا مس الانسان ضر بالواو وهي اية قبل هذه

في سورة الزمر جواب شرطها دعا ربه منيبا اليه فالمراد بالانسان
هنا في الايات الثلاثة الجنس لا انسان بعينه وكذا هنا في لين اشركت
ليحبطن عملك خطاب لكل من يصح ان يحبط عمله لا المخاطب بعينه
لما ذكر الله تعالي ما يزيل ذلك الشك عنهم ما حذرهم من ان
يلحقوا بالقسم الثاني وهم المكذبون فقال ولا تكونن من
الذين كذبوا بايات فتكون من الخاسرين واما قوله تعالي
الذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه اي القران منزل من ربك ملتبسا
بالحق ونسب العلم لجميعهم لعلم احبارهم به وتمكن باقيهم من ذلك بادني تامل
فلا تكونن من الممترين الشاكين فيه اي من هذا النوع فهو ابلغ من لا تمتر
وحذف جواب اما للعلم به من السوابق واللواحق وهو فليس المراد انه صلي الله
عليه وسلم شك فيما ذكر اول الاية وهي افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل
اليكم الكتاب مفصلا بل المعني اي في انهم لا يعلمون ذلك وصوابه اسقاطه
لان المعني لا يستقيم علي وجودها ولفظ الشفا اي في علمهم بانك رسول الله وانهم
يقروا بذلك وليس المراد به شكه صلي الله عليه وسلم فيما ذكر في اول الاية
وفي الانوار فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود
اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او يكون
المراد قل لمن امتري يا محمد متعلق بقل قدم عليه متعلقه لا تكونن من
الممترين في ان القران نزل عليك من الله وايدك بمعجزاته فليس الخطاب له
وانما المراد انه صلي الله عليه وسلم يخاطب به غيره من الكفار قاله
عياض ويدل عليه قوله اول الاية افغير الله ابتغي حكما الاية وقيل غير ذلك
فقيل الخطاب له والمراد غيره والقصد به تقرير الكفار بانه حق وقيل الخطاب
لكل احد علي معني ان الادلة لما تعاضدت علي صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه
واما قوله ولو شا الله لجمعهم اي جعل الناس كلهم مجتمعين متفقين
علي الهدي بعد انهم للعقايد الحقة واتباع الشريعة اللازمة فلا يضل احد
منهم عن الطريق المستقيم فلا تكونن من الجاهلين فيتوهم عن ذلك
يوهم انه لم يحط به وهو منزه عنه فقال القاضي عياض لا يلتفت
مبنيا للمفعول اي لا يتوجه التفات نظر الي قول من قال من المفسرين لا تكونن
ممن يجهل ان الله تعالي لو شا لجمعهم علي الهدي باسناده
الجهل مشيئة الله اليه اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله
تعالي وهي قدرته وعلمه وذلك لا يجوز علي الانبيا لعلمهم بالله
وصفاته والمقصود والمقصود اي المعني المراد وعظهم اي الامة اي
ارشادهم وتنبيههم علي ان لا يتشبهوا في امورهم بسمات الجاهلين
اي لا يتصفوا بصفاتهم من عدم الصبر والحرص علي سرعة المراد مما هو شان
الجهلة وليس في الاية دليل علي كونه علي تلك الصفة التي نهاه الله
عن الكون عليها وعليه فالخطاب له والمراد غيره وامره الله تعالي

تعالى بالتزام الصبر على اعراض قومه بقوله وان كان كبر عليك اعراضهم
الاية المختومة بالنهي فالمراد بالامر ما يلزم النهي وقد امر بالصبر صريحا في ايات
في قوله فاصبر كما صبر اولوا العزم ولا تحرج من الحرج ضيق الصدر عند ذلك
اي عند اعراضهم عنه هكذا ضبط شراح الشفا ويقع محرفا في نسخ المصنف وكر
بخروج عن ذلك من الخروج فمشى عليه الشارح فقال ابي والتزام عدم خروجه
عن ذلك فيقارب حاله حال الجاهل بشدة التحسر التاسف والندم
بسبب اعراضهم حكاه ابو بكر بن فورك بضم الفاء العلامة الشهير تقدم غير
مرة وقيل معنى الخطاب لامته صلى الله عليه وسلم لا له فهو نحو نوع
اي فلا تكونوا من الجاهلين اي بمن انتمى بعضنا نعم حكاه ابو محمد
وفي نسخة ابو بكر وهي خطا فكنيته ابو محمد مكي بالميم ابن ابي طالب
تقدم ايضا قال مكي ومثله في القران كثير يخاطب المصطفى والمراد امته
وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض وهم الكفار ربوا فقد ما هم عليه
يضلوك عن سبيل الله مع انه علم انه لا يطيعهم والمراد غيره وان كان
الخطاب له فهو تعريض كما قال تعالى خطابا لغيره يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فهو مويد ان المراد بالخطاب
في تلك الاية غيره لان القران يفسر بعضه وقوله تعالى ان يشا الله
يختم يربط على قلبك وقد علم انه لا يشاء ذلك فالمراد غيره والتنظير
بهذه بنا على ان المراد الربط المذموم اما على ان المعنى يربط بالصبر على
اذاهم بالصبر على قلوبهم افتراه وغيره وقد فعل فليست مما الكلام فيه
ولئن اشركت ليحبطن عملك وقد علم سبحانه انه لا يشرك فالمراد غيره
وما اشبه ذلك كقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان
فعلت فانك اذا من الظالمين وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وقوله
لاخذنا منه باليمين فالمراد غيره تعريضا وايقاظا وان هذه حال
من اشرك بالله لا حالة والنبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز
عليه هذا ولا بد من تاويله هذا وان الله سبحانه نهاه نهاه عما شا
وان لم يكن وقوعه منه ويامره بما شا وان استحال عليه تركه نحو اتق الله
فله ان يامر نبيه بما يمتنع ان يعامل به غيره كما قال تعالى له ولا تطرد
الذين يدعون ربهم اي يعبدونه بالغداة والعشي وما كان
طردهم عليه السلام عن مجلسه وما كان من الظالمين اي معدن
ظلمهم بطردهم لانه لم يقع منه ذلك روى ابن حبان والحاكم عن سعد بن ابي
وقاص قال لقد نزلت هذه الاية فينا ستة انا وعبد الله بن مسعود
واربعة قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اطردهم فانا نستحي
ان تكون تبعا لك لهولا فوقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم فانزل
الله ولا تطرد الى قوله اليس الله اعلم بالشاكرين وفي حديث ابن مسعود
عند احمد وغيره ان الاربعة خباب وصهيب وبلال وعمار وانما هم بذلك

رجا اسلام قومه مع ان ذلك لا يضر اصحابه لعلمه باحوالهم ورضاهم بما يريد ه
واما قوله تعالى نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القران
وان كنت من قبله لمن الغافلين فليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا
غافلون اي دلايل وحدانيتنا غافلون تاركون النظر فيها لانه صلى الله عليه وسلم
معصوم من هذه الغفلة وانما المعنى لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه
الصلاة والسلام اذ لم يخطر ببالك ولم يقرع سمعك قط فلم تعلمها
الا بوحينا والغفلة عن مثل ذلك مما لا يعلم الا بالنقل لا نقص فيه وفي التعبير
بالغفلة اشارة الى شدة استعداده للعلم بما لم يعلم حتى كانه كان عالما به ونسيه
روى ابن جرير عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا فانزل
الله نحن نقص عليك احسن القصص وروى ابن مردويه عن ابن مسعود مثله
واما قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية من
الشيطان الرجيم مع عصمته من تسليطه عليه باذاية او وسوسة وان كانت
ان الشرطية لا تقتضي الوقوع فمعناه يستخفنك غضب يحملك على ترك
الاعراض عنهم فهي راجعة لقوله قبلها واعرض عن الجاهلين اي لا تكافي السفها
الذين يغضبونك بمثل افعالهم واعرض عنهم فهذه الاية كما قيل جامعة لمكارم
الاخلاق ولذا قال له جبريل لما ساله عنها ان الله تعالى امرك ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك فهذا من مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال
لا من شي بسببه فالغضب على الجاهل وجزاوه بمثل فعله منا دباله لا يبعد من
نزغ الشيطان والاستعاذة مشروعة عند الغضب فليست الاية منسوخة باية
القتال كما قيل والنزغ ادنى اقل حركة تكون توجد كما قاله الزجاج وفي الانوار
النزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراءهم على المعاصي وازعاجا
بغرز السابق ما يسوقه وقيل النزغ في الاية الفساد فاصل معناه الطعن ثم شاع
استعماله في كل مفسد لقوله من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد
ما بيني وبينهم وقيل معناه يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره
الله انه متى تحرك عليه غضب على عدوه لسو ما وقع منه او رام الشيطان
من اغرايه به بحثه على قتله وقراته بفتح وزاي معجمة وراي ايقاعه
معجمتين تصحيف وخواطر ادنى اقل وساوسه جمع وسواس مالم يجعل له
سبيل اليه لعصمته مفعول رام اي يستعيذ به تعالى منه فيقول اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم ولا يطيعه ويفعل بنزغه فيكفي امره بصرفه عنه ويكون
ذلك سبب تمام عصمته لانها من مجرد الخاطر نهاية الحفظ والمنع اذ الخطور بالبال
لا يضرهما اذ لم يسلط الشيطان عليه باكثر من التعرض له فضلا عن التمكن
منه وايصال اذيته له ولم يجعل له قدرة عليه فيرجع خايبا خاسرا وكذلك
لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك بان يتمثل بمثاله ويقول
انا ملك ارسلني الله اليك لحفظ الله تعالى له عنه ويلبس بزنة يخلط ومعناه
عليه امره لا يقع ذلك لا في اول الرسالة اي اول دعوة الخلق الى الله ولا

بعدها الظاهر بعده اي بعد الاول واسقط من عياض قوله والاعتماد في ذلك
دليل المعجزة اي اعتماده في ان ذلك وحي دليل على انه معجزة له او هو يعتمد على
ما ظهر له من المعجزة كتسليم الحجر والشجر بل لا يشك النبي اي نبي كان نبيا باير
الانبيا ان ما ياتيه هو الملك ورسوله اليه حقيقة بلا شك اما بعلم ضروري
يخلقه الله له بديهي لا يحتاج لدليل لعدم تردده فيه او ببرهان دليل قطعي يظهره
لديه مما يشاهده من الايات كنطق الحجر وتسليم الشجر كما قدمناه في المقصد
الاول عند ذكر البعثة وكذلك لتتم كلمة ربك بتبليغ احكامه ومواعيده
صدقا في خبره له ومواعيده وعدلا ما حكم به من الاحكام التي بلغها وهذا تمييز ان
محولان عن الفاعل او حالان لا مبدل لكلماته اي لا يمكن تغييرها ولا ينسخ بعد ما
بلغت غاية لا تقبل الزيادة عليها ولذا كانت شريعته صلى الله عليه وسلم اخر
الشرايع وهذا التعليل لحفظه من تصور الشيطان بصورة ملك فيكون ما يلقنه
تخليط قابل للتبديل ولذا اعقبه بقوله واما قوله وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي عطف عام على خاص فيفيد ان المراد بالارسال الايحا وفايدة
ذكره النبي غير الرسول لا سيما من لا اتباع له ان كل نبي يجب عليه اعلام غيره بانه
نبي لئلا يحتقر حينئذ فيتطرق لسماع تلاوته ووعظه فيلقي الشيطان ذلك
للتلبيس الا اذا تمنى الخ القى الشيطان في امنيته الاية فظاهره ان
الشيطان يخلط عليهم الوحي عند التلاوة فيخالف ما قبله واجيب عن ذلك
باجوبة فاحسن ما قيل فيها ما عليه الجمهور اي جمهور المفسرين اي
اكثرهم ان التمني المراد به هنا التلاوة كقول حسان
تمنى كتاب الله اول ليلة ... تمني داود الزبور على رسل
ومنه قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وليس
تمنى هنا تفعل من منى بمعنى قدر كقوله
لا تامنن وان امسيت في حرم ... حتى تلاقي ما تمنى لك المان
اي ما قدره لك المقدر والتمني امر يقدره المرء في نفسه والظاهر تفسير التلاوة
هنا بالقراة ليشمل المواعظ والحكم والاذكار والدعا فان الشيطان كما يتسلط
على قاري القران يتسلط على الذاكر ونحوه وان كانت القصة انما كانت عند
قراته لسورة النجم التي هي سبب نزول وما ارسلنا الاية كذا قال الشارح
ولا دخل في ذلك للاستظهار مع كون النص التمني والامنية المفسر بالتلاوة
فلا يقاس عليه غيره وتعليله بتسلط الشيطان على الذاكر ونحوه من حيث
هو لا ينهض هنا كما لا يخفى والقى فنصبه عطفا على التمني وخفضه
على ضميره به اي والمراد بالقا الشيطان فيها اي امنيته اي متلوه اشغاله
الذي في الشفا شغله كمنعه شغلا ويضم واشغله لغة جيدة او قليلة
او رديه والمصدر مضاف للفاعل اي اشغال الشيطان التالي بخواطر
امور دنيوية تخطر على قلبه فتشغله عما تلاه واذكار بذال معجمة
جمع ذكر بالكسر والضم احاديث قلبية فيساوي نسخه وافكار بالفا

من اسم

من

من امور الدنيا بيان لهما للتالي صفة لخواطر واذكار اي كاينة وعارضة
ومتعلقة باشغاله حتى يدخل الشيطان عليه الوهم والنسيان فيما تلاه بفهم غير المراد
من المتلو والنسيان الواو بمعنى او فيما تلاه بنا على جواز ذلك على الانبيا
اما على الاصح من منعه فيقال حتى يدخل على افهام السامعين
عطف على اشغال من عطف المصدر المؤول على المصدر الصريح فكانه قيل
الفاه واشغاله او ادخاله له او يدخل غير ذلك الوهم والنسيان على افهام السامعين
بين المخبر بقوله من التحريف لما تلاه عليهم وسوء التاويل
تحريف ما سمعوه ما يزيله الله مفعول الفا وينسخه يحوله من الباطل الى
الحق ويكشف لبسه بزيله ويبينه ويحكم اياته يحققها ويظهرها قاله
القاضي عياض في الشفا وقد تقدم في المقصد الاول مزيد لذلك
بفوايد نفيسة قال في الشفا بعد هذا التعليل واما قوله عليه الصلاة
والسلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي لما عاد من خيبر او الحديبية
او بطريق تبوك روايات وقد اختلف هل كان النوم مرة او مرتين ورجحه
عياض وتبعه النووي ومر هذا الحديث مبسوطا وغيرها في خيبر ان هذا
واد به شيطان لفظ الموطا ولمسلم ان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان
فليس فيه صريحا ذكر تسلطه عليه اذ لا يتعدى على قرب سرادق حمايته
وعصمته ولا وسوسته له لعصمته ونزاهته عن مثله بل ان كان ذكر
في الحديث ما يوهم تسلطه عليه بمقتضى ظاهره فقبل التامل فيه منهم
انتقال عن لفظ صريحا المقدر فكانه قيل سلمنا انه ليس صريحا فهو ظاهر
في ذلك والشبهة يكتفى في ايرادها بمقتضى الظاهر فدفع ذلك بانه لا يصح
الحمل هنا على مقتضى الظاهر لانه صلى الله عليه وسلم بين ان ذلك الظاهر
ليس بمراد كما افاده بقوله فقد بين كشف عليه السلام امر ذلك الشيطان
بقوله فيما رواه مالك عن زيد بن اسلم مرسلا ان الشيطان اتى بلالا
وهو قايم يصلي نفلا بالسحر فاضجعه وفي حديث ابي قتادة في الصحيح
سرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فقال بعض القوم يا رسول الله
لو عرست بنا فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال انا اوقظكم فنام
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وفي مسلم فصلى بلال ما قدر له ثم
استند الى راحلته وهو مقابل الفجر فغلبته عيناه وفي حديث زيد بن
اسلم ووكل بلالا ان يوقظهم للصلاة فرقد بلال ورقدوا فلم يزل يهديه
بضم التحتية وسكون الها وكسر الدال مخففة ويا ساكنة قال ابن عبد البر
اهل الحديث يروون هذه اللفظة بلا همز واصلها عند اهل اللغة الهمز وقال
في المطالع هو بالهمز اي يسكنه وينومه من هدات الصبي اذا وضعت يدك
عليه لينام ورواه المهلب بلا همز على التسهيل ويقال ايضا تهده بتنوين
وروي يهدي يهدهده من هدهدت الام ولدها لينام اي حركته
كما يهدي الصبي الصغير في مهده حتى نام بلال وفي هذا

ما نيس لبلال واعتذار عنه وانه ليس باختياره فاعلم النبي صلى الله عليه
وسلم الناس بهذا القول ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان
على بلال الموكل بكلاه بكسر الكاف وكسر اللام والمد والهمز اي بحراسة
الفجر وقد تبدل همزته كما في النهاية وغيرها وفي لغة بفتح الكاف واللام
والقصر وضمن معنى المراقبة اي مراقبة طلوع الفجر ليوقظهم وقيل المراد
كلاه صلاة الفجر بتقدير مضاف وله وجه وجيه هذا المذكور ان ظاهره
تسليط الشيطان وصرفه الى بلال ان جعلنا قوله هذا واد به
شيطان تنبيها مفعول له على سبب النوم على الصلاة وهو تفويت الموكل
بحراسة الوقت واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي وعلة
لترك الصلاة به مع ان الاصل في قضا الفائتة بعذر المبادرة بفعلها وقد
امرهم بالارتحال وهو دليل اي مدلول اي ما يستفاد من مساق بفتح الميم مصدر
بمعنى سياق كما في النسيم او بمعنى سوق كما في الانوار حديث زيد بن اسلم
في الموطا قال عرس صلى الله عليه وسلم ليلة بطريق مكة ووكل بلالا ان
يوقظهم للصلاة فرقد بلال ورقدوا حتى استيقظوا وقد طلعت عليهم
الشمس فاستيقظ القوم وقد فزعوا فامرهم صلى الله عليه وسلم ان يركبوا حتى
يخرجوا من ذلك الوادي وقال ان هذا واد به شيطان فركبوا حتى خرجوا من
ذلك الوادي ثم امرهم ان ينزلوا وان يتوضوا وامر بلالا ان يوذن بالصلاة
او يقيم فصلى بالناس الحديث وعلى ما يفيده سياقه هذا فلا اعتراض به
في هذا الباب المعقود في ان الشيطان لا يتسلط له على الانبيا لبيانه اي
حديث زيد ووضوح دلالته على ما ذكر وارتفاع اشكاله اي زواله اصلا
حتى استغنى عن الجواب لعدم احتماله ما يخالفه قال عياض بعد هذا بكثير
واما قوله تعالى عبس كلح وجهه وتولى اعرض عنه ان جاءه الاعمى الايات
التي اخرها فانت عنه تلهى التي استدل بها مجوزوا الصغاير على الانبياء
لما يشعر به ظاهرها من وقوع شي عوتب عليه فليس منها اثبات ذنب
له عليه الصلاة والسلام ولا تجويزه عليه بل اعلام الله تعالى له صلى الله
عليه وسلم بان ذلك المتصدي اسم مفعول نايبه له اي المقبل عليه والتوجه
له واصله مقابلة الشي كما يقابله الصدي وهو الصوت الراجع اليه من جبل ونحوه
كما قاله الراغب وفي التعبير به نكتة وهي ان كلام هولا لا عبرة به كما قال المتنبي
• انا الطاير المحكي والاخر الصدا • ممن لا يتزكى اي لا يسلم فيطهر من
دنس الشرك اي باعتبار ما في نفس الامر وقراين الاحوال الدالة على فرط عناده
وبعده عن الحق ويدل للاول قوله اعلام الله وقوله وان الصواب والاولى
كان لو كشف له حال الرجلين ابن ام مكتوم ومن كان من المشركين واقتصر
على الاقل والا فالكفرة كانوا جماعة والمتكلم معه منهم واحد وحالهما عدم تزكي
الكافر والانتفاع الاعمى لاختار الاقبال على الاعمى دون غيره روى
بن ابي حاتم عن ابن ام مكتوم اتى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد

يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم
يعلم تشاغله بالقوم فكره صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض
عنه واخرج فنزلت واخرج الترمذي والحاكم عن عايشة قالت انزل
عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظما
المشركين فجعل يعرض عنه ويقبل على الاخر فيقول اترى بما اقول باسا فيقول
لا فنزلت عبس وتولى ان جاءه الاعمى وروى ابو يعلى مثله عن انس وعن ابن
عطية قيل الرجل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة وقيل شيبة وقيل العباس
وقيل امية وقيل ابي بن خلف وقال ابن عباس كان في جمع منهم عتبة والعباس
وابو جهل انتهى وعليه ان العباس فيهم لا ينافي انه تزكى لان المعنى لا يتزكى في
وقت الاعراض عن الاعمى وانما تزكى العباس بعد بكثير وفعل النبي صلى
الله عليه وسلم لما بكسر اللام والتخفيف او فتحها والتشديد فعل من العبوس
والاعراض وتصدى به لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه فهو فعل
حسن وامر لازم له واستيلافا استمالة له للكافر رجا اسلامه كما شرعه الله
له وفرضه بالتبليغ ولين الجانب لمن يدعوه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة لا معصية ولا مخالفة له اي لما شرعه وشرع هذا بعد قوله فليس فيه
اثبات ذنب تنبيها على انه ليس مباحا فقط بل طاعة واجبة وما قصه الله تعالى
عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين وتوهين بالرفع عطف على
اعلام اي تضعيف امر الكافر عنده وانه لا قدر له يعتد به والاشارة الى
الاعراض عنه بقوله والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى
وفي القا الكلام له بدون الخطاب اكرام له صلى الله عليه وسلم عن ان يواخذ بالعتب
لا مبالغة في العتب لان فيه بعض اعراض كما زعم ابن عطية اي ليس عليك باس
في ان لا يتزكى بالاسلام اي لا يبلغن بك الحرص على اسلامهم لانه كان شديد
الحرص على اسلام قريش واسماعهم لما جبله الله عليه من الرافة والرحمة ان تعرض عمن
اسلم بالاشتغال بدعوتهم الى الاسلام ان ما عليك الا البلاغ وقد فعلت واما
قوله وما يدريك لعله يزكى فضميره لابن ام مكتوم وقيل للكافر اي اذا طمعت في
ان يزكى بالاسلام او يذكر فتنفعه اي تقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك ان ما
طمعت فيه كاين ورجح الاول بان ما في القران من يدريك فهو مما اعلمه الله به وما فيه من
ادراك ما لم يعلمه به وايضا فالكافر لم يسبق له ذكر صريح زاد عياض وقيل المراد
عبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام انتهى
وتعقب بانه قول في غاية الضعف بعيد من السياق مخالف لقول المفسرين انه
النبي صلى الله عليه وسلم وزاد المصنف عليه الشفا قوله وقيل كان ابن ام مكتوم
يستحق التاديب والزجر بحسب ظاهر الحال اذ فيه قطع كلامه ابتداء لانه
وان فقد بصره كان يسمع مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لاوليك
الكفار الذين كان يدعوهم الى الله وكان يعرف بواسطة السماع تلك الكلمات

شدة اهتمامه عليه السلام بشانهم وكان اقدامه علي قطع كلامه
عليه السلام بعد سماعه ايذا له عليه السلام وذلك معصية عظيمة واعتذر
عنه بان شدة حرصه علي طلب ما ينفعه من النبي صلي الله عليه وسلم واشتغاله
به حرفه عن معرفة انه كان مشغولا بتاليف الكفار فثبت ان فعل ابن ام مكتوم
كان ذنبا ومعصية وان الذي فعله الرسول صلي الله عليه وسلم كان
هو الواجب المتعين اذ هو مامور بالابلاغ والدعوة برفق وقد كان عليه
الصلاة والسلام ماذونا له في تاديب اصحابه لكن ابن ام مكتوم بسبب
عماه استحق مزيد الرفق به فذكره الله في كتابه بلفظ الاعمي وانه جا يسعي
اي يمشي مع عجزه اشارة لذلك وللصفح عنه وذكر من فضله انه يخشي اي الله
تعالي وان يزكي او يذكر فتنفعه الذكري وروي انه صلي الله عليه وسلم كان
اذا راه بعد ذلك قال مرحبا بمن عاتبني الله فيه ربي ويبسط له رداءه واستخلفه
علي المدينة مرارا قال انس رايته يوم القادسية ومعه راية سودا وعليه
درع قيل استشهد بها وقيل بل شهدها ورجع فمات بالمدينة ولم يسمع له بذكر
بعد عمر ومر بعض شي من مناقبه في غير موضع رضي الله عنه واما قوله تعالي عفي
الله عنك لم اذنت لهم في التخلف عن الغزو الاية فروي ابن ابي حاتم عن
مسعر بكسر الميم وسكون السين وفتح العين المهملتين عن عون بالنون ابن عبد الله
ابن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد الفقيه الثقة المتوفي في حدود
السنين بعد المائة قال هل سمعتم بمعاتبة احسن من هذه بدا بالعفو قبل
المعاتبة الصورية لما ياتي ان الخطاب به يدل علي التعظيم ثم لا ينافيه قوله الاتي
لم يعد هذا اهل العلم معاتبة لانهم لما راوه في غاية الملاطفة ولم يظهر منه لوم
لم يعدوه معاتبة لان شانها ان تكون علي جهة لوم من المعاتب ولذا قال لم يعدوه
ولم ينسب اليهم نفي المعاتبة من اصلها وكذا قال مورق بضم الميم وفتح الواو وكسر
الرا المثقلة وقاف العجلي ابو المعتمر البصري تابعي ثقة عابد مات سنة اثنتين ومائة
نسبة الي عجل بن بكر بن وايل وغيره وقال قتادة عاتبه تعالي كما تسمعون
في براءة ثم انزل في سورة النور فرخص له في ان ياذن لهم ان شا ايه
فقال تعالي فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت
منهم بالانصراف مفوض الامر لرايه عليه الصلاة والسلام لكن الحاصل
يتم هذا ان كان التفويض سابقا علي الاذن اما ان كان بعده كما يشعر به تعبيره
بثم فلا يظهر ذلك وقال عمرو بفتح العين بن ميمون بن مهران الجزري
ثقة فاضل من رواة الجماعة مات سنة سبع واربعين ومائة اثنتان فعلهما
النبي صلي الله عليه وسلم لم يومر فيهما بشي اي لم يبين له فيهما شي لا
بطلب فعل ولا ترك اذنه للمنافقين في التخلف عن الغزو واخذه الفدا
من الاسرا ببدر فعاتبه الله تعالي كما تسمعون من القران واما قول
بعضهم ان هذه الاية تدل علي انه وقع من الرسول ذنب لانه قال
تعالي عفي الله عنك لم اذنت لهم والعفو يستدعي سالفه بلا وفا

وفا

وفا اي مسابقة ذنب هذا قول من يجهل لغة العرب كما ياتي وقول الاخر من
يجوز الصغاير عليهم فقوله تعالي لم اذنت لهم استفهام بمعني الانكار
والانكار يقتضي ذلك فاعلم انا لا نسلم ان قوله تعالي عفا الله عنك
يوجب ذنبا اذ لم يتقدم فيه نهي من الله حتي يكون ذنبا ولا عده الله تعالي
معصية ولفظ عفي لا يقتضي ذلك ولا يستلزمه ولم لا يقال ان ذلك يدل علي
مبالغة الله تعالي في توقيره وتعظيمه تفسير كما يقول الرجل لغيره اذا كان
عظيما عنده عفا الله عنك ما صنعت في امري اتيا بالعفو قبل الاستفهام
حتي لا يبدا به خطابه تعظيما ورضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك
الله الا بفتح الهمزة اداة استفتاح عرفت حقي فلا يكون غرضه من
هذا الكلام الا زيادة التعظيم والتبجيل تحاشيا عن جعل الاستفهام اول
كلامه للمعظم عنده وليس عفا هنا في الاية بمعني غفر اي ستر وترك المواخذة
بل بمعني لم يلزمك شيا في الاذن كما قال صلي الله عليه وسلم عفي الله لكم
عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم زكاة في خيل ورقيق قط اي
لا يلزمكم ذلك فليس معناه اسقاط ما كان واجبا ولا ترك عقوبة هنا وهذا الحديث
رواه ابو داود والترمذي والنسائي عن علي مرفوعا بلفظ قد عفوت لكم عن زكاة
الخيل والرقيق فهاتوا صدقة الرقة الحديث بطوله فما زعم بعضهم عياضا متبوع
المصنف بانه لم يقف عليه بلفظ عفي الله لكم وتعقب بان عياضا من الحفاظ
وقف عليه ومثله لا يتبرع له العصي ونحوه اي ماذكره القشيري بلفظه من
قوله وليس عفا وبمعناه من اول قوله واعلم ولفظه عند عياض ومعني
عفا الله عنك لم يلزمك ذنبا قال الداودي انها تكرمة وقال مكي هو استفتاح
كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكي السمرقندي ان معناه عافاك الله قال
القشيري وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لا يعرف
كلام العرب فيتفق علي معانيه الواردة في لغتهم كعدم اللزوم الوارد في
افصح العرب واصل معني العفو الترك وعليه تدور معانيه ومعني عفي
الله عنك اي لم يلزمك شيا واما الجواب عن الثاني فيقال
علي طريق التنزل مع الخصم ان يكون صدر من الرسول صلي
الله عليه وسلم ذنب ام لا فان قلنا لا امتنع علي هذا
التقدير ان يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه اذ من لم
يذنب لا ينكر عليه فعله وان قلنا انه صدر عنه ذنب وحاشاه
الله من ذلك اي نزهه فقوله عفي الله عنك يدل علي حصول
العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار اليه
اذ بعد العفو كانه لم يقع منه فثبت انه علي جميع التقادير اي
التقديرين المذكورين بناء علي ان الجمع مراد كل واحد يمتنع ان يقال
ان قوله لم اذنت لهم يدل علي كون الرسول مذنبا كما ادعي
ذلك البعض وهذا جواب شاف من هذا الدال المضال وهي نسبة

ذنب الى افضل الخلق كاف في دفع شبهة الخصم قاطع لها اصلا لما فيه
من التنزل معه وهو وعند هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى
والاكمل فقط لا على الانكار لم يعد هذا اهل العلم اي احد منهم معاتبة
بفعل خلاف الاولى وغلطوا من ذهب الى ذلك من المفسرين فقال
نفطويه بنون ففا فطا مضمومة فواو ساكنة فيا مفتوحة عند اصحاب
الحديث لانهم لا يحبون ويه وعند الادبا بفتح الطا والواو وسكون اليا
وهو لقب لابراهيم بن محمد الازدي النحوي لدمامة منظره مات سنة ثلاث
وعشرين وقيل اربع وعشرين وثلاث ماية ذهب ناس الى ان النبي
صلى الله عليه وسلم معاتب بهذه الاية وحاشاه الله من
ذلك اي براه ونزهه واصل معناه جعله في حشا اي جانب بل كان
مخيرا في الاذن وتركه وقد كان له ان يفعل بما شا فيما لم ينزل عليه
شي فكيف وقد قال الله تعالى له فاذن لمن شيت منهم هكذا في كلام
نفطويه اي فتعليق الامر بالمشية صريح في انه مخير فلما اذن لهم اعلمه
الله بما لم يطلع عليه انه لو لم ياذن لهم لقعدوا ولو امروا بخلاف القعود
لنفاقهم وهم يتستر يدعون بالاستيذان انه لم ياذن ما تخلفوا فان اظهر
كذبهم وانكشف مغطاهم لزم شق العصى وما يترتب عليه وكان ما فعله اولى
واصوب واعلم انه لا حرج ولا وزر ولا اثم عليه في الاذن لهم بقوله
عفى الله عنك حيث لم يلزمك ان لا تاذن حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين
اي لو صبرت لتبين لك امرهم وحصول امرهم فهو اشارة الى كمال الرفق به
صلى الله عليه وسلم وانه لم يقع منه تقصير يقتضي العتاب ولا خطا في
الاجتهاد ولا الارتكاب خلاف الاولى وما احلى قول ابن المنير في تفسيره
عفى الله عنك دعامة في الكلام يقصد بها ملاطفة المخاطب وهو عادة
العرب بالتلطف بتقديم الادعا الاصغا وخبر معناه لا عهدة عليك بعض
تخصيص وتمييز لان الاذن ذنب يتعلق به العفو لان تحمله ومسامحته
لهم مع اذاهم حملا للمشقة على نفسه واسقاطا للحظوظ فهو عتب عليه
بلطف الاملامة فيه اي قد بلغت في الامتثال والاحتمال الغاية وزدت
ما اجحفه بك في محبة الله وطاعته والرفق بالبر والفاجر واين هذا
من الغلظة التي نزع بها الزمخشري عروق العجمة لا استنباه الادب على
المصطفى واراد بعضهم ان يصلح فافسد فقال بدا بالعفو قبل العتب
ولو عكس انقطع نياط قلبه وكله ذهول عن عتب الحبيب في حيفه
على نفسه وهو تخفيف لا تعنيف ومدح لا قدح وهذا كما قيل له او جهد
وجهد في العبادة اي وجد في العبادة ما انزلنا عليك القران
لتشقى فلعلك باخع نفسك واما قوله تعالى في اسارى بدر ما
كان لنبي ان تكون له اسرى بالتا واليا له اسرى حتى يثخن
في الارض تريدون عرض الدنيا حطامها باخذ الفدا والله

يريد الاخرة اي ثوابها بالقتل الى قوله عظيم فروى مسلم في افراده
عن البخاري فهو من الثالثة من مراتب الصحيح من حديث عمر بن الخطاب
قال لما هزم الله المشركين يوم بدر وقتل منهم سبعون واسر سبعون
مثله في حديث البرا عند البخاري وابن عباس عند مسلم ووافقهم اخرون
وبه جزم ابن هشام محتجا له بقوله قد اصبتم مثليها لاتفاق علما التفسير
على ان التفسير لاهل احد اي على ان الخطاب لاهل احد واصابتهم
مثليها يوم بدر وان اتفق اهل السير على ان القتلى خمسون يزيدون قليلا
او ينقصون وعدهم ابن اسحق خمسين وزاد الواقدي ثلاثة او اربعة
وابن هشام زيادة على ستين لانه لا يلزم من عدم معرفة اسما من قتل
على التعيين ان يكون جميع القتلى استشار النبي صلى الله عليه وسلم
ابا بكر وعمر وعليا وفي رواية احمد عن انس فقال ان الله قد مكنكم منهم
وانما هم اخوانكم بالامس فقال ابو بكر يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة
والاخوان وان نرى ان ناخذ منهم الفدية فيكون ما اخذناه منهم
قوة اي تقويا لنا على الكفار وعسى ان يهديهم الله للاسلام فيكونوا
لنا عضدا انا صرين فحاصله انه راى عدم القتل استبقا للقرابة ولرجا
اسلامهم مع اخذ الفدية مراعاة للجيش لينفق واعلى الكفار فقال صلى
الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله ما ارى
ما راى ابو بكر ولكن ارى ان تمكنني من فلان قريب لعمر
فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل اخيه شقيقه فيضرب عنقه
وتمكن حمزة من فلان اخيه يعني العباس فيضرب عنقه اي فيقتله حتى
يعلم الله انه ليس في قلوبنا هوادة بفتح الها والواو اي لين وذل
سهلة تفاصيل ورجوع للمشركين زاد في رواية هولا ايمة الكفر وصناديد
قريش وايمتهم وقادتهم فاضرب اعناقهم وما ارى ان تكون لك اسرى فانما
نحن راعون مولفون فهوي بكسر الواو احب ما هوي ابو بكر ولم يهو
ما قلت لما جبل عليه من الرافة والرحمة في حالة ابدا تم له فتكون من حال قدرته
عليهم ولم يذكر رايا عن علي لانه لم يظهر له مصلحة حتى يذكرها او لانه
لما راى ان المصطفى هوي قول ابي بكر راه انه الصواب فسكت عليه فاخذ
منهم الفدا فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم واذا هو قاعد وابو بكر الصديق وهما يبكيان فقلت يا
رسول الله اخبرني ماذا يبكيك انت وصاحبك لان عمر ربما تغير رايه
فان وجدت بكا اي سببا له بكيت بكا وعيني في نزول الدمع بكيت
وان لم اجد بكا تباكيت اي تشبهت بالباكين موافقة لكما وان لم يسل
دمع فقال النبي صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض ضمنه معنى نزل
فعداه بعلى في قوله على اصحابك من الفدا لقد عرض على عذابكم
اي اظهر لي يقال له اعرا اذا عرض له امر اذا ظهر ادنى اقرب من هذه

الشجرة لشجرة قريبة منه فانزل الله تعالى وعن حديث ابن مسعود
عند احمد والترمذي فنزل هذا القران بقول عمر ما كان لنبي ان تكون
له اسرى حتى يثخن في الارض الى قوله عظيم وفي حديث احمد فانزل
الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم
حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فقال صلى الله عليه وسلم
ان كان ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما افلت
منا الا ابن الخطاب وقوله حتى يثخن اي يكثر القتل ويبالغ فيه حتى
يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله على البلاد
وقيل معنى يثخن يتمكن في الارض وما كان نفي لكون وجا بمعنى لا يليق
ولا ينبغي ان يا تي به وبه فسره المستدل بالاية على الصغاير وقدره
بقوله وليس في هذا الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان
ما خص به اكراما له وفضل به من بين ساير با في الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فكانه عز وجل قال ما كان هذا الذي لم يقع لنبي غيرك كما
قال عليه الصلاة والسلام احلت لي الغنايم وفي رواية المغانم ولم تحل
لنبي قبلي فيل ليس في الاية دليل على ما قال المصنف بخلاف الحديث ورد
بان الفدا في معنى الغنايم لانه مال ماخوذ من الكفرة فذكر الحديث اشارة
الى انه يويد هذا التاويل وفي المسايل الاربعين للرازي العتاب وقع
هنا على ترك الاولى لان الافضل في ذلك الوقت الاثخان وترك الفدا قطعا
للاطماع ولولا انه خلاف الاولى ما فوضه صلى الله عليه وسلم لاصحابه وفي
حواشيه للنفراوي الصواب انه فوضه الاجتهاد في امر الاسرى له ففوضه
لاصحابه فرأى عمر القتل وكان هو المصلحة وهي من احدى توافقاته واجتهاد
الصحابة ليود للمصلحة فخلص عمر ولم يواخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبذل جهده
في اجتهاده فله الاجر ولذا قال عرض على عذابكم دون عذابي لخروجه من
موجبه ببذل جهده والى هذا ذهب فحول العلما جمعا بين ظاهرا لاية وما يجب
لمقامه صلى الله عليه وسلم من العصمة واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا
الوارد بحسب الظاهر على اخباره ان الغنايم خصوصية له اذ لو كان كذلك ما
عوتبوا باخذ الفدا بقوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة فقيل
في الجواب المراد بالخطاب من اراد ذلك منهم اي الصحابة وتجرد
خلص وتمحض غرضه بمعجمتين اي قصده لعرض بمهملة فمعجمة الدنيا
وحده اي منفردا عن قصد ثواب الاخرة وهو موكد لما قبله والاستكثار
منها باخذ ما يناله وليس المراد بهذا الخطاب النبي صلى الله عليه
وسلم لتشرف نفسه عن النظر لها ولا علية بكسر العين واسكان اللام
وخفة البا اي معظم اصحابه كابي بكر وان اشار بالفدا افترجا الاسلام والتقوي
على الكفار ومراعاة القرابة كما مر بل اضراب انتقالي قد روي عن الضحاك
انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب

بغنيمتهم

بغنيمتهم ما يسلب اي يوخذ من القتلى من لباس ونحوه وجمع الغنايم عن
القتال متعلق باشتغل حتى خشي عمران يعطف يرجع عليهم العدو
كرا ثم قال تعالى لولا كتاب من الله الله سبق تقدم على هذه القصة
باحلال الغنايم والاسرى لكم لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فاختلف
المفسرون في معنى هذه الاية فاذا اردت بيان لمعناه فقيل معناه
كما نقله الطبري عن محمد بن علي بن الحسين لولا انه سبق مني اني لا اعذب
ابدا الا بعد النهي لعذبتكم على ما اخذتم من الفدا اذ لو كان منهيا عنه محرما
لاستحق بمخالفته العذاب فالمراد حكم الله الذي كتبه وقدره فهذا التفسير
ينفي يمنع ان يكون امر الاسرا اي فداوهم معصية لعدم النهي عنه وقيل
المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق المراد في قوله لولا
كتاب من الله سبق فاستوجبتم به الصفح عدم المواخذة لعوقبتم
على اخذ الغنايم وما في حكمها من الفدا قال عياض ويزاد هذا القول
تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مومنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم
الغنايم لعوقبتم كما عوقب من تعدي اي تجاوز ما نهي عنه فالكتاب
على هذا القران وسبقه تقدمه ازلا او لتقدم ما نزل وقيل لولا انه سبق
في اللوح المحفوظ المكتوب فيه جميع ما هو كاين انها اي الغنايم حلال لكم
الانتفاع بها والتصرف فيها لعوقبتم على اخذها فهذا كله ينفي الذنب
والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص فلا دليل فيها على تجويز
الصغاير على الانبيا واصرح من ذلك ما قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم
حلالا طيبا اي انتفعوا به لا خصوص الاكل وذكره لكثرته وغلبته واستدل
به الاكثر على ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة وقيل بل كان عليه
الصلاة والسلام قد خير في ذلك اخذ الفدا والقتل فلما اخذ فيل كان
الاولى خلافه ويدل على انه خير انه قد روي عند الترمذي والنسايي
وابن حبان والحاكم باسناد صحيح فما كان ينبغي تغييره يروى عن علي
قال جا جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر اي زمنه فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاوا القتل
قتلوا وان شاوا الفدا فليفد وا على ان يقتل منهم في العام المقبل
التالي لهذا العام اي ان الله قدر عليهم ان اخذوا الفدا يقتل من الصحابة
مثلهم سبعين فقالوا نختار الفدا ويقتل منا مثلهم رغبة في الشهادة
وعند ابن سعد من مرسل قتادة فقالوا بل نفاديهم فنتقوى به عليهم ويدخل
قابل منا الجنة سبعين ففادوهم وهذا دليل على انهم لم يفعلوا الا ما
اذن لهم فيه فلا ذنب ولا معصية لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين
وهو الفدا باجتهاده وهو جايز بحضرته عليه السلام مما كان الاصلح
للاسلام غيره من الاثخان والقتل الذي هو اعز الوجهين ببيان لغيره
فعوتبوا على ذلك اي اختيار غير الاصلح وبين لهم ضعف اختيارهم

وتصويب اختيار غيرهم وهو عمر فكلهم غير عصاة ولا مذنبين لان كلا
منهم اختيار ما ادى اليه اختياره ظانا ان الخير فيه قال عياض والى نحو
هذا اشار الطبري وقوله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السما ما
نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من اخذ بماخذه في
اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو استوجبت
عذابا لنجا عمر وعيينة لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم ذكر لحلها
لهم فيما سبق وقال الداودي الخبر بهذا لم يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن
صلى الله عليه وسلم يحكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر فيه اليه
وقد نزهه الله ذلك هكذا في الشفا قبل قوله وقال القاضي بكر بن محمد
ابن العلا بن محمد البصري ثم المصري احد كبار المالكية والمحدثين له تصانيف جليلة
تقدمت ترجمته اخبر الله تعالى نبيه في هذه الاية ان تاويله وافق
ما كتب له من احلال الغنايم والفدا وكيف لا يكون الفدا حلالهم قبل ذلك
وقد كان صلى الله عليه وسلم قبل هذا اي غزوة بدر فادى في سرية
عبد الله بن جحش الاسدي بن عمة صلى الله عليه وسلم اميمة احد السابقين
الاولين استشهد باحد التي قتل فيها عمرو بن الحضرمي بسهم رماه به واقد
ابن عبد الله وذكر انه عليه السلام بعث عبد الله في سرية يتعرض عير قريش
فتزلوا ببطن نخلة وقتل ابن الحضرمي واسر الحكم وعثمن بن عبد الله بالحكم
ابن كيسان متعلق بفادى لا بقتل وكان الاولى حذف البا واسره المقداد بن
عمرو الاسود فاراد ابن جحش قتله فقال المقداد دعه نقدم به على رسول
الله فاسلم وحسن اسلامه واستشهد ببير معونة وصاحبه عثمان بن عبد
الله ذهب حين فدي الى مكة فمات بها كافرا فما عتب الله عليهم فلو كان
ممنوعا لعتب وذلك قبل بدر بازيد من عام هذا سهو لان السرية كانت
في رجب وقيل في جمادي الاخرة وبدر في رمضان كلاهما في ثمانية
الهجرة فبينهما اقل من ثلاثة اشهر وقد تعقبوا الشفا بنحو ع المصنف
بهذا ومثله لا يخفى عليها ولكن الكمال لله فهذا كله يدل على ان
فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرا كان على تاويل
باجتهاد منه ومن اصحابه وبصيرة جريا على ما تقدم قبل اي قبل
ذلك الفعل مثله فلم ينكره الله عليه لكن الله تعالى اراد بقوله ما
كان لنبي الى اخره لعظم امر بدر بكسرها شوكة المشركين وارعاب
قلوبهم فلو زادوا ذلك بقتل الاسرى كان اقوى وكثرة اسراها
جمع اسير والله اعلم بما اراد وجملة معترضة اظهار نعمته
مفعول اراد اي ظهورها على المسلمين وتاكيد سننه عليهم
بنعم ما كتب في اللوح المحفوظ على احد الوجوه السابقة فريبا
في المراد بالكتاب من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب اي لوم بل
لبيان النعمة او انكار عليهم او تذنيب اي نسبتهم لذنب فيه

فعلهم

فعلهم قال القاضي عياض رحمه الله تعالى في الشفا من اول قوله
وليس فيه هذا الزام ذنب الى هنا وهو وجيه خلافا لقول بعض شراحه
انه تكلف لا ينبغي ارتكابه والحق انه عتاب من من الله وفي فتح الباري
اختلف السلف في اي الرايين كان اصوب فقال بعضهم كان راي ابي بكر لانه
وافق ما قدر الله في نفس الامر ولما استقر عليه الامر ولدخول كثير منهم
في الاسلام اما بنفسه واما بذريته التي ولدت له بعد الواقعة ولانه
وافق غلبة الرحمة على الغضب كما ثبت ذلك عن الله تعالى في حق من
كتب له الرحمة واما من رجح الراي الاخر فتمسك بما وقع من العتاب على
اخذ الفدا وهو ظاهر لكن الجواب عنه لا يدفع حجة الرجحان عن الاول بل
ورد للاشارة الى ذم من اثر شيا من الدنيا على الاخرة ولو قل واما قوله
ولولا ان ثبتناك على الحق بالعصمة لقد كدت قاربت تركن
تميل اليهم شيا ركونا قليلا لشدة احتيالهم والحاحهم وهو صريح
في انه صلى الله عليه وسلم ما ركن ولا قارب اذا لاذقناك ضعف
عذاب الحياة وضعف عذاب الممات اي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والاخرة
الاية ثم لا تجد لك علينا نصيرا ما نعا منه اخرج ابن مردوية وابن ابي حاتم
عن ابن عباس قال خرج امية بن خلف وابو جهل ورجال من قريش فاتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد فقال فتمسح بالهتنا وندخل معك في دينك
وكان يحب اسلامهم قومه فرق لهم فانزل الله وان كادوا ليفتنونك الى قوله
نصيرا قال السيوطي هذا اصح ما ورد في سبب نزولها وهو اسناد جيد وله
شاهد اخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير قال كان صلى الله عليه وسلم
يستلزم الحجر فقالوا لا ندعك تستلم حتى تلم بالهتنا فقال صلى الله عليه وسلم
وما علي لو فعلت والله يعلم مني خلافه فنزلت فالمعنى لولا ان ثبتناك
لقاربت تفسير لكدت ان تميل الى اتباع مرادهم تفسير لتركن من الركون
الذي هو الميل على ما قال المفتي وعليه فقوله شيا قليلا كالصفة
الكاشفة لمعنى تركن لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب فضلا
عن ان تركن وبهذا المعنى حصل الجواب عن الاية كانها من الايات المادحة
للمصطفى لا انها من المتشابهات وهو صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم
باجابتهم اي قريش لما طلبوه منه من التمسح بالهتهم والالمام بها في الاصح
في سبب نزولها وبه استدل من قال هذه الايات مكية ومن قال انها مدنية
استدل بما رواه ابن مردوية عن ابن عباس ان ثقيفا قالوا للنبي صلى
الله عليه وسلم اجلنا سنة حتى يهدى لالهتنا فاذا قبضنا ما يهدى لها
احرزناه ثم اسلمنا فهم ان يوجلهم فنزلت واسناده ضعيف وذكر الثعلبي
بلا عز لابن عباس انها نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا
خصالا نفتخر بها على العرب لا نحشر ولا نحضر ولا نحني في صلاتنا وكل ربا
لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وتحرم واديا

لكنه فان قالت العرب لم تفعلت ذلك فعلت فقل ان الله امرني قال الولي العراقي
لم اتق له علي اسناد مع قوة الداعي اليها لشدة احتيالهم وقوة خدعهم
وكونه في مقام التلطف بهم والحرص علي ايمانهم فالعصمة بتوفيق الله وحفظ
عن مقاربة ذلك ولو قاربت لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب
الممات تفسير لقوله اذا لاذقناك اي ضعف ما يعذب به في الدارين الدنيا
والاخرة بمثل هذا الفعل غيرك لان خطا اي ذنب الخطير الشريف اخطر
اعظم من غيره لانه لشرفه حقه ان لا يقرب مما يلام عليه بل يصون نفسه عن
الهفوات وان صغرت وقد اعاذه الله تعالي اي عصمه من الركون الي
اعدايه اي اعدا الله بذرة من قلبه اي بشي قليل صغير جدا كالذرة فضلا
عما فوقها ومما يعزي للحريري مما يويد ذلك اي ان كان هنا بمعني قرب
قوله ملغزا

• اتحوي هذا العصر ما هي لفظة • جرت في لساني جرهم وثمود •

جرهم بضم الجيم حي من اليمن وثمود قوم صالح وخصهما زيادة في التعمية

• اذا استعملت في صورة الجحد اثبتت • وان اثبتت قام مقام جحود •

وفسر الاول وهو النفي المثبت بنحو جحودها وما كادوا يفعلون
لغلا ثمن البقرة وقد فعلوا بنص فذبحوها والثاني وهو الثبوت المنفي
بنحو قوله تعالي لقد كدت تركن اليهم قالوا اي العلما كلهم وهو صلي الله
عليه وسلم ثبت قلبه ولم يركن بنص قوله تثبتناك وابدل بذلك واذ كان
خصيصا لاشتهاره كما في شرح الكافيه والمغني وقالا ان من زعمه لم يصب بل حكم
كاد حكم سايرا لافعال فمعناها منفي اذا صحبها حرف نفي وثابت اذا لم يصحبها
فاذا قيل كاد زيد يبكي فمعناه لم يقارب البكا فمقاربته منفية ونفسه منتفي
انتفا ابعد من انتفايه عند ثبوت المقاربة واما قوله تعالي واذ تقول
علينا بعض الاقاويل اي افترا سمي تقولا لانه قول متكلف والاقوال
المفتراة اقاويل تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا
منه باليمين بالقوة والقدرة ثم لقطعنا منه الوتين نياط القلب
وهو عرق متصل به اذا انقطع مات صاحبه فالمعني لو افترى علينا
بشي من عند نفسه كما زعم الكفار بنحو ان هذا الا افك افتراه لاخذنا
لنلنا منه عقابا باليمين وقطعنا نياط قلبه واهلكناه وقد اعاذه
الله تعالي من التقول عليه افلا تعقلون انه تنزيل من رب العالمين فالاية
من جملة مدحه اذ فيها التنبيه علي تصديقه بجميع الموجودات وانه لا يمكنه الافترا
عليه فان قلت لا مرية لا شك انه يعني للمحب اسم مفعول بمعني المحبوب
او اسم فاعل اي لمن احب غيره ولا شك انه عليه السلام محب لله ومحبوب له ولهما
المحاسن والاحسان العظيم ما لا يعني لغيره ويسامح بما لا يسامح به
غيره كما قال الشاعر

• واذا الحبيب اتي بذنب واحد • جات محاسنه بالف شفيع •

وفي

وفي القران اشارة اليه وقالت اليهود والنصاري نحن ابنا الله واحباوه
قل فلم يعذبكم بذنوبكم ولا شك ان نبينا صلي الله عليه وسلم هو الحبيب
الاعظم من كل حبيب ذو المحاسن والاحسان الاكبر الفايق علي كل محسن
فما هذه العقوبة المضاعفة بقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الخ والتهديد
الشديد في قوله لاخذنا منه الي اخره الوارد كل منهما ان وقع منه ما يكره بكسر
الهمزة وسكون النون شرط وكم من راكن الي اعدايه اي اعدا الله تعالي حقيقة
فضلا عن مقاربته ومتقول بكسر الواو اسم فاعل كاذب علي الله تعالي من قبل
جهة نفسه لم يعبا لم يبال به كارباب البدع ونحوهم من الخوارج وغيرهم
فالجواب انه لا تنافي بين الامرين فان من كملت عليه نعمة الله واختصه
منها بما لم يختص به غيره واعطاه منها ما لم يعط غيره فحباه بوجدته بالانعام
وخصه بمزيد القرب المعنوي والاكرام وهذا بمعني ما قبله فهو اطناب اقتضت
حاله من حفظ مرتبة القرب والولاية والاختصاص ان يراعي مرتبته
فيباعد نفسه من ادني اقل تشويش وقاطع عن الله فلشدة الاعتنا به
ومزيد تفقد بيته واتخاذه لنفسه واصطفايه اختياره علي غيره تكون
حقوق وليه وسيده علبه اتم ونعمه عليه اكمل واعم من غيره والمطلوب منه
فوق المطلوب من غيره فهو اذا غفل بفتح الفا كنصر وفي لغة بكسرها او اخل
بمقتضي مرتبته منزلته السنية نبه بما لم ينبه عليه البعيد مع كونه يسامح
بما لم يسامح به ذلك البعيد ايضا فيجتمع في حقه الامران عظم ما يجد ومنه
لمنافاته لمرتبته والمسامحة لمحبته وشدة نصحه لمحبوبه واذا اردت معرفة
اجتماعهما وعدم تناقضهما فالواقع في عرف الادميين شاهد بذلك فان
الملك السلطان يسامح خاصته واولياه الموالين له والمعاضدين بما لم يسامح به
من ليس في منزلتهم ويواخذهم بما لم يواخذ به غيرهم ممن دونهم وانت اذا
كان لك عبدان او ولدان احدهما احب اليك من الاخر واقرب الي قلبك
واعز لديك عاملته بهذين الامرين المسامحة والمواخذة واجتمع في حقه
المعاملتان بحسب قربه منك وحبك له وعزته عليك فاذا نظرت الي
اكمال احسانك اليه واتمام نعمك عليه بمعني حسنه اختلاف اللفظ اقتضت تلك
الحالة التي هي النظر لكمال الاحسان معاملته بما لم تعامل به من دونه
من التنبيه وعدم الاهمال بيان لما واذا نظرت الي محبته لك وطاعته وخدمته
وكمال عبوديته ونصحه لك في امورك وهبت له وسامحته وعفوت عنه
بما لا تفعل مع غيره فالمعاملتان بحسب ما بينك وبينه وقد ظهر اعتبار
هذا المعني العرفي في الشرع حيث جعل حد من انعم عليه بالتزويج اذا نفذ
الي الزنا الرجم لان الذي مع المزني بها مع زوجته وحد من لم يعطه هذه
النعمة الجلد لانه معذور بالنسبة للمتزوج فكفي جلده في عقوبته وكذلك
ضاعف الحد علي الحر الذي ملكه نفسه واتم نعمته عليه ولم يجعله مملوكا
لغيره وجعل حد العبد المنقوص بالرق الذي لم يجعل له هذه النعمة

فمقصود لك كما قال فعليهم من ما على المحسنة من العذاب فسبحان
من بهرت بفتح الوجود ان اغلبت وظهرت حكمته في خلقه وما احسن قول
القائل فلله سر تحت كل لطيفة اي رفق بالعبد لا يعلمه الا هو فاخش لطائف
البصائر الناظر بعين البصيرة غامض اي غارق في المعاني والافكار التي
يتوصل بها الى معرفة الله عز وجل فيغفل اي فيسكن واعتقد فيما يوصل اليه
اتي في هذا الجواب ملخصا حال
واما قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب القران ولا الايمان مع ما ثبت
انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وصفاته قبل النبوة فقيل معناه
ما كنت تدري الايمان على التفصيل الذي شرع في القران فلا ينافي انه
كان يدري اجمالا وقال ابو العالية رفيع بن مهران التابعي الكبير هو
بمعنى الدعوة الى الايمان فيكون على حذف مضاف لانه كان قبل الوحي
لا يقدر ان يدعو الناس الى الايمان بالله تعالى فلا ينافي حكمنا بانه اله
واحد وقيل معناه انه ما كان يعرف الايمان حين كان في المهد وقبل البلوغ
فلا ينافي عرفانه بعد ذلك ببصيرته حكاه الماوردي علي بن حبيب القاضي
ابو الحسن البغدادي البصري نسب ابوه لعمل الورد او بيعه والقياس الوردي
صاحب التصانيف الجليلة مات سنة خمسين واربعمائة عن ست وثمانين سنة
والواحدي ابي الحسن علي المفسر تلميذ الثعلبي والقشيري الامام المشهور
صاحب الرسالة وقيل انه من باب حذف المضاف اي ما كنت تدري اهل
الايمان اي من الذي يؤمن ابو طالب عبد مناف او العباس او غيرهما فلا
ينافي انه يؤمن بالله وصفاته وقد يدل له بقية الاية ولكن جعلناه نورا
نهدي به من نشاء من عبادنا وقيل المراد به ايمان شرائع الايمان
ومعالمه اي ما يدل عليه وهو على حذف مضاف ايضا وكلها ايمان وقد
سمى الله الصلاة ايمانا بقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم
الى بيت المقدس من قبله فيكون اللفظ عاما وهو مطلق المقصد به والمراد
الخصوص وهو الشرائع والمعالم وابن خزيمة محمد امام الائمة قال ابو بكر القاضي
فكان صلى الله عليه وسلم مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التي لم يكن
يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا قال عياض وهذا احسن وجوهه وقد
اشتهر في كتب الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان يوحد الله
ويبغض الاوثان كما في قصة بحيرا الراهب لما استحلفه باللات والعزى
وهو صبي فقال صلى الله عليه وسلم لا تسالني بهما فوالله ما ابغضت شيئا
قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك فقال سل عما بدا لك
ويحج ويعتمر بخلاف المشركين فيه وفي [illegible] اهل مكة في الحج وكان من توفيق
الله له يقف بعرفة لانه موقف ابراهيم وروى ابو نعيم وابن عساكر عن
علي انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا [illegible] صنما متخذا
من حجارة او خشب او غيرهما وقيل الصنم المتخذ من الجواهر المعدنية

كالذهب

كالذهب والوثن المتخذ من حجر او خشب قال لا لم اعبد وثنا قط فقيل وهل شربت
خمرا قط قال لا ما شربته وما زلت اعرف ان الذي هم عليه من عبادة
الاوثان كفر وما كنت ادري ما الكتاب ولا الايمان وقد ورد ان العرب
لم يزالوا على بقايا من دين اسماعيل كحج البيت والختان والغسل من
الجنابة وقد حلف ابو سفيان بعد وقعة بدر لا يغسل راسه من جنابة حتى
يغزو محمدا وكان عليه الصلاة والسلام لا يقرب بفتح الراء وضمها الاوثان
اي لا يدنو منها ويصير سا بفتح الياء الحال انه حنيفا لا يعرف شرائع الله
التي شرعها لعباده على لسانه فذلك قوله ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الايمان فهو بمعنى ما قدمه اعاده لزيادة قوله ولم يرد الايمان الذي
هو الاقرار بالله لان اباءه الذين ماتوا على الشرك كانوا يؤمنون بالله
ويحجون مع شركهم وهذا كما قالوا في اهل الفترة وهم لا يعذبون لانه لا يجب ايمان
ولا يمتنع كفر على الصحيح قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
ومقتضاه ان منهم من مات على الايمان ورجح الرازي وغيره انه لم يكن في ابائه
مشرك وهو مبسوط في [illegible] اول الكتاب الثاني هذا المقصد والله اعلم وله
الحمد على ما انعم وشاء له اتمام الاحسان بالاتمام والله يجعله خالصا لوجهه
المصطفى عليه افضل الصلاة وازكى السلام والحمد لله وحده

المقصد السابع في بيان وجوب محبته

بيان وجوب اتباع سنته وطريقته التي كان عليها وهي شاملة للواجب
والمستحب والمباح وهو وجوب اتباعها اعتقاد حقيقتها بانه تعبد بها وانه
مباحا وانه من الله واما مباشرة الفعل فيختلف بالوجوب والندب
والاباحة والحرمة والكراهة ولا يشكل بان المستحب يجب والندب فيها انها
سنته لانه صلى الله عليه وسلم امرنا بالوفاء كالقران فهو من سنته وبيان
وجوب الاقتداء بهديه وطريقته بان يقتدي به فيها وفي ذلك [illegible]
من بقية الانبياء كالتوحيد او خالفهم كالاحكام الناسخة لشرائع من قبله ومن
محبة اله وصحبه عبر بفرض فيها مثلها بوجوبه تفننا [illegible]
لم نترك متساهلا في محبتهم فعدم بلوغهم رتبته ولا يصح حمله على مذهب
الفارقين بين الواجب والفرض لان المقام يابى ذلك [illegible] محبة المصطفى
بدليل ظني ومحبة اله وصحبه بدليل قطعي وفي اتباعه وعترته [illegible]
النبي واسكان التاء فيهما عطف خاص على عام او مساو للقرابة قال ابن
الاعرابي العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه ولا تعرف العرب من
العترة غير هذا ويقال رهطه الادنون ويقال اقرباؤه فهذا الاخير [illegible]
ان اله عطف مساو والقول ان [illegible] خاص على عام وحكم الصلاة والتسليم
عليه زاده الله فضلا وشرفا لديه اي عنده فالجمع بينهما اطنابا واولى
لطلب زيادة العلوم والمعارف الباطنة والثاني لطلب الاخلاق
الكريمة الظاهرة او الاول عند النقص والثاني عند علو الحد [illegible]

سبل التي تزادفيها وسوال الزيادة لانتشعر بسبق نقص لقبول الكاملة
زيادة الترقي في غايات الكمال فاندفع جمع زعم جمع امتناع الدعاله عقب
نحوختم القران باللهم اجعل ذلك زيادة في شرفه على ان جميع اعمال امته
متضاعف له نظيرها لانه السبب فيها اضعافا مضاعفة لا تحصي فهي زيادة
في شرفه وان لم يسال له ذلك فسواله تصريح بالمعلوم كما في التحفة
وفيه ثلاثة فصول الاول في وجوب محبته واتباع سنته والاهتدا
والاقتدا بهديه وسيرته صلى الله عليه وسلم اعلم ان المحبة اللام
عوض عن المضاف اليه اي محبة اي المصطفى وبدا بسببانها لان الحكم على الشي
فرع تصوره فاعتقاد وجوبها انما يكون بعد تصورها كما قال صاحب
المدارج اي مدارج السالكين اسم لشرح ابن القيم على كتاب منازل السايرين
لشيخ الاسلام عبد الله بن محمد بن على الانصاري من ولد ابي ايوب الصحابي
المولف الواعظ ستين سنة للناس الميت سنة احدى وثمانين واربعماية
عن ست وثمانين سنة هي المنزلة الرتبة العلية التي تتنافس فيها
المتنافسون اي يسابقون اليها ويتزاحمون عليها بان يطلبها كل احد واد
انه يبلغ فيها مرتبة لا يبلغها غيره كما وفي القاموس نافس فيه رغب على
وجه المباراة في الكرم كتنافس واليها يشخص العاملون اي يرفعون ابصارهم
مجتهدين في تحصيلها والمراد انهم يجتهدون في الاعمال ويخلصون فيها لينالوا
بها تلك المرتبة السنية وعبر عن ذلك بشخوص البصر لما جرت به العادة ان
من يطلب غايبا عنه وانتظره كثر تلفته ونظره الى الجهة التي يا تي منها
والى علمها اي معرفتها شمر السابقون اجتهدوا في معرفتها والوصول
اليها وعليها تفانى تفانوت المحبون اي تغالبوا في فناتهم فيها فكل يريد
ان يغلب غيره فيها بان تزيد محبته على محبة غيره وبروح نسيمها بفتح
الرا بمعنى الراحة كانه شبه المحبة من حيث اللذة وانبساط النفس بها
بالريح الطيبة الهابة التي تحيي بها النفوس واثبت لها النسيم تخييلا والروح
بمعنى الراحة ترشيحا تروح بالتشقيل العابدون اي وصل اليهم رايحة
منها اطمانت بها نفوسهم واستلذوا بها وارتاحوا فهي قوت القلوب اي هي
للقلوب كالقوت من حيث انها تحيي وتتقوى كما يتقوى البدن بالقوت وهو
ما يقوم به من الطعام جمعه اقوات وغذا بكسر الغين وذال معجمتين الارواح
جمع روح بالضم تذكر وتونث تشبيه بليغ كسابقه او كل منها استعارة
نحو زيد اسد واضاف القوت للقلوب لانها من البدن وهو ينفع بما
يوكل والغذا للارواح لانها لا تنتفع بما يوكل وانما تنتفع بالاذكار ونحوها
وقرة بضم القاف العيون اي سرورها بالمحبة وسكونها عن الالتفات
الى غيرها وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الاموات لانه لا يجد
لذتها كالاموات ولاعايدتها والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات
اي فهو كالمنغمر فيها بحيث لا يهتدي الى شي ينفعه والشفا بالمثال

ابن

ابن الجوزي في كتابه نزهة البيان الشفا ملايم للنفس يزيل عنها الاذى
ويستعمل في القران على ثلاثة اوجه الفرح كقوله ويشف صدور قوم مومنين
اي يسرهم والعافية كقوله واذا مرضت فهو يشفين والبيان كقوله وشفا لما
في الصدور الذي عدمه بكسر الدال فقده حلت بقلبه جميع الاسقام الامراض
الطويلة واللذة التي من لم يظفر يفوز بها فعيشه كله هموم احزان جمع هم
الام جمع الم وهي روح الايمان تشبيه بليغ اي له كالروح للابدان وروح
الاعمال والمقامات والاحوال التي متى حلت تلك الاربعة منها فهي كالجسد
الذي لا روح فيه فهو بيان لوجه الشبه في الاربع ويحتمل انه بيان لقوله وهي
روح الحياة الي هنا تحمل اثقال احمال السايرين الى بلد لم يكونوا بالغيه الا
بشق الانفس بجهدها بالعبيد واصلين اليه على غيرها واخره بالغيبة لرعاية
السجع وتوصلهم الى منازل لهم لم يكونوا ابدا ونيلها ابدا واصليها جملة
مفسرة لما قبلها وتبوهم تسكنهم من مقاعد الصدق مجالس الحق التي لا لغو
فيها ولا تاثيم الى مقامات منازل رفيعة في الجنة لم يكونوا لولاهي داخليها
وفيه التلميح لمعنى ان المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق والتقوى بالايمان
لا تكون الا بمحبة مع محبة الرسول وهي مطايا القوم جمع مطية فعيلة بمعنى مفعول لانه
البعير ذكرا او انثى سمي بذلك لانه يركب مطاه اي ظهره والمطى بزنة عصي
الظهر التي سراهم بضم السين جمع سرية بوزن مدية ومدى قال ابو زيد
ويكون السرى اول الليل واوسطه واخره في ظهورها دايما الى الحبيب
وقد استعملت العرب سرى في المعاني تشبيها لها بالاجسام مجازا واتساعا ومنه
والليل اذا يسر المعنى اذا يمضي وقال البغوي اذا سار وذهب وقال جرير
سرت الهموم فبتن غير نيام • واخو الهموم يروم كل مرام
وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الاولى التي كانوا بها في صلب
ادم وهي في الجنة من قريب بدون عذاب قبل دخولها للمحبة وقال شيخنا الاولى
اي التي قدرت لا حصولها لهم لكن باعمال يحصلون بها اليها فهي سابقة ان لاعلى
وجود اصحابها ثم بعد ظهورهم في الخارج وفقهم الله ببركة المحبة الى فعل تلك
الاعمال فوصلوا اليها في زمن قليل لا يحصل عادة في مثله ما قدر عليه من
العمل بل ولا ما يجازى به وهو تكلف مستغنى عنه تالله لقد ذهب اهلها المحبة
بشرف الدنيا والاخرة وعلله بقوله اذ لهم من معية محبوبهم المشار
لها بقوله انت مع من احببت اوفر نصيب لشمولها الدارين وان لم يدركه في
الدنيا او كان بينهما مسافة بعيدة كما تقدم بسطه في المتن وقد قدر الله يوم
قدر مقادير الخلق قبل خلق السموات والارض بخمسين الف سنة بمشيته
وحكمته البالغة التامة ان المرء مع من احب كما اخبر المحبوب صلى الله عليه
علام الغيوب فيالها بفتح اللام من نعمة على المحبين سابغة بغين معجمة
طويلة متسعة ثم يحتمل انه مستغاث به وانه مستغاث له لان اللام الداخلة
على المستغاث له يجب فتحها مطلقا لقد سبق القوم المحبين مفعول

السعادة فاعل سبق فهيا ان لهم انواع النعيم وفي نسخة لقدم سبق القوم
السعاة جمع ساع اي الماشين بسرعة فالقوم فاعل وهم علي ظهور الفرش
بضمتين جمع فراش فعال بمعني مفعول نايمون والجملة حالية ولقد تقدموا
الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون اي انهم فازوا بالسعادة والتقرب
الي الله بحب المصطفي وان لم يكن لهم كثير عمل فاشبهوا من حيث قلة العمل من
وقف في سيره بحبس دابته مثلا ومع ذلك حصل ما تمناه وانشد لغيره

• من لي بمثل سيرك المذلل • تمشي رويدا وتجي في الاول •

اي من يتكفل لي بسير مثل سيرك السهل اجابوا موذن الشوق اي المعلم
به والداعي له اذ نادي لهم حي علي الفلاح اي هلموا الي الفوز والنجاة او
البقا في الجنة اي اقبلوا الي سبب الفلاح والبقا في الجنة وبذلوا انفسهم
اعطوها في طلب الوصول الي محبوبهم وجرد البذل عن بعض معناه واستعمل
في مطلق الاعطا فلذا قال وكان بذلهم بالرضي والسماح مراعاة للسجع او
دفعا لتوهم انه بمجرد الاعطا والاذولية الاعطا بسماحة وطيب نفس وواصلوا
اليه السير بالادلاج بالكسر بزنة الاكرام اي بسير الليل كله والغدو
اي الذهاب وقت الغدوة وهي ما بين الفجر والشمس او منه الي الزوال
والرواح من الزوال الي الغروب والمعني واصلوا سيرهم اليه ليله ونهارا
ولقد حمدوا علي الوصول سراهم عند وصولهم الي محبوبهم حيث ترتب علي
سيرهم ما قصدوه بلا تعب ومشقة وانما يحمد القوم السري عند الصباح
لوصولهم الي منازلهم المترتب علي سراهم وقد اختلفوا في تعريف المحبة
بعبارات كثيرة مختلفة وعباراتهم وان كثرت الواو للحال لان الواقع انها
كثيرة في نفسها فلا يصح انها عباراتهم غايية اوهي غايبة بالنظر للواقف
عليها لا في نفس الامر سوا كانت قليلة او كثيرة لو اقف عليها وان كثرت في
الواقع فليست في الحقيقة ترجع الي اختلاف مقال في معناها بحيث
يعتقد كل واحد في معناها غير ما اعتقده الاخر ويقال مصدر رقال وانما هي
عبارات منشاوها اخلاق احوال قامت بالمحبين فكل عبر بما يليق بالمعني
الذي قام به •

• عباراتنا شتى وحسنك واحد • وكل الي ذاك الجمال يشير •

واكثرها اي العبارات يرجع الي بيان ثمراتها وهي ما تترتب علي المحبة
من الفوايد سماها ثمرات لمشابهتها لها في الانتفاع بها وقربها عليها دون
حقيقتها لاتحادها وقد قال بعض المحققين حقيقة المحبة عند اهل
المعرفة من المعلومات لهم التي لا تحد وانما يعرفها من قامت به وجدانا
لا يمكن التعبير عنه كلذة الجماع لا يمكن التعبير عن حقيقتها بعبارة وهكذا
كقول صاحب مدارج السالكين ابن القيم تبعا لغيره والمحبة لا تحد بحد
اوضح منها اي لا تعرف بحد يفيد اكثر مما يفيده لفظ المحبة لانها علقة
تقوم بالمحب يدركها من نفسه ولا يمكن ان يوصل خصوص ما قام به الي غيره

بحيث

بحيث يكشف له حقيقة ما عنده وغايته ان يخبر بانه يحب كذا محبة قوية
لا يمكنه التخلف عنه وليس هذا عين ما قام وقريب من هذا قولهم الحسن يدرك
ولا يوصف اي لا يبين بعبارة تحقق معناه عند المخاطب فالحد ولا تزيدها
الا خفا لعدم تباينها حقيقة الماهية وجفا بالجيم والمد وبقصر اي بعدا ماخوذ
من جفا السرج عن الفرس رفعه كاجفاه فحدها وجودها وذلك الوجود لا يمكن
بيان حقيقته للغير ولا توصف المحبة بوصف اظهر من المحبة فلا معني لحدها
باخفي منها وانما يتكلم الناس في اسبابها وموجباتها بكسر الجيم عطف
تفسير وعلاماتها الدالة عليها وشواهدها التي تشهد بقيامها بالمحب
وثمراتها فوايدها واحكامها التي تنبني عليها فحدودهم جمع حد وهو التعريف
بذاتيات المعرف كتعريف الانسان بالحيوان الناطق ورسومهم جمع رسم وهو
التعريف بخاصة من خواصه كتعريفه بالضاحك والمراد بها هنا شي واحد
وهو التعريف بالامر دارت علي هذه السنة بنون اي الطريقة وبفوقية
اي الستة المذكورة فهي الفاظ متقاربة وتنوعت بهم العبارات وكثرت
بهم الاشارات بحسب الادراك اي وصول كل الي المعني الذي يصوره
من لفظ المحبة والمقام الكلام المورد فيه الكلام اي المكان المورد فيه الكلام
الذي يريد التعبير به والحال زمن ايراد ذلك الكلام فالفرق بينهما اعتباري
وحقيقته صفة الشي تذكر وتونث فيقال حال حسنة وحسن وقد
وضعوا لمعناها اي لمعني المحبة وهو الحب وجعل الحب معني لها لاشتماله
علي زيادة والا فالحب والمحبة لغة معناهما واحد وهو الوداد حرفين
مناسبين للمسمي غاية المناسبة احدها الحا المهملة التي هي من اقصي
الحلق والثاني البا الشفهية التي هي نهايته اي نهاية الصوت
وفي نسخة نهاية بلا ضمير اي المخارج فللحا الابتدا لانها مبدا
الصوت المشتمل علي الحروف وان كان مخرجها اقصي الحلق وللبا
الانتها والحاصل كما قال شيخنا انهم جعلوا اخر الحلق مما يلي الصدر اقصي
باعتبار وضع الانسان لان كل شي له نهايتان فاينهما فرضتها اوله كانت
مقابلها اخره هذا فيما وضع علي الابتدا وكالبساط واما ما وضع علي الانتصاب
فاعلاه اوله واسفله اخره ولذا كان اول المخارج الشفتين واولها
ما يلي البشرة التي هي ظاهر الجلد واخرها الحلق واولها مما يلي اللسان
واخره مما يلي الصدر والصوت لما كان مبداه من الرية يخرج منها ثم يمر
علي الحلق جعلوا اول المخارج بهذا الاعتبار اقصي الحلق واخرها الشفتين
وهذا شان المحبة وتعلقها بالمحبوب فان ابتداها منه بان
يري المحب من المحبوب ما يدعو الي ميله اليه فيتعلق به بحيث لا يصير
عنده سواه وانتهاها اليه اذ هو غاية المطلوب واعطوا الحب الذي
هو المصدر حركة الضم التي هي اشد الحركات واقواها عطف مساو
مطابقة مفعول لاجله اي لمطابقته لشدة حركة مسماه وقوتها

واعطوا الحب وهو المحبوب وخفة ذكره على قلوبهم والسنتهم
فتامل هذا اللطف والمطابقة والمناسبة الكلية العجيبة
بين الالفاظ والمعاني لتطلعك على قدر اي شرف هذه اللفظة
العربية وتميزها على غيرها وان لها لشانا ليس لساير اللغات
وهذه بعض رسوم وحدود قيلت في المحبة بحسب اثارها
علاماتها التي بها يهتدى اليها وشواهدها اي ما يشهد بها ويدل
عليها حتى كانها تشهد به واثبته والكلام على ما يحتاج الى الكلام
عليه فمنها موافقة الحبيب في المشهد والمغيب اي في حالتي
شهوده اي حضوره ومغيبه وهذا موجبها بفتح الجيم ومقتضاها و
مساوله في المعنى اي انها اثر المحبة ومسبب عنها ومنها محو المحب
لصفاته بحيث لا يبقى له صفة واثبات المحبة لذاته بدون صفة فالمحو
في اصل اصطلاحهم رفع اوصاف العادة قال ابن عطاء يمحو اوصافهم
ويثبت اسرارهم ويقابل الاثبات وهو اقامة احكام العادة وهذا
من الفنا في المحبة وهو ان تمحى صفات المحب وتفنى نزول وتضمحل
في صفات محبوبه وذاته وهذا ابتدى بيانا انتم من هذا
لا يدركه الا من افناه وارد المحبة عنه اي الفنا واخذه اي
اخذ الوارد الفنا عنه ويسمونه فنا وهو الفنا عن شهود هذا
الفنا بحيث يفنى عن كل ما سوى محبوبه وحينيذ يدرك ذلك بالوجدان
لا بالعبارة ومنها استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل
من محبوبك كما قيل •

• قليل منك يكفيني ولكن • قليلك لا يقال له قليل •

وهو لابي يزيد بيا قبل الزاي اسمه طيفور بطا مهملة وتحتية وفا
ابن عيسى البسطامي نادرة زمانه حالا وانفاسا وورعا وعلما وزهدا
وتقى مات سنة احدى وستين ومايتين عن ثلاث وسبعين سنة وهو ايضا
من احكامها وموجباتها بفتح الجيم وشواهدها الدالة عليها لان
والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر عليه لاستقله
اعتقده قليلا ولو ناله من محبوبه ايسر شي لاستكثره واستعظمه
عده واعتقده كثيرا عظيما ومنها استكثار القليل من جنايتك
واستقلال الكثير من طاعتك وهو قريب من الاول اي ما
قبله فهو اول نسبي والا فهو ثالث لكنه مخصوص بما من المحب
في الحالين بخلاف ما قبله فمنه ومن المحبوب فافترقا ومنها معانقة
الطاعة اي التزام المحب طاعة محبوبه بحيث يفعل كل ما امر به او
فهم انه يريده وان لم يامره ومباينة المخالفة بان لا يخالفه في
شي اراده منه ولا يفعل شيا نهاه عنه وهذا المعنى لازم لالتزام
الطاعة فذكره ايضاح وهو لسهل بن عبد الله التستري الولي

الذي لم يسمح الدهر بمثله له كرامات ونصايح مات سنة ثلاث وثمانين
سنة وهو ايضا حكم المحبة وموجبها لا حد لها حقيقي ومنها ان تهب
كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شي وعليه انشد •

• تملك بعض حبك كل قلبي • فان ترد الزيادة هات قلبا •

وهو لسيدنا ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم القرشي من
اعيان مشايخ المغرب ومصر لقي نحو ستماية شيخ وجد واجتهد واخذ عنه
كثيرون منهم البوني وله كرامات كثيرة مات ببيت المقدس سنة تسع وتسعين
وخمسماية وقيل غير ذلك ودفن به ثم دفن بجانبه ابن رسلان وجربت
الدعا بين قبريهما وهو ايضا من موجبات المحبة واحكامها لا تعريف
لها والمراد ان تهب ارادتك بفتح الزاي جمع عزمة وهي الاجتهاد
في الشي والمحافظة عليه وافعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن
تحبه والوقت وهو عندهم عبارة عن حال في زمان الحال لا تعلق له
بالماضي ولا الاستقبال فيقال فلان وقته كذا اي حاله كذا ولذا قالوا
الوقت ما كنت فيه ان كنت بالدنيا فوقتك الدنيا وان كنت بالعقبى فوقتك
العقبى وان كنت بالسرور فوقتك السرور وان كنت بالحزن فوقتك الحزن
فعلم بذلك ان وقت الانسان هو حاله الغالبة عليه وتجعلها اي
المذكورات حبسا بضمتين وتسكن البا لغة وقفا في مرضاته
اي مقصورة على رضاه لا تتعداه الى غيره ومحابه ما يحبه هو ولا
تاخذ منها لنفسك الا ما اعطاك فتاخذ منه له لانه لم يبق لك منك
شي فاخذك ما اعطاك انما هو له ومنها ان تمحو من القلب ما سوى
المحبوب حتى لنفسك وذلك عند ما ينسى اوصاف نفسه في ذكر محاسن حبه
كما قيل •

• شاهدته وذهلت عن غيره • مني عليه فذا المثني مفرد •

وكمال المحبة يقتضي ذلك فانه ما دام في القلب بقية
لغيره وسكون لغيره فالمحبة مدخولة اي مشوبة بغيرها واذا
كانت ومتى كانت كذلك لم تكن حقيقية ومنها ان تغار على المحبوب
ان يحبه مثلك وهو للشبلي اي ابي بكر دلف بن جحدر وقيل اسمه جعفر
ابن يونس وقيل غيره صحب الجنيد والنساج وطبقتهما وصار
اوحد وقته علما وحالا وتفقه على مذهب مالك وكتب حديثا كثيرا
ثم شغلته العبادة عن الرواية مات سنة اربع وثلاثين وثلاثماية
عن سبع وثمانون سنة ودفن بمقبرة الخيزران ببغداد ومراده
احتقارك لنفسك واستعظامه ان يكون مثلك يحبه
جلاله فيغار عليه من ان ينسب له الشي الحقير ومنها غض طرف
المحب عما سوى المحبوب غيرة مفعول له وعن المحبوب هيبة اي
لاجل الغيرة والهيبة وهذا يحتاج الى ايضاح اما الاول فظاهر

واما الثاني فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال محبته
كالمستحيل اذ اصل معنى المحبة ميل القلب فكيف يصرفه عنه ولكن عند
استيلا سلطان المحبة يقع مثل هذا بدون اختيار كانه لا
يدري ما هو عليه وذلك من علامة المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم
للمحبوب ومنها ميلك الى الشي الذي تحبه بكليتك بجملتك ثم ايثارك
له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك
بتقصيرك في حبه وهذا بمعنى ما سبق عن القرشي لكن غرض المصنف
بيان العبارات وان رجع بعضها لبعض قال الجنيد ابو القاسم بن محمد
البغدادي شيخ الطريقة العلم الشهير سمعت الحارث بن اسد البصري
المحاسبي قيل له ذلك لكثرة محاسبته لنفسه او لانه كان له حصي يعدها
ويحسبها حال الذكر او لغير ذلك صحب الشافعي وقيل بل عاصره وكان
عابدا زاهدا واستاذا في الاصول والفقه والحديث والتصوف والكلام صنف
كتبا في ذلك نحو مايتي مولف ومات ببغداد سنة ثلاث واربعين ومايتين
يقول ذلك المذكور في معنى المحبة ومنها المحبة سكر لا يصحو صاحبه
الا بمشاهدة محبوبه لانه عند الطايفة عبارة عن غيبة بوارد قوي
والغيبة عدم الاحساس وذلك اذا كوشف بنعت الجمال سكر وطرب
وهام قلبه ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة للمحبوب لا يوصف
بل يجل عن الوصف وانشده بعضهم

• فاسكر القوم دور الكاس بينهم • لكن سكري نشا من رويه الساقي •

فالصادق المحبة لا يتوقف سكره على كاس ولا غيرها بل بمجرد رويه
المحب بل يسكر سكرا يجل عن الوصف ومنها سفر القلب اي توجهه
في طلب المحبوب ولهج لسانه بذكره على الدوام بحيث لا يفتر عنه اما سفر
القلب في طلبه فهو الشوق الى لقايه لكل حبيب يحب لقا حبيبه
وما احسن قوله

• واني لاهوى الحشر اذ قيل انني • وعفرا يوم الحشر تلتقيان •

واحلى قول الاخر

• ان كان يحلو لديك ظلمي • فزد من الهجر في عذابي
• عسى يطيل الوقوف بيني • وبينك الله في الحساب

واما لهج اللسان بذكره فلا ريب ان من احب شيا اكثر من ذكره
وهو لفظ حديث رواه ابو نعيم ثم الديلمي من طريق مقاتل بن حيان
عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من احب شيا اكثر من ذكره ومنها المحبة الميل الى ما يوافق الانسان
المحب وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه منه امر يحوبا لحب الصور
الجميلة والاصوات الحسنة وغير ذلك كالاطعمة والاشربة اللذيذة
والروايح الطيبة والملابس الفاخرة من الملاذ الذي لا يخلو كل طبع

سليم من غلظ الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مرا لفساد
ذوقه فلا يرد نقضا عن الميل اليها لموافقتها له طبعا او لاستلذاذه
اي وجود لذته وهي ادراك الملايم من حيث هو ملايم والالم ضده والمراد
بالملايم للشي كماله اللايق به كالتكيف بالحلاوة للذايق ونحوه من
المحسوسات ولتعقل الاشيا على ما هي عليه بالقوة العاقلة وقيد
بالحيثية لان الشي قد يكون ملايما من وجه دون اخر فاللذة حسية واليها
اشار بقوله لحب الصور الجميلة وعقلية وبينها بقوله بادراكه بحاسة
بعد الوصول اليه لا قبله بمجرد تخيله بحاسة عقله وقلبه معاني لطيفة شريفة
كحب الصالحين والعلما واهل المعروف كما في الشفا وفيه تمشي على راي الحكما
لان المدرك عندهم القوى الباطنة في الدماغ لا العقل المدرك للكليات
لكن لما لم يثبتها اهل الشرع تسمح فيها او يكون حبه لذلك لموافقته
له اي ملايمته وموافقة طبعه من جهة احسانه انعامه وبذله وجوده
اليه وفي نسخة له اي لاجل ذلك فقوله وانعامه عليه عطف تفسير فقد
جبلت خلقت وطبعت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اسا اليها
كما رواه ابو نعيم في كتاب الحلية وابو الشيخ وغيرهما كابن حبان في
روضة العقلا والخطيب في تاريخ بغداد واخرين عن ابن مسعود
موقوفا واخرجه ابن عدي والبيهقي وابن الجوزي عنه مرفوعا قال
السخاوي وهو باطل موقوفا ومرفوعا وقول ابن عدي والبيهقي الموقوف
معروف فيه تامل ففي سندها من اتهم بالكذب والوضع نسبيا فاجرا الاعمش عن
مثله وهو انه لما ولي الحسن بن عمارة مظالم الكوفة فقال الاعمش ظالم ولي مظالم
فبلغ الحسن فبعث اليه باثواب ونفقة فقال الاعمش مثل هذا ولي علينا
يرحم صغيرنا ويعود على فقيرنا ويوقر كبيرنا فقال له رجل ما هذا قولك بالامس
فقال حدثني خيثمة عن ابن مسعود فذكره موقوفا واخرجه القضاعي مرفوعا
من جهة ابن عايشة عن محمد بن عبد الرحمن القرشي قال كنت عند الاعمش
فقالوا ان الحسن ولي المظالم فقال الاعمش يا عجبا من ظالم ولي المظالم ما للحايك
ابن الحايك والمظالم فاتيت الحسن فاخبرته فقال علي بمنديل واثواب
فوجه بها اليه فبكرت الى الاعمش من الغد فاجريت ذكره فقال بخ بخ
هذا الحسن بن عمارة ولي العمل وما زانه فقلت بالامس تقول ما قلت
واليوم تقول هذا فقال دع عنك هذا حدثني خيثمة عن ابن مسعود مرفوعا
به فقد كان رحمه الله زاهدا ناسكا تاركا للدنيا حتى وصفه الفضيل بقوله
ما رايت الاغنيا والسلاطين عند احد احقر عندهم منه مع فقره وحاجته
وقال احمد انه فقير صبور مجانب للسلطان وورع عالم بالقران ثم الكلام
رفعه تذكرة ابن عبد الهادي قال مهنا سالت احمد ويحيى عن هذا الحديث
فقالا ليس له اصل وهو موضوع واما كان الانسان يحب من منحه اي
اعطاه في دنياه اي حياته الدنيا مرة او مرتين معروفا اي شيا

فانيا منقطعا اي زايلا في زمن قليل واستنقذه نجاه من مهلكة
امر مهلك او مضرة بفتح الميم والضاد امر يضره ويوذيه لا يدوم مدة ذلك
فما بالك بمن منحه منحا لا تبيد بكسر الموحدة واسكان التحتية لا تذهب
وتنفد ولا تزول عطف تفسير من نعيم الخلد في الجنة ووقاه بالتشديد
والتخفيف صانه من العذاب الاليم عذاب النار ما لا يفني ولا يحول عنه
الي غيره وهذا احق ان يحب من كل شي يحب حتي من نفسه وماله واهله
واذا كان المحب يحب غيره علي اي لاجل ما فيه من صورة جميلة وسيرة
حميدة كملك وقاضي وان كان بعيد الدار عنه ولم يره فكيف بهذا النبي الكريم
والرسول العظيم الذي لا اكرم ولا اعظم منه الجامع لمحاسن الاخلاق
والتكريم المانح المعطي لنا جوامع المكارم والفضل العميم فقد اخرجنا
الله به من ظلمات الكفر الي نور الايمان بالاضافة البيانية فيهما او من
اضافة الاعم الي الاخص وخلصنا به من نار الجهل الي جنات المعارف والايقان
فهو السبب لبقا مهجنا بضم ففتح البقا الابدي الدايم في النعيم السرمدي
المتواصل الذي لا ينقطع فاي احسان اجل قدرا رتبة واعظم خطرا
بفتح الخا المعجمة والطا المهملة اي قدرا وشرفا غاير بينهما تفننا من احسانه
الينا معاشر المومنين وخصهم لانهم هم المنتفعون به وان كان احسانا عاما
واي للتعظيم والتفخيم كما يقال عندي رجل اي رجل اي كامل الرجولية
فلامية وحياته فتنتي لا احد بعد الله كماله علينا ولا فضل لبشر
ولا ملك كفضله لدينا عندنا وقيد بالبشر لانه المشاهد فضله فكيف
ننهض نقوم بسرعة ببعض شكره علي ما اولانا او كيف نقوم من
واجب حقه بمعشار عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والاخرة
واسبغ اوسع واتم علينا سوابغ نعمه اي الله باطنه وهي المعرفة وغيرها
وظاهره حسن الصورة وتسوية الاعضا فاستحق صلي الله عليه وسلم
ان يكون حظه نصيبه من محبتنا له اوفي اتم وازكي اطهر من
محبتنا لانفسنا واولادنا واهلينا واموالنا والناس اجمعين عطف
عام علي خاص وهو كثير بل لو كان في كل منبت نحد نبات شعره
منا محبة تامة له كان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روي ابو
هريرة انه صلي الله عليه وسلم قال لا يومن ايمانا كاملا احدكم خطاب
للحاضرين عام فيهم وفي غيرهم تغليبا لهم عليهم بطريق المساواة بجامع
العلة او تنزيلا لهم منزلة المخاطبين ويوجه الكلام لجملتهم مجاز من
باب الاستعارة التمثيلية ويويد عمومه رواية مسلم لا يومن الرجل وفي
رواية الاصيلي لا يومن احد وزعم ان في مسلم لا يومن عبد وابن حبان لا يبلغ
عبد حقيقة الايمان غلط فانما فيهما ذلك في حديث حتي يحب لاخيه ما يحب
لنفسه حتي اكون احب افعل بمعني مفعول وهو مع كثرته علي خلاف
القياس وفصل بينه وبين معموله بقوله اليه لان الممتنع الفصل باجنبي

قاله

قاله الحافظ وقال المصنف لانه لا يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيره
من والده اي ابيه قال الحافظ ويدخل الام في لفظ والده ان اريد به
من له الولد فيعم او يكتفي بذكر احدهما كما يكتفي عن احد الضدين بالاخر
ويكون ما ذكر علي سبيل التمثيل والمراد الاعزة كانه قال احب اليه من اعزته
وولده ذكرا او انثي رواه البخاري من حديث ابي الزناد عن الاعرج عن
ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا يومن
فذكره وهو عن ابي هريرة من افراد البخاري ورواه هو ومسلم من
حديث انس وقدم الوالد للاكثرية لان كل احد له والد من غير عكس
او نظرا الي جانب التعظيم او لسبقه بالزمان قاله المصنف وفي رواية النسائي
لحديث انس تقديم الولد علي الوالد وذلك لمزيد الشفقة ونطق صلي
الله عليه وسلم عند كل ابي هريرة وانس بما رواه عنه فلا خلف وليس احدهما
بالمعني لاختلاف المخرج وافاد الحافظ ان الروايات لم تختلف في حديث ابي
هريرة وزاد في رواية عبد العزيز بن صهيب بضم المهملة وفتح الها واسكان
التحتية وموحدة البناني بضم الموحدة نسبة الي بنانة بطن من قريش التابعي
كابيه عن انس عند البخاري ومسلم لا يومن احدكم حتي اكون احب اليه من والده
وولده والناس اجمعين دخل في عمومه النفس علي الظاهر وقيل اضافة
المحبة اليه تقتضي خروجه منهم وهو بعيد وقد نص علي النفس في حديث
عبد الله بن هشام كما ياتي انتهي ووجه بعده ان اللفظ عام وما ذكر ليس من
المخصصات وحينيذ فلا يخرج وفي صحيح محمد بن خزيمة المعروف بامام
الايمة من طريق عبد العزيز بن صهيب عن انس مرفوعا لا يومن احدكم حتي
اكون احب اليه من اهله وماله بدل والده وولده وكذا لمسلم من طريق ابن
ابن علية والاسماعيلي من طريق عبد الوارث بن سعيد كلاهما عن عبد
العزيز عن انس بلفظ لا يومن الرجل قال الحافظ وهو اشمل من جهة
واحدكم اشمل من جهة واشمل منها رواية الاصيلي لا يومن احد وذكر الوالد
والولد ادخل في المعني اي انسب بالمعني الذي الكلام فيه لانهما
اعز علي العاقل من الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسه
ولهذا لم يذكر النفس في حديث ابي هريرة بل قال من والده وولده
فقط وذكر الناس بعد الوالد والولد في حديث انس عند الشيخين
كما علم من عطف العام علي الخاص وهو كثير كما في الفتح فمحبة الوالد محبة
اجلال ومحبة الولد رحمة وشفقة والناس محبة احسان وقد ينتهي
المحب في المحبة الي ان يوثر هوي المحبوب علي هوي نفسه فضلا عن ولده
بل يحب اعدا نفسه لمشابهتهم محبوبه قال

اشبهت اعداي فصرت احبهم ۞ اذ صار حظي منك حظي منهم

قال الخطابي والمراد بالمحبة هنا حب الاختيار الذي
يقتضي العقل اختياره اي ايثاره وان خالف الطبع كمحبة المريض الدوا

لا حب الطبع الذي لا يدخل تحت اختيار فانه لا يؤاخذ به لعدم دخوله تحت
استطاعته وقال الداوودي فيه تلميح الى قضية النفس الامارة المائلة
بطبعها الى الشهوات وتهتم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كالاوقات
والمطمئنة بذكر الله فان النفس تترقى من الاسباب والمسببات الى الواجب
لذاته فتستر دون معرفته وتستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها
شك والاسنة التي لا يسترها خوف ولا حزن قاله البيضاوي فمن رجح جانب
المطمئنة كان حبه للنبي صلى الله عليه وسلم راجحا حتى على نفسه ومن
رجح جانب الامارة فان حبه بالعكس اي مرجوحا وفي كلام القاضي
عياض اشارة الى ان ذلك شرط في صحة الايمان لانه حمل المحبة على معنى
التعظيم والاجلال باعتقاد عظمته واجلاله صلى الله عليه وسلم وحمله على
ذلك يلزم منه التنقيص عند ضد التعظيم وهو كفر فلذا قال شرط في صحة
الايمان وتعقبه صاحب المفهم ابو العباس احمد بن محمد القرطبي مرت
ترجمته في شرح مسلم بان ذلك ليس مرادا هنا لان اعتقاد الاعظمية
ليس مستلزما للمحبة اذ قد يجد الانسان اعظام شيء مع خلوه من محبته
بان لا يحبه ولا يبغضه او يعظمه مع بغضه بعينه فكما لا يلزم من الاعظمية المحبة
لا يلزم من ضدها البغضا قال شيخنا هو كذلك عقلا واما بحسب العرف فالعادية
قاضية بان من اعتقد عظمة انسان احبه قال صاحب المفهم فعلى هذا من لم
يجد من نفسه الميل لم يكمل ايمانه فقط لا انه كافر والى ذلك يومي قول عمر
ابن الخطاب في الحديث الذي رواه البخاري في كتاب الايمان والنذور
من صحيحه من حديث عبد الله بن هشام بن زهرة بن عثمان التيمي صحابي
صغير مات في خلافة معاوية وابوه صحابي ان عمر بن الخطاب قال لانت يا
رسول الله لفظه عن عبد الله بن هشام قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو اخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر يا رسول الله والله لانت احب
الي بشد اليا واللام لتاكيد القسم من كل شيء من الدنيا وغيرها الا من نفسي
التي بين جنبي بتشديد اليا مثنى لان بين لا تضاف الا لمتعدد وهذه
كناية عن السر الذي قامت به الحياة واضافه الى الجنبين لجريان العادة بان
يسلب الحياة بسلب ما بينهما وهو القلب وما تعلق به من سائر الاعضا
الرئيسية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من نفسه فقال عمر توكيدا بالقسم تحقيقا لخلوص طويته من
قوله والذي انزل عليك الكتاب اوحى اليك القرآن لانت احب الي
من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان
عرفت فنطقت بكمال الايمان فهو متعلق بمقدر وهو مبني على الفتح وال فيه
لازمة وهو ان مان الحاضر وصرح بقوله يا عمر اشارة الى وصوله لرتبة علية
تخصه بالنسبة لبعض من عداه اي لا يكفيك الرتبة الاولى بل يليق بعلو همتك
الاقتصار عليها فهذه المحبة ليست باعتقاد الاعظمية فقط فانها كانت

حاصلة لعمر قبل ذلك قطعا بدليل قوله احب الي من كل شيء وفي رواية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم لعمر لا يكمل ايمانك والذي نفسي بيده اي
بقدرته او نحو من المتشابه المفوض علمه لله وهو اسلم واقسم تاكيدا
وفيه جواز الحلف على الامر المبهم للتوكيد وان لم يكن هناك مستحلف حتى اكون
احب اليك من نفسك فقال له عمر فانه الان والله احب الي من نفسي فقال صلى
الله عليه وسلم الان يا عمر هذا بقية هذه الرواية في البخاري قال بعض
الزهاد تقدير الكلام في قوله لا حتى اكون لا تصدق في حبي حتى
تؤثر رضاي على هواك وان كان فيه الهلاك بالجهاد او اماتة النفس
واما وقوف عمر في اول امره واستثناؤه نفسه فلان حب الانسان
نفسه طبع لا يسلم منه الا من ملك نفسه وجاهدها وحب غيره اختيار
بتوسط الاسباب الموديه الى ذلك وانما اراد عليه الصلاة والسلام
منه حب الاختيار اذ لا سبيل الى قلب الطباع اي لا طريق الى تحويلها
عما نواه وتغييرها عما جبلت عليه لانه لا يدخل تحت الاستطاعة فليس مكلفا
به ولا مواخذا بعدمه وعلى هذا فجواب عمر كان اولا بحسب الطبع الذي جبل
عليه الانسان من ترجيح نفسه وتقديمها ثم تامل فعرف بالاستدلال
ان النبي صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه لكونه السبب في
نجاتها من المهلكات في الدنيا والاخرة فاخبره بما اقتضاه الاختيار
الناشي من التفكر فلذلك حصل الجواب بقوله صلى الله عليه وسلم الان
يا عمر اي الان عرفت فنطقت بما يجب وحال عمر انه لا يخل بفعل غير ما وجب
عليه لانه منهي عنه اذ الامر بالشيء الموجب له نهي عن ضده واذا كان هذا
شان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عند الله ورسوله في محبتنا له ووجوب
تقديمها على انفسنا واولادنا ووالدينا والناس اجمعين فما الظن استفهام
تعظيم ابو اي ظن تظنه اي لا تظن الا اعظم ظن بمحبة الله تعالى ووجوب
تقديمها على محبة ما سواه والى هذا اشار صلى الله عليه وسلم بقوله
احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله واحبوا اهل بيتي لحبي اخرجه
الترمذي والحاكم وصححاه عن ابن عباس ومحبة الله تعالى تختص عن
محبة غيره في قدرها وصفتها وفي افراده سبحانه وتعالى بها فان
الواجب له من ذلك ان يكون احب الى العبد من ولده ووالده بل
من سمعه وبصره ونفسه التي بين جنبيه فيكون الهه الحق
ومعبوده احب اليه من ذلك كله ولا انفكاك لاحد عن الاحتياج اليه
والشيء قد يحب من وجه دون وجه كحب العالم لعلمه وكراهته
لبخله مثلا وقد يحب لغيره وليس شيء يحب لذاته من كل وجه
الا الله تعالى وحده قال ابن عطاء الله ما من وقت ولحظة الا وهو
مورد عليك فيهما نعما يجب حبه وشكره عليها دايما فاذا فات حق وقت
لا يمكن قضاؤه ابدا اذ ما من وقت الا وله عليك فيه حق جديد ونعم

الشك والتاكيد وهو الاستغفار والتجريد وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
ولا تصلح الالوهية اي العبادة الا له والتاله اي التعبد هو
المحبة والطاعة والخضوع والغرض من هذه الجملة بعد ما تقدم
التنبيه على استحقاقه الكمال المطلق فلا يشاركه احد في شيء من
صفاته الا في مجرد الاسم ان اتفق ذلك ولما كان هذا نتيجة الاسباب
المحصلة لمحبة الله تعالى كما قال بعد ان هذا ثمرة المعرفة عطفه
بالواو في قوله ولا تصلح ولم يفصله اذ المقتضية للعلة لما قبله غايته
او غير غايته لان ذلك يقتضي سبق معرفة العلة الغائية او غيرها
على الاسباب المحصلة ومن علامات الحب المذكور لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يعرض بفتح اليا وكسر الراي يظهر ويبرز ل
الانسان على نفسه ان لو خير بين فقد غرض من اغراضه
او فقد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ان لو كانت ممكنة
اي سهلة من نفسها بحيث يتمكن منها اذا ارادها فليس المراد بالامكان
ما قابل الاستحالة فان كان فقدها ان لو كانت اشد عليه من
فقد غرض من اغراضه فقد اتصف بالاحبية المذكورة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ومن لا يكن ذلك اشد فلا يتصف بالاحبية
المذكورة وهذا ذكره الحافظ وزاد وليس ذلك محصورا في الوجود
والفقد بل ياتي مثله في نصرة سنته والذب عن شريعته وقمع مخالفتها
ويدخل فيه باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال وفي هذا الحديث
ايما الى فضيلة التفكر فان الاحبية المذكورة تعرف به وذلك ان محبوب
الانسان اما نفسه واما غيرها اما نفسه فهو ان يريد دوام بقائها
سالما من الافات هذا هو حقيقة المطلوب واما غيره فاذا حقق الامر
فيه فانما هو بسبب تحصيل نفع ما على وجوهه المختلفة حالا ومالا
فاذا تامل النفع الحاصل له من جهة رسول الله صلى الله عليه وسلم اما
بالمباشرة واما بالسبب علم انه سبب بقا نفسه البقا الابدي في النعيم
السرمدي وعلم ان نفعه بذلك اعظم من جميع وجوه الانتفاعات فاستحق
لذلك ان يكون حظه من محبته اوفر من غيره لان النفع الذي يثير المحبة
حاصل منه اكثر من غيره ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار
ذلك والغفلة عنه قال القرطبي ابو العباس في المفهم كل من امن
بالنبي صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو عن وجدان
شيء من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون بحسب الاستحضار
والغفلة فمنهم من اخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من
اخذ بالحظ الادنى كمن كان مستغرقا في الشهوات محجوبا بالغفلات
في اكثر الاوقات لكن الكثير منهم اذا ذكر النبي صلى الله عليه
وسلم اشتاق الى رؤيته والشوق انجذاب النفس نحو الغيبة

فهو اخص من المحبة لانها تكون في الحضور والغيبة بحيث يؤثرها
على اهله وماله وولده ويبذل نفسه بخطيها بسهولة ويلقيها
في الامور الخطيرة بمهجة فهمله الشاقة الصعبة ويجد رجحان
ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه ولا شك وقد شوهد من هذا
الجنس من يؤثر زيارة قبره ويؤثر رؤية موضع اثاره على
جميع ما ذكر فيذهب الى ذلك بدون مراعاة المذكور لما وقر ثبت في
قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات
انتهى كلام القرطبي ملخصا فكل مسلم كائن وثابت في قلبه محبة
الله ورسوله اذ لا يدخل الاسلام الا بها ولكن الناس متفاوتون
في محبته صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل اليهم
من جهته من وجوه النفع الشامل لخير الدارين وهو اعظم من جميع
وجوه الانتفاعات وبحسب الغفلة عن ذلك الاستحضار ولا
شك ان حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى اتم لان هذا
ثمرة المعرفة وهم بها اعلم من غيرهم والله الموفق هذا وقد نقل
المصنف بعد نحو كراس كلام سهل الذي نقله الشارح هنا عن الشفا وقد
روى ابن اسحق محمد امام المغازي في السيري كما حكاه في الشفا
ان امراة من الانصار لم تسم ولفظ ابن اسحق حدثني عبد الواحد بن
ابي عون عن اسماعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص قال مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بامراة من بني دينار وقد قتل ابوها واخوها وزوجها
شهدا يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لما نعوا لها
ما فعل رسول الله هذا في اكثر النسخ وهو الموجود في الشفا وابن اسحق
رسول بلا يا وليس المراد السوال من فعله حقيقة وانما المراد السوال عن سلامته
وحياته وعبرت بذلك تادبا لان الفعل يستلزم الحياة فاريد لازمه وفي
بعض نسخ المصنف ما خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبا قالوا فعل
خيرا والمراد انه بخير ولذا قالوا هو بحمد الله كما تحبين اي سالم منصور
مظفر قالت ارونيه بالجمع وهو ما رايته في ابن اسحق وفي نسخة اريني
بالافراد خطابا لمن سالته حتى انظر اليه فان الخبر ليس كالعيان قال في
الرواية فاشير لها اليه فلما راته قالت كل مصيبة بعدك اي بعد
سلامتك ورؤيتك جلل بفتح الجيم واللام تعني صغيرة ومن النهاية
وغيرها اي هين حقير والمعنى متقارب وفي سيرة ابن هشام الجلل من
القليل والكثير وهو هنا من القليل كقول امرئ القيس

لقتل بني اسد ربهم ۝ الا كل شيء سواه جلل

ومن الكثير قول الحارث بن وعلة

وان عفوت لاعفون جللا ۝ ولئن سطوت لاوهين عظمي

ورواه البيهقي في دلايل النبوة من طريق ابن اسحق وذكره

صاحب اللباب بلفظ لما قيل يوم احد قتل محمد عليه الصلاة
والسلام وكثرت الصوارخ الصايحون بالمدينة من هول هذا
الخبر خرجت امراة من الانصار فاستقبلت ضمنه معنى استقبلت
فعداه بالبا في قوله باخيها وابيها وابنها وزوجها فزادا ابنها على
الرواية السابقة قتلى لا تدري بايهم استقبلت وكلما مرت
بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا اخوك وابوك وزوجك
وابنك قالت فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم اي ما الذي قام
به فيقولون امامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول افديك بابي انت
وامي يا رسول الله لا ابالي لا اكترث ولا اهتم اذ سلمت انت من العطب
من عطب بكسر الطاء اي هلك وكذا رواه ابن ابي الدنيا عبد الله بن
محمد الشهير بنحوه مختصرا وقال عمرو بن العاصي بالبا وحذفها
ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في
عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له حتى لو قيل لي صفه
ما استطعت ان اصفه اخرجه مسلم في حديث طويل وقال علي بن ابي طالب
وقد سيل كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم احب الينا من اموالنا واولادنا وامهاتنا
وابائنا بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع امهة لغة في ام
لكنها تختص ببني ادم قال
• امهتي خندف والياس ابي • ويقال في البهايم امات •
واحب الماء البارد على الظما بقصره افصح من مده اي شدة العطش
خصه لانه حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه واعاد الجار لانه نوع اخر يحب
لشدة نفعه وروى البيهقي عن عروة قال لما اخرج اهل مكة زيد
ابن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن معوية بن عامر بن بياضة الانصاري
البياضي شهد بدرا واحدا بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتشديد
النون وقد تسكن المثلثة وتخفف النون وهاتا نيث اسم والده من
قولهم دثن الطاير اذا طار حول وكره ولم يسقط عليه او من دثن اذا
اتخذ عشا وكان قد اسر يوم الرجيع مع خبيب بن عدي فاشتري صفوان
ابن امية زيدا وغيره خبيبا وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث فحبسا بمكة
حتى خرجت الاشهر الحرم فخرجوا بهما من الحرم تعظيما له لانهم كانوا لا يقتلون
فيه واجتمع هو وخبيب في الطريق فتواصوا بالصبر والثبات على ما
يلحقهما من المكاره ليقتلوه بالتنعيم قال له ابو سفيان بن حرب
وهو يوميذ مشرك انشدك بفتح الهمزة وضم الشين اسالك بالله يا زيد
اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في اهلك
فقال زيد موكدا بالقسم والله ما احب محمدا الان في مكانه الذي

هو فيه مقيم تصيبه شوكة اي اقل شيء من الاذي فكيف يصلاه قتلهم
واني جالس في اهلي سالم من الاذى فقال ابو سفيان ما رايت احدا من
الناس ما نافية لا تعجبية وان كان مراده التعجب من شدة حبهم له يحب
احدا كحب اصحاب محمد محمدا مفعول المصدر وهو حب ثم قتله نسطاس
مولى صفوان واسلم بعد علي رضي الله عنهما وفي رواية انهم ناشدوا مع
بذلك خبيبا فقال والله ما احب ان يفديني بشوكة في قدمه ولا خلف
فقد بكوا ثم قالوه لخبيب وقاله ابو سفيان لزيد ومر بسط القصة في
المغازي وروى عند الطبراني في الصغير عن عايشة وابن مردويه عن ابن
عباس مما ذكره القاضي عياض ان رجلا ثوبان او عبد الله بن زيد على
ما يات اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت اللام
في جواب قسم مقدر احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك اي اتذكرك
في ذهني واتصورك واذكر اسمك وصفاتك فهو من الذكر بالكسر والضم
فما اصبر اي لا استطيع الصبر عنك اي عن رويتك لشدة حبي لك حتى اجي
فانظر اليك فيطمين قلبي وتقر عيني برويتك واني ذكرت موتي
وموتك اي مكاني ومكانك بعد الموت فعرفت تحققت انك اذا دخلت
الجنة بعد الموت رفعت الى الدرجات العلى مع النبيين صلوات الله عليهم
اجمعين وان دخلتها انا بفضل الله لا اراك بعد الدخول لانك في مقام لا يصل
اليه غيرك وتحير في جانبه صلى الله عليه وسلم باذا لتحقق دخوله الجنة
ورفعته فيها وفي جانبه هو بان لعدم جزمه في نفسه بذلك فانزل الله
تعالى ومن يطع الله والرسول بامتثال امره ونهيه ويلزمه بحسبه له
ايضا ولم تذكر لتحققها لذكر الرجل لها والعلم بخلوصه فيها فاوليك مع الذين
انعم الله عليهم بنعيم الجنة وعالي مراتبها ففيه تبشير له من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين بيان للمنعم عليهم بما اخفي لهم من
قرة اعين وحسن اوليك تعجب اي ما احسنهم رفيقا تمييز ولم يجمع
لوقوعه على الواحد وغيره او لارادة كل واحد منهم فدعا به طلب حضوره
فقراها عليه جوابا له وتبشيرا والمراد بالمعية والمرافقة كونهم في الجنة
يستمتع فيها برويتهم وزيارتهم والحضور معهم متى شا لا التسوية في
المنزلة قال عياض وفي حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله
عليه وسلم اي ملازما لمجلسه ينظر اليه اي يديم النظر الى وجهه
الوجيه لا يطرف بفتح اليا وسكون الطا وكسر الرا المهملتين وفا اي
لا يصرف طرفه عن النظر اليه او لا يطبق احد جفنيه على الاخر ويغض
بصره وظاهر قول بعضهم اي لا يغض بصره مطرقا راميا ببصره
الى الارض انه من اطرق بضم اوله وقاف وهو صحيح ايضا قال بعضهم
لكني لا اعرف هل هو رواية او تحرف عليه او نشا في تفسيره فقال
له صلى الله عليه وسلم ما بالك اي ما شانك حتى تخط النظر وتديمه

كالمبهوت قال افديك بابي انت وامي اتمتع من النظر لفظ الشفا بالنظر
اليك اي اتلذذ بادامة نظري في وجهك ما دام ممكنا في الدنيا لا انتفع به
واتزود منه فاذا كان وجد يوم القيامة رفعك الله الي الدرجات العالية
في الجنة بتفضيله لك علي جميع خلقه والبا للسببية فانزل الله الاية
المذكورة وذكره البغوي محيي السنة الحسين بن مسعود احد الحفاظ
في تفسيره بلا عزو بلفظ نزلت اي الاية في ثوبان مولى رسول
الله صلي الله عليه وسلم اشتراه واعتقه فلزمه حضرا وسفرا وخدمه
حتى مات فتحول الي الرملة ثم حمص فمات بها سنة اربع وخمسين وكان
شديد الحب لرسول الله صلي الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه
ذات يوم وقد تغير لونه وعند الثعلبي تغير وجهه ونحل جسمه يعرف
الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم ما غير لونك
فقال يا رسول الله ما بي مرض مطلق علة ولا وجع اي مرض مولم ويقع
ايضا علي كل مرض ولا يراد هنا لمقابلته غير اني اذا لم اراك استوحشت
وحشة شديدة اي انقطاع وبعد قلب عن الود وعدم استيناس
حتى القاك فتزول وحشتي ثم ذكرت الاخرة اي فكرت في امرها فاخاف
ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين في اعلا الدرجات واني ان دخلت
الجنة في منزلة ادنى من منزلتك فتتعذر رويتي لك بدليل قوله وان لم
ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية المذكورة وكذا ذكره الواحدي
في كتاب اسباب النزول وعزاه للكلبي محمد بن السايب عن ثوبان
الصحابي المذكور وذكره شيخه الثعلبي في تفسيره بلا اسناد ولا راو وقال
قتادة كما اسنده ابن جرير قال اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم كيف يكون
الحال في الجنة وانت في الدرجات العلي ونحن اسفل منك فكيف
نراك فانزل الله الاية المذكورة ذكره ابن ظفر محمد في ينبوع الحياة
اسم تفسيره واسنده البيهقي بلفظ ان عامر بالنصب وان رسم بصورة
الرفع بلا الف علي لغة ربيعة او حذفت الالف للتخفيف كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا
ولا يختص ذكر بالضرورة خلافا لزاعمه وفي نسخة بالالف ولعلها اصلاح
والا فالنسخ القديمة بدونها وكذا في نسخة الشيخ الخارجي تلميذ المصنف
وعليها خط المولف الشعبي التابعي فهو مرسل قال ان رجلا من الانصار
فهو غير ثوبان لانه ليس من الانصار وياتي انه ابن زيد اتي الي النبي صلي
الله عليه وسلم فقال له والله لانت يا رسول الله احب الي من نفسي
ومالي وولدي واهلي ولولا اني اتيك فاراك لرايت ان اموت او قال
ان سوف اموت شك من الراوي وبكي الانصاري فقال له رسول الله
صلي الله عليه وسلم ما ابكاك قال بكيت لاجل ان ذكرت انك تموت
بالتنا انت ونموت بالنون او له نحن وترفع انت مع النبيين ونكون نحن
ان دخلنا الجنة دونك فتتعذر رويتنا لك فلم يحر بفتح التحتية

وضم

وضم الحا المهملة وبالراء من حار اذا رجع وبضم اليا وكسر الحا من احار الجواب
رده النبي صلي الله عليه وسلم اليه بمعنى ومقتضى قوله اي لم يرجع اليه
انه بالضبط الاول اذ هو تفسير لحير بقول تفسير لقوله بمعنى فانزل
الله الاية قال ابن ظفر وذكر مقاتل بن سليمان مثل هذا وقال
هو اي الرجل الانصاري عبد الله بن زيد بن عبد ربه الانصاري الخزرجي
الذي راي الاذان مات سنة اثنتين وثلاثين وقيل استشهد باحد وذكر
ابن ظفر ايضا ان عبد الله بن زيد هذا كان يعمل في جنة بستان فاتاه
ابنه فاخبره ان النبي صلي الله عليه وسلم توفي فقال اللهم اذهب
بصري حتى لا ارى بعد حبيبي محمد احدا فكف بصره عمي وفي الحديث
ان منكم معشر الانصار من اقسم علي الله لابره وفي تفسير القرطبي انه
صلي الله عليه وسلم لما قرا الاية علي الرجل دعي الله ان يعميه حتى لا يري
احدا غيره في الدنيا فعمي مكانه وتقدم مزيد لهذا في النوع التاسع من
المقصد السادس وياتي ان شا الله تعالي مزيد في المقصد العاشر
واعلم انه لا يجتمع في القلب حبان فان المحبة الصادقة اي الخالصة
التي لا يشوبها ريا ولا مداهنة ويعرف ذلك بالقراين والاحوال ووصفها بذلك
تنزيلا لدلالتها علي صدق صاحبها منزلته ووصف غير العاقل بالصدق وهو
الاخبار بما يطابق الواقع كثير في كلامهم ومنه صدق القتال اذا قوي
واشتد تقتضي توحيد المحبوب اي جعله واحدا بحيث لا تتعلق محبته بغيره
فاذا تعلق قلب انسان بمحبة شخصين لم تكن محبته بغيره فاذا تعلق قلب
انسان بمحبة شخصين لم تكن محبته لواحد منهما صادقة فان اراد صدقها
فليختر المرء لنفسه احدي المحبتين المتعلقتين بالشخصين بالاقتصار علي
محبة واحد منهما فانهما لا يجتمعان في القلب والانسان عبد محبوبه
منقاد اليه مسلم له جميع اموره فيصير معه كعبد عامل بمقتضى العبودية
من انقياده الي سيده ظاهرا وباطنا وحرصه علي طاعته وفعل مراده
وان لم يامره كانما كان كما قيل قايله ابن الفارض انت القتيل باي من
احببته لا تستلذ الحب عليك فتقضي في حبه بالانقياد له فتصير كالميت الذي
لا قدرة له علي فعل شي فكان المحبوب ازال شعور المحب لاستغراقه في هواه
فاختر لنفسك في الهوي من تصطفي اي من تعبده صافيا في الدين بحيث
يحملك علي ملازمة الطاعة سرا واعلانا وليس المراد من تختار لانه يصير في
غاية الركة كانه قال اختر من تختر ولبعض الحكما كان الغمد بكسر
المعجمة لا يتسع لعضبين بفتح المهملة واسكان المعجمة تثنية عضب وهو
السيف القاطع تسمية بالمصدر فهو اخص من مطلق السيف فكذلك القلب
لا يتسع لمحبتين وكذلك لازم اقبالك علي من تهواه اعراضك عن كل
شي سواه فمن داهن في المحبة اي اظهر خلاف ما يبطن او داجا
بان دارا والمراد بها الاخذ للشي والتوصل اليه بحيلة فقد عرض للمرض

لمدي بضم الميم جمع مدية السكين **الفيرة اوداجا** جمع ودج اي العروق
المكتنفة ثغرة النحر يمينا وشمالا والمعني من لم يخلص المحبة عرض نفسه لاسباب
الهلاك الناشئة من غيرته علي حبه لعدم وصوله منه فيصاب باسباب قاتلة
كالمدي في شدة تاثيرها في البدن **فمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام**
بل تقديمه في الحب علي الانفس والاباء والابنا لايتم الايمان الا بها
اي لا يوجد ولا يكمل فاستعمله بمعني الوجود فيما قبل الاضراب وبمعني الكمال
فيما بعده **اذ محبته من محبة الله تعالي** الواجبة لذاته كما مر **وقد حكي**
عن ابي سعيد ابراهيم وقيل احمد بن عيسي البغدادي **الخراز** بالخا المعجمة
وتشديد الرا فالف فزاي منقوطة نسبة لخرز الجلود اي الي خرز جلود القرب
ونحوها من ايمة القوم وجلة المشايخ قيل وهو اول من تكلم في علمي الفنا
والبقا وقيل فيه قمر الصوفية صحب السري وذا النون المصري وبشر الحافي
وغيرهم قال الجنيد لو طالبنا الله بحقيقة ما عليه ابو سعيد لهلكنا اقام كذا
كذا سنة ما فاته ذكر الله بين الخرزتين مات سنة سبع وسبعين وقيل
سنة ست وثمانين ومايتين ومرت ترجمته ايضا **مما ذكره القشيري**
ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن الامام العلامة المفسر المحدث الولي الذي ما
رأي الراوون مثله مر بعض ترجمته **في رسالته انه** اي ابا سعيد **قال رأيت**
النبي صلي الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله اعذرني بكسر
الهمزة وسكون العين وكسر الذال المعجمة وهمزته همزة وصل من عذر كضرب
وبفتح الهمزة وكسر الذال وهمزته همزة قطع من اعذر وهما لغتان سوي بينهما
المجد ولم نر ضم الهمزة والذال والمعني اقبل عذري فلا تؤاخذني بتقصيري
وارفع اللوم عني **فان محبة الله شغلتني عن محبتك فقال لي يا مبارك**
اسم مفعول من البركة وهي الزيادة والتنمية هذا اصله لغة ثم استعمل عرفا
في قليل الفطنة فيحتمل انه المراد هنا دفعا لتوهمه ان محبة الله تنافي
محبته ويعد المشتغل بها مقصرا في حبه عليه السلام مع انها عينها كما قال **من احب**
الله فقد احبني لاني الداعي الي الله الموصل اليه **وقيل ان ذلك وقع لامراة**
من الانصار معه صلي الله عليه وسلم يقظة فان ثبت فلا منافاة كما لا
يخفي **ولابن ابي المجد** العارف بالله تعالي **سيدي ابراهيم الدسوقي**
الشريف الحسيني وقد ذكر نسبه في اللواقح فقال ابراهيم بن ابي المجد
ابن قريش بن محمد بن ابي النجا بن زيد العابد بن ابي عبد الخالق بن محمد بن
ابي الطيب بن عبد الله الكاتم بن عبد الخالق بن ابي القاسم بن جعفر
الصادق بن محمد الباقر بن علي الزاهد بن زين العابدين علي بن الحسين
ابن علي بن ابي طالب الهاشمي تفقه علي مذهب الشافعي ثم اقتفي اثار
الصوفية وجلس في مرتبة الشيخوخة وحمل الراية البيضا وعاش ثلاثا
واربعين سنة ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوي والشيطان حتي
مات سنة ست وسبعين وستماية **الا يا محب المصطفي زد صبابة** بفتح

الصاد شوقا ورقته وحرارته او رقة هوي **وضمخ** بمعجمتين بينهما ميم لطخ
لسان الذكر فيه تعالي الذي تستعمله **منك بطيبه** بالثنا عليه وتعظيمه
صلي الله عليه وسلم **ولا تعبان** اي لا تهتم ولا تبالي **بالمبطلين** الزاعمين ان
ذلك يشغل عن الله تعالي **فما علامة حب الله حب حبيبه** وزعمهم
باطل كيف وقد قال احبوني لحب الله **وكذلك كل حب في الله ولله كما في الصحيحين**
البخاري في الايمان والادب ومسلم في الايمان عن ابي قلابة **عن انس ان رسول**
الله صلي الله عليه وسلم قال ثلاث مبتدا خبره جملة **من كن** اي حصلن **فيه**
فهي تامة **وجد** اي اصاب وكذا الكنفي بمفعول واحد اعني **حلاوة الايمان** وجاز
الابتدا بالنكرة لان التنوين عوض عن المضاف اليه اي ثلاث خصال او لانه صفة
صفة موصوف محذوف وهو مبتدا حقيقة اي خصال ثلاث او لان الجملة
الشرطية صفته والخبر **ان يكون الله ورسوله احب** بالنصب خبر يكون
اليه مما سواهما ولم يثن احب ليطابق خبر كان اسمه لان افعل التفضيل اذا وصل
بمن فهو مفرد مذكر دايما ولا يجوز المطابقة لمن هو له **وان يحب المرء** حال كونه
لا يحبه الا الله تعالي وللنسايي من رواية طلق بن حبيب عن انس وان يحب
في الله ويبغض في الله قال يحيي بن معاذ حقيقة الحب في الله ان لا يزيد
بالبر ولا ينقص بالجفا نقله الحافظ **وان يكره ان يعود** اي العود **في الكفر**
كما يكره ان يقذف بضم اوله وفتح ثالثه اي مثل كراهة القذف **في النار** زاد
البخاري من وجه اخر بعد ان انقذه الله منه قال الحافظ والانقاذ اعم من ان
يكون بالعصمة منه ابتدا بان يولد علي الاسلام ويستمر او بالاخراج من ظلمة الكفر
الي نور الايمان وعلي الاول فيحمل قوله يعود علي معني الصيرورة بخلاف
الثاني فالعود فيه علي ظاهره وفي رواية قتادة عن انس عند مسلم
والبخاري في الادب وحتي ان يقذف في النار احب اليه من ان يرجع الي الكفر
بعد ان انقذه الله منه وهي ابلغ من هذه الرواية لانه سوي فيها بين الامرين
وهنا جعل الوقوع في نار الدنيا اولي من الكفر الذي انقذه الله بالخروج منه
من نار الاخري فان قيل لم عدي العود بفي ولم يعده بالي فالجواب انه ضمنه
معني الاستقرار كانه قال يستقر فيه ومنه قوله تعالي وما كان لنا ان نعود
فيها انتهي وزعم العيني انه تعسف وانما في هنا بمعني الي كقوله تعالي او
لتعودن في ملتنا اي لتصيرن الي ملتنا ومنعه شيخنا في قراءة البخاري
بانه لا تعسف فكل من الطريقين مسلوك وذلك لان الفعل اذا عدي بحرف
لا يتعدي به جاز تاويل الفعل بما يتعدي به كتاويل يؤمنون بالغيب
بيعترفون وتاويل الحرف مع بقا الفعل علي حقيقته كالمثال الذي ذكره
بل قال بعضهم التاويل في الفعل اولي **فعلق ذوق الايمان بالرضي**
بالله ربا بقوله صلي الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا
الحديث الاتي قريبا وطعم الايمان بمعني حلاوة الايمان لان الثلاثة لا توجد
الا ممن صح ايمانه وانشرح صدره قاله عياض **وعلق** في هذا الحديث

وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يلزم الايه وهو كونه
سبحانه احب الاشيا الي العبد هو تعالي ورسوله عليه السلام فمن
رضي بالله ربا رضيه الله له عبدا بمعني اثابه جزيل الثواب ومعني
حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدنيا فاستعمال
الحلاوة فيه مجاز مرسل من ذكر الملزوم وارادة اللازم ويوثر لفظ
الفتح وايثار ذلك علي اعراض الدنيا ومحبة العبد قد تحصل
اي تحقق وتوجد بفعل طاعته وترك مخالفته وكذلك الرسول
قاله النووي بمعني ان فعل الطاعة علامة علي محبة العبد فليس عين
المحبة بل مسبب عنها كما اشار اليه البيضاوي في ان كنتم تحبون الله وقال غيره
معناه ان من استكمل الايمان علم ان حق الله ورسوله اكد عليه من حق
والده وولده وجميع الناس لان الهدي من الضلالة والخلاص من
النار انما كان بالله علي لسان رسوله فكانه حمله علي معني الحديث قبله
لا يومن احدكم حتي اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين
وفي قوله عليه الصلاة والسلام حلاوة الايمان كما قال الحافظ
استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المومن في الايمان بشي حلو
واثبت له لازم ذلك الشي واضافه اليه ولا يتعين هذا فيجوز انه شبه
اللذة الحاصلة من التلبس بالايمان بحلاوة الحلو واستعار له اسمه فتكون
استعارة تصريحية ويجوز انه مجاز مرسل اطلق الحلاوة واراد لازمها عند
تناولها وهو اللذة وفيه تلميح الي قضية المريض والصحيح لان
المريض الصفراوي الذي غلب خلط الصفراء علي مجاريه من مزاجه يجد
طعم العسل مرا لفساد مزاجه والصحيح يذوق حلاوته علي ما هي
عليه وكلما نقصت الصحة شيا ما قليلا ينقص ذوقه بقدر ذلك
زاد الحافظ فكانت هذه الاستعارة من اوضح ما يقوي به استدلال
البخاري علي الزيادة والنقص اي للايمان وقال الشيخ ابو محمد بن
ابي جمرة انما عبر بالحلاوة لان الله شبه الايمان بالشجرة في قوله مثل
كلمة طيبة كشجرة طيبة فالكلمة هي كلمة الاخلاص والشجرة اصل
الايمان واغصانها اتباع الامر واجتناب النهي وورقها ما يهتم به
المومن من الخير وثمرتها عمل الطاعات وحلاوة الثمرة جني الشجرة
وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها انتهي وقال
البيضاوي المراد بالحب العقلي الذي هو ايثار ما يقتضي العقل السليم
رجحانه وان كان علي خلاف هوي النفس كالمريض يعاف الدوا بطبعه
فينفر عنه ويميل اليه بمقتضي عقله فيهوي تناوله فاذا تامل المرء ان
الشارع لا يامر ولا ينهي الا بما فيه صلاح عاجل او خلاص اجل والعقل
يقتضي رجحان جانب ذلك تمرن علي الايتمار بامره بحيث يصير هواه
تبعا له ويلتذ به التذاذا عقليا اذ الالتذاذ العقلي ادراك ما هو كمال

وخير من حيث هو كذلك وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة لانها
اظهر اللذائذ المحسوسة وانما جعل هذه الثلاثة عنوانا لكمال الايمان
لان المرء اذا تامل ان المنعم بالذات هو الله وان لا مانح ولا مانع في الحقيقة
سواه وان ما عداه وسائط وان الرسول هو الذي يبين مراد ربه اقتضي
ذلك ان يتوجه بكليته نحوه فلا يحب الا ما يحب ولا يحب من يحب
الا من اجله وان يتيقن ان جملة ما وعد واوعد حقا يقينا يخيل اليه الموعود
كالواقع فيحسب ان مجالس الذكر رياض الجنة وان العود في الكفر القا
في النار انتهي ملخصا وشاهد هذا الحديث من القران قوله قل ان كان
اباوكم وابناوكم الي ان قال احب اليكم من الله ورسوله ثم هدد علي ذلك
وتوعد بقوله فتربصوا حتي ياتي الله بامره فان فيه اشارة الي التحلي
بالفضايل والتخلي عن الرذايل فالاول من الاول والثاني من الثاني
انتهي كله من فتح الباري وقال العارف ابن ابي جمرة بجيم وزاي
واختلف في الحلاوة المذكورة في قوله حلاوة الايمان هل هي
محسوسة او معنوية فحملها قوم علي المعني بمعني ان من وجد
فيه جزم بالايمان وانقاد الي احكامه وهم الفقها ومن شابههم
من اهل المعقول لان وحملها قوم علي المحسوس وابقوا اللفظ علي
ظاهره من غير ان يتاولوه وهم اهل الصفة بضم الصاد وتشديد
الفا السادة الصوفية سموا بذلك لجريهم علي ما كان اهل الصفة وهي
ظلة في موخر المسجد النبوي ياوي اليها السالكين من الانقطاع الي
الله وعبادته والاعراض عن الدنيا او قال اهل الصوفة للبسهم
الصوف تقشفا واعراضا عما تنعم به الاغنيا قال ابن ابي جمرة والصواب
معهم في ذلك والله اعلم لان ما ذهبوا اليه ابقوا به لفظ الحديث
علي ظاهره من غير تاويل والاصل انه لا يعدل عن الحقيقة ما وجد
اليها سبيل والمتبادر من هذا انها امر يدرك حلاوته بالفم كما يدرك
حلاوة السكر والعسل ونحوهما وهذا شي لا يدركه الا من وصل الي ذلك
المقام فلا يليق ادعا انه غير مراد بل المراد ما يا في انه امر يجده القلب
تكون نسبته اليه كذوق حلاوة الجماع الي اللذة لا ان الاتي كلام ابن
القيم حمله علي المعني اذ هو لم يذكر القول بانها محسوسة فلا يرد
عليه وكذا ما نقلناه اثنا من كلام نفس ابن ابي جمرة المصرح بان
التعبير باطلاق الحلاوة انما هو علي وجه التشبيه اي يجد في قلبه
حلاوة تشبه الحلاوة الماكولة بالفم انما هو تقرير للقول بانها معنوية
ومالنا وللتكلم فيما لا نعرفه ولا يمكننا تحليه
واذا لم تر الهلال فسلم ٭ لاناس راوه بالابصار
قال ويشهد الي ما ذهبوا اليه احوال الصحابة والسلف الصالح
كالتابعين واهل المعاملات وهي منازل عشرة يذكرها الكابرون

السايرون الي الحق عز اسمه وهي الرعاية والمراقبة والحرمة والاخلاص والتهذيب
والاستقامة والتوكل والتفويض والثقة والتسليم سميت بالعلامات
لان العبد لا يصلح له معاملة الحق الا بان يتحقق بهذه المقامات فالمعاملة
عندهم عبارة عن توجه النفس الانساني الي باطنها الذي هو الروح الروحاني
والسر السرياني واستمدادها منهما ما يزيل الحجب عنها ليحصل لها قبول
المدد في مقابلة ازالة كل حجاب وهذا انما يصح لعبد يملك ناصية الزهد
ثم الورع ثم الحزن ثم من ملك ناصية هذه الثلاثة استحق ان
يصير من اهل المعاملات واهم ما عليه ان يتحقق باعم مقاماتها واهمه
وهو الاخلاص اذ لا تصح المعاملة بدونه ثم المراقبة ثم التفويض قاله
في الاعلام باشارات اهل الالهام **فانهم حكوا عنهم انهم وجدوا الحلاوة**
محسوسة فمن ذلك حديث بلال بن رباح احد السابقين الاولين
حين صنع به ما صنع في الرمضا بفتح الرا وسكون الميم وضاد معجمة
والمد ارض اشتد وقع الشمس فيها سوا كان فيها رمل او حصي او غيرهما
روي انهم كانوا يلصقون ظهره برمضا البطحا في الحر ولاحمد عن ابن
ذران بلالا هانت عليه نفسه في الله وهان علي قومه فاعطوه الولدان
فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة **اكراها علي الكفر وهو يقول احد**
احد مرفوع منون كذا احفظه وكذا في اصلنا من ابن ملجة خبر مبتدا
محذوف اي الله احد كانه يشير الي انني لا اشرك بالله شيا ويحتمل
انه غير منون اي يا احد قاله في النور **فمزج** خلط **مرارة العذاب**
مشقته والمه **بحلاوة الايمان وكذلك ايضا** وقع له ذلك **عند موته**
اهله يقولون اي زوجته كما في الشفا والمقصد الاول ولفظه وهذا
كما وقع له عند موته كانت امراته تقول **واحرباه** روي بفتح الحا والرا
المهملتين والموحدة من الحرب بفتحتين وهو كما في النهاية نهب مال الانسان
وتركه لا شي له فكانها لتفجعها نهبت وسلبت وروي بفتح الحا والزاي
وبضم الحا وسكون الزاي وروي واحوباه بحا مفتوحة وواو ساكنة فموحدة
من الحوب الاثم والمراد انها بشدة جزعها وقلقها في المصيبة فهي تتفجع
علي نفسها ومن الحوبة بمعني رقة القلب وهو تكلف **وهو يقول**
واطرباه اي مرحاه وواو الندبة والالف والها مزيدة في اخره
كانه يستغيث بطربه ويدعوه في سكرات الموت لما تيقنه من الثواب
وملاقاة الاحباب كما اشار اليه بقوله **غدا القي الاحبة محمدا**
وحزبه اصحابه والمراد بغدا الزمان المستقبل بعد الموت **فمزج مرارة**
الموت بحلاوة اللقا وهي حلاوة الايمان اي من جملة حلاوته
ومنها حديث الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة
فراي السارق حين اخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له في ذلك
اي ليم علي عدم اتباع السارق وتخليصها منه **فقال ما كنت فيه الذ من**

ذلك ولا ذاك الا للحلاوة التي وجدها محسوسة في وقته ذلك
اذ لو كانت معقولة معنوية ما قدمها علي ضياع فرسه **ومنها حديث**
الصحابيين الذين جعلهما النبي صلي الله عليه وسلم في بعض مصارته
من قبل **العدو** اي من جهته **وقد اقبل العدو فراها فتكبل** باللام
مرتبة ضرب والتشديد مبالغة **الجاسوس القوس** اي اوتره عبر عنه
بالتكبيل مجازا تشبيها لايتار القوس بوضع القيد في رجل الاسير لمبالغته
في ايتاره ليتمكن من قوة الرمي وفي نسخة فكبد بالدال اي جعل النشاب
في وسط القوس **ورمي الصحابي فاصابه فبقي علي صلاته ولم يقطعها**
ثم رماه ثانية فاصابه فلم يقطع لذلك صلاته ثم رماه ثالثة فاصابه
فعند ذلك ايقظ صاحبه وقال لولا اني خفت علي المسلمين ما قطعت
صلاتي اي ما اختصرتها لانه لم يقطعها بالفعل **وما ذاك** اي عدم قطعها
واعتذاره **الا لشدة ما فيها من الحلاوة حتي اذهبت عنه ما يجد**
من الم السلاح قال ومثل ذلك حكي عن كثير من اهل المعاملات
انتهي كلام ابن ابي جمرة **وحديث هذين الصحابيين ذكره البخاري**
في صحيحه في باب من لم ير الوضوء الا من المخرجين في كتاب الوضوء
بلفظ ويذكر عن جابر بن عبد الله الصحابي بن الصحابي **ان النبي صلي الله**
عليه وسلم كان في غزوة ذات الرقاع فرمي بضم الرا مبنيا للمفعول
رجل هو عباد بن بشر **بسهم فنزفه** الدم بفتح الزاي والفا اي خرج منه
دم كثير حتي يضعف قاله الجوهري وفي افعال ابن طريف يقال نزفه الدم
وانزفه اذا سال منه كثيرا حتي يضعفه فهو نزيف ومنزوف **فركع وسجد**
ومضي في صلاته فلم يقطعها قال الحافظ واراد البخاري بهذا الحديث الرد
علي الحنفية في ان الدم السايل ينقض الوضوء فان قيل كيف مضي في صلاته مع
وجود الدم في بدنه او ثوبه واجتناب النجاسة فيها واجب اجاب الخطابي
باحتمال ان الدم جري من الجرح علي سبيل الدفق بحيث لم يصب شيا من
من ظاهر بدنه وبدنه وفيه بعد ويحتمل ان الدم اصاب الثوب فقط فنزعه
عنه ولم يسل علي جسمه الا قدر يسير معفو عنه ثم الحجة قايمة به علي ان
خروج الدم لا ينقض ولو لم يظهر الجواب عن كون الدم اصابه **وقد وصله**
ابن اسحق في المغازي في غزوة ذات الرقاع **قال حدثني صدقة**
ابن يسار الجزري نزيل مكة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة **عن عقيل**
ابن جابر بن عبد الله الانصاري مقبول **عن ابيه** جابر الصحابي **مطولا**
قال خرجنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع فاصاب
امراة رجل من المشركين فلما قفل صلي الله عليه وسلم اتي زوجها وكان غايبا
فحلف لا ينتهي حتي يصيب في اصحاب محمد دما فخرج يتبع اثره صلي الله عليه
وسلم فنزل منزلا فقال من رجل يكلونا ليلتنا فانتدب رجل من المهاجرين
ورجل من الانصار فقالا نحن يا رسول الله فقال فكونا في فم الشعب

وكان صلى الله عليه وسلم واصحابه قد نزلوا الى شعب من الوادي
قال الانصاري للمهاجري اي الليل تحب ان اكفيك اوله ام اخره قال بل
اكفني اوله فنام المهاجري وقام الانصاري يصلي واتى الرجل فلما
راى شخص الرجل عرف انه ربيئة القوم فرمى بسهم فوضعه فيه فنزعه
ووضعه وثبت قائما ثم رماه بسهم اخر فوضعه فيه فنزعه وثبت قائما
ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ثم اهب صاحبه
فقال اجلس فقد اثبت فوثب فلما راهما الرجل عرف انه قد نذرا به فهرب
ولما راى المهاجري ما بالانصاري من الدما قال سبحان الله الا اهببتني
اول ما رماك قال كنت في سورة اقرؤها فلم احب ان اقطعها حتى انفذها
فلما تابع على الرمي ركعت فاذنتك وايم الله لولا ان اضيع ثغرا امرني رسول
الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل ان اقطعها او انفذها واخرجه
احمد وابو داود والدارقطني وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم
كلهم من طريق ابن اسحق محمد امام المغازي قال في فتح الباري وشيخه
صدقة ثقة روى له مسلم وابو داود والنسائي وابن ماجة وعقيل
بفتح العين وكسر القاف وان كان مقبول الرواية لكني لا اعرف راويا
عنه غير صدقة فيكون مجهول العين وهو مردود عند الاكثر ولهذا
لم يجزم به البخاري بل اتى بصيغة التمريض بقوله ويذكر على عادته
فيما لم يصح عنده ولكونه اختصره وهو مسوغ للتمريض او للاختلاف
في ابن اسحق فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه واخرجه البيهقي في
الدلائل النبوية من وجه اخر وسمى احدهما اي الرجلين المبهمين في
رواية ابن اسحق عباد بن بشر الانصاري وهو الذي رمي بالسهام
وسمى الرجل الاخر عمار بن ياسر من المهاجرين وسمى السورة
التي كان يقروها عباد في صلاته الكهف فحصل بهذه الطريق تقوية ابن
اسحق مع بيان المبهم في روايته من الرجلين والسورة وانما قال احب
اليه مما سواهما ولم يقل ممن ليعم من يعقل ومن لا يعقل لان ما موضوعة
لهما بخلاف من فموضوعة للعاقل قال تعالى لله ما في السموات وما في الارض
وقال تعالى ولله يسجد ما في السموات وما في الارض قال البيضاوي لما
استعملا للعقلا كما استعمل من لغيرهم كان استعماله حيث اجتمعا اولى من
اطلاق من تغليبا للعقلا ومن قوله ان يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما دليل على انه لا باس بهذه التثنية اي بجمع اسم الله
ورسوله في ضمير واحد واما قوله صلى الله عليه وسلم للذي خطب
قال الحافظ برهان الدين في المقتفى لا اعرفه وقال بعض الحفاظ انه
ثابت ابن قيس وقال الطوفي هو عدي بن حاتم وروى مسلم وابو داود
ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب

انت قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ثم
فليس من هذا لان المراد في الخطب الايضاح واجتناب الرمز
ولذا كان صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلمة اعادها ثلاثا لتفهم واما هنا
فالمراد الايجاز الاختصار في اللفظ ليحفظ اذ القليل يسهل حفظه
ويدل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم حيث قاله في موضع اخر قال
ومن يعصهما فلا يضر الا نفسه واعترض بان هذا الحديث انما ورد ايضا
في خطبة النكاح واجيب بان المقصود في خطبة النكاح ايضا الايجاز فلا نقض
وثم اجوبة اخرى منها دعوى الترجيح فيكون خبر المنع اولى لانه عام والاخر
يحتمل الخصوصية ولانه ناقل والاخر مبني على الاصل ولانه قول والاخر فعل
ورد بان احتمال التخصيص في القول ايضا حاصل بل ليس فيه صيغة عموم
اصلا هكذا في الفتح قبل قوله وقيل انه من الخصائص فيمتنع من غير
النبي صلى الله عليه وسلم ولا يمتنع منه لان غيره اذا جمع اوهم اطلاق
التسوية بينهما لانه لفظ واحد متصل لا سيما اذا لوحظ العدول عن العطف الدال
على التفاوت والتبعية ولذا قال له قل ومن يعص الله ورسوله بخلافه هو فان
منصبه لا يتطرق اليه ايهام ذلك لانه يعطي مقام الربوبية حقه والى
هذا مال ابن عبد السلام الشيخ عز الدين زاد الحافظ ومنها دعوى التفرقة
بوجه اخر وهو ان كلامه صلى الله عليه وسلم هنا جملة واحدة فلا يحسن اقامة
الظاهر فيها مقام المضمر وكلام الذي خطب جملتان فالاولى اقامة الظاهر
فيهما ومن محاسن الاجوبة في الجمع بين هذا الحديث وقصة الخطيب
ان تثنية الضمير هنا للايماء الى ان المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين
لا كل واحد منهما فانها وحدها لاغية متروكة لا اعتداد بها اذا لم ترتبط
بالاخرى فمن يدعي حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك كعكسه
ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم
الله فاوقع متابعة مكتنفة بفتح النون اسم مفعول من اكتنفه القوم احاطوا
به بين قطري تثنية قطر اي جانبي محبة العباد لله ومحبة الله للعباد
والاضافة بيانية يعني انه جعل المتابعة محاطا بها طرفان احدهما محبة الله
والاخر محبة رسوله وعليه فبين هنا بمعنى الى لان بين ظرف لا يظهر معناها
الا باضافتها لمتعدد واما امر الخطيب بالافراد فان كل واحد من العصيانين
مستقل باستلزام الغواية بفتح المعجمة الغين المعجمة اسم من غوى غيا
من باب ضرب انهمك في الجهل وهو خلاف الرشد اذ العطف في تقدير
التكرير والاستقلال لقيام الواو مقام تكرار العامل ولتقديره معهما
والاصل استقلال كل من المعطوفين في الحكم ويشير اليه قوله تعالى
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فاعاد اطيعوا في
الرسول ولم يعده في اولي الامر لانهم لا استقلال لهم في الطاعة
كاستقلال الرسول انتهى ملخصا من كلام البيضاوي والطيبي

كلاهما في كما حكاه في فتح الباري وزادوا هنا اجوبة اخرى فيها نظر منها
ان المتكلم لا يدخل في عموم خطابه ومنها ان له يجمع بخلاف غيره انتهى وفي الصحيح
لمسلم من افراده عن العباس بن عبد المطلب انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ذاق طعم الايمان قال عياض اي عرف الله سبحانه واستحلا الايمان
من رضي بالله ربا فالرضى دليل على هذه المعرفة قال الابي لانه تسبب عنهما
ووجود المسبب يدل على وجود السبب ثم الرضى يكون بمعنى القناعة وبمعنى
الايثار وهو المراد لان الاول مشترك بين جميع الناس اذ من لم يقنع بالله ربا
ليس من الاسلام في شيء واستحلاوة الايمان من صفة الخواص فانما يدل عليها
ما هو من صفتهم فالمعنى عرف الله واستحلا الايمان به من اثره فان قيل هذان
هما الغاية فلو اريد لم يعبر عنهما بالذوق وهو مبدأ الفعل اذ لا يعبر عن غاية
الشيء بمبدائه قلت الذوق انما هو مبدأ الفعل اذا استعمل في المحسوسات كذوق
الطعام اما اذا استعمل في المعاني كما هنا فانما هو كناية عن كمال الادراك والرضى
بالله يستلزم الرضى عنه انتهى وقال الراغب الذوق وجود الطعم في الفم واصله
فيما يقل تناوله فاذا كثر يقال له الاكل واستعمل في القران بمعنى الاصابة اما في
الرحمة نحو ولئن اذقنا الانسان منا رحمة واما في العذاب نحو ليذوقوا العذاب
وقال غيره ضرب الذوق مثلا لما ينالونه من الخير عند المصطفى وبالاسلام دينا
بان لم يسع في غير طريقه قال الطيبي لا يخلو اما ان يراد به الانقياد كما في حديث
جبريل او مجموع ما يعبر بالدين عنه كما في خبر بني الاسلام على خمس ويؤيد الثاني
اقترانه بالدين لا يجامع باتفاق وعلى التقديرين هو عطف عام على خاص وكذا
قوله وبمحمد رسولا بان لم يسلك الا ما يوافق شرعه ومن كان هذا نعته فقد وصلت
حلاوة الايمان الى قلبه وذاق طعمه شبه الامر الحاصل الوجداني من الرضى
بالامور المذكورة بمطعوم يلتذ به ثم ذكر المشبه به واراد المشبه ورجح بقوله
ذاق فان قيل الرضى بالثاني مستلزم للاولين فلم ذكرها قلنا للتصريح بان
الرضى بكل منها مقصود ونبيا كذا في النسخ عطف لازم على ملزوم لان الرسالة
مستلزمة للنبوة لكن ليس في مسلم ونبيا ولم يتكلم شارحاه النووي والابي
على انها رواية وقد نسبه السيوطي لاحمد ومسلم والترمذي بدون
ونبيا فكانها دخلت على المصنف من حديث اخر قال في المدارج لابن
القيم فاخبران للايمان طعما وان القلب يذوقه كما يذوق الفم
طعم الطعام والشراب اي بادراكه لذة الايمان وسهولة ما بني عليه من
فعل الطاعات واجتناب المعاصي فعبر بالذوق عن الادراك وبالطعم
عن السهولة واطمئنان النفس بما يقتضيه الايمان مجازا وقد عبر النبي
صلى الله عليه وسلم عن ادراك حقيقة الايمان والاحسان وحصوله
للقلب ومباشرته له بالذوق فعلق يعبر تارة وبالطعم اخرى ويوجد
تفيح فيكون مصدر الحلاوة تارة كما قال ذاق طعم الايمان وقال في
الحديث الذي قبله ثلاث من كن فيه ذاق حلاوة الايمان ولذا قال

الطيبي مجاز قوله ذاق طعم الايمان مجاز عن قوله وجد حلاوة الايمان وكذلك
موقعه كموقعه لان من يحب احدا يتحرى مراضيه ويؤثر رضاه على رضى نفسه
ولما نهاهم عن الوصال في الصوم قالوا مستفهمين انك تواصل قال اني لست
كهيئتكم اني اطعم واسقى بما يفيد بي به ربي من معارفه وما يفيض على قلبي
من لذة مناجاته وقرة عيني بقربه ونعيمه بحبه والشوق اليه المغني عن غذاء
الاجسام مدة

لها احاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب وتلهيها عن الزاد

وقد غلط اي قوي حجاب من ظن ان هذا الذي يطعمه ويسقاه حين الوصال
طعام وشراب حسي للفم يؤتى له من الجنة لانه لم يدرك الامر على حقيقتها
فعبر عن ذلك بالغلط والحجاب مجازا وسياتي تحقيق الكلام في هذا ان شاء
الله تعالى في الصوم من مقصد عباداته عليه الصلاة والسلام وان
الجمهور على انه مجاز عن لازم الطعام والشراب وهو القوة كانه قال اعطى قوة
الطاعم الشارب والمقصود هنا ان ذوق حلاوة الايمان امر يجده القلب
تكون نسبته اليه كذوق حلاوة الطعام الى الفم فهو على التشبيه اي وجد في
نفسه حلاوة تشبه الحلاوة الماكولة وذوق حلاوة الجماع الى اللذة لما
قال عليه الصلاة والسلام لامراة رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق
عسيلتك وللايمان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد اي ادراك
ولا تزول الشبه والشكوك الا اذا وصل العبد الى هذه الحال فيباشر
الايمان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد حلاوته المعنوية المشابهة
للحسية وقال العارف الكبير تاج الدين ابو العباس احمد بن محمد بن عبد الكريم
ابن عطاء الله فنسبه الى جده الاعلى لشهرته به الجذامي الاسكندراني الامام
المتكلم على طريقة الشاذلي الجامع لانواع العلوم من تفسير وحديث ونحو واصول
وفقه على مذهب مالك وصحب في التصوف الشيخ ابا العباس المرسي وكان
اعجوبة زمانه فيه واخذ عنه التقي السبكي واختصر تهذيب المدونة للبراذعي
في الفقه والف التنوير والحكم وغير ذلك ومات بالمدرسة المنصورية
من القاهرة في ثالث جمادى الاخرة سنة تسع وسبعماية ودفن بالقرافة
ذكره السيوطي وابن فرحون في طبقات المالكية وغيرهما ولا نزاع في انه
مالكي وذكر ابن السبكي له في طبقات الشافعية بقوله اراه كان شافعيا ليس
كما ظن فيه يجني في هذا الحديث اشارة الى ان القلوب السليمة من
امراض الغفلة والهوى اضافة اعم الى اخص او بيانية تتنعم بملذوذات
المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة تشبيه بمطلق اللذة فلا
ينافي ان لذتهم اقوى قال ابراهيم بن ادهم وادعه انا لفي لذة لو
علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف وقال الجنيد اهل الليل في ليلهم
الذ من اهل اللهو في لهوهم وقال عتبة الغلام كابدت الصلاة عشرين سنة
ثم استمتعت بها بقية عمري وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه

لما رضي بالله ربا اعاده • مظهرا تلذذا بذكره •
• اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره • هو المسك ما كررته يتضوع •

استسلم له وانقاد لحكمه عطف تفسير والقي قياده بكسر القاف اليه اي اطاعه وادعن له فهي الفاظ متقاربة فوجد لذاذة بالفتح بزنة سلامة مصدر لذيذ لذاذا ولذاذة بالفتح العيش وراحة التفويض ولما رضي بالله ربا كان له الرضي من الله جزا من جنس العمل فاذا كان له الرضي من الله اوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من بشد النون انعم به عليه وليعلم احسان الله عليه فيزداد شكره فيزيد ثوابه ولما سبقت لهذا العبد العناية الحفظ خرجت له العطايا من خزاين المنن جمع منة فلما وصلته امداد الله زيادات وانواره عوفي قلبه من الامراض والاسقام الامراض المهلكة وكان سليم الادراك فادرك لذات الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه مما يغير طعمه عليه ووفق له صلي الله عليه وسلم وبالاسلام دينا لانه اذا رضي بالاسلام دينا فقد رضي بما رضي به المولي تبارك وتعالي كما قال ورضيت لكم الاسلام دينا ولازم من رضي بمحمد نبيا ان يكون له وليا مواليا وان يتادب بادابه ويتخلق باخلاقه زهدا في الدنيا وخروجا عنها وصفحا عن الجناة بضم الجيم جمع جان اي المذنبين ذنبا يواخذ به وعفوا عمن اسا اليه الي غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا واخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضي بالله استسلم له وانقاد ومن رضي بالاسلام عمل له ومن رضي بمحمد صلي الله عليه وسلم رسولا تابعه متابعة تامة ولا يكون لا يوجد واحد منها الا بكلها اذ محال ان يرضي بالله ربا ولا يرضي بالاسلام دينا او يرضي بالاسلام دينا ولا يرضي بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لا خفا فيه انتهي ملخصا كلام ابن عطا الله واعلم ان محبة الله تعالي كما نقله في فتح الباري عن بعضهم علي قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث علي امتثال الاوامر المفيدة للفرضية واطلقها لان اطلاقها علي غير الواجب مجاز كما حققه المحلي لا مشترك والانتها عن المعاصي والرضي بما يقدره اي يقدره ان حمل علي التقدير الازلي او تقدره حالا وما لا ان حمل علي التعلق التنجيزي والصلوحي فمن وقع في معصية من فعل محرم او ترك واجب فلتقصيره في محبة الله عبر عن الامرين المتقدمين بواحد وان تخفه فرد بين اشارة الي تلازمهما وان اختلفا بحسب المفهوم وما صدقهما اذ الاول هو الفعل الذي طلبه الشارع طلبا جازما والثاني الفعل الذي نهي عنه نهيا جازما فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوي نفسه حيثية تعليل فهو تعليل للتعليل فان قيل يلزم عليه تعليل الشي بنفسه لان المعني ان الوقوع في المعصية سببه فعلها الذي هو اتباع هوي نفسه فالجواب انه دفع ذلك بقوله والتقصير يكون مع الاسترسال في المناجات والاستكثار منها ووجه الدفع ان التقصير الذي هو

سبب العصيان ليس ناشيا عن اتباع هوي نفسه الذي هو المعصية فقط اذ هواها لا يختص بالمعصية فيحمل علي امر مباح ليصح مغايرة المسبب للسبب فيورث ذلك الاسترسال والاستكثار الغفلة عما يحمله علي امتثال الامر واجتناب النهي لغفلته عن الرغبة في الثواب والخوف من العقاب المفضية للتوسع في الرجا لرحمة الله كان يقوم في نفسه انه وان اكثر من الشبهات لا يناله مكروه فيقدم بذلك اي يجتري علي المعصية ويرجو المغفرة زاد في الفتح او تستمر الغفلة لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن والندب ان يواظب علي النوافل ويجتنب الوقوع في الشبهات وهي ما ليس بواضح الحل والحرمة مما تنازعه الادلة وتجاذبه المعاني والاسباب فبعضها يعضده دليل الحرام وبعضها يعضده دليل الحلال والمتصف بذلك في عموم الاوقات والاحوال نادر زاد الحافظ وكذا محبة الرسول علي قسمين كما تقدم ويزاد ان لا يتلقي شيا من المامورات والمنهيات الا من مشكاته ولا يسلك الا طريقته ويرضي بما شرعه حتي لا يجد في نفسه حرجا مما قضي ويتخلق باخلاقه في الجود والايثار والحلم والتواضع وغيرها فمن جاهد نفسه علي ذلك وجد حلاوة الايمان ويتفاوت مراتب المومنين بحسب ذلك انتهي وفي البخاري في الرقايق من حديث ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه تعالي انه قال لفظه حدثني محمد بن عثمان بن كرامة ثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن ابي نمر عن عطا عن ابي هريرة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله تعالي قال من عادي لي وليا فقد اذنته بالحرب وما تقرب الي عبدي وللكشميهني عبد بحذف اليا بمثل اداء ما افترضته عليه عينا او كفاية فظاهره اختصاصه بما ابتدأ الله فرضه وفي دخول ما اوجبه المكلف علي نفسه نظر للتقييد بقوله افترضت الا ان يوجد من جهة المعني الاعم قاله الحافظ وفي رواية بشي احب بالفتح صفة لشي فهو مفتوح في موضع جر وبالرفع تقدير هو احب الي من اداء ما افترضت عليه اي تاديته لا المقابل للقضا فقط بل المراد فعل ما افترض عليه ولا يزال بلفظ المضارع وللحموي والمستملي وما زال عبدي باضافة التشريف يتقرب الي بالنوافل مع الفرايض كالصلاة والصيام حتي احبه بضم اوله اي ارضي عنه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده الذي يبطش بها بضم الطا وكسرها لغتان وبها قري ام لهم ايد يبطشون بها اي ياخذ بقوة ورجله التي يمشي بها زاد في حديث عايشة عند احمد والبيهقي في الزهد وفواده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به وفي حديث انس عند ابي يعلي وغيره ومن احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا او مويدا وقوله فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي ليست هذه الجمل في رواية البخاري ولين سالني زاد في حديث عايشة عبدي لاعطينه ماسال

بما يعود نفعه عليه كصحة وتوفيق الي طاعة ولين استعاذني قال
المصنف بالنون بعد الذال المعجمة في الفرع كاصله وبالموحدة في غيرهما
لاعيذنه بما يخاف وفي حديث ابي امامة عند الطبراني والبيهقي في الزهد
واذا استنصرني نصرته وفي حديث حذيفة عند الطبراني ويكون من
اوليايي واصفيايي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهدا
في الجنة. وفيه ان العبد اذا ولو بلغ اعلا الدرجات حتي يكون محبوبا لله
تعالي لا ينقطع عند الطلب من الله لما فيه من الخضوع واظهار العبودية وما
ترددت عن بمعني في او ضمن تردد معني تاخر لانه لازمه شي انا فاعله
ترددي عن قبض نفس المومن تشبيه بليغ بحذف الاداة ولم يقل نفس
عبدي تلا ستفنا بوصف الايمان اي ما اخرت وما توقفت توقف المتردد
في امر انا فاعله الا في قبض نفس المومن حتي يسهل عليه ويميل قلبه
شوقا اليه وتميل لانخراطه في سلك المقربين والتبوي في عليين او ازالة
كراهة الموت مما يبتلي به من نحو مرض وفقر فاخذه المومن عن حب الحياة
شيا فشيا بهذه الاسباب يشبه فعل المتردد فعبر به مجازا لان حقيقة
التردد التحير بان يظهر له ما يقتضي الفعل وما يقتضي الترك فينشا من ذلك
الحيرة لمزيد الفعل لتعارض مقتضاهما عنده والله منزه عن ذلك كما ياتي
يكره الموت لصعوبته وشدته ومرارته وشدة ايتلاف روحه بجسده
وتعلقا به ولعدم معرفته بما هو صاير اليه بعده وانا اكره مساته
بفتح الميم والمهملة بعدها همزة فوقية اي ان افعل به ما يحزنه والجملة
في موضع التعليل للتردد وهو استيناف بياني كانه جواب سوال قال
الذهبي في الميزان حديث غريب جدا ولولا هيبة الجامع الصحيح لعدوه
في منكرات خالد بن مخلد القطواني لغرابة لفظه ولانه مما تفرد به شريك
وليس بالحافظ ولم يرو هذا المتن الا بهذا الاسناد ولا خرجه من عدا
البخاري ولا اظنه في مسند احمد قال الحافظ ليس في مسند احمد جزما واطلاق
انه لم يرو الا بهذا الاسناد مردود وشريك شيخ شيخ خالد فيه مقال
ايضا وللحديث طرق يدل مجموعها علي ان له اصلا فرواه احمد في الزهد
وابن ابي الدنيا والبيهقي في الزهد من طريق عبد الواحد بن ميمون
عن عروة عن عايشة وذكر ابن حبان وابن عدي ان عبد الواحد تفرد به
وقد قال البخاري انه منكر الحديث لكن اخرجه الطبراني من طريق يعقوب
ابن مجاهد عن عروة وقال لم يروه عن عروة الا يعقوب وعبد الواحد
واخرجه الطبراني والبيهقي عن ابي امامة بسند ضعيف وابو يعلي والبزار
والطبراني عن انس وفي سنده ضعف والطبراني عن حذيفة مختصرا
وسنده ضعيف واحمد في الزهد وابو نعيم في الحلية عن معاذ بن جبل
مختصرا وسنده ضعيف واحمد في الزهد وابو نعيم في الحلية عن وهب
ابن منبه مقطوعا انتهي وهو اصل عظيم في السلوك الي الله تعالي

والوصول

والوصول الي معرفته ومحبته لان المفترض اما باطن وهو الايمان او ظاهر
وهو الاسلام او مركب منهما وهو الاحسان المتضمن مقامات السالكين كالاخلاص
والزهد والتوكل والمراقبة فقد جمع هذا الحديث الشريعة والحقيقة.
ويستفاد من قوله وما تقرب الي عبدي بشي من الطاعات احب
الي من ادا ما افترضته عليه ان ادا الفرايض احب الي الله تعالي
اي فعلها لا مقابل القضا كما مر فالمراد اللغوي فيشمل النذر اخذا للافتراض
بالمعني الاعم لان من نذر شيا فرض الله عليه الوفا به فلا ينافي قوله
مما افترضته ومر ان الحافظ نظر فيه واشار الي الجواب بنحو هذا وعلي
هذا المستفاد فقد استشكل كون النوافل انتج المحبة لانه تعالي جعلها
مرتبة علي كثرة النوافل ولا تنتجها الفرايض لانه سبحانه جعلها احب الاشيا
اليه ولم يذكر سبب الاحبية فلم تترتب المحبة علي ادا الفرايض واجيب
بان المراد من النوافل ما كانت مع الفرايض مشتملة عليها ومكملة
لها لا مطلقا فانما انتجت المحبة من حيث الاشتمال والتكميل ويويده ان
في رواية ابي امامة الباهلي عند الطبراني والبيهقي مرفوعا ابن
بفتح الهمزة وكسرها ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضته
عليك فلا يعتد بالنوافل بدون الفرايض قال ابن ابي جمرة انما سميت نافلة
لانها تاتي زايدة علي الفريضة فلو لم تود الفريضة لا تحصل ومن اداها ثم
اد النفل محضت منه ارادة التقرب وقد جرت العادة بان التقرب يكون
غالبا بغير ما وجب علي المتقرب كهدية وتحفة بخلاف ما يجب عليه او يقتضي
بالزامه ومما يحقق ذلك ان جملة ما شرع له النفل جبر الفرض فالمراد
من التقرب بالنفل ان يقع ممن ادى الفرض لا ممن اخل به قال بعض الاكابر
من شغله الفرض لا عمن اخل به قال عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل
عن الفرض فهو مغرور انتهي او يجاب بان الاتيان بالنوافل بمحض
المحبة لا لخوف العقاب علي الترك فاستحق محبة الله لكونه لا في مقابلة
شي بخلاف الفرايض ففعلها مانع من العقاب علي تركها فهو في مقابلة
عوض وان كانت افضل وقال الفاكهاني عمر بن علي بن سالم اللخمي المالكي
الشهير بتاج الدين الفاكهاني الثقة الفاضل المتفنن في الحديث والفقه
والاصول والعربية والادب والدين المتين والصلاح العظيم والتخلق باخلاق
الاوليا وصحب منهم جماعة وحج غير مرة وولد باسكندرية سنة اربع
وقيل ست وخمسين وستماية ومات بها سنة اربع وثلاثين و
وسبعماية وله مصنفات عديدة معني الحديث انه اذا ادي الفرايض
وادام علي اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرها وبين الفاكهاني
نفسه ذلك الغير فقال في شرح الاربعين من صلاة في الليل او في
النهار لا سيما التوابع للمفروضات او صيام او صدقة او حج تطوع او جهاد
غير متعين او اصلاح بين اثنين او جبر خاطر يتيم او اعانة مسلم

اوتيسير علي معسر او فعل خير من حيث الجملة افضي به ذلك الي محبة
الله تعالي اياه او وصله لها فالبا زايدة للتوكيد وقد استشكل ايضا
كيف يكون الباري جل وعلي سمع العبد وبصره الخ يعني ويده
ورجله مع ان السمع عرض اذ هو قوة مثبتة في مقعر الصماخ والله
تعالي ذات والذات لا تقوم في العرض بل العكس مع استحالة حلول
الحق تعالي في غيره فتضمن السوال امرين كما لا يخفي واجيب باجوبة
منها انه ورد علي سبيل التمثيل والمعني كنت سمعه وبصره
في ايثاره امري فهو يحب طاعتي ويحب خدمتي كما يحب هذه
الجوارح فهو من التشبيه البليغ كزيد اسد ومنها ان المعني ان كليته
اي جملته لا الكلية المنطقية التي هي الحكم علي جميع الافراد المقابلة للكلي
وهو ما لا يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه وللكل وهو ما كان لا يمنع نفس
تصوره من وقوع الشركة فيه وللكل وهو ما كان ذا اجزا ذا اجزا مشغولة
بي فلا يصغي بسمعه الا الي ما يرضيني ولا يرضي ببصره الا
ما امرته به ولا يبطش الا مرضاتي ولا يمشي الا فيما يقربه الي ومنها
ان المعني كنت له في النصرة بضم النون الاعانة والتقوية كسمعه
وبصره ويده ورجله في المعاونة بيان للنصرة علي عدوه وهذا
ايضا علي جهة التمثيل لكنه من جهة اخري فغاير الاول ومنها انه علي حذف
مضاف اي حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه
وحافظ بصره كذلك اي فلا يبصر الا الحلال الي اخره يعني وحافظ يده
وحافظ رجله كذلك والدليل علي المضاف الاستحالة قاله اي هذا الجواب
الرابع الفاكهاني في شرح الاربعين ولم يذكر فيه سواه وسوي ما نقله
بقوله قال الفاكهاني ويحتمل في الحديث معني فهو فاعل او يحتمل الحديث
معني فهو نصب علي المفعولية والاول اظهر والخطب سهل اخر اذق من
الذي قبله وهو ان يكون سمعه بمعني مسموعه لان المصدر قد جا
بمعني اسم المفعول مثل فلان املي بمعني مامولي فاعل مصدر امل
يامل من باب طلب واسم مفعوله مامول واسم فاعله امل وعبارة الفاكهاني
قالوا انت رجاي بمعني مرجوي والمعني انه لا يسمع الا ذكري سماع تلذذ
ولا تلذذ الا بتلاوة كتابي ولا يانس الا بمناجاتي في الصلاة
وغيرها ولا ينظر الا في عجايب ملكوتي ولا يمد يده الا فيما فيه
رضاي كمدها بالصدقة ونحوها وعبر هنا بالمد اشارة الي ان المراد
مطلق حركة يده لا حقيقة المد وفي الحديث بالبطش لشرفه وهو الاخذ
بقوة ورجله كذلك لا يسعي بها الا فيما فيه رضاي وقال غيره وهو
الطوفي اتفق العلما ممن يعتد بقوله بافراد الضمير علي لفظ من
وهو اكثر كقوله ومنهم من يومن به علي هذا ايجاز وكناية عن
نصرة العبد مصدر مضاف لمفعوله اي عن نصرة الله عبده وتاييده

واعانته حتي كانه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الالات
التي يستعين بها اي ان افعاله لا توجد الا بارادته واقداره فعليه
لانه بمنزلة الالة الحقيقية وبهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي
يبصر وبي يبطش وبي يمشي فالذلك المغير والاتحاد به نسبة
الي الاتحاد وهو تصيير الذاتين ذاتا واحدة وهو محال لانه ان كان عين كل
واحد منهما موجودا في حال الاتحاد فهما اثنان لا واحد وان عدمت واحدة فليس
ذلك باتحاد بل عدم احدهما وان عدما كان عدم الاتحاد اظهر زعموا انه علي
حقيقته وان الحق عين العبد محتجين بمجي جبريل في صورة دحية تعالي
الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وللشيخ قطب الدين القسطلاني كتاب
بديع في الرد عليهم وقال الخطابي عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعا
والنجح بضم النون الظفر بالمقصود في الطلب وذلك ان مساعي الانسان
اي تصرفاته في اعماله كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن
ابي عثمان سعيد بن اسماعيل النيسابوري الحيري بحا مهملة مكسورة
وراء مهملتين بينهما تحتية ساكنة نسبة الي الحيرة محلة بنيسابور غير المدينة
المعروفة بالكوفة واصله من الري وصحب قديما يحيي بن معاذ الرازي وشاه
ابن شجاع الكرماني ثم رحل الي نيسابور فاصد ابا حفص الحداد فاخذ عنه
طريقته وزوجه ابنته احد ايمة الطريق قال ابو نعيم كان بالحلم متطبعا
وللمريد نصيحا مشفقا وقال الخطيب كان مجاب الدعوة وكان يقول من امر
السنة علي نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوي عليها نطق بالبدعة
وان تطيعوه تهتدوا وامات بنيسابور سنة ثمان وتسعين ومايتين وقيل غير
ذلك قال معناه كنت اسرع الي قضا حوايجه من سمعه في الاستماع
وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي هذا اسنده اي
رواه عنه البيهقي في كتاب الزهد وحمله بعض اهل الزيغ الضلال
والميل عن الحق الي الباطل علي ما يدعونه من ان العبد اذا لازم العبادة
الظاهرة والباطنة حتي يصفي عن الكدورات انه تاكيد لقوله ان
العبد اعاده لطول الفصل وهو وارد في الفصيح كقوله تعالي ايعدكم انكم اذا
متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون والخبر قوله يصير في معني الحق
تعالي الله عن ذلك وانه يحكي عن نفسه جملة حتي يشهد ان الله هو
الذاكر لنفسه الموحد بالحا المهملة لنفسه المحب لنفسه وان هذه الاسباب
والرسوم تصير عدما صرفا وهذا ضلال مبين وعلي الاوجه السبعة
السابقة كلها فلا متمسك فيه للاتحادية ولا القايلين بالوحدة المطلقة
لقوله في بقية الحديث ولين سالني زاد في رواية عبد الواحد بن
ميمون عن عروة عن عايشة عبدي فان كلا من سالني وعبدي نص في نفي
الاتحاد والوحدة المطلقة انتهي ملخصا وقال العلامة ابن القيم شمس
الدين محمد بن ابي بكر تضمن هذا الحديث الشريف الالهي المنسوب الي

الا لله تعالى بما تلقاه المصطفى عنه بلا واسطة اوبها الذي حرام اي ممنوع
كالحرمة لغة المنع ومنه وحرام على قرية على غليظ الطبع شديده في التباعد
عن الحق وعدم الانقياد له كثيف القلب المراد به هنا معنى ما قبله فهو مساو له
حسنه اختلاف اللفظ فحرام خبر مقدم والمبتدا فهم معناه وفهم المراد بسبب
فهو بالجر عطف على معناه وان اتحدا معنى كساجعه لاختلاف اللفظ وقوله
حصر بالنصب مفعول تضمن اسباب محبته تعالى لعبده فالمصدر مضاف
لفاعله في امرين اداء الفرايض والتقرب اليه بالنوافل بدل من امرين
ولا تقرا قوله والمراد بالرفع مبتدا خبره حصر ويعترض عليه بان الظاهر
حينئذ لان حصر مفعول مفعول تضمن اذ لا ملجي لذلك فالكلام صحيح بجر المراد
وهو الظاهر او المتعين وتضمن ايضا ان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى
يصير محبوبا لله فالسبب الثاني هو المحقق لصيرورة العبد محبوبا لله
بحيث يكون سمعه الخ فاذا صار محبوبا لله اوجبت انبعثت محبة له محبة
اخرى منه اي العبد لله فوق المحبة الاولى الحاصلة منه قبل فشغلت
هذه المحبة الثانية قلبه عن الفكرة والاهتمام بغير محبوبه وهو الله
عز وجل وملكت اي قصرت تلك المحبة عليه اي على المحبوب روحه اي المحب بحيث
لا تجاوزه للتعلق بغيره ولم الاولى فلم يبق فيه سعة لغيره محبوبه
البتة فصار ذكر محبوبه وحبه بضم الحاء والرفع ومثله بفتحتين وصفه
الاعلى العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة التامة مالكا لزمام قلبه
خبر اي صار ما ذكر مانعا لقلبه من التلفت الى غيره ففيه استعارة بالكناية
وتخييلية شبه القلب بالبعير الممنوع من استرساله مع هواه استعارة بالكناية
وتخييلية واثبات الزمام له تخييل مستوليا على روحه استيلاء المحبوب
على محبه الصادق في محبته التي قد اجتمعت قوى محبه كلها له فسمع
محبه وبصره وغيرها من بقية المعاني صارت حافظة للمحب مانعة من
كل لحوق ضرر به مقوية له على مطلوبه من زيادة القرب ودوامه
فكانها مختصة به لا تتجاوزه الى غيره ولا ريب شك ان هذا المحب ان سمع
سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر بمحبوبه وان مشى مشى به فهو في قلبه
ونفسه وانسه وصاحبه ويقرب من هذا جواب العارف الاستاذ علي بن
وفا بان معنى كنت سمعه الى اخره ان ذلك الكون الشهودي مرتب على ذلك
الشرط الذي هو حصول المحبة فمن حيث الترتيب الشهودي جاز الحدوث المشار
اليه بقوله كنت سمعه لا من حيث التقدير الوجودي وقال في الفتوحات لابن عربي
المراد به انكشاف امر لمن تقرب اليه تعالى بالنوافل لا انه لم يكن الحق تعالى سمعه
قبل التقرب ثم كان تعالى عن ذلك وعن العوارض الطارية وهذه من غرر
المسايل الهبة نقلها في اليواقيت والجواهر والباهنا في قوله فبي يسمع
الى اخره بالمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها لان الاصل في الصحبة
اطلاقها على من حصل له رؤية ومجالسة ووراء ذلك شروط للاصوليين وتطلق

مجازا

مجازا على من تمذهب بمذهب امام كاصحاب الشافعي ولا يصح حملها هنا على شيء
من ذلك ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها لانها لا نظير لها تصور
به في الخارج فانما يدركها من قامت به كالملاحة تدرك ولا توصف بعبارة تحصل
حقيقتها وصورتها للمخاطب فالمسالة حالية اي حال من احوال النفس يدركها
من قامت به لا علمية محضة اي ليست متعلقة للعلم بحيث يصورها بما يميزها
عن غيرها خارجا قال ابن القيم ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في
محابه جمع حب كمحاسن جمع حسن على غير قياس حصلت موافقة الرب لعبده
في حوايجه ومطالبه فقال ولئن سالني لاعطينه ~~ولئن استعا~~
ولئن استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي بامتثال
اوامري والتقرب الى محابي فانا اوافقه في رغبته فيما عندي ورهبته
خوفه مني فيما يسالني ان افعله به عايد لرغبته وفيما يستعيذني
ان يناله عايد لرهبته تحقق وعده المحقق المؤكد بالقسم ايذان بان من
تقرب اليه بما مر لا يرد دعاه وان الكمل يطلب منهم الدعا وقال الشيخ
اكمل الدين في شرح المشارق اقوى ما قاله الشراح بحسب الظاهر في هذا
الحديث كنت سمعه فلا يسمع الشرع ما لم ياذن الشرع بسماعه ولا يبصر ما لم
ياذن في النظر اليه ولا يبطش الا ما اذن ببطشه ولا يسعى الا فيما اذن في
السعي اليه وبحسب الباطن لا يزال العبد يتقرب اليه بانواع الطاعات واصناف
الرياضات ويترقى من مقام الى اعلا منه حتى يحبه الله فيجعل سلطان
حبه غالبا عليه حتى يسلب عنه الاهتمام بكل شيء غير تقربه اليه فيصير
منخلعا عن الشهوات ذاهلا عن اللذات مستغرقا بملاحظة جناب قدسه
بحيث لا يلاحظ شيئا الا لاحظ ربه ولا التفت الى شيء الا راى ربه وهذا اخر
درجات السالكين واول درجات الواصلين فيكون بهذا الاعتبار سمعه وبصره
وهذا نفس محبوب والذايق يقول العبد يتقرب الى الله بالنوافل حتى يكون
الرب صفات عبده المذكورة ليحصل له المناسبة الصفية بين المحب والمحبوب
فانها لا بد منها ولذا جعل السبب فيه اداء النوافل فان الله فاعل مختار
ليس عليه ايجاب لاحد والنوافل ليست بايجاب فكان ذلك مناسبة اخرى
بين المحب والمحبوب وهذا يسمى قرب النوافل وثمة قرب الفرايض
وهو اعظم من قرب النوافل انتهى وقوي امر هذه الموافقة
من الجانبين حتى اقتضى تردد الرب سبحانه وتعالى في اماتة
عبده لانه يكره الموت والرب تعالى يكره ما يكره عبده ويكره
مساءته فمن هذه الجهة يقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته
في اماتته متفضل بجعل المصلحة فانه ما اماته الا ليحييه الحياة
الابدية ولا امرضه الا ليصحه بضم التحتية وكسر الصاد اي يزيل
مرضه يصونه من اهوال الاخرة والامها وليزيل عنه المكروهات الدنيوية
ويثيبه وهذا اظهر ولا افقره الا ليغنيه ولا منعه الا ليعطيه

ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه ادم الا ليعيده اليها
علي احسن احواله فهذا هو الحبيب علي الحقيقة لا سواه
انتهي كلام ابن القيم وقال الخطابي التردد في حق الله غير جايز
اذ لا يجوز يكون الا ممن لا يعلم العاقبة فيتعارض عنده مقتضي الفعل
والترك فيتخير في ايهما اولي ليفعله والله لا يخفي عليه شي فيستحيل
التردد والبدا بفتح الموحدة والدال المهملة والمد ظهور مصلحة كانت
خفيت عليه في الامور غير سايغ لانه محال ان يظهر له شي كان
عنه غايبا ولكن له اي الحديث تاويلان احدهما ان العبد قد
يشرف علي الهلاك في ايام عمره من دا يصيبه وفاقة
تنزل به فيستغيد منها ويدفع يزيل عنه مكروهها فيكون
ذلك من فعله كتردد من يريد امرا ثم يبدو له فيه فيتركه
ويعرض عنه فليس من التردد الحقيقي في شي ولا بد له من لقايه
اي الموت اذا بلغ الكتاب المكتوب من العمر اجله فاذا جا اجلهم
فلا يستاخرون ساعة ولن يوخر الله نفسا اذا جا اجلها لان الله
قد كتب الفنا علي خلقه كل من عليها فان ويبقي وجه ربك
واستاثر بالبقا لنفسه فكل شي هالك الا وجهه والثاني ان
يكون معناه ما رددت رسلي في شي انا فاعله كترديدي
اياهم في قبض نفس عبدي فاطلق التردد واراد لازمه وهو
الترديد واضافه تعالي ذلك لنفسه لان ترددهم عن امره كما في قصة
موسي عليه السلام في الصحيحين عن ابي هريرة مرفوعا في
احاديث الانبيا ارسل ملك الموت الي موسي فلما جاه صكه فرجع الي
ربه فقال ارسلتني الي عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه وقال
ارجع فقل له يضع يده علي متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة
سنة قال ثم ماذا قال الموت قال فالان الحديث وما كان من لطمة
عين ملك الموت ففقاها كما في رواية مسلم وكان موسي ظنه ادميا
تسور عليه منزله بغير اذنه ليوقع به مكروها ويحتمل انه علم انه
ملك الموت ودافعه عن نفسه باللطمة المذكورة والاول اولي ويويده
انه جا الي قبضه ولم يخيره وقد علم موسي انه لا يقبض حتي يخيره
ولهذا لما خيره قال الان وعند احمد كان ملك الموت ياتي الناس
عيانا وتردد اليه مرة بعد اخري اي ثانية بعد الاولي قال
الخطابي وحقيقة المعني علي الوجهين عطف الله علي العبد
ولطفه به وشفقته عليه الفاظ متقاربة وقال الكلاباذي
بفتح الكاف والموحدة فالف فذال معجمة نسبة الي كلاباذ محلة
كبيرة ببخاري الحافظ الامام ابو نصر احمد بن محمد بن الحسين
ابن الحسن بن علي بن رستم البخاري سمع الهيثم بن كليب الشاشي

ومنه

ومنه جعفر المستغفري قال الحاكم كان من الحفاظ حسن المعرفة والفهم
متقنا ثبتا لم يخلف مثله بما ورا النهر وحديث ببغداد دون حياة
الدارقطني وكان يثني عليه ومات في جمادي الاخرة سنة ثمان وتسعين
وثلثماية عن خمس وثمانين سنة ما حاصله انه عبر عن صفة الفعل
بصفة الذات يعني باعتبار متعلقها اي عن الترديد بالتردد وجعل
متعلق الترديد اختلاف احوال العبد من ضعف ونصب بتمحنين
وتمحين ونصب اي دا وبلا الي ان تنتقل محبته في الحياة الي محبته
للموت فيقبض علي ذلك فسماه ترددا مجازا قال وقد يحدث الله في
قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقايه ما
يشتاق معه الي الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه انتهي وقال الجنيد
الكراهة هنا لما يلقي المومن من الموت وصعوبته وليس المعني اني اكره
له الموت لان الموت يورده الي رحمة الله ومعرفته وقال غيره لما كانت
مفارقة الروح للجسد لا تحصل الا بالم عظيم جدا والله تعالي يكره اذي
المومن اطلق علي ذلك الكراهة ويحتمل ان تكون المساة بالنسبة الي طول
الحياة لانها تودي الي ارذل العمر وتنكيس الخلق والرد الي اسفل سافلين
وفي حديث دلالة علي شرف الاوليا ورفعة منزلتهم حتي لو تاتي انه تعالي
لا يفعل ما يساوهم حتي كمه علي عبادة تفعل وهنا المعني ورد لفظ التردد
كما ان العبد اذا كان له امر لا بد له ان يفعله بحبيبه لكنه يولمه فان نظر الي
المه فانه نظر الي ما يكف عن الفعل وان نظر الي انه لا بد له منه لمنفعته اقدم
عليه فعبر عن هذه الحالة في قلبه بالتردد فخاطب الخلق بذلك علي
حسب ما يعرفونه ودلهم علي شرف الولي عنده ورفعة درجته فاحيا
لذيذة محمودة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش الا عيش المحبين
الذين قرت اعينهم بحبيبهم وسكنت اي ولا عيش محمود الا عيش المحبين
الذين قرت اعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمانت قلوبهم به
واستانسوا بقربه وتنعموا بحبه ففي القلب فاقة اي احتياج وتلهب
واحتراق علي عدم وصوله الي مطلوبه سببه تبقي بطاقة مفتوحة لا يسدها
شيها ما يولم القلب في جسده وانه لا يسدها اي تمنع عنه ذلك الاحتراق
والتلهف الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم
وغموم والام وحسرات فهي خيبة له كلا حياة قال صلحب الحدايح ولا يخفي
القيم ولن يصل العبد الي هذه المنزلة المرتفعة العالية والمرتبة
السنية مثلا وقد اختلف في اللفظ حتي يعبد الله تعالي ويحقق في
التي يطرقونها وحصلت اليه وحصلتها تباع الكتاب والسنة فيجري في ظاهره
الطبع بما يشعر به من انوار المصير فالقلب كالبصر للعين فيقع
بقلبه مشاهد من شواهد الاخرة فيصفه بتقبل اليها بكليته جملته ويزهد
في التعلقات الفانية كما في الحديث ازهد عن الدنيا يحبك الله وتقاب

يجهد ويتعب نفسه في تصحيح التوبة في توبوا الى الله توبة نصوحا
فالقيام بالمامورات الظاهرة كالصلاة والباطنة كالحب لله ولرسوله
وبترك المنهيات الظاهرة كالغيبة كالحسد والباطنة كالحسد ثم
يقوم حارسا علي قلبه فلا يسامح بخطرة يكرهها الله بل يتوب منها
في الحال ولا بخطرة فضول لا تنفعه لانه اذا سامح من ذلك انتقل
الي ما فوقه وهكذا واذا فعل ما ذكر فيصفو لذلك قلبه بذكر فيشتد
ربه ومحبته والانابة الرجوع اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه
الي فضا الخلوة بربه وذكره كما قال •
• واخرج من بين البيوت لعلني • احدث عنك النفس بالسر خاليا •
فاراد الشاعر بيوت الطبع والنفس بدليل ترجيه لا البيوت الحقيقية
اذ لا عبرة بالخروج منها مع بقا الطبع فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره
وحديث نفسه علي ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق في ذلك
رزق محبة الرسول واستولت روحانيته علي قلبه فجعله امامه الذي
يقتدي به واستاذه اي معلمه كلمة اعجمية لان السين والدال المعجمة لا
يجتمعان في كلمة ومعناها الماهر بالشي العظيم ومعلمه وشيخه وقدوته
الفاظ متقاربة كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه الدال عليه فيطالع
سيرته ومباديه اوايل اموره وكيفية نزول الوحي عليه ويعرف صفاته
واخلاقه وادابه ورياضات نفسه ومحاسن اخلاقه وحركاته وسكونه
ويقظته ومنامه وعبادته ومعاشرته لاهله واصحابه الي غير ذلك
مما منحه اعطاه وخصه الله به مما ذكرت بعضه فيما سبق حتي يصير
كانه معه من بعض اصحابه واذا رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي
المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرا السورة شاهد قلبه ماذا انزلت فيه
وما اريد بها وحظه نصيبه المختص به منها من الصفات والاخلاق
والافعال المذمومة فيجتهد في التخلص منها كما يجتهد في تحصيل الشفا
من المرض المخوف بل اقوي للعاقل لان المرض كفارة وهذه موبقة
ولمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات دالة عليها اعظمها
الاقتدا به اتباعه واستعمال سنته اي طريقته فالعطف في سلوك
طريقته تفسيري وكذا او الاهتدا بهديه وسيرته والاصبر عن ذلك
لان المقام اطناب وسنته شاملة للتاسي به في الاقتدا به في الشدايد
والحروب وغيرها وليس مخصوصا بالعبادات التي سنها في الوقوف عند
ما حد لنا من احكام شريعته سميت الاحكام حدا لمنعها عن
الاقدام علي ما يخالفها من قول او عمل فعل او عزم فالحد لغة المنع فاذا
امر او نهي فقد منع من ضده قال الله تعالي قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله فجعل متابعة الرسول صلي الله عليه وسلم اية
اي علامة محبة العبد ربه وجعل جزا العبد علي حسن متابعة
الرسول محبة الله تعالي اياه وغفرانه وامتنانه تكسبني الي ان يجرد

الاتباع

الاتباع لا يكون علامة الا اذا كان علي اكمل الوجوه بحيث يتحقق منه
معني حديث لا يومن احدكم حتي اكون احب اليه الي اخره وقد قال
الحكيم الذي ينطق بالحكمة وهو محمود بن الحسن الوراق كما افاده
الحرث بن اسد المحاسبي بكسر السين لمحاسبته نفسه او لغير ذلك مر
ضبطه وبعض ترجمته قريبا جدا في كتاب القصد والرجوع احد
تصانيفه وهي نحو مايتين وقال غيره لمنصور الفقيه بليغ كان في اول
الدولة العباسية تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري
اي حياتي في القياس بديع غريب عجيب مخالف لانواع القياس
لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب بكسر الهمزة لانها تعليلية
لمن يحب مطيع لا تعصيه اصلا ويقع في بعض النسخ بيت ثالث هو
• في كل يوم يبتديك بنعمة • منه وانت لشكر ذاك تضيع •
بضم الفوقية من اضاع كذا اذا اهمله واكثر النسخ كالشفا بدون هذا
الثالث وهذه المحبة تنشا من مطالعة العبد اي نظره منة الله
نعمة الله التي انعم بها عليه ومعرفة قدرها وانها لا تكون الا منه من
نعمه الظاهرة والباطنة بيان لمنة الله فبقدر مطالعة ذلك
تكون قوة المحبة ومن اعظم مطالعة العبد منة الله تعالي علي عبده
منة تاهيله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلي الله عليه
وسلم واصل هذا نور يقذفه الله تعالي في قلب ذلك العبد
فاذا دار ذلك النور اشرقت له ذاته فراي في نفسه امرا عظيما
تقصر عنه العبارة وراي فيما اهلت له من الكمالات والمحاسن ما لا
يمكن التعبير عنه فالمعمول محذوف فيهما فتعلقت به همته وقويت عزيمته
وانقشعت انكشفت عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا
يجتمعان لا يدخل احدهما علي الاخر الا ويطرح يزيل ويذهب احدهما
الاخر فوقعت الروح حينيذ بين الهيبة و الانس الي الحبيب
الاول يتنازعه كل من الهيبة والانس ويحتمل تعلقه بوقعت وبين الهيبة
والانس حال يعني انه وقع بين امرين متضادين فالهيبة تقتضي الفزع والخوف
من يهابه والانس يقتضي انشراح النفس وانبساطها بمن يانس به وانشد
لغيره • نقل فوادك حيث شئت من الهوي • ما الحب الا للحبيب الاول •
• كم منزل في الارض يالفه الفتي • وحنينه ابدا لاول منزل •
نقل بالنون ومن الهوي متعلق به نقل فوادك وعلقه بمن تهويه من كل
ما تميل نفسك اليه فانك وان فعلت ذلك لا بد لك من الرجوع الي الحبيب
الاول لمعرفة مقامه بالميل الي غيره ويكتسب اي بقدر هذا الاتباع
توجب بضم التا وفتح الجيم وموجدة اي تحصل وتوجد المحبة والمحبوبية
معا ولا يتم الامر الا بهما فليس الشان الامر العظيم المترتب عليه
سائر الكمالات ان يحب الله فقط بل الشان ان يحبك الله ولا يحبك

الا اذا اتبعت حبيبه صلي الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا وصدقت
خبرا اي فيما وصل اليك من اخباره واطعته امرا فيما امر به واجبت
دعوة اي اجبت دعوته حيث دعاك واثرته طوعا اي فضلت طاعته
وقدمتها علي كل شي لان من فضل شيا قدمه علي غيره فلا يرد ان معني
الايثار التفضيل والمراد هنا التقديم كقوله ويوثرون علي انفسهم لان
التقديم لازم للتفضيل فاللفظ هنا مستعمل فيهما والانصار لما فضلوا
المهاجرين قدموهم علي انفسهم غاية التعظيم حتي ان من كان له زوجتان
عرض احداهما علي المهاجري الذي واخي المصطفي بينه وبينه
وفنيت عن حكم غيره فلم تجعل لنفسك وجودا ولا انقيادا له بحكمه
فقصرت نفسك عليه وعن محبة غيره من الخلق بحبه وعن طاعة
غيره بطاعته في اوامره ونواهيه وان لم تكن كذلك فلا تتعن
بفوقيتين وعين مفتوحات وشد النون اي لا تتعب نفسك في امر تتوهم
به الوصول اليه فلست علي شي من المحبة المقتضية لاقباله عليك ورفعه
اياك في المحل الاعلي وتامل قوله فاتبعوني يحببكم الله اي الشان
بالرفع بيان لحاصل المعني في ان الله يحبكم لا في انكم تحبونه وهذا
لا ينالونه الا باتباع الحبيب عليه الصلاة والسلام وقال
المحاسبي في كتاب القصد والرجوع وعلامة محبة العبد لله
عز وجل اتباع مرضات الله اي رضاه والتمسك بسنن جمع سنة
رسول الله صلي الله عليه وسلم فاذا اذاق العبد حلاوة الايمان
ووجد طعمه باتباع مرضاة الله والتبيين ظهرت ثمرة ذلك علي
جوارحه ولسانه فاستحلي اللسان ذكر الله تعالي وما والاه
مما فيه طاعة لله كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا ان اريد بالذكر ذكر
اللسان واسرعت الجوارح الي طاعة الله فحينيذ يدخل حب الايمان
في القلب كما يدخل حب الما البارد الشديد برده في اليوم
الشديد الحر للظمان الشديد العطش فيرتفع عنه تعب الطاعة
لاستلذاذه بها بل تبقي الطاعات غذا بمعجمتين والمد لقلبه
اي كالغذا له وسرور أله وقرة عينه في حقه ونعيما لروحه
يلتذ بها اعظم من اللذات الجثمانية بضم الجيم ومثلثة نسبة الي
الجثمان وهو الجثة وفي نسخة بالسين فالجيم مكسورة اي اعظم من
اللذات الحاصلة للشخص من تناول ما يلتذ به فلا تجد في اوراد العباد
كلفة وفي الترمذي عن انس مرفوعا ولفظه قال لي رسول الله صلي
الله عليه وسلم ان قدرت ان تمسي وتصبح ليس في قلبك غش لاحد
فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي ومن احيي سنتي بافراد علي
الاشهر وبالجمع فقد احبني اي علم حبه لي اي اظهرها وعمل بها وحث
عليه فشبه اظهارها بعد تركة الاخذ بها بالاحيا ثم اشتق منه الفعل

مجرت

مجرت الاستعارة في المصدر اصلية ثم سرت الي الفعل تبعا ولذا قالوا
السنن كسفينة نوح اتباعها يدفع البلاء عن اهل الارض والسنة انما
سنها لما علم في خلافها من الخطا والزلل ولو لم يكن الا ان الله وملايكته
يصلون علي النبي وحملة عرشه يستغفرون لمتبعها لكفي فقد احبني اي علم
حبه لي ومن احبني كان معي في الجنة لان المرء مع من احب وفي رواية
فقد احياني ومن احياني اي اظهر ذكري ورفع امري فجعله بمنزلة
الاحيا كما قيل

• وبحسبه قد عاش اخر دهره • الي الحشر ان ابقي الجميل من الذكر •

وعن ابي العباس احمد بن سهل بن عطا الادمي بفتحتين تقدم من الزم
نفسه اداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام اشرف
من مقام متابعة الحبيب لله تعالي في اوامره ونواهيه وافعاله
واخلاقه وقال ابو اسحق ابراهيم بن داود القصار الرقي بفتح الراء
وشد القاف نسبة الي الرقة مدينة علي طرف الفرات من كبار مشايخ الشام
وصحب اكثر المشايخ بها وكان ملازما للفقر مجردا فيه محبا لاهله وقال
حسبك من الدنيا شيان صحبة فقير وحرمة ولي وقال الابصار قوية
ضعيفة وهو من اقران الجنيد وابن الجلا الا انه عمر طويلا حتي مات سنة
ست وعشرين وثلثماية علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة
نبيه صلي الله عليه وسلم المتابعة التامة وعن غيره لا يظهر وفي نسخة
بالواو اي قال ما مر عن الرقي وزاد ولا يظهر وعن غيره لا يظهر علي احد
شي من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فاما من
عري عن الكتاب والسنة ولم يتلق العلم من مشكاة الرسول اي من
الاحاديث الواردة عنه عليه وسلم الصلاة والسلام وعبر عنها بالمشكاة تشبيها
لها بالكوة التي يصل النور منها الي انسان سبب اذا ورد عليه فيه انكشف
ما كان خفيا عنه بسببه بدعواه علما لدنيا اوتيه فهو من لدن
الشيطان اي من عنده ومن عند النفس وانما يعرف كون العلم لدنيا
روحانيا بموافقته لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام عن ربه
تعالي فالعلم اللدني الاتي لصاحبه من عند غيره نوعان احدهما لدني
رحماني من عند الرحمن تبارك وتعالي سمي لدنيا لحصوله من الله تعالي لا من
كسب العبد وثانيهما لدني شيطاني من عنده لعنه الله والمحك بالكاف
المميز لذلك هو الوحي ولا وحي بعد الرسول صلي الله عليه وسلم
فما وافقه كان لدنيا رحمانيا وما لا فشيطانيا قال الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب
والسنة قال ابن عربي يريد انه نتيجة عن العمل عليها وهنا الشاهد ان العمل لان
وفي نسخة المحك بالكلام الذي يتلقي منه العلم عن الله هو الوحي اي الكتاب
والسنة فما يلقي من غيرهما ولم يخرج علي قواعدها فهو من وسوسة
الشيطان بحسب صرفه حالا والحكم بانه ليس من الله واما قصة موسي

في قوله تعالى واتيناه من لدنا علما فالتعلق بها في تجويز
مع الخضر الاستغنا عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر بخروج عن الاسلام
موجب لاراقة الدم وهذا جواب سوال هو لازم يلزم ان ما اخذ من غير
الوحي يكون من الشيطان لجواز انه علم غيبي من الله به على عبد فا وصله
اليه من غير طريق الوحي بدليل قصة الخضر والجواب الفرق ان موسى عليه
السلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ولم يكن الخضر ما مورا بمتابعته ودليل
ذلك انه لو كان ما مورا بها لوجب عليه ان يهاجر الى موسى ويكون معه
ولم يفعل لانه لم يومر بذلك ولهذا قال له انت موسى بني اسرايل
قال نعم فرسالته مخصوصة بهم ومحمد صلى الله عليه وسلم مبعوث الى
جميع الثقلين فرسالته عامة للجن والانس في كل زمان ولو كان موسى
وعيسى حيين لكانا من اتباعه كما في الحديث فمن ادعى انه مع محمد كالخضر
مع موسى او جوز ذلك لاحد من الامة فليجدد اسلامه لكفره بهذه
الدعوى وليشهد شهادة الحق اي يعتقد خلاف دعواه باطنا ويأتي
بالشهادتين ظاهرا ليعود الى الاسلام فانه مفارق لدين الاسلام
بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اوليا الله تعالى وانما هو
من اوليا الشيطان وخلفايه ونوابه في الضلال والاضلال والعلم
اللدني الرحماني هو ثمرة العبودية والمتابعة لهذا النبي الكريم
عليه ازكى الصلاة واتم التسليم وبه يحصل الفهم في الكتاب
والسنة بامر يختص به صاحبه كما قال علي بن ابي طالب امير المومنين
وقد سيل والسايل له ابو جحيفة كما في الصحيح وقيس بن عباد بضم المهملة
وخفة الموحدة والاشتر النخعي وحديثهما في سنن النساي هل خصكم
اهل البيت النبوي او الجمع للتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشي
دون الناس من اسرار علم الوحي كما تزعم الشيعة فقال لا الا فهما يوتيه
الله عبدا في كتابه القران من فحوى الكلام ويدركه من باطن المعاني
التي هي غير الظاهر من نصه ومراتب الناس في ذلك متفاوتة وفيه
جواز استخراج العالم من القران بفهمه ما لم يكن منقولا عن المفسرين اذا
وافق اصول الشريعة فهذا هو العلم اللدني الحقيقي فاتباع هذا
النبي الكريم حياة القلوب ونور البصاير وشفا الصدور
ورياض النفوس جمع روضة وهي الموضع المعجب بالزهور جعل اتباعه
كرياض مزهرة مثمرة لالتذاذ بها كلذة راي الرياض بها ولذة الارواح
وانس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامات محبته
ان يرضى مدعيها غيره دون محب لانه اذا ثبت انه محب لا يحتاج
لعلامة بما شرعه صلى الله عليه وسلم امرا ونهيا وسماه شارعا لمجيئه
على يده وتبليغه وان كان الشارع حقيقة هو الله تعالى وفي نسخة بما
شرعه شرعه الله ما جا به رسوله وبلغه لقوله بلغ ما انزل اليك من

ربك فالمها واحد لكن الاولى انسب بما الكلام فيه حتى لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت اي ضيقا او شكا قال الله تعالى فلا وربك لا يومنون
لا مزيدة للتاكيد اي بمعنى لما تقدمها اي ليس كما زعموا انهم امنوا بما انزل اليك
وما انزل من قبلك وقيل لا الثانية زايدة والقسم معترض بين حرفي النفي
حتى يحكموك اي يرجعوا لحكمك ويرضوا به فيما شجر بينهم من المشاجرة وهي
المخاصمة واصل معناه الاختلاط ومنه الشجر لتداخل اغصانه واختلاطها
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا
من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما اي ينقادوا لحكمك
واكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا فسلب اسم الايمان عن من وجد في
صدره حرجا من قضايه ولم يسلم له بقوله لا يومنون قال شيخ المحققين
وامام العارفين جمع عارف وهو من اشهده الحق نفسه وظهرت عليه الاحوال
والمعرفة حسابه هكذا ذكره الشيخ والعالم عنده اعلا مقاما من العارف
خلافا للاكثر فان العالم من اشهده الله الوهيته ولم يظهر عليه حال والعلم
حاله وقد قرر ذلك في الفتوحات وكتاب مواقع النجوم وفي نسخ العرفين
وهي ابلغ لانه الدال على ما يوصل الى ذلك فيلزم ان يكون عارفا وتلميذا
بقول شيخه المرسي لاجعلنك سيد الطريقين تاج الدين احمد بن محمد
ابن عبد الكريم ابن عطا الله الشاذلي الاسكندري ثم المصري وبها
مات سنة تسع وسبعماية ودفن بالقرافة بقرب بني الوفا ومن نظمه
• اعندك عن ليلى حديث محرر • لايراده يحيي الرميم وينشر •
• فعهدي بها العهد القديم وانني • على كل حال في هواها مقصر •
اذاقنا الله حلاوة مشربه في كتابه التنوير في اسقاط التدبير في هذه
الاية دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى
الله وسلم على نفسه قولا وفعلا واخذا وتركا ورسوله صلى الله عليه
وسلم محكي نفسه حبا وبغضا ويشتمل ذلك المذكور على حكم التكليف
وحكم التعريف والتسليم مبتدا والانقياد عطف عليه كاين على كل مومن
في كليهما اي حكم التكليف والتعريف فاحكام التكليف الاوامر والنواهي
المتعلقة باكتساب العباد اي ما دل على الاحكام المستفادة منهما اذ الاوامر
ليست هي الاحكام التي ياتي بها المكلف لانه انما ياتي بالمامور واحكام
التعريف هو ما اورد عليه من فهم المراد فتبين من هذا انه لا يحصل لك
حقيقة الايمان الا بالامرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره اي لما قهرك
عليه والزمك به من المطلوبات والمنهيات ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي
الايمان عن من لم يحكم او حكم ووجد الحرج في نفسه بل بالغ فيه لك
حتى اقسم على ذلك فهو غاية لمقدر بالربوبية الخاصة برسوله
صلى الله عليه وسلم وجعلها خاصة به لان الرب في الاصل بمعنى التربية
وهي تبليغ الشي الى كماله شيا فشيا وهي وان كانت شاملة لجميع العالمين

لكن تربية الحق لحبيبه لابواذ بها تربيته لغيره لانه بلغه اعلا الكمالات
التي لا يبلغها لاحد سواه وافة وعناية اهتماما وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل
فلا والرب انما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك
تأكيد لما اخبر به بالقسم وتأكيد في القسم نفسه باضافة ربوبيته اليه تعظيما
له وتنويها لمقامه وانما اكد بذلك علما منه اي لعلمه سبحانه بما في النفوس منطوية
عليه من حيث الغلبة ووجود النصرة على غير نفاوان كان الحق عليها او
لها وفي ذلك اظهار لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه
حكمه وقضاه قضاه عطف مساو للاشارة الى ان مدلول يحكموك وقضيت
فاوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره عطف تفسير قال في
الشفا ينقاد يسلم واستسلم واسلم اذا انقاد ولم يقبل سلمهم الايمان بالصحبة
اي بانه اله حتى يذعنوا بينقادوا لاحكام رسوله صلى الله عليه وسلم لانه
لانه كما وصفه به ربه تبارك وتعالى حيث قال اوقال بلا وما ينطق عن
الهوى اي بهوى نفسه ان ما هو الا وحي يوحى فحكمه حكم الله وقضاؤه
قضا الله كما قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود
ببيعته واكد ذلك بقوله يد الله فوق ايديهم حال او استيناف موكد له
على سبيل التخييل قاله البيضاوي وفي الاية اشارة اخرى الى تعظيم
قدره وتفخيم امره صلى الله عليه وسلم وهي قوله تعالى وربك
فاضاف نفسه تعالى اليه في الايتين عليه السلام كما قال في الاية الاخرى
كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا فاضاف الحق سبحانه نفسه في الايتين
الى محمد صلى الله عليه وسلم فقال في الاول وربك وفي الثانية ربك
واضاف زكريا اليه لانه بدل من عبده او بيان له وكان المعنى ذكر رحمة
ربك زكريا الذي هو عبده ليعلم بضم التحتية وسكون المهملة وكسر
اللام ليعلم الله العباد فرق ما بين المنزلتين منزلة نبينا ومنزلة زكريا
فان في اضافة رب الى المصطفى غاية التعظيم وتفاوت ما بين المرتبتين
عطف تفسير فالرتبة لغة المنزلة والمكانة ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم
بالظاهر فيكونوا به مؤمنين بل اشترط فقدان سواه كان الحكم بما
يوافق اهواهم او يخالفها والثاني ظاهر واما الاول فلانه لا يلزم من
كون الحكم موافقا لهواه ان لا يشق عليه لما في الالزام به من مشقة التكليف
المترتب على فعله او تركه عقوبة الا العفو ويقرب ذلك ان الرجل
قد يهوى زواج امرأة لكن يمنعه كثرة نفقتها مثلا فالزامه بتزوجها
وان وافق هواه لكنه يشق عليه فاذا اخذها بلا امر ما له حرج في نفسه
وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار دفعته اي
ما ذكر من الامرين يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك
اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فانشرحت فكانت ممنوا بسعة بنور
الواسع الذي وسع علمه ورحمته كل شي او الغني الذي وسع عطاه

معاثير

معاثير عباده ورزقه كافة لخلقه **العليم** لكل معلوم او البالغ في العلم
شامل لجميع المعلومات محيط بها سابق على وجودها **ممدودة** اي متوالية
في انفسها **بوجود فضله العظيم** زيادة على اشراقها بانوار قدسه
مأخوذ من مدا الجيش وامده اذا زاده وقواه **مهياة لواردات**
احكامه وهي ما يرد على القلب من الخواطر المحمودة من غير عمل العبد
ويطلق ايضا على كل ما يرد على القلب سواكان وارد قبض او بسط او
حزن او فرح او غير ذلك من المعاني قاله الكاشي **مفوضة له في**
نقضه وابرامه انتهى كلام ابن عطاالله **وقال سهيل بن عبد**
الله التستري **الصحـ من لم ير** اي يعلم ويتيقن **ولاية الرسول صلى**
الله عليه وسلم بفتح الواو وكسرها نفوذ امره وحكمه وسلطانه عليه
ويرى نفسه في ملكه بكسر الميم حتى كانه مملوكه **لم يذق حلاوة**
سنته صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم اي لا يكمل احدكم
ايمانه **حتى اكون احب اليه من نفسه** فانه يدل على تلذذه بالاقتدا
به وانما يلتذ بذلك اذا احبه فان المحب لا يخالف محبوبه فيترك مراده
لمراده وهذا دل على الاحبية وطابقت العلة معلولها **وروينا عن**
السيد العارف الكبير محمد بن احمد بن ابراهيم **بن عبد الله القرشي**
الاندلسي ثم المصري ثم المقدسي وبه توفي سنة تسع وتسعين وخمسماية
والدعا عند قبره مجاب ولقي نحو ستماية شيخ وجد واجتهد واخذ عنه
كثيرون وله كرامات **انه قال حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن**
احببته ولا يبقى لك الميل منك شي انتهى وهو من ثمراتها
وعلاماتها **فمن اثر هذا النبي الكريم على نفسه** بان
قدم ما فيه رضاه بامتثال امره واجتناب نهيه مطمئنا بقبول ما
جا عنه زيادة على الايمان **كشف الله عن حضرة قدسه** فصار
يعبد الله كانه يراه **ومن كان معه بلا اختيار** لشي يميل اليه نفسه
يخالف ما طلب منه **ظهرت له خفايا حقائق اسرار انسه ومن**
علامات محبته عليه الصلاة والسلام نصرة دينه بالقول
والفعل بمجاهدة الكفار لاعلا كلمة الله **والذب** بمعجمة وموحدة المنع
والطرد **عن شريعته** برد ما يخالفها ودفع الشبه الواردة عليها
وتفسير احاديثه وبيانها والانقياد لها **والتخلق باخلاقه في الجود**
فقد كان اجود الناس **والايثار** تقديم الغير عليه في امور الدنيا
والحلم والصبر والتواضع فقد بلغ في كل منها الغاية القصوى
فلا اقل من التخلق في بعضها
ومتى تفعل الكثير من الخير ◦ اذا كنت تاركا لاقله
وغيرها مما ذكرته من اخلاقه العظيمة وتقدم في كلام العارف
ابن عطا الله مزيد لذلك قريبا جدا فوق هذا **فمن جاهد نفسه**

على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات
وتحمل المشاق في الدين واثر ذكره على اعراض الدنيا الفانية
يا هذا اول نقدة من اثمان الجنة بذل الروح سئل الجنيد عن العشق
فقال لا ادري ما هو لكن رجلا اعمى عشق صبيا وكان الصبي لا ينقاد له فقال
الصبي لا ينقاد له فقال الاعمى يا حبيبي ايش تريد مني قال روحك
ففارق روحه حالا فما للمفلس الجبان ضعيف القلب وسومها
طلب شراها بسوم المحب بياع وصلهم الاحباب فالله ما هزلت
قيمتها فيستامها يقال سام واستام بمعنى المفلسون ولا كسدت
فتحتمين لم ينفق لقلة الرغبات فيها فينفقها بروحها بالنسيئة
التعبير التاخير المعسرون الفقرا لقد اسيمت للعرض في سوق
من يزيد فلم يرض لها بثمن دون بذل النفوس اعطى بها بما عنه
فتاخر البطالون وقام المحبون ينظرون ايهم يصلح ان يكون
ثمنا فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد قوم اذلة على
على المومنين اعزة اشدا على الكافرين لما كثر المدعون للمحبة
طولبوا باقامة البينة على صحة الدعوى فلم يعطهم الناس
بدعواهم لادعى الخلي من المحبة حرقة بالكسر اسم من الاحتراق
الاكتساب الشجي الحزين فتنوع المدعون في الشهود كل بما قدر
عليه فتعارضت الشهادة فقيل لا تثبت هذه الدعوى الا
ببينة باضافته الى قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله فتاخر اكثرهم لعدم اتباعه الكامل وثبت اتباع
الحبيب في افعاله واقواله واخلاقه فطولبوا بعدالة البينة
المذكورة بتزكية يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة
لائم فيه فتاخر اكثر المحبين لمشقة الجهاد عليهم وقام المجاهدون
فقيل لهم ان نفوس المحبين واموالهم ليست لهم فهلموا اقبلوا
الى بيعة ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان
يبذلوها في طاعته فلما عرفوا عظمة المشتري سبحانه وتعالى
وفضل الثمن وجلالة من اجرى على يده صلى الله عليه وسلم
عقد التبايع عرفوا قدر السلعة المشتراة وان لها شانا
اي عظيما فراوا من اعظم الغبن ان يبيعوها لغيره بثمن
بخس ناقص فعقدوا معه بيعة الرضوان من غير ثبوت
خيار بل بتا وقالوا والله لا نقيلك لا نرفع العقد ولا نستقيلك
لا نطلب منك الاقالة فلما تم العقد وسلموا المبيع للمشتري قيل
لهم قد صارت نفوسكم واموالكم لنا رددناها عليكم اوفر
ازيد ما كانت واضعافها معها ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله امواتا بل هم احياء عند ربهم يرزقون فرحين

بما

بما اتاهم الله من فضله وهذا شذا عبقة صوفية على طريقهم
في استخراجهم معاني من النصوص بحسب مشربهم مع بقا النصوص على
مدلولاتها ولا ضير فيه اوردها المصنف كما دنه تذكيرا وحثا على
مزيد الاتباع ومن علاماته صلى الله عليه وسلم التسلي
التصبر عن المصايب مع سكون وطيب نفس بها ولذا قال ابو زيد نع
السلو طيب نفس الالف عن الغم اي فلا تياثر بفراقه ولا بالبعد عنه
فان المحب يجد في لذة المحبة ما ينسيه المصايب الشدايد
النازلة ولا يجد من مسها ما يجد غيره حتى انه قد اكتسى
طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق الذي خلق عليه خلقه بل
بقوي سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصايب التذاذا
اعظم من الالتذاذ الخلي منها بحظوظه وشهواته والذوق
ادراك فهم الشيء والوجود شاهد بذلك فكرب المحب اي صاحبها
ممزوج بالحلاوة فاذا فقد تلك الحلاوة اشتاق الى ذلك
الكرب يعني انه لما اعتاده من اللذة التامة وشهود القرب عند المصائب
اذا راى من نفسه توانيا شهد ان سببه انقطاع المصايب عنه كما قيل
تشكي بزنة تفعل المحبون الصبابة الشوق اي اظهروا الشكاية
مما اصابهم من المها ليتني تحملت بضم النون وكسر الحا عطيت وضمنه
معنى احييت فعداه بالبا في قوله بما يلقون من الم الصبابة من بينهم
وحدي منفردا عنهم فلا يشاركني منهم احد ويحتمل فتح الحا في تحملت
اي سقمت بسبب ما الاقيه من الصبابة دونهم فكانت لقلبي لذة الحب
المترتبة على حصول المكاره والمصايب الناشئة من الحب كلها فلم
يلقها قبلي محب ولا بعدي اي لم يشاركني فيها احد تقدم علي
ولا تاخر ومن علاماته عليه الصلاة والسلام كثرة ذكره
كما ورد مرفوعا ولبعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وهذا من
ثمراتها لا انه حقيقتها اشار له عياض ولاخر اي لبعض اخر المحبة
ذكر المحبوب على عدد الانفاس وهو بمعنى ما قبله ولغيره للمحب
ثلاث علامات ان يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا
فيه وعمله طاعة له والثلاثة علامة المحب الصادق وقال
المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق
الدوام لانه لا يلزم من الكثرة الدوام لا ينقطعون ولا يملون
لا يساموا ولا يفترون عنه بحيث يصير لهم كالنفس لا يشغل عنه
شاغل وقد اجمع الملا على ان من احب شيا اكثر من ذكره وهو
حديث مرفوع رواه ابو نعيم والديلمي عن عائشة فالمعنى اجمعوا على
العمل به فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون
به بدلا عوضا ولا يبغون لا يطلبون عنه حولا تحولا الى غيره ولو

لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشي
تعاموا عن ذكر محبوبهم
الذ من ذكر المحبوب انتهى قول المحاسبي والمحبوب قد اشغلت
قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات متعلق با شتغلت وانقطعت
او نهاهم عن عارض دوام الشهوات ورقت ارتفعت الي معادن
الذخاير بمعجمتين جمع ذخيرة ما يدخر لوقت الحاجة ومغبة بضم الموحدة
ومعجمة الطالبات جمع طلبة بزنة كلمة وكلمات وربما تزيد وجد
المحب وهاج الحنين الشوق وباح الانين الصوت وتحركت م
المواجيد بالجيم وتغير اللون واستسلمت الجوارح وفتر
البدن واقشعر الجلد اخذته قشعريرة اي رعدة وربما صاح وربما
بكي وربما شهق بفتح الهاء دنفسه مع سماع صوته وربما وله
بكسر اللام وعن لغة قليلة بفتحها ذهب عقله وربما سقط وكل ذلك
من الاحوال الواردة عليه ولسيدي محمد وفي العارف الكبير العلم الشهير
مر نبعض ترجمته •

• اذا باح دم المهجور هاجره • باح المحب بما تخفي ضمايره •
• اكتم الصب باح مدمعه • لما جري بالذي تخفي سرايره •

لما بالفتح والتشديد اي حين والاستفهام بمعني النفي اي لا يمكنه ذلك

• كانما قلبه اجفان مقلته • ودمعه فيه اما فيه خواطره •
• ما جيرة الجذع نفل بن خيرة لفتي • عليه في حكمه قد جار جايره •

جيره جمع جار وهو الذي يجير غيره اي يؤمنه بما يخاف ويجمع ايضا
علي جيران واجوار ويوجد في نسخة هلا جيره بالفتح والتشديد حرف تحضيض

• اه وكم لي علي خطب الهوي خطب • من الغرام به تعلو منابره •

اه بالمد وكسر الها كلمة توجع اي وجعي عظيم ونتعدي نابه وخطب بضم
ففتح جمع خطبة بالضم والغرام الولوع •

• مهفهف ابلج يزهو علي غصن • تخفي الهدو واد الاحت بوادره •

مهفهف اي خميص البطن دقيق الخصر وابلج بموحدة وجيم واضح الجبين
والبوادر جمع بادرة بموحدة اللحمة بين المنكب والعنق ومن الانسان
اللحمتان فوق الرغثاوين كما في القاموس •

•• مطرز الخد بالريحان في ضرج • مورد اسنه تزهو ازاهره •

ضرج بفتح المعجمة والراء وجيم اي حمرة وذكر المصنف في المقصد الثالث
باللام ثلاثة ابيات هي •

• جبينه مشرق من فوق طرته • يتلو الضحي ليله والليل كافره •
• بالمسك خطت يد كافور جبهته • من فوق نونا ناسينا ضفايره •

والثالث قوله هنا •

• مكمل الخلق ما تحصي خصايله • منضر الحسن قد قلت نظايره •

قلت اي عدمت فان قل تستعمل بمعني النفي كقل رجل يقول كذا اي ما يقول

وربما

وربما زاد الوجد علي المحب فقتله ويقع في نسخ هنا اول نعده
من ابيات المحبة الي قوله اعزة علي الكافرين وهي بحض تكرار
ومن علامات محبته عليه الصلاة والسلام تعظيمه عند ذكره
بالثنا عليه بما هو اهله وذكره الصلاة عليه صلي الله وسلم واظهار
الخشوع والخضوع الذلة والاستكانة عطف تفسير للخشوع والانكسار
التواضع والتذلل مع سماع اسمه والثلاثة المذكورة من عطف الاخص
علي الاعم لدخول كل منها في تعظيمه فكل من احب شيا خضع شيا م
خضع له كما كان كثير من الصحابة بعده اذا ذكروه خشعوا اي اظهروا
الخشوع والتذلل استدلالا علي ما قبله وتمثيل له واقشعرت جلودهم
اخذتها رعدة وبكوا حزنا لفراقه وشوقا للقايه وكذلك كان كثير
من التابعين لهم باحسان فمن بعدهم يفعلون ذلك المذكور اي يتصفون
به او نسب الفعل اليهم مجازا والا فالخشوع ونحوه ليس من فعلهم
محبة له وشوقا اليه تمييز او مفعول له اي من محبته وشوقه او
لاجلهما وتهيبا خوفا من التقصير في حقه وتوقيرا اجلالا وتكريما كان
ابو ابراهيم اسحق بن ابراهيم الامام في الحديث التجيبي بضم التا عند
المحدثين وكثير من الادبا وفتحها غيرهم وبكسر الجيم وتحتية ساكنة وموحدة
نسبة الي تجيب من كندة واجب علي كل مومن متي ذكره صلي الله عليه
وسلم او ذكر عنده وسمعه وخصه لان الكافر لا يجب عليه او يجب بنا علي
خطابه بفروع الشريعة بمعني عقابه في الاخرة ان يخضع بين يديه التذلل
والاستكانة وخفض الجناح ويخشع هو ويخضع متقاربان كما قاله الراغب
وقيل الخشوع اعم لانه يوصف به القلب والجماد كترى الارض خاشعة ولا يخفي
انه مجاز لا بد له علي مدعاه ويتوقر اي يحاول اتصافه بالوقار الحلم والرزانة
ويسكن من حركته ويأخذ يشرع في هيبته اظهارها بين عنده واجلاله
تعظيمه حق تعظيمه كما كان يأخذ به نفسه اي يكلفها ويلزمها مفعول له
بأخذا وتاكيد للضمير في به لو كان بين يديه صلي الله عليه وسلم
حاضرا في مجلسه فيفرض ذلك ويلاحظه ويمثله حتي يكون عنده
ويتادب بما ادبنا الله به مثل لا تجعلوا دعا الرسول بينكم الاية ولا ترفعوا
اصواتكم وغيرها مما تقدم لدخوله في عمومه واطلاقه وان لم يكن صريحا
في القران وكان ايوب بن ابي تميمة كيسان السختياني بفتح المهملة
واسكان المعجمة وكسر الفوقية وفتحها وفتح التحتية فالف فنون نسبة
الي السختيان وهو جلود الضان ابو بكر البصري ثقة ثبت حجة من
كبار الفقها العباد مات سنة احدي وثلاثين ومائة وله خمس وستون سنة
اذا ذكر النبي صلي الله عليه وسلم عنده بكي خوفا من تقصيره في اتباعه
ولاجلاله وتذكر لرهابته حتي نكاد نرباه حتي نرحمه اي ترق قلوبنا
رحمة له لما حصل له من كثرة التعب وهذا قول مالك فقي الشفا قال

مالك وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه
وحج حجتين فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله
عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم يتغير لونه حتى يصعب على جلسائه فقيل له في ذلك فقال لو
رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما ترون لقد رايت محمد بن المنكدر وكان سيد
القرا لا نكاد نساله عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر
ابن محمد فاختصر هذا بقوله **وكان جعفر** الصادق **بن محمد** الباقر بن
زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب **كثير الدعابة**
بضم الدال وعين مهملتين فالف فموحدة ما يستحلى من المزاح **والتبسم**
اي الضحك **و** مع ذلك **اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم**
اصفر لونه مهابة واجلالا قال مالك وما رايته يحدث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا وما
كنت اراه الا على ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرا القران
وكان من العلما ومن العباد الذين يخشون الله تعالى **ولقد كان عبد
الرحمن بن القاسم** بن محمد بن ابي بكر الصديق **اذا ذكر النبي صلى
الله عليه وسلم ينظر الى لونه كانه قد نزف** بفتحتين خرج **منه الدم**
بكثرة وفي النسيم نزف مبني للمجهول اي سال وفيه تسمح وتقديره اللون
لا ينزف والمراد انه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة لان حمرة البشرة
عما تحتها من الدم وتوهم بعضهم ان معناه احمر خجلا اعترض بان المناسب
لقوله **وقد جف لسانه في فمه** الاصفرار لا الاحمرار ثم قال ولعله يحصل
له حالة خجل ثم حالة خوف وهو من عدم التامل فجفاف اللسان بذهاب
ريقه لخوفه **هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم** مفعول له لما قبله
وقيل لمقدر ليتحد فاعلاهما ولا حالة اليه وان جاز **وكان عبد الله بن
الزبير** الذي في الشفا عن مالك ولقد كنت اتي عامر بن عبد الله بن الزبير
**فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في
عينيه دموع** لبكائه شديدا **وكان الزهري** محمد بن عبيد الله بن
عبد الله بن شهاب ولفظ مالك ولقد رايت الزهري وكان **من اهنا
الناس** اي اشدهم هناة اي سهولة وحسن خلق ولين عريكة معه
مستعار من هنو الطعام اذا ساغ وسهل **واقربهم** الى الناس بحسن تودده
اليهم ومع ذلك **فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانك
ما عرفته ولا عرفك** لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله
عن معرفته لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر اجلالا له وتعظيما **وكان
صفوان بن سليم** بضم السين المدني ابو عبد الله الزهري مولاهم
ثقة مفت عابد من رجال الجميع مات سنة اثنين وثلاثين ومائة وله

اثنتان وسبعون سنة ولفظ مالك ولقد كنت اتي صفوان بن سليم وكان **من
المتعبدين** المكثرين للعبادة المداومين عليها **المجتهدين** في العبادة
المجدين فيها او وصل لرتبة الاجتهاد في الاحكام لزيادة فضله وعلمه
بالسنة **فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال
يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه** لاتصال بكائه وطوله وذكر مالك
هؤلاء من شيوخه لبيان انه اقتدى بهم واهتدى بهديهم وان حاله لم
يصل لحالهم فلا يتعجب منه **وكان قتادة** بن دعامة التابعي المفسر
الشهير **اذا سمع الحديث يقرا عنده اخذه** اي عرض له واستولى
عليه حتى كانه اخذه **العويل** العويل بعين مهملة الصراخ والبكاء
والزويل بفتح الزاي وكسر الواو القلق والانزعاج لخوفه وفي القاموس
اخذه العويل والزويل اي الحركة والبكا **اشار اليه ذلك القاضي
عياض** اي ذكره مطولا كما علم **ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم
كثرة الشوق** اي منازعة النفس وميلها **الى لقائه** اما في حياته فظاهر
واما بعد وفاته فالى لقائه في الاخرة ومشاهدة ذاته او في المنام
رزقنا الله ذلك **اذ كل حبيب** اي محب **يحب لقا حبيبه** اي محبوبه ففعيل
ياتي بمعنى اسم الفاعل والمفعول **وليقتهم وليعضهم المحبة الشوق الى
المحبوب** بان يدعوه قلبه ونفسه دايما الى قربه ورؤيته ولقائه **وعن
معروف** بن فيروز **الكرخي** نسبة الى كرخ بغداد من المشايخ الكبار
شيخ السلسلة استاذ السري السقطي وكان ابن حنبل وابن معين
يختلفان اليه وليسا لانه ولم يكن في علم الظاهر مثلهما فيقال لهما مثلكما
يفعل ذلك فيقولان كيف نفعل اذا جاءنا امر لم نجده في كتاب الله ولا سنة رسوله وقد قال صلى الله عليه وسلم سلوا الصالحين
كان ابواه نصرانيين فسلماه للمعلم طفلا فقال له قل ثالث ثلاثة فيقول بل هو
الله واحد فضربه ضربا مبرحا فهرب واسلم وهو من موالي علي بن موسى
الرضي واسند الحديث عن جمع وكان مجاب الدعوة وكراماته وفوائده
كثيرة وكان يهدي اليه طيبات الطعام فياكل فقيل له ان اخاك بشر
الحافي لا ياكل فقال اخي قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة انما انا
ضيف فيوداره مولاي بما اطعمني اكلت مات سنة مائتين وقيل احدى
ومائتين والدعا عند قبره ببغداد مجاب يقال من قرا عنده مائة مرة
قل هو الله احد وسال الله ما يريد قضيت حاجته ومثله اذا وقف الزاير
بين قبري اشهب وابن القاسم بالقرافة وقرا قل هو الله احد مائة مرة
ويدعو متوجها القبلة فيستجاب له **المحبة ارتياح الذات لمشاهدة
الصفات** اي استحضارها وتاملها بينها **او مشاهدة اسرار الصفات**
وهي ما ينشا عنها من الاثار البديعة **فيرى بلوغ** اي وصول **السول**
اي المسول فعيل بمعنى مفعول كخبر بمعنى مخبور واكل بمعنى ماكول **ولو**

بمشاهدة الرسول للمحبوب الذي ارسله الي محبه ولهذا كانت
الصحابة رضي الله عنهم اذا اشتد بهم الشوق الي الحق وازعجهم
لواعج بلام فواو فالف فجيم اي الحرارات الحاصلة بسبب المحبة
سبحانه قصدوا رسول الله صلي الله عليه وسلم واستشفعوا
بمشاهدته من الم هذه الحرارات وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه
وان لم يجدوا فيه النظر لمهابته والتبرك به صلي الله عليه وسلم لانه
رسول محبوبهم فبلغوا المسول وعن عبدة بفتح العين المهملة وسكون
الموحدة ودال مهملة قال البرهان الحلبي لا اعرفها وفي الصحابة اباها
ليس صحابيا ولا من كبار التابعين بل من اواسطهم بنت خالد بن معدان
بفتح فسكون الكلاعي الحمصي ابي عبد الله عابد ثقة روي له الستة ذكر انه لقي
سبعين صحابيا وكان يسبح كل يوم اربعين الف تسبيحة سوي ما يقرا
مات سنة ثلاث او اربع ومائة انها قالت ما كان خالد تعني اباها
ياوي الي الفراش اذا اراد النوم ليلا وخصت هذا الوقت لان المرء يتذكر
فيه من يهواه غالبا كما قيل

• نهاري نهار الناس حتي اذا انثني • لي الليل هزتني اليك المضاجع •

الا وهو يذكر من شوقه اي بعض شوقه الي رسول الله صلي الله
عليه وسلم استثنا من اعم الاحوال اي لم يكن له غير هذه الحال والمراد
انه يذكر اسبابا كثيرة تحمله علي الميل اليه ويذكر ما به من الالم والمشقة
الحاصلة ببعده عنه وعدم ملاقاته صلي الله عليه وسلم والي اصحابه
اي المصطفي او خالد لانه لقي سبعين من المهاجرين والانصار يسميهم
اي بان يعدهم ويعددهم ويقول هم اصلي اي حسبي عند الكسائي
او ابائي عند ثعلب والمعني هم اصلي الذي اعتمد عليه في مهماتي ومهماتي الذي
افتخر بهم بابوتهم لي وفصلي لساني الذي اتكلم به في بيان مرادي ومخاطباتي
وفروعي الذين اتقوي بهم في دفع المضار عني فالفصل اللسان عند الكسائي
والولد عند ثعلب واليهم لا الي غيرهم يحن بفتح فكسر يميل قلبي طال شوقي
اليهم لبعد عهدي بهم فعجل يا رب قبضي موتي اليك حتي القاهم ولا
يزال يردد ذلك حتي يغلبه النوم اي ينام ويستغرق فيترك قوله وليس
هذا من تمني الموت المنهي عنه فان من احب الله ورسوله وتمناه لاجل لقائه
والاستراحة من الدنيا وغمها ليس من هذا كما قال في الفتوحات وقال الحكيم
الترمذي تمني الموت ثلاثة اقسام عبد اقترب الي ربه في منازل القرب
لما تطهر من ادناس الشهوات وكدورات الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا
فتمني الموت والثاني عبد راي نعمة الله عليه في دينه متواصلة لكل خير فخاف
زوالها لما رايه من نفس خادعة وعدو لا يالوه خبالا فتمني الموت رجاء ان يجوز
ذلك لنفسه في لحده فهذان محمودان ورد اعن الصحابة كسلمان اذ قال
احب الموت اشتياقا وقول ابن مسعود احب الموت لاني لا ادري ما ينزل بي فاخاف

علي ديني والاول قول صديق والثاني قول صادق والحظ لصاحبه
فيهما والثالث عبد تربي في رفاهية عيش وثقل نعمة ثم انقلب عليه
الزمان وعضته النوائب فقل صبره وتمني الموت وهذا مذموم ولذا جا
في الحديث لا يتمني احدكم الموت لضر نزل به وقول مريم يا ليتني مت
قبل هذا فلخير مضي ولهذا لم تقل الان فهو لامر دينى رجاء ان يزول المرارات
تتاعوج وذلك لما اتهموا زكريا وهموا بقتله فجاها النداء والبشري فصدقت
بكلمات ربها وسميت صديقة انتهي ولما احتضر بلال اي حضرته الملائكة
ليقبض روحه نادت امراته صاحت باعلا صوتها واحرباه بفتح الحاء والرا المهملتين
وموحدة من الحرب بفتحتين النهب فكانها تقول نهبت وسلبت وبفتح الحا
والزاي المنقوطة ونون وبضم الحا وسكون الزاي وبفتح الحا واسكان الواو
وموحدة اي اثماه والهاه بشدة جزعها روايات كما تقدم فقال واطرباه
اي فرحاه غدا نلقي الاحبة محمدا وصحبه المتقدم وحزبه وهو الذي في
الشفا اذا ذاق المحب طعم المحبة اشتاق الي لقا المحبوب وما حجب
هاجت وتلهبت نيران الحب والطلب لمحبوبه في قلبه وبعد صبره
عن محبوبه من اعظم كبايره كما قيل

• والصبر يحمد في المواطن كلها • الا اليك فانه مذموم •

وفي نسخة فانه لا يحمد والاولي ابلغ لان لا يحمد يشمل ما لا حسن فيه ولا
قبح بخلافه مذموم فالصبر عليه قبيح لما فات بسببه من النفع العام له
ولغيره وعن زيد بن اسلم العدوي مولاهم المدني ثقة عالم من رجال
الجميع مات سنة ست وثلاثين ومائة قال خرج عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ليلة يحرس الناس علي عادته في خلافته اذ كان
يدور في الازقة ويعس ليعرف حال الناس فراي مصباحا في بيت واذا عجوز
امراة مسنة ويقال عجوزة ايضا تنفش بضم الفا ومعجمة صوفا لا صلاحه
وتقول شعرا من بحر السريع علي محمد صلاة الابرار المطيعين وعلي متعلق
بصلاة او بمقدر ويجوز تقدم الظرف علي المصدر لتوسعهم فيه اي ادعو له
بكل ما يدعو به الابرار صلي عليه الطيبون المتقون الذين طابت ظواهرهم
وسرايرهم الاخيار جمع خير مخففا او خير بمعني اخير واتقي قد كنت قواما
كثير التهجد بالليل بكا بضم البا والقصر مصدر بمعني اسم الفاعل اطلق عليه
مبالغة بالاسحار جمع سحر اخر الليل والباء بمعني في وزعم ان بكا بشد
الكاف والمد سجع لا نظم لانكسار الوزن او بضم الكاف ممدود مضاف للاسحار
بلا يا يخالف للرواية والدراية يا ليت شعري اي علمي اسم ليت والخبر
محذوف اي حاصل والمنايا الموت اطوار جمع طور اي احوال شتي مختلفة
باعتبار الاسباب هل تجمعني وحبيبي الدار الاخرة وهو قائم مقام
معمول شعري علق عنه تعني بحبيبها النبي صلي الله عليه وسلم فجلس
عمر يبكي ثم قام الي باب خيمتها اي بيتها وعند ابن المبارك في الزهد

فما زال عمر يبكي وطرق عليها الباب فقالت من هذا قال عمر بن الخطاب قالت مالي ولعمر في هذه الساعة فقال افتحي يرحمك الله ولا باس عليك ففتحت فدخل فقال السلام عليكم ثلاث مرات فقال لها اعيدي علي قولك الذي قلتيه انفا فاعادته بصوت حزين فبكي وقال لها وعمر لا تنسيه بفتح التا وسكون النون وفتح السين وكسر التحتية وشد النون مفتوحة اي اذكريه بالدعا له في هذه الحالة يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار ويحكي انه رويت امراة مسرفة علي نفسها تفعل ما لا يليق بعد موتها ظرف لرويت فقيل لها ما فعل الله بك قالت غفر لي قال بماذا قالت بمحبتي لرسول الله صلي الله عليه وسلم وشهوتي النظر اليه فنوديت بضم النون مبني للمفعول علي لسان ملك بان سمعته يقول من اشتهي النظر الي حبيبنا فنستحي ان نذله بعتابنا فضلا عن عذابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه وفي هذا ان حبه ينفع ولو للعاصي ومن علامات محبته صلي الله عليه وسلم حب القران الذي اتي به للناس من عند الله وهدي به الخلق كلهم لسعادة الدارين واهتدي هو اي وصل الي الله به وتخلق به اي اتخذه خلقا له بعمل بكل ما فيه قالت عايشة كان خلقه القران قال عياض وحب القران تلاوته والعمل به وتفهمه واذا اردت ان تعرف ما عندك وما عند غيرك من محبة الله ورسوله بيان لما فانظر اختبر محبة القران من قلبك والتذاذك بسماعه اهي اعظم عندك من التذاذ اصحاب الملاهي والغنا يريد به كتاب المطرب بسماعهم فان كان كذلك فانت صادق المحبة والا فدعواك كاذبة فانه من المعلوم ان من احب محبوبا كان كلامه وحديثه احب شي اليه كما قيل

ان كنت تزعم حبي ... فلم هجرت كتابي
اما تاملت ما فيه ... من لذيذ خطابي

اي هجرك لكتابي دليل علي عدم صدق المحبة قال ابن مسعود لا تسال احدا عن نفسه الا القران فان كان يحب القران فانه يحب الله ورسوله اسنده البيهقي وغيره وذكره في الشفا ويروي ان عثمان ابن عفان ذا النورين رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا نظفت من الادناس الباطنة حق النظافة لما شبعت من كلام الله لانه غذا الارواح ونور القلوب وبصر البصاير وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه استفهام بمعني النفي ويدل علي ان القران غاية المطلوب اي ما يليق ان يطلب انه قال النبي صلي الله عليه وسلم لعبد الله بن مسعود اقرا علي زاد في رواية القران اي بعضه قال لفظ ابن مسعود قلت اقرا عليك

بعد

بعد الهمزة للاستفهام القران وعليك انزل بضم الهمزة فقال اني احب وفي رواية اني اشتهي ان اسمعه من غيري ليكون عرض القران سنة او ليتدبره ويتفهمه وذلك ان المستمع اقوي علي التدبر ونفسه اخلا وانشط لذلك من القاري لاشتغاله بالقراة واحكامها قاله ابن بطال وليحصل له لذة السماع فاستفتح وقرا عليه سورة النسا حتي بلغ لفظ ابن مسعود فقرات حتي بلغت فاتي به المصنف بالمعني لكن لم ار لفظ فاستفتح في البخاري وفي رواية له حتي اذا اتيت علي هذه الاية فكيف يصنع هولا الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جينا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم وجينا بك علي هولا اي امتك شهيدا حال اي شاهدا علي من امن بالايمان وعلي من كفر بالكفر وعلي من نافق بالنفاق قال صلي الله عليه وسلم حسبك يكفيك الان تنبيها له علي الموعظة والاعتبار في هذه الاية وفي رواية انه قال امسك وفي اخري قال لي كف او امسك بالشك فرفع راسه وفي رواية فالتفت اليه فاذا عينا رسول الله صلي الله عليه وسلم تذرفان بذال معجمة ساكنة وكسر الرا وبالفا اي يسيل دمعها من البكا لفرط رافته ومزيد شفقته علي المفرطين لانه علم انه لابد ان يشهد عليهم بعملهم وقد لا يكون مستقيما فقد يفضي الي تعذيبهم او لعظم ما تضمنته الاية من هول المطلع وشدة الامر او هو بكا فرح لا بكا جزع لانه تعالي جعل امته شهدا علي ساير الامم كما قال الشاعر

طفح السرور علي حتي انه ... من عظم ما قد سرني ابكاني

رواه البخاري في التفسير في ثلاثة مواضع من حديث ابن مسعود وهذا يجده من سمع الكتاب العزيز باذن قلبه بان احضره وتلقي القران بسلامة صدر وخضوع وذلة لسماعه شبه القلب بذي اذن واعية استعارة بالكناية واثبت الاذن للقلب استعارة تخييلية قال الله تعالي واذا سمعوا ما انزل الي الرسول تري اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق من الاولي للابتدا والثانية لبيان ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعني انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله قاله البيضاوي اذاقنا الله حلاوة مشربه هذا السماع وهو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من اهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية خبر هذا السماع وما بينهما اعتراض وفي نسخة هو السماع فمحكوم خبر ثان وهذا سماع ترد حرارته علي برد اليقين فتفيض بفتح التا العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير تشوقا والتشوق حار وتارة يورث ندما والندم حار عبر بيورث وفيما قبله بيثير كانه لان الحزن والتشوق كانا

من ذات المحب لكن قد يفتر عن خدمة المحبوب واذا هاجت المحبة
اثارتها اخلاق الندم لبعد اتيانها فاذا اقام بهم سرور لغرض
دنيوي وهاجت حرارة المحبة المنافية لذلك اورثتهم ندما
علي تقصيرهم باعتبار احوالهم وان لم يكن تقصيرا في نفس الامر
فاذا اثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملو
ببرد اليقين بكي هو وابكي غيره لان الحرارة والبرودة
اذا اصطدمتا اي اشتعلتا بعد اجتماعهما من اصطدمت النار
تاججت فتكتسب البرودة من الحرارة حرارة فصارا حارين
فاذا زادت حرارتهما واستحكمت عصرتا ما لانهما
بالاجتماع صارا شيئا واحدا والبرودة شانها وطبعها الما فاذا
اخرجت الحرارة التي فيها ما كان في البرودة من الما فاذا
الم السماع بالقلب اي وصل اليه واثر فيه تارة يخف المامه
نزوله به مصدر الم فيظهر اثره في الجسد ويقشعر منه الجلد
ترتعد قال الله تعالي الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
مثاني تقشعر منه ترتعد عند ذكره وعنده جلود الذين
يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الي ذكر الله وتارة
يعظم وقعه ويتصوب اثره اي يتصعد اي يصعد نحو الدماغ
فتندفق تنصب بشدة منه العين بالدمع وتارة يتصوب
اثره الي الروح فيموج بجيم يتحرك منه الروح موجا
تحريكا عنيفا فيؤثر في القلب تاثيرا يصير به كالجسد المنتفخ
فيكاد يضيق عنه نطاق بكسر النون القالب الجسد فتشبيه
القلب بجسد عظم حتي صار حزامه الذي كان مشدودا به لا يدور
عليه فهو استعارة بالكناية واثبات النطاق تخييل فيكون اي
يوجد من ذلك الصياح والاضطراب الحركة القوية وهذه
كلها احوال يجدها اربابها فاعل يجد من اصحاب الاحوال
وفي نسخة تجد اربابها اي تشاهد اصحاب تلك الاحوال من
اصحاب الاحوال المقربين عند الله وقد كان ابن عمر رضي
الله عنهما ربما مر باية في ورده وظيفته من القران
فتخنقه بضم النون اي تعصر حلقه حتي يكاد يموت العبرة
الاتعاظ والتذكر والبكا ويسقط من قيام ويلزم البيت اليوم
واليومين حتي يعاد ويحسب بطن مريضا وقد كان الصحابة
اذا اجتمعوا وفيهم ابو موسي عبد الله بن قيس الاشعري
يقولون يا ابا موسي ذكرنا ربنا بتلاوة كتابه فيقرا وهم
يستمعون لانه اوتي مزمارا من مزامير ال داود في الحديث فلهم في
السماع القراني من الوجد والذوق والحلاوة والسرور

اضعاف

اضعاف ما للمحبين السماع الشيطاني بنحو الالات والانغام
فاذا رايت الرجل ذوقه ووجده بالنصب بدل اشتمال مما قبله
وطربه وتشانه اي زيادته في الطرب والالتذاذ في سماع الابيات
الشعرية دون الايات في سماع الالحان جمع لحن من الاصوات
المصوغة الموضوعة ويجمع ايضا علي لحون كما في القاموس دون
القران كما قيل تقرا عليه الختمة القران بتمامه وانت جامد
كالحجر وبيت من الشعر ينشد تميل كالنشوان السكران معنى ولفظا
فاعلم ان هذا من اقوي الادلة علي فراغ قلبه من محبة الله
ورسوله جواب اذا في قوله فاذا رايت الرجل ادام الله لنا
حلاوة محبته ولا يسلك بنا في غير سبيل سنته بمنه
ورحمته لكن قد سئل الجنيد ما بال اصحابك اذا سمعوا القران لا
يتواجدون ولا يتحركون بخلاف ما اذا سمعوا الرباعيات فقالوا
القران كلام الله وهو صعب الادراك والرباعيات كلام المحبين المخلوقين
ولان القران كله احكام ومواعظ كلفوا العمل بها ومن كلف بشي لا يطرب
به ولا كذلك الرباعيات فانها كلام جنسهم ومما يملونها ايديهم بخلاف
القران فانه حق صدر ومن حق فلا مجانسة بينه وبينها ومن علامات
محبته صلي الله عليه وسلم محبة سنته اي طريقته بالاقتدا به
قولا وفعلا وقراءة بالرفع عطف علي محبة والخفض علي سنته حديثه
علي الوجه المرضي بان يسهل عليه قراته بشروطه والا فتركه
عين المحبة فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع
كلمة من كلام الله تعالي او من حديث رسوله صلي
الله عليه وسلم تشربتها روحه وقلبه ونفسه ويقوله
منشدا اشم بضم الشين وفتحها منك نسيما لست اعرفه
لغرابته وحسنه فان الروايح تتميز بما تضاف اليه كالمسك وما
شممته ما عرفت نوعه من المشمومات فانا اظن لميا بفتح اللام
واسكان الميم وتحتية والمدصنعة لانني قاصت شعبتها اللمي قال
المجد مثلثة اللام سمرة في الشفة زاد الجوهري تستحسن جرت
فيك اردانا جمع ردن ثوب خز وغزل فكان الشاعر يقول هذا
النسيم المستغرب اظنه بسبب ان تلك المراة جرت ثيابها
فيك او في مكانك او علي جسدك فنشات هذه الرايحة التي لا نظير
لها من طيبها فتنعشه تلك الكلمة التي سمعها من كلام الله او
من رسوله وتشمله يحيط به فتصير كل شعرة منه سمعا
وكل ذرة منه بصرا ويسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل
بما جعل الله في كل جز من اجزايه من الانوار فيدرك جميع الكمالات
التي يتصف بها المصطفي فتقوي رغبته وتشتد محبته ويقول منشدا

• • لي حبيب خياله نصب عيني • سروره في ضمايري مكنون •
• • ان تذكرته فكلي قلوب • او تاملته فكلي عيون •

نصب بضم النون وفتحها او الفتح لحن كما في القاموس فحينئذ يستنير بسين التاكيد قلبه ويشرق بضي سره ويتلاطم عليه امواج التحقيق عند البراهين الحجج الواضحة ويبري بري بكسر الراعطق ميل محبوبه اي يسكن قلبه وتزول حرارته براحته بميل حبه اليه الذي لا شي اروي لقلبه من عطفه عليه فشبه قلبه من النور الواصل اليه الواصل اليه بزوال الظما بوصول الما العذب البارد الي الجوف ولا شي اشد للهيبة وحريقه اي المحب من اعراضه اي حبه عنه ولهذا كان عذاب اهل النار باحتجاب ربهم عنهم كما قال كلا انهم عن ربهم يوميذ لمحجوبون اشد عليهم من العذاب الجسماني بكسر الجيم كما ان نعيم اهل الجنة برويته تعالي في يوم المزيد وسماع خطابه ورضاه واقباله اعظم من النعيم الجسماني بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر لا حرمنا الله حلاوة هذا المشرب جملة دعايية اي نساله ان لا يمنعنا ذلك بل يعطينا اياه ويمتعنا به ومن علامات محبته صلي الله عليه وسلم ان يلتذ محبه بذكره الشريف التذاذا مع الاجلال ويطرب بفتح الرا يخف وينبسط بسروره عند سماع اسمه المنيف الزايد في الشرف وقد يوجب له ذلك ذلك السماع سكرا حالة تشبه حال السكران يستغرق قلبه وسمعه وبصره وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فاذا كان العقل قويا مستحكما بكسر الكاف اسم فاعل من استحكم مبنيا للفاعل لم يتغير لذلك وان كان ضعيفا حدث السكر المخرج له للعقل عن حكمه اي عما يليق به وقد حدوا اي علما الطريق السكر بانه سقوط التمالك اي عدم الصبر في الطرب كانه يبغي في بغية يلتذ بها ويطرب فلا يتمالك صاحبها لا يملك نفسه ولا يقدر ان يتمي معها لان المتمي يفني معاني كل شي فيبقي الطرب ايضا قال الهروي السكر من اوصاف المحبين خاصة فان عيون اي حقايق الفنا لا تقبله ومنازل العلم لا تبلغه وقد يكون سبب السكر قوة الفرح بادراك المحبوب بحيث يختلط كلامه وتتغير افعاله بحيث يزول عقله ويعربد بضم اليا وفتح العين وسكون الرا المهملتين وكسر الموحدة اي يسو خلقه اعظم من عربدة اي سو خلق شارب الخمر لانه برويته انقهر تحت سلطان الجمال

ولذا

الجمال ولذا انشدوا •

• فصحوك من لفظي هو الاكل كله • وسكرك من لحظي يبيح لك الشرابا •
• فما مل ساقيها وما مل شارب • عقار لحاظ كاسه يسكر اللبا •

وربما قتله سكر هذا الفرح بسبب طبيعي وهو انبساط دم القلب وهلة دفعة واحدة انبساطا غير معتاد والدم هو حامل الحار الغريزي بغين ونساي منقوطتين الطبيعي فيبرد القلب اي تزول حرارته بسبب انبساط انتشار الدم عنه وسيلانه فيحدث الموت ومن هذا قول سكران الفرح بوجود راحلته في المفازة الموضع المهلك بعد ان استشعر الموت اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة فرحه وسكرة الفرح مبتدا خبره فوق سكره للخمر فصور في نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا اشد العشق ظفر بكنز مال مدفون تسمية بالمصدر عظيم فاستولي عليه حال كونه امنا مطمينا كيف يكون سكرته لا شك انها فوق سكرة الشراب بمراحل كثيرة او من غاب عنه غلامه بمال عظيم مدة سنين حتي اضر به العدم الفقر فقدم عليه من غير انتظار له بماله كله وقد كسب اضعافه كيف يكون سكرته ومن اقوي اسباب ما يحصل فيه سماع الاصوات المطربة بالانشادات بالصفات النبوية بضم الميم وسكون المعجمة وكسر وموحدة اسم فاعل من اغرب اذا اتي بشي غريب صفة للانشادات المعربة بسكون العين المهملة وفتح الرا اسم مفعول من اعرب اي المبينة اذا صادفت محلا قابلا فلا تسال عن سكرة السامع لزيادة فرحه من ذلك وهذا السكر يحصل عندها من جهتين احداها انها في نفسها توجب تسببا لذة قوية يتغمر بيغطي منها العقل فيحصل السكر بتغطيته الثانية انها تحرك النفس الي نحو محبوبها وجهته تفسير به فيحصل بتلك الحركة والشوق والطلب مع التخيل بعجمة للمحبوب واحضاره في النفس وادنا تقريب صورته الي القلب واستيلاها علي الفكر لذة عظيمة تغمر العقل فيجتمع لذة الالحان المحصلة للفرح ولذة الاشجان جمع شجن وهي التي تغمر العقل بها عن كمال ادراكها ادراكه فيسكر الروح سكرا عجيبا اطيب والذ من سكر الشراب الخمر ويحصل به نشاة الذ من نشاة الشراب وقد ذكر الامام احمد وغيره ان الله تعالي يقول لداود مجدني بذلك الصوت الذي كنت تمجدني به في الدنيا حيث كان يقرا به الزبور وضروب الدعا فيقول كيف وقد اذهبته فيقول انا اردده عليك فيقوم عند ساق العرش فيمجده فاذا سمع اهل الجنة صوته استفرغ صوته نعيم اهل الجنة اي شغلهم عما هم فيه من النعيم حتي

كانه ليس عندهم نعيم الا سماع صوته واعظم من ذلك اذا سمعوا
كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك روية
وجهه الكريم الذي تغنيهم لذة رويته عن الجنة ونعيمها
فامر لا تدركه العبارة اي لا تقدر على التعبير بعبارة ولا تحيط به
الاشارة اذ هو اعلا من ذلك وهذه صفة لا تلج لا تدخل كل اذن
لاستناعها عن اكثر الناس فانما تدخل للخواص وصيب مطر
لا تجي به كل ارض بل لها اراضي مخصوصة كناية عن قلوب
الخواص وعين لا يشرب منها كل وارد بل لها وراد معلومون وسماع
لا مطرب كل سامع بل لها سامعون معروفون ومايدة لا يجلس
عليها كل طفيلي اشار اليه في المدارج لابن القيم شرح المنازل
فمن اتصف بهذه العلامات التي ذكرتها فهو كامل المحبة
لله ولرسوله صادق في حبه او من خالف بعضها فهو ناقص المحبة
ولكن لا يخرج عن اسمها اي عن الاتصاف بها وتسميته محبا في
الجملة لوجود اصلها فيه والمنفي عنه الكمال نحو لا يزني الزاني حين
يزني وهو مومن بدليل قوله عليه الصلاة والسلام للذي حده
اي لاجله في الخمر اي شربه وهو عبد الله الملقب حمارا بلفظ الحيوان
وقيل بكسر الخا المعجمة لما لعنه بعضهم هو عمر بن الخطاب كما رواه
البيهقي وقال ما اكثر ما يوتى به تعجب من كثرة الاتيان به وهو
سكران للنبي صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم بيان
لقوله بدليل قوله وتاكيد له فالظاهر حذفه وجملة لا تلعنه بالافراد
كما في البخاري نهيا للبعض الذي لعنه وهو واحد كما علم فانه يحب
الله ورسوله مفعول القول روى البخاري عن عمر قال كان رجل يسمى
عبد الله ويلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب فاتي به يوما فقال
رجل اللهم العنه ما اكثر ما يوتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه
فانه يحب الله ورسوله وذكر الواقدي ان القصة وقعت له في غزاة
خيبر وزعم الدمياطي انه وهم وانما هو نعيمان مردود بانه توهم الرواة
الثقات بلا مستند فكل من نعيمان وحمار في الصحيح وليس في قصة
نعيمان ان احدا لعنه ونهاه المصطفى فجعل الحديثين واحدا والحكم بالوهم
في القصتين من العجب فاخبر انه يحب الله ورسوله مع وجود ما
صدر منه فاظهر مكتوم قلبه وان هذا الحب من اعظم المنجيات وفيه
الرد على من زعم كالمعتزلة ان مرتكب الكبيرة كافر لثبوت النهي
عن لعنه في هذا الحديث وثبوت الامر بالدعا له في حديث اخر
قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه وفيه انه لا تنافي بين ارتكاب النهي
وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب لانه لا تلازم بين الامرين

فارتكاب

فالارتكاب النهي انما هو للغفلة والشهوة وتسويل النفس والشيطان
والمحبة ثابتة ويحتمل ان يكون استمرار محبة الله ورسوله في قلب
العاصي مقيدا بما اذا ندم على وقوع المعصية اواذا اقيم عليه الحد
فكفر عنه الذنب المذكور بنا على الصحيح ان الحد جابر بخلاف من لم
يقع منه ذلك الندم ولم يقع له الحد فانه يخشى بتكرار الذنب
ان ينطبع على قلبه حتى يسلب ذلك الحب منه اسال الله العفو
والثبات على محبته وسلوك دخول سنته بمنه ورحمته وفيه المنع
من لعن مرتكب الكبيرة وقيل محله ان حد وقيل المنع مطلقا في حق
ذي الذلة والجواز مطلقا في حق من تجاهر وصوب ابن المنير المنع
مطلقا في المعين والجواز في غيره زجرا عن تعاطي ذلك الفعل تنبيه قد
اختلف العلما ايما ارفع افضل في نفس الامر درجة المحبة او درجة
الخلة بضم الخا على الاكثر وتفتح الصداقة المحضة التي لا خلل فيها
ويكون في عفاف وكني برفع الدرجة عن رفع من فيها وافضليته فحكى
القاضي عياض في الشفا ثلاثة اقوال احدها ان بعضهم جعلهما سوا
اي الدرجتين اي المحبة والخلة متساويين في الفضيلة لا تفاوت بينهما
فلا يكون الحبيب الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا وتعقب بان هذا
انما يقتضي تلازمهما لا مساواتهما درجة واشار لجواب سوال هو اذا استويا
فلم خص كل منهما بوصف فقال لكنه اي الله اي الامر والشان خص بالبنا للفاعل
او المفعول ابراهيم بالخلة ومحمدا بالنصب والرفع بالمحبة فسمي الاول
خليلا والثاني حبيبا لمجرد التمييز بينهما ولا يخفى ضعفه وقال بعضهم
درجة الخلة ارفع منزلة واعلى درجة ارفع واحتج بقوله عليه الصلاة
والسلام في الصحيحين عن ابي سعيد وابن عباس لو كنت متخذا خليلا
غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام فلم يتخذه خليلا
وقد اطلق المحبة لفاطمة بنته وابنيها الحسنين واسامة بن زيد
وغيرهم كابي بكر وعمر وعايشة واكثرهم جعل المحبة ارفع انتهى كلام
عياض وهذا اي القول الثاني هو الظاهر من المعنى الاخص لان
المحبة ماخوذة من معنى التخلل الخلة فهي اخص منها لكن يرد عليه
ما روي في قصة الاسرا من مناجاته صلى الله عليه وسلم لربه
تعالى حيث قال له يا محمد سل فقال يا رب انك اتخذت ابراهيم
خليلا وكلمت موسى تكليما فقال له تعالى الم اعطك خيرا من هذا
فذكر الحديث الى قوله واتخذتك حبيبا او ما في معناه رواه
رواه البيهقي وهذا يقتضي ان درجة المحبة ارفع وتعسف من
اجاب بانه انما فضله بمجموع ما ذكر في الحديث وقد احتج من قال
بتفضيل مقام المحبة على الخلة وهم اكثر العلما بفروق كثيرة
ذكره القاضي عياض في الشفا منها نقله عن الامام ابي بكر

ابن فورك بضم الكاف عن بعض المتكلمين مبدء بضم النون وذال المعجمة
شيا قليلا منها ان الخليل يصل بالواسطة اي بتوسط اخر بينه وبين
خليله وذلك ماخوذ من قوله تعالي وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض فوصلها لخليله بواسطة ما اراه من ايات ملكوته والحبيب يصل
اليه اي حبيبه به بنفسه بلا واسطة ماخوذ من قوله فكان قاب قوسين
او ادني فراه بعين يقين علي ما مر ومنها ان الخليل قال في المحنة بنون
الابتلا بالالقا في النار حسبي الله اي كافيني في جميع اموري والحبيب
قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق في
الاخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سوال والخليل
قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ومنها ان الخليل هو الذي تكون مغفرته
في حد الطمع اي واقعة في حال يطمع صاحبها في التجاوز عنها لان
الخليل لا يواخذ خليله بزلاته والحد الحاجز بين شيين والمحيط به
كحدود الدار فاستعير للحال المميزة له المقتضية لتحققه من قوله
والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين قاله هضما لنفسه وتعليما
لامته والا فهو معصوم والمعصوم الذي مغفرته في حق اليقين
اي متيقنة ماخوذ من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر اي كل ما صدر منك وما لم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك قد يقتضي
شيا ففي الاية اشارة الي انه لم يقع منه لانه سوي المتقدم بالمتاخر في
عدم الوقوع ولذا سر بها لما نزلت زاد في الشفا والخليل قال ولا
تخزني يوم يبعثون والخليل قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدي
بالبشارة قبل السوال وفي كتابي تحفة السامع والقاري بختم
صحيح البخاري وجوه اخر لمناسبته لما سبق ان اخر حديث في البخاري
كلمتان حبيبتان الي الرحمن غير ما حكاه القاضي عياض من هذه
الثلاثة وفي كلها نظر واضح كما بينته في حاشية الشفا وذلك
ان مقتضي الفرق بين الشيين ان يكون في حد ذاتهما يعني
باعتبار مدلول خليل وحبيب وما حكاه القاضي عياض وذكرته
في التحفة زيادة عليه يقتضي تفضيل ذات محمد علي ذات
ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وليس الكلام فيه لا يقال باعتبار
ثبوت وصف الخلة له لابراهيم والمحبة لمحمد فيلزم ذلك اي تفضيل
المحبة لفضله علي ابراهيم لانا نقول كل منهما ثابت له وصف
الخلة والمحبة اذ لا يسلب عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وصف المحبة الخلة ولعدم صحته لا سيما والخلة اخص من
المحبة مفيدة زيادة علي المحبة ولا يسلب عن نبينا محمد صلي الله
عليه وسلم وصف الخلة لانه اذا حازها الكامل فالاكمل اولي وقد ثبت

في

في حديث ابي هريرة في المعراج قول الله تعالي له اني اتخذتك خليلا
ولذا قال صلي الله عليه وسلم ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا
فمنزلي ومنزل ابراهيم في الجنة يوم القيمة تجاهين والعباس بيننا
مومن بين خليلين رواه ابن ماجة وقد قام الاجماع علي تفضيل نبينا
صلي الله عليه وسلم علي جميع الانبيا بل هو افضل خلق الله مطلقا حتي
جبريل باجماع حتي من المعتزلة فهذا رد للفروق بطريق الاجمال واشار
للتفصيل بقوله واما قوله ان الخليل يصل بالواسطة فلا يفيد غرضا
في هذا المقام الذي هو بصدده وهو تفضيل المحبة وليس المراد به قطعا
الوصول الي المعرفة اذ الوصول الحسي يمتنع علي الله تعالي وقال
بعضهم ان اراد الوصول الي الله برويته وسماع كلامه فالاية لا مناسبة
لها بما ذكر وان اراد الي معرفته فكذلك ثم لا يتم الفرق لانه ان اراد بيان
مفهومي المحبة والخلة فما ذكر لا يدل عليه بل ليس بصحيح وان اراد بين ذاتي
من قاما به فلا يفيد شيا مما نحن فيه ثم انه مبني علي القول بان ابراهيم لم يعرفه
قبل هذا الاستدلال بنا علي جواز مثله علي الانبيا مطلقا او قبل البلوغ ثم
والمحققون علي انه ورد علي طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون
الكواكب واما قوله والحبيب يصل اليه تعالي به فلا يفيد الغرض والوصول
الي الله تعالي لا يكون الا به حبيبا كان او خليله فهذا رد فرقه الاول
واما قوله في الثالث الخليل هو الذي يكون مغفرته في حد الطمع الخ فانه
لا يصح ان يكون علي جهة التفسير للخليل ولا تعلق له بمعناه وكذا ما
الفرق الثاني وهذا اقدمه المصنف بمعناه وقصاري يعني غاية ما ذكره
في الثلاثة انه يعطي تفضيل نبينا صلي الله عليه وسلم علي ابراهيم
عليهما افضل الصلاة والسلام في حد ذاته من غير نظر الي ما جعله
علة معنوية في ذلك من وصف المحبة والخلة وليس الكلام في التفضيل
الذاتي فلا معني لذكره فرقا بين الصفتين لكن قد اشار عياض الي
الجواب بانه وان تعلق بذات الحبيب والخليل فالمقصود تفاوت وصفهما
فرجع ذلك الي بيانهما فان منهم من يسلك مسلك التصريح ومنهم من يقصد
الايما والتلويح فقال اعني عياضا بعد ذكر الفروق وفيما ذكرناه اي من
تفسير المحبة والخلة واشتقاقهما تنبيه علي مقصد اصحاب هذا المقال
من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل علي شاكلته فربكم اعلم بمن
هو اهدي سبيلا والحق ان الخلة اعلا واكمل وافضل من المحبة لانها
خالص المحبة وصفاوها ولذا قيل

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي ... واذا ما سكت كنت الغليلا

بغين معجمة ما داخل القلب وفي رواية الدخيلا اي ما داخل القلب
والبدن قال ابن القيم واما ما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة

اكمل من الخلة وان ابراهيم خليل الله ومحمد احبيب الله ممن جهله
فان المحبة عامة له ولغيره والخلة خاصة فكيف يكون العام افضل
والخلة نهاية المحبة فكيف تفضلها البداية وقد اخبر النبي صلي الله
عليه وسلم ان الله اتخذه خليله ونفي ان يكون له خليل غير ربه
مع اخباره بحبه لعايشة ولابيها ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه
وغيرهم فهذا يدل علي ان الخلة اعلا وايضا فانه تعالي اخبر انه يحب
التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين من الاقذار ويحب الصابرين
ويحب المحسنين اي بتثبتهم ويحب المتقين الصابرين اي التقوي
بامتثال الاوامر واجتناب النواهي لاتقايهم بذلك النار ويحب المقسطين
العادلين من اقسط اذا عدل وخلته خاصة بالخليلين محمد وابراهيم
عليهما الصلاة والسلام فهذا يفيد انها افضل قال وانما هذا الذي
قالوه من تفضيل المحبة من قلة العلم والفهم عن الله ورسوله انتهي
كلام ابن القيم وفي حضره اساة ادب علي اكثر العلما وقال الشيخ بدر الدين
الزركشي في شرح البردة الابوصيري هو ابو البورصيري نسبة الي
بوصير كما تقدم مرارا وزعم بعضهم ان المحبة افضل من الخلة قال
منتجا لذلك محمد حبيب الله وابراهيم خليل الله ومحمد افضل فصفته
افضل وضعف لان الخلة خاصة وهي توحيد المحبة لان الخاص يزيد
علي العام والمحبة عامة فلا توجد الصفتان قال الله تعالي ان الله
يحب التوابين قال وقد صح ان الله اتخذ نبيا خليلا فثبتت له
الصفتان فقال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا
الحديث رواه ابن ماجة ومرفوعا انتهي قول الزركشي نص

.... الفصل الثاني في حكم الصلاة عليه والتسليم ....

اي بيان ما ثبت لهما فرضية علي امته وسنية وفضيلة لها وصفة
ومحلا بالنصب علي التمييز فجعل الصفة والمحل من الاحكام لان المراد بالحكم
ما ثبت لهما من النسب فلا يختص بالاحكام الخمسة قال الله تعالي ان
الله وملايكته نصب بالعطف علي اسم ان وقراة ابن عباس بالرفع
علي محل الله واسمها وهو ظاهر علي راي الكوفيين ووجهه عند البصريين
ان الخبر محذوف لدلالة يصلون عليه قاله الكشاف يصلون علي النبي
اورد انه الصلاة من الله غيرها من الملايكة وقد جمع بينهما بلفظ
واحد واجيب بانها مستعملة في لفظ مشترك بينهما هو يعتنون
باظهار شرفه شرو تعظيم شانه والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة
الاستمرار التجددي فالملايكة استمرت صلاتهم عليه وهذه منقبة لم
توجد لغيره اعظم من سجود الملايكة لادم الذي وقع وانقطع وقال
علي النبي دون الرسول تنويها بقدره فالنبوة عند بعض اشرف من
الرسالة لانها اتصال بالله واشتغال به والرسالة اشتغال بالناس بابها

الذي

الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم فانكم اولي بذلك وقولوا اللهم
صل علي محمد وسلموا تسليما قولوا السلام عليك ايها النبي وقيل انقادوا
لاوامره واكد السلام وخصه بالمومنين لان الصلاة موكدة معني بحمد وربها
من الله وملايكته فكيف لا تصلي عليها امته ولانها موكدة بان والجملة الاسمية
والسلام سوا كان بمعني الانقياد او السلام من الابدا لا يليق اسناده الي الله
وملايكته فاستحق التاكيد لصدوره وخلافه من جنسهم ولا يرد قوله سلام علي
ابراهيم وقوله تعالي والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام لانه تحية
واكرام وصدر المصنف بهذه الاية لاظهار مدعاه لان الامر يحتمل للوجوب
والندب قال ابو العالية رفيع بن مهران التابعي الكبير معني صلاة الله
علي نبيه ثناوه عليه بمدحه وبيان منزلته لديه عند الملايكة بحديث
يطلعون علي ذلك ومعني صلاة الملايكة عليه الدعا له قال في فتح
الباري وهذا اولي الاقوال احقها بالقبول له فيكون معني صلاة
الله عليه ثناوه عليه وتعظيمه ومعني صلاة الملايكة وغيرهم
طلب ذلك له من الله تعالي كانه يقال نسالك ان تثني عليه وتعظمه بما يليق
به والمراد طلب الزيادة لا طلب اصل الصلاة لحصولها مع ساير الكمالات
اللايقة بالبشر فاي تعظيم يطلب له مع انه معظم مبجل فهو جواب سوال
مقدر حاصله ان الزيادة يقبلها المكمل وعن ابن عباس ان معني صلاة
الملايكة الدعا بالبركة نقل كما رواه ابن جرير وابن ابي حاتم معناه
ان الله وملايكته يباركون علي النبي يدعون له بزيادة بركة لايقة
بمقامه وشريف قدره وظهور شريعته والانقياد اليها والعمل بها ظاهرا
وباطنا وذلك يعود ثوابه مضاعفا له صلي الله عليه وسلم واصل معني
البركة الزيادة والنما وروي ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حيان
بفتح المهملة والتحتية الثقيلة النبطي بفتح النون والموحدة ابي بسطام
البلخي الخزاز بمعجمة وزاي وزاين منقوطتين صدوق فاضل روي له
مسلم واصحاب السنن واخطا الازدي في زعمه ان وكيعا كذبه وانما كذب
مقاتل بن سليمان مات قبل الخمسين ومائة بارض الهند قاله الحافظ
قال صلي الله عليه وسلم مغفرة وصلاة الملايكة الاستغفار
لقوله ويستغفرون للذين امنوا وحديث اللهم اغفر له اللهم ارحمه وقال
الضحاك ابن مزاحم الهلالي ابو القاسم او ابو محمد الخراساني صدوق
كثير الارسال روي له اصحاب السنن مات بعد المائة صلاة الله
رحمة وفي رواية عنه مغفرة وصلاة الملايكة الدعا اخرجهما
اسمعيل بن اسحق بن اسمعيل بن حماد بن زيد البصري ثم البغدادي
القاضي بها نحو خمسين سنة الامام الحافظ الفقيه المالكي صاحب
التصانيف شيخ الاسلام بالعراق وبث الناس عليه كثير ولد سنة تسع
وتسعين ومائة ومات فجاة سنة اثنين وثمانين ومائتين عند اي عن

الضحاك وكانه يريد الدعا بالمغفرة ونحوها فهو اعم قول غيره من
الملايكة الاستغفار وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة اي الانعام او
ارادته لان المعنى الحقيقي للدعا لا يتصور في حق الله فاريد به لازمه وغايته
ومن الملايكة رقة شفقة ومحبة تبعث على استدعا الرحمة من الله اي
طلبها والدعا بها وتعقب تفسيره الصلاة من الله بالرحمة بان الله غاير
بين الصلاة والرحمة في قوله سبحانه اوليك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة واجيب بان الصلاة الرحمة المقرونة بالتعظيم
فهي اخص من مطلق الرحمة وعطف العام على الخاص كثير مستعمل وكذلك
فهم الصحابة المغايرة من قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما
حين سالوه عن كيفية الصلاة عليه لفظ مولد نشب لكيف اسم
الاستفهام لان من شانها ان يسال بها عن مثله مع تقدم ذكر الرحمة في
تعليم السلام حيث جا بلفظ السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته واقرهم النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت الصلاة
بمعنى الرحمة لقال لهم لقد علمتم ذلك في السلام والجواب
ما قد علم فسوالهم دل على ان الصلاة اخص من مطلق الرحمة وجوز
الحليمي ان تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر لان الله تعالى
اخبر بانه صلى على نبيه وامر المومنين بالصلاة والسلام عليه فدل على
تغايرهما وفي ان معنى السلام السلامة لك ومعك او من اسما الله اي
السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به او بمعنى المسالمة له
والانقياد كما قال فلا وربك لا يومنون الى قوله ويسلموا تسليما اقوال في
الشفا لليبي فيها ما يصلح تفسيرا للصلاة مع ملاحظة معناها اللغوي
وقيل صلوة الله على خلقه تكون خاصة وتكون عامة فتكون
صلاته على انبيايه هي ما تقدم من الثنا والتعظيم وصلاته على
غيرهم الرحمة فهي التي وسعت عمت كل شي في الدنيا وهذا يشبه
الجمع بين القولين وحكى القاضي عياض عن بكر بن العلا القشيري
نسبة لقشير بالتصغير قبيلة البصري ثم المصري انه قال الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة
بفتح الرا المكرمة كما ضبطه التلمساني وغيره وهما مصدران وعلى
من دون النبي رحمة لاحتياجهم اليها اذ لا يخلو غير الانبيا عن
نوع تقصير وبهذا يظهر الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم
وبين ساير المومنين حيث قال تعالى في سورة الاحزاب
ان الله وملايكته يصلون على النبي وقال قبل ذلك في السورة
المذكورة هو الذي يصلي عليكم وملايكته ليخرجكم من الظلمات
الى النور ومن المعلوم ان القدر الذي يليق بغيره فانضح الفرق
بين الصلاتين والاجماع منعقد على ان في هذه الاية من

تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم والتنويه به ما ليس في غيرها
وقال الحليمي في كتاب الشعب اي شعب الايمان معنى الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم تعظيمه فمعنى قولنا اللهم صل على محمد
عظم محمدا تعظيما لايقا به والمراد تعظيمه في الدنيا باعلا ذكره واظهار
دينه وابقا شريعته وفي الاخرة باجزال مثوبته تكثير ثوابه
وتشفيعه في امته وابدا اظهار فضيلته بالمقام المحمود
الذي يحمده فيه الاولون والاخرون وعلى هذا فالمراد بقوله تعالى
صلوا عليه ادعوا ربكم بالصلاة عليه انتهى ولا يعكر عليه عطف
اله وازواجه وذريته عليه في حديث ابي حميد انهم قالوا يا رسول
الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد واله وازواجه
وذريته فانه لا يمنع ان يدعى لهم بالتعظيم لانهم لذلك اهل اذ تعظيم
كل احد بحسب ما يليق به فلهم تعظيم دون تعظيمه ولكن ما تقدم
عن ابي العالية اظهر من كلام الحليمي فانه يحصل به استعمال
لفظ الصلاة بالنسبة الى الله والى ملايكته والى المامورين
بذلك اي المومنين بمعنى واحد ويويده انه لا خلاف في جواز
الترحم على غير الانبيا لفظه غيرنا ثابتة في النسخ الصحيحة منها
معزوة على المصنف وحذفها يفسد المعنى الذي هو اتفق على جواز
الترحم على من عدا الانبيا واختلفوا في جواز الصلاة على غير الانبيا
على ثلاثة اقوال ولو كان معنى قولنا اللهم صل على محمد ارحم
محمدا او ترحم على محمد جاز لفظ صل لغير الانبيا باتفاق لان
معناها واحد فلما اختلف في ذلك علم انهما ليسا بمعنى وكذا لو كان
لفظ الصلاة بمعنى البركة وكذلك لو كان معنى الرحمة معنى الصلاة
لسقط الوجوب عند من يوجبه كالشافعي بقول المصلي في التشهد
اللهم صل السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته لسبق
الاتيان بمعناه مع انه لم يسقطه ويمكن الانفصال الجواب عنه اي المذكور
من قوله وكذا البركة وكذا الرحمة بان ذلك بطريق التعبد بلفظ
الصلاة فلا بد فلا بد من الاتيان به ولو سبق الاتيان بما يدل عليه
ولم يجب عن قوله لو كان معنى اللهم صل على محمد الخ واجاب شيخنا بانهم
كثيرا ما يستعملون في المتساويين العطف التفسيري فيمكن الحمل هنا لانه
لا يخفى معنى الصلاة فسرها بالرحمة ايضاحا فان قيل في اي وقت
وقع الامر بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في الاية فالجواب
كما قاله الكاف بمعنى على واللام او الكلام من حيث صدوره عن المشبه
غيره من حيث صدوره عن المشبه به فلا يرد حيث كان لغيره فلم ينسبه
لنفسه ابو ذر الهروي الامام العلامة الحافظ عبد بلا اضافة
عبد بن احمد بن محمد الانصاري المالكي شيخ الحرم سمع بن حمويه والدارقطني

وغيرهما وله تصانيف وكان زاهدا عابدا ورعا عالما حافظا كثير الشيوخ
مات في شوال سنة اربع وثلاثين واربعمائة انه وقع في السنة
الثانية من الهجرة وقيل في ليلة الاسرا وكان في مكة وفي
وقته خلاف مر وقيل ان شهر شعبان شهر الصلاة عليه صلى الله
عليه وسلم لان اية الصلاة يعني ان الله وملائكته يصلون على
النبي نزلت فيه فينبغي الاكثار منها في شعبان ـه والله اعلم
ثم بين فايدة مستقلة لتبيت مبينة لشي مما ترجم به بقوله قال الحليمي
والمقصود بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التقرب الى الله تعالى
بامتثال امره وفي نسخة اوامره بالجمع وقضا بعض حق النبي صلى
الله عليه وسلم علينا وتبعه العلامة الحافظ عز الدين بن عبد السلام
فقال في الباب الثامن من كتابه المسمى بشجرة المعارف ليست
صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع
لمثله بل هو التشفيع لنا ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا على
احسانه بمثله او خير منه ولم يحسن الينا احد مثل احسانه فان
عجزنا عنه كافاناه بالدعا كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث
ومن صنع اليكم معروفا فكافوه فان لم تجدوا ما تكافيونه فادعوا له حتى
تروا انكم افكم قد كافيتموه رواه احمد وابو داود والنسايي وصححه
ابن حبان والحاكم عن ابن عمر فارشدنا الله لما علم عجزنا بفتح اللام
وشد الميم اي لما تعلق علمه بعجزنا او بكسر اللام وخفة الميم اي لعلمه تعالى
الازلي بعجزنا عن مكافاة نبينا الى الصلاة عليه وطلبنا منه لقصورنا
عن المجازاة فاحالنا على الله ونعم المجازي هو وذكر نحوه عن
الشيخ ابي محمد عبد الله بن محمد القرشي المرجاني الامام القدوة الواعظ
المفسر احد الاعلام في الفقه والتصوف مات بتونس سنة تسع وتسعين
وستماية وقال ابن العربي محمد الامام الحافظ الفقيه فايدة الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ترجع الى الذي عليه لدلالة ذلك
على نصوح العقيدة اي خلوصها من الترببة والشك وخلوص النية
واظهار المحبة لان من احب شيا اكثر من ذكره والمداومة على
الطاعة الماموربها في القران والاحترام للمعظم للواسطة
الكريمة المبلغ لذلك صلى الله عليه وسلم واختلف في حكم الصلاة
عليه صلوات الله تعالى وسلامه عليه على اقوال عشرة احدها انها
تجب في الجملة اي اجمالا من غير حصر في عدد ولا وقت مع القدرة
على ذلك كما قال عياض فان عجز سقط كساير الواجبات لكن اقل
ما يحصل به الاجزا مرة واحدة في العمر وعبر بالاستدراك لدفع
ما يتوهم من قوله بغير حصر انها لا تكفي وانه لا يحصل قيد بعد كثير اعرفا
قال عياض الواجب مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك مندوب

مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله انتهى فاستظهار وقوع ما
زاد عليها واجبا كفرض الكفاية ممنوع فهذا اوجبه عيني الثاني يجب
الاكثار منها من غير تقييد بعدد قاله القاضي ابو بكر محمد بن احمد بن
عبد الله بن بكير بالتصغير التميمي البغدادي هذا هو المشهور في اسمه
ونسبه وقيل اسمه محمد بن احمد بن بكير وقيل محمد بن بكير لا غيره من
المالكية تفقه باسماعيل القاضي وهو من كبار اصحابه الفقها الثقات له
احكام القران وكتاب الرضاع وكتاب في الخلاف وكان فقيها جدليا ولي
القضا وتوفي سنة خمسين وثلثماية وعبارته كما قاله تلميذه القاضي عياض
عنه افترض الله تعالى اي فرض لكن فيه زيادة تاكيد لزيادة بناية
على خلقه جميعا ان يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم ويسلموا
تسليما كما روي عن ابن عباس من فرض الصلاة والسلام فهذان
اماما من المالكية ابن بكير وعياض قايلان بوجوب السلام كالصلاة
ولذا قال الرصاع كما نقل الخطاب الظاهر من الاية فرضية السلام وما
نقل عن بعض المغاربة من التوقف في وجوبه لا اصل له والحق انه كالصلاة
انتهى قال بعضهم وينبغي ذكره مع مصدره المؤكد امتثالا للرمز ولم يجعل
ذلك الفرض لوقت معلوم اللام للتاقيت والظرفية نحو جيت لخمس
خلون من الشهر وقوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس فالواجب
ان يكثر المرد الانسان ولو امراة تغليبا منها من الصلاة بما يعد عرفا كثيرة
ولا يغفل عنها بتركها وفي اوقاتها مع تكثيرها في كل يوم وليلة الثالث تجب
كلما بالنصب ظرف ذكر قاله الطحاوي بالنصب ظرف احمد بن محمد بن سلامة
وعبارته تجب كلما سمع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من غيره او
ذكره بنفسه وظاهره ذكر بالاسم الظاهر او الصلاة في صلاة او
غيرها وجماعة من الحنفية او غيرها والحليمي وجماعة من الشافعية
كابي اسحق وابي حامد الاسفرايني وجمع من المالكية منهم الطرطوسي
والفاكهي والفاكهاني وقال ابن العربي من المالكية انه الاحوط
لامتثال الامر وكذا قاله الزمخشري واستدلوا لذلك بحديث من ذكرت
عنده فلم يصل علي فمات تاركا للصلاة علي والتعقيب عن عدم تكرر وجه
قوله له فدخل النار عقوبة له على ترك الصلاة فابعده الله عن رحمته
ونعيم جنته خرجه ابن حبان من حديث ابي هريرة ورواه ايضا
بلفظ اخر هو وابن خزيمة وغيرهما عن ابي هريرة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم صعد المنبر فقال امين امين امين فقيل انك صعدت
المنبر فقلت امين امين امين فقال ان جبريل اتاني فقال من ادرك شهر
رمضان فلم يغفر له فدخل النار فابعده الله فدخل النار فابعده الله
قل امين فقلت امين ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات فدخل
النار فابعده الله قل امين فقلت امين ومن ذكرت عنده فلم يصل

عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل امين فقلت امين وحديث رغم
انف بكسر الغين وبفتح قيل وهو افصح اي لصق بالتراب وهو كناية عن
غاية الذل والهوان من لفظ الحديث رجل ذكرت عنده فابدله بمن لافادة
ان رجل وصف طردي والمراد رجل او امراة فلم يصل عليه اي لحقه ذل
وخزي جزاء له على تركه تعظيمي او خاب وخسر من قدر ان ينطق باربع كلمات
توجب له عشر صلوات من الله ورفع عشر درجات وحط عشر سيآت فلم يفعل
لان الصلاة عبارة عن تعظيمه فمن عظمه عظمه الله ومن تركه اهانه وحقر
شانه قال الطيبي الفا استبعادية كثم في قوله تعالى ثم اعرض عنها والمعنى
بعيد من العاقل ان يتمكن من اجراء كلمات معدودة على لسانه فيفوز بما ذكر
فلم يغتنمه حتى يموت فحقيق ان يذله الله ويعقب بان جعلها للتعقيب اولى
ليفيد ذم التراخي عن تعقيب الصلاة عليه بذكره رواه الترمذي وقال
حسن غريب من حديث ابي هريرة بزيادة ورغم انف رجل دخل عليه
رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم
يدخلاه الجنة وصححه الحاكم بعد ان رواه مطعم لا كذلك قال الحافظ وله
شواهد وحديث شقي عبد ذكرت عنده فلم يصل علي حيث احرم نفسه
الثواب الجزيل اخرجه الطبراني من حديث جابر لان الدعا بالرغم والابعاد
والشقا يقتضي الوعد والوعيد على الترك من علامات الوجوب
لان المستحب لا يتوعد على تركه اذ لا عقاب فيه وهذه ادلة من حيث اللفظ
واستدلوا لذلك من حيث المعنى ان فائدة الامر بالصلاة عليه مكافاته
على احسانه واحسانه مستمر حتى باستغفاره لنا في قبره فيتاكد مكافاته
اذا ذكر واستدلوا ايضا بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا فلو كان اذا ذكر لا يصلى عليه كان كاحاد الناس لان عدم
الصلاة حينئذ اعراض وقد نهينا عن الاعراض عنه عند ذكره كما دلت عليه
الاية الشريفة وان كان فيها تفاسير تقدمت في المتن واجاب من لم يوجب
ذلك باجوبة منها ان قوله لا يعرفون عن احد من الصحابة ولا التابعين
فهو قول مخترع مبتدع واجيب بان القايلين بالوجوب من ايمة النقل
فكيف يسعهم خرق الاجماع على انه لا يكفي في الرد عليهم كونه لم يحفظ عن
صحابي ولا تابعي وانما يتم الرد ان حفظ اجماع مصرح بعدم الوجوب كلما ذكر
واتي به ولو كان على عمومه للزم المؤذن اذا اذن ان يصلي لانه ذكره
في الاذان وكذا سامعه ولذا لزم القاري اذا مر باية فيها ذكره عليه
الصلاة والسلام في القران ان يصلي عليه وللزم الداخل في الاسلام
اذا تلفظ بالشهادتين ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت
الشريعة المطهرة السمحة السهلة بخلافه يريد الله بكم اليسر ولا يريد
بكم العسر ما جعل عليكم في الدين من حرج واجيب بانه مخصوص بما لم يكن
في الصلاة ونحوها على انه يمكنهم التزام ذلك ولا كبير حرج فيه ولكان

الثنا

الثنا على الله كلما ذكر احق بالوجوب لان حق الله اكد ولم يقولوا بوجوبه
اي الثنا على الله واجيب بان جمعا صرحوا بالوجوب من حقه تعالى ايضا
وبالفرق بان حق الله غير مطلق وعظمته لا يتوقف على ذكرها وان
هذا حق العبد وذاك حق الله وهو مبني على المسامحة دون المشاحة و
زعم انه حق الله ايضا لامره به ناش من عدم فهم المراد بحق الله ولكن
قد اطلق القدوري وغيره من الحنفية ان القول بوجوب الصلاة
عليه كلما ذكر مخالف للاجماع المنعقد قبل قايله فهو محجوج به
لانه لا يحفظ عن احد من الصحابة انه خاطب النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليك وذلك اقوى الادلة على
عدم الوجوب واجيب بانه ورد في عدة طرق عن جماعة من الصحابة
انهم قالوا يا رسول الله صلى الله عليك ولانه لو كان كذلك لما تفرغ
لعبادة اخرى لكثرة ذكره صلى الله عليه وسلم واجيب بمنع ذلك
بل يمكن التفرغ لعبادات اخر واجابوا عن الاحاديث السابقة بانها
خرجت مخرج المبالغة في تاكيد ذلك وطلبه فلا يدل على الوجوب
وفي حق من اعتاد ترك الصلاة عليه ديدنا اي عادة مستمرة واجيب
بان حمل الاحاديث على ما ذكر فلا يكفي الا مع بيان سنده ولم يبينوه
وبالجملة فلا دليل على وجوب تكرار ذلك بتكرار ذكره صلى الله
عليه وسلم في المجلس الواحد وقيل انه مبني على ان الامر يفيد
التكرار وهو ضعيف انتهى ملخصا والله اعلم بما لحق من ذلك

الرابع تجب في كل مجلس مرة ولو تكرر ذكره
مرارا في المجلس حكاه الزمخشري الخامس في كل دعا حكاه
الزمخشري ايضا ولكن احملوني في اول الدعا وسطه واخره السادس
انها من المستحبات وهو المجتهد المطلق محمد بن جرير الطبري وادعى
الاجماع على ذلك وحمل عليه الاية واحتج على ذلك مع ورود صيغة الامر
بذلك بالاتفاق متعلق باحتج من جميع المتقدمين والمتاخرين من
علما الامة على ان ذلك غير مستلزم فرضيتها حتى يكون تاركها
عاصيا فدل هذا الاتفاق على الامر فيه الندب ويحصل الامتثال
لمن قاله ولو كان خارج الصلاة وفي الشفا حمل الامة والعلما الامر على
الوجوب واجمعوا عليه وحمله الطبري على الندب وادعى الاجماع ولعله
فيما زاد على مرة قال في فتح الباري وما ادعاه من الاجماع معارض
بدعوى غيره الاجماع على مشروعية ذلك في الصلاة اما بطريق
الوجوب كما يقول الشافعي واما بطريق الندب كما يقول غيره ولا يعرف
عن السلف لذلك مخالف الا ما اخرجه ابن ابي شيبة عبد الله بن محمد
ابن ابراهيم وهو ابو شيبة والطبراني عن ابراهيم النخعي انه كان
يرى ان قول المصلي في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة

وبركاته مجزئ عن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بعد تمام التشهد ومع ذلك اعاد في النخعي اجزا السلام عن الصلاة وذلك لا ينفي مشروعيتها ندبا او وجوبا السابع تجب في العمرة في الصلاة او غيرها ككلمة التوحيد قاله ابو بكر الرازي احمد بن علي بن الحسين الامام الحافظ محدث نيسابور من ايمة الحنفية سمع ابا حاتم وعثمان الدارمي وعنه ابو علي وابو احمد الحاكم قال ابن عقدة كان من الحفاظ مات سنة خمس عشرة وثلثماية الثامن تجب في الصلاة من غير تعيين المحل ونقل ذلك عن ابي جعفر الباقر بالقاف لانه بقر العلم وهو محمد بن علي بن الحسين التاسع تجب في التشهد الا بالاول والاخير وهو قول الشعبي عامر بن شراحيل التابعي واسحق بن راهويه احد الايمة العاشر تجب في القعود اخر الصلاة بين قول التشهد وبين سلام التحليل الذي هو الاول قاله الشافعي ومن تبعه واستدل لذلك بما رواه اصحاب السنن وصححه الترمذي وابن خزيمة والحاكم عن ابي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الانصاري البدري الصحابي الجليل مات قبل الاربعين وقيل بعدها انهم اي الصحابة وسمي منهم ابي وبشير بن سعد وزيد بن خارجة وطلحة وابو هريرة وعبد الرحمن بن بشير قالوا يا رسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا في صلاتنا فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد الحديث يأتي تمامه في صفة الصلاة ومعنى قولهم اما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان علمهم اياه كما يعلمهم السورة من القران وفيه السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته رواه الشافعي في مسنده عن ابي هريرة بمثله اي حديث ابي مسعود وقد احتج بهذه الزيادة يعني قوله في صلاتنا جماعة من الشافعية منهم ابن خزيمة والبيهقي لايجاب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم قبل السلام ويأتي انه ليس فيه على تسليمه ما يدل على كونه قبل السلام وقال الشافعي في الام فرض الله الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ولم يكن فرض الصلاة في موضع اولى منه في الصلاة ووجدنا الدلالة عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اخبرنا ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى الاسلمي ابو اسحق المدني متروك مات سنة اربع وثمانين وقيل سنة احدى وتسعين ومائة قال حدثنا صفوان بن سليم بضم السين المدني العابد الثقة المفتي ابي سلمة اسمعيل او عبد الله او اسمه كنيته بن عبد الرحمن

ابن

ابن عوف الزهري المدني الثقة كثير الحديث عن ابي هريرة انه صلى الله عليه قال يا رسول الله كيف نصلي عليك يعني في الصلاة قال تقولون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم الحديث تركت بقيته لان مقصوده منه قوله يعني في الصلاة قال الشافعي ايضا اخبرنا ابراهيم بن محمد السابق فيما قبله قال حدثني سعيد بن اسحق بن كعب بن عجرة بضم العين وسكون الجيم عن عبد الرحمن بن ابي ليلى الانصاري المدني ثم الكوفي تابعي كبير ثقة من رجال الجميع مات بوقعة الجماجم سنة ثلاث وثلاثين وثمانين قيل انه غرق عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول في الصلاة اللهم صل على محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم وال ابراهيم الحديث الاتي قريبا والغرض منه هنا قوله في الصلاة قال الشافعي فلما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد في الصلاة واجب الصلاة عليه فيه غير واجبة بل سنة ومستحبة لانه تحكم وهذا بنا على مذهبه ان التشهد واجب اما على مذهب غيره انه سنة فمتجه بل لا ياتي الاستدلال بذلك ان سلم الا على من يقول بوجوب التشهد وقد تعقب بعض المخالفين هذا الاستدلال من اوجه احدها ضعف شيخه في الحديثين المذكورين ابراهيم بن محمد بن ابي يحيى والكلام فيه لاصحاب الحديث مشهور فقال الامام احمد هو قدري معتزلي جهمي كل بلاء فيه وقال يحيى القطان انه كذاب وقال البخاري جهمي تركه ابن المبارك والناس وقال ابن عبد البر اجمع على تجريحه وضعفه غير الشافعي منه حذقه ونباهته فروى عنه الثاني على تقدير صحته فقوله في الاول يعني في الصلاة لم يصرح بالقائل يعني حتى يعلم هل هو ممن يقبل تفسيره ام لا الثالث قوله في الحديث الثاني كان يقول في الصلاة وان كان ظاهره انه في الصلاة المكتوبة لكنه يحتمل ان يكون المراد بقوله في الصلاة اي في صفة الصلاة عليه اذ اراد وهو في صلاة او غيرها كسماع ذكره فلا دلالة فيه على المدعي وهو احتمال قوي لان اكثر الطرق عن كعب بن عجرة يدل على ان السؤال وقع عن صفة الصلاة لا عن محلها وفي نسخة في صفة اي يعني بيان السؤال عن صفة وعن اظهر الرابع على تقدير التغاضي عن هذا كله وعن تسليم ان المراد في الصلاة ليس في الحديث ما يدل على تعيين ذلك في التشهد لانه صادق بغيره فهو مجمل وهو كاف في ترك الاستدلال به خصوصا بينه وبين السلام الذي هو المدعي وجوبه بعد تسليم ان المراد في التشهد ولقوة هذه الاوجه سلمها الحافظ لانه شان المنصفين وقد اطنب قوم من متاخري المالكية وغيرهم في التشنيع اي الرد واصل معناه التقبيح على الشافعي في اشتراطه ذكره في الصلاة واطنبوا في زعم

بفتح الزاي وسكون العين والجر مصدر انه تفرد بذلك فلم يقله احد قبله وحكي الاجماع علي خلافه منهم ابو جعفر محمد بن جرير الطبري المجتهد والطحاوي احد ائمة الحنفية والحفاظ وابن المنذر ابو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري الحافظ الحجة المجتهد وقيل انه شافعي مات بمكة سنة تسع او عشر وثلثمائة والخطابي حمد بفتح فسكون ابن محمد بن ابراهيم بن خطاب البستي بضم الموحدة الحافظ الفقيه الشافعي تقدم بعض تراجمهم غير مرة وحكي القاضي عياض في الشفا مقالاتهم وقد عاب عليه غير واحد وقالوا كان ينبغي سكوته عنها بان يترك نقل مقالته هو لانه مبني على النية الشافعية على كمال المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم واداحقوقه والقول بوجوب الصلاة عليه في الصلاة من غرض المبالغة في تعظيمه وقد استحسن نفي اي عياض القول بطهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم مع ان الاكثر على خلافه لكن استجاده عده جيدا حسنا لما فيه من الزيادة في تعظيمه قال شيخنا فيما املاه مثل هذا لا يسمي عيبا ولا يعترض به لان مراد عياض كغيره من العلما بيان في تعظيمه صلى الله عليه وسلم مان عظمته وكرامته لم تتوقف على هذه المسلة واما ذكره لمسلة الفضلة فلانه مذهبه كالشافعي فهو الحق عنده وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه في الصلاة وهو من جنس الصلاة ومقتضاتها لانها اقوال وافعال وهي من الاقوال وهذا الاعتراض ساقط لانه انما انكر الوجوب فقط لانه لا يثبت الا بدليل خاص واذا شرع السلام منها على نفس المصلي وعلى عباد الله الصالحين فكيف لا يجب على سيد المرسلين فيه نظر اذ لا تلازم بينهما وايضا فمشروعية السلام يعلم من ذكر سنة عند كثير من المخالفين وكذلك الصلاة وقد انتصر كثير جماعة كثيرة من العلما الاعلام للشافعي كالحافظ عماد الدين بن كثير والعلامة ابن القيم وشيخ الاسلام والحافظ ابي الفضل احمد بن علي بن الحجر وتلميذه شيخنا الحافظ السخاوي في القول البديع وغيره ممن يطول عده كالقطب الخيضري في تاليف له في ذلك سماه زهر الرياض في رد شناعة عياض وقفت عليه واكثره نايل للرد واستدلوا لذلك بادلة نقلية ونظرية ودفعوا دعوى الشذوذ فنقلوا القول بالوجوب عن جماعة من الصحابة منهم ابن مسعود عبد الله الهذلي وابو مسعود عقبة بن عمرو الانصاري البدري لانه شهد بدرا او لانه نزلها وجابر بن عبد الله الصحابي ابن الصحابي ونقله اصحاب الشافعي اي مقلدوا مذهبه عن عمر بن

الخطاب وابنه عبد الله ومن التابعين الشعبي بالموحدة عامر فيما رواه البيهقي كما سياتي وكذا ابو جعفر محمد الباقر من التابعين ومقاتل من اتباع التابعين واخرج الحاكم باسناد قوي عن ابن مسعود قال يتشهد الرجل وصف طردي والمراد المصلي ذكرا او انثى ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو لنفسه بما شا قال لنا قط ابن حجر وهذا اقوى شي يحتج به للشافعي فان ابن مسعود ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد في الصلاة وانه قال ليتخير من الدعا ما شا فلما ثبت عن ابن مسعود الامر بالصلاة قبل الدعا دل على انه اطلع على زيادة ذلك بين التشهد والدعا ولا دلالة على اطلاعه لانه لم يرفعه لا صريحا ولا حكما فهو من اجتهاده وليس بحجة لمخالفة غيره من الصحابة له بل قول الصحابي ليس بحجة عند الشافعي مطلقا وبتسليم اطلاعه فلا يقتضي الوجوب الذي هو محل النزاع واندفع حجة من تمسك بحديث ابن مسعود في دفع ما ذهب اليه الشافعي ولا اندفاع بذلك فيما علمته وادعا ما ذكره القاضي عياض حيث قال في الشفا وهذا تشهد ابن مسعود الذي علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه ذكر الصلاة عليه وكذلك من روي التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد وابي موسى وابن الزبير لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ومن حجر الحسن بن عرفة ابن يزيد العبدي ابي علي البغدادي صدوق حافظ مات سنة سبع وخمسين ومائتين جاوز المائة مرفوعا واخرجه المعمري بفتح الميمين بينهما عين ساكنة نسبة للحافظ البارع الحسن بن علي بن شبيب البغدادي قيل له المعمري لان جده لامه سفيان المعمري كان صاحب معمر او لانه عني بجمع حديثه قال الخطيب كان من اوعية العلم يذكر بالفهم ويوصف بالحفظ وفي حديثه غرايب واشيا ينفرد بها وقال الدارقطني صدوق حافظ خرجه موسى بن هارون لعداوة بينهما وانكر عليه احاديث فاخرج اصوله بها ثم ترك روايتها مات في المحرم سنة خمس وتسعين ومائتين في كتاب عمل يوم وليلة عن ابن عمر بسند جيد اي مقبول قال لا تكون صلاة الا بقراة وتشهد وصلاة علي بتشديد يا المتكلم صلى الله عليه وسلم وهذا لا دلالة فيه على الوجوب لاحتمال ان معناه لا تكون صلاة مجزية او كاملة وهو اقرب لاحاديث التشهد التي ليس فيها صلاة واخرج البيهقي في الخلافيات بسند قوي عن الشعبي وهو من كبار التابعين قال كنا نعلم بضم النون وشد اللام التشهد فاذا قال واشهد ان محمدا عبده ورسوله يحمد ربه ويثني عليه ثم يصلي على النبي صلى

الله عليه وسلم ثم يسال حاجته وليس في تعليلهم ذكر ما يدل علي
الوجوب اذ التعليل للصفة الشاملة للاستحباب بدليل سوال الحاجة
بل دلالة فيه علي وجوب اصل التشهد وفي حديث ابي جعفر محمد الباقر
عن ابن مسعود مرفوعا من صلي صلاة لم يصل فيها علي
وعلي بتشديد اليا وعلي اهل بيتي لم تقبل منه وهذا يعرض ثبوته لا دليل
فيه علي الوجوب اذ عدم القبول لا يقتضي البطلان فكيف وقد قال
الدارقطني معللا لهذا الحديث الصواب من قول ابي جعفر محمد بن
علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بلفظ لو صليت لم اصل فيها
علي النبي صلي الله عليه وسلم ولا علي اهل بيته لرايت انها لا تتم
لكن هذا لا يصح عن الباقر ايضا فان راويه عن ابي جعفر محمد الباقر
جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي الكوفي وهو ضعيف رافضي مات سنة
سبع وعشرين ومائة وقيل سنة اثنين وثلاثين كذا في الشفا لعياض
ولا وجه لذكره بصيغة التمريض وقد وافق الشافعي من فقها الامصار
احمد في احدي الروايتين عنه وعمل به اخيرا كما حكاه عنه تلميذه
ابو زرعة عبد الرحمن بن عمرو بن عبد الله بن صفوان النصري بالنون
الدمشقي الحافظ شيخ الشام روي عن ابن مسهر وابو نعيم واحمد
وخلق وعنه ابو داود والطحاوي وغيرهما قال ابو حاتم صدوق ثقة مات
سنة احدي وثمانين ومائتين وله تصانيف فيما ذكره الحافظ ابن
كثير واوجب اسحق بن راهويه الاعادة مع تعمد تركها دون
النسيان قيل وكان يراها واجبا غير شرط وقيل له قولان كاحمد والمشهور
عن احمد انها تبطل بتركها عمدا او سهوا وعليه اكثر اصحابه حتي ان
بعض ائمة الحنابلة اوجب ان يقال في الصلاة عليه صلي الله عليه
وسلم كما اي مثل الذي علمهم ان يقولوا لما ذكره ابن كثير ووافق
الخرقي بكسر الخا المعجمة وفتح الراء وقاف نسبة الي بيع الخرق والثياب ابو
القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن احمد البغدادي شيخ الحنابلة الفقيه
صاحب المختصر وكان له تصانيف كثيرة اودعها ببغداد وسافر فاحترقت
اسحق بن راهوية في التقييد بالعمد دون النسيان مخالفا لاكثر الحنابلة
والخلاف ايضا عند المالكية كما ذكره ابن الحاجب في سنن الصلاة
ثم قال علي الصحيح فقال شارحه العلامة محمد بن عبد السلام
التونسي قاضيها الفقيه المالكي المشهور شيخ الامام محمد بن عرفة
يريد ان في وجوبها قولين وهو اي الوجوب ظاهر كلام الامام
ابن المواز محمد بن ابراهيم بن زياد الاسكندري كان راسخا في الفقه
والفتيا مجتهدا في المذهب له ترجيحات واقوال ومصنفات وانتهت
اليه رياسة المالكية بمصر في زمنه وروي عن اصبغ وعبد الله بن
عبد الحكم وابن الماجشون وغيرهم ولد في رجب سنة ثمانين ومائتين

ومات

ومات في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائتين وقيل سنة احدي وثمانين
وبه صرح عنه ابن القصار ابو الحسن علي بن احمد البغدادي قاضيها الفقيه
الاصولي النظار صاحب تصانيف قال ابو ذر هو افقه من رايت من المالكية
وكان ثقة قليل الحديث مات سنة ثمان وتسعين وثلثماية وعبد الوهاب
ابن علي بن نصر وكان ابو محمد البغدادي احد الاعلام وائمة المالكية
المجتهدين في المذهب له اقوال وترجيحات تفقه علي ابن القصار وابن
الجلاب واليه انتهت رياسة المذهب قال الخطيب لم ار افقه منه في
المالكية ولي قضاء دار باه وخرج الي مصر لضيق حاله فاكرم بها وتمول
وسعد جدا فادركه الموت فصار يقول في مرضه لا اله الا الله عندما عشنا
متنا مات بمصر في شعبان سنة اثنين وعشرين واربعماية عن ستين سنة
كما في الشفا عنهما بلفظ انه اي ابن المواز يراها فريضة في الصلاة
كقول الشافعي فظاهره انه يري بطلانها بتركها ولفظ ابن المواز الصلاة
علي النبي صلي الله عليه وسلم فريضة في الصلاة قال عياض قال ابن
ابي زيد يريد ليست من فرايض الصلاة انه يريد فرض في الجملة لا تبطل
بتركها وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكي ابن القصار وعبد الوهاب
ابن المواز الخ قال عياض عقب هذا في بعض نسخ الشفا وحكي ابو يعلي احمد
ابن محمد العبدي بفتح فسكون نسبة الي عبد القيس بن ربيعة بن نزار البصري
المالكي امام المالكية بالبصرة وصاحب تدريسهم ومدار فتياهم وله تصانيف
قال ابو علي الصدفي كان مشهورا بالامامة والتقدم والصلاح وكان يملي كل جمعة
وعلي راسه مستمليان يسمعان الناس ما يمليه سمع منه ابو علي الصدفي وخلق
كثير عن المذهب اي عن اهل مذهب مالك فيها اي الصلاة ثلاثة اقوال
في الوجوب وهو ضعيف والسنية والندب وهما مرجحان وليس المذهب
بضم الميم علم علي كتاب لسند بن عنان سماه الطراز المذهب لانه عصري
عياض ومات قبله بثلاث سنين ولا المذهب لابن راشد القفصي لتاخره
جدا عن عياض وانما نبهت علي هذا لان بعض المالكية تشدق في درس
شيخنا فقال هو عن المذهب بضم الميم اما لابن راشد واما لسند وما علم ان
ابا يعلي متقدم عنهما الخ لانه شيخ شيوخ عياض ورايت مما عزي نسبته
للقاضي ابي بكر محمد بن العربي الفقيه المالكي الحافظ في كتابه سراج
المريدين قال ابن المواز والصلاة علي النبي صلي الله
عليه وسلم من فرايض الصلاة وهو الصحيح انتهي لكنه خلاف
المشهور وقد يلزم القايل من الحنفية بوجوب الصلاة علي النبي
صلي الله عليه وسلم عليه كلما ذكر كالطحاوي ونقله السروجي شمس
الدين احمد بن ابراهيم بن عبد الغني المصري قاضيها كان بارعا في علوم
شتي مات في ربيع الاخر سنة احدي وسبعماية ومولده سنة سبع وثلاثين
وستماية في شرح الهداية اسم كتاب نفيس في الفقه للبرهان ابي

الحسن علي بن ابي بكر المرغيناني عن اصحاب المحيط والعقد
والتحفة من كتبهم ان يقول ابو جو بها في التشهد لتقدم
ذكره صلى الله عليه وسلم في اخر التشهد في قوله واشهد ان
محمدا رسول الله لكن لم ان يلتزموا ذلك ولا يجعلونه شرطا في
صحة الصلاة لانه لا يلزم من الوجوب كونه شرط صحة ولم يخالف
الشافعي احد من اصحابه اي اهل مذهبه في ذلك بل قال بعض
اصحابنا بوجوب الصلاة على الال كما حكاه البندنيجي بفتح
الموحدة والمهملة وسكون النون الاولى وكسر الثانية ثم تحتية
وجيم نسبة بندنيجين بلفظ المثنى بلد قرب بغداد والدارمي
ونقله امام الحرمين والغزالي قولا عن الشافعي قال الحافظ
ابن كثير والصحيح انه وجه لا قول والقول في اصطلاحهم نص
الامام والوجه لغيره على ان الجمهور من اهل المذهب على خلافه
والقول بوجوبه ظهور للحديث لقوله قولوا اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد واما مخالفة الخطابي من اصحاب الشافعي اي اهل
مذهبه الشافعي حيث قال ليست واجبة في الصلاة وهو قول
جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة وكذا قال ابو الطيب
الطبري من الشافعية ان الشافعي لم يسبق الى ذلك كما في الفتح فلا ابتداع
به اي بخلافه فذكره على معنى مخالفته لمقتضى الامر المحمول على الوجوب
اجماعا او على احوال الصلاة ولا مانع من احتمال كونه مرادا او انه
خبير بان هذا لا يصلح تعليلا لنفي الاعتداد بخلافه اذ هو محل النزاع
واما قوله اي الخطابي ولا اعلم له فيها قدوة فيقال عليه لا ريب ان
الشافعي قدوة يقتدى به والمقام مقام اجتهاد فلا افتقار له
الى غيره لكن هذا لا يقال لمثل الخطابي فهو لا يجهل ان الشافعي قدوة
فانما مراده بالقدوة ما يقتدى به من الادلة الصحيحة لذلك واما قوله
في الشفا وظاهره انه من جملة نقله عن الخطابي لانه وصله بقوله لا
اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلاة
عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه ففيه نظر لانه
ان اراد بالعمل الاعتقاد لعدم صحة ارادة العمل لانهم كانوا يصلون
يحتاج الى نقل صريح عنهم بان ذلك ليس بواجب واني اي
من اين يوجد له ذلك ولا نظر ولا استبعاد بعد ثبوت ان نقل الايمة
عنهم انهم قايلون بعدم الوجوب فهم قطعا معتقدون ذلك واما قوله
اي عياض قبل هذا وقد شنع الناس عليه اي نسبوه الى الشناعة وعدوا
قوله شاذا مبتدعا والمنكر واصل معناه القبح بعض الشافعي في
هذه المسيلة جدا اي كثيرا منهم الطبري والقشيري وابن المنذر
والخطابي كما في الشفا فلا معنى له واي شناعة في ذلك والحال انه

لم يخالف نصا الكتاب ولا سنة ولا اجماعا ولا قياسا ولا مصلحة راجحة
وفي نسخة واضحة اي ظاهرة بينة والاولى انسب بكلام اهل الاصول
والمراد بها المبالغة الرد على من شنع لان ما فيه مصلحة مطلوب حتى يتوهم
انه جرى على قول المعتزلة الاحكام تابعة لمصلحة الفعل او الترك بل
القول بذلك من محاسن مذهبه لما فيه من زيادة تعظيم المصطفى ولا ريب
ان القايل بجواز ترك الصلاة على افضل خلق الله الصلاة التي
هي راس العبادة المطلوب فيها الخضوع واستحضار شارعها عليه
السلام سمي شارعا لظهوره على يديه والا فالشارع في الحقيقة هو الله
تعالى والثنا عليه اولى بالتشنيع ولا شناعة لان تجويز ذلك من جملة
الرحمة التي ارسل بها حتى لا ينال امته الاثم اذا لم يصلوا عليه بل يثابوا
على الصلاة ولمشقة الوجوب بخلاف السنة التي قالوا بها واما نقله
الاجماع فقد تقدم ما فيه من حكايته عن جماعة من الصحابة والتابعين
الوجوب لكن لا صراحة عنهم انها تبطل بتركه الذي هو محل النزاع فانه يجوز
في الجملة لا ينافي نقل الاجماع قبل الشافعي على عدم البطلان والى هذا
لوح الحافظ فقال ومنهم اي العلماء من قيد تفرد الشافعي بكونه عينها بعد
التشهد لا قبله ولا فيه حتى لو صلى على النبي صلى الله عليه وسلم في اثنا
التشهد مثلا لم يجز عنده انتهى واما قوله ان الشافعي اختار تشهد
ابن عباس كما يأتي ان شاء الله تعالى في مقصد عباداته صلى الله
عليه وسلم من رواية مسلم فنقله هنا عن غير المصنف من عدم استحضار
ما في الكتاب المشروح والتشنيع بهذا على عياض ليس بذلك اذ غايته ما
فيه انه سبقه قلمه او حفظه والمقصود منه وهو استدلاله تام لانه
قال وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي ليس فيه الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فيقال صوابه ابن عباس وليس فيه ايضا
الصلاة عليه صلوات الله عليه وقد استدل للوجوب بما اخرجه ابو
داود والنسائي والترمذي وصححه وكذا صححه ابن خزيمة وابن
حبان والحاكم من حديث فضالة بفتح الفاء على الافصح وتخفيف
معجمة ولام ابن عبيد بضم العين ابن ناقد بن قيس الانصاري الاوسي
اول ما شهد احد ثم نزل دمشق وولي قضاها ومات سنة ثمان وخمسين
وقيل قبلها قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته
لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عجل
هذا بفتح العين وكسر الجيم اي اسرع بدعائه واتى به في غير محله ثم دعاه
اي طلب ذلك الرجل وقربه اليه فقال له او لغيره كما في حديث الجماعة اذا
صلى احدكم لم يقل صليت ليفيد عموم هذا الحكم وانه لا يختص بالمدعو
فليبدا بحمد الله الحمد اللغوي فتقوله والثنا عليه بعد افاد الاستدلال
به وقوله الاتي اي اثن عليه بالتحيات الى اخره لكن لفظ الحديث

بتمجيد الله بصيغة التفعيل وفي رواية بتمجيد بميم بعدها اي تعظيم
قال عياض وهو اصح اي رواية لقوة سنده لا من حيث المعنى لتقارب
معناهما اذ التمجيد حمد مرة بعد اخرى وكذا التحميد ثم ليصل على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بكسر اللام واسكانها للامر بما شاء من
دين ودنيا وبالماثور اولى وقد نوزع في هذا الاستدلال بان في
سنده مقالا كما قاله ابن عبد البر وان صححه من تقدم وبانه يدل على
عدم الوجوب اذ لو كان له لامر المصلي بالاعادة كما امر المسيء صلاته ولاحتمال
انه اعادها اوانه لم يعلم بوجوبها فلم يامره بالاعادة بما لا
يسمع في مقام التعليم قلت ومما يعد من كرامات امامنا الشافعي
وسره الساري ان القاضي عياضا ساق الحديث بسنده
من طريق الترمذي من غير ان يطعن في سنده فقد وافق من
صححه بعد عقد له فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب فيها لنيل الثواب من
ذلك في تشهد الصلاة الاول والثاني فانه يتاكد استحبابه في الاول
ايضا على المعتمد عند المالكية وبه جزم الرضاع وذلك بعد التشهد
اي قول اشهد ان محمدا رسول الله وقبل الدعا بالماثور وبما شاء وكرامات
الامام الشافعي وفضايله غنية عن التبجح بمثل هذا الذي لا يساوي
شيا اذا تيا له به دليلا على الاستحباب لا يدل على الوجوب مع انه لم يذكر
انه استدل به للوجوب ولا رده وهذ الحديث كما ترى من اعظم
الادلة لنا لكن لا دلالة فيه على الوجوب اذ لو كان واجبا لامره بالاعادة
كما علم فان قال قايل ليس لكم فيه دلالة لا على وجوب ولا ندب في
الصلاة لانه قال فيه سمع رجلا يدعو في صلاته ولم يقل في تشهده
فيحتمل ان المراد في دعا الافتتاح او في السجود يجاب بانه يلزم على
هذا ان القاضي عياضا ساقه في غير محله لانه عقد الفصل
كما قدمه لبيان مواطن استحباب الصلاة ثم قال تلو ذلك
ومن ذلك تشهد الصلاة وفي مصابيح البغوي من حديث
فضالة بن عبيد هذا المذكور ما يدل على انه كان في التشهد
ولفظه من رواية الترمذي ايضا قال فضالة دخل رجل فقال
اللهم اغفر لي وارحمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عجلت بفتح فكسر اي اسرعت ايها المصلي اذا صليت فاحمد
الله بما هو اهله مستحق له وصل علي ثم ادعه اساله بما تشا
من الخير وفي قوله عجلت استلواح اي اظهار فوات الكمال عن
الحقيقة المجزية اذ لو كانت مجزية لما حسن اللوم والتعليم بصيغة
الامر فيه نظر لان اللوم يقع على ترك السنة ايضا لتفويته ثوابها
على نفسه فان قال ذلك القايل انه في مقام تعليم المستحبات

اذ

اذ لو كان في الواجبات لامره بالاعادة كما امر المسيء صلاته
بقوله ارجع فصل فانك لم تصل يجاب بان في قوله هذا غنية عن
الامر بالاعادة لانه حيث علم ما هو الواجب علم قطعا انه لم يات
به اولا بشد الواو فلم يكن اتيا بالمد به فوجب اعادته وهم اهل
الفهم والعرفان فاكتفى بذلك عن الامر الصريح بالاعادة وهذا الجواب
يتشاوك هنا لا اذ مبناه على انه علمه واجبا عليه وهو محل النزاع فكيف يحتج
به مع ظهور رجحة خصمه على الندب بامر المسيء صلاته بالاعادة مع كونه
من اهل الفهم فان قال ذلك القايل ان قوله فقعدت يجاب بان الاصل
عدمه اي التقدير وانما عطف على المذكور اي اذا كنت في الصلاة
فقعدت للتشهد فاحمد الله اي اثن عليه بقطع الهمزة من اثنى لا من
ثنى بقولك التحيات لله الخ وبعد هذا يحكي الخلاف في الوجوب
والندب والله اعلم بالحق منهما وقال الجرجاني من الحنفية
وغيره لو كان فرضا للزم تاخير البيان عن وقت الحاجة
وهو ممنوع لانه عليه الصلاة والسلام علمهم التشهد وقال
بعده فليتخير من الدعا ما شا ولم يذكر الصلاة عليه واجيب باحتمال
ان لا تكون فرضت حينئذ اي وقت تعليمهم وفيه بعد لان من جملة
رواة حديث التشهد ابو هريرة وابن عباس واسلامهما متاخر فابن
عباس انما صحب بعد فتح مكة فيحمل الامر بالصلاة على الاستحباب جمعا
بين الادلة وقال الحافظ زين الدين العراقي في شرح الترمذي
قد ورد هذا الحديث في الصحيح بلفظ ثم ليتخير وثم للتراخي
تدل على انه هنا كان له شي بين التشهد والدعا انتهى
لكن ولو دل على ذلك لا يدل على ان ذلك الشي واجب ولقد اطنب
ابو امامة بن النقاش في تفسيره في الانتصار للشافعي
في هذه المسئلة بما يطول ذكره فالله يثيبه على قصده الجميل
الثواب الجزيل واما صفة الصلاة عليه اي الصيغ التي هي
دالة على طلب زيادة الكمال له صلى الله عليه وسلم كما يعلم من
الاخبار التي اوردها فعن عبد الرحمن بن ابي ليلى بفتح اللامين
مقصورا الانصاري عالم الكوفة وابوه صحابي واسمه يسار او
داود او غير ذلك قال لقيني كعب بن عجرة بضم العين المهملة وسكون
الجيم [illegible] الانصاري المدني من اصحاب الشجرة وعند الطبراني
ان ذلك كان وهو يطوف بالبيت الحرام فقال الا بالتخفيف تكون
للعرض مع لين وللتحضيض وهو عرض بحث والمراد الاول لقوله
اهدي بضم الهمزة لك هدية اي اقدم اليك امرا نفيسا سماه
هدية لعزته قال المصنف والهدية ما يتقرب به الى المهدى اليه
توددا واكراما وزاد بعضهم من غير قصد نفع عوض دنيوي بل

لقصد ثواب الاخرة مستعمل في الاجسام لاسيما وهي فيما تنقل من مكان
الي اخر وقد تستعمل في المعاني كالعلوم والادعية مجازا لما يشترك فيه
من قصد المواددة والتواصل في ايصال ذلك اليه زاد البخاري في احاديث
الانبيا هدية سمعتها من النبي صلي الله عليه وسلم فقلت بلي فاهدها لي
فقال ان بكسر الهمزة علي الاستينا ف ويجوز الفتح بتقدير هي فيكون
معموله او بتقدير فعل اي اهدي لك ان النبي صلي الله عليه وسلم خرج
علينا فقلنا بصيغة الجمع لان السايلين جماعة وفي الترمذي من وجه
اخر عن عبد الرحمن بن كعب لما نزلت ان الله وملايكته يصلون علي النبي الاية
قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك بما علمتنا من قولك السلام
عليكم ايها النبي ورحمة الله وبركاته وقد امرنا بالصلاة والسلام عليك
في الاية وللبخاري في احاديث الانبيا فقال سالنا رسول الله فقلنا كيف
الصلاة عليكم اهل البيت فان الله قد علمنا كيف نسلم فكيف نصلي عليك
اي كيف اللفظ اللايق بالصلاة عليك ولذا عبر بكيف الذي يسال بها عن
الصفة قال قولوا اللهم صل علي محمد صلاة تليق به لانك انت العليم
بذلك فلعجزنا عن بلوغ ما يجب له شرع لنا احالة امر ذلك الي الله وعلي ال
محمد كما صليت علي ابراهيم وللبيهقي من وجه اخر لهذا الطريق
علي ابراهيم بدون ال قال الحافظ ما لحق ان ذكر محمد وابراهيم وذكر
ال محمد وال ابراهيم ثابت في اصل الخبر وانما حفظ بعض الرواة ما لم يحفظ الاخر
انك حميد محمود مجيد ماجد وصرفا لبنا المبالغة اللهم بارك علي محمد اي
اثبت له وادم له ما اعطيته من التشريف والكرامة وزده من الكمالات
ما يليق بك وبه وعلي ال محمد كما باركت علي ابراهيم انك حميد مجيد
قال الطيبي هذا تذييل للكلام السابق وتقرير له علي سبيل العموم اي
انك حميد فاعل ما تستوجب به الحمد من النعم المتكاثرة والالا المتعاقبة المتوالية
مجيد كثير الاحسان الي جميع عبادك ومن محامدك واحسانك ان توجه
صلواتك وبركاتك وترحمك علي حبيبك نبي الرحمة واله رواه البخاري
في احاديث الانبيا والتفسير والدعوات ومسلم والترمذي وابو
داود والنساي الاربعة في كتاب الصلاة فان قلت كيف يطابق
قوله اللهم صل علي محمد قوله كما صليت علي ابرهيم مع فضل محمد
علي العالمين فهو عين نفس الامر بمعني السوال الذي تلوه اجاب
القاضي عياض ان الاول مقحم اي زايد تاما في قوله عليه الصلاة
والسلام في ابي موسي عبد الله بن قيس الاشعري لما سمعه يتلو القران
بصوت حسن انه اعطي مزمارا من مزامير جمع مزمار ومزمور
ال داود يعني داود نفسه قال مقحم وذلك لانه لم يكن له ال
مشهور بحسن الصوت والزمر التغني في المزمار والصوت الحسن يغير
له لان اصل معني الزمر الحسن كما قال الشاعر

رنان

• رنان حنانان بينهما • رجل اجش اجشي غنا وزمر •
اي حسن كما قاله ابن الانباري فمزاود بردا ود ما كان يتغني به من الزبور
وضروب الدعا بصوته الحسن بلا الة وكان اذا قرا تبلا حينه تتفق له الطيور
ال والدواب حتي قيل ان الما الجاري تقف له وهو مبالغة في نهاية حسنه
وقد روي هذا الحديث ابن ابي حاتم بلفظ لما نزلت اية ان الله وملايكته
يصلون علي النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال
كعب بن عجرة قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك
فالعطف علي مقدر دل عليه سياق الاحاديث قال قولوا اللهم صل علي محمد
وعلي ال محمد كما صليت علي ابراهيم وعلي ال ابراهيم انك حميد مجيد وبارك
علي محمد وعلي ال محمد كما باركت علي ابراهيم انك حميد مجيد فدل هذا
السياق علي انه صلي الله عليه وسلم نطق بذلك كله وان بعض الرواة حفظ ما
لم يحفظ الاخر كما قال الحافظ انه الحق فيكون طلب صلاة لنفسه كالصلاة علي
ابراهيم ولاله كالصلاة علي ال ابراهيم وكذا في البركة وبه يحصل
مطابقة المشبه للمشبه به ولا يحتاج للقول بان ال مقحم وقال عبد الرحمن
ابن ابي ليلي يقول اي يزيد المصلي علي الصلاة علي الال وعلينا معهم
رجا بركة اللحاق بهم وعن ابي حميد بالتصغير الساعدي صحابي مشهور
اسمه المنذر بن سعد بن المنذر او ابن مالك وقيل اسمه عبد الرحمن وقيل
عمرو شهد احدا وما بعدها وعاش الي اول سنة ستين انهم اي الصحابة
قالوا يا رسول الله قال الحافظ وقفت من تعيين من باشر السوال
علي جماعة ابي بن كعب وطلحة بن عبيد الله كلاهما عند الطبراني وبشير
ابن سعد عند مالك ومسلم وزيد بن خارجة الانصاري عند النساي
وابو هريرة عند الشافعي وعبد الرحمن بن بشير عند اسماعيل القاضي في
كتاب فضل الصلاة وكعب بن عجرة عند ابن مردوية قال فان ثبت تعدد
السايل فواضح وان ثبت انه واحد فعبر بالجمع اشارة الي ان السوال
لا يختص به بل يريد نفسه ومن يوافقه علي ذلك وليس هو من التعبير عن
البعض بالكل بل حمله علي ظاهره من الجمع هو المعتمد لما ذكر كيف نصلي عليك
صلاة تليق بك قال ابو عمر فيه ان من ورد عليه لفظ يحتمل لا يقطع فيه بشي حتي
يقف علي المراد به ان وجد اليه سبيلا فسالوه لما احتمل لفظ الصلاة من المعاني
قال قولوا اللهم صل علي محمد صلاة تليق به وازواجه وذريته من له صلي
الله عليه وسلم عليه ولادة من ولده وولد ولده قاله الباجي كما صليت علي
ابراهيم وفي رواية علي ال ابراهيم باقحام ال وبارك علي محمد وازواجه
وذريته كما باركت علي ال ابراهيم انك حميد مجيد من المجد وهو الشرف
قال العلما معني البركة هنا الزيادة من الخير والكرامة وقيل بمعني التطهير
والتزكية اي طهرهم وقد قال تعالي ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا وقيل تكثير الثواب فالبركة لغة التكثير قاله الباجي وقيل المراد

ثبات ذلك ودوامه من قولهم بركت الابل اي ثبتت علي الارض وبه جزم
ابو اليمن بن عساكر قال السخاوي ولم يصرح احد بوجوب قوله وبارك علي
محمد فيما عثرنا عليه غير ان ابن حزم ذكر ما يفهم منه وجوبها في الجملة فقال
علي المرء ان يبارك عليه ولو مرة في العمر وظاهر كلام صاحب المغني من الحنابلة
وجوبها فيها الصلاة قال المجد الشيرازي والظاهر ان احدا من الفقهاء لا يوافق
علي ذلك رواه الامام احمد والبخاري في احاديث الانبياء وفي الدعوات
ومسلم في الصلوات كلاهما من طريق مالك وهو في الموطا فقصر المصنف في العزو
تقصيرا شديدا وعن ابي مسعود عقبة بالقاف بن عمرو بن ثعلبة الانصاري
البدري مات قبل الاربعين وقيل بعدها انه قال اتانا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة سيد الخزرج ففيه ان الامام
يخص روسا الناس بزيارتهم في مجالسهم تانيسا لهم فقال له بشير كذا في النسخ
وصوابه كما في الموطا ومسلم وغيرها بشير بفتح الموحدة وكسر المعجمة واسكان
التحتية بن سعد بسكون العين بن ثعلبة الخزرجي البدري والد النعمان
استشهد بعين التمر امرنا الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي
عليك قال ابو مسعود فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل
حيا وتواضعا اذ في ذلك الرفعة له فاحب ان لو قالوا له ذلك ويحتمل انتظارا
لما يامره الله به من الكلام الذي ذكره لانه اكثر ما في القران قاله ابو عبد الملك
البوني في شرح الموطا حتى تمنينا وددنا انه لم يساله مخافة ان يكون
كرهه وشق عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم
صل علي محمد وعلي ال محمد كما صليت علي ابراهيم وبارك علي محمد وعلي
ال محمد كما باركت علي ابراهيم وعلي ال ابراهيم في العالمين انك حميد
فعيل من الحمد بمعني محمود ورد بصيغة الامر اي مستحق لانواع المحامد مجيد
مبالغة من ماجد والمجد الشرف فيكون ذلك كالتعليل لاستحقاق الحمد بجميع المحامد
ويحتمل ان حميد مبالغة من حامد ويكون كالتعليل للصلاة المطلوبة
فان الحمد والشكر متقاربان محمد قريب من معني شكور وذلك مناسب لزيادة
الافضال والاعطا لما يراد من الامور العظام فلذلك المجد والشرف مناسبة لهذا
المعني ظاهره قاله ابن دقيق العيد والسلام كما علمتم كما قد علمتم في
التشهد بفتح العين وكسر اللام مخففة وبضم العين وشد اللام اي علمتموه
روايتان من العلم والتعليم قال البرقي والاول اصح وقال النووي كلاهما
صحيح رواه مالك في الموطا ومسلم عن يحيي بن يحيي التميمي النيسابوري
عن مالك به وغيرهما كابي داود والنسائي والدارقطني وابن حبان
والحاكم فان قلت ما وقع اي وجه التشبيه في قوله كما باركت علي
ابراهيم مع ان المقرر ان المشبه دون المشبه به والواقع هنا
عكسه لان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من ال ابراهيم وهبك
احببت بان ال مقحم فهو افضل من ابراهيم ولا سيما وقد اضيف اليه

ال

ال محمد وفضيلته كونه اي محمد افضل ان تكون الصلاة المطلوبة
له افضل من كل صلاة حصلت او تحصل لغيره فقال فقد اجاب العلما
باجوبة كثيرة منها انه عليه الصلاة والسلام كان ذلك قبل ان يعلم انه
افضل من ابراهيم بل كان يظن ان ابراهيم افضل منه ويدل لهذا الجواب
انه قد اخرج مسلم من حديث انس ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
يا خير البرية اي الخليقة قال ذاك ابراهيم لثنا الله عليه بقوله ان ابراهيم
كان قانتا لله حنيفا ان اتبع ملة ابراهيم وتعقب بانه لو كان كذلك لغير
صفة الصلاة عليه بعد ان علم انه افضل ولم يغير ورده شيخنا بانه
لا تلازم بين علمه بانه افضل وبين التغيير لانه لا يطلب ذلك لا يستلزم نقصا فيه
بل التغيير قد يوهم نقصا لابراهيم ومنها انه قال ذلك تواضعا وهضما
لنفسه وتعظيما للابوة وشرع ذلك لامته امرا لهم بالتواضع في جميع الاحوال
ليكتسبوا بذلك الفضيلة الحاصلة بالتواضع لخبر من تواضع لله رفعه
الله وفي نسخة او شرع باو وعلي انه وجه ثان لهذا الجواب وذلك لانهم لما امروا
بصلاة مشبهة بصلاة ابراهيم وهو دون ما حقه ان يطلب له ورضوا بها وفعلوها
امتثالا كان ذلك سببا للثواب عليها حيث لم تاب بها نفوسهم لان عادة اتباع
العظيم لا يرضون له الا باعظم الاشيا ومنها ان التشبيه انما هو لاصل
الصلاة باصل الصلاة لا للقدر بالقدر فهو كقوله تعالى انا اوحينا
اليك كما اوحينا الي نوح والنبيين من بعده شرايع يبلغونها
الي اممهم فالتشبيه في الوحي مع اختلاف الشرايع فالمعني ان امره في الوحي
كسائر الانبيا وهو كقول القائل احسن الي ولدك كما احسنت الي
فلان ويريد بذلك اصل الاحسان لا قدره اذ لا شك ان الاحسان
الي الولد اكثر منه الي غيره ومنه قوله تعالى واحسن الي عباد الله كما
احسن الله اليك بما انعم عليك او احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك
بالانعام ومعلوم انه لم يومر بالاحسان بقدر ما احسن الله اليه به من الجاه والمال
فانما امره باصل الاحسان وان لم يقرب مما احسن الله به اليه فضلا عن مساواته
ورجح هذا القرطبي في المفهم في شرح مسلم وهو وجيه ومنها ان قوله
اللهم صل علي محمد مقطوع عن التشبيه فيكون التشبيه متعلقا بقوله
وعلي ال محمد وكانه قيل اللهم صل علي محمد صلاة غير مقدرة بشي وعلي ال
محمد كما صليت علي ابراهيم وتعقب بان غير الانبيا لا يمكن ان يساووا
الانبيا فكيف يطلب لهم ثواب مثل الصلاة التي وقعت لابراهيم
والانبيا من اله الذين شملهم قوله وعلي ال ابراهيم فان الاضافة
للعموم فكانه قيل وعلي كل ال ابراهيم ولا شك ان فيهم انبيا بكثرة ويمكن
الجواب عنه اي هذا التعقيب علي الجواب بان المطلوب الثواب الحاصل
لهم فكانه قيل صل علي ال محمد صلاة ثوابها كثواب الصلاة علي ابراهيم
لا جميع الصفات التي كانت سببا للثواب فلم يطلب وقد نقل العراقي

بكسر العين المهملة واسكان الميم الامام ابو الخير يحيي بن سالم بن اسعد بن
يحيي من بني عمران من قرية من قري اليمن يقال لها مصنعة سير نشر العلم ببلاد
اليمن وكان يحفظ المهذب ويقوم به في الليل قيل توفي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة
ذكره السبكي وفي اللب نسبة الي العمرانية ناحية بالموصل في البيان اسم شرحه
علي المهذب في الفقه عن الشيخ ابي حامد انه نقل هذا الجواب عن نص
الشافعي واستبعد ابن القيم صحته ذكر عن الشافعي لانه مع فصاحته القرشية
ومعرفته بلسان اي لغة العرب لا تقول هذا الكلام المستلزم هذا التركيب
الركيك بزنة امير الضعيف البعيد من كلام العرب ونص ابن القيم هو باطل عليه
قطعا فان الشافعي اجل من ان يقول مثل هذا ولا يليق هذا بعلمه وفصاحته فانه
في غاية الركاكة والضعف البعيد من كلام العرب ونص ابن القيم هو باطل
عليه قطعا فان الشافعي اجل من ان يقول مثل هذا ولا يليق هذا بعلمه وفصاحته
فانه في غاية الركاكة والضعف وقد تقدم في كثير من الاحاديث اللهم صل علي
محمد كما صليت علي ال ابراهيم ايضا وايضا فلا يصح عربية فان العامل اذا
ذكر معموله وعطف عليه غيره ثم قيد بظرف او جار ومجرور او صفة
مصدر كان ذلك راجعا الي المعمول وما عطف عليه هذا الذي لا يحتمل العربية
غيره فاذا قلت جاني زيد وعمرو يوم الجمعة فالظرف مقيد لمجيئهما لا لمجي عمرو
وحده وكذا اذا قلت ضربت زيدا وعمرا ضربا مولما او امام الامير او سلم علي
زيد وعمرو يوم الجمعة ونحوه فان قيل هذا متجه اذا لم يعد العامل اما اذا
اعيد كسلم علي زيد وعلي عمرو اذ القيد فلا يمتنع ان يختص بالثاني وقد اعيد العامل
في قوله وعلي ال محمد قيل ليس هذا المثال بمطابق لمسالة الصلاة وانما المطابق
ان تقول سلم علي زيد وعلي عمرو كما تسلم علي المومنين ونحو ذلك فحينئذ فادعا
ان التشبيه كسلامه علي عمرو وحده دون زيد دعوي باطلة كذا قال وتعقبه
الحافظ ابن كثير وفي نسخة ابن حجر فقال ليس التركيب المذكور
ركيكا بل التقدير اللهم صل علي محمد صلاة غير مشبهة بشي وصل علي
ال محمد كما صليت علي ال ابراهيم فلا يمتنع تعلق التشبيه بالجملة الثانية
ولم يظهر دفعه لركته بهذا التقدير فانه حاصل معناه فلا بد فيه التعقب وقد
تعقبه الزركشي ايضا بانه مخالف لقاعدة الاصول في رجوع المتعلقات
الي جميع الجمل وبان التشبيه جا في بعض الروايات من غير ذكر الال
انتهي ومر لنا نحو عن ابن القيم ايضا لكن تقدم عن الحافظ انه من اختصار
بعض الرواة ومنها دفع اي منع المقدمة المذكورة اولا وهي ان
المشبه به يكون ارفع اعلا من المشبه التي نشا منها الاشكال او سند
المنع ان ذلك ليس مطردا بل قد يكون التشبيه بالمثل
المساوي بل بالدون كما في قوله تعالي مثل نوره كمشكاة
طاقة غير نافذة فيها مصباح واين يقع نور المشكاة اي المصباح
الكاين فيها في زجاجة من نوره تعالي لكن لما كان المراد من

المشبه

المشبه به ان يكون شيئا ظاهرا واضحا للسامع حسن تشبيه النور
بالمشكاة تقريبا للناس بما يعلمون وكذا هنا لما كان تعظيم ابراهيم
وال ابراهيم بالصلاة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوائف
حسن ان يطلب لمحمد وال محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لابراهيم
وال ابراهيم اعلاما بعظمتهم ويويده ذكر ختم الطلب المذكور بقوله
في العالمين اي اظهر صلاة عليهم في العالمين كما اظهرت صلاة علي
ابراهيم وعلي ال ابراهيم في العالمين فالتشبيه من حيث الاظهار
لا من حيث التفاوت في المقدار ولهذا لم يقع في العالمين الا في
ذكر ال ابراهيم دون ذكر ال محمد علي ما وقع في الحديث الذي
وردت فيه وهو حديث ابي ايوب الانصاري الذي ذكرته
قريبا وهذا معني قول الطيبي ليس التشبيه المذكور من
باب الحاق الناقص بالكامل الذي هو حقيقة التشبيه وانبني عليه
الاشكال وكان الاولي ان يعبر بالحاق الكامل بالاكمل كما عبر الحافظ
اذ لا نقص هنا وان كان منفيا والمراد الناقص في الكمال لكن النقص
موحش في هذا المقام بل من باب الحاق ما لم يشتهر بما اشتهر
في العالمين لانه فيما يستقبل والذي يحصل لمحمد صلي الله عليه وسلم
من ذلك اقوي واكمل او من باب التهييج ونحوه كما في الفتح وقال
النووي احسن الاجوبة ما نسب الي الشافعي كما تقدم
عنه ولفظ النووي المختار ثلاثة اقوال احدها حكاه بعض اصحابنا
عن الشافعي فذكر ما مر ثم قال القول الثاني ان المسول المشاركة في
اصل الصلاة لا قدرها فسقطت او من المصنف قبل قوله او ان
التشبيه لاصل الصلاة باصل الصلاة لا للقدر بالقدر وهو
ثالث الاجوبة السابقة واشار للثالث مما اختاره النووي ولم يتقدم
بقوله او للمجموع بالمجموع لان مجموع ال ابراهيم افضل من مجموع ال
محمد لان في ال ابراهيم انبيا لا يحصون بخلاف ال محمد فلا نبي فيهم فطلب
الحاق هذه الجملة التي فيها نبي واحد بتلك الجملة التي فيها خلايق من
الانبيا هذا كلام النووي قال الحافظ يعكر علي هذا الجواب التفصيل الواقع
في غالب طرق الحديث وقال ابن القيم بعد ان زيف ضعف اكثر
الاجوبة الا تشبيه المجموع بالمجموع لو حذف لفظ اكثر استقام الجواب
الا استثنا واحسن منه ان يقال هو صلي الله عليه وسلم من ال ابراهيم
وقد ثبت ذلك عن ابن عباس في تفسير قوله تعالي ان الله اصطفي
ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران علي العالمين قال ابن عباس محمد
صلي الله عليه وسلم من ال ابراهيم بل اجله بل امرنا ان نصلي
علي محمد وعلي ال محمد خصوصا بقدر بالقاف وآخره ما صلينا
عليه مع ابراهيم وال ابراهيم عموما فيحصل لاله اي المصطفي ما يليق

بهم ويبقي الباقي كله له وذلك القدر اريد بما لغيره من ال ابراهيم
ونظر حينيذ فايدة التشبيه وهي التخصيص والتعميم معا وان
المطلوب له بهذا اللفظ افضل من المطلوب بغيره من الالفاظ نحو
قال الحليمي سبب هذا التشبيه ان الملايكة
محمد صلي الله عليه وسلم
قالت في اهل بيت ابراهيم رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت
انه حميد مجيد وقد علم ان محمدا وال محمد من اهل بيت ابراهيم فكانه
قال قولوا اللهم اجب دعا الملايكة الذين قالوا ذلك
صلي الله عليه وسلم
في محمد وال محمد كما اجبتها اي الصلاة المعبر عنها بالدعا عند ما قالوها
في ال ابراهيم الموجودين حينيذ ولذا تختم الدعا في الصلاة بما ختم
به هذه الاية وهي قوله انك حميد مجيد ومن محاسن الاجوبة ما نقله
المجد الشيرازي عن بعض اهل الكشف ان التشبيه لغير لفظ المشبه به
لا لعينه وذلك ان المراد باللهم صل علي محمد اجعل من اتباعه من يبلغ النهاية
في امر الدين كالعلما بشرعه بتقريرهم امر الشريعة كما صليت علي ابراهيم
بان جعلت في اتباعه انبيا يقررون الشريعة والمراد بقوله علي ال محمد
اجعل من اتباعه محدثين يخبرون بالمغيبات كما صليت علي ابراهيم بان
جعلت منهم انبيا يخبرون بالغيب فالمطلوب حصول صفات الانبيا لال محمد
وهم اتباعه في الدين كما كانت حاصلة بسوال ابراهيم ومما يعزي
للعارف الرباني ابي محمد المرجاني انه قال وسر اي نكتة قوله صلي
الله عليه وسلم كما صليت علي ابراهيم وبارك علي ابراهيم ولم يقل
كما صليت علي موسي وباركت علي موسي ظاهر لان موسي عليه السلام
كان التجلي له بالجلال اي نعوت الصفات السلبية
وهو تعليل للخبر المحذوف
مثل لا شريك له ولا ند وكذا سايرالتنزيهات وتسمي صفات الجلال
وصفات القهر والغلبة فخر موسي صعقا والخليل ابراهيم كان التجلي
له بالجمال لان المحبة والخلة من اثار التجلي بالجمال اي الصفات
الوجودية كالعلم والقدرة وتسمي صفات الذات وصفات المعاني والثبوتية
وصفات الجمال قاله الكرماني وغيره فلهذا امرهم صلوات الله وسلامه
عليه ان يصلوا عليه كما صلي علي ابراهيم ليسالوا له التجلي بالجمال
وهذا لا يقتضي التسوية فيما بينه وبين الخليل صلوات الله
وسلامه عليهما لانه انما امرهم ان يسالوا له التجلي بالوصف الذي تجلي
به للخليل فالذي يقتضيه الحديث المشاركة في الوصف الذي هو التجلي
بالجمال ولا يقتضي التسوية في المقامين ولا في الرتبتين فان الحق
سبحانه يتجلي بالجمال للشخصين بحسب مقاميهما وان اشتركا في
وصف التجلي بالجمال فيتجلي لكل واحد منهما بحسب مقامه عنده
ورتبته منه ومكانته اي عظمته فيتجلي فيتجلي للخليل بالجمال
بحسب مقامه فعلي هذا يفهم الحديث انتهي ما عزي للمرجاني وفيه

بسط عبارة وزيادة ايضاح فان قلت ما المراد بال محمد في هذا الحديث
فالجواب ان الراجح انهم من حرمت عليه الصدقة كما نص عليه الشافعي
واختاره الجمهور ويويده قوله عليه الصلاة والسلام للحسن بن علي
فيما رواه احمد والطبراني باسناد قوي عن الحسن كنت امشي مع رسول الله
صلي الله عليه وسلم فمر علي جرين من تمر الصدقة فاخذت تمرة فالقيتها
في في فاخذها بلعابها فقال بعض القوم وما عليك لو تركتها فقال انا ال
محمد قال ابو البقا منصوب باعني او اخص وليس بمرفوع علي انه خبر ان
لان ذلك معلوم لا يحتاج لذكره وقوله خبر ان قوله لا تحل لنا الصدقة لانها
طهرة وغسول لا تكون لاهل الاصطفا وقيل المراد بال محمد ازواجه وذريته
كما صرح به في حديث ابي حميد فاجمله مرة فسره اخري وقيل المراد بهم جميع
الامة امة محمد الاجابة بالجر بدل حكاه ابو الطيب الطبري عن بعض
الشافعية وهو منقول عن الامام مالك ورجحه النووي في شرح مسلم
فقال انه المختار ومال اليه ابن العربي وقيده القاضي حسين وجماعة بالاتقيا
منهم وعليه يحمل كلام من اطلق وقيل ينبغي علي اطلاقه بان يراد بالصلاة
الرحمة المطلقة ويويده ما رواه تمام في فوايده الحديثية والديلمي عن
انس قال سيل رسول الله صلي الله عليه وسلم من ال محمد فقال كل
تقي من ال محمد اي يخصون به اختصاص ال الرجل به فيدخل اهل البيت
دخولا اوليا وهذا لفظ تمام ولفظ الديلمي فقال ال محمد كل تقي زاد الديلمي ثم
قرا قوله تعالي ان ما اولياوه الا المتقون اي المتقوي اصل كل عبادة
ووصية الله لاهل الكتب باسرها قال الحافظ وهذا اولي الاقوال في باب
الصلاة عليه وعلي اله بخلاف باب الصدقة واسنادهما اي تمام والديلمي ضعيف
لان فيه نوح بن ابي مريم ضعيف جدا وقال البيهقي حديث لا يحل الاحتجاج به
لكن ورد ما يشهد لذلك يقويه بحيث يصلح للحجة وعبارة السخاوي اسانيده
كلها ضعيفة لكن شواهده كثيرة في الصحيحين كحديث عمرو بن العاصي
سمعت النبي صلي الله عليه وسلم يقول ان ال ابي فلان كناية عن اسم
علم جزم الدمياطي بان المراد ال ابي العاصي بن امية وفي سراج المريدين
لابن العربي ال ابي طالب وايده الحافظ بحديث ابي نعيم ان لابي طالب
رحما الحديث ليسوا لي باوليا وفي رواية ليسوا اوليايي قال ابن التين
المراد من لم يسلم منهم فهو من اطلاق الكل وارادة البعض وحمله الخطابي
علي ولاية القرب والاختصاص لا ولاية الدين انما ولي الله بشد اليا مضاف
ليا المتكلم المفتوحة وصالح المومنين من صلح منهم اي اسلم وعمل صالحا وقيل
من بري من النفاق وقيل الصحابة وهو واحد اريد به الجمع كقولك لا تفعل هذا
الصالح من الناس يريد الجنس وقيل اصله صالحو فحذفت الواو من الخط موافقة
للفظ وقال الطيبي المعني لا اوالي احدا بالقرابة وانما احب الله لحقه الواجب
علي العباد واحب صالح المومنين لوجه الله واوالي من اوالي بالايمان والصلاح

سوا كان من ذوي رحمي ام لا ولكن اراعي لذوي الرحم حقهم بصلة الرحم
يعني لقولهم لقوله في بقية الحديث ولكن لهم رحم ابلها ببلالها بفتح الهمزة
وضم الموحدة واللام المشددة قال البخاري يعني اصلها بصلتها انتهى ملخصا
هذا المبحث وقد استدل العلما بتعليمه صلى الله عليه وسلم لاصحابه
هذه الكيفية بعد سوالهم عنها بانها افضل كيفيات الصلاة عليه
لانه لا يختار لنفسه الا الاشرف الافضل ويترتب على ذلك كثرة الثواب
وانه لو حلف ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة
فطريق البران يأتي بذلك هكذا صوبه النووي في الروضة ووجهه
السبكي بان من اتى بها فقد صلى على النبي صلى الله عليه وسلم بيقين وكان
له الجزا الوارد في احاديث الصلاة بيقين وكل من جا بلفظ غيرها فهو
من اتيانه بالصلاة المطلوبة في شك لانهم قالوا كيف نصلي عليك قال
قولوا فجعل الصلاة منهم هو قول هذا انتهى بعد ذكر حكاية الرافعي
عن ابراهيم المروزي انه قال يبر اذا قال كلما ذكره الذاكرون
وكلما سهى عن ذكره الغافلون قال النووي وكانه اي المروزي
اخذ ذلك من كون الشافعي ذكر هذه الكيفية يعني في خطبة الرسالة
ولكن بلفظ غفل بدل سهى وان اتحد معناهما او ترعلي سكت لان
الساكت قد يكون ذاكرا بقلبه والساهي والغافل لم يذكر بقلبه ولا بلسانه
وظاهر ان بعد سياق الرسالة ان ضمير ذكره وغفل عنه راجع الى الله
قال الاذرعي وهو الوجه قال غيره لان الله تعالى هو الذي يوصف
بكثرة الذكر عادة وتغفله الذاكر عنه وان كان الكل صحيحا والمعنى لا يختلف
ولو استحضر المصلي الامرين جميعا لكان حسنا قاله في الدر المنضود وقال
الاذرعي بفتح اوله والرا بينهما معجمة ساكنة نسبة الى اذرعات بكسر الرا
ناحية بالشام ابراهيم المذكور كثير النقل من تعليقه القاضي حسين
ومع ذلك فالقاضي قال في طريق البران يقول اللهم صل على محمد كما هو
اهله ويستحقه وكذا نقله البغوي في تعليقه عن القاضي ولو جمع بينها
اي الثلاثة فقال ما في الحديث النبوي واضاف ضم اليه اثر الشافعي
اي الماثور عنه انه قال في خطبة الرسالة لا الاثر بالمعنى المصطلح عليه
لان الشافعي لم ينقله اثرا انما قاله في الخطبة من نفسه قال النووي ولعل
الشافعي اول من استعمل تلك الكيفية وما قاله القاضي حسين لكان اشمل
ولو قيل انه يعمله بكسر الميم يقصد الى ما اشتملت عليه الروايات
الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم فيستعمل منها ذكر يحصل به البر لكان حسنا
فلا يقتصر على واحدة بعينها وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا تشهد احدكم في الصلاة سمي تشهد الاشتماله على
النطق بشهادة الحق تغليبا لها على بقية اذكاره لشرفها فليقل اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد وارحم محمد وال محمد كما صليت وباركت

وترحمت

وترحمت على ابراهيم انك حميد مجيد رواه الحاكم في المستدرك واغتر قوم
بتصحيحه فوهموا لانه من رواية يحيى بن السباق وهو مجهول عن رجل منهم
قاله المصنف في المقصد التاسع وقد يستدل بهذا الحديث من ذهب
الى جواز الترحم على النبي صلى الله عليه وسلم كما هو قول الجمهور من العلما
وانما اتى بقد وان كان نصا في الجواز لضعف الحديث ولذا احتاج الى قوله
ويعضده يقويه قول الاعرابي المختلف في انه الاقرع بن حابس التميمي وهو
غير اليماني حين قال لما دخل المسجد بعد ان صلى ركعتين كما في رواية الترمذي
وغيره اللهم ارحمني ومحمدا يعني النبي صلى الله عليه وسلم ولا ترحم معنا
احدا فلم ينكر عليه الدعا بالرحمة وانما انكر التخصيص فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد تحجرت واسعا اي ضيقت من رحمة الله ما وسعته
اذ خصصتني وخصصت نفسك بها دون غيرنا مع انها وسعت كل شي فهو
تحجر تفعل من الحجر وهو المنع هكذا فسره الجمهور زاد في رواية الترمذي وغيره
فلم يلبث ان بال في المسجد وللدارقطني عن ابن مسعود جا اعرابي شيخ كبير
فقال يا محمد متى الساعة قال ما اعددت لها قال لا والذي بعثك بالحق ما اعددت
لها من كثير من صلاة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله قال فانك مع من احببت
قال فذهب فاخذه البول في المسجد فمر عليه الناس فاقاموه فقال صلى الله
عليه وسلم دعوه عسى ان يكون من اهل الجنة فصبوا على بوله الما ولذا انطق
من قال هو السايل والقايل والبايل لكن هنيا لك الجنة وحكى القاضي عياض
عن جمهور المالكية منعه قال واجازه ابو محمد بن ابي زيد قال عياض
ولم يات به حديث صحيح وحجته قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته انتهى وقد شددوا النكير على ابي محمد انتهى وياتي ما في ذلك
من البحث ان شا الله تعالى في المقصد التاسع عند الكلام على
التشهد عامنه الانتصار لابن ابي زيد بما حاصله ان الانكار عليه ان كان
لاجل انه لم يصح في احاديث الصلاة بعد التشهد فمسلم والا فدعوى انه لا
يقال وارحم محمدا الثبوت ذلك اي ممنوعة لثبوت ذلك في عدة احاديث اصحها
في التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وعن سلامة بن
قيصر الكندي بكسر الكاف واسكان النون نسبة الى كندة قبيلة باليمن
الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان في الثقات وقال يروي عن علي وعنه
نوح بن قيس ان عليا امير المومنين كان يعلم الناس هذا الدعا وفي لفظ
يعلم الناس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول اللهم
داحي المدحوات اي باسط الارضين اسم فاعل من دحا كقوله والارض
بعد ذلك دحاها اي بسطها ووسعها لانها خلقت اولا ربوة ثم بسطت ومهدت
وروي المدحيات بالبا يقال يدحو ويدحي بالبا والواو وفيه اطلاق داحي على الله
فهو حجة لمن قال الاسما ليست توقيفية ويكفي وروده فما دحيا كدحي وبارئ
بالهمزا اسم فاعل من برا بمعنى خلق على غير مثال اي مبرز وافرز المسموكات

المسموكات يعني السموات وروي سامك بدل باري ومعناه رافع واسقط
من الروايتين هنا وجبار القلوب على فطراتها شقيها وسعيدها اجعل شرايف
صلواتك افضلها واعلاها جمع شريفة اي عالية رفيعة المقدار من الشرف
واصله ما علا من الارض على غيره ونوامي بركاتك افضلها واعلاها جمع شريفة
اي عالية رفيعة المقدار من الشرف واصله ما علا من الارض على غيره اي ما زاد
الى غير نهاية من خيراتك من اضافة الصفة لموصوفها اي بركاتك النامية
اي الزائدة ورافة تحننك اشد رحمتك شفقتك ورحمتك ولطفك نازلة
متوالية على محمد عبدك قدمه لشرف العبودية على غيرها بدلالتها على القرب
ورسولك لجميع العالمين الفاتح لما اغلق بضم الهمزة وكسر اللام من الشرايع
فبينه لان الله انزل عليه وحيه فبينه وشرحه وفتح المغلق منه وبسط
ما ابهم فيا وضحه وفتح مشكله او فاتح ابواب السعادات الدنيوية والاخروية
واستبعد تفسيره بانه اول الناس خلقا واخرهم بعثا والخاتم لما سبق
من النبوة والرسالة فلا نبي بعده ولا رسول او من الشرع والاسلام ولا حاجة
لتفسيره بالانبياء والرسل المحوج لجعل ما بمعنى من والمعلن اسم فاعل اي
المظهر الحق بالنصب مفعوله والجر باضافته وليس النصب بنزع الخافض
لتعديه معلن بنفسه بالحق اي الدين والشرع فاقيم الظاهر مقام الضمير
او الحق الثاني الله عز وجل فهو من اسمايه اي بمعونة الله وتاييده والدامغ
الدافع والمزيل مستعار من دمغه اذا كسر دماغه قاله الراغب لجيشات جمع جيشة
المرة من جاش اذا فار وارتفع اي ارتفاعات الاباطيل وعلوها جمع باطل
على غير قياس وقياسه ابطيل وابطول وقيل جمع ابطولة او ابطيلة اي
ابطالة ولم يسمع وفيه استعارة وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد بامر علا والقي
عليه صخرة رضته والصق بتراب الذلة وتفسير الجيشات بالاجناد لا ينبغي
كما حمل بضم الحاء وكسر الميم المشددة والكاف للتشبيه او للتعليل او بمعنى على
والاول اظهر فهو متعلق بما قبله او خبر مبتدا مقدر اي هذه الحالة المذكورة
ثابتة له كما ثبت تحمله اعباء الرسالة فاضطلع بضاد معجمة وطاء مهملة اي
قوي على حمله بامرك اي بسبب امتثاله لا لغرض اخر او اريد بالامر تيسيره
واعانته بطاعتك بدل مما قبله او متعلق به وفي نسخة لطاعتك باللام اي فيما
كلفته به مستوفزا بالفاء والزاي حال من الضمير في حمل او اضطلع اي مستعجلا
جادا غير متوان قيما في ما امرته به في مرضاتك اي رضاك وفي ظرفية او
للتعليل زاد في بعض نسخ الشفا بغير نكل في قدم ولا وهن في عزم اي بغير عي
في اقدامه ولا ضعف في عزمته واعيا بالواو حافظا ضابطا لوحيك الذي
اوحيته اليه لم يشغله عنه ما لقيه من المشاق في تبليغه حافظا لعهدك
اي مستمسكا مدا وما على ما عهدته عليه من الايمان والاخلاص في طاعتك
او امتثال امرك ونهيك كما قال وانا على عهدك ما استطعت ماضيا مجتهدا
مستمرا على نفاذ امرك بذال معجمة من انفذته اذا امضاه وبلغ اقصاه حتى

اوري اضاء واثار قبسا بفتحتين شعلة من نار استعير ذلك لاظهار الحق
لقابس طالب نور الحق والهداية التي هي من الاء الله بالمد جمع الى بالقصر
مع الفتح والكسر اي نعم تصل من الوصل باهله اي باهل ذلك المقتبس اسباب
جمع سبب وهو ما يوصل به الى الشيء فالجملة صفة قبس اسبابه جمع سبب وهو
ما يوصل به الى الشيء والجملة صفة قبس به هديت بضم الهاء وكسر الدال ارشدت
القلوب الضالة عن طريق الحق في ظلمة الجهل بعد خوضات جمع خوضة الدخول
في الماء ويستعار للدخول في كل امر يذم الفتن جمع فتنة ما يفتن به الانسان
من المحن ويقال هي العذاب ويقال ايضا للحروب وتطلق على الكفر وبه فسروا
الفتنة اشد من القتل والمراد هنا اي بعد كفرهم ووقوعهم فيها وفي الاثم
وانهج بالنون اي بين وسهل واوضح وفي نسخة بالموحدة اي انار واشرق
موضحات الاعلام جمع علم بمعنى علامة ما يهتدى به وسقط من اكثر
نسخ الشفا ابهج بالباء والنون وكذا اسقط في اصل عياض لصحة الكلام
بدونه موضحات بضم الضاد اسم مفعول هديت بحذف الخافض اي الى موضحات
او نصب حال من القلوب اي حال كونها موضحات وجوز رفعه خبر مبتدا مقدر
هو ضمير القلوب اي ظاهرة ادلة هدايتها وكسر ويجوز كسر الضاد جمع موضحة
اسم فاعل من الايضاح الكشف والبيان اي صارت القلوب بما رزقت من الهداية
منشورات اي ناشرات لها الاعلام بمعنى الالوية ونائرات جمع نائرة من النور
الضياء اي مضيئات الاحكام للشريعة من حلال وحرام وغيرهما ومنيرات
من انار المتعدي اي مظهرات ومضيئات الاسلام الديني او الاستسلام والانقياد
لامر الله ثم المعنى على سقوط لفظ انهج ظاهر لان ماله انه هديت به القلوب للادلة
الدالة على ما هو ثابت لهم من احكام الشريعة ولما يظهر لهم من دينهم ومن نصره
اما على رواية اثباتها فمعناه انه ظاهر في نفسه لمن له بصيرة ونفس قدسية
واظهارها بالنسبة لغيرهم او اظهارا شاعته وانتشاره حتى يصل الى اقصى
الارض فتدين له الملوك والجبابرة فهو امينك على وحيك واسرارك التي
اطلعته عليها المامون الذي ارتضيته لحفظها او خلقته حفيظا عليها كما اشار
اليه بقوله وخازن علمك المخزون في خزاين ملكوتك وكنوز عرشك حتى
انزلته له او ائتمنته عليه دون غيره وامرته بايصاله لمن يليق به وشهيدك
فعيل بمعنى فاعل صيغ للمبالغة يوم الدين يوم القيامة على الانبياء واممهم
اي يشهد لهم على تبليغهم وبعيثك فعيل بمعنى مفعول اي مبعوثك الذي
بعثته نعمة مفعول لاجله اي ليكون رحمة للعالمين ورسولك بالحق الثابت
في نفس الامر رحمة عامة لجميع خلقك مفعول له ايضا وقد يفرق بينهما بين
رحمة ونعمة بانها ما حصل به من الخير والبركة ليمنه والرحمة هدايتهم بسببه
التي كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال ليدفع النكال اللهم افسح وسع
له في عدنك بالنون بخط عياض قبلها دال ساكنة اسم للجنة مطلقا كقوله
جنات عدن مفتحة ومعناه دار الخلود من عدن اقام وتكون اسما ايضا للجنة

خصوصية بها عرفنا لهم والمراد طلب بهجة مقامه وزيادة حسنه وشرف
منظره لان سعة المنزل امر مستحسن ولذا قيل احسن المنازل ما ساوى فيه
النظر والا فسعة الجنة امر معلوم ورواه العز في بزاي وفا عن عياض
عدلك بلام بدل النون اي وسع له في رضاك وجزائك له ما يليق به واجزه
بهمزة وصل وجيم ساكنة وزاي مكسورة ثلاثي من جزا قال تعالى وجزاهم
بما صبروا وهكذا روي في الاصول المعتمدة وصوبه السخاوي وضبط في كثير من
الاصول بهمزة قطع مفتوحة وكسر الجيم من الجايزة وهي العطية او من الاجزاء
بمعنى الكفاية ابدلت همزته الاخيرة ثم عومل معاملة المعتل كاكرم اي اكفه عن من
سواك وروي براء مفتوحة قال السخاوي واظنه تصحيفا مضاعفات الخير
زياداته التي لا تحصر من لا عين رات ولا اذن سمعت من فضلك لانه لا يجب
عليك شيء رد على المعتزلة مهنات له جمع مهنات بتشديد النون والهمزة اسم
مفعول من الهني وهو السايغ وكل اتي من غير تنغيص وهو حال من مضاعفات غير
مكدرات اي منغصات حال او صفة مهنات موكدة من فوز بفا وزاي منقوطة
عند الاكثر وهو الظفر بنيل البغية ولبعضهم براء مهملة بمعنى سريع عاجل كما قيل
الهنو البر عاجله مستعار من فارت القدر اذا غلت ثوابك المحلول عطايك
المحلول بحاء مهملة من حل اذا نزل اي الكائن في الجنة او الذي اوصلته له
فصار صفة له حالا فيه او المستوجب بالجيم اي الذي استوجبه واستحقه من
حل اذا وجب قيل وهو بعيد متكلف وجزيل اي كثير عظيم عطايك احسانك
وانعامك المعلول المضاعف من العلل وهو الشرب مرة بعد نهل وهو الشرب
مرة فشبه عطاه بمنهل عذب برده العطاش كما تريد مرارا والمريد انه كثير لا
ينقطع اللهم اعل بقطع الهمزة اي اجعله عاليا رفيعا على بنا بموحدة ونون
الناس وروي البانين جمع بان بناه بموحدة ونون اي اجعل مقامه في الجنة
فوق كل مقام واجعل مقداره ارفع من كل مقدار وذاته اشرف من جميع الذوات
لان الذات بنا الله كما ورد وصحح في بعض النسخ ثنا بمثلثة اي اجعل مدحه فوق
ما يثني به الناس عليه فانهم لا يقدرون على اداء حق الادا واكرم مثواه
مقامه لديك عندك اي اجعله حسنا مرضيا ونزله بسكون الزاي وضمها وهو
المهيا المعد للضيف اذا نزل والمراد ثوابه واجره وحسن استعارته ذكره بعد
المثوى فانه كرم على كرم واتمم له نوره اجعله تاما كاملا كاينا في جميع جهاته
وحواسه وقلبه كما ورد فيه دعا به واجزه بهمزة وصل او قطع على ما سبق
من ابتعاثك افتعال من البعث بموحدة ومثلثة اي بعثتك بالنبوة والرسالة
له متعلق به لا تعليلية متعلقة باجزه كما زعم اي كافيه كما زعم على ما قام
به من اداء الرسالة مقبول الشهادة في المحشر للانبيا وعلى الامم
نصب على الحال مرضي المقالة اي القول ثمة من الشهادة والشفاعة ذا منطق
نطق عدل معتدل مستقيم اي ما يقوله بعد الشفاعة من حمده بما هو لا تثنيها
وهو حال ايضا وخطة بضم المعجمة وشد المهملة الامر والشان الجزل فصل

فاصل

فاصل بين الحق والباطل وبرهان دليل عظيم قوي قاطع حديث موقوف
عن علي لم يرفعه رواه الطبراني لكن قال الحافظ ابن كثير في سنده
نظر قال وقال شيخنا الحافظ ابو الحجاج يوسف المزي بكسر الميم والزاي
الى المزة قرية بدمشق سلامة الكندي هذا ليس بمعروف ولم يدرك عليا
فهو منقطع وعبر عنه السخاوي بمرسل بنا على انه ما سقط منه راو وكذا قال
تبرا منه لان ابن حبان عرفه وذكره في كتاب الثقات وقال انه يروي عن علي
وعنه نوح بن قيس وتكلم المصنف على بعض غريبه على عادتهم فقال وقوله داحي
المدحوات باسط اشارة الى ان داحي اسم فاعل الارضين السبع وكل شي
بسطته ووسعته فقد دحوته قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها اي
بسطها ووسعها وكانت مخلوقة قبل السما من غير دحو فلا تنافي بين هذه
الاية وبين ما في سورة فصلت وباري المسموكات اي خالق اشارة الى ان
باري اسم فاعل من برا بمعنى خلق السموات تفسير المسموكات وكل شي رفعته
واعليته فقد سمكته وسمك بمعنى رفع وارتفع متعدي ولازم والدامغ لجيشات
الاباطيل اي المهلك بيان للدامغ لا بجم وارتفع عطف تفسير منها اي
الاباطيل وقار بيان لجيشات واصل الدمغ من الدماغ يقال دمغه اصاب
دماغه كسره قال تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه وجيشات
من جاشت اذا ارتفع فالمعنى المذهب لفوران الباطل وظهوره واضطلع
بزنة افتعل من الضلاعة وهو القوة واصلها قوة الاضلاع فالمعنى انه صلى
الله عليه وسلم حمل ثقل ما حمل من القيام باعبائه وحقوق النبوة فحمل ذلك واجتهد
وقام عليه وقوي به قيامه اتم قيام واورى قبسا لقابس اي اظهر نورا
من الحق لطالبه واصل اورى قدح الزناد لخروج النار شررا وقد سمه
والقبس ما يتناول من الشعلة قال تعالى او اتيكم بشهاب قبس والاقتباس طلبه
ثم استعير لكل اظهار للحق وما يهتدى به الناس وفي المثل ما كل قادح زنده
يوري والاء الله بالمد نعم الله الالهية وسعادة الدارين بواسطته وقوله
يصل باهله اي باهل ذلك القبس فضمير اهله عايد له وهو اي القبس الاسلام
والحق اسبابه واهله المؤمنون وفي التلمساني ومعناه نعم الله تصل الى اي
النعم اسبابه وهو ما يتوصل به باهله وها اسبابه ما لله او لرسوله وكذا اهله
ومعناه اسباب الله باهل الله او اسباب رسول الله باهل رسول الله وهو اولى لان
المقام له ويجوز ان يكون الا الله هو محمد صلى الله عليه وسلم لانه النعمة العظمى بل النعمة
كلها ومعناه محمد نعمة الله تصل اسبابه باهله او معناه النعمة الاسلام تصل
اسبابه وهم القرابة وهي قرابة محمد صلى الله عليه وسلم باهله اي باهل الله
وذلك ان نعمة الله وهي الاسلام وصلت قرابته صلى الله عليه وسلم باهل الله ومعناه
لحقت القرابة بالاهل انتهى وبه هديت القلوب بعد خوضات الفتن
والاثم اي هديت بعد الكفر تفسير للاثم بدليل قوله تعالى والفتنة اشد
من القتل لموضحات الاعلام بمعنى الالوية استعارة للهداية ونايرات

الاحكام والمنيرات الواضحات يقال نار الشي لازم وانار متعد اذا
وضح وفي القاموس النور الضوء انار كأنار وشعاعه نار ونور وانار واستنار
ونور وتنور وشهيدك يوم الدين يريد الشاهد على امته يوم القيامة
قال تعالى وجئنا بك ونجيبك نجمة اي مبعوثك فعيل بمعنى مفعول
وافسح له اي وسع وفي عدنك اي في جنتك عدن عدن من عدن بمعنى
اقام والمعلول من العلل بفتحتين وهو الشرب الثاني بعد الاول يريد
ان اعطاه مضاعف كانه يعل به عباده اي يعطيهم عطا بعد عطاء
الى ما لا نهاية له واعل على بنا الناس وفي رواية البانين بدل الناس
جمع باني اي ارفع فوق عمل العاملين عمله واكرم مثواه اي منزله ونزله
رزقه واصل معناه القرى المعد للضيف اذا نزل والخطة بضم الخاء المعجمة
وبطا مهملة الامر والقصة والفصل بصاد مهملة القطع اي بين
الحق والباطل بتمييزه وعن ابن مسعود قال اذا صليتم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه اي اقصدوا احسنها
وقولوه فانكم لا تدرون ما يترتب على هذه تكلم وانها تبلغه ام لا
لعل ذلك المذكور من الصلاة يعرض عليه لان جميع اعمال امته تعرض عليه
والصلاة من احسنها فينبغي تحري احسنها ليزيد سروره بذلك قال فقالوا
له علمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك المراد
بجعلها انزالها فلذا عداه بعلى فقال على سيد المرسلين وامام المتقين
وخاتم النبيين محمد بالجر بدل مما قبله عبدك ورسولك امام الخير
المقتدى به في كل خير او امام الاخيار ورسول الرحمة للعالمين وفي مسلم
انا نبي الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يحمده فيه جميع الخلائق وهو
مقام الشفاعة العظمى والتنكير للتعظيم يغبطه فيه الاولون والاخرون
اي يتمنون نيل مثله من غير زواله عنه وبهذا هو الفرق بين الغبطة
والحسد وقد يراد بالغبطة لازمها وهي المحبة والسرور بما رواه فقط وهو
اللائق بالانبيا ما لكل فان من تمنى مقام غيره الذي خصه الله به كانه يقول
هلا ساويتني به في مقامه ففيها اعتراض خفي اللهم صل على محمد وعلى
ال محمد كما صليت على ابراهيم تقدمت منك الصلاة عليه وعلى اله
فنسالك الصلاة على محمد واله بطريق الاولى لان الذي يثبت للفاضل
يثبت للافضل بالاولى فليس التشبيه من الحاق الكامل بالاكمل
بل من باب التهييج ونحوه كما مر في الاجوبة وهذا من محاسنها انك حميد مجيد
وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وال ابراهيم
انك حميد مجيد حديث موقوف رواه ابن ماجة والبيهقي والديلمي
وتمام في فوائده والدارقطني وعن رويفع بضم الرا وفتح الواو
وسكون اليا وبالفاء والعين تصغير رافع بن ثابت بن السكن
ابن عدي بن حارثة الانصاري المدني صحابي سكن مصر وولي امرة

برقة ومات بها سنة ست وخمسين ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من صلى على محمد وقال اللهم انزله المقعد المقرب
عندك وهو اعلا المنازل يوم القيامة وجبت له شفاعتي ثبتت
وحقت رواه الطبراني قال ابن كثير واسناده حسن ولم
يخرجوه اي اصحاب السنن ونحوهم ولا يضر ذلك اسناده وعن طاوس
ابن كيسان سمعت ابن عباس يقول اذا صلى على النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى يوم القيامة كفصل القضا
ودعاؤه بذلك لنيل الثواب وان كانت محققة له كما في قوله وارفع
درجته منزلته العليا في الجنة واعطه سوله اي مسؤوله ومطلوبه
في الاخرة كدرجاته ونجاة امته وشفاعاته العديدة والاولى الدنيا
لتقدمها كاعلا كلمة الله ونصره ونصر امته وسعة ملكهم وان لا يسلط
عليهم اعداهم ولا يبتنا صلح ولا يهلكهم بسنة عامة ونحوه مما ورد في
الاحاديث كما اتيت ابراهيم وموسى ما سالوه رواه اسمعيل
ابن اسحق القاضي احد الحفاظ الاعلام قال ابن كثير واسناده
جيد اي مقبول قوي حتى ذلك فهو صحيح وسطا بعينه لترجمة
صفة الصلاة عليه مع انه لا ذكر لها فيه من حيث ان المراد بالصلاة الدعا
وهذا دعا فيه تعظيم وثنا عليه بما يليق به وفي بعض النسخ تاخير
هذا الاثر بعد قوله وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سره اي افرحه ان يكتال له بالمكيال
الاوفى الزائد على غيره اي من احب اجر الانبيا وفيه غيره او
احب ان يصلي احسن صلاة واعظمها اذا صلى علينا اهل البيت فعبر
بالمكيال عن ذلك استعارة تبعية مصرحة او شبه الاجر مما يشترى من
حبوب وتمر وشبه ذكروا له بالاكتيال بالكيل استتبعا به على طريقة
المكنية والاجر لظهور تادبته في الجرعة المذكور ووجه الشبه ان ما
به البقا وهو استيفا الشي وحيازته والمراد الترغيب في الصلاة عليهم
بهذه الالفاظ فليقل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد النبي الامي
وازواجه امهات المومنين وذريته واهل بيته كما صليت
على ابراهيم انك حميد مجيد فضل هذه الصلاة لشمولها
وتعظيمه بوصف النبوة التي اقرب منزلة وبالامية التي هي من اجل
بانه وصف ازواجه بما تحبه وذكر صلاة الله على ابيه ابراهيم وفيها
الثنا عليه رواه ابو داود وفي الشفا وكان الحسن البصري
يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل
اللهم صل على محمد وعلى اله واصحابه واولاده وذريته واهل بيته
وانصاره واصهاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم
اجمعين يا ارحم الراحمين وامنا المواطن جمع وطن مكان الانسان

عبر به مجازا عن المواضع **التي يشرع فيها** يطلب وجوبا او ندبا
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ولم يذكر السلام للاقتصار
على الاحاديث وعلى الصلاة في الاحاديث التي اوردها او للخلاف
في افراد الصلاة عنه **فمنها التشهد الاخير وهي واجبة فيه**
اي عقبه لانها ليست من مسمى التشهد كما يعلم من احاديثه **كما قدمنا**
عن الشافعية سنة او مستحبة عند غيرهم **وفي وجوبها في**
التشهد الاول قولان اظهرها المنع للوجوب **لبنائه على**
التخفيف بل هي سنة لانه نفسه سنة ونعقبه شيخنا باقتضائه
ان احد قولي الشافعي في وجوبها بحيث يأثم بتركها وليس كذلك
فان القولين كما في المنهاج وغيره انما هما في انه سنة في الاول
لانه سنة او ليست سنة اصلا لبنائه على التخفيف اظهرهما الاول قياسا
على الاخير اي على وجوبها فيه لوجوبه قال في تقديره ولم ير احدا
نقل القول بوجوبها اذ لا قول بسنة باتفاق **وفي استحباب الصلاة**
على الال في التشهد الاول القولان صوابه وجهان اي مخرجان
على القولين لان اصطلاح الشافعية ان القول لنص الامام والوجه
لغيره **وفي وجوبها على الال في الاخير رايان** للنووي فرجح
في الروضة انهما قولان للشافعي ورجح في شرح المهذب انهما وجهان
لغيره **اصحها المنع** للوجوب **بل هي سنة تابعة واقلها اللهم**
صل على محمد وكذا صلى الله على محمد واقلها على الال واله
كما في الروضة واصلها ونحو نبينا وله الواجبة والمندوبة في التشهد
على ما تقدم **وقال** ابن الرفعة **في الكفاية** وعلى اله **باعادة**
على فان اسقطها لم يأت بالاقل لكن في المنهاج وشرحه واكمل من قوله
واله ان يقال وعلى اله وهو يفيد انه لا خلاف في الاكتفاء في اداء السنة
بقوله واله من غير ذكر على كذا في الاصل الشرح والمصنف عزى في الكفاية
وليس فيما رده به حكاية اتفاقا انما هو المعتمد **ومنها خطبتا الجمعة**
وكذا غيرها من الخطب خطبتا العيدين والكسوف والاستسقا
وخطب الحج الاربع **ولا تصح خطبتا الجمعة الا بها** خصها لوجوبها
لصحة الجمعة والا فما عداها لا تصح الا بها بمعنى انها سنة فيها
لانها عبادة وذكر الله فيها شرط للصحة **فوجب ذكر الرسول**
صلى الله عليه وسلم فيها كالاذان والصلاة وهذا مذهب
الشافعي واحمد ومذهب الجمهور الاستحباب فقط **ومنها عقب**
اجابة المؤذن بعد فراغه من اذانه فلو ترك اجابته لم يسن له
الصلاة وهو مقتضى كلام الروض لكن في الرملي ان كلا من الاجابة
والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعا سنة مستقلة فلو ترك
بعضها سن له ان يأتي بالباقي **لما رواه الامام احمد عن عبد الله**

ابن عمرو بن العاصي الصحابي ابن الصحابي **ان رسول الله**
صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
استحبابا عند الجمهور لحديث في مسلم دل على صرف الامر عن الوجوب الذي
قال به الحنفية والظاهرية وابن وهب وجماعة من السلف قال
الكرماني وفي تعبيره بالمضارع اشعار بانه يجيبه بعد كل كلمة مثلها
انتهى وللنسائي عن ام حبيبة كان صلى الله عليه وسلم يقول مثل ما يقول
المؤذن حتى يسكت ويستثنى من ذلك الحيعلتان فيقول بدلهما لا حول
ولا قوة الا بالله كما في حديث عمر عند مسلم ومعاوية عند البخاري وغيره
ثم المماثلة في القول لا في صفته فلا يطلب برفع الصوت المطلوب من
المؤذن لان قصده الاعلام وقصد السامع الذكر فيكفي السر والجهر بلا رفع
صوت نعم لا يكفي اجراؤه على قلبه بدون لفظ لظاهر الامر بالقول **ثم**
صلوا علي فانه من صلى علي واحدة صلى الله عليه بها عشرا
اي رحمة وضاعف اجره بشهادة من جا بالحسنة فله عشر امثالها فائدة
ذكره وان كانت كل حسنة كذلك انه سبحانه لم يجعل جزا ذكره الا ذكره وكذلك
جعل ذكر نبيه ذكرا من ذكره ولم يكتف بذلك بل زاد كما في حديث
انس عند احمد والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم وحط عنه عشر خطيئات
ورفع له عشر درجات قال الطيبي الصلاة من العبد التعظيم للنبي صلى
الله عليه وسلم ومن الله على العبد ان كانت بمعنى الغفران فيكون من
باب المشاكلة من حيث اللفظ وان كانت بمعنى التعظيم فيكون من الموافقة
لفظا ومعنى وهذا هو الوجه لئلا يتكرر معنى الغفران مع قوله وحط عنه
عشر خطيئات جمع خطيئة وهي الذنب **ثم سلوا الله لي الوسيلة** فعيلة
من وسل اذا تقرب وتطلق على المنزلة كما قال **وانها منزلة في الجنة**
وهي علم على اعلا درجة في الجنة على انه يمكن رده الى الاول فان الواصل
الى تلك المنزلة قريب الى الله فتكون كالقربة التي يتوسل بها وفي المسند
عن ابي سعيد مرفوعا الوسيلة درجة عند الله ليس فوقها درجة فسلوا
الله لي الوسيلة ولابن ابي حاتم عن علي انه قال على منبر الكوفة ان في
الجنة لؤلؤتين بيضا وصفرا فالبيضا فاسمها الوسيلة وهي لمحمد صلى الله
عليه وسلم واهل بيته والصفرا لابراهيم واهل بيته قال ابن كثير غريب
وامر امته ان يسالوها له لينالوا بالدعا الزلفى وزيادة الايمان وايضا فان
الله قدرها له باسباب منها دعا امته له بها لما نالوا على يده من الهدى
والايمان انتهى من المقصد الاخير ملخصا **لا ينبغي** لا تكون **الا لعبد**
واحد عظيم جليل فالتنوين والتنكير للتعظيم **من عباد الله** الاشراف
المقربين فلا منافاة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم **وارجو**
ان اكون انا انا تاكيد للضمير المستتر في اكون و**هو** خبر
وضع بدل اياه ويحتمل ان لا تكون تاكيدا بل مبتدأ وخبر والجملة

حيرا كون ويحكي ان هو وضع موضع اسم الاشارة اي اكون انا ذلك قاله
الابي من سال الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة رنم هذا
الجزا واخرجه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي كلهم من
حديث كعب بن علقمة بن كعب المصري التنوخي صدوق مات سنة سبع
وعشرين ومائة وقيل بعدها اي عن عبد الرحمن بن جبير بن عبد الله
ابن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال عياض كان بعض من رايناه من
المحققين يقول انما هذا لمن فعل ذلك محبة واخلاصا صلى الله عليه
وسلم من التعظيم والاجلال لا لمن قصد الثواب او ختم دعائه بالصلاة
عليه وفيما قاله نظر انتهى وقال الحافظ وهو تحكم غير مرضي ولو كان
اخرج الغافل اللاهي لكان اشبه وذكره بلفظ الرجا وان كان
متحقق الوقوع بوعد من لا يخلف الميعاد وهمة الكريم
الجواد ادبا معه وارشادا لطلبها منه لا منة وتذكيرا لهم بالخوف
من الله تعالى والتفويض الى الله بحسب مشيئته ولتكن الطالب
للشي بين الخوف والرجا بان لا ينقطع باحدهما وان كان الاولى تقديم
الرجا على الخوف عند جمع والخوف على الرجا عند اخرين او الخوف حال
الصحة والرجا حال المرض عند بعض وقال القرطبي هذا الرجا قبل علمه
انه صاحب المقام المحمود ومع ذلك فان الله تعالى يزيده بدعائهم له رفعة
كما يزيدهم بصلاتهم عليه وقوله حلت عليه الشفاعة اي وجبت
وثبتت كما صرح به في عدة روايات وصوبه عياض وقيل غشيته
ونزلت به نقله عياض عن المهلب وقال الصواب وجبت من حل يحل
بالكسر اذا وجب واما حل يحل بالضم فمعناه نزل به زاد الحافظ
ولا يجوز ان يكون حلت من الحل لانها لم تكن قبل ذلك محرمة تنبيه قال
شيخنا السخاوي في المقاصد الحسنة حديث الدرجة الرفيعة
المدرج فيما يقال بعد الاذان اي الملحق لا بقيد كونه من قول راو
بلا ظهور فصل فرده عن بعض معناه الاصطلاحي بدليل قوله
لم اره في شي من الروايات اذ لو كان بمعناه لوجد في بعضها واصل
الحديث عند احمد والبخاري والاربعة اصحاب السنن عن جابر
مرفوعا من قال حين يسمع الندا الاذان سمي ندا لانه دعا
الى الصلاة قال الحافظ واللام للعهد والتقدير من قال حين يسمع
الندا اي ندا المؤذن وظاهره انه يقول هذا الذكر عند سماع الاذان
ولا يتقيد بفراغه لكن يحتمل ان المراد من الندا تمامه اذ المطلق يحمل
على الكامل ويؤيده حديث عبد الله بن عمرو عند مسلم بلفظ قولوا مثل
ما يقول ثم صلوا علي ثم سلوا الله لي الوسيلة ففي هذا ان ذلك يقال
عند فراغ الاذان اللهم رب هذه الدعوة بفتح الدال التامة اي التوحيد
لقوله تعالى دعوة الحق ووصفت بالتامة لان الشرك نقص اذ التامة التي لا

يدخلها

يدخلها تغيير ولا تبديل بل هي باقية الى يوم النشور ولانها هي التي تستحق
صفة التمام وما سواها معرض الفساد ولان فيها اتم القول وهي لا اله الا الله
وقال الطيبي من اوله الى قوله محمد رسول الله هي الدعوة التامة والصلاة
القائمة المعهودة المدعو بها حينئذ وهذا اظهر والحيعلتان والمراد بالصلاة
الدعاء وبالقائمة الدائمة من قام على الشي اذا دام عليه وعلى هذا فقوله
والصلاة القائمة بيان للدعوة التامة آت محمدا الوسيلة تقدم بيانها
ووجه تخصيص الدعاء بها بعد الاذان انه لما كان دعا الى الصلاة وهي مقربة
الى الله ومعراج المؤمنين وهي مما من الله به علينا في ارشاده وهدايته ناسب
ان يجازي ذلك بالدعا بالقرب الى الله ورفعة المنزلة فان الجزا من جنس
العمل والفضيلة قال الحافظ اي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق
ويحتمل ان يكون منزلة اخرى او تفسيرا للوسيلة اي تفسيرا للوسيلة
وابعثه مقاما محمودا اي يحمد القائم فيه وهو يطلق في كل ما يجلب الحمد من
انواع الكرامات ونصب على الظرفية اي ابعثه يوم القيامة فاقمه مقاما
او على انه مفعول به او ضمن ابعثه معنى اقمه ومعنى ابعثه اعطه ويجوز
ان يكون حالا اي ابعثه ذا مقام محمود قال النووي ثبتت الرواية بالتنكير
وكانه حكاية للفظ القران وقال الطيبي انما نكره لانه افخم واجزل كانه
قيل مقاما اي مقام محمودا بكل لسان قلت وقد جا في هذه الرواية
بعينها بالتعريف عند النسائي وابن خزيمة وابن حبان والطبراني
والطحاوي والبيهقي وفيه تعقب على من انكر ذلك كالنووي الذي وعدته
زاد في رواية البيهقي انك لا تخلف الميعاد قال الطيبي المراد بذلك قوله تعالى
عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا واطلق عليه الوعد لان عسى من الله واقع
كما صح عن ابن عيينة وغيره والموصول اما بدل او عطف بيان او خبر مبتدا محذوف
وليس صفة للنكرة وعلى رواية المقام المحمود بالتعريف يصح وصفه بالموصول
حلت وفي رواية الطحاوي وجبت له شفاعتي يوم القيمة اللام
بمعنى على بدليل الرواية السابقة واستشكل جعل ذلك ثوابا لقائل ذلك
مع ما ثبت ان الشفاعة للمذنبين واجيب بان له شفاعات اخرى كادخال
الجنة بغير حساب ورفع الدرجات فيعطى كل احد ما يناسبه انتهى قال
في المقاصد وكان من زادها اي الدرجة الرفيعة اغتر بما وقع في
بعض نسخ الشفا من حديث جابر المشار اليه يعني هذا المذكور
لكن مع زيادتها في هذه النسخة المعتمدة لهذا المغتر بها علم عليها
كاتبها بما يشير الى الشك فيها فكيف يعتمد عليها ولم ارها في سائر
نسخ الشفا المعتمدة بل في الشفا عقد لها فصلا في مكان اخر ولم
يذكر فيه خبرا صريحا وهو دليل لغلطها انتهى لكن ابن ابي حاتم
بسند فيه ابن المسعودي وهو ثقة اللهم صل على محمد وابلغه الدرجة
والوسيلة من الجنة فقد وردت بمعناها والله اعلم ويأتي ان شاء الله

تعالي في العاشر الخلاف في المقام المحمود والمشهور انه الشفاعة ومنها اول
الدعا اوسطه وهو ما بعد الاول وقبل الاخر لا خصوص ان ما قبله مساو لما
بعده في القدر واخره لما روي احمد من حديث جابر ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال لا تجعلوني كقدح الراكب قيل وما قدح يا
رسول الله قال فان الراكب يملأ قدحه يعني اناء صغير للشرب ثم
يضعه عنده ويرفع متاعه علي راحلته فان احتاج الي شراب اي شرب
ما شربه اي ما قدحه او الوضوء توضأ بالهمز وتبدل الفا والا تحتج لشرب
او وضوء اهراقه بفتح الهمزة وسكون الها اي طرح ماءه علي الارض لاستغنائه
عنه قال ابن الاثير وغيره معناه لا تؤخروني في الذكر وتجعلوا ذكري تبعا
لكم بل اهتموا به فقدموه ووسطوه واختموا به كما قال ولكن اجعلوني في
الدعا اوسطه واخره ففيه تشبيه تمثيلي بليغ لتاخير ذكره عن الدعا
كما ان الراكب يبدو ويحمل متاعه وقدحه علي الارض لا ينظر له ثم يأخذ ما فيه
او يريقه ويعلقه في اخر رحله خلفه وبهذا كقول حسان يهجو .
. فانت هجين نيط في ال هاشم . كما نيط خلف الراكب القدح الفرد .
ومنها وهو من اكدها عقب دعا القنوت لما رواه احمد واصحاب السنن
وابن جرير وابن حبان والحاكم من حديث ابي الجوزا بالجيم والزاي
اوس بن عبد الله الربعي بفتح الموحدة البصري ثقة يرسل كثيرا مات سنة
ثلاث وثمانين عن الحسن بن علي خاتم خلافة النبوة قال علمني رسول
الله صلي الله عليه وسلم كلمات اقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن
هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي
فيما اعطيت بلفظ الافراد في الجميع وفي رواية للبيهقي اللهم اهدنا بالجمع
في الجميع وحمل علي الامام لحديث ابي داود والترمذي وحسنه مرفوعا
لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل فقد خانهم وقني
شر ما قضيت قال العلامة الشهاب القرافي معناه ان الله تعالي يقدر
المكروه بعدم دعا العبد فاذا استجاب دعاه لم يقع المقتضي بفوات شرطه
وليس هو رد للقضا المبرم ومنه صلة الرحم تزيد في العمر والرزق انتهي
فانك بالفا تقضي ولا يقضي عليك وانه بالواو وبدونها لا يذل
من واليت زاد الطبراني في الكبير من حديث الحسن بن علي نفسه ولا يعز
من عاديت تباركت زاد في رواية ربنا اي كثر خيرك وزاد بعضهم
وتعاليت في ذاتك وصفاتك وتنزهت عما لا يليق بك وزاد النسائي
في سننه في روايته لهذا الحديث وصلي الله علي النبي وسياتي
في المقصد التاسع البحث في ذلك ان شا الله تعالي بان زيادة
النسائي هذه غريبة غير ثابتة لاجل عبد الله بن علي لانه غير معروف وعلي
تقدير انه عبد الله بن علي بن الحسين فمنقطع لانه لم يسمع من جده الحسين .
فالزيادة ليست بحسنة لانقطاعها وجهالة راويها ولم يجي من وجه

اخر

اخر يجبرها فهي شاذة انتهي اي ضعيفة ومنها اثنا تكبيرات العيد
لما روي اسمعيل القاضي ان ابن مسعود وابا موسي وحذيفة رضي
الله عنهم خرج عليهم الوليد بن عقبة بالقاف بن ابي معيط بن ابي عمرو
بن ابي امية القرشي الاموي ابو عثمان لامه وله صحبة وعاش الي خلافة معاوية
وكان امير الكوفة من قبل عثمان فشرب فعزله وحده فقال ان هذا العيد
قد دنا اي قرب فكيف التكبير فيه فقال عبد الله بن مسعود تبدا
تكبر تكبيرة تفتتح بها الصلاة وتحمد ربك وتصلي علي النبي
صلي الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك ثم تكبر و
وتفعل مثل ذلك ثم تكبر وتفعل مثل ذلك ثم تقرا فاقتصر للعيد علي
ثلاث تكبيرات بعد الاحرام وقال به اهل الكوفة وذكر انه يفصل بين كل تكبيرة
بالحمد والصلاة والمقرر عند الشافعية والمالكية خلاف ذلك وانه لا صلاة علي
المصطفي فيها ثم تكبر وتركع ثم تقوم للركعة الثانية فتكبر وتحمد ربك
وتصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم ثم تدعو وتكبر وتفعل مثل ذلك
الذي قلته لك في الركعة الاولي فقال حذيفة وابو موسي صدق ابو
عبد الرحمن كنيته عبد الله بن مسعود قال ابن مسعود اسناده صحيح
وهو موقوف ليس له حكم الرفع فهو اجتهاد ومنها عند دخول المسجد
لانه محل الذكر والخروج منه لما رواه احمد وابو داود والنسائي عن فاطمة
الزهرا سيدة نسا العالمين قالت كان رسول الله صلي الله عليه وسلم
اذا دخل المسجد صلي علي محمد وسلم كما عند احمد وغيره فسقط من قلم
المصنف ولاحمد وابن ماجة يقول بسم الله والسلام علي رسول الله فابرز اسمه
الميمون علي سبيل التجريد الملتجي الي منصب الرسالة تعظيما لها كانه غيره امتثالا
لامر الله بان صلوا عليه ثم قال اللهم اغفر لي ذنوبي وان كان لا ذنب لي تعليما
لامته وتواضعا واجلالا لربه وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلي علي
محمد وسلم وفي رواية ايضا قال بسم الله والسلام علي رسول الله ثم قال
اللهم اغفر لي ذنوبي اجر نفسه عند الغفران مجليا بالانكسار بين يدي الملك
الجبار وافتح لي ابواب فضلك خصه بالخروج والرحمة بالدخول لما يزلفه
الي الله وثوابه فناسب الرحمة الصادقة بكل خير فاذا خرج انتشر في الارض
ابتغا فضل الله من الرزق فناسب الفضل الذي هو الزيادة علي ما حصل من
الثواب ومنها في صلاة الجنازة لان السنة اي الطريقة ان يقرا ام
الفاتحة بعد التكبيرات اي بعد احدي التكبيرات فلا ينافي وجوب
الفاتحة عنده عقب اي تكبيرة لكن بعد الاولي اولي افضل وان يصلي
علي النبي صلي الله عليه وسلم بعد التكبيرة الثانية بعد ما عليها التحميد
كالحمد لله رب العالمين ويختمها بالدعا للمومنين والمومنات كان يقول اللهم
اغفر للمومنين والمومنات ويدعو للميت بعد الثالثة وبعد الرابعة
يقول اللهم لا تحرمنا اجره اي اجر الصلاة عليه واجر المصيبة لان المومن

مصاب باخيه ولا تفتنا بعده بما يشغلنا عن الله فان كل شاغل عنه فتنة
وفي ذلك حديث رواه الشافعي والنسائي لكن في اسناده ضعف كما قال
الخيضري ومنها عند التلبية لما رواه الشافعي والدارقطني عن
القاسم بن محمد بن ابي بكر الصديق احد فقهاء المدينة قال كان يؤمر الرجل
اذا فرغ من تلبيته ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على كل حال اي بعد
كل مرة من صيغ التلبية المعروفة وليس المراد انه يؤخرها الى فراغ التلبية
بالمرة وذلك عند الشروع في التحلل ومنها عند الصفا والمروة لما روي
اسماعيل القاضي عن عمر بن الخطاب انه قال اذا قدمتم مكة فطوفوا
بالبيت سبعا وصلوا عند المقام لابراهيم ركعتين ثم ائتوا الصفا
فقوموا عليه من حيث اي في مكان ترون البيت منه فكبروا سبع
تكبيرات تكبيرا مصحوبا بتعظيم دائر بين حمد الله وثنا عليه وصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ومسألة لنفسك فانها من مواطن الاجابة
وفي نسخة بعد حمد وهي ظاهرة وعلى المروة مثل ذلك قال ابن كثير
اسناده حسن جيد قوي وهو موقوف عند التفرق الاجتماع والتفرق
اي في المجلس الذي يقع فيه اجتماع وافتراق لانها مطلوبة عندهما اذ لا دليل
على ذلك في الحديثين اللذين ساقهما بقوله لما روى الترمذي وقال
حسن ولعله لشواهده والا ففيه صالح مولى التوأمة ضعيف عن ابي هريرة
وابي سعيد معا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جلس قوم
مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا فيه على نبيه الا كان عليهم
ترة بكسر الفوقية وفتح الرا لا بفتحها كما زعم وهاؤها تنبيه عوض عن الواو
المحذوفة كعدة وزنة مرفوع بكان التامة اي وقعت وحصلت واسمها
وعليهم خبر مقدم وجوز نصبها خبرا واسم كان مستتر عائد على الجلسة المفهومة
مما قبله وهي التبعة او النقص او الحسرة قيل وهو اقرب لوروده في الحديث
الثاني فهو في مشيئة الله فان شا عذبهم بعدله على ذلك وان شا غفر
لهم بفضله فيتأكد الذكر والصلاة عند ذلك ويحصلان باي لفظ كان لكن
الاكمل في الذكر سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك
استغفرك واتوب اليك وفي الصلاة ما في اخر التشهد والمراد بالعذاب اللوم
على تركهما كما يلام فاعل المكروه وبالمغفرة ترك اللوم لانها لا تستدعي سبق
ذنب فلا حجة فيه للقائل بوجوب الصلاة عليه في كل مجلس وروى اسماعيل
القاضي عن ابي سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان الصحابي ابن
الصحابي قال ما من قوم يقعدون في مجلس ثم يقومون منه
ولا يصلون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا كانت عليهم
حسرة وندامة واسف في الموقف على ما فاتهم وليس المراد ان الحسرة
تلازمهم بعد دخولها اذ بعده لا حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من
الثواب لمن صلى عليه ويجوز تمام كان ونقصها وجعله نفس الحسرة مبالغة

كقوله

كقوله وانه لحسرة او اسناد مجازي وقد ابعد المصنف النجعة في العزو مع كونه
موقوفا وقد جاء مرفوعا في احد دواوين الاسلام فاخرج النسائي عن ابي
سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا ثم لا يصلون فيه على
رسول الله الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب
بهذا اللفظ عياض الا انه لم ينسبه للنسائي ومنها عند الصباح اول النهار والمسا
ما بين الظهر الى المغرب لما روى الطبراني باسنادين احدهما جيد وقد حسنه بعض
الحفاظ ولعله لشواهده والا ففيه انقطاع لانه من حديث خالد الحذا عن ابي الدردا
وخالد لم يسمع من ابي الدردا مرفوعا من صلى علي حين يصبح عشرا من المرات
وحين يمسي عشرا ادركته شفاعتي يوم القيامة اي شفاعة خاصة غير
العامة جزاء على صلاته عند شدة من الاحتياج فلو لم يكن لها ثواب الا هذا لكفى
قال الابي وقضية اللفظ حصول الصلاة باي لفظ كان وان كان الراجح الصيغة
الواردة في التشهد ومنها عند الوضو لحديث ابن ماجه عن سهل بن سعد
الساعدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وضوء كامل لمن لم
يصل على النبي صلى الله عليه وسلم لكنه حديث ضعيف كما في الفتح ومنها
عند طنين الاذن اي تصويتها لحديث ابي رافع اسلم او ابراهيم او صالح او
غير ذلك الى عشرة اقوال اشهرها اسلم عند ابن السني وكذا الطبراني في الثلاثة
والعقيلي وابن عدي والخرائطي والحكيم الترمذي قال السخاوي وسنده ضعيف
بل قال العقيلي لا اصل له انتهى وتعقب بان الحافظ النور الهيثمي قال اسناد
الطبراني في الكبير حسن وقد رواه ابن خزيمة بتخريج الصحيح وبه تشنع
على ابن الجوزي زعمه انه موضوع مرفوعا لفظه استعملوها بمعنى قال صلى
الله عليه وسلم اذا طنت بالتشديد اي صوتت اذن احدكم فليذكرني بنحو محمد
رسول الله وليصل علي بنحو صلى الله عليه وسلم ففيه عدم الاكتفا بذكره حتى يصلي
عليه وليقل ذكر الله من ذكرني بخير لان الارواح ذات طهارة ونزاهة ولها
سمع وبصر متصل ببصر العين ولها سطوع في الجو تجول وتجول ثم تصعد الى
مقاسمها الذي منه بدت فاذا تخلصت من شغل النفس ادركت من امر الله ما يعجز
عنه البشر فيها ولو لا تعلقها لرات العجايب لكنها تدنست بما تلبست وتوسخت بما تقمصت
من ثياب اللذات وتكدرت بما تشربت من حب كاس حب الخطيات ورسول الله صلى
الله عليه وسلم لما قيل له الى اين قال الى سدرة المنتهى فهو مستمر هناك يقول
يا رب امتي امتي حتى ينفخ في الصور فطنين الاذن من قبل الروح تجد تحفتها
وطهارتها وسطوعها وشوقها الى المقام الذي فيه المصطفى المصطفى فطنت
لما ظنته به جاءت به من الخير فلذا قال فليصل علي لانه ذكره عند الله في ذلك
الوقت وطلب شيئا يستوجب به الصلاة اذ الحقه فلذا شرعت الصلاة عليه عند طنين
الاذن كما شرعت عند خدر الرجل لخبر ابن السني ان رجلا خدرت رجله عند ابن عباس
فقال له اذكر احب الناس اليك فقال محمد صلى الله عليه وسلم فكانما نشط من عقال
في فتح القدير ومنها عند نسيان الشي لحديث ابي موسى محمد بن عمر

ابن عمرو بن احمد المديني الاصفهاني الحافظ الكبير صاحب التصانيف بسند
فيه ضعف عن انس يرفعه اذا نسيتم شيئا فصلوا علي جواب اذا تذكروه
ان شاء الله تعالى حذفت نونه لكونه في جواب الطلب ومنها بعد العطاس
كما ذهب اليه ابو موسى المديني وجماعة لما جا بسند ضعيف من عطس فقال
عطس فقال الحمد لله على كل حال ما كان من حال وصلى الله على محمد وعلى اهل بيته
اخرج الله من منخره الايسر طايرا يقول اللهم اغفر لقايلها ونازعهم في ذلك اخرون
وقالوا هذا موطن تفرد فيه ذكر الله كالاكل والشرب والوقاع ونحو
ذلك كالتعجب واشهار المبيع والذبح والعثرة وفي الحمام ومواضع الاقذار ومذهب
مالك كراهتها في ذلك كله ومنها عند زيارة قبره الشريف لحديث ابي
داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم
علي في اي محل كان وزيادة عند قبري قال الحافظ السخاوي لم اقف عليها فيما
رايته من طرق الحديث الا رد الله علي روحي اي نطقي حتى ارد عليه
السلام او هو عبارة عن استمرار حياته على الدوام وان روحه لا تفارقه
ابدا لاستحالة خلو الوجود من احد يسلم عليه عادة وياتي ان شاء الله مزيد لذلك
في المقصد العاشر قال السيوطي كذا رواية ابي داود رد علي وللبيهقي الي
وهي الطف وانسب لان رد يعدى بعلى في الاهانة وبالى في الاكرام فمن الاول
يردوكم على اعقابكم ومن الثاني رددناه الى امه انتهى ولا يطرد هذا بدليل
رواية علي هنا في الاكرام ثم المصنف استدل بعمومه على ترجمة الخاصة ولذا
عقبه بالخاص فقال وروى ابن عساكر وعبد الرزاق وابن ابي شيبة من
حديث ابي هريرة مرفوعا من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا
ابلغته هذا بقية الحديث والظاهر ان المراد بالعندية قرب القبر بحيث يصدق
عليه عرفا انه عنده عرفا وبالبعد عنه ما عدا ذلك وان كان بالمسجد
وفي القول البديع اذا كان المصلي عند قبره الشريف سمعه صلى الله عليه
وسلم بلا واسطة سوا كان ليلة الجمعة او غيرها وما يقوله بعض الخطبا ونحوهم
انه يسمع باذنيه في هذا اليوم من يصلي عليه فهو من حمله على القريب لا
مفهوم له انتهى وعورض هذا الخبر بحديث من صلى علي عند قبري وكل الله
به ملكا يبلغني وكفي امر دنياه واخرته وكنت له شفيعا او شهيدا يوم
القيمة وجمع بانه يسمع الصلاة والسلام عند قبره بلا واسطة ويبلغه الملك
ايضا اشعارا بمزيد خصوصيته والاعتنا بشانه والاستمداد له بذلك وخبر الطبراني
وغيره عن الحسن بن علي مرفوعا حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني معناه
لا تتكلفوا المعاودة الى قبري لكن الحضور فيه مشافهة افضل من الغيبة والمنهي
عنه الاعتياد الرافع لكمال الحشمة ووردا لاكثار منها يوم الجمعة وليلتها
واقل الكثرة ثلثماية قاله ابو طالب في القوت قال السخاوي لم اقف له على
مستند فلعله تلقاه عن احد من الصالحين عرفه بتجارب او غيره او اراد اول
ما يحصل به الكثرة فعن اوس بن اوس بفتح الهمزة وسكون الواو الثقفي

الصحابي

الصحابي سكن دمشق روى له اصحاب السنن الاربعة احاديث صححه
من رواية الشاميين عنه وهو غير اوس بن ابي اوس حذيفة الثقفي الصحابي على
الصحابي على الصحيح خلافا لابن معين وغيره في انهما واحد فانه خطا كما في الاصابة
وغيرها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل ايامكم يوم
الجمعة فيه خلق ادم وذلك للسبب ايضا فانه سبب لوصوله الى الجناب الاقدس
والخلاص من تعب الدنيا وفيه النفخة اي النفخ في الصور وذكر شرف ايضا لانه
من اسباب توصل الى ارباب الكمال الى ما اعد لهم من النعيم المقيم والموت احد الاسباب
الموصلة للنعيم فهو وان كان فناظاهرا لكنه بالحقيقة ولادة ثانية ذكره الراغب
وفيه الصعقة من شدة الوجل وهي غير النفخة وقد ذكرها تعالى بفا التعقيب
في ونفخ في الصور فصعق فاكثروا علي من الصلاة فيه اي في يوم الجمعة
فان صلاتكم معروضة علي اي موصلة الي توصل الهدايا قاله ابن الملقن
قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت بفتح الهمزة
والراء وسكون الميم وروى بضم الهمزة وكسر الرا قاله المنذري وقال غيره ارمت
بفتح فسكون ففتح على الاشهر وفي رواية ارممت اي صرت رميما يعني وقد بليت
قال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبيا لانها تتشرف
بوقع اقدامهم عليها وتفتخر بضمهم اليها فكيف تاكل منهم ولانهم تناولوا ماتناولوا
منها بحق وعدل وسخرها لهم لاقامة العدل عليها فلم يكن لها عليهم سلطان فلما
حفظ اجسادهم من البلا خرق للعادة المستمرة كذلك عرض صلاتهم عليه وسماعها
منهم فالجواب مطابق للسوال قاطع لعرق الاستبعاد لان الخوارق لا تقاس عليها رواه
احمد وابو داود والنساي وابن ماجة في الجنايز كلهم عن اوس وهو الصواب
ووقع عند ماجة في الصلاة تسمية الصحابي شداد بن اوس وهو وهم نبه
عليه المزي وغيره وقد رواه ابن ماجة في الجنايز على الصواب وقد صحح هذا
الحديث ابن خزيمة وابن حبان والدارقطني والحاكم على شرط البخاري
وحسنه عبد الغني والمنذري وقال ابن دحية انه صحيح محفوظ بنقل العدل عن
العدل ومن قال انه منكر او غريب لعلة خفية به فقد استروح لان الدار
قطني رد ذلك قال الحافظ ابن كثير وقد روى البيهقي من حديث
ابي امامة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالاكثار من الصلاة
عليه ليلة الجمعة ويوم الجمعة لفظ البيهقي في الشعب عن مكحول عن ابي
امامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا علي من الصلاة في كل يوم
جمعة فان صلاة امتي تعرض علي يوم الجمعة فمن كان اكثرهم علي صلاة كان
اقربهم مني منزلة ولكن في اسناده ضعف لان مكحولا لم يسمع من ابي
امامة عند الجمهور لكن اثبت الطبراني سماعه منه ولذا قال المنذري سنده
حسن الا ان مكحولا قيل لم يسمع من ابي امامة انتهى وليس في حديث ابي امامة
تصريح بليلة الجمعة كما فعل المصنف نعم جا في حديث انس عند ابن عدي
وابي هريرة عند البيهقي والطبراني مرفوعا اكثروا الصلاة علي في الليلة

الهول واليوم الازهران فان صلاتكم تعرض علي وفي اسناده ضعف اي عرضا خاصا
فيه زيادة شرف للمصلي حينئذ فلا ينافي انها تعرض في اي وقت صلي عليه
كما جا في الحديث احاديث وللبيهقي عن انس اكثروا من الصلاة علي في يوم
الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا او شافعا يوم القيامة اي
شهيدا باعماله التي منها الصلاة علي وشافعا له شفاعة خاصة اعتنا
به والا فشفاعته عامة فان قلت ما الحكمة في خصوصية الاكثار من
الصلاة عليه صلي الله عليه وسلم يوم الجمعة وليلتها اجاب
ابن القيم بان رسول الله صلي الله عليه وسلم سيد الانام يعني جميع
الخلق او الجن والانس خاصة ويقال الانام بالمد كساباط والانيم كامير ويوم
الجمعة سيد الايام للاسبوع فللصلاة عليه فيه مزية ليست لغيره
مع حكمة اخري وهو ان كل خير نالته امته في الدنيا والاخرة فانما
نالته علي يده صلي الله عليه وسلم فجمع الله لامته به بين خيري
الدنيا والاخرة واعظم بالجر عطف علي خيري اي وبين اعظم كرامة
تحصل لهم فانما تحصل لهم يوم الجمعة فان فيه بعثهم والي منازلهم
وقصورهم في الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا وهو عيد لهم في
الدنيا كما في الحديث ويوم فيه يسعفهم الله بطلباتهم جمع طلبة بزنة
كلمة وكلمات وحوائجهم ولا يرد سائلهم في الساعة التي فيه كما صح وهذا كله
انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلي يده فمن شكره وحمده واداء
القليل من حقه صلي الله عليه وسلم ان يكثر كل احد من الصلاة عليه
في هذا اليوم وليلته وفقنا الله لذكر نعمه واما فضيلة الصلاة عليه
صلي الله عليه وسلم اي الثواب المترتب لقائلها كتركيب الخطايا وتزكية
الاعمال ورفع الدرجات ومغفرة الذنوب وصلاة الملائكة واستغفارها
لقائلها وكتابة قيراط مثل احد من الاجر والكيل بالمكيال الاوفي وكفاية امر
الدنيا والاخرة لمن جعل صلاته كلها صلاة عليه ومحو الخطايا وفضلها علي عتق
الرقاب والنجاة من الاهوال وشهادة الرسول بها ووجوب الشفاعة ورضي
الله ورحمته والامن من سخطه والدخول تحت ظل العرش ورجحان الميزان وورود
الحوض والامان من العطش والعتق من النار والجواز علي الصراط
ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت وكثرة الازواج في الجنة ورجحانها
علي اكثر من عشرين غزوة وقيامها مقام الصدقة للمعسر وانها زكاة وطهارة
وينمو المال ببركتها ويقضي بها مائة من الحوائج بل اكثر وانها عبادة واحب الاعمال
الي الله تعالي وتزين المجالس وتنفي الفقر وضيق العيش ويلتمس بها
مظان الخيرات فاعلها واولي الناس به وينتفع هو وولده وولد ولده
بها ومن اهديت في صحيفته ثوابها وتقرب الي الله عز وجل والي رسوله
وانها نور وتنصر علي الاعداء وتطهر القلب من النفاق والصدا وتوجب
محبة الناس له ورؤية النبي صلي الله عليه وسلم في المنام وتمنع من اغتيابه

صاحبها

صاحبها وهي من ابرك الاعمال وافضلها واكثرها نفعا في الدين والدنيا وغير
ذلك من الثواب هكذا ترجم في القول البديع ثم ذكر الاحاديث في ذلك كله
والمصنف ذكر بعضها فقد ورد التصريح بها في احاديث قوية باعتبار
مجموعها فلا ينافي ان بعضها ضعيف يعمل به في الفضايل لم يخرج البخاري
منها شيا لانها ليست علي شرطه امثلها ما اخرجه مسلم وابو داود
والترمذي والنسائي والامام احمد وابن حبان من حديث ابي هريرة
عن النبي صلي الله عليه وسلم من صلي علي واحدة زاد في رواية البزار
من تلقا نفسه صلي الله عليه وسلم بها عشرا اي من دعا لي مرة رحمه الله واقبل
عليه بعطفه عشر مرات واعطاه الفضل بالدرجات المقدرة وفي بعض الفاظ
الترمذي من صلي علي مرة واحدة كتب الله له بها عشر حسنات وقال
الترمذي حسن صحيح والصلاة عليه وان كانت تحصيل الحاصل
لكن حصول الامور الجزيية قد يكون مشروطا بشروط من جملتها الدعا وعن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلي الله عليه
وسلم لحاجة هي حاجة البراز كما في حديث انس خرج يتبرز فلم يجد
احدا يتبعه فاتاه عمر وفي حديث انس فتبرز عمر فاتاه اي بدعا به
كما في رواية فاتا قد عاني فاتيته او بغير دعائه تعدد القصة بمطهرة
بكسر الميم اداوة فيها ماء من خلفه فوجد النبي صلي الله عليه وسلم
ساجدا فتنحي عنه تاداني فجلس وراه حتي رفع النبي صلي الله
عليه وسلم راسه فقال له اخشيت اخفت من قربك لي يا عمر حين
وجدتني ساجدا ان تشغلني عن مناجاة ربي فتنحيت عني فالاستفهام
للتقرير ويحتمل كما في نسخ كثيرة صحيحة انه احسنت بفتح الهمزة واسكان
الحاء وبالسين المهملتين ونون ساكنة من الاحسان مدح لعمر في تنحيه عنه حينئذ
وهو انسب بالسياق ان جبريل اتاني في سجودي كما هو ظاهره ويحتمل قبل
سجوده وسجد شكرا كما في حديث عبد الرحمن بن عوف عند احمد وصححه الحاكم
والبيهقي وانما لم اجزم بالثاني لان عمر لم يذكر في خبر عبد الرحمن واختلاف المخرج
يحتمل التعدد فقال من صلي عليك من امتك امة الاجابة صلاة
واحدة صلي الله عليه عشر صلوات اي رحمه رحمة مضاعفة معظمة
لا تشابه غيرها لان اضافته الي الله اضافة تعظيم وتشريف وان كان
كل من جا بالحسنة له عشر امثالها عشر درجات باعالي مقاماته في جنات
النعيم وعلو منزلته تقربه من العزيز الرحيم رواه الطبراني قال
ابن كثير هذا الحديث الحافظ الضيا المقدسي حيث اخرجه
في كتابه المستخرج علي الصحيحين الذي سماه بالاحاديث المختارة
اي من الاحاديث التي ليست في الصحيحين وقد صرح الزركشي وغيره بان
تصحيحه اعلا مزية من تصحيح الحاكم وعن ابي طلحة زيد بن سهل
الانصاري ان رسول الله صلي الله عليه وسلم جاذات يوم والسرور

يري في وجهه وفي رواية الطبراني عن ابي طلحة دخلت علي رسول الله
واساريره وجهه تبرق والجمع بينهما ان المصطفي حالي محل لم يكن فيه ابوطلحة
ثم دخل عليه ابوطلحة فيه فقالوا يا رسول الله انا لنري السرور في
وجهك لانه كان اذا سر استنار وجهه فقال انه اتاني الملك جبريل كما
صرح به في روايات اخر فقال يا محمد اما يرضيك ان ربك عز وجل يقول
انه لا يصلي عليك احد من امتك وفي رواية من عبادي والمراد بهم امته الا
صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا
وفي رواية بحذف لا يسلم الخ من تقصير بعض الرواة قال بلي زاد في رواية
يارب رواه الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن احد الاعلام الحفاظ واحمد وابن
حبان والحاكم والنسائي واللفظ له وللطبراني عن ابي طلحة دخلت علي
رسول الله واساريره وجهه تبرق فقلت يا رسول الله ما رايتك اطيب
نفسا ولا اظهر بشرا من يومك هذا قال ومالي لا تطيب نفسي ويظهر بشري
وانما فارقني جبريل الساعة فقال يا محمد من صلي عليك من امتك صلاة كتب
الله بها عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفعه بها عشر درجات وقال
له الملك مثل ما قال لك قلت يا جبريل وما ذاك الملك قال ان الله عز وجل
وكل ملكا من لدن خلقك الي ان يبعثك لا يصلي عليك احد من امتك الا قال
وانت صلي الله عليك وفيه روايات اخر بالفاظ مختلفة اما من الرواة او حدث
به ابوطلحة في اوقات بالفاظ مختلفة وعن عامر بن ربيعة بن كعب بن
مالك العنزي بسكون النون حليف الخطاب صحابي مشهور اسلم قديما وهاجر
وشهد بدرا ومات لليالي قتل عثمان ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال من صلي علي صلاة في اي وقت كان لم تزل الملايكة تصلي عليه ما
صلي اي مدة صلاته علي فليقل عبد ذلك او ليكثر العطف للتخيير والفا
فصيحة اي اذا عرف نفع هذا ودوامه ونفعه فان شا اكثر ليربح ربحا كثيرا
دايما والا فاقتصر علي قليل نافع لك وهو في الحقيقة حث علي الاكثار رواه
احمد وابن ماجة باسناد حسن من حديث شعبة بن الحجاج الواسطي
البصري عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن ابيه وعن عبد الله بن عمرو
ابن العاصي من صلي علي رسول الله صلي الله عليه وسلم صلاة
صلي الله عليه وملايكته سبعين صلاة حقيقة او المراد التكثير
فليقل عبد ذلك او ليكثر رواه احمد باسناد حسن ومثله لا يقال
بالراي فهو موقوف لفظا مرفوع حكما والتخيير بعد الاعلام بما فيه الخيرة
في الخير فيه علي جهة التحذير من التفريط في تحصيله فهو
في الحقيقة حث علي الاكثار فان العاقل لا يترك الخير الكثير ما امكنه ففيه من
البلاغة ما لا يخفي وهو قريب من معني التهديد في نحو قوله اعملوا ما
شئتم ليس امرا لهم بعمل ما شاوا بل هو وعيد شديد بالمجازاة علي الطعن
والتحريف والتاويل للباطل واللغو في القران وروي الترمذي واحمد

والحاكم

والحاكم وصححه ان ابي بن كعب قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا
ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله اذكروا الله جات الراجفة
تتبعها الرادفة قال ابي بن كعب فقلت يا رسول الله اني اكثر الصلاة
فكم اجعل لك من صلاتي قال المنذري معناه اكثر الدعا فكم اجعل لك من
دعايي صلاة عليك قال ما شيت يعني اي قدر اردت وتيسر لك قلت
اجعل لك الربع قال ما شيت وان زدت فهو خير لك نافع في الدنيا والاخرة
قلت فالنصف قال ما شيت وان زدت فهو خير لك قلت الثلثين
قال ما شيت وان زدت فهو خير لك فلم يعين صلي الله عليه وسلم شيا
معينا لئلا يتغلق باب المزيد ولم يزل يفوض الاختيار اليه مع الحث
علي المزيد حتي قال قلت اجعل لك صلاتي كلها قال اذا تكفي
همك بالنصب مفعول تكفي الثاني والاول انت المضمر القايم مقام الفاعل
ويغفر بالرفع ذنبك ويروي بنصب يغفر باذن لانها مكفرة للذنوب
والمعني انها تغنيك عن غيرها لان فيها خيري الدارين فهو بمعني الحديث
القدسي من شغله ذكري عن مسالتي اعطيته افضل ما اعطي السايل
ثم قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ولم يقتصر علي حسن
كما نقل المصنف فصل اما ما يتعلق بالصلاة مما اراد ايراده في فضلها والا
فهو يحتمل جزا حافلا وقد كفي السخاوي فيه وشفي واما السلام اي ما يتعلق
به فقال النووي يكره افراد الصلاة عن السلام واستدل بورود
الامر بهما معا في الاية يعني قوله تعالي ان الله وملايكته يصلون
علي النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فظاهر الامر
بهما كراهة افراد احدهما عن الاخر واليه ذهب بعض المالكية وتعقبوه
بان النبي صلي الله عليه وسلم علم الصحابة التسليم قبل تعليمهم
الصلاة بقوله قولوا اللهم صل علي محمد الي اخر ما مر كما هو مصرح به في
قولهم يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك
وقوله عليه الصلاة والسلام بعد ان علمهم الصلاة والسلام
بالرفع مفعول القول كما قد علمتم من العلم او التعليم فافرد التسليم عليه
مدة قبل الصلاة عليه فكيف يكره ذلك لكن قال في فتح الباري انه
يكره ان يفرد الصلاة ولا يسلم اصلا اما لو صلي في وقت وسلم
في وقت اخر فانه يكون ممتثلا للامر فلا يكون مفردا للسلام لانهم
جمعوا بين الصلاة والسلام بعد ان علمها لهم لكن هذا المعني لبعيد مراد
النووي فلا يصلح جوابا عنه وقال ابو محمد الجويني من اصحابنا السلام
بمعني الصلاة فلا تستعمل في الشخص الغايب ولا يفرد عن الانبيا
به فلا يقال علي عليه السلام بل رضي الله عنه سواء في هذا الاحيا
والاموات واما الحاضر فيخاطب به فيقال السلام عليك او عليكم
او السلام عليك او عليكم وهذا مجمع عليه انتهي وقد جرت عادة بعض

الشاخ ان يفرد واعليا او فاطمة رضي الله عنها بالسلام
فيقولوا علي عليه او فاطمة عليها السلام دون سائر اصحاب
في ذكر وهذا وان كان معناه صحيحا لان المراد السلامة او التحية
لكن ذكر مكروه او خلاف الاولي او يحرم علي ما ياتي قريبا وينبغي ان
فعل ذلك المكروه ان يساوي بين الصحابة رضي الله تعالي عنهم في ذكر
لان افراد علي وفاطمة بذلك صار من شعار اهل البدع فان هذا من باب
التعظيم والتكريم والشيخان وعثمان اولي بذلك منهما اي علي
وفاطمة اشار اليه ابن كثير وياتي له مزيد قريبا واما الصلاة علي
غير النبي صلي الله عليه وسلم من الانبيا وغيرهم فاختلف فيها فقيل
بطلبها وقيل بعدمه واما غيرهم ففي جوازها استقلالا وعدمه خلاف لانها
تجوز باجماع هذا حاصل ما ذكره واخرج البيهقي بسند واه اي ضعيف
جدا من وهي الحايط اذا مال للسقوط وفي نسخة واهي بالياء وكل صحيح
لكن حذفها في المجرد من الكما هنا الكثير من حديث بريدة بن الحصيب
رفعه لا تتركن ايها المصلي في التشهد الصلاة علي وعلي انبيا الله
اريد بهم ما يشمل الرسل واخرج اسماعيل القاضي بسند ضعيف من
حديث ابي هريرة رفعه صلوا علي انبيا الله واخرجه عبد الرزاق
وغيره بسند واه عن ابي هريرة مرفوعا صلوا علي انبيا الله ورسله
فان الله بعثهم كما بعثني ورسله عطف خاص علي عام واخرج الطبراني
باسناد ضعيف كما قال الحافظ من حديث ابن عباس رفعه اذا صليتم
علي فصلوا علي انبيا الله فان الله بعثهم كما بعثني تعليل لامره بانهم
ساووه في اصل البعثة فيصلي عليهم وحكمة ذلك انهم بذلوا اعراضهم في
الله لاعدايه فنالوا منهم وسبوهم فاعاضهم الصلاة عليهم وجعل لهم اطيب
الثنا في السما والارض واخلصهم بخالصة ذكري الدار ففي هذه الاحاديث
استحباب الصلاة عليهم وورد ايضا من حديث انس عند الخطيب
ووايل بن حجر عند ابن عساكر وكلها ضعيفة لكن بانضمامها قد تخصص
النبوة وثبت عن ابن عباس اختصاص ذلك بالنبي صلي الله
عليه وسلم اخرجه ابن ابي شيبة من طريق عثمان عن عكرمة
عنه قال ما اعلم الصلاة تنبغي اي تجوز وتطلب من احد علي
احد الا علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو قامع ظاهر القران
وسنده صحيح الي ابن عباس موقوف عليه وفيه تورك علي
قول عياض الاسانيد عن ابن عباس لينة وحكي القول بانه عن مالك
الامام وجا نحوه عن عمر بن عبد العزيز وقال سفيان الثوري
فيما رواه عبد الرزاق والبيهقي يكره ان يصلي الا علي نبي ولما في
الكراهة من معني النفي عبر به وصح وقوع الاستثنا المفرغ بعده
وروي البيهقي ايضا عن سفيان يكره ان يصلي علي غير النبي

صلي الله عليه وسلم وهذا موافق لابن عباس وعن بعض شيوخ
مذهب مالك لفظ الشفا وجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك لا يجوز
ان يصلي علي محمد صلي الله عليه وسلم فلا يصلي علي غيره من الانبيا استقلالا
وكان الاصوب لو قال المصنف وعن بعض الشيوخ بدون اضافة مذهب
مالك بالرفع ليوافق النقل وقد حرف في نسخ زاد وايا وهي خطا فان
قايل ذلك شيخ عياض لا المصنف قالوا عياض وغيره وهذا غير معروف
عن مالك وانما قال مالك في المبسوط اكره الصلاة علي غير الانبيا
بين وجه الكراهة بقوله وما ينبغي لنا ان نتعدي نتجاوز ما
امرنا به الي غيره بل نقتصر عليه وخالفه يحيي بن يحيي بن كثير مولاهم
القرطبي ابو محمد فقيه مجاب الدعوة قليل الحديث وله اوهام روي الموطا
مات سنة اربع وثلاثين ومايتين علي الصحيح فقال لا باس به اي بما
ذكر من الصلاة علي غير الانبيا ولفظ الشفا قال يحيي بن يحيي لست اخذ
بقوله اي مالك ولا باس بالصلاة علي الانبيا كلهم وعلي غيرهم واحتج
بحديث ابن عمر وحديث تعليم النبي صلي الله عليه وسلم وفيه وعلي
ازواجه واله انتهي وتعقب بان هذا بطريق التبعية والكراهة استقلالا
فلا يتجه به رد قول مالك واما قوله واحتج بان الصلاة دعا بالرحمة فلا
يمنع الا بنص واجماع لان الاصل ان كل لفظ وضع لمعني يجوز اطلاقه علي ما وجد فيه ذلك المعني
وتعقب بانه لم يوضع لمطلق الدعا بالرحمة بل مقيد بتعظيم يليق بمقام
النبوة فليس المحتج بذلك يحيي بل عياض فانه بعد ان ذكر احتجاج يحيي
بالحديثين نقل عن ابي عمران الفاسي انه اختار قول ابن عباس بكراهة
الصلاة علي غير المصطفي ونقل حديث ابي هريرة صلوا علي انبيا
الله ورسله الي اخره قال والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة
في لسان العرب بمعني الترحم والدعا وذلك علي الاطلاق حتي يمنع منه حديث
صحيح او اجماع انتهي واما الصلاة علي غير الانبيا فان كان علي سبيل
التبعية للانبيا كما تقدم في الحديث اللهم صل علي محمد وال محمد ونحوه
فهذا جايز بالاجماع وعليه يحمل قول عياض عامة اهل العلم متفقون علي
جواز الصلاة علي غير النبي صلي الله عليه وسلم اي تبعا بدليل حكايته الخلاف
بعد في الاستقلال فلا يعترض عليه في حكاية الاتفاق فيما اختلف فيه وانما
وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبيا بالصلاة عليهم فقال قايلون
بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالي هو الذي يصلي عليكم وملايكته ففيها
دليل علي جواز الصلاة علي كل مومن لا سيما وسبب نزولها ما اخرجه عبد
ابن حميد عن مجاهد قال لما نزلت ان الله وملايكته يصلون علي النبي
قال ابو بكر يا رسول الله ما انزل الله عليك خيرا الا اشركنا فيه فنزلت
هو الذي يصلي عليكم وملايكته وصلاة الله رحمته وصلاة الملايكة الدعا
والاستغفار وبقوله اوليك عليهم صلوات من ربهم ورحمة عطف

تفسير وان قلنا انها اعم لانه يجوز التفسير بالاعم المقصود منه فلا يرد
ان العطف يقتضي المغايرة لان الصلاة رحمة مشتملة علي تعظيم وتكريم
واجيب للجمهور بان الانبيا من فضل الله وملايكته ولم يرد اذنه للمومنين
بذلك كما قال صلوا عليه وبقوله تعالي خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
بمغفرة ذنوبهم وتزكيهم بها وصل عليهم فامره بالدعا بلفظ الصلاة دليل
علي الجواز استقلالا وبحديث عبد الله بن ابي اوفي بفتح الهمزة والفا
بينهما واو ساكنة لا مفتوحة كما زعم من وهم علقمة بن خالد بن الحارث الاسلمي
صحابي شهد الحديبية وعمر بعد النبي صلي الله عليه وسلم دهرا مات سنة
سبع وثمانين وهو اخر من مات بالكوفة من الصحابة قال كان رسول الله صلي
الله عليه وسلم اذا اتاهم اتاه قوم بصدقتهم اي بزكاة اموالهم قال اللهم
صل عليهم ارحمهم وطهرهم وزك اموالهم التي بذلوا زكاتها فاتاه ابي علقمة
شهد هو وابنه بيعة الرضوان تحت الشجرة بصدقته زكاته فقال
اللهم صل علي ال ابي اوفي قال الحافظ يريد ابا اوفي نفسه لان الال يطلق
علي ذات الشي كقوله في قصة ابي موسي لقد اوتي مزمارا من مزامير ال
داود وقيل لا يقال ذلك الا في حق الرجل الجليل القدر وفيه جواز الصلاة علي
غير الانبيا وكرهه مالك والجمهور قال ابن التين وهذا الحديث يعكر عليه وقد
قال جماعة من العلما يدعو اخذ الصدقة للمتصدق بهذا الدعا لهذا الحديث
واجاب الخطابي عنه بان اصل الصلاة الدعا الا انه يختلف بحسب المدعو فصلاة
النبي صلي الله عليه وسلم علي امته دعا لهم بالمغفرة وصلاة امته عليه دعا
له بزيادة القربة والزلفي ولذلك كان لا يليق بغيره انتهي اخرجه الشيخان
في الزكاة واللفظ لمسلم واحتجوا ايضا بقول امراة جابر يا رسول الله صل علي
وعلي زوجي فقال اللهم صل عليهما وقال الجمهور من العلما لا يجوز افراد
غير الانبيا بالصلاة واجابوا عن هذه الاحتجاجات بان ذلك كله وقع من النبي
صلي الله عليه وسلم ولصاحب الحق ان يتفضل من حقه بما شا وليس لغيره ان يتصرف
فيه الا باذنه ولم يثبت عنه اذن في ذلك واحتج المانع لان هذا قد صار شعار
للانبيا اذا ذكروا فلا يلحق بهم غيرهم فلا يقال ابو بكر صلي الله عليه
وسلم او قال علي صلي الله عليه وسلم وان كان المعني صحيحا وانما
يقال صلي الله علي النبي وعلي خليفته او صديقه او ابن عمه ونحو ذلك لانه
لا يلزم من صحة المعني جواز الاطلاق كما لا يقال محمد عز وجل وان كان
عزيزا جليلا لان هذا الثنا صار من شعار ذكر الله عز وجل فلا يشاركه
فيه غيره وان صح المعني وحملوا ما ورد في ذلك من الكتاب والسنة من
الايات الثلاث السابقة والسنة كحديث ابن ابي اوفي وحديث امراة جابر علي
الدعا لهم بالمغفرة من صاحب الحق ولم ياذن لغيره ولهذا لم يثبت شعار
الا لابي اوفي فلم ينقل ان احدا قال لهم ذلك غير المصطفي لانه في كلامه بمعني
الدعا بالمغفرة وهذا مسلك حسن وقال اخرون لا يجوز ذلك استقلالا

فهو اعادة لقوله الجمهور لبقي به بقوله لان الصلاة علي غير الانبيا
قد صارت من شعار اهل الاهوا التابعين لما مالت اليه نفوسهم يصلون
علي من يعتقدون فيهم فلا يقتدي بهم في ذلك ولفظ الحافظ ويقوي
المنع بان الصلاة علي غير النبي صارت شعارا لاهل الاهوا يصلون علي من يعظمونه
من اهل البيت وغيرهم ثم اختلف المانعون من ذلك هل هو اي المنع من باب
التحريم او كراهة التنزيه او خلاف الاولي علي ثلاثة اقوال حكاها النووي
في كتاب الاذكار وحكاها غيره ايضا ثم قال والصحيح عليه الاكثرون
انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا عن شعارهم
قال عياض هو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال ابو عمران وانما احدثته
الرافضة والشيعة في بعض الايمة فشاركوهم عند ذكرهم بالصلاة وساووهم
بالنبي صلي الله عليه وسلم وايضا فان التشبيه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم
فيما التزموه من ذلك انتهي وقد روي اسمعيل بن اسحق في كتاب احكام القران
له باسناد حسن عن عمر بن عبد العزيز انه كتب اما بعد فان ناسا من الناس التمسوا
عمل الدنيا بعمل الاخرة وان ناسا من القصاص احدثوا في الصلاة علي خلفايهم
وامرايهم عدل الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم فاذا جاءك كتابي هذا
فمرهم ان تكون صلاتهم علي النبيين ودعاهم للمسلمين ويدعوا ما سوي
ذلك ثم اخرج عن ابن عباس باسناد صحيح قال لا تصلح الصلاة علي احد
الا علي النبي صلي الله عليه وسلم ولكن للمسلمين والمسلمات الاستغفار

الفصل الثالث

في ذكر اخبار دالة علي محبة اصحابه عليه الصلاة والسلام وذوي
قرابته واستعمله بمعني الاقارب جميعا مجازا واهل بيته وذريته
بضم الذال وكسرها اولاده واولادهم والالفاظ المذكورة متداخلة لا متباينة
قال الطبري اعلم ان الله تعالي لما اصطفي اي فضل نبيه صلي الله
عليه وسلم علي جميع من سواه من الانبيا والملايكة فعداه بعلي لانه ضمنه
معني فضل فلا يرد انه يتعدي بمن نحو اصطفيتك من كذا قاله السمين في ان
الله اصطفي ادم الاية وخصه بما عمه اي شمله به من عم الشي عموما
شمل من فضله الباهر الغالب علي غيره وحباه اعطاه بلا عوض
والمراد بما افاضه عليه من العطايا التي شملت جميع اجزايه حتي كان كل
جزء منه اختص بفضيلة قصرت عليه لا تتجاوزه الي غيره والباقي بما
داخلة علي المقصود اعلي رفع ببركته من انتمي انتسب اليه بان عد من
اتباعه نسبا كقرابة او نسبة كصحبه ومناصره ورفع من انطوي
انضم واجتمع عليه نصره وصحبه بحيث اشبه في ايصاله به طي
بعض اجزا الصحيفة علي بعض والزم مودة قرباه اي محبة اقربايه
كافة بريته جميع خلقه وفرض محبة جملة اهل بيته المعظم وذريته
بالاخذ في اسبابها باستحضار حقه صلي الله عليه وسلم علي حبهم والتودد

اليهم لا الاثم بترك المحبة لانها ليست اختيارية اما المبتلي بكراهة بعضهم
لمعنى فيه فيجب عليه السعي في اسباب محبته من حيث قربه عليه السلام
وان كره وقوع المعصية منه فقال تعالى قل لا اسالكم عليه اي التبليغ
والارشاد اجرا الا المودة في القربى اي تودوا قرابتي او ان تودوني
لقرابتي منكم وقيل الاستثنا منقطع والمعنى لا اسالكم اجرا قط ولكن اسالكم
المودة ثابتة في ذوي القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها
كما في حديث الحب في الله والبغض في الله قاله البيضاوي ولعل وجه الاستدلال
بها على وجوب محبة اهل القرابة وال البيت انه لما سالهم محبة قرابته دل على
اعتنائه بهم وقضية ذلك ايجابه علينا ويروى عند ابن ابي حاتم والطبراني
وابن مردويه عن ابن عباس انها لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك
هولا الذين نزلت فيهم الاية قال علي وفاطمة وابناهما قال الزين العراقي
في اسناده حسين الاشقر شيعي مختلف فيه وهذه الاية مكية ولم يكن
لفاطمة حينئذ اولاد انتهى وفي التقريب انه صدوق يهم ويغلو في التشيع
فان ثبت فقوله وابناهما اي اللذان سيولدا بعد ان يتزوجا فلا ينافي كون
الاية مكية بل في تفسير ابن عطية ان الاية مدنية فيصح بلا تكلف وقال
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم واصل
معناه القذر الدنس ثم استعير للاثم والذنب ووجه الاستشهاد بالاية ان من
طهره الله من الاثام احبه الله ورسوله ومن احباه لزمنا حبه وبره وصلته
وقد اختلف في المراد باهل البيت في هذه الاية فروى ابن ابي حاتم
عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت في نسا النبي صلى الله عليه
وسلم خاصة لا رجل معهم واريد بالبيت مساكن النبي صلى الله عليه وسلم
قاله ابن عطية وروى ابن جرير عن عكرمة انه كان ينادي في
السوق قصدا لاظهار الحق عنده انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت قال نزلت في نسا النبي صلى الله عليه وسلم
خاصة وكذا قال مقاتل ورد بان تذكير الضمير يأباه اذ لو اريد النسا فقط
لقيل عنكن ويطهركن قال الحافظ ابن كثير وهذا يعني ما في الاية نص
في دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم لانهن سبب نزول هذه
الاية اذ الخطاب فيما قبلها لهن وسبب النزول داخل فيه قولا واحدا
اما وحده على قول وعليه مشى هنا ابن عباس وعكرمة ومقاتل
او مع غيره على الصحيح ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وقيل
المراد النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينافيه قوله اهل البيت لان اهل
يطلق بمعنى آل وآل يطلق على الرجل نفسه كآل داود وآل ابي اوفى قال
عكرمة من شاء باهلته لاعنته بان يجعل اللعنة على الكاذب انها
نزلت في نسا ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ونسخة في
شان النبي تصحيف فالمنقول عن عكرمة ازواج قال ابن كثير فان كان

المراد

المراد انهن كن سبب النزول دون غيرهن فصحيح وان اريد انهن
المراد دون غيرهن ففي هذا نظر فانه قد ورد في ذلك احاديث
تدل على ان المراد اعم من ذلك هذا لفظ ابن كثير فسقط من قلم المصنف
او نساخه بعض الكلام وكان حقه تقديم قوله قال عكرمة من شاء باهلته
الى هنا على قوله وقيل المراد النبي صلى الله عليه وسلم فان ابن كثير لم يحكه
وقد اوهم تاخيره تعلقه بهذا القول حتى اقدم من لم يتامل على تصحيف
نسا بشان وما درى انه خلاف المروي عن عكرمة فروى الامام احمد
عن واثلة بمثلثة ابن الاسقع بالقاف ابن كعب الليثي صحابي مشهور
نزل الشام وعاش الى سنة خمس وثمانين ومات وله مائة وخمس سنين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جا ومعه علي وحسن وحسين
اخذ كل واحد منهما بيده برفع كل فاعل ان يكونا اخذين بيديه
صلى الله عليه وسلم متعلقين به والنصب مفعول اخذ اسم فاعل
والفاعل النبي بمعنى انه صلى الله عليه وسلم دخل قابضا بيديه عليهما
اخذا لهما في حالة دخوله حتى دخل فادنى قرب عليا وفاطمة
واجلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على
فخذه ثم لف عليهم ثوبه او قال واثلة كساه شك الراوي
والكسا مرط من شعر ثم تلا هذه الاية انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هولا اهل
بيتي واهل بيتي احق بالتطهير ممن عداهم زاد في رواية ابن جرير
لحديث واثلة المذكور فقلت وانا يا رسول الله من اهلك
قال وانت من اهلي قال واثلة وانها من ارجى ما اي الامور
التي ارجى وكانه جعل ما ترجاه قسمين احدهما اشد رجا من الاخر
وعبر بالرجا مع اخبار الصادق المصدوق به وخبره لا يتخلف مخافة
انه مقيد بصفة ترجى حصولها اي انت من اهلي ان فعلت كذا او دمت
على صفة كذا وعن ام سلمة هند بنت ابي امية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان في بيتها اذ جاءت فاطمة الزهرا
ببرمة بضم فسكون قدر من حجر فيها خزيرة بخا معجمة مفتوحة
ثم زاي مكسورة فتحتية ساكنة فرا ما يتخذ من الدقيق على هيئة
العصيدة لكنه ارق منها قاله الطبري وقال ابن فارس دقيق يخلط
بشحم وقال القتيبي وتبعه الجوهري لحم يقطع صغارا ويصب عليه ما
كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق فان لم يكن فيها لحم فهي عصيدة وقيل
مرقة تصفى من بلالة النخالة ثم تطبخ وقيل الخزيرة بالاعجام من
النخالة والحريرة بمهملات من اللبن انتهى من المقصد الثالث
ومر ان المعروف من الملك الدقيق بدل اللبن فدخلت عليه بها
فقال ادعي زوجك وابنيك وفي رواية جاءت فاطمة الى رسول

الله ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق فوضعتها بين يديه
فقال اين ابن عمك وابناك فقالت في البيت فقال ادعيهم فجاءت الى علي وقالت
اجب رسول الله انت وابناك قالت فجا علي وحسن وحسين فدخلوا عليه
فجعلوا ياكلون من تلك الحريرة وتحته كسا قالت ام سلمة وانا في الحجرة
اصلي فانزل الله عز وجل هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت فاخذ فضل الكسا فغشاهم به
ثم اخرج يده فالوى بها الى السما ومن رواية فلما راهم مقبلين مد
يده الى كسا كان على المنامة فمده وبسطه واجلسهم عليه ثم اخذ باطراف
الكسا الاربع بشماله فضمه فوق روسهم واوما بيده اليمنى الى ربه ثم قال
اللهم هولا اهل بيتي وحامتي بالحا المهملة والميم الثقيلة والفوقية
فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اي جنبهم المعاصي وما يشينهم
وادخالهم في الكسا وسترهم به اشارة الى قربهم منه وان الله سترهم كما
سترهم الكسا وانهم وانه صانهم واحرزهم بذلك كما حول رداه في الاستسقا
اشارة الى تبدل الحال عما هي فيه وانما دعى لهم بذلك بعد ذكر الله تعالى انه
يريد لهم ذلك وارادته تعالى لا تتخلف عن مراده تاكيدا وتنويها بقدرهم ليعلم
الناس به او المراد دوام ذلك وثباته وزيادته قالت ام سلمة فادخلت
راسي من البيت التي عبرت عنه قبل بالحجرة فقلت وانا معكم يا رسول
الله فقال انك سائقة او صايرة الى خير فلا يبعد عدك من اهل البيت
زاد في رواية انك من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية
انك على خير وفي اخرى انت على مكانك وانك على خير رواه احمد وفي
اسناده من لم يسم وبقية رجاله ثقات وقوله وحامتي بالتشديد
اي خاصتي قال المجد الحامة خاصة الرجل من اهله وولده وصريح هذا
الحديث ان نزول الاية وهم ياكلون فقوله في حديث واثلة فقبله ثم لف
عليهم ثوبه او كساه ثم تلا هذه الاية اي بعد ما نزلت وهم ياكلون فغشاهم
بالكسا فتلاها جمعا بينهما ولا بعد فيه فهو مدلول كل من الحديثين وعن ابي
سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انزلت هذه الاية في خمسة في بشد اليا يعني
نفسه صلى الله عليه وسلم وفي علي امير المومنين وحسن وحسين
الريحانتين وفاطمة سيدة نسا العالمين انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا بيان لقوله هذه الاية رواه
ابن جرير محمد الطبري ورواه احمد في المناقب والطبراني سليمان
ابن احمد وعن زيد بن ارقم بن زيد بن قيس الانصاري الخزرجي صحابي
مشهور اول مشاهده الخندق وانزل الله تصديقه في سورة المنافقين
مات سنة ثمان وستين قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطيبا بخم بما يدعى خما بين مكة والمدينة كما في مسلم وخم بضم الخا المعجمة

وشد

وشد الميم غدير على ثلاثة اميال من الجحفة يقال له غدير خم فحمد الله
واثنى عليه ووعظ وذكر كما في مسلم ثم قال اما بعد قال عياض كلمة
تستعملها الخطيب للفصل بين ما كان من حمد وثنا والانتقال الى ما يريد الكلام
فيه ويعوض عنها لفظتان هذا ولما كان كذا ايها الناس انما [illegible]
اعلم انما انا بشر وقوله مثلكم كذا في النسخ وليست في مسلم ولا في نقل
السيوطي عنه وعن احمد وعبد بن حميد فكان ذلك سبقة قلمه لحفظه القران
يوشك ان ياتيني رسول ربي عز وجل يعني ملك الموت فاجيب اي اموت
كنى عنه بالاجابة اشارة الى انه ينبغي تلقيه بالقبول كانه يجيب اليه
باختياره وانا تارك فيكم ثقلين تثنية ثقل وذكرها في مسلم سميا به
لعظم شانهما وشرفهما وقيل لثقل العمل بهما اولهما كتاب الله قدمه لاحقيته
بالتقديم فيه الهدى من الضلال اي ما يهتدى به المتمسك به والنور اي ما
يضي ثوابه على المتمسك به زاد في رواية احمد وغيره من استمسك به واخذ
به كان على الهدى ومن اخطاه ضل فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا
به وحث فيه ورغب فيه كذا في النسخ لفظ مسلم فخذوا بكتاب الله
واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه وعنده من وجه اخر عن زيد
مرفوعا الا واني تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله عز وجل هو حبل الله من اتبعه
كان على الهدى ومن تركه كان على الضلالة ثم قال وثانيهما اهل بيتي اذكركم
الله في اهل بيتي قال الطيبي اي احذركم الله في شان اهل بيتي فالتذكير
بمعنى الوعظ انتهى فهو بضم الهمزة وفتح المعجمة وشد الكاف من التذكير وفي
السنباطي اي اذكره لكم والمراد اقسم عليكم به فظاهره انه بفتح وسكون
من ذكر لكن ضبط بالاول في النسخ المعتمد عليها في المواضع الثلاثة وقوله
ثلاث مرات اختصار لقوله في مسلم اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في
اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي ثلاثا قال الحكيم الترمذي حض على التمسك
بهم لان الامر لهم معاينة فهم ابعد عن المحنة وهذا عام اريد به خاص وهم العاملون
منهم فخرج الجاهل والفاسق وهم بشر لم يعروا عن شهوات الادميين
ولا عصموا عصمة النبيين وكما ان كتاب الله ناسخ ومنسوخ فارتفع الحكم
بالمنسوخ كذلك ارتفعت القدوة بغير علمائهم العظا وحث على الوصية
بهم لما علم بما سيصيبهم بعده من البلايا والرزايا انتهى وكرره ثلاثا
للتاكيد قال الفخر الرازي جعل الله اهل بيته مشاركين له في خمسة اشيا
في المحبة والصدق [illegible] وتحريم الصدقة والطهارة والسلام والصلاة
ولم يقع ذلك لغيرهم فقيل لزيد بن ارقم ولفظ مسلم فقال له حصين
ومن اهل بيته يا زيد اليس نساوه من اهل بيته بلى ان كذا
في النسخ وليست في مسلم لفظة بلى انما قال نساوه من اهل
بيته وقد صحفت في بعض النسخ بلى ان نساوه من اهل بيته وكذلك
ضبط يخالف لما في مسلم وبلى لرد النفي وقد تستعمل بمعنى نعم وهو يحتمل تقديم

ثبوته المناسب لقوله ولكن اهل بيته من حرم بضم الحا وتخفيف الرا
الصدقة اي الزكاة بعده وهم بنو هاشم والمطلب عند الشافعي وقال
مالك بنو هاشم فقط وقيل بنو قصي وقيل قريش كلها قاله النووي
وما يوجد في بعض نسخ المواهب من زيادة عليهم بعد حرم لا وجود لها في
مسلم وهي مخالفة لضبط النووي وقال القاضي عياض يعني ان نساه من
اهل مسكنه وليس المراد بالاية وانما المراد الذين حرموا الصدقة بعده يعني
الذين منعتهم ملوك بني امية صدقته التي خصه الله بها وكانت تفرق
عليهم في ايامه وايام الخلفا الاربعة لقوله بعده وزيد عاش حتى ادرك
ذلك لانه مات سنة ثمان وستين ويحتمل ان يعني الذين حرموا الزكاة
التي هي اوساخ الناس وقد جا ذلك عن زيد مفسرا في غير هذا الحديث
قيل اي قال حصين من هم قال ال علي وال جعفر وال عقيل
بفتح فكسر اولاد ابي طالب وال العباس بن عبد المطلب قال حصين
كل هولا حرم الصدقة وزيادة عليهم بعد حرم في نسخ لا وجود لها
في مسلم قال زيد نعم قال عياض فيه حجة لمالك في قصره المنع على
بني هاشم لانه لم يذكر سواهم وادخل الشافعي معهم بني المطلب لحديث
انما نحن وبنو المطلب شي واحد ومال اليه بعض شيوخنا خرجه مسلم
في فضايل اهل البيت من صحيحه وخرجه احمد وغيره ولمسلم من وجه
اخر فقلنا اي لزيد من اهل بيته نساوه قال لا وايم الله ان المراة تكون
مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى ابيها وقومها اهل بيته
وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده قال النووي فهذان الروايتان
ظاهرهما التناقض والمعروف في معظم الروايات في غير مسلم ان زيدا
قال نساوه لسن من اهل بيته فتتاول الرواية الاولى على ان المراد انهن
من اهل بيته الذين يساكنونه ويعولهن وامر باحترامهن واكرامهن
وسماهم ثقلا ووعظ في حقوقهن وذكر فنساوه داخلات في هذا
كله ولا يدخلن فيمن حرم الصدقة وقد اشار لهذا في الرواية الاولى
بقوله نساوه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم الصدقة فاتفقت
الروايتان قال وقوله في الرواية الاخرى فقلنا نساوه من اهل
بيته قال لا دليل لابطال قول من قال هم قريش كلها فقد كان في نسايه
قرشيات عايشة وحفصة وام سلمة وسودة وام حبيبة انتهى
والثقل محرك اي تحمل بفتح المثلثة والقاف كما في القاموس كل شي
نفيس مصون قال ومنه الحديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب
الله وعترتي سماهما ثقلين لنفاستهما وفي المعلم للمازري قال ثعلب
سماهما ثقلين لان العمل والاخذ بهما ثقيل والعرب تقول لكل شي نفيس
فسماهما ثقلين لعظمهما انتهى وذكر بعضهم انه تشبيه بليغ اي كالثقلين
الانس والجن وهو تكلف لا حاجة اليه وهي اي العترة بكسر العين

المهملة وسكون المثناة الفوقية فراءها تانيث الاهل والنسل
والاقارب كما ياتي والاخذ بهذا الحديث احري احق واولي وليس المراد
بالاهل الازواج الطاهرات بزهم بالميم للتعظيم في جمع الاناث مع اله
المذكورين ولا يشك من تدبر القران تامله ان نسا النبي صلي الله عليه
وسلم داخلات في الاية الكريمة فان سياق الاية الكريمة معهن
والمخاطبة لهن بقوله يا نسا النبي الخ ولهذا قال بعد هذا كله واذكرن
ما يتلي في بيوتكن من ايات الله والحكمة القران والحكمة سنة الله على
لسان نبيه دون ان تكون في قران متلو ويحتمل ان تكون وصفا للايات
فهذه الاية تعطي ان نساه من اهل البيت وعلي قول الجمهور هي ابتدا مخاطبة
امر الله تعالي ازواجه صلي الله عليه وسلم علي جهة الموعظة وتعديد النعمة
بذكر ما يتلي في بيوتهن ولفظ ذكر يحتمل مقصدين كلاهما موعظة وتعديد
نعم احدهما تذكرنه واقدرن قدره وفكرن في ان من هذه حاله ينبغي
ان يحسن افعالكن الاخر اذكرن بمعني احفظن واقرانه والزمنه كانه قيل
احفظن اوامر الله ونواهيه وذلك هو الذي يتلي في بيوتكن من ايات الله و
الحكمة وذلك مودي الي الاستقامة وفي قوله ان الله كان لطيفا تانيس
وتعديد نعم اي لطيف لكن في هذه النعمة وفي قوله خبيرا تحذير ما قاله
ابن عطية رحمه الله تعالي وهذا القول بعمومه للزوجات مع الال م
اختيار عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عبد الرووف بن تمام بن عبد الله
ابن عبد الله بن تمام بن خالد ابن عطية بن خالد بن خفاف المحاربي الغرناطي
نزل جده الاعلي عطية بن خالد بن عما قرية من غرناطة فانسل كثيرا
لهم قدر وفضل فاشتهر ولد ابن عطية كان ابو محمد عبد الحق فقيها عالما
بالتفسير والاحكام والحديث والنحو والادب واللغة مفيد الحسن التقييد
غاية في الدهاء والذكاء روي عن ابيه غالب احد الحفاظ وابي علي الغساني
والصدفي وخلق كثير ضمنهم برنامجه والف الوجيز في التفسير فاحسن
فيه وابدع وطار بحسن نيته كل مطار ولد سنة احدي وثمانين واربعماية
ومات سنة ست واربعين وخمس ماية بعد ان نقل عن الجمهور انهم
اي ال البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وقال في ذلك احاديث
ونقل منها حديث ابي سعيد نزلت هذه الاية في خمسة الحديث السابق
قال وحجة لفظه ومن حجة الجمهور قوله تعالي ويطهركم بالميم ولو كان
للنسا خاصة لقال عنكن ويطهركن حيث قال اعني ابن عطية بعد هذا
والذي يظهر لي ان زوجاته لا يخرجن عن ذلك البتة فاهل البيت زوجاته
وبنته وبنوها وزوجها وهذه الاية تقتضي ان الزوجات من اهل
البيت لان الاية فيهن والمخاطبة لهن زاد المصنف واجيب عن احتجاج
الجمهور بالاية بان الخطاب بلفظ التذكير وقع علي سبيل التغليب
علي قاعدة اجتماع مذكر ومونث فيغلب المذكر فيكون المراد به كالمراد

بالاول في حديث كيفية الصلاة عليه السابق ذكره على من له
من عترته اي الال به اي بالازواج مع الذرية كما قدمته مع غيره قريبا على
الفصل السابق وهو الثاني الذي قبل هذا والله اعلم بالحق من ذلك ولله
در القايل وينسب للامام الشافعي

• يا آل بيت رسول الله حبكم • فرض من الله في القران انزله •
• يكفيكم من عظيم الفخر انكم • من لم يصل عليكم لا صلاة له •

اي كاملة لطلب الصلاة عليهم في التشهد واخرج احمد عن ابي سعيد
الخدري معنى حديث زيد بن ارقم السابق قريبا مرفوعا بلفظ اني
اوشك ان ادعى الى لقاء ربي فاجيب واني تارك فيكم بعد وفاتي الثقلين
الرواية ثقلين بدون ال وفي رواية خليفتين زاد في اخرى احدهما اعظم
من الاخر كتاب الله بدل مما قبله مفسر له حبل ممدود من السما الى الارض
وفي رواية ما بين السما والارض قال بعض شراحه اي فيما نظر فيه الى
تعداده في الى سموتطاوله وانتشاره في اهل الارضين والسموات اذ ال
فيهما جنسية وفي رواية لمسلم هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى
ومن تركه كان على الضلالة قيل المراد بحبل الله عهده وقيل السبب الموصل
الى رضاه ورحمته وقيل نوره الذي يهدي به وقيل فيه قوله تعالى
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا معناه بعهده وقيل اتباع القران
وتركه الفرقة وعترتي اهل بيتي تفصيل بعد اجمال بدل او بيان
يعني ان ائتمرتم باوامر كتاب الله وانتهيتم بنواهيه واهتديتم بهدي
عترتي واقتديتم بسيرتهم اهتديتم فلم تضلوا وعند الترمذي من حديث
زيد بن ارقم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي احدهما
اعظم من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السما الى الارض وعترتي اهل
بيتي وان اللطيف المنعم عليكم بهذه النعمة العظيمة الخبير فيه تحذير
مني عن مخالفتها اخبرني انهما لن وفي رواية لن تفترقا اي تستمرا متلازمين
حتى تردا علي الحوض يوم القيامة زاد في رواية كهاتين واشار
باصبعيه ولا ينافي هذا رفع القران من المصاحف والصدور قرب
الساعة لبقاء موجبه وهو الاسلام فنتفي ببقايه احكام القران
لسطلبها من المكلفين حتى تقوم الساعة فكونت اهل بيته العاملين
ينتفي ببقايه فكان القران باق وفي هذا مع قوله اني تارك فيكم
تلويح بل تصريح بانهما كتوامين خلفهما ووصى امته بحسن معاملتهما وايثار
حقهما على انفسهما والتمسك بهما في الدين اما الكتاب فلانه معدن العلوم
الدينية والاسرار والحكم الشرعية وكنوز الحقايق وخفايا الدقايق واما
العترة فلان العنصر اذا طاب اعان على فهم الدين فطيب العنصر يودي الى
حسن الاخلاق ومحاسنها يودي الى صفا القلب ونزاهته وطهارته واكد
تلك الوصية وقواها بقوله فانظروا بما تخلفوني فيهما بعد

وفاني

وفاني هل تتبعونهما فتسروني او لا فتسروني او لا فتسوءوني قال القرطبي
وهذه الوصية وهذا التاكيد العظيم يقتضي وجوب احترام اله وبرهم
وتوقيرهم ومحبتهم وجوب الفرايض التي لا عذر لاحد في التخلف عنها هذا
مع ما علم من خصوصيتهم به صلى الله عليه وسلم وبانهم جزء منه كما قال فاطمة
بضعة مني ومع ذلك فقابل بنو امية عظيم هذه الحقوق بالمخالفة والعقوق
فسفكوا من اهل البيت دماهم وسبوا نساهم واسروا صغارهم وخربوا
ديارهم وجحدوا شرفهم وفضلهم واستباحوا سبهم ولعنهم فخالفوا وصيته صلى
الله عليه وسلم وقابلوه بنقيض قصده فوا خجلتهم اذا وقفوا بين يديه
ويا فضيحتهم يوم يعرضون عليه انتهى فالوصية ببر ال البيت على الاطلاق
واما الاقتدا فانما يكون بالعلما العاملين منهم اذ هم الذين لا يفارقون القران
اما نحو جاهل وعالم مخلط فاجنبي من هذا المقام وانما ينظر للاصل والعنصر
عند التحلي بالفضايل والتخلي عن الرذايل فاذا كان العلم النافع في غيرهم
لزمنا اتباعه كاينا من كان قال الشريف السمهودي هذا الخبر يفهم وجود من
يكون اهلا للتمسك به من عترته في كل زمن الى قيام الساعة حتى يتوجه
الحث المذكور على التمسك به كما ان الكتاب كذلك فلذا كانوا امانا لاهل الارض
فاذا ذهبوا ذهب اهل الارض وعترة الرجل كما قال الجوهري اهله ونسله
ورهطه الادنون اي الاقارب فيشمل ذلك العباس واولاده واولاد ابي
طالب وغيرهم كما ياتي وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه يا ايها الناس
ارقبوا بضم الهمزة قال المصنف وفي اليونينية بالوصل وسكون الميم وضم
القاف موحدة محمدا في اهل بيته رواه البخاري عن ابن عمر عن ابي
بكر في المناقب والمراقبة للشي المحافظة عليه تقول احفظوهم لفظ
الفتح احفظوه فيهم فلا تؤذوهم ولا تسيؤوا اليهم وقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه ايضا كما في البخاري ايضا في المناقب وغيرها عن
عايشة عنه لقرابة اي لصلة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
او التقدير بر صلتهم احب الي ان اصل من صلة قرابتي فلا بد من التقدير
ليصح الاخبار وفي الصحاح القرابة القربى في الرحم وهو في الاصل
مصدر تقول بيني وبينه قرابة وقرب وهو قريبي وذو قرابتي زاد
القاموس ولا تقل قرابتي ويرده نطق الصديق به وهذا قاله على سبيل
الاعتذار لفاطمة عن منعه اباها ما طلبته منه تركة النبي صلى الله
عليه وسلم كذا قاله الحافظ في المناقب ومراده فقاله لعلي لاجل منعه لفاطمة
لانه انما قال ذلك بعد موتها ففي البخاري في غزوة خيبر عن عايشة ان فاطمة
ارسلت الى ابي بكر تساله ميراثها من رسول الله مما افا الله عليه بالمدينة
وفدك وما بقي من خمس خيبر فقال ابو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا نورث ما تركناه صدقة الحديث وفيه فوجدت فاطمة على ابي بكر
فهجرته فلم تكلمه حتى ماتت وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة

اشهر فلما توفيت دفنها علي ليلا ولم تؤذن بها ابا بكر الي ان قال فارسل
علي الي ابي بكر ان ائتنا وحدك فدخل عليهم ابو بكر فقال علي انا عرفنا فضلك
وما اعطاك الله ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله اليك ولكنك استبددت
علينا بالامر اي لم تشاورنا في امر الخلافة وكنا نرى لقرابتنا من رسول
الله نصيبا حتي فاضت عينا ابي بكر وقال والذي نفسي بيده لقرابة رسول
الله احب الي من اهلي ومن قرابتي الحديث قال في فتح الباري انما غضبت مع
احتجاج ابي بكر بالحديث المذكور لاعتقادها تاويله علي خلاف ما تمسك به ابو
بكر فكانها اعتقدت تخصيص عموم قوله لا نورث ورات ان منافع ما خلفه من ارض
وعقار لا يمتنع ان يورث عنه وتمسك ابو بكر بالعموم واختلفا في امر محتمل للتاويل
فلما صمم ابو بكر علي ذلك انقطعت عن الاجتماع به وقد قال بعض الائمة انما
كان هجرها انقباضا عن لقائه والاجتماع به وليس ذلك من الهجران المحرم لان
شرطه ان يلتقيا فيعرض هذا ويعرض هذا وقد روي البيهقي عن الشعبي ان ابا بكر
عاد فاطمة فقال لها علي ابو بكر يستاذن عليك فقالت اتحب ان اذن له قال نعم
فاذنت له فدخل عليها فترضاها حتي رضيت وهو وان كان مرسلا فاسناده
صحيح والاخلق بالامر ان يكون كذلك لما علم من وفور عقلها ودينها رضي
الله عنها انتهي وقد جري حصل ذلك منه من ابي بكر علي موجب الايمان
بكسر الجيم اسم فاعل من اوجب كذا اثبته اي علي الوجه الذي يحقق الايمان
ويثبته لانه عليه الصلاة والسلام شرط الاحبية فيه علي النفس
والمال والولد كما ذكرته في الفصل الاول من هذا المقصد يعني قوله
صلي الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتي اكون احب اليه من والده وولده
والناس اجمعين ومر بسط الكلام عليه ثمة ثم انه صلي الله عليه وسلم
اثبت لاقاربه ما اثبت لنفسه من ذلك فقال في حديث من احبهم فبحبي
احبهم فبسبب حبه لي احبهم لقربهم لي وحثنا علي ذلك شفقة حنوا
وعطفا منه علينا مخافة ان يبغضهم او تقع فيهم بشي فنهلك صلوات
الله وسلامه عليه وعليهم وذكر الحافظ جلال الدين بن جمال الدين الزرندي
انه جاء مرفوعا من احب ان ينسا له في اجله وان يمتع فيما خوله الله تعالي
فليخلفني في اهلي خلافة حسنة فمن لم يخلفني فيهم بتر عمره وورد علي يوم
القيامة مسودا وجهه ولقد احسن القائل الشيخ محيي الدين بن عربي

رايت ولائي آل طه فريضة • علي رغم اهل البعد يورثني القربا
فما طلب المبعوث اجرا علي الهدي • بتبليغه الا المودة في القربا

ولائي بفتح الواو وقربي ودنوي وفي الترمذي في المناقب وقال
حسن غريب وصححه الحاكم واقره الذهبي عن ابن عباس مرفوعا
احبوا بفتح الهمزة وكسر الحاء الله وجوبا لما يغذوكم بفتح وسكون
الغين وضم الذال المعجمتين به من نعمه بيان لما وسقطت من بعض النسخ
سهوا من الكاتب والافهي ثابتة في الترمذي اي لاجل انعامه عليكم

بصنوف النعم وضروب الالاء الحسية كتيسير ما يتغذي به من الطعام والشراب
والمعنوية كالتوفيق والهداية ونصب اعلام المعرفة وخلق الحواس وافاضة
انوار اليقين علي القلب وغير ذلك من الاغذية الروحانية المعلوم تفصيلها
عند علماء الاخرة قال بعضهم امر بمعني الخبر وليس بعزيز نحو حديث وجدت الناس
اخبر تقله فالمراد انما يحبونه لانه انعم عليكم فاحبكم فاحببتموه كذا قال واحبوني
بحب الله لي لموضع محبتي فيكم كما يصرح به خبر اذا احب الله عبدا نادي جبريل
الحديث والمحبة اذا كانت بشرط النعمة كانت معلولة ناقصة وكان مرجعها
الي حظ المحب لا الي المحبوب والنعم كلها وجلها ملاذ النفوس ومن احب اللذة
تغير عند المكروه بعدمها وفوت حظ النفس منها الا تري ان محبة زليخا ليوسف
لما كانت بشهوة اثرت المه علي المها عند فوات حظها منه واما النسوة
ففنين عن حظوظ انفسهن فقطعن ايديهن بلا احساس واحبوا اهل بيتي
بحبي بسبب حبي لهم اي انما تحبونهم لاني احببتهم لحب الله لهم وقد يكون امرا
بحبهم لان محبتهم تصديق بمحبتهم للنبي صلي الله عليه وسلم قل لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربي وفي المناقب لاحمد من ابغض اهل
البيت فهو منافق نفاقا عمليا فان كان من حيث كونهم من ال البيت
فهو حقيقي وروي ابن اسعد من صنع لاحد من اهل بيتي
معروفا فعجز عن مكافاته بان تركها في الدنيا سوا كان ذلك لعجز
او مع القدرة عليها ولم يفعل فاستعمل العجز في لازمه وهو الترك
بدليل رواية فلم يكافيه فانا المكافي له يوم القيامة يوم الفزع
الاكبر ونعم المنا ونعم المكافي في محل الاضطرار وفيه دلالة علي مزيد
عنايتهم له عوضا لمن فرج عنهم اولبالهم دعوة او انا لهم طلبة والمراد
بالقرابة من ينتسب الي جده الاقرب وهو عبد المطلب
لقوله صلي الله عليه وسلم من صنع الي احد من ولد عبد المطلب
يدا فلم يكافيه بها في الدنيا فعلي مكافاته غدا اذا لقيني رواه
الطبراني في الاوسط عن عثمان رضي الله عنه فخرج بذلك الي من
انتسب الي من فوق عبد المطلب كاولاد عبد مناف او الي من يساويه
كاولاد هاشم اخوة عبد المطلب او انتسب له ولا صحبة له ولا رؤية ولعله
ليس بمراد ممن صحب النبي صلي الله عليه وسلم منهم اعم من
ذكر او انثي وهو علي واولاده الحسن والحسين ومحسن
بميم مضمومة فحا مفتوحة فسين مكسورة مشددة مهملتين
وام كلثوم زوج عمر بن الخطاب ومات عنها قبل بلوغها فتزوجها
عون بن جعفر ثم مات فتزوجت باخيه محمد ثم مات فتزوجها
اخوهما عبد الله ثم ماتت عنده ولم تلد لواحد من الثلاثة
سوي لمحمد ابنة ماتت صغيرة فلا عقب لام كلثوم كما قدم المصنف
في المقصد الثاني من فاطمة رضي الله عنها كذا اقتصر عليه

في الفتح وزاد في الاصابة اولادًا ثلاثة زينب وقال انها ولدت في الحياة
النبوية وزاد بعضهم رقية ولم يذكرها في الاصابة ونفيسة اولاد علي
محمد الاكبر ابن الحنفية خولة بنت جعفر وعبيد الله قتله المختار وعثمان
وجعفر وعبد الله قتلوا مع الحسين امهم ام البنين بنت حزام ومحمد
الاصغر امه ام ولد قتل مع الحسين ويحيي وعون امهما اسما بنت عميس
وعمر الاكبر ورقية امهما الصهباء تغلبية ومحمد الاوسط امه امامة
بنت ابي العاص وام الحسن ورملة الكبري امهما ام سعيد بنت عروة
وام هاني وميمونة وزينب الصغري ورملة الصغري وام كلثوم الصغري
وفاطمة وامامة وخديجة وام الكرام وام سلمة وام جعفر وجمانة
ونفيسة وهن لامهات شتي وابنة اخري لم يذكر اسمها ماتت صغيرة
فهولاء الذين عرفناهم من ولد علي قاله في التلقيح وجعفر بن ابي
طالب واولاده عبد الله وعون ومحمد وامهم اسما ايضا
قاله الواقدي قال في التبصير والمشهور انه اول من تسمي
به بعد النبي صلي الله عليه وسلم احمد والد الخليل وعقيل بن
ابي طالب وولده مسلم بن عقيل قتل قبل الحسين وحمزة
ابن عبد المطلب واولاده يعلي وعمارة وبهما ذكر انه
وبهما كان يكني وقيل عمارة انثي وضعف وامامة انثي وهذا
هو الاشهر في اسمها من سبعة اقوال وله ايضا من الذكور
عامر وروح ذكره ابن سعد وعمرو بن حمزة ذكره الكلبي وقال مات
صغيرا ومن النسا ام الفضل وفاطمة وقيل هما واحدة ولم يعقب
حمزة الا من يعلي فوله خمسة رجال من صلبه عمارة والفضل والزبير
وعقيل ومحمد لكنهم ماتوا ولم يعقبوا والعباس بن عبد المطلب
واولاده الذكور العشرة وهم الفضل اكبرهم وكان جميلا وبه
يكني وثبت يوم حنين ومات سنة ثمان عشرة شهيدا باجنادين
وعبد الله وهو اعلمهم مات بالطايف وقثم بضم القاف وفتح
المثلثة المفتوحة كان اخر الناس عهدا بالمصطفي وولي مكة
لعلي ثم سار ايام معاوية الي سمرقند فاستشهد بها وقبره بها وعبيد
الله بضم العين وكان سخيا جوادا مات باليمن والاربعة من ام
الفضل والحارث وامه من هذيل ومعبد وعبد الرحمن
وماتا بافريقية وهما من ام الفضل وكثير امه ام ولد ومات
بالمدينة ودفن بالبقيع وعون بالنون قال ابو عمر لم اقف علي
اسم امه وتمام وتمام شقيق كثير وبه يقول العباس
رضي الله تعالي عنه •

• تموا بتمام فصاروا عشرة • يا رب فاجعلهم كراما بررة
زاد ابو عمرو واجعل لهم ذكرا وانم الثمرة وقال ان تماما اصغرهم

وان

• وان العباس كان يقول ذلك وهو يحمله وفي الاصابة عباس
ابن عباس بن عبد المطلب ذكره ابو الفتح الازدي فيمن وافق اسمه
اسم ابيه وكانه اصغر ولد العباس وقال تموا بتمام فصاروا عشرة
انتهي يعني فان ثبت وكانه ولد بعد تمام ويقال لكل منهم روية
للنبي صلي الله عليه وسلم وللفضل وعبد الله وعبيد الله سماعا
ورواية ويقال لقثم سماع ولا يصح قاله ابن السكن وغيره
وكان له من الاناث ام حبيبة بها وبدونها وهو اشهر ذكرها
ابن سعد في الصحابة امها ام الفضل وعند ابن اسحق ورواية يونس
نظر صلي الله عليه وسلم الي ام حبيب بنت العباس تدب بين يديه
فقال لين بلغت هذه وانا حي لاتزوجنها فقبض قبل ان تبلغ فتزوجها
الاسود المخزومي وامنة لها روية وصفية واكثرهم من لبابة
بضم اللام وموحدتين خفيفتين بنت الحارث الصحابية الشهيرة
وهم السبعة الذين علمتهم ومعتب بضم الميم وفتح المهملة وفوقية
مكسورة ثقيلة وقد تخفف وموحدة ابن ابي لهب واخوه عتبة
بضم فسكون صحابيان اسلما في الفتح والعباس بن ابي لهب
صوابه ابن عتبة بن ابي لهب كما في الاصابة وغيرها وكان زوج
امنة بنت عم ابيه العباس قال في الاصابة امنة بنت العباس
ابن عبد المطلب الهاشمية ذكرها الدارقطني في الاخوة وقال
تزوجها العباس بن عتبة بن ابي لهب فولدت له الفضل بن العباس
الشاعر المشهور وعبد الله بن الزبير بضم الزاي عند الاكثر وبفتحها
عند احمد بن يحيي البلاذري بن عبد المطلب الهاشمي وامه عاتكة
بنت ابي وهب المخزومي ممن ثبت يوم حنين ويروي انه اتي
النبي صلي الله عليه وسلم فاكساه حلة واقعده الي جنبه
وقال انه كان ابن امي وكان ابوه بي برا ويقال ان اباه الزبير
كان يرقصه صلي الله عليه وسلم ويقول •

محمد بن عبدم • عشت بعيش انعم • في عز فرع اشيم •

استشهد باجنادين سنة ثلاث عشرة برز له رومي فقتله عبد
الله ثم اخر فقتله ثم وجد في المعركة قتيلا وحوله عشرة من الروم
قتلا واخته شقيقته ضباعة بضم المعجمة وموحدة وكانت
زوجة المقداد بن الاسود الصحابي الشهير فولدت له
عبد الله وكريمة قال الزبير بن بكار لم يكن للزبير عقب الا من
ضباعة واختها ام الحكم شقيقتها وقتل ابنها عبد الله يوم الجمل
مع عايشة وروت ضباعة عن النبي صلي الله عليه وسلم
وعن زوجها المقداد وعنها ابن عباس وعايشة وبنتها
كريمة وغيرهم وابو سفين بن الحارث بن عبد المطلب

قال جماعة اسمه المغيرة وقيل اسمه كنيته والحارث اخوه اسلم في
الفتح وثبت يوم حنين وكان يشبه المصطفي واخاه من رضاع حليمة
روي عنه حديث لا تقدس الله امة لا ياخذ الضعيف فيها حقه من
القوي اخرجه الدارقطني وابن قانع باسناد صحيح لكن فيه راو لم يسم
مات سنة خمس عشرة او عشرين وصلي عليه عمر وابنه جعفر اسلم مع
ابيه وشهد حنينا ولازم المصطفي حتي قبض وامه جمانة بنت ابي
طالب ومات بدمشق سنة خمسين ثم نوفل بن الحارث بن عبد
المطلب قال الزبير بن بكار كان اسن من اسلم من بني هاشم حتي من
عميه حمزة والعباس وذكر ابن اسحق انه صلي الله عليه وسلم اخي بينه
وبين العباس مات لسنتين مضتا من خلافة عمر فمشي في جنازته وسقط
من غالب نسخ المصنف واسمه جعفر ونوفل بن عبد المطلب وهما مذكوران
في الفتح ويلزم علي سقوطهما خطا قبيح لانه يلزم عليه ان المغيرة
والحارث ابنا ابي سفين وان بنيه جعيدة ولبنى لكن لك فالصواب
اثباتهما ليصح قوله وابناه اي ابنا نوفل المغيرة قال ابو عمر ولد
قبل الهجرة وقيل بعدها باربع سنين ذكره ابن شاهين في الصحابة
واخرج عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم من لم يجد عدلا ولم يدم جورا
تعدبا رز الله بالمحاربة قال ابن شاهين غريب ولا اعلم للمغيرة غيره
وذكر ابن حبان في ثقات التابعين قال الحافظ والراجح انه صحابي وكان
قاضيا بالمدينة في خلافة عثمان ثم كان مع علي في حروبه والحارث بن
نوفل الهاشمي له صحبة ورواية وولاه صلي الله عليه وسلم بعض اعمال
اعمال مكة واقره الشيخان وعثمن ثم انتقل الي البصرة وبني بها دارا ومات
بها في اخر خلافة عثمان وقيل مات زمن معاوية ولعبد الله بن الحارث
ابن نوفل هذا رؤية من النبي صلي الله عليه وسلم ونسخ ولهند بنت الحارث
خطا انما هند ام عبد الله قال البغوي لما ولد ارسلت به امه هند بنت ابي
سفين بن حرب الي اختها ام حبيبة فقالت يا رسول الله هذا ابن اختي
فحنكه وتفل في فيه وكذا قال ابن سعد ويقال كان سنه عند موته
صلي الله عليه وسلم سنتين وكان يلقب ببه بموحدتين الثانية ثقيلة
روي عن النبي صلي الله عليه وسلم مرسلا وعن ابيه وعن العباس وعمر
وعلي وابن مسعود وام هاني وغيرهم وعنه جماعة واتفقوا علي توثيقه
وكان ظاهر الصلاح له رضي في العامة قال ابن سعد مات بعمان سنة
اربع وثمانين وقال ابن حبان مات بالابواء قتله السموم سنة تسع
وسبعين وقال غيره ان الذي مات بالسموم ابنه عبد الله بن عبد الله
واميمة بضم الهمزة وفتح الميمين بينهما تحتية ساكنة ثم تاء تانيث
وامها صفية بنت جندب واروي وعاتكة وهما شقيقتا عبد الله
والده صلي الله عليه وسلم وصفية ام الزبير وامها هالة بنت وهيب

في

فهي شقيقة حمزة وذكر المصنف في المقصد الثاني ان جملة بنات عبد المطلب
ست فزاد برة والبيضا وهي ام حكيم وقال انها شقيقتان لوالده صلي
الله عليه وسلم وانه اختلف في اسلامهما ايضا اسلمت صفية وصحت
باتفاق وفي الثلاث بل الخمس الباقيات خلاف تقدم بسطه في العمات
والله اعلم بالحق من ذكر وفي البخاري في المناقب والمغازي ومسلم في
الفضايل من حديث سعد بن ابي وقاص ما ذكر الزهري ان النبي صلي
الله عليه وسلم قال لعلي لما استخلفه علي المدينة من غزوة تبوك فسمع
ناسا يقولون انما خلفه لشي كرهه منه فلحقه فذكر له ذلك فقال انت مني
بمنزلة هارون من موسي لفظ مسلم ولفظ البخاري في المغازي وهو لمسلم
ايضا عن سعد ان رسول الله صلي الله عليه وسلم خرج الي تبوك واستخلف
عليا فقال اتخلفني في الصبيان والنسا قال الا ترضي ان تكون مني بمنزلة
هرون من موسي الا انه لا نبي بعدي وفي لفظ لهما ايضا مسلم في
الفضايل والبخاري في المناقب عن سعد قال قال النبي صلي الله عليه وسلم
لعلي اما بفتحة الميم ترضي ان تكون مني بمنزلة هرون من موسي
فقال علي رضيت اخرجه احمد اي نازلا مني منزلة هارون من موسي
والبا زايدة كما في الفتح في شرح اللفظ الثاني ويجوز ان يكون بمعني
في ويتعذر ان يكون مثل ذلك في اللفظ الاول وهو ابين وان اصله منزلتك
من منزلة هارون اي كمنزلته من موسي فحذف المضاف فانفصل الضمير
ولم يقطع النظر عن المضاف المحذوف وقال الطيبي في شرح المشكاة قوله
مني خبر المبتدا او من اتصالية ومتعلق الخبر خاص والبا زايدة كما في قوله
تعالي فان امنوا بمثل ما امنتم به اي فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم ومعني
الحديث انت متصل بي نازل مني منزلة هارون من موسي بيان
لمعني الاتصال الذي قدره وفيه تشبيه مبهم بينه بقوله الا انه لا نبي
بعدي فعرف ان الاتصال المذكور بينهما ليس من جهة النبوة بل
من جهة ما دونها وهو الخلافة وبه يزول ابهام الحديث فتقديره
انت مني في الخلافة ولما كان هارون المشبه به انما كان خليفة في
حياة موسي دل ذلك علي تخصيص خلافته اي علي للنبي صلي الله
عليه وسلم حياته فلا دلالة فيه علي استحقاق الخلافة بعده دون
غيره والله اعلم الي هنا كلام الطيبي وذكر المصنف جوابا اخر بقوله
واما ما استدل به علي استحقاق علي للخلافة دون غيره من
الصحابة كما تمسك بذلك الروافض وساير فرق الشيعة علي الخلافة
لعلي وانه اوصي له بها فان هارون كان خليفة موسي وكفرت
الروافض ساير الصحابة بتقديم غيره وزاد بعضهم فكفر عليا لانه لم يقم
في طلب حقه فاجيب بان هرون لم يكن خليفة موسي الا في حياته
لا بعد موته لانه مات قبل موسي باتفاق بنحو اربعين سنة كما قال المصنف

والسيوطي وفي الانوار الاكثر على ان موسى وهارون ماتا في التيه وان موسى
بعد هارون بسنة وفي نور النبراس عن بعض الهوامش توفي موسى بعد هرون
بنحو خمسة اشهر اشار الي ذلك الخطابي فلا متمسك فيه لزعمهم وفي مسلم
والترمذي عن سعد بن ابي وقاص ان معوية قال له ما منعك ان تسب ابا تراب
قال اما ما ذكرت ثلاثا قالهن له صلى الله عليه وسلم فلن اسبه لان تكون لي واحدة
منهن احب الي من حمر النعم سمعته يقول له اما ترضى ان تكون مني بمنزلة
هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي اي لا نبوة بعدي وسمعته يقول يوم خيبر
لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاولنا لها فقال
ادعوا لي عليا فاتي به ارمد فبصق في عينيه ودفع الراية اليه ففتح الله عليه
ولما نزلت هذه الاية تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هولاء اهلي قال المازري وغيره ليس
فيه تصريح بانه امره بسبه وانما ساله عن المانع وقد سال عنه من لا يجيز سبه
وقد يكون معاوية راي سعدا بين قوم يسبونه ولم يمكنه الانكار فقال ما منعك
ليستخرج جوابه عن المصطفى بما ذكر فيكون حجة له على من سبه من غوغا جنده
ويحصل له المطلوب على لسان غيره من الصحابة او المعنى ما منعك ان تبين
للناس خطاه وان ما انا عليه اصوب ويسمى هذا سبا عرفا قال القرطبي
والتصريح بالسب وقبيح القول انما كان يفعله جهال بني امية وسفلهم اما
معوية فحاشاه من ذلك لصحبته ودينه وكريم اخلاقه واعترافه بفضل علي
وعظيم قدره وما يذكر عنه من ذلك كذب واضح واصح ما في ذلك قوله هذا
لسعد وتاويله ما ذكر انتهى واما حديث الترمذي والنسائي وصححه الضيا
المقدسي عن زيد بن ارقم مرفوعا من كنت مولاه فعلي مولاه فقال الشافعي
يريد بذلك ولاء الاسلام اي وليه وناصره كقوله تعالى ذلك بان الله
مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وخصه لمزيد علمه ودقايق
فهمه واستنباطه وفهمه وحسن سيرته وصفا سريرته وكرم شيمه ورسوخ
قدمه قيل ان سببه ان اسامة قال لعلي لست مولاي انما مولاي رسول
الله فقال صلى الله عليه وسلم ذلك وقيل سببه ما ذكر عن ابن اسحق
ان عليا تكلم فيه بعض من كان معه باليمن فلما قضى صلى الله عليه وسلم
حجه خطب ذلك تنويها بقدره وردا على من تكلم فيه وللطبراني وغيره
باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم خطب بغدير خم وهو موضع بالجحفة
مرجعه من حجة الوداع فذكر الحديث وفيه يا ايها الناس ان الله مولاي وانا
مولى المومنين وانا اولى بهم من انفسهم فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال
من والاه وعاد من عاداه واحب من احبه وابغض من ابغضه وانصر من
نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار وزعم بعض ان زيادة اللهم
وال الي اخره موضوعة مردودة بان ذكر جا من طرق صحح الذهبي كثيرا
منها وقول عمر مخاطبا لعلي اصبحت مولى كل مومن اي ولي كل مومن

اي ناصره فلا حجة فيه لزعم ان الخلافة له دون غيره لان مولى مشترك
بين معان منها الناصر والمحبوب وهم ونحن متفقون على صحة ارادة
كل منهما بخلافه بمعنى الامام فلا يعهد لغة ولا شرعا وروى الدارقطني عن
سعد قال لما سمع ابو بكر وعمر ذلك قالا امسيت يا ابن ابي طالب مولى كل
مومن ومومنة واخرج ايضا انه قيل لعمر انك تصنع بعلي شيئا لا تصنعه باحد
من الصحابة قال انه مولاي وعن تفسير الثعلبي عن ابن عيينة ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما قال ذلك طار في الافاق فبلغ الحارث بن النعمان
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد امرتنا عن الله بالشهادتين
فقبلنا وبالصلاة والزكاة والصيام والحج فقبلنا ثم لم ترض حتى رفعت
بضبعي ابن عمك تفضله علينا فهذا شي منك ام من الله فقال والذي لا اله
الا هو انه من الله فولى وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر
علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم فما وصل الي راحلته حتى رماه
الله بحجر فسقط على هامته فخرج من دبره فقتله وطرق هذا الحديث
كثيرة جدا استوعبها ابن عقدة حافظ العصر المحدث البحر ابو العباس
احمد بن محمد بن سعيد الكوفي مولى بني هاشم ابوه نحوي صالح يلقب
عقدة سمع ابنه امما لا يحصون وكتب العالي والنازل حتى اصحابه وكان
اليه المنتهى في الحفظ وكثرة الحديث وعنه احفظ مائة الف حديث باسانيد
واجيب في ثلثمائة الف حديث من احاديث اهل البيت وبني هاشم الف
وجمع وحدث عنه الدارقطني وقال اجمع اهل الكوفة على انه لم ير بها من
زمن ابن مسعود الي زمنه احفظ منه ولد سنة تسع واربعين ومائتين ومات
في ذي القعدة سنة ثم في كتاب مفرد له وكثير من اسانيدها
صحاح وحسان وهو متواتر رواه ستة عشر صحابيا وفي رواية لاحمد انه
سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثون صحابيا وشهدوا به لعلي لما
نوزع ايام خلافته فلا التفات الي من قدح في صحته ولا لمن رده بان
عليا كان باليمن لثبوت رجوعه منها وادراكه الحج معه صلى الله عليه وسلم
واخرج ابن عقدة عن زر بن حبيش قال قال علي من ههنا من اصحاب محمد
فقام اثنا عشر رجلا فشهدوا انهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كنت مولاه فعلي مولاه وروي عن عمرو بن شاس الاسلمي وكان
من اصحاب الحديبية قال خرجت مع علي الي اليمن فجفاني في سفري فقدمت
المدينة فاستظهرت شكايته بالمسجد فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا عمرو والله لقد اذيتني فقلت اعوذ بالله ان اوذيك فقال من اذى عليا
فقد اذاني قال ذلك ثلاثا وكان الصحابة يعرفون له ذلك اخرج الدارقطني
عن عمر انه سمع رجلا يقع في علي فقال ويحك اتعرف عليا هذا ابن عمه واشار
الي قبره صلى الله عليه وسلم والله ما اذيت الا هذا في قبره وفي رواية
انك ان انتقصته فقد اذيت هذا في قبره اخرجه احمد برجال الصحيح

والبخاري في تاريخه وابن حبان والحاكم وصححاه واقره الذهبي فما كان
ينبغي تعبير المصنف بروي واخرج المخلص بضم الميم وفتح المعجمة وكسر
اللام المثقلة ابو طاهر محمد بن عبد الرحمن الذهبي والطبراني بسند
حسن عن ام سلمة مرفوعا من احب عليا فقد احبني ومن احبني فقد احب
الله ومن ابغض عليا فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله هذا تمام
الحديث وقد ذكر النقاش المقري المفسر الحافظ المشهور في بعض ترجمته
ان قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا نزلت في علي وقال محمد بن الحنفية خولة بنت جعفر وهو ابن
علي بن ابي طالب لا تجد مومنا الا وهو يحب عليا واهل بيته وفي
مسلم عن علي والذي فلق الحبة وبرا النسمة انه لعهد النبي صلى الله عليه وسلم
ان لا يحبك الا مومن ولا يبغضك الا منافق وله شاهد من حديث ام سلمة
عند احمد وقال ابو حيان في البحر تفسيره الكبير ومن الغريب ما
انشدنا الامام اللغوي رضي الدين ابو عبد الله محمد بن علي
ابن يوسف الانصاري الشاطبي لزينبا بزاي فموحدة فتحتية
فنون قال ابن اسحاق النصراني الرسعني بفتح الراء وسكون السين
وفتح العين المهملتين ونون نسبة الى مدينة راس عين بديار بكر يدخل
منها ما دخلته كما في اللباب

عدي وتيم لا احاول ذكرهم ... بسوء ولكني محب لهاشم
وما يعتريني في علي ورهطه ... اذا ذكروا في الله لومة لايم
يقولون ما بال النصارى تحبهم ... واهل النهى من اعرب واعاجم
فقلت لهم اني لاحسب حبهم ... سرى في قلوب الخلق حتى البهايم

عدي قبيلة الفاروق وتيم قبيلة الصديق ومعنى الابيات ظاهر
وقالت عايشة رضي الله عنها كانت فاطمة احب الناس الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وزوجها علي احب الرجال اليه على معنى من احب
او من حيث ان الله جعل ذريته منها رواه الترمذي محمد بن عيسى وفي
البخاري ومسلم عن مخرمة ان عليا خطب بنت ابي جهل فسمعت بذلك
فاطمة فاتت رسول الله فقالت يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا
علي ناكح بنت ابي جهل فقام صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد
يقول اما بعد فاني انكحت ابا العاص بن الربيع فحدثني وصدقني وفاطمة
بضعة مني من اغضبها اغضبني وفي رواية لهما واني اكره ان
يسوها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد
فترك علي الخطبة والبضعة بفتح الموحدة على الرواية وحكي
من حيث اللغة ضمها وكسرها ايضا وبسكون المعجمة اي قطعة
لحم واستدل به السهيلي على ان من سبها فانه يكفر ووجهه انها
تغضب من سبها وقد سوى بين غضبها وغضبه ومن اغضبه صلى الله

عليه

عليه وسلم يكفر وفي هذا التوجيه نظر لا يخفى قاله الحافظ ومر شرح الحديث
في المقصد الثاني وفي الخصايص وفي الترمذي من حديث اسامة
ابن زيد وقال الترمذي حسن غريب من جهة تفرد الراوي به فلا
ينافي قوله حسن انه صلى الله عليه وسلم قال في حسن وحسين
لفظ الترمذي عن اسامة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم وحسن وحسين
على وركيه فقال هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم اني احبهما بضم الهمزة والموحدة
فاحبهما بفتح الهمزة وكسر الحاء وفتح الموحدة المشددة واحب من يحبهما
وفيه اشعار بانه صلى الله عليه وسلم ما كان يحب الا لله وفي الله ولذلك
رتب محبة الله على محبته وفي ذلك اعظم منقبة للحسنين واخرجه مسلم
في الفضايل من حديث ابي هريرة في الحسن خاصة فقال عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال للحسن اللهم اني احبه فاحبه واحب من يحبه وزاد
ابو حاتم في روايته عن ابي هريرة فما كان احد احب الي من الحسن
بعد ما قال صلى الله عليه وسلم ما قال فيه اللهم اني احبه الخ وفي
حديث ابي هريرة عند الحافظ السلفي بكسر السين وفتح اللام قال
ما رايت الحسن بن علي قط الا فاضت عيناي دموعا لتذكري ما فعل معه
جده وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما وانا في
المسجد فاخذ بيدي واتكا علي وفي مسلم خرجت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم في طايفة من النهار لا يكلمني ولا اكلمه حتى جينا سوق
بني قينقاع بفتح القاف واسكان التحتية وتثليث النون فنظر فيه
حتى جلس في المسجد وفي مسلم ثم انصرف حتى جا خبا فاطمة فقال اثم لكع
اثم لكع حتى جاءني حسينا وظننا انه انما تحبسه امه لان تغسله وتلبسه
سخابا وكانه مر علي خباها اي حجرتها وسال عنه بقوله لكع اي صغير
ثم جا فجلس في المسجد ثم قال لابي هريرة ادع ابني لما استبطا مجيه
فدعاه قال فاتى الحسن بن علي يشتد يسرع في مشيه حتى وقع في حجره
صلى الله عليه وسلم وفي مسلم لم يلبث ان جا يسعى حتى اعتنق كل واحد
منهما صاحبه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح فمه ثم يدخل
فمه في فمه ليحصل له بركته ويقول اللهم اني احبه فاحبه واحب من
يحبه ثلاث مرات قال ذلك وفي الترمذي من حديث انس انه
صلى الله عليه وسلم كان يشمهما اي الحسنين ويضمهما اليه وقد قال
ريح الولد من ريح الجنة رواه الطبراني والبيهقي وغيرهما فقيل يحتمل ان
ذكره في ولده خاصة فان فاطمة وابنيها وابنيهما لان في ولدها ريح تمار
الجنة ويحتمل عمومه في كل ولد صالح للمومن وهذا الاظهر وقال صلى
الله عليه وسلم من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما
عليا وامهما فاطمة الزهرا كان معي في درجتي بدل من معي اي في منزلتي
ورتبتي يوم القيامة رواه احمد والترمذي كلاهما من حديث علي وهذا

لفظ احمد وقال الترمذي في روايته كان معي في الجنة وقال حديث
غريب وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام لانه لا يساويه
احد في مقامه بل من جهة رفع الحجاب وتقدم نحوه في قوله تعالى
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين في المقصد
السادس وقال بعضهم ان كان المراد باللفظ الاول ظاهره انه معه في الحشر
فهو كناية عن سلامته من هوله وان كان المراد الاخرة مطلقا فالمراد رفع الحجاب
وقربه منه وفي حديث ابي زهير بن الارقم رجل صوابه اسقاط اداة
الكنية وان يقول عن رجل من الازد انه صلى الله عليه وسلم قال في
في الحسن من احبني فليحبه فليبلغ الشاهد الغايب اخرجه الحاكم عن
زهير بن الاقمر قال قام الحسن بن علي يخطب فقام رجل من ازد شنوءة فقال
اشهد لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه في حبوته وهو يقول
من احبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغايب ولولا كرامة النبي صلى الله عليه
وسلم ما حدثت به احدا فالصحابي اذا هو هذا الرجل المبهم فاما زهير بن الاقمر
بقاف فميم فراء فكنيته كما في التقريب ابو كثير تابعي معروف وفي الاصابة
انما ارسل حديثا فذكره بعضهم في الصحابة فغلط وفي البخاري عن ابن عمر وساله
رجل عن المحرم يقتل الذباب فقال اهل العراق يسالون عن الذباب وقد
قتلوا ابن بنت رسول الله وقال صلى الله عليه وسلم هما ريحانتاي من
الدنيا قال الحافظ كذا للاكثر بالتثنية ولابي ذر ريحاني بالافراد والتذكير
شبههما بذلك لان الولد يشم ويقبل وفي الترمذي ان الحسن والحسين هما
ريحانتي وفي الطبراني عن ابي ايوب دخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم والحسن والحسين يلعبان بين يديه فقلت اتحبهما يا رسول الله قال
وكيف لا وهما ريحانتاي من الدنيا اشمهما وكان عليه الصلاة والسلام
يمص لسان الحسن او شفته ليصل ريقه بريقه فيصل جوفه فتعود
بركته عليه رواه احمد بن حنبل وعن عقبة بالقاف بن الحارث بن عامر بن
نوفل بن عبد مناف النوفلي المكي صحابي من مسلمة الفتح بقي الى بعد الخمسين
قال رايت ابا بكر والحال انه قد حمل الحسن بفتح الحا على عنقه وهو يقول
والجملتان حاليتان اي حاملا وقايلا شعرا من مجزو الكامل لا الرجز
وقيل رجز مجزوم افديه بابي وهو شبيه بالنبي صلى الله عليه وسلم
شبيه خبر مبتدا محذوف وفيه اشعار بجملة المشبه للتفدية او التقدير
هو مفدي بابي شبيه فيكون خبرا بعد خبر قال الطيبي وجعله متما وانه
لم يبلغه النبي بعيد جدا ليس هو شبيها بعلي كذا رواه ابو الوقت
بالنصب ولغيره شبيه بالرفع قال ابن مالك بنا على ان ليس حرف عطف
كما يقول الكوفيون فيكون مثل لا ويجوز ان يكون شبيه اسم ليس وخبرها
ضمير متصل حذف استغنا بنيته عن لفظه والتقدير ليس اياه شبيه ونحوه
قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم النحر اليس ذو الحجة في حذف

الضمير

الضمير المتصل خبر الكان واخواتها وعند احمد كانت فاطمة ترقص الحسن
وتقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي قال الحافظ وفيه ارسال
فان كان محفوظا فلعلها تواردت في ذلك مع ابي بكر او تلقى ذلك احدهما
من الاخر لو عرف ابو بكر ان فاطمة كانت تقول ذلك فتابعها على تلك المقالة
وعلي يضحك من فعل ابي بكر وقوله هذا سرورا او عجبا لان الغالب ان
كل احد يشابه اباه لكنه جذبه عرقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا سماه
ابنه وجعل نسبه منه كذا قيل وعن محمد بن سيرين عن انس اتي عبيد الله بن
زياد براس الحسين فجعل في طست فجعل ينكث وقال في حسنه شيا فقال انس
كان يعني الحسين اشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مخضوبا
بالوسمة رواها البخاري في المناقب وعنده اي البخاري في مناقبهما ايضا
عن الزهري عن انس قال لم يكن احد اشبه اي اكثر شبها بالنبي صلى الله عليه
وسلم من الحسن بن علي فتعارضت الروايتان عن انس وهذا اي المذكور
من الروايتين ونظم الصديق قد يعارضه قول علي في صفة النبي صلى
الله عليه وسلم لم ار قبله ولا بعده مثله اخرجه الترمذي في الشمايل
كما تقدم في المقصد الثالث لانه لا يفيد ان لا مشابهة بينه وبين احد فيشمل
الحسنين وغيرهما وما قبله يفيد انهما شبيهان له واجيب بانه يحمل النفي
في قول علي على عموم الشبه التام بحيث يماثله احد بجميع صفاته الظاهرة
والاثبات من انس والصديق على معظمه لا في جميعه وقول انس لم
يكن احد اشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بفتح الحا ابن علي
قد يعارضه رواية ابن سيرين عنه السابقة قريبا جدا كان الحسين
يعني بالياء اشبههم بالنبي صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع كما قال الحافظ
بان يكون انس قال ما وقع في رواية الزهري عنه في حياة الحسن بالفتح
لانه يومئذ كان اشد شبها بالنبي صلى الله عليه وسلم من اخيه الحسين
بالضم واما ما وقع في رواية ابن سيرين عنه فكان بعد ذلك كما هو ظاهر
من سياقه كما في الفتح اي انه قال ذلك بعد قتل الحسين كما مر في سياق
الحديث وذلك بعد موت الحسن بزمان او المراد بمن فضل انس عليه الحسين
في الشبه بقوله كان اشبههم برسول الله كان من عدا الحسن فكانه قال
الا الحسن فهو اشبه به من الحسين وهذا بمعنى ما قبله لو قوعه بعد موت
الحسن كما عرفت ولقد رايته في الفتح والمراد بالواو فجعله جوابا واحدا
ويحتمل في الجمع ايضا ان يكون كل منهما كان اشد شبها به في بعض
اعضايه فقد روى الترمذي وابن حبان من طريق هاني بن هاني
الهمداني بالسكون الكوفي مشهور تابعي روى له اصحاب السنن الاربعة
عن علي قال الحسن اشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الراس
الى الصدر اي فيما بين الراس والصدر والحسين اشبه النبي صلى
الله عليه وسلم في ما كان اسفل من ذلك فيجوز بحذف في فيهما الموضعين

وبقية كلام الحافظ ووقع في رواية الاسمعيلي عن الزهري عن انس رضي
كان الحسن اشبههم وجها بالنبي صلي الله عليه وسلم وهو يويد حديث
علي هذا وقد عدوا من كان له شبه بالنبي صلي الله عليه وسلم سوي
الحسن والحسين جماعة من الهاشميين وغيرهم من بني هاشم جعفر بن ابي
طالب وقد قال عليه الصلاة والسلام لجعفر اشبهت خلقي بفتح فسكون
وخلقي بضمتين وضم فسكون اي اشبه خلقك خلقي وخلقك خلقي قال
الترمذي حديث حسن صحيح وهو في البخاري وغيره من حديث البرا
وابنه عبد الله بن جعفر الجواد بن الجواد وقثم بمنع الصرف للعلمية
والعدل التقديري عن قاثم اي معطي ابن العباس بن عبد المطلب
وابو سفين بن الحارث بن عبد المطلب ومسلم بن عقيل بن ابي طالب
ومن غير بني هاشم السايب بن يزيد بتحتية قبل الزاي كذا في النسخ
كالفتح والذي في الاصابة السايب بن عبيد بن عبد يزيد بن عبد هاشم
ابن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي الجد الاعلي للامام الشافعي
ذكر الخطيب بلا اسناد ان السايب اسلم يوم بدر وكان صاحب راية بني
هاشم مع المشركين فاسر ففدي نفسه واسلم ويقال انه كان ممن يشبه النبي
صلي الله عليه وسلم انتهي باختصار وعبد الله بن عامر بن كريز بضم الكاف
وفتح الرا وسكون التحتية وزاي منقوطة ابن ربيعة بن حبيب بن عبد
شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي وله علي عهده صلي الله عليه وسلم واتي
به اليه وهو صغير فقال هذا شبهنا وجعل يتفل عليه ويعوذه فجعل يبلع ريق
النبي صلي الله عليه وسلم فقال انه لمسقي فكان لا يعالج ارضا الا ظهر له الما
حكاه ابن عبد البر مات سنة سبع او ثمان وخمسين وله اخبار في الجود كثيرة
وكابس بكاف فالف فموحدة فسين مهملة وصحف من قال بتحتية وقول
القرطبي المحفوظ عابس بالعين وتعقب بان الصحيح خلافه ابن ربيعة
ابن عدي رجل من اهل البصرة وهو من بني سامة بن لوي وجه اليه معاوية
وقيل بني عيينة لشبهه بالمصطفي واقطعه قطيعة وكان انس بن مالك
اذا راه بكي شوقا له عليه السلام قال في الشفا بلغ معاوية ان كابس بن
ربيعة يشبه النبي صلي الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن
سريره وقيل بين عينيه واقطعه المرغاب بكسر الميم وسكون الرا والغين معجمة
فالف فموحدة اسم ارض بمرو وقرية بهراة كانت ذات غلة كثيرة فهولا
عشرة ونظمهم شيخ الاسلام والحفاظ ابو الفضل بن حجر فقال في الفتح

• شبه النبي لسايب وابي • سفين والحسنين الطاهرين هما •
• وجعفر وابنه ثم ابن عامرهم • ومسلم كابس يتلوه مع قثما •

ثم قال بعد ان ذكر انه وجد غير هذه العشرة مما بلغ بتحريره خمسة عشر
قال وقد غيرت بيتي هكذا

• تشبه النبي اليه سايب وابي • سفين والحسنين الخال امهما •

وجعفر

• • وجعفر ولده وابن عامر كا • بس وبجلي عقيل بيه قثما •

فقوله ليه بالياء والهاء وهما في الحساب بخمسة عشر واما اللام الداخلة علي
ذلك فمتعلق بالخبر اي تشبه النبي كاين ليه ومراده بنجلي عقيل ابنه مسلم
السابق وحفيده قاسم بن عبد الله بن محمد بن عقيل الاتي وعدهم بعضهم
سبعة وعشرين ونوزع في ذلك وممن كان يشبهه فاطمة ابنته وابراهيم
ولده وولدا جعفر عبد الله السابق واخوه عون واما اخوهما محمد بن جعفر
فشبيه ابي طالب كما في الحديث المرفوع فقول محمد بن حبيب انه كان يشبه
النبي غلط وكان يشبهه ايضا من اهل البيت غير هولا ممن هو متاخر
عنهم ابراهيم بن الحسين بن الحسن الذي في الفتح ابراهيم بن عبد الله بن
الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب فسقط من قلم المصنف عبد الله
وزاد يا في الحسن فانه ممن وافق اسمه اسم ابيه وفي التقريب عبد الله بن
الحسن بن الحسن الهاشمي المدني ثقة جليل القدر ويحيي بن القاسم بن
محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب بن احمد
النسابة في الزورة الاتيسة لمشهد السيدة نفيسة انه كان
ليحيي هذا موضع خاتم النبوة شامة قدر بيضة الحمام يشبه
خاتم النبوة وكان اذا دخل الحمام وراه الناس صلوا علي النبي
صلي الله عليه وسلم وزاحموا عليه يقبلون ظهره تبركا ولذا
وصف بالشبيه لشبهه وقاسم بن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي
طالب فكل هولا مذكور في كتب الانساب انه كان يشبهه عليه السلام
كما في الفتح وعلي بن علي بن نجاد بنون وجيم خفيفة كما في التقريب
ابن رفاعة الرفاعي بالفا نسبة الي جده رفاعة المذكور شيخ بصري
لا باس به وروي له اصحاب السنن من اتباع التابعين يوافقه قول
التقريب من السابعة يعني من اتباع التابعين يوافقه قول التقريب
من السابعة يعني كبار اتباع التابعين ويخالفه قوله في الفتح انه تابعي صغير
وكان عابدا ذكر ابن سعد انه كان يشبه النبي زاد الحافظ والمهدي
الذي يخرج في اخر الزمان جا انه يشبه النبي صلي الله عليه وسلم
ويواطي اسمه اسم النبي صلي الله عليه وسلم واسم ابيه وذكر ابن
يونس في تاريخ مصر عبد الله بن ابي طلحة الخولاني وانه شهد فتح مصر
وامره عمر ان لا يمشي الا متقنعا لانه كان يشبه النبي صلي الله عليه وسلم
قال وكان له عبادة وفضل والمراد بالمشبه هنا الشبه في البعض
والاقتمام حسنه صلي الله عليه وسلم منزه عن الشريك كما قال

• • الابوصيري صوابه البوصيري رحمه الله واجاد •
• منزه عن شريك في محاسنه • فجوهر الحسن فيه غير منقسم •

كما اشرت اليه في المقصد الثالث وقد اطلت المقال وانما جرني الي ذلك
ذكر حمل الصديق الحسن بن علي عاتقه المشعر بالاكرام

والاتمام

من افضل البشر بعد النبيين باجماع اهل السنة والزاما للشيعة بما صح
عن علي كرم الله وجهه ان ابا بكر افضل منه لاهل البيت المحمدي وحملهم
علي الاعناق جمع عنق وهو والعاتق متقاربان فلا مخالفة بين هذا وقوله
قبله علي عاتقه لا سيما مع قوله رضي الله عنه لقرابة رسول الله صلي
الله عليه وسلم احب الي ان اصل من قرابتي ومر شرحه فلما تضمن
الحديث ذكر اي قول ابي بكر بابي بكربابي شبيه بالنبي صلي الله عليه
وسلم الشبيه الكريم حرني الكلام اليه الي ذكر من كان يشبهه وهذا
واقع لي كثيرا في هذا المجموع المواهب بل في غالبه لكنه لا يخلوا
عن فوايد جمع فريدة درة ثمينة تحفظ في ظرف علي حدة لنفاستها
واضافتها الي الفوايد من اضافة المشبه به للمشبه كلجين والمعني انها
تشتمل علي فوايد تشبه في النفاسة اللالي النفيسة وقد روي انه
صلي الله عليه وسلم قال العباس بن عبد المطلب مني وانا منه
لاننا من اصل واحد وهو الجد لا تؤذوا العباس بشيء من الاذي ولو قل
فتؤذوني زاد في حديث اخر ومن اذاني فقد اذي الله فعليه لعنة
الله ملا السما وملا الارض رواه ابو نعيم وغيره من سب العباس
فقد سبني اخرجه ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي الكبير
ثم البغدادي احد الحفاظ متقدم علي محيي السنة البغوي بزمان في معجمه
اي كتابه المولف في معرفة الصحابة وروي الترمذي وقال حسن غريب
وصححه الحاكم من حديث ابن عباس العباس مني وانا منه وقال صلي الله
عليه وسلم للعباس ايضا لما دخل عليه مغضبا فقال ما اغضبك قال يا رسول
الله ما لنا ولقريش اذا تلاقوا بينهم تلاقوا الوجوه ببشر واذا لقونا بغير
ذلك فغضب صلي الله عليه وسلم حتي احمر وجهه ثم قال والذي نفسي بيده
لا يدخل قلب رجل وصف طردي فالمراد ما يشمل الانثي الايمان الكامل حتي
يحبكم معاشر اهل البيت ال البيت او الخطاب للعباس والجمع للتعظيم لله ولرسوله
ثم قال يا ايها الناس من اذي عمي فقد اذاني فانما عم الرجل صنو
ابيه رواه الترمذي والنسائي واحمد عن عبد المطلب بن ربيعة بن
الحارث بن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الصحابي بن
الصحابي وقال الترمذي حديث حسن صحيح وصححه الحاكم ومدار
الحديث علي الايمام وفي قوله لا يدخل قلب رجل الايمان حتي
يحبكم الاشارة الي الايمان الحقيقي المنجي من عذاب الخلد وهو
التصديق القلبي لانه اذا عري عنه لا يكون ايمانا وبين المحبة
والايمان ارتباط من جهة ان المحبة ميل القلب الي المحبوب
والايمان التصديق القلبي فيجتمعان في القلب وجعلهما
متلازمين فيلزم من نفي احدهما نفي الاخر فهذا اسر تعبيره
بذلك دون ان يقول لا يؤمن رجل حتي يحبكم ثم علل هذه المحبة

بكونها لله ورسوله فلا عبرة بمحبة تكون لغيرذلك من نحو جاه ومال
ثم جعل اذاه كاذي نفسه لانه عضوه وعصبه ثم عظم مقامه بتنزيله
منزلة الاب من الشفقة والتعظيم فكما انه يجب علي الولد تعظيم والده
والقيام بحقوقه فكذلك عمه وان كان دون الاب في ذلك فقال فانما
عم الرجل صنو ابيه وهو بكسر الصاد المهملة وسكون النون اي مثل
ابيه اي شريكه في الخروج من اصل واحد وهو الجد قال ابن الاثير
واصله ان تطلع نخلتان من عرق واحد ومنه قوله تعالي صنوان
يريد ان اصل العباس واصل ابي واحد هو عبد المطلب انتهي وجلله
بالجيم ابي العباس اي غطاه وستره النبي عليه الصلاة
والسلام وجلل بنيه بكسا ولاحمد وغيره ان اصحاب علي وفاطمة
وابناها وجمع بالتعدد ثم قال اللهم اغفر للعباس وولده ذكورهم
واناثهم وقوله في رواية انت وبنوك تغليب مغفرة ظاهرة بحفظ
جوارحهم عن المعاصي وتحليلها بما يجملها من النور المشاهد وباطنة
بان تصون اسرارهم عن نحو كبر وغل وحسد هكذا فسرهما شيخنا في
الامام جزما وهو احسن من قوله هنا لعل المراد بالظاهرة الذنوب
التي ظهرت عليه بان عرف ظهورها صدورها منه وبالباطنة مغفرة
ذنوب صدرت منه ولم يطلع عليها احد لا تغادر بمعجمة ثم مهملة اي لا
تترك ذنبا الا سترته بعدم وقوعه او العقاب عليه اللهم احفظه
في ولده رواه الترمذي وقال حسن غريب عن ابن عباس قال قال
صلي الله عليه وسلم اذا كان غداة الاثنين فاتني انت وولدك حتي
ادعو لكم بدعوة ينفعك الله بها وولدك فغدا وغدونا معه فالبسنا
كسا ثم قال اللهم اغفر فذكره وبين ابن السري بفتح السين وكسر الرا
في رواية ان بنيه اي العباس الذين جللوا بالكسا كانوا ستة
الفضل وعبد الله وعبيد الله بضم العين وقثم ومعبد وعبد الرحمن
وهم لام الفضل وفيهم يقول القايل

ما انجبت نجيبة من بعل ٭ كستة من بطن ام الفضل

قال وغطاهم بشملة له سودا مخططة بحمرة وقال اللهم ان
هولا اهل بيتي وعترتي اي من ثم فليس المراد التخصيص فلا ينافي
قوله ذلك لغيرهم فاسترهم من النار اي امنعهم من دخولها وارتكاب ما
يوجب عذابها فهو مجاز عن ذلك اذ ليس الستر ما يمنع المستور ويحجبه
ويشبه بهذا التجوز قوله كستري اياهم كما ورد بهذا اللفظ
بهذه الشملة التي هي الكسا سمي شملة لانه يشتمل به فليس المراد
الشملة العرفية الان التي تلف علي الراس فامنت في البيت مدرة ولا
باب الا امين اي قال امين معجزة وروي انه صلي الله عليه وسلم
قال لعقيل بن ابي طالب اني احبك حبين حب لقرابتك مني

لانك ابن عمي وحبا لما كنت اعلم من حب عمي لك زيادة على باقي اولاده
قال الطبري محب الدين اخرجه ابو عمر بن عبد البر والبغوي ابو
القاسم في معجمه والغرض منه تانيسه لئلا يتوهم انه لتاخر اسلامه
لكونه في فتح مكة اوقبله بيسير انه لا منزلة عنده له وليس فيه انه
احب اليه من علي وجعفر وروى الدارقطني انه صلى الله عليه وسلم
قال يوم حنين المذكورة في التنزيل ابو سفيان بن الحارث بن
عبد المطلب خير اهلي او من خير اهلي بالشك من الراوي والمعنى على
اللفظ الثاني قال ذلك لانه ثبت يوم حنين واخرج الحاكم وصححه عن
ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغض
بضم اوله وكسر ثالثه المعجم اهل البيت احد الا ادخله الله النار
جزا لقبيح ما اقترف واعلم انه اشتهر اربعة الفاظ يوصفون
بها اي يوصف بها اهله اللفظة الاولى اله عليه الصلاة والسلام
والثانية اهل بيته والثالثة ذو القربى والرابعة عترته
بكسر العين وسكون الفوقية فاما الاولى فذهب قوم الى انهم
هم اهل بيته الذين يقوم بامرهم من نفقة وكسوة وان لم يكونوا
من بني هاشم كزوجاته وقال اخرون هم الذين حرمت عليهم
الصدقة اي الزكاة وهم بنو هاشم على قول مالك او وبنو المطلب
على قول الشافعي وعوضوا عنها خمس الخمس وعلى هذا فلا يدخل من
هو من غير بنيهما وان كان من اقاربه ولا زوجاته صلى الله عليه وسلم
وقال قوم من دان امن وتعبد بدينه وتبعه فيه عطف تفسير
واما اللفظة الثانية وهي اهل بيته فقيل من تناسبه الى
جده الادنى الاقرب عبد المطلب فمن تناسبه فيمن فوقه كاخوته
المشاركين للمصطفى في الانتساب الى هاشم وكالمطلب ونوفل وعبد
شمس المشاركين مع عبد مناف ليسوا من اهل بيته على هذا وقيل من
اجتمع معه في رحم اي قرابة من جهة ابيه او امه وقيل من اتصل به
بنسب اي بسببه او سبب كاصحابه واما اللفظة الثالثة وهي ذو
القربى فروى الواحدي في تفسيره بسنده ومن قبله ابن ابي
حاتم والطبراني وابن مردويه كلهم باسنادهم فقال عن ابن عباس
قال لما نزل قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة
في القربى قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين امرنا الله بودهم
قال علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين اللذين سيولدا بعد لان
الاية مكية وفي تفسير ابن عطية اختلف في معناه فقال ابن عباس
وغيره نزلت بمكة ومعناها استكفاف شر الكفار ودفع اذاهم اي
ما اسالكم عن القران والدين والدعا الى الله الا ان تودوني لقرابة بيني
وبينكم فتكفوا عني اذاكم قال ابن عباس وقتادة وابن اسحق لم يكن

في

في قريش بطن الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيه نسب او صهر فالاية
على هذا استعطاف ودفع اذى وطلب سلامة منهم وذلك كله منسوخ باية
السيف ويحتمل على هذا التاويل ان معنى الاية استدعاء نصرهم اي لا اسالكم
غرامة ولا شيئا الا ان تودوني لقرابتي منكم وان تكونوا اوليائي من غيركم
وقال مجاهد المعنى الا ان تصلوا رحمي باتباعي وقال ابن عباس ايضا ما
يقتضي انها مدنية وسببها ان قوما من شباب الانصار فاخروا المهاجرين
ومالوا بالقول على قريش فنزلت الاية في ذلك على معنى لا تودوني
فتراعوني في قرابتي وتحفظوني فيهم وقال هذا المعنى في الاية
علي بن الحسين واستشهد بالاية حين سيق الى الشام اسيرا وهو تاويل
ابن جبير وعمرو بن شعيب وعلى محمل هذا التاويل قال ابن عباس قيل
من قرابتك الذين امرنا بمودتهم قال علي وفاطمة وابناهما وقيل ولد
عبد المطلب قال ابن عطية وقريش كلها عندي قربى وان كانت تتفاضل
وقد روي مرفوعا من مات على حب ال محمد مات شهيدا ومن مات على بغضهم
لم يشم رائحة الجنة وقال ابن عباس ايضا جمعت الانصار للنبي صلى الله عليه
وسلم مالا وساقته فرده اليهم ونزلت الاية وقال ايضا معنى الاية بودة
الطاعة والتزلف الى الله كانه قال الا ان تودوني لاني اقربكم من الله
واريد هدايتكم وادعوكم اليها وقال الحسن البصري معناها الا ان تتوددوا
الى الله بالتقرب اليه وقيل معناها الا ان تتوددوا بعضكم لبعض وتصلوا
قراباتكم فالاية على هذا امر بصلة الارحام وذكر النقاش عن ابن عباس ومقاتل
والكلبي والسدي انها منسوخة بقوله تعالى قل ما سالتكم من اجر فهو
لكم والصواب انها محكمة وعلى كل قول فالاستثناء منقطع والا بمعنى لكن
انتهى واما اللفظة الرابعة وهي عترته فقيل العشيرة وقيل
الذرية فاما العشيرة فهي الاهل الادنون اي الاقربون واما الذرية
فنسل الرجل ذكورا واناثا فاولاد بنت الرجل ذريته ويدل عليه
قوله تعالى ومن ذريته داود الى قوله وعيسى ووجه الدلالة
انه لم يتصل عيسى بابراهيم الا من جهة امه مريم اذ لا اب له بناء
على ان ضمير ذريته لابراهيم كما قال جماعة وقال اخرون انه لنوح والدلالة
قائمة ايضا اذ لم يتصل به الا بواسطة امه مريم على انه من كان من ذرية
ابراهيم فهو من ذرية نوح لانه جده الاعلى فهذه الذرية النبوية
الطاهرة قد خصوا عزا بالتشريف وعموا اي شملوا بواسطة
السيدة فاطمة بفضل منيف زائد على من سواهم والسواد الشر
ومنحوا اي خصوا بمزيد الاكرام والتحف جمع تحفة وقد وقع
الاصطلاح على اختصاصهم من بين ذوي الشرف كالعباسيين
ذرية العباس والجعافرة ذرية جعفر بن ابي طالب بالشطفة الخضرا
لمزيد شرفهم والسبب في ذلك كما قيل ان المامون عبد الله الخليفة

العباسي بن هارون الرشيد اراد ان يجعل الخلافة في بني فاطمة حيا في علي الرضي بن موسي الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين فعهد المامون اليه بالخلافة من بعده بعد ما اراد ان يخلع نفسه ويفوضها اليه في حياته فمنعه بنوا العباس فمات قبله فاسف عليه فاخذها لهم شعارا اخضر والبسهم ثيابا خضرا عطف تفسير لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم والاحمر يختلف في كراهته وجوازه وحرمته علي ما سبق في اللباس والاصفر شعار اليهود باخره بفتحتين اي باخره الامر ثم انثني عزمه عن ذلك بموت علي الرضي قبله سنة ثلاث ومايتين ولم يكمل خمسين سنة ورد الخلافة لبني العباس برجوعه عن العزم الاول لانها لم تخرج عنهم فبقي ذلك شعار الاشراف العلويين اولاد علي من الزهرا فاطمة لكنهم اختصروا الثياب الي قطعة من ثوب اخضر يوضع علي عمايمهم هي المسماة بالشطفة شعارا لهم ثم انقطع ذلك الي اواخر القرن الثامن ولم يبق منذ انقطاعه وموت المامون في رجب سنة ثماني عشر ومايتين قال في حوادث سنة ثلاث وسبعين وسبعماية من انبا بكسر الهمزة واسكان النون وموحدة اي اخبار الغمر بضم الغين المعجمة واسكان الميم وبالرا اي الذين لم يجربوا الامور هنا استعمل في من لم يشتغل بعلم التواريخ وما قد كان بانبا بفتح الهمزة وسكون الباء وبنون جمع ابن العمر بضم المهملة وسكون الميم اسم كتاب للحافظ ابن حجر وفيها امر السلطان الاشرف شعبان الاشراف جمع شريف ان يمتازوا عن الناس بعصايب جمع عصابة خضر اعلي العمايم ففعل ذلك بمصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول الاديب ابو عبد الله محمد بن جابر الاندلسي نزيل حلب الاعمي شارح الالفية المشهور بالاعمي والبصير

• جعلوا لابنا الرسول علامة • ان العلامة شان من لم يشهر •
• نور النبوة في كريم وجوههم • يغني الشريف عن الطراز الاخضر •

يعني جعلوا العلامة ليعرف ان لابسها من اولاد فاطمة اي من ابنا فاطمة فيميزون عن غيرهم من الال وما علموا انهم لا حاجة لهم فيها لان نور النبوة يميزهم عما عداهم وللاديب شمس الدين محمد بن ابراهيم الدمشقي وهو من احسن ما قيل في ذلك

• اطراف تيجان اتت من سندس • خضر باعلام علي الاشراف •
• والاشرف السلطان خصهم بها • شرفا ليعرفهم من الاطراف •

وقال في ذلك جماعة من الشعرا ما يطول ذكره والاشرف هو شعبان بن حسين بن الناصر بن محمد بن قلاوون ولي وعمره عشر سنين في شعبان سنة اربع وستين وسبعماية فهذا اسا ارادة مما يتعلق باله صلي

الله عليه وسلم واما اصحابه رضوان الله عليهم فقال الله سبحانه وتعالي في الثنا علي نبينا وعليهم محمد رسول الله والذين معه اشدا علي الكفار رحما بينهم الي اخر السورة لما اخبر الله تعالي بان سيدنا محمدا صلي الله عليه وسلم رسوله حقا من غير شك ولا ريب فان جواب لما في نسخة بحذف قال علي ان لما ظرف لقال في قوله فقال الله سبحانه اي قال حين اخبر فلا جواب لها ومقول القول محمد رسول الله وهذا مبتدا وخبر عند الجمهور استوفي فيه تعظيم منزلته صلي الله عليه وسلم ورجحه ابن عطية وقال البيضاوي وغيره جملة خبرية مبينة للمشهود به اي للرسول الذي شهد الله بانه ارسله يعني قوله تعالي هو الذي ارسل رسوله ملتبسا بالهدي ودين الحق ليظهره علي الدين كله الي قوله وكفي بالله شهيدا اي شاهدا عندكم بهذا الخبر ومعلما به او وشاهد احملي هولا الكفار المنكرين امره صلي الله عليه وسلم الرادين في صدره ومعاقبا لهم بحكم الشهادة فالاية علي هذا او عيد للكفار الذين شاحوا في ان يكتب محمد رسول الله فرد الله عليهم بها وقوله والذين معه مبتدا خبره اشدا ورحما خبر ثان فعلي هذا اختص النبي صلي الله عليه وسلم بوصفه وهو لا بوصفهم قاله ابن عطية قال البيضاوي ويجوز ان قوله رسول الله صفة لمحمد وقوله محمد خبر محذوف اي هو او مبتدا والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشدا علي الكفار انتهي قول البيضاوي بما زدته وحكاه ابن عطية عن قوم من المتاولين وزاد ورحما خبر بعد خبر وعلي هذا اشترك الجميع في الشدة والرحمة والاول عندي ارجح لانه خبر مضاد لقول الكفار لا يكتب محمد رسول الله وهذه الاية هو الذي ارسل رسوله مشتملة علي وصف كل جميل له من حيث الامر والنهي وغيرهما مما يويد رسالته كالاخبار بالغيب والشفاعة العظمي والاخبار بالجنة والنار وما فيهما للطايع والعاصي ولوا الحمد وغير ذلك فلا يرد ان الاية لا تشمل جميع الصفات اذ لا تعرض فيها في الشفاعة ونحوها وفي نسخة بحذف كل وفي ابن عطية الاية تعظيم لامره صلي الله عليه وسلم واعلام بانه يظهره علي جميع الاديان وراي بعضهم ان لفظ يظهره يقتضي محو غيره به فقال هذا الخبر يظهر للوجود عند نزول عيسي فانه لا يبقي في وقته دين غير الاسلام وهو قول الطبري والثعلبي وراي قوم ان الاظهار هو الاعلا وهو موجود الان فان دين الاسلام قد عم اكثر الارض وظهر علي كل دين ثم ثني علي الاعراب الاول بالثنا علي اصحابه فقال والذين معه اشدا علي الكفار جمع شديد اصله اشددا ادغم لاجتماع المثلين علي الكفار رحما بينهم اما علي الاعراب الثاني فالثنا عليه وعلي اصحابه جميعا كما مر لان الجملة نبا واحد ثم انها كلها ثنا علي اصحابه

كلهم هو قول الجمهور وحكى الثعلبي عن ابن عباس ان الاشارة بالذين
معه الى من شهد الحديبية وقرئ بنصب اشدا ورحما على الحال او المدح
والخبر تراهم كما قال تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة
عاطفين على المومنين اعزة اشدا على الكافرين بنا على ان هذه
الاية في الصحابة وفي الجلال انها اخبار بما علم الله وقوعه وقد ارتد جماعة
بعد موته صلى الله عليه وسلم وانه قال عليه السلام في قوله فسوف ياتي
الله بقوم هم قوم هذا واشار الى ابي موسى الاشعري رواه الحاكم في
صحيحه فوصفهم في اية الفتح بالشدة والغلظة بقوله اشدا على الكفار
والرحمة والبر بالاخيار بقوله رحما بينهم ثم اثنى عليهم مدحهم بكثرة
الاعمال بقوله تراهم ركعا سجدا اي تبصرهما في الحالتين كثيرا فيهم مع
الاخلاص التام بقوله يبتغون فضلا من الله ورضوانا ممن نظر اليهم
بعين البصيرة اعجبه سمتهم سكينتهم ووقارهم وهديهم الذين
هم عليه الدال على الخير واظهار الحق والقيام به لخلوص نياتهم وحسن
اعمالهم فان الظاهر عنوان الباطن قال مالك الامام بلغني ان
النصارى كانوا اذا راوا الصحابة الذين فتحوا الشام في زمان
عمر يقولون والله لهاولا خير من الحواريين اصفيا عيسى واول
من امن به وكانوا اثني عشر رجلا من الحواريين من الحور وهو البياض
كما في الانوار فيما بلغنا لانهم لم يدركوهم قال مالك وصدقوا اي
النصارى في قولهم هذا فان هذه الاية الجديرة خصوصا الصحابة
لم يزل ذكرهم معظما في الكتب الالهية كما قال سبحانه وتعالى
ذلك الوصف المذكور مثلهم وصفتهم العجيبة الشان في التوراة مبتدا
وخبر ومثلهم في الانجيل مبتدا خبره كزرع قاله قوم من اهل
التاويل وقال مجاهد وجماعة انه مثلهم في الكتابين فقوله
ومثلهم في الانجيل عطف عليه وقوله كزرع تمثيل يختص بالقران
وقال اخرون المثلان جميعا في التوراة والانجيل وقوله كزرع هو
على كل الاقوال وهو اي كتاب منزل فرض مثلا للنبي واصحابه في
انه بعث وحده فكان كالزرع حبة واحدة ثم كثر المسلمون فهم
كالشطا قاله ابن عطية فحاصل مغايرته لما قبله انه على
يختص بالقران وعلى قول الاخرين لا يختص به بل في جميع الكتب
وعلى كل الاقوال عندها ولا الجماعة لا انه اجتماع حقيقي
كما توهم اخرج شطاه اي فراخه يقال اشطات الشجرة
اذا اخرجت غصونها واشطا الزرع اذا اخرج شطاه وهو
فراخ السنبلة التي تنبت حول الاصل وقرا ابن كثير وابن
ذكوان عن ابن عباس شطاه بفتح الطا والهمزة دون
دون مد وقرا الباقون بسكون الطا فآزره اي شده

وقوله

وقوله ماخوذ من الازر القوة والشدة وقيل معناه ساواه
طولا وفاعله الشطا عليهما ويحتمل على ان فاعله الزرع لان كل واحد
منهما يقوي صاحبه قاله ابن عطية فاستغلظ شب فطال فاستوى
قوي به واستقام على سوقه اصوله جمع ساق يعجب الزراع اي زراعه
جملة في موضع الحال قوته بالعصب بدل اشتمال من الزراع والرفع فاعل
يعجب وغلظه وحسن منظره واذا اعجبهم فاحرى ان يعجب غيرهم
لانه يعجب فيه اذا اعجب العارفين بالعيوب ولو كان معيبا لم يعجبهم
فكذلك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ازروه وايدوه
ونصروه فهم معه كالشطا مع الزرع وقد بدوا في قلة وضعف
فكثروا وقووا على احسن الوجوه وهنا تم المثل وقوله ليغيظ
بهم الكفار ابتدا كلام قبله محذوف تقديره جعلهم الله بهذه الصفة
ليغيظ بهم الكفار اي المشركين قال الحسن من ذكر قول عمر بكلمة لا اعبد
الله سرا بعد اليوم ومن هذه الاية انتزع بالنون والمثناة والزاي
المنقوطة والعين المهملة اي استدل واستخرج الامام مالك رحمه
الله في رواية عنه ضعيفة في المذهب تكفير الروافض الذين
يبغضون الصحابة قال لانهم اي الصحابة يغيظونهم اي
الروافض ومن غاظه الصحابة فهو كافر لان اللام في ليغيظ
للتعليل اما لما قبلها اي انما شبههم بذلك ليغيظ بهم الكفار فالمومن
ليس عنده غيظ منهم واما علة لقوله بعد وعد الله الذين امنوا
منهم اي انما وعدهم ليغيظ الكفار بوعده لهم فلا يغيظ بالصحابة
مومنا من غيرهم فخرج غيظ بعضهم على بعض لما اداه اليه اجتهاده
وهو بالظا المشالة وبالضاد ايضا لغة فيه لا الابدال وعلى ان الغيظ
والغضب بمعنى والغيظ اشد الغضب او الكمين في النفس او الغضب
للمقادر والغيظ للعاجز خلاف وقد وافقه اي مالكا على ذلك
جماعة من العلما فلم ينفرد بهذا القول والاحاديث في
فضل الصحابة كثيرة جدا وحسبك قوله صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد
احدهم ولا نصيفه اخرجه الايمة الستة ويكفي ثنا الله عليهم
في ايات عديدة ورضاه عنهم لقد رضي الله عن المومنين وقد
وعدهم بقوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
منهم مغفرة واجرا عظيما هو الجنة ووعدهم ايضا من بعدهم
في ايات اخر ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدل لكلماته
احكامه ووعده بنقص او خلف وهو السميع لما يقال العليم بما
يفعل ومن في قوله منهم لبيان الجنس قال ابن عطية
وليست للتبعيض لانه وعد مدح للجميع واختلف في تعريف

الصحابي نسبة الى الصاحب من نسبة الجزئي الى كليه كالمغني به
فقيل هو من صحب النبي صلى الله عليه وسلم في زمن نبوته
ولو لحظة او رآه كذلك في حال حياته وان لم يجالسه حال كونه وقت
وقت الصحبة او الرؤية من المسلمين العقلاء ولو انثى او عبدا
او صبيا او جنيا او ملكا على ما يأتي واو للتقسيم والضمير المنصوب
للنبي صلى الله عليه وسلم او للصاحب واليه ذهب البخاري
فعرفه في ذلك في اول فضائل الصحابة من صحيحه وسبقه
اليه شيخه علي بن عبد الله بن جعفر السعدي مولاهم ابو الحسن ابن
المديني البصري ثقة ثبت امام اعلم اهل عصره بالحديث وعلله
حتى قال البخاري ما استصغرت نفسي الا عند علي بن المديني وقال
فيه شيخه سفيان بن عيينة كنت اتعلم منه اكثر مما يتعلم مني وقال
النسائي كان الله خلقه للحديث مات سنة اربع وثلاثين ومائتين
على الصحيح وعبارته كما قال شيخنا السخاوي واخرجه ابن
منده في المستخرج عنه كما في الفتح بلفظ من صحب النبي صلى
الله عليه وسلم او رآه ولو ساعة او لحظة من نهار او ليل
وعبر بالنهار لان التعارف والاجتماع انما يكون فيه غالبا فهو من
اصحابه خبر المبتدأ الذي هو الموصول وصحب صلته ودخول
الفاء في الخبر لتضمن الابتداء معنى الشرط انتهى قيل يرد عليه
توقف معرفة الشيء على نفسه فيدور لان صحب يتوقف على الصحابي
وعكسه لكن يمكن ان تراده بصحب الصحبة اللغوية وبالصحابي
المعنى الاصطلاحي قاله السخاوي وهذا اي الاكتفاء بمجرد الرؤية
بلا مجالسة ولا مماشاة ولا مكالمة ولا مماشاة ولا مكالمة هو
الراجح وهو مذهب جمهور المحدثين والاصوليين لشرف منزلته صلى
الله عليه وسلم فانه كما صرح به غير واحد لو رآه مسلم او رأى
مسلما لحظة طبع قلبه على الاستقامة لانه باسلامه متهيئ
للقبول فاذا قابله النور المحمدي اشرق عليه فظهر اثره في قلبه
وعلى جوارحه والصحبة لغة تتناول ساعة فاكثر واهل الحديث
كما قال النووي نقلوا الاستعمال في الشرع والعرف على وفق اللغة
واليه ذهب الآمدي واختاره ابن الحاجب وقد عد في الصحابة
من حضر معه صلى الله عليه وسلم حجة الوداع من اهل مكة والمدينة
والطائف وما بينهما من الاعراب فكانوا اربعين الفا لحصول
رؤيتهم له صلى الله عليه وسلم وان لم يرهم هو بل ومن كان
مؤمنا في زمن الاسراء ان ثبت انه صلى الله عليه وسلم
كشف له في ليلته عن جميع من في الارض فرآه ولم يلقه
لحصول الرؤية من جانبه صلى الله عليه وسلم قال في الاصابة

ويتجه

ويتجه انه حيث وقع بصره صلى الله عليه وسلم على مجنون
محكوم باسلامه افاده ذكرا لصحبة اخذا من هذا ومن الصغير
غير المميز فان حكمهما واحد عند الفقهاء قال المصنف وبهذا ايضا يرد
قول الدماميني ليس الضمير المستتر في قول البخاري او رآه يعود
على النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يلزم عليه ان يكون من وقع عليه
بصره صلى الله عليه وسلم صحابيا ولا قائل به انتهى فان في كلامه
الخلاف نظرا كثيرا والتقييد بالاسلام في قوله من المسلمين
يخرج من صحبه او رآه من الكفار ولو اتفق اسلامه بعد
موته عليه السلام او في حياته ولم يره بعد الاسلام
التعريف من صحب او رآه مؤمنا به ثم ارتد بعد ذلك ولم يعد
الى الاسلام كعبيد الله بتصغير العبد ابن جحش فانه كان اسلم
وهاجر الى الحبشة فلحقه الخذلان فيها فتنصر ومات على نصرانيته
فانه ليس بصحابي اتفاقا وكذلك ابن خطل فانه كان اسلم ثم
ارتد وقتل على ردته في فتح مكة وربيعة بن امية بن خلف
الجمحي وهو ممن اسلم في الفتح لمكة وشهد حجة الوداع معه صلى
الله عليه وسلم وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
بحديث وهو قوله امرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقف تحت
صدر راحلته وهو اوفق بالمرفق بعرفة وكان رجلا صيتا فقال
يا ربيعة قل يا ايها الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لكم تدرون اي بلد هذا الحديث رواه ابن اسحق واحمد وغيرهما
قال في الاصابة فذكره لاجله من لم يمعن النظر في امره منهم البغوي
واصحابه ابن شاهين وابن السكن والباوردي والطبراني وتبعهم
ابن منده وابو نعيم واخرجه ابن خزيمة والحاكم من وجه آخر عن ابن
عباس قال امر النبي صلى الله عليه وسلم ربيعة بن امية فذكره فلو لم
يرد في اخره الا هذا لكان عنده في الصحابة صوابا لكن ورد انه ارتد
في زمن عمر كما قال ثم لحقه الخذلان والعياذ بالله تعالى في
خلافة عمر فلحق بالروم وتنصر بسبب شيء اغضبه
قال في الاصابة روى يعقوب بن شيبة في مسنده ان الصديق
كان من اعبر الناس للرؤيا فاتاه ربيعة بن امية فقال اني رأيت
في المنام كاني في ارض معشبة مخصبة وخرجت منها الى ارض مجدبة
كالحة ورأيتك في جامعة من حديد عند سرير الى الحشر
فقال ان صدقت رؤياك فتخرج اي فستخرج من الايمان الى
الكفر واما انا فان ذلك ديني جمع لي في اشد الاشياء الى يوم الحشر
قال فشرب ربيعة الخمر في زمن عمر فهرب منه الى الشام ثم هرب
الى قيصر فتنصر ومات عنده وذكر في الاستيعاب هذه القصة

هذه القصة مختصرة وان عمر هو الذي غربه اله لعبد الرزاق
والنسائي عن سعيد بن المسيب ان عمر غرب ربيعة بن امية في
الخمر الي خيبر فلحق بهرقل فتنصر فقال عمر لا اغرب بعده احدا ابدا
وله قصة اخري مع عمر قبل هذه ذكرها مالك في الموطا عن ابن
شهاب عن عروة ان خولة بنت حكيم دخلت علي عمر فقالت ان
ربيعة بن امية استمتع بامراة موحده فحملت منه فخرج عمر يجر
رداه فزعا فقال هذه المتعة لو كنت تقدمت فيها لرجمته وقد
اخرج له لربيعة احمد في مسنده حديثه هذا كما في الفتح واخراجه
له مشكل ولعله وفي الفتح ولعل من اخرجه اي احمد وغيره ممن سبق
كابن اسحق والبغوي ومن بعده لم يقف علي قصة ارتداده اذ لو
وقفوا عليها ما وسعهم اخراجه فينبغي ان يزاد في التعريف لو مات
علي ذلك ليخرج من ارتد بعد ان راه مومنا ومات علي الردة هكذا
قاله الحافظ كشيخه العراقي وتعقب بانه ينبغي قبل الردة صحابيا
ويكفي ذلك في صحة التعريف اذ لا يشترط فيه الاحتراز عن المنافي العارض
ولذا لم يحترزوا في تعريف المومن عن الردة العارضة لبعض افراده
فمن زاد في التعريف اراد تعريف من يسمي صحابيا بعد انقراض عصر الصحابة
لا مطلقا والا لزمه ان لا يسمي الشخص صحابيا في حال حياته ولا يقول
بهذا احد كذا قرره الجلال المحلي وقال السخاوي في شرح الالفية
انتزع بعضهم من قول الاشعري من مات مرتدا تبين انه لم يزل كافرا
لان الاعتبار بالخاتمة صحة اعتبار اخراجه وانه يصح ان يقال
لم يره مومنا لكن في هذا الانتزاع نظر لانه حين رويا ه كان مومنا في
الظاهر وعليه مدار الحكم الشرع فيسمي صحابيا وحينيذ فلا بد من القيد
المذكور انتهي وبه يعلم انه لا وجه لجزم صاحب الايعاب بما للاشعري
وقوله انه اولي من اعتذار المحلي فلو ارتد ثم عاد الي الاسلام
لكنه لم ير النبي صلي الله عليه وسلم ثانيا بعد عوده فالصحيح
انه معدود في الصحابة لاطباق المحدثين علي عد الاشعث بشين
معجمة وعين مهملة ومثلثة ابن قيس بن معدي كرب الكندي ابي
محمد الكوفي مات سنة اربعين او احدي واربعين وهو ابن ثلاث
وستين ونحوه كعطارد بن حاجب التميمي ممن وقع له ذلك الارتداد
والعود للاسلام ولم ير المصطفي واخراجهم احاديثهم في المسانيد
للصحابة لكن قال الحافظ زين الدين العراقي ان في ذلك
نظرا كثيرا فان الردة محبطة للعمل عند ابي حنيفة ومالك
واكثر العلما ونص عليه الشافعي في الام واجيب بان
معني نص الام انها تحبط الثواب لا نفس العمل قاله في الايعاب
الايعاب وان كان الرافعي قد حكي عنه اي الشافعي

انها

انها انما تحبط بشرط اتصالها بالموت وهو المعتمد عند الشافعية
انها محبطة للصحبة المتقدمة اي لثوابها لا لعملها الذي هو
الصحبة او الروية فيعتد به في عده صحابيا وتخريج احاديثه في
المسانيد كما يعتد بما فعله المسلم قبل ردته من صلاة وزكاة وحج
وصيام ونحوها فلا يبعد ذلك اذا ارتد ثم عاد للاسلام وان سقط
ثوابه بالردة وحينيذ فلا نظر اما من ارتد ثم عاد للاسلام
الي الاسلام في حياته صلي الله عليه وسلم كعبد الله بن ابي
سرح فلا مانع من دخوله في الصحبة بدخوله الثاني في الاسلام
سوا اجتمع به صلي الله عليه وسلم مرة اخري ام لا هذا هو الصحيح المعتمد
والشق الاول لا خلاف في دخوله وابدي بعضهم في الشق الثاني
احتمالا وهو مردود لاطباق اهل الحديث علي عد الاشعث في الصحابة
قاله في ديباجة الاصابة وهل يشترط في الرايي ان يكون بحيث
يميز ما راه اي يعد مميزا كان ياكل وحده ويشرب وحده لا تمييز الشخص
المرايي بان زيدا وعمرو ولا سند له بقصة ابن ابي بكر او يكتفي بحصول
مجرد الروية من الرايي للنبي صلي الله عليه وسلم وان لم يميز قال الحافظ
ابن حجر في الفتح محل نظر وعمل من صنف في الصحابة يدل علي الثاني
انه لا يشترط التمييز فانهم ذكروا مثل محمد بن ابي بكر الصديق
وانما ولد قبل وفاة النبي صلي الله عليه وسلم بثلاثة اشهر
وايام كما ثبت في الصحيح ان امه اسما بنت عميس بضم العين
وفتح الميم واسكان التحتية وسين مهملة الصحابية ولدته في حجة
الوداع قبل ان تدخل مكة وذلك في اواخر ذي القعدة سنة عشر
من الهجرة وقتل محمد بن الصديق سنة ثمان وثلاثين بمصر وكان
علي وكان علي كرم الله وجهه يثني عليه فهو وان لم تصح نسبة
الروية اليه لعدم تمييزه صحابي من حيث ان النبي صلي الله عليه وسلم
راه وكعبد الله بن الحرث بن نوفل وعبد الله بن عبد الله الانصاري
ممن حنكه النبي صلي الله عليه وسلم ودعا له فهو لا ونحوهم مذكورون
في الصحابة بخلاف السفاقسي شارح البخاري حيث قال في حديث
عبد الله بن صعير فكان صلي الله عليه وسلم مسح وجهه عام الفتح
ان كان عبد الله هذا عقل عن ذلك او عقل عنه كلمة كانت له صحبة والا
كانت له فضيلة وهو في الطبقة الاولي من التابعين واليه ذهب
العلائي حيث قال بعضهم لا صحبة له ولا روية وحديثه مرسل وهو
وان سلم له الحكم علي حديثهم بالارسال فهم من حيث الرواية اتباع
فهو فيما نفاه مخالف للجمهور ولاجل اختيار عد من لم يميز في الصحابة
كان في الصديق اربعة صحابة في نسق محمد بن عبد الرحمن بن ابي
بكر بن ابي قحافة قاله السخاوي قال الحافظ ومع ذلك فاحاديث

هولا مراسيل والخلاف بين الجمهور وبين ابي اسحق الاسفرايني ومن
وافقه على رد المراسيل مطلقا حتى مراسيل الصحابة لا تحتج به في احاديث
هولا لان مراسيلهم من قبيل مراسيل كبار التابعين لا من قبيل مراسيل
الصحابة ومنهم مالكم فكان لا يعد في الصحابة الا من صحب الصحبة
العرفية كما جاء عن عاصم الاحول قال راى عبد الله بن سرجس رسول
الله صلى الله عليه وسلم غير انه لم يكن له صحبة اخرجه احمد هذا مع
كون عاصم قد روى عن عبد الله بن سرجس عدة احاديث وهي
عند مسلم واصحاب السنن واكثرها من رواية عاصم الصحابي من تكون
له الصحبة عنه ومن جملتها قوله ان النبي صلى الله عليه وسلم استغفر
له فهذا راي عاصم ان الصحابي من تكون له الصحبة العرفية قاله
الحافظ وروي عن سعيد بن المسيب انه كان لا يعد في الصحابة
الا من اقام مع النبي صلى الله عليه وسلم سنة فصاعدا او
غزا معه غزوة فصاعدا قال ابن الصلاح وكان المراد بهذا
ان صح عنه راجع الى المحكي عن الاصوليين ولكن في عبارته ضيق يوجب
ان لا يعد من الصحابة جرير بن عبد الله البجلي ومن شاركه في فقد ظاهر
ما اشترطه فيه ممن لا نعلم خلافا في عده في الصحابة قال الزين
العراقي ولا يصح هذا عن ابن المسيب ففي الاسناد اليه محمد بن
عمر الواقدي ضعيف في الحديث وقال تلميذه الحافظ والعمل
على خلاف هذا القول لانهم اتفقوا على عد جمع جم في الصحابة
لم يجتمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا في حجة الوداع ومن اشترط
الصحبة العرفية اخرج من له رؤية او اجتمع به لكن فارقه عن قرب
كما جاء انه قيل لانس هل بقي من الصحابة غيرك قال لا مع انه كان
في ذلك الوقت عدد كثير ممن لقيه من الاعراب ومنهم من اشترط في
ذلك ان يكون حين اجتماعه بالغا قال العراقي وهو قول شاذ
قال تلميذه الحافظ وهو مردود ايضا لانه يخرج مثل الحسن
ابن علي ونحوه كما حنيه ومحمود بن الربيع وكثير من احداث
الصحابة والمحدثون يدخلونهم واما التقييد بالرؤية فالمراد
عند عدم المانع منها كالعمى فان كان كابن ام مكتوم الاعمى فهو
صحابي جزما فالاحسن كما قال العراقي ان يعبر باللقي بدل
الرؤية ليدخل الاعمى وقال المصنف انه يدخل في قوله من صحب
وكذا في قولهم او رآه النبي على ما لا يخفى وقال الحافظ العراقي
في دخول الاعمى الذي جاء اليه صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه
ولم يجالسه في قول البخاري من صحب النبي صلى الله عليه وسلم
او رآه نظر ظاهره ان نسخته ورآه بعدا والمطلق من غير الفي فيكون
التعريف مركبا من الصحبة والرؤية معا فلا يدخل الاعمى كما قال

لكن

لكن في جميع ما وقفت عليه من الاصول المعتمدة والتي للتقسيم وهو
لا سيما الظاهر وقد صرح غير واحد بان البخاري تبع في هذا التعريف
شيخه ابن المديني والمنقول عنه اوبالالف انتهى قال الحافظ
زين الدين العراقي في شرحه لمنظومته وقولهم الصحابي من
راى النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا هل المراد راه في حال نبوته
او اعم من ذلك حتى يدخل من راه قبل النبوة كزيد بن عمرو بن
نفيل القرشي العدوي والد سعيد احد العشرة فقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم انه اي زيدا يبعث امة وحده اخرجه الطيالسي عن
سعيد انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابي كان كما رايته وكما
بلغك فاستغفر له قال نعم انه يبعث يوم القيامة امة وحده واخرج البزار
عن جابر سئل رسول الله عن زيد بن عمرو فقلنا انه كان يستقبل القبلة
ويقول ديني دين ابراهيم والهي اله ابراهيم قال ذاك امة وحده يحشر
بيني وبين عيسى بن مريم وقد ذكره في الصحابة ابو عبد الله
ابن منده والبغوي وغيرهما بناء على ان الشرط مطلق الايمان لكن قال
في الاصابة فيه نظر لانه مات قبل البعثة بخمس سنين ولكنه يجيء على
احد الاحتمالين في تعريف الصحابي وهو من راى النبي مؤمنا به هل
يشترط كون رؤيته بعد البعثة فيؤمن به حين رآه او بعد ذلك
او يكفي كونه مؤمنا بانه سيبعث كما في قصة هذا وبحيره وجزم في
مقدمة الاصابة لانه ليس بصحابي قال السخاوي وهو الظاهر قال
وزاد لفظة به في التعريف ليخرج من لقيه مؤمنا بغيره على انه يستغني
عن ذلك باطلاق نفس النبوة اذ المطلق يحمل على الكامل وكذا لو راه
قبل النبوة ثم غاب عنه وعاش الى بعد زمن البعثة واسلم
ثم مات ولم يره ولم ار من تعرض لذلك وهو محتمل والراجح
انه غير صحابي ويدل على ان المراد رآه بعد نبوته انهم ترجموا
في الصحابة لمن ولد للنبي صلى الله عليه وسلم كابراهيم
من مارية القبطية وعبد الله من خديجة وفي انه غير الطيب والطاهر
انهما لقبان له خلاف ولم يترجموا لمن ولد قبل النبوة ومات قبلها
كالقاسم لكن ترجم له ابن الاثير في اسد الغابة ثم شيخ الاسلام في
الاصابة بناء على ان المراد مطلق الايمان انتهى كلام العراقي واما من
راه وامن به بعد البعثة وقبل الدعوة كورقة بن نوفل فصحابي
كما جزم به ابن الصلاح وفي نظم العراقي للسيرة

وهو الذي امن بعد ثانيا ۰ وكان برا صادقا مواتيا ۰

اي بعد خديجة وقول الحافظ الصحيح ظاهره انه اقر بنبوته ولكنه
مات قبل ان يدعو الناس الى الاسلام فيكون مثل بحيرا في اثبات
الصحبة له نظر نعقبه تلميذه البرهان البقاعي فقال هذا من العجايب

كيف يماثل بين من امن بانه قد بعث بعد ما جاء الوحي فا نطبق عليه
تعريف الصحابي الذي ذكره فيو تحسبه عن امن انه سيبعث ومات قبل
ان يوحي اليه قال العلامة البرماوي لبس ورقة من هذا النوع لاجتماعه
به بعد الرسالة لما صح في الاحاديث انه جاله بعد مجي جبريل وانزال
اقرا وبعد قو له ابشر يا محمد انا جبريل ارسلت اليك وانك رسول هذه
الامة وقول ورقة ابشر فانا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك
علي مثل ناموس موسي وانك نبي مرسل وانك ستومر بالجهاد وانك ان
ادركت وان ادركت ذلك لاجاهدن معك فحكاية ابن مندة الخلاف
في اسلامه وقول الذهبي الاظهر انه مات بعد النبوة وقبل الرسالة
بعيد لما ذكرنا فهو صحابي فقطما يل اول الصحابة كما كان شيخنا شيخ
الاسلام السراج البلقيني يقرره انتهي وتقدم هذا في اول من
اسلم وهل يختص ذلك بجميع جميع ذلك ببني ادم او يعم غيرهم
من العقلا محل نظر اما الجن فالظاهر فالراجح دخولهم
لان النبي صلي الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا بالاجماع والنصوص
وهم مكلفون فيهم العصاة والطايعون فمن عرف اسمه
منهم لا ينبغي التردد في ذكره وبهذا لفظ المنبع وعبر في الاصابة
بانه يتعين ذكره في الصحابة وان كان ابن الاثير الحافظ عز الدين
في اسد الغابة عاب ذلك علي ابي موسي المديني فلم يستند في
ذكر الي حجة فليس ذلك بعيب لما ذكر وقد قال ابن حزم قد اعلمنا
الله ان نفرا من الجن امنوا وسمعوا القران منه صلي الله عليه وسلم
فهم صحابة فضلا واما الملايكة فيتوقف عدهم في ذلك اي
الصحابة علي ثبوت البعثة اليهم فان فيه خلافا بين الاصوليين
حتي نقل بعضهم الاجماع علي ثبوته ورجحه السبكي والبارزي وابن
كثير وعكس بعضهم فنقل الاجماع علي عدمه قال في الاصابة وفي
صحة بنا هذه المسالة علي هذا الاصل نظر لا يخفي انتهي اي انه لا دخل
لذلك في تحقق الصحبة فسوا قلنا بعث اليهم ام لا نحكم بصحبة من راه
من الملايكة وهذا كله لمن راه وهو في قيد الحياة الدنيوية
اما من راه بعد موته وقبل دفنه قال في الاصابة كما وقع ذلك لابي
ذويب الهذلي الشاعر ان صح فالراجح انه ليس صحابيا لانها حياة
اخروية لا تتعلق بها احكام الدنيا كما ياتي والا لعد من اتفق انه
يري جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه الاعصار
ولم يعدوه صحابيا وهذا كلام الحافظ قال السخاوي وسبقه الي ترجيح
ذلك شيخه العراقي والبدر الزركشي وعليه فيزاد في التعريف قبل انتقاله
من الدنيا وجزم البلقيني بانه يعد صحابيا لحصول الرويه له وان فاته
السماع قال وقد ذكره في الصحابة يعني ابا ذويب الذهبي في التجريد وقال

العلايي

العلايي لا يبعد ان يعطي حكم الصحبة لشرف ما حصل له من رويته قبل دفنه
وصلاته عليه قال وهو اقرب من عد المعاصر الذي لم يره اصلا فيهم والصغير
الذي ولد في حياته وقال الزركشي ظاهر كلام ابن عبد البر نعم لانه اثبت
الصحبة لمن اسلم في حياته وان لم يره فيكون من راه قبل الدفن اولي انتهي
وفيه نظر ففي الاصابة ان المخضرمين وهم الذين عاصروه ولم يروه ليسوا
صحابة باتفاق علما الحديث وان كان بعضهم ذكر بعضهم في كتب الصحابة
فقد افصحوا بانهم لم يذكروهم الا لقربهم لتلك الطبقة لا انهم
من اهلها وممن افصح بذلك ابن عبد البر فغلط من زعم انه يقول انهم
صحابة واحاديث هولا مرسلة باتفاق صرح به ابن عبد البر نفسه في
التمهيد وغيره من كتبه وكذلك كشف له من الاوليا عنه صلي الله عليه
وسلم فراه كذلك من قبره علي طريق الكرامة كما قدمت مباحثه
في خصوصياته عليه الصلاة والسلام لا يكون صحابيا اذ حجة من
اثبت الصحبة كالسراج البلقيني لمن راه قبل دفنه انه مستمر الحياة
وهذه الحجة ضعيفة اذ هذه الحياة ليست دنيوية وانما هي
اخروية لا يتعلق بها احكام الدنيا فان الشهدا احيا ومع ذلك
فان الاحكام المتعلقة بهم بعد القتل جارية علي احكام غيرهم من الموتي
قاله الحافظ وهو تعليل حسن واما تعليل العراقي في التقييد بان النبوة
انقطعت بالموت فغير مرضي ولذا قال ابن جماعة فيه بحث وتامل وقد
اضرب العراقي نفسه في شرحه عنه فجزم بالحكم فقط فكانه رجع عنه قاله
السخاوي وبه يعلم ما في تعقبة البقاعي له بقوله لان الاخبار الذي هو
معني النبوة انقطع انتهي وهذا كله لمن راه يقظة واما من راه في
المنام وان كان قد راه حقا لان الشيطان لا يتمثل به فذلك فيما يرجع
الي الامور المعنوية لا الاحكام الدنيوية فلذلك لا يعد صحابيا ولا
يجب عليه ان يعمل بما امره به في تلك الحالة لان النايم لا يضبط ما يقال
له فلو راه يقظة وامره بشي وجب عليه العمل به لنفسه ولا يعد صحابيا
وينبغي انه يجب علي من صدقه العمل به قاله شيخنا وقد اجمع جمهور
العلما من السلف والخلف علي انهم اي الصحابة خير خلق الله وافضلهم
بعد النبيين وخواص الملايكة المقربين خلافا لمن قال بتفضيل الملك علي
البشر مطلقا ومر بسطه في المقصد السادس لما في البخاري ومسلم
وغيرهما من حديث عبد الله بن مسعود ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال خير الناس اهل قرني اي عصري من الاقتران في الامر الذي
يجمعهم يعني الصحابة ومدتهم من البعثة مابة وعشرون سنة او دونها
او فوقها بقليل علي الخلاف في وفاة ابي الطفيل اخرهم موتا وان
اعتبر ذلك من وفاته صلي الله عليه وسلم كان مابة سنة او تسعين
او سبعا وتسعين ثم الذين يلونهم اي القرن الذي بعدهم وهم التابعون

ومدتهم نحو سبعين او ثمانين سنة ان اعتبر من سنة مائة ثم الذين
يلونهم وهم اتباع التابعين نحو من خمسين سنة الى حد وعشرين ومائتين
فظهر بهذا ان مدة القرن تختلف باختلاف اعمار كل زمان كما قاله الحافظ
ومر هذا الحديث مرتين في الخصايص وله اي البخاري ولمسلم ايضا
من حديث عمران فلا ادري اذكر صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين
بالميم وفي رواية قرنين او ثلاثا وفي نسخة او ثلاثة قال الحافظ وقع
مثل هذا الشك في حديث ابن مسعود وابي هريرة عند مسلم وبريدة
عند احمد وجاء في اكثر الطرق بلا شك منها عند مسلم عن عايشة قال رجل يا
رسول الله اي الناس خير قال القرن الذي انا فيه ثم الثاني ثم الثالث
وللطبراني وسمويه ما يفسر به هذا التاويل وهو ما اخرجاه من
طريق بلال بن سعد عن ابن ابيه تميم قال قلت يا رسول الله اي الناس
خير فقال انا وقرني فذكر مثله وللطيالسي من حديث عمر رفعه
خير امتي القرن الذي انا منهم ثم الثاني ثم الثالث ولابن ابي شيبة والطبراني
عن جعدة بن هبيرة اثبات قرن رابع ولفظه خير الناس قرني ثم
الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الاخرون اردى
ورجاله ثقات الا ان جعدة يختلف في صحبته قال في فتح الباري
والقرن اهل زمان واحد متقارب اشتركوا في امر من الامور
المقصودة اسقط من الفتح ويقال ان ذلك مخصوص بما اذا اجتمعوا في
زمن نبي او رئيس يجمعهم على ملة او مذهب او عمل ويطلق القرن
على مدة من الزمان واختلفوا في تحديدها فقيل من عشرة
اعوام الى مائة وعشرين لكن لم ار من صرح بالتسعين بفوقية
قبل السين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به قايل
اسقط من الفتح وذكر الجوهري الثلاثين والثمانين وفي حديث
عبد الله بن بسر عند مسلم ما يدل على ان القرن مائة وهو المشهور
وقال صاحب المطالع القرن امة هلكت فلم يبق منهم احد ولم يذكر
صاحب المحكم الخمسين وذكر من عشر الى سبعين وقال صاحب المحكم هو
القدر المتوسط من اعمار اهل كل زمن وهذا اعدل الاقوال
وبه صرح ابن الاعرابي وقال انه ماخوذ من الاقتران ويمكن ان يحمل
عليه المختلف من الاقوال المتقدمة ممن قال ان القران اربعون فصاعدا
اما من قال انه دون ذلك فلا يلتيم على هذا القول هكذا في الفتح قبل
قوله والمراد بقرن النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة وتقدم في اول
المقصد الاول حديث البخاري في صفة النبي صلى الله عليه وسلم
عن ابي هريرة مرفوعا بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا
حتى كنت من القرن الذي كنت منه هذا تتمة الحديث وفي رواية
بريدة بن الحصيب الصحابي الشهير عند احمد مرفوعا خير هذه

الامة

الامة القرن الذي بعثت فيهم وهو يتناول الصحابة ومن اسلم
في زمنه ولم يره كالنجاشي وغيره وان لم يكونوا صحابة
الاية من الحفاظ للحديث اخر من مات من الصحابة على الاطلاق
في جميع الارض لا باعتبار النواحي والبلدان بلا خلاف بين اهل الحديث
فقالوا هو ابو الطفيل عامر بن واثلة بكسر المثلثة ابن عبد الله بن
عمرو بن جحش بن جري بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناه بن علي بن
كنانة الكناني ثم الليثي نسبة الى جده ليث بن بكر المذكور صحابي
مكي بن صحابي قال في الجامع ويقال اسمه عمرو وغلبت عليه كنيته وفي
الاصابة هو مشهور باسمه وكنيته جميعا راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو شاب وحفظ عنه احاديث قال ابن عدي له صحبة وروى ايضا عن ابي
بكر وعمر وعلي ومعاذ وحذيفة وابن مسعود وابن عباس ونافع بن
عبد الحارث وغيرهم وروى عنه الزهري وابو الزبير واخرون وقال
ابن السكن جاء عنه روايات ثابتة انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
واما سماعه منه فلم يثبت وذكر ابن سعد عن علي بن زيد بن جدعان
عن ابي الطفيل قال كنت اطلب النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يطلبه
في الغار الحديث وهو ضعيف لانه لا خلاف ان ابا الطفيل لم يكن ولد
تلك الليلة واظن هذا من رواية ابي الطفيل عن ابيه وذكر البخاري
في التاريخ الصغير عن ابي الطفيل قال ادركت ثمان سنين من حياة
النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو عمر كان يعترف بفضل ابي بكر وعمر لكنه
يقدم عليا كما جزم به مسلم في صحيحه ومصعب الزبيري وابن مندة
واخرج مسلم عنه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما على وجه
الارض رجل راه غيري وكان موته سنة مائة من الهجرة على الهجرة
على الصحيح كما قال غير واحد وفي الالفية
وما ت اخرا بغير مرية ◦ ابو الطفيل مات عام مائة ◦
وقيل سنة اثنين ومائة حكاه ابن عبد البر وغيره وقيل سنة
سبع ومائة قاله مبارك بن فضالة وقيل سنة عشر ومائة قال
جرير بن حازم كنت بمكة سنة عشر ومائة فرايت جنازة فسالت
عنها فقيل لي ابو الطفيل وقيل مات بالكوفة قال السخاوي والصحيح
بمكة فيكون اخر من مات من الصحابة بمكة ايضا كما جزم به ابن حبان
وابن مندة وهو الذي صححه الذهبي في الوفيات والحافظ في
التهذيب في ترجمة عكراش وهو مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم
قبل وفاته بشهر كما في حديث جابر عند مسلم وفي الصحيحين عن
ابن عمر صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم العشاء فلما سلم قام فقال ارايتكم
ليلتكم هذه فانه على راس مائة سنة منها لا يبقى على وجه وفي رواية على
ظهر الارض ممن هو اليوم عليها احد قال ابن عمر يريد بذلك ان

يتحرم ذكر القرن اي يمن ترونه او تعرفونه عند مجيبه ا والمراد ارضه
التي بها نشا ومنها بعث كجزيرة العرب المشتملة علي الحجاز ونجد وتهامة
فهو علي قوله تعالي او ينفوا من الارض اي بعض الارض التي صدرت
الجناية فيها فليست ال للاستغراق فلا حجة فيه لمن استدل به علي موت
الخضر لانه في غير هذه الارض المعهودة ولين سلم ان ال استغراقية فقوله
احد عموم يحتمل اذ علي وجه الارض الجن والانس والعمومات يدخلها التخصيص
بادني قرينة واذا احتمل الكلام وجوها سقط به الاستدلال قال الشيخ
قطب الدين القسطلاني وقال النووي المراد ان كل من كان تلك الليلة
علي وجه الارض لا يعيش بعدها اكثر من مائة سنة سواء قل عمره قبل
ذلك ام لا وليس فيه نفي حياة احد يولد بعد تلك الليلة مائة سنة **وفي رواية**
مسلم ارايتكم قال الحافظ بفتح المثناة لانها ضمير المخاطب والكاف ضمير ما لا
محل له من الاعراب والهمزة الاولي للاستفهام والروية بمعني العلم او البصر
اي اعلمتم او ابصرتم **ليلتكم هذه** وهي منصوبة علي المفعولية والجواب
المحذوف تقديره قالوا نعم قال فاضبطوها انتهي فيجوز قراءته بضم الهمزة
وكسر الراء وضم الفوقية اي اراني الله في مناسي حالكم حظا نشا من عدم الوقوف
علي شي **فانه ليس من نفس منفوسة** اي مخلوقة يومئذ **تاتي**
عليها مائة سنة وعلي المصنف رحمه الله مواخذة فليس الحديث في
مسلم كما قال فانما فيه كالبخاري ارايتكم ليلتكم هذه في صدر حديث
ابن عمر وبعده قوله فان علي راس مائة سنة الي اخره ما ما مر واما فانه
ليس من نفس الي اخره فليس فيه اوله ارايتكم ليلتكم هذه فلفظ مسلم
عن جابر سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول قبل ان يموت
بشهر تسالوني عن الساعة وانما علمها عند الله واقسم بالله ما علي الارض
من نفس منفوسة تاتي عليها مائة سنة ثم اخرجه اخر عن سالم عن جابر
قال قال نبي الله ما من نفس منفوسة تبلغ مائة سنة فقال سالم تذاكرنا
ذلك عنده انما هي كل نفس مخلوقة يومئذ واخرج مسلم ايضا عن ابي
سعيد قال لما رجع النبي صلي الله عليه وسلم من تبوك سالوه عن الساعة
فقال لا تاتي مائة سنة وعلي وجه الارض نفس منفوسة اليوم هذا
ووجه المطابقة ان المتبادر من قوله علي راس مائة سنة انها محسوبة
من وقت اخباره فيكون موت ابي الطفيل سنة عشر ومائة لان التاريخ من
الهجرة وقد اقام بالمدينة عشر سنين ولعل وجه الاول الصحيح مع ظهور
هذا ان المراد علي راس مائة سنة من الهجرة لانه صلي الله عليه وسلم
امر بالتاريخ منها علي ما روي وان كان المشهور ان ذلك في زمن عمر
واما ما ذكر ان عكراش بكسر المهملة وسكون الكاف واخره معجمة
ابن ذويب تصغير ذيب التميمي السعدي وفي له ابن منده المتقدم
فيه نظر لانه من ولد مرة بن عبيد اخي منقر بن عبيد وفي حديثه نفسه

يعني

بعثني بنو امراة بنو مرة بن عبيد بصدقات اموالهم اخرجه الطبراني
وغيره قال ابن سعد صحب النبي صلي الله عليه وسلم وسمع منه وقال
ابن حبان له صحبة الا اني لست بالمعتمد علي اسناد خبره **عاش بعد يوم**
الجمل مائة سنة علي ما ذكر ابن قتيبة في المعارف وابن دريد في الاشتقاق
انه شهد الجمل مع عايشة فقالت للاحنف كانكم به وقد اتي به قتيلا او به
جراحة لا تفارقه حتي يموت فضرب ضربة علي انفه عاش بعدها مائة سنة
واثر الضربة **فذاك غير صحيح** لمنافاته للحديث النبوي **وان صح فمعناه**
انه استكمل المائة بعد وقعة **الجمل لا انه بقي بعدها مائة سنة** والا
لاقتضي ذلك ان يكون عاش الي دولة بني العباس وهو محال **كما نص**
عليه الايمة منهم الحافظ فقال ما ذكر في الاصابة وشيخه العراقي فقال
هذا باطل او ماول وكذا توقف في صحته البلقيني **واما ما ذكر من امر**
بابا رتن قال في الاصابة بالفوقية ويقال بالطا بدلها الهندي
شيخ خفي ذكره بزعمه دهرا طويلا الي ان ظهر علي راس القرن السادس
فادعي الصحبة وروي عنه ابنه محمود وجماعة عددهم ثم قال ولم اجد له
في كتب المتقدمين ذكرا وذكره الذهبي في تجريده فقال رتن الهندي
شيخ ظهر بعد الستماية بالمشرق وادعي الصحبة فسمع منه الجهال ولا وجود
له بل اختلق اسمه بعض الكذابين وانما ذكرته تعجبا كما ذكر ابو موسي سرباتك
الهندي وذكره في الميزان فقال رتن وما ادراك ما رتن شيخ دجال
بلا ريب ظهر بعد الستماية فادعي الصحبة والصحابة لا يكذبون وهذا جري
علي الله ورسوله وقد الفت في اخره جزا وقد قيل انه مات سنة اثنين
وثلاثين وستماية ومع كونه كذابا فقد كذبوا عليه جملة كثيرة من اسمج
الكذب والمحال قلت وزعم الازبكي انه سمع منه بعد ذلك في سنة خمس
وخمسين وستماية وما زلت اتطلب الجز المذكور حتي وقفت عليه بخط
مولفه فكتبت منه ما اردته هنا فذكره مع زيادة عليه بما يستحيي من
نسبه كثير من احاديثه الي افضل الناس فضلا عن سيد الخلق وقد وقفت
علي جز الذهبي وهو نحو كراس في النصف **ونحوه** وهو سرباتك الهندي
بفتح السين وسكون الراء موحدة فالف فوقية فكاف ملك الهند زعم انه
راي النبي صلي الله عليه وسلم بمكة ومرة بالمدينة ومات سنة ثلاث
وثلاثين وثلثماية وكان زعم انه مضت عليه سبعماية وخمس وعشرون
سنة وزاد عليه انه من زعم انه مات ابن ثمانماية واربع وتسعين سنة
وجبير بن الحارث الاعرابي ادعي الصحبة سنة ست وسبعين وخمسماية
والربيع بن محمود المارديني ادعي الصحبة والتعمير في سنة تسع وتسعين
وخمسماية وجعفر بن نسطور الرومي ادعي الصحبة في خمسين وثلاثماية
ونسطور زعم انه عاش بعده صلي الله عليه وسلم ثلثماية سنة
ومعمر بن بريك بموحدة ومهملة وكاف مصغرا ادعاها سنة سبع

وعشرين وستماية والعمر اختلقه بعض الكذابين وانه عمر الى حماية سنة وقيس بن تميم وابي الخطاب ومكلبة وبسر بن عبد الله فكل ذلك لا يروج على من له ادنى مسكة شي قليل من العقل يمنعه عن الوقوع فيما لا يليق كما قاله الايمة واخبارهم لا وا كاذيبهم مذكورة في الميزان ولسانه وغيرهما واما اخر الصحابة موتا بالاضافة الى النواحي اي البلدان فقد افردهم ابن منده بالتصنيف وتكفل بذلك في الاقمية فلا حاجة الى الاطالة بايراده واما قوله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم فهم اهل القرن الذين بعدهم وهم التابعون للصحابة على اختلاف طبقاتهم ثم الذين يلونهم وهم اتباع التابعين فالقرن الرابع لا يعلم لهم بتفضيل بل في نفسه خبر الصحيحين السابق ثم يجي قوم تسبق شهادة احدهم يمينه ويمينه شهادته فاثبت لهم صفة الذم واقتضى هذا الحديث لتغييره بثم ان تكون الصحابة افضل من التابعين والتابعون افضل من اتباع التابعين ولا نزاع في ذلك لكن هل هذه الفضيلة بالنسبة الى المجموع فلا يستلزم الحكم على كل واحد او الافراد فيستلزم ذلك واليه ذهب الجمهور والذي ذهب اليه عبد البر هو الاول كما قدمت ذلك في خصايص هذه الامة من المقصد الرابع واحتج لذلك سوى ما تقدم بحديث مثل امتي مثل المطر لا يدري بالراي والاستنباط اخره خير ام اوله قال البيضاوي نفي تعلق العلم بتفاوت طبقات الامة في الخيرية واريد به نفي التفاوت لاختصاص كل منهم بخاصية توجب خيريتها كما ان كل نوبة من نوب المطر لها فايدة في النما لا يمكن انكارها والحكم بعدم نفعها فان الاولين امنوا بما شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول بالاجابة والايمان والاخرون امنوا بالغيب بما تواتر عندهم من الايات واتبعوا من قبلهم بالاحسان وكما اجتهد الاولون في التاسيس والتمهيد اجتهد الاخرون في التجريد والتلخيص وصرفوا عمرهم في التقرير والتاكيد فكل سعيه مشكور واجره موفور انتهى وقال الطيبي تمثيل الامة بالمطر انما يكون بالهدى والعلم فتختص هذه الامة المشبهة بالمطر بالعلما الكاملين منهم والمكملين لغيرهم فيستدعي هذا التفسير ان يراد بالخير النفع فلا يلزم من هذه المساواة في الافضلية ولو ذهب الى الخيرية فالمراد وصف الامة قاطبة سابقها ولاحقها اولها واخرها بالخيرية وانها ملتحمة بعضها مع بعض مرصوصة كالبنيان على حد قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها وقول الشاعر

ان الخيار من القبايل واحد ... وبنو حنيفة كلهم اخيار

فالحاصل ان الامة باسرها مرتبطة بعضها مع بعض في الخيرية بحيث ابهم امرها وارتفع التمييز بينها وان كان بعضها افضل من بعض في

نفس الامر وهو قريب من سوق المعلوم مساق غيره فيما معناه قوله

تشابه يوماباسه ونواله ... فما نحن ندري اي يوميه افضل

فيوم نداه الغمر يوم باسه ... وما منهما الا اغر محجل

ومعلوم علما جليا ان يوم نداه الغمر افضل من يوم باسه لكن الندا لما لم يكن الا بالباس اشكل الامر فقال ما قال ولذلك امر المطر والامة انتهى قال الحافظ ابن حجر وهو حديث حسن له طرق قد احمد من حديث عمار وصححه ابن حبان واحمد والترمذي عن انس وابو يعلى عن علي والطبراني عن ابن عمر وقد يرتقي بها الى درجة الصحة قال واغرب النووي فعزاه في فتاويه الى مسند ابي يعلى من حديث انس باسناد ضعيف مع انه عند الترمذي باسناد اقوى منه من حديث انس وصححه ابن حبان من حديث عمار واجاب عنه النووي بما حاصله ان المراد من يشتبه عليه الحال في ذلك من اهل الزمان الذين يدركون عيسى ويرون ما في زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة الاسلام ودحض امر الكفر فيشتبه الحال على من شاهد ذلك اي الزمانين خير وهذا الاشتباه يندفع بصريح قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني انتهى كلام الحافظ وتقدم عن الطيبي جوابا ان ادق من هذا الجواب وقد روى ابن ابي شيبة من حديث عبد الرحمن بن جبير بجيم وموحدة مصغر ابن نفير بنون وفا مصغر الحمصي الثقة روى له مسلم والاربعة ومات سنة ثمان عشرة ومائة احد التابعين وابوه تابعي مخضرم وجده صحابي وقد روى الحاكم وغيره الحديث هذا عن ابيه جبير بن نفير باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدركن المسيح وفي رواية الحاكم ليدركن الدجال اقواما انهم لمثلكم او خير منكم واو يحتمل الشك وغيره قال ذلك ثلاثا ولن يخزي بضم اوله اي يذل الله امة انا اولها والمسيح وفي رواية الحاكم وعيسى اخرها بل انا اعز اولها بي كذلك يعز اخرها بعيسى فيقتل الدجال ولا يعيل الاسلام وروى ابو داود والترمذي من حديث الخشني بضم الخا وفتح الشين المعجمتين ونون صحابي مشهور بكنيته قيل اسمه جرثوم او جرثومة او جرثم او جرهم وقيل غير ذلك وقيل اسم ابيه ايضا خلاف مات سنة خمس وسبعين وقيل بعد الاربعين رفعه ان في ايام للعامل فيها اجر خمسين ممن يعمل في غيرها قيل منهم من اهل تلك الايام او منا معاشر الصحابة يا رسول الله قال بل منكم لانهم اقاموا الدين وتمسكوا به وصبروا على الطاعة حين ظهور المعاصي والفتن فكانوا عند ذلك غربا فزكت اعمالهم ويشهد له حديث مسلم عن ابي هريرة رفعه بدا الاسلام غريبا وسيعود كما بدا فطوبى للغربا وهو شاهد لحديث مثل بفتحتين امتي مثل المطر

لانه بمعناه وما كان كذلك يسمي شاهدا لكن حديث للعامل
منهم اجر خمسين منكم المذكور لا يدل علي افضلية غير
الصحابة لان مجرد زيادة الاجر لا يستلزم
ثبوت الافضلية المطلقة لجواز انها لصفات قامت بهم
كالتمسك بالدين مع شدة المانع منه وزيادة حبهم للمصطفي مع
انهم ما راوه وزيادة اليقين والايمان بالغيب وقد اثني
الله علي الذين يومنون بالغيب الآية وايضا الاجر انما
يقع تفاضله بالنسبة الي ما يماثله في ذلك العمل
فاما فاز به من شاهد النبي او شاهده النبي صلي الله
عليه وسلم من فضيلة المشاهدة ولو مرة فلا يعدله فيها
احد وذلك لا يكون لغير الصحابة ولو بلغوا ما بلغوا وفي الشفا ان رجلا
قال للمعافي بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب
وقال لا يقاس باصحاب النبي احد معاوية صاحبه وصهره
وامينه علي وحي الله ولا ريب ان من قاتل معه او في زمانه
بامره او انفق شيا قليلا او كثيرا من ماله بسببه لا يعدله
احد في الفضل بعده كاينا من كان فكلام ابن عبد البر ليس
علي اطلاقه في حق جميع الصحابة فانه صرح باستثنا اهل بدر
والحديبية لا كما فهمه القرطبي انه قد ياتي بعد الصحابة من
يكون افضل من جميعهم لا قال تعالي لا يستوي منكم من
انفق من بعد الفتح لمكة وقاتل اولئك اعظم درجة من
الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسني وهي الجنة
وبهذه الاية استدل ابن حزم علي ان الصحابة كلهم من اهل الجنة
قطعا لانهم المخاطبون بالاية وقال تعالي ان الذين سبقت لهم منا
الحسني اولئك عنها مبعدون فثبت انهم من اهل الجنة وانهم لا يدخل
احد منهم النار ولا يرد ان التقييد بالانفاق والقتال يخرج من لم
يتصف بذلك وكذلك التقييد بالاحسان في قوله تعالي والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الذين اتبعوهم باحسان الاية
يخرج لمن يتصف بذلك لان التقييد ان المذكوره خرجت مخرج
الغالب فالمراد من اتصف بالانفاق والقتال بالفعل او القوة
وكذلك من ضبط الشرع المتلقي عنه وبلغه لمن بعده فلا يعدله
احد ممن ياتي بعده لانه ما من خصلة من الخصال المذكورة الا وللذي
سبق بها مثل اجر من عمل بها من بعده فظهر فضلهم محصل النزاع
حينيذ بين الجمهور وابن عبد البر يتمحض فيمن لم يحصل له
الا مجرد المشاهدة وقد ظهر انه فاز بما لم يفز به
ان لم يحصل له ذلك وذلك لا يعدله شي لانه بمجردها ينطق الاعرابي

الحلق بالحكمة وتشرق في قلبه الانوار وبهذا يمكن تاويل الاحاديث
المتقدمة بان دلالتها علي الفضيلة لا مطلقا فلا يرد ان المشاهدة
لا يساويها شي قال في الاصابة وقد كان تعظيم الصحابة ولو قل
اجتماعهم مقررا عند الخلفا الراشدين وغيرهم ففي كتاب اخبار
الجوارح لمجد بن قدامة المروزي برجال ثقات عن ابي سعيد
الخدري قال كنا نتزل رفاقا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم
فنزلنا في رفقة فيها ابو بكر فنزلنا علي اهل ابيات فيهم
امراة حبلي ومعنا رجل من اهل البادية فقال للمراة ايسرك
ان تلدي غلاما قالت نعم قال ان اعطيتني شاة ولدت غلاما فاعطته
فسجع لها اسجاعا ثم عمد الي الشاة فذبحها وطبخها فاكلنا منها
فلما علم ابو بكر بالقصة قام فتقيا كل شي اكله ثم رايت ذلك البدوي
قد اتي به عمر بن الخطاب وقد هجا الانصار فقال عمر لولا ان له صحبة
من رسول الله صلي الله عليه وسلم ما ادري ما نال فيها لكفيتموه ولكن
له صحبة فتوقف عمر عن معاتبته فضلا عن معاقبته لعلمه انه لقي
النبي صلي الله عليه وسلم وذلك ابين شاهد علي انهم كانوا يعتقدون
ان شان الصحبة لا يعدله شي ثم ان الصحابة علي ثلاثة اصناف
الاول المهاجرون والمراد بهم من عدا الانصار ومن اسلم
يوم الفتح وهلم جرا فعد الصحابة ثلاثة من هذه الحيثية كما
في الفتح الثاني الانصار اسم اسلامي لهم سماهم الله به لما فازوا
به دون غيرهم من ايوايه ونصره صلي الله عليه وسلم وايوا من
معه ومواساتهم بانفسهم واموالهم وهم الاوس والخزرج ابنا
حارثة بن ثعلبة جداها الاعليان واسم امهم قيلة بفتح القاف
واسكان التحتية اي وسكون التحتية وحلفا وهم ومواليهم
لان الانصار قالت يا رسول الله ان لكل قوم اتباعا وانا قد اتبعناك
فادع الله ان يجعل اتباعنا منا فقال النبي صلي الله عليه وسلم اللهم
اجعل اتباعهم منهم كما في الصحيح والاتباع والموالي الثالث من
اسلم يوم الفتح فما بعده الي الوفاة النبوية قال ابن الاثير
في الجامع للاصول والمهاجرون افضل من الانصار وهذا
علي سبيل الاجمال اي الحكم علي الجملة لا علي كل واحد واما علي
سبيل التفصيل فان جماعة من سباق الانصار كاصحاب
العقبة افضل من جماعة من متاخري المهاجرين واما
سباق المهاجرين افضل من سباق الانصار جميع سابقهم
ثم هم اي المهاجرون بعد ذلك متفاوتون في الفضل فرب
متاخر في الاسلام افضل من متقدم عليه فيه مثل عمر بن
الخطاب وبلال ابن رباح فانه تقدم علي عمر في الاسلام بحيث قيل

انه اول من اسلم وعمر افضل منه باجماع من انه سبقه اربعون الي
الاسلام وقد ذكر العلما للصحابة ترتيبا علي طبقات واختلفوا
في عدها وممن قسمهم كذلك الحاكم ابو عبد الله في كتاب علوم
الحديث الذي يعبر عنه المعبرون المتاخرون بالمصطلح الاولي
قوم اسلموا بمكة اول المبعث وهم سباق المسلمين مثل
خديجة بنت خويلد التي لم يسبقها الي الاسلام رجل ولا امراة
اجماعا حكاه غير واحد وعلي بن ابي طالب وابي بكر وزيد
ابن حارثة وبقية العشرة وبلال وورقة بن نوفل وهما
مع من سمي المصنف هنا هم الذين قد تقدم الخلاف في اول من
اسلم منهم من المقصد الاول مع الترجيح او الجمع الطبقة
الثانية اصحاب دار الندوة دار قصي بن كلاب وهي لغة
الاجتماع لانهم كانوا يجتمعون فيها للمشورة وغيرها فلا تنكح
امراة ولا يتزوج رجل من قريش ولا يتشاورون في امر ولا يعقدون
لوا الا فيها وخرج فيها النبي صلي الله عليه وسلم بعد اسلام عمر
ابن الخطاب واظهار اسلامه فبايعوه حينئذ فيها واليه
اشار بقوله حمل عمر النبي صلي الله عليه وسلم من المسلمين
الي دار الندوة فاسلم ثم جماعة من اهل مكة وطبقتهم
تلي الاولي الطبقة الثالثة الذين هاجروا الي الحبشة
بامره صلي الله عليه وسلم فرارا بدينهم من اذي المشركين
منهم جعفر بن ابي طالب وابو سلمة بن الاسد المخزومي وكانت
هجرتهم للحبشة مرتين اولي وثانية الطبقة الرابعة اصحاب
العقبة الاولي الذين اجتمعوا به صلي الله عليه وسلم عند
جمرة العقبة عقبة الجمرة وهم سباق الانصار الي
الاسلام وكانوا ستة واصحاب العقبة الثانية من
العام المقبل وكانوا اثنا عشر رجلا وقد تقدمت
اسما اهل العقبتين في المقصد الاول فلا حاجة الي
اعادته الطبقة الخامسة اصحاب العقبة الثالثة
وكانوا سبعين وقيل خمسا وسبعين من الانصار لفظ الحاكم
واكثرهم من الانصار منهم البرا بفتح البا والرا والمد مخففا ابن
معرور بفتح الميم واسكان المهملة وضم الراو وسكون الواو
ثم را وكان اول من بايع ليلتئذ وقيل اسعد بن زرارة هو
وعبد الله بن عمرو بن حرام بمهملتين الشهيد باحد وهو ابو
جابر وسعد بن عبادة سيد الخزرج وسعد بسكون العين
ابن الربيع المستشهد باحد وعبد الله بن رواحة الشهيد
بموته الطبقة السادسة المهاجرون الذين وصلوا

النبي صلي الله عليه وسلم بعد هجرته وهو بقبا بضم القاف قبل
ان يبني المسجد وينتقل الي داخل المدينة المنورة الطبقة
السابعة اهل بدر الكبري قال صلي الله عليه وسلم في قصة حاطب
ابن ابي بلتعة البدري المتقدمة في فتح مكة وما يدريك يا عمر
لعل الله اطلع علي اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
قال النووي الترجي هنا راجع الي عمر لان وقوع هذا الامر محقق
عند الرسول وقال الحافظ هي بشارة عظيمة لم تقع لغيرهم وقد قال
العلما الترجي في كلام الله وكلام الرسول للوقوع وعند احمد وابي
داود بالجزم ولفظه ان الله اطلع علي اهل بدر الخ واتفقوا علي ان
هذه البشارة فيما تتعلق باحكام الاخرة لا باحكام الدنيا من اقامة
الحدود وغيرها رواه مسلم والبخاري في مواضع الطبقة الثامنة
الذين هاجروا بين بدر والحديبية بالتخفيف والتشديد بعد
الطبقة التاسعة اهل بيعة الرضوان الذين بايعوا بالحديبية
تحت الشجرة قال صلي الله عليه وسلم لا تدخل النار ان شا الله
للتبرك والامتثال من اصحاب الشجرة احد رواه مسلم من حديث
ام مبشر ففي هذا وما قبله تبشير اهل بدر والشجرة بالجنة وقولهم
العشرة المبشرة بالجنة لورود النص عليهم باسمايهم في حديث
واحد وفي مسلم وغيره عن جابر مرفوعا لا يدخل النار من شهد
بدرا والحديبية الطبقة العاشرة الذين هاجروا بعد
الحديبية وقبل الفتح لمكة كخالد بن الوليد سيف الله
المخزومي وعمرو بن العاصي السهمي ومثل بعضهم بابي هريرة
لكن قال الحافظ العراقي لا يصح التمثيل به فانه هاجر قبل
الحديبية عقيب خيبر بل في اواخرها اي خيبر كذا قال ولا
ادري ما هذا فالحديبية كانت في ذي القعدة سنة ست
وخيبر كانت في بقية المحرم سنة سبع فحاصرها وفي اواخرها قدم
ابو هريرة فكيف يكون هاجر قبل الحديبية مع ان خيبر بعدها
وقد قالوا في قوله تعالي واثابهم فتحا قريبا انه فتح خيبر كما مر ذكره
مفصلا فالتمثيل به صحيح الطبقة الحادية عشر الذين اسلموا
يوم الفتح وهم خلق كثير ازيد من الفين منهم من اسلم طايعا
ومنهم من اسلم كارها ثم حسن اسلام بعضهم والله اعلم بغيرهم
الطبقة الثانية عشر صبيان ادركوا النبي صلي الله عليه وسلم
وراوه يوم الفتح وبعده في حجة الوداع وغيرها اي غير وقتي
الفتح وحجة الوداع قال السخاوي يعني من عقل منهم ومن لم يعقل
كالسايب بن يزيد الكندي صحابي له احاديث قليلة وحج به في
حجة الوداع وهو ابن سبع سنين ومات بالمدينة وهو اخر من مات

بها سنة احدى وتسعين وقيل قبلها قال ابن الصلاح ومنهم من زاد علي اثني عشرة طبقة وقال ابن سعد انهم خمس طبقات الاولى البدريون الثانية من اسلم قديما ممن هاجر عامتهم وشهدوا احدا فما بعدها الثالثة من شهد الخندق فما بعدها الرابعة مسلمة الفتح فما بعدها الخامسة الصبيان والاطفال ممن لم يغز ثم انقطعت الهجرة بعد الفتح علي الصحيح من الاقوال لقوله صلي الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح اخرجه الشيخان واما عدة اصحابه صلي الله عليه وسلم فمن رام حصر ذلك رام امرا بعيدا ولا يعلم حقيقة ذلك الا الله تعالي وكذا قال العراقي ان ذلك يتعذر لكثرة من اسلم من اول البعثة الي ان مات النبي صلي الله عليه وسلم وتفرقهم في البلدان والبوادي وقد روى البخاري ان كعب بن مالك قال في قصة تخلفه عن غزوة تبوك واصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ قال الحافظ بالتنوين فيهما وفي رواية مسلم بالاضافة ولابن مردويه ولا يجمعهم ديوان حافظ اي لا يجمعهم ديوان مكتوب وهو يقوي رواية التنوين يعني لفظ البخاري يريد الديوان وهو من كلام الزهري واراد بذلك الاحتراز عما وقع في حديث حذيفة ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اكتبوا لي من تلفظ بالاسلام وقد ثبت ان اول من دون الديوان عمر لكن قد جاء ضبطهم في بعض مشاهده كتبوك وقد روي انه سار عام الفتح لمكة في عشرة الاف من المقاتلة والي حنين في اثني عشر الفا وقيل غير ذلك فيهما والي حجة الوداع في تسعين الفا بالتاء قبل السين وقيل ما بين الف واربعة عشر الفا وقيل اكثر من ذلك حكاه البيهقي والي تبوك في سبعين الفا بسين موحدة وقيل غير ذلك كما مر وقد روي انه قبض عن مائة الف واربعة وعشرين الفا من رجل وامراة وجاء عن ابي زرعة الرازي انه قيل له اليس يقال حديث النبي صلي الله عليه وسلم اربعة الاف حديث فقال ومن قال ذا قلقل الله انيابه هذا قول الزنادقة قبض صلي الله عليه وسلم عن مائة الف واربعة عشر الفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه وفي رواية ممن راه وسمع منه فقيل له هؤلاء اين كانوا واين سمعوا منه قال اهل المدينة واهل مكة ومن بينهما والاعراب ومن شهد معه حجة الوداع كل راه وسمع منه بعرفة قال ابن فتحون في ذيل الاستيعاب اجاب ابو زرعة بهذا سؤال من سال عن الرواة خاصة فكيف بغيرهم قال الحافظ ولم يحصل لجميع من جمع اسماء الصحابة العشر من اساميهم بالنسبة الي قول ابي زرعة هذا فان جميع ما في الاستيعاب ثلاثة الاف وخمسمائة وزاد ابن فتحون قريبا

من ذلك

من ذلك وجمع الحافظ الذهبي علي التجريد لعل الجميع ثمانية الاف لم يزيدوا ولم ينقصوا قال ورايت بخطه ايضا ان جميع من في اسد الغابة سبعة الاف وخمسمائة واربعة وخمسون نفسا وسبب خفاء اسمائهم ان اكثرهم اعراب واكثرهم حضر حجة الوداع انتهى وعن الشافعي قبض صلي الله عليه وسلم عن ستين الفا ثلاثون بالمدينة وثلاثون في قبائل العرب وغيرها وعن احمد قبض وقد صلي خلفه ثلاثون الف رجل وكانه عني بالمدينة فلا يخالف ما فوقه والله اعلم بحقيقة ذلك فان كل من قال شيئا انما حكاه علي قدر تتبعه ومبلغ علمه او اشار بذلك الي وقت خاص وحال فاذا لا تضاد بين كلامهم وعن مالك مات بالمدينة نحو عشرة الاف نفس من الصحابة ثم ان افضلهم علي الاطلاق عند اهل السنة اجماعا منهم ابو بكر الصديق ثم عمر رضي الله عنهما والزاما لمن خالفهم بما ثبت عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه في صحيح البخاري عن محمد بن الحنفية قال قلت لابي اي الناس خير بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ابو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت ان يقول عثمان قلت ثم انت قال ما انا الا رجل من المسلمين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا نخير بضم النون وفتح الخاء وشد التحتية المكسورة كما ضبطه من يعول عليه اي نفاضل بين الناس في زمان رسول الله صلي الله عليه وسلم بان نقول فلان خير من فلان فنخير اي نفضل ابا بكر ثم نفضل بعده عمر ثم عثمان بن عفان رواه البخاري في مناقب ابي بكر من طريق يحيي بن سعيد عن نافع عن ابن عمر ومن رواية عبيد الله بضم العين بن عمر بضمها ايضا عن نافع عن ابن عمر كما في البخاري كنا في زمن النبي صلي الله عليه وسلم لا نعدل بابي بكر في الفضل احدا من الصحابة لا من الانبيا ثم عمر ثم عثمن بفتح الراء والنون مجرور بالعطف قال المصنف ولابي ذر برفع الراء والنون ثم نترك اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم فلا نفاضل بينهم رواه البخاري ايضا في مناقب عثمن وهو من افراده وقوله لا نعدل بابي بكر اي لا نجعل له مثلا بل نجعله افضل الصحابة ولابي داود من طريق سالم عن ابيه عبد الله بن عمر كنا نقول ورسول الله صلي الله عليه وسلم بعده في رتبة الفضل ابو بكر ثم عمر ثم عثمن ولا وليس المراد البعدية الزمانية فان فضل ابي بكر كان ثابتا في الحياة النبوية كما دل عليه حديث الباب قال الحافظ فقول المصنف المراد بالبعدية الزمانية اما في الرتبة فالافضل بعد الانبيا ابو بكر مراده الزمانية في الوجود يعني ان فضل الصديق في الوجود الزماني عقب فضله صلي الله عليه وسلم فلا مخالفة بينه وبين كلام الحافظ هكذا قرره شيخنا ابو عبد الله البابلي رحمه الله وقال شيخنا تقريرا يحوزانه اتى به لدخول

المصطفي نفسه في قوله اما فيه اشارة الي انه ارسل الي نفسه زاد
الطبراني في رواية له فيسمع رسول الله صلي الله عليه وسلم ذلك
فلا ينكره فصرح في هذه الزيادة بسماع ذلك وسكوته عليه قال الحافظ
اتفق العلما علي تاويل كلام ابن عمر هذا لما تقرر عند اهل السنة قاطبة
من تقديم علي بعد عثمان ومن تقديم بقية العشرة علي غيرهم ومن تقديم
اهل بدر علي من لم يشهدها وغير ذلك فالظاهر ان ابن عمر انما اراد
بهذا النفي انهم كانوا يجتهدون في التفضيل فيظهر لهم تفضيل الثلاثة
ظهورا بينا فيجزمون به ولم يكونوا حينئذ اطلعوا علي التنصيص ويويده
ما روي البزار عن ابن مسعود قال كنا نتحدث ان افضل اهل المدينة
علي بن ابي طالب رجاله موثقون وهو محمول علي ان ابن مسعود قال
قاله بعد قتل عمر وقد حمل احمد حديث ابن عمر علي ما يتعلق بالترتيب في
التفضيل واحتج بالتربيع بعلي بحديث سفينة مرفوعا الخلافة ثلاثون
سنة ثم تصير ملكا اخرجه اصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره وقال
الكرماني لا حجة في قوله كنا نترك لان الاصوليين اختلفوا في صيغة كنا
نفعل لا في صيغة كنا لا نفعل لتصور تقرير الرسول في الاول دون الثاني
وعلي تقدير ان تكون حجة فما هو من العمليات حتي يكفي فيه الظن ولو سلمنا
فقد عارضه ما هو اقوي منه ثم قال ويحتمل ان يكون ابن عمر اراد ان ذلك كان
وقع لهم في بعض ازمنة النبي صلي الله عليه وسلم فلا يمنع ذلك ان يظهر بعد
ذلك لهم وقال الخطابي انما لم يذكر ابن عمر عليا لانه اراد الشيوخ وذوي
الاسنان الذين كان صلي الله عليه وسلم اذا حزبه امر شاورهم وكان
علي في زمانه حديث السن قال ولم يرد ابن عمر الازرا بعلي ولا تاخيره
عن الفضل بعد عثمن وما اعتذر به من جهة السن بعيد لا اثر له في التفضيل
المذكور انتهي ويقوي رده ما ورد انه صلي الله عليه وسلم استشار
عليا في اساري بدر كما مر في غزوتها وروي خيثمة بن سليمان
الحافظ في كتاب فضايل الصحابة من طريق سهيل بضم السين
ابن ابي صالح ذكوان المدني صدوق تغير حفظه باخره روي له الجميع
لكن البخاري روي له مقرونا بغيره وتعليقا مات في خلافة المنصور
عن ابيه ذكوان السمان الزيات المدني ثقة ثبت وكان يجلب الزيت
الي الكوفة مات سنة احدي ومائة عن ابن عمر قال كنا نقول
اذا ذهب ابو بكر وعثمان استوي الناس في انا خير عن الثلاثة
علي معني ان جملتهم مفضولون بالنسبة اليهم فلا ينافي ان فيهم من يفضل
بعضهم فعلي افضل تلك الجملة مطلقا فيسمع النبي صلي الله عليه وسلم
ذلك فلا ينكره وهكذا اخرجه الاسمعيلي من وجه اخر بدون اخره
وفي ذلك تقديم عثمن بعد ابي بكر وعمر واهل السنة لفظ الف
كما هو المشهور عند جمهور اهل السنة علي ان عليا بعد عثمان وذهب

بعض السلف الي تقديم علي علي عثمان وممن قال به سفين الثوري
وحكاه عن اهل السنة من الكوفيين وحكي عن اهل السنة من البصريين
تقديم عثمان قيل للثوري فما تقول انت قال انا رجل كوفي قال الخطابي
لكن ثبت عن الثوري في اخر قوليه تقديم عثمان قال ابن كثير وهذا المذهب
ضعيف مردود وان نصره ابن خزيمة والخطابي وقد قال الدارقطني من
قدم عليا علي عثمن فقد ازري بالمهاجرين والانصار وسبقه اليه الثوري
نفسه فروي الخطيب بسند صحيح عنه من قدم عليا علي عثمان فقد ازري
باثني عشر الفا مات صلي الله عليه وسلم وهو عنهم راض قال ذلك الثوري
بعد المصطفي باثني عشر سنة بعد ان مات في خلافة ابي بكر في الردة وفي
خلافة عمر في الفتوح وفي الطاعون العام وعمواس وغير ذلك من لا يحصي
وقيل لا يفضل احدهما علي الاخر ونقل ذلك عن مالك في المدونة
فقيها في اخر كتاب الديات ان مالكا سيل اي الناس افضل بعد نبيهم
فقال ابو بكر ثم عمر او في ذلك شك قيل له فعلي وعثمن قال ما ادركت
احدا ممن اقتدي به يفضل احدهما علي صاحبه ويري الكف عن ذلك وتبعه
جماعة منهم تلميذه يحيي بن سعيد القطان ومن المتاخرين ابن حزم
واليه يومي قول امام الحرمين تتعارض الظنون في عثمن وعلي لكن قد حكي
القاضي عياض عن مالك الرجوع عن الوقف الي تفضيل عثمان وقال انه المشهور
عن مالك والثوري وكافة ايمة الحديث والفقه وكثير من المتكلمين وقال
القرطبي انه الاصح عن مالك ان شا الله قال عياض ويحتمل ان يكون كفه وكف
من اقتدي به لما كان شجر فيه ذلك من الاختلاف والتعصب وقال يحيي بن
معين من قال ابو بكر وعمر وعثمان افضل من غيرهم وعرف لعلي سابقته
وفضله فهو صاحب سنة فذكر له من يقول ابو بكر وعمر وعثمان ويسكتون
فتكلم فيهم بكلام غليظ وبهذا طعن ابن عبد البر في حديث ابن عمر
وتعقب بان ابن معين انكر راي قوم زعموا وهم العثمانية الذين يغلون
في حب عثمان وينقصون عليا ولا شك ان من اقتصر علي عثمان ولم يعرف
لعلي فضله فهو مذموم وقد ادعي ابن عبد البر ان حديث الاقتصار
علي الثلاثة ابي بكر وعمر وعثمن خلاف قول اهل السنة ان عليا افضل
الناس بعد الثلاثة قال فدل هذا الاجماع علي ان حديث ابن عمر غلط
وان كان السند اليه صحيحا وتعقب بانه لا يلزم من سكوتهم اذ ذاك
عن تفضيله عدم تفضيله علي الدوام علي من بعده قال الحافظ فان
الاجماع المذكور انما حدث بعد الزمن الذي قيده به ابن عمر فيخرج حديثه
عن ان يكون غلطا او ظن ابن عبد البر انما انكر الزيادة التي وقعت في
رواية عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر ثم نترك اصحاب رسول الله
فلا نفاضل بينهم لكن لم ينفرد بها نافع فقد تابعه الماجشون عن ابن
عمر اخرجه خيثمة ومع ذلك فلا يلزم من تركهم التفاضل اذ ذاك ان لا يكونوا

اعتقد وابعد ذكر تفضيله علي من سواه وقد اعترف ابن عمر بتقديم علي
علي غيره اخرج احمد باسناد حسن عن ابن عمر قال كنا نقول في زمن
النبي صلي الله عليه وسلم رسول الله خير الناس ثم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان
ولقد اعطي علي بن ابي طالب ثلاث خصال لان تكون لي واحدة منهن احب
الي من حمر النعم زوجه رسول الله صلي الله عليه وسلم ابنته وولدت له وسد
الابواب الا بابه في المسجد واعطاه الراية يوم خيبر واخرج النسائي عن العلا
ابن عرار بمهملات قلت لابن عمر اخبرني عن علي وعثمان الحديث وفيه
واما علي فلا تسال عنه احدا وانظر الي منزلته من رسول الله صلي الله
عليه وسلم قد سد ابوابنا في المسجد واقر بابه ورجاله رجال الصحيح
الا العلا وقد وثقه ابن معين وغيره وقد جاء في بعض طرق حديث ابن
عمر تقييد الخيرية المذكورة والافضلية بما يتعلق بالخلافة وذلك فيما
اخرجه ابن عساكر عن عبد الله بن يسار عن سالم عن ابن عمر قال انكم لتعلمون
انا كنا نقول علي عهد رسول الله ابو بكر وعمر وعثمان يعني في الخلافة كذا في
اصل الحديث ومن طريق عبيد الله عن نافع عن ابن عمر كنا نقول علي عهد
رسول الله صلي الله عليه وسلم من يكون اولي الناس بهذا الامر فنقول
ابو بكر ثم عمر ثم عثمان انتهي واذا علمت هذا فالمقطوع به بين اهل
السنة بافضلية ابي بكر ثم عمر ولكن اختلف اهل مستندهم في ذلك
قطعي واليه ذهب الاشعري وعليه يدل نقل مالك او في ذلك شك او ظن
وعليه الباقلاني واختاره امام الحرمين ثم اختلفوا في من بعدهما
فالجمهور علي تقديم عثمان وعن مالك الوقف ثم رجع عنه والمسئلة
اجتهادية في حد ذاتها وذلك لا ينافي الاجماع علي بعض افرادها وهو القران
ولا يفهم هذا من قال صوابه اجماعية ومستندها ان هولا الاربعة اختارهم
الله لخلافة نبيه واقامة دينه اي السداد وثبته فمنزلتهم بحسب ترتيبهم
في الخلافة وقد روي البيهقي في الاعتقاد عن الشافعي انه قال اجمع
الصحابة واتباعهم علي افضلية ابي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وقال
الامام ابو منصور عبد القاهر التميمي البغدادي الماتريدي اصحابنا
مجمعون علي ان افضلهم الخلفا الاربعة ثم الستة تمام العشرة
يعني طلحة بن عبيد الله التيمي والزبير بن العوام وسعد [illegible]
المبني وسعيد بكسرها العدوي وعبد الرحمن بن عوف الزهري
وابا عبيدة عامر بن الجراح امين هذه الامة قال بعض و النظر
الافضل من هولا ومن يليه فاني ما رايته ولم يبين من الافضل بعد
العشرة من الصحابة لاشتهاره ففي الالفية للسنة الباقون فالبدرية
فاحد فالبيعة المرضية وقد روي الترمذي عن سعيد بن زيد
العدوي انه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم عشرة زاد تمام في
فوايده من قريش في الجنة ابو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان

في

في الجنة وعلي في الجنة والزبير في الجنة وطلحة في الجنة وعبد
الرحمن بن عوف في الجنة وابو عبيدة ابن الجراح في الجنة وسعد بن
ابي وقاص مالك الزهري في الجنة هكذا ورد في الحديث لفظ في
الجنة عقب كل واحد فعد هولا التسعة وسكت عن العاشر فقال له
القوم لسعيد القوم الذين خرجهم ننشدك الله اي نسالك بالله ان
تخبرنا من العاشر فقال نشدتموني بالله سعيد بن زيد في الجنة
يعني نفسه وكان سكت كراهية للرواية تزكية نفسه لكن لما ناشدوه
الله لم يكن له بد من التحديث وسلك صلي الله عليه وسلم مسلك الاطناب
فلم يقتصر علي ذكر الجنة في قوله عشرة في الجنة بل قالها عقب كل واحد
قصد الايضاح ردا علي الفرق الطاغية الطاعنة في بعضهم فكما يجب
علي البليغ في مظان الاجمال الايجاز كذا الواجب في موارد التفصيل ان
يشبع ويفصل

ترمون بالخطب الطوال وتارة ... وحي الملاحظ خيفة الرقبا

ثم لا تدافع بين هذا الحديث وبين ما ورد من تبشير الرقبا غيرهم بها
كالحسنين وامهما وجدتهما وعايشة ومن لا يحصي لان العدد لا ينفي الزايد
ولان العشرة خصوا بانهم بشروا بها دفعة واحدة وغيرهم وقع متفرقا او
اقتصر عليهم لان عظمة الله ملكت صدورهم وصفت ارواحهم ورفعت الحجب
عن قلوبهم فلاحظوا العز والجلال فلا يضرهم التنا سمو شانهم وحيا
قلوبهم بالله واما غيرهم فلو عنهم خوفا عليهم كيف وقد كان عند اولئك
من الخوف ما اقتضي ان يقول الصديق ليتني كنت شعرة في صدر مومن
وان يقول الفاروق الويل لعمر ان لم يغفر الله له فان التبشير بالجنة لا يلزم
منه الامن من البعد عن كمال القرب وانما اللازم الامن من النار علي ان
الوعد لا يمنع الدهشة والخوف عند الصدمة الاولي ولذا كانوا باكين
خاشعين خايفين من سوء العاقبة لا حتما لانها باقية ثم هذا الحديث
له طرق كثيرة ومن ابي موسي عبد الله بن قيس الاشعري رضي الله انه خرج
الي المسجد وفي رواية الصحيحين عن سعيد بن المسيب عن ابي موسي انه
توضا في بيته ثم خرج منه قال فقلت لالزمن رسول الله صلي الله عليه وسلم
ولاكونن معه يومي هذا قال فجا المسجد فسال عن النبي صلي الله عليه وسلم
فقالوا خرج ووجه قال الحافظ كذا للاكثر بفتح الواو وتشديد الجيم
اي توجه او وجه نفسه وللكشميهني بسكون الجيم بلفظ الاسم مضافا
الي الظرف وهو ههنا اي جهة كذا فخرجت في اثره بكسر الهمزة وسكون
المثلثة ولابي ذر بفتحهما زاد في رواية سعيد اسال عنه حتي دخل بير
اريس بفتح الالف وكسر الراء بعدها تحتانية ساكنة ثم مهملة بستان
بالمدينة معروف بالقرب من قبا يجوز فيه الصرف وعدمه وفي بيرها
سقط خاتم النبي صلي الله عليه وسلم من يد عثمان ذكره الحافظ وفي

المصنف انه معروف في الفرع اي الشيخ ابي المكتتبة من نسخة الشرف اليونيني
من البخاري ونص عليه ابن مالك فجلست عند الباب وبابها اي الحديقة
من جريد حتي قضي رسول الله صلي الله عليه وسلم حاجته فتوضا
فقمت اليه فاذا هو جالس علي بير اريس وتوسط قفها بضم القاف
وشد الفا الدكة التي تجعل حول البير واصله ما غلظ من الارض وارتفع
والجمع قفاف كما في الفتح زاد المصنف او حافة البير وفي رواية سعيد من
الصحيحين وكشف عن ساقيه ودلاها في البير فسلمت عليه ثم انصرفت
فجلست عند الباب فقلت لاكونن بوابا للنبي صلي الله عليه وسلم
اليوم زاد البخاري في الادب ولم يامرني زاد في مناقب عثمان انه صلي الله
عليه وسلم امره بحفظ باب الحايط وعند ابي عوانة والروياني فقال لي يا ابا
موسي املك علي الباب فانطلق فقضي حاجته وتوضا ثم جا فقعد علي
قف البير وفي الترمذي فقال لي يا ابا موسي املك علي الباب فلا يدخلن
علي احد قال الحافظ فيجمع بانه لما حدث نفسه بذلك صادف امر النبي
صلي الله عليه وسلم بان يحفظ عليه الباب واما قوله ولم يامرني فيريد
انه لم يامره ان يستمر بوابا وانما امره بذلك قدر ما يقضي حاجته ويتوضا
ثم استمر هو من قبل نفسه فقول الداودي هذا من مختلف الحديث كانه خفي
عليه وجه هذا الجمع ثم قول ابي موسي هذا لا يعارض قول انس لم يكن له
صلي الله عليه وسلم بواب لان مراد انس لم يكن له بواب مرتب علي الدوام
فجا ابو بكر الصديق فدفع الباب يستاذن في الدخول كما في رواية فقلت
من هذا فقال ابو بكر فقلت علي رسلك بكسر الراء تمهل وتان ثم
ذهبت الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت هذا ابو بكر
يستاذن في الدخول عليك فقال ايذن بهمزة وصل مكسورة بعدها
يا ساكنة لان الهمزتين متي اجتمعتا والثانية ساكنة وجب ابدالها
من جنس حركة ما قبلها له وبشره بالجنة فاقبلت حتي قلت لابي بكر
ادخل ورسول الله صلي الله عليه وسلم يبشرك بالجنة زاد في رواية في
البخاري فحمد الله فدخل ابو بكر فجلس عن يمين رسول الله صلي الله عليه
وسلم معه في القف ودلي رجليه في البير كما صنع رسول الله صلي الله
عليه وسلم وكشف ساقيه موافقة للمصطفي وليكون ابلغ في بقايه
علي حالته وراحته بخلاف ما اذا لم يفعل ذلك فربما استحيي منه صلي الله
عليه وسلم فرفع رجليه قال ابو موسي ثم رجعت فجلست وقد تركت
اخي يتوضا ويلحقني قال الحافظ كان له اخوان ابو رهم وابو بردة
وقيل انه له اخا اخر اسمه محمد واشهرهم ابو بردة واسمه عامر وقد اخرج
عنه احمد في مسنده حديثا فقلت ان يرد الله بفلان
خيرا يريد اخاه احد المذكورين يات به فاذا انا بانسان يحرك
الباب يستاذن لا ادافعا ليدخل بلا اذن ففي رواية للبخاري فجا

رجل

رجل فاستفتح وفي اخري فجا رجل يستاذن وفيه حسن الادب في
الاستيذان فقلت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقلت له علي رسلك ثم جيت
الي النبي صلي الله عليه وسلم فقلت هذا عمر بن الخطاب يستاذن في
الدخول عليك فقال ايذن له وبشره بالجنة فقلت له ادخل وبشرك
رسول الله صلي الله عليه وسلم بالجنة زاد في رواية للبخاري فحمد الله
فدخل فجلس مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في القف عن يساره ودلي
رجليه في البير ولم يقل وكشف عن ساقيه كما قال في الصديق فرجعت فجلست فقلت
ان يرد الله بفلان خيرا يات به يريد اخاه فجا انسان فحرك الباب فقلت
من هذا فقال عثمان بن عفان فقلت علي رسلك وجيت الي النبي صلي
الله عليه وسلم فاخبرته فقال في رواية للبخاري فسكت هنيهة
ثم قال ايذن له وبشره بالجنة علي بلوي تصيبه هي البلوي التي
صار بها شهيد الدار من اذي المحاصرة والقتل وغيره وقد ورد عنه
صلي الله عليه وسلم ما هو اصرح من هذا فروي احمد باسناد صحيح عن ابن
عمر قال ذكر رسول الله صلي الله عليه وسلم فتنة فمر رجل فقال يقتل فيها
هذا يوميذ ظلما قال فنظرت فاذا هو عثمان فجيت فقلت ادخل ورسول
الله صلي الله عليه وسلم يبشرك بالجنة علي بلوي تصيبك زاد في
رواية للبخاري فحمد الله ثم قال الله المستعان وفي اخري فدخل وهو
يحمد الله فيقول اللهم صبرا ولاحمد فجعل يقول اللهم صبرا حتي جلس
فدخل فوجد القف قد ملي بالمصطفي والعمرين فجلس وجاهه بضم الواو
وبكسرها اي مقابله من الشق الاخر وفي الدلايل عن زيد بن ارقم قال
بعثني النبي صلي الله عليه وسلم فقال انطلق حتي تاتي ابا بكر فقل له
ان النبي يقرا عليك السلام ويقول ابشر بالجنة ثم انطلق الي عمر
كذلك ثم انطلق الي عثمن كذلك وزاد بعد بلا شديد قال
فانطلق الخ فذكر انهم انه وجدهم علي الصفة التي قال له وقال ابن
بني الله فقلت في مكان كذا او كذا فانطلق اليه وقال في عثمن فاخذ بيدي
حتي اتيا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان زيدا قال
لي كذا والذي بعثك بالحق ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني
منذ بايعتك فاي بلا يصيبني قال هو ذاك قال البيهقي اسناده ضعيف
فان كان محفوظا احتمل ان يكون صلي الله عليه وسلم ارسل زيدا قبل ان
يجي ابو موسي فلما جاوا قال كان ابو موسي قد قعد علي الباب فراسلهم
علي لسانه بمثل ما ارسل به اليهم زيد بن ارقم والله اعلم قال شريك
ابن عبد الله بن ابي نمر المدني صدوق يخطي مات في حدود اربعين ومائة
يعني سعيد بن المسيب فاولتها اي جمعية الصاحبين معه صلي الله عليه
وسلم ومقابلة عثمان له قبورهم من جهة مصاحبة العمرين له في الدفن
وانفراد عثمان عنهم في البقيع وفيه وقوع التاويل في اليقظة

وهو الذي يسمي الفراسة وليس المراد خصوص صورة الجلوس الواقعة
وفي رواية عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب فاولت ذلك
انتباذ قبورهم من قبورهم اخرجه ابو عوانة والرويانى وللبخاري في
في الفتن اجتمعت هاهنا وانفرد عثمان ولو ثبت الخبر الذي اخرجه
ابو نعيم عن عايشة في صفة القبور الثلاثة ابو بكر عن يمينه وعمر عن
يساره لكان فيه تمام التشبيه لكن سنده ضعيف وعارضه ما هو اصح منه
فاخرج ابو داود والحاكم عن القاسم بن محمد قال قلت لعايشة يا امتاه
اكشفي لي عن قبر رسول الله صلي الله عليه وسلم وصاحبيه فكشفت
لي الحديث وفيه فرايت رسول الله صلي الله عليه وسلم فاذا ابو بكر
راسه بين كتفيه وعمر راسه عند رجلي النبي صلي الله عليه وسلم قاله
الحافظ رواه احمد في المسند ومسلم في فضايل عثمان وابو حاتم واخرجه
البخاري في المناقب والفتن واخرج ابو داود نحوه من طريق اسمعيل
ابن جعفر عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن نافع بن
عبد الحرث بن خالد بن عمير بن الحارث بن عمر بن غبشان الخزاعي روي عن
النبي صلي الله عليه وسلم وروي عنه ابو الطفيل وغيره ذكره ابن
سعد فيمن اسلم يوم الفتح وقال ابو عمر كان من كبار الصحابة وفضلائهم
ويقال انما اسلم يوم الفتح ولم يهاجر وانكر الواقدي ان يكون له صحبة
وقال البخاري يقال ان له صحبة وذكره في الصحابة ابن حبان
والعسكري واخرون وحديثه في السنن ومسند احمد من سعادة
المرا الجار الصالح ووقع في رواية ابراهيم الحربي نافع بن الحرث باسقاط
عبد والصواب اثباته وامره عمر علي مكة كما في الاصابة زاد في تقريبه
وبعامات ولم يذكر سنة موته قال دخل رسول الله صلي الله عليه
وسلم حايطا بستانا من حوايط المدينة فقال لبلال امسك علي
الباب احفظه من الداخلين عليّ الا باذن فجا ابو بكر يستاذن فذكر
نحوه فهذا فيه ان البواب هو بلال واخرج الطبراني من
حديث ابي سعيد نحوه قال الطبراني وفي حديث عند احمد
من طريق يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة ان نافع بن
عبد الحرث هو الذي كان يستاذن وهذا يدل علي تكرار القصة
لابي موسي وبلال ونافع لكن صوب الحافظ شيخ الاسلام ابن
حجر عدم التعدد بعد ان قال وهذا ان صح حمل علي التعدد ثم ظهر لي
ان فيه وهما من بعض رواته وانها عن ابي موسي فقط ووهم القول
بغيره لان الامام احمد رواه من طريق موسي بن عقبة عن ابي سلمة
عن نافع فذكر وفيه فجا ابو بكر فاستاذن فقال لابي موسي فيما اعلم
ايذن له واخرجه النسايي من طريق ابي الزناد عن ابي سلمة عن نافع
ابن عبد الحارث عن ابي موسي وهو الصواب فرجع الحديث الي ابي

موسي

موسي واتحدت القصة انتهي فانشد الحافظ ابن حجر لنفسه بيتين
في جمع ثانيهما العشرة قال السخاوي ولم يسبق اليه وسمعتهما منه مرارا
• لقد بشر الهادي من الصحب زمرة • بجنات عدن كلهم فضله اشهر •
• سعيد زبير سعد طلحة عامر • ابو بكر عثمان ابن عوف علي عمر •
ولابي الوليد بن الشحنة •
• اشا عشر رسول الله بشرهم • بجنة الخلد عن من زانها وعمر •
• سعد سعيد علي عثمن طلحة ابو • بكر ابن عوف ابن جراح الزبير عمر •
بجمعهم في بيت لكن بيت ابن الحافظ ارق كما لا يخفي وقوله عمن زانها وعمر
اي عمرها بالقصور والغرف والانهار وغير ذلك وهو الله خالقها سبحانه
وتعالي لانه صلي الله عليه وسلم ما ينطق عن الهوي ان هو الا وحي يوحي
وتعسف من قال اي بشرهم بانهم يدخلون الجنة يزينونها ويعمرونها
فان قلت من اعتقد في الخلفا الاربعة الافضلية علي الترتيب
المعلوم ولكنه محبته لبعضهم يكون اكثر هل يكون اثما به ام لا
يأثم بذلك لان المحبة ليست في قدرته اجاب شيخ الاسلام الولي ابن
العراقي في الاجوبة المكية نحو كراسين بان المحبة قد تكون لامر ديني
وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضلية فمن كان
افضل كانت محبته الدينية له اكثر فمتي اعتقدنا في واحد منهم
افضل ثم احببنا غيره من جهة الدين اكثر كان تناقضا والنقيضان
لا يجتمعان فلا يتصور عقلا ان يحب احدهما من جهة الدين ولاجله ويحب
اكثر من تلك المحبة اكثر منه نعم ان احببنا غير الافضل اكثر من محبة الافضل
لامر دنيوي كقرابة واحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع
فمن اعترف بان افضل هذه الامة بعد نبيها صلي الله عليه وسلم
ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي لكنه احب عليا اكثر من ابي بكر مثلا
فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معني لذلك اذ المحبة
الدينية لازمة للافضلية كما قررنا وهذا لم يعترف بافضلية ابي بكر
الا بلسانه واما بقلبه فهو مفضل لعلي لكونه احبه محبة دينية
زايدة علي محبة ابي بكر وهذا لا يجوز لمخالفة النصوص وقال
عبد الرزاق افضل الشيخين بتفضيل علي اياهما علي نفسه ولولم
يفضلهما ما فضلتهما كفي بي وزرا ان احب عليا ثم اخالف قوله وان
كانت المحبة المذكورة محبة دنيوية لكونه من ذرية علي او لغير
ذلك من المعاني فلا امتناع فيه والله اعلم انتهي جواب الولي العراقي
وقد روي الطبري الحافظ محب الدين المكي في الرياض النضرة في
فضايل العشرة وعزاه للملا بفتح الميم وتشديد اللام عمر الموصلي كان
يملا من بير بجامع الموصل احتسابا وكان لها ماعظيما زاهدا ناسكا وكان
السلطان نور الدين الشهيد يشهد في له ويقبل شفاعته لجلالته

في سيرته عن انس مرفوعا ان الله افترض عليكم حب ابي بكر
وعمر وعثمان وعلي كما افترض الصلاة والزكاة والصوم والحج فحبهم
فرض عين على كل احد كما افاده التشبيه فمن انكر فضلهم فلا تقبل منه
الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج اي لا ثواب له في فعل ذلك
واخرج الحافظ ابو طاهر احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم الاصبهاني
السلفي بكسر السين وفتح اللام نسبة الى جده احمد لقبه سلفة اي غليظ
الشفة كان حافظا ناقدا ثقة دينا خيرا اوحد زمانه في علوم الحديث
روى عنه الحفاظ مات سنة ست وسبعين وخمسمائة في مشيخته
التي سمعها من خلائق ببغداد ومداين من حديث انس مرفوعا حب ابي
بكر واجب على امتي ولابن عدي عن انس رفعه حب ابي بكر وعمر ايمان
وبغضهما نفاق واخرج احمد وصححه الحاكم وغيره عن ابي عبد الله الجدلي
قال دخلت على ام سلمة فقالت ايسب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيكم فقلت سبحان الله قالت سمعته يقول من سب عليا فقد
سبني ومن سبني فقد سب الله واخرج الانصاري عنه اي عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا بكر ليت اني لقيت
وفي رواية رايت اخواني في الحياة الدنيا فهذا تمني لقائهم
بعد الموت قاله عياض وقال غيره صلى الله عليه وسلم اراد ان ينقل
اصحابه من علم اليقين الى عين اليقين ويراهم هو ومن معه فقال
ابو بكر يا رسول الله نحن اخوانك قال لا انتم اصحابي حمل الباجي
الاخوة على الايمان ولا شك ان الصحبة اخص فقال لم ينف اخوتهم
بل ذكر مرتبتهم الزائدة بالصحبة واختصاصهم بها وانما منعهم
ان يسموا اخوانا لان التسمية والوصف على سبيل المدح يجب ان تكون
بافضل الصفات وللصحابة بالصحبة درجة لا يلحقهم فيها احد فيجب
ان يوصفوا بها انتهى وقبله عياض ثم النووي وزاد وامنها ولا اخوة
صحابة والذين لم يأتوا اخوة ليسوا صحابة وحمله ابن عبد البر
على اخوة العلم والقيام بالحق عند قلة القائمين به المقول فيهم وهو
يخاطب اصحابه للعامل منهم اجر سبعين منكم وغير ذلك مما وصفهم به ورأى
ان هذه الاخوة اخص من مطلق الصحبة قال الابي ولا يبعد كل
من الحملين اخواني الذين لم يروني وصدقوا بي واحبوني حتى
لا احب الى احدهم من ولده ووالده فان قيل اريد تمني لقائهم
وهو في مهو حينئذ في علم الله لا وجود لهم في الخارج والمعدوم
لا يرى اجيب بان اللقا كالرؤية بمعنى العلم وهو يتعلق بالمعدوم
او هو لقاء ورؤية تمثيل تمنى ان يمثلوا له كما تمثلت له الجنة في
عرض الحائط او ان هذا من رؤية الكون وزويت الارض له حتى
رأى مشارقها ومغاربها كرامة من الله له وان كان المراد تمني لقائهم

يعد

بعد الموت يلزم منه تمنيه وقد قال لا يتمنى احد الموت واجيب
بمنع الملزومية وان سلمت فالمنع لما قال لضر نزل به قال الابي وهذا
كله على انه تمني حقيقي وقد لا يكون حقيقيا وانما هو تشريف لقدر
اولئك الاخوان قالوا يا رسول الله اما بفتح الهمزة وخفة الميم
استفتاح نحن اخوانك كانهم سالوه بعد سؤال الصديق وجوابه
لها لتعميم زيادة له في الاستثبات ولذا اجابهم بما اجابه به
حيث قال لا انتم اصحابي الا بالفتح والتخفيف حرف استفتاح
تحب يا ابا بكر قوما احبوك بحبي اياك اي بسببه قال فاحبهم
ما احبوك بحبي اياك امره بذلك صريحا بعد حثه عليه وفيه
وفي اثبات الاخوة لها ولا دليل على علو رتبتهم وانهم حازوا
فضيلة الاخرية كما حاز الصحابة فضيلة الاولية وهم الغرباء
المقول فيهم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء
والخلفاء المذكور لهم بقوله رحم الله خلفائي والقابضون على دينهم
عند الفتن المشار اليهم بقوله القابض على دينه كالقابض على
الجمر وهم المؤمنون بالغيب الى غير ذلك مما لا يعسر على الفطن استخراجه
من الاحاديث فمحبة من احبه الرسول عليه الصلاة والسلام
كاهل بيته واصحابه رضي الله عنهم علامة على محبة الرسول
صلى الله عليه وسلم كما ان محبته عليه الصلاة والسلام
علامة محبة الله تعالى وتقدم ذلك مبسوطا وكذلك عداوة من
عاداهم وبغض من ابغضهم وبغض من سبهم فمن احب شيئا
احب من يحب ذلك الشيء فالمفعول مقدر وابغض من يبغضه لان
هواه مع حبه قال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر
يوادون يصادقون من حاد الله ورسوله ولو كانوا اباءهم او
ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم الاية فحب النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه واولاده وازواجه من الواجبات المتعينات
على احد وبغضهم من المهلكات الموبقات وقد قال صلى الله
عليه وسلم حب ابي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب
الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم
كفر ومن سب اصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فانا احفظه
يوم القيامة اخرجه ابن عساكر عن جابر بلفظه وابو نعيم والديلمي
عنه بلفظ ومن حفظني فيهم فلا لعنة الله ولهذا شواهد كثيرة
ومن محبتهم وجوب توقيرهم تعظيمهم وموالاتهم ونصرهم بكل ما يليق
بهم قولا وفعلا وبرهم باحسان طاعتهم وتحري محابهم وانزال كل
منهم منزلته فقوله والقيام بحقوقهم تفسير والاقتداء بهم
بان يمشي على سنتهم اي طريقتهم وادابهم واخلاقهم والعمل باقوالهم

مما ليس فيه مجال لانه في حكم المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم
فانهم على هدى اضاءت في مشكاتهم الانوار النبوية وحسن الثنا
عليهم بان يذكروا باوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد
الله تعالى في الكتاب المجيد من غير ما اية
اثنى عليهم مدحهم ومن اثنى الله عليه فهو واجب الثنا والاستغفار لهم اي طلب
المغفرة لهم من الله بنحو رضي الله عنهم قالت عايشة امروا الرسول
الله صلى الله عليه وسلم بالاستغفار فسبوهم فخالفوا الامر
فوقعوا في الخبال رواه مسلم وغيره وفايدة المستغفر لهم
عايدة عليه لانهم مغفور لهم مبشرون بالجنة كما مر تقريره
قال سهل بن عبد الله التستري بضم الفوقية واسكان المهملة
وفتح الفوقية الثانية وحكي ضمها وبالراء نسبة الى تستر بلدة
بالاهواز او بخوزستان صالح زاهد عابد
ورع صالح صاحب كرامات مر غير مرة لم يومن بالرسول صلى
الله عليه وسلم ايمانا كاملا من لم يوقر اصحابه بتعظيمهم
وحبهم ولم يعز اوامره بان لم يمتثلها واجبة او
مندوبة ومما يجب ايضا الامساك اي السكوت يقال امسك عن
ذكره اذا سكت وهو مجاز صار حقيقة فيه عما اي عن كل امر
شجر بينهم اي وقع فيهم من الاختلاف ماخوذ من الشجر المختلف
المتداخل اغصانه بعضها في بعض ومنه حديث اياكم وما شجر بين
اصحابي والاضراب التركية والاعراض عن اخبار المورخين
التي نقلوها عنهم فانها تورث تنقيص بعضهم وجهلة
الرواة الذين رووا قصصا باطلة تودي لسو الظن ببعضهم
وضلال بضم الضاد وشد اللام جمع ضال الشيعة الذين شايعوا
اي تابعوا عليا رضي الله عنه وبالغوا فيه وقالوا ان الخلافة له ولاولاده
دون غيرهم وافتروا اخبارا باطلة وهو من اضافة الصفة للموصوف
اي الشيعة الضالة وهي صفة كاشفة معرفة لا مقيدة فلا يتوهم ان
منهم فرقة غير ضالة او هي مقيدة للمعطوف والمعطوف عليه اعني قوله
والمبتدعين فان البدعة اقسام والمراد ابتداع العقايد الفاسدة
كالخوارج وبعض المعتزلة القادحة بالقاف صفة اخبار
اي الذامة والمنتقصة بذكر ما يودي اليه في احد منهم اي الصحابة
قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي بما شجر بينهم من
الحروب والمنازعات فامسكوا وجوبا عن الخوض في ذكرهم
بما لا يليق فانهم خير الامة وهذا صدر حديث تمامه واذا ذكرت
النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا رواه الطبراني عن ابن مسعود
وعن ثوبان وابن عدي عن ابن عمر وسنده ضعيف كما قال العراقي

وقال

وقال ابن رجب روي من وجوه في اسانيدها كلها مقال وقال غيره
انه حسن لاعتضاده بشواهده وان يلتمس اي يطلب واصلها ان
ظاهره المباشرة تعبر به عن مطلق الطلب لهم فيما نقل من ذلك فيما
كان بينهم من الفتن احسن التاويلات لانها امور وقعت باجتهاد منهم
لا لاغراض نفسية ومصالح دنيوية كما يظن الجهال فهم ماجورون اصابوا
او اخطاوا ويخرج بضم اوله مجهول لهم اصوب المخارج بان يحمل على
امر يخرجه عن عهدة عيبا الى الحاقه بالمحاسن اذ هم اهل ذلك
اي مستحقون لحمل ما صدر منهم على امور حسنة محمودة كما هو مشهود
في مناقبهم ومعدود في ماثرهم وما وقع بينهم من المنازعات والمحاربات
فله محامل وتاويلات وهو ان كلا اداه اجتهاده الى ان الحق في
فعله فتعين عليه وان كان اخطا كمعاوية مع علي فانه مصيب
باتفاق اهل الحق ومعاوية ماجور وان اخطا فسبهم والطعن فيهم
اذا كان مما يخالف الادلة القطعية كقذف عايشة رضي الله
عنها بما براها الله منه في القران كفر والا فبدعة وفسق قال عياض ذهب
الجمهور الى انه يعزر وعن بعض المالكية يقتل وخص ذكر بعض الشافعية
بالخلفا الاربعة وقواه السبكي في حق من كفر الشيخين وكذا من كفر
من صرح النبي صلى الله عليه وسلم بايمانه وتبشيره بالجنة اذا تواتر
الخبر بذلك عنه لما تضمنه من تكذيبه صلى الله عليه وسلم قال عليه
الصلاة والسلام يا ايها الناس احفظوني في اختاني جمع ختن بفتحتين
كل من كان من قبل المراة كالاب والاخ وعند العامة ختن الرجل زوج
بنته وكل شي من قبل الزوج نحو فالمراد من بينه علاقة بسبب تزويجه
او التزوج منه واصهاري جمع صهر قال الجوهري اهل المراة عند
الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحما والاختان جميعا
واصحابي تعميم بعد تخصيص لافادة التعميم في الامر بالتنصيص
لا يطالبنكم الله معاشر الناس اجمعين بمظلمة بفتح اللام وكسرها
وهو الاكثر واشتهر احد منهم اي المذكورين وهي ما يوخذ ظلما وجورا
فيطالب به ويشكي من اخذه فانها ليست مما يوهب لانها حق
العباد وفي الحديث ذنب لا يغفر وذنب لا يترك وذنب يغفر
فاما الذي لا يغفر فالشرك بالله واما الذي يغفر فذنب العبد بينه
وبين الله واما الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا رواه الطبراني
في الكبير والصغير عن سلمان وفي الاوسط عن ابي هريرة كلاهما
مرفوعا وهذا ونحوه معناه الوعيد الشديد فلا ينافي قوله تعالى
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا ونفسق من قال انه في حق الصحابة
باب من ابواب الشرك لان مبغضهم مبغض لله ورسوله لان الله فضلهم واثنى
عليهم وجعلهم وزرا رسوله وانصاره منه ونقص من هذه

صفته تبغض لمن هو معه وهو يغضي لمن ارسله فلا يوهب والله الحكم
لا يغفر ان يشرك به **وان الخلعي** بكسر الخا المعجمة وفتح اللام ابوا
الحسن علي بن الحسين الموصلي نسبة الى بيع الخلع لانه كان يبيعها
لملوك مصر وولد بها في محرم سنة خمس واربعمائة وكان فقيها
نقيا متعيا صالحا له كرامات وتصانيف وروايات متسعة ولي قضا
مصر يوما واحدا ثم استعفى واختفى بالقرافة ومات بمصر في ذي
الحجة سنة اثنين وتسعين واربعمائة وهذا بعض حديث اخرجه
الطبراني وابن منده واورده في الشفا عن خالد بن سعيد بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله
واثنى عليه ثم قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له
ذلك ايها الناس اني راض عن عمر وعن عثمان وبن عوف فاعرفوا ذلك
لهم ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس
احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبكم احد بمظلمة
فانها مظلمة لا توهب في القيامة غدا **وقال عليه الصلاة والسلام**
الله الله بالنصب على التحذير بعامل يجب حذفه قال الطيبي اي
اتقوا الله ثم اتقوا الله **في حق اصحابي** لا تنقصوا من حقهم ولا تسبوهم
والتقدير اذكركم الله في حق اصحابي وتعظيمهم انتهى وكرر للتأكيد
والحث على الكف عن التعرض لهم بمنقص **لا تتخذوهم غرضا** بمهملتين
هدفا ترمونهم بقبيح الكلام كما يرمى الهدف بالسهام **بعدي** اي بعد
وفاتي والظرف متعلق بالفعل لا صفة غرضا والخطاب لمن بعده
فمن احبهم وصان اعراضهم **فبحبي احبهم** لفظ الترمذي فبحبي احبهم اي
فبسبب حبه اياي او حبي اياهم اي انما احبهم لحبه اياي او لحبي اياهم
ومن ابغضهم فببغضي لفظ الترمذي فببغضي ابغضهم اي بسبب
بغضه اياي **ومن اذاهم** بما يسوءهم **فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى**
الله وذلك لا يضره باعادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني فانما اذى
نفسه كما قال **ومن اذى الله فيوشك ان ياخذه** يهلكه ويستأصله
بعذابه او ياخذه اخذ عزيز مقتدر **رواه المخلص** بشد اللام
المكسورة ابو طاهر محمد بن عبد الرحمن **الذهبي** وابعد المصنف
النجعة فقد رواه الترمذي في المناقب من حديث عبد الله بن
مغفل وفيه عبد الرحمن بن زياد ضعيف في الحفظ وعن الميزان
في الحديث اضطراب **وهذا الحديث كما قال بعضهم خرج مخرج**
الوصية باصحابه على طريق التأكيد والترغيب في حبهم
والترهيب عن بغضهم ووجه الوصية بهم البعدية وخص الوعيد
بها لما اطلع عليه مما سيكون بعده من ظهور البدع وايذا بعض اصحابه
رغما من المؤذي حب بعض اخر منهم وهذا من باهر اياته وقد كان

حريصا

حريصا على حفظهم والشفقة عليهم في حياته روى البيهقي عن ابن
مسعود قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا لا يبلغني
احد منكم عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليهم وانا سليم الصدر
وفيه اشارة الى ان حبهم من الايمان لانه يحب الله ورسوله وذلك اصل
الايمان وبغضهم كفر لانه اذا كان **بغضهم بغضا له** اي بسببه بغضه له
كان كفرا بلا نزاع **للحديث السابق لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه**
من نفسه اما اذا لم يكن بسببه ذلك فلا يكون كفرا وهذا الحديث يدل على
كمال قربهم منه بتنزيلهم منزلة نفسه حتى كان اذاهم واقع عليه
وواصل اليه بقوله ومن اذاهم فقد اذاني صلى الله عليه وسلم والغرض
كما قال الجوهري وغيره **الهدف الذي يرمى فيه** بالسهام وهذا في
الحسي وما هنا معنوي **فهو نهي عن رميهم** بقبيح الكلام واسناد امور
قبيحة لهم **مؤكدا ذكر بتحذيرهم الله** اي عقوبته منه ايه من اجل رمي
اصحابه لان نصب الله على التحذير بعامل واجب الحذف لقيام التكرير
مقامه ولولاه حسن اظهاره قاله ابن مالك ويجوز اظهاره مع قبحه
وما ذاك الا لشدة الحرمة لانه تهديد عظيم مشعر بنا هي المنهي
عنه في القبح **وروي مرفوعا من سب احدا من اصحابي فاجلدوه**
تعزيرا ولا يقتل خلافا لبعض المالكية والشافعية **خرجه تمام في فوايده**
الحديثية واخرجه الطبراني في الثلاثة بسند علي مرفوعا من سب
الانبيا قتل ومن سب اصحابي جلد قال في اللسان رواته كلهم ثقات
الا عبيد الله بن محمد العمري شيخ الطبراني فله مناكير منها هذا الحديث
وقال مالك بن انس الامام وغيره فيما ذكره القاضي عياض في الشفا
من ابغض الصحابة وسبهم كما في الشفا فسقط من قلم المصنف **فليس له**
اي **في المسلمين حق** عقوبة له على بغضه والفي ما نيل من الكفار
بعد ما تضع الحرب اوزارها ويطلق على ما يشمل الغنيمة ولذا قيل
انها كالفقير والمسكين اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا فيعاقب
المبغض بمنع نصيبه من غنيمة او فيء وقال التلمساني اراد مالك بذكر انه
خرج عن المسلمين اي لان الفيء انما يكون للمسلمين **قال عياض ونزع** بنون
وزاي مفتوحة وعين مهملة اي استدل واحتج مالك **باية والذين**
جاءوا من بعدهم الاية ووجه الاستدلال انه جعل ما افاء الله على رسوله
حقا للمهاجرين والانصار والذين جاءوا من بعدهم بقيد انهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل
في قلوبنا غلا للذين امنوا فالجملة حال اي الفي انما يليق ذكر
فهو شرط في استحقاقهم الفي فمن ابغضهم وسبهم لا حق
له فيه ولله الحمد والمنة يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك
ولعظيم سلطانك ونسالك اتمام النعمة بالاتمام وافضل

الصلاة والسلام علي خير الانام تم الجز الثالث من شرح
المواهب نفعنا الله به امين وصلي الله علي سيدنا محمد
وعلي اله وصحبه اجمعين وكان الفراغ من كتابته
صبيحة يوم الاثنين المبارك سابع شهر ربيع
اول من شهور سنة الف ومائة ستة
وخمسين من الهجرة النبوية
علي صاحبها السلام
غفر الله لكاتبه
وللناظر فيه
باحسان
الي يوم
الدين
امين

ويليه الجز الرابع من اول المقصد الثامن من شرح المواهب